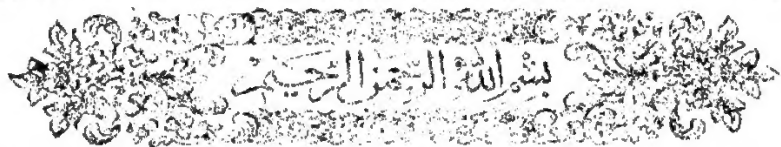
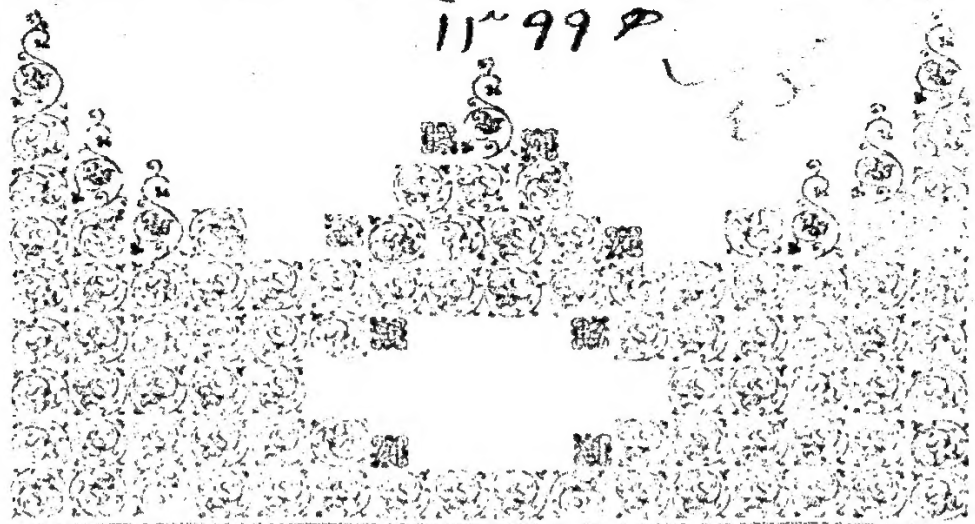


الجزء السابع من مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير
الكبير للإمام محمد الرازي فخر الدين
ابن العلامة ضياء الدين عمر
المشتهر بخطيب الري
تفع الله به المسلمين
آمين

م
﴿ و بهامشه تفسير العلامة أبي السعود ﴾ *

﴿ سورة سبا ﴾ مكية وقيل الاويرى الذين أنوا العلم الآية وهي أربع وخمسون آية ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض) أي له تعالى خلقا وبلا وكان تصرفا بالايجاد والاعداد والاحياء والامانة جميع ما وجد فيها داخل في حقيقة ما أوججا عنهما كتنا فيها فكانه قبل له جمع المخاوف كما مر في آية الكرسي ووصف

1199



(سورة سبا مكية وقيل فيها آية مدنية وهي ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك الآية وهي أربع وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير) السور المفتحة بالحمد خمس سور سورتان منها في النصف الاول وهما الانعام والكهف وسورتان في الاخير وهما هذه السورة وسورة المائدة والخامسة وهي فاتحة الكتاب تقرأ مع النصف الاول ومع النصف الاخير والحكمة فيها أن نعم الله مع كثرتها وعدم قدرتنا على احصائها فمحصرة في قسمين نعمة اليجاد ونعمة الابقاء فان الله تعالى خلقنا او رزقنا وخلق لنا ما نقوم به وهذه النعمة توجد مرة أخرى بالاعادة فانه يخلقنا مرة أخرى ويخلق لنا ما يدوم فلنا حائتان الابتداء والاعادة وفي كل حالقة تعالى علينا نعمتان نعمة اليجاد ونعمة الابقاء فقال في النصف الاول الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الى الشكر على نعمة اليجاد ويدل عليه قوله تعالى فيه هو الذي خلقكم من طين اشارة الى اليجاد الاول وقال في السورة الثانية وهي الكهف الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا فيما اشارة الى الشكر على نعمة الابقاء فان الشرائع بها البقاء ولو لا شرع يتقاده الخلق لاتبع كل واحد هواه ولوقعت المنازعات في المشتبهات وأدى الى القتال والتفاني ثم قال في هذه السورة الحمد لله اشارة الى نعمة اليجاد الثاني ويدل عليه قوله تعالى وله الحمد في الآخرة وقال في الملائكة الحمد لله اشارة

تعالى بذلك لقرير ما أفاده تعليق الحمد المعروف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع أفراد به تعالى على ما بين في فاتحة الكتاب بيان تفرد تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الوجودات التي من جعلتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس له في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عده من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فلهذا شأنه فهو يعلم من استحقاق الحمد الذي مداره الجليل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع أفراد به تعالى بقوله تعالى (وله الحمد في الآخرة) بيان لاختصاص الحمد الاخرى به تعالى اثر بيان اختصاصه بالديوى به على أن الجبار متعلق اما بنفس الجدا وبما يتعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في الآخرة عن التعيين كما اكتفى فيما سبق بذكر كون المحمود عليه

في الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعلم الثم الاخرى كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴿ الى ﴾ واورثنا الارض تنبؤا من الجنة وقوله تعالى الذي أحلنا دار المقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة الى نيلها من الثم النبوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا أي الاجزاء هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون معنى الدنيا والآخرة بطريق

تفضل أن الأول على سبج العبادة والثاني على وجه اللذذ والأغنياء وقد ورد في الخبر أنهم يلهون السليح كما يلهون النعس
وهو الحكيم الذي أحكم أمور الدين والدنيا وديرها حسبما تقتضيه الحكمة (الخبر) ياطن الأشياء ومكتوباتها وقوله
عالي (يعلم ما يلج في الأرض) الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الأمور التي تيط بها مصالحهم الدنيوية والدينية أي
ما يبذل فيها من الغيث والكنوز والدخان ٣ ونحوها والاموات ونحوها (وما يخرج منها) كالحيوان والنبات وما لا يبصر

ونحوها (وما ينزل من السماء)
كاللائكة والكتب والمقادير
ونحوها وقرى وما ينزل
بالشديد وتون العظمة
(وما يخرج فيها) كاللائكة
وأعمال العباد والآخر
والأدخنة (وهو الرحيم)
للعامدين على ما ذكر من نعم
(الغفور) للقرطين في ذلك
بالطه وكرمه (وقال الذين
كفروا لا تأتينا الساعة)
أرادوا بصير المسكلم جاس
البشر فاطمة لا أنفسهم
أو عاصريهم فقط كما أرادوا
بني آياتها نقي وجودها
بالكلية لعدم حضورها
مع حقيقة في نفس الأمر
والتأنيب والتهديد لأنهم
كانوا يحدون بآياتها وأولان
وجود الأمور الزمانية
المستقبل لا سيما الجراد الزمان
لا يكون إلا بالآيات والحضور
وقبل «واستبطا لآياتها»
أنوعود بطريق الهوى
والسخرية كقولهم من هذا
الوعود (قل بلى) رد الكلام
وإثبات المنفوعة على معنى ليس
الأمر إلا بآياتها وقوله تعالى
(وربى لأعينكم) تأكيد
على أنهم الجوه والكلمة

إلى نعمة الأبقاء ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا والمرسلات
لا يكونون رسلا اليوم القيامة يرسلهم الله مسلمين على المسلمين كما قال تعالى وتلقاهم
الملائكة وقال تعالى عنهم سلام عليكم طمتم فادخلوها خالدين وفاتحة الكتاب لما اشتملت
على ذكر التعمين بقوله تعالى الحمد لله رب العالمين إشارة إلى النعمة العاجلة وقوله مالك
يوم الدين إشارة إلى النعمة الآجلة قرئت في الافتتاح وفي الاختتام ثم في التفسير مسائل
(المسئلة الأولى) الحمد شكر والشكر على النعمة والله تعالى جعل ما في السموات
وما في الأرض لنفسه بقوله ما في السموات وما في الأرض ولم يبين أنه تعالى حتى يجب
الشكر نقول جوابا عند الحمد يفارق الشكر في معنى وهو أن الحمد أعم فالحمد من فيه
صفات حميدة وإن لم ينم على الخامد أصلا فإن الإنسان يحسن منه أن يقول في حق عالم
لم يتسع به أصلا أنه عالم طاهر بارع كامل فيقال له أنت محمد فلانا ولا يقال أنت شجرة الأذى
ذكر الله أو ذكره على نعمه فالحمد تعالى محمود في الأزل لا يتوقف بأوصاف الكمال ونعمت
الجزال ومشكور لا يزال على ما أبدى من الكرم وتسد من النعم فلا يلزم ذكر النعمة
للمحمد بل يكفي ذكر النعمة وفي قوله مالك ما في السموات وما في الأرض عظيمة كاملة فله
الحمد على أمثال قوله ما في السموات وما في الأرض يوجب شكرا أعم مما يوجد بقوله
تعالى خلق لكم ما في الأرض وذلك أن ما في السموات والأرض إذا كان لله ونحن
المنشؤون به لا هو بوجب ذلك شكرا لا يوجد كون ذلك لنا (المسئلة الثانية) قد ذكرتم
أن الحمد هي إشارة إلى النعمة التي في الآخرة فلم ذكر الله السموات والأرض فقلوا نعم
الآخرة مرتبة فذكر الله اليوم المرتبة وهي ما في السموات وما في الأرض ثم قال ولله الحمد
في الآخرة ليقاس نعم الآخرة بنعم الدنيا ويعلم فضلها بدوامها وذلك العاجلة والها قال
محمده الحكيم الخبر إشارة إلى أن ما في هذه الأشياء بالحكمة والخير والحكمة صفة ثابتة
لله لا يمكن زوالها فيمكن منها إيجاد أمثال هذه مرتبة أخرى في الآخرة (المسئلة الثالثة)
الحكمة هي العلم الذي يحصل به الفعل فإن من يعلم أمرا ولم يأت بما يجب عليه لا يقال له
حكيم ومن أتى بأمر عجيب على سبيل الاتفاق من غير علم يقال له حكيم فالقائل الذي
قوله على وفق العلم هو الحكيم والخبر هو الذي يعلم عواقب الأمور ويواظفها في الحكيم
أي في الابتغاء بخلق كائني وخبر أي بالانتهاء يعلم ما يصدر عن المخلوق وما لا يصدر
إلى ما إذا يكون مصير كل أحد فهو حكيم في الابتداء غير في الانتهاء ثم بين الله تعالى لنا
أخبره بقوله (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يخرج فيها وهو
الرحيم الغفور) ما يلج في الأرض من الحبة والاموات ويخرج منها من السحاب
والأحياء وما ينزل من السماء من أنواع رحمة منها المطر ومنها الملائكة ومنها القرآن
وما يخرج فيها منها الكلم الطيب لقوله تعالى البصع الكلم الطيب ومنها الأرواح
ومنها الأعمال الصالحة لقوله والعمل الصالح يرفعه وفيه مسائل (المسئلة الأولى) قدم
ما يلج في الأرض على ما ينزل من السماء لأن الحب تذرا ولا ثم تسقى ثانيا (المسئلة الثانية)

وقرى لا يأتينكم على تأويل الساعة باليوم أو الوقت وقوله تعالى (عالم الغيب) الخ أمداد لا أكيد وتكيد له ارتسديد وكسر اسو
نكرهم واستعدادهم فإن تعيب المقسم بجلال نعوت المقسم به على الإطلاق يؤذن بفخامة شأن المقسم عليه وقوة ثباته وصحة
لأنهم ذكروا في حكمه الأهمية بناء على الأمر ولا ريب في أن المستشهد به كل من كان أجل وأعلى كانت الشهادة كدوا أقوى والمستشهد
بغيره أضعف بالثبوت وأولى لاسيما إذا خص بالذكر من النعوت ما لا يقع في الأرض

بالقسم عليه كما عن سيد فان وصفه بعلم الغيب الذي اشتهر افراده وأدخلها في الخفاء هو انقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم
وكونه مما لا يحوم حوله شاذة قربة ما وفتاة الامر بهذه المرتبة من اليقين ان لا يبقى للعالمين عند ما أصابهم كانوا يعرفون أماني
ونزاهته عن وصلة الكذب فضلا عن اليقين العاجزة والاعلم بعد قلوبنا وكثرة وقى علام الغيب وعلم الغيوب بالرفع
على المدح (لا يعرف عنه) أي لا يدركه بوقر (يكسر الزاي) (مثال ذرة) مقدار نحو 2 مم اصغر منه (في السموات والارض)

قال وما يرج فيها ولم يقل يرج اليها الشارة الى قبول الاعمال الصالحة ومرتبة النفوس
الراكدة وهذا لان كمالها الغاية فقال وما يرج اليها الفجر الوقوف عند السموات فقال
وما يرج فيها اليهم فتوذهانها وصعودها منها ولهذا قال في الكلام الطيب اليه يصعد
الكلام الطيب لان الله هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول اليه وأما السماء فهي دنيا
ونورها المنتهى (المسألة الثالثة) قال وهو الرحيم الغفور رحيم بالانزال حيث ينزل الرزق
من السماء غفور عند ما يرج اليه الارواح والاعمال فرحم أولاد الان والفقير ثانيا عند
العروج ثم بين ان هذه النعمة التي يستحق الله بها الحمد وهي نعمة الاخرة فأكبرها فقوم
فقال تعالى (وقال الذين حسدوا الا اننا لناساعة) ثم رد عليهم وقال (قل يلى وري
لنا نيكم علم اغيب لا يعرف عنه مثال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من
ذرة ولا اكبر من ذرة) كتاب مبین في شرح القرآن وآمنوا الصالحات أولئك لهم مغفرة
ورزق كريم) اخبر بانها لو اكتملت آيات قل ان الله تعالى قال في كتابه اصح
الساكنين باليمين مع انهم يقولون لا رب وان كانوا يشولون ساكنين المستثناة الاصل
لا تلت لئلا وأجاب عن هذا العلم بقسم على اليقين في ذكر الدلائل وهو قوله ليجري الذين
آمنوا وعملوا الصالحات ويان صكوكه دليل انه هو ان المسألة قد بينت في السورة الثانية
في الذات العاجلة وعوت عليها والحسن قد مر في دار الدنيا في السورة الثانية قد مر
وعوت فيها المولود لا تترك الاجر بقوله كان المراد على خلاف ما كمدوا الذي أفواه
أشوا ان السائل المذكور في قوله علم الغيب لا يعرف عنه مثال ذرة أظهر وذلك لانه اذا
كان علم الجميع الاشارة الى اجراء الاحياء في شمس على جميعها فانه لا يمكن ان يكون
أشهر منها الصافي فيكون واقع على هذا قوله تعالى في السموات ولا في الارض فيه
اضافوه الى ان الانسان له جسم وزوج والاعضاء أجزاؤها في الارض والارواح في
السماء فتوكل لا يعرف عنه مثال ذرة في السموات اشارة الى علمه بالارواح وقوله ولا في
الارض اشارة الى علمه بالاعضاء والاعمال الارواح والاشباح وقدر على جميعها لا يبقى
استيعاب في المعاد وهو لا أصغر من ذلك اشارة الى ان ذكر مثال الذرة ليس للجدد بل
الان لا يعرف عنه لا يعرف وعلى هذا القول قال في حاشية الى ذكر الاكبر فان من علم الاكبر
من الشدة لا بد من ان يعلم الاكبر فتوكل ان كان الله تعالى أراد بيان البات الامور في
الكتاب فلو اقتصر على الاصفاء هم ذنوبهم أنه ثبت انهم لا يكونوا يعملون التمسك أما
الأكبر لا يفي الا ما جاء الى اليقين في الامثلة في الكتاب ليس كذلك فان الاكبر أيضا
فيهم كآية من علمهم بالاعمال والاكبر ذكر ان جمع ذلك وبيان الجراء فقال ليجري
الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ذكر فيهم أمرين الايمان
والعمل الصالح وذكر لهم أمرين المغفرة والرزق الكريم فاما مغفرة جرائم الايمان فكل
مؤمن مغفوره ويدل عليه في امتحان ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء وقوله عليه السلام فيها أخبرنا تاج الدين عيسى بن أحمد بن الحاتم البندهي قال

أي كائنة فيهما (ولا أصغر
من ذلك) أي من مثله
ذرة (ولا أكبر) أي منه
ورفعهما على الاستدراك والخبر
قوله تعالى (الاف في كتاب مبین)
هو الاوح المحفوظ والجملة
مؤكدة لتق العروب وقرئ
ولا أصغر وهذا أكبر من ذرة
على أي الجنس ولا يجوز ان
يعطف الذروع على مثال
ولا الذروع على ذرة فصح
فخرج الخبر لا متنازع الصرف
الان شاء الله تعالى بعد الاشارة
تعمل الغيب في علم الغيب
ويجعل المشتق في الوجود خارجا
عنه ابرون للمفسرين له
فيكون المعنى لا يفصل عن
الغيب حتى لا يستدورا في
الروح (ليجري السائلين) آمنوا
وعملوا الصالحات) الله لا وله
تعالى ان يثبتهم ويان لما يقضي
انها (أو تلك) اشارة الى
الموصول من حيث انصافه
بما في خير الصلة وما فيه من
معنى البعد بلايات
مترسبين في الفضل والشراف
أي أولئك الموصوفون
بالصفات الجليلة (أهم)
بسبب ذلك (مغفرة) ما فرط
منهم من بعض فرطت فيه

يخاطبونها باسم (ورزق كريم) لا تعرف ويدلان عليه (واحد من سموات آياتنا) بالمدح فيها وصدق الناس في الخبرين
عن التصديق بها (معاجزين) أي من ايقين في قوتها وقرئ معجز في أي مشطين عن الايمان من اراده (أو تلك لهم عذاب
بذلك كلام فيه كالذي مر آتفا ومن في قوله تعالى (من رجز) انما الى قتادة رضي الله عنه الرجز سوء العذاب وقوله تعالى (أنهم) يترفع
صفة عذاب أي أولئك الساعون لهم عذاب من جحد

وقيل يعني مقبول من جد الساج الثوب اذا قطعه ثم شاع (أفتى على الله كذبا) فيما قال (أمر به جنة) أي جنون يوهمه ذلك ويلقى
على لسانه والاستدلال بهذا التردد على ان بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد لفظه وور
كون الافتراء أخص من الكذب (ول الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) جواب من جهة الله تعالى عن ترددهم
الوارد على طريق الاستفهام بالاضراب عن شبهة وإبطالها **في** واليات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع

من خمس كريم وقال هي نالهم عذاب من رجن أليم باللفظة صالحة للتبيين وكل ذلك إشارة
الى سعة الرحمة وقلة العذب بالنسبة اليها والرجز قيل أسوأ العذاب وعلى هذا من لبيان
الجنس كقول القائل خاتم من فضة وفي الآيات قراءتان الجوز والرفع فالرفع على أن الآيم
وصف العذاب كأنه قال عذاب أليم من أسوأ العذاب والجوز على انه وصف للرجز والرفع
أقرب نظر الى المعنى والجوز نظر الى اللفظ فان قيل فلم يخصه الاقسام في المؤمن الصالح
عنه والى كذب الساعي الشجر الجواز أن يكون أحد مؤمن ليس له عمل صالح أو كافر
متوقف فتشور اذا علم مال الغريقين المذكورين يعلم ان المؤمن قريب الدرجة من تقدم
أمره والكافر قريب الدرجة من سبق ذكره ولا يجوز من غير ضرورة ذكره وان لم يذكر في
الذكر ان من رزق الشيء مثل صالح والكافر الغير العابد عذاب وان لم يكن من أسوأ
لأنواع الجوز لكذبين المعادين الله تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليه من
ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الخليل) أي يهدي الى صراط العزيز الخليل في الكذب في
الآخرة بوسطه في الدنيا وهو أن يهدي الى صراط العزيز الخليل في الدنيا بوسطه في الآخرة
ما رتب الى محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وتوابعه هو الحق في الدنيا بوسطه في الآخرة
الاشارة وأما دون الكذب فبالإختلاف ما في نزاع الخصمان والاشارة فيكون
قوله كل واحد حتى المؤمن وقوله تعذب ويهدي الى صراط العزيز الخليل فيكون
بما في قوله هو الحق في الدنيا بوسطه في الآخرة فيكون أن يكون في الدنيا بوسطه في الآخرة
أنه مع كونه صراطا في الدنيا بوسطه في الآخرة فيكون أن يكون في الدنيا بوسطه في الآخرة
بهي الرسول الى الله وهو الحق في الدنيا بوسطه في الآخرة فيكون أن يكون في الدنيا بوسطه في الآخرة
ذلكم ينهم من الذي ينبغي أن الكذب في الدنيا بوسطه في الآخرة فيكون أن يكون في الدنيا بوسطه في الآخرة
ويجوز أن يكون في الدنيا بوسطه في الآخرة فيكون أن يكون في الدنيا بوسطه في الآخرة
نسبي فيمن أقسم بيمين الرب في الدنيا بوسطه في الآخرة فيكون أن يكون في الدنيا بوسطه في الآخرة
الزينة من رضاء البياض أبيض وأكرم من رضاء من لا يورث كذبا فاعلموا كما تعرف
تربى أدينا كما رغب عن الكذب تروى في الصدق ليحصل القرب من امر ربهم قال
تعالى (وقال الذي كفر وهن الذين كفروا على رجل منكم إذا من فتم كل عرق انكم في خلق
جديد) جد الترتيب هو أن الله تعالى أسألتهم أنذكروا الساعة ورددناهم بقوله قل يل
ور في أنفكم وبين ما يكون بعد أن ينهم من جزياء المؤمن على عمله الصالح وجزياء الساجر
في كذب الآيات بالعذاب على السبب بين حال المؤمن والكافر بعد قوايد قل الي
ور في أنفكم فسال المؤمن هو الذي يقول اني أنزل اليك الحق وهو يهدي وقال
الكافر هو الذي يقول هو باطل ومن غاية اعتقادهم وعنادهم في إبطال ذلك قالوا على
سبيل التعجب هل نذكركم على رجل منكم إذا من فتم كل عرق انكم في خلق جديد
وهذا كقول القائل في الاستبعاد جاء رجل يقول ان الشمس تطامع من المغرب الى حال

عليهم سوء حالهم وابتلائهم
بما كانوا في حقد عليه الصلاة
والسلام كأنه قيل ليس الأمر
كأنهم وابل صفي كالإختلال
العقل وغاية الضلال عن القرب
والادراك الذي هو الجنون
حقيقة وفيما يورث اليه ذلك
من العذاب واليات يقولون
ما يقولون في قديم العذاب
على ما يوجب الله تعالى في الدنيا
الآيات عاصوهم ويقتل
في أعضادهم واليات
بما يفسد عباد الله كأنه
بما يفسد عباد الله ووصف
الضلال بغير ما الذي هو وصف
الضلال بالآفة ووضع المؤمن
وضع ضلهم التأييد في
سبح الله على أن لا ما
أر كرم واجبة عليه من
الساعة الشريعة كافرهم
بالآخرة وما فيها من فتون
العذاب لو لم يأنفوا ذلك
خوف من عائلته وقوله تعالى
(ألم يروا ما يربون أيديهم
وما خلفهم من السماء والأرض)
استأنف مسوق ليهويل ما
اجتمروا عليه من تكذيب آيات
الحال واستعانهم ما كانوا
ليدا الصلاة والسلام
تمام الوجبة لنزول

حاول إذ قطع العذاب من غير ريث وأخبر وألف الله العطف على مقدر بتضيه المقام وقوله تعالى (ان) **في**
نبي الله ذكر أحاطتهم خابهم من المحذور والتوقع من جهة عمار فيه تنبيه على أنه لم يبق من أسباب عذابهم
لما وافقوا من المنكر الهائل المستعجب **في** فينظر والى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم (بحم) **في**
ما إذا فسأخ ما

على موجب جنابهم (تخسف بهم الارض) كما خسفناها بقارون (ونسقط عليهم كسفا) اي قطعنا (من السماء) كما اسقطناها على اصحاب الايكلة لا سنجاههم ذلك بما ارتكبه من الجرائم وقيل هو تذكرة عابثونه بما يد على كمال قدرته وما يحتل فيه ازاحة لاستحقاقهم البعث حتى جعلوا افتراء وهميا وتهديد على المعنى أعوا فلم يظفروا الى ما أحاط به جوابهم من السماء والارض ولم يتذكروا أهم أشد خلقا أم هي وارثا تخسف ﴿٧﴾ بهم الارض ونسقط عليهم كذا فالتكثير بهم بالآيات بمدق ظهور

الآيات ذاتا بل وكن على الحق المبين وقرئ تخسف ويسقط بالياء شوله تعالى أفترى على الله كذبا من كون السين (ان في ذلك) أي في آيات كرم من السماء والارض من حيث أحاطت بها بالنظر من جميع الجوانب أو في معنى من الوحي الناطق بما ذكر (لا يذ) واحدة فلا تكل عيب يجب) سناه الانابة الى ربه فاعادنا ما دل فيها أوفى الوحي المذكور من جرح عن تعاطي القبايح وتوب اليه تعالى وفيه حث جامع على التوبة والانابة وقدا كذا في بقوله تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلا) أي آتينا الحسن الحسانه ومحمد توبته فضلا على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام أي نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد قوله سورة خاصة به عليه الصلاة والسلام أو على سائر الناس في قدره في النبوة والكنسب والملك والصوت الحسن فتسكمه للتفخيم ومتنا كيد فغامت الذاتية بفخامته الاضافية كما في قوله تعالى وآتينا من لدنا جلالا وتقدم على المعنى (الارث) للاعتماد بالمقدم على المتأخر

من المخالاة ثم قال تعالى (أفترى على الله كذبا ما به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العباد والاضلال البعيد) هذا يقتضيه وجهين (أحدهما) أن يكون تمام قول الذين كفروا أولا أي هو من الكلام من ذلك من تكذيبهم بحصول أن يكون من كلام السامع المحجب لمن قال هل تدلكم كان السامع لما سمع قول القائل من تكذيبه عن رجل قل له أهو يفتري على الله كذبا كان يعتقد ثلاثة أمر به جنة جنة بل كان لا يصدق (وأي هذا الصيغة) وهي ان الكافر لا يرضى بأن يظهر كذبه وإنما قسم ما يورثه بأنه مقرر بل قال مستترا يخون لغيره من أن يقول قائل كيف يقول بأنه مقرر مع أنه جاز أن يفتري أن الحق ذلك وظن الصدق يمنع الصيغة القائل مقرر يا وكافيا في معنى أو سمع أنه يرى أن من يقول بغيره ويدفان بين أنما يفتري وقول له كذبت يقول ما كذبت والناصب من فلا تكل الله يا فطنت الله صادق فلو قد كذب عن نفسه بالناطق فهم أحقر وأحق من كذبهم فقل عاف يفتري أن يفتري عن الله وكذبه عند الناس ولا يكون العاقل أحد درجته من العباد ثم قال تعالى أيعلمهم مرة أخرى وقال بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب من متسالية فوهم أفترى على الله كذبا وقوله (والذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب) الآية العذاب فلا تكل الله كذبا في العذاب الى العذاب في الآية لانه شهادة عليه وأنه يستحق في العذاب فعمل العذاب عليهم حيث نسبوه الى الكذب وأما الجنون فلا تكل العذاب الجان من العاقل فوهم في الآية لانه لا يشهد عليه بأنه يفتري ولا تكل بالنسبة الى عدم الشهادة فيهم هم الضالون ثم وسقط ضلالهم بما جعل من إسحق المهنس ضلالا كون هو اذ لا يفتري عن الله كذبا بل هو الذي لا يؤمنون بالآخرة في العذاب كل هادئ كل يفتري ثم قال تعالى (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان لنا تخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء) لما ذكر الغيبي كونهما على السيات والحيات ذكرا دليلا آخر وقد كرفه تهديدا أما الغيبي فتقوله السماء والارض فأنهما يدلان على الوحيانية كما بيناه مرارا وكفكف تعالى ولكن سألهم من خالق السموات والارض يقول الله ويدلان على الحشر لأنهما يدلان على كمال قدرته ومنها الاعادة وقد ذكرناه مرارا وقال تعالى أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهن وأما التهديد فتقوله ان نشأ تخسف بهم الارض يعني نجعل عذبنا ففهم صارهم بالحسوف والكسوف ثم قال تعالى (ان في ذلك لآية لكل من عيب) أي لكل من يرجع الى الله ويترك التعصب ثم ان الله تعالى لما ذكر من يثيب من عباده ذكر منهم من آتاه وأصاب ومن جعلهم داود كما قل تعالى عند فاستقر ربه وخررا كما آتاه وبين ما آتاه الله على آتائه فقال (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه الطير وأنتاه الحديد) وفي الآية مسائل (المسألة الاولى) قوله تعالى منا إشارة الى بيان ما آتاه عليه السلام وتقرره هو ان قوله ولقد آتينا داود منا فضلا مستقر بالفعوم وتام

اذا مر قسم كل ما جند القديم اذا خربني النفس مترتبة له فاذا ورد هاتمكن عندنا فضل تمكن (يا جبال أوبي معه الطير) أي مستمع التسبيح والتلوحة على الذنب وذلك اما بان يخلق الله تعالى فيه اصواتا مثل صوته كاخاق الكلام بث صوت الطير والواحش وأوبي من الاوب أي ارجي معه في التسبيح كل ارجع فيه وكان كلما سمع عليه الصلاة والسلام فاعل من جهم مغيرة له عليه الصلاة والسلام

وقيل قدر في مساميرها فلا تعملها دقا ولا غلاظا ورديان درو عه عليه الصلاة والسلام تكن مسمرة كاي يني عند الانة الحديد
 وقيل معنى قدر في السرد لا تصرف جمع اوقاتك اليه بل مقدار ما تحصل به القوت واما الباقي فاصرفه الى العبادة وهو الانسب بقوله
 تعالى (واعملوا الصالحات) ثم الخطاب حسب عموم التكليف لادعائه الصلاة والسلام ولاهله (اني ناعملون بصبر) تامل الامرا و
 اوجوب الامثال به (وسليمان الريح) أي وسخر ناله ﴿٩﴾ الريح وقرى برفع الريح أي وسليمان الريح مسخرة وقرى
 الريح (غندوها شهر ورواحها

الشهر) أي جريها بالعبادة مسيرة
 شهر وجرىها بالعبادة مسيرة
 والجملة اما ما سألنا عن حال من
 الريح وقرى غندوها ورواحها
 وعن الحسن رحمه الله كان
 بعد أي من دمشق فيقيل
 اصغر ثم روح فيكون رواحها
 بكاء وقيل كان يغدى بالرى
 ويتمشى بسمرقندو يعكس أن
 بعضهم رأي مكروبا في منزل
 بالحيطة دابة كثر به بعض
 أصحاب سليمان عليه السلام
 نحن نؤتسأه وما يتداه وبنينا
 وجدناه غندونا من اصبط
 قاتسأه ونحن رأيناه منه
 فباتون بالشم ان شاء الله تعالى
 (واسئلناه عين القطر) أي
 الحس المذائب أسأله من معذته
 كما ان الحديد داود عليهما
 السلام فتبع منه نبوع الماء من
 النبوع ولذلك سمى عبنا وكان
 ذلك باين وقل كان يسيل في
 الشهر ثلاثة أيام وقوله تعالى
 (ومن الجن من يعمل بين يديه)
 اما جملة من مبتدأ وخبر أو من
 يعمل عطف على الريح ومن الجن
 حال متقدمة (باذن ربه) بأمرة
 تعالى كاي يني عنه قوله تعالى
 (ومن يزغ منهم عن أمرنا)
 أي ومن يعدل عنهم عما أمرناه به

بما رأى من الملك يحسن العمل ويتقدم ويجتهد فيه ثم لما ذكر المنيب الواحد ذكره بآخرو هو
 سليمان كما قال تعالى وألينا على كرسيه جسدا ثم أناب ﴿١٠﴾ وذكر ما استفاد هو بآية ثانية فقال
 (وسليمان الريح غندوها شهر ورواحها شهر) واستأنه عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه
 باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
 قرى وسليمان الريح الرفع وبالنصب وجه الرفع وسليمان الريح مسخرة أو سخرت سليمان
 الريح وجهه بالنصب وسليمان سخرنا الريح والرفع وجهه آخر وهو ان يقال عتقه وسليمان
 الريح كما يقال زيد الدار وذلك لان الريح كانت له كالملك المخلص به بأمرةها يساريد
 حيث يريد (المسئلة الثانية) الواو لا مضاف فعلى قراءة رفع يصير عتقا لجملة اسبغ على جملة
 فعلية وهو لا يجوز ولا يحسن فكيف هذا في قول المابن حال داود كانه تعالى قال ما ذكرنا
 لداود وسليمان الريح وأما على النصب فعلى قولنا وأتاه الحديد كانه قال وأتاه داود
 الحديد وسخرنا سليمان الريح (المسئلة الثالثة) المسخر سليمان كانت ريحها مخصوصة
 لهذه الرياح فانها المتأففة عامة في اوقات الحاجات ويدل عليه انه لم يقرأ الا الى التوحيد فما
 قرأ أحد الريح (المسئلة الرابعة) قال بعض الناس المراد من تسخير الجبال وتسخيرها مع
 داود انها كانت تسبح كاي يسبح كل شيء وان من شيء الا يسبح بحمده وكان هو عليه السلام
 يفقد تسبيحها فيسبح ومن تسخير الريح اندراض الخيل وهي كالريح وقوله شددوها شهر
 ثلاثون مرة سخرها لان من سخر في أفرج في أفرج الامر لا يسيرا ثم من فرسخ ورجع كذلك
 وقوله في حق داود وأتاه الحديد وقوله في حق سليمان وأسئلناه عين القطر انهم سخر جوا
 تذويب الحديد والحساس بالمار واستعمال الآلات منها واشياطين أي انا انا اقوياء
 وهذا كانه فاستحله على هذا ضعف اعشاده وعدم اعتماده على قدر الله والله قادر على كل
 ممكن وهذه اشيء ممكنة (المسئلة الخامسة) أقول قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال وقوله
 وسليمان الريح عاصفة نوقال قائل ما الحكمة في ان الله تعالى قال في الانبياء وسخرنا مع
 داود الجبال وفي هذه السورة قال باجبال أوبي معه وقال في الريح هناك وههنا وسليمان
 نقول الجبال لما سبحت شرفت بذكر الله فلم يصفها الى داود بلام الملك بل جعلها مع
 كالصاحب والريح لم يذكر فيها انها سبحت فجعلها كالملك او كانه وهذا حسن وفيه أمر آخر
 يقول بظهوره وهوان على قولنا أوبي معه سبى قابيل في السير ليس اصله بل هو يتحرك
 مع تبعها والريح لا تتحرك مع سليمان بل تتحرك سليمان مع نفسه فلم يقل الريح مع سليمان
 ل سليمان كان مع الريح واستأنه عين القطر أي الحساس ومن الجن أي سخر ناله من الجن
 هذا يني عن ان جميعهم ما كانوا تحت أمر وهو الظاهر واعلم ان الله تعالى ذكر ثلاثة
 شياء في حق داود وثلاثة في حق سليمان عليهما الصلاة والسلام فالجبال المسخرة لداود من
 ليس تسخير الريح لسليمان وذلك لان الثقل مع ما هو أخف منه اذا تحرك كاي سبق
 الخفيف الثقيل ويبقى الثقيل مكانه لكن الجبال كانت أثقل من الأدمى والأدمى أنقل

ناعد سليمان وقرى يزغ ﴿٢﴾ سا على البناء للمفعول من ازاعه (نذقه من عذاب السعير) أي عذاب النار في
 مرة روى عن السدي رحمه الله كان معه ملك بيده سوط من نار كل من استعصى عليه ضرب به من حيث لا يراه الجنى
 (لونه ما يشاء) تفصيل لما ذكر من علمهم وقوله تعالى (من يجاد رب) الحسان لما شاء أمه من قصور حصنة

ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها وقبل هي المساجد (وتماثيل) وصور الملائكة والانبيا عليهم الصلاة والسلام على ما اعتادوه فانها كانت تعمل حيث في المساجد لهاها الناس ويعبدوا مثل عباداتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروى أنهم علوا أسدين في أسفل كرسية ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران يا جفنة (وجفان) جمع جفنة وهي الصفحة (كالجواب) كالحياض ﴿ ١٠ ﴾ الكبار جمع جارية من الجارية لاجتماع الملة

فيها وهي من الصفات اغانية كالداية وقرى بايات الياه قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل (وقدور راسيات) ثاببات على الانافي لا تنزل عنها له ظمها (اعملوا آل داود شكرا) حكاية لما قيل لهم وشكر انصب على انه فعول له أو مصدر لاعملوا الان العمل للسمع شكر له أو افعله المحذوف أي اشكروا شكرا أو حال أي شاكرين أو مفعول به أي اعنوا شكرا (وقيل من تبادى الشكور) أي المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي جقه لان التوفيق للشكر نعمه تستدعي شكر آخر لا الى نهايه ولذلك قيل اشكور من يرى يحجزه عن الشكر ويرى أنه عليه الصلة والسلام جراً ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان عليه السلام (ماد لهم) أي الجن أو آله (على موته الادابة الارض) أي الارضة أضيفت الى فعلها وقرى بفتح الزاء وهو تائر الخشية من فعلها يقال أرضت الارضة الخشية أرضا فأرضت أرضا مثل أكلت القوارح أسنانه أكلت أكل (تأكل) كان

من الريح فتد الله ان سار الثقل مع الخفيف أي الجبال مع داود على ما قلنا أو بي أي سري وسليمان وجنوده مع الريح الثقيل مع الخفيف أيضا والطير من جنس تنخير الجن لانهما لا يجتمعان مع الانسان الطير لنفوره من الانس والانس لنفوره من الجن فان الانسان يتقي مواضع الجن والجن يطلب أبدا اصطيدا الانسان والانسان يطلب اصطيدا الطير فقد رآه ان سار الطير لا ينفر من داود بل يستأنس به ويطلبه وسليمان لا ينفر من الجن بل يستخره ويستخدمه وأما القطر والحديد فيجاذبهما غير خفي (وهنا لطيفة) وهي ان الآدمي ينبغي أن يتقي الجن ويحذره والاجتماع به يفضي الى المفسدة ولهذا قال تعالى أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون فكيف طلب سليمان الاجتماع بهم فتقول قوله تعالى من يعمل بين يديه باذن ربه اشارة الى أن ذلك الحضور لم يكن فيه مفسدة (ولطيفة أخرى) وهي أن الله تعالى قال ههنا باذن ربه بلفظ الرب وقال ومن يرغ منهم عن أمر ناولم يقل عن أمر ربه وذلك لان الرب لفظ يلي عن الرحمة فعندما كانت اشارة الى حفظ سليمان عليه السلام قال ربه وعندما كانت اشارة الى تعذيبهم قال عن أمر نالفظ التعظيم الموجب لزيادة الخوف وقوله تعالى نذقه من عذاب السعير فيه وجهان (أحدهما) ان الملائكة كانوا موكلين بهم وبأيديهم منارح من نار فالأشارة اليه (وثانيهما) ان السعير هي ما يكون في الآخرة فأوعدهم عسافي الآخرة من العذاب ثم قال تعالى (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقبل من عبادي الشكور) المحاريب اشارة الى الابنية الرفيعة واهذا قال تعالى اذ تسوروا المحراب والتماثيل ما يكون فيها من النقوش ثم لما ذكر النساء الذي هو المسكن بين ما يكون في المسكن من ماعون الاكل فقال وجفان كالجواب جمع جارية وهي الحوض الكبير الذي يجبي الماء أي يجمعه وقيل كان يجمع على جفنة واحدة أنف نفس وقدور راسيات ثاببات لا تنقل لكبرها وانما يعرف منها في تلك الجفان وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قدم المحاريب على التماثيل لان النقوش تكون في الابنية وقدم الجفان في الذكور على القدور مع ان القدور آلة الطبخ والجفان آلة الاكل والطبخ قبل الاكل فتقول لما بين الابنية الملكية أراد بيان عظيمة السباط الذي يمد في تلك الدور اشارة الى الجفان لانها تكون فيه وأما القدور فلا تكون فيه ولا تحضر هناك ولهذا قال راسيات أي غير منقولات ثم لما بين حال الجفان العظيمة كان يقع في النفس ان الطعام الذي يكون فيها في أي شيء يطبخ فأشار الى القدور المناسبة للجفان (المسئلة الثانية) ذكر في حق داود اشتغاله بالذ الحرب وفي حق سليمان بحالة السلم وهي المساكن والمساكن وذلك لان سليمان كان ولد داود وداود قتل جالوت والملوك الجبارة واستوى داود على الملك فكان سليمان كولد ملك يكون أبوه قدسوى على ابنه الملك وجمع له المال فهو يفرقه على جنوده ولأن سليمان لم يقدر أحد عليه في ظنه فتركوا الحرب معه وان حارب به أحد

الخشية من فعلها يقال أرضت الارضة الخشية أرضا فأرضت أرضا مثل أكلت القوارح أسنانه أكلت أكل (تأكل) كان منسأته) أي عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطردها ما يطرده وقرى منسأته بألف سا كثة بدلا من الهمزة وبهمزة سا كثة وبأخر ابعابها بين عند الوقف ومنسأته على منسأته في ميسأة ومن سأته أي من طرف بعصاه من سأة

القوس وفيه افتتان كافي فحة بالكسروا الفتح وقرى أ كات منساته (فلما خربت الجن) من تبيت الشيء إذا علمته بعد التماسه عليك
أي علمت الجن علمائهم بعد التماس الامر عليهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) أي أنهم لو كانوا يعلمون الغيب
كأنهم يعلموا موته عليه الصلاة والسلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره إلى أن خروا من تبيت الشيء إذا ظهر وتجلي
أي ظهرت الجن وأن مع مافي حيزها يدل ١١ ١٢ اشتغال من الجن أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب الخ وقرى

تبيت الجن على البناء للمفعول
على أن المتبين في الحقيقة هو
أن مع مافي حيزها لانه يدل
وقرى تبيت الانس والضمير
في كانوا للجن في قوله تعالى
ومن الجن من يعمل في قراءة
ابن مسعود رضي الله عنه
تبيت الانس أن الجن لو كانوا
يعلمون الغيب روى أن داود
عليه السلام أسس بنيان
بيت المقدس في موضع
فخطا ط موسى فتوفي قبل
تمامه فوصى به إلى سليمان
عليهما السلام فاستعمل
فيه الجن والشياطين
فباشروه حتى إذا حان أجله
وعلم به سأل ربه أن يعصى
عليهم موته حتى يفرغوا منه
ولتبطل دعواهم علم الغيب
فدعاهم فبثوا عليه صرحا
من قوارير ليس له باب فقام
يصلي متكئا على عصاه
فتقبض روحه وهو متكئ
عليها فبق كذلك وهم
في أمر وابه من الأعمال حتى
أكلت الأرضه عصاه فخن
ميتا وكانت الشياطين
تجتمع حول محرابه أينما صلى
عليه الصلاة والسلام فلم يكن
يضره أيده شيطان في صلاته

كان زمان الحرب يسيرا لادراكه آياه بالريح فكان في زمانه العظمة بالأطعام والانعام
(المسئلة الثالثة) لما قال عقيب قوله تعالى أن عمل سابقات عملوا صالحا قال عقيب
ما بعلمه الجن عملوا آل داود شكرا إشارة إلى ما ذكرنا ان هذه الاشياء حالية لا ينبغي أن
يجعل الانسان نفسه مستغرقة فيها وإنما الواجب الذي ينبغي أن يكثر منه هو العمل
الصالح الذي يكون شكرا وفيه إشارة إلى عدم الالتفات إلى هذه الاشياء وقلة الاشتغال
بها كافي قوله وقدر في السرد أي أجله بقدر الحاجة (المسئلة الرابعة) انتصاب شكرا
يحتمل ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون مفعولا له كقول القائل جئتك طمعا وعبدت الله
رجاء غفرانه (وثانيها) أن يكون مصدرا كقول القائل شكرت الله شكرا ويكون المصدر
من غير لفظ الفعل كقول القائل جلست قعودا وذلك لأن العمل شكر قوله عملوا
يقوم مقام قوله اشكروا (وثالثها) أن يكون مفعولا به كقولك اضرب زيدا كما قال تعالى
واعملوا صالحا لا تشكروا (المسئلة الخامسة) قوله وقيل من عبادي الشكور
إشارة إلى أن الله خفف الامر على عباده وذلك لانه لما قال عملوا آل داود شكر افهم منه
ان الشكر واجب لكن شكر نعمه كما ينبغي لا يمكن لأن الشكر بالتوفيق وهو نعمة تحتاج
إلى شكر آخر وهو يتوفيق آخر ف دائما تكون نعمة الله بعد الشكر خاتمة دين الشكر
فقال تعالى ان كنتم لاتقنرون على الشكر التام فليس عليكم في ذلك حرج فان عبادي
قليل منهم الشكور ويقوى قولنا أنه تعالى أدخل الكل في قوله عبادي مع الاضافة إلى
نفسه وعبادي بلفظ الاضافة إلى نفس التكلم لم ترد في القرآن الا في حق الشاكرين قوله
تعالى يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله وقوله ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان فان قيل على ما ذكرتم شكر الله بتمامه لا يمكن وقوله قليل على ان في
عباده من هو شاكر لانعمه نقول ان شكر بقدر الطاقة البشرية هو الواقع وقيل فاعله
وأما الشكر الذي يناسب نعم الله فلا قدرة عليه ولا يكاف الله نفسا الاوسعها أو نقول
الشاكر التام ليس الامن رضي الله عنه وقال له يا عبادي ما آتيت به من الشكر القليل
قبلته منك وكتبته لك انك شاكر لانعمي بأسرها وهذا يقول نعمة عظيمة لا اكلفك
شكرا ثم قال تعالى (فلما قضينا عليه الموت ما دايمهم على موته الاداية الارض نأكل
منساته فلما خربت الجن أن لو كانوا يعملون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) لما بين
عظمة سليمان وتسخير الريح والروح له بين انه لم ينجم من الموت وانه قضى عليه الموت تنبيهها
للخالق على ان الموت لا بد منه ولو نجاه أحد لكان سليمان أولى بالنجاة منه وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) كان سليمان عليه السلام يقف في عبادة الله ليلة كاملة ويوما تاما وفي
بعض الاوقات يزيد عليه وكان له عصا يتكى عليها واقفا بين يدي ربه ثم في بعض الاوقات
كان واقفا على عادته في عبادته اذ توفي فظن جنوده انه في العباداة وبقي كذلك أياما
وتماذى شهورا ثم أراد الله اظهار الامر لهم فقدر ان أكلت دابة الارض عصاه فوقع

الاحترق فربه يوما شيطان فنظر فاذا سليمان عليه السلام قد خر ففتحوا عنه فاذا عصاه قد أكلتها الارض فارادوا
أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضه على العصا فآكلت منها في يوم وليلة مقدار الجسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان
عمره ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقى في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع ماضين من ملكه
(لقد كان اسبا) بيان لاختيار بعض الكافرين بنعم الله تعالى بآثار بيان أحوال الشاكرين لها أي لا ولد سليمان يشجب بن يعرب بن

فحظان وقرى بمتم الصريف على أنه اسم القبيلة وقرى بقلب الهمة القاوله اخراج لها بين بين (في مسكنهم) وقرى بكسر الخاف كالصريف وقرى بالنظا لجمع أى مواضع سكنهم وهي باليمن يقال لهم أرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ايام (آية) دالة بلا حظة أحوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع الخمار فادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازى للحسن والمسي معاضدة البرهان السابق كما في قصص داود سليمان عليهم السلام ﴿ ١٢ ﴾ (جنتان) بدل من آية أو خبر لمبتدأ

وعلم حاله وقوله تعالى فلما خربت الجنتين أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين كانت الجنتين تعلم ما لا يعلمه الانسان فظن أن ذلك القدر علم الغيب وليس كذلك بل الانسان لم يؤت من العلم الا قليلا فهو كثر الاشياء الحاضرة لا يعلمها والجنتين لم تعلم الا الاشياء الظاهرة وان كانت خفية بالنسبة الى الانسان وتبين لهم الامر بأنهم لا يعلمون الغيب اذ لو كانوا يعلمونه لما بقوا في الاعمال الشاقة ظانين ان سليمان حى وقوله ما لبثوا في العذاب المهين دليل على ان المؤمنين من الجنتين لم يكونوا في التسخير لان المؤمن لا يكون في زمان الثبي في العذاب المهين ثم قال تعالى (لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) لما بين الله حال الساكنين انعم الله به على داود وسليمان بين حال الكافرين بأنعمه بحكاية أهل سبأ وفي سبأ قراوتان بالفتح على انه اسم بقعة وبالجر مع التثنية على انه اسم قبيلة وهو الاظهر لان الله جعل الآية لسبأ والقاهم وهو العاقل لا المكان فلا يحتاج الى اضممار الازل وقوله آية أى من فضل ربهم ثم يذهب الى كبر بلده بقوله جنتان عن يمين وشمال قل الزمخشري آية أى جنتين مع ان بعض بلاد العراق فيها آلاف من الجنان وأجاب بان المراد ان لكل واحد جنتين أو عن يمين بلدهم وشمالها اجاعتان من الجنات ولا اتصال بينهما بعض جعلها جنة واحدة قوله كلوا من رزق ربكم اشارة الى تكميل النعم عليهم حيث لم يمنعهم من اكل ثمارها خوف ولا مرض وقوله واشكروا له بان أيضا السكمال النعمة فان الشكر لا يطلب الا على النعمة المعتبرة ثم لما بين حالهم في مساكنهم وبساتينهم وأكلهم أنهم بان النعمة بان بين ان لا غالة عليه ولا تبع في المال في الدنيا فقال بلدة طيبة أى طاهرة عن المؤذيات لاجية فيها ولا عترب ولا وباء ولا وحم وقال ورب غفور أى لا عقاب عليه ولا عذاب في الآخرة فعند هذا بان كمال النعمة حيث كانت لذة حاية خالية عن المفسد المألوية * ثم انه تعالى لما بين ما كان من جانبه ذكر ما كان من جانبهم فقال (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خط وائل وثى من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وعل نجاى الا الكفور) فبين كمال ظلمهم بالاعراض بعد امانة الآية كما قال تعالى ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها ثم بين كيفية الانتقام منهم كما قال انما من المجرمين منتقمون وكيفية انه تعالى أرسل عليهم سلا غرق أموالهم وخرب دورهم وقى العرم وجوه (أحدها) انه الجرد الذى سبب خراب السكر وذلك من حيث ان بلقيس كانت قد عمدت الى جبال بينها شهب فسدت الشعب حتى كانت مياه الامطار والعيون تجتمع فيها وتصبح كالبحر وجعلت لها أبوابا ثلاثة مرتبة بعضها فوق بعض وكانت الابواب يفتح بعضها بعد بعض فنقب الجرد السكر وخرب السكر بسية وانقلب البحر عليهم (وثانيها) ان العرم اسم السكر وهو جمع العرمة وهي الحجارة (ثالثها) اسم للوادي خرج منه الماء وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خط بين به

محدوف أى هي جنتان وفيه معنى المدح وبؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جاعتان من البساتين (عن يمين وشمال) جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة من تلك الجاعتين في تقاربهما وتضامهما كأنهما جنة واحدة أو بستانا كل رجل منهما عن يمين مسكنه وعن شماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) كناية لما قبل لهم على لسان تبيينهم تكمية لا النعمة وتذكير الخوف أو لما نطق به لسان الحال أو بيان لكونهم أحقاء بان يشكر لهم ذلك (بلدة طيبة ورب غفور) استئناف مبنى لما يوجب الشكر للمأمور به أى بلدكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرصات من يشكره وقرى الكل بالنصب على المدح قيل كان أطيب البلاد هواء وأخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكمل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار رقيقة انكسر لما يساقط فيه من الثمار وما يكن فيه من مؤذيات الهواء شئ (فأعرضوا) عن الشكر بعد ثبوت الآيات الداعية لهم اليه قيل ﴿ دوام ﴾ أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نيافاً عوهم الى الله تعالى وذكرهم بنعمه وأذروهم عقابه فكذبوه (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم خاشع من خلقه وصعب أو المطر الشديد وقيل العرم جف عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذى يحبس الماء وقيل هو اسم البناء الذى يجعل سدا

التيار وما يكن فيه من مؤذيات الهواء شئ (فأعرضوا) عن الشكر بعد ثبوت الآيات الداعية لهم اليه قيل ﴿ دوام ﴾ أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نيافاً عوهم الى الله تعالى وذكرهم بنعمه وأذروهم عقابه فكذبوه (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم خاشع من خلقه وصعب أو المطر الشديد وقيل العرم جف عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذى يحبس الماء وقيل هو اسم البناء الذى يجعل سدا

وقيل هو البناء الرصين الذي بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروفا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الغار الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم فقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقرى العرم يسكون الراء قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي عليهما الصلاة والسلام (و بدلناهم بجنتيهم) أي أذهبنا جنتيهم وأبدلناهم

بدلناهم (جنتين ذواتي اكل
خط) أي ثمر يشع فان الخمط
كل نبت أخذ طعمه من مرارة
حتى لا يمكن أكله وقيل
هو الخامض والمراد كل شيء
وقيل هو ثمرة شجرة يقال لها
فسوة الضبع على صورة
الحسد خش لا يذغ به أو قيل
هو الاراك أو كل شجرة ذي شوك
والتقدير أكل كل خط
فحذف المضاف وأقيم
المضاف اليه مقامه وقرى
اكل خطبا بالاضافة وبخفيف
أكل (واثل وشي من صدر
قليل) معطوفان على اكل
لا على خط فان الاثل هو
الطرفاء وقيل شجرة يشبهه
أعظم منه ولا ثمره وقرى
وأثلا وشيء عطف على جنتيه
قيل وحف الصدر بالثقل لما
جناه وهو انبثق مما يطيب
أكله ولذلك يفرس في البساتين
والصحاح أن الصدر صنفان
صنف يؤكل من ثمره وينفع
بورقه يغسل اليد وصنف
له ثمرة عفصة لا تؤكل أصلا
ولا تنفع بورقه وهو الضال
والمراد ههنا هو الثاني حقاوة
قناة كان شجرهم خير الشجر
فصيره الله تعالى من شر السد
بأعمالهم ونسمة البدل جنة
للمساكلة والتكلم (ذلك

دوام الحراب وذلك لأن البساتين التي فيها الناس يكون فيها الغواكه الطيبة بسبب
العماره فإذا تركت سنين تصبح كأنهضة ولا يجد تلاف الأشجار بعضها يبيض وتنبت
المفسدات فيها فتقل الثمار وتكثر الأشجار والخمط كل شجرة لها شوك أو كل شجرة ثمرتها
مرة أو كل شجرة ثمرتها لا تؤكل والاثل نوع من الطرفاء ولا يكون له ثمرة الا في بعض
الافاق يكون عليه شيء كالعفص أو أصفر منه في طعمه وطبعه والسدر معروف وقال
فيه قليل لأنه كان أحسن أشجارهم فقلله الله ثم بين الله أن ذلك كان مجازاة لهم على
كفرانهم فقال ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازي أي لا يجازي بذلك الجزاء الا الكفور
قال بعضهم المجازاة تقال في النعمة والجزاء في النعمة لكن قوله تعالى ذلك جزيناهم يدل
على أن الجزاء يستعمل في النعمة ولعل من قال ذلك أخذ من أن المجازاة مفاعلة وهي في
أكثر الامر تكون بين اثنين يؤخذ من كل واحد جزء في حق الآخر وفي النعمة لا تكون
مجازاة لأن الله تعالى مبتدئ بإنعامهم ثم قال تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها
قرى ظاهرة وقدرنا فيها السرىسيروا فيها نيايا وأياما آمنين فقالوا ربنا يا بدين أسفارنا
وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومن قناتهم كل مرق أن في ذلك لايات لكل صبار
شكور) أي بينهم وبين الشام فإنها هي البقعة المباركة وقرى ظاهرة أي يظهر بعضها
بعضها يرى سواد القرية من القرية الاخرى فان قال قائل هذان النعم والله تعالى قد
شرع في بيان تبديل نعمهم بقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين فكيف عاد مرة أخرى الى بيان
النعمة بعد انقضاء فتقول ذكر حال نفس بلدهم وبين تبديل ذلك بالخمط والاثل ثم ذكر حال
خارج بلدهم وذكر عمارتها بكثرة القرى ثم ذكر تبديله ذلك بالمفاوز والبيادى والبرارى
بقوله ربنا يا بدين أسفارنا وقد فعل ذلك وبدل عليه قراة من قرأ ربنا بعد على الابتداء
والخبر وقوله وقدرنا فيها السرى الاماكن المعمورة تكون منازلها معاملة مقدرة
لا تتجاوز فلما كان بين كل قرية مسيرة نصف نهار وكانوا يغدون الى قرية ويروحون الى
أخرى ما يمكن في العرف تجاوزها فهو المراد بالتقدير والمفاوز لا يتقدر السرى فيها بل يسير
الساير فيها بقدر الطاقة جادا حتى يقطعها او قوله سيروا فيها الى وأياما أي كان بينهم ليال
وأيام معلومة وقوله امنين إشارة الى كثرة العماره فان خوف قطاع الطريق والانقطاع
عن الرفيق لا يكون في مثل هذه الاماكن وقيل بأن معنى قوله ليالى وأياما يسرون فيها ان
شدتم ليالى وان شدتم أياما عدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة فان بعضها يسلك ليالئلا
يعلم العدو يسيرهم وبعضها يسلك نهارا مثلا يفصدهم العدو اذا كان العدو غير مجاهر
بالقصد والعداوة وقوله تعالى قالوا ربنا يا بدين أسفارنا قيل بأنهم طلبوا ذلك وهو محتمل
وجهين أحدهما أن يسألوا بطرا كما طابت اليهود الشوم والتبصل ويحتمل أن يكون ذلك
لفساد اعتقادهم وشدة اعتمادهم على أن ذلك لا يقدر كما يقول القائل لغيره اضربني
إشارة الى أنه لا يقدر عليه ويمكن أن يقال قالوا ربنا بعد بلسان الحال أي لما كفروا فقد

إشارة الى مصدر قوله تعالى (جزيناهم) أو الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البديل لأن يجدر تبديل في انقطاعه ومحله
على الاول النصب على أنه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على أنه مفعول ثان له أي ذلك الجزاء القطعي
جزيناهم لاجزاء أخرى وذلك التبديل جزيناهم لا غير (بما كفروا) بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناهم عنها ووضعنا
بمكانها ضدها أو بسبب كفرهم بالرسول (وهل يجازي الا الكفور) أي وما يحتاجه هذا الحديث ١٧١: ١٨١

في الكفران أو الكفر وقرى يجازي على البناء الفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازي على البناء المفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البناء المفعول أيضا وهذا بيان ما أو توأمن النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) حكاية لما أو توأمن النعم البادية في مساكنهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكلمة لقصصهم وبياننا ﴿ ١٤ ﴾ أما قبضتهم وأما لم يذكر الكل معالما في التثنية

والذكر ير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبب لا على ما بعده من الجمل الناطقة بأفعالهم أو بأجزئتها أي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم أي بين بلادهم وبين القرى المشيعة التي باركنا فيها للعالمين (قرى ظاهرة) متواصلة يرى بعضها من بعض انفسار بها فهي ظاهرة لأعين أهلها أو رابكة بين الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مساكنهم حتى تخفى عليهم (وقد رنا فيها السير) أي جعلناها في نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معين ياتي بحال أبناء السبيل قيل كان الغادى من قرية يقبل في أخرى والأخرى منها بيت في أخرى إلى أن يبلغ الشام كل ذلك كان تكجيلا لما أو توأمن من أنواع النعم وتوفيرها في الحضر والسفر (سبر وافيه) على إرادة القول أي وقلنا لهم سبر وافيه تلك القرى (لبالي وأبانا) أي متى شئتم من الليالي والأيام (آمين) من كل ما نكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الأوقات أو سبر وافيه آمين

طلبوا أن يبعدين أسفارهم ويخرب المعمار من ديارهم وقوله وظلموا أنفسهم يكون بيانا لذلك وقوله فجعلناهم أحاديث أي فعلنا بهم ما جعلناهم به مثالا يقال تفرقوا أيدي سيا وقوله ومن قناهم كل مرق بيان لجعلهم أحاديث وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أي فيما ذكرناه من حال المشاكسين ووبال الكافرين * ثم قال تعالى (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاقبوه الا فرى من المؤمنين) أي ظنه انه يغويهم كقال فيعزتك لاغويتهم وقوله فاقبوه بيان لذلك أي اغواهم فاقبوه الا فرى يقامن المؤمنين وهم الذين قال الله تعالى في حقهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ويمكن أن يقال صدق عليهم ظنه في انه خير منه كقال تعالى عنه أنا خير منه ويتحقق ذلك في قوله فاقبوه لان المشيوع خير من التابع والا لا يتبعه العاقل والذي يدل على ان ابليس خير من الكافر هو ان ابليس امتنع من عبادة غير الله لكن لما كان في امتناعه ترك عبادة الله عنادا ككفر والمشرع بعد غير الله فهو كفر يأمر أقرب إلى التوحيد وهم كفروا بأمر هو الاشرار وبو يده هذا الذي اخبرناه الاستثناء وبيانه هو انه وان لم يقن انه يغوي الكل بدليل انه تعالى قال عنه الا عباده منهم المخلصين فاقن انه يغوي المؤمنين فاقننه صدقه ولا حاجة إلى الاستثناء وأما في قوله أنا خير منه اعتقد الخيرية بالنسبة إلى جميع الناس بدليل تعمله بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين وقد كسب في ظنه في حق المؤمنين ويمكن الجواب عن هذا في الوجه الاول وهو انه وان لم يقن اغواء الكل وعلم ان البعض ناج لكن ظن في كل واحد أنه ليس هو ذلك الناجي إلى ان تبين له فظن انه يغويه فكذب في ظنه في حق البعض وصدق في البعض * ثم قال تعالى (وما كان له عليهم من سلطان الا انهم من يؤمن بالآخرة من هو منها في شئ وربك على كل شيء حفيظ) قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ان علم الله من الازل إلى الابد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير وهو في كونه عالما لا يتغير ولكن يتغير تعلق علمه فان العلم صفة كاشفة يظهر بها كل ما في نفس الامر فعمل الله في الازل ان العالم سبوح فاذ اوجد علمه موجودا بذلك العلم واذا عدم يعلمه معدوما بذلك مثاله ان المرأة المصقولة فيها المصفاة فيظهر فيها صورة زيدان قابلها ثم اذا قابلها عمرو يظهر فيها صورته والمرأة تتغير في ذاتها ولا تبدل في صفاتها انما التغير في الخارج جات فكذلك ههنا قوله الا انهم أي يقع في العلم صدور الكفر من الكافر والايان من المؤمن وكان قبله فيه انه سيكفر زيدو يؤمن عمرو وقوله وما كان له عليهم من سلطان إشارة إلى انه ليس بلجي وأما هو آية وعلامة خلقها الله لتبين ما هو في علمه السابق وقوله وربك على كل شيء حفيظ يتحقق ذلك أي الله تعالى قادر على منع ابليس عنهم عالم بما سيعمل فالحق في مضمون هذه الآية والقدره اذا الجاهل بالشئ لا يمكنه حفظه ولا العاجز * ثم قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن أذن له

وان تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالي وأياما كثيرة أو سبروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون فيها الا الامن لكن لا على (حتى) الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور ونسوية مباديه وأسبابه على الوجه المذكور ومزالة أمرهم بذلك (فقالوا ربنا يا عديين أسفارتنا) وقرى ياربنا بطروا النعمة وسموا أطيب العيش وملوا الباقية فطلبوا الكد والتعب كاطلب شئنا أساء الله الفصل مكان المن والسلوى وقالوا

لو كان جنى جناننا بعد لكان أجدر أن نشتمه وسألوا أن يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مغاوزه وقفارا ليركبوا فيها الرواحل
ويتزودوا الأزواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فجعل الله تعالى لهم الأجابة بخبريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بالاعمال يسمع
فيها داع ولا يجيب وقرئ بعددور بنا بعدين أسفارناو بعد بين أسفارنا على النداء واستاد الفعل الى بين ورفع به كما يقال سير
فرسخان و بوعدين أسفارنا و قرئ ربنا ١٥ ب بعدين أسفارناو بين سفرناو بعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى

على خلاف الاول وهو استبعاد
مسائرهم مع قصرها أو دنوها
وسهولة سلوكها لفرط
تبعهم وغاية ترفههم وعده
اعتدادهم بنعم الله تعالى
كانهم يشاجون على الله تعالى
ويتحازنون عليه (وظلوا
أنفسهم) حيث عرضوها
للسخط والعذاب حين بطروا
النعمة أو غطوها (فجعلناهم
أحاديث) أى جعلناهم بحيث
يتحدث الناس بهم متجبنين
من أحوالهم ومعتبرين
بعاقبتهم ومآلهم (ومن قناه
كل ممزق) أى فرقناهم كل
تفريق على أن الممزق مصدق
أو كل مطرح ومكان تفريق
على أنه اسم مكان وفي عبارة
التفريق الخاص بتفريق
المتصل وخرقه من تحويل
الامر والدلالة على شدة
التأثير والايلام ما لا يخفى أى
من قناههم تمزيقا غاية وراه
بحيث يضرب به الامثال في
كل فرقة ليس بعدها وصال
حتى لحق غسان بالشام وأنما
يثير وجندام بتهمته
والازد بعمان وأصل قصته
على ما رواه الكلبي عن أبي
صالح أن عمرو بن عامر من

حتى اذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير (لما بين الله
تعالى حال الشاكرين وحال الكافرين وذكرهم بمن مضى عاد الى خطابهم وقال رسول
صلى الله عليه وسلم قل للشركين ادعوا الذين زعمتم من دون الله ليكشفوا عنكم الضر على
سبيل التهكم ثم بين انهم لا يملكون شيئا بقوله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في
الارض * واعلم ان المذاهب المفضضة الى الشرك أربعة (أحدها) قول من يقول الله تعالى
خلق السماء والسموات وجعل الارض والارضيات في حكمهم ونحن من جملة
الارضيات فنعبد الكواكب والملائكة التي في السماء فهم آلهتنا والله الههم فقال الله
تعالى في ابطال قولهم انهم لا يملكون في السموات شيئا كما اعتزتم ثم قال ولا في الارض
على خلاف ما زعمتم (وثانيها) قول من يقول السموات من الله على سبيل الاستبعاد
والارضيات منه ولكن بواسطة الكواكب فان الله خلق العناصر والتركيبات التي فيها
بالاتصالات والحركات والطوال فجعلوا لغير الله معه شركا في الارض والاولون جعلوا
الارض لغيره والسماء له فقال في ابطال قولهم ومآلهم فيهما من شرك أى الارض كالسماء
لله لا لغيره ولا لغيره فيها نصيب (وثالثها) قول من قال التركيبات والحوادث كلها من الله
تعالى لكن فوض ذلك الى الكواكب وفعل المأذون ينسب الى الآذن ويسلب عن
المأذون فيه مثاله اذا قال ملك للملوك اضرب فلانا فاضرب به يقال في العرف الملك ضربه
ويصح عرفا قول الفاضل ما ضرب فلان فلانا وانما الملك أمر بضربه فاضرب فمؤلا جعلوا
السموات بات معينات لله فقال تعالى في ابطال قولهم ومآلهم منهم من ظهير ما فوض الى شئ
شيئا بل هو على كل شئ حفيظ ورقيب (ورابعها) قول من قال اننا نعبد الامنام التي هي
صور الملائكة ليشفعوا لنا فقال تعالى في ابطال قولهم ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن
له فلا فائدة لعبادتك غير الله فان الله لا يأذن في الشفاعة لمن يعبد غيره فبطلتكم الشفاعة
تفوتون على أنفسكم الشفاعة وقوله حتى اذا فرغ عن قلوبهم أى ازيل الفرع عنهم
يقال قد راى بعير اذا أخذ منه القراد ويقال لهذا تشديد السلب * وفي قوله تعالى حتى اذا
فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وجوه (أحدها) الفرع الذى عند الوحي
فان الله عندما يوحى يفرغ من في السموات ثم يزيل الله عنهم الفرع فيقولون لجبريل عليه
السلام ماذا قال الله فيقول قال الحق أى الوحي (وثانيها) الفرع الذى من الساعة وذلك
لان الله تعالى لما أوحى الى محمد عليه السلام فرغ من في السموات من القيامة لان ارسال
محمد عليه السلام من اشراط الساعة فلما زال عنهم ذلك الفرع قالوا ماذا قال الله قال
جبريل الحق أى الوحي (وثالثها) هو ان الله تعالى يزيل الفرع وقت الموت عن القلوب
فيعرف كل أحد بأن ما قال الله تعالى هو الحق فينفع ذلك القول من سبق ذلك منه ثم
يقبض روحه على الاعيان المتفق عليه بينه وبين الله تعالى ويضر ذلك القول من سبق منه
خلافه فيقبض روحه على الكفر المتفق بينه وبين الله تعالى اذا علمت هذا فقول على

أولاد سباو بينهما اثنا عشر أبوا هو الذى يقال له من رقيقا بن ماء السماء أخبرته طريفة الكاهنة بخبر سدم أرب وتفرق سبل
العرم الجنتين وعن أبي زيد الانصاري ان عمرا رأى جردا يحفر السد فعلم أنه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا وقد علمه بكهنته فبا
أملا كدوسا ربقومه وهم ألوف من يلد الى بلد حتى انتهت الى مكة المعظمة وأهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولايا
البيت على بنى اسمعيل عليه السلام وغيرهم فارسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم الى

أن يرجع اليه رواده الذين أرسلهم الى أصقاع البلاد يطلبون له موضعا يسعه ومن معه من قومه فابوا فاقتلوا ثلاثة ايام فانهم رموا جرحهم ولم يغلب منهم الا اشريد وأقام ثعلبة بمكة وما حواها في قومه وعساكره حولا فاصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده فافتروا فرقين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وجبر ومن يتلوههم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالدينة وهم الانصار ومضت غسان فنزلوا ﴿١٦﴾ بالشام وانخرعت خزاعة بمكة فاقام بها

ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو على قول امر مكة وحجابة البيت ثم جاءهم اولاد اسمعيل عليه السلام فساوهم السكني معهم وحولهم فاذنوا لهم في ذلك وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن فروة بن مسيك الغطيفي سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن سبا قال عليه الصلاة والسلام هو رجل كان له عشرة اولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة والازد والاشيريون وجبر وأنار منهم بجيلة وخثعم وأربعة منهم سكنوا الشام وهم لحم وجذام وعاملة وغسان لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم تفرقوا الى سبأ شذر مذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فخرجت خزاعة نزلا بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج يثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوائف آخر منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة

القولين الاولين قوله تعالى حتى غاية متعلقة بقوله تعالى قل لانه بينه بالوحى لان قول القائل قل افلان للانذار حتى يسمع المخاطب ما يقوله ثم يقول بمده هذا الكلام ما يجب قوله فلما قل قن فزع من في السموات ثم ازيل عنه الفزع وعلى الثالث متعلقة بقوله تعالى زعمتم أى زعمتم الكفر الى غاية التفريع ثم تركتم ما زعمتم وقتلتم قال الحق وعلى القولين الاولين فاعل قوله تعالى قالوا ماذا هو الملائكة السائلون من جبريل وعلى الثالث الكفار السائلون من الملائكة والفاعل في قوله الحق على القولين الاولين هم الملائكة وعلى الثالث هم المشركون واعلم ان الحق هو الموجود ثم ان الله تعالى لما كان وجوده لا يرد عليه عدم كان حتما مطلقا لا يرتفع بالبطل الذى هو العدم والكلام الذى يكون صدقا يسمى حتميا لان الكلام له متعلق في الخارج بواسطة انه متعلق بمافى الذهن والذى في الذهن متعلق بمافى الخارج فاذا قل القائل جاء زيد يكون هذا اللفظ متعلقه بمافى ذهن القائل وذهن القائل متعلقه بمافى الخارج لكن للصدق متعلق يكون في الخارج فيصير له وجود مستمر والكذب متعلق لا يكون في الخارج وحينئذ اما ان لا يكون له متعلق في الذهن فيكون كالعدم من الاول وهو اللفاظ التى تكون صادرة عن معاند كاذب واما أن يكون له متعلق في الذهن على خلاف مافى الخارج فيكون اعتقاد باطلا جهلا أو ظاهرا لكن لما يمكن لمتعلقه متعلق يزيل ذلك الكلام ويبطل وكلام الله لا يطلانه في أول الامر كما يكون كلام الكاذب المعاند ولا ياتيه الباطل كما يكون كلام الظان وقوله تعالى وهو العلى الكبير قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلى الكبير ان الحق اشارة الى أنه كامل لا نقص فيه فيقبل نسبة العدم وفوق الكاملين لان كل كامل فوقه كامل فتوابعه وهو العلى الكبير اشارة الى انه فوق الكاملين في ذاته وصفاته وهذا يبطل القول بكونه جسما وفي جبر لا كل من كان في جبر فان العقل يحكم بأنه مشار اليه وهو مقطع الاشارة لان الاشارة لو لم تقع اليه لما كان المشار اليه هو واذا وقعت الاشارة اليه فقد تنهات الاشارة عنده وفي كل موقع تقف الاشارة بقدر العقل على أن يفرض البعد أكثر من ذلك فيقول لو كان بين ماخذ الاشارة والمشار اليه أكثر من هذا البعد لما كان هذا المشار اليه أعلى فيصير عليا بالاضافة لامطلقا وهو على مطلقا ولو كان جسما لكان له مقدار وكل مقدار يمكن أن يفرض أكبر منه فيكون كبيرا بالنسبة الى غيره لا مطلقا وهو كبير مطلقا * ثم قل تعالى (قل من يرزقكم من السموات والارض) قد ذكرنا مرارا ان العامة يعبدون الله لالكونه الها وانسابا يطلبون به شيئا وذلك اما دفع ضرر او جرف فنهى الله تعالى العامة بقوله قل ادعوا الذين زعمتم على انه لا يدفع الضر أحد الا هو كما قل تعالى وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وقال بعد اتمام بيان ذلك قل من يرزقكم من السموات والارض اشارة الى أن جبر النفع ليس الاله ومنه فاذا

ولحم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبا تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على أن جميع العرب قسمان ﴿١﴾ ان كنتم قبطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبا وحضر موت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما قضاة فمختلف فمافيه بعضهم ينسبون الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله تعالى أعلم (ان في ذلك) أى فيما ذكر من قصصهم (آيات) عظيمة (لكل صبار شكور) أى شأنه انصبر عن الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم

وتخصيص هو لا بذلك لانهم المستغفون بها (واقدم صدق عليهم ابليلس ظنه) أى حق عليهم ظنه او وجوده صادقا وقرى بالتخفيف أى صدق في ظنه أو صدق بظن ظند ويجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرى بنصب ابليلس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجوده صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيل له اغواءهم ورفعهم ما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسباحين رأى انهما كهم في الشهوات ﴿ ١٧ ﴾ أو ببني آدم حين شاهد آدم عليه السلام قد أصفى الى وسوسته

قال ان ذريته أضعف منه عريما
وقيل ظن ذلك عند اخبار الله
تعالى الملائكة أنه يجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء
وقال لاضلنهم ولا غوينهم
(فاتبهوه) أى أهل سبأ والناس
(الافريقان المؤمنين) الا
فريقاهم المؤمنون لم يتبعوه
على أن من بيانية وتقليد لهم
بالاضافة الى الكفار أو الا
فريقا من فرق المؤمنين
لم يتبعوه وهم المخلفون (وما
كان له عليهم من سلطان) أى
تسلط واستيلاء بالسوسة
والاستفواء وقوله تعالى (الانعلم
من يؤمن بالآخرة ممن هو
منها في شك) استثناء مفرغ
من أعم العطل ومن موصولة أى
وما كان تسلطه عليهم الا
يتعلق علما بمن يؤمن بالآخرة
متميزا ممن هو في شك منها
تعلقا بالابتداء عليه الجزاء
أو الالتميز المؤمن من الشاك
أو الاليؤمن من قدر ايمانه
ويشك من قدر ضلاله والمراد
من حصول العلم حصوله متعلقه
مبالغة (وربك على كل شيء
حفيظ) أى محافظ عليه فان
فصيلا ومفاسعا لصيغتان
من خيانتان (قل) أى للمشركين

ان كنتم من الخواص فاعبدوه لعلوه وكبريائه سواء دفع عنكم ضرا أولم يدفع وسواء
نفعكم بخيرا أولم ينفع فان لم تكونوا كذلك فاعبدوه لدفع الضر وجبر النفع ﴿ ثم قال تعالى
(قل الله) ﴾ يعنى ان لم يقولوا وهم فقل أنت الله يرزق (وههنا لطيفة) وهى ان الله تعالى عند
الضر ذكر انهم يقولون الله ويعترفون بالحق حيث قال قائلوا الحق وعند النفع لم يقل انهم
يقولون ذلك وذلك لان لهم حالتهم متروكون بأن كاشفت الضر هو الله حيث يقولون في الضر كما
قال تعالى واذ امس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه وأما عند الراحة فلا تنبه لهم لذلك
فذلك قال قل الله أى هم حالة الراحة غافلون عن الله ﴿ ثم قال تعالى (وانا أوياكم على هدى
أو فى ضلال مبين) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذا ارشاد من الله لرسوله الى المناظرات
الجارية في العلوم وغيرها وذلك لان أحد المناظرين اذا قال للآخر هذا الذى تقوله خطأ
وأنت فيه مخطئ يفضله وعند الغضب لا يبق سداد الكفر وعند احتلاله لا يجمع في
انهم فيقوت الغرض وأما اذا قال له بأن أحدنا لا يشك في انه مخطئ والتمادى في الباطل
فتبجح والرجوع الى الحق أحسن الاخلاق فتجتهد وتبصر أين على الخطأ ليحترز فانه يجتهد
ذلك الخصم في النظر ويترك العصب وذلك لا يوجب نقصا في النزاهة لانه أوهم بانه في قوله
شاك ويدل عليه قول الله تعالى لنبيه وانا أوياكم مع انه لا يشك في انه هو الهادى وهو
المهتدى وهم المضلون والمضلون (المسئلة الثانية) في قوله اعلى هدى أو فى ضلال مبين
ذكر في الهدى كلمة على وفي الضلال كلمة فى لان المهتدى كأنه مرتفع متطلع فذكره بكلمة
التعالى والضال منغمس في الظلمة غريق فيها فذكره بكلمة فى (المسئلة الثالثة) وصف
الضلال بالمبين ولم يصف المهتدى لان الهدى هو الصراط المستقيم الموصل الى الحق
والضلال خلافه لكن المستقيم واحد وما هو غيره كله ضلال وبعضه أبين من بعض فخير
البعض عن البعض بالوصف (المسئلة الرابعة) قدم الهدى على الضلال لانه كان وصف
المؤمنين المذكورين بقوله انا وهو مقدم في الذكر ﴿ ثم قال تعالى (قل لا تسألون عما أجرمتنا
ولا تسأل عما تعملون) ﴾ اضاف الاجرام الى النفس وقال في حقهم ولا تسأل عما تعملون
ذكر بلفظ العمل لئلا يحصل الاغصاب المانع من الفهم وقوله لا تسألون ولا تسأل زيادة
حث على النظر وذلك لان كل أحد اذا كان مؤاخذا بجريمه فاذا احتز نجوا ولو كان البرى
بواخذ الجرم لما كفى النظر ثم قال تعالى (قل يحجم بيننا وبينكم بينا بالحق وهو القناح
العليم) أ كد ما يوجب النظر والتفكر فان مجرد الخطأ والضلال واجب الاجتناب
فكيف اذا كان يوم عرض وحساب وثواب وعذاب وقوله يفتح قبل معناه يحكمه يمكن
أن يقال بأن الفتح ههنا مجاز وذلك لان الباب المغلق والمنفذ المسدود يقال فيه فتحه على
طريق الحقيقة ثم ان الامر اذا كان فيه انغلاق وعدم وصول اليه فاذا بينه أحد يكون قد
فتح وقوله وهو القناح العليم إشارة الى أن حكمه يكون مع العلم المثل حكم من يحكم بما
يتفق له مجرد هو ﴿ ثم قال تعالى (قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز

الظهار البطلان ما هم عليه وتبكيئنا لهم ﴿ ٣ ﴾ سا (ادعوا الذين زعمتم) أى زعمتموهم آلهة وهما مفعول زعمتم حذف
الاول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثانى لقيام صفة أعنى قوله تعالى (من دون الله) مقامه ولأسبيل الى جعله مفعولا ثانيا
لانه لا يلتزم مع الضمير كلاما وكذا لا يكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يحكم من جلب نفع أو دفع ضرر لعلهم يستجيبون
لكم أن يصح دعواكم ثم أجاب عنهم إشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المسكارة فقال (لا يملكون

مثقال ذرة) من خير وشر ونفع وضرر (في السموات ولا في الارض) أي في أمر ما من الأمور وذكرهما للتعميم صرعا ولأن آلهتهم بعضها سماوية كالألثة والكواكب وبعضها أرضية كالاصنام أولان الأسباب القريبة للخير والشر سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم (ومالهم) أي آلهتهم (ففيهما من شرك) أي شركة لخلقها ولا ملكا ولا تصرفا (وماله) أي لله تعالى (منهم) من آلهتهم (من ظهير) بعينه في تدبير أمرهما ﴿ ١٨ ﴾ (ولا تنفع الشفاعة عنده) أي لا توجد راسا كما في قوله

* ولا ترى الضب بها ينحجر
* لقوله تعالى من ذا الذي
يشفع عنده الإباضة وانما علق
النبي بشفاعتها لا برفوعها
تصريحاً بنفي ما هو غرضهم
من وقوعها وقوله تعالى (الذين
أذن له) استثناء مفرغ من أعم
الأحوال أي لا تنفع الشفاعة
في حال من الأحوال إلا كانت
لمن أذن له في الشفاعة من النبيين
والملائكة ونحوهم من المستأهلين
لمقام الشفاعة فبين حرمان
الكفرة منها بالكلية أمام
جهة أصنامهم فظاهره ورافقه
الأذن لها ضرورة استحالة
الأذن في الشفاعة لجماد لا يمتلئ
ولا ينطق وأمام جهة من
يعبدونه من الملائكة فلان
أذنهم مقصور على الشفاعة
للمسحوقين لها بقوله تعالى
لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن
وقال صواباً ومن بين أن الشفاعة
للكفرة بمنزل من الصواب
أو لا تنفع الشفاعة من الشفاعة
المستأهلين لها في حال من
الأحوال إلا كانت لمن أذن له أي
لأجله وفي شأنه من المستحقين
لها فلا تنفعهم أصلاً وان فرض
وقوعها وصدورها عن الشفاعة
أذن يؤذن لهم في شفاعتهم

الحكيم) قد ذكرنا أن المعبود قد يعبد قوم لدفع الضرر وجمع لتوقع المنفعة وقليل من
الاشراف الاعزة يعبدونه لأنه يستحق العبادة لذاته فلما بين أنه لا يعبد غير الله لدفع الضرر
اذلادافع للضرر غيره بقوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله وبين أنه لا يعبد غير الله
لتوقع المنفعة بقوله قل من يرزقكم من السموات والارض بين ههنا أنه لا يعبد أحد
لاستحقاقه العبادة غير الله فقال قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلابل هو الله العزيز
الحكيم أي هو المعبود لذاته واتصافه بالعرزة وهي التدرة الكاملة والحكمة وهي العلم
النام الذي عمله موافق له * ثم قال تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن
أكثر الناس لا يعلمون) لما بين مسئلة التوحيد شرع في الرسالة فقال تعالى (وما أرسلناك
إلا كافة وفيه وجهان) (أحدهما) كافة أي رسالة كافة أي عامة لجميع الناس تنفعهم
من الخروج عن الانقياد لها (والثاني) كافة أي أرسلناك كافة تكف الناس أنت من
الكفر والهوى للمباغاة على هذا الوجه بشيراً أي تحثهم بالوعد ونذيراً تزجرهم بالوعيد
ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك لاختلافه ولكن أغفلتهم * ثم قال تعالى (وما يقولون متى
هذا الوعد إن كنتم صادقين) لما ذكر الرسالة بين الحشر وقال (قل لكم ميعاد يوم
لا تسألون عنه ساعة ولا تستقدمون) قد ذكرنا في سورة الاعراف أن قوله لا تسألون
يوجب الإنذار لأن معناه عدم المهلة عن الاجل ولكن الاستعداد ما وجهه وذكرنا هناك
وجهه وذكره ههنا أنهم لما طلبوا الاستعجال بين أنه لا استعجال فيه كما لا مهال وهذا
يفيد عظم الأمر وخطر الخطب وذلك لأن الأمر الحقيق إذا طابه طائب من غيره لا يؤخره
ولا يؤقته على وقت بخلاف الأمر الخطير وفي قوله تعالى لكم ميعاد يوم قرأت (أحدها)
رفعهما مع التووين وعلى هذا يوم يدل (الثانية) نصب يوم مع رفع ميعاد والتووين فيهما
ميعاد يوم ما قال الزنجشري ووجهه أنه منصوب بفعل محذوف كأنه قال ميعاد اعني يوما
وذلك يفيد العظام والتهويل ويحتمل أن يقال نصب على اللفظ تقديره لكم ميعاد يوما
كما يقولون انما نأكل انما نأكل يوماً وعلى هذا يكون العامل فيه العلم كأنه يقول لكم ميعاد
تعلونه يوماً وقوله معلوم يدل عليه كقول انما نأكل انما نأكل يوم (الثالثة) الاضافة لكم
ميعاد يوم كما في قول القائل سحق ثوب للتيين واسناد الفعل اليهم بقوله لا تسألون عنه
بدلاً عن قوله لا يؤخر عنكم زيادة تأكيد لوقوع اليوم * ثم قال تعالى (وقال الذين كفروا
إن نوؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) لما بين الأمور الثلاثة من التوحيد والرسالة
والحشر وكانوا بالكل كافرين بين كفرهم العام بقوله وقال الذين كفروا إن نوؤمن بهذا
القرآن وذلك لأن القرآن مشتمل على اسكل وقوله ولا بالذي بين يديه المشهور أنه التوراة
والانجيل وعلى هذا فالذين كفروا المراد منهم المشركون المنكرون للنبوات والحشر
ويحتمل أن يقال إن المعنى هو أنا لا نوؤمن بالقرآن أنه من الله ولا بالذي بين يديه أي والإيمان
فيه من الاخبارات والمسائل والآيات والدلائل وعلى هذا فالذين كفروا المراد منهم

يل في شفاعته غيرهم فعلى هذا ثبت حرمانهم من شفاعته هؤلاء بعبارة النص ومن شفاعته الاصنام بدلالته ﴿ ١٩ ﴾ العموم
اذ حيث حرموها عن جهة إقادرين على شفاعته بعض المحتاجين إليها فلا ينحرموها من جهة العجز عنها أولى وقرى أذن له
مبني للمفعول (حتى إذا فرغ من قلوبهم) أي قلوب الشفعاء والشفوع لهم من المؤمنين وأما الكفرة فهم من موقف
الاستشفاع بمنزل ورض

التفرع عن قلوبهم بالآلاف منزل والتفرع بغير الزالة الفرع ثم ترك ذكر الفرع وأسند الفعل إلى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبغي منه ما قبلها من الأسماء بوقوع الأذن لن أذن له فانه مسبوق بالاستئذان المستدعي للترقب والانتظار للجواب كانه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتر بصون في موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفرع ملحا حتى إذا أزيل الفرع عن قلوبهم بعد التلبا والتي وظهرت لهم تباشير الاجابة ﴿ ١٩ ﴾ (قالوا) أي المشفوع لهم اذهب المحتاجون إلى الأذن والمهتمون بأمره

(ماذا قال ربكم) أي في شأن

الأذن (قالوا) أي الشفعاء

لانهم المباشرون الاستئذان

بالذات المتوسطون بينهم

و بينه عز وجل بالشفاعة

(الحق) أي قال ربنا القول

الحق وهو الأذن في الشفاعة

للمتحققين لها وقرى الحق

مر فوما أي ما قاله الحق

(وهو الأعلى الكبير) من تمام

كلام الشفعاء قالوا اعترافا

بغاية عظيمة جناب العزة

عز وجل وقصور شأن كل

من سواه أي هو المنفرد بالعلو

والكبرياء ليس لاحد من

أشراف الخلائق أن يتكلم

الاباذنه وقرى فزع مخففا

بمعنى فزع وقرى فزع على

البناء للفاعل وهو الله وحده

وقرى فرغ بالراء المهملة

والغين المجمة أي نفي الوجع

عنها وأفني من فرغ الزاد

اذلم يبق منه شيء وهو من

الاسناد المجازي لان الفراغ

وهو الخلق حال ظرفه عند

فجاده فأسند اليه على عكس

قولهم جرى النهر وعن

الحسن تخفيف الراء وأصله

فرغ الوجع عنها أي انتفى

عنها ونفي ثم حذف الفاعل

واسند إلى الجار والمجرور

العموم لان أهل الكتاب يؤمنوا بالقرآن أنه من الله ولا بالذي فيه من الرسالة وتفصيل الحشر فان قيل أليس هم مؤمنون بالوحدانية والحشر فنقول اذ لم يصدق واحد ماني الكتاب من الامور المختصة به يقال فيه انه لم يؤمن بشيء منه وان آمن ببعض ما فيه فكيف في غيره فيكون إيمانه لا بما فيه مثاله أن من يكذب رجلا فيما يقوله فاذا أخبره بأن النار حارة لا يكذب فيه ولكن لا يقال انه صدقه لانه انما صدقت نفسه فانه كان عالما به من قبله على هذا فتقوله بين يديه أي الذي هو مشتعل عليه من حيث انه وادفيعه وقوله تعالى (و ترى اذا الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا (الاولا اتم لكننا مؤمنين) لما وقع الناس من إيمانهم في هذه الدار بقوا لهم ان يؤمن فانه ثابرا بيد النقي وعدنيده عليه الصلاة والسلام بانه يراهم على أذل حال موقوفين للسؤال يرجع بعضهم إلى بعض القول كما يكون عليه حال جماعة أخطوا في أمر يقول بعضهم لبعض كان ذلك بسببك ويرد عليه الآخر مثل ذلك وجواب لو محذوف تقديره ولو ترى اذا الظالمون موقوفون رأيت عجبا ثم بدأ بالاتباع لان المضل أولى بالو بسبح فقال يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا والاولا اتم لكننا مؤمنين إشارة إلى ان كفرهم كان مانعا لان عدم مقتضى لانهم لا يمكنهم ان يقولوا ما جاءنا رسول ولان يقولوا قصر الرسول وهذا إشارة إلى اتیان الرسول بإعليه لان الرسول لو همل شيئا لما كانوا يؤمنون ولولا المستكبرون لا كانوا ثم قال تعالى (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا) ردالما قالوا ان كفرنا كان مانعا (أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) بمعنى المانع ينبغي ان يكون راجعا على مقتضى حتى يعمل عمله والذي جاء به هو الهدى والذي صدر من المستكبرين لم يكن شيئا يوجب الامتناع من قبول ما جاء به فلم يصح تعليلكم بالمانع ثم بين ان كفرهم كان اجراما من حيث ان المعدور لا يكون معذورا الا لعدم مقتضى اولقيام المانع ولم يوجد شيء منهما ثم قال تعالى (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمرنا ان نكفر بالله ونجعل له أندادا) لما ذكر المستكبرون انما صددناكم وما صدر منا ما يصلح ما ذموا صارفا اعترف المستضعفون به وقالوا بل مكر الليل والنهار معنا ثم قالوا اللهم انكم وان كنتم ما نيتكم بالصارف القطعي والمانع القوى ولكن انضم أمركم ايانا بالكفر الى طول الامدوامتداد المدد فكفرنا فكان قولكم جزء السبب ويحتمل وجه آخر وهو ان يكون المراد بل مكركم بالليل والنهار خفف المضاف اليه وقوله اذ تأمرنا ان نكفر بالله أي ننكره ونجعل له أندادا هذا بين ان المشرك بالله مع انه في الصورة مثبت لكنه في الحقيقة منكر لوجود الله لان من يساويه المخلوق المحض لا يكون الها وقوله في الاول يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا بلفظ المستقبل وقوله في الآيتين المتأخرتين قال الذين استكبروا وقال الذين استضعفوا بصيغة الماضي مع ان السؤال والتراجع في القول لم يقع إشارة إلى ان ذلك

يعرف حال التفرع وقرى ارتفع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها (قل من يرزقكم من السموات والارض) أمر عليه الصلاة والسلام بتبكيك المشركين بحملهم على الاقرار بأن آلهتهم لا يمكن ان يكون مثقال ذرة فيهما وأن الرزق هو الله تعالى فانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله وحيث كانوا يتلغمون احيانا في الجواب مخافة الالتزام قبل له عليه الصلاة والسلام

(قل الله) اذلا جواب سواء عندهم ايضا (وانا اوبياكم اعلى هدى اوفى ضلال مبين) اي وان أحد الفريقين من الذين يوحدون والمتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة الجداد التازل في أدنى المراتب الامكانية اعلى أحد الامر من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرر البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح بذلك لجر يانه على سنن ٢٠ ٢١ الانصاف المسكت للخصم الاد وقرئ

وانا اوبياكم اعلى هدى اوفى ضلال مبين واختلاف الجارين للايدان بالهدى كن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضلال كأنه منغمس في ظلام لا يرى شيئا أو محبوس في مظورة لا يستطيع الخروج منها (فل لا تسألون عما أجرنا ولا نزال عما تعملون) وهذا ابلغ في الانصاف وأبعد من الجدل والاعتساف حيث استند فيه الاجرام وان أراد به ترك الاول الى أنفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع أن أعمالهم أكبر الكبار (فل يجمع بيننا وبينكم يوم القيمة عند احشروا الحساب) ثم يفتح بيننا يا حق (أي يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار) (وهو الفاح) الحاكم الفاصل في القضايا المتخلفة (العلم) بما ينبغي أن يقضى به (فل أروني الذين ألحقتم) أي ألحقتموهم (به شركاء) أريد بأمرهم بإراءة الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه الصلاة والسلام اظهار خطتهم العظيم

لا بد وان يقع فان الامر الواجب الوقوع يوجد كأنه وقع الاترى الى قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون* ثم قال تعالى (واسمروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزئ الاما كانوا يعملون) معناه انهم يتراجعون القول في الاول ثم اذا جاءهم العذاب الشاغل يسرون ذلك التراجع الدال على الندامة وقيل معنى الاسرار الاظهار اي اظهروا الندامة ويحتمل ان يقال بأنهم لما تراجعوا في القول رجعوا الى الله بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا لعمل صالحا ثم أجيبوا وأخبروا بأن لا مرد لكم فاسمروا ذلك القول وقوله وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا اشارة الى كيفية العذاب والى ان مجرد الروية ليس كافيا بل لما رأوا العذاب قطعوا بأنهم واقعون فيه فتركوا التدمر ووافقوا فجل الاغلال في أعناقهم وقوله هل يجزئ الاما كانوا يعملون اشارة الى ان ذلك حقهم عدلا* ثم قال تعالى (وما أرسلنا في قرية من نذر الا اقل ما ترقوها انما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر اموالا واولادا وما نحن بمعدين) تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وبيان ان بدء الكفار الانبياء الاخيار ليس بدعا بل ذلك عادة جرت من قبل وانما نسب القول الى المترفين مع ان غيرهم ايضا قالوا انما ارسلتم به كافرون لان الاغشاء المترفين هم الاصل في ذلك القول الاترى ان الله قال عن الذين استضفوا انهم قالوا المستكبرين لو انهم اكنتم مؤمنين ثم استدوا على كونهم مصيبيين في ذلك بكثرة الاموال والاولاد فقالوا نحن أكثر اموالا واولادا أي بسبب لزومنا لدينا وقوله وما نحن بمعدين أي في الآخرة كأنهم قالوا احنا عاجلا خير من حالكم وأما آجلا فلا نعذب اما انكار ما عندهم للعذاب راسا أو اعتقاد الحسن حالهم في الآخرة أيضا قياسا* ثم ان الله تعالى بين خصائصهم بقوله (فل ان ربي ينسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني ان الرزق في الدنيا لا يدل سعته وفضيقته على حال الحق والمبطل فكم من مؤسر شقي ومفسر شقي (واكن أكثر الناس معفور) رزقه الرزق وضمنك العيش وكثرة المال وخصب العيش بالمشيئة من غير اختصاص بالغنى والصالح* ثم بين فساده استدلالهم بقوله (وما أوالكم ولا اولادكم بالتي تقر بكم عندما زاني الامر آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) يعني قولكم نحن أكثر اموالا اقتضى أحسن عند الله حالنا ليس استدلالا صحيحا فان المال لا يقرب الى الله ولا اعتبار بالتعزز به وانما المفيد العمل الصالح بعد الايمان والذي يدل عليه هو أن المال والولد يشغل عن الله فيبعد عنه فكيف يقرب منه والعمل الصالح اقبال على الله واشتغال بالله ومن توجه الى الله وصل ومن طلب من الله شيئا حصل وقوله فاولئك لهم جزاء الضعف أي الحسنة فان الضعف لا يكون الا في الحسنة وفي السيئة لا يكون الا اثم ثم زاد وقال وهم في الغرفات آمنون اشارة الى دوام النعيم ونأي يده فان من تنقطع عنه النعمة لا يكون آمنا* ثم بين حال المسي بقوله (والذين يسعون في آياتنا عاجزين) وقد ذكرنا تفسيره وقوله (اولئك في العذاب محضرون) اشارة الى الدوام

واطلاعهم على بطلان رأيهم أي أرونيها لانظر بأي صفة ألحقتموها بالله ان الذي ليس كمثل شي في استحقاق العبادة* ايضا* وفيه من يدتيكيت لهم بعد لزوم الحجة عليهم (كلا) ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة (بل هو الله العزيز الحكيم) أي الموصوف بالعلية القاهرة والحكمة الباهرة فإين شركاؤكم التي أحسن الاشياء واذلهما من هذه الرتبة العالية والضمير اما لله عز وجل اولشان كافي قل هو الله أحد (وما أرسلناك الا كافه للناس) أي الارسله قامة لهم فانها اذا دعيتهم فقد بكفتهم أن يخرج منها

أحد منهم أو الأجامع عليهم في الإبلاغ فهي حال من الكاف والناه للباغة ولا سبيل إلى جعلها حالاً من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها الجبرور (بشرا ونذير أولئك أكثر الناس لا يعلمون) ذلك فيجعلهم جعلهم على ما هم عليه من الخي والضلال (ويقولون) من فرط جهلهم وغاية غيهم (حتى هذا الوند) بطريق الاستسناد يعنون به الميسر به والمنذر عنه والموعود بقوله تعالى يجمع بيننا ثم يفتح بيننا (ان كنتم ٢١ صافين) مخاطبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به (قل

لكم ميعاد يوم) أي وعديوم

او زمان وعد والا ضافة

للتبيين وقرئ ميعاد يوم مؤنن

على البدل ويوما باضمار

أعني للعظيم (لا تستأخرون

عنه) عند مفاجأته

(ساعة ولا تستقدمون)

صفة لما جاد في هذا الجواب

من المبالغة في التهديد بما لا يخفى

حيث جعل الاستخفاف في

الاستحالة كالاستخدام الممتنع

عقلا وقد مر بيانه مرارا

ويجوز أن يكون في الاستخفاف

والاستخدام غير مفيد بالمفاجأة

فيكون وصف الميعاد بذلك

للتحقيق وتقريره (وقال النذير

نذروا ان تؤمن بهذا القرآن

ولا بالذي بين يديه) أي

من الكتب القديمة الدالة

على البعث وقبل ان كفار مكة

سألوا أهل الكتاب عن

رسول الله صلى الله عليه

وسلم فاخبروهم انهم يجدون

نعتهم في كتبهم فغضبوا فقالوا

ذلك وقيل الذي بين يديه

القيامة (واوترى اذا طالموز

المتكرون بالبعث) موفوفون

عند ربهم (أي في موقف

الحساب) يرجع بعضهم الى

بعض القول أي يتجاوزون

أيضا كما قال تعالى كلما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها وكما قال تعالى وما هم عنها
بغايبين ثم قال تعالى مرة أخرى (ولان رب ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما
أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) إشارة الى أن نعيم الآخرة لا ينفق نعمة
الدنيا بل الصالحون قد يحصل لهم في الدنيا النعم مع النظم بحصول النعم لهم في الآخرة بناء
على الوعد قطعا القول من يقول اذا كانت العاجلة لنا والآجلة لهم فالقد أولى قتال
هذا التقدير يخص بهم فان كثيرا من الاشقياء مدقون وكثير من الاتقياء ممنون وفيه
مسائل (الاولى) ذكر هذا المعنى مرتين مرة لبيان أن كثرة أموالهم وأولادهم غير دالة
على حسن أحوالهم واعتقادهم ومرة لبيان أنه غير يخص بهم كأنه قال وجود الترف
لا يدل على اشرفي ثم ان سلما انه كذلك لكن المؤمنين سيحصل لهم ذلك فان الله عليه
دياركم أموالكم والذي يدل عليه هو ان الله تعالى لم يذكر أولادكم أو أولادكم من عباده بل قال ان
يشاء وثنا يقال لمن يشاء من عباده والعباد المضاف يراد بها المؤمنون ثم وعد المؤمن بخلاف
مال الكافرين ان كفارهم متطوع وماله الى الزوال وما له الى اوبال وأما المؤمن فانه ينفق
يخلفه الله ويخلف الله خير فان ما في يد الانسان في معرض البوار والمف وهما لا يتطرقان
الى ما عند الله من الخلف ثم أكد ذلك بقوله والله خير الرازقين وخيرية الرازق في أمور
(أحدها) أن لا يؤخر عن وقت الحاجة (والثاني) أن لا ينقص عن قدر الحاجة (والثالث)
أن لا ينكده بالحساب (والرابع) أن لا يكدره بطلب اثواب والله تعالى كذلك اما الاول
فلانه عالم وقادر واثاني فلانه غني واسع والثالث فلانه كريم وقد ذكر ذلك بقوله يرزق
من يشاء بغير حساب وما ذكرنا هو المراد أي يرزقه حلالا لا يحاسبه عليه والرابع فلانه
على كبر واثواب بطايع الأدنى من الأعلى لا ترى أن هبة الأعلى من الأدنى لا تنقص
ثواب (المستغنى الثاني) قوله تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه يحقق معنى قوله عليه
السلامة واللام ما مر يوم يصحح انباءه فيكون ما كان يقول أحدهما الله اعط
متفنا خلفا ويقول الآخر انهم اعط مسكنا فاف ذلك لان الله تعالى ملك على وهو غني
ملي فاذا قال أنفق وعلى بدله فيحكم الوعد يلزمه كما اذا قال قائل ألق متاعك في البحر وعلى
ضمانه فن أنفق فقد أتى بما هو شرط حصول البدل فيحصل البدل ومن لم ينفق فالزوال
لازم للمال وأما ما يستحق عليه من البدل فيموت من غير خلف وهو التالف ثم ان من
الجهل ان التاجر اذا علم ان ماله من أمواله في معرض الهلاك يبعده نسيئة وان كان من
الفقراء ويقول بأن ذلك أولى من الإهمال الى الهلاك فان لم يبيع حتى يهلك ينسب الى
الخطأ ثم ان حصل به كفيلى ملي ولا يبيع ينسب الى قلة العقل فان حصل به رهن وكتب به
وثيقة ولا يبيعه ينسب الى الجنون ثم ان كل أحد يفعل هذا ولا يعلم ان ذلك قريب من
الجنون فان أموالنا كلها في معرض الزوال المحقق والاتفاق على الأهل والوفاة فراض
وقد حصل الضامن الي وهو الله العلي وقال تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ثم رهن

ويتراجعون القول (يقول الدين استضعفوا) بدل من يرجع الخ أي يقول الاتباع (الذين استكبروا) في الدنيا واستسبهم وهم في الخي
والضلال (ولأنهم) أي لولا اضلالكم وصدقكم لنا عن الإيمان (لكننا مؤمنين) باتباع الرسول عبيد الصلاة والسلام (قال الذ
استكبروا والذين استضعفوا) استسناف معنى على السؤال كأنه قيل فاذا قال الذين استكبروا في الجواب فليل قالوا (أنحن صدقنا
عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) منكرين لكونهم هم الصادقين لهم عن الإيمان مثبتين أنهم هم الصادون

بأنفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام (وقال الذين استضعفوا الذين استكبروا) اضربا عن اضربا بهم وابطالا له (بل مكر الليل والنهار) أي بل صدنا مكركم بنائيل والنهار فخذق المضاف اليد وأقيم مقامه الظرف اتساعا أو جعل ليلهم ونهارهم مكرين على الاستناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتووين ونصب الظرفين أي بل صدنا مكركم في الليل والنهار على أن التووين عوض عن المضاف اليد أو مكر عظيم على أنه للتخميم وقرئ بل ﴿٢٢﴾ مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أي

عند كل واحد إما أرضا أو بيتا أو طاحونة أو حاما أو منفعة فإن الإنسان لا بد من أن يكون له صنعة أو جهد يحصل له منها مال وكل ذلك ملك الله وفي يد الإنسان يحكم العارية فكانهم موهون بما تكفل الله من رزقه ليحصل له الوثوق التام ومع هذا لا ينفق ويترك ماله ليتلف لا مأجورا ولا مشكورا (السئلة الثالثة) قوله خير الرازقين بلي عن كثرة في الرازقين ولا رازق إلا الله فالجواب عنه فنقول عنه جوابان (أحدهما) أن يقال الله خير الرازقين الذين تظنونهم رازقين وكذلك في قوله تعالى وهو أحسن الحاكمين (وثانيهما) هو أن الصفات منها ما حصل لله والعبد حقيقة ومنها ما يقال لله بطريق الحقيقة والعبد يرى المجاز ومنها ما يقال لله بطريق الحقيقة ولا يقال للعبد لا بطريق الحقيقة ولا بطريق المجاز لعدم حصوله للعبد لاحقيقة ولا صورة مثال الأول العلم فإن الله يعلم أنه واحد والعبد يعلم أنه واحد بطريق الحقيقة وكذلك العلم بكون النار حارة فبأنه ما في الباب أن علمه قديم وعلمنا حادث مثال الثاني الرازق والخالق فإن العبد إذا أعطى غيره شيئا فإن الله هو المعطي ولكن لأجل صورة العطاء منه سمي معطيا كما يقال للصورة المنقوشة على الحائط طفرس وإنسان مثال الثالث الازلي والله وغيرهما وقد يقال في الأشياء في الاطلاق حتى العبد حقيقة وعلى الله محازا كالاستواء والجزول والمعصية ويد الله وجنب الله * ثم قال تعالى (و يوم نحشرهم جميعا) ثم يقول الملائكة أهؤلاء آياكم كانوا يعبدون فأواسجهاك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) لمسا بين حال النبي صلى الله عليه وسلم كمال من تقدمه من الانبياء وحال قومه كحال من تقدم من الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة اموالهم وأولادهم بين ما يكون عاقبة حالهم فقال و يوم نحشرهم جميعا يعني المكذبين بك ومن تقدمك ثم يقول لمن يدعون انهم يعبدونهم وهم الملائكة فإن غاية ما ترقى اليه منزلة انهم يقولون نحن نعبد الملائكة والكواكب فيسأل الملائكة انهم كانوا يعبدونكم اهانة لهم فيقول كل منهم سبحانك نزهك عن أن يكون غيرك معبودا وأنت معبودنا ومعبود كل خلق وقولهم أنت ولينا من دونهم إشارة الى معنى لطيف وهو أن مذاهب الناس مختلفة بعضهم لا يسكن المواضع المعمورة التي يكون فيها سواد عظيم لأنه لا يتأس هناك فيرضى بالضياح والبلاد الصغيرة وبعضهم لا يريد البلاد الصغيرة لعدم اجتماعها فيها بالناس وقلة وصوله فيها الى الاكياس ثم ان القرى يقين جميعا اذا عرض عليهم خدمة السلطان واستخدام الارفال الذين لا التفات اليهم أصلا يختار العاقل خدمة السلطان على استخدام من لا يؤبه به ولو أن رجلا سكن جبلا ووضع بين يديه شيا من القاذورات واجتمع عليه القباب والديدان وهو يقول هؤلاء أتباعي وأشياعي ولا أدخل المدينة مخافة أن احتاج الى خدمة السلطان العظيم والتردد اليه ينسب الى جنون فكذلك من رضى بأن يترك خدمة الله وعبادته ورضى باستتباع السمج الذين هم أضل من البهائم وأقل من الهوام يكون مجنونا فقاوال أنت ولينا من دونهم يعني كونك ولينا بالعبودية أولى وأحب الينا من كونهم أولياء بالعبادة لنا

تكررون الاغواء مكرات نيا لاتعة ون عنه فالرفع على النفاذية أي بل صدنا مكركم الاغواء في الليل والنهار على ما سبق من الاتساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليد والنصب على المصدرية أي بل تكررون الاغواء مكرات نيا والنهار أي مكرات نيا وفوله تعالى (اذ تأمر وتنا) ظرف للمكر أي بل مكركم اندام وقت أمركم اننا أن نكفر بالله ونجعل له اندادا) على أن المراد بمكرهم امانفس امرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا النعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا فان الجملة المذكورة نعمة من الله تعالى وأي نعمة وأما امور آخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتنال به من الترضيب والترهيب وغير ذلك (واسمروا الندامة لما رأوا العذاب) أي اضربا الفرقان الندامة على ما فعلوا من الضلال والاعتلال وأخفاها كل منهم عن الآخر مخافة التعبير أو أظهرها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم (وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا) أي في أعناقهم

والاظهار في موضع الاضمار للتوينة والتنبيه على موجب اغلالهم (هل يجزون الاما كانوا يعملون) أي ﴿٢٣﴾ وقالوا لا يجزون الاجزاء ما كانوا يعملون والاعمال ما كانوا يعملون على زرع الجار (وما أرسلنا في قرية) من القرى (من نذير الا قال متروها انما أرسلتم به كافرون) تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك

على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أي القريين خير مما وأحسن ندبا لأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير الأقال
متر فوهم مثل ما قال متر فو أهل مكة في حقد عليه الصلاة والسلام وكادوا به نحو ما كادوا به عليه الصلاة والسلام وقاسوا أمور
الآخرة الموهومة والمقرضة عندهم على أمور الدنيا وزعموا أنهم لو لم يكرهوا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولو لأن المؤمنين
هاتوا عليه تعالى لما حرمهم هوها وعلى ذلك ٢٢ ٢٣ الرأي الركيك بنواحكامهم (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولاداً وما نحن

بمعدنين) أما بناء على انتفاء

العذاب الآخروي رأساً أو على

اعتقاد أنه تعالى أكرمهم

في الدنيا فلا يهينهم في

الآخرة على تقدير وقوعها

(قل) رداً عليهم وحسباً

لمادة طبعهم الفارغ وتحققاً

الحق الذي عليه يدور أمر

التكوين (إن ربى يبسط الرزق

إن يشاء) أن يبسطه (ويعدر)

علم من يشاء أن يقدره عليه من

غير أن يكون لأحد من القريين

داع إلى ما فعل به من البسط

والقدر فر بما يوسع على العاصي

ويضيق على المطيع ور بما

يعكس الأمرور بما يوسع عليها

معاً وقد يضيق عليها ما وقد

يوسع على شخص تارة ويضيق

عليه أخرى يفعل كلاماً من ذلك

حسب مقتضى مشيئته البهية

على الحكم البالغة فلا يقاس

على ذلك أمر الثواب والعذاب

الذين مناههم الطاعة

وعندهم وقريه ويقدر

بالتشديد (ولكن أكثر الناس

لا يعلمون) ذلك فيزعمون أن

مدار البسط هو الشرف

والكرامة ومدار القدر هو

الهنوان ولا يدرون أن الأول

كثيراً ما يكون بطريق

وقالوا بل كانوا يعبدون الجن أي كانوا يتقادون لأمر الجن فهم في الحقيقة كانوا
يعبدون الجن ونحن كنا كالمقبله لهم لأن العبادات هي الطاعة وقوله تعالى أكثرهم
بهم مؤمنون لو قال قائل جميعهم كانوا تابعين للشياطين فواجهه قوله أكثرهم بهم
مؤمنون فانه ينبغي أن بعضهم لم يؤمن بهم ولم يطع لهم نقول الجواب عنه من وجهين
(أحدهما) أن الملائكة احتزوا عن دعوى الاحاطة بهم فقالوا أكثرهم لأن الذين رأوهم
واطلعوا على أحوالهم كانوا يعبدون الجن ويؤمنون بهم ولعل في الوجود من لم يطلع
الله الملائكة عليه من الكفار (الثاني) هو أن العبادات على ظاهرها وإيمان عمل باطل
فقالوا بل كانوا يعبدون الجن لا اطلاعهم على أعمالهم وقالوا أكثرهم بهم مؤمنون عند
عمل القلب مثلاً يكونوا مدعين اطلاعهم على ما في القلوب فان القلب لا اطلاع عليه الا الله
كما قال تعالى انه عليم بذات الصدور ثم بين ان ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم فقال (فاليوم
لاملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضررا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها
تكذبون) وفيه مسائل (المسألة الاولى) الخطاب بقوله بعضكم مع من نقول بحتمل أن
يكون مع الملائكة ليدقق قوله تعالى أهؤلاء أياكم كانوا يعبدون وعلى هذا يكون ذلك
تذكيراً للكافرين حيث بيناهم أن معبودهم لا ينفع ولا يضر ويصح هذا قوله تعالى
لا يملكون الشفاعاة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً وقوله ولا يشفعون الا لمن ارضى ولانه
قال بعده ونقول للذين ظلموا ذوقوا فأمرهم ولو كان المخاطب هم الكفار لقال فدقوا
وعلى هذا يكون الكفار داخلين في الخطاب حتى يصح معنى قوله بعضكم بعض أي
الملائكة والكفار والحاضر الواحد يجوز أن يجعل من يشاركه في أمر مخاطباً بسببه كما
يقول التائي لواحد حاضر له شريك في كلاماً ثم قلتم على معنى أنت قلت وهم قالوا ويحتمل
أن يكون منهم الجن أي لا يملك بعضكم بعض أي الملائكة والجن وإذا لم يملكوها
لافسكهم فلا يملكوها غيركم ويحتمل أن يكون الخطاب للكفار لأن ذكر الروم يدل على
حضورهم وعلى هذا قوله ونقول للذين ظلموا إنما ذكره تأكيذاً لبيان حالهم في العلم
وسبب نكالهم من الآثم وأما فدقوا عذاب النار فكان كالمبالغة لا يحصل ما ذكرنا
من الفساد فانهم كلما كانوا يسمعون ما كانوا عليه من الظلم والعناد والاثم والفساد
يتحسرون ويندمون (المسألة الثانية) قوله نفعا مفيد المحسنة وأما الضرر فالفائدة فيه
مع أنهم لو كانوا يملكون الضرر لما نفع الكافرين ذلك فتقول لما كانت العبادات تقع لدفع
ضرر المعبود كما يعبد الجبار ويخدم مخافة شره بين أنهم ليس فيهم ذلك الوجه الذي يحسن
لأجله عبادتهم (المسألة الثالثة) قال ههنا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون وقال
في السجدة عذاب النار الذي كنتم به جعل المكذب ههنا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ههنا
انار وهم كانوا يكذبون بالكل والفائدة فيها أن هناك لم يكن أول مارأوا النار بل كانوا
هم فيهم من زمان بدليل قوله تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقبل لهم

الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تفر بكم عندنا زانق) كلام مستأنف من جهته
عن وعلا خطوب به الناس بطريق التلويح والاتفات البالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق أي وما جاء عند أموالكم وأولادكم
بالجماعة التي تفر بكم عندنا فربما كان الجمع المكسر عقلاً وغير عقلاً سواء في حكم التأنيث أو بالخصلة التي تفر بكم وقري
بالذي أي بالشئ الذي (الامن آمن وعمل صالحاً) استثناء

من مفعول تفر بكم أي وما الأموال والأولاد تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذي أنفق أمواله في سبيل الله تعالى وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح ورشحهم للصناعة وقيل من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف أي الأموال من الخ (فاوئلك) إشارة إلى من والجمع باعتبار معناها كأن الأقران في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشارب لا يذان بعلو رتبهم وبعدهم رتبهم في الفضل أي فأوئلك المنعوتون بالإيمان والعمل ﴿ ٢٤ ﴾ الصالح (لهم جزاء الضعف) أي ثابت لهم

ذلك على أن الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاوئلك وفيدنا كيد تكررا لاستناد أو يثبت لهم ذلك على أن الجار والمجرور خبر لاوئلك وابعده مرتفع على التضاعف وإضافة الجزاء إلى الضعف من إضافة المصدر إلى المفعول صلة فأوئلك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف وهو معناه أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرًا فافوقها وقرى جزاء الضعف على فأوئلك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع على أن الضعف بدل من جزاء (بما عملوا) من الصالحات (وهم في الغرفات) أي غرفات الجنة (آمنون) من جميع المكارة وقرى بفتح الراء وسكونها وقرى في الغرفة على إرادة الجنس (والذين يسعون في آياتنا) بالردو الضمن فيها (معاجزين) سابقين لآياتنا أوزاعين أنهم يفوتوننا (أوئلك في العذاب محضرون) لا يجديهم ما عملوا عليه نفعًا (قل إن ربِّي يسقط الرزق لمن يشاء من عباده) أي يوسع عليه تارة (ويقدله)

ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون أي العذاب المؤبد الذي أنكرتموه بقولكم إن تمسنا النار إلا أيا مامعدودة أي قلتم إن العذاب إن وقع فلا يدوم فذوقوا الدائم وههنا أول ما رواه النار لأنه مذكور عقب الحشر والسؤال فقبل لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴿ ثم قال تعالى (واذ تنلى عليهم آياتنا فقالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كنتم بعبادة آبائكم وقال الذين كفروا ما هذا إلا آيات مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين) اظهروا الفساد واعتقادهم واشتداد اعتقادهم حيث تبين أن أعلى من عبودهم وهم الملائكة لا يتأهل للعبادة لذواتهم كما قالوا سبحانه أنت وليا أي لأهل البيت لا اله الا الله من دونهم أي لأهل البيت لأن تكون معبودين لهم ولا تنفع أوصرك كما قال تعالى فاليوم لا ينالك بهضكم بعض نفعًا ولا ضرا ثم مع هذا كله إذا قل لهم النبي عليه السلام كلاما من التوحيد وتلا عليهم آيات الله ليدان عبيد قال الله في كل شيء آيات دالة على وحدانيته أنكروها وقاموا ما هذا الرجل يريد أن يصدكم عما كنتم بعبادة آبائكم يعني يعارضون البرهان بالتكيد وقالوا ما هذا إلا آيات مفترى وهو يحتمل وجوها (أحدها) أن يكون المراد أن القول بالوحدانية أفك مفترى ويدل عليه هو أن الموجد كان يقول في حق المشرك أنه يأفك كما قال تعالى في حقهم أفكنا آلهة دون الله تريدون وكما قالوا هم للرسول أجئنا لئلا أفكنا عن آلهتنا (ثانيها) أن يكون المراد ما هذا إلا آيات القرآن أفك وعلى الأول يكون قوله وقال الذين كفروا الحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين إشارة إلى القرآن وعلى الثاني يكون إشارة إلى ما أتى به من المعجزات وعلى الوجهين فقوله تعالى وقال الذين كفروا بدلا عن أن يقول وقالوا الحق هو أن إنكار الواحد كان مختصا بالمشركين وأما إنكار القرآن والمعجزات كان متفقا عليه بين المشركين وأهل الكتاب فقال تعالى وقال الذين كفروا الحق على وجه العموم ﴿ ثم قال تعالى (وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا براسلي فكيف كان نكير) وما أرسلنا اليهم قبلك من نذيرنا كيد لبيان تقليدهم يعني يقولون عندما تنلى عليهم الآيات البينات هذا رجل كاذب وقولهم أفك مفترى من غير برهان ولا كتاب أنزل عليهم ولا رسول أرسل اليهم فلا يأت البينات لا تعارض إلا بالباهين العقلية ولم يأتوا بها أو بالنفليات وما عندهم كتاب ولا رسول غيرك والنفليات المعبر آيات من كتاب الله أو خبر رسول ثم بين أنهم كالذين من قبلهم كذبوا مثل عاد وثمود وقوله تعالى وما بلغوا معشار ما آتيناهم قال المفسرون معناه وما بلغ هو لاء المشركون معشار ما آتينا المتقدمين من القوة والنعمة وطول العمر ثم إن الله أخذهم وما يقضهم قوتهم فكيف حال هؤلاء الضعفاء وعندى يحتمل ذلك وجها آخر وهو أن يقال المراد وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم أي الذين من قبلهم ما بلغوا معشار ما آتينا قوم محمد من البيان والبرهان وذلك لأن كتاب محمد عليه السلام أكل

أي يضيقه عليه تارة أخرى فلا تحشوا الفقر وأنفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنجاته تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) (ومن عوصنا ما عابا جلا وما آجلا) (وهو خير الرازقين) فإن غيره واسطى في إيصال رزقه لاحقية رازقته (ويوم يحشرهم جميعا) أي المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم طرف المضمر متأخر سياقي تقديره أو مفعول المضمر مقدم نحو إذا ذكر (ثم يقول للملكة أهؤلاء أياكم كانوا يعبدون) تقرى ما للشركين وتبيك الله على من حج قوله تعالى أنت قلت للناس اتخذوني

وأما الخوافاطالهم عما علقوا به أطاعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم أشرف شركائهم والصالحون
لخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتزهرهم عن عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم
بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون (قالوا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قبله إذا يقول
الملائكة حينئذ قليل يقوون متزهين عن ذلك ﴿ ٢٥ ﴾ (سبحانك أنت وإيمانهم دونهم) والعدول الى صيغة الماضي للدلالة

على التحقق أى أنت الذى
نواله من دونهم لاموالاة
يبنوا وينهم كأنهم يبنوا
بذلك براءتهم من الرضا
بعبادتهم ثم أضر بوا عن ذلك
ونفوا أنهم عبدوهم حقيقة
بقولهم (بل كانوا يعبدون
الجن) أى الشياطين حيث
أطاعوهم فى عبادة غير الله
سبحانه وتعالى وقيل كانوا
يتمثلون لهم ويخيلون لهم
أنهم الملائكة فيعبدونهم
وقيل يدخلون أجواف الاصنام
فاعدت فيعبدون بعبادتها
(أكثرهم بهم مؤمنون) الضمير
الاول للناس أو للمشركين
والاكثر بمعنى الكل والثاني
للجن (فاليوم لا يملك بعضكم
لبعض نفعا ولا ضرا) من جملة
ما يقال للملائكة عند جوابهم
بانتزعه والبره عما نسب اليهم
انكفرة يخاطبون بذلك على
رؤس الاشهاد اظهرا العجز
وقصورهم عند عبادتهم
وتخصيصا على ما يوجب خيبة
رجائهم بالكلية والقاء ليست
لترتيب ما بعدهما من الحكم
على جواب الملائكة فانه محقق
أجابوا بذلك أم لا بل لترتيب
الاخبار به عليه ونسبة عدم

من سائر الكتب وأوضح ومحمد عليه السلام أفضل من جميع الرسل وأصح وبرهانه أوفى
وبيانه أشقى ثمران المتقدمين لما كذبوا بما جاءهم من الكتب وبين أناهم من الرسل انكر
عليهم وكيف لا ينكر عليهم وقد كذبوا بأصح الرسل وأوضح السبل ويؤيد ما ذكرنا من
المعنى قوله تعالى وما آتيناهم من كتب يدرسونها يعنى غير القرآن ما آتيناهم كتبنا وما
أرسلنا اليهم قبلك من نذير فلما كان المؤتى فى الآية الاولى هو الكتاب فحمل الالقاء فى
الآية الثانية على اتياء الكتاب أولى ثم قال تعالى (قل انما أعظكم بواحدة ان تقوموا
لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب
شديد) ذكر الاصول الثلاثة فى هذه الآية بعد ما سبق منه تقريرها بالدلائل فقوله أن
تقوموا لله اشارة الى التوحيد وقوله ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم اشارة الى
الرسالة وقوله بين يدي عذاب شديد اشارة الى اليوم الآخر وفى الآية مسائل (الاولى)
قوله انما أعظكم بواحدة يقتضى أن لا يكون الا بالوحد والايان لا يتم الا بالاعتراف
بالرسالة والحشر فكيف يصح الحصر المذكور بقوله انما أعظكم بواحدة فنقول
التوحيد هو المقصود ومن وحد الله حق التوحيد يشرح الله صدره ويرفعه فى الآخرة
قد ربه فاشبه صلى الله عليه وسلم أمرهم بما يفتح عليهم أبواب العبادات ويهيئ لهم أسباب
السعادات وجواب آخر وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم ما قال انى لا أمركم فى جميع
عمرى الا بشئ واحد وانما قال أعظكم أولا بالتوحيد ولا أمركم فى أول الامر بغيره لانه
سابق على اسكل ويدل عليه قوله تعالى ثم تفكروا فان الفكر أيضا صار أمورا به
وموعوظا (المسئلة الثانية) قوله بواحدة قال المفسرون انشأ على انها صفة خصلة أى
أعظكم بخصلة واحدة ويحمل أن يقال المراد حسنة واحدة لان التوحيد حسنة
واحسان وقد ذكرنا فى قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان ان العدل فى الالهية
عن غير الله والاحسان اثبات الالهية له وقيل فى تفسير قوله تعالى هل جزاء الاحسان
الا الاحسان أن المراد هل جزاء الايمان والايمان والاحسان وكذلك يدل عليه قوله تعالى ومن
احسن قولنا من دعا الى الله (المسئلة الثالثة) قوله مثنى وفرادى اشارة الى جميع الاحوال
فان الانسان اما أن يكون مع غيره أو يكون وحده فاذا كان مع غيره دخل فى قوله مثنى
واذا كان وحده دخل فى قوله فرادى فكأنه يقول تقوموا لله بمجمعين ومنفردين لا تجمعكم
المجموعة من ذكر الله ولا يوجبكم الانفراد الى معين يعينكم على ذكر الله (المسئلة الرابعة)
قوله ثم تفكروا يعنى اعترفوا بما هو الاصل والتوحيد ولا حاجة فيه الى تفكر ونظر
بعد ما بان وظاهر ثم تفكروا فاما أقول بعده من الرسالة والحشر فانه يحتاج الى تفكر وكلمة
تم تفيد ما ذكرنا فانه قال أن تقوموا لله ثم تفكروا ثم بين ما تفكرون فيه وهو أمر النبي
عليه السلام فقال ما بصاحبكم من جنة (المسئلة الخامسة) قوله ما بصاحبكم من جنة
يفيد كونه رسولا وان كان لا يلزم فى كل من لا يكون به جنة أن يكون رسولا وذلك لان

النفع والضرر الى البعض المبهم ﴿ ٤ ﴾ سا للرب العلة فيما هو المقصود الذى هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة
ينظمه فى سلك عدم نفع العبدة لهم كأن نفع الملائكة اعبدتهم فى الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والضرر لعدم الضرر
أنه لا بحث عنه اصلا اما التعميم العجز أو لعل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضرر على تقدير تركها أولان المراد
دفع الضرر على حذف المضاف وتفيد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعدام رجائهم على تحقيق النفع

يومئذ وقوله عز وجل (وتقول للذين ظلموا) عطف على الملائكة لا على لا يملك كما قيل فانه مما يقال يوم القيامة خطا بالملائكة
متربصا على جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما يقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما يقال للملائكة أى
يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
يكون من الاهوال والاحوال ما لا يحيط به نطاق المقال ٢٦ ﴿ وقوله تعالى (واذا تلى عليهم آياتنا بينات) بيان لبعض

آخر من كفرانهم أى اذا تلى
عليهم بلسان الرسول عليه
الصلاة والسلام آياتنا اناطقة
بحقيقة التوحيد وعلان الشرك
(قالوا ما هذا) يعنون رسول
الله صلى الله عليه وسلم (الارجل
يريد أن يصدكم عما كان يعبد
آباؤكم) فستتبعكم بما يسترعيه
من غير أن يكون هناك دين
الهي واصفاة الآباء الى
المخاطبين لا الى أنفسهم
لحر يك عرف العصبية منهم
مبالغة في تقريرهم على الشرك
وتفجيرهم عن التوحيد (وقالوا
ما هذا) يعنون القرآن الكريم
(الا فاك) أى كلام مصروف
عن وجهه لا مصداق له في
الواقع (مفتى) باستدائه الى
الله تعالى (وقال الذين كفروا
للحق) أى لامر النبوة أو الاسلام
أو القرآن على أن العطف
لاختلاف العنوان بأن يراد
بأول معناه وبالثاني نظمه
المعبر (لما جاءهم) من غير تدبر
ولا تأمل فيه (ان هذا الاصح
مبين) ظاهر منه يتدوى
تكرير الفعل والتصریح
بذكر الكفرة وما في الامين من
الاشارة الى القائلين والمقولين
وما في لسان المسارعة الى البت

انبي عليه السلام كان يظهر منه أشياء لا تكون مقدورا للبشر وغير البشر من تظهر منه
العجائب اما الجن أو الملاك اذا لم يكن الصادر من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الجن
يكون بواسطة الملاك أو بقدرة الله تعالى من غير واسطة وعلى التقديرين فهو رسول الله
وهذان أحسن الطرق وهو أن يثبت الصفة التي هي أشرف الصفات في البشر بنبي
أحسن الصفات فانه لو قال أولا هو رسول الله كانوا يقولون فيه النزاع فاذا قال ما هو
مجنون لم يسمهم انكار ذلك لعلمهم بملو شأنه وما له في قوة لسانه وبالله فاذا ساعدوا على ذلك
لزمهم المسئلة واليهذا قال بعده ان هو الانذير بمعنى اما هو به جنة أو هو رسول لكن تبين
انه ليس به جنة فهو نذير (المسئلة السادسة) قوله بين يدي عذاب شديد اشارة الى قرب
العذاب كأنه قال يذركم بعذاب حاضر يسكم عن قريب بين يدي العذاب أى سوف يأتي
العذاب بعده * ثم قال تعالى (قل ما سألتكم من أجر فهو ولكم ان أجرى الاعلى الله وهو
على كل شئ شهيد) لما ذكر أنه ما به جنة يلزم منه كونه نبيا ذكر وجه آخر يلزم منه انه نبي
اذا لم يكن مجنونا لان من يرتكب العناء الشديد لا يفرض عاجل اذا لم يكن ذلك فيه ثواب
أخروي يكون مجنونا فالتبى عليه السلام يدعو الى النبوة يجعل نفسه عرضة للهلاك عاجلا
فان كل احد يقصده ويعداه ولا يطلب أجر في الدنيا فهو يفعله للآخرة والكاذب في
الآخرة معذب لا مثاب فلو كان كاذبا لكان مجنونا لكنه ليس بمجنون فليس بكاذب فهو
بنبي صادق وقوله وهو على كل شئ شهيد تقرير آخر للرسالة وذلك لان الرسالة لا تثبت الا
باندعوى والبيئة بأن يدعى شخص النبوة و يظهر الله المعجزة فهي بيته شاهدة والتصديق
بافعل يقوم مقام التصديق بالقول في افادة العلم بدليل أن من قال لقوم اني مرسل من
هذا الملاك اليكم أزمكم قبول قول والملاك حاضر ناظر ثم قال للملاك أيها الملاك ان كنت
انارسواك اليهم قل لهم اني رسولاك فاذا قال انه رسولى اليكم لا يبقى فيه شك كذلك اذا قال
يا أيها الملاك ان كنت انارسواك اليهم فالبسني قباءك فنوا لبسه قباء في عقب كلامه يحرم
اناس بأنهم رسوله كذلك حال الرسا اذا قال الانبياء لقومهم نحن رسل الله ثم قالوا يا أيها
ان كنارسلاك فانطق هذه الحجة أم انشهر هذا الميت ففعله حصل الجزم بأنه صدق * ثم قال
تعالى (قل ان ربي يقذف بالحق علام غيوب) وفيه وجهان (أحدهما) يقذف بالحق في
فلوب الخئين وعلى هذا الوجه الآية بما قبلها تعنى وذلك من حيث ان الله تعالى لما بين
رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان هو الانذير اليكم وأ كده بقوله قل اسألتكم من
أجر فهو ولكم وكان من عادة المشركين استبعاد تخصصص واحد من بينهم بانزال الذكر عليه
كأقل تعالى عنهم أنزل عليه انكر من يشناذ كما يصلح جوابا لله فقال قل ان ربي يقذف
بالحق أى في القلوب اشارة الى أن الامر بيده بفعل ما يريد يعطى ما يشاء لمن يشاء ثم قال
تعالى علام الغيوب اشارة الى جواب سؤال فاسد يذكر عليه وهو ان ربي يفعل شيئا كما يريد
من غير اختصاص محل الفعل بشئ لا يوجد في غيره لا يكون علما وانما فعل ذلك اتفاقا كما

بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعييب بليغ منه (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) فيمها دليل على صحة الاشارة (اذا
كافى قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستسكون
وقرى يدرسونها يدرسونها بشديد لاندال يفتلون من الدرس (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) بدعوهم اليه وينذرهم بالعقار
ان لم يشركوا وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من

الوجود في أين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لأبيهم ثم هددهم بقوله تعالى (وكتب الذين من قبلهم من الأمم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا) وما بلغوا معشار ما أتيناهم) أي ما بلغ هو لا عشر ما أتينا أو ثلث من القوة ودلول العمر وكثرة المال أو ما بلغ أو ثلث عشر ما أتيناها ولا من البينات والهدى (وكذبوا رسلي) عطف على كذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى كذبت قبلهم ﴿٢٧﴾ قوم نوح وكذبوا بآياتنا الخ (فكيف كان كذبهم) أي انكارهم عنهم بالنديم

فليحذر هؤلاء من مثل ذلك (قال إنما أنقضكم بواحدة) أي ما أرشدكم وأفصح لكم الابطالة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى (أن تقوموا لله) على أنه يدل منها أو بيان لها أو خبر مبتدأ محذوف أي هي أن تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تنصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المماراة والتقليد (مثنى وفردى) أي متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار بالاوهام وفي تقدم مثنى ايدان بأنه أوثق وأقرب إلى الاطمئنان (ثم تفكروا) في أمره عليه الصلاة والسلام وما جاء به لتعلموا حقيقة وحقيقته وقوله تعالى (ما يصاحبكم من جنة) استئناف مسوق من جهة تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بأن مثل هذا الامر العظيم الذي تعته ملاك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادماؤه الا الجنون لا يبالى بأفضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور محجزه أو مؤيده من عند الله

إذا أصاب اسهم موضعا دون غيره مع تسوية المواضع في المحاذاة فقال يقذف بالحق كيف يشاء وهو عالم بما يقوله وعالم بما عوفا بما يقوله فهو يفعل ما يريد لا كما يفعله المهاجم الغافل عن العواقب اذ هو علام الغيوب (الوجه الثاني) أن ارادته هو أنه يقذف بالحق على الباطل كما قال في سورة ادتباء بل يقذف بالحق على الباطل فيدمغه وعلى هذا تعلق الآية بما قبلها أيضا ظاهر وذلك من حيث ان براهين التوحيد ظهرت وشبههم دحضت قال فلان ربي يقذف بالحق أى على باطلكم وقوله علام الغيوب على هذا الوجه له معنى لطيف وهو أن البرهان الباهر المعقول الظاهر لم يقم الا على التوحيد والرسالة وما للحشر فعلى وقوعه لا برهان غير اخبار الله تعالى عنه وعن أحواله واهواله ولولا بيان الله بالتقول لما بان لاحد بخلاف التوحيد والرسالة فلما قال يقذف بالحق أى على الباطل إشارة إلى ظهور البراهين على التوحيد والنبوة قال علام الغيوب أى ما يخبره عن الغيب وهو قيام الساعة وأحوالها فهو لا خلاف فيه فان الله علام الغيوب والآية تحتل تفسيرها آخر وهو أن يقال ربي يقذف بالحق أى ما يقذفه يقذفه بالحق لا بالباطل والباء على الوجهين الاولين متعلق بالمفعول به أى الحق مقذوف وعلى هذا البناء فيه كالباء في قوله وفضى بينهم بالحق وفي قوله فاحكم بين الناس بالحق والمعنى على هذا الوجه هو ان الله تعالى قذف ما قذف في قلب الرسل وهو علام الغيوب يعلم ما في قلوبهم وما في قلوبكم * ثم قال تعالى (قل جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعبد) لما ذكر الله أنه يقذف بالحق وكان ذلك بصيغة الاستقبال ذكر أن ذلك الحق قد جاء وفيه وجوه (أحدها) انه القرآن (الثاني) انه بيان التوحيد والحشر وكل ما ظهر على لسان النبي صلى الله عليه وسلم (الثالث) المعجزات الدالة على نبوة محمد عليه السلام ويحتمل أن يكون المراد من جاء الحق ظهر الحق لان كل ما جاء فقد ظهر والباطل خلاف الحق وقد بينا أن الحق هو الموجود ولما كان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكن انتفاؤه كالتوحيد والرسالة والحشر كان حقا لا يذني ولما كان ما يأتون به من الاشراك والتكذيب لا يمكن وجوده كان باطلا لا يثبت وهذا المعنى يفهم من قوله وما يبدى الباطل أى الباطل لا يفيد شيئا في الاولى ولا في الآخرة فلا يمكن لوجوده أصلا والحق الماتى به لا عدم له أصلا وقيل المراد لا يبدى الشيطان ولا يعيد وفيه معنى لطيف وهو أن قوله تعالى قل ان ربي يقذف بالحق لما كان فيه معنى قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه كان يقع لتوهم أن الباطل كان فورد عليه الحق فأبطله ودمغه فقال ههنا البس للباطل تحقق أولا وآخرا وإنما المراد من قوله فيدمغه أى فيظهر بطلانه الذي لم يزل كذلك واليه الإشارة بقوله تعالى في موضع آخر وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا يعنى ليس أمره متجددا زهوق الباطل فقوله وما يبدى الباطل أى لا يثبت في الاول شيئا خلاف الحق ولا يعيد أى لا يعيد في الآخرة شيئا خلاف الحق * ثم قال تعالى (قل ان سلات فاما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي إلى ربي انه سميع عليم)

مرشح النبوة واثق بحجته وبرهانه واذ قد علم أنه عليه الصلاة والسلام أرجح املين عقلا وأصدق فهم قولا وأزهم نفسا وأفضلهم علما وأحسنهم عملا وأجمعهم للكمالات البشرية يتوجب أن تصدقوه في دعواه فكيف وضد انضم إلى ذلك معجزات تحرلها صم الجبال ويجوز أن يتعلق بما قبله على معنى ثم تفكروا فاعلموا ما يصاحبكم من جنة وقد جوز أن تكون ما استفهامية على معنى ثم تفكروا أى شئ به من آثار الجنون (ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) هو عذاب الآخرة فانه عليه

الصلاة والسلام معوث في نسمة الساعة (قل ما أسألكم من أجر) أي شيء أسألكم من أجر على الرسالة (فهو ولكم) والمراد في السؤال رأساً قول من قال لمن لم يعطه شيئاً إن أعطيتني شيئاً فخذ وقيل ما موصولة أو يدبها ما سأله بقوله تعالى ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً وقوله تعالى لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى واتخاذ السبيل إليه تعالى منفعتهم الكبرى وقريه عليه الصلاة والسلام قرياهم (إن أجرى) ﴿ ٢٨ ﴾ الأعلى الله وهو على كل شيء شهيد) مطلع

يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرى أن أجرى بسكون الياء (قل إن ربي يقذف بالحق) أي بيقينه ونزله على من يحب من عباده أو يرمي به الباطل فيده أو يرمي به في أضرار الآفاق فيكون ويندب باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق (سلام الغيوب) صفة محمولة على محل ان واسمها أو بدل من المستكن في يقذف أو خبر ثان لأن أو خبر مبتدأ محذوف وقرى بالنصب صفداً في أو مقدر يا عني وقرى بكسر الفين وبالفتح كصبور مبالغة غائب (قل جاء الحق) أي الاسلام والتوحيد (وما يبدى الباطل وما يعيد) أي زهق الشرك بحيث لم يبق أثره أصلاً أخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا إعادة فجعل مثلاً في الهلاك بالمرّة ومنه قول عبيد أفقر من أهله عبيد * فليس يبدى ولا يعيد وقيل الباطل ابليس أو الصنم والمعنى لا ينشئ خلقاً ولا يعيد أولاً يبدى خيراً لاهله ولا يعيد وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها (قل إن ضلالت)

هذا فيه تقرير الرسالة أيضاً وذلك لأن الله تعالى قال على سبيل العموم من اهتدى فلنفسه وقال في حق النبي صلى الله عليه وسلم وإن اهتديت فبما يوحي إلى ربي يعني ضلالي على نفسي كضلالتكم وأما اهتدائي فليس بالشطر والاستدلال كاهتدائكم وإنما هو بالوحي المبين وقوله انه سمع أي يسمع اذا ناديت به واستدعيته عليه قريه بآتيكم من غير تأخير اس سمع من بعد لا يلحق الداعي * ثم قال تعالى (ولو ترى اذ دعوا فلا فوت) وأخذوا من مكان قريب (لما نكحهم قال هو قريه فان لم يعذب عاجلاً ولا يعين صاحب الحق في الحال فهو الفرع آت لا فوت) وإنما يستعمل من يخاف الفوت وقوله ولو ترى جوابه محذوف أي ترى عجباً وأخذوا من مكان قريب لا يهربون وإنما لاخذ قبل تمكنهم من الهرب * ثم قال تعالى (وقالوا آمنا به) أي بعد ظهور الامر حيث لا يتفزع أيمان قالوا آمنا (وأنى لهم التناوش) أي كيف يقدر أن على التناوش بالمطلوب وذلك لا يكون إلا في الدنيا وهم في الآخرة والدنيا من الآخرة بعيدة فان قيل فكيف قال في كثير من المواضع ان الآخرة من الدنيا قريبة ولهذا سماه الله الساعة وقال اعمل الساعة قريه بقوله الماضي كالأمر الدائر بعدما يكون اذ لا وصول اليه والمستقبل وإن كان بين وبين الحاضر سنين فانه آت فوم القيامة الدنيا بعيدة لمضيها وفي الدنيا يوم القيامة قريه لا يتناه والتناوش هو التناول عن قرب وقيل عن بعد ولما جعل الله الفعل مأخوذاً كالجسم جعل ظرف الفعل وهو الزمان كظرف الجسم وهو المكان فقال (من مكان بعيد) والمراد ماضى من الدنيا * ثم بين الله تعالى أن ايمانهم لا يقع فيه بسبب انهم كفروا به من قبل والاشارة في قوله آمنا به وقوله (وقد كفروا به من قبل) إلى شيء واحد اما محمد عليه الصلاة والسلام واما القرآن واما الحق الذي أتى به محمد عليه السلام وهو أقرب وأولى وقوله (ويقذفون بالغيب) ضد يؤمنون بالغيب لأن الغيب ينزل من الله على لسان الرسول فيقذفه الله في القلوب ويقبله المؤمن وأما الكافر فهو يقذف بالغيب أي يقول ما لا يعلمه وقوله (من مكان بعيد) يحتمل أن يكون المراد منه ان مأخذهم بعيداً أخذوا الشريك من انهم لا يقدر أن على أعمال كثيرة الا اذا كانوا اشخاصاً كثيرة فكذلك المخلوقات الكثيرة وأخذوا بعد إعادة من حالهم وعجزهم عن الاحياء فان المريض يدأوى فاذا مات لا يمكنهم إعادة الروح اليه وقياس الله على المخلوقات بعيد المأخذ ويحتمل ان يقال انهم كانوا يقولون بأن الساعة اذا كانت قائمة فالثواب والنعيم لنا كقول قائلهم ولئن رجعت إلى ربي انى عنده للحسنى فكانوا يقولون ذلك فان كان من قول الرسول فما كان ذلك عندهم حتى يقولوا عن احساس فان ما لا يجب عقلاً لا يعلم إلا بالاحساس أو بقول الصادق فهم كانوا يقولون عن الغيب من مكان بعيد فان قيل فذكرت ان الآخرة قريه فكيف قال من مكان بعيد نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن ذلك قريه عند من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن لم يؤمن لا يمكنه التصديق به فيكون بعيداً عنه (الثاني)

عن الطريق (فانما اضل على نفسي) فان وبال ضلالي عليها لانه بسببها اذهى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء ﴿ الحكاية ﴾ وهذا الاعتبار قول الشرطية بقوله تعالى (وان اهتديت فبما يوحي إلى ربي) لان الاهتداء بهدائه وتوفيقه وقرى ربي بفتح الياء (انه سمع قريه) يعلم قول كل من المهتدى والضلال وفعله وان بالغ في اخفائهما (ولو ترى اذ دعوا فلا فوت) عند الموت والبعث أو يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ثمانين ألفاً يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف

بهم وجواب لو محذوف أي رأيت أمرا هائلا (فلا فوت) فلا يفوتون الله عز وجل هرب أو تحصن (وأخذوا من مكان قريب) من ظهرا الأرض أو من الموقف إلى النار أو من صحراء بدر إلى قلبها أو من تحت أقدامهم فاختسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقبل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا ويؤيده أنه قرئ وأخذوا عطف على محله أي فلا فوت هنا وهناك أخذ (وقالوا آمنا به) أي بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد مر ذكره في قوله تعالى ما دسا حجبكم (وأي لهم التناوش)

التناوش التناول السهل أي ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولا سهلا (من مكان بعيد) فانه في حيز التكليف وهم منه بعزل بعيد وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالإيمان بعد ما قاب عنهم ويمدحهم من يريد أن يتناول الشيء من غاوة تناوله من ذراع في الاستحالة

وقرئ بأنهم على قلب الواو ونصه أو مومناً أنت شيء إذا طابته ومن أي عمرو والتناوش باليهز التناول من بعد مر فوالهم نأشت إذا أبطأت ونأحرت ومنه قول من قال

نفي تنبشا أن يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور أمور (وقد كفروا به) أي بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بالعذاب الشديد الذي أنذرهم آياه (من قبل) أي من قبل ذلك في أو ان التكليف (وبقذفون بالغيب) ويرجون بالظن ويتكلمون بما لم يظهروا لهم في حق الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاع عن أوفى العذاب المذكور من بيت القول بقره (من مكان بعيد) من جهة بعيدة من حاله عليه الصلاة والسلام حيث ينسبونه صلى الله عليه وسلم إلى الشعر والسحر والكذب وان أبعدني مما جاء به الشعر والسحر وأبعدني من عادته المعروفة فيما بين الداني والقاصي الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرى شيئا لا يراه من مكان بعيد لا يحال لاوه في خوفه وقرئ ويقذفون على أن الشيطان يلقي إليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال المباشرة أو على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ماضيه

ان الحكاية يوم القيامة فكانه قال كانوا يقذفون من مكان بعيد وهو الدنيا ويحمل وجهها آخر وهو أنهم في الآخرة يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لعمل صالحا وهو قد فدى بالغيب من مكان بعيد وهو الدنيا ثم قال تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من السوء إلى الدنيا أو بين الذات الدنيا فان قيل كيف يصح ذلك ما يشتهون من العود مع أنه تعالى قال (كافوا بسيفهم من قبل أنهم كانوا في شك مررب) وما حيل بينهم وبين العود قلنا لم قلتم انه ما حيل بينهم بل كل من جاء الملك بطلب الأخير ولم يعط وأرادوا أن يبرئوا عند ظهور الباس لم يقين وقوله مررب يحتمل وجهين (أحدهما) ذي ريب (والثاني) موقع في الريب وسنذكره في موضع آخر إن شاء الله تعالى والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين في صلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه وأزواجه الطاهرات

(سورة فاطر أربعون وحسن آيات مكية ٤٠)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا) قد ذكرنا فيما تقدم أن الحمد يكون على النعمة في أنزل الأمر ونعم الله قسمان عاجلة وآجلة وأما الآجلة فوجود بقائه والآجلة كذلك إيجاد مرة وإبقاء أخرى وقوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والأرض جعل السطوات وأنور أشارة إلى النعمة العاجلة ان هي الإيجاد واستدلنا عليه بقوله تعالى هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلنا وقوله في أسكهف الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب إشارة إلى النعمة العاجلة التي هي الإبقاء فان البقاء والصلاح بالشرع والكتاب وأولاه لوقت المنازعة والمخاصمة بين الناس ولا يفصل بينهم فكان يفرض ذلك إلى التقاتل والتفاني فانزال الكتاب نعمة يعلق بها البقاء العاجل وفي قوله في سورة سبأ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة إشارة إلى نعمة الإيجاد الثاني بالخسر واستدلنا عليه بقوله يعلم ما يلج في الأرض من الأجسام وما يخرج منها وما ينزل من السماء من الأرواح وما يرفع فيها منها وقوله عن الكافرين وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي وههنا الحمد إشارة إلى نعمة البقاء في الآخرة ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا أي يجعلهم رسلا يتلقون عباد الله كما قال تعالى وتلقاهم الملائكة وعلى هذا فقوله تعالى فاطر السموات يحتمل وجهين (الأول) معناه مبدعها كائن على ابن عباس (والثاني) فاطر السموات والأرض أي شاقهما لنزول الأرواح من السماء وخروج الأجساد من الأرض ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا فان في ذلك اليوم تكون الملائكة رسلا وعلى هذا فأول هذه السورة متصل بآخر ما مضى لان قوله كما فعل بأشباعهم بيان لانقطاع رجاء من كان في شك مررب وبقائه بأن لا قبول لتوبته ولا فائدة لقوله آمنت كما قال تعالى عنهم وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش فلما ذكر حالهم بين حال الموقن وبشره برسالة الملائكة إليهم مبشرين وبين أنه يفتح لهم

جهة بعيدة من حاله عليه الصلاة والسلام حيث ينسبونه صلى الله عليه وسلم إلى الشعر والسحر والكذب وان أبعدني مما جاء به الشعر والسحر وأبعدني من عادته المعروفة فيما بين الداني والقاصي الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرى شيئا لا يراه من مكان بعيد لا يحال لاوه في خوفه وقرئ ويقذفون على أن الشيطان يلقي إليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال المباشرة أو على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ماضيه

من الايمان في الدنيا (وحيل بينهم وبين ما يسهلون) مر بفتح الهمزة والواو وجاء من النار وقرى باسم الصم بعد و جاعل بالتباعهم من قبل) أي باشباههم من كفر الامم الدارجة (انهم كانوا في شك مر ب) أي موقع في الرتبة أو ذي رتبة والاول منقول من يصح أن يكون مر بفتح الهمزة والواو إلى المعنى والثاني من صاحب الشك إلى الشك كما يقال شعر شاعر والله أعلم * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا **٣٠** * ومضافا سورة الملائكة مكيدة وهي

خمس وأربعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الحمد لله فاطر السموات والارض) مبدعهم من غير مثال يحتذيه ولا قانون يتخذه من الفطر وهو النسق وقيل الشق طولاً لأنه شق العلم باخراجهما منه وإضافته محضة لأنه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو فايل في المشتق (جاعل الملائكة) الكلام في اضافته وكونه نعتاً أو بدلا كاقبله وقوله تعالى (رسلا) منصوب به على الوجه الثاني من الاضافة بالاتفاق وأما على الوجه الاول فكذلك عند الكسائي وأما عند البصريين فيجوز يدل هو عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم الا معرفا باللام وقال أبو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي إلى اثنين يعمل في الثاني لان باضافته إلى الاول تعذرت اضافته إلى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بأنه بالاضافة أشبه المعرف باللام فعمل عمله

أبواب الرحمة * وقوله تعالى (أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع) أقل ما يكون لذى الجناح أن يكون له جناحان وما بعدهما زيادة وقال قوم فيه ان الجناح إشارة إلى الجهة وبيانه هو أن الله تعالى أنس فوقه شيء وكل شيء فهو تحت قدرته ونعمته والملائكة لهم وجه إلى الله يأخذون منه نعمه ويعطون من دونهم ما أخذوه بأذن الله كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقوله علمه شديد القوى وقال تعالى في حقهم فإلما دبر أمر افهما جناحان وفيهم من يفعل ما يفعل من الخير بواسطة وفيهم من يفعله لا بواسطة فالفاعل بواسطة فيه ثلاث جهات ومنهم من له أربع جهات واكثرها الظاهر ما ذكرناه وأولاهو الذي عليه اطباق المفسرين * وقوله تعالى (يزيد في الخلق ما يشاء) من المفسرين من خصصه وقال المراد الوجه الحسن ومنهم من قال الصوت الحسن ومنهم من قال كل وصف محمود والاولى أن يعمم ويقال الله تعالى قادر كامل يفعل ما يشاء فيزيد ما يشاء وينقص ما يشاء وقوله تعالى (ان الله على كل شيء قدير) يقرر قوله يزيد في الخلق ما يشاء * ثم قال تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) لما بين كمال القدرة ذكر بيان نفوذ المشيئة ونفاذ الامر وقال ما يفتح الله للناس يعني ان رحم فلا مانع له وانما يرحم فلا يبعثه عليها وفي الآية دليل على سبق رحمة غضبه من وجوه (أحدها) التقديم حيث قدم بيان فتح أبواب الرحمة في الذكر وهو وان كان ضعيفا لكنه وجه من وجوه الفضل (وثانيها) هو أنه أنشأ الكناية في الاول فقال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وجاز من حيث العربية أن يقال له ويكون عائدا إلى ما ولكن قال تعالى لها ليعلم أن المفتوح أبواب الرحمة ولا ممسك لرحمة فهي واصلة إلى من رحمه وقال عند الامساك وما يمسك فلا مرسل له بالتدكير ولم يقل لهم انما صرح بأنه لا مرسل للرحمة بل ذكره بلفظ يحتمل ان يكون الذي لا يرسل هو غير الرحمة فان قوله تعالى وما يمسك عام من غير بيان وتخصيص بخلاف قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فانه مخصص بيمين (وثالثها) قوله من بعده أي من بعد الله فاستثنى ههنا وقال لا مرسل له الا الله فنزل له مرسلا وعند الامساك قال لا ممسك لهم اولم يقل غير الله لان الرحمة اذا جاءت لا ترتفع فان من رحمة الله في الآخرة لا يعذبه بعدها هو ولا غيره ومن يعذبه الله فتدبر رحمة الله بعد العذاب كأنفساق من أهل الايمان * ثم قال تعالى (وهو العزيز) أي كامل القدرة (الحكيم) أي كامل العلم * ثم قال تعالى (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) لما بين ان الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة التي تستوجب الحمد على سبيل التفصيل بين نعمه على سبيل الاجال فقال اذكروا نعمة الله وهي مع كثرتها مضمرة في قسمين نعمة اليجاد ونعمة الابقاء فقال تعالى (هل من خالق غير الله) إشارة إلى نعمة اليجاد في الابتداء وقال تعالى (يرزقكم من السماء والارض) إشارة إلى نعمة الابقاء بالرزق إلى الانتهاء ثم بين انه (لا اله الا هو) نظرا إلى عظمته حيث هو عز بركم قادر على كل شيء قدير نافذ الارادة في كل شيء

وقرى جاعل بالرفع على المدح وقرى الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة أي جاعلهم وسائط بينه تعالى **٣١** * وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليه رسالاته بالوحى والالهام والرويا الصادقة أو بين خلقه أيضا حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل نصيرا بأما على تقدير كونه ابداعا فرسلانصب على الحالين وقرى رسلا بسكون السين (أولي أجنحة) سفه رسلا وأولوا اسم جمع لدو

كان أول اسم جمع لهما ونظيرهما في الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) صفات لاجنحة أى ذوى أجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب متفاوت ما لهم من المراتب يتزاولون بها ويعرجون أو يسرعون بها والمعنى ان من الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقوا أجنحة كل منهم ثلاثة وخلقوا آخرين لكل منهم أربعة أجنحة ويروى أن صفات من الملائكة لهم ستة أجنحة يجناحين منها يلقون ﴿ ٣١ ﴾ أجسادهم وباخرين منها يطيرون فيما أمر وأباه من جهته تعالى

وجناحان منها مريحان على وجوههم حياة من الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستائة جناح وروى أنه سأله عليهما السلام أن يترأى له في صورة فقال لك ان تطيق ذلك قال انى أحب أن تفعل فخرج عليه الصلاة والسلام في ليلة مقمرة فاتاه جبريل عليهما السلام في صورته ففتش عليه عليه الصلاة والسلام ثم أفاق وجبريل مستند واحد يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام فكيف أورايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالشرق وجناح منها بالغرب وان العرش على كاهله وانه ليطير ضائل الاحبارين لعظمة الله عز وجل حتى يهود مثل الوضع وهو العصفور الصغير (يزيد في الخلق ما يشاء) استشاف مقر لما قبله من تفاوت أحوال الملائكة في عدد الاجنحة ومؤذن بان ذلك من أحكام مشيئة تعالى لا لام

ولامثل لهذا ولا معبود لذاته غير هذا ونظرا الى نعمته حيث لا خالق غيره ولا رازق الا هو ثم قال تعالى (فأنى تؤفكون) أى كيف تصرفون عن هذا الظاهر فكيف تشركون المفعول بمن له الملكوت * ثم لما بين الاصل الاول به هو الوحيد ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة فقال تعالى (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) ثم بين من حيث الاجال أن المكذب في العذاب والمكذب له الثواب بقوله تعالى (والى الله ترجع الامور) ثم بين الاصل الثالث وهو الحشر فقال تعالى (يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيات الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) أى الشيطان وقد ذكرنا ما فيه من المعنى اللطيف في تفسير سورة لقمان ونعيده ههنا فنقول المكلف قد يكون ضعيف الذهن قليل العقل سخي الرأى فيغتر بأذى شئ وقد يكون فوق ذلك فلا يغتر به ولكن اذا جاءه غار وزين ذلك الشئ وهو ن عليه مفاسده و بين له منافع يغتر بها من اللذة مع ما ينضم اليه من دعاء ذلك الغار اليه وقد يكون قوى الجاش عزيز العقل فلا يغتر ولا يغتر فقال الله تعالى لا تغرنكم الحياة الدنيا اشارة الى الدرجة الاولى وقال لا يغرنكم بالله الغرور اشارة الى الثانية ليكون واقعا في الدرجة الثالثة وهى العيا فلا يغتر ولا يغتر * ثم قال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) لما قال تعالى لا يغرنكم بالله الغرور ذكر ما يمنع العاقل من الاغترار وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ولا تسمعوا قوله وقوله فاتخذوه عدوا أى اعملوا ما يسوءه وهو العمل الصالح * ثم قال تعالى (انما يدعو حربه ليكونوا من أصحاب السعير) اشارة الى معنى لطيف وهو ان من يكون له عدو فله في أمره طربقان (أحدهما) أن يعاديه مجازاة له على معاداته (والثاني) ان يذهب عداوته بارضائه فلما قال الله تعالى ان الشيطان لكم عدوا أمرهم بالعداوة وأشار الى أن الطربق ليس الا هذا وأما انظر بقى الآخر وهو الارضاء فلا فائدة فيه لانكم اذا راضيتوه واتبعتموه فهو لا يؤدبكم الا الى السعير واعلم أن من علم أن له عدوا الامه رب له مندوجرم بذلك فانه يقف عنده ويصبر على قتاله والصبر معه النظر فكذلك الشيطان لا يقدر الانسان ان يهرب منه فانه معد ولا يزال يتبعه الا أن يقف له ويهزمه فهزمه الشيطان بعزى الانسان فالطربق الثبات على الجادة والالتكال على العبادة * ثم بين الله تعالى حال حربه وحال حرب الله فقال (الذين آفروا لهم عذاب شديد) فالعداوى الشيطان وان كان في الحال في عذاب ظاهر فهو ليس بشديد الانسان اذا كان عاقلا يختار العذاب المنقطع السعير دفعا للعذاب الشديد الملبس لا ترى ان الانسان اذا عرض في طريقه شوك ونار ولا يكون له يد من أحدهما يخطئ الشوك ولا يدخل النار ونسبة النار التي في الدنيا الى النار التي في الآخرة دون نسبة الشوك الى النار العاجلة * وقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) فقد ذكر تفسيره مرارا وبين فيه ان الايمان في مقابلته المغفرة فلا يؤيد مؤمن في النار والعمل الصالح في مقابلته الاجر الكبير * ثم قال تعالى (أفمن زين

راجع الى ذواتهم بيان حكم كل ناطق بأنه تعالى يزيد في أى خلق كان كل ما يشاء أن يزيده بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الامور التي لا يحيط بها الوصف وما روى عن النبي عليه الصلوة والسلام من تخصيص بعض المعاني بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان بعض المواد انعمه بطريق التثليل لا بطريق الحسنة فيها وقوله تعالى (ان الله على كل شئ قدير) لتعليل بطريق التحقيق الحكم المذكور فان شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته

تعالى على أن يربد كل ما يشاءه ويجايبنا (ما يفتح الله للناس من رحمة) عبر عن إرسالها بالفتح ايذاً بأنها أنفس الخرائن التي يتنافس فيها المتنافسون واعزها من الاوتكبرها الاشاعة والابهام أي شيء يفتح الله من خرائن رحمته أيفرجة كانت من نعمته وصحة وأمن وعلم وحكمة إلى غير ذلك لا يحاط به (فلا يمسك لها) أي لا أحد يقدر على امساكها (وما يمسك) أي أي شيء يمسك (فلا مرسل له) أي لا أحد يقدر على إرساله واختلاف الضميرين لما أن مر - مع الاول - ٣٢ مفسر بالرجوع ومرجع الثاني مطلق

يذلولها وغيرها كأنما كان وفيه اشعار بأن رحمته سبقت غضبه (من بعده) أي من بعد امساكه (وهو العزيز) الغالب على كل ما يشاء من الامور التي من جعلتها الفتح والامساك (الحكيم) الذي يفعل كل ما يفعل حسب مقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تنذيل مقرر لما قبلها ومعرّب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التي عليها يدور أمر التكوين وبعدها بين سبحانه أنه الموجد للكل والمذكور والمتصرف فيها بما يفيض والبسط من غير أن يكون لاحد في ذلك دخل ما يوجد من الوجود أمر الناس قاطبة أو أهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) أي انعمه عليكم ان جعلت النعمة مصدراً أو كاشفة عليكم ان جعلت اسماً أي راعوها واحفظوها بعرفه حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بوليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فوائدها منحصرة في نعمة اليجاد ونعمة الابقاء نبي أن يكون في الوجود شيء غيره تعالى بصدر

له سوء عمله فراه حسناً فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليهم بما يصنعون) يعني ليس من عمل سيئ كالذي عل صالحاً كما قال بعد هذا بابات وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وله تعلق بما قبله وذلك من حيث انه تعالى لما بين حال المسيء الكافر والمحسن المؤمن وما من أحد يعترف بأنه يعمل سيئاً الا قليل فكان الكافر يقول الذي له العذاب الشديد هو الذي ينزع الشيطان وهو محمده وقومه الذين استهوهم الجن فاتبعوهما والذي له الاجر العظيم نحن الذين دنا على ما كان عليه آباؤنا فقال الله تعالى لستم اثم بذلك فان المحسن خير ومن زين له العمل السيئ فراه حسناً خير بل الذين زين لهم السيئ دون من أساء وعلم انه سيئ فان الجاهل الذي يعلم جملة والمسيء الذي يعلم سوء عمله يرجع ويتوب والذي لا يعلم بصبر على الذنوب والمسيء العالم له صفة ذم بالاساءة وصفة مدح بالعلم والمسيء الذي يرى الاساءة احساناً له صفتاً ذم بالاساءة والجهل ثم بين أن الكل بمشيئة الله وقال فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وذلك لان الناس اشخاصهم متساوية في الحقيقة والاساءة والاحسان والسيئة والحسنة يمتاز بعضها عن بعض فاذا عرفها البعض دون البعض لا يكون ذلك باستقلال منهم فلا بد من الاستناد الى ارادة الله ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث حزن من اصرارهم بعد تبيانهم بكل آية ظاهرة وبخفية باهرة فقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آمارهم ثم بين أن حزنه ان كان لما بهم من الضلال والله عالم بهم وما يصنعون لو أراد ايمانهم واحسانهم اصدقهم عن الضلال وورهم عن الاضلال وان كان لما بد منهم من الايداء بالله عالم بفعلهم يجازيهم على ما يصنعون * ثم عاد الى البيان فقال تعالى (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابه فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور) هبوب الرياح دليل ظاهر على الفاعل المختار وذلك لان الهواء قد يسكر وقد يسكر وقد يسكره وقد يسكره الى اليمين وقد يسكره الى اليسار وفي حر كانه المختف قد يثبتي السحاب وقد لا يثبتي فهذه الاختلافات دليل على مسخر مدبر ومؤثر مقدر وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال تعالى والله الذي أرسل بلفظ الماضي وقال فتثير سحاباً بصيغة المستقبل وذلك لانه لما أسند فعل الارسال الى الله وما يفعل الله يكون بقوله كن فلا يجيء في العدم لازماً ولا جراً من الزمان فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة كونه كانه كان وكانه فرغ من كل شيء فهو قدر الارسال في الاوقات المعلومة الى المواضع المعينة والتقدير كالارسال ولما أسند فعل الاثارة الى الريح وهو يوافق في زمان فقال تثير اي على هيئتها (المسئلة الثانية) قال أرسل اسناداً فعل الى الغائب وقال سقناه اسناد الفعل الى المتكلم وكذلك في قوله فأحيينا وذلك لانه في الاول عرف نفسه بفعل من الافعال وهو الارسال ثم لما عرف قال أنا الذي عرفتني سقت السحاب وأحييت الارض ففي الاول كان تعريفاً بالفعل المحيى وفي الثاني كان تذكيراً بالنعمة

عنه احدى الثمنين بطريق الاستفهام الانكارى المنادى بالسبحانة أن يجاب عنه بنعم فقال (هل من خالق غير الله) فان أي هل خالق مغاير له تعالى موجود على أن خالق مبتدأ محذوف الخير زيدت عليه كلمة من لتأكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار ربحه كما أنه نعت له في قراءة الجر باعتبار رغبته وقرى بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى (يرزقكم من السماء والارض) أي بالطر والنبات كلام مبتدأ على التقدير لا يحمل له من الاعراب

داخل في حيز النفي والانكار ولا ماساغ لما قيل من أنه صفة أخرى لخالق مرفوعة المحل أو مجرورته لان معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقة معاً من غير تعرض لنفي وجود ما انصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من أنه الخبير للمبتدا ولا لما قيل من أنه مفسر لمضمر ارتقم به قوله تعالى من خالق على القاعلية أي هل يرزقكم من خالق الخ لما أن معناه من نفي رازقة خالق مغايرة تعالى من غير تعرض لنفي وجوده رأسماع أنه المراد ﴿٣٣﴾ حتى لا يرى إلى قوله تعالى (لا اله الا هو) فانه استئناف

مسوق لتقرير النفي المستفاد منه فصدوا وجر مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام صورة حيث كان هذا ناطقاً بنفي الوجود تعين أن يكون ذلك أيضاً قطعاً والفاء في قوله تعالى (فأني تؤفكون) لترتيب انكار عدواهم عن التوحيد إلى الاشارة على ما قبلها كأنه قيل واذا تبين قدره تعالى بالالوهية والخالقية والرازقية فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك وقوله تعالى (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) تلاوين الخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خطابي الناس مسارعة إلى تسليته عليه الصلاة والسلام بعموم البلية أولاً والاشارة إلى الوعد والوعيد ثانياً أي وان استمروا على أن يكذبوك فيما بغت اليهم من الحق المبين بهد ما ألفت عليهم الحجة والقمة الحجر فتأس بأولئك الرسل في المصارعة على ما أصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسليّة والتوجه إلى المصارعة أي رسل

فان كمال نعمة الرياح والسحب بالنسوق والاحياء وقوله سقنا وأحياناً بصيغة الماضي يؤيد ما ذكرناه من الفرق بين قوله أرسل وبين قوله تشير (المسئلة الثالثة) ما وجد التشبيه بقوله كذلك النشور نقول فيه وجوه (أحدها) ان الأرض الميتة لما قبلت الحياة الثلاثة بها كذلك الاعضاء تقبل الحياة (وثانيها) كان الريح يجمع القطع السحابية كذلك يجمع بين اجزاء الاعضاء وابعاض الاشياء (وثالثها) كما ان النسوق الريح والسحاب إلى البلد الميت نسوق الروح والحياة إلى البدن الميت (المسئلة الرابعة) ما الحكمة في اختيار هذه الآية من بين الآيات مع أن الله تعالى له في كل شيء آية تدل على انه واحد فتقول لما ذكر الله انه قاطر السموات والأرض وذكر من الامور السماوية والارواح وارسالها بقوله جاعل الملائكة رسلاً ذكر من الامور الارضية الرياح وارسالها بقوله والله الذي أرسل الرياح ثم قال تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) لما بين برهان الايمان اشارة إلى ما كان يمنع انكفاره منه وهو العزة الظاهرة التي كانوا يتوهمونها من حيث انهم ما كانوا في طاعة أحد ولا يمكن لهم من يأمرهم وينهاهم فكانوا يحزنون الاصنام وكانوا يقولون ان هذه آلهتنا ثم انهم كانوا يقولون انها مع أنفسهم وآية عزة فوق الميتة مع المعبود فهم كانوا يطلبون العزة وهي عدم التذلل للرسول وترك الاتباع له فقال ان كنتم تطالبون بهذا الكفر العزة في الحقيقة فهي كلها لله ومن يتذلل له فهو العز يزومن يتعزز عليه فهو الذليل وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال في هذه الآية لله العزة جميعاً وقال في آية أخرى لله العزة ورسوله وللمؤمنين فتعني جميعاً يدل على أن العزة اقرب من العز يزو هو الله وللمؤمنين بواسطة قربهم من الله عز وجل وهو الرسول وذلك لان عزة المؤمنين بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم لا ترى قوته تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله (المسئلة الثانية) قوله اليه يصعد الكلم الطيب تقر برسالة العزة وذلك لان انكفار كانوا يقولون نحن لا نعبد من لا نراه ولا نحضر عنده لان ايدهم من ذلك ذلة فقال تعالى ان كنتم لا تصلون اليه فهو يسمع كلامكم ويقل اليمين فينزل كلامه وصعد اليه وهو عز يزو من رد كلامه في وجهه فهو ذليل وأما هذه الاصنام لا يتبين عندها الدليل من العز يزو اذ علم انها فكل أحد يسميها وكذلك يرى عملكم فمن علم صالحا رفعه اليه ومن علم سيئاً رد عليه فاعز يزو من يرفع الذي عمله لوجهه والدليل من يدفع الذي عمله في وجهه وأما هذه الاصنام فلا تعلم شيئاً فلا عز يزو عندها ولا دليل فلا عزة بها بل عليها ذلة وذلك لان ذلة السيد ذلة للعبد ومن كان معبوده وربه والاله بحجارة أو خشباً ماذا يكون هو (المسئلة اثنائة) في قوله اليه يصعد الكلم الطيب وجود (أحدها) كلمة لا اله الا الله هي الطيبة (ثانيها) سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر طيب (ثالثها) هذه

أول وثان خطير وذو عدد كثير (والى الله ترجع الامور) لا إلى غيره فيجازي كلامك ومنهم بما أنتم عليه من الاحوال التي من جلستها صبرك ونكذبتهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع اتمام الجزاء ثواباً وعقاباً من البالغة في الوعد والوعيد ما لا تحصى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول أدخل في التهويل (بأيها الناس) رجوع

الى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير (ان وعد الله) المشار اليه برجوع الامور اليه تعالى من البعث والجزاء (حق) ثابت لاحالة من غير خلف (فلا تفرنكم الحياة الدنيا) بأن يذهلكم التمتع بتاعها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك ما بهحكم يوم حلول الميعاد والمراد منهم عن الاعتذار بها وان توجه التلهي صورة اليها كافي قوله تعالى لا يجر منكم شقاق (ولا يفرنكم بالله) وعفوه وكرمه تعالى (الغرور) أي (المبالغ في الغرور وهو الشيطان بأن يثيكم المغفرة مع الاصرار

على المعاصي قائلًا اعملوا ما شئتم ان الله غفور بفر الذنوب جميعا فان ذلك وان أمكن لكن تعاطى الذنوب بهذا التوقع من قبل تناول السم وهو بلا على دفع الطبيعة وتكرير قول التلهي للبالغة فيه ولا اختلاف الغرورين في الكيفية وفري الغرور بالضم على أنه مصدر أوجع غارك ففقد دجمع قاعد (ان الشيطان لكم عدو) عداوة قدسية لا تكاد تزول وتقدم لكم بلا اهتمام به (فأتخذوه عدوا) بمخافتكم له في عقابكم وأفعالكم وكونكم على حذر منه في مجامع أحوالكم وقواه تعالى (انما يدعو حربه ليكونوا من أصحاب السعير) تفرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبية على أن غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركوب الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحايين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقائهم في العذاب المتولد من حيث لا يحتسبون (الذين كفروا لهم) بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته (عذاب شديد) لا تقدر قدره مد يد لا يبلغ مداه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم) بسبب ما ذكرنا * وذكرنا من الايمان والعمل الصالح الذي من جلته عداوة الشيطان (مغفرة) عظيمة (وأجر كبير) لازية لهما (أنجزين له سوء عمله فراء حسنا) امانته بالمسبق من التباين البين بين عاقبتى الفريقين ببيان حالهما المؤمني الى تينك العاقبتين والافساد لا ينكار ترتيب

الكلمات الاربع وخامسة وهي تبارك الله والمختار أن كل كلام هو ذكر الله أو هو الله كالنصيحة والعلم فهو اليه يصعد (المسئلة الرابعة) قوله تعالى والعمل الصالح يرفع في الهاء وجهان (أحدهما) هي عائدة الى الكلم الطيب أي العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب ورد في الخبر لا يقبل الله قولًا بلا عمل (وثانيهما) هي عائدة الى العمل الصالح وعلى هذا في الفاعل الرفع وجهان (أحدهما) هو الكلم الطيب أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح بهذا بؤيده قوله تعالى من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن (وثانيهما) الرفع هو الله تعالى (المسئلة الخامسة) ماوجه ترجيح الذكر على العمل على الوجه الثاني حيث يصعد الكلم بنفسه ويرفع العمل بغيره فتقول الكلام شريف فان امتياز الانسان عن كل حيوان بالثبوت ولهذا قال تعالى ولقد كرمتنا بني آدم أي بالنفس الناطقة والعمل حركة وسكون يشترك فيه الانسان وغيره والشر يف اذا وصل الى باب الملك لا يمنع ومن دونه لا يجد الطريق الا عند الطلب ويدل على هذا أن الكافر اذا تكلم بكلمة الهشيدة ار كاره من صديق أو من عذاب الدنيا والآخرة وان كان ظاهرا أمن في نفسه ودعم وأهله وحرمة في الدنيا ولا كذلك العمل بالجوارح وقد ذكرنا ذلك في تفسير قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات (يوجد آخر) القلب هو الاصل وقد تقدم ما يدل عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب وما في القلب لا يظهر الا باللسان وما في اللسان لا يتبين صدقه الا بالفعل فالتقول أقرب الى اقارب من الفعل ألا ترى أن الانسان لا يتكلم بكلمة الا عن قلب وأما الفعل فديكون لا عن قلب كما ثبت بالخبرة ولان الثائم لا يخاف عن فعل من حركة وتقلب وهو في أكثر الامور لا يتكلم في نومه الا نادرا لما ذكرنا ان الكلام بالقلب ولا كذلك العمل فاقول اشرف (المسئلة السادسة) قال الرحمن شري الذكر لا يتعدى فهم انتصاب السيئات وقال بأن معناه الذين يكرهون المكرات السيئات فهم ووصف مصدر بخذوف ويحتمل أن يقال استعمل المكر استعمل العمل فعداه تعديته كما قال الذين يعملون السيئات وفي قوله الذين يعملون السيئات يتحمل ما ذكرناه أن يكون السيئات صفا لمصدر تقدير الذين يعملون اعمال السيئات وعلى هذا فيكون هذا في مقابلة قوله والعمل الصالح يرفع اشارة الى بقاءه وارتقائه ومكرهه أنك أمة العمل السيئ هو بيور اشارة الى فناءه * ثم قال تعالى (والله خلقكم من تراب ثم من نضفة ثم جعلكم أزواجا وما يحمل من انثى ولا تضع الابعله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير) قد ذكرنا مرارا ان الدلائل مع كثرتها وعدم دخولها في عدد محصور محصورة في قسمين دلائل الآفاق ودلائل الانفس كما قال تعالى ستر بهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم فلما ذكر دلائل الآفاق من السموات وما يرسل منها من الملائكة والارض وما يرسل فيها من الرياح شرع في دلائل الانفس وقد ذكرنا تفسيره مرارا

لخطواته (عذاب شديد) لا تقدر قدره مد يد لا يبلغ مداه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم) بسبب ما ذكرنا * وذكرنا من الايمان والعمل الصالح الذي من جلته عداوة الشيطان (مغفرة) عظيمة (وأجر كبير) لازية لهما (أنجزين له سوء عمله فراء حسنا) امانته بالمسبق من التباين البين بين عاقبتى الفريقين ببيان حالهما المؤمني الى تينك العاقبتين والافساد لا ينكار ترتيب

ما بعد ما على ما قبلها أي أبعد كون حالهم ما كاذر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فأنهم فيه مكن استحقاقه واجتنابه واختار الإيمان والعمل الصالح حتى لا تكون عاقبتهم ما كاذر كخذي ما حذق لدلائل ما سبق عليه وقوله تعالى (فإن الله يضل) الخ تقريره وتحقيق الحق ببيان أن لكل عيشته تعالى أي فانه نه إلى يضل (من يشاء) أن يضل له لاستحقاقه واستحقاقه الضلال وصرف اختياره أبعد فيه أسفل ﴿ ٣٥ ﴾ سافلين (و هو من يشاء) أن يهديه بصرف اختياره إلى الهدى فيرفعه

أي أعلى عشرين وأما تهديد
للمعتبة من فهمه عليه الصلاة
والسلام عن التحسر والتخزين
عليهم ما عدم إسلامهم ببيان
أنهم ليسوا بأهل لذلك بل
لأن يضرب عنهم صفحا
ولا يبالى بهم فطعا أي أبعد
أول حالهم كاذر كتحسر
عليهم خذق لمادل عليه
قوله تعالى (ولا تذهب نفسك
عليهم حسرات) دلالة بينة
وأما تهديد لصرفه عليه
الصلاة والسلام عما كان عليه
من الحرص الشديد على
إسلامهم والمبالغة في دعوتهم
إليه ببيان استحالة تحولهم
عن أسكفر لكونه في غابة
الحسن شديد أي أبعد ما ذكر
من زين له الكفر من قبل
الشيطان فراه حسنا فأنهم
فيه يقبل الهداية حتى تطمع
في إسلامه وتعب نفسك
في دعوته خذق ما حذق
لدلالة ما مر من قوله تعالى
فإن الله يضل من يشاء الخ
على أنه ممن شاء الله تعالى أن
يضل به فنه يهدي من أضل الله
ومالهم من ناصرين وقرى
فلا تذهب نفسك وقوله تعالى
حسرات أما مفعول له أي فلا

وذكرنا ما قبل من أن قوله من تراب إشارة إلى خلق آدم ثم من نصفة إشارة إلى خلق أولاده
و بيان أن الكلام غير محتاج إلى هذا الأول بل خذقكم خطاب مع الناس وهم أولاد آدم
كلهم من تراب ومن نصفة لأن كلهم من نطفة والنطفة من عذاء والغذاء بالآخره ينهي
إلى الماء والتراب فهو من تراب صار نصفة وقوله وما تحمل من أنثى ولا تضع إشارة إلى
كآل العلم فإن ما في الأرحام قبل الإخلاق بل بعده مادام في البطن لا يعلم حاله أحد كيف
والأم الحاملة لا تعلم منه شيئا فلماذا كر بقوله خلقكم من تراب كآل قدرته بين بقوله وما
تحمّل من أنثى ولا تضع إذ يعلم كآل علمه ثم بين نفوذ إرادته بقوله وما يعمر من معمر ولا
ينقص من عمره إلا في كتاب فبين أنه هو القادر العالم المريد والأصنام لا قدرة لها ولا تعلم
ولا إرادة فكيف يستحق شي منها العباد وقوله إن ذلك على الله يسير أي الخلق من التراب
ويحتمل أن يكون المراد التعمير والنقصان على الله يسير ويحتمل أن يكون المراد أن العلم
بما تحمله الأنثى يسير والكل على الله يسير والأول أشبه بغير استعماله في العمل
أليق * ثم قال تعالى (وما يستوى البحران) هذا عذب فرات شافع شرابه هذا ملح أجاج
ومن كل نأ تكون الحماظ يا وسخر جون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتفوا
من فضله وحكمكم تسكرون) فأما كثر المفسرين أن المراد من الآية ضرب المثل في حق
الكفر والإيمان أو الكافر والمؤمن فالإيمان ليس بسنة بالكفر في الحسن وانفع كما
لا يشتمل البحران العذب الفرات والمالح الأجاج ثم على هذا قوله ومن كل نأ تكون الحما
طريا ببيان أن حال الكافر والمؤمن أو الكفر والإيمان دون حال البحرين لأن الأجاج
يشارك الفرات في خير ونفع إذا لعم الطرى يوجد فيهما والحلية توجد فيهما والفقك
تجرى فيهما ولا نفع في الكفر والكافر وهذا على نسق قوله تعالى أو تلك كالأنعام بل هم
أضل وقوله كالجمجمة أو أشد فسوة وإن من الجمجمة لا تنفجر منه الأنهار والأظهر أن المراد
منه ذكر دليل آخر على قدرة الله وذلك من حيث أن البحرين يستويان في الصورة
ويختلفان في الماء فإن أحدهما عذب فرات والآخر ملح أجاج وأو كان ذلك بإيجاب
لما اختلف المتساويان ثم انهما بعد اختلافهما يوجد فيهما أمور متشابهة فإن اللعم
الطرى يوجد فيهما والحلية تؤخذ منهما ومن يوجد في المتشابهين اختلاف ومن المتخلفين
اشتباها لا يكون إلا قادرا مختارا وقوله وما يستوى البحران إشارة إلى أن عدم
استوائهما دليل على كآل قدرته ونفوذ إرادته وفي الآية مسائل (المسألة الأولى) قال
أهل اللغة لا يقال في ماء البحر إذا كان فيه ملح ملوحة ملح وإنما يقال له ملح وقد ذكر في بعض
كتب الفقه بصير بها ماء البحر مالحا ويؤخذ قائله به وهو أصح مما ذهب إليه القوم
وذلك لأن الماء العذب إذا ألقى فيه ملح حتى لا يقال له إلا ملح وماء ملح يقال له الماء الذي
صار من أصل خلقته كذلك لأن المالح شيء فيه ملح ظاهر في الذوق والماء الملح
ليس ماء وملحا بخلاف الطعام المالح فالله العذب الملقى فيه الملح ماء فيه ملح ظاهر

تملك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه الصلاة والسلام على أحوالهم أو على كثرة قبائح أعمالهم
الموجبة للتأسف والتحسر وعليهم صلاة تذهب كما يقال هلك عليه حيا ومات عليه حزنا أو هو بيان للتحسر عليه ولا يجوز
أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا تقدم عليه صلته وأما حال كآل كلها صارت حسرات وقوله تعالى (إن الله عليم
بما يصنعون) أي من القبائح تعليل لما قبله على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد * عن ابن عباس رضي

الله عنهما أنها تزك في اتي جهل ومشرى مكة (والله الذي أرسل الرياح) مبتدأ وخبر وقرى* الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى (فخر سبحانه) حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك العذرة البديعة انشائه على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احد اثبات تلك الخاصة ولذلك استند اليها اولدلائه على استقرار الاثارة (فسفاه الى بلد ميت) وقرى* بالتخفيف (فأحييناه الارض) أي بالمطر النازل منها لدول عبيد بالحداب في بينهما انارما ﴿ ٣٦ ﴾ في الدهن كافي الخارج او بالحداب فانه سبب

السبب (بعدموتها) أي يفسد ما
وايراد القولين على صفة
الماضي للدلالة على الخلق
واستادهما الى نون العطف
المنبي عن اختصاصهما به
تعالى لما فيهما من مزيد الصنع
ولتكميل المماثلة بين احياء
الارض وبين احياء الذي
شبهه بقوله تعالى (كذلك
النشور) في كمال الاختصاص
بالقدرة الربانية والكاف في
حيز الرفع على الخبرية أي
مثل ذلك الاحياء الذي
تشاهدونه احياء الاموات
في صحة المقدورية وسهولة
التأتى من غير تفاوت بينهما
أصلا سوى الالف في الاول
دون الثاني وقيل في كيفية
الاحياء يرسل الله تعالى من
تحت العرش ماء فينبث منه
أجساد الخلق (من كان يريد
العزة) هم المشركون الذين
كانوا يمزجون بعبادة الاصنام
كقوله تعالى واتخذوا من
دون الله آلهة ليكونوا لهم
عز او الذين كانوا يعززونهم
من الذين آمنوا باستنهم كما
في قوله تعالى الذين يتخذون
الكافرين أولياء من دون
المؤمنين أيتبعون عندهم

في استوق بخلاف ما هو من أصل خلقته كذلك فلما قال الفقيه الملح اجزاء ارضية
سبحة يصير بهاء البحر ما خاراعى فيه الاصل فانه جعله ما جاوره ملح وأهل اللغة حيث
قالوا في البحر ماؤه ملح جعلوه كذلك من أصل الخلقة والاجاج الموقوفه ومن كل ناكلون
للمطر يابس الضيفوا انهمك وتسخر جون حليه تلبسونها من الناولون والرجان وترى الفلك
في مواخر أي ما خرات تخضر البحر بالجر ياب أي تشق وقوله وتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكروا يدل على ما ذكرناه من أن المراد من الآية الاستدلال بالبحرين وما فيهما على
وجود الله ووحدايته وكأية قدرته * ثم قال تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في
الليل وتسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) استدلال آخر باختلاف الأزمنة
وقد ذكرناه مرارا وذكرا أن قوله تعالى بعده وسخر الشمس والقمر جواب لسؤال يذكره
المشركون وهو أنهم قاوا الاختلاف الليل والنهار بسبب اختلاف القسي الواقعة فوق
الارض وتحتها فان في الصيف تشرق الشمس على سمت الرؤس في بعض البلاد المائلة في
الآفاق وحركة الشمس هناك حتمائية فتقع تحت الارض أقل من نصف دائرة زمان
مكثها تحت الارض فيقصر الليل وفي الشتاء بالضد فيقصر النهار فقال الله تعالى وسخر
الشمس والقمر يعني سبب الاختلاف وان كان ما ذكرتم لكن سير الشمس والقمر بارادة
الله وقدرته فهو الذي فعل ذلك * ثم قال تعالى (ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من
دونه ما عبدون من قطمير) أي ذلك الذي فعل هذه الاشياء من فطر السموات
والارض وارسل الارواح وارسل الرياح وخلق الانسان من تراب وغير ذلك له الملك كله
فلا معبود الا هو وادانته الكامل ولكونه ملكا والملك مخدوم بقدر ملكه فاذا كان له الملك
كله قبله العبادة كلها ثم بين ما يتا في صفة الالهية وهو قوله والذين تدعون من دونه
ما عبدون من قطمير (وههنا لطيفة) وهي ان الله تعالى ذكر لنفسه نوعين من
الوصاف (أحدهما) ان الخلق بالقدرة والارادة (والثاني) الملك واستدل بهما على انه اله
معبود كما قال تعالى قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس ذكر الرب والملك ورتب
عليهما كونه اله أي معبودا وذكر في شر كوايه سلب صفة واحدة وهو عدم الملك
بقوله والذين تدعون من دونه ما عبدون من قطمير ولم يذكر سلب الوصف الاخر لوجهين
(أحدهما) ان كلهم كانوا معترفين بأن لا خالق لهم الا الله وانما كانوا يقولون بأن الله تعالى
فوض أمر الارض والارضيات الى الكواكب التي الاصنام على صورتها وطوايعها
فقال لا ملك لهم ولا ملكهم الله شيئا ولا ملكوا شيئا (وثانيهما) انه يلزم من عدم الملك
عدم الخلق لانه لو خلق شيئا لملكه فاذا لم يملك قطمير اما خلق قليلا ولا كثيرا * ثم قال تعالى
(ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما يستجيبوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم
ولا ينبتك مثل خبير) ابطالا لما كانوا يقولون ان في عبادة الاصنام عزة من حيث القرب
منها والنظر البهاو وعرض الخواص عليها والله لا يرى ولا يصل اليه أحد فقال هؤلاء

العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها (فلهما عزة جميعا) أي له تعالى وحده ﴿ لا يسمعون ﴾
لاغيره عزه الدنيا وعزة الآخرة أي فليضد بها منه لامن غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذانا بأن اختصاص العزة به
تعالى موجب لخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى (ايه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) بيان لما يطلب به
العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز

عن قبوله تعالى ايها الموصوفون الكثرة بصحة قبحها وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به كقوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ياخذ الصدقات أي اليه يصل الكلام الطيب الذي به يطلب النزة لاني اللاترك الموكلين بالعمل العباد فقط وهو يرصا حذر يعطى طلبة بالذات والمستكن في برهمة الكلام فان مدار قبول العمل هو الوجه ويؤيده القراءة بنصب العمل أوله عمل فانه يحقق الايمان ويقويه ٣٧ كقولنا مثل الدرجات العالمة الاله وفري في عدم الاضمار على البناءين

والصعد هو الله سبحانه
أو المتكلم به أو الملك وقيل
المتكلم الطيب يتناول الذكر
والدعاء والاسْتغفار وقراءة
القرآن وعبادة عليه الصلاة
والسلام أنه سبحانه الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله
أعزأ فأنها العبد تخرج بها
الى السماء فإياها وجه الرحمن
فأذا لم يكن عمل صالح لم تقبل
وعن ابن مسعود رضي الله
عنه ما من عبد مسلم يقول
خمس كلمات سبحانه الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله
أكبر وتبارك الله الأخذه من
ملك فجعلهن تحت جناحه
ثم صعد بهن فإمر بهن على
جمع من الملائكة الاستغفروا
لقائلهن حتى يجي بهن
وجه رب العالمين وصدقه
قوله عز وجل اليه يصعد
الكلم الطيب الخ (والذين
يمكرون السيآت) بيان لحال
الكلم الخبيث والعمل السيئ
وأهلها بعد بيان حال الكلم
الطيب والعمل الصالح
وانتصاب السيآت على أنها
صفة المصدر المحذوف أي
يمكرون المكرات السيآت
وهي مكرات قر يش بالني

لا يسمعون دياء كم والله يصعد اليه الكلم الطيب فيسمع ويقبل ثم نزل عن تلك الدرجة
وقال هب انهم يسمعون كما يظنون فأنهم كانوا يقولون بأن الاصنام تسمع وتعلم ولا تكن
ما كان يمكنهم أن يقولوا انهم يحجبون لأن ذلك انكار للحس به وعدم سماعهم
ازكار لما تولد والنزاع وان كان يقع في القول فلا يكن وقبضا في المحس به ثم انه تعالى
قال يوم القيامة يكفرون بشرككم الذين يدينونهم في الدنيا بدين عدم النفع منهم في
الآخرة بل اشار الى وجود الضرر منهم في الآخرة بقوله يوم القيامة يكفرون بشرككم
أي يأسرواكم بالله شيا كما قال تعالى ارايتم انكم تعلمون انكم تعلمون انكم تعلمون انكم تعلمون
مثل خير يحميكم وجهين (أحدهما) أن يكون ذلك خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم
ووجهه هو ان الله تعالى لما أخبر عن الخشب والحجر يوم القيامة يدينون ويكذب عباده
وذلك أمر لا يعلم باعقل المجدا ولا اخبار الله تعالى عند انهم يكفرون بهم يوم القيامة وهذا
القول مع كون الخبر عنه أمر عجيبا هو كما قال لا الخبر عنه خير (وثانيهما) هو أن
يكون ذلك خطابا غير مختص بأحد أي هذا الذي ذكره هو كما قال ولا يترك انهما السامع
كأنما من كنت مثل خير ثم قال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو
الغني الحميد) لما كثر الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم والاصرار من الكفار قائلوا ان الله
له حاجة الى عبادتنا حتى يأمرنا بها أمر بالغا وبهدونا على تركها ما بالغا فقال تعالى
أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني فلا يأمركم بالإمادة لاحتياجكم اليكم وانما هو لا شفاء
عليكم وفي الآية مسائل (المسألة الاولى) التعريف في الخبر قليل والاكثر أن يكون الخبر
ذكرة والمبتدأ معرفة وهو معقول وذلك لان الخبر لا يخبر في الاكثر الا بأمر لا يكون عند
الخبر به علم أو في ظن المتكلم ان السامع لا علم له به ثم ان المبتدأ لا بد من أن يكون معلوما
عند السامع حتى يقول له أيها السامع الامر الذي تعرفه أنت فيه المعنى الفلاني كقول
القائل زيد قائم أو قام أي زيد الذي تعرفه ثبت له قيام لا علم عندك به فان كان الخبر معلوما
عند السامع والمبتدأ كذلك ويقع الخبر تنبيهها لا تنبيهها بحسن تعريف الخبر غاية الحسن
كقول القائل الله ربنا ومحمد نبينا حيث عرف كون الله ربنا وكون محمد نبيا وهما لما كان
كون الناس فقراء أمر اظهر لا يخفى على أحد قال أنتم الفقراء (المسألة الثانية) قوله الى
الله اعلام بأنه لا افتقار الاله ولا اتكال الاعليه وهذا يوجب عبادته لكونه مقفرا اليه
وعدم عبادة غيره لعدم الافتقار الى غيره ثم قال والله هو الغني أي هو مع استغنائه بدعوىكم
كل الدعاء وانتم مع احتياجكم لانجيبيونه ولا تدعونه فيجبكم (المسألة الثالثة) في قوله
الحميد لما زاد في الخبر الاول وهو قوله انتم الفقراء زيادة وهو قوله الى الله اشارة لوجوب
حصص العباد في عبادته زاد في وصفه بالغنى زيادة وهو كونه جيدا اشارة الى كونكم فقراء
وفي مقابلة الله غنى وفقركم اليه في مقابلة نعمه عليكم لكونه جيدا واجب الشكر فليست
أنتم فقراء والله مثلكم في فقر بل هو غنى على الاطلاق ولستم أنتم لما افتقرتم اليه

عليه الصلاة والسلام في دار الندوة وتداولهم الرأي في احدي الثلاث التي هي الاثبات واقتل والاخراج (لهم) بسبب مكراتهم
(عذاب شديد) لا يقدر قدره ولا يؤبه عنده لما يكرهون (ومكر أو ثلك) وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم لا يذنبان بكمال غيرهم
بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد التوبيخ على ترائي أمرهم في الطغيان
وبعد منزلتهم في العدوان أي ومكر أو ثلك المفسدين الذين أرادوا أن يكرهوا به عليه

الصلاة والسلام (هو يور) أي هو يهلك ويفسد خاصة لامن مكروا به ولقد أبارهم الله تعالى بعد إياارة مكراتهم حيث أخرجهم من مكة وقتلهم وابنتهم في قلب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي اكتفوا في حقهم عليه الصلاة والسلام بواحدة منهم (والله خلقكم من تراب) دلائل آخر على صحة البعث والنشور أي خالقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجابا كما امر تحقيقه مرارا (ثم من ذنقة) أي خلقكم منها خلقا تفصيليا (ثم جعلكم أزواجا) ٣٨٨ أي أصنافا وذكرنا وأنا وأنا وعن قتادة

جعل به عنكم زوجا له من (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) (الاولى) تابعة لمشيئته (وما يعمر من عمر) أي من أحد وانما سمى معمر باعتبار مصيره أي وما يعد في عمر أحد (ولا ينقص من عمره) أي من عمر أحد على طريقة قولهم لا يشب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقبل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت في اللوح مثل أن يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والافار بعون واليه أشار عليه الصلاة والسلام بقوله الصدقة الصلة تعمران الديار وتريدان في الأعمار وقبل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى يأتي على آخره وقرى ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره يسكون الميم (الا في كتاب) عن ابن عباس

ترككم غير مقتضى الحاجات بل قضى في الدنيا حوائجكم وان آتتم بقض في الآخرة حوائجكم فهو حديد ثم قال تعالى (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) ياتنا فناء وفيه بلاغة كاملة ويأتها انه تعالى قال ان يشأ يذهبكم أي ليس اذهابكم موقوفا لا على مشيئته بخلاف الشيء المحتاج اليه فان لا يقول فيه ان يشأ فلان هدم داره وأعدم عقاره وانما يقول لولا حاجة السكنى الى الدار لبعثها أولا ولا الافتقار الى العتار لتركتهائم انه تعالى زاديان الاستغناء بقوله ويأت بخلق جديد يعني ان كان يتوهم متوهم ان هذا الملك له كمال يعظمه فنواذهب لزال ملكه وعظمته فهو قادر بأن يخلق خلقا جديدا أحسن من هذا وأجل وأتم وأكمل ثم قال تعالى (وما ذلك على الله بعزيز) أي الاذهاب والاتبان وههنا مسألة وهي ان لفظ العز يزاستعمله الله تعالى تارة في القائم بفسد حيث قال في حق تفسد وكان الله قويا عز يزاقول في هذه السورة ان الله عز يزغفرو واستعمله في القائم بعينه حيث قال وما ذلك على الله بعزيز وقال عز يزعليلد ما عنتم فهل هما بمعنى واحد أم بمعنىين فتقول العز يز هو الغالب في اللغة يقال من عز يزأي من غلب سلب فالله عز يزأي غلب والفعل اذا كان لا يطيقه شخص يقال هو مغلوب بالثبوت الى ذلك الفعل فتقوله وما ذلك على الله بعزيز يزأي لا يغلب الله ذلك الفعل بل هو هين على الله وقوله عز يزعليلد ما عنتم أي عز يزته بوزنه كاشغل الغالب قوله تعالى (ولا تزروا زرة وزرا أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) متعلق بمسأله وذلك من حيث انه تعالى لما بين الحق بالدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة ذكر ما يدعوههم الى النظر فيه فقال ولا تزروا زرة وزرا أخرى أي لا تحمل نفس ذنب نفس فأنبي صلى الله عليه وسلم لو كان كاذبا في دعائه سكان مذنبيا وهو معتقد بأن ذنبه لا تعملونه أتم فهو يتوق ويحترق والله تعالى غير فقير الى عبادتكم فتفكروا واعلموا انكم ان ضلالتكم فلا يحمل أحد عنكم وزركم وليس كما يقول أكابركم اتبعوا سيئنا ولا تحمل خطاياكم وفي الآية مسائل (المسألة الاولى) قوله وزرة أي نفس وزرة ولم يقل ولا تزرنفس وزرا أخرى ولا جمع بين الموصوف والصفة فلم يقل ولا تزرنفس وزرة وزرا أخرى لفائدة (اما الاول) فلانه لو قال ولا تزرنفس وزرا أخرى لما سلم ان كل نفس وزرة مهمومة بهم وزرها متعبة في أمرها (وجه آخر) وهو ان قول القائل ولا تزرنفس وزري أخرى قد يجتمع معها ان لا تزروا زرا أصلا كالعصوم لا يزور وزر غيره ومع ذلك لا يزور زرا أسا فتقوله ولا تزروا زرة بين انها تزور وزرها ولا تزور وزرا غير (واما) ترك ذكر الموصوف فلظهور الصفة وزومها للموصوف ثم قال تعالى وان تدع مثقلة اشارة الى أن أحدنا لا يحمل عن أحد شيئا مبتدئا ولا بعد السؤال فان المحتاج قد يصبر وتقضى حاجته من غير سؤاله فاذا انتهى الافتقار الى حد الكمال يحوجه الى السؤال (المسألة الثانية) في قوله مثقلة زيادة بيان لما تقدم من حيث انه قال أولا ولا تزور وزرة وزرا أخرى فيظن ان أحدنا لا يحمل عن أحد لكون ذلك الواحد قادرا على حمله كما

رضي الله عنهما أنه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان (ان ذلك) أي ما ذكر من الخلق وما بعده ان مع كونه بحمار العقول والافهام (على الله يسر) لاستغنائه عن الأسباب فكذلك البعث (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) مثل ضرب المؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل التحمل له لغذوته والاجاج الذي يحرق بلوحه وقرى سيع كسبد وسيع بالخفيف و ملح ككتف

وقوله تعالى (ومن كل) أي من كل واحد منهما (أنا) كلون الجواهر أو تستخرجون) أي من المالح خاصة (حلية تلبسونها) أما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع وأما تكلمة التخييل والمعنى كما أسماوان اشتراك في بعض القوائد لا يتساويان من حيث أهميتهما فتاوتان فيهما هو المقصود بالذات من الماء لما خاطأ أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوي الكافر المؤمن وإن شارك في بعض الصفات كاشجاعة والسخاوة ﴿ ٣٩ ﴾ ونحوهما للتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء أحدهما على

فطرته الأصلية وحيازته لكماله اللائق دون الآخر وتفصيل للاجاء على الكافر من حيث انه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خلوص من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية الأولو والمرجان (وترى الفلك فيه) أي في كل منهما وإفراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق ومالحق لآثار الخطاب لكل أحد تتأني منه الرتبة دون المستغنيين بالبحر بن فقط (مواخر) شواق للماء يجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة (تبتغوا من فضله) من فضل الله تعالى بانهلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعلقها بما يدل عليه الأفعال المذكورة أي فعمل ذلك لتبتغوا من فضله (ولم لكم تشكرون) أي وتشكروا على ذلك وحرف الترجي للابذان بكونه مرصبا عند الله تعالى (يولج الليل في النهار ويولج

إن أقوى إذا أخذيده رمانة أو سفرجلة لا تحمل عنه وأما إذا كان الحمل ثقيلا قد يرحم الحامل فيحصل عنه فقال مثقلة يعني ليس عدم الوزر لعدم كونه محلا للرجة بالثقل بل لكون النفس مثقلة ولا يحمل منها شيء (المسئلة الثالثة) زاد في ذلك بقوله ولو كان ذاقر بي أي المدعو لو كان ذاقر بي لا يحمله وفي الأول كان يمكن أن يقال لا يحمله لعدم تعلقه به كالعدو الذي يرى عدوه تحت ثقل أو الأجنبي الذي يرى أجنبيا تحت حمل لا يحمله عنه فقال ولو كان ذاقر بي أي يحصل جميع المعاني الداعية إلى الحمل من كون النفس وازرة قوية تحت حمل وكون الأخرى مثقلة لا يقال كونها قوية قادرة ليس عليها حمل وكونها سائلة داعية فإن السؤال مظنة الرجعة ولو كان المسؤول قريبا فاذن لا يكون التخلف إلا مانع وهو كون كل نفس تحت حمل ثقل * ثم قال تعالى (اتممتنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلوة) إشارة إلى أن لأرشاد فوق ما ثبت به ولم يقدّمه فلا تنذر انذار مفيدا إلا الذين تمتلئ قلوبهم خشية وتنجني ظواهرهم بالعبادة أقوله الذين آمنوا إشارة إلى عمل القلب وعملوا الصالحات إشارة إلى عمل الظواهر أقوله الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلوة في ذلك المعنى ثم المبين أن لا تزور وزر أخرى بين إن الحسنة تنفع المحسنين فقال (ومن ترك فاعا يترك نفسه) أي فترك كيته نفسه * ثم قال تعالى (وإلى الله المصير) أي المترك أي ان لم تظهر فآلتته عاجلا فاما المصير إلى الله بظهور عتده في يوم اللقاء في دار البقاء والواز ان لم تظهر رتبة وزره في الدنيا فهي أظهر في الآخرة إذا المصير إلى الله * ثم قال تعالى (وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات) لما بين الهدى والضلالة ولم يهتد الكافر وهدى الله المؤمن من ضرب لهم مثلا بالبصير والأعمى فالأعمى من بصير حيث أبصر الطريق الواضح والكافر أعمى وفي تفسير الأيفة سائل (المسئلة الأولى) ما العائدة في تكثير الأمثلة ههنا حيث ذكر الأعمى والبصير والظلمة والنور والظل والحرور والأحياء والأموات فنقول القول مثل المؤمن والكافر فالأعمى من بصير والكافر أعمى ثم البصير وإن كان حديد البصر ولكن لا يبصر شيئا إن لم يكن في ضوء فذكر الإيمان والكفر مثلا وقال الإيمان نور والمؤمن بصير والبصير لا يخفى عليه النور والكفر ظلمة والكافر أعمى فله صاد ذوق صاد ثم ذكر كرمها لهما ومرجعها مثلا وهو الظل والحرور فالأعمى من بياضه في ظل وراحة والكافر بكفره في حر وتعبد ثم قال تعالى (وما يستوي الأحياء ولا الأموات مثلا آخر في حق المؤمن والكافر كأنه قال تعالى حال المؤمن والكافر فوق حال الأعمى والبصير فإن الأعمى يشارك البصير في ادراك ما وما كافر غير مدرك ادراكا نافعاهو كاذب ويدل على ما ذكرنا انه تعالى أعاد الفعل حيث قال أولا وما يستوي الأعمى والبصير وعطف الظلمات والنور والظل والحرور ثم أعاد الفعل وقال وما يستوي الأحياء والأموات كأنه جعل هذا مقابلا لذلك (المسئلة الثانية) كرر كلمة النفي بين الظلمات والنور والظل والحرور والأحياء والأموات

النهار في الليل) بزيادة أحدهما ونقص الآخر بإضافة بعض أجزاء كل منهما إلى الآخر (وسبح الشمس والقمر) عطف على يولج واختلافهما صفة لما أن إيلاج أحد الملوين في الآخر متجدد حينئذ وأما تسخير النيران فأمر لا تعدد فيه وإنما التعدد والتجدد آثاره وقد أشير إليه بقوله تعالى (كل يجري) أي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب

التي على ما هو موجودات المستوجب للحمد (ان شأيد همكم ويات بطلق جديد) اليه واعلى صفتكم بل مستغنون على الطاعة أو بعالم آخر غير ما تعرفونه (وما ذلك) أي ما ذكر من الاذهاب بهم والايان يا آخرين (على الله بغير ين) بمنذر ولا تمس (ولا تزر وازرة) أي لا تحمل نفس ٢١ * آية (وزر أخرى) ثم نفس أخرى بل انما تحمل كل

منها وزرها وأما ما في قوله تعالى وأحسان أنقأهم وأنقأ لا مع أنقأهم من حل المضنين أنقأ لا غير أنقأهم فهو حل أنقأ احتلالهم مع أنقأ ضلالتهم وكلاهما أوزارهم ليس فيها من أوزار غيرهم نبي (وان يدع مثله) أي نفس أنقأ الأوزار (الي حلها) لحل بعض أوزارها (لا يحمل منه شيء) لم يجب بحمل شيء (أو كان) أي المدعو المفهوم من الدعوة (ذاق في) ذاقر أمة من اداعي وقرى ذوق في وهذا في العمل احشوا والاول في له اجبارا (انما تدر) انما تدر مسوق لبيان من يعظ بما ذكر أي انه تدر بهذه الانذارات (الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخشونه تعالى غائبين عن عذابه أو عن التماس في خطواتهم أو يخشون عذابه وهو غائب عنهم (وأقاموا الصلوة) أي راعوها كما ينبغي وجعلوها مئارا منصوبا وعلمهم فوعا أي

جنس البصير خير من جنس الاعمي وأما الاحياء والاموات فالتفاوت بينهما أكثر مما من حيث يساوي في الادراك حيا من الاحياء فذكر ان الاحياء لا يساويون الاموات سواء قابلت الجنس بالجنس أو قابلت الفرد بالفرد وأما الظلمات والنور فالخلق واحد وهو التوحيد والباطل كثير وهو طرق الاشتراك على ما بينا أن بعضهم يعبدون الكواكب وبعضهم النار وبعضهم الاصنام التي هي على صورة الملائكة والى غير ذلك والتفاوت بين كل فرد من تلك الافراد وبين هذا الواحد بين فقال الضلالت كل ما اذا اعتبرتها لا تجد فيها ما يساوي النور وقد ذكر نافي تفسير قوله وجعل الظلمات والنور السبب في توحيد النور وجمع الظلمات ومن جملة ذلك أن النور لا يكون الا بوجود منور وتعمل قايين للاستتارة وعدم الخائل بين النور والمستنير مثله الشمس اذا طلعت وكان هناك من يمنع قابل للاستتارة وهو الذي يسك السماع فان البيت الذي فيه كوة يدخل منها السماع اذا كان في مقابلة الكوة فتخرج منه السماع ويدخل بيتا آخر ويسقط السماع على أرضه يرى البيت الثاني مضياء والاول مظلم وان لم يكن هناك حائل كالبيت الذي لا دوة له فانه لا يضيء فاذا حصلت الامور الثلاثة استبرأيت والافلا تتحقق الظلمة بغير أي أمر كان من الامور الثلاثة ثم قوله تعالى (ان الله يسمع من يشاء وما أنت تسمع من في عبور) وفيه احتمال مسئين (الاول) أن يكون المراد بيان كون الكفار بالنسبة الى عبادهم كلام النبي والوحي النازل عليهم دون حال الموت فان الله يسمع الموتى والذين لا يسمع من مات وغيره الموتى سواء من الله والكفار كانوا لا يسمعون من النبي (واشأن) أن يكون المراد تسلية النبي صلى الله عليه وسلم فانه لما بين ما أنه لا يسمعهم ولا يسمعونهم قال له هؤلاء لا يسمعون الا الله فاه يسمع من يشاء ولو كان صخرة صماء وأما أنت فلا تسمع من في القبور فانت ذلك من حسابهم من شيء ثم قال تعالى (ان انت الا نذير) بينا قد بينا انهم قال تعالى (ان ارسلناك بالحق بشرا ونذيرا) قال ان انت الا نذير بين انه ليس بنذير من تلقا نفسه انما هو نذير اذا نزل الله وارساله ثم قال تعالى (وان من امة الا نحن اخبرها بما تدر) تقرير الامر من (احدهما) التسلية قلبه حيث يعلم ان غيره كل مثله محض لا الذي تقوم (وثانيهما) الزام النوم بقوله فانه ليس بدعا من الرسل وانما هو مثل غيره يدعي ما ادعاه الرسل ويقرره قوله تعالى (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسالتهم بالبينات) يعني انت جئتهم بالبينات والكتاب فكذبوك ما ذكرك وغيرك ايضا انهم مثل ذلك وفعلوا بهم ما فعلوا بك وصبروا على ما كذبوا فكذلك تلزمهم بأن من تقدم من الرسل لم يعلم كونهم رسلا الا بالعبارة البينات وهذا آية الله محمد صلى الله عليه وسلم (وبالزور بالكتاب المتبر) والكل اتيناها محمد دفهم ورسول مثل الرسل يلزمهم قبوله كالزعم قبول موسى وعيسى عليهم السلام اجمعين وهذا يكون تقريرا مع اهل الكتاب واعلم انه تعالى ذكر امورا ثلاثة اولها البينات وذلك لان كل رسول فلا بد له من معجزة وهي ادنى الدرجات ثم

انما ينفع النذرك وتحذيرك هؤلاء ٢٦ * من قولك دون من عذابهم من اهل الفرد والاعداد (ومن نرك) أي قطهر من أوزار الأوزار والمعاصي بالتأثر من هذه الانذارات (فانما يقرى نفسه) لا يقرى نفسه عليها كما أن من تدنس بها لا يتدبس الا عليها وقرى من أنى غايها يرك وهو

الذي علمها الموحود ذات المستوجب (ان يشاء يهلككم ويأت بطغي جديد) وسواي صميم من سروس الطاعة أو بهالم آخر غير ما تعرفونه (وما ذلك) أي ما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان بآخرين (على الله بقرين) بتعذر ولا متعسر ولا زور وازرة أي لا تحمل نفس ٤١ (آفة (وزر أخرى) اثم نفس أخرى بل انما تحمل كل

منها وزرها وأما ما في قوله تعالى وأحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم من حمل المضلين أثقالا غير أثقالهم فهو حمل أثقال اضلالهم مع أثقال ضلالهم وكلاهما أوزارهم ليس فيها من أوزار غيرهم شيء (وان تدع مشقة) أي نفس أثقالها الأوزار (الى حبالها) الحمل بعض أوزارها (لا يحمل منه شيء) لم تجب بحمل شيء منه (ولو كان أي الدعوة لله يوم من الدعوة (ذاق ربى) ذا قراية من الداعي وفري ذوق ربى وهذا في تحمل اختيارا والاول في له اجبارا (انما تنس) استئناف مسوق لبيان من يعظ بما ذكر أي انذار بهذه الانذارات (الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخشونه تعالى غائبين عن عذابه أو عن الناس في خلواتهم أو يخشون عذابه وهو غائب عنهم (وأقاموا الصلوة) أي راعوها كما ينبغي وجعلوها مئارا منصوبا وعلمهم فوجاهي

جنس البصير خير من جنس الاعمي وأما الاحياء والاموات فالتفاوت بينهما أكثر من حيث يساوي في الادراك حيا من الاحياء فذكر ان الاحياء لا يساويون الاموات سواء قابلت الجنس بالجنس أو قابلت الفرد بالفرد وأما الظلمات والنور فالخلق واحد وهو التوحيد والباطل كثير وهو طرق الاشتراك على ما بيننا أن بعضهم يعبدون الكواكب وبعضهم النار وبعضهم الاصنام التي هي على صورة الملائكة وال غير ذلك والتفاوت بين كل فرد من تلك الافراد وبين هذا الواحد بين فقال لظلمات كلها اذا اعتبرتم لا تجعد فيها ما يساوي النور وقد ذكرنا في تفسير قوله وجعل الظلمات والنور السبب في توحيد النور وجمع الظلمات ومن جملة ذلك أن النور لا يكون الا بوجود منور وحمل قابل للاستنارة وعدم الحائل بين النور والمستنير مثاله الشمس اذا طلعت وكان هناك موضع قابل للاستنارة وهو الذي يسك الشعاع فان البيت الذي فيه كوة يدخل منها الشعاع اذا كان في مقابلة الكوة فتخرج منه الشعاع ويدخل بيتا آخر ويسقط الشعاع على ارضه يرى البيت الثاني مضياء والاول مظلم وان لم يكن هناك حائل كالبيت الذي لا كوة له فانه لا يضيء فاذا حصلت الامور الثلاثة يستنير البيت والافلا تتحقق الظلمة بقدر أي أمر كان من الامور الثلاثة ثم قوله تعالى (ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) وفيه احتمال معنيين (الاول) أن يكون المراد بيان كون الكفار بالنسبة الى سمعهم كلام النبي والوحي النازل عليهم حال الموتى فان الله يسمع الموتى وانبي لا يسمع من مات وقبر فالوحي سامعون من الله والكفار كالنوقي لا يسمعون من النبي (والثاني) أن يكون المراد تسليية النبي صلى الله عليه وسلم فانه لما بين انه لا يسمعهم ولا يسمعهم قال له هؤلاء لا يسمعون الا الله فله يسمع من يشاء ولو كان صخرة صماء وأما أنت فلا تسمع من في القبور فاعلمك من حسابهم من شيء ثم قال تعالى (ان انت الانذير) بيان التسليية ثم قال تعالى (انما ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) فقال ان انت الانذير بين انه ليس بنذير من تلقا نفسه انما هو نذير باذن الله وارساله ثم قال تعالى (وان من امة الا اخلاصها نذير) تقرير الامرين (احدهما) التسليية قلبه حيث يعلم ان غيره كل مثله مخفلا لا يذوق القوم (والثاني) الزام القوم بقوله فانه ليس بدعا من الرسل وانما هو مثل غيره يدعي ما ادعاه الرسل ويقرره قوله تعالى (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) يعني انت جئتهم بالبينات والكتاب فكذبوك آذوك وغيرك ايضا اتاهم مثل ذلك وقلوا بهم ما فعلوا بك وصبروا على ما كذبوا فكذلك نازهم بأن من تقدمهم الرسل لم يعلم كونهم رسلا الا بالمعجزات البينات وقد آتاهم محمد صلى الله عليه وسلم (بالزبور والكتاب المنير) والكل آتيناها محمد دفهم ورسول مثل الرسل يلزمهم قبوله كالزم قبول موسى وعيسى عليهم السلام اجمعين وهذا يكون تقريرا مع اهل الكتاب واعلم انه تعالى ذكر امور ثلاثة اولها البينات وذلك لان كل رسول فلا بد له من معجزة وهي ادنى الدرجات ثم

انما يتفع انذارك وتحذيرك هؤلاء ٦ سا من قولك دون من عداهم من اهل القرد والعتاد (ومن تركي) أي تطهر من أوزار المعاصي بالانذار من هذه الانذارات (فانما يتري لنفسه) لاقتصار نفسه عليها كما ان من تدنس بها لا يتدس الا عليها وفري من أرى فانما يركي وهو

اعتراض مقرر لحديثهم وإقامتهم الصلاة لأنهم من معظم مبادئ التزكي (والإله الصير) لآل أحذقهم استقلالاً
أو أشد الكافهم على تركهم أحسن الجزاء (وهو المستوى الأعلى والبصير) أي الكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور)
أي ولا الباطل ولا الحق وجمع قطرات مع أفراد انشور بعدد قوتون ٢٢ الباطل واتحاد الحق (ولا الظل ولا الخور)

أي ولا الثواب ولا العقاب
وإدخال لأعني المتقاربين
لقد كبرني الاستواء
وتوسعت بهابيه حالاً أكبر
والحرور فقول من الحر
غالب على المغموم وقيل
المغموم ما يهب نهاراً
والحرور ما يهب ليلاً
(وما يستوى الأحياء ولا
الأموات) قيل آخر
المؤمنين والكافرين
أبلغ من القول والثبات
كرراً على أو وصية
الجمع في آخرتين تحسباً
للتباين بين أفراد الشريعتين
وقيل نزل للماء والجملة
(إن الله يسمع من يشاء)
أز يسمع دونه فله سامع
آياته وآلامه محسوسة (وما
أنت إلا سمع في النور)
ترسخ التبيين المصير
سبحي الكافر بالأموات
واتباع في الغطاء سايه
الصلاة والسلام
إيمانهم (إن أنت لا تدين)
ما عليك لا الإنذار وما
الاستماع البتة فليس
من وظائفك ولا حيلتك
إليه في المطبوع على قلوبهم
(أنأرسلنا الحق) أي
مخفين أو محتات أو أسالا
مخكو بالحق ويجوز أن

يتفق بقوله (بشيراً ونذيراً) أي بشيراً بالوعد الحق ونذيراً بالوعيد الحق (وان من أمة) أي في الإخراج
مأمناً من الأمم الدارجة في الأزمنة الماضية (الأخلا) أي مضى (فيها نذير) من نبي أو عالم ينذرهم والاكتفاء كرهه لعلم

بان التذارة قرينة البشارة لاسيما وقد اقترنا آتينا ولان الانذار هو الانسب بالمقام (وان يكذبوك) أي عوا على تكذيبك
فلا تبالي بهم ولا تتكسب بهم (وقد كذب الذين قد همم) أي ادعوا له جبهة وهم بالبيان (أي الخيرات الساهرة
الداخلة على نيتهم) (وبالزبر) أي كذبوا كذا وكذا (وان يوردوا) أي يوردوا على ارادة

الانجيل دون ان يلزم
ويجوز ان يرد بها
والعطف العار
التي ان (ثم احدث
شرب كثر) وضع
التي رسول موضعهم
التي من في حين الصلة
والتي شعار ملكه الامد
(وكيف كان) أي
التي بالقدرة والقدرة
من بدت يدته هو بل
التي (التي) استضاف
مستوفى لغير ما ذكره
من اختلاف احوال
الناس بيان ان الاختلاف
واختلاف امر مطرد
في جميع المخلوقات من
النبات والحيوان والجماد
والرؤية فليد أو لم
تعلم (ان الله ازل من
السموات ما اخرج جنابه)
بذلك الماء والافاق
لأنها ركال الاستقاء
بالعمل الموفى من الصنيع
الذي انبى عن كل
السرقة والكملة التي
تألفها أو اذهبا) أي
أجناسها أو أصنافها
على أن الامتياز بالذو
استضاف بغيرها هي كما
واشكالها أو أوانها
من الصفة والخصر

الاخراج فاستدل انتم ان نفسه بصيغة كالم وما دونه بصيغة المثلث (ان الله ازل من)
قال تعالى (ومن اجيب جسد بيض وجهر مختلف ألوانه) وفيه ابيض وسود ومن الشمس
والدواب والافاعي الخ (ألوانه كذا) كل قائلا قال اختلاف الثمرات لاختلاف
النبات الا ترى ان بعض الثمرات لا تملك بيض ابيض كذا كذا وغيره من الثمرات
اختلاف النواع ليس الا بالانواع والافاق من الجسد في موضع جهر وموضع
بيض والجسد جمع صفة وهي الخطأ في قدر بصفة في الزمان في موضع الجسد في قدر
تقول هي تحمل وجهين (أحدهما) ان تكون الاستضاف كأنه قال تعالى واخرج جنابه
بالله ثمرات بخلافه الألوان وفي التسمية الكائنات من الجبال بحد بيض والله على
القدرة رادة على من يذكر الارادة في اختلاف ألوان الثمار (ثانيا) ان تكون الاستضاف
تفسيرها وخلق من الجبال قال لرحمته اريد في جسد (والثاني) ان تكون الاستضاف
واما ذكر الارض كما قال في موضع آخر وفي الارض قطع متعديرات مع ان هذا المستوفى
من ذاك وذلك لان الله تعالى لما ذكر في الذوات اخرج جنابه ازل من كان نفس الخراج
التي رديلا على القدرة ثم زاد عليه انا وقت جسدنا في ذلك في نفسها ازل
القدرة والارادة لان كون الجبل في بعض نواحي الارض دون بعضها او اختلاف احوال
في هيئة الجبل فان بعضها يكون أخضر وبعضها ابيض ارفع دليل القدرة والاختيار ثم يات
بأننا وقال جسد بيض أي مع دلالاتها بغيرها هي دالة باختلاف ألوانها لكان الخراج
الثمار في نفسها لاختلاف ألوانها على (المسئلة الرابعة) بخلاف ألوانها في الظاهر
أن الاختلاف راجع الى كل لون أي بعض مختلف ألوانها وجهر مختلف ألوانها لار بعض
فديكون على لون الجسد وقد يكون على لون الثراب الابيض دون بيض الجسد وكذلك
الاسود او كان المراد ابيض الجهر مختلف الألوان امكن مجرد تأكيد والاول اول
وعلى هذا فقولنا ليدر مختلف ألوانها بعد البيض والتم والسود بل ذكره بعد البيض
والتم واخر السود اعرايب لان الاسود لما ذكره مع المؤكد وهو اعرايب يكون ما
غايبا السود فلا يكون فيها اختلاف (المسئلة الخامسة) قولنا ان اعرايب مؤكدة للاسود
يقال اسود غرايب والمؤكد لا يفي الامتياز فكيف جاء غرايب مسود تقول قد
التي غرايب مؤكدة لكون مقدر في الكلام كأنه تعالى قال اسود غرايب ثم اعماد
السود مرة أخرى وفيه فائدة وهي زيادة التأكيد لانه تعالى ذكره ضارا ومنه هراجه
من قال هو على القديم والتأخير ثم قال تعالى ومن الناس والدواب والافاعي استضاف
انتم على قدرته وارادته وكأن الله تعالى قسم دلائل الخلق في العالم الذي نحن فيه وهو
عالم المركبات قسمين حيوان وغير حيوان وغير الخواص والافاعي والافاعي
اشرف وأشار اليه بقوله فاخرج جنابه ثمرات ثم ذكر المعدل بقوله ومن الجبال ثم ذكر
الحيوان وندنا اشرف منها وهو الانسان فقال ومن الناس ثم ذكر الدواب ثم ذكر منها

والجمرة وغيرها وهو الاوفق لما في قوله تعالى (ومن الجبال جدد) أي ذوى بدائى خضراء وبلراني يقال جرة الجمار
للخضرة السوداء على طهره وقرى جدد بالضم جمع جديد بمعنى الجدد وجمع بفتحين وهو غريق الواحش (بعض
وجهر مختلف ألوانها) بالشدة والضعف

(وضرايت سود) عطف على بعض او على جند كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جند ومنها ما هو على لون واحد
هرايت وهو نأ كيد لاض يفسره ما يمد فان الغر يد تأ كيد لاسو كالفاقم للاصفر والناهي الاحمر ومن حق
النا كيد ان تبع النوكس نظره في المسفة قول الشافعة * والمؤمن * ٤٢ * انه ثبات الطير بمسحها * وفي مثله

من يدنا كيد لافقه من
الكرار باعتبار الانوار
والافقه ار (ومن الناس
والدواب والاعمال
تختلف ألوانه) أي
بعض مختلف ألوانه او
وبعض بهم مختلف ألوانه
على ما مر في قوله تعالى
ومن الناس من يتقوا
آيات الله ومن لا يتقون
المتقين مع مشارعها
ما قبلها من الجسفة
العلانية في افاستشهاد
بعضها على تبار
الناس في الاحوال
الباطنة لما ان اختلاف
الجبال والناس والدواب
والاعمال في اذكار من
الانوار احرى من رفع
عنه بما يدل على الانوار
وأما اخراج الترات
المتحدة فثبت كان أمرا
حادثا غير منه بما يدل
على الحدوث ثم لما كان
فيه نوع خفاء عاق به
ازو يف ثم يفريق
الاستفهام التقريري
الذي عن الحسن عليها
والترغيب فيها بخلاف
أحوال الجبال والناس
وغيرهما فانها شاهدة
غنية عن التأمل فذلك
جردت عن التعلق

بالرؤية فتدبر وقوله تعالى (كذلك) مصدر تشبيهي لقوله تعالى تختلف أي صفة لمصدره * الأصل *
المؤكد تقدير تختلف اخلافا كأنها كذلك أي كاختلاف النار والجبال وفري ألوانا وفري والدواب بالتخفيف
مبالغة في الهرب من الثناء الساكنين وقوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) تكلمة

لقولهم تعالينا نذكر الذين يخشون ربهم بالغيب تعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم
لما في الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل واما في الاوصاف الصورية فيطابق في التصريح ترفيع لكل واحدة منهما
حقها الثلاث بها من اتيان أي انما يخشاه تعالى في 100 في الغيب العالمون به عز وجل وما يلي من صفاته الجلية وأفعاله

الجلية لما ان مدار الخشية
معرفة الخشي والعزم
بشؤنه كما أعلم به
نماني كما أختي منه
عز وجل كما قال عليه
الصلوة والسلام انما
أخشاكم الله وأنفاكم له
والله كتب في كتابه
الجنة على كل قدرته
وحيث كان الكفرة
يعمل من هذه المعرفة
امتنع انذارهم بالكلية
وتقديم المفعول لان
المفرد وحصر الفاعلية
واو اخراته كس الامر
وقرى برفع الاسم
الجليل ونصب العلم
على أن الخشية مستعارة
للعظيم فان الماعظم
يكون مهيبا (ان الله
عز وجل غفور) تعليل
اوجوب الخشية لدلالته
على أنه معاقب للمصر
على طغيانه غفور الثابت
عن عصيانه (ان الذين
يتلون كتاب الله) أي
يذاومون على قراءته
او متابعة ما فيه حتى
صارت سمعاً لهم وعنوانا
والمراد بكتاب الله تعالى
القرآن وقيل جس
كتب الله فيكون كتابا
على الصدوقين من الامم

الاصل الثاني وهو الرسالة فقال والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق وأيضا كانه قد
ذكر أن الذين يتلون كتب الله وفيهم الله فقال والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق
تقرير للمؤمنين من الاجرم الثواب في تلاوة كتاب الله فانه حق وصدق في تلاوته محقق وحقق
وفي تفسيره مسائل (المسئلة الأولى) قوله من الكتاب يحتمل أن يكون لا بد من الغاية
كما يقال أرسل الى كتاب من الامراء والى وعلى هذا ما كتب يكن أن يكون المراد
منه الوحي المنفوظ يعني الذي أوحينا من الوحي المنفوظ اليك حتى لا يكون
المراد هو القرآن عن الارشاد والبيان الذي أوحينا اليك من القرآن ويحتمل أن يكون
المراد كما قال أرسل الى كتاب من الامراء والى وعلى هذا ما كتب يكن أن يكون المراد
هو الحق أكد من قول القائل الذي أوحينا اليك حتى من وجهين (أحدهما) ان يعرف
الخبر يشع على أن الامر في غاية الظهور لان الخبر في الذكر يكون نكرة لان الاختيار في
القالب يكون اعلاها بأوت أمر لا يعرفه السامع به الامر يعرفه السامع كقولنا زيدا
فان السامع ينبغي أن يكون عارفا زيدا ولا يعلم قيامه فيخبر بذلكا كالخبر ايضا معلوما
فيكون الاختيار للتبديد فبعد فان باللام كقولنا زيدا يعلم في هذه المديسة اذا كان علم
مشهورا (المسئلة الثالثة) قوله (مصدقا لما بين يديه) حال مؤكدة لكونه حقا
الحق اذا كان لا خلاف بينه وبين كتب الله يكون خائفا عن احتمال البطلان وفي قوله
مصدقاً تقرير لكونه وحيا لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر قارئاً كتاباً وأنى بيان
ما في كتب الله لا يكرر ذلك الا من الله تعالى وجواب عن سؤال الكفار وهو انهم كانوا
يقولون أن التوراة ورد فيها كذا والانجيل ذكر فيه كذا وكانوا يفترون من الشائث غيره
وكانوا يقولون بأن القرآن فيه خلاف ذلك فقال التوراة والانجيل لم يرق بهما وثوق
بسبب تغير كم في هذا القرآن ما ورد فيه ان كان في التوراة فهو حق وباق على ما نزل وان لم
يكن فيه يكون فيه خلافة فلهذا ليس من التوراة فالقرآن مصدق للتوراة (وفيه وجد
آمن) وهو أن يقال ان هذا الوحي مصدق لما تقدم لان الوحي لم يكن وجوده الكذب
موسى وعيسى عليهما السلام في انزال التوراة والانجيل فاذا وجد الوحي ونزل على
محمد صلى الله عليه وسلم علم جوازه ومصدق به ما تقدم وعلى هذا فبعد الطريقة وهي أنه تعالى
جعل القرآن مصدقاً لما مضى مع أن ماضى أيضاً مصدق له لان الوحي اذا نزل على واحد
جاز أن ينزل على غيره وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولم يجعل ما تقدم مصدقاً للقرآن لان
القرآن كونه معجزة يكفي في تصديقه بأنه وحى وأما ما تقدم فلا بد منه من معجزة تصدق
(المسئلة الرابعة) قوله (ان الله بعباده خبير بصير) فيه وجهان (أحدهما) انه تقرير
لكونه هو الحق لانه وحى من الله والله خبير عالم بالباطن بصير عالم بالظاهر فلا يكون
باطل في وجهه لافي الباطن ولا في الظاهر (وثانيهما) أن يكون جواباً لما كانوا يقولونه انه
لم ينزل على رجل عظيم فيقال ان الله بعباده خبير يعلم بواطنهم وبصير يرى ظواهرهم

بعد اقتصاص حال المكذبين منهم واسدال دافئ تبغ المصارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه
واستنباعهما لما سبأ من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحان المناصية مع كونه تمهيداً

ظاهرا على السبيل اليه كنه لا والقصود الترغيب في دين الاسلام والعمل بالقرآن الناصح لما بين يديه من الكتب فالعرض
ليان حقيقتها قبل انتساخها والاشباع في ذكر استناعاتها لما ذكر من انفاذ العظيمة بما يورث الرغبة في تلاوتها
والاقبال على العمل بها وتخصيص السلاوة لم ينسخ عنها باطلا ٤٦ قطعنا الباقي مشروعا على الناس الا نكتمها

يل من حيث انه حكم
انقران وأما تلاوته
فبما من المشروعية
والاشباع الاخرى
فان بر (واقاه والاصاوة
واقاه وانقرضواهم سر
وتلاوة) كنه ما تفق
من غير قصد اليه مسا
وقيل السيرة المستونة
والعلاوة في الفروسة
(يربون تجارة) تحصيل
نواب بالظن امة وهو
خير ان قوله تعالى
(ان يبور) أي ان
يكسبه وان تهلك
بالخسران أصلا صفة
البحارة حتى بها للدلالة
على انها ليست كسائر
التجارات النائرة بين
الربح والخسران لانه
استقر باق بفان والاخبار
بربائهم من اصحاب
الاكرمين عدة قطعية
بحصول مرجعهم وقوله
تعالى (يوفيه أجورهم)
متعلق بآن تبور على معنى
أنه يوفى عنها الكساد
وتتفق عند الله تعالى
ليوفيه أجور أعمالهم
(ويريدهم من فضله)
على ذلك من خزائن
رحمته ما يشاء وقيل
عصم رد عليه بحسب
تعليل لما قبل من التفاء
حال من ولا

ما خسر محمد علي السلام ولم يختر غيره فهو أصلح من الكل ثم قل تعالى (ثم أورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
ياذن الله) ثم اصح المفسر بن علي أن المراد من الكتاب القرآن وعلى هذا الذين
استطفينا هم الذين استوفوا بالكتاب وهم المؤمنون والظالم والمقتصد والسابق كلهم منهم
وبدل عنده قوله تعالى يثبت عدل يخلونها أخير بدشواهم الجنة وكلت أورثنا أيضا
تدرا على لان الايرات اذا كان بعد الايجاء ولا كتاب بعد القرآن فهو والموروث ولايرات
المراد منه الاصل ما به ذهبات من كان يده المعاني ويحتل أن يقال المراد من الكتاب هو
جنس الكتابية كما في قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات وبالكتاب المنير والمعنى
على هذا انما انصفتنا الكتاب الذين اصطفينا وهم الايمان ويدل عليه ان لفظ المصطفى على
الابتداء اطلاقا كثيرا ولا كسلك على غيرهم ولان قوله من هاد نادل على أن العباد أكابر
مكرمون بالاضافة اليه ثم ان المصطفين منهم أشرف منهم ولا يبق ممن يكون أشرف من
الشرف ان يكون ظالما مع أن لفظ الظالم أطلقه الله في كثير من المواضع على الكافر
وسمى اشرك ظالما وعلى الوجه الاول التفسير ظاهر بين معناه آيتنا القرآن لم آمن بمحمد
وأخذوا منه افتراء فوالله ظالم وهو لمسى ومقتصد وهو الذي خلط صالحا لحوار
سبا وسابق بالخيرات وهو الذي أخلص العمل لله وجرده عن السمات فان قال قائل
كيف قال في حق من ذكر في حق انه من عباد الله وأنه معطى انه ظالم مع أن الظالم يطلق على
الكافر في كثير من المواضع فنقول المؤمن عند المعصية يضع نفسه في غير موضعها فهو
ظالم لنفسه حال المعصية واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لا يرضى الزاني حين يرضى وهو
مؤمن ويصح هذا قول عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ظالمنا مقوله
وقال آم عليه السلام مع كونه مصطفى رينا ظلمنا أنفسنا وأما الكافر فيضع قلبه الذي
باعتبار الجسد في غير موضعه فهو ظالم على الاطلاق وأما قلب المؤمن فطاهر بالايمان
لا يضع في غير انفسه في الآلهة ولا يضع فيه غير محبة الله وفي المراتب الثلاثة أقوال
كثيرة (أحدها) ان الظالم هو اجمع السيئات والمقتصد هو الذي تساوت سيئاته وحسناته
والسابق هو الذي ترجعت حسناته (ثانيها) الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه والمقتصد
من تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير (ثالثها) الظالم هو الموحد بلسانه الذي
تخالقه جوارحه والمقتصد هو الموحد الذي يمنع جوارحه من الخسافة بالتكليف
والسابق هو الموحد الذي يسبه التوحيد عن اتوحيد (رابعها) الظالم صاحب الكبيرة
والمقتصد صاحب الصغيرة والسابق المعصوم (خامسها) الظالم اتلى للقرآن غير العالم به
والعالم بوجبه والمقتصد اتلى العالم والسابق اتلى العالم العامل (سادسها) الظالم
الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم (سابعها) الظالم اصحاب المشامة والمقتصد
اصحاب الخيفة والسابق السابقون المقربون (ثامنها) الظالم الذي يحاسب فيدخل النار

عصم رد عليه بحسب
تعليل لما قبل من التفاء
حال من ولا
ككتاب

وهو العرائ ومن للتبين أو الجنس ومن للتبعيض وقيل الاوح ومن للابتداء (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أى
أحمد مصدقا لما تقدم من الكتب المتعارفة حال مؤكدة لان حقيقته تستلزم موافقته اياه فى اعتقاده وأصول الاحكام
(ان الله يعبد بطريق بصير) محيط بواطن ٤٧ * أمورهم تطوارها ذكروا كان فى أحزابها ما يتناقض فيه قوله بوح

اليك مال هذا الحق المجع
الذى هو عار على سائر
الكتب وتقديم الخبر
للتبني على أن العبد
هى الامور الروحانية
(ثم أورنا الكتاب) أى
قصدنا في شرحه ذلك أو
نوره والتبني على الماضي
لنقرر وتحققه وقيل
أورناه من الامم السابقة
أى أخرنا عنهم أعطيتنا
(الذين أعطيتنا من
عبادنا) وهم نفعنا الامم
من العبادات ومن بعدهم
من يسرهم أو الامم
ياسرهم فان الله تعالى
أعطيتناهم على سائر
الامم وبعدهم أمم وسطها
ليكونوا شهداء على الناس
وأخمسهم بكر امم الانبياء
أى أفضل رسلهم عليهم
السلامة والسلامة
من طمورة ورأى
الكتاب مراعاته حق
رعايته قوله تعالى فتخلف
من بعدهم خلف ورثوا
الكتاب الآية (انهم
ظالم لنفسه) بالانصاف
فى العمل به وهو المرجأ
لامر الله (ومنهم مقتصد)
يعمل به فى أغلب الاوقات
ولا يخلو من خلط السيئ

والمقتصد الذى يحاسب فيدخل الجنة والسابق الذى يدخل الجنة من غير حساب
(ناسها) الظالم المصير على المعصية والمقتصد هو التام والتائب والسابق هو المقبول
التوبة (عاشرها) الظالم الذى أخذ القرآن ولم يعمل به والمقتصد الذى عمل به والسابق
الذى أخذ به وعمل به وبين الناس العمل به ففعلوا به بقوله فهو كامل ومكمل والمقتصد
كامل والظالم ناقص والخيار هو أن الظالم من خالف فذلك أو امر الله وأمره بترك ما نهى
فانه واضح للشيء فى غير موضعه والمقتصد هو المجتهد فى ترك الخالف وان لم يوفق لذلك وتندر
منه ذنب وصدر عنه ثم فانه اقتصد واجتهد وقصد الحق والسابق هو الذى لم يخالف
توفيق الله ويدل عليه قوله تعالى (يا ذا النور) أى اجتهد ووفق لما اجتهد فيه وفيما اجتهد
فهو سابق بالخير يقع فى قلبه فيسبق اليه قبل تسويل النفس والمقتصد يقع فى قلبه فتزده
النفس والظالم تعلبه النفس ونقول بعبارة أخرى من غلبته النفس الانعام وأمرته
فأطاعها ظالم ومن جاهد نفسه فغلب تارة وغلب أخرى فهو مقتصد ومن قهر نفسه فهو
السابق وقوله (ذلك هو الفضل الكبير) يحتمل وجوها (أحدها) التوفيق الذى لا يذل عليه
بقوله يا ذا الله ذلك هو الفضل الكبير (ثانيها) السبق بالخيرات هو الفضل الكبير
(ثالثها) الايات فضل كبير هذا على الوجد المشهور من التفسير أما الوجه الآخر وهو
أى يقال ثم أورنا الكتاب أى جنس الكتاب كما قال تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر
وبالكتاب المنير رد عنه أسئلة (أحدها) ثم التراخي وإتاء الكتاب بعد الانبياء الى محمد
صلى الله عليه وسلم يكرر فى المراتب كقوله ثم نقول معناه ان الله خير بصير خيرهم وأبصرهم
ثم أورنهم الكتاب كأنه قال تعالى انما علمنا البواطن وأبصر ما تنصوا من فاصطفتنا لعبادنا
ثم أورنهم الكتاب (ثانيها) كيف يكون من الانبياء ظالم لنفسه نقول منهم غير اجمع الى
الانبياء المستصفين بل المعنى ان الذى أوحينا اليك هو الحق وأنت المصطفى كما اصطفتنا
رسلا وأنبيناهم كتبنا ومنهم أى من قومك ظالم كفر بك وعما أنزل اليك ومقتصد أى بك
ولما أت بحسب ما أمرته به وسابق آمن وعمل صالحا (وثالثها) قوله جنات عدن يدخلونها
الداخلون هم المذكورون وعلى من ذكرتم لا يكون الظالم داخلنا نقول الداخلون هم
السابقون وأما المقتصد فأمره موقوف أو هو يدخل النار أولا ثم يدخل الجنة والبيان
لأول الامر للمابعة ويدل عليه قوله يحملون فيها من أساور من ذهب وقوله أذهب عنا
الحرن ثم قال (جنات عدن يدخلونها يحملون فيها من أساور من ذهب وواوواوا)
فيها حرير (وفى الداخلين وجوه) (أحدها) الاقسام الثلاثة وهى على قولنا ان الظالم
والمقتصد والسابق اقسام المؤمنين (والثاني) الذين يلبون كتاب الله (والثالث) هم
السابقون وهو أقوى لقرب ذكرهم ولانه ذكر اكرامهم بقوله يحملون فأكرم هو
السابق وعلى هذا فبدلت (الاول) تقديم التاعل على الفعل وتأخير المفعول عنه
موافق لترتيب المعنى اذا كان المفعول حقيقيا كقولنا الله خلق السموات وقول القائل

(ومنهم سابق بالخيرات يا ذا الله) فبل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم الداخلون على اقامة
مواجهة علما وعلا وتعليما وقوله تعالى يا ذا الله أى يفسره وتوفيقه تنبيه على رغبة مثال هذه الرتبة وصعوبة ما أخذها

وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الضالم المجرم والمقتصد الذي حاط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسنة عليه بحيث صادرت سيئته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام أما الذين سيوفوا فإني أدخلون الجنة برزقون فيها غير حساب وأما المقتصد فأولئك يحسبون حساباً ﴿٤٨﴾ يسبروا أما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك

يعبرسون في طول الخضر
ثم يتلقاهم الله تعالى
برحمته وقد روي أن عمر
رضي الله عنه قال وهو
على المنبر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سابقا
سابق ومقتصد سابقا
وخالفنا معوله (فذلك)
أشاره إلى السبق بالخبرات
ومافيه من معنى العهد
مع قرب العهد بالشارع
اليد الأشعار بعلورته
و بعد من المعنى الشرف
(هو الفضل الكبير)
من الله عز وجل لأننا
الآن وفيه تعالى (جنات
عدن) أما بين من أفضل
الأكبر بتعريف السبب
منه الماسب أو مبتدأ
شبه (يد خنود) وعلى
أول هو مستأنف وجمع
الغدير لأن المرادنا سابق
أبليس ونحوه من جنات
الباقيين وما بهم بالذكر
والسكوت عن الفريقين
الآخرين وإن لم يرد
على حرامهم من دخول
الجنة مطلقا لكن قيد
تجذير الهماس التقصير
وتحريرضا على السعي
في ادراك الشأ والسابقين
مفري جنات عدن

يدين الجدار فان الله موجود قبل كل شيء ثم له فعل هو الخلق ثم حصل به المفعول وهو السموات وكذلك زيد قبل البناء ثم الجدار من يائه واذا لم يكن المفعول حقيقا كقولنا زيد دخل الدار وضرب عمرا فان امدار في الحقيقة ليس مفعولا للداخل وانما فعل من أفعاله تحقق بالاسبة الى الدار وكذلك عمرو فعل من أفعال زيد متعلق به فسمى مفعولا لا يحصل هذا الترتيب ولكن الاصل تقديم الفاعل على المفعول ولهذا يعاد المفعول المقدم بالضمير تقول عمرا ضربه زيد فتوقع بعد الفعل بالهاء العائدة اليه وحسن يطول الكلام فلا يختار الحكيم الا الفائدة في الفائدة في تقديم الجنات على الفعل الذي هو الدخول واعادة ذكرها بانها في يدخلونها وما الفرق بين هذا وبين قول القائل يدخلون جنات عدن نقول السامع اذا علم ان له مدخلا من المداخل وله دخول ولم يعلم عين المدخل فاذا قيل له أنت تدخل فالى أن يسمع الدار أو السوق يبقى متعلقا قلب بأنه في أى المداخل يكون فاذا قيل له دار زيدت دخلها فذكر الدار يعلم مدخله وباعنده من العلم السابق بأنه له دخولا يعلم الدخول فلا يبقى له توقف ولا سيما الجنة والنار فان بين المداخل بونا بعيدا (الثاني) قوله يدخلون فيها إشارة الى سرعة الدخول فان التحلية أو وقت خارجا لكان فيه تأخير الدخول فقال يدخلونها وفيها تقع تحلية بهم (ثالث) قوله من أساور يجمع الجمع فانه جمع أسورة وهي جمع سوار وقوار واباسهم فيها حرير ليس كذلك لان أكثر من الالباس يدل على حاجة من دفع يد أو غيره والاكثر من الزينة لا يدل على الغنى (رابع) ذكر الاساور من بين سائر الخلق في كثير من المواضع منها قوله تعالى وحلوا أساور من فضة وذلك لانه الخلق بعشرين (أحدهم) الظاهر ان المتكلم غير مبتذل في الاشغال لان الخلق لا يكون من سائر الطيخ والغسل (وثنائهما) فمما راى السبعة من الاشياء والطهار القدر على التسمية وذلك لان الخلق ما بالآلئ والجواهر وما بالذهب والفضة والخلى بالجواهر والآلئ عين على ان المتكلم لا يعجز عن الوصول الى الاشياء الكثيرة عند الحاجة حيث لم يعجز عن الوصول الى الاشياء القليلة الوجود لا الحاجة والتكلم بالذهب والفضة يدل على أنه غير محتاج حاجة أصلية ولا يصرف الذهب والفضة ان دفع الحاجة اذا عرفت هذا فنقول الاساور تحملها الايدي وأكثر الاعمال بايد فانها لا تبس فاذا حليت بالاساور علم افراغ والذهب والآلئ إشارة الى التوفيق للذين منهم الخلق * ثم قال تعالى (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور) في الحزن أقوال كثيرة والاولى أن يقال المراد اذهب كل حزن والآلئ واللام الجنس واستمرافه واذهب الحزن بحصول كل ما يفي ببقاء دائما فان شئنا لم يحصل لكان الحزن موجودا بسببه وان حصل ولم يدم لكان الحزن غير ذاهب بعد سبب زواله وخوف فواته وقوله ان ربنا لغفور شكور ذكر الله عنهم أمورا كلها تفيد الكرامة من الله (الاول) الحمد فان الحمد مثاب (الثاني) قولهم ربنا فان الله لم يناد بهذا اللفظ الا واستجاب لهم اللهم الآن يكون المنادى

تفسيره انطاهر وقرئ يدخلونها على البناء المفعول (يحاول فيها) خبر قد
تغيرت على النصب تقول يفسره انطاهر وقرئ يدخلونها على البناء المفعول (يحاول فيها) خبر قد
تغيرت على النصب تقول يفسره انطاهر وقرئ يدخلونها على البناء المفعول (يحاول فيها) خبر قد

تبعضية والثانية بيانية أي يحلون به من أساور من ذهب كأنه أفضل من سائر أفرانها (ولؤلؤا) بالنصب عطفًا على محل من أساور وقرئ بالجر عطفًا على ذهب أي ٤٩ من ذهب مرصع بالؤلؤ أو من ذهب في صفاء اللؤلؤ

قد ضيع الوقت الواجب أو طلب ما لا يجوز كالدخول إلى الدنيا من الآخرة (الثالث) قولهم غشور (الرابع) قولهم شكور وانغفور إشارة إلى ما غفروا لهم في الآخرة بما وجدوا من الخير في الدنيا والشكور إشارة إلى ما غفروا لهم ويزيدونهم بسبب ما وجدوا لهم في الآخرة من الخير ثم تعالى (الذي أحلنا دار المقامة من فضله) أي دار الإقامة لما ذكر الله سرورهم وكرامتهم وتحليتهم وادخلناهم الجنة بين سرورهم ببقائهم فيها وأعلمهم بدوامها حيث قالوا الذي أحلنا دار المقامة أي الإقامة والمفعول ربنا يحيي الله سدر من كل باب يقال ماله معقول أي عسل وقال تعالى مدخل صدق وقال تعالى ومن قناتهم كل عرق كذلك يخرج الاستخراج وذلك لأن المصدر هو المفعول في الحقيقة فانه هو الذي فعل فبحار إقامة المفعول مقامه وفي قوله دار المقامة إشارة إلى أن الدنيا منزلتهم المذللون والكلف ويرحل عنها إلى منزلة القبور ومنها إلى منزلة العرصة التي فيها الجمع ومنها الشريق وقد تكون النار لبعضهم منزلة أخرى والجنة دار المقامة وكذلك النار لأهلها وقولهم من فضله أي بحكمه وعنده لا يجاب من عنده وقوله تعالى (لا يستأفوها نصب ولا يستأفوها لغوب) الغوب الإعياء والنصب هو السبب للإعياء فان قال قائل أفلا يراهم لا يستأفوها نصب فيها نصب علم أنه لا يستأفوها فيها لغوب ولا ينفي المتكلم الحكيم السبب ثم ينفي مسببه بحرف العطف فلا يقول أفاضل لأكلت وما شئت أولفت ولا مشيت والعكس كثير فانه يقال شجعت وأنا أكلت لما ان في الشيع لا يزيد الفتاة الأكل وما أق ما تقرر أن يقال لا يستأفوها إعياء ولا مسقة فمفعول ما قل الله في غاية الجلالة وكلام الله أجل وبيانه أجل ووجهه هو أنه تعالى بين مخالفة الجنة لدار الدنيا فافان الدنيا أما كنهم على قسمين (أحدهما) موضع تنفس فيه المشاق والتعب كإبراهيم وإسماعيل والطرقات والأراضي (والثاني) موضع يطهر فيه الإعياء كسكنى بيوت والمنساز التي في الأسفار من الخانات فان من يكون في مباشرة سفيل لا يظهر عليه الإعياء لا بعد ما يستريح يقال تعالى لا يستأفوها نصب أي ليست الجنة كأنواعهم التي في الدنيا مظان المشاق بل هي أفضل من الموضع التي هي مواضع مرجعهم فقال ولا يستأفوها لغوب أي ولا تخرج منها إلى مواضع تنصب ويرجع إليها فاستأفوها الإعياء وقرئ لغوب بفتح اللام والترتيب على هذه القراءة ظاهر كأنه قال لا نصب ولا يستأفوها نصب لذلك وهذا لأن أقوى السوى إذا قل ما تعبت اليوم لا يظفر من كلامه أنه ما عمل شيئًا جوار أنه عمل عملاً لم يكن بالنسبة إليه متعباً فاقوله فإذا قل ما سئى ما يصلح أن يكون متعباً بهم أنهم لم يعمل شيئاً لأن نفس العمل قد يصلح أن يكون متعباً بنفسه أو متعباً بسبب كثرة والغوب هو ما يذهب منه وقيل النصب التعب المرض وعلى هذا فحسن الترتيب ظاهر كأنه قال لا يستأفوها من ولا دون ذلك وهو الذي يعياهه مما يمر به ثم قال تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم) عطف على قوله أن الذين يتلون كتاب الله وما بينهما كلام يتعلق

(ولأنهم فيها حرير)
وتعير الاستلواي قد مر
سره في سورة فالح (وقالوا)
أي يقولون وصيغة الماضي
للفاء على التحقيق (الج)
لله الذي أذهب عنا
الحر (وهو ما أهمهم)
من خوف سوء العاقبة
ومن ابن عباس رضي
الله عنهما حرز الأعراس
والنقات وعند حرز
الموت وعن المنعك
حرز وسوسة إبليس وقيل
هم المعاص وقيل حرز
زوال النعم والظاهر أنه
الجنس المتكلم للجمع
أحران البرين والدنيا
وقرئ الحزن وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ليس على أهل لا اله الا الله
وحشة في قبورهم ولا في
مخبرهم ولا في مسيرهم
وكأنى بأهل لا اله الا الله
يخرجون من قبورهم
يلبسون التراب ين
وجوههم ويقولون
الحمد لله الذي أذهب عنا
الحر (أن ربنا الغفور)
أي للمؤمنين (شكور)
للمطيعين (الذي أحلنا)
دار المقامة (أي دار الإقامة)
التي لا يقال عنها أبد

(من فضله) من انعامه ونفضله من غير أن
فيها لغوب (كلال) للمفرق بينهما

أن الذئب نفس المشقة والكلفة والافقوب ما يحدث منه من القنور والتصر يحث في الثاني مع استنزام في الاول له وتكرير الفصل
المتنق للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما (والذين كفروا ﴿٥٠﴾ لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) لا يحكم عليهم

بموت ثمان (فيوتوا) ويستريحوا ونصبه باضمار
أن وقرى فتوتون
قطعا على يقضى قوله
تعالى ولا يؤذونهم
فيستدرون (ولا يخفف
عنهم من عذابها) بل
كما خيفت زيدا سارها
(كذلك) أي مثل ذلك
الجزاء القطيع (يجرى
كل كفور) مبالغ في الكفر
أو الكفران لاجزاء أخف
وأدنى منه وقرى تجرى
على البناء المفعول واستاده
الى الكل وقرى يجازى
(وهم يصطرون
فيها) يستغيثون
والاصطراخ اذ مال من
الصراخ استمع في الا
ستغاثه لجهل المستغيث
صوته (ربنا أخرجنا من
صالحا غير الذي كنا
نعمل) باضمار القول
وتقييد العمل الصالح
بالوصف المذكور
المحصر على ما عملوه من
غير الصالح والاعتراف به
والاشعار بان استخراجهم
للا فيه وانهم كانوا
يحسبونه صالحا والآن
تبين خلافه وقوله تعالى

بالذين يتلون كتاب الله على ما بينا وقوله جنات عدن يدخلونها وذكرنا انه على بعض
الاقوال راجع الى الذين يتلون كتاب الله * ثم قال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا) أي
لا يستريحون بالموت بل العذاب دائم (ولا يخفف عنهم من عذابها) كذلك تجزى كل
كفور (أي النار) وفيه لسان (الاولى) ان العذاب في الدنيا ان دام كثير يقتل فان لم
يقتل يعتاده البدن ويصير من اجا فاسدا متكنا لا يحس به العذاب فقال عذاب نار
الآخرة ليس كعذاب الدنيا اما ان يقضى واما ان يألفه البدن بل هو في كل زمان شديد
والعذاب فيه دائم (الثانية) راعى الترتيب على أحسن وجه وذلك لان الترتيب أن
لا يقطع العذاب ولا يستريحون ولا يقطعون ولا يقطعون ولا يقطعون وهو الموت حتى يمتن
الموت ولا يجابون كما قال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك أي بالموت (الثالثة) في
المعنيين اكنى بأنه لا يقضى عذابهم ولا يقل تزيدهم عذابا وفي المشايين ذكرنا ان زيادة بقوله
ويزيدهم من فضله ثم لما بين ان عذابهم لا يخفف قال تعالى (وهم يصطرون فيها) أي
لا يخففون وان اصطرخوا واضطرخوا لا يخفف الله من عذابنا ما لم نلجأ الى أن يطالبوا بل يطالبون
ولا يجذبون والاصطراخ من الصراخ واصراخ صوت المعذب وقوله تعالى (ربنا أخرجنا)
أصراخهم بهذا أي يقولون ربنا أخرجنا لان صراخهم كلام وفيد اشارة الى ان
ايلاهم تعذب لا تأديب وذلك لان المؤدب اذا قال نوبه لا يرجع الى ما فعلت وينسأ
فعلت يتركه وأما المؤدب فلا وترتبه حسن وذلك لانه لما بين انه لا يخفف عنهم بالكلية
ولا يصفو عنهم انه لا يقلل منهم وعذاب هذا لان المعبوس يصبر الله يخرج من غير سؤال
فاذا طال لبثه تطالب الاخراج من غير فطبعة على نفسه فان يفده يقع على نفسه
قطعة ويقول اخرجني أقبل كذا وكذا واعلم ان الله تعالى قديس ان من يكون في الدنيا
ضالافهو في الآخرة ضال كما قال تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ثم
اذهم لم يعلموا ان العود الى الدنيا بعيد محال يحكم الاخبارون على هذا قالوا (نعمل صالحا)
جازمين من غير استعانة بالله ولا مشاورة فيه ولم يقولوا ان الامر بيد الله فقال الله لهم اذا
كان اعتمادكم على أنفسكم قد عمركم مقدارا عكس التذكير فيه والانيان بالانسان
والاقبال على الاعمال وقولهم (غير الذي كنا نعمل) اشارة الى ظهور فساد عملهم لهم
وكان الله تعالى كلم يهدهم في الدنيا لم يهدهم في الآخرة فاقالوا ربنا زدنا للمحسنين
حسنات بفضلك لا بمعملهم ونحن أحوج الى تخفيف العذاب منهم الى تضعيف الثواب
فافعل يا مانت أهله نظر الى فضلك ولا تفعل يا مانت أهله نظر الى عذابك وانظر الى
مغفرتك الهاطلة ولا تنظر الى معذرتنا الباطلة وكما هدى الله المؤمن في الدنيا هدا في
العقبى حتى دعاه بأقرب دعا الى الاجابة وأثنى عليه بأطيب ثناء عند الانابة فقالوا الحمد لله
وقالوا ربنا غفور اعترافا بتقصيرهم شكورا قرارا بوصول مالم يخطر ببالهم اليهم وقالوا
أحلتنا دار المسامة من فضله أي لا عمل لنا بالنسبة الى نعم الله وهم قالوا أخرجنا نعمل صالحا

انحصارنا

(أولهم لم يأتوا بقرينة من تدرك) جواب من جهة تعالى وتوحيجهم والهمزة لانكاروا الشيء وانواو للعطف على مندر يقتضيه المقام وما ذكره موصوفه هو (كقوله أي ألم تهلكم أو أمتنقوكم ولم نعمركم عرأيتكم كرفيه من تذكر أي يمكن فيه المذكر

من التذكروا والفكر قيل هو أربعون سنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما استون سنة وروى ذلك عن علي رضي الله عنه وهو الصبر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم قال عليه الصلاة والسلام أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى (وجاءكم النذير) عطف على الجملة الاستفهامية لأنها في معنى قد علمناكم كافي قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووعظنا الخ لا في معنى قد شرحتنا الخ والمراد بالتدبير رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ما معه من القرآن وقيل الفعل وقيل الشيب وقيل موت الأقارب والاقتصار على ذكر النذير لأنه الذي يقتضيه المقام والقاء في قوله تعالى (فقد و قوا) لترتيب الأمر بالدوق على ما قبلها من التعمير ومحى النذير وفي قوله تعالى (فما الظالمين من نصير) للتعليل

انما ضاف في حق تعظيمه واعراضا عن الاعتراف بمعجزهم عن الإتيان بما يناسب عظمتهم أنه تعالى بين أنه آتاهم ما يتعلق بقبول المحل من العمر الطويل وما يتعلق بالفاعل في المحل فإن النبي صلى الله عليه وسلم كفاعل الخبر فيهم ومظهر السعادات فقال تعالى (أولهم لم يأتوا بقرينة من تدرك وجاءكم النذير) فإن المانع إما أن يكون فيهم حيث لم يأتوا بقرينة من تدرك فيهم ما يشهدهم حيث لم يأتوا بقرينة من تدرك فيهم ما يشهدهم (فقد و قوا) فمما لا يظلمون من نصير) وقوله قد و قوا إشارة إلى الدوام وهو أمر اهانة فاما الظالمين الذين وضعوا أعمالهم وأقوالهم في غير موضعها أتوا بالمعارضة في غير وقتها من نصير في وقت الحاجة ينصيرهم قال بعض الحكماء قوله فاما الظالمين من نصير وقوله وما يظلمون من أنصار محتمل أن يكون المراد من الظالم الجاهل جهلا من كبارهم هو الذي اعتد بالباطل حقا في الدنيا وما له من نصير أي من علم يتعمد في الآخرة والذي يدل عليه من الله تعالى سعي البرهان سلطانا كما قال تعالى فأتوا بسطان أقوى ناصر ذو الوفاء والولاية وكلاهما ينصير والحق التعميم لأن الله لا ينصير وليس غير نصير فإفهامهم من نصير أصلا ويمكن أن يقال إن الله تعالى قال في آل عمران وما يظلمون من أنصار وما يظلمون من نصير الله وما لهم من نصير بن وقال فاما الظالمين من نصير أي هذا وقت كونهم واقعين في النار فقد أيسر كل منهم من كثير ممن كانوا يتوقعون منهم النصرة ولم يبق إلا توقعهم من الله فقال ما لكم من نصير أصلا وهناك كان الأمر محكما في الدنيا أوفى أوائل الحشر فنفى ما كانوا يتوقعون منهم النصرة وهم آلهتهم ثم قال تعالى (إن الله عالم غيب السموات والأرض) أنه عليم بذات الصدور) تقرير الدوامهم في العذاب وذلك من حيث أن الله تعالى لما قال وجعلنا من قبلهم آياتنا على كل شيء مثلا ولا يزالون عليها فلو قال قائل الكافر ما كفر بالله إلا بما معه ردة فكان ينبغي أن لا يعذب الأمثل تلك الأيام فقال تعالى إن الله لا يخفى عليه غيب السموات فلا يخفى عليه ما في الصدور وكان يعلم من الكاذبان في قلبه تمكن الكفر بحيث أوداهما إلى لا بد لما أطاع الله ولا عبده وفي قوله تعالى بذات الصدور مسئلة قد ذكرناها مرة ونعدها أخرى وهي أن نقول الصدور هي ذات اعتقادات وظنون فكيف سعى الله الاعتقادات بذات الصدور ويقرر السؤال قولهم أرض ذات أشجار وذات جن إذا كان فيها ذلك فكذلك الصدور فيه اعتقاد فهو ذو اعتقاد فيقال له لما كان اعتبار الصدور بما فيه صار ما فيه كاسا كن المالك حيث لا يقال الدار ذات زيد ويصح أن يقال زيد ذو دار وما وإن كان هو فيها ثم قال تعالى (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) تقرير القطع بحتمهم فأنهم لما قالوا ربنا أخرجنا مما عمل صلحا وقال تعالى أولم نعمركم ما يتذكر إلى أن التمكن والامهال مدة عكس فيها المعرفة قد حصل وما آتاهم وزاد عليه بقوله وجاءكم النذير أي آتيناكم عقولا وأرسلنا إليكم من يؤيد المعقول بالدليل المتقول زاد على ذلك بقوله تعالى هو الذي جعلكم خلائف في الأرض أي نبهكم عن مضي

(إن الله عالم غيب السموات والأرض) بلاضافة وفري بالتووين ونصب غيب على المعنوية أي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه أحوالهم

(انه سليم بذات الصدور) قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات الصدور هي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها (هو الذي جعلكم خلائف في الارض) يقال المستخلف خليفة وخليف $\{ ٥٢ \}$ والاول يجمع خلائف والثاني

وحال من انقضت فادركم لو لم يحصل لكم علم بان من كذب الرسل اهلك فكان عندكم اخفى
 ونسبكم اخفا لكن امة هتتم وعزيموا امرهم على اسنان الرسل با امرهم وجعلتم خلاف
 في الارض اى خليفة بعد خليفة تعلمون حال الماضين وتصبحون بحالهم راضين (فن كفر)
 بعد هذا (فويله كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقنا) لان الكافر
 السابق كل سمواتنا كما عهد الذي لا يتقدم سيدنا الا حق الذي انذره الرسول ولم ينتبه
 امقت كالعبد الذي ينصحه الصالح واسره بخدمة سيده وبعده وبوعده ولا يشغله
 النصح ولا يسعده والتالى اهم الذي رأى عذاب من تقدم ولم ينش عذابه امقت الكل
 ثم قال تعالى (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) اى الكفر لا يرفع عند الله حيث
 لا يزيد الا المقت ولا يرفعهم فى أنفسهم حيث لا يرفعهم الا الخسار فان الامر كرأس عال
 من اشترى به رضا الله ربح ومن اشترى به سخفه خسر ثم قال تعالى (ول رأيتكم
 شركاء كما الذين يدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات
 ام آتيناهم كتابا هم على بينة عند بل ابعد الظالمون بعضهم بعضا عن غرورا) تقريرا
 للتوحيد وايضا الا لشرك وقوله ارايتكم الراد منكم اى لان الاستغناء يستدعى
 جوابا بقول ارايت ماذا فعل زيد فتقول السامع يا زيدا واشترى والله لا تضنه معنى
 اخبرنى والا فلا كان الجواب الا به لا اؤنهم وقوله شركاء كما انما اضاف لشركاء اليهم من
 حيث ان الانسان فى الملة قد امكن شركاء الله وانما جعلوا شركاء فقال شركاء كما
 اى الشركاء يجعلكم ويحقق أن يقال شركاءكم اى شركاءكم فى النار ائونه انكم وما
 تعبسون من دون الله حصص جهنم وهو قريب ويحتمل ان يقال هو بعد الاتفاق المفسرين
 على الاول وقوله اروني يدل عن ارايتكم لان كليهما يفيد من اخبروني ويحتمل أن يقال
 قوله ارايتكم استهزام حقيقى واروني امر تعجيز للتبيين فانما قل ارايتكم بمعنى اعلمت هذه التى
 تدعونها غايى وعلى ما هي عليه من العجز او تنوهم وفيها قدرة فان كنتم تعلمونها عاجزة
 فكيف تعبسونها وان كان وقع لكم ان لها قدرة ااروني قدرتها فى اى شىء هي اهى فى
 الارض كما قال بعضهم ان الله اله السماء وهؤلاء آلهة الارض وهم الذين قاوا امور
 الارض من الكواكب والامنام صورها ام هي فى السموات كما قال بعضهم ان السماء
 خلقت باستعانة الملائكة والملائكة شركاء فى خلق السموات وهذه الاصنام صورها ثم
 قدرتها فى الشفاعة لكم كما قال بعضهم ان الملائكة ما خلقوا شيئا ولكنهم مقررون عند
 الله فتعبدوا ليشعروا بما فعل معهم كتاب من الله فبذنه لهم بالشفاعة وقوله ام آتيناهم
 كتاباى لعائليه النصير وجهان (أحدهما) انه طائفة الشركاء اى هل آتيناهم الشركاء
 كتابا (وثانيهما) انه طائفة المشركين اى هل آتيناهم المشركين كتابا وعلى الاول فعناه
 ما ذكرنا اى هل مع ما جعل شركاء كتاب من الله فيه أن له شفاعة عند الله فان أحدا
 لا يشفع عنده الا بآذنه وعلى الثاني معناه ان عبادة هؤلاء اما بالعقل ولا عقل لمن يعبد من

(قل) نيكيتا لهم (أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أى آلهتكم والاضافة اليهم ^{لأنهم} جعلوهم شركاء لله تعالى من غير أن يكون له أصل ما أصلا

وقيل جماعهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه ويأبىه سابق النظم الكريم وسياقد (أروني ماذا خلقوا من الارض) بابل اشتغال
من أرايتهم قبل كأنهم عن شركائكم ﴿٥٣﴾ أروني أي جربوا خلقوا من الارض (أملهم شركاء في السموات)

أي أم الله شركاء مع الله
سبحانه في خلق السموات
لستحقوا بذلك شركة
في الانوثة ذاتية
(أم آياتهم كتابا) ينطق
بأننا اتخذناهم شركاء
(فهم على بينة منه)
أي حجة على هره
من ذلك الكتاب بأن
هم شركاء جعلت
ويجوز أن يكون ضمير
آياتهم لشركائهم كافي
قوله تعالى أم آياتهم
سلطانا ملح وفري على
يئات وفيه إيحاء إلى أن
الشركاء هم خطير لا يد
في إثباته من تعاضد
السلطان (بل إن بعد
الظالمون بعضهم بهذا
الافرورا) لما في أنواع
الجميع في ذلك اشرب
عنه بدكر ما جعلهم عليه
وهو تغرير الاسلاف
لا خلاف واضلال
الرؤساء لاتباع بانهم
شفعاء عند الله يشعرون
لهم بانقر يب اليه
(ان الله يمسك السموات
والارض أن تزولا)
استئناف مسوق لبيان
غاية قبح الشرك وهوله
أي يسكنهما أراهة

لم يخلق من الارض جزءا من الاجزاء ولا في السماء شيئا من الاشياء واما بالنقل ونحن
ما آتينا المشركين كتابا فيه أمرنا بالسجود لهؤلاء وأمرنا بالجزاء كما أمرنا بالسجود لهؤلاء
والى جهة الكعبة فهذه العبادة لاعقلية ولا نفعية فوجد بعضهم بعضا ليس الا فرورا
فذهب الشيطان وزين لهم عبادة الاصنام ثم لما بين انه لا خلق للاصنام ولا قدرة لها ولا على
جزء من الاجزاء بين ان الله قدس بقوله (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) ون
زالتان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا) ويحتمل ان يقال لما بين شركهم
قال مقتضى شركهم زوال السموات والارض كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن
منده وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أريدوا الرحمن وأداو يدل على هذا قوله تعالى في
آخر الآية انه كان حليما غفورا كان حليما ما ترك تعذيبهم الا حثما والاكوا يستهتون
اسباط السماء وانطابق الارض عليهم وانما أخرزاله السموات إلى قيام الساعة حثما
وتحتمل الآية وجهان الاول وهو أن يكون ذلك من باب التسليم والنيات المطلوب على تقدير
التسليم أيضا كأنه تعالى قال شركاءكم ما خلقوا من الارض شيئا ولا في السماء جزءا ولا
قدروا على اشفاعته ولا عبادة لهم وهب انهم فعلوا شيئا من الاشياء فهل يقدرون على
امساك السموات والارض ولا يمكنهم القول بانهم يقدرون لانهم ما كانوا يقولون به كما
قال تعالى عنهم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ويؤيد هذا قوله تعالى
زالتان أمسكهما من أحد من بعده فإذا بين أن لا معبود الا الله من حيث ان غيره
لم يخلق من الاشياء وأما الكافر بأمر غيره خلق فخلق مثل ما خلق فلا شك انه
كان حليما غفورا حليما حيث لم يجعل في اهلاكهم بعد اضرارهم على اشراكهم وغفورا
بمقرئ تائب ويرجوه وان استحق العقاب ثم قال تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن
بناهم نذير ان يكون أهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في
الارض ومكر السيئ ولا يخفى المصير السيئ الا بالله) لما بين انكارهم التوحيد ذكر
تكذيبهم للرسول ومباغتهم فيه حيث انهم كانوا يقسمون على انهم لا يكذبون الرسول اذا
بين لهم كونهم رسلا وقاتلوا انما تكذب محمد صلى الله عليه وسلم لكونه كاذبا واثبتنا
كونه رسولا كما قال تعالى عنهم وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية لؤمنن
بها وهذا مباغاة منهم في التكذيب كان من ينكر دين انسان قد يقول والله لو علمت ان له
شيئا على قضيتي وزدت له اظن ان يكونه مطايا باطل فكذلك هم ناعندوا وقالوا والله
أوجاءنا رسول لكننا أهدى الامم فلما جاءهم نذير رأى محمد صلى الله عليه وسلم جاءهم أي صبح
مجيئه لهم بالبين ما زادهم الا نفورا فانهم قبل الرسالة كانوا كافرين بالله وبعد ما صاروا
كافرين بالله ورسوله ولا نهم قبل الرسالة ما كانوا معذيين كما صاروا بعد الرسالة وقال
بعض المفسرين ان أهل مكة كانوا يلعنون اليهود والنصارى على انهم كذبوا برسلهم لما
جاءهم وقالوا الوجاءنا رسول لا طعننا واتبعناه وهذا فيه اشكال من حيث أن المشركين

زوالهما أو تبعهما أن تزولا لان الامساك من (ولئن زالتان أمسكهما) أي ما أمسكهما (من أحد من بعده) من بعد
امساككم تعالى أو من بعد الزوال

والجمله سادة الجوابين ومن الاولى مزيدة لنا كيد العموم والثانية للايتداء (انه كان جليلا غفورا) غير معاجل
بالعفو بقاالى تستوجبها جنباياتهم حيث أمسكهم كما كانتا يدبرين ﴿ ٥٤ ﴾ بان تهدها احسبا قال تعالى تكاد السموات

كانوا منكروين بالرسالة والحشر مطلقا فكيف كانوا يعترفون بالرسالة فمن أين عرفوا ان
اليهود كذبوا وما جاءهم كتاب واولا كتاب الله وبيان رسوله من أين كان يعلم المشركون
انهم صدقوا شيئا وكذبوا في شيء بل المراد ما ذكرنا انهم كانوا يقولون نحن نوحى لوجهنا رسول
لا نتكبر وانما نتكبر كون محمد رسولا من حيث انه كاذب ولو صح كونه رسولا لا متنا قوله
فلما جاءهم أى فلما صح لهم بحجة بالهجرة وفي قوله أهدي وجهان (أحدهما) أن يكون
المراد أهدي مائحين عليه وعلى هذا قوله من إحدى الأمم التبيين كما يقول القائل زيد
من المسلمين ويدل على هذا قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا أى صاروا أضل
مما كانوا وكانوا يقولون نكون أهدي (وثانيهما) أن يكون المراد أن نكون أهدي من
أحدى الأمم كما يقول القائل زيد أوى من عمرو وفي الأمم وجهان (أحدهما) أن يكون
المراد العموم أى أى أحدى الأمم وفيه تعريض (وثانيهما) أن يكون المراد
تعريف العهد أى أمة محمد موسى وعيسى ومن كان في زمانهم ثم قال تعالى استكبارا في
الأرض ونصبه يحتمل ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون حالا أى مستكبرين في الأرض
(وثانيها) أن يكون مفعولا له أى للاستكبار (وثالثها) أن يكون بدلا من النفور وقوله
ومكر السبي إضافة الجنس الى نوعه كما يقال علم الفقه وسرفة الحدادة وتحقيقة أن يقال
معناه ومكروا مكراسيئهم عطف اظهري مكرهم ثم ترك التعريف باللام وأضيف الى
السبي لكون السوء فيه أبين الامور ويعمل ان يقال بأن المكر يستعمل استعمال
العمل كما ذكرنا في قوله تعالى والذين يعمرون السبائات أى يعملون السبائات ومكرهم
السبي وهو جميع ما كان يصدر عنهم من القصد الى الايتداء ومنع الناس من الدخول في
الايان واظهار الانكار ثم قال ولا يحق المكر السبي الأياهله أى لا يحيط الابغاضه وفي
قوله ولا يحق وقوله الأياهله فواثما قوله بتحقيق دهي أنها نذير عن الاطاعة التي هي
فوق اللعوق وفيه من التحذير ما ليس في قوله ولا يلحق أو لا يصل وأما في قوله يا له فقيه
ما ليس في قول القائل ولا يحق المكر السبي الأياهله كذا لا يأمن من السبي فان من أساء
ومكره سبي آخر قد يلحقه جزاء على سببه وأما إذا لم يكن سبي فلا يكون أهلا فيأمن المكر
السبي وأما في النفي والاثبات ففائدته الحصر بخلاف ما يقول القائل المكر السبي بتحقيق
بأهله فلا ينبغي عن عدم الحقيق بغير أهله فان قال قائل كثير ما نرى ان الماكر يكر ويفده
المكر ويغلب الخصم بالذكرو الآية تدل على عدم ذلك فنقول الجواب عنه من وجوه
(أحدها) ان المكر المذكور في الآية هو المكر الذي مكروه مع النبي صلى الله عليه وسلم
من العزم على القتل والاخراج ولم يحق الايهم حيث قتلوا يوم بدر وغيره (وثانيها) هو ان
تقول المكر السبي عام وهو الاصح فان النبي عليه السلام نهى عن المكر وأخبر عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لا تتكروا ولا تعينوا مائرا فان الله يقول ولا يحق المكر السبي
الأياهله وعلى هذا فذلك الرجل المذكور به يكون أهلا فلا يرد نقضا (وثالثها) ان الامور

يتفطن منه ونشق
الأرض وقرى ولوزالتا
(واقصوا بالله جهد
أيانهم اثن جاءهم نذير
ايكون أهدي من احدى
الأمم) بلغ قرى شاقيل
مبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان أهل
الكتاب كذبوا رسالهم
فقتلوا عن الله اليهود
والنصارى أسهم الرسل
فكذبوا هم فوالله اثن
أما رسول الكون
أهدي من احدى الأمم
اليهود والنصارى
وغيرهم أو من الأمة
اننى يقال انها احدى
الأمم تفصيلا لها الى
غيرها في النهدي
والاستقامة فلما جاءهم
نذير) أى نذير أشرف
الرسول عليهم الصلاة
والسلام (ما زادهم)
أى النذير أو بحجته
(الانفورا) تباعدا
عن الحق) استكبارا
في الأرض بدل من نفور
أو مفعول له (ومكر
السبي) أسله وأن
مكروا السبي أى
ثم ومكر السبي وقرى
يسكون المهر في النوصل
ولعله اختلاس ظن سكونا أو وقفة حفيقة وقرى مكراسيا (ولا يحق المكر السبي الأياهله)

فهل ينظرون) أي ما ينتظرون (الاسنة ٥٥) (الاولين) أي سنة الله فيهم تعذيب مكذبهم (فلن تجد لسنة الله

تديلا) بأن يضع موضع
العذاب غير العذاب
(ولن تجد لسنة الله
تحويلا) بأن ينقله من
الكاذبين الى غيرهم
وانشاء لتعليل ما يفهمه
الحكمم بانظارهم العذاب
من بحسنة ونفي وجدان
التبديل والتحويل
عبارة عن نفي وجودهما
بالطريق البرهاني
وتخصيص كل منهما
بنفي مستقل لا كيد
انتفاهما (أولم يسيرا
في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم) استشهداد
على ما قبله من جريان
سنة تعالى على تعذيب
المكذبين بما يشاهدونه
في مسيرهم الى الشام
واليمن والعراق من
آثار دمار الامم الماضية
العابية والهيرة للانكار
والنفي والواو لا عاطف
على مقدر يليق باقام
أى أقدموا في مساكنهم
ولم يسيرا في الارض
فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم
(وكانوا أشد منهم
قوة) واطول أعصارا
فانفعهم طول المدى وما أغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النص على الحالة

بموافقها ومن مكر به غيره ونفذ فيه المكر عاجلا في الظاهر في الحقيقة هو القارز والمماكر
هو الهالك وذلك مثل راحة الكافر ومشقة المسلم في الدنيا وبين هذا المعنى قوله تعالى
فهل ينظرون الاسنة الاولين يعني اذا كان لمكرهم في الحسب رواج فاعاقبه بالقوى
والامور بخواتيمها فيهلكون كما هلك الاولون * وقوله تعالى (فهل ينظرون الاسنة
الاولين) أي ليس لهم بعد هذا الانتظار الاهلاك وهو سنة الاولين وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) الاهلاك ليس سنة الاولين انما هو سنة الله بالاولين فتقول الجواب
نعم من وجهين (أحدهما) أن المصدر الذي هو المفعول المطلق يضاف الى الفاعل
والمفعول لتعلقه بهما من وجه دون وجه فيقال فيما اذا ضرب زيد عرا تجبت من
ضرب عمرو كيف ضرب مع ماله من العزم والقوة وعجت من ضرب زيد كيف ضرب مع ماله
من العلم والحكمة فكذلك سنة الله بهم أضافها اليهم لانها سنة سنتهم وأضافها الى
نفسه بعدها بقوله (فلن تجد لسنة الله تديلا) لانها سنة من سنن الله اذا علمت هذا فتقول
أضافها في الاول اليهم حيث قال سنة الاولين لان سنة الله الاهلاك بالاشراك والاكرام
على الاسلام فلا يعلم انهم ينتظرون أيها فإذا قال سنة الاولين تميزت وفي الثاني أضافها
الى الله لانها لما علمت فلاضافة الى الله تعظيمها وتبين أنها امر واقع ليس لها من دافع
(وثانيهما) ان المراد من سنة الاولين استمرارهم على الانكار واستكبارهم عن الافراد
وسنة الله استئصالهم بإصرارهم فكأنه قال انتم تريدون الاتيان بسنة الاولين والله يأتي
بسنة لا تبديل لها ولا تحويل عن مسحةها (المسئلة الثانية) التبديل تحويل فالحكمة
في التكرار نقول بقوله فلن تجد لسنة الله تديلا حصل العلم بان العذاب لا تبديل له بغيره
وبقوله (ولن تجد لسنة الله تحويلا) حصل العلم بان العذاب مع انه لا تبديل له بالثواب
لا تحويل عن مسحة الى غيره فبتم تهديد المسمى (المسئلة الثالثة) المخاطبة بقوله فلن تجد
يضمحل وجهين وقد تقدم مرارا (أحدهما) ان يكون عاما كأنه قال فلن تجد أيها السامع
لسنة الله تديلا (والثاني) ان يكون مع محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فكأنه قال
سنة الله انه لا يهلك ما بقي في القوم من كتب الله ايمانه فاذا آمن من في علم الله انه يؤمن
بذلك الباقيين كما قال نوح انك ان تدرهم أي تعمل الامر وجاء وقت سنك * ثم قال تعالى
(أولم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة)
لماذا كرر ان الاولين سنة وهي الاهلاك نبههم بتذكير حال الاولين فانهم كانوا مارين
على ديارهم راينين لآثارهم واعلمهم كان فوق علمهم وعلمهم كان دون علمهم اما الاول
فلطول أعمارهم وشدة اقتدارهم واما علمهم فلانهم لم يكذبوا مثل محمد ولا يمجداوا انهم
يا أهل مكة كذبتم محمد او من تقدمه قوله تعالى وكانوا أشد منهم قوة قد ذكرناه في سورة
الروم بقى فيه اباحت (الاول) قال هناك كانوا أشد من غير واو وقال ههنا بالواو والفرق
نقول قولنا قال امارأيت زيدا كيف أكرمني وأعظم منك يفيد ان القائل يخبره بان زيدا

فانفعهم طول المدى وما أغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النص على الحالة

وقوله تعالى (وما كان الله ليعجزه من شيء) أى ليسينه و يفتوته ﴿ ٥٦ ﴾ (فى السموات ولا فى الارض)

اعترض مقرر لما يفهم
مما قبله من استحصال
الامم الله وقوله تعالى
(انه كان مليا قديرا)
اى مبالغا فى العلم والقدرة
ولذلك علم بجميع اعمالهم
السنية فعاينهم عوجيها
تعليل لذلك (ولو يؤاخذ
الله الناس) جزيما (بما
كسبوا) من السيئات كما
فعل اوشك (ما ترك على
ظهورها) أى على ظهر
الارض (من دابة) من
نعمه تليها من رى
آدم وحواء ومن غيرهم
الضامن شؤم معاصيهم
وهو المردى من ابن
مسهود وانس رضى الله
عنهما وعضد الاول
قوله تعالى (ولكن
يؤخرهم الى اجل
مسمى) وهو يوم اقامة
(فاذا جاء اجلهم فان
الله كان بعباده بصيرا)
فيجازيهم عند ذلك
بأنهم ان خيرا فخير
وان شرا فشر * عن
الابى عليه الصلاة
والسلام من قرأ سورة
الملائكة عند ثمانية ابواب
الجنة أن أدخل من أى
باب شئت والله تعالى أعلم

ليس مكتوبة عنه عليه الصلاة والسلام تدعى ﴿ ٥٧ ﴾ المعجمة اسم صاحبها خير الدارين والداقمة والقاضية

ثالث) هو انزال المطر وانعام من الله في حق العباد فاذنهم يستحقوا الانعام فصوت
مطار عنهم فيظهر الجفاف على وجه الارض فتوت جميع الحيوانات وفوله تعالى
ترك على ظهرها من دابة نوء يد الوجه الثالث لان بسبب انقطاع الامطار توت حيوانات
واما حيوانات البحر فتعيش بناء البحار (المسئلة الثانية) قوله تعالى على ظهرها كناية
عن الارض وهي غير مذكورة فكيف علم انقول مما تقدم ومما تأخر اماما تقدم فقوله
يا كان الله يعجزه من شيء في السموات ولا في الارض فهو اقرب المذكورات الصالحة
ود الهاء اليها اماما تأخر فقوله من دابة لان الدواب على ظهر الارض من قبل
ف يقال لما عليه الخلق من الارض وجه الارض وظهر الارض مع ان الوجه مقابل
ظهر كالمضاد نقول من حيث ان الارض كاتبة الخالق والخلق يكون على
ظهر يقال له ظهر الارض ومن حيث ان ذلك هو المقابل للخلق المواجه لهم يقال له
ظهرها على ان الظاهر في مقابلة الباطن والظاهر والظاهر من باب والباطن والباطن من
ب فوجه الارض ظهر لانه هو الصاهر وغيره منها باطن و بطن (المسئلة الثالثة) في قوله
الي ولكن يوم حرمهم الي اجل مسمى وجوه (أحدها) الي يوم القيامة وهو مسمى
بذور في مسمى من المواضع (ثانيها) يوم لا يوجد في الخلق من يؤمن على ما تقدم
ثانيها) لكل امة اجل وكل اجل كتاب واجل قوم محمد صلى الله عليه وسلم ايام اقل
الاسر كرم يدرو غير (المسئلة الرابعة) قوله تعالى فاذا جاء اجهلهم فان الله كان يعبد
صبرا تسلية للمؤمنين وذلك لانه تعالى لما قال ماترك على ظهرها من دابة وقال لا تصبرين
الذين ظلموا منكم خاصة قال فاذا جاء الهلاك قاله بالعباد بسير اما ان يعبدوا أو يكون
نوفهم تفر بين الله لا تعبدوا لا يقول هذا كبرت ان الله لا يؤخذ بعجزه الظلم والبايعة عند
حين يجمع الناس على الضلال وتقول بانه تعالى عند الهلاك بهلاك المؤمنين فكيف
هذا نقول قد ذكرنا ان الامامة والافئدة ان كان لا تعبد فهو مؤاخذة بالنسب
واهلاك وان كان لا يصيبه ان الثواب فليس بهلاك ولا مؤاخذة والله لا يؤاخذ الناس
الاعمال بحكم الكفر وقوله بصره انظروا في المسئلة من العليم وغيره ان يصبر يا سيدي
ناتلر ايا أولي بالانجاء من العالم بعداله دون ان يراد الله أمه صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وصحبه أجمعين

(سورة اس ثمانون وثلاث آيات مكتبة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يس والقرآن الحكيم) فقد ذكرنا كلاما كثيرا في حروف التهجى في سورة التكميات
وذكرنا ان في كل سورة بدأ الله فيها بحرف التهجى وكان في أولها ان ذكر أو ان الكتاب
أو القرآن ولذا ذكر ههنا ابحاثا (البحت الاول) هو ان في ذكر هذه الحروف في أوائل
السور أمور تدل على انها غير خالية عن الحكمة ولكن علم الانسان لا يصل اليها بعينها

تدفع عنه كل... ودوتقضى له
كل حاجة وآيات ثلاث
وثمانون (بسم الله
الرحمن الرحيم) *
(اس) اما سرود على
نما العديد فلا حطة
من الاعراب أو اسم
السورة كالنص عليه
الخطا وسبويه وعالية
الأكثر فعمله الرفع
على أنه خبره نادا مخدوف
أو انصب على أنه مفعول
افعل مضمر وعليها
مدار قرارة يس بالرفع
والنصب أي هذه يس
أو قرأ يس ولا مضاف
لأنصب باضمار فعل
انضم لان ما بعد
مقسمه وهـ أو بالظن
بين قسمين على
بالحذف قبل انقصا
افعل ولا محال له حذف
لاختلاف ههنا اعرا
وقيل هو معروف باضمار
بـ القسم مفتوح لكونه
غير مصروف كالنصب
في قاعدة سورة النقرة
من أن ما مكنت
من هذه الفواتح مفردة
مثل ساد وخاف وتون
أو كانت موازنة لشارد
نحو طير و اس و
ذكر سبويه في باب

الواونة اقايل وهائل تأتي فيها الاعراب

السور من كتابه وقيل هما حركتا بناء كافي حيث وأين ﴿ ٥٨ ﴾ حسبما يشهد بذلك قراءة بس بالكسر كبير وقيل

الفتح والكسر تحريك
للجد في الهرب من القاء
الساكتين وعن ابن
عباس رضي الله عنهما
أن معناه يا انسان في نقذ
حظي قال والمراد به رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ولعل أصله يا أيديسين
فانصرف على شطره كما
قيل من الله في أيمن الله
(واقرآن) بالجر على
أنه مقسم به ابتداء وقد
جوز أن يكون عطفا على
يس على تقدير كونه
مجرورا بانهما رياء القسم
(الحكيم) أي المتعصبين
للحكمة أو المناطقين بها
بمخبرتي الاستعارة
أو المنصف بها على الا
سناد المجازي وقد جوز
أن يكون الاسم الحكيم
قائله فحذف المضاف
وأقيم المضاف إليه مقامه
في انقلابه من فوقه بعد
الجر استكن في الصفة
المشبهة كما مر في صدر
سورة بقران (انك لمن
المرسلين) جواب للقسم
والجمل فدانكار الكفرة
بقولهم في حقه عليه
الصلاة والسلام لست
مرسلا وهذه الشهادة

فقول ما هو الكلي من الحكمة فيها أما بيان أن فيها ما يدل على الحكمة فهو ان الله
تعالى ذكر من الحروف نصفها وهي أربعة عشر حرفا وهي نصف ثمانية وعشرين حرفا
وهي جميع الجروف التي في لسان العرب على قولنا الهمزة ألف متحركة ثم انه تعالى قسم
الحروف ثلاثة أقسام تسعة أحرف من الالف الى الذال وتسعة أحرف أخرى آخر
الحروف من الفاء الى الياء وعشرة من الوسط من الراء الى الغين وذكر من القسم الاول
حرفين هما الالف والهاء وترك سبعة وترك من القسم الآخر حرفين هما الفاء والواو
وذكر سبعة ولم يترك من القسم الاول من حروف الخلق والصدر الا واحدا لم يذكر وهو
الخاء ولم يذكر من القسم الآخر من حروف الشفة الا واحدا لم يتركه وهو الميم والعشر
الاواسط ذكر منها حرفا وترك حرفا فذكر الراء وترك الزاي وذكر السين وترك الشين وذكر
الصاد وترك الضاد وذكر الطاء وترك الظاء وذكر العين وترك الغين وليس هذا أمر يقع
اتفاقا بل هو ترتيب مقصود فهو الحكمة وأما ان عنيتها غير معلومة فظاهر وهب ان
واحد يدعى فيدشينا فاذا يقول في كون بعض السورة مفتحة تعرف كسورة نون ومن
وبعضها بحرفين كسورة حم ويس وطس وطه وبعضها بثلاثة أحرف كسورة الم
وطسم والراء وبعضها بأربعة كسورة ق الم والمص وبعضها بخمسة أحرف كسورة
حم عسق وكهيعص وهي أن قائلا يقول ان هذا اشارة الى أن الكلام اما حرف واما
فعل واما اسم والحرف كثيرا ما جاء على حرف كواو والعطف وهاء والعقب وهمزة
الاستفهام وكاف التشديد والالف الصاق وغيرها وجاء على حرفين كمن للتعبير وأو للتخيير
وأما الاستفهام المتوسط وان الشرط وغيرها والاسم والفعل والحرف جاء على ثلاثة أحرف
كالي وعلى في الحرف والي وعلى في الاسم والأما نون وعلى في الفعل والاسم والفعل
جاء على أربعة والاسم خاصة جاء على ثلاثة وأربعة وخمسة كفعول وسبحل وجر دخل
فجاء في القرآن اشارة الى أن تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه فاذا
يقول هذا القائل في تخصيص بعض السور بالحرف الواحد والبعض بأكثر فلا يعا
تمام السر الا الله ومن أعلم الله به اذا علمت هذا فنقول اعلم أن العبادة منها قلبية ومنها
لسانية ومنها جارية وكل واحدة منها قسمان قسم عقل معناه وحقيقته وقسم لم يعلم أما
القلبية مع انها أبعد عن الشك والجهل ففيها ما لم يعلم دليله عقله وانما واجب الايمان به
والاعتقاد سمعا كالصراط الذي أرق من الشعرة واحد من السيف ويعر عليه المؤمن
والموقن كالبرق الخاطف والميران الذي توزن به الاعمال التي لا ثقل لها في نظر الناظر
وكيفيات الجنة والنار فان هذه الاشياء وجودها لم يعلم يدل على عقله وانما المعلوم بالعقل
امكانها ووقوعها معلوم مقصوع به بالسمع ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله
وصدق الرسول وكذلك في العبادات الجارية ما علم معناه وما لم يعلم كقادر النصب
وعدد الركبات وقد ذكرنا الحكمة فيه وهي ان العبد اذا أتى بما أمر به من غير ان يعلم

و يبتكم وفي تخصيص القرآن بالاقسام به أولا ٥٩ و بوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشأنه وتنبه على أنه

كأنه برسالته عليه الصلاة والسلام من حيث نظم المعجز المنطوي على بدائع الحكم يشهد بها من هذه الحجة أيضا لما أن الأقسام بالثبوت استشهد به على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية ثبوتها فيكون شاهدا به ودليلا عليه قطعا وقرانا تعالى (على سراط مستقيم) خير آخر لأن أحوال من المستكن في الجبار والمجرور على أنه عبارة عن الشريعة الشريفة بكماله لا عن التوحيد فقط وفائدته بيان أن شريعته عليه الصلاة والسلام أقوم الشرائع وأعداها كما عرب عنه التنكير التفعيلي والوصف اثر بيان أنه عليه الصلاة والسلام من جملة المرسلين بالشرائع (تنزيل العزيز الرحيم) نصب على المدح وقرئ بالرفع على أنه خير مبتدأ محذوف وبالجر على أنه بدل

ما فيه من الفائدة لا يكون الآتيا بمحض العبادة بخلاف ما لو علم الفائدة قرى بما يأتي لفائدة وإن لم يؤمن كما قال السيد لعبد انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلمه بما في النقل فنقلها ولو قال انقلها فان تحتها كنزها ذلك ينقلها وإن لم يؤمن اذا علم هذا فكذلك في العبادات اللسانية الذكري فوجب أن يكون منها ما لا يفهم معناه حتى اذا تكلم به العبد علم منه انه لا يقصد غير الاقياد لاسر العبود الأمر الناهي فاذا قل حميس ألم دلس علم انه لم يذكر ذلك لعني يفهمه أو يفهمه فهو تلفظ به اقامه لأمر به (البحث الثاني) قيل في خصوص يس انه كلام هو نداء معناه يا انسان وتقريره هو ان تصغر انسان انيسين فكانه حذف المصدر منه وأخذ العجز وقال يس أي انيسين وعلى هذا يحمل أن يكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى بعده انك لمرسلين (البحث الثالث) قرئ يس اما بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف هو قوله هذه كأنه قال هذه يس واما بالضم على نداء المفرد أو على انه مبتدئ كقوله يس اما بالانصب على معنى انزل يس واما بالفتح كأن وكيف وقرئ يس بالكسر كجبر لاسكان الياء وكسرة ما قبلها ولا يجوز أن يقال بالجر لأن ضمائر الجار غير جاز وأيس فيه حرف قسم ظاهر وقوله تعالى والقرآن الحكيم أي ذي الحكمة كعيشة راضية أي ذات رضا أو على انه ناطق بالحكمة فهي كالحكي المتكلم وقوله تعالى (انك لن المرسلين) مقسم عليه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الكفار انكروا كون محمد مرسل والمضال ثبت بالدليل لا بالقسم فالحكمة في الأقسام نقول فيه وجوه (الاول) هو أن العرب كانوا يتوقون الإيمان الفاجرة وكانوا يقولون ان المؤمنين الفاجرة توجب خراب العالم وصحح النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله المؤمنين الكاذبة تدع الدليل بلا قوم ثم انهم كانوا يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم يصدى من آهنتهم عذاب وهي الكواكب فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحلف بأمر الله وانزال كلامه عليه وبأشياء مختلفة وما كان يصيبه عذاب بل كان كل يوم أرفع سائنا وأمنع مكانا فكان ذلك يوجب اعتقاد انه ليس بكاذب (الثاني) هو ان المناظرين اذا وقع بينهما كلام وغلب أحدهما الآخر بتشبيهه دابله وأسكنه يقون المطلوب انك قررت هذا بقوة جدالك وأنت خير في نفسك بضعف مقالك وتعلم ان الأمر ليس كما تقول وان أفت عليه صورة دليل وعجزت أنا عن القدح فيه وهذا كثير الوقوع بين المناظرين فعند هذا لا يجوز أن يأتي هو بدليل آخر لأن الساكت المنقطع يقول في الدليل الآخر ما قاله في الاول فلا يجد أمرا الا المؤمنين فيقول والله اني لست مكابرا وإن الأمر على ما ذكرت ولو علمت خلافه لرجعت اليه فلهذا يتعين المؤمنين فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما أقام البراهين وقالت الكفرة ما هذا الرجل يريد أن يصدكم وقالوا الحق ما جاءهم ان هذا الاسحرميين تعين التمسك بالإيمان لعدم فائدة الدليل (الثالث) هو ان هذا ليس مجرد الحلف وإنما هو دليل خرج في صورة الإيمان لأن القرآن معجزة ودليل

من القرآن وأيا ما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عرافته في كونه منزلا من عند الله عز وجل كأنه نفس

الكر عيسى المعربين
عن القلبية النامة والرافعة
العامية حث على الايمان
به ترهيبا وترغيبا
واسعار بأن تزييله ناشئ
عن غاية الرحمة حسيا
نطق به قوله تعالى
وما أريد لئلا الارحمة
للعالمين وقبل انصب
على أنه مصدر مؤكد
لفعله المضمر أى نزل
تنزيل العزيز الرحيم
دلى أنه استئناف مسوق
ليبين ما ذكر من فخامة
شأن القرآن وعلى كل
تقدير ففيد فضل
أكد لمضمون الجملة
القسمية (التنذر) متعلق
بتنزيل على الوجوه
الاول وبما له المضمر
على الوجه الاخير أى
لتنذره كما في صدر
الاعراف وقيل هو
متعلق بما يدل عليه من
المرسلين أى أنك
مرسل لتنذر (قوما
سأتنذر آباؤهم) أى
لم ينذر آباؤهم الاقربون
تطاول مدة الفترة
على أن ما نافية فيكون
صفة مبنية نافية
احتياجهم الى الانذار
أوالذى تنذره أو شيئا تنذره آباؤهم ال بعدون على أنها موصولة أو موصوفة فيكون مفعولا ثانيا ﴿ لتنذر ﴾

كونه مرسل هو المعبرة والقرآن كذلك فان قيل فلم يذكر في صورة الدليل وما
الحكمة في ذكر الدليل في صورة اليقين قلنا الدليل ان ذكر لا في صورة اليقين قد لا يقبل عليه
سامع فلا يقبله فؤاده فاذا ابتدئ به على صورة اليقين واليقين لا يقع لاسيما من العظيم
الاعلى أمر عظيم والامر العظيم تتوفر الدواعى على الاصغاء اليه فاصورة اليقين تشرئب
اليه الاجساد ولكونه دليلا شافيا ينشر به انقواء فيقع في السمع وينفع في القلب
(المثلة الثانية) كون القرآن حكما عندهم لكون محمد رسولا فلهم ان يقولوا ان هذا
ليس بقسم نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) ان كون القرآن معجزة بين ان
أنكروه قبل لهم فأتوا بسورة من مثله (والثاني) ان العاقل لا يثق بيمين غيره الا اذا حلف
بما يعتقد عظيما قال كافر ان حلف بمحمد لا تصدقه كما تصدقه لو حلف بالصليب والصنم ولو
حلف بديننا الحق لا يوثق بثقل ما يوثق او حلف بدينه الباطل وكان من المعلوم ان النبي صلى
الله عليه وسلم وأصحابه يعظمون القرآن خلقه به هو الذي يوجب ثقته به ﴿ وقوله تعالى
(على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أى أنك على صراط مستقيم والمستقيم أقرب الطرق
الموصلة الى المقصد والدين كذلك فانه توجه الى الله تعالى وتولى عن غيره والمقصود هو الله
والتوجه الى المقصد أقرب اليه من المولى عنه والمخبر عنه ولا مذهب فهم أحد الى ان
قوله أنك مستقيم على صراط مستقيم معبر له عن غيره كما يقال ان محمد راعى الناس مخبري لان جميع
المرسلين على صراط مستقيم وانما المقصود بيان كون النبي صلى الله عليه وسلم على الصراط
المستقيم الذى يكون عليه المرسلون وقوله دلى صراط مستقيم فيه معنى لطيف يعلم منه
فساد قول المباهية الذين يقولون المكلف يصير واصلا الى الحق فلا يبقى عليه تكليف
وذلك من حيث ان الله بين ان المرسلين ماداموا في الدنيا فهم سالكون سالكون مهتدون
مستهيون الى السبيل المستقيم فكيف ذلك الجاهل العاجز ﴿ وقوله تعالى (تنزيل
العزيز الرحيم) قرئ بالجر على أنه بدل من القرآن كأنه قال والقرآن الحكيم تنزيل
العزيز الرحيم المنك من المرسلين لتنذر وقرئ بالنصب وفيه وجهان (أحدهما) انه مصدر
فعله منوى كأنه قال تنزيل العزيز الرحيم لتنذر ويكون تنذره نزل القرآن
أو الكتاب الحكيم (والثاني) انه مفعول فعل منوى كأنه قال والقرآن الحكيم أعني
تنزيل العزيز الرحيم المنك من المرسلين لتنذر وهذا ما اخبره الزمخشري وقرئ الرفع على
انه خبر مبتدأ منوى كأنه قال هذا تنزيل العزيز الرحيم لتنذر ويحمل وجهها آخر على
هذه القراءة وهو أن يكون مبتدأ خبره تنذر كأنه قال تنزيل العزيز لتنذر والانذار وقوله
العزيز الرحيم إشارة الى أن الملك اذا أرسل رسولا فالمرسل اليهم اما أن يخافوا المرسل
ويهابوا المرسل وحينئذ لا يقدر الملك على الانتقام منهم الا اذا كان عزرا أو يخافوا
المرسل ويكرهوا المرسل وحينئذ يرجعهم الملك أو تقول المرسل يكون معه في رسالته منع
عن أشباه واطلاق لأشياء فالمنع يؤكد المرة والاطلاق يدل على الرحمة ﴿ وقوله تعالى

﴿ لتنذر ﴾ أو الذى تنذره أو شيئا تنذره آباؤهم ال بعدون على أنها موصولة أو موصوفة فيكون مفعولا ثانيا ﴿ لتنذر ﴾ أو انذار آباؤهم القدمين

على أنها مصدرية فيكون فعال المصدر ﴿ ٦١ ﴾ مؤكداً أي لتذير النذارة كأنها مثل انذارهم (فهم غافلون)

ر استذرو قوماً ما أنذروا أبوهم فهم غافلون (قد تقدم تفسيره في قوله لتذير قوماً ما أنذروهم من
تذير من قبلك وقيل المراد الآيات وهو على وجهين (أحدهما) استذرو قوماً ما أنذروا أبوهم
فتكون ما مصدرية (الثاني) أن تكون موصولة معناه لتذير قوماً الذين أنذروا أبوهم فهم
غافلون فعلى قولنا ما مصدرية تفسير ظاهر فإن من لم يذير أباه بعد الانذار عنه فهو يكون
غافلاً وعلى قولنا هي الآيات كذلك معناه استذروهم انذاراً بأنهم غافلون وفيه
مسائل (المسئلة الأولى) كيف يفهم التفسيرين وأحدهما يقتضى أن لا يكون أبواهم
منذرين الآخر يقتضى أن يكونوا منذرين و بينهما تضاد نقول على قولنا ما مصدرية
معناه ما أنذروا أبوهم وانذاراً بأنهم الغافلين لا ينافي أن يكون المتقدمون من أبائهم منذرين
والآخرون منهم غير منذرين (المسئلة الثانية) قوله استذرو قوماً ما أنذروا أبوهم يقتضى
أن لا يكون النبي صلى الله عليه وسلم ما موراً بانذار اليهود لأن أبائهم أنذروا نقول ليس
كذلك اما على قولنا ما مصدرية لانه في فطاهر وأما على قولنا هي تافهة وكذلك وقد بينا
ذلك في قوله تعالى بل هو الحق من ربك استذرو قوماً ما أنذروهم من تذير من قبلك وهما أن
المراد أن أبائهم قد أنذروا بعد صلواتهم و بعد إرسال من تقدم فإن الله إذا أرسل رسولا فلا
دام في القوم من بين دين ذلك النبي وبأسر به لا يرسل الرسول في أكثر الأمر فإذا لم يبق
فيهم من بين وبطل الكل وبقايت العهد وبقوا الكفر بحث رسولا آخره قرر الدين
من كان قبله أو واضع الأمر ع آخر فبني قوله تعالى استذرو قوماً ما أنذروا أبوهم أي ما أنذروا
بعد ما مضى بوا عن طريق الرسول المتقدم واليهود والتصاريح خلوا فبني لأنهم لم تذروا أبوهم
الذين نزل بعد ما مضى وهذا دليل على كون النبي صلى الله عليه وسلم مؤثراً بالحق إلى الخلق
كافة (المسئلة الثالثة) قوله فهم غافلون دليل على أن البعثة لا تكون الا عند الغفلة اما
أن حصل لهم العلم بانزل الله بان يكون منهم من يبلغهم سريرة ويخالفونه فحق عليهم
الهلاك ولا يكون ذلك تعذيباً من قبل أن يبعث الله رسولا وكذلك من خائف الامور التي
لا تنفكر الى بيان الرسل يستحق الاهلاك من غير بعثة وليس هذا قولاً بذهب المعتزلة من
التحسين والتفويض العنلي بل معناه ان الله تعالى لو خلق في قوم علماً بوجود الاشياء
وتركوه لا يكونون غافلين فلا يوقف تعذيبهم على بعثة الرسل ثم قال تعالى (فقد حق
القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) لما بين أن الارسال أو الانزال للانذار أشار الى أن
النبي صلى الله عليه وسلم ليس عليه الهداية المستلزمة للاعتقاد وانما عليه الانذار وقد
لا يؤمن من المنذرين كثير وفي قوله تعالى فقد حق القول وجوه (الاول) وهو المشهور أن
المراد من القول هو قوله تعالى حق القول مني لأملأن جهنم منك ومن تبعك (الثاني)
هو أن معناه قد سبق في علمه ان هذا يؤمن وان هذا لا يؤمن فقال في حق البعض انه
لا يؤمن وقال في حق غيره انه يؤمن فحق القول أي وجد وثبت بحيث لا يبدل غيره
(الثالث) هو أن يقال المراد منه لقد حق القول الذي قاله الله على لسان الرسل من

على الوجه الاول
متعلق بفي الانذار
مترتب عليه والتقدير
الفر يقين أي لم تذرو
آبائهم فهم جميعاً لاجله
غافلون وعلى الوجوه
البارقة متعلق بقوله
تعالى استذروا انذير
انك لمن المرسلين وارد
للعديل انذاره عليه
السلام أو انذاره
بعدم الخوفاً اليها
على أن التفسير القوم
خاصة فالمر فهم
غافلون عند أي عما أنذر
آبائهم الا قدمون لا متداد
المدة واللام في قوله
تعالى (فقد حق القول
على أكثرهم) جواب
الاسم أي والله قد ثبت
وتحقق عليهم البتة
لكن لا بطريق الجبر
من غير أن يكون من قبلهم
ما يقتضيه بل بسبب
اصرارهم الاختياري
على الكفر والانكار
وعدم اثرهم من التذكير
والانذار وغلوهم في
التعصبات وتماديمهم
في اتساع خطوات
الشيطان بحيث لا يابوهم
مشارك ولا يثبهم طائف

كيف لا والمراد بما حق من القول قوله تعالى لا يلدس عند قوله لا غور بهم أجمعين لأن جهنم منك ومن تبعك منهم
أجمعين وهو المعنى بتوله

تعالى لاملأنا جحهم من الجنة والناس أجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على ﴿ ٦٢ ﴾ الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم

التوحيد وغيره وبان برهانه فأكثهم لا يؤمنون بعد ذلك لان من توقف لاستماع الدليل في مهلة النظر يرجى منه الايمان اذا بان له البرهان فاذا تحقق واكد يا لايمان ولم يؤمن أكثهم فأكثهم تبين انهم لا يؤمنون لمضي وقت رجاء الايمان ولا نههم لما لم يؤمنوا عند ماحق القول واستروافان كانوا يريدون شياً أوضح من البرهان فهو العيان وعند العيان لا يفيد الايمان وقوله على أكثهم على هذا الوجه معناه ان من لم تبلغه الدعوة والبرهان فليكون فتحى القول على أكثهم لم يوجد منه الايمان وعلى الاول والثاني ظاهراً أكثر الكفار ماتوا على الكفر ولم يؤمنوا (وفيه وجه رابع) وهو ان يقال لقد حقت كلمة العذاب الساجل على أكثهم فهم لا يؤمنون وهو قريب من الاول ثم قال تعالى (انا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي الى الأذقان فهم مقمحون) لما بين انهم لا يؤمنون بين أن ذلك من الله فقال انا جعلنا وقد وجوه (أحدها) أن المراد انا جعلناهم مسكين لا يشقون في سبيل الله كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك (والثاني) أن الآية نزلت في ابي جهل وصاحبيه المخزوميين حيث حلف أبو جهل انه يرضخ رأس محمد فرأه ساجداً واحداً صخرة ورفعها ليرسلها على رأسه فالتزقت بيده ويده بعنقه (والثالث) وهو الأقوى وأشد مناسبة لما تقدم وهو ان ذلك كناية عن منع الله ايهم عن الاهتداء وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هل لوجهين الاولين مناسبة مع ما تقدم من الكلام تقول الوجه الاول له مناسبة وهي ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون يدخل في انهم لا يصلون كما قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم عند بعض المفسرين وانزكاة مناسبة للصلاة على ما ينفاق كما أنه قال لا يصلون ولا يزكون وأما على الوجه الثاني فتناسبة خفية وهي انه لما قال قد حق القول على أكثهم وذكرنا أن المراد به البرهان قال بعد ذلك بل عاينوا وأبصروا ما يقرب من الضرورة حيث التزقت بيده بعنقه ومنع من ارسال الحجر وهو يضطر الى الايمان ولم يؤمن من علم انه لا يؤمن أصلاً والتفسير هو الوجه الثالث (المسئلة الثانية) قوله فهي راجعة الى ماذا تقول فيها وجهان (أحدهما) انها راجعة الى الايدي وان كانت غير مذكورة ولكنها معلومة لان المغلول تكون أيديه مجموعة في الغل الى عنقه (وثانيهما) وهو ما اختاره الزحشرى انها راجعة الى الاغلال معناه انا جعلنا في أعناقهم أغلالاً لا تغلاظ بحيث تنبأ الى الأذقان فلم يتمكن المغلول معهم ان يبطأ طي رأسه (المسئلة الثالثة) كيف يفهم من الغل في العنق المنع من الايمان حتى يجعل كناية فتقول المغلول الذي بلغ الغل ذقنه وبقي مقمحاً رافع الرأس لا يبصر الطريق الذي عند قدمه وذكر بعده ان بين يديه سداً ومن خلقه سداً فهو لا يقدر على انتهاج السبيل ورؤيته وقد ذكر من قبل أن المرسل على صراط مستقيم فهذا الذي يهديه النبي الى الصراط المستقيم العقلي جعل ممنوعاً كالمغلول الذي يجعل ممنوعاً من ابصار الطريق الحسي ويحتمل وجهاً آخر وهو ان يقال الاغلال في الاعتناق عبارة عن عدم الانتباه فان المنقاد

بادخال جحهم على من تبع ابليس وذلك تعليل له بتبعيته فطاعا وثبوت القول على هؤلاء الذين صبر عنهم بأكثرهم انما هو ليكونهم من جملة أولئك المصيرين على تبعية ابريس أبدأوا ذنبتين أن مناط ثبوت القول وتحققه عليهم استمرارهم على الكفر الى الموت ملهم أن قوله تعالى (فهم لا يؤمنون) متفرغ في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى (انا جعلنا في أعناقهم أغلالاً) تقرير لتعظيمهم على الكفر وعدم ارتدائهم عنه بتشليل حالهم بحال الذين غلت أعناقهم (فهي الى الأذقان) أى فالأغلال متجهة الى أذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يبطأ طون رؤسهم له (فهم مقمحون) رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم بحيث لا ينظرون الى الحق أو ينظرون الى جهته (وجعلناهم لا يبين أيديهم سداً ومن يبين

امانة للتخيل وتكمل له أي ﴿ ٦٣ ﴾ تكميل أي وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما ومن

يقال فيدانه وضع رأسه على الخط وخضع عنقه والذي في رقبته الغل التخين الى الذن
لا يبطأ رأسه ولا يحركه تحريك المصدق ويصدق هذا قوله مقصود فان المقصود هو
الرافع رأسه كالتأني يقال بعير قاح اذا رفع رأسه فلم يشرب الماء ولم يبطأ طئه للشرب
والايان كالماء الزلال الذي به الحياة وكأنه تعالى قال انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهم
مقصورون لا يخضعون الرقاب لامر الله وعلى هذا فقله تعالى (وجعلنا من بين أيديهم سدا
ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون) يكون متما لما عني جعل الله اباهم مغلولين
لان قوله وجعلنا من بين أيديهم سدا اشارة الى انهم لا يشعرون سبيل الرشاد فكانه قال
لا يبصرون الحق فينقادون له لكان السد ولا ينقادون لك فيبصرون الحق فينقادون له
لمكان الغل والايان المورث للايان اما اتباع الرسول أولا فتلوح له الحقائق ثانيا واما
بظهور الامور أولا واتباع الرسول ثانيا ولا يتبعون الرسول أولا لانهم مغلولون فلا يظهر
لهم الحق من الرسول ثانيا ولا يظهر لهم الحق أولا لانهم واقعون في السد فلا يتبعون
الرسول ثانيا (وفيد وجه آخر) وهو ان يقال المانع اما ان يكون في النفس واما ان يكون
خارجا عنها ولهم المانعان جميعا من الايمان اما في النفس فاعقل واما من الخارج فالسد
ولا يقع نظرهم على أنفسهم فيرون الآيات التي في أنفسهم كما قال تعالى سترهم آياتنا في
الآفاق وفي أنفسهم وذلك لان المقصود لا يرى نفسه ولا يقع بصره على يديه ولا يقع نظرهم
على الآفاق لان من بين السدين لا يبصرون الآفاق فلا تبين لهم الآيات التي في الآفاق
وعلى هذا فقله انا جعلنا في أعناقهم وجعلنا من بين أيديهم اشارة الى عدم عدايتهم
لآيات الله في الانفس والآفاق وفي تفسير قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا مسائل
(المسئلة الاولى) السد من بين الايدي ذكره ظاهر الفائدة فانهم في الدنيا ساكنون
ويذبحي أن يسلكوا الطريقة المستقيمة ومن بين أيديهم سدا فلا يتقدرون على السلوك
واما السد من خلفهم فالفائدة فيه فنقول الجواب عنه من وجوه (الاول) هو ان
الانسان له هداية فطرية والكافر قد يتركها وهداية نظرية والكافر ما أدركها
فكانه تعالى يقول جعلنا من بين أيديهم سدا فلا يسلكون طريقة الهداء التي هي
نظرية وجعلنا من خلفهم سدا فلا يرجعون الى الهداية الجبلية التي هي النظرية (الثاني)
هو ان الانسان مبدوء من الله ومصيره اليه فعمى الكافر لا يبصر ما بين يديه من المصير
الى الله ولا ما خلفه من الدخول في الوجود يخلق الله (الثالث) هو ان السالك اذا لم يكن
له بد من سلوك طريق فان انسد الطريق الذي قد امد به فوته المقصود ولكنه يرجع واذا
انسد الطريق من خلفه ومن قد امد به فالموضع الذي هو قيد لا يكون موضع اقامة لانه
مهلك فقله وجعلنا من بين أيديهم ومن خلفهم اشارة الى اهلاكهم (المسئلة الثانية)
قوله تعالى فاغشيناهم بحرف الفاء يقتضي أن يكون للاغشاء بالسد تعلق ويكون
الاغشاء مرتبا على جعل السد فكيف ذلك فنقول ذلك من وجهين (أحدهما) أن يكون

ورائهم سدا كذلك
فقطيناهما ابصارهم
فهم بسبب ذلك لا يقدر
على ابصار شيء ما
أصلا واما تخيل مستغل
فان ما ذكر من جعلهم
محصورين بين سدين
هائلين قد غطيا
ابصارهم بحيث لا يبصرون
شيئا قطعا كاف في
الكشف عن كمال فطاعة
حاله وكونهم محبوسين
في مضورة الغي والجهالات
محرومين عن النظر في
الادلة والآيات وقرئ
سدا بالضم وهي لغة
فيه وقيل ما كان من
عمل الناس فهو بالفتح
وما كان من خلق الله
فبالضم وقرئ داعشيناهم
من العشا وقيل الآيات
في بني مخزوم وذلك أن
أبا جهل حلف لن
رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلي ليرضخن
رأسه فأناه وهو عليه
الصلاة والسلام يصلي
ومعه حجر ليدفعه فلما
رفعه انذرت يده الى
عنقه ولزق الحجر بده
حتى فكوه عنها بحمد
فرجع الى قومه فأخبرهم
بذلك فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله تعالى بصره (وسواء عليهم

أأنتذرهم أم لم تنتذرهم) بيان لشأنهم بطريق التصريح اربانه * ٦٤ * بطريق التمثيل أى مستوعدهم

ذلك بيان الامور مرتبة يكون بعضها سببا للآخر فكأنه تعالى قال انا جعلنا فى أعناقهم
أغلا فلا يبصرون أنفسهم لاقاحهم وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فلا
يبصرون ما فى الآفاق وحيث يمكن أن يروا السماء وما على أيديهم وشمالهم فقال بعد
هذا كله وجعلنا على أبصارهم غشاوة فلا يبصرون شيئا أصلا (وأيضا) وان ذلك
بيان لكون السد قريبا منهم بحيث يبصرون ذلك كالمشاهدة على أبصارهم فان من جعل من خلفه
ومن قدامه سدين ملتزمين به بحيث يبقى بينهما ملتزما تبنى عينه على سطح السد فلا
يبصر شيئا اما غير السد فللمحجب والما بين السد فلكون شرط المرتى أن لا يكون قريبا
من العين جدا (المسئلة الثالثة) ذكر السدين من بين الايدي ومن خلف ولم يذكر من العين
والشمال ما الحكمة فيه فنقول اما على قولنا انه اشارة الى الهداية القطرية والنظرية
فظاهر واما على غير ذلك فنقول بما ذكره حصل العموم والمنع من انتهاج المناهج المستقيمة
لانهم ان قصدوا السلوك الى جانب اليمين أو جانب الشمال صاروا متوجهين الى شئ
ومولين عن شئ فصار ما اليد توجههم ما بين أيديهم فيجعل الله السد هناك فيمنعه من
السلوك فكيف ما توجه الكافر يجعل الله بين يديه سدا (ووجه آخر) أحسن مما ذكرنا
وهو انما يبين ان جعل السد صار سببا للاغشاء كان السد ملتزما به وهو ملتزم بالسدين
فلا قدرة له على الحركة فبذلك ولا يسيرة فلا حاجة الى السد عن اليمين وعن الشمال وقوله تعالى
فأغشيناهم فهم لا يبصرون يحتمل ما ذكرناهم لا يبصرون شيئا ويحتمل ان يكون المراد
هو ان الكافر مصدود وسبيل الحق عليه مسدود وهو لا يبصر السد ولا يعلم الصد فيظن
انه على الطريقة المستقيمة وغيره ضال ثم انه تعالى بين ان الانذار لا ينفعهم مع ما فعل الله بهم
من الغل والسد والاعشاء والاعماء بقوله تعالى (وسواء عليهم أأنتذرهم أم لم تنتذرهم
لا يؤمنون) أى الانذار وعدمه بيان بالنسبة الى الايمان منهم اذ لا وجود له منهم على
التقديرين فان قيل اذا كان الانذار وعدمه سواء فلماذا الانذار فنقول قد أجبت في غير
هذا الموضع انه تعالى قال سواء عليهم وما قال سواء عليك فالانذار بالنسبة الى انبيى صلى الله
عليه وسلم ليس بعدم الانذار لان أحدهما مخرج له عن العهدة وسبب في زيادة سيادته
عاجلا وسعداته آجلا وأما بالنسبة اليهم على سواء فانذار انبيى صلى الله عليه وسلم يخرج
عما عليه وينال ثواب الانذار وإن لم ينتفعوا به لما كتب عليهم من البوار في دار القرار ثم
قال تعالى (اعلمتذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن باغيب فبشره بغفرة وأجر كريم)
والترتيب ظاهر وفي التفسير مسائل (المسئلة الاولى) قال من قبل لتذر وذلك يقتضى
الانذار العام على ما بينا وقال اعلمتذر وهو يقتضى التخصيص فكيف الجمع بينهما نقول
من وجوه (الاول) هو ان قوله لتذر أى كيف ما كان سواء كان مقيدا أو لم يكن وقوله
اعلمتذر أى الانذار المغيد لا يكون الا بالنسبة الى من يتبع الذكر ويخشى (الثاني) هو
ان الله تعالى لما قال ان الارسان والانزال للانذار وذكر ان الانذار وعدمه سببان بالنسبة

انذارك ايهم وعدمه
حسبا من تحقيقه في
سورة البقرة وقوله تعالى
(لا يؤمنون) استئناف
مؤكدا لما قبله مبين لما
فيه من اجمال ما فيه
الاستواء أو حال مؤكدا
له أو بدل منه ولما بين
كون الانذار عندهم
كعدمه عقب بيان من
يتأثر منه فقيل (اعلمتذر)
أى انذارا مستبعا للآخر
(من اتبع الذكر) أى
القرآن بالتأمل فيه أو
الوعظ ولم يصبر على
اتباع خطوات الشيطان
(وخشى الرحمن بالغيب)
أى خاف عقابه وهو
غائب عنه على أحوال
من انفاعل أو المفعول
أو خافه في سريره
وأيضا بتقرير حقه فانه
مستقيم قهار كما أنه رحيم
غفار كما نطق به قوله
تعالى نبى عبادى انا
العفو الرحيم وأن عذابى
هو العذاب الايم (فبشره
بغفرة) عظيمة (وأجر
كريم) لا يقادر قدره
والفاء لترتيب البشارة أو
الامر بها على ما قبلها من
اتباع الذكر والخشية

(انما نحن نحى الموتى) بيان لشان عظيم ﴿ ٦٥ ﴾ ينطوى على الانذار والتبشير انطواء اجمالياً أى نبعثهم بعد

الى أهل العناد قال تبييه ليس انذارك غير مفيد من جم الوجوه فأندرك على سبيل العموم
وانما تنذر بذلك الانذار العام من يتبع الذكر كأنه يقول يا محمد انك بانذارك تهدي
ولا تدرى من تهدي فأندرك الاسود والاحمر ومقصودك من يتبع انذارك وينفع بذكرك
(الثالث) هوان نقول قوله لتتذكر أى أو لا فاذ أنذرت وبانت وبانت واستهزأ البعض
وتولى واستكبروا ولما عارض بعد ذلك فاما تنذر الذين اتبعوك (الرابع) وهو قريب من
الثالث انك تنذر الكل بالاصول وانما تنذر بالفروع من ترك الصلاة والزكاة من اتبع
الذكر وآمن (المسئلة اشائية) قوله من اتبع الذكر يحمل وجوهاً (الاول) وهو المشهور
من اتبع القرآن (الثاني) من اتبع ما فى القرآن من الآيات ويدل عليه قوله تعالى
والقرآن ذى الذكر فاجعل القرآن نفس الذكر (الثالث) من اتبع البرهان فانه ذكر
يكمل الفطرة وعلى كل وجه فاما تنذر العلماء الذين يخشون وهو كقوله تعالى انما
يشئى الله من عباده العلماء وكقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات فكقوله اتبع
الذكر أى آمن وقوله وخشى الرحمن أى عمل صالحاً وهذا الوجه يتأيد بقوله فيشره
بمغفرة وأجر كريم لاننا ذكرنا مراراً أن الغفران جزاء الايمان فكل مؤمن مغفور ولا اجر
الكريم جزاء العمل كما قال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق
كريم وتفسير الذكر بالقرآن يتأيد بتفسير الذكر بالالف واللام وقد تقدم ذكر القرآن
في قوله تعالى والقرآن الحكيم وقوله وخشى الرحمن فيه لطيفة وهى أن الرحمة تورث
الاتكال والرجاء فقال مع أنه رحن رحيم فاعاقل لا ينبغي أن يترك الحسنة فان كل من
كانت نعمته بسبب رحمة أكثر فالحوق منه أتم مخافة أن يقطع عنه النعم المتواترة
وتكمله اللطيفة هى ان من اسما الله اسمين يخصان به هما الله والرحمن كما قال تعالى
قل ادعوا لله أو ادعوا للرحمن حتى قال بعض الأئمة هما علمان اذا عرفت هذا فالله اسم
ينبئ عن الهيبة والرحمن ينبئ عن العاطفة فقال في موضع رجوا الله وقال ههنا وخشى
الرحمن يعنى مع كونه ذاهبية لا تقطعوا عنه رجاءكم ومع كونه دارجة لا تأمنوه وقوله
بالغيب يعنى بالدليل وان لم يمتد الى درجة المرتى المشاهد فان عند الانتهاء الى تلك الدرجة
لا يبقى للخشية فائدة والمشهور ان المراد بالغيب ما غاب عنا وهو أحوال القبر وقيل
ان الوجدانية تدخل فيه وقوله فيشره فيه إشارة الى الامر اشائى من امة
فان النبى صلى الله عليه وسلم بشير ونذير وقد ذكر أنه أرسل لينذروا ذكر ان الانذار يسفع
عند اتباع الذكر فقال بشير كما انذرت ونفعت وقوله بمغفرة على التكبر أى بمغفرة واسعة
تستر من جميع الجوانب حتى لا يرى عليه أثر من آثار انفس ويظهر عليه أنوار الروح
الزكية وأجر كريم أى ذى كرم وقد ذكرنا ما فى الكريم فى قوله ورزق كريم وفى قوله ورزقا
كريماء قال تعالى (انما نحن نحى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ احصيناه فى
امام مبين) فى الترتيب وجوه (أحدها) ان الله تعالى لما بين الرسالة وهو أصل من الاصول

منهم وعن الحسن
احياوهم اخراجهم
من الشرك الى الايمان
فهو حينئذ عدة كريمة
بتحقيق المبشر به
(ونكتب ما قدموا)
أى ما سلفوا من الاعمال
اصالحة وغيرها
(وآثارهم) التى أبجوها
من الحسنات كعلم علوه
أو كتب ألقوا أو حبس
وقفوا أو بناء بنوه من
المساجد والباطات
والقناطر وغير ذلك من
رجوه البر ومن السيئات
كناسيس قوانين الظلم
وانعدوان وترتيب مبادئ
الشمر وانفساد فيما بين
العباد وغير ذلك من فنون
السرور التى أحدثوها
وسنوها لمن بعدهم من
المفسدين وقيل هى آثار
المشائين الى المساجد ولعل
المراد أنها من جملة
الآثار وقوى ويكتب
على البناء المفعول ورفع
آثارهم (وكل شئ) من
الاشياء كاشا ما كان
(أحصيناه فى امام مبين)
أصل عظيم الشأن مظهر
لجميع الاشياء مما كان وما
سيكون وهو الوجود المحفوظ

ومضى كل شئ بالرفع (واضرب لهم

سا

﴿ ٩ ﴾

مثلاً أصحاب القرية) صرب المثل يستعمل تارة * ٦٦ * في تطبيق حالة غريبة بحالة أخرى مثلها كافي قوله

تعالى ضرب الله مثلاً
للذين كفروا كفوواً لهم
وأمرأة لو طوا وأخرى
في ذكر حالة غريبة
ويأنها للناس من غير
قصد إلى تطبيقها
بنظيرة لها كافي قوله
تعالى وضربناكم الأمثال
على أحد الوجهين أي
بيننا لكم أحوال الأبدية
هي في القرية كالأمثال
فالمعنى على الأول جعل
أصحاب القرية لهؤلاء في
العلو والكفر والاصرار
على تكذيب الرسل
أي طبق حالهم بحالهم
على أن مثلاً مفعول ثان
لاضرب وأصحاب القرية
مفعول الأول آخره
ليصل به ما هو مفسر
وبيانه وعلى الثاني اذكر
وبين لهم قصته هي في
القرية كالمثل وقوله
تعالى أصحاب القرية
بدل منه بتقدير المضاف
أولاً إلى له ولقرية انطوائية
(اذبحها المرسلون) بدل
اشتغال من أصحاب القرية
وهم رسل عيسى عليه
السلام إلى أهلها ونسبة
إرسالهم إليه تعالى في قوله
(اذأرسلنا إليهم اثنين)

الثلاثة التي يصير بها المكلف مؤمناً مسلماً ذكر أصلاً آخر وهو الحشر (وثانيها) وهو
أن الله تعالى لما ذكر الانذار والإشارة بقوله فيشره بعبارة ولم يظهر ذلك بكماله في الدنيا فقال
إن لم ير في الدنيا فله يحيى الموتى ويحزي المنذرين ويحزي المبشرين (وثالثها) أنه تعالى
لما ذكر خشية الرحمن بالغيب ذكر ما يؤكد وهو أحياء الموتى وفي التفسير مسائل
(المسألة الأولى) أنا نحن بمحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون مبتدأ وخبراً كقول القائل
* أنا أبو الحيم وشعري شعري * ومثل هذا يقال عند الشهرة العظيمة وذلك لأن من
لا يعرف يقال من أنت فيقول أنا ابن فلان فيعرف ومن يكون مشهوراً إذا قيل له من
أنت يقول أنا أي لا يعرف لي أظهر من نفسي فقال أنا نحن معروفون بأوصاف الكمال
وإذا عرفنا بأنفسنا فلا نشكر قدرتنا على أحياء الموتى (وثانيها) أن يكون الخبر نحيي
كأنه قال أنا نحيي الموتى ونحن يكون تأكيداً للأول (المسألة الثانية) أنا نحن فيه
إشارة إلى التوحيد لأن الاشتراك يوجب التمييز بغير النفس فإن زاد إذا شارك غيره في
الاسم فلو قال أبا زيد لم يحصل العريف التام لأن السامع أن يقول أيا ماز يدفيعه ابن عمرو
وأولاً كان هناك زيد آخر أبوه عمرو لا يكفي قوله ابن عمرو فلما قال الله أنا نحن أي ليس غيرنا
أحد أشار كنا حتى نقول أنا كذا فتمتاز وحينئذ تصير الأصول الثلاثة مذكورة رسالة
والتوحيد والحشر (المسألة الثالثة) قوله ونكتب ما قدموا فيه وجوه (أحدهما) المراد
ما قدموا وأخروا فاكنتي يذكر أحدهما كافي قوله تعالى سرايل تقيكم الحرو والمراد بالبرد
أيضا (وثانيها) المعنى ما أسلفوا من الأعمال صالحة كانت أو فاسدة وهو كما قال
تعالى بما قدمت أي بما قدمت في الوجود على غيره أوجدته (وثالثها) نكتب
نياتهم فأنها قبل الأعمال وآثارهم أي أعمالهم على هذا الوجه (المسألة الرابعة) وآثارهم
في وجوه (الأول) آثارهم أفدامهم فإن جماعة من أصحابه بعدت دورهم عن المساجد
فأرادوا التفتة فقال صلى الله عليه وسلم إن الله يكتب خطواتكم ويثيبكم عليه فالزموا
بيوتكم (الثاني) هي السنن الحسننة كالكتب المصنفة وأقفاط المبنية والحبائس
الندارة والسنن السيئة كالظلمات المستمرة التي وضعها ظالم والكتب المضلة وآلات
الملاهي وأدوات المناهي المعمولة الباقية وهو في معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن
سنة حسنة فله أجرها ومن عمل بها من غير أن ينقص من أجر العامل شيء ومن سن سنة
سيئة فعليه وزرها ومن عمل بها فساقد مواها أفعالهم وآثارهم أفعال الشاكرين
فيشرهم حيث يؤخذون بها ويؤجرون عليها (وثالث) ما ذكرنا أن الآثار الأعمال
وما قدموا اثباتاً فإن النية قبل العمل (المسألة الخامسة) الكتابة قبل الأحياء فكيف
أشرفي الذكر حيث قال نحيي ونكتب ولم يقل نكتب ما قدموا ونحييهم نقول الكتابة
معطوفة لأمر الأحياء لأن الأحياء إن لم يكن للكتاب لا يعظم والكتابة في نفسها إن لم تكن
أحياء وإعادة لا يبقى لها أثر أصلاً فالأحياء هو المعبر والكتابة مؤكدة معطوفة لأمره

فلهذا

بما على أنه كان بأمره تعالى لتكميل التمثيل وتبجيم التسلية

وهما يختاو بولس وقبل غيرهما ﴿٦٧﴾ (فكذبوهما) أي فأتياهم فدعواهم إلى الحق فكذبوهما في الرسالة

فلهذا قسم الاحياء ولانه تعالى لما قال اننا نحن وذلك يفيد العظمة والجبروت والاحياء
عظيم يختص بالله والكتابة دونه فقرن بالتعريف الامر العظيم وذكر ما به عظم ذلك العظيم
وقوله وكل شيء أحصيناه في امام مبين يحتمل وجوها (أحدها) أن يكون ذلك بآنا
لكون ما قدموا وآثارهم امر امكنوا باعليهم لا يبدل فان القلم جف بما هو كان فلما قال
نكتب ما قدموا بين ان قبل ذلك كتابة أخرى فان الله كتب عليهم أنهم سيؤمنون كذا
وكذا ثم اذا فعلوه كتب عليهم انهم فعلوه (وثانيها) أن يكون ذلك مؤكدا للمعنى قوله
ونكتب لان من يكتب شيئا في أوراق ويرميها فلا يجدها فكأنه لم يكتب فقال نكتب
ونحفظ ذلك في امام مبين وهذا كقوله تعالى عليها عذر في في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى
(وثالثها) أن يكون ذلك تعميما بعد التخصيص كأنه تعالى يكتب ما قدموا وآثارهم
وليست الكتابة مقتصرة عليه بل كل شيء يخص في امام مبين وهذا يفيد أن شيئاً
الاقوال والافعال لا يعزب عن علم الله ولا يفوته وهذا كقوله تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر
وكل صغير وكبير مستطر يعني ليس في الزبر مختصراً فيما فعلوه بل كل شيء فعلوه مكتوب
وقوله احصيناه ابلغ من كتيبناه لان من كتب شيئاً مغرقاً يحتاج إلى جمع عدده فقال هو
محصى فيه وسمى الكتاب اماماً لان الملائكة يتبعونه فما كتب فيه من أجل الرزق واحياء
واما تاتبعوه وقيل هو اللوح المحفوظ وامام جاء جمعاً في قوله تعالى يوم تدنوا كل أناس
بإمامهم أي بأئمتهم وحينئذ فامام اذا كان فرداً فهو ككتاب وحجاب واذا كان جمعاً فهو
كتاب وحبال والمبين هو المظهر بلامور ليكون مظهر الملائكة ما يبعثون والناس
ما يبعثون وهو الفارق يفرق بين احوال الخلق فيجعل فريقاً الجنة وفريقاً في السعير
ثم قال تعالى (واضرب لهم مثلاً اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون) وفيه وجهان
والترتيب ظاهر على الوجهين (الوجه الاول) هو أن يكون المعنى واضرب لاجلهم مثلاً
(والثاني) أن يكون المعنى واضرب لاجل نفسك اصحاب القرية لهم مثلاً أي مثابهم عند
نفسك باصحاب القرية وعلى الاول نقول لما قال الله انك لمن المرسلين وقال لتذر قال
قل لهم ما كنت بدعاً من الرسل بل قل لي بقليل جاء اصحاب القرية بدمر رسولون وأنذروهم بما
انذرتكم وذكروا التوحيد وخوفوا بالقيامة وبشروا بنعيم دار الاقامة وعلى الثاني
نقول لما قال الله تعالى ان الانذار لا ينبغي من أضله الله وكتب عليه انه لا يؤمن قال للنبي
عليه الصلاة والسلام فلا تأس واضرب لنفسك وقومك مثلاً أي مثل لهم عند نفسك
مثلاً حيث جاءهم ثلاثة رسل ولم يؤمنوا وصبر الرسل على القتل والايذاء وأنت جنتهم
واحد وقومك أكثر من قوم الثلاثة فانهم جاؤا قرية وأنت بعثت إلى العالم وفي التفسير
مسائل (المسئلة الاولى) ما معنى قول القائل ضرب مثلاً وقوله تعالى واضرب مع أن
الضرب في اللغة اما مساس جسم جسم بعنف واما السير اذا قرن به حرف في كقوله
تعالى اذا ضرب يتم في الارض نقول قوله ضرب مثلاً معناه مثل مثلاً وذلك لان الضرب

(فعرزنا) أي قويننا
يقال عزز المضرا الأرض
ذاليدعوا وقرى بالتحذير
من عز اذا غلبه وقهره
وحذف المفعول لدلالة
ما قبله عليه ولان
المقصد ذكر المعزز به
(بثالث) هو شمعون
(فقالوا) أي جميعا
(انا اليكم مرسلون)
مؤكدين كلامهم
لسبق الانكار لما ان
تكذب بهما تكذب
لثالث لاتحاد كلمهم
وذلك أنهم كانوا عبدة
أصنام فارسل اليهم
عيسى عليه السلام
الذين فمافرا من المدينة
رأيا شيخا يرعى غنم
له وهو حبيب النجار
صاحب يس فسأهما
فاخبراه قال أمعك آية
فقال انشني المريض
ونبري الاكمه والابرص
وكان له ولد مريض
مثنيتين فسمعه فقام
فأمن حبيب وفشا
الخبير وشفي على أيديهما
خبر وبلغ حديثهما
إلى الملك وقال لهما
أنا اله مسوي آهتنا
قالا نعم من أوجدك

وآهتك فقال حتى أنظر في أمر كما فتبعهما الناس وقيل ضرب بوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون
فدخل متكررا وطاش حاشية الملك

حتى استأنسوا به ووقفوا - خبر الى الملك فأنس به فقال له يوما بلغني ﴿ ٦٨ ﴾ أنك حبست رجلين فهل سمعت

ما يقولانه قال لا حال
الغضب بيني وبين ذلك
فدعاهما فقال سمعوني
من أرسلكما قال لا الله
الذي خلق كل شيء
وليس له شريك فقال
صفا وأوجزا قال لا يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد
قال وما آيتكما قال ما
يقول الملك فدعا بهلام
معه موسى العيينين
فدعوا الله تعالى حتى
انشق له بصرا فآخذا
بندفتين فوضعاهما
في حذقيه ففسارنا
مكتنين ينظر بهما
فقال له سمعون أرايت
لوساات الهك حتى
يصنع مثل هذا فيكون
لك وله الشرف قال
ليس لي عندك سران الهان
لا يصبر ولا يسمع ولا
يضر ولا ينفع وكان
شعون يدخل معهم
على الصنم فيصلي
ويتضرع وهم يحسبون
أنه منهم ثم قال ان قدر
اله كما على احياء ميت
آمنابه فدعوا بهلام
مات من سبعة أيام فقام
وقال اني أدخات
في سبعة أودية من النار

اسم النوع يقال هذه الاشياء من ضرب واحد أي اجعل ههنا وذلك من ضرب واحد
(المسئلة الثانية) أصحاب القرية معناه واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية فتلك المثل
وأقيم الاصحاب مقامه في الاعراب كقوله واسأل القرية هذا قول الزمخشري في الكشف
ويحتمل أن يقال لا حاجة الى الاضمار بل المعنى اجعل أصحاب القرية لهم مثلا أو مثل
أصحاب القرية فيهم (المسئلة الثالثة) ادعها المرسلون اذ منصوبه لانها بدل من أصحاب
القرية كأنه قال تعالى واضرب لهم وقت محيى المرسلين ومثل ذلك الوقت بوقت محيىك
وهذا أيضا قول الزمخشري وعلى قولنا ان هذا المثل مضروب لنفس محمد صلى الله عليه
وسلم تسلية فيحتمل أن يقال اذ ظرف منصوب بقوله اضرب أي اجعل الضرب كأنه
حين محييتهم وواقع فيه والقرية انطاكية والمرسلون من قوم عيسى وهم أقرب مرسل
أرسل الى قوم الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم وهم ثلاثة كباين الله تعالى وقوله اذ أرسلنا
يحتل وجهين (أحدهما) أن يكون اذ أرسلنا بدلا من ادعها كأنه قال اضرب لهم مثلا
اذ أرسلنا الى أصحاب القرية اثنين (وثانيهما) وهو الاصح الاوضح أن يكون اذ ظرفا
والفعل الواقع فيه جاءها أي جاءها المرسلون حين أرسلناهم اليهم أي لم يكن محييتهم من
تلقاء أنفسهم وانما جاءوهم حيث أمروا وهذا فيه لطيفة وهي ان في الحكاية ان الرسل كانوا
مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام أرسلهم الى انطاكية فقال تعالى ارسل عيسى
عليه السلام هو ارسلنا ورسول رسول الله باذن الله رسول الله فلا يقع لك يا محمد أن أو أنك
كانوا رسل الرسول وأنارسل الله فان تكذيبهم كتكذيبك فتتم التسلية بقوله اذ أرسلنا
وهذا يؤيد مسئلة فتهية وهي أن وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل الموكل لا وكيل الوكيل
حتى لا يعزل بعزل الوكيل اياه ويعزل اذا عزله الموكل الاول وهذا على قولنا واضرب لهم
مثلا ضرب المثل لاجل محمد صلى الله عليه وسلم فظاهر * وقوله اذ أرسلنا اليهم اثنين
فكذبوهما (في بعثه الاثنين حكمه بالغة وهي انها كانا مبعوثين من جهة عيسى باذن
الله فكان عليهما انتهاء الامر الى عيسى والاثنيان بما أمر الله والله عالم بكل شيء لا يحتاج
الى شاهد يشهد عنده وأما عيسى فهو بشر فأمر الله بارسال اثنين ليكون قولهما على
قولهما عند عيسى حجة تامة * وقوله (فعرزنا بثالث) أي قويتنا وقرى فعرزنا بثالث
مخففا من عز اذا غلب فكأنه قال فعلنا نحن وقهرنا بثالث والاول أظهر وأشهر وترك
المفعول حيث لم يقل فعرزناهما لمعنى اضعف وهو أن المقصود من بعثهما نصره الحق
لانصرتهما والكل مقوون للدين المتين بالبرهان المبين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) النبي
صلى الله عليه وسلم بعث رسله الى الاطراف واكتفى بواحد وعيسى عليه السلام بعث
اثنين نقول النبي بعث لقرير القروع وهو دون الاصول فاكتفى بواحد فان خبر الواحد
في القرع مقبول وأماهما فبعثا بالاصول وجعل لهما معجزة تفيد اليقين والا لما كفى
ارسل اثنين أيضا ولا ثلاثة (المسئلة الثانية) قال الله تعالى لموسى عليه السلام سنشد

واني أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء ﴿ عضدك ﴾
الثلاثة قال الملك من هم قال شعون وهذا من تعجب الملك فلما رأى شعون أن قوله

قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن ﴿٦٩﴾ صاخر عليهم جبريل عليه السلام فهل كانوا هكذا قالوا ولكن

عضدك فذكر المفعول هناك ولم يذكره ههنا مع ان المقصود هناك ايضا نصرة الحق نقول
موسى عليه السلام كان افضل من هرون وهرون بهت بطلبه ^{منه} حيث قال فأرسله معي
فكان هرون مبعوثا ليصدق موسى فيما يقول ويقوم بما يأمره وأماهما فكل واحد
مستقل ناطق بالحق فكان هناك المقصود تقوية موسى وإرسال من يؤنس ^{منه} وهو هرون
وأما ^{نا} المقصود تقوية الحق فظهر الفرق ^{بين} بين الله ماجرى منهم وعليهم مثل ما جرى
من محمد صلى الله عليه وسلم وعليه (فقالوا انا اليكم مرسلون) كما قال انك ان المرسلين وبين
ما قال انقوم بقوله (قالوا ما أنتم الا بشر مثنا وما أنزل الرحمن من شيء) جعلوا أنفسهم بشرًا
مثلهم دليلا على عدم الارسال وهذا علم من المشركين قالوا في حق محمد أنزل عليه الذكر
وانما ظنوه دليلا بناء على انهم لم يستقدوا في الله الاحتمار وانما قالوا فيه انه موجب
بالذات وقد استوينا في البشرية فلا يمكن الرجوعان والله تعالى رد عليهم قواهم بقوله الله
أعلم حيث يجعل رسالته ويقول الله يخزي اليه من يشاء الى غير ذلك وقوله وما أنزل الرحمن
من شيء يحتل وجهين (أحدهما) أن يكون منكما لما ذكره فيكون الكل شبهة
واحدة ووجهه هو أنهم قالوا أنتم بشر فأنزلتم من عند الله وما أنزل الله اليكم أحدا
فكيف صرتم رسالته (وثانيهما) أن يكون هذا شبهة أخرى مستقلة ووجهه هو أنهم لما
قالوا أنتم بشر مثنا فلا يجوز رجعا زكم علينا ذكرنا الشبهة من جهة النظر الى المرسلين ثم
قالوا شبهة أخرى من جهة المرسل وهو أنه تعالى ليس ينزل شيئا في هذا العالم فان تصرفه
في العالم العلوي والعلوم والتصرف في السفليات على مذهبه فالله تعالى لم ينزل شيئا من
الاشياء في الدنيا فكيف أنزل اليكم وقوله الرحمن اشارة الى الرد عليهم لان الله لم يسل
رحمن الدنيا والارسال رحمة فكيف لا ينزل رحمة وهو رحمن فقال انهم قالوا ما أنزل
الرحمن شيئا وكيف لا ينزل الرحمن مع كونه رحمن شيئا هو الرحمة الكاملة ثم قال تعالى
(ان أنتم الا تكذبون) أي ما أنتم الا كاذبين (قالوا ربنا يعلم انا اليكم مرسلون) اشارة الى
انهم مجرد الكذابين لم يسموا اولم يتركوا بل أعادوا ذلك انهم وكرروا القول عليهم
وأكدوه باليمين وقالوا ربنا يعلم انا اليكم مرسلون وأكدوه باللام لان يعلم الله يجري مجرى
انقسم لان من يقول بعلم الله فيما لا يكون فقد نسب الله الى الجهل وهو سب العقاب كما
ان الحنث سببه وفي قوله ربنا يعلم اشارة الى الرد عليهم حيث قالوا أنتم بشر وذاك لان الله
اذا كان يعلم انهم مرسلون يكون كقوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته يعني هو عالم
بالامور وقادر فاخترنا بعلمه رسالته ثم قال (وما علينا الا البلاغ المبين) تسلية لانفسهم
أي نحن خرجنا عن عهد ما علينا وحالهم على النظر فانهم لما قالوا ما علينا الا البلاغ
كل ذلك يوجب تفكيرهم في أمرهم حيث لم يطلبوا منهم أجرا ولا قصدوا رياسة وانما كان
شغلهم التبليغ والذكر وذلك مما يحمل العاقل على النظر والمبين يحتمل أمور (أحدها)
البلاغ المبين للعق عن الباطل أي الغارق بالمعجزة والبرهان (وثانيها) البلاغ المظهر

لا يساعده سباق النظم
الكريم حيث اقتصر
فيه على حكاية تعاديه
في العناد والحجاج وركوبهم
متن المكابرة في الحجاج
ولم يذكر فيه من يؤمن
أحد سوى حبيب ولو
أن الملك وقوما من
حواشيهم آمنوا لكان
أظاهروا أن يظاهروا
الرسول ويساعدوه
قبلوا في ذلك أو قتلوا
كأب العجارات الشهيد
واكان لهم فيه ذكرا
يوجه من الوجوه اللهم
الآن يكون إيمان الملك
بطريق الخفية على
خوف من عتاة ملته
فيعتزل عنهم معتذرا
بعذر من الاعتذار (قالوا)
أي أهل انطباكية
الذين لم يؤمنوا بخاططين
لأنهم (ما أنتم الا بشر
مثنا) من غير مزينة
لصم علينا موجبة
لاختصاصكم بما تدعونه
ورفع بشر لا تنقاص
انتمى مقتضى الاحمال
ما بال (وما أنزل الرحمن
من شيء) مما تدعونه
من الوحي والرسالة
(ان أنتم الا تكذبون)
في دعوى

لما أرسلنا لكل أمة رسولنا لا يكتفى أن تبلغ الرسالة إلى شخص أو شخصين (وثالثها) البلاغ المظهر للحق بكل ما يمكن فإذا تم ذلك ولم يقبلوا الحق هناك الهلاك ثم كان جوابهم بعد هذا أنهم (قالوا أنا نصيرنا بكم) وذلك أنه لما ظهر من الرسل المباعدة في البلاغ ظهر منهم الغش والافتراء فقاموا بالمرسلون أنا إليكم المرسلون قالوا إن أنتم لا تكذبون ولما أكد الرسل قولهم باليمين حيث قالوا أننا نصيرنا بكم أكدوا أقوالهم بالتطهير فكأنهم قالوا في الأول كنتم كاذبين وفي الثاني صرتم مصرين على الكذب صافين مقسمين عليه واليمين الكاذبة تدع الديار بلا فاع فتشاء منا بكم ثانيا وفي الأول كما تركتم في الثاني لا نترككم لكون الشؤم مدركنا بسببكم فقالوا (لئن لم تنتهوا لنرجنكم ولنمسكنكم من عذاب أليم) وقوله لنرجنكم يحتمل وجهين (أحدهما) لنستنكم من الرجم بالقول وعلى هذا فتقوله وليسكنكم ترق كأنهم قالوا لا يكتفى بالشتم بل يؤدى ذلك إلى الضرب والإيلام الحسى (وثانيهما) أن يكون المراد الرجم بالحجارة - وجيشد فتقوله وليسكنكم بأن للرجم معنى ولا يكون الرجم رجما قليلا نرجنكم بحجر وحجرين بل نديم ذلك عليكم إلى الموت وهو عذاب أليم ويكون المراد لنرجنكم وليسكنكم بسبب الرجم عذاب من أليم وقد ذكرنا في الأليم أنه بمعنى المؤلم والفعل بمعنى مفعول قليل ويحتمل أن يقال هو من باب قوله عبسة راضية أى ذات رضا فالعذاب الأليم هو ذؤالم وحينئذ يكون فعلا بمعنى فاعل وهو كثير * ثم أجابهم المرسلون بقولهم (قالوا طاركم ممكم) أى شوكمكم معكم وهو الكفر * ثم قالوا (أن ذكرتم) جوابا عن قولهم لنرجنكم بمعنى أفعلون بنا ذلك وإن ذكرتم أى بين لكم الأمر بالمعجزة والبرهان (بل أنتم قوم مسرفون) حيث تجعلون من تبرك به كن يشاء به وتقصدون إيلام من يجب في حقه الأكرام أو مسرفون حيث تكفرون ثم تصرون بعد ظهور الحق بالمعجزة والبرهان فإن الكافر مسمى فإذا تم عليه الدليل وأوضح له السبيل وبصر يكون مسرفا والمسرف هو المجاوز الحد بحيث يبلغ الضد وهم كانوا كذلك في كثير من الأشياء أما في التبرك والتشاؤم فقد علم وكذلك في الإيلام والأكرام وأما في الكفر فلان الواجب اتباع الدليل فالمراد بوجوده فلا أقل من أن لا يحزم بنقضه وهم جزموا بالكفر بعد البرهان على الإيمان فإن قيل بل للأضراب فالأمر المضرب عنه نقول يحتمل أن يقال قوله أن ذكرتم وارد على تكذيبهم ونسبتهم الرسل إلى الكذب بقولهم إن أنتم لا تكذبون فكأنهم قالوا أنحن كاذبون وإن جئنا بالبرهان لا بل أنتم قوم مسرفون ويحتمل أن يقال أنحن مشؤمون وإن جئنا ببيان صحة ما نحن عليه لا بل أنتم قوم مسرفون ويحتمل أن يقال أنحن مستحقون للرجم والإيلام وإن بنا صحة ما اتينا به لا بل أنتم قوم مسرفون وأما الحكاية فشمسورة وهى أن عيسى عليه السلام بعث رجلين إلى أنطاكية فدعيا إلى التوحيد وأظهرا المعجزة من إيراد الأكمة والأبرص وأحياء الموتى فحبسهما الملك فأرسل بعدهما شمعون فأتى الملك ولم يدع الرسالة وقرب نفسه إلى الملك بحسن التدبير ثم قال له ائني أسمع أن في

رسالته (قالوا أننا نصيرنا بكم) أنا إليكم المرسلون استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجرى مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الإنكار (وما عاينا) أى من جهة ربنا (الابلاغ المبين) أى الاتيان برسالة تبايغا طسأهرا بينا بالآيات الشاهدة بالصدق وقد فرجنا عن عهدته فلا مؤاخذه لنا بعد ذلك من جهة ربنا أو ما علينا شئ نطالب به من جهنكم الاتيان الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فأى شئ تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك (قالوا) لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل (أنا نصيرنا بكم) تشاء منا بكم جهر على دين الجهلة حيث كانوا يمينون بكل ما يوافق شهواتهم وإن كان مستحلبا لكل شر ووبال وينسأمون بما لا يوافقها وإن كان

مستحباً بالسعادة الدارين أو بناء على أن الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من إصابة ضرر متعلق بالحس

الحبس رجلين يديهما أمرأ يديهما أفلا يحضران حتى نسمع كلامهما قال الملك على
فأحضرا وذكرا مقالتهم الحقة فقال لهما شمعون فهل لكم بينة قالنا نعم فأرآ الاكدة
والارض وأحييا الموتى فقال شمعون أيها الملك ان شئت أن تعطينهم فقل للآلهة التي
تعبدونها تفعل شيئا من ذلك قال الملك أنت لا تخفى عليك أنها لا تبصر ولا تسمع ولا تقدر
ولا تعلم فقال شمعون فاذن ظمرا الحق من جانبهم فآمن الملك وقوم وكفر آخرون وكانت
الغلبة للكذابين ثم قال تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا
المرسلين) وفي قائلته وتعلقه بما قبله وجهان (أحدهما) انه يبان لكونهم أتوا بالبلاغ
البين حيث آمن بهم الرجل الساعي وعلى هذا فقله من أقصى المدينة فيه بلاغ باهرة
وذلك لانه لما جاء من أقصى المدينة رجل وهو قد آمن دل على أن اذارهم واظهارهم بلغ
الى أقصى المدينة (وثانيهما) ان ضرب المثل للمكان لمحمد صلى الله عليه وسلم تسليية
لقابه ذكر بعد الفراغ عن ذكر الرسل سعى المؤمنين في تصديق رسلهم وصبرهم على
ما أودوا ووصول الجزاء الاوفى اليهم ليكون ذلك تسليية لقلب أصحاب محمد كما ان ذكر
المرسلين تسليية لقلب محمد صلى الله عليه وسلم وفي التفسير مسائل (المسئلة الاولى) قوله
وجاء من أقصى المدينة رجل في تكبير الرجل مع انه كان معروفا معلوما عند الله فائدتان
(الاولى) أن يكون تعظيما لشانه أي رجل كامل في الرجولية (الثانية) أن يكون
مفيدا للظهور الحق من جانب المرسلين حيث آمن رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال
انهم تواطؤوا والرجل هو حبيب التجار كان يفتح الاصلان وقد آمن بمحمد صلى الله عليه
وسلم قبل وجوده حيث صار من العلماء يكتب الله ورأى فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وبعثه (المسئلة الثانية) قوله يسعى تبصرة للمؤمنين وهداية لهم ليكونوا في التصحيح باذنين
بجهدهم وقد ذكرنا فائدة قوله من أقصى المدينة وهي تبليغهم الرسالة بحيث انتهى الى
من في أقصى المدينة والمدينة هي افطاكبة وهي كانت كبيرة شاسعة وهي الآن دون
ذلك ومع هذا فهي كبيرة وقوله تعالى قال يا قوم اتبعوا المرسلين فيه معان اطيفة (الاول)
في قوله يا قوم فانه ينبغي عن اشفاق عليهم وشفقة فان اضافتهم الى نفسه بقوله يا قوم يفيد
انه لا يريد بهم الا خيرا وهذا مثل قول مؤمن آل فرعون يا قوم اتبعوا فان قيل قال هذا
الرجل اتبعوا المرسلين وقال ذلك اتبعوني فما انفرق نقول هذا الرجل جاءهم وفي أول
مجيئته نصيحهم وما راوا سيرته فقال اتبعوا هؤلاء الذين اظهروا لكم الدليل وأوضحوا لكم
السييل وامام مؤمن آل فرعون فكأن فيهم واتبع موسى ونصحهم مرارا فقال اتبعوني
في الايمان بموسى وهرون عليهما السلام واعلموا انه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسى وأنتم
تعلمون اني اخترته ولم يكن للرجل الذي جاء من أقصى المدينة أن يقول أنتم تعلمون اتبعوا
لهم (الثاني) جمع بين اظهار النصيحة واظهار ايمانه فقوله اتبعوا نصيحة وقوله المرسلين
اظهار انه آمن (الثالث) قدم اظهار النصيحة على اظهار الايمان لانه كان ساعيا

بأنفسهم وأهليهم وأموالهم
ان لم يؤمنوا فكانوا
يتفرون عنه وقد روى
أنه حبس عنهم القطر
فقالوا (نحن لم ننزهو) أي
عن مقالتكم هذه (نرجحكم)
بالجارة (ولا يستكم منا
عذاب أليم) لا يقدر
قدره (فالواظرون) أي
سبب شؤمكم (معكم)
لامن قبلنا وهو سوء
عقيدتكم وفتح أعمالكم
وقرى طيركم (أني ذكرتم)
أي وسقطتم عافيتهم سعادتهم
وجواب الشرط محذوف
ثقة بدلالة ما قبله عليه
أي نصيرتم وتوعدتم
بالرجم والعذيب وقرى
بالف بين الهمزتين
ويفتح أن بمعنى أن نصيرتم
لأن ذكرتم وأن ذكرتم
وان ذكرتم بغير استفهام
وأي ذكرتم بمعنى طائرتم
معكم حيث جرى ذكرتم
وهو يبلغ (بل أنتم قوم
مسرفون) اضرب عما
تقتضيه الشرطية من
كون التذكير سببا للشؤم
أو مصححا للتوعد أي
ليس الامر كذلك بل
أنتم قوم عاديتكم
الاسراف في العصيان

فلذلك أنا كرم الشؤم أوفى الظلم والقديان ولذلك توعدتم

وتشاء متم بمن يحب اكرامه والتبرك به (وجاء من أقصى المدينة * ٧٢ * رجل يسعى) هو حبيب التجار وكان

النصح وأما الايمان فكان قد آمن من قبل وقوله رجل يسعى يدل على كونه مريدا للنصح وما ذكر في حكايته انه كان يقتل ويقول اللهم اهد قومي * ثم قال تعالى (اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) وهذا في غاية الحسن وذلك من حيث انه لما قال اتبعوا المرسلين كأنهم منعوا كونهم مرسلين فنزل درجة وقال لاشك ان الخلق في الدنيا سالكون طريقه وطالبون للاستقامة والطريق اذا حصل فيه دليل يدل يجب اتباعه والامتناع من الاتباع لا يحسن الاعتدال أحد أمرين امام مسألة الدليل في طلب الاجرة واما عدم الاعتماد على اهتدائه ومعرفة الطريق لكن هؤلاء لا يطلبون أجرة وهم مهتدون عالون بالطريقة المستقيمة الموصلة الى الحق فهب أنهم ليسوا بمرسلين هادين ليسو بمهتدين فاتبعهم * ثم قال تعالى (وما لي لأعبد الذي فطرني) لما قال وهم مهتدون بين ظهور اهتدائهم بأنهم يدعون من عبادة الجهاد الى عبادة الحي القيوم ومن عبادة ما لا ينفع الى عبادة من منه كل نفع (وفيه لطائف) الاولى قوله مالي أي مالي مانع من جانبي اشارة الى أن الامر من جهة العبود طاهر لا خفاء فيه فمن تمتع من عبادته يكون من جانبه مانع ولا مانع من جانبي فلا جرم عبده وفي المدول عن مخاطبة القوم الى حال نفسه حكمة أخرى وايضا ثانية وهي أنه لو قال مالكم لا تعبدون الذي فطركم لم يكن في البيان مثل قوله ومالي لانه لما قال ومالي وأحد لا يخفى عليه حال نفسه علم كل أحد انه لا يطلب العلة وبيانها من أحد لانه أعلم بحال نفسه فهو يبين عدم المانع وأما لو قال مالكم جاز أن يفهم منه أنه يطلب بيان العلة لكون غيره أعلم بحال نفسه فان قيل قال الله مالكم لا ترجون لله وقارا نقول القائل هناك غير مدعو وإنما هو دواع وههنا الرجل مدعو الى الايمان فقال ومالي لأعبد وقد طلب مني ذلك (الثانية) قوله الذي فطرني اشارة الى وجود المقتضى فان قوله ومالي اشارة الى عدم المانع وعند عدم المانع لا يوجد الفعل مالم يوجد المقتضى فقوله الذي فطرني يبيّن عن الاقتضاء فان الخالق ابتداء مالك والمالك يجب على المملوك اكرامه وتعظيمه ومنع بالاجاد والمنع يجب على المنعم عليه شكره (الثالثة) قدم بيان عدم المانع على بيان وجود المقتضى مع أن المسحوق تقديم المقتضى حيث وجد المقتضى ولا مانع فوجود لان المقتضى اظهره كأن مستغنيا عن البيان رأسا فلا أقل من تقديم ما هو أولى بالبيان لوجود الحاجة اليه (الرابعة) اختار من الآيات فطرة نفسه لانه لما قال ومالي لأعبد باستناد العبادة الى نفسه اختار ما هو أقرب الى ايجاب العبادة على نفسه وبيان ذلك هو ان خالق عرو يجب على زيد عبادته لان من خلق عرا لا يكون الا كاملا القدرة شامل العلم واجب الوجود وهو مستحق للعبادة بالنسبة الى كل مكلف لكن العبادة على زيد بخلق زيد أظهر ايجابا واعلم أن المشهور في قوله فطرني خلقني اختراعا وابتداعا والغريب فيه أن يقال فطرني أي جعلني على الفطرة كما قال الله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وعلى هذا فقوله ومالي لأعبد أي لم يوجد في مانع فأناطق

تحت أصنامهم وهو
من آمن برسول الله
صلى الله عليه وسلم وبينهما
شهادة سنة كما آمن به تبع
الا كبر ورفقه بن نوفل
وغيره اولم يوف من بني
غيره عليه الصلاة والسلام
أحد قبل مبته وقيل
كان في غار يعبد الله تعالى
فما بلغه خبر الرسل عليهم
الصلاة والسلام أظهر
دينه (قال) استئناف
وقع جوابا عن سؤال
نشا من حكاية مجيد
ساعيا كأنه قيل فاذا
قال عند مجيئه فقيل قال
(يا قوم اتبعوا المرسلين)
تعرض لعنوان رسالتهم
حاثهم على اتباعهم كما
أن خطابهم يا قوم تأليف
فلو لم واستدل بها نحو
قبول نصيحته وقوله تعالى
(اتبعوا من لا يسألكم
أجرا وهم مهتدون)
تكرر لئلا يكدوا لوصول
به الى وصفهم بما يرغبهم
في اتباعهم من اتبعه
عن الغرض الديني
والاهتداء الى خير الدنيا
والدين (ومالي لأعبد
الذي فطرني) تلميح
في الارشاد بإرادته في

معرض المناصحة لنفسه والمحاض النصح حيث أراهم انه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد نقرهم على * على *
ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره

على فطرة ربي والفطرة كافية في الشهادة والعبادة فان قيل فعلى هذا يختلف معنى الفطر
في قوله فاطر السموات فنقول قد قيل بأن فاطر السموات من الفطر الذي هو الشق فالمختار
لازم او نقول المعنى فيهما واحد كأنه قال فطر المكلف على فطرته وفطر السموات على
فطرتها والاول من التفسير أظهر * وقوله تعالى (واليه ترجعون) إشارة الى الخوف
والرجاء كما قال ادعوه خوفا وطمعا وذلك لان من يكون اليه المرجع يخاف منه ويرجى
وفيه أيضا معنى لطيف وهو أن العابد على أقسام ثلاثة ذكرناها امرأ (فالاول) عابد يعبد
الله لكونه الها مالمساواة أنعم بعد ذلك أولم ينعم كالعبد الذي يجب عليه خدمة سيده
سواء أحسن اليه أو أساء (والثاني) عابد يعبد الله للنعمة الواصلة اليه (والثالث) عابد
يعبد الله خوفاً مثال الاول من يخدم الجواد ومثال الثاني من يخدم العاشم فيجعل القائل
نفسه من القسم الاعلى وقال ومالي لأعبد الذي فطرني أي هو مالي كي أعبده لأنظر الى
ما يستطيع ولا أنظر الى أن لا يعذبني وجعلهم دون ذلك فقال واليه ترجعون أي خوفكم
منه ورجاؤكم فيه فكيف لا تعبدونه ولهذا لم يقل واليه أرجع كما قال فطرني لانه صار
عابداً من القسم الاول فرجوعه الى الله لا يكون لان لا كرام وليس سبب عبادته ذلك بل
غيره * ثم قال تعالى (أتأخذ من دونه آلهة) لستم التوحيد فان التوحيد بين التعطيل
والاشراك فقال ومالي لأعبد إشارة الى وجود الاله وقال أتأخذ من دونه إشارة الى
غيره فتتحقق معنى لا اله الا الله وفي الآية أيضا اطائف (الاولى) ذكره على طريق
الاستفهام فيه معنى وضوح الامر وذلك ان من أخبر عن شيء فقال مثلاً لا تأخذ
يصح من السامع أن يقول له لم لا تأخذ فيسأله عن السبب فإذا قال أتأخذ يكون كلامه
انه مستغن عن بيان السبب الذي يطالب به عند الاخبار كأنه يقول استشرتك فذاني
والمستشار يتفكر فكأنه يقول تفكر في الامر تفهم من غير اخبار مني (الثانية) قوله
من دونه وهي اطيقة عجبية ويانها هو انه لما بين انه يعبد الله بقوله الذي فطرني بين ان من
دونه لا يجوز عبادته فان عبد غير الله وجب عبادة كل شيء مشارك للمعبود الذي تأخذ
غير الله لان الكل محتاج مقتصر صاير فلو قال لا تأخذ آلهة لقل له ذلك يختلف ان تأخذ
الها غير الذي فطرك ولزمك عقلان تأخذ آلهة لا حصر لها وان كان الهك ربك وخافك
فلا يجوز أن تأخذ آلهة (الثالثة) قوله أتأخذ إشارة الى أن غيره ليس بالله لان المتخذ
لا يكون الها ولهذا قال تعالى ما تأخذ صاحب ولا ولد او قال الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً انه
تعالى لا يكون له ولد حقيقة ولا يجوز وانما انتصاري قالوا يني الله عيسى وسماه ولداً فقال
ولم يتخذ ولداً ولا يقال قال الله تعالى فأتخذه وكلاً في حق الله تعالى حيث قال رب المشرق
والمغرب لا اله الا هو فأتخذه وكلاً نقول ذلك أمر متجدد وذلك لان الانسان في أول الامر
يكون قليل العبر ضعيف القوة فلا يجوز أن يترك أسباب الدنيا ويقول اني أتوكل فلا
يحسن من الواحد ما أن لا يشتغل بأمر أصلاً ويترك أطفاله في ورطة الحاجة ولا يوصل

كما ينبغي * عنه قوله (واليه
ترجعون) مبالغة في
التهديد ثم عاد الى المساق
الاول فقال (أتأخذ من
دونه آلهة) انكار وتوبيخ
لا تأخذ آلهة على
الاطلاق وقوله

الى أهله نفقتهم ويحلبس في مسجد وقلبه متعلق بعطاء ز يدور وفاذا قوى بالعبادة قلبه ونسى نفسه فضلا عن غيره وأقبل على عبادة ربه بجمع قلبه وترك الدنيا وأسبابها وفوض أمره الى الله حيثنذ يكون من الأبرار الاخيار فقال الله لرسوله أنت علمت ان الامور كلها بيد الله وعرفت الله حق المعرفة وتيقنت أن المشرق والمغرب وما فيهما وما يتبع بينهما بأمر الله ولا اله يطلب لقضاء الحاجات الا هو فأتخذه وكلا وفوض جميع أمورك اليه فقد ارتقيت عن درجة من يؤمر بالكسب الحلال وكنت من قبل تجر في الحلال ومعنى قوله فاتخذته وكلا أي في جميع أمورك وقوله تعالى لا تغن عني يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون كأنه من كانه قال ألتخذ آلهة غير مغنية عند ارادة الرحمن في ضرا (وثانيهما) أن يكون من استأنفا كأنه قال لا ألتخذ من دونه آلهة ثم قال تعالى (ان يردن الرحمن بضر لانه دفعني شفاعتهم شيئا ولا ينقدون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال ان يردن الرحمن بضر بعبود بل ان يرد الرحمن في ضرا وكذلك قال تعالى ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات حرم عبديته بل ان أراد الله في ضرا نقول الفعل اذا كان متعديا الى مفعول واحد تعدى الى متعدي آخر لا يحرف كاللازم يتعدى بحرف في قولهم ذهب به وخرج به ثم ان المتكلم البالغ يجعل المفعول بغير حرف ما هو أولى بوقوع الفعل عليه ويجعل الآخر مفعولا بحرف فاذا قال القائل مثلا كيف حال فلان يقول اختصه الملك بالكرامة والنعمة فاذا قال كيف كرامة الملك يقول اختصها بزيد فيجعل المفعول مفعولا بغير حرف لانه هو المقصود اذا علمت هذا فالمراد بضر فيما نحن فيه بيان كون العبد تحت تصرف الله يقبله كيف يشاء في البؤس والرخاء وليس الضر بمقصود بيانه كيف والقائل مؤمن يرجو الرحمة والنعمة بناء على ايمانه بحكم الله وبأنه يقول من قبل الذي ذماني حيث جعل نفسه مفعول الفطرة فكذلك انتم مفعول الارادة بضر وقوع تبعا وكذا القول في قوله تعالى ان أرادني الله بضر المقصود بيان أنه يكون كإيراد الله وليس الضر بخصوصه مقصود بالذكري وبأنه ما تقدم حيث قال تعالى ليس الله بكاف عبده يعني هو تحت ارادته ويتأيد ما ذكرناه بالظاهر قوله تعالى قل من ذا الذي يعصكم من الله ان اراد بكم سوءا حيث خالف هذا الظاهر وجعل المفعول من غير حرف السوء وهو كالضر والمفعول بحرف هو المكلف وذلك لان المقصود ذكر الضر للتخويف وكونهم محلا له وكيف لا وهم كفرة استحقوا العذاب بكفرهم فجعل الضر مقصودا بالذكري لجرهم فان قيل فقد ذكر الله الرحمة أيضا حيث قال أو اراد بكم رحمة نقول المقصود ذلك ويدل عليه قوله تعالى من بعده ولا يجدون لهم من دون الله ولما ولا نصيرا وانما ذكر الرحمة نعمة للامر بالتقويم الحاضر وكذلك اذا تأملت في قوله تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قل من يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا أو اراد بكم نفعا فان الكلام أيضا مع الكفار وذكر النفع وقع تبعا لحصر الامر بالتقسيم ويدل عليه قوله تعالى بل كان الله بما تعملون

(ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا) أي لا تغني شيئا من النفع (ولا ينقدون) من ذلك الضر بالنعمة والمظاهرة استئناف سبق لتعليل الثاني المذكور وجعله صفة لا آله كما ذهب اليه بعضهم بما يوجبهم أن هناك آلهة ليست كذلك وقرئ ان يردن بفتح الراء على معنى ان يوردني ضرا أي يجعلني موردا للضر

(اني اذا) أي اذا اتخذت من دونه آلهة ٧٥ ﴿﴾ (اني ضلال مبين) فان اشراك ما ليس من شأنه النفع ولا دفع

الضرر بالخالق المقدر
الذي لا قادر غيره ولا خير
الاخيره ضلال بين لا يخفى
على أحد من له تمييز في
الجملة (اني آمنت بربكم)
خطاب منه للرسول
بطريق التلويح قبل
لما نصح قومه بما ذكر
هو ابرجه فأمره نحو
الرسول قبل أن يقتلوه
فقال ذلك وانما أكد
لاظهار صدور ربه عنه
بكمال الرغبة والنشاط
وأضاف الرب إلى ضميرهم
روما زيادة التفسير
وطهار الاختصاص
والاقتداء بهم كأنه قال
بربكم الذي أرسلكم
أو الذي تدعوننا إلى
الإيمان به (فاسمعون) أي
اسمعوا إيماني واشهدوا
لي به عند الله تعالى
وقبل الخطاب للكفرة
شافهم بذلك اظهارا
للتصليب في الدين وعدم
المبالاة بالقتل وإضافة
الرب إلى ضميرهم لتحقيق
الحق والتبنيه على
بضلان ما هم عليه من
انحياز الاصنام أربابا
وقيل للناس جميعا

خيرا فانه للتخويف وهذا كقوله تعالى وانا أوياكم على هدى أو في ضلال مبين والمقصود
اني على هدى وأنتم في ضلال واو قال هكذا لمنع مانع فقال بالتقسيم كذلك ههنا المقصود
الضرر واقع بكم ولاجل دفع المانع قال الضرر والنفع (المسئلة الثانية) قال ههنا ان يردن
الرحن وقال في الزمر ان أرادني الله فانا لاصحبه في اختيار صيغة الماضي هنالك
واختيار صيغة المضارع ههنا وذكر المراد باسم الرحن هنا وذكر المراد باسم الله هناك
نقول اما الماضي والمستقبل فان ان في الشرط تصير الماضي مستقبلا وذلك لان
المذكور ههنا من قبل بصيغة الاستقبال في قوله آتخذ وقوله وما لي لأعبد والمذكور
هناك من قبل بصيغة الماضي في قوله أفرايتم وكذلك في قوله تعالى وان يمسك الله بضر
ثم يكون التقديم عليه مذكورا بصيغة المستقبل وهو قوله من يصرف عنه وقوله اني
أخاف ان عصيت والحكمة فيه هو ان الكفار كانوا يخوفون النبي صلى الله عليه وسلم بضر
يصبه من آتتهم فكانه قال صدر منكم التخويف وهذا ما سبق منكم وههنا ابتداء
كلام صدر من المؤمن للتقرير والجواب ما كان يمكن صدوره منهم فافترق الأمران واما
قوله هناك ان أرادني الله فنقول قد ذكرنا ان الاسمين المختصين بواجب الوجود الله
والرحن كما قال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحن والله تلهيية والعظمة والرحن
للرافة والرحمة وهنالك وصف الله بالعزة والانتقام في قوله أليس الله بعز ذي انتقام وذكر
ما يدل على العظمة بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض فذكر الاسم الدال
على العظمة وقال ههنا ما يدل على الرحمة بقوله الذي فطرني فانه نعمة هي تسرط سائر النعم
فقال ان يردن الرحن بضر ثم قال تعالى لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا يقدون على ترتيب
ما يقع من العقلاء وذلك لان من يريد دفع الضر عن شخص بضر به شخص يدفع بالوجه
الاحسن فيشفع أولا فان قبله ولا يدفع فقال لا تغن عني شفاعتهم ولا يقدر ون على
انقاذي بوجه من الوجوه وفي هذه الآيات حصل بيان ان الله تعالى معبود من كل وجه
ان كان نظرا إلى جانبه فهو فاطر ورب مالك يستحق العبادة سواء أحسن بعد ذلك أو لم
يحسن وان كان نظرا إلى احسانه فهو رحن وان كان نظرا إلى الخوف فهو يدفع ضرره
وحصل بيان أن غير لا يصلح أن يعبد بوجه من الوجوه فان أدنى مراتبه أن يعبد يوم كريمة
وغير الله لا يدفع شيئا الا اذا أراد الله وان يرد فلا حاجة إلى دفع ثم قال تعالى (اني اذا اني
ضلال مبين) يعني ان فعلت ذلك فانا ضلال لا بينا والمبين مفعول بمعنى فعل كاجاء
عكسه ففعل بمعنى مفعول في قوله أليم أي مؤلم ويمكن أن يقال ضلال مبين أي مظهر
للأمر للناظر والاول هو الصحيح ثم قال تعالى (اني آمنت بربكم فاسمعون) في الخطاب
بقوله بربكم وجوه (أحدها) هم المرسلون قال المفسرون أقبل القوم عليه يريدون قتله
فأقبل هو على المرسلين وقال اني آمنت بربكم فاسمعوا قولي واشهدوا لي (وثانيها) هم الكفار
فكانه لما نصحهم وما نفعهم قال فانا آمنت فاسمعون (وثالثها) بربكم أيها السامعون

(قيل ادخل الجنة) قيل له ذلك لما قتلوه اكراماً له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله الحسن وعنه فتادة اذ دخله الله الجنة ٧٦ وهو فيها حتى يرزق وقيل معناه البشري بدخول الجنة

وأنه من أهلها وإنما لم يقل له لأن الغرض بيان المقول لا القول في اغتهاده والمعاني في المسارعة الى بيانه والجملة استئناف وقع جواباً عن سؤال شأ من حكاية حاله ومقاله كأنه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلي في دينه والتسخي بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل دخل الجنة وكذلك قوله تعالى (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفرت لي ربي وجعلني من المكرمين) فانه جواب عن سؤال شأ من حكاية حاله كأنه قيل فإذا قال عندئذ تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ وإنما غنى علم قومه بحاله ليحلمهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة جراً على سنن الاولياء في كظم اليقظ والترحم على الاعداء اوليعلوا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على الحق وأن عداوتهم

فاسمعون على العموم كإقلائي قول الواعظ حيث يقول يا مسكين ما أكثر أمرك وما أنزر تلك يريده كل سامع اسمعه وفي قوله فاسمعون فوائد (أحدها) انه كلام متروك في فكر حيث قال فاسمعون فان التكلم اذا كان يعلم ان الكلامه جماعة سامعين يتفكر (وثانيها) ان ينبه القوم ويقول اني أخبركم بما فعلت حتى لا تقولوا لم أخفيت عنا أمرك ولوا ظهرت لا تمنعك (وثالثها) ان يكون المراد السماع الذي بمعنى القبول يقول القائل فصحت فسمع فولى أي قبله فار قلت لم قال من قبل ومالي لأعبد الذي فطرتي وقال ههنا آمنت بربكم ولم يقل آمنت بربي نقول على قولنا الخطاب مع الرسل أمر ظاهر لانه لما قال آمنت بربكم ظهر عند الرسل انه قبل قولهم وآمن بالرب الذي دعوه اليه واو قال بربي لعنهم كانوا يقولون كل كافر يقول لي رب وأنا مؤمن بربي وأما على قولنا الخطاب مع الكفار ففيه بيان للتوحيد وذلك لانه لما قال أعبد الذي فطرتي ثم قال آمنت بربكم فهم انه يقول بربي وربكم واحد وهو الذي فطرتي وهو بعينه ربكم بخلاف ما لو قال آمنت بربي فيقول الكافر وأنا أيضاً آمنت بربي ومثل هذا قول تعالى الله ربنا وربكم ثم قال تعالى (قيل ادخل الجنة) فيه وجهان (أحدهما) انه قيل ثم قيل له ادخل الجنة بعد القتل (وثانيهما) قيل ادخل الجنة عقيب قوله آمنت وعلى الاول فقوله تعالى (قال يا ليت قومي يعلمون) يكون بعد موته والله أخبر بقوله وعلى الثاني قال ذلك في حياته وكأنه سمع الرسل انه من الداخلين الجنة وصدقهم وقضيه وعلمه فقال يا ليت قومي يعلمون كما علمت فيؤمنون كما آمنت وفي معنى قوله تعالى قبل وجهان كما ان في وقت ذلك وجهان (أحدهما) قيل من أقول (والثاني) ادخل الجنة وهذا كافي قوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ليس المراد التول في وجد بل هو الفعل أي فعله في حينه من غير تأخير وتراخ وكذلك في قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي وجهه جعل الأرض بالعماءها * وفي قوله تعالى (بما غفرت لي ربي) وجوه (أحدها) ان ما استغفامه كأنه قال يا ليت قومي يعلمون بما غفرت لي ربي حتى يشغلوا به وهو ضعيف والالكان الاحسن أن تكون ما محذوفة الالف يقال بم وفيم وعم ولم (وثانيها) خبرية كأنه قال يا ليت قومي يعلمون بالذي غفرت لي ربي (وثالثها) مصدرية كأنه قال يا ليت قومي يعلمون بمغفرة ربي والوجهان الآخران هما المختاران * ثم قال تعالى (وجعلني من المكرمين) قد ذكرنا أن الايمان والعمل الصالح يوجبان أمرين هما الغفران والاكرام كافي قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم مغفرة ورزق كريم والرجل كان من المؤمنين الصالحاء والكرم على ضد المهان والاهانة بالحاجة والاكرام بالاستغناء فيغني الله الصالح عن كل أحد ويدفع جميع حاجاته بنفسه ثم انه تعالى لما بين حاله بين حال المتخلفين المخالفين له من قومه بقوله تعالى (وما أزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) اشارة إلى هلاكهم بعد سر بعالي أسهل وجه فانه لم يخرج الى ارسال جند يهلكهم وفيه مسائل (المسئلة

لم تكسبه الاسعاده وقرئ من المكرمين وما موصولة أو مصدرية والباء صلة يعلمون أو استغفامية * (الاولى) وردت على الاصل والباء متعلقة بغفرتي بأي شيء غفرتي ربي يريد به تفخيم شأن

المهاجرة عن ملتهم والمصاربة على أذيتهم ٧٧ (وما أنزلنا على قومه من بعده) من بعد قوله أو رفعه (من جند

من السماء) لاهلاكهم
والانتقام منهم كما فعلناه
يوم بدر والخندق بل
كفينا أمرهم بصيحة
ملك وفيه استحقار لهم
ولا هلاك لهم وإيماناً إلى
تقخير شأن الرسول
صلى الله عليه وسلم (وما
كننا من الزلزال) وما صح
في حكمتنا أن نزل
لاهلك قومه جنداً من
السماء لما أنقذنا كل
شيء سبياً حيث أهلكنا
بعض من أهلكنا من
الأمم بالخاص وببعضهم
بالصيحة وببعضهم
بالخسف وببعضهم
بالاغراق وجعلنا الزلزال
الجند من خصائصك
في الانتصار من قومك
وقبل ما موصولة معطوفة
على جند أي وما كنا
من الزلزال على من قبلهم
من حجارة وريج وأمطار
شديدة وغيرها (ان
كانت) أي ما كانت
الأخذة أو العقوبة
(الاصححة واحدة)
صاح بها جبريل عليه
السلام وقرئ الاصححة
بالرفع على أن كان تأمة
وقرئ الازقية واحدة

الاولى) قال ههنا وما أنزلنا باسناد الفعل الى النفس وقال في بيان حال المؤمن قيل ادخل
الجنة باسناد انقول الى غير مذكور وذلك لان العذاب من باب الهيبة فقال بل فقط
التعظيم وأما في ادخل الجنة فقال قيل ليكون هو كالمهنا بقول الملائكة حيث يقول له
كل ملك وكل صالح يراه ادخل الجنة خائداً يهواً وشيخاً ما ورد في القرآن قوله تعالى وقيل
ادخلوا اشارة الى أن الدخول يكون دخولاً باكرام كما يدخل العريس البيت المزين ثانياً
رؤس الاشهاد يهنيه كل أحد (المسئلة الثانية) لم أضاف انقوم اليه مع أن الرسل أولى
بكون الجمع قوماً لهم فان الواحد يكون له قوم هم آله وأصحابه والرسول لكونه مرسل
يكون جميع الحق وجميع من أرسل اليهم قوماً له نقول اوجهين (أحدهما) ليبين الفرق بين
اثنين هما من قبيلة واحدة أكرم أحدهما غاية الاكرام بسبب الايمان وأهين الآخر غاية
الاهانة بسبب الكفر وهذا من قوم أولئك في النسب (وثانيهما) أن العذاب كان مختصاً
بأقارب ذلك لان غيرهم من قوم الرسل آمنوا بهم فلم يصبهم العذاب (المسئلة الثالثة)
خصص عدم الانزال بما بعده والله تعالى لم ينزل عليهم جنداً قبله أيضاً فافائدة التخصيص
نقول استحقاقهم العذاب كان بعد حيث أصروا واستكبروا فبين حال الهلاك أنه
لم يكن يجند (المسئلة الرابعة) قال من السماء وهو تعالى لم ينزل عليهم ولا أرسل اليهم جنداً
من الارض فافائدة التقييد نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن يكون المراد
وما أنزلنا عليهم جنداً بأمر من السماء فيكون العموم (وثانيهما) أن العذاب نزل عليهم من
السماء فبين أن النازل لم يكن جنداً لهم عظيمة وإنما كان ذلك بصيحة أخذت نارهم
وخربت ديارهم (المسئلة الخامسة) (وما كننا من الزلزال) آية فائدة فيه مع أن قوله وما أنزلنا
يستلزم أنه لا يكون من الزلزال نقول قوله وما كنا أي ما كان ينبغي لنا أن ننزل لان الأمر كان
يتم بدون ذلك فأنزلنا وما كنا محتاجين الى انزال أو نقول وما أنزلنا وما كنا من الزلزال في مثل
تلك الواقعة جنداً في غير تلك الواقعة فان قيل فكيف أنزل الله جنوداً في يوم بدر وفي غير ذلك
حيث قال وأنزل جنوداً ثمروها نقول ذلك تعظيم للمحمد صلى الله عليه وسلم والا كان تحريك
ريشة من جناح ملك كافياً في استئصالهم وما كان رسل عيسى عليه السلام في درجة
محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين الله تعالى ما كان بقوله (ان كانت) الواقعة (الاصححة) وقال
المنحشري أصله ان كان شيء الاصححة فكان الاصل ان يذكر لك أنه تعالى انت لما بعده من
المفسر وهو الاصححة قوله تعالى (واحدة) تأكيد ليكون الأمر هي عند الله وقوله تعالى
(فاذا هم خامدون) فيه اشارة الى سرعة الهلاك فان خودهم كان مع الصيحة وفي وقتها
لم يتأخروا وصفهم بالخمود في غاية الحسن وذلك لان الحى في الحرارة الغريزية وكلما كانت
الحرارة أوفر كانت القوة الغضبية والشهوانية أنموذجهم كانوا كذلك اما الغضب فانهم
قتلوا مؤمناً كان ينصحههم وأما الشهوة فلا تهم احتلوا العذاب الدائم بسبب استيفاء
اللذات الحالية فذن كانوا كائنات الموفدة ولا تهم كانوا جبارين مستكبرين كائنات رومن

من زقا الطائر اذا صاح (فاذا هم خامدون) ميتون شبهوا بانسار الخادمة ومزا اي أن الحى كائنات الساطعة في
الحكمة والاتجاه الميت كالأدغال والاشجار ضوئها تجوهر ماداً بعدادها ساطع

(يا حسرة على العباد) تعالى فهذه من الاحوال التي حقها أن تحضري فيها وهي ما ذل عليه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آمنوا بغير شيء وهم يسمعون صوته لا يفقهون ولا يعلمون ما يقولون) فان المستهزئين بالناسحين الذين ﴿ ٧٨ ﴾ نيطت بصالحهم - مادة الدار بن أحقه

أن يحسروا أو يحسروا عليهم المتحسرون أو قد تلف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد جوز أن يكون تحسروا عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة للعظيم ما جنود على أنفسهم ويؤيد قراءة يا حسرتنا لأن المعنى يا حسرتي ونصبها الطواغيت ما يتعلق بها من الجار وقيل يا حسرتنا فعلها والمنادي محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل أو المفعول يا حسرة على العباد باجراء الوصل بحرى الوقف (المبرور) أي ألم يعلموا وهو معاق عن العمل في قوله تعالى (كم أهلكنا قبلهم من القرون) لأن كم لا يعمل فيها ما قبلها وإن كانت خيرية لأن أصلها الاستفهام خلا أن معناه نافذ في الجملة كأنفد في قواك الم تر أن زيدا لمنطلق وإن لم يعمل في لفظه (انهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى أي المبرور أكثره أهلكنا من قبلهم من المذكورين آنفا ومن غيرهم كونهم غير بادية ﴿

راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ ألم يروا من أهلكنا والبدل حيث بدل اشتمال

(وان كل لما جمع لدينا محضرون) يبالرجوع الالح الى المحشر بعد بيان علم الرجوع الى الدنيا وان نافية ونوي كل
موضوع عن المضاف اليه ولما بمعنى الاوجيع * ٧٩ * فعمل بمعنى مفعول ولدينا طرق له او لما بعده والمعنى ما كلهم الا

يجوعون لدينا محضرون
الحساب والجزاء وقيل
محضرون معذبون فكل
عبارة عن الكفرة وقرئ
لما بالتخفيف على أن ان
تخفف من الثقلة واللام
فارقة وما من يد لا أكيد
والمعنى ان كلهم يجوعون
الح (واية لهم الارض
الميتة) بالتخفيف وقرئ
بالتشديد وقواه تعالى
آية خبر مقدم للاهتمام
به وتشكيها للتخفيف ولهم
امانة معلقة بها لانها بمعنى
العلامة او بمضمر هو
صفه لها والارض ميتة
والميتة صفتها وقوله
تعالى (أحييناها)
استشاف مبين لكيفية
كونها آية وقيل آية
مبتدأ أولهم خبر والارض
الميتة مبتدأ موصوف
وأحييناها خبره والجملة
مفسرة لآية وقيل الارض
مبتدأ وأحييناها خبره
والجملة خبر لآية وقيل
الخبر لها هو الارض
وأحييناها صفتها لان
المراد بها الجنس لا المعينة
والاول هو الاول لان
مصعب الفائدة هو كون
الارض آية لهم لا كون

بآية وعرفه نفسه وطلب منه أمرا هيئا فكذبته ولم يجبه الى مادعاء ثم وقف بين يديه وهو
على سريره ملكه فمرفعه انه ذلك يكون عنده من الندامة ما لا من يد عليه فكذلك الرسل هم
ملوك وأعظم منهم باعزاز الله اياهم وجعلهم نوابه كما قال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وجاهوا وعرفوا أنفسهم ولم يكن لهم عظمة ظاهرة في الحس ثم يوم القيامة
أوعند ظهور البأس ظهرت عظمتهم عند الله لهم وكان ما يدعون اليه أمرا هيئا نفعه
عائدا اليهم من عبادة الله وما كانوا يسألون عليه أجرا فعند ذلك تكون الندامة الشديدة
وكيف لا وهم لم يقتنعوا بالاعراض حتى آذوا واستهزؤا واستخفوا واستهاتوا وقوله
ما يأتهم الضمير يجوز أن يكون عائدا الى قوم حبيب أي ما يأتهم من رسول من الرسل
الثلاثة الا كانوا يستهزؤن على قولنا الحسرة عليهم ويجوز أن يكون عائدا الى الكفار
المصريين * ثم ان الله تعالى لما بين حال الاولين قال للمحضرين (الم يروا كم أهلكنا قبلهم
من القرون) أي الباقيون لا يرون ما جرى على من تقدمهم ويحتمل أن يقال ان الذين قيل
في حقهم بالحسرة هم الذين قال في حقهم الم يروا ومعناه ان كل مهلك تقدمه قوم كذبوا
وأهلكوا الى قوم نوح وقوله * وقوله (انهم اليهم لا يرجعون) بدل في المعنى عن قوله
كم أهلكنا وذلك لان معنى كم أهلكنا الم يروا كثرة اهلنا كذا وفيه معنى الم يروا المهلكين
الكثيرين انهم اليهم لا يرجعون وحينئذ يكون كبديل الاشتغال لان قوله انهم اليهم
لا يرجعون حال من أحوال المهلكين أي أهلكوا بحيث لا رجوع لهم اليهم فيصير كقولك
ألا ترى زيدا أدبه وعلى هذا فقله انهم اليهم لا يرجعون فيه وجهان (أحدهما) أهلكوا
اهلا كالارجوع لهم الى من في الدنيا (وثانيهما) هو انهم لا يرجعون اليهم أي الباقيون
لا يرجعون الى المهلكين بسبب ولا ولادة يعني أهلكناهم وقضينا نسلهم ولا شك في أن
الاهلاك الذي يكون مع قطع النسل أتم وأعم والوجه الاول أشهر نقلا والثاني أظهر
نقلا * ثم قال تعالى (وان كل لما جمع لدينا محضرون) لما بين الاهلاك بين انه ليس من
أهلكه الله تركه بل بعده جمع وحساب وحبس وعقاب واوأن من أهلك ترك لكان الموت
راحة ونعم ما قال القائل

ولو أنا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي

ولكننا اذا متنا بعثنا * ونسئل بعده عن كل شيء

وقوله وان كل لما في ان وجهان (أحدهما) انها تخفف من الثقلة واللام في لفافرة بينها
وبين النافية وما زائدة مؤكدة في المعنى والقراءة حينئذ بالتخفيف في لما (وثانيهما) انها
نافية ولما بمعنى الا قال سيويه يقال نشدك بالله لما فعلت بمعنى الانعلت والقراءة حينئذ
بالتشديد في لما يؤيد هذا ما روى ان أبا قرأ وما كل الاوجيع وفي قول سيويه لما بمعنى
الاوارد معنى مناسب وهو ان لما كأنها حرفان في جمعا وهما موافقا كدالتني ولهذا يقال
في جواب من قال قد فعل لما يفعل وفي جواب من قال فعل لم يفعل والا كأنها حرفان في

الآية هي الارض (وأخرجهما حبا) جنس الحب (فقد يا كلون) تقديم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل

ويعاش به (وجعلنا فيها اجناس من نخيل واعناب) أي من أنواع * ٨٠ * النخل والعنب ولذلك جمعادون الحب

فإن الدال على الجنس
مشعر بالاختلاف ولا
كذلك الدال على الأنواع
وذكر النخيل دون التور
ليطابق الحب والاعناب
لاختصاص شجرها
بميزيد النفع وآثار الصنع
(وقبرنا فيها) وقرئ
بالتحفيف والفجر والتفجير
كالفتح والتفتيح لفظا
ومعنى (من العيون) أي
بعض من البوق خفف
الموصوف وأقيمت الصفة
مقامه أو العيون ومن
مزيدة على رأى الاخفش
(أي كلوا من ثمره) متعلق
بجعلنا وتأخير عن تنجيم
العيون لأنه من مبادئ
الاعتبار وجعلنا فيها
جنات من نخيل ورتبنا
مبادئ الثمار أيا كلوا
من ثمر ما ذكر من الجنات
والنخيل بإجراء الضمير
لله تعالى بطريق الالتفات
إلى الغيبة والاضافة
لأن الثمر يخلقه تعالى
وقرئ بضمتين وهي
لغة فريدة أوجع ثمار بعض
وسكون في معاملة
أيديهم) عطفت على
ثمره وهو ما يتخذ منه منه
العصير والدبس ونحوهما

ان ولا فاستعمل أحدهما مكان الآخر قال الزمخشري فإن قال قائل كل وجيع بمعنى
واحد فكيف جعل جميعا خبر الكل حيث دخلت اللام عليه إذا التقدير وان كل للجميع
نقول معنى جميع مجموع ومعنى كل كل فرد بحيث لا يخرج عن الحكم أحد فصار المعنى
كل فرد مجموع مع الآخر مضوم اليه ويمكن أن يقال محضرون يعني عماد كره وذلك لأنه
لوقال وان جميع للجمع محضرون لكان كلاما صحيحا ولم يوجد ما ذكره من الجواب بل
الصحيح ان محضرون كالصفة للجميع فكأنه قال جميع جميع محضرون كما يقال الرجل رجل
عالم والشيء شيء مرسل والواو في وان كل لعطف الحكاية على الحكاية كأنه يقول بينت
لك ما ذكرت وأبين ان كلا لدينا محضرون وكذلك الواو في قوله تعالى * وآية لهم
الارض الميتة احينناها واخرجنا منها حيا فمنه يأكولون وجعلنا فيها جنات من نخيل
واعناب وقبرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره وما علمته أيديهم أفلا يشكرون) كأنه
يقول وأقول أيضا آية لهم الارض الميتة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما وجه تعلق هذا
بما قبله نقول مناسب لما قبله من وجهين (أحدهما) انه لما قال وان كل لما جميع كان ذلك
إشارة إلى الحشر فذكر ما يدل على امكانه قطعاً لانكارهم واستبعادهم واصرارهم
وعنادهم فقال وآية لهم الارض الميتة احينناها كذلك نحى الموتى (وثانيهما) انه لما ذكر
حال المرسلين واهلاك المكذبين وكان شغلهم التوحيد ذكر ما يدل عليه وبدأ بالارض
لكونها مكانهم لامقارفة لهم منها عند الحركة والسكون (المسئلة الثانية) الارض آية
مطلقة فلم خصصها بهم حيث قال وآية لهم نقول الآية تعدد وتسرّد لمن لم يعرف الشيء
بأبلغ الوجوه وأما من عرف الشيء بطريق الرواية لا يدرك له دلائل فان النبي وعباد الله
المخلصين عرفوا الله قبل اذ رضى والسماء فليست الارض معرفة لهم وهذا كما قال تعالى
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وقال أولم يكف بربك ان
كل شيء شهود يدعي أنت كفاك ربك معرفا به عرفت كل شيء فهو شهيد لك على كل شيء وأما
هؤلاء تبين لهم الحق بالآفاق والانس وكذلك ههنا آية لهم (المسئلة الثالثة) ان قلنا
ان الآية مذكورة للاستدلال على جواز احياء الموتى فيكون قوله احينناها ولا حاجة إلى قوله
وأخرجنا منها حيا وغير ذلك وان قلنا انها للاستدلال على وجود الاله ووحدته فلا فائدة
في قوله الارض الميتة احينناها لان نفس الارض دليل ظاهر وبرهان باهر ثم هب أنها غير
كافية لقوله الميتة احينناها كافي في التوحيد فافائدة قوله وأخرجنا منها حيا نقول
مذكورة للاستدلال عليها ولكل ما ذكره الله تعالى فائدة اما قوله وأخرجنا منها حيا قوله
فائدة بالنسبة إلى بيان احياء الموتى وذلك لأنه لما احيى الارض وأخرج منها حيا كان ذلك
احياء تاما لان الارض الخضرة التي لا تنبت الزرع ولا تنخرج الحب دون ما تنبت في الحياة
فكأنه قال تعالى احيى الارض احياء كاملا متبنا للزرع يحى الموتى احياء كاملا بحيث
تدرك الامور واما بالنسبة إلى التوحيد فلا في تعدد النعم كأنه يقول آية لهم الارض

وقيل ما نافية والمعنى أن الثمر يخلق الله تعالى لآية عليهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤيد كذا القول قراءة * فانها *
نقلت بلاهاء فان حذف العائد من الصلة أحسن من الخلف من غيرها (أفلا يشكرون) انكار

فانما مكانهم ومهدهم الذي فيه تحر يكهم واسكانهم والامر الضروري الذي عنده وجودهم وامكانهم وسواء كانت ميتة أو لم تكن فهي مكان لهم لا بداهم منها فهي نعمة ثم احياءها بحيث تخضر نعمة ثانية فانها تصير أحسن وأزهر ثم ادراج الحب منها نعمة ثالثة فان قوتهم بصير في مكانهم كان يمكن ان يجعل الله رزقهم في السماء أو في الهواء فلا يحصل لهم الوثوق ثم جعل الجنة فيها نعمة رابعة لان الارض تذبذب الحب في كل سنة واما الاشجار بحيث تؤخذ منها الثمار فتكون بعد الحب وجودا ثم فجزنا فيها العيون ليحصل لهم الاعتماد بالحصول ولو كان ماؤها من السماء لحصل ولكن لم يعلم انهم أين تغرس وأن يقع المطر وبزال المطر وبالنسبة الى بيان احياء الموتى كل ذلك مفيد وذلك لان قوله وأخرجنا منها حيا كالإشارة الى الامر الضروري الذي لا بد منه وقوله وجعلنا فيها جنة كالامر المحتاج اليه الذي انما يمكن لا يعني الانسان لكنه يعني تحتل الحال وقوله وفجزنا فيها من العيون اشارة الى الزينة التي انما تكون لا تعني الانسان ولا يتي في ورطة الحاجة لكنه لا يكون على أحسن ما ينبغي وكان حال الانسان بالحب كحال الفقير الذي له ما يسد خلته من بعض الوجوه ولا يدفع حاجته من كل الوجوه وبالثمار يعتبر حاله كحال المكنى بالعيون الجارية التي يعتمد عليها الانسان ويقوى بها قلبه كالاستغنى الغنى المدخر لقوت سنين فيقول الله عز وجل كما فعلنا في موات الارض كذلك نفعل في الاموات في الارض فتحسبهم ونعطيههم ما لا بداهم منه في بقائهم وكونهم من الاعضاء المحتاج اليها وقواها كالعين والقوة الباصرة والاذن والقوة السامعة وغيرهما ونزله ما هو زينة كالعقل الكامل والادراك الشامل فيكون كأنه قال نجبر الموتى احياء تاما كما أحيينا الارض احياء تاما (المسئلة الرابعة) قال فقد ذكر الحب فغند يأكلون وفي الاشجار والثمار قال ليأكلوا من ثمره وذلك لان الحب قوت لا بد منه فقال فغند يأكلون أي هم آكلوه وأما الثمار ليست كذلك فكانه تعالى قال ان كنا ما أخرجناها كانوا يبقون من غير أكل فأخرجناها ليأكلوها (المسئلة الخامسة) خصص التخليل والاعتاب بالذكر من سائر الفواكه لان ألد المطعوم الخلاوة وهي فيها أتم ولان التمر والعنب قوت وفاكهة ولا كذلك غيرهما ولا نهما أعم نفعاً فانهما تحمل من البلاد الى الاماكن البعيدة فان قيل فقد ذكر الله الزمان والزيتون والانعام والقضب والزيتون والتين في مواضع نقول في الانعام وغيرها المقصود ذكر الفواكه والثمار الأتري الى قوله تعالى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به الى قوله فلينظر الانسان الى طعامه فاستوفى الانواع بالذكر وههنا المنة مصد ذكر صفات الارض فاخترنا منها الا لذل لا نفع وقد ذكرنا في سورة الانعام ما يستفاد منه الفوائد ويعلم منه فائدة قوله تعالى فاكهة ونخل ورمان (المسئلة السادسة) في المواضع التي ذكر الله الفواكه لم يذكر التمر بلفظ شجرته وهي التخلية ولم يذكر العنب بلفظ شجرته بل ذكره بلفظ العنب والاعتاب ولم يذكر الكرم وذلك لان العنب شجرته بالنسبة الى ثمرته حقيرة قليلة

واستباح لعدم شكرهم
لأنهم المعدودة والنساء
لأنهم على قدر
يقتضيه المقام أي يرون
هذه النعم أو أين همون
بها فلا يشكرونها
(سبحان الذي خلق
الازواج كلها) استأنف
مستوفى انتزيعه تعالى عما
فعلوه من ترك شكره على
الأنه المذكورة واستعظام
ما ذكر في حيز الصلاة
من بدائع آثار قدرته
وأسرار حكمته وروائع
نعماته الموجبة للشكر
وتخصيص العبادة به
والتعجب من إحلالهم
بذلك والحسنة هذه
وسبحان علم النسيج
الذي هو التبعيد عن السوء
اعتقاداً وقولاً أي اعتقاد
البعد عنه والحكم به
من سيج في الارض والماء
إذا أبعدهما

القائدة والنخل بالنسبة الى ثمرته عظيمة جليلة القدر كثيرة الجدوى فان كثيرا من الظروف
منها يتخذ ولحائها ينفع ولها شبه بالحيوان فاختار منها ما هو الاعجب منها وقوله تعالى
وفجرنا فيها من العيون آية عظيمة لان الارض اجزاؤها بحكم العادة لاتصعد ونحن نرى
منايع الانهار والعيون في المواضع المرتفعة وذلك دليل القدرة والاختيار والقائلون
بالعياين قالوا ان الجبال كالقصاب المبنية والابخرة ترتفع اليها كما ترتفع الى سقوف
الجمامات وتكون هناك قطرات من الماء ثم تجمع فان لم تكن قوية تحصل المياه الراكدة
كالآبار وتجري في القنوات وان كانت قوية تشق الارض وتخرج انهارا جارية وتجمع
فتحصل الانهار العظيمة وعمدها مياه الامطار والثلوج فنقول اختصاص بعض الجبال
باليون دليل ظاهر على الاختيار وما ذكره تفسر فالحق هو ان الله تعالى خلق الماء
في المواضع المرتفعة وساقها الى الانهار والسواقي أو صعد الماء من المواضع المنخفضة الى
الاماكن المرتفعة بأمر الله وجري في الاودية الى البقاع التي انعم الله على أهلها ثم قال
تعالى لا تأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون والترتيب ظاهر ويظهر أيضا في
التفسير وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لما أخرج الترتيب على الانتفاع بقوله لا تأكلوا من ذكر
الثمار حتى قال وفجرنا فيها من العيون وقال في الحب فنه يا كلون عقيب ذكر الحب ولم
يقبل عقيب ذكر النخل والاعتناء لا تأكلوا نقول الحب قوت وهو يتم وجوده بمياه
الامطار ولهذا يرى أكثر البلاد لا يكون بها شيء من الاشجار والزرع والحراثة لا تبطل
هناك اعتمادا على ماء السماء وهذا لطف من الله حيث جعل ما يحتاج اليه الانسان أعم
وجودا وأما الثمار فلا تتم الا بالانهار ولا تنضج الا بالاشجار حاملة للثمار الابدع وجود الانهار
فهذا آخر (المسئلة الثانية) الضمير في قوله من ثمره عائدا الى أي شيء نقول المشهور انه عائدا
الى الله أي لا تأكلوا من ثمر الله (وفيه لطيفة) وهي ان الثمار بعد وجود الاشجار وجريان
الانهار لم توجد الا بالله تعالى ولا خلق الله ذلك لم توجد فالثمر بعد جميع ما بطن الظن انه
سبب وجوده ليس الا بالله تعالى وارادته فهي ثمره ويحتمل ان يعود الى النخل وترك
الاعتناء لحصول العلم بانها في حكم النخل ويحتمل ان يقال هو راجع من المذكور أي من
ثمر ما ذكرنا وهذا الوجهان نعلمهما الزمخشري ويحتمل وجه آخر أغرب وأقرب وهو ان
يقال المراد من الثمر الفوائد يقال ثمرة التجارة الربح ويقال ثمرة العبادة الثواب وحينئذ
يكون الضمير عائدا الى التمجيز المداول عليه بقوله وفجرنا فيها من العيون ففجرا لا تأكلوا
من فوائد ذلك التمجيز وفوائده أكثر من الثمار بل يدخل فيه ما قال الله تعالى اننا صبينا الماء
صبا الى أن قال فأخرجنا به حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلًا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا
والتمجيز أقرب في الذكر من النخل ولو كان عائدا الى الله لقال من ثمرنا كما قال وجعلنا
وفجرنا (المسئلة الثالثة) ما في قوله وما عملته من أي المآلت هي نقول فيها وجوه (أحدها)
نافية كانه قال وما عملت التمجيز أيديهم بل الله فخر (وثانيها) موصولة بمعنى الذي كأنه قال

وأعني ومنه فرس سروج
أي واسع الجري واتصابه
على المصدرية ولا يكاد
يذكر ناصبه أي أصبح
سبحانه أي أنزهه عما
لا يليق به عقدا وعلا
نزيها عما عابه حقيقة
بشأنه وفيه مبالغة من
جهة الاشتقاق من السبح
ومن جهة النقل الى
التفصيل ومن جهة العدول
عن المصدر الدال على
الجنس الى الاسم الموضوع
له خاصة لاسيما العلم
المشير الى الحقيقة الخاضرة
في الذهن ومن جهة
اقامته مقام المصدر مع
الفعل وقيل هو مصدر
كفران أو يديه التره
النام والتباعد الكلي
عن سوء فقيه مبالغة
من جهة اسناد التره
الى الذات المقدسة فالعني
تزه بذاته

والذي علمته أيديهم من الفراس بعد التفجير يأكلون منه أيضا ويأكلون من ثمر الله الذي
أخرجها من غير سعي من الناس فمطف الذي علمته الأيدي على ما خلقه الله من غير مدخل
للإنسان فيه (وثالثها) هي مصدر يلق على قراءة من قرأ وما علمت من غير ضمير عائده معناه
أي أكلوا من ثمره وعمل أيديهم يعني يفرسون والله يبتتها ويخلق ثمرها فيأكلون مجموع عمل
أيديهم وخلق الله وهذا الوجه لا يمكن على قراءة من قرأ مع الضمير (المسئلة الرابعة) على
قولنا ما موصولة يحتمل أن تكون بمعنى وما علمته أي بالتجارة كأنه ذكر نوعي ما ياكل
الإنسان بهما وهما الزراعة والتجارة ومن النبات ما يؤكل من غير عمل الأيدي كالعنب
والتمر وغيرهما ومنه ما يعمل فيه عمل صنعة فيؤكل كالأشياء التي لا تؤكل الا مطبوخة
أو كالزيتون الذي لا يؤكل الا بعد اصلاح ثم لما عدا التعم أشار الى الشكر بقوله
أفلا يشكرون وذكر بصيغة الاستفهام لما بينا من فوائد الاستفهام فيما تقدم * ثم قال
تعالى (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وبما لا تعلمون)
قد ذكرنا أن لفظة سبحان علم دال على التسييح وتقديره سبحانه تسييح الذي خلق الأزواج
كلها ومعنى سبحانه أنه لا يقبلها هو أنه تعالى لما قال أفلا يشكرون وشكر
الله بالعبادة وهم تركوها ولم يقتنعوا بآثاره بل عبدوا غيره وأتوا بالشرك فقال سبحان الذي
خلق الأزواج وغيره لم يخلق شيئا فقال أو تقول لما بين أنهم أنكروا الآيات ولم يشكروا
بين ما ينبغي أن يكون عليه الماقل فقال سبحان الذي خلق الأزواج كلها أو تقول لما بين
الآيات قال سبحان الذي خلق ما ذكره عن أن يكون له شريك أو يكون عاجزا عن إحياء
الموتى وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله كلها يدل على أن أفعال العباد مخلوقة لله لأن
الزوج هو الصنف وأفعال العباد أصناف ولها أشباه هي واقعة تحت اجناس الاعراض
فتكون من الكل الذي قال الله فيها انه خلق الأزواج كلها لا يقال مما تنبت الأرض
يخرج الكلام عن العموم لأن من قال أعطيت زيدا كل ما كان لي يكون للعموم أن
اقتصر عليه فإذا قل بعده من الثياب لا يبقى الكلام على عمومه لأننا نقول ذلك اذا كانت
من الثياب الخسيس اما اذا كانت لتأكيد العموم فلا بدليل أن من قال أعطيت كل
شيء من الدواب والثياب والبيد والجوارى يفهم منه انه بعدد الاصناف لتأكيد العموم
ويؤيد هذا قوله تعالى في حم الذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفاكهة والأنعام
ما تركبون من غير تقييد (المسئلة الثانية) ذكر الله تعالى أمور ثلاثة ينحصر فيها المخاوفات
فقوله مما تنبت الأرض يدخل فيها ما في الأرض من الأمور الظاهرة كالنبات والثمار
وقوله ومن أنفسهم يدخل فيها الدلائل النفسية وقوله وبما لا تعلمون يدخل ما في أقطار
السموات وتقوم الأرضين وهذا دليل على انه لم يذكر ذلك للتخصيص بدليل أن الأنعام بما
خلقها الله والمعادن لم يذكرها وإنما ذكر الأشياء لتأكيد معنى العموم كما ذكرنا في المثال
(المسئلة الثالثة) قوله وبما لا تعلمون فيه معنى لطيف وهو انه تعالى إنما ذكر كون أكل

عن كل ما لا يليق به تترها
خاصا به فالجمله على
هذا الخبر من الله تعالى
بتزده ويراه عن كل
ما لا يليق به مما فعلوه
وما تركوه وعلى الاول
حكم منه عز وجل بذلك
وتلقين المؤمنين أن
يقولوا ويعتقدوا مستحسنه
ولا يظنوا به ولا يغفلوا عنه
والمراد بالأزواج الاصناف
والانواع (مما تنبت
الأرض) بيان لها
والمراد به كل ما تنبت
فيها من الأشياء المذكورة
وغيرها (ومن أنفسهم)
أي خلق الأزواج من
من أنفسهم أي الذكر
والانثى (وبما لا تعلمون)
أي والأزواج مما
يطلعهم الله تعالى على
خصوصياته لعدم
قدرتهم على الإحاطة
بها والملم يتعلق بذلك
شيء من مصالحهم
الدنيوية والدنيوية

مخلوقا بلية الله عن الشريك فان المخلوق لا يصلح شريكا للخالق لكن التوحيد الحقيقي لا يحصل الا بالاعتراف بأن لا اله الا الله فقال تعالى اعلموا أن المانع من التشريك فيما تعلمون وما لا تعلمون لان الخلق عام والمانع من الشر كمة الخلق فلا تشركوا بالله شيئا ما تعلمون فانكم تعلمون أنه مخلوق وما لا تعلمون فان عند الله كله مخلوق اكون كله ممكنا * ثم قال تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون) لما استدلل الله باحوال الارض وهي المكان الكلي استدلل بالليل والنهار وهو الزمان الكلي فان دلالة المكان والزمان مناسبة لان المكان لا تستغنى عنه الجواهر والزمان لا تستغنى عنه الاعراض لان كل عرض فهو في زمان ومثله مذكور في قوله تعالى ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم قال بعده ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت حيث استدلل بالزمان والمكان هناك أيضا لكن المقصود أولا هناك اثبات الوحدة بآية قوله تعالى لا تسجدوا للشمس ثم الحشر بدليل قوله تعالى ان الذي أحيانا لمحيي الموتى وههنا النقص أو لا اثبات الحشر لان السورة فيها ذكر الحشر أكثر يدل عليه النظر في السورة وهناك ذكر التوحيد أكثر بدليل قوله تعالى فيه قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى غيره وآخر السورتين يبين الامر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) المكان يدفع عن أهل السنة شبه الفلاسفة والزمان يدفع عنهم شبه المشبهة (اما بيان الاول) فذلك لان الفلاسفة يقول لو كان عدم العالم قبل وجوده لكان عند فرض عدم العالم قبل وقبل وبعد لا يتحقق الا بالزمان فقبل العالم زمان والزمان من جملة العالم فيلزم وجود الشيء عند عدمه وهو محال فنقول لهم قد وافقونا على أن الامكنة متناهية لان الابعاد متناهية بالاتفاق فاذا في فوق السطح الاعلى من العالم يكون عدم وهو موصوف بافوقية وفوق وتحت لا يتحقق الا بالمكان ففوق العالم مكان والمكان من العالم فيلزم وجود الشيء عند عدمه فان أجابوا بأن فوق السطح الاعلى لا خلا ولا ملا فتقول قبل وجود العالم لأن الزمان موجود (واما بيان الثاني) فلان المشبهى يقول لا يمكن وجود موجود الا في مكان قاله في مكان فتقول فيلزمكم ان تقولوا الله في زمان لان الوهم كما لا يمكنه ان يقول هو موجود ولا مكان لا يمكنه ان يقول هو كان موجودا ولا زمان وكل زمان فهو واحد وقد أجمعنا على ان الله تعالى قديم (المسئلة الثانية) لو قال قائل اذا كان المراد منه الاستدلال بالزمان فلم اختار الليل حيث قال وآية لهم الليل نقول لما استدلل بالمكان الذي هو المظلم وهو الارض وقال وآية لهم الارض استدلل بالزمان الذي فيه الظلمة وهو الليل (ووجه آخر) وهو ان الليل فيه سكون الناس وهدوا الاصوات وفيه النوم وهو كالنوم ويكون بعده طلوع الشمس كأنه في الصور فيتحرك الناس فذكر الموت كما قال في الارض وآية لهم الارض الميتة فذكر من ازمانين أشبههما بالموت كما ذكر من المكانين أشبههما بالموت (المسئلة الثالثة) ما معنى سلخ النهار من الليل نقول معناه تميزه منه يقال

وانما أطلعهم على ذلك بطريق الاجال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما يطم به وقوفهم على عظم قدرته وسعة ملكه وسلطانه (وآية لهم الليل) جملة من خبر مقدم ومبتدا مؤخر كما مر وقوله تعالى (نسلخ منه النهار) جملة مبنية لكيفية كونه آية أي نزله ونكشفه عن مكانه مستعار من السليخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والاضراب في الاستعمال تعليق بالجلد يفصل سلخت الاهداب من الشاة وقديمكس ومنه الشاة المسلوخة (فاذا هم مظلمون) أي داخلون في الظلام فاجاء وفيه رمز الى أن الاصل هو الظلام

انسلخ النهار من الليل اذا أتى آخر النهار ودخل أول الليل وسلخ الله منه فانسلخ هو منه
وأما اذا استعمل بغير كلمة من قبل سلخت النهار أو الشمس فعناه دخلت في آخره فان قيل
فالليل في نفسه آية فآية حاجة الى قوله نسلخ من النهار نقول الشيء تدين بضده منفعه
ومحاسنه ولهذا لم يجعل الله الليل وحده آية في موضع من المواضع الا وذكر آية النهار
معها وقوله فاذا هم مظلمون أي داخون في الظلام واذا المفاجأة أي ليس يدهم بعد
ذلك أمر ولا بد لهم من الدخول فيه * وقوله تعالى (والشمس تجري لمستقرها ذلك
تقدير العزيز العليم) يحتمل أن يكون الواو للعطف على الليل تقديره وآية لهم الليل
نسلخ والشمس تجري والقمر قدرناه فهي كلها آية وقوله والشمس تجري إشارة الى
سبب سلخ النهار فانها تجري لمستقرها وهو وقت الغروب فينسلخ النهار وفائدة ذكر السبب
هو أن الله لما قال نسلخ منه النهار وكان غير بعيد من الجهال ان يقول قائل منهم سلخ النهار
ليس من الله انما يسلخ النهار بغروب الشمس فقال تعالى والشمس تجري لمستقرها بأمر
الله فغروب الشمس سألخ للنهار فبذل السبب يبين صحة الدعوى ويحتمل ان يقال بان
قوله والشمس تجري لمستقرها إشارة الى نعمة النهار بعد الليل كانه تعالى لما قال وآية لهم
الليل نسلخ منه النهار ذكر أن الشمس تجري فطلع عند انقضاء الليل فيعود النهار بمنفعه
وقوله لمستقر اللام يحتمل أن تكون للوقت كقوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس وقوله
تعالى فاعلموا انهم بعدتم ووجه استعمال اللام للوقت هو ان اللام المكسورة في الاسماء
تخفيف معنى الاضافة لكن اضافة الفعل الى سببه أحسن الاضافات لان الاضافة
لتعريف المضاف بالمضاف اليه كافي وقوله دار زيد لكن الفعل يعرف بسببه فيقال اتجر
لزيد واشترى لال كل واذا علم أن اللام يستعمل للتعليل فنقول وقت الشيء يشبه سبب الشيء
لان الوقت يأتي بالامر اسكان فيه والامور متعلقة باوقاتها فيقال خرج لعشر من كذا
وأقم الصلاة لدلوك الشمس لان الوقت يعرف كالسبب وعلى هذا فعناه تجري الشمس
وقت استقرارها أي كلما استقرت زمانا أمرت بالجري فجرت ويحتمل أن تكون بمعنى الى
أي الى مستقرها وتقريره هو أن اللام تدل على الوقت والوقت طرفان ابتداء وانتهاء يقال
سرت من يوم الجمعة الى يوم الخميس فجاز استعمال ما يستعمل فيه في أحد طرفيه لما بينهما
من الاتصال ويؤيد هذا قراءة من قرأ والشمس تجري الى مستقرها وعلى هذا ففي ذلك
المستقر وجوه (الاول) يوم القيامة وعنده تستقر ولا يبقى لها حركة (الثاني) السنة
(الثالث) الليل أي تجري الى الليل (الرابع) ان ذلك المستقر ليس بالنسبة الى الزمان بل
هو المكان وحينئذ ففيه وجوه (الاول) هو غاية ارتفاعها في الصيف وغاية انخفاضها
في الشتاء أي تجري الى أن تبلغ ذلك الموضع فتراجع (الثاني) هو غاية مشارقتها فان في كل
يوم لها مشرق الى ستة أشهر ثم تعود الى تلك المنقطرات وهذا هو القول الذي تقدم
في الارتفاع فان اختلاف المشارق بسبب اختلاف الارتفاع (الثالث) هو وصولها الى

والنور عارض (والشمس
تجري لمستقرها) لحد
معين ينتهي اليه دورها
فشيء بمستقر المسافر اذا
قطع مسيرة أولئك السماء
فان حركتها فيه توجد
أبطأ بحيث يظن أن لها
هناك وقفة قال * والشمس
جري لها بالجو ودوم *
أولا استقرار لها على
نهر مخصوص أو انتهى
مقدار كل يوم من المشارق
والغارب فان لها في
دورها ثلثمائة وستين
مشرقاً ومغرباً تطلع
كل يوم من مطلع وتغرب
من مغرب ثم لا تعود اليه
الى العام القابل أولئك
جريا عند خراب العالم
وقرى الى مستقرها
وقرى لا مستقر لها أي
لا تكون لها فانها
متحركة دائماً وقرى

ينتهي في الابتداء (الرابع) هو الدائرة التي عليها حركتها حيث لا تميل عن منطقة البروج على مرور الشمس وسند كرها ويحتمل أن يقال لمستقر لها أي تجري مجرى مستقرها فان أصحاب الهيئة قالوا الشمس في ذلك والفلك يدور فيدير الشمس فالشمس تجري مجرى مستقرها وقالت الفلاسفة تجري لمستقرها أي لا يمر لو وجدها لاستقر وهو استخراج الاوضاع الممكنة وهو في غاية السقوط وأجاب الله عنه بقوله ذلك تقدير العزيز العليم أي ليس لارادتها وانما ذلك بإرادة الله وتقديره وتديره وتختيره اياها فان قيل حددت الوجوه الكثيرة وما ذكرت المختار فما الوجه المختار عندك نقول المختار هو أن المراد من المستقر المكان أي تجري لبلوغ مستقرها وهو غاية الارتفاع والانخفاض فان ذلك يشمل المشارق والمغارب والمجري الذي لا يختلف والزمان وهو السنة والليل فهو أتم فائدة وقوله ذلك يحتمل أن يكون إشارة إلى جري الشمس أي ذلك الجري تقدير الله ويحتمل أن يكون إشارة إلى المستقر أو لمستقر لها وذلك المستقر تقدير الله والعزيز الغالب وهو يكمل القدرة يغلب والعليم كامل العلم أي الذي قدر على أجزائها على الوجه الانفع وعلم الانفع فاجراها على ذلك وبيانه من وجوه (الاول) هو ان الشمس في سنة أشهر كل يوم تمر على مسافة شيء لم تمر من أمسها على تلك المسافة وافر الله مرورها على مسافة واحدة لا حترقت الارض التي هي مسافة لمرورها وبقي المجموع مستولبا على الأما كن الآخر فقد ر الله لها بعد التجمع الرطوبات في باطن الارض والاشجار في زمان الشتاء ثم قد فر بها بتدريج تخرج النبات والثمار من الارض والشجر وتنضج وتجفف ثم تبعد فلا يحترق وجه الارض واخصان الاشجار (الثاني) هو ان الله قدر لها في كل يوم طلوعا وفي كل ليلة غروا بالثلاث كل القوى والابصار بالسهر والتعب ولا يخرب العالم بترك العمارة بسبب الظلمة الدائمة (الثالث) جعل سيرها ابطأ من سير القمر وأسرع من سير زحل لانها كاملة النور فلو كانت بطيئة السير لدامت زمانا كثيرا في مسافة شيء واحد فحرقه ولو كانت سريعة السير لما حصل لها لبت بقدر ما ينضج الثمار في بقعة واحدة * ثم قال تعالى (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) قال الزمخشري لا بد من تقدير لفظ يتم به معنى الكلام لان القمر لم يجعل نفسه منازل فالمعنى ان قدرنا مسيره منازل وعلى ما ذكره يحتمل أن يقال المراد منه والقمر قدرناه ذامنازل لان ذا الشيء قريب من الشيء ولهذا جاز قول القائل عيشة راضية لان ذا الشيء كالتقائه بالشيء فأتوا بلفظ الوصف وقوله حتى عاد كالعرجون القديم أي رجع في الدقة الى حاله التي كان عليها من قبل والعرجون من الانعراج يقال لعود العذق عرجون والقديم المتفادم الزمان قيل ان ما غبر عليه سنة فهو قديم والصحيح أن هذه بعينها لا تشترط في جواز اطلاق القديم عليه وانما اعتبر العادة حتى لا يقال لمدينة بنيت من سنة وستين انها بناء قديم أو هي قديمة ويقال لبعض الاشياء انه قديم وان لم يكن له سنة ولهذا جاز أن يقال بيت قديم وبناء قديم

لا مستقر لها على أن لا يعني ليس (ذلك) إشارة إلى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشار إليه للايدان بعلوم تبتدئ وبعد منزلة أي ذلك الجري البديع المتطوى على الحكم الرائعة التي تحار في فهمها العقول والافهام (تقدير العزيز الغالب) بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم (والقمر قدرناه) بالنصب باضمار فعل يفسر الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء أي قدرناه (منازل) وقيل قدرناه مسيره منازل وقيل قدرناه ذامنازل وهي اية وعشرون الشرطان البطيئين اثريا السيران الشهعة الهشة الذراع

ولم يحزن أن يقال في العالم انه قديم لان القدم في البيت والبناء يثبت بحكم تقادم العهد
ومرور السنين عليه واطلاق القديم على العالم لا يعتاد الا عند من يعتقد انه لا أول له
ولا سابق عليه * ثم قال تعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار
وكل في فلك يسبحون) إشارة الى أن كل شيء من الأشياء المذكورة خلقها على وفق
الحكمة فالشمس لم تكن تصلح لها سرعة الحركة بحيث تدرك القمر والالكان في شهر واحد
صيف وشتاء فلا تدرك النجوم وقوله ولا الليل سابق النهار قيل في تفسيره ان سلطان الليل
وهو القمر ليس يسبق الشمس وهي سلطان النهار وقيل معناه ولا الليل سابق النهار أي
الليل لا يدخل وقت النهار والثاني بعيد لان ذلك يقع ايضا للواضح والاول صحيح ان
أريد به ما بينته وهو ان معنى قوله تعالى ولا الليل سابق النهار ان القمر اذا كان على
أفق المشرق أيام الاستقبال تكون الشمس في مقابله على أفق المغرب ثم ان عند غروب
الشمس يطلع القمر وعند طلوعها يغرب القمر كان لها حركة واحدة مع ان الشمس تتأخر
عن القمر في ليلة مقداراً ظاهر في الحس فلو كان للقمر حركة واحدة بها يسبق الشمس
ولا تدرك الشمس وللشمس حركة واحدة بها تتأخر عن القمر ولا تدرك القمر بل في القمر
والشمس مدة مديدة في مكان واحد لان حركة الشمس كل يوم درجة فخلق الله تعالى
في جميع الكواكب حركة أخرى غير حركة الشهر والسنة وهي الدورة اليومية وبهذه
الدورة لا يسبق كوكب كوكباً أصلاً لان كل كوكب من الكواكب اذا طلع
غرب مقابله وكذا تقدم كوكب الى الموضع الذي فيه الكوكب الآخر بالنسبة اليه
تقدم ذلك الكوكب فبهذه الحركة لا يسبق القمر الشمس فتبين ان سلطان الليل
لا يسبق سلطان النهار فالمراد من الليل والقمر ومن النهار الشمس فقوله لا الشمس ينبغي
لها أن تدرك القمر إشارة الى حركتها البطيئة التي تتم الدورة في سنة وقوله ولا الليل سابق
النهار إشارة الى حركتها اليومية التي بها تعود من المشرق الى المشرق مرة أخرى في
يوم وليلة وعلى هذا فغلب مسائل (المسئلة الاولى) ما الحكمة في اطلاق الليل وارادة
سلطانها وهو القمر وماذا يكون لوقال ولا القمر سابق الشمس نقول لوقال ولا القمر سابق
الشمس ما كان يفهم ان الإشارة الى الحركة اليومية فكان يتوهم التناقض فان الشمس
اذا كانت لا تدرك القمر والقمر أسرع ظاهراً واذا قال ولا القمر سابق يظن أن القمر
لا يسبق فليس بأسرع فقال الليل والنهار ليعلم أن الإشارة الى الحركة التي بها تتم الدورة
في مدة يوم وليلة ويكون لجميع الكواكب أو عليها طلوع وغروب في الليل والنهار
(المسئلة الثانية) ما الفائدة في قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك بصيغة الفعل وقوله
ولا الليل سابق النهار بصيغة اسم الفاعل ولم يقل ولا الليل يسبق ولا قال مدركة القمر
نقول الحركة الاولى التي للشمس ولا يدرك بها القمر مختصة بالشمس فجعلها كالصادرة منها
وذكر بصيغة الفعل لان صيغة الفعل لا تطلق على من لا يصدر منه الفعل فلا يقال هو

الشمس الطرف الجبهة
الزبرة أنصرفه الهواء
السماء الغفر الزباني
الاكليل القلب الشولة
النعائم البلدة سعد الذامح
سعد بلع سعد السعود
سعد الاخبية فرغ الدلو
المقدم فرغ الدلو المؤخر
الرشا وهو بطن الحوت
ينزل كل ليلة في احد
منها لا يتخطاها ولا
يتقاصر عنها فاذا كان
في آخره نازله وهو الذي
يكون قبيل الاجتماع دق
واستقوس (جنى عاد
كالعرجون) كالشراخ
المعوج فعملون من
الانزعاج وهو الاعواجاج
وقرى كالعرجون وهما
لغتان كالبزبون والبزبون
(القديم) العتيق وقيل
هو مامر عليه حول
فصاعدا (لا الشمس
ينبغي لها) أي يصح
ويسهل (أن تدرك
القمر) في سرعة السير

يخطو ولا يكون يصدر منه الخياطة والحركة الثابتة ليست مختصة بكوكب من الكواكب بل الكل فيها مشتركة بسبب حركة فلاك ليس ذلك فلك الكوكب من الكواكب فالحركة ليست كالصادرة منه فأطلق اسم الفاعل لانه لا يستلزم صدور الفعل يقال فلان خياط وان لم يكن خياطاً فان قيل قوله تعالى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا يدل على خلاف ما ذكرتم لان النهار اذا كان يطلب الليل فليل سابقه وقلتم ان قوله ولا الليل سابق النهار معناه ما ذكرتم فيكون الليل سابقا ولا يكون سابقا نقول قد ذكرنا ان المراد بالليل ههنا سلطان الليل وهو القمر وهو لا يسبق الشمس بالحركة اليومية السريعة والمراد من الليل هناك نفس الليل وكل واحد لما كان في غيب الاخر فكانه طالبه فان قيل فلم ذكر ههنا سابق النهار وقد ذكر هناك يطالبه ولم يقل طالبه ذلك لما بينا من ان المراد في هذه السورة من الليل كواكب الليل وهي في هذه الحركة كأنها لا حركة لها ولا تسبق ولا من شأنها انها سابقة والمراد هناك نفس الليل والنهار وهما زمانان والزمان لا قرار له فهو يطلب حثيثا لصدور الفعوى منه وقوله تعالى وكل في فلاك يسبحون ويحقيق ما ذكرنا أي لكل طالع وغروب في يوم وأيلة لا يسبق بعضها بعضا بالنسبة الى هذه الحركة وكل حركة في فلاك تخصه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) التنوين في قوله وكل عوض عن الاضافة معناه كل واحد واسقاط التنوين للاضافة حتى لا يجمع التعريف والتكبير في شيء واحد فلما سقط المضاف اليه انقطاع التنوين عليه لفظا وفي المعنى معرف بالاضافة فان قيل فهل يختلف الامر عند الاضافة لفظا وتركها فنقول نعم وذلك لان قول القائل كل واحد من الناس كذا لا يذهب الفهم الى غيرهم فيفيد اقتصار الفهم عليه فاذا قل كل كذا يدخل في الفهم عموم أكثر من العموم عند الاضافة وهذا كما في قبل وبعد اذا قلت افعل قبل كذا فاذا حذف المضاف وقلت افعل قبل افاد فهم الفعل قبل كل شيء فان قيل فهل بين قولنا كل منهم وبين قولنا كلهم وبين كل فرق نقول نعم عند قولك كلهم ثبت الامر للاقتصار عليهم وعند قولك كل منهم ثبت الامر أولا للعموم ثم استدركت بالتخصيص فقلت منهم وعند قولك كل ثبت الامر على العموم وتركه عليه (المسئلة الثانية) اذا كان كل بمعنى كل واحد منهم والمذكور الشمس والقمر فكيف قال يسبحون نقول الجواب عنه من وجوه (أحدها) ما بينا أن قوله كل للعموم فكانه أخبر عن كل كوكب في السماء سائر (ثانيها) ان لفظ كل يجوز أن يوحد نظرا الى كونه لفظا موجدا غير مثنى ولا مجموع ويجوز أن يجمع لكون معناه جمعا وأما التنبيه فلا يدل عليها اللفظ ولا المعنى فعلى هذا يحسن أن يقول القائل زيد وعمرو كل جاء أو كل جاؤا ولا يقول كل جا بالثنية (وثالثها) لما قل ولا الليل سابق النهار والمراد ما في الليل من الكواكب قال يسبحون (المسئلة الثالثة) الفلك ماذا نقول الجسم المستدير أو السطح المستدير أو الدائرة لان أهل اللغة اتفقوا على أن فلكه المفل سميت فلكه لاستدارتها وفلكه الخيمة

فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان أو في الاستمرار والمنافع أو المكان بأن تنزل في منزله أو في سلطانه فتطمس نوره وإلاء حرف في الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما قدر لها (ولا الليل سابق النهار) أي يسبقه فيقوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آياتهما وهما النيران والسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا الاول وإيراد سبق مكان الادراك لانه الملائمة لسرعة سيره (وكل) أي وكلهم على أن التنوين عوض عن المضاف اليه الذي هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعتهما فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات أو الى الكواكب فان ذكر ههنا شعر بها (في فلاك يسبحون) يسبحون نائباً وسهولة

هي الخشبة المسطحة المستديرة التي توضع على رأس العمود ثلاثين العمود الخشبية
وهي صفحة مستديرة فان قيل فعلى هذا تكون السماء مستديرة وقد اتفق أكثر
المفسرين على أن السماء مبسوطة لها أطراف على جبال وهي كالسقف المستوي ويدل
عليه قوله تعالى والسقف المرفوع نقول ليس في النصوص ما يدل دلالة قاطعة على كون
السماء مبسوطة غير مستديرة ودل الدليل الحسي على كونها مستديرة فوجب المعتبر اليه
أما الأول فظاهر لأن السقف المقيب لا يخرج عن كونه سقفا وكذلك كونها على جبال
وأما الدليل الحسي فوجود (أحدها) أن من آمن في السير في جانب الجنوب يظهر له
كواكب مثل سهيل وغيره تظهروا أبدأ حتى أن من يرصد براه دائما ويحس عليه بنات تعش
وغيرها خفاء أبدأ ولو كان السماء مسطحة مستوية لكان الكتل للكل بخلاف ما إذا كان
مستديرا فان بعضه حينئذ يستتر بأطراف الأرض فلا يرى (الثاني) هو أن الشمس إذا
كانت مقارنة للعمود مثلا فإذا غربت ظهر لنا كوكب في منطقة البروج من الجبل إلى
الميزان ثم في كل قليل يستتر الكوكب الذي كان غروب به بعد غروب الشمس ويظهر الكوكب
الذي كان طلوعه بعد طلوع الشمس وبالعكس وهو دليل ظاهر وان بحث في دبر عطارد
(الثالث) هو أن الشمس قبل طلوعها وبعد غروبها يظهر ضوءها ويستتر الجبل وبعض
الاستنارة ثم يطالع ولولا أن بعض السماء منستر بالأرض وهو محل الشمس فلا يرى جرمها
ويشعر بنورها لما كان حركتها دليل كان عند احاطتها إلى السماء يظهر لكل أحد جرمها
ونورها مما يكون السماء مستوية حينئذ مكشوفة كلها لكل أحد (الرابع) القمر إذا
انكسف في ساعة من الليل في جانب المشرق ثم سأل أهل المغرب عن وقت الكسوف
أخبروا عن الكسوف في ساعة أخرى قبل تلك الساعة التي رأى أهل المشرق فيها
الكسوف لكن الكسوف في وقت واحد في جميع نواحي العالم والليل مختلف فدل على أن
الليل في جانب المشرق قبل الليل في جانب المغرب فالشمس غربت من عند أهل المشرق
وهي بعد في السماء ظاهرة لأهل المغرب فعلم أن استنارها بالأرض وأوقات مستوية لما
كان كذلك (الخامس) لو كانت السماء مبسوطة لكان القمر عندما يكون فوق رؤسنا
على المسامنة أقرب إلينا وعند ما يكون على الأفق أبعد من الان العمود أصغر من القطر
والوتد وكذلك في الشمس والكواكب كان يجب أن يرى أكبر لان القريب يرى أكبر
وليس كذلك فان قيل جاز أن يكون وهو على الأفق على سطح السماء وعند ما يكون على
مسامنة رؤسنا في بحر السماء غائرا فيها لان الحرق جائز على السماء نقول لا تنازع في جواز
الحرق لكن القمر حينئذ تكون حركته في دائرة لأعلى خط مستقيم وهو عرضنا
ولانا نقول لو كان كذلك لكان القمر عند أهل المشرق وهو في منتصف نهارهم أكبر
مقدارا لكونه قريبا من رؤسهم ضرورة فرضه على سطح السماء الأدنى وعندنا في بحر
السماء وبالجملة الدلائل كثيرة والاكتفاء منها يلحق بكتب الهيئة التي الغرض منها بيان

ذلك العلم وليس الغرض في التفسير بيان ذلك غير أن القدر الذي أوردناه يكفي في بيان كونه فلنكا مستديرا (المسئلة الرابعة) هذا يدل على أن لكل كوكب فلكا فاقولك فيه نقول أما السبعة السيارة فلكل فلک وأما الكواكب الاخر فقيل لكل فلک واحد ولتذكر كلاما مختصرا في هذا الباب من الهيئة حيث وجب الشروع بسبب تفسير الفلك فنقول قيل ان للقمر فلكا لان حركته أسرع من حركة الستة الباقية وكذلك لكل كوكب فلک لاختلف غيرها بالسرعة والبطء والمرقان بعضها يمر في دائرة وبعضها في دائرة أخرى حتى في بعض الاوقات يمر بعضها ببعض ولا يكسفه وفي بعض الاوقات يكسفه فلكل كوكب فلک ثم ان أهل الهيئة قالوا فكل فلک هو جسم كرة وذلك غير لازم بل اللازم أن نقول لكل فلک هو كرة أو صفحة أو دائرة يفعلها الكوكب بحركته والله تعالى قادر على أن يخلق الكوكب في كرة يكون وجوده فيها كوجود مسمار مغرق في ثخن كرة بحوفة و يدور الكرة فيدور الكوكب بدوران الكرة وعلى مذهب أرباب الهيئة حركة الكواكب السيارة على هذا الوجه وكذلك قادر على أن يخلق حلقة يحيط بها أربع سطوح متوازية بها فانهما أربع دوائر متوازية كحجر الرحي اذا قورناه وأخرجنا من وسطه طاحونة من طواحين اليد ويبقى منه حلقة يحيط بها سطوح وودواثر كما ذكرنا وتكون الكواكب فيه وهم فلک فتدور تلك الحلقة وتدور الكواكب والحركة على هذا الوجه وان كانت متدورة لكن لم يذهب اليه أحد ممن يعتبر وكذلك هو قادر على أن يجعل الكواكب بحيث تشق السماء فتجمل دائرة متوهمة كالوفرضت سمكة في الماء على وجهه تنزل من جانب وتصلع الى موضع من الجانب الآخر على استدارة وهذا هو المفهوم من قوله تعالى وكل في فلک يسبحون والظاهر ان حركة الكواكب على هذا الوجه وأرباب الهيئة انكروا ذلك وقالوا لا يجوز الحركة على هذا الوجه لان الكوكب له جرم فاذا شق السماء وتحرك فاما أن يكون موضع دورانه ينشق ويلتئم كالماء تحركه السمكة أولا ينشق ولا يلتئم بل هناك خلاء يدور الكواكب فيه لكن الخلاء محال والسماء لا تقبل الشق والالتئام هذا ما اعتقدوا عليه ونحن نقول كلاهما جائز أما الخلاء فلا يحتاج اليه ههنا لان قوله تعالى يسبحون يفهم منه انه يشق واللتئام وأما امتناع الشق والالتئام فلا دليل اهم عليه وشبهتهم في المحدد للجهات وهي هناك ضعيفة ثم انهم قالوا على ما بينا تخرج الحركات وبه علمنا الكسوفات واوكان لها حركات مختلفة لما وجب الكسوف في الوقت الذي يحكم فيه بالكسوف والخسوف وذلك لاننا نقول للشمس فلکان (أحدهما) مركزه مركز العالم (ثانيهما) مركزه فوق مركز العالم وهو مثل بياض البيض بين سفرتيه وبين القيص والشمس كرة في الفلك الخارج المركز تدور بدوراته في السنة دورة فاذا جعلت في الجانب الاعلى تكون بعيدة عن الارض فيقال انها في الاوج واذا حصلت في الجانب الاسفل تكون قريبة من الارض فتكون في الحضيض وأما القمر فله فلک شامل لجميع

أجرائه وأفلاكه وملاك آخر هو بعض من الفلك الاول محيط به كالقشرة الفوقانية من
البصلة وفلك ثالث في الفلك التحتاني كما كان في الفلك الخارج المركز في فلك الشمس وفي
الفلك الخارج المركز كرة مثل جرم الشمس وفي الكرة القمر مركز كسمار في كرة مغرق
فيها ويسمى انفلك الفوقاني الجوزهر والخارج المركز انفلك الحامل والفلك التحتاني
الذي فيه الفلك الحامل المائل والكرة التي في الحامل تسمى فلك التدوير وكذلك
قالوا في الكواكب الخمسة الباقية من السيارات غير ان الفوقاني الذي سموه فلك
الجوزهر لم يثبتوا لها ثابتا أربعة وعشرين فلكا فلك الاعلى وفلك البروج وزحل
ثلاثة أفلاك الممثل والحامل وفلك التدوير والمشتري ثلاثة فلكا زحل والمريخ كذلك
ثلاثة وللشمس فلكان الممثل والخارج المركز والزهرة ثلاثة أفلاك كالأعطيات وأعطار
أربعة أفلاك الثلاثة التي ذكرناها في العلويات وفلك آخر يسمونه المدير والقمر أربعة
أفلاك والرابع يسمونه فلك الجوزهر والمدير ليس كالجوزهر لان المدير غير محيط بأفلاك
عطارد وفلك الجوزهر محيط ومنهم من زاد في الخمسة في كل فلك فلكين آخرين وجعل
تدويراتها من كبة من ثلاثة أفلاك وقالوا ان بسبب هذه الاجرام تختلف حركات
الكواكب ويكون لها عروض ورجوع واستقامة وبطء وسرعة هذا كلامهم على
سبيل الاختصاص والاقتصار ونحن نقول لا يعد من قدرة الله خلق مثل ذلك وأما على سبيل
الوجوب فلان سلم ورجوعها واستقامتها بارادة الله وكذلك عرضها وطولها وبطؤها
وسرعتها وقربها وبعدها هذا تمام الكلام (المسئلة الخامسة) قال المجنون
الكواكب أحياء بدليل انه تعالى قال يسبحون وذلك لا يطلق الاعلى العاقل نقول ان
أردتم انقدر الذي يصح به التسبيح فنقول به لانه ما من شيء من هذه الاشياء الا وهو يسبح
بحمد الله وان أردتم شيئا آخر فلم يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كافي قوله تعالى في حق
الاصنام مالكم لا تنطقون وقوله لا تنطقون ثم قال تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم
في الفلك المشحون) ولها مناسبة مع ما تقدم من وجهين (احدهما) انه تعالى لما من باحياء
الارض وهي مكان الحيوانات بين انه لم يقتصر بل جعل للانسان طريقا يتخذ من البحر
خبرا ويتوسطه أو يسير فيه كاليسير في البر وهذا حينئذ كقوله وحملناكم في البر والبحر
ويؤيد هذا قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اذا فسرناه بأن المراد الابل فانها
كسفن البراري (وثانيهما) هو انه تعالى لما بين سباحة الكواكب في الافلاك وذكر
ما هو مثله وهو سباحة الفلك في البحار ولها وجه ثالث وهي ان الامور التي أنعم الله بها على
عباده منها ضرور يقوم منها نفعة والاول للحاجة والثاني للزينة فخلق الارض وحياتها
من القليل الاول فانها المكان الذي لولاه لما وجد الانسان واولا احيائها لما عاش والليل
والنهار في قوله وآية لهم الليل أيضا من القليل الاول لانه الزمان الذي لولاه لما حدث
الانسان والشمس والقمر وحركتهما لم تكن لما عاش ثم انه تعالى لما ذكر من القليل

(وآية لهم أنا حملنا ذريتهم)
أولادهم الذين يبعثونهم
الى تجارتهم أو صيبتهم
ونساءهم الذين
يستحبونهم فان
الذرية تطلق عليهن
الاسماء مع الاختلاط
وتخصيصهم بالذكر
لما ان استقرارهم في
السفن أشق واستمسكهم
فيها أبدع (في الفلك
المشحون) أي المملوء
وقبل هو فلك نوح عليه
السلام وحمل ذريتهم
فيها حمل آبائهم الاقدمين
وفي أصلا بهم هؤلاء
وذرياتهم وتخصيص
أعقابهم بالذكور دونهم
لانه أبلغ في الامتنان
وأدخل في التعجب الذي
عليه يدور كونه آية

الاول آيتين ذكر من القبيل الثاني وهو الزينة آيتين (احدهما) الفلك التي تجري في البحر
 فيستخرج من البحر ما يترين به كما قال تعالى ومن كل تأكلون لحاظربا وتستخرجون حلية
 تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر (وثانيهما) الدواب التي هي في البر كالفلك في البحر في
 قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فان الدواب زينة كما قال تعالى والخيول والبغال والحمير
 لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها مجال حين تريحون وحين تسرحون فيكون استدلالا
 عليهم بالضرورة والنافع لا يقال بان النافع ذكره في قوله جنات من نخيل وأعناب فانها
 للزينة لانا نقول ذلك حصل تبعا للضرورة لان الله تعالى لما خلق الارض منبتة لدفع
 الضرورة وأنزل الماء عليها كذلك لم أن يخرج من الجنة النخيل والاعناب بقدره الله
 وأما الفلك فمقصود لاتبع اذا علمت المناسبة في الآيات البينات لغوية ومعنوية (اما
 اللغوية) قال المفسرون الذرية هم الآباء أي حملنا آباءكم في الفلك والالف واللام
 للتعريف أي فلك نوح وهو مذكور في قوله واصنع الفلك ومعلوم عند العرب فقال الفلك
 هذا قول بعضهم وأما الاكثر فعمل على أن الذرية لا تطلق الا على الولد وعلى هذا فلا بد من
 بيان المعنى فنقول الفلك اما أن يكون المراد الفلك المعين الذي كان لنوح واما أن يكون
 المراد الجنس كما قال تعالى وجعل انكم من الفلك والانعام ما تركبون وقال تعالى وترى
 الفلك فيه مواخر وقال تعالى فاذا ركبوا في الفلك الى غير ذلك من استعمال لام التعريف
 في الفلك ابيان الجنس فان كان المراد سفينة نوح عليه السلام ففيه وجوه (الاول) أن
 المراد انا حملنا أولادكم الى يوم القيامة في ذلك الفلك ولو لا ذلك لما بقي الادمي نسل ولا عقب
 وعلى هذا فوله حملنا ذريتهم بدل قوله حملناهم إشارة الى كمال النعمة أي لم تكن النعمة
 مقصورة عليكم بل متعددة الى اعقابكم الى يوم القيامة هذا ما قاله الزمخشري ويحتمل
 عندي أن يقال على هذا انه تعالى انما خص الذرية بالذكر لان الموجودين كانوا كفارا
 لا قادة في وجودهم فقال حملنا ذريتهم أي لم يكن الجن جلالهم وانما كان جلالا لما في
 اصلاهم من المؤمنين كما ان من حمل صندوقا لقيمة وفيه جواهر اذا قيل له لم تحمل هذا
 الصندوق وتتعب في حمله وهو لا يشتري بشئ يقول لا أحمل الصندوق وانما أحمل ما فيه
 (الثاني) هو ان المراد بالذرية الجنس معناه حملنا اجناسهم وذلك لان ولد الحيوان من
 جنسه ونوعه والذرية تطلق على الجنس ولهذا يطلق على النساء نهي النبي صلى الله عليه
 وسلم عن قتل الذراري أي النساء وذلك لان المرأة وان كانت صنفا غير صنف الرجل لكنها
 من جنسه ونوعه يقال ذراريها أي أمثالها فنقلنا ذريتهم أي أمثالهم وآباؤهم
 حينئذ دخل فيهم (الثالث) هو ان الضمير في قوله وآية لهم عائد الى العباد حيث قال يا حسرة
 على العباد وقال بعد ذلك وآية لهم الارض وقال وآية لهم الليل وقال وآية لهم انما حملنا
 ذريتهم اذا علم هذا فكأنه تعالى قال وآية للعباد انما حملنا ذريات العباد ولا يلزم أن يكون
 المراد بالضمير في الموضعين اشخاصا معينين كما قال تعالى ولا تقتلوا أنفسكم ويريد بعضهم

(وخلقناهم من مثله) بما يماثل الفلك (مايركبون) من الابل فانهم اسفان البراء وما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقه لله تعالى مع كونها ﴿ ٩٣ ﴾ من مصنوعات العباد ليس لمجرد كون صنعهم باقدار الله تعالى والهامة

بعضا وكذلك اذا تنازل قوم ومات الكل في القتال يقال هؤلاء القوم هم قتلوا أنفسهم فهم في الموضعين يكون عائد الى القوم ولا يكون المراد اشخاصا معينين بل المراد ان بعضهم قتل بعضهم كذلك قوله تعالى وآية لهم أي آية لكل بعض منهم اما حملنا ذرية كل بعض منهم أو ذرية بعض منهم وأما ان فلنا ان المراد جنس الفلك فهو وأظهر لان سفينة نوح لم تكن يحضرتهم ولم يعلموا من حمل فيها فاما جنس الفلك فانه ظاهر لكل أحد وقوله تعالى في سفينة نوح وجعلناها آية للعالمين أي بوجود جنسها ومثلها وبأيده قوله تعالى ألم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليعبركم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور فنقول قوله تعالى حملنا ذريتهم أي ذريات العباد ولم نقل حملناهم لان سكوت الارض عام لكل أحد يسكنها فقال وآية لهم الارض الميتة الى ان قال فنه يأكلون لان الأكل عام وأما الحمل في السفينة فن الناس من لايركبها في عمره ولا يحمل فيها ولكن ذرية العباد لابد لهم من ذلك فان فهم من يحتاج اليها فيحمل فيها (المسئلة الثانية) جعل الفلك تارة جمعا حيث قال وترى الفلك فيه مواخر جمع ماخرة وأخرى فردا حيث قال في الفلك المشحون نقول فيه تدفق ملج من علم الله وهو ان الكلمة قد تكون حركتها مثل حرك ذلك الكلمة في الصورة والحركتان مختلفتان في المعنى مثالها قواك سجد يسجد سجود المصدر وهم قوم سجدوا في جمع ساجد تظن انها كلمة واحدة لعنيين وليس كذلك بل السجود عند كونه مصدرا حركته أصلية اذا قلنا ان الفعل مشتق من المصدر وحركة السجود عند كونه للجمع حركة متغيرة من حيث ان الجمع يشتق من الواحد وينبغي أن يلحق المشتق بغير في حركة أو حرف أو في مجموعهما فساجد لما أردنا أن يشتق منه اللفظ جمع غيرناه وجئنا بلفظ السجود فاذا السجود للمصدر والجمع ليس من قبيل الانقاط المشتركة التي وضعت بحركة واحدة لعنيين اذا عرفت هذا فنقول انما عند كونه واحدا مثل فقل وبرد وعند كونها جمعا مثل خشب ومرد وغيرهما فان قلت فاذا جعلته جمعا ماذا يكون واحدها نقول جاز أن يكون واحدها فلكة أو غيرها مما لم يستعمل كواحد النساء حيث لم يستعمل وكذا القول في امام مبين وفي قوله ندعوا كل أناس بامامهم أي بأئمتهم عند قوله تعالى امام بين امام كرام وكتاب وعند قوله تعالى كل أناس بامامهم امام كرام وجواب وهذا من دقيق التصريف (واما المعنوية) فتذكرها في مسائل (المسئلة الاولى) قال ههنا حملنا ذريتهم من عليهم يحمل ذريتهم وقال تعالى انا ناطقي الماء حملناكم في الجارية من هناك عليهم يحمل أنفسهم نقول لان من ينفع المتعلق بالغير يكون قد نفع ذلك الغير ومن يدفع الضرر عن المتعلق بالغير لا يكون قد دفع الضرر عن ذلك الغير بل يكون قد نفعه مثاله من أحسن الى ولد انسان وفرحه فرح أبوه واذا دفع واحدا لآلم عن ولد انسان يكون قد دفع أباه ولا يكون في الحقيقة قد زال الآلم عن أبيه فعند طغيان الماء كان الضرر بالجنس فقال دفعت عنكم الضرر ولو قال دفعت عن أولادكم الضرر لما حصل

بل لمزيد اختصاص أصلها بقدرته تعالى وحكمته حسما يعرب عنه قوله عز وجل واصنع الفلك بأعيننا ووحينا والتعبير عن ملايتهم بهذه السفن بالركوب لانها باختيارهم كأن التمييز عن ملايتهم بقلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار (وان نشأ نفر فهم) الخ من تمام الآية فانهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى واذا غشيهم موج كاطلل دعوا الله مخلصين له الدين وقرى نفر فهم بالانشديد وفي تعليق الاغراق بمحض المشيئة اشعار بانه قد تكامل ما يوجب اهلاكهم من معاصيهم ولم يبق الا تنق مشيئته تعالى به أي ان نشأ نفرهم في اليوم مع ما حملناهم فيه من الفلك فحدث خلق الابل حينئذ كلام مجي به في خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الابل والفلك فكانها نوع منه أو مع مايركبون من السفن والزوارق (فلا صريح لهم) أي فلا ميث لهم يحرمهم من الفرق ويدفعه عنهم قبل

وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم أناهم الصريح (ولاهم يتقدون) أى يتجوزون منه بعد وقوعه وقوله تعالى (الأرجة منا ومنا) استثناء مفرغ من أعم العلل الشاملة للباحث ٩٤ المتقدم والغاية المتأخرة أى لا يفتنون

ولا يفتنون لشيء من الأشياء الأرجة عظيمة من قبلنا داعية الى الاغاثة والانقاذ وتنتج بالحياة مترتب عليهما ويجوز أن يراد بالرجة ما يقارن المنتج من الرحة الدنياوية فيكون كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ أى نوع من الرحة وتنتج (الى حين) أى الى زمان قدر فيه آجالهم كاقيل ولم أسلم اليكى ابقي ولكن سلت من الحمام الى الحمام * (واذا قبل لهم اتقوا) بيان لاهراضهم عن الآيات التزييلية بعد بيان اعراضهم عن الآيات الآفاقية التى كانوا يشاهدونها أو عدم تأملهم فيها أى اذا قبل لهم بطريق الانذار بما نزل من الآيات وبغيره اتقوا ما بين أيديكم وما خلقكم) من الآفات والنوازل فانها محيطة بكم أو ما يصيبكم من المكروه من حيث تحتسبون ومن حيث لاتحتسبون أو من الوقائم النازلة على الأمم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم فى الآخرة أو من نوازل

بيان دفع الضرر وههنا أراد بيان المنافع فقال جئنا ذريتهم لان النعم حاصل بنفع الذرية ويدل على هذا ان ههنا قال فى الفلك المشحون فان امتلاء الفلك من الاموال يحصل بذكره بيان المنفعة وأما دفع المضرة فلا لان الفلك كلما كان أثقل كان الخلاص به ابسط وههنا السلامة فاختار ههنا ما يدل على الخلاص من الضرر وهو الجرى وههنا ما يدل على كمال المنفعة وهو الشحن فان قيل قال تعالى وجئناهم فى البر والبحر ولم يقل وجئنا ذريتهم مع أن المقصود فى الموضوعين بيان النعمة لا دفع النعمة نقول لما قال فى البر والبحر عم الخلق لان ما من أحد الا وحل فى البر أو البحر وأما الحمل فى البحر فلم يعم فقال ان كنا ما حملناكم بأنفسكم فقد حملنا من يهكم أمره من الاولاد والاقارب والاخوان والاصدقاء (المسئلة الثانية) قوله المشحون يفيد فائدة أخرى غير ما ذكرنا وهى ان آدمى يرسب فى الماء ويفرق فعله فى انقلك واقع بقدرته لكن من الطبيعيين من يقول الخفيف لا يرسب فى الماء لان الخفيف يطلب جهة فوق فقال الفلك المشحون الثقل من الثقال التى ترسب ومع هذا حل الله الانسان فيسمع ثقله فان قالوا ذلك لامتناع الخلاص نقول قد ذكرنا الدلائل الدالة على جواز الخلاص فى الكتب العقلية فاذن ليس حفظ الثقل فوق الماء الا بإرادة الله (المسئلة الثالثة) قال تعالى وآية لهم الارض وقال وآية لهم الليل ولم يقل وآية لهم الفلك جعلناها بحيث تحملهم وذلك لان حملهم فى الفلك هو العجب أما نفس الفلك فليس بعجب لانه كبيت مبنى من خشب وأما نفس الارض فبعجب ونفس الليل بعجب لاقدرة عليهم ما لاحد الا الله ثم قال تعالى (وخلقناهم من مثله ما ركبون) رفيه مسائل (المسئلة الاولى) من حيث اللغة والمعنى أما اللغة فقوله لهم يحتمل أن يكون عائدا الى الذرية أى جئنا ذريتهم وخلقنا للمحمولين ما يركبون ويحتمل أن يكون عائدا الى الذين عاد اليهم قوله وآية لهم وهو الحق لان الظاهر عود الضمير الى شئ واحد (المسئلة الثانية) من يحتمل وجهين (احدهما) أن يكون صلة تقدير وخلقناهم مثله وهذا على رأى الاخفش وسيبويه يقول من لا يكون صلة الاعتد اتقى تقول ما جئنا من أحد كما فى قوله تعالى وما مننا من انوب (وثانيهما) هى مبينة كفاية قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم كأنه لما قال خلقناهم والمخلوق كان اشياء قال من مثل الفلك للبيان (المسئلة الثالثة) الضمير فى مثله على قول الاكثيرين عائدا الى الفلك فيكون هذا كقوله تعالى وآخر من شكله أزواج وعلى هذا فالظاهر أن يكون المراد الفلك الآخر الموجود فى زمانهم ويؤيد هذا قوله تعالى قال وان نشأ نغرقهم ولو كان المراد الابل على ما قاله بعض المفسرين لكان قوله وخلقناهم من مثله ما يركبون فاصلا بين متصلين ويحتمل أن يقال الضمير عائدا الى معلوم غير مذكور تقديره أن يقال وخلقناهم من مثل ما ذكرنا من المخلوقات فى قوله خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض وهذا كما قالوا فى قوله تعالى لياكلوا من ثمرة ان الهاء عائدا الى ما ذكرنا أى من ثم ما ذكرنا (وعلى هذا فقوله خلقناهم فيه لطيفة) وهى ان ما من

الآخرة أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر (لعلكم ترجون) أما حال من واثقوا أو غابة له أي راجين أن ترجوا أو ي
ترجوا فتجوا من ذلك لما عرفتم أن مناط النجاة ﴿ ٩٥ ﴾ ليس إلا رحمة الله تعالى وجواب إذا استخوف ثقة بأن فهمه

من قوله تعالى (وما تأنيهم
من آية من آيات ربهم
الا كانوا عنها معرضين)
انهم ما يثبأ ما إذا كان
الانذار بالآية الكريمة
فعبارة النص وأما إذا
كان بغيرها فبدل لانه لانهم
حين أعرضوا عن آيات
ربهم فلا ن يعرضوا
عن غيرها بطريق
الاولو يد كانه قيل وإذا
قيل لهم اتقوا العذاب
أعرضوا حسبا اعتادوه
بما فائدة وصيغة المضارع
للدلالة على الاستمرار
التجددي ومن الأولى
مزيدة لتأكيد العموم
والثانية تبعية واقعة
مع مجرورها صفة لآية
واضافة الآيات الى
اسم الرب المضاف الى
صغيرهم لتفخيم شأنها
المستتبع لتحويل ما
اجرة وأعليه في حقها
والمراد بها اما الآيات
الانذرية فآياتها نزولها
والمعنى ما ينزل اليهم
آية من الآيات القرآنية
التي من جللتها هذه
الآيات الناطقة بما فصل
من بدائع صنع الله تعالى
وسواها آياته الموجبة
للاقبال عليها والايان بها الإ كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب

احد الاول ركوب مركوب من الدواب وليس كل أحد يركب انقلك فقال في الفلك حلنا
ذريتهم وان كنا ما حللناهم وأما الخلق فلهم عام وما يركبون فيه وجهان (احدهما) هو
الفلك الذي مثل فلك نوح (وثانيهما) هو الأبل التي هي سفن البر فان قيل اذا كان المراد
سفينة نوح فواجه مناسبة الكلام نقول ذكرهم بحال قوم نوح وان المكذبين هلكوا
والمؤمنين فازوا فكذلك هم ان آمنوا يفوزوا وان كذبوا يهلكوا * ثم قال تعالى
(وان نشأ نفرهم) اشارة الى فالتين (احدهما) ان في حال النعمة ينبغي أن لا يأمنا
عذاب الله (وثانيهما) هو ان ذلك جواب سؤال مقدر وهو ان الطبيعي يقول السفينة
تحمل بمقتضى الطبيعة والمخوف لا يرسل فقال ليس كذلك بل لو شاء الله أغرقهم وليس
ذلك بمقتضى الطبع ولو صح كلامه الفاسد لكان لقائل أن يقول ألسنت توافق ان من
السفن ما يقلب وينكسر ومنها ما يتقوى ثاقب فيرسب وكل ذلك بمشيئة الله فان شاء الله
أغرقهم أو غير شئ من هذه الأسباب كما هو مذهب أهل السنة أو بشئ من تلك
الأسباب كما تسلم أنت * وقوله تعالى (فلا صر يخ لهم) أي لا مغيث لهم يمنع عنهم الفرق
(ولا هم ينقذون) اذا أدركهم الفرق وذلك لان الخلاص من العذاب اما أن يكون يدفع
العذاب من أصله أو يرفعه بعد وقوعه فقال لا صر يخ لهم يدفع ولا هم ينقذون بعد الوقوع
فيه وهذا مثل قوله تعالى لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون فقوله لا صر يخ لهم ولا هم
ينقذون فبد فائدة أخرى غير الحصر وهي أنه تعالى قال لا صر يخ لهم ولم يقل ولا منقذ لهم
وذلك لان من لا يكون من شأنه أن ينصر لا يتضرع في النصرة مخافة أن يغلب ويذهب ماء
وجهه وانما ينصر ويغيث من يكون من شأنه ان يغيث فقال لا صر يخ لهم وأما ان
لا يكون من شأنه ان ينقذ اذا رأى من يعرض عليه في ضرر يشرع في الانقاذ وان لم يشق بنفسه
في الانقاذ ولا يغلب على ظنه وانما يذل المجهود فقال ولا هم ينقذون ولم يقل ولا منقذ لهم
ثم استثنى فقال (الا رحمة منا وما نأى الى حين) وهو يفيد أمرين (احدهما) انقسام
الانقاذ الى قسمين الرحمة والمنازع أي فمن علم الله منه انه يؤمن فينقذه الله رحمة وفيمن علم
انه لا يؤمن فليمتع زمانا ويزداد انما (وثانيهما) انه يبان لكون الانقاذ غير مفيد للدوام
بل الزوال في الدنيا لا بد منه فينقذه الله رحمة ويمتعه الى حين ثم يميتهم فالزوال لازم ان يقع
* ثم قال تعالى (واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترجون) وجه تعلق
الآية بما قبلها هو ان الله تعالى لما تعدد الآيات بقوله وآية لهم الارض وآية لهم المابل
وآية لهم انا حللنا ذريتهم وكانت الآيات تفيد اليقين وتوجب القطع بما قال تعالى
ولم تغد هم اليقين قال فلا أقل من ان يحترزوا عن العذاب فان من أخبر بوقوع عذاب
يتقيه وان لم يقطم بصدق قول المخبر احتياطا فقال تعالى اذا ذكر لهم الدليل القاطع
لا يعترفون به واذا قيل لهم اتقوا لا يتقون فهم في غابة الجهل ونهاية الغفلة لا مثل العلماء
الذين يتبعون البرهان ولا مثل العامة الذين يبنون الامر على الاحوط ويدل على ما ذكرنا

للاقبال عليها والايان بها الإ كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب

والاستهزاء وامامائهم وغيرها من الآيات التكوينية الشاملة للعجرات وغيرها من تعجيب المصنوعات التي من بجاتها الآيات الثلاث المدة آنفا المراد بآياتها ما يميز نزول الوحي وظهور ﴿ ٩٦ ﴾ تلك الامور لهم والمعنى ما يظهر لهم

آية من الآيات التي من جعلها ما ذكر من شؤنه الشاهدة بواحدانية تعالى وتفرده بالالوهية الا كانوا عندها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدى الى ايمان به تعالى واشاره على أن يقال الا عرضوا عنها كما وقع شله في قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في حيز التصب على انها حال من مفعول تأتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاستمرارها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال أي ما تأتيهم من آية من آيات ربهم في حال من احوالهم الاحال اعراضهم عنها (واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله) أي أعطاكم بطريق التفضل والانعام من أنواع

قوله تعالى لعلمكم ترجون بحرف التثني أي في ظنكم فان من يخفى عليه وجه البرهان لا يترك طريقة الاحتراز والاحتياط وجواب قوله اذا قيل لهم انفقوا بخذوف معناه واذا قيل لهم ذلك لا يتقون او يعرضون وانما حذف الدلالة ما بعده عليه وهو قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم وفي قوله تعالى ما بين أيديكم وما خلفكم ووجوه (أحدها) ما بين أيديكم الآخرة فانهم مستقبلون لها وما خلفكم الدنيا فانهم تاركون لها (وثانيها) ما بين أيديكم من أنواع العذاب مثل العرق والحرق وغيرهما المداول عليه بقوله تعالى وان نشأ نفرقهم فلا يصريح لهم ولا هم يتقذرون وما خلفكم من الموت الطالب لكم ان نجوتم من هذه الاشياء فلا تنجوا لكم منه يدل عليه قوله تعالى ومتاعا الى حين (وثالثها) ما بين أيديكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم فانه حاضر عندكم وما خلفكم من أمر الخشر فانكم اذا اتقيتم تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم واتكذبت بالخشر رحكم الله وقوله تعالى لعلمكم ترجون مع أن الرحمة واجبة فيه وجوه ذكرناها مرارا وتزيد ههنا وجها آخر وهو أنه تعالى لما قال اتقوا يعني أنكم ان لم تقطعوا بناء على البراهين فاتقوا احتياطاً قال لعلمكم ترجون يعني أرباب اليقين يرجون جزاءاً وأرباب الاحتياط يرجون أن يرجوا والحق ما ذكرنا من وجهين (أحدهما) اتقوا راجين الرحمة فان الله لا يحب عليه شي (وثانيهما) هو ان الاتقاء نظراً الى أمر يفيد الظن بالرحمة فان كان يقطع به أحد الامر من خارج فذلك لا ينعم الرجاء فان الملك اذا كان في قلبه أن يعطي من يخدمه أكثر من أجرته أضعافا مضاعفة لكن الخدمة لا تقتضي ذلك يصح منه أن يقول افعل كذا ولا يبعد أن يصل اليك أجرتك أكثر مما تستحق ثم قال تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) وهذا متعلق بما تقدم من قوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين يعني اذا جاءتهم الرسل كذبوهم فاذا أتوا بالآيات أعرضوا عنها وما اتفقوا اليها وقوله ألم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون الى قوله لعلمكم ترجون كلام بين كلامين متصلين ويحتمل أن يقال هو متصل بما قبله من الآية وبيانه هو أنه تعالى لما قال واذا قيل لهم اتقوا وكان فيه تقدير أعرضوا قال ليس اعراضهم مقتصرا على ذلك بل هم عن كل آية معرضون أو يقال اذا قيل لهم اتقوا افترحو آيات مثل انزال الملك وغيره فقال وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين وعلى هذا كانوا في المعنى يكون زائدا معناه الا يعرضون عنها أي لا تنفعهم الآيات ومن كذب بالبعض هان عليه التكذيب بالكل * وقوله تعالى (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) اشارة الى أنهم يبخلون بجميع ما على المكلف وذلك لان المكلف عليه التعظيم لجانب الله والشفقة على خلق الله وهم تركوا التعظيم حيث قيل لهم اتقوا فلم ينفقوا وتركوا الشفقة على خلق الله حيث قيل لهم اتقوا فلم ينفقوا (وفيه لطائف) الاولى خوطبوا بأدنى الدرجات في التعظيم والشفقة فلم يأتوا بشي

على منهاج قوله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك وتنبها على عظم جنايتهم في ترك الامثال بالامر وكذلك من التبعة ضية
أي اذا قيل لهم بطريق التصحيح انفقوا ٩٧ بعض ما أعطانكم الله تعالى من فضاه على المحتاجين فان ذلك

منه وعباد الله المخلصون خوطبوا بالادنى فاتوا بالاعلى انما قلنا ذلك لانهم في التقوى أمروا
بأن يتقوا ما بين أيديهم من العذاب أو الآخرة وما خلفهم من الموت أو العذاب وهو أدنى
ما يكون من الاتقاء وأما الخالص فيتقون تغيير قلب الملك عليه وان لم يعاقبه ومتى العذاب
لا يكون الا للبعيد فهم لم يتقوا معصية الله ولم يتقوا عذاب الله والمخلصون اتقوا الله
واجتنبوا مخالفته سواء كان يعاقبهم عليه أو لا يعاقبهم وأما في الشفقة فقل لهم انفقوا بما
أي بعض ما هو لله في أيديكم فلم ينفقوا والمخلصون آثروا على أنفسهم وبذلوا كل ما في
أيديهم بل أنفسهم صرفوها الى نفع عباد الله ودفع الضرر عنهم (الثانية) كما كان في جانب
التعظيم ما كان فائدة التعظيم راجعة الا اليهم فان الله مستغن عن تعظيمهم كذلك في جانب
الشفقة ما كان فائدة الشفقة راجعة الا اليهم فان من لا يرزقه المتول لا يموت الا بأجله
ولا بد من وصول رزقه اليه لكن السعيد من قدر الله إيصال الرزق على يده الى غيره
(الثالثة) قوله بمارزقكم اشارة الى أمرين (أحدهما) ان الجحش به في غاية النجس فان الجحش
الجحلاء من يجحش بمال الغير (وثانيهما) أنه لا ينبغي أن يمنعكم من ذلك مخافة الفقر فان الله
رزقكم فاذا أنفقتهم فهو يخلفكم انكم ثانيا كما رزقكم أولا وفيه مسائل أيضا (المسئلة الاولى)
عند قوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا حذف الجواب وههنا أجاب وأتى بأكثر من الجواب
وذلك لانه تعالى اوقال واذا قيل لهم انفقوا قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه لكان
كافا فاما الفائدة في قوله تعالى قال الذين كفروا للذين آمنوا نقول الكفار كانوا يقولون
بأن الاطعام من اصفات الحميدة وكانوا يفخرون به وانما أرادوا بذلك القول رد على
المؤمنين فقالوا نحن نطعم الضيوف معقدين بأن افعلنا شئنا واولا اطعامنا لما اندفع
حاجة الضيف وانتم تقولون ان اسهكم يرزق من يشاء فلم تقولون لنا انفقوا فلما كان
غرضهم الرد على المؤمنين لا الامتناع من الاطعام قال تعالى عنهم قال الذين كفروا للذين
آمنوا اشارة الى الرد وأما في قولهم اتقوا ما بين أيديكم فلم يكن لهم رد على المؤمنين
فأعرضوا وأعرض الله عن ذكر اعراضهم لحصول العلم به (المسئلة الثانية) ما الفائدة في
تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا اتفق على من لو يشاء الله رزقه وذلك لانهم أمروا
بالانفاق في قوله واذا قيل لهم انفقوا فكان جوابهم بأن يقولوا اتفق فلم قالوا أنضعم نقول
فيه بيان غاية مخالفتهم وذلك لانهم اذا أمروا بالانفاق والانفاق يدخل فيه الاطعام وغيره
لم يأثروا بالانفاق ولا بأقل منه وهو الاطعام وقالوا لانطعم وهذا كما يقول القائل لغيره أعط
زيد دينارا يقول لا أعطيه درهما مع أن المطابق هو ان يقول لا أعطيه دينارا ولكن
المبالغة في هذا الوجه أتم فكذلك ههنا (المسئلة الثالثة) كان كلامهم حقا فان الله او شاء
أطعمه فلما ذكره في معرض الذم نقول لان مرادهم كان الانكار لقدرة الله أو لعدم
جواز الامر بالانفاق مع قدرة الله وكلاهما فاسدين الله ذلك في قوله بمارزقكم فانه يدل
على قدرته ويصح أمره بالاعطاء لان من كان له في يد الغير مال وله في خزائنه مال فهو

بمسارد البلاء ويدفع
المكارة (قال الذين
كفروا) بالصانع عز وجل
وهم زنادقة كانوا يبكة
(الذين آمنوا) تكلم بهم
وبما كانوا عليه من تعليق
الامور بمشبهة الله تعالى
(أنطعم) حسب ما تخطونابه
(من لو يشاء الله أطعمه)
أي صلى رزقكم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما
كان يبكة زنادقة اذا
أمروا بالصدقة على
الساكين قالوا لا والله
أبقره الله ونطعمه نحن
وقيل قاله مشرك كوقرأش
حين انطعمهم فقراء
المؤمنين من أموالهم التي
زعموا أنهم جعلوها لله
تعالى من الحرث والاعنام
يوهمون أنه تعالى لما
نمشا طعناهم وهو قادر
عليه قصص أحق بذلك
وما هو الا لفرط جملتهم
فان الله تعالى يطعم عباده
بأسباب من جملتها حيث
الاغنياء على اطعام الفقراء
وتوفيقهم لذلك (ان انتم
الافق ضلال مبين) حيث
تأمر وتنبأ بخالف مشيئة
الله تعالى وقد جوز أن
يكون جوابا لهم من جهته

تعالى او حكاية لجواب المؤمنين لهم ١٣ سا (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) أي فيما

تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لما أنهم أيضا كانوا يتلون عليهم آيات الوعيد بقيامها ومعنى التوب في هذا المأطرب بق الاستهزاء ﴿ ٩٨ ﴾ واما باعتبار قرب العهد بالوعد (ما ينظرون)

جواب من جهته تعالى
أى ما ينظرون (الصيغة
واحدة) هى النخبة الأولى
(تأخذهم) مفاجأة (وهم
يخصمون) أى يتخاصمون
في متاجرهم ومعاملاتهم
لا يخطر ببالهم شئ من
مخايلها كقوله تعالى
فأخذتهم الصاعقة بغتة
وهم لا يشعرون فلا يفتروا
بعدم ظهور سلاطهم ولا
يرفعوا أنهم إلا أنبيهم وأصل
يخصمون يتخاصمون
فسكنت البناء وأدغمت
في الصاد ثم كسرت الخاء
لاتقاء الساكنين وقرئ
بكسر الاء لاتتبع وفتح
الخاء على افتاء حركة الاء
عليه وقرئ على
الاختلاس وبالا سكان على
تجويز الجمع بين الساكنين
إذا كان الثاني مدغما
وان لم يكن الأول حرف
مد وقرئ يخصمون
من خصمه إذا جادله (فلا
يستطيعون توصية) في
شئ من أمورهم ان كانوا
فيما بين أهلهم (ولالى
أهلهم يرجعون) ان كانوا
في خارج أبوابهم بل
تيفتهم الصيحة فيموتون
حنثا كانوا (ونفخ في

خير ان أراد أعطى مما في خزائنه وان أراد أمر من عنده المال بالاعطاء ولا يجوز ان
يقول من يده ماله في خزائنه أكثر مما في يدي أعطه منه وقوله ان أنتم الا في ضلالمين
إشارة الى اعتقادهم انهم قطعوا المؤمنين بهذا الكلام وان أمرهم بالاتفاق مع قولهم
بقدره الله ظاهر الفساد واعتقادهم هو الفاسد وفيه مباحث لغوية ومعنوية (أما
اللغوية) فنقول ان وردت للنفي بمعنى ما وكان الاصل في ان تكون للشرط والاصل في
ما ان تكون للنفي لكنهما اشتراكا من بعض الوجوه فتقارضا واستعمل ما في الشرط
واستعمل ان في النفي أما الوجه المشترك فهو ان كل واحد منهما حرف مركب من حرفين
متقار بين فان الهمزة تقرب من الالف والميم من التون ولا بد من أن يكون المعنى الذى
يدخل عليه ما وان لا يكون ثابتا أما في ما فظاهر وأما في ان فلاك اذا قلت ان جاني زيد
أكرمه ينبغي ان لا يكون له في الحال مجي فاستعمل ان مكان ما وقيل ان زيد قائم أى ما زيد
بقائم واستعمل ما في الشرط تقول ما تصنع اصنع والذي يدل على ما ذكرنا ان ما التافية
تستعمل حيث لا تستعمل ان وفلك لانيك تقول ما ان جالس زيد فتجعل ان سلة ولا تقول ان
جالس زيد بمعنى النفي وبمعنى الشرط تقول اما ترى فتجعل ان أصلا وما صلة فذلك اهذا على
ان ان في الشرط أصل وما دخل وما في اننى بالعكس (البحث الثاني) قد ذكرنا ان قوله ان
أنتم الا يفيد ما لا يفيد قوله أنتم في ضلال لانه يوجب الحصر وانهم ليسوا في غير الضلال
(البحث الثالث) وصف الضلال بالبين قد ذكرنا معناه انه لظاهره بين نفسه انه ضلال
أى في ضلال لا يخفى على أحد انه ضلال (البحث الرابع) قد ذكرنا ان قوله في ضلال يفيد
كونهم مغمورين فيه غائصين وقوله في مواضع على ينفذ وعلى هدى إشارة الى كونهم
راكين على الطريق المستقيم قادرين عليه (وأما المعنوية) فهي انهم انما وصفوا الذين
آمنوا بكونهم في ضلال بين لكونهم ظانين ان المؤمن كلامه متناقض ومن تناقض كلامه
يكون في غاية الضلال انما قلنا ذلك لانهم قالوا أعظم من لو يشاء الله أطعمه إشارة الى ان
الله ان شاء أن يطعمهم كان يطعمهم فلا تقدر على اطعامهم لانه يكون تحصيلا للحاصل
وان لم يشاء اطعامهم لا يقدر أحد على اطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشاء الله فلا قدرة لنا
على الاطعام فكيف تأمرونا بالاطعام (ووجه آخر) وهوانهم قانوا أراد الله تجوزهم فلو
أطعمناهم يكون ذلك سعيًا في ابطال فعل الله وانه لا يجوز أنتم تقولون اطعموهم فهو
ضلال ولم يكن في الضلال الا هم حيث نظر والى المراد ولم ينظروا الى الطلب والامر وذلك
لان العبد اذا أمره السيد بأمر لا ينبغي ان يكشف سبب الامر والاطلاع على المقصود
الذى أمر به لاجله مثاله الملك اذا أراد الركوب للهجوم على عدوه بحيث لا يطلع عليه
أحد وقال لعبده أحضر المركوب فلو تطلع واستكشف المقصود الذى لاجله الركوب
لنسب الى أنه يريد أن يطلع عدوه على الخدر منه وكشف سره فالادب في الطاعة وهو اتباع
الامر لا تتبع المراد قاله تعالى اذا قال انفقوا مما رزقكم لا يجوز ان يقولوا لم يطعمهم

وبين الاولى اربعون سنة أى ينفع فيه وصيفة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع (فاذا هم من الاجداث) أى القبور جمع
جدت وقرى بالقفا (الى ربهم) ٩٩ ٤ مالت أمرهم على الاطلاق (ينسلون) يسرعون بطريق الاجبار دون

الاختيار لقوله تعالى
لدينا محضرون وقرى
بضم السين (قالوا)
أى فى ابتداء بعثهم
من القبور (يا ويلنا)
احضر فهذا أو انك
وقرى يا ويلتنا (من
بعثنا من مردنا)
وقرى من أهبنا من
هب من نومنا إذا اتبنا
وقرى من هبنا بمعنى
أهبنا وقيل أصله هب
بن فعدى الجار وأوصل
الفعل الى الضمير قيل
فيه ترشيح ورمى
واشعار بأنهم لا تخلط
عقولهم يظنون أنهم
كانوا أياما وعن مجاهد
ان الكفار هجمة يجدون
فيها طمأنينة فذا أصبح
بأهل القبور يقولون
ذلك وعن ابن عباس
وأبى بن كعب وقناة
رحمهم الله تعالى ان
الله تعالى يرفع عنهم
العذاب بين النفثتين
فيرقدون فاذا بعثوا
بالنفثنة الثانية
وشاهدوا من أهوال
القيامة ما شاهدوا دعوا
بالويل وقالوا ذلك
وقيل اذا عاينوا جهنم

الله عاينوا خزانة ثم قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) وهو اشارة الى
ما اعتقدوه وهوان القوى الأمور بها فى قوله واذا قيل لهم اتقوا والانفاق المذكور فى
قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا لافائدة فيه لان الوعد لاحقيقته وقوله متى هذا الوعد أى
متى يقع الموعد به وفيه مسائل (المسئلة الاولى) وهى ان لا للشرط وهى تستدعى جزاء
ومتى استفهام لا يصلح جزاءا فالجواب نقول هى فى الصورة استفهام وفى المعنى انكار انهم
قالوا ان كنتم صادقين فى وقوع الحشر فقواوا متى يكون (المسئلة الثانية) الخطاب مع من
فى قولهم ان كنتم نقول الظاهر أنه مع الانبياء لانهم لما أنكروا الرسالة قالوا ان كنتم بأنبياء
المدعون لرسالة صادقين فاخبرونا متى يكون (المسئلة الثالثة) ايسر فى هذا الموضع وعند
فلا اشارة بقوله هذا الوعد الى أى وعد نقول هو ما فى قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين
أيديكم وما خلفكم من قيام الساعة أو نقول هو ما وموانىم يكن مذكورا لكون الانبياء
مقيمين على تذكيرهم بالساعة والحساب والثواب والعقاب ثم قال تعالى (ما ينظرون الا
صيحة واحدة) أى لا ينظرون الا الصيحة المعلومة والتكبير للتكثير فان قيل هم ما كانوا
ينظرون بل كانوا يجرمون بدمها فنقول الانتظار فعلى لانهم كانوا يعلمون ما يستحق به
فاعله البوار وتعجيل العذاب وتفريب الساعة لولا حكم الله وقدرته وعلمه فانهم لا يقولون
أو نقول للملم يكن قوله متى استفهاما حقيقيا قال ينظرون انتظارا غير حقيقى لان القائل
متى يفهم منه الانتظار نظرا الى قوله وقد ذكرنا ههنا فى الصيحة أمور تدل على هوها
وعظمتها (احدها) التكبير يقال فلان مال أى كثير وله قلب أى جرى (وثانيها) واحدة
أى لا يحتاج معها الى ثانية (وثالثها) تأخذهم أى تمهم بالاخذ وتصل الى من فى مشارق
الارض ومفار بها ولا شك ان مثلها لا تكون الاعظيما وقوله (تأخذهم وهم يخصمون فلا
يستطيعون توصيه ولا الى أهلهم يرجعون) مما عظم به الامر لان الصيحة المعساة اذا
وردت على غافل يرجف فان المقبل على مهم اذا صاح به صائح يرجف فواده بخلاف
المنتظر للصيحة فاذا كان حال الصيحة ما ذكرناه من الشدة والقوة وتردد على الغافل الذى
هو مع خصمه مشغول يكون الارتياف أتم والارتجاف أعظم ويحتمل أن يقال يخصمون
فى البهت ويقاؤون لا يكون ذلك أصلا فيكونون غافلين عنه بخلاف من يعتقد انه يكون
فيتهباله وينتظر وقوعه فانه لا يرتجف وهذا هو المراد بقوله تعالى فصعق من فى السموات
ومن فى الارض الامن شاء من اعتقد وقوعها فاستعداها وقدم مثلنا ذلك فبين شام برقا وعلم
ان سيكون وعد ومن لم يشعه ولم يعلم ثم رعد الرعد ترى الشأم العالم ثابتا والغافل الذاهل
مغشيا عليه ثم بين شدة الاخذ وهى بحيث لا تمهلهم الى أن يوصوا وفيه أمور مبينة للشدة
(احدها) عدم الاستطاعة فان قول القائل فلان فى هذه الحال لا يوصى دون قوله
لا يستطيع التوصية لان من لا يوصى قد يستطيعها (الثانى) التوصية وهى بالقول
والقول يوجد اسرع مما يوجد الفعل فقال لا يستطيعون كلمة فكيف فعلا يحتاج الى زمان

وما فيها من أنواع العذاب يصير عذاب القبر فى جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرى من بعثنا ومن هبنا بن الجارة
والمصدر والم قد اما مصدر أى من رقادنا أو اسم مكان أو مبدع

الجنس فينتظم مر اقدانكل (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) جلة من مبتدا وخبر وما موصولة محذوفة العائد أو مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة أو المؤمنون عدل به عن سنن ﴿ ١٠٠ ﴾ سؤالهم تذكير الكفرهم وتقرير بعالهم

عليه وتنبئها على أن الذي يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هودون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتابه وأرسل اليكم الرسل فصدقكم فيه وليس الامر كما تتوهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من أرسل عليهم الصلاة والسلام فيحيون به أنفسهم أو بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لم رقدنا وما وعد الخ خبر مبتدا محذوف أو مبتدا خبره محذوف أي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق (ان كانت) أي ما كانت النفخة التي حكيت آنفا (الاصححة واحدة) حصلت من نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور (فاذا هم جميع) أي مجموع (الديناء حضرون من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين

طويل من أداء الواجبات ورد المظالم (الثالث) اختيار التوصية من بين سائر الكلمات يدل على أنه لا قدرته على أهم الكلمات فان وقت الموت الحاجة الى التوصية أمس (الرابع) اشكرك في التوصية للتعميم أي لا يقدر على توصية ما واو كانت بكلمة بسيرة ولان التوصية قد تحصل بالاشارة فالاعراض عنها عاجز عن غيرها (الخامس) قوله ولا الى أهلهم يرجعون بيان اشدة الحاجة الى التوصية لان من يرجو الوصول الى أهله فليسك عن التوصية ادم الحاجة اليها أو أمان يقطع بانه لا وصول له الى أهله فلا بد له من التوصية فاذا لم استطع مع الحاجة دل على غاية الشدة * وفي قوله ولا الى أهلهم يرجعون وجهان (أحدهما) ما ذكرنا أنهم يقطعون بانهم لا يهلون الى أن يجتمعوا بأهاليهم وذلك بوجوب الحاجة الى التوصية (وثانيهما) أنهم الى أهلهم لا يرجعون يعني يموتون ولا رجوع لهم الى الدنيا ومن يسافر سفرا أو يعلم أنه لا رجوع له من ذلك ان سفر ولا اجتماع بأهله مرة أخرى يأتي بالتوصية * ثم بين ما بعده الصحيحة الاولى فقال (ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون) أي نفخ فيه أخرى كما قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون يفيد مسائل (المسئلة الاولى) قال تعالى في موضع آخر ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال ههنا فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون واقام غير المسئلة لان وقوله في الموضعين اذا هم يقتضي أن يكونا معانقول (الجواب) عنه من وجهين (أحدهما) أن القيام لا ينافي المشي السريع لان الماشي قائم ولا ينافي النظر (وثانيهما) أن اسرعة الامور كالكل في زمان واحد كقول القائل * مكرمة مكرمة قبل مدبر معا * (المسئلة الثانية) كيف صارت النفختان مؤثرتين في أمرين متضادين الاحياء والامادة تقول لا مؤثر غير الله والنفخ علامة ثم ان الصوت الهائل يزلزل الاجسام فعند الحياة كانت اجزاء الحى مجتمعة فزلاها فحصل فيها تفرق وقاها الموت كانت الاجزاء متفرقة فزلاها فحصل فيها اجتماع فالخاصل ان النفختين يؤثران تزلزلا وانتقالا للاجرام فعند الاجتماع تتفرق وعند الافتراق تجتمع (المسئلة الثالثة) ما التحقيق في اذا التي المنساجاة تقول هي اذا التي للظرف معناه نفخ في الصور فاذا نفخ فيه هم ينسلون لكن الشيء قد يكون ظرفا للشيء معلوما كونه ظرفا فعند الكلام يعلم كونه ظرفا وعند المشاهدة لا يتجدد علم كقول القائل اذا طلعت الشمس أضواء الجو وغير ذلك فاذا رأى اضاءة الجو عند الطلوع علم يتجدد علم زائد أو ما اذا قلت خرجت فاذا أسد بالباب كان ذلك الوقت ظرف كون الاسد بالباب لكنه لم يكن معلوما فاذا رآه علمه فحصل العلم بكونه ظرفا له مفاجأة عند الاحساس فقل اذا المفاجأة (المسئلة الرابعة) أين يكون في ذلك الوقت اجداث وفدزلالت الصيحة الجبال نقول يجمع الله اجزاء كل واحد في الموضع الذي قبره فيخرج من ذلك الموضع وهو جدته (المسئلة الخامسة) لموضع موضع ذكر الهيبة وتقدم ذكر الكافر وانفط الرب يدل على لرجة فاو قال يدل الرب المضاق اليهم لفظا ذا الاعلى الهيبة هل يكون أليق أم لا (فلنا) هذا

أمر البعث والحشر والايذان باسئنا ثم اعني الاسباب ما لا يخفى (فاليوم لا تقلم نفس) من النفوس برة كانت أو فاجرة (شيئا) من الظلم (ولا تنجزون الا ما كنتم تعملون) أي الاجزاء

ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كأنهما ﴿ ١٠١ ﴾ شيء واحد أو الابداء كنتم تعملونه أى بمقابلته أو بسببه وتعميم

الخطاب للؤمنين يرده

أنه تعالى يوفهم أحورهم

ويزيدهم من فضله

أضعافاً مضاعفة وهذه

حكاية لما سيقال لهم

حين يرون العذاب

المعداهم تحقيقاً للحق

وتقرىعاً لهم بقوله تعالى

(أن أصحاب الجنة اليوم

في شغل فاكهون) من

جمله ما سيقال يومئذ زيادة

لحسرتهم وندامتهم فإن

الاخسار بحس حال

أعدائهم الأريان سوء

حالهم بما يزيدهم مساءة

وفي هذه الحكاية من جرعة

لهؤلاء الكفرة عما هم

عليه وعداء إلى الاقتداء

بسيرة المؤمنين واشغل

هو الشأن الذي يصد

المرء ويشغله عما سواه

من شؤنه لكونه أهم

عنده من الكل أما لا يجابه

كالمسرة والبهجة

أو كالمساة والغم

والمراد ههنا هو الاول

وما فيه من التنكير

والإيهام بالإيدان

بارتفاعه عن رتبة البيان

والمراد به ما هم فيه

من فتون الملاذ التي

تلهيهم بأعدائهم بالكلية

اللفظ أحسن ما يكون لأن من أساء واضطر إلى التوجه إلى من أحسن إليه يكون ذلك أشد ألماً وأكثر ندماً من غيره (المسئلة السادسة) المسمى إذا توجه إلى المحسن يقدم رجلاً وبوئخر أخرى والنسلان هو سرعة المشي فكيف يوجد منهم ذلك نقول ينسلون من غير اختيارهم وقد ذكرنا في تفسير قوله فاذا هم ينظرون أنه أراد أن يبين كمال قدرته ونفوذ إرادته حيث ينفخ في الصور فيكون في وقته جمع وتركيب وأحياء وقيام وعدو في زمان واحد وقوله فاذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون يعني في زمان واحد يستهون إلى هذه الدرجة وهي النسلان الذي لا يكون إلا بعد مراتب * ثم قال تعالى (فانوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) يعني المبعوثوا فاقوا ذلك لأن قوله ونفخ في الصور يدل على أنهم بعثوا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لو قال قائل لو قال الله تعالى فاذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون يقولون يا ويلنا كان أبقى نقول معاذ الله وذلك لأن قوله فاذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون على ما ذكرنا إشارة إلى أنه تعالى في أسرع زمان يجمع اجزاءهم ويؤلفها ويحييها ويحركها بحيث يقع نسلانهم في وقت النفخ مع أن ذلك لا بد له من الجملة والائتلاف وقيل تعاون المكان ذات من الحال ينسلون أي ينسلون قائلين يا ويلنا وليس كذلك فإن قلوبهم يا ويلنا قبل أن ينسلوا وانما ذكرنا نسلان لما ذكرنا من القوائد (المسئلة الثانية) لو قال قائل قد عرفنا معنى النداء في مثل يا حسرة ويا حسرتنا ويا ويلنا ولكن ما الفرق بين قولهم وقول الله حيث قال يا حسرة على العباد من غير إضافة وقالوا يا حسرتنا ويا ويلنا نقول حيث كان انفاً هو المكلف لم تكن لاحد علم الاجتهال أو بحال من قرب منه فكان كل واحد مشغولاً بنفسه فكان كل واحد يقول يا حسرتنا ويا ويلنا فقله قالوا يا ويلنا أي كل واحد قال يا ويلى وأما حيث قال الله قال على سبيل العموم اشمول علمه بحالهم (المسئلة الثالثة) ما وجه تعلق من بعثنا من مرقدنا بقولهم يا ويلنا نقول لما بعثوا واذكروا ما كانوا يسمعون من الرسل فقالوا يا ويلنا من بعثنا أبعثنا الله البعث الموعود به أم كنا نبأ ما فنبهنا وهذا كما إذا كان إنسان موعوداً بأن يأتيه عدو لا يطيعه ثم يرى رجلاً هائلاً يقبل عليه فيرتجف في نفسه ويقول هذا ذلك أم لا ويدل على ما ذكرنا قولهم من مرقدنا حيث جعلوا القبور موضع الرقاد إشارة إلى أنهم شكوا في أنهم كانوا نبأ ما فنبهوا أو كانوا موتى وكان الغالب على ظنهم هو البعث فجعلوا بين الأمرين فقالوا من بعثنا إشارة إلى ظنهم أنه بعثهم الموعود به وقالوا من مرقدنا إشارة إلى توهمهم احتمال الانبثاء (المسئلة الرابعة) هذا إشارة إلى ماذا نقول فيه وجهان (أحدهما) أنه إشارة إلى المرقد كأنهم قالوا من بعثنا من مرقدنا هذا فيكون صفة المرقد يقال كلامي هذا صدق (وثانيهما) هذا إشارة إلى البعث أي هذا البعث ما وعد به الرحمن وصدق فيه المرسلون (المسئلة الخامسة) إذا كان هذا صفة المرقد فكيف يصح قوله تعالى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون نقول يكون ما وعد الرحمن مبتدأ خبره محذوف

وأما ان المراد به اقتضاض الأيكار أو السماع وضرب الأوتار أو التزاور

أَوْشِيَاةُ اللَّهِ تَعَالَى أَوْشَغَلَهُمْ غَافِيَهُ أَهْلُ النَّارِ عَلَى الْإِطْلَاقِ أَوْشَغَلَهُمْ عَنْ أَهْلِيهِمْ فِي النَّارِ لَا يَجِبُ لَهُمْ أَمْرُهُمْ وَلَا يَبَالُونُ بِهِمْ كَيْلَا يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ تَغْيِصٌ فِي نَعِيمِهِمْ كَمَا رَوَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا ١٠٢ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ أَكْبَارِ السَّلَفِ فَلَيْسَ مَرَادُهُمْ

بذلك حصر شغلهم
فإذا كروه فقليل بيان
أنه من جملة أشغالهم
وتخصيص كل منهم
كلًا من تلك الأمور
بأنه كرمحول على اعتناء
مقام إيسان أيا وهو
مع جارية خبرلان وفاكهون
خير آخر لها أي أنهم
مستقرون في شغل وأي
شغل في شغل عظيم الشان
متممون بنعيم مقیم
فأزرون بملك كبير والتعبير
عن حالهم هذه بالجملة
الاسمية قبل تحققها
بترتيب المرقب المتوقع
منزلة الواقع الإيدان
بغاية سرعة تحققها
ووقوفها ولزادة مسافة
المخاطبين بذلك وقرئ
في شغل يسكون الغين
وفي شغل بفكتين وبفتحة
وسكون والكل لغات
وقرئ فكهمون للبيان
وفكهمون بضم الكاف
وهي الله فكهمون
وفاكهين وفكهين على
الحال من المستكن
في الطرف وقوله تعالى
(هم وأزاجهم في ظلال
على الأرائك متكئون)
استأننا مسوق إيسان

تقديره ما وعد الرحمن حق والمرساون صدقوا أو يقال ما وعد به الرحمن وصدق فيه
المرساون حق والاول أظهر لثقل الاضمار أو يقال ما وعد الرحمن خبر مبتدا محذوف
تقديره هو ما وعد الرحمن من البعث ليس تنبيهًا من النوم وصدق المرسلون فيما أخبروك به
(المسئلة السادسة) ان قلنا هذا اشارة الى المرقد أو الى البعث فجواب الاستفهام بقرائهم
من بعضنا أين يكون نقول لما كان غرضهم من قولهم من بعضنا حصول العلم بأنه بعث أو تنبيه
حصل الجواب بقوله هذا بعث وعد الرحمن به ليس تنبيهًا كما أن الخائف اذا قل لغيره ماذا
تقول أيقظني فلان فله أن يقول لا تخف وبسكت لعله ان غرضه ازالة الرعب عنه وبه
يصل الجواب ثم قال تعالى (ان كانت الاصيحة واحدة فاذا هم جميع لدنيا محضرون)
أي ما كانت النسخة الاصيحة واحدة يدل على النسخة قوله تعالى ونفخ في الصور ويحتمل أن
يقال ان كانت الواقعة وقرئت الاصيحة مرفوعة على ان كان هي انامة بمعنى ما وقعت
الاصيحة وقال لرحمشرى او كان كذلك لكان الاحسن أن يقال ان كان لان المعنى حينئذ
ما وقع شيء الاصيحة لكن التأييد جازا حالة على الظاهر ويمكن أن يقول الذي قرأ بالرفع
ان قواد اذا وقعت الواقعة تأييد تمويل ومباينة يدل عليه قوله ليس لوقعتها كاذبة فأنها
للبيان فكذلك ههنا قال ان كانت الاصيحة مؤنثة تأييد تمويل وانما جاءت اسماء
يوم الحشر كلها مؤنثة كالتقيامة والقارعة والحاقة والطامة والصاخة الى غيرها
والرحمشرى يقول كاذبة بمعنى ليس لوقعتها نفس كاذبة وتأنييد اسماء الحشر ليكون الحشر
مسمى بالقيامة وقوله محضرون دل على أن كونهم ينسلون اجباري لا اختياري * ثم بين
ما يكون في ذلك اليوم بقوله تعالى (اليوم لا تطعم نفس شيئا ولا تجزون الاماكنتم
تعملون) فقوله لا تطعم نفس المؤمن ولا تجزون الاماكنتم تعملون لئلا يأس المجرم
الكاكرو فيه مسائل (المسئلة الاولى) ما القادة في الخطاب عند الاشارة الى يأس المجرم
بقوله ولا تجزون وترك الخطاب في الاشارة الى امان المؤمن من العذاب بقوله لا تطعم ولم يقل
ولا تطعمون أي المؤمنون نزول لان قوله لا تطعم نفس شيئا يفيد العموم وهو كذلك فانها
لا تطعم أبدا ولا تجزون مختص بالكافر فان الله يجزي المؤمن وان لم يفعل فان الله فضلا
مختص بالمؤمن وعدلا ما فيه بشارة (المسئلة الثانية) ما المقضى لذكره التعقيب بقول
لما قال محضرون مجموعون والجمع للفصل والحساب فكانه تعالى قال اذا جاءهم والم يجتمعوا
الا لفصل بالعدل فلا ظلم عند الجمع للعدل فصاعدا على الظلم متربعا على الاحضار بالعدل ولهذا
يقول القائل للوالى أول القاضى جملة لا عدل فلا تطعم أى ذلك يقتضى هذا ويستعقبه
(المسئلة الثالثة) لا يجزون عين ما كانوا يعملون بل يجزون بما كانوا أو على ما كانوا وقوله
ولا تجزون الاماكنتم تعملون يدل على أن الجزاء بعين العمل لا يقال جزى يتعدى بنفسه
وبالباء يقال جزىته خيرا وجزىته بخيرا لان ذلك ليس من هذا لانه اذا قلت جزىته بخير
لا يكون الخبر مفعولك بل تكون الباء للمقابلة والسببية كأنك تقول جزىته جزاء بسبب

﴿ ما قبل ﴾

كيفية شغلهم وتفكيرهم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة

أزواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على أنهم مبتدأ وأزواجهم عطوف عليه ومتكوّن خبر والجاران صلتان له قدمنا عليه لإلصاقه الفواصل ١٠٣ وهو والجاران بمتعلقه من الاستقرار أخبار مترتبة وقيل

الخبر هو الطرف الاول والثاني مستأنف على أنه متعلق بتكوّن وهو خبر مبتدأ محذوف وقيل خبر مبتدأ محذوف وقيل على أنه خبر مقدم ومتكوّن مبتدأ مؤخر وقرئ متكين بلا همز نصبا على الحال من المستكن في الطرفين أو أحدهما وقيل هم تأكيد المستكن في خبر ان ومتكوّن خبر آخر لها وعلى الأرائك متعلق به وكذا في ظلال أو هذا بمضمر هو حال من المعطوفين والاضلال المعطوفين والاضلال جمع ظل كشعاب جمع شعب أو جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة في ظل والأرائك جمع أريكة وهي السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا تكون أريكة حتى تكون عليها حجلة وقوله تعالى (لهم فيها فاكهة) الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة من المأكول والمشرب ويلتذفون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكمilla بيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة أي لهم فيها فاكهة

ما قل فتقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن يكون ذلك إشارة على وجه المبالغة الى عدم الزيادة وذلك لان الشيء لا يزيد على عينه فنقول قوله تعالى يجزون بما كانوا يعملون في المساواة كأنه عين ما عملوا يقال فلان يجاوبني حرفا يحرف أي لا يترك شيئا وهذا يوجب البأس العظيم (الثاني) هو ان ما غير راجع الى الخصوص وانما هي الجنس تقديره ولا يجزون الا جنس العمل أي ان كان حسنة فحسنة وان كانت سيئة فسيئة فيجزون ما يعملون من السيئة والحسنة وهذا كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها * ثم بين حال المحسن وقال (ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون) وقوله في شغل يحتمل وجوها (أحدها) في شغل من هول اليوم بأخذ ما آتاهم الله من الثواب فاعندهم خبر من عذاب ولا حساب وقوله فاكهون يكون متمم البيان سلامتهم فالله اوقال في شغل جاز أن يقال هم في شغل أعظم من التفكير في اليوم وأحواله فان من يصيبه فتنة عظيمة ثم يمرض عليه أمر من أمور ويخبر بخسران وقع في ماله يقول أنا مشغول عن هذا بأهم منه فقال فاكهون أي شغلوا عنه باللذة والسرور لا بالويل والثبور (وثانيها) ان يكون ذلك بياناً لخالهم ولا يريد انهم شغلوا عن شيء بل يكون معناه هم في عمل ثم بين علمهم بأنه ليس بشاق بل هو ملذ محبوب (وثالثها) في شغل عما توقعوه فانهم تصوروا في الدنيا أموراً وقالوا نحن اذا دخلنا الجنة لانطاب الاكدا وكذا فرأوا ما لم يخطر ببالهم فاشتغلوا به وفيه وجوه غير هذه ضعيفة (أحدها) قيل اقتضاض الأيكار وهذا ما ذكرناه في الوجه الثالث ان الانسان قد يرجع في نظره الآن مداعبة الكواعب فيقول في الجنة التذلل بها ثم ان الله ربها يؤتيه ما يشغل عنها (وثانيها) قيل في ضرب الأوتار وهو من قبيل ما ذكرناه توهم (وثالثها) في التزاور (ورابعها) في ضيافة الله وهو قريب مما قلنا لان ضيافة الله تكون بانذ ما يمكن وحينئذ تشغل تلك عما توهمه في دنياه وقوله فاكهون خبر ان وفي شغل بيان ما فاكهتهم فيه يقال زب على عمله مقبل وفي بيته جالس فلا يكون الجار والمجرور خبراً ولو نصبت جالساً لكان الجار والمجرور خبراً وكذلك لو قال في شغل فاكهين لكان معناه أصحاب الجنة مشغولون فاكهين على الحال وقرئ بالنصب والفاكهة الملتذ المتعم به ومنه الفاكهة لانها لا تكون في السعة اللذة فلأنه كل لدفع ألم الجوع وفيه معنى لطيف وهو انه اشار بقوله في شغل عن عدمهم الألم فلا ألم عندهم ثم بين بقوله فاكهون عن وجدانهم اللذة وعادم الألم قد لا يكون واجد اللذة فيبين انهم على أتم حال ثم بين الكمال بقوله هم وأزواجهم وذلك لان من يكون في لذة قد تنفص عليه بسبب تفكره في حال من همه أمره فقال هم وأزواجهم أيضاً فلا يبقى لهم تعلق قلب وأمان في النار من أثارهم وأخوانهم فيكونون هم عنهم في شغل ولا يكون منهم عندهم ألم ولا يشتغلون حضورهم والأزواج يحتمل وجهين (أحدهما) أشكالهم في الاحسان وأمثالهم في الايمان كما قال تعالى من شكاه أزواج (وثانيها)

مجالس الانس ومحافل القدس تكمilla بيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة أي لهم فيها فاكهة

كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه وما في قوله تعالى (واللهم ما يدعون) موصولة أو موصوفة عبر بها عن مدعو
عظيم الشأن معين أو مبهم أي أنا بأنه الحقيق بالدعاء دون ما عداه ﴿ ١٠٤ ﴾ ثم صرح به روماً لزيادة التقرير

بالتحقيق بعد التوقي
كما سرفه أوهى باقية
على عمومها قصد بها
التميم بعد تخصيص
بعض المواد المعتاد بالذكر
وأيا ما كان فهو مبتدأ
والهم خبره والجملة موصوفة
على الجملة السابقة وعدم
الاكتفاء بمطف ما
يدعون على فاكهة ثلاثا
يتوهم كون ما عبارة عن
توابع الفاكهة وتماثلها
والعنى واللهم ما يدعون
به لأنفسهم من مدعو
عظيم الشأن أو كل
ما يدعون به كأنما كان
من أسباب البهجة
وموجبات السرور
وأيا ما كان فقد دلالة
على أنهم في أقصى غاية
البهجة والانبطة ويدعون
يفعلون من الدعاء كما
أشير إليه مثل استوى
واجتمل إذا شوى وجل
لنفسه وقبل بمعنى
يتدعون كالارتساء
بمعنى الترامي وقبل بمعنى
يتخون من قولهم ادع
على ما شئت بمعنى تمنه
على وقال الزجاج هو
من الدعاء أي ما يدعو به
أهل الجنة بأنهم فيكون

الافعال بمعنى الفعل كلاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتحقيق كما ذكره الكواشي ﴿ وان ﴾

وقوله تعالى (سلام) على التقدير الاول بدل ﴿ ١٠٥ ﴾ من ما يدعون أو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (قولا)

وأن هذا أمر هين يات على ما طلبت ويفهم تارة منه الرد وبيان أن ذلك حاصل فلم يطلبه فقال تعالى ولهم ما يدعون ويطلبون فلا طلب لهم وتقريره هو أن يكون ما يدعون بمعنى ما يصح أن يطلب ويدعى بمعنى كل ما يصح أن يطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب أو نقول المراد الطلب والاجابة وذلك لان الطلب من الله أيضا فيه لذة فلو قطع الله الاسباب بينهم وبينه لما كان يطيب لهم فابقى اشياء يعطيهم اياها عند الطلب ليكون لهم عند الطلب لذة وعند العطاء فان كون المملوك بحيث يتمكن من أن يخاطب المالك في حوائج مناصب عظيم والمالك الجبار قد يدفع حوائج الممالك بأسرها فصدامته لئلا يخاطب (الثاني) ما يدعون ما يتدعون وحينئذ يكون افتعلا بمعنى التفاعل كالاقتتال بمعنى القتال ومعناه ما ذكرناه ان كل ما يصح ان يدعو احد صاحبه اليه أو يطلبه احد من صاحبه فهو حاصل لهم (الثالث) ما يتنونه (الرابع) بمعنى الدعوى ومعناه حينئذ انهم كانوا يدعون في الدنيا أن لهم الله وهو مولاهم وان الكافرين لا مولى لهم فقال لهم في الجنة ما يدعون به في الدنيا فتكون الحكاية تحكية في الدنيا كأنه يقول في يومنا هذا لكم أيها المؤمنون غدا ما تدعون اليوم لا يقال بان قوله ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال يدل على ان القول يوم القيامة لانا نقول الجواب عند من وجهين (أحدهما) ان قوله هم مبتدأ وأزواجهم عطف عليهم فيجوز أن يكون هذا الكلام في يومنا هذا يخبرنا أن المؤمن وأزواجه في ظلال غدا وله ما يدعى (والجواب الثاني) وهو أولى هو ان نقول معناه لهم ما يدعون أي ما كانوا يدعون لا يقال بأنه اضمار حيث لا ضرورة وانه غير جائز لانا نقول على ما ذكرنا يبقى الادعاء مستعملا في معناه المشهور لان الدعاء هو الاتيان بالدعوى وانما قلنا ان هذا أولى لان قوله سلام قولا من رب رحيم هو في دار الآخرة وهو كالنفسير لقوله ما يدعون ولان قوله ما يدعون مذكور بين جل كنهاني الآخرة فما يدعون أيضا ينبغي أن يكون في الآخرة وفي الآخرة لا يبقى دعوى ويقتضى ظهور الامور والفصل بين أهل الشور والخبور وقوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) هو اكل الاشياء وهو آخرها الذي لا نبي فوقه ولتبيينه في مسائل (المسئلة الاولى) ما الرافع لقوله سلام نقول يحتمل ذلك وجوها (أحدها) هو بدل ما يدعون كأنه تعالى لما قال لهم ما يدعون بينة بيده فقال لهم سلام فيكون في المعنى كأنه بدأ الذي خبره جار ومجرور كما يقال في الدار رجل وزيد مال وان كان في النحو ليس كذلك بل هو بدو بدو الشكر من المعرفة جائزة فتكون ما بمعنى الذي معرفة وسلام نكرة ويحتمل على هذا أن يقال ما في قوله تعالى ما يدعون لا موصوفة ولا موصولة بل هي نكرة تقديره لهم شيء يدعون ثم بين بذكر البدل فقال سلام والاول هو الصحيح (وثانيها) سلام خبر ما ولهم لبيان الجهة تقديره ما يدعون سالم لهم أي خالص والسلام بمعنى السالم الخالص أو السليم يقال عبد سلام أي سليم من العيوب كما يقال زيد اشرف متوفر والجار والمجرور يكون لبيان من له ذلك واشرف

مصدر مؤ كد لفعل هو صفة سلام وما بعده من الجار متعلق بمصدر هو صفة له كأنه قيل ولهم سلام وما يدعون سلام يقال لهم قولا كأننا (من) جهة (رب رحيم) أي يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملاك أو بدونها مبالغة في تعظيمهم قال ابن عباس رضي الله عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالحقية من رب العالمين وأما على التقدير الثاني فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد اشرف متوفر على أن الشرف مبتدأ ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له ذلك أي ما يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤ كد لمضمون الجملة أي عدة من رب رحيم والوجه أن ينصب على الاختصاص وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر أي لهم سلام أي تسليم قولا من رب رحيم أو سلامة من الآفات

فيكون قولاً مصدراً مؤكداً للمضمون الجملة كما سبق ﴿ ١٠٦ ﴾ وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال

لهم من جهنم تعالى يومئذ وفي خبر الفعل المقدر ناعياً لقولاً وقبل خبره من رب رحيم وفري سلاماً بالنصب على الحالية أي لهم مرادهم سالماً خاصاً وفري سلم وهو بمعنى السلام في المؤمنين (وامتازوا اليوم) عطف افعال على الجملة السابقة المسوقة لبيان أحوال أهل الجنة لا على أن التصود عطف فعل الأمر بخصوصه حتى يتحمل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على أنه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال أولئك ووصف ثوابهم كما مر في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا وآتوا الصلوات تغيير السبك لتخييل حال التباين بين الفريقين وحالهم وما على مضمون ينساق إليه حكاية حال أهل الجنة كأنه قبل أثر بيان كونهم في شغل عظيم الشأن وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقرأوا بذلك عينا وامتازوا

هو المبتدأ ومتوفر خبره (ومأشها) قوله تعالى سلام منقطع عما تقدم وسلام مبتدأ وخبره محذوف تقديره سلام عليهم فيكون ذلك اخباراً من الله تعالى في يومئذ هذا كأنه تعالى سكت لنا وقال ان أصحاب الجنة اليوم في شغل ثم لابين حالهم قال سلام عليهم وهذا كافي قوله تعالى سلام على نوح وسلام على المرسلين فيكون الله تعالى أحسن الى عباده المؤمنين كما أحسن الى عباده المرسلين وهذا وجه مبتدأ كرجيد ما يدل عليه منقول أو نقول تقديره سلام عليكم ويكون هذا نوعاً من الالتفات حيث قال لهم كذا وكذا ثم قال سلام عليكم (المسألة الثانية) قولاً منصوب بماذا نقول يحتمل وجوهاً (أحدها) نصب على المصدر تقديره على قولنا المراد لهم سلام هو ان قال لهم سلام يقول الله قولاً أو نقوله الملائكة قولاً وعلى قولنا ما يدعون سالم لهم تقديره قال الله ذلك قولاً ووعدهم بأن لهم ما يدعون الم والم وعدا وعلى قولنا سلام عليهم تقديره أقول قولاً وفيه من رب رحيم يكون ابيان ان السلام منه أي سلام عليهم من رب رحيم أقوله قولاً ويحتمل ان يقال على هذا انه تمثيل لان السلام قد يكون قولاً وقد يكون فعلاً فان من يدخل على الملك فيطأ طي رأسه يقول سلمت على الملك وهو حينئذ يقول القائل البيع موجود حكماً لا حساً وهذا ممنوع عنه قطعاً لا طناً (المسألة الثالثة) قال في السلام من رب رحيم وقال في غيره من أنواع الأكرام تزلوا من غفور رحيم فهل بينهما فرق نقول نعم أما هناك فلان النزول ما يريزق النزول أولاً وذلك وان كان يدل عليه ما بعده فان النزول اذا أكرم أولاً يدل على انه مكرم واذا أدخل باكرامه في الاول يدل على انه مهان دائماً غير ان ذلك غير مقطوع به لجواز ان يكون الملك واسع الرزق فيريزق نزله أولاً ولا يمنع منه الطعام والشراب ويناقشه في غيره فقال غفور لما صدر من العبيد ليأمن العبد ولا يقول بأن الاطعام قد يوجد ثم يعاقب بعده والسلام يظهر مزية تعظيمه للمسلم عليه لا بغيره فقال رب غفور لان رب الشئ مالكه الذي اذا نظر الى علو مرتبته لا يرجي منه الالتفات اليه بالتعظيم فاذا سلم عليه يحب منه وقيل انظر هو سيده ويسلم عليه ثم قوله تعالى (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وفيه وجوه منها تبين وجد التثبيت أيضاً (الاول) امتازوا في أنفسكم وتفرقوا كما قال تعالى تسكاد عيسى من الغيظ أي بعضه من بعض غير أن غيرهم من الحسرة والتدأمة ووجه الترتيب حيث ان المجرم يرى منزلة المؤمن ورفعه وتزول دركته وضعته فيتحسر فيقال لهم امتازوا اليوم اذ لا دواء لآلئكم ولا شفاء لسقمكم (الثاني) امتازوا عن المؤمنين وذلك لانهم يكونون مشاهدين لما يصل الى المؤمن من الثواب والاكرام ثم يقال لهم تفرقوا وادخلوا مساكنكم من النار فليبق لكم اجتماع بهم ابداً (الثالث) امتازوا بعضكم عن بعض على خلاف ما للمؤمن من الاجتماع بالآخوان الذي أشار إليه بقوله تعالى هم وأزواجهم فأهل النار يكون لهم العذاب الاليم وعذاب الفرقة أيضاً ولا عذاب فوق الفرقة بل العقاب قالوا بأن كل عذاب فهو بسبب تفرق اتصال

عنهم (أيها المجرمون) إلى مصبركم وعن قتادة (١٠٧) ﴿اعتزلوا من كل خبر وعن الضحك لكل كافر بيت من النار

فإن من قطعت يده أو أحرق جسمه فأثماً بآل سبب تفرق المتصلات بعضها من بعض لكن التفرق الجسمي دون التفرق العقلي (الرابع) امتازوا عن شفعاثكم وقرنائكم فإنكم اليوم حليم ولا شفيع (الخامس) امتازوا عما ترجون واعتزلوا عن كل خير والمجرم هو الذي يأتي بالجرية ويحتمل أن يقال إن المراد منه أن الله تعالى يقول امتازوا فيظهر عليهم سيما يعرفون بها كما قال تعالى يعرف المجرمون بسميائهم وجبت أن يكون قواه تعالى امتازوا أمر تكوين كما أنه يقول كن فيكون كذلك يقول امتازوا فيتميزون بسميائهم ويظهر على جباههم أوفى وجوههم سواد * ثم قال تعالى (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والمجرمين كان لقائل أن يقول إن الإنسان كل ظلوما جهولا والجهل من الاعتذار فقال الله ذلك عند عدم الإنذار وقد سبق إيضاح السبل بإيضاح الرسل وعهدنا إليكم وتلوننا عليكم ما ينهي أن تفعلوه وما لا ينهي * وفي الآية مسائل (المسألة الأولى) في اللغات التي في أعهد وهي كثيرة (الأولى) كسر همزة عهده وحروف الاستقبال كما أن كسر الالياء فلا يقال يعلم ويعلم (الثانية) كسر الهاء من باب ضرب يضرب (الثالثة) قلب العين جيما ألم أجهد وذلك في كل عين بعدها هاء (الرابعة) ادغام الهاء في الحاء بعد القلب فيقال ألم أحد وقد سمع قوم يقولون دحاحنا أي دعها معها (المسألة الثانية) في معنى أعهد وجوه أفر بها أو أدواها ألم أو ص اليكم (المسألة الثالثة) في هذا العهد وجوه (أول) أنه هو العهد الذي كان مع آيينا أم يقولوه وعهدنا إلى آدم (الثاني) أنه هو الذي كان مع ذر يذآدم بقوله تعالى ألسنت بر بكم قالوا بلى فإن ذلك يقتضي أن لا تعبد غير الله (الثالث) وهو الأقوى أن ذب كال مع كل قوم على لسان رسول وذلك اتفق العقلاء على أن الشيطان يأمر بالشروان اختلفوا في حقيقته وكيفيته (المسألة الرابعة) قوله لا تعبدوا الشيطان معناه لا تطيعوه بدليل أن المنهي عنه ليس هو السجود له فحسب بل الانقياد لأمره والطاعة فإطاعة عبادة لا يقال فتكون نحن مأمورين بمباداة الأمر حيث أمرنا بطاعتهم في قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم لأننا نقول طاعتهم إذا كانت بأمر الله لا تكون إلا عبادة الله وطاعة له وكشف لا ونفس السجود والركوع لا غير إذا كان بأمر الله لا يكون إلا عبادة الله ألا ترى أن الملائكة سجدوا لآدم ولم يكن ذلك إلا عبادة الله وإنما عبادة الأمراء هو طاعتهم فيما يأذن الله فيه فإن قيل بماذا لم طاعة الشيطان من طاعة الرحمن مع أننا نسمع من الشيطان خبرا ولا نرى منه أثرا نقول عبادة الشيطان في مخالفة أمر الله أو الاتيان بما أمر الله لآله أمر به ففي بعض الاوقات يكون الشيطان يأمرك وهو في غيرك وفي بعض الاوقات يأمرك وهو فيك فإذا جاءك شخص بأمرك بشي فانظر إن كان ذلك موافقا لأمر الله أو ليس موافقا فإن لم يكن موافقا فذلك الشخص معه الشيطان يأمرك بما يأمرك به فلا تطعه فقد

يكون فيه لا يرى ولا يرى
وأما ما قيل من أن المضمر
فليمازوا فليجعل من السداد
لما أن المحكي عنهم ليس
مصيرهم إلى ما ذكر من
الحسنة المرضية حتى
ينسى ترتيب الأمر
المذكور عليه بل إنما هو
استقرارهم عليها بالفعل
وكون ذلك بطريق
تنزيل المتقرب منزلة
الواقع لا يجدي نفعا
لأن مناط الاضمار أن يباين
الافهام اليه وانصباب
نظم الكلام عليه فبعد
ما نزلت تلك الحادثة منزلة
الواقع بالفعل لما اقتضاه
المقام من التمكن البارحة
والحكمة الرائعة حسما
مر بيانه واسطة كونها
متروكة عن درجته الاعتبار
بالمكانة يكون التصدي
لا يخمسار شي يتعلق
به آخر اجالة علم انكرهم
عن الجزالة بالمره (ألم
أعهد إليكم يا بني آدم
أن لا تعبدوا الشيطان)
من جملة ما يقال لهم
بطريق التفرع والالزام
والتبكيك بين الأمر
بالاستيثار وبين الأمر
بعدمه

بقوله تعالى اصلوها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم ١٠٨ بأمري فيه خير ومنفعة والمراد ههنا ما كلفهم الله
 تعالى على استئثار الرسل عليهم الصلاة والسلام من الاوامر والنواهي التي من جملتها قوله
 تعالى يا بني آدم لا يفتشكم الشيطان كما أخرج أبوكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا
 خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى
 وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا من ظهور بني آدم وأشهدوا على أنفسهم
 وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى
 الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما
 يوسوس به اليهم زينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنبيه عنها ولو وقعها في مقابلة
 عبادته عز وجل وقرئ اعهدي بكسر
 الهمزة واعهد بكسر الهاء واحمد بن حاتم
 العين واحد بالادغام وهي لغة بني تميم

عبست الشيطان وان دعيتك نفسك الى فعل فاذا نظرأهو مأذون فيه من جهة الشرع
 أو ليس لذلك فان لم يكن مأذونا فيه فنفسك هي الشيطان أو معها الشيطان يدعوك فان
 اتبعته فقد عبدته ثم ان الشيطان يأمر أو لا يخافه الله ظاهرا فمن أطاعه فقد عبده ومن
 لم يطعه فلا يرجع عنه بل يقول له اعبد الله كي لا تهان وليرتفع عند الناس شأنك وينفع
 بك اخوانك واعوانك فان أجاب اليه فقد عبده لكن عبادة الشيطان على تفاوت وذلك
 لان الاعمال منها ما يقع والعامل موافق فيه جنانه ولسانه وأركانه ومنها ما يقع والجنان
 واللسان يخالف الجوارح أول الاركان فمن الناس من يرتكب جريمة ككارتها بقلبه
 لما يقترب ذنبه مستغفرا له به يعتز بسوء ما يقترب فهو عبادة الشيطان بالاعضاء
 الظاهرة ومنهم من يرتكبها وقلبه طيب ولسانه رطب كالك تجد كثيرا من الناس يفرح
 بكونه مترددا الى أبواب الظلمة للسعاية ويعد من المحاسن كونه ساريا مع الملوك ويفخر
 به بلسانه وتجدهم يفرحون بكونهم أمراء في الملك بالظلم والملك يتفاد لهم أو يفرحون
 بكونهم يأمرهم بالظلم فيظلمون فرحين بما ورد عليهم من الامر اذا عرفت هذا فالطاعة
 التي بالاعضاء الظاهرة والبواطن طاهرة مكفرة بالاسقام والآلام كما ورد في الاخبار
 ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الخي من فيم جهنم وقوله صلى الله عليه وسلم السيف محام
 للذنوب أي لئلا هذه الذنوب ويدل عليه ما قال صلى الله عليه وسلم في الحدود انها كفارات
 وما يكون بالقلوب فلا خلاص عنه الا بالتوبة والتدم واقبال القلب على الرب وما يكون
 باللسان فهو من قبيل ما يكون بالقلب في الظاهر والمثال يوضح الحال فنقول اذا كان
 عند السلطان أمير وله غلمان هم من خواص الامير واتباع بعده هم من عوام الناس
 فاذا صدر من الامير مخالطة ومسارة مع عدو السلطان ومصادقة بينهما لا يعفو الملك عن
 ذلك الا اذا كان في غاية الصلح أو يكون للامير عنده يد سابقة أو توبة لاحقة فان صدر
 من خواص الامير مخالفة وهو به عالم ولم يزجره عدت المخالفة موجودة منه وان كان
 كارها وأظهر الانكار حسنت معانيته دون معافيته لان اقدام خواصه على المخالفة
 دليل على سوء الترتيب فان كان الصادر من الخواشي الابعاد وبلغ الامير ولم يزجره عوتب
 الامير وان زجرهم استحق الامير بذلك الزجر الاكرام وحسن من الملك أن يسدى الى
 المزجور الاحسان والانعام ان علم حصول الزجاره اذا علمت هذا فالقلب أمير واللسان
 خاصته والاعضاء خدمه فاذا صدر من القلب فهو العظيم من الذنب فان أقبل على محبة
 غير الله فهو الويل العظيم والضلال المبين المستعقب لامقاب الاليم والعذاب المهين
 وما يصدر من اللسان فهو محسوب على القلب ولا يقل قوله ان لم ينكر فعله وما يصدر من
 الاعضاء والقلب قد أطهر عليه الانكار وحصل له الزجار فهو الذنب الذي حكى النبي
 صلى الله عليه وسلم عن ربه أنه قال لو لم تذنبوا لخلقنا أهواءا يذنبون ويسفرون فاستغفر
 لهم (وهيئة لطيفة) وهي ان الشيطان قد يرجع عن هيد من عبادة الله فرحانا فيظن انه قد

(انه لكم عدو مبين) أي ظاهر العداوة ﴿ ١٠٩ ﴾ وهو تعالى لوجوب الانتهاء عن النهي عنه وقيل تعليل

لانهي (وأن اعبدوني)
عطف على أن لا يعبدوا
على أن فيهما مفسرة
للعهد الذي فيه معنى
القول بالنهي والامر
أو مصدرية حذف
عنها الجار أي ألم أعهد
اليكم في ترك عبادة
الشیطان وفي عبادتي
وتقديم النهي على الامر
لأن حق التولية التقدم
على التحلية كما في كلمة
التوحيد وليتصل به
قوله تعالى (هذا صراط
مستقيم) فانه إشارة الى
عبادته تعالى التي هي
عبادة عن التوحيد
والاسلام وهو المشار
اليه بقوله تعالى هذا
صراط على مستقيم
والقصود بقوله تعالى
لا تعبدنهم صراطك
المستقيم والتكثير للتفخيم
واللام في قوله تعالى
(ولقد أضل منكم جبلا
كثيرا) جواب قسم
مخدوف والجملة استئناف
مسوق لتشديد التوبيخ
وتأكيد التفرع ببيان
أن جنایاتهم ليست
بنقص العهد فقط بل
بهو عدم الاتعاظ بما

حصل مقصوده من الاغواء حيث يرى ذلك العبد ارتكب الذنب مظهر او يكون ذلك
رافعا لدرجة العبد فان بالذنب يتكسر قلب العبد فيتخلص من الانجذاب بنفسه وعبادته
ويصير أقرب من المقربين لأن من لم يذنب مقرب عند الله كما قال تعالى اهتم درجات عند
ربهم والمذنب التائب التادم منكسر القلب والله عنده كما قال صلى الله عليه وسلم كما كبا
عن ربه أنا عند المنكسرة قلوبهم وفرق بين من يكون عند الله وبين من يكون عنده الله
وأمل ما يحكي من الذنوب الصادرة عن الانبياء من هذا القبيل لتحصل لهم الفضيلة على
الملائكة حيث ينجحوا بأنفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقد يرجع
الشیطان عن آخر يكور قد أمره بشئ فليفعله والشخص يظن انه غلب الشيطان ورده
خائبا فيجمع في نفسه وهو لا يعلم ان الشيطان رجع عنه بحصل المقصود مقبولا غير مردود
ومن هذا بين أمر اصولي وهو ان الناس اختلفوا في ان المذنب هل يخرج من الايمان
أم لا وسبب النزاع وقوع نظر الخصمين على أمرين متباينين فالذنب الذي بالجسد لا بالقلب
لا يخرج بل قد يزيد في الايمان والذي بالقلب يخاف منه الخروج عن رتبة الايمان
ولذلك اختلفوا في عصمة الانبياء من الذنوب والاشبه ان الجسد جاز عليهم والقرآن
دليل عليه والقلب لا يجوز عليهم ثم انه تعالى لما نهى عباده عن عبادة الشيطان ذكر
ما يحمله على قبول ما أمروا به والانتهاء عما نهوا عنه بقوله انه لكم عدو مبين وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) من أين حصلت العداوة بين الشيطان والانسان فنقول
ابتدأها من الشيطان وسببه تكريم الله بنى آدم لما رأى ابليس ربه كرم آدم وبني
حاداهم فعاداه الله تعالى والاول منه لؤم والثاني من الله كرم أما الاول فلان الملك اذا اكرم
شخصا ولم ينقص من الآخر شيئا اذ لا ضيق في الخزانة فعداوة من يعادي ذلك المكرم
لا تكون الا لؤما وأما الثاني فلان الملك اذا علم ان اكرامه ليس الامنة وذلك الضعيف
ما كان يقدر ان يصل الى بعض تلك المنزلة لولا اكرام الملك يعلم أن من يفضيه ينكر فعل
الملك أو ينسب الى خزانته ضيقا وكلاهما يحسن التعذيب عليه فيعاديها انما ما لا اكرام
واكالا للافضال ثم ان كثيرا من الناس على مذهب ابليس اذا رأوا واحدا عند ملك
محترما بغضوه وسعوا فيه اقامة لسنة ابليس فالملك ان لم يكن متخلفا باخلاق الله لا يبعد
الساعي ويجمع كلامه ويترك اكرام ذلك الشخص واحترامه (المسئلة الثانية) من أين
ابانة عداوة ابليس نقول لما اكرم الله آدم عاداه ابليس وظن أنه يبقى في منزلته وآدم
في منزلته مثل متباغضين عند الملك والله كان عالما بالاضمار فأبعده وأظهر أمره فأظهر
هو من نفسه ما كان يخفيه لئلا ما كان يحمله على اخفاء فقال لا تعبدنهم صراطك
المستقيم وقال لاحتكر ذريته (المسئلة الثالثة) اذا كان الشيطان للانسان عدوا
مبيناً فما بال الانسار يميل الى مرضيه من الشرب والزنا وبكره مساخطه من المجاهدة
والعبادة نقول سبب ذلك استمالة الشيطان باخوان من عند الانسان وترك استعانة

شاهدوا من العقوبات النازلة على الأمم الخالية بسبب طاعتهم * ١١٠ * للشيطان فالخطاب التأخر بهم

الذين من جللتهم كفار
مكة خصصوا بزيادة
التوبيخ والتقريع
لتضاعف جناساتهم
والجبل بكسر الجيم والياء
وتشديد اللام الخلق
وقرى بضمتين وتشديد
وبضمتين وتخفيف
وبضمة وسكون وبكسرتين
وتخفيف وبكسرة وسكون
والكل لغات وقرى
جبل اجمع جبلة كقطر
وخلق في جمع فطرة
وخلقة وقرى جبلا بالياء
وهو الصنف من الناس
أى وبالله لقد أضل منكم
خلقا كثيرا أو صنفا
كثيرا عن ذلك الصراط
المستقيم الذى أمرتكم
بالثبات عليه فاصبرهم
لأجل ذلك ما أسأهم
من العقوبات الهائلة
التي ملأ ألقاف أخبارها
وبقي مدى الدهر آثارها
والله عن قوله تعالى (أفلم
تكتفون) تعقلون
على قدر يقتضيه المقام
أى أكنتم تشاهدون
آثار عقوباتهم فلم تكونوا
تعقلون أنها أضلالهم
أو فلم تكونوا تعقلون
شيئا أصلا حتى

الإنسان بالله فيستعين بشهوته التي خلقها الله تعالى فيه لمصالح بقائه وبقاء نوعه
ويجعلها سببا لفساد حاله ويدعوه بها إلى مسالك المهالك وكذلك يستعين بفضبه الذي
خلقها الله فيه يدفع المفسد عنه ويحمله سببا لوباله وفساد أحواله وميل الإنسان إلى
المعاصي كميل المريض إلى المضار وذلك حيث ينحرف المزاج عن الاعتدال فتزى المحموم
يريد الماء البارد وهو يريد في مرضه * ومن به فساد المعدة فلا يهضم القليل من الغذاء
يميل إلى الأكل الكثير ولا يشبع بشئ وهو يزيد في معدته فسادا وصحح المزاج لا يشتهي
الأمانيغمه فالدنيا كالهواء الوبي لا يستغنى الإنسان فيه عن استنشاق الهواء وهو
المفسد لمزاجه ولا طربق له غير اصلاح الهواء بالروائح الطيبة والأشياء الزكية والرش
بالحل والماورد من جملة المصلحات فكذلك الإنسان في الدنيا لا يستغنى عن أمورها
وهي المعينات للشيطان وطريقه ترك الهوى وتقليل التأميل وتحرير الهوى بالذكر
الطيب والزهد فاذا صح مزاج عقله لا يميل إلا إلى الحق ولا يبقى عليه في التكليف كلفة
ويحصل له مع الأمور الإلهية الفة وهناك يعترف الشيطان بأنه ليس له عليه سلطان
* ثم قال تعالى (وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) لما منع من عبادة الشيطان حمل على
عبادة الرحمن وأشار ع طيب الأرواح كما أن الطيب طيب الأشباه وكما أن الطيب
يقول المر يض لا تفعل كذا ولأن كل من ذا وهى الحجة التي هى رأس الدواء لا يزيد
مرضه ثم يقول له تناول الدواء الفلاني فتقوية لقوته المقاومة للمرض كذلك أشار ع
منع من المفسد وهو اتباع الشيطان وحمل على المصلح وهو عبادة الرحمن وفيه مسائل
(المسئلة الأولى) عند المنع من عبادة الشيطان قال انه لكم عدوميين لأن أعداءه أبلغ
الموانع من الاتباع وعند الأمر بعبادة الرحمن لم يقل انه لكم حبيب لان المحبة لا توجب
متابعة المحبوب بل ربما يورث ذاك الاتكال على المحبة فيقول انه يحبني فلا حاجة إلى
تحمل المشقة في تحصيل مرضيه بل ذكر ما هو أبلغ الأشياء في الحمل على العبادة وذلك
كونه طر يقام مستقيما وذلك لان الإنسان في دار الدنيا في منزل قفر محذوف وهو متوجه
إلى دار إقامة فيها أخوانه وانازل في بادية خالية يخاف على روحه وماله ولا يكون عنده
شئ أحب من طريق قريب آمن فلما قال الله تعالى هذا صراط مستقيم كان ذلك سببا
حائما على السالك وفي ضمن قوله تعالى هذا صراط إشارة إلى ان الإنسان مجتاز لانه لو كان
في دار إقامة فتقوته هذا صراط مستقيم لا يكون له معنى لان القيم يقول وماذا أفعل
بالطريق وأنا من المقيمين (المسئلة الثانية) ماذا يدل على كونه طر يقا مستقيما نقول
ان الإنسان مسافر امام سفره راجع إلى وطنه وامام سفره تاجر له متاع يتجر فيه وعلى
أنوجهين فالله هو المقصد وأما الوطن فلانه لا يوطن إلا في مأمن ولا آمن إلا بمالك لا يزول
ملكه من عند زوال ملك الملوك لا يبقى الأمن والراحة والله سبحانه هو الذى ملكه دائما
وكل ما عداه فهو فان وأما التجارة فلا تاجر لا يقصد إلا إلى موضع يسمع أو يعلم ان

ترددوا عما كانوا عليه كي لا يهتق بكم * ١١١ * الحجاب وقوله تعالى (هذه جنهم التي كنتم توعدون)

لما عده هناك زواجا والله تعالى يقول ان العمل الصالح عنده مثاب عليه متقابل باضعاف
ما يستحق والله هو المقصد وعبادته توجه اليد ولا شك ان القاصد لجهة اذا توجه اليها
يكون على الطريق المستقيم (المسئلة الثالثة) اعادة تنبي عن معنى التذلل فلما قل
لا تعبدوا الشيطان لزم ان يتكبر الانسان على ماسوى الله ولما قل وان اعبدوني ينبى
ان لا يتكبر على الله لكن التكبر على ماسوى الله ليس معناه انه يرى نفسه خيرا من غيره
فان نفسه من جملة ماسوى الله فينبى ان لا يلتفت اليها ولو كانت متجمللة بعبادة الله
بل معنى التكبر على ماسوى الله ان لا يتقاد لشي الا باذن الله وفي هذا التكبر غاية التواضع
فانه حينئذ لا يتقاد الى نفسه وحظ نفسه في التفوق على غيره فلا يتفوق فيحصل التواضع
التمام ولا يتقاد لامر الملوك اذا خالفوا امر الله فيحصل التكبر التام فيرى نفسه بهذا
التكبر دون الفقير فوق الامير * ثم ان الله تعالى ذكر ما يذبه لعداوة الشيطان بقوله تعالى
(ولقد اضل منكم جيلا كثيرا فلم تكونوا تعقلون) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى)
في الجبل ست غات كسر الجيم والباء مع تشديد اللام وضمة الجيم مع التشديد وكسرهما مع
التخفيف وضمة الجيم والباء وتسكين الباء وتخفيف اللام مع ضم الجيم ومم كسره (المسئلة
الثانية) في معنى الجبل الجيم والباء واللام لا تخلو عن معنى الاجتماع والجبل فيه اجتماع
الاجسام الكثيرة وجبل الطين فيه اجتماع اجزاء الماء والتراب وشاة الجباء اذا كانت
مجموعة اللبن الكثير لا يقال البلجة نقض على ما ذكرتم فانها تنبى عن التفرق فان الابلج
خلاف المنسرون لانا نقول هي لاجتماع الاماكن الخالية التي تسع المتكثرات فان البلجة
والبلدة بمعنى والبلد سمي بلدا للاجتماع لالتفرق فالجبل الجمع العظيم حتى قيل ان دون
العشرة آلاف لا يكون جبلا وان لم يكن صحيحا (المسئلة الثالثة) كيف الاضلال نقول
على وجهين أحدهما ان الاضلال تولية عن المقصد وصد عنه فالكسبان بأمر البعض
بترك عبادة الله وعبادة غيره فهو تولية فان لم يقدر بأمره بعبادة الله لامر غير الله من
رياسة وجاه وغيرهما فهو صد وهو يفضى الى التولية لان مقصوده لو حصل لترك الله وأقبل
على ذلك الغير فيحصل التولية * ثم بين ما لاهل الضلال بقوله تعالى (هذه جنهم التي كنتم
توعدون) وحال الضال كحال شخص خرج من وطنه مخافة عدوه فوقع في مشقة واوراقام
في وطنه لعل ذلك العدو كان لا يظفر به أو يرجه كذلك حال من لم يتحرك اطاعة
ولا عصيان كالبحرانيين وحال من استعمل عقله فأخطأ الطريق فان المجنون من اهل البحارة
وان لم يكن من اهل الدرجات وقد قيل بأن البلاء أدنى الى الخلاص من فطانة بقاء
وذلك ظاهر في المحسوس فان لم يعرف الطريق اذا أقام بكاه لا يبعد عن الطريق
كثيرا ومن سار الى خلاف المقصد يبعد عنه كثيرا * ثم بين انهم واصلون اليها حاصلون فيها
بقوله تعالى (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) وفي هذا الكلام ما اوجب شدة ندامتهم
وحسرتهم من ثلاثة أوجه (أحدها) قوله تعالى اصلوها فانه أمر بتكبير واهانة كقوله

يخاطبون به بعد تمام
الويع والنعس ربع
والالزام والتبكيت
عند اشرافهم على
شفير جهنم أى كنتم
توعدون لها على السنة
الرسل عليهم الصلاة
والسلام بمقابلة عبادة
الشيطان مثل قوله
تعالى لا ملأن جهنم
منك وعن تبعك منهم
أجمعين وقوله تعالى
قال اذهب فكن تبعك
منهم فان جنهم جراؤكم
جزاء موفورا وقوله
تعالى قال اخرج منها
مذووما مدحورا لمن
تبعك منهم لا ملأن جهنم
منكم أجمعين وغير ذلك
بما لا يحصى وقوله تعالى
(اصلوها اليوم بما
كنتم تكفرون) أمر
بتكبير واهانة كقوله
تعالى ذق انك أنت
العزیز الخ أى ادخلوها
من فوق وقاسوا فتون
عذابها اليوم بكفركم
المستمر في الدنيا وقوله
تعالى (اليوم نختم
على أفواههم) أى
ختما يمنعها عن الكلام
التفات الى الغيبة
للايدان بأن ذكر أحوالهم القبيحة

استدعى أن يعرض عنهم ويحكي أحوالهم الفظيعة ١١٢ بحسب لغبرهم مع ما فيه من الابعاد الى أن ذلك من

مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقى الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ نختم (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروي أنهم يمجدون ويخاصعون فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيخلفون ما كانوا مشركين فيجئند نختم على أفواههم وأيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لأجيز على شاهدنا الامن نفسي فيختم على فيه ويقال لا ركانه انطقي فتنتطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعد الكن وسهقا فعنك كنت أناضل وفيل تكليم الاركان وشهادتها لآلها على أفعالها وظهور آثار المعاصي عليها وقرئ وتكلم أيديهم وقرئ وتكلمنا أيديهم وتشهد بلامكى والتصب على معنى ولذلك نختم على أفواههم وقرئ وتكلمنا أيديهم وتشهد بلام الامر والجزم

ذق انك أنت العزيز الكريم (والثاني) قوله اليوم يعني العذاب حاضر ولدانك قد مضت أيامها قد انقضت وبقى اليوم العذاب (الثالث) قوله تعالى بما كنتم تكفرون فان الكفر والكفران ينفي عن نعمة كانت يكفر بها وحياء الكفور من المنع من أشد الآلام وهذا كثيرا ما يقول العبد المجرم افعلوا بي ما يأمر به السيد ولا تحضروني بين يديه والى هذا المعنى أشار القائل

أليس بكاف لذي نعمة * حياء المني من المحسن

ثم قال تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) في الترتيب وجوه (الاول) انهم حين يسمعون قوله تعالى بما كنتم تكفرون يريدون ينكرون كفرهم كما قال تعالى عنهم ما أشركنا وقالوا آمنا به فيختم الله على أفواههم فلا يقدر على الإنكار وينطق الله غير لسانهم من الجوارح فيعترفون بذنوبهم (الثاني) لما قال الله تعالى لهم ألم أعهد اليكم لم يكن لهم جواب فسكتوا وخرسوا وتكلمت أعضاؤهم غير اللسان وفي الختم على الأفواه وجوه (أفواها) ان الله تعالى يسكت السنتهم فلا ينطقون بها وينطق جوارحهم فتشهد عليهم وأنه في قدرة الله يسير أما الاسكات فلا يخفاه فيه وأما الانطاق فلان اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة فكما جاز تحركه بها جاز تحرك غيره بمثلها والله قادر على الممكنات والوجه الآخر انهم لا يتكلمون بشئ لانقطاع أعضائهم وانهم لا يستطيعون ناكسي الرؤس وقوف القنوط اليأس لا يجد عذرا فيعتذر ولا مجال توبة فيستغفر وتكلم الأيدي ظهور الامور بحيث لا يسع معه الإنكار حتى تنطق به الأيدي والابصار كما يقول القائل الجيطان تبكي على صاحب الدار إشارة الى ظهور الحزن والاول الصحيح وفيه لطائف الفظية ومعنوية (أما الفظية فالاولى) منها هي ان الله تعالى أسند فعل الختم الى نفسه وقال نختم وأسند الكلام والشهادة الى الأيدي والأرجل لانه لو قال تعالى نختم على أفواههم وتنطق أيديهم يكون فيه احتمال ان ذلك منهم كان جبرا وقهرا والافرار بالاجبار غير مقبول فقال تعالى تكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم أي باختيارها بعدما يقدرها الله تعالى على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم (الثانية) منها هي ان الله تعالى قال تكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم جعل الشهادة للأرجل والكلام للأيدي لان الأفعال تستند الى الأيدي قال تعالى وما عملته أيديهم أي ما عملوه وقال ولا تلقوا بأيديكم أي ولا تلقوا بأنفسكم فاذا الأيدي كالعامل والشاهد على العامل ينبغي أن يكون غيره فجعل الأرجل والجلود من جملة الشهود وليبدأ إضافة الأفعال إليها أما المذنب (فالاولى) منها ان يوم القيامة من تقبل شهادته من القربين والصديقين كلهم أعداء للمجرمين وشهادة العدو على العدو غير مقبولة وان كان من الشهود العدول وغير الصديقين من الكفار والنفاق غير مقبول الشهادة فجعل الله شاهد عليهم منهم لا يقال الأيدي والأرجل أيضا صدرت

أفواههم وقرئ وتكلمنا أيديهم وتشهد بلام الامر والجزم

(ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) الطمس تعمية شق العين حتى تعود مسوحة ومفعول المشبهة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطاً وكون مفعولاً مضمون الجراء أي لو نشاء أن نطمس على أعينهم تعمية وإيثار صيغة الاستقبال وإن كان المعنى على المضى لأفادة أن عدم الطمس على أعينهم لاستمرار عدم المشبهة قبل الضار المذوق الواقع بوقوع الماضي ليس بنص في أفادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد ١١٣ استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر. قوله تعالى أو يحمل الله الناس

الذين أساءوا إليهم بالخير (فاستبقوا الصراط) أي فأرادوا أن يستبقوا إلى الطريق الذي اعتادوا أساؤه على أن انتصابه بمنزلة الجار أو هو يتفهم الاستباق معني الابتداء أو بالظرفية (فأني يصرون) الطريق و جهة السلوك (ولو نشاء لمسخناهم) بتغيير صورهم وإبطال قواهم (على مكائهم) أي مكانهم الآن المكائن خاص كالقائمة والمقام وفري على مكاناتهم أي لمسخناهم مسخناهم بمكانهم لا بقدرهم لأن يبرحوه بأوبال وادبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى (فأنا استلمناهم مضيا ولا يرجعون) أي لا رجوعاً ووضع موضعهم لمراءاة القاعد على ابن عباس ضى الله نهضاً قدرة وتختار ير وحيداً بجواره وعن قتادة ما قدمناهم على أرجلهم وأزنانهم قريناً مضياً بكرهم الخيم وقبحها وليس ساق الشرطيتين مجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل إبيان أنهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاعتنا

الذنوب منها فهي فسقه فينبغي أن لا تقبل شهادتها إلا نأقول في رد شهادتها قبول شهادتها لأنها ان كذبت في مثل ذلك اليوم فقد صدر الذنب منها في ذلك اليوم والمذنب في ذلك اليوم مع ظهور الأمور لا بد من أن يكون مذنباً في الدنيا وإن صدقت في ذلك اليوم فقد صدر منها الذنب في الدنيا وهذا كما قال لفاسق ان كذبت في نهار هذا اليوم فبعدى حر فقال الفاسق كذبت في نهار هذا اليوم عتق العبد لأنه ان صدق في قوله كذبت في نهار هذا اليوم فقد وجد الشرط ووجب الجزاء وإن كذب في قوله كذبت فقد كذب في نهار ذلك اليوم فوجد الشرط أيضاً بخلاف ما لو قال في اليوم الثاني كذبت في نهار اليوم الذي عتق عتق عتق على كذبي فيه (المسئلة الثانية) الختم لازم الكفار في الدنيا على قلوبهم وفي الآخرة على أفواههم في الوقت الذي كان الختم على قلوبهم كان قولهم بأفواههم كما قال تعالى ذلك قولهم بأفواههم فلما ختم على أفواههم أيضاً لم أن يكون قولهم بأعضائهم لأن الإنسان لا يملك غير القلب واللسان والأعضاء فإذا لم يبق القلب ولم يبق الجوارح والأركان ثم قال تعالى (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأني يصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكائهم فاستطاعوا مضياً ولا يرجعون) قد ذكرنا مراراً أن الصراط المستقيم هو بين الجبر والإفراط وهو الطريقة الوسطى والله تعالى في كل موضع ذكر ما ينسبك به المجبة ذكر عقبيه ما ينسبك به القدرة وبالعكس وههنا كذلك لما قال الله تعالى و تشهد أرجلهم بما كانوا يكرهون وقال أصاؤها اليوم بما كنتم تكفرون وكان ذلك منسك القدرة حيث استند الله الكفر والكسب اليهم وأحال الخير وأشر عليهم ذكر عقبيه ما ينسبك على أكرههم وكسبهم يشبه الله وذلك لأن الكفر يعنى البصيرة و تضعف اقوة العقلية وعنى البصيرة بإرادة الله ومشيئته إذا شاء أعنى البصيرة كما أنه لو شاء لطمس على أعينهم البصيرة وسلب القوة العقلية باختياره ومشيئته كما سلب اقوة الجسمية بمشيئته حتى لو شاء لمسخ الكلاب على مكائهم وإقامه بحيث لا يتحرك بمشة ولا بصيرة ولا قدر على المضى والرجوع فاعلم الصار سند كاعاء الانصار وسلب اقوة العقلية كسلب اقوة الجسمية فقالوا لو نشاء لطمسنا على أعينهم إشارة إلى أنه شاء وأراد إتمام بسايرهم ففقدوا وأنه لو شاء لمسخناهم لما هتدوا إلى طريقهم الظاهرة وشاء واختار سلب اقوة عقولهم فزاهوا أنه لو شاء سلب اقوة أجسامهم ومسخهم لمساقدروا على تقدم ولان آخر وفي آيتين أبحاث أفضلية (البحث الاول) في قوله فاستبقوا الصراط قبل التخصي فيه وجوه (الاول) أنه يكون فيه حذف حرف الى وانصال الفعل من غير حرف وأصله فاستبقوا إلى الصراط (الثاني) أن يكون المراد من الاستباق الابتداء فاعمله أعمال الابتداء (الثالث) أن يجعل الصراط مستبقاً لاستبقا إليه يقال استبقنا فسبقتهم وحينئذ يكون مبالغة في الإهداء إلى الطريق كأنه يقول الصراط الذي هو معهم ليسوا حافيين له قاصدين إياه وانما هم

بما شاهدوا من آثارهم أحقاء بأن يفعل ١٥ سا بهم في الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم في الآخرة عقوبة الختم وأن المانع من ذلك ليس الأعدم تعلق المشبهة الإلهية به كأنه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جراً على موجب جنائهم المستدعية إهلاكهم إلهياً ولكننا لم نشاء أجر با على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين إلى إمامهم (ومن نمره) أي نطل عمره (تنكسه في الخلق) أي نقلب فيه

وتختلف على عكس ما خلفناه أو لا فلا يزال يتزايد ضعفه وتناقض قوته وتنفص بنية وتغير شكله وصورته حتى يعود إلى حالة شبهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك وقرئ: تنكسه من الثلاثي المجرد وتنكسه من الانكاس (أفلا يعقلون) أي أيزون ذلك فلا يعقلون أن من قدر على ذلك بقدر على ما ذكر من الشمس والمسخ وأن عدم إيقاعهما لعدم تعلق مشيئته تعالى بهما وقرئ: تعاون بالله ﴿١١٤﴾ لجري الخطأ قبله (وما علمناه الشعر) رد

وابطال لما كانوا يقولونه في حقه عليه الصلاة والسلام من أنه شاعر وما يقوله شعر أي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى أن القرآن ليس بشعر فإن الشعر كلام متكلف موضوع ومقال من خرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبنى على خيالات وأوهام واهية فإن ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشعرون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصولة إلى سعادة الدنيا والآخرة ومن أين اشتبه عليهم الشئون واختلط بهم الطنون فأنزلهم الله أنى يؤفكون (وما ينبغي له) وما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه أي جعلنا بحيث لو أراد فرض الشعر لم يتأت له كما جعلنا أميالا يمتد إلى الخط لتكون الحجمة أثبت والشبهة أدهض وأما قوله عليه الصلاة والسلام أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله عليه الصلاة والسلام هل أنت إلا صبيغ دميت* وفي سبيل الله ما لقيت* فمن قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد إليها

عليه إذا طمس الله على أعينهم لا يصرونه فكيف إن لم يكونوا على الصراط (البحث الثاني) قدم الشمس والاعاء على المسخ والاعجاز ليكون الكلام مدرجا كأنه قال إن أعاءهم لم يروا الطريق الذي هم عليه وحيث لا يهتدون إليه فإن قال قائل الاعى قد يهتدى إلى الطريق بامارات عقلية أو حسية غير حس البصر كالاصوات والمشي بحس الشمس فارتقى وقال فلو مسخهم وسلب قوتهم بالكلية لا يهتدون إلى الصراط بوجه من الوجوه (البحث الثالث) قدم المضى على الرجوع لأن الرجوع أهون من المضى لأن المضى لا ينبغي من سلوك الطريق من قبل وأما الرجوع فينبى عنه ولا شك أن سلوك طريق قدروى مرة أهون من سلوك طريق لم رفق لا يستطيعون مضيا ولا أقل من ذلك وهو الرجوع الذي هو أهون من المضى * ثم قال تعالى (ومن نعمه تنكسه في الخلق أفلا يعقلون) قد ذكرنا أن قوله تعالى ألم أعهد إليكم قطع للأعذار بسبق الإنذار ثم لا قرر ذلك وأتمه شرع في قطع عذر آخر وهو أن الكافر يقول لم يكن لبشر في الدنيا إلا سيرا ولو عمرتنا لما وجدت منا تقصيرا فقال الله تعالى أفلا تعقلون أنكم كلما دخلتم في السن ضمقتم وقد عمرناكم مقدار ما تتكثرون من البحث والادراك كما قال تعالى أوام نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ثم أنكم علمتم أن الزمان كلما يعبر عليكم يرداد ضعفكم فضعفتم زمان الامكان فلو عمرناكم أكثر من ذلك لكان بعده زمان الأزمان ومن لم يأت بالواجب زمان الامكان ما كان يأتي به زمان الأزمان * ثم قال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له أن هو الاذكر وقرآن مبين) في الترتيب وجهان قد ذكرنا أن الله في كل موضع ذكر أصلين من الاصول الثلاثة وهي الوحدانية والرسالة والحشر ذكر الاصل الثالث منها وهما ذكر الاصلين الوحدانية والحشر أما الوحدانية ففي قوله تعالى ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان وفي قوله وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم وأما الحشر ففي قوله تعالى اصلوها اليوم وفي قوله اليوم نختم على أفواههم إلى غير ذلك فلما ذكرهما وبينهما ذكر الاصل الثالث وهو الرسالة فقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له أن هو الاذكر وقرآن مبين وقوله وما علمناه الشعر إشارة إلى أنه معلوم من عند الله فعلم ما أراد ولم يعلم ما لم يرد وفي تفسير الآية مباحث (البحث الاول) خص الشعر بنبي التعليم مع أن الكفار كانوا ينسبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم أشياء من جعلتها السحر ولم يقل وما علمناه السحر وكذلك كانوا ينسبون إلى الكهانة ولم يقل وما علمناه الكهانة فتقول أما الكهانة فكانوا ينسبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم إليها عند ما كان يخبر عن الغيوب ويكون كما يقول وأما السحر فكانوا ينسبون إليه عند ما كان يفعل ما لا يقدر عليه الغير كشق القمر وتكلم الحصى والجذع وغير ذلك وأما الشعر فكانوا ينسبون إليه عند ما كان يتلو القرآن عليهم لكن صلى الله عليه وسلم ما كان يتعدى الا بالقرآن كما قال تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى غير ذلك ولم يقل إن كنتم في شك من رسالتي فأنطقوا

وعزم على ترتيبها وقبل الضمير في له للقرآن أي ما ينبغي للقرآن أن يكون شعرا (ان هو) أي ما للقرآن (الاذكر) (الجنوع) أي عظمة من الله عز وجل وارشاد للتقليد كما قال تعالى ان هو الاذكر للعالمين (وقرآن مبين) أي كتاب سماوي بين كونه كذلك أو فارق بين الحق والباطل بقرأ في المحارب ويتلى في المعابد ويتلى بتلاوته والعمل بما فيه فوز

الدارين فكم يتنمؤ بين ما قالوا (لينذر) أى القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيده القراءة بالثاء وقرئ لينذر من نذره أى علمه وينذر من الفعل من الانذار (من كان حيا) أى عاقلا تاملا قال النافل عزلة الميت أو مؤمنا في علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالإيمان تخصيص الانذار به لانه المتنفع به (ويحق القول) أى تجب كلمة العذاب (على الكافرين) المصيرين على الكفر وفي إيرادهم بقابلة من كان حيا ١١٥ اشعار بأنهم خلطوهم عن آثار الحياة وأحكامها التي هي المعرفة

أموال في الخفية (أولم يروا)
الهزيمة للانكار والتعجب
والواو للعطف على جملة
منفية مقدمة مستبعدة للامطوف
أى ألم يفكروا وأولم يلاحظوا
وام يعلوا علما يقينيا متاجسا
للمعانية (انا خلقناهم) أى
لاجلهم وانتفاعهم (مما علمت
أيدينا) أى مما توايتنا احداثه
بالذات وذكرا لالبدى واسناد
العمل اليها استعارة تفيد
مبالغة في الاختصاص والتفرد
بالاحداث والاعتناء به (انعاما)
مفعول خلقنا وتأخيره عن
الجارين المتعلقين به مع أن
حقه التقديم عليها لما مر مرارا
من الاعتناء باقدم والتشويق
الى المؤخر فان ما حقه التقديم
إذا أخرت بين النفس مترقبه له
فيتمكن عند وروده عليها
فضل تمكن لاسيما عند كون
المقدم مثبتا عن كون المؤخر
أمرا نافعا خطيرا كافي النظم
الذكريم فان الجار الاول المعرب
عن كون المؤخر من منافعهم
والثاني المفصح عن كونه من
الامور الخطيرة يزيدان النفس
شوقا اليه ورغبة فيه ولان في
تأخير جماعيته وبين أحكامه
المتفرعة عليه بقوله تعالى

الجدوع أو أشبعوا الخلق العظيم أو أخبروا بالغيوب فلما كان تحديه صلى الله عليه وسلم
بالكلام وكانوا ينسبون الى الشعر عند الكلام خص الشعر بنى التعليم (البحث الثاني)
مامعنى قوله وما ينبغي له فلما قال قوم ما كان ينبغي له وآخرون ما ينبغي له حتى انه انتمثل
بيت شعر سمع منه من احقا يروى أنه كان يقول صلى الله عليه وسلم ويايتك من لم تزود
بالاخبار (وفيه وجه) أحسن من ذلك وهو ان يحمل ما ينبغي له على مفهومه الظاهر وهو
ان الشعر ما كان يليق به ولا يصلح له وذلك لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ
والوزن فان شاعر يكون اللفظ منه تبع للمعنى والشاعر يكون المعنى منه تبع للفظ لانه
يقصد لفظا به يصح وزن الشعر وقافيته فيحتاج الى التحيل للمعنى يأتي به لأجل ذلك اللفظ
وعلى هذا نقول الشعر هو الكلام الموزون الذى قصد الى وزنه قصدا أو بيا وامام من
يقصد المعنى فيصدر موزونا مقفى فلا يكون شاعرا ألا ترى الى قوله تعالى ان تناووا العبر حتى
تنفقوا مما تحبون ليس بشعر والشاعر اذا صدر منه كلام فيه منكرات وساكنات
بعدد ما في الآية تقطعه بفاعلاتن فاعلاتن يكون شعر لانه قصدا لالتيان بألفاظ حروفها
متحر كقوسا كنة كذلك والمعنى تبهه والحكيم قصد المعنى فجاء على تلك الالفاظ وعلى
هذا يحصل الجواب عن قول من يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر بيت شعر وهو
قوله أنا النبي لا كذب * أنا عبد ابن المطلب أو يبتين لانا نقول ذلك ليس بشعر اعدم
قصده الى الوزن والقافية وعلى هذا لو صدر من النبي صلى الله عليه وسلم كلام كثير
موزون مقفى لا يكون شعرا اعدم قصده اللفظ قصدا أو بيا ويؤيد ما ذكرنا أنك اذا
تنبعت كلام الناس في الاسواق نجد فيه ما يكون موزونا واقعا في بحر من مجور الشعر
ولا يسمى المتكلم به شاعرا ولا الكلام شعرا لانه قد قصد الى اللفظ أولا ثم قوله تعالى
ان هو الاذ كر وقرآن مبين يحقق ذلك المعنى أى هو ذكر وموعظة للقصد الى المعنى
والشعر لفظ من خرف بالقافية والوزن (وههنا لطيفة) وهى ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان من الشعر لحكمة يعنى قد يقصد الشاعر اللفظ فيوافقه معنى حكيمى كأن
الحكيم قد يقصد معنى فيوافقه وزن شعري لكن الحكيم بسبب ذلك الوزن لا يصير
شاعرا والشاعر بسبب ذلك الذكر يصير حكيميا حيث سمى النبي صلى الله عليه وسلم
شعره حكمة ونفى الله كون النبي شاعرا وذلك لان اللفظ قالب المعنى والمعنى قلب اللفظ
وروجه فاذا وجد القلب لا نظر الى قالب فيكون الحكيم الموزون كلامه حكيميا
ولا يخرج عن الحكمة وزن كلامه والشاعر الموعظ كلامه حكيميا * ثم قال تعالى
(لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) قرئ بالثاء والياء بالياء خطا بامع
النبي صلى الله عليه وسلم وبالياء على وجهين (أحدهما) أن يكون النذر هو النبي صلى الله
عليه وسلم حيث سبق ذكره في قوله وما علمناه وقوله وما ينبغي له (وثانيهما) أن يكون
المراد أن القرآن ينذر والاول أقرب الى المعنى (والثاني) أقرب الى اللفظ اما الاول

(فهم لهم اما الكون) الآيات الثلاث أى فليكنها اياهم وايتار الجملة الاسمية على ذلك الدلالة على استقرار ما لكتبتهم لها واستقرارها
واللام متعلقة بالكون مقوية لعمله أى فهم ما لكون لها بخلكتنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها
لا يراهم في ذلك غيرهم وأقارون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتحجيرنا اياها لهم كافي قول من قال

أصبحت لأجل السلاح ولا * أملاك رأس البعيران نقر أو الأول هو الاظهر ليكون قوله تعالى (وذللناهم) تأنيبا للنعمة على
حيالها الخفة لا لاجلها أي عيبتاها من فاداة لهم بحيث لا تستعصى عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى
(فليسوا كذبيهم) الخ فالنقد في النقر إما أحكام استثنائية عليه وتفصيلها أي بعض منهار كذبيهم أي من كذبيهم أي معظم
متابعي الكون. وعندنا نعت من المحل الكون * ثقات الركوب * ١١٦ * ودين ركوبتهم وهي بعتاء كذا وب

والخلو بنو خير ترك ذلك
جمع ومرة ركوبهم
ذبيهم (وغيرها كالكون)
أي وبعض من أيا كالكون
(لهم فيها) أي في الانعام
بكل قسمها (نفع) أخرج
الركوب والاكل كذا
والاصواف والابواب وغيرها
وكالحرائث بالثيران (ومشارب)
من اللبن جمع مشرب وهذا
يحمل ما قبل في سورة النحل
(أفلا يشكرون) أي أبشاهدور
هذه النعم أو أينعمون بها
فلا يشكرون المنعم بها (واخذوا
من دون الله) أي متجاوزين
الله تعالى الذي شاهر وانفرد
بذلك القدرة الباهرة وتفضله
عليهم بما يليك نعم المظاهر
(آلهة) من الاصنام وأشركوا
به تعالى في العبادة (لهم
ينصرون) رجاء أن ينصروا
من جهنم فيما حاربهم من
الامم أو يشفعوا لهم
في الآخرة وقوله تعالى
(لا يستطيعون نصرهم) الخ
استثنائي سبق لبيان بطلان
رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس
تدبيرهم أي لا تقدر آلهتهم
على نصرهم (وهي) أي
المشركون (أي لا ينجيهم)

(جند محضرون) يشبهونهم عند ساقهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم * وأزواجهم *
ولا يساعده مساق انظم الكريهات في قوله تعالى (فلا يحزنك قولهم) لارتيب النهي على ما قبله فلا بد أن يكون عبارة عن
حسراتهم وحرمانهم عما كانوا يأملون من الفارغ غدا وانعكاس الامر عليهم بترتب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون
الخطب ويورث السوء وأما كونهم معدين لحربهم

وحدهم جعفر من ذلك وانتهى وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه في الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى له عليه السلام عن الأثر منه نظر في الكناية على أبلغ وجه وأكده قال انتهى عن أسبغ الشئ بمباديه المؤدية اليه انتهى عنه بنسري البهاني وأبطل السببية وقبوح التوجه الى ما لا يوجب من السبب كقول الأرياف ههنا يريد به انتهى بمطابقة عن الحضور لديه ١٧٧ والاراد يقولهم ما يلي عند ما ذكر من خاتمة الامور انما هي ذلك

وأما وجه وما كان واجبا من دور الله ههنا صراف الحميم قوله وشك في العذاب محضرون وههنا محمل عشرين (أحدهما) أن يكون العابدون جندا لما اتخذوه آلهة كما ذكرنا (الثاني) أن يكون الاصنام جندا للعابدين وعلى هذا فقيده معنى لطيف وهو أنه تعالى لما قال لا يستطيعون نصرهم أم أكدها بأدبهم لا يستطيعون نصرهم حال ما يكونوا عند الهه ومحضرون نصرهم فلهذا دل على عدم الاستطاعة فان من حضر واجتمع ثم يجزع الله من يكون في غاية الغفلة بخلاف من لم يكن متاهيا ولم يجمع انصاره وقبحة تعالى وقوله في ذلك ما عظم الاشارة الى الرسايد في الحركات مما يوجب نسبة فيه دلائل اجتهاد واختياره اياه وقوله تعالى (فأولئك ما يسرون وما يعلنون) فمحمل وجوها (أحدها) أن يكون ذلك تهديدا للمنافقين واسكافيرين وقوله ما يسرون من اتفاق وما يعلنون من الشرك (والثاني) ما يسرون من العلم بك وما يعلنون من الكفر بك (الثالث) ما يسرون من العقائد الفاسدة وما يعلنون من الافعال الفايحة ثم نه تعالى لما ذكر دليلا من الآفاق على وجوب عبادته بقوله أولم يروا أنا خلقناهم مما عملت أيدينا أولم نذكرهم في الكتاب من الانفس وقال (أولم يروا أناسا أنا خلقناهم من نطفة) قيل ان الاله بالانسان أي بن خلف فان الآية وردت فيه حيث أخذ عظمها باليا واتي النبي صلى الله عليه وسلم وقال انك تقول ان الهك محبي هذه العظام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك جهنم وقد ثبت في اصول الفقه أن الاعتبار بمسوم اللفظ لا بخصوص السبب ألا ترى ان قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها زلت في واحدة وأراد الكل في الحكم فكذلك كل انسان يشكر الله أو الشكر فهذه الآية رعية ادا علمت عمومها فنقول فيها لطائف (اللطيفة الاولى) قوله أولم يروا أنا خلقناهم مما عملت أيدينا معناه الكافرون المنكرون لتاركون عبادة الله المتخذون من دونه آلهة أولم يروا خلق الانعام لهم وعلى هذا فقوله تعالى أولم يروا الانسان كلام أعظم من قوله أولم يروا الاله مع جنس الانسان وهو اجمع منهم فنقول سبب ذلك أن دليل الانفس أشمل وأكمل وأتم والزم فان الانسان قد يغفل عن انعام وخلقها عند غيبتها ولكن هو مع نفسه متى ما يكون وأما يكون فقال ارغاب عن الحيوان وخلقها فهو لا يغيب عن نفسه فسياله أولم يروا أنا خلقناه من نطفة وعوأم نعم فان سأرا لهم بعد وجوده وقوله من نطفة اشارة الى وجه الدلالة وذلك لان خلقه او كان من اشياء مخلقة الصور كان يمكن أن يقال العظم خلق من جنس صلب واللحم من جنس رخو وكذلك الخصال في كل عضو ولما كان خلقه من نطفة متشابهة الاجزاء وهو مختلف الصور دل على الاختيار والقدرة والى هذا أشار بقوله تعالى ربي بما واحد * وقوله (فاذا هو خصيم مبين) (فيه لطيفة) غريبة وهي انه تعالى قال اخلاف صور أعضائه مع تشابه اجزاء ما خلق منه آية ظاهرة ومع هذا فهناك ما هو اظهر وهو نطفة فهمد وذلك لان النطفة جسم فلهذا نجاهلا يقول انه استحال

يعلم الاوهو او مباديه مدع في القلب غير ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلمه بحالته الثانية حقيقة (أولم يروا الانسان أما خلقناه من نطفة) كلام مستأنف مدقق لبيان بطلان انكارهم اليه بعد ما شاهدوا في انفسهم اوضح دلائله وأعدل شواهد كما أن ما سبق مدقق لبيان بطلان انكارهم بالله تعالى بعد ما عاينوا في بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام وأما ما قيل من انه تسليق فانه تسليق الله عليه وسلم ما شاهدوا في انفسهم دلائله

يعلم الاوهو او مباديه مدع في القلب غير ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلمه بحالته الثانية حقيقة (أولم يروا الانسان أما خلقناه من نطفة) كلام مستأنف مدقق لبيان بطلان انكارهم اليه بعد ما شاهدوا في انفسهم اوضح دلائله وأعدل شواهد كما أن ما سبق مدقق لبيان بطلان انكارهم بالله تعالى بعد ما عاينوا في بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام وأما ما قيل من انه تسليق فانه تسليق الله عليه وسلم ما شاهدوا في انفسهم دلائله

انكارهم الحشر والاداء للهزة لانكار والعجيب والواو للعطف على جملة مقدرة هي مستتعة المعطوف كما مر في الجملة
 الانكارية السابقة أي لم يتفكر الانسان ولم يعلم علمائنا اننا خلقناه من نقطة الخ أو هي عين الجملة السابقة أعيدت تأكيدها
 للنكير السابق وتمهيد الانكار ما هو أحق منه بالانكار والعجيب لما أن المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق أسباب معاشهم
 وهم ناعدم علمهم بما يتعلق بخلق أنفسهم ولا ريب في أن علم الانسان ﴿ ١١٨ ﴾ بأحوال نفسه أهم وأحاطة بها أسهل

وأكل فالانكار والعجيب
 من الاخلال بذلك أدخل
 كأنه قيل ألم يعلموا خلقه تعالى
 لأسباب معاشهم ولم يعلموا
 خلقه تعالى لأنفسهم أيضا
 مع كون العلم بذلك في غاية
 الظهور ونهاية الأهمية على
 معنى أن المنكر الأول بعيد
 قبيح والثاني أبعد وأقبح
 ويجوز أن تكون الواو لعطف
 الجملة الانكارية الثانية على
 الأولى على أنها مقدمة
 في الاعتبار وان تقدم الهزة
 عليها لاقتضائها الصدارة
 في الكلام كما هو رأي الجمهور
 وإيراد الانسان مورد الضمير
 لأن مدار الانكار متعلق
 بأحواله من حيث هو انسان
 كما في قوله تعالى أولا يذكر
 الانسان أنا خلقناه من قبل
 ولم يك شيئا وقوله تعالى (فاذا
 هو خصيم مبين) أي شديد
 الخصومة والجدال بالباطل
 عطف على الجملة المنفية
 داخل في حيز الانكار
 والتعجب كأنه قيل أولم يرأنا
 خلقناه من أخس الاشياء
 وأمهتها ففاجأ خصومتنا
 في أمر يشهد بصحته وتحققه
 بيد أطرته شهادة بينة وإيراد

وتكون جسا آخر لكن القوة الساطقة والقوة الفاعلة من أين تقتضيهما النطفة
 فإبداع النطق والفهم أعجب وأغرب من إبداع الخلق والجسم وهو إلى ادراك القدرة
 والاختيار منه أقرب فقوله خصيم أي ناطق وإنما ذكر الخصيم مكان الناطق لأنه أعلى
 أحوال الناطق فإن الناطق مع نفسه لا يبين كلامه مثل ما يبينه وهو يتكلم مع غيره
 والمتكلم مع غيره إذا لم يكن خصما لا يبين ولا يجتهد مثل ما يجتهد إذا كان كلامه مع خصمه
 وقوله مبين إشارة إلى قوة عقله واختار الإبانة لأن العاقل عند الفهم أعلى درجة منه
 عند عدمه لأن المبين بان عنده الشيء ثم إبانته فقوله تعالى من نقطة إشارة إلى أدنى ما كان
 عليه وقوله خصيم مبين إشارة إلى أعلى ما حصل عليه وهذا مثل قوله تعالى ثم خلقنا النطفة
 علقته فخلقنا العلقه مضمة إلى أن قال تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر فاستقدم من خلق النطفة
 علقته وخلق العلقه مضمة وخلق المضغة عظما إشارة إلى التغيرات في الجسم وقوله ثم
 أنشأناه خلقا آخر إشارة إلى ما أشار إليه بقوله فاذا هو خصيم مبين أي ناطق عاقل * ثم
 قوله تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) إشارة إلى بيان الحشر وفي هذه الآيات إلى آخر
 السورة غرائب وعجائب نذكرها بقدر الامكان إن شاء الله تعالى فنقول المنكرون الحشر
 منهم من لم يذكر فيه دليلا ولا شبهة واكتفى بالاستبعاد وادعى الضرورة وهم الأكثرون
 ويدل عليه قوله تعالى حكاية عنهم في كثير من المواضع بلفظ الاستبعاد كما قال وقالوا أنذا
 ضللتنا في الارض أنالفي خلق جديد أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أنالبعوثون أنك لمن
 المصدقين أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أنالمدينون إلى غير ذلك فكذلك همنا قال
 (قال من يحيى العظام وهي رميم) على طريق الاستبعاد فبدأ أولا بالابطال استبعادهم
 بقوله ونسي خلقه أي نسي أنا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الاجزاء ثم جعلنا لهم
 من النواصي إلى الاقدام أعضاء مختلفة الصور والقوام وما اصككتفينا بذلك حتى
 أودعناهم مالم يس من قبيل هذه الاجرام وهو النطق والعقل الذي بهما استحقوا الاكرام
 فان كانوا يفتنون بمجرد الاستبعاد فملا يستبعدون خلق الناطق العاقل من نقطة قدرة
 لم تكن محل الحياة أصلا ويستبعدون إعادة النطق والعقل إلى محل كان فيه ثم ان
 استبعادهم كان من جهة ما في المعساد من التفت والتفرق حيث قالوا من يحيى العظام
 وهي رميم اختاروا العظم للذكر لأنه أبعد عن الحياة لعدم الاحساس فيه وضعفه بما
 يقوى جانب الاستبعاد من البلا والتفت والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في
 العبد من القدرة والعلم فقال وضرب لنا مثلا أي جعل قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه
 العجيب وبدأ الغريب ومنهم من ذكر شبهة وان كانت في آخرها تعود إلى مجرد الاستبعاد
 وهي على وجهين (أحدهما) انه بعد العدم لم يبق شيئا فكيف يصح على العدم الحكم
 بالوجود وأجاب عن هذه الشبهة بقوله تعالى (فل يحييها الذي أنشأها أول مرة) يعني
 كما خلق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا كذلك بعينه وان لم يبق شيئا مذكورا (وثانيهما)

الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة واستمراره عليها روى أن جماعة من كفار قريش منهم أبي أن
 بن خلف الجعفي وأبو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي بن خلف الاترون إلى ما يقول
 محمد أن الله يبعث الاموات ثم قالوا اللات والعزى لا صيرن اليه ولا خصمنه وأخذ عظاما باليا فجعل يفتنه بيده ويقول يا محمد أترى الله
 يحيى هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويملك ويدخلك جهنم فترت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا

هو بعدما كان ماء مهينارجل ميمر منطبق قادر على الخصام ميمر معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلفاء غير داخل تحت الإنكار والتعجب بل هو من مميزات شواهد صحة البعث فقوله تعالى (وضرب أمثالا) معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخل في حيز الإنكار والتعجب وأما على التقدير الأول فهو عطف على الجملة التعجبية والمعنى فمجاناً خصوصاً وضرب لنا مثلاً أي أورد في شأن قصة عجيبية في نفس (١١٩) الأمر هي في العراية والبعث عن العقول كالمثل وهي إنكار أحيائنا العظام أو

قصة عجيبية في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وأنكرها أشد الإنكار وهي أحيائنا أياها وجعل لنا مثلاً ونظيراً من الخلق وفلس قدرتنا على قدرتهم وفي الكل على العموم وقوله تعالى (ونسئ خلقه) أي خلقنا إياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه أماء عطف على ضرب داخل في حيز الإنكار والتعجب أو حال من فاعله باصمارة قدأر بدونه وقوله تعالى (قال) استثنائي وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية ضرب به المثل كأنه قيل أي مثل ضرب أو ماذا قيل قال (من يحيى العظام) منكره أشد التكبر مؤكداً له بقوله تعالى (وهي رميم) أي بالية أشد البلية بعيدة من الحياة غاية البعد فالمثل على الأول هو إنكار أحيائنا تعالى للعظام فانه أمر عجيب في نفس الأمر حقيق لفرأينه وبعده من العقول بأن يعد مثلاً ضرورة جرم العقول بطلان الإنكار ووقوع المنكر لكونه كالإنشاء بل أهون منه في قياس العقل وعلى الثاني هو أحيائنا تعالى لها فانه أمر عجيب في زعمه قد استبعده وعده من

أن من تفرق أجزاءه في مشارق العالم ومغاريبه وصار بعضه في أبدان السباع وبعضه في جذران الرباع كيف يجمع وأبعد من هذا هو أن إنساناً إذا أكل إنساناً وصار أجزاء المأكل في أجزاء الآكل فإن أعيد فاجزاء المأكل أما أن تعاد إلى بدن الآكل فلا يبقى للمأكل أجزاء تخلق منها أعضاؤه وأما أن تعاد إلى بدن المأكل كونه فلا يبقى للآكل أجزاء فقال تعالى في إبطال هذه الشبهة (وهو بكل خلق عليم) ووجهه هو أن في الآكل أجزاء أصلية وأجزاء فضلية وفي المأكل كذلك فإذا أكل إنسان إنساناً صار الأصلية من أجزاء المأكل فضلية من أجزاء الآكل والأجزاء الأصلية للآكل هي ما كان له قبل الأكل والله بكل خلق عليم يعلم الأصلي من الفضلي فيجمع الأجزاء الأصلية والآكل وينفخ فيها روحه ويجمع الأجزاء الأصلية للمأكل وينفخ فيها روحه وكذلك يجمع الأجزاء المتفرقة في البقاع المبددة في الأصقاع بحكمته الشاملة وقدرته الكاملة ثم انه تعالى عاد إلى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وإبطال إنكارهم وعنادهم * فقال تعالى (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون) ووجهه هو أن الإنسان مشتمل على جسم يحس به وحياة سارية فيه وهي كرامة جارية فيه فإن استبعدتم وجود حرارة وحياة فيه فلا تستبعدوه فإن النار في الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء أعجب وأغرب وأنتم تحضرون حيث منه توقدون وإن استبعدتم خلق جسمه فخلق السموات والأرض أكبر من خلق أنفسكم فلا تستبعدوه فإن الله خلق السموات والأرض فإن اصف قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون * وقوله تعالى (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) قدم ذكر النار في الشجر على ذكر الخلق الأكبر لأن استبعادهم كان بالصرح واقعاً على الأحياء حيث قالوا من يحيى العظام ولم يقولوا من يجمعها ويؤلفها والنار في الشجر تناسب الحياة * وقوله تعالى (بلى وهو الخلاق) إشارة إلى أنه في القدرة كامل * وقوله تعالى (اعلم) إشارة إلى أن علمه شامل ثم أكد بيانه * بقوله تعالى (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وهذا اظهار فساد تشبيههم وتشبيههم وضرب مثلهم حيث ضرب بوالله مثلاً وقالوا لا يقدر أحد على مثل هذا قياساً للعذاب على الشاهد فقال في الشاهد الخلق يكون بالآلات البدنية والانتقالات المكتوبة ولا يقع إلا في الأزمنة الممتدة والله يخلق بكن فيكون فكيف تضربون المثل الأدنى وله المثل الأعلى من أن يدرك وفي الآية مباحث (البحث الأول) قالت المعتزلة هذه الآية دالة على أن المعدوم شيء لأنه يقول لما أراد كنه فيكون فهو قبل القول له كنه لا يكون وهو في تلك الحالة شيء حيث قال أنما أمره إذا أراد شيئاً والجواب أن هذا بيان لعدم تخلف الشيء عن تعلق إرادته به فقوله إذا مفهوماً الحين والوقت والآية دالة على أن المراد شيء حين تعلق الإرادة به ولا دلالة فيها على أنه شيء قبل ما إذا أراد وحينئذ لا يرد ما ذكره لأن الشيء حين تعلق الإرادة به شيء

قبيل المثل وأنكره أشد الإنكار مع أنه في نفس الأمر أقرب شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الإنشاء أو أهون منه وأما على الثالث فلا فرق بين أن يكون المثل هو الإنكار أو المنكر وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبر المؤنث لأنه اسم لما يلي من العظام غير لغة كالرفات وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من أثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بحجاسة عظم الميت وأما

أصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر و يقولون المراد بإحياء العظام ردها إلى ما كانت عليه من الغضاضة والربوطة في بدن
حي حساس (قل) تبيك الله بتذكير ما نسب من فطرته الدالة على حقيقة الخلق وإرشاده إلى طريقة الاستشهاد بها (بحييتها
الذي أنشأها أول مرة) فإن قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها (وهو بكل خلق عليم) مباغ في العلم بتفاصيل
كيفية الخلق واليجاد وإعادة محيط بجميع الأجزاء المتفتة ١٢٠ التبدد لكل شخص من الأشخاص أصولها

وفروعها وأوضاع بعضها
من بعض من الاتصال
بفصل والافتراق
فيجب كلاً من ذلك على الخط
السابق مع التوبى التي كانت
قبل الجملة أما اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون الجواب أو موقوف
على الصلة والدول إلى الجملة
الاسمية للتنبية على أن علمه
تعييب بما ذكر أمر مستحيل
كأنشائه للمنشآت وقوله تعالى
(الذي جعل لكم من الشجر
الأخضر ناراً) يدل من الموصول
الأول وعدم الالتفات بعطف
صلته على صلته التأكيد
ولفاتها في كفة الدلالة
أي خلق لا حرككم وفتحكم
منه ناراً على أن الفعل ابتدئ
والجاران متعلقان به قد ما على
مفعول المعبرج مع تأخيرهما
عنه رتبة للمسمى من الاعتناء
بالشئ والتشويق إلى المؤخر
وصف الشجر الأخضر فترا
إلفظ وقد قرئ الخضراء
تضراً إلى المعنى هو الخ
والفريق يقع الرجل منهما
عصيين مثل السواكين وهما
خضراء أن يقطر منهما الماء
فيسحق المرح بهود كره على
العقار وهو أنشئ فتندح آثار

بإذن الله تعالى وذلك قوله تعالى (فاذا أتم منه وقودون) فن قد على أحداث النار من الشجر الأخضر مع
مع مافيه من المائية المضادة لها بكيفية كان أقدر على إعادة الغضاضة إلى ما كان غصنا مطراً عليه البيوسة والبلل وقوله
تعالى (أوليس الذي خلق السموات) الخ استأنف مسوق من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذي أمر عليه

بذلك ويلزمهم الجملة والهمزة للانكار والتثنية والواو لله مطلق على مقدر يقتضيه المقام أي ليس الذي انشاها أول مرة وليس الذي جعل لهم من الشجر الاخضر ناراً ﴿ ١٢١ ﴾ وليس الذي خالق السموات والارض مع كبر جرهما

وعظم شأنهما (بقادر على أن يخلق مثلهم) في الصغر والسماء بالنسبة اليهما فان يدبها العقل قاضية بأن من قدر على خلقهما فهو على خلق الاناس أقدر كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق اناس وقرئ بقدر وقوله تعالى (بلى) جواب من جهة تعالى - تصريح بما أفاده الاستفهام الانكاري من تقرير ما بعد انقضى واذن بتعين الجواب نطقوا به أو تلعنوا فيه مخافة الاضرار وقوله تعالى (وهو الخلاق العليم) عطف على ما بيده الاجاب أي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم كيفاً وكماً (انما أمره) أي شأنه (إذا اراد شيئاً) من الاشياء (أن يقول له كن) أي أن يعلق به قدرته (فيكون) فيحدث من غير توقف على شيء آخر أصلاً وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فيما أراد به الأمر المطاع للمأمور

معنى الحدوث ولكن الاطلاق موهوم فتفكر جدا ولا تنقل المجموع حادث من غير بيان مرادك فان ذلك قديهم منه ان الجميع حادث بل حقق الاشارة بوجود العبارة وقل أحد طرفي المجموع قديم والآخر حادث ولم يكن الآخر معه في الازل واما قوله كن من الحروف نقول الكلام يطلق على معنيين (أحدهما) ما عند المتكلم (والثاني) ما عند السامع ثم أحدهما يطلق عليه أنه هو الآخر من هذا يظهر فوالله ما يان ما ذكرناه فلان الانسان اذا قال لغيره عندي كلام أريد أن أقوله لك فذا ثم ان السامع أثناء غذا وسأله عن الكلام الذي عنده أمس فيقول له اني أريد أن تحضر عندي اليوم فهذا الكلام أطلق عليه المتكلم انه كان عندك أمس ولم يكن عند السامع ثم حصل عند السامع بحرف وصوت ويطلق عليه بهذا الذي سمعت هو الذي كان عندي ويعلم كل طافل أن الصوت لم يكن عند المتكلم أمس ولا الحرف لان الكلام الذي عنده جاز أن يذكره بالعرض فيكون له حروف وجاز أن يذكره بالضرورة فيكون له حروف آخر والكلام الذي عنده ووعده به واحد والحروف مختلفة كثيرة فاذا معنى قوله هذا ما كان عندي هو ان هذا يؤدى اليك ما كان عندي وهذا أيضا مجاز لان الذي عنده ما انتقل اليه وانما علم ذلك وحصل عنده به علم مستفاد من السمع أو البصر في القراءة والكتابة أو الاشارة اذا علمت هذا فالكلام الذي عند الله وصفة له ليس بحرف على ما بان والذي يحصل عند السامع حرف وصوت وأحدهما الآخر لما ذكرنا من المعنى وتوسع الاطلاق فاذا قال تعالى يقول له حصل قائل وسمع فاعتبرها من جانب السامع لكون وجود الفعل من السامع لذلك القول فمبع عنه بالكاف والنون الذي يحدث عند السامع ويحدث به المطلوب * ثم قال تعالى (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) واليه ترجعون) لما تقررت الوجدانية والاعادة وأنكروها وقالوا بأن خير الله آلهة قال تعالى وتنزه عن الشريك الذي بيده ملكوت كل شيء وكل شيء ملكه فكيف يكون المملوك للمالك شر يكافوا بان الاعادة لا تكون فقال واليه ترجعون ردا عليهم في الامرين وقد ذكرنا ما يتعلق بالحق في قوله سبحان أي سبحوا تسبيح الذي أوجع من في السموات والارض تسبيح الذي فسبحان علم للتسبيح والتسبيح هو التنزيه والملكوت مبالغة في الملك كالرحوت والرهوت وهو فعلول أو فعلوت فيه كلام ومن قال هو فعلول جعلوه ملحقاً به * ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس وقل الفزاني فيه ان ذلك لان الايمان صحته بالاعتراف بالحشر والحشر مقرر في هذه السورة بأبلغ وجه فجعله قلب القرآن لذلك واستحسنه فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى سمعته يترجم عليه بسبب هذا الكلام ويمكن ان يقال بأن هذه السورة ليس فيها الا تقرير الاصول الثلاثة بأقوى البراهين فابتدأها بيان الرسالة بقوله انك لمن المرسلين ودالهما ما قدمه عليها بقوله والقرآن الحكيم وما آخر عنها بقوله لتذر قوماً وانهاؤها بيان الوجدانية والحشر بقوله فسبحان الذي بيده

المطيع في سرعة حصول الأمور به ﴿ ١٦ ﴾ سا من غير توقف على شيء ما وقرئ فيكون بالنصب عطفاً على يقول

(فبما أن الذي بيده ملكوت كل شيء) تنزيه له عز وجل عما وصفوه تعالى به وتعجب مما قالوا في شأنه تعالى وقدره تحقيق معنى سبعان والثناء للإشارة إلى أن ما فصل في ١٢٢ من شؤنه تعالى موجب للتعبد وتنزهه ^أ كل

منكوت كل شيء إشارة الى اتوجه وعوله واليه ترجعون إشارة الى الحشر وليس في هذه السورة الا هذه الاصول الثلاثة ودلائله وثوابه ومن حصل من ان قرآن هذا القدر فقد حصل نصيب قلبه وهو التصديق الذي بالجنان واما وظيفة اللسان التي هي القول فكما في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا وبقي قوله تعالى ومن أحسن قولا وقوله تعالى بالقول الثابت وأنهم كلمة التقوى واليه يصعد الكلم الطيب الى غير هذه مما في غير هذه السورة ووظيفة الاز كان وهو العمل كما في قوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقوله تعالى ولا تنفروا الزنا ولا تقتلوا النفس وقوله واعملوا الصالحات وأيضاً مما في غير هذه السورة فلما لم يكن فيها الأعمال القلب لا غير سماها قلباً ولهذا ورد في الاخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم ندب الى تلقين يس لمن دنا منه الموت وقراءتها عند رأسه لأن في ذلك الوقت يكون الانسان ضعيف القوة والاعضاء الظاهرة ساقطة البنية لكن القلب يكون قد اقبل على الله ورجع عن كل ما سواه فيقرأ عند رأسه ما يزيده قوة قلبه ويشهد تصديقه بالاصول الثلاثة وهي شفاؤه وأسرار كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلمها الا الله ورسوله وما ذكرناه ظن لا ينقطع به ونرجو الله أن يرحمنا وهو أرحم الراحمين ثم تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

(سورة الصفات مائة واثنان وثمانون آية مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(والصفات صفات اجرات زجرا فالتاليات ذكر ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ أبو عمرو ووجهة والصفات صفات ادغام التاء فيما يليه وكذلك في قوله فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرها والياقون بالاظهار وقال الواحدى رحمه الله ادغام التاء في الصاد حسن لمقارنهما بالحرفين الا ترى انهما من طرف اللسان وأصول اشيايا بسمعان في الهمس والمدغم فيه زيد على المدغم بالامطابق والصغير وادغام الانقاص في الازيد حسن ولا يجوز أن يدغم الازيد صوتا في الانقاص وأيضا ادغام التاء في الزاي في قوله فالزاجرات زجرا حسن لان التاء مهموسة والزاي مجهورة وفيها زيادة صغير كما كان في الصاد وأيضا حسن ادغام التاء في الذال في قوله فالتاليات ذكر الاتفاق قهما في انهما من طرف اللسان وأصول التثنية وامان قرأ بالاظهار وترك الادغام فذلك لاختلاف الخارج والله أعلم (المسئلة الثانية) في هذه الاشياء الثلاثة المذكورة المقسم بها يحتمل أن تكون صفات ثلاثة لموصوف واحد ويحتمل أن تكون أشياء ثلاثة متباينة اما على التقدير الأول ففيه وجه (الاول) انها صفات الملائكة وتقديره أن الملائكة يغفون صفوا اما في السموات لاداء العبادات كما أخبر الله عنهم انهم قالوا وانا نحن الصافون وقيل انهم يصفون اجنتهم في الهواء

لا يجاب كما أن وصفه تعالى
 بالالكبة الكية المطلقة
 الاشعار بأنها قضية
 لذلك أتم اقتضاء
 والمالكوت مبالغة في المالك
 كالرجوت والرهوت
 وقرئ ملكة كل شيء
 وملكه كل شيء
 وملك كل شيء (والله
 ترجعون) لا الى غيره
 وقرئ ترجعون بفتح
 التاء من الرجوع وفيه
 من الوعد والوعيد
 ما لا يخفى * عن ابن عباس
 رضي الله عنهما كنت
 لأعلم ما روي في فضائل

يس وقراءتها كيف
خصت بذلك فاذا انتهت هذه
الآية قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان لكل
شيء قلبا وان قلب القرآن
يس من فرائدها يريد بها
وجه الله تعالى غفر الله له
وأعطى من الاجر كما نأى
قرأ القرآن اثنى عشر
وعشرين مرة وأياما
مسلم قرئ عنده اذا نزل
به ملك الموت سورة يس
نزل بكل حرف منها
عشرة أملاك يقومون
بين يديه صفوا بإصا
لهم عليه ويستغفرون له

يا ذی اللہ بشہ دون غسلہ و ینبہون

مع ما فيه وبصلون عليه ويشهدون دفنه وإمامه سلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك ﴿ ويقتولون ﴾
تعالى (أرأوه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشجرة

من شراب الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض ملاك الموت روحه وهو زيان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة ﴿ ١٢٣ ﴾ وهو ريان وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان في القرآن سورة

تشفع لشارها وتستغفر

لستعها الا وهي سورة يس

* (سورة والصفات

مكبه وآية مائة واحد

أو اثنان وثمانون آية) *

* (بسم الله الرحمن

الرحيم) * (والصفات

صفا) اقسام من الله

عز وجل بطوائف

الملائكة الفاعلات

للصفوف على أن المراد

ايقاع نفس الفعل من

غير قصد الى المفعول

أو الصفات أنفسها

أي الناطقات لها في

لك الصفوف بغيرها

في مقاماتها المعلومة

حسبما ينطق به قوله

تعالى وما منا الا له مقام

معلوم وعلى هذين

المعنيين مدار قوله تعالى

وانا نحن الصافون

وقيل الصفات أقسامها

في الصلاة وقيل

اجمعتها في الهواء

(فالزجرات زجرا) أي

الفصالات للزجر

والزجرات لما يطرده زجر

من الاجرام العلوية

واسفلية وغيرها على

وحدي ياتي بالزجور ومن

جمله ذلك زجر العباد

ويقفون منتظرين وصول امر الله اليهم ويحتمل ايضا أن يقال معنى كونهم صفوفًا أن لكل واحد منهم مرتبة معينة ودرجة معينة في الشرف والفضيلة أو في الذات والعلية وتلك الدرجة المرتبة باقية غير متغيرة وذلك بشبه الصفوف وأما قوله فالزجرات زجرا فقال اللطيف يقال زجرت البعير فأنا أزجره زجرا إذا أحثته ليضي وزجرت فلانا عن سوء فالزجرات أي نهيت فانهي فعلى هذا الزجر للبعير كالحث والانسان كالنهى اذا عرفت هذا فنقول في وصف الملائكة بالزجروجوه (الاول) قال ابن عباس يريد الملائكة الذي وكلوا بالسحاب يزجرونها بمعنى انهم يأتون بها من موضع الى موضع (الثاني) المراد مندان الملائكة لهم تأثيرات في قلوب بني آدم على سبيل الالهامات فهم يزجرونهم عن المعاصي زجرا (الثالث) لعل الملائكة أيضا يزجرون الشياطين عن التعرض لبني آدم بالشر والايذاء وأقول قد ثبت في العلوم العقلية أن الموجودات على ثلاثة أقسام مؤثر لا يقبل الاثر وهو الله سبحانه وتعالى وهو أشرف الموجودات ومأثر لا يؤثر وهم عالم الاجسام وهو أخس الموجودات وموجود يؤثر في شيء ويتأثر عن شيء آخر وهو عالم الارواح وذلك لانها تقبل الاثر عن عالم كبرياء الله ثم انها تؤثر في عالم الاجسام واعلم أن الجهة التي باعتبارها تقبل الاثر من عالم كبرياء الله غير الجهة التي باعتبارها تستوي على عالم الاجسام وتقدر على ان تصرف فيها وقوله فالتاليات ذكرنا اشارة الى الاشرف من الجهة التي باعتبارها تقوى على التأثير في عالم الاجسام اذا عرفت هذا فقول والصفات صفا اشارة الى وقوفها صفا صفا في مقام العبودية والطاعة بالخشوع والخضوع وهي الجهة التي باعتبارها تقبل تلك الجواهر القدسية أصناف الانوار الالهية والكمالات الصمدية وقوله تعالى فالزجرات زجرا اشارة الى تأثير الجواهر الملكية في تنوير الارواح القدسية البشرية واخراجها من القوة الى الفعل وذلك لما ثبت أن هذه الارواح النطية البشرية بالنسبة الى ارواح الملائكة كالفطرة بالنسبة الى البحر وكاشفة بالنسبة الى الشمس وان هذه الارواح البشرية المتأثلة من القوة الى الفعل في المعارف الالهية والكمالات الروحانية تأثيرات جواهر الملائكة ونظيره قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده وقوله نزل به الروح الامين على قلبك وقوله تعالى فالتاليات ذكرنا اذا عرفت هذا فنقول في هذه الآية دققة أخرى وهي ان الكمالات المطلق الشئ التام يحصل اذا كان تاما وفوق التام والمراد بكونه تاما ان تحصل جميع الكمالات بالانقضاء به حصولا بالفعل والمراد بكونه فوق التام أن تفيض منه أصناف الكمالات والسموات على غيره ومن المعلوم ان كونه كاملا في ذاته مقدم على كونه مكملًا لغيره اذا عرفت هذا فنقول والصفات صفا اشارة الى استكمال جواهر الملائكة بذواتها وقت وقوفها في مواقف العبودية وصفوف الخسمة والطاعة وقوله تعالى فالزجرات زجرا اشارة الى كيفية تأثيراتها في ازالة ما لا ينبغي عن جواهر الارواح البشرية وقوله تعالى فالتاليات ذكرنا

عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والاعواء وعن استراق السمع كاسياني وصفوا وزجرا مصدران مؤكدا ان لما قبلهما أي صفا بعباد وزجرا بليغا وأما ذكرنا

في قوله تعالى (فالتاليات ذكرى) ففهموا التاليات أي التاليات ذكرى أعظم الشأن من آيات الله تعالى وكتبه المزملة على الاتياء عليهم الصلاة والسلام وغيرها من التسبيح ﴿ ١٢٤ ﴾ والتقديس والحمد والتعظيم وقيل هو

أيضا مصدر مؤكّد لما قبله فإن التلاوة من باب الذكّر ثم إن هذه الصفات إن أجريت على الكل فعطفها بالقاء للدلالة على ترتيبها في الفضل أما يكون الفضل لصف ثم الزجر ثم التلاوة أو على العكس وإن أجريت كل واحدة منهن على ما سوائف معينة فهو للدلالة على ترتيب الموصوفات في مراتب الفضل بمعنى أن طوائف الصفات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أهر فضلا أو على العكس وقيل المراد بالذكورات نفوس العلماء العمال الصافات أنفسها في صفوف الجماعات وأقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواضع والصالح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه وأحكامه وقيل طوائف القراءة الصافات أنفسهم في مواطن الحروب كأنهم بيان مرصوص أو طوائف قوادهم الصافات لهم

إشارة إلى كيفية تأثيراتها في إفاضة الجلايا القدسية والأتوار الإلهية على الأرواح الناطقة البشرية فهذه مناسبات عقلية واعتبارات حقيقية تنطبق عليها هذه الألفاظ الثلاثة قال أبو مسلم الأصفهانى لا يجوز حل هذه الألفاظ على الملائكة لأنها مشعرة بالتأنيث والملائكة مبرؤون عن هذه الصفة والجواب من وجهين (الاول) إن الصفات جمع الجمع فانه يقال جماعة صافة ثم يجمع على صافات (والثاني) انهم مبرؤون عن التأنيث المعنوى أما التأنيث في اللفظ فلا وكيف وهم يسمعون بالملائكة مع أن علامة التأنيث حاصلة في هذا الوجه (الثاني) إن تحمل هذه الصفات على النفوس البشرية الطاهرة المقدسة المقبلة على عبودية الله تعالى الذين هم ملائكة الأرض وبيان من وجهين (الاول) إن قوله تعالى والصفات صفا المراد الصفوف الحاصلة عند أداء الصلوات بالجماعة وقوله فالزاجرات زجرا إشارة إلى قراءة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كأنهم بسبب قراءة هذه الكلمة يزحرون الشياطين عن التاء الوسواس في قلوبهم في أثناء الصلاة وقوله فالتاليات ذكر إشارة إلى قراءة القرآن في الصلاة وقيل فالزاجرات زجرا إشارة إلى رفع الصوت بالقراءة كأنه يزجر الشيطان بواسطة رفع الصوت روى أنه صلى الله عليه وسلم طاف على بيوت أصحابه في الليالي فسمع أبا بكر يقرأ بصوت منخفض وسمع عمر يقرأ بصوت رفيع فسأل أبا بكر لم تقرأ هكذا فقال المعبود سمع علي بن عمر لم تقرأ هكذا فقال أوقف الوسنان وأطرد الشيطان (الوجه الثاني) في تفسير هذه الألفاظ لثلاث في هذه الآية إن المراد من قوله والصفات صفا اصغرف الحاصلة من العلماء المحققين الذين يدعون إلى دين الله تعالى والمراد من قوله والزاجرات زجرا أن الله عليهم بالزجر عن الشبهات والشهوات بالمراد من قوله تعالى فالتاليات ذكرى اشتغالهم بالدعوة إلى دين الله والترغيب في العمل بشرائع الله (الوجه الثالث) في تفسير هذه الألفاظ الثلاثة أن تحملها على أحوال الغزاة والمجاهدين في سبيل الله فقوله والصفات صفا المراد منه صفوف القتال لقوله تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وأما الزاجرات زجرا فالزجرة والصيحة سواء والمراد منع رفع الصوت بزجر الخيل وأما التاليات ذكرى فالمراد اشتغال الغزاة وقت شروعهن في محاربة العدو بقراءة القرآن وذكر الله تعالى بالتهليل والتقديس (الوجه الرابع) في تفسير هذه الألفاظ الثلاثة أن يجعلها صفات لآيات القرآن وقوله والصفات صفا المراد آيات القرآن فأنها أنواع مختلفة بعضها في دلائل التوحيد وبعضها في دلائل العلم والقدرة والحكمة وبعضها في دلائل النبوة وبعضها في دلائل المعاد وبعضها في بيان التكليف والاحكام وبعضها في تعليم الأخلاق الفاضلة وهذه الآيات مرتبة ترتيبا لا يتغير ولا يتبدل فلهذا آيات تشبه أشخاصا واقفين في صفوف معينة وقوله فالزاجرات زجرا المراد منه الآيات الزجرة عن الأفعال المنكرة وقوله فالتاليات ذكرى المراد منه الآيات الدالة على وجوب الأقدام على أعمال البر والخير وصف الآيات بكونها تالية على قانون

فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات آيات الله تعالى وذكره ﴿ ما يقال ﴾ وتسبيحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف ولأنه على ترتيب الصفات في الفضل أو ترتيب موصوفاتها فيه

كالتدبير سلفه وأما الدلالة على الترتيب في الوجود كما في قوله بالهف زبانة المهرث الصابح فالغائم فلا يب فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فإنه (١٢٥) وسلم تقدم الصف على الزجر في الملاشكة والفرقة فتأخر التلاوة عن الزجر

غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصي والتاليات كل من يتلو كتاب الله تعالى وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرى بادغام الناف في الصاد والزاي والذال (ان الحكم (واحد) جواب القسم والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المأدب في كلامهم من التأكيد القسمي وتمهيد لما بعده من البرهان الناطق به أعني قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من أوضح دلائل وجود اصناف وعلمه وقدرته وأعدل شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسد ما ورب خبر ثان لان أوخير لابتداء محذوف أي مالك السموات والارض وما بينهما من الموجودات

ما يقال شعر شاعرو كلام قائل قال تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وقال يس والقرآن الحكيم قيل الحكيم بمعنى الخاكم فهذه جملة الوجوه المحتملة على تقدير ان يجعل هذه الالفاظ الثلاثة صفات لشيء واحد (وأما الاحتمال الثاني) وهو أن يكون المراد بهذه الثلاثة أشياء متغايرة فقيل المراد بقوله والصافات صففا الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن معاصي الله والتاليات كل ما يتلى من كتاب الله وأقول فيه وجه آخر وهو أن مخلوقات الله اما جسمانية واما ارواحانية اما الجسمانية فانهما مرتبة على طبقات ودرجات لا تغير البتة فالارض وسط العالم وهي محفوفة بكرة الماء والماء محفوف بالهواء والهواء محفوف بالنار ثم هذه الاربعة محفوفة بكرات الايثان الى آخر العالم الجسماني فهذه الاجسام كأنها صفوف واقفة على عتبة جلال الله تعالى وأما الجواهر الروحانية الملكية فهي على اختلاف درجاتها وتباين صفاتها مشتركة في صفتين أحدهما التأثير في عالم الأجسام بالتحريك والتصرف واليد الاشارة بقوله فالزاجرات زجرا فاننا بينا أن المراد من هذا الزجر السوق والتحريك والثاني الادراك والعرف والاستغراق في معرفة الله تعالى واشياء عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فالتاليات ذكرا ولسكان الجسم أدنى منزلة من الارواح المستقلة فالنصف في الجسمانيات أدون منزلة من الارواح المستغرفة في معرفة جلال الله المعلقة على تسبيح الله كما قال ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته لا يجزم بدأ في المرتبة الاولى بذكر الاجسام فقال انصافات صفاتم ذكر في المرتبة الثانية الارواح الدرة لاجسام هذا العالم ثم ذكر في هذه المرتبة اشياء أعلى الدرجات وهي الارواح المقدسة المذووجة بكليتهم الى معرفة جلال الله والاستغراق في اشياء عليه فهذه احتمالات دخلت بالبال والعالم بأسرار كلام الله تعالى ليس الا الله (المسئلة اشياء) للناس في هذا الموضع قولان (الاول) قول من يقول القسم به هنا خالق هذه الاشياء لاعيان هذه الاشياء واحتجوا عليه بوجوه (الاول) انه صلى الله عليه وسلم نهى عن الخلف بغير الله فكيف يليق بحكمة الله أن يخلف بغير الله (والثاني) ان الخلف بالشيء في مثل هذا الموضع تعظيم عظيم للمعروف به ومثل هذا التعظيم لا يليق الا بالله (ثالث) أن هذا الذي ذكرناه تأكيد بما أنه تعالى صرح به في بعض السور وهو قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما أطعها ونفس وما سواها (والقول الثاني) قول من يقول ان القسم واقع باعيان هذه الاشياء واحتجوا عليه بوجوه (الاول) أن القسم وقع بهذه الاشياء بحسب ظاهر اللفظ فالمدلول عنه خلاف الدليل (الثاني) أنه تعالى قال والسماء وما بناها فعلق لفظ القسم بالسماء ثم عطف عليه القسم بالباقي للسماء فلو كان المراد من القسم بالسماء القسم بمن بنى السماء لزم التكرار في موضع واحد وأنه لا يجوز (الثالث) انه لا يبعد أن تكون الحكمة في قسم الله تعالى بهذه الاشياء التنبيه على شرف ذواتها

ومر بها وبلغها الى كالاتها والمراد بالشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها غاية ظهور آثار الربوية فيها ويجددوها كل يوم فلها ثمانية

وستون مشرقاً تشرق كل يوم من مشرق منها وبموجبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها وأما قوله تعالى
رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقاً الصيف والشتاء ومغرباً باهما (١٣٦) (أنا زينا السماء الدنيا) أي القربي

منكم (زينة) صجية
بديعة (الكواكب)
بالجر بدل من زينة على
أن المراد بها الاسم أي
ما يزان به لا المصدر
فإن الكواكب بانفسها
وأوضاع بعضها من
بعض زينة وأي زينة
وقرى بالاضافة على
أنها يابنة لما أن الزينة
مبهمة صادقة على
كل ما يزان به فتقع
الكواكب بيساناً لها
ويجوز أن يراد بزينة
الكواكب ما زينت هي
به وهو وضوؤها وروى
عن ابن عباس رضي الله
عنهما زينة الكواكب
بضوء الكواكب هذا
وأما على تقدير كون
الزينة مصدرًا فالمعنى
على تقدير اضافتها
إلى لفعل بأن زانت
الكواكب أياها وأصله
زينة الكواكب وعلى
تقدير اضافتها إلى
المفعول بأن زان الله
الكواكب وحسنها
وأصله زينة الكواكب
والمراد هو التزيين في
رأى أمين قال جميع
الكواكب من الثوابت

وكال حقائقها لاسيما إذا حللنا هذه الالفاظ على الملائكة فإنه تكون الحكمة في انقسام
بها التنبيه على جلالة درجاتها وكما مراتبها والله أعلم فإن قبل ذكر الحلف في هذا
الموضع غير لائق وبيانه من وجوه (الاول) أن المقصود من هذا القسم إاثبات هذا
المطلوب عند المؤمن أو عند الكافر والاول باطل لأن المؤمن مقر به من غير هذا الحلف
والثاني باطل لأن الكافر لا يقر به سواء حصل الحلف أو لم يحصل فهذا الحلف عديم
الفائدة على كل التقديرات (الثاني) أنه تعالى حلف في أول هذه السورة على أن الإله
واحد وحلف في أول سورة والذاريات على أن القيامة حق فقال والذاريات ذروا إلى
قوله انما اتوعدون اصداق وان الدين واقع وثابت هذه المطالب العالية الشريفة على
المخالفين من الدهرية وأمثالهم بالحلف واليمين لا يليق بالعتلاء والجواب من وجوه
(الاول) أنه تعالى قرر انوحيد وصحة البعث والقيامة في سائر السور بالدلائل البينة
فلما تقدم ذكر تلك الدلائل لم يبعد تقريرها فذكر القسم تأكيداً لما تقدم لاسيما والقرآن
انما أنزل بلغة العرب وإثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مألوقة عند العرب
(والوجد الثاني) في الجواب أنه تعالى لما أقسم بهذه الاشياء على صحة قوله تعالى أن
الهكم لواحد ذكر عقيدته ما هو كالدليل البقيني في كون الإله واحداً وهو قوله تعالى
رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق وذلك لأنه تعالى بين في قوله لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدنا ان انتظام احوال السموات والارض يدل على أن الإله واحد
فهمنا قال ان الهكم لواحد أردفه بقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب
المشارق كأنه قيل قد بينا ان النظر في انتظام هذا العالم يدل على كون الإله واحداً فأنما ملوا
في ذلك الدليل ليحصل لكم العلم بانوحد (الوجه الثالث) في الجواب أن المقصود من
هذا الكلام الرد على عبدة الاصنام في قواهم بأنها آلهة فكانه قيل هذا المذهب قد بلغ
في السقوط والركاكة الى حيث يكفي في ابطالها مثل هذه الحجة والله أعلم (المسئلة
الرابعة) اما دلالة احوال السموات والارض على وجود الإله القادر العالم الحكيم
وبلى كونه واحداً منزهاً عن الشريك فتمد سبق تقريرها في هذا الكتاب مراراً وأطواراً
وأما قوله تعالى ورب المشارق فيحتمل أن يكون المراد مشارق الشمس قال السدي
المشارق ثلثمائة وستون مشرقاً وكذلك المغارب فإنه تطلع الشمس كل يوم من مشرق
وتغرب كل يوم في مغرب ويحتمل أن يكون المراد مشارق الكواكب لأن لكل كوكب
مشرقاً ومغرباً فإن قيل لم اكتفى بذكر المشارق قلنا الوجهين (الاول) أنه اكتفى بذكر
المشارق كقوله تفيكم الحر والثلج أن اشروق أقوى حالاً من الغروب وأكثر نفعا من
اغروب فذكر الشرق تليها على كثرة احسان الله تعالى على عباده وهذه الحقيقة استدلت
ابراهيم عليه السلام بالشرق فقال ان الله يأتي بالشمس من المشرق (المسئلة الخامسة)
أصح الاصحاب بقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما على كونه تعالى خافياً

والسيارات ثبوتها طريق كائناتها جواهر ثلاثية في سطح سماء الدنيا بصور بديعة واشكال رائعة لا أعمال ولا
لا يقدح في ذلك ارتكاز الثبوت في الفلك الثامن وما عدا القسم في السعة المتوسطة

ان ثبت ذلك (وحفظا) منصوب اما به طرفة على زينة باعتبار المعنى كأنه قيل انما خلطنا الكواكب زينة للسماء وحفظا
(من كل شيطان مارد) أى خارج عن الطاعة ﴿ ١٢٧ ﴾ برى الشهب واما باضمار فعله واما بتقدير فعل مؤخر معلل

به كأنه قيل وحفظا من
كل شيطان مارد زينة
بالكواكب كقوله تعالى
ولقد زيننا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين وقوله
تعالى (لا يسمعون الى الملا
الاعلى) كلام مبتدأ
مسوق لبيان حالهم بعد
بيان حفظ السماء عنهم
مع التنبيه على كيفية
الحفظ وما به تريم في
أثناء ذلك من العذاب
ولاسبيل الى جعله صفة
لكل شيطان ولا جوابا
عن سؤال مقدر لعدم
استقامة المعنى ولاعلة
الحفظ على أن يكون
الاصل ثلاثا يسمعون
لخرفت اللام كما خرفت
من قولك جئتكم أن
تكرمنى فبقي أن لا يسمعون
ثم يحذف أن ويهدر
عملها كما في قول من قال
* ألا يا أيها الزاجري
أحضر الوغى * لما أن
كل واحد من ذينك
المذفين غير متكررا بفراده
فاما اجتماعهما فن أنكر
المنكرات التي يجب
تعزيزها ساحة التزييل
الجليل عن أمثالها وأصل

لأعمال العباد قالوا لان أعمال العباد موجودة فيما بين السموات والارض وهذه الآية
دالة على ان كل ما حصل بين السموات والارض فائق ربه وما لك فهدا يدل على ان
فعل العبد حصل بخلق الله وان قالوا الاعراض لا يصح وصفها بانها حصلت بين السموات
والارض لان هذا الوصف انما يليق بما يكون حاصله في حيز وجهة والاعراض ليست
كذلك قلنا انها لما كانت حاصلة في الاجسام الحاصلة بين السموات والارض فهي
أيضا حاصلة بين السماء والارض * ثم قال تعالى (انما زين السماء الدنيا بزينة الكواكب
وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى) ويقذفون من كل جانب
دحورا ولهم عذاب وأصب الامن خطاف الخططة وأتبعه شهاب ثاقب) في الآية
مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حرة وحفص عن عاصم زينة منونة الكواكب بالجر وهو
قراءة مسروق بن اجدع قال الغراء وهو رد معرفة على نكرة كما قال بالناسية ناصية
فرد نكرة على معرفة وقال الزجاج الكواكب بدل من الزينة لانها هي كما تقول مررت
بأبي عبد الله زيد وقرأ عاصم بالتشوين في الزينة ونصب الكواكب قال الغراء يريد
زيننا الكواكب وقال الزجاج يجوز أن تكون الكواكب في النصب بدلا من قوله
بزينة لان بزينة في موضع نصب وقرأ الباقون بزينة الكواكب بالجر على الاضافة
(المسئلة الثانية) بين تعالى انه زين السماء الدنيا وبين انه انما زينها المنفعتين (احدهما)
تحصيل الزينة (والثانية) الحفظ من الشيطان المارد فوجب ان تحقق الكلام في هذه
المطالب الثلاثة (اما الاول) وهو تزوين السماء الدنيا بهذه الكواكب فلقائل أن يقول
انه ثبت في علم الهيئة ان هذه الثوابت مركوزة في الكرة الثامنة وان السيارات الستة
مركوزة في الكرات الستة المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله انما زيننا السماء الدنيا
بزينة الكواكب والجواب أن الناس الساكنين على سطح كرة الارض اذا نظروا الى
السماء فانهم يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب فصيح قوله تعالى انما زيننا السماء الدنيا
بزينة الكواكب وعلى اننا قد بينا في علم الهيئة ان الفلاسفة لم يتم لهم دليل في بيان ان
هذه الكواكب مركوزة في الفلك الثامن ولعلنا شرحنا هذا الكلام في تفسير سورة
تبارك الذي بيده الملك في تفسير قوله تعالى ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح (وأما المطلوب
الثاني) وهو كون هذه الكواكب زينة السماء الدنيا فبقية بحثان (البحث الاول) ان
الزينة مصدر كالتسبيح واسم لما يزان به كالهيئة اسم لما تلاق به الدواء قال صاحب
الكشاف وقوله بزينة الكواكب يحتملها فان أردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل
أى بأن زينتهما الكواكب أو على اضافته الى المفعول أى بأن زان الله الكواكب
وحسنهما لانها انما زينت السماء بحسنهما في أنفسهما وان أردت الاسم فللاضافة وجهان
أن تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة قد تحصل بالكواكب وبغيرها وان يراد
ما زينت به الكواكب (البحث الثاني) في بيان كيفية كون الكواكب زينة للسماء

يسمعون يسمعون والملا الاعلى الملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الكتبة وعند أنسراف الملائكة عليهم

الصلاة والسلام أي يطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف (ويقفون) يرمون (من كل جانب)
من جبع جوانب السماء اذا قصدوا الصمود اليها (دحورا) ﴿ ١٢٨ ﴾ صلة للقنف أي للدحور وهو الطرد

وحوه (الاول) أن النور والضوء أحسن الصفات وأكملها فان تحصل هذه الكواكب
المشرقة المضئنة في سطح الغلاك لاجرم بقي الضوء والنور في جرم الغلاك بسبب حصول
هذه الكواكب فيها قال ابن عباس يزينة الكواكب أي بضوء الكواكب (الوجه الثاني)
يجوز أن يراد اشكالها المتناسبة المختلفة كشكل الجوزاء وبنات نعش والثريا وغيرها
(الوجه الثالث) يجوز أن يكون المراد بهذه الزينة كيفية طلوعها وغروبها (الوجه
الرابع) أن الانسان اذا نظر في آيات الله الظلمة الى سطح غلاك ورأى هذه الجواهر الزاهية
مشرقة لامعة مملأة على ذلك السطح الأزرق فلا شك انهم أحسن الاشياء وأشرفها
في التركيب والجوهر وكل ذلك يفيد كون هذه الكواكب زينة (بأما المطلوب الثالث)
وهو قوله وحفظا من كل شيطان مارد فقيه بجان (البحث الاول) فيما يتعلق باللغة فقوله
وحفظا أي وحفظنا ما قال المبرر اذا ذكرت فعلا ثم عرفت عليه مصدره من آخر نصبت
المصدر لانه قد دل على فعله مثل قولك أفضل كرامة لانه لما قل افعل علم ان الاسماء
لا تصف على الافعال فكأن المعنى افعل ذلك وأكرمك كرامة قال ابن عباس يريد حفظ
السماء بالكواكب من كل شيطان مارد يريد الذي تمرد على الله قيل انه الذي لا يتكلم منه
وأصله من الملاسة ومنه قوله ضرب حمرود ومنه الامر دوف كرت تفسير المارد عند قوله مردوا
على التفريق (البحث الثاني) فيما يتعلق بالمباحث العقبية في هذا الموضع فنقول
الاستعصاء فيه مذکور في قوله تعالى ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين قال المفسرون الشياطين كانوا يصعدون الى قرب السماء فرما
سمعوا كلام الملائكة وعرفوا به ما سيكون من الغيوب وكانوا يخبرونهم به ويؤمنونهم
انهم يعلمون الغيب فنههم الله تعالى من الصمود الى قرب السماء بهذه الشهب فانه تعالى
يرميهم بها فيحرقهم بها (وبقي ههنا سوالات السؤال الاول) هذه الشهب هل هي من
الكواكب التي زين السماء بها أم لا والاول باطل لان هذه الشهب تبطل وتضمحل
فلو كانت هذه الشهب تلك الكواكب الحقيقية لوجب أن يظهر نقصان كثير في
أعداد كواكب السماء ومعلوم ان هذا المعنى لم يوجد البتة فان أعداد كواكب السماء
باقية على حالة واحدة من غير تغير البتة وأيضا لجعلها رجوما للشياطين مما يوجب
وقوع النقصان في زينة السماء فكان الجمع بين هذين المقصودين كالمناقض وأما
القسم الثانية وهوان يقال ان هذه الشهب جنس آخر غير الكواكب المركوزة في الغلاك
فهذا أيضا مشكل لانه تعالى قال في سورة تبارك الذي بيده الملك ولقد زيننا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فالضمير في قوله وجعلناها ما دل على المصابيح فوجب
ان تكون تلك المصابيح هي الرجوم بأعيانها من غير تفاوت والجواب ان هذه الشهب
غير تلك الشواقب الباقية وأما قوله تعالى ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين فنقول كل نير يحصل في الجوال العالي فهو مصباح لاهل الارض الا ان

أوصال بمعنى مدحورين
أو مصدر مؤكده
لانهما من واحد واحد
وقرئ دحورا بفتح
الدال أي قذف دحورا
مباغاني اطر دوف رجوز
أن يكون مصدرا
كالبول والنوع (ولهم
عذاب واسب) أي
ولهم في الآخرة غير
عاق الدنيا من عذاب
الرجوم بالشهب عذاب
شديد ثم خبره منقطع
كقوله تعالى واعتدنا لهم
عذاب السعير (الامن
خطف الخطفة) استثناء
من واو يسمعون ومن
بدل منه والخطف
الاختلاس والمراد
اختلاس كلام الملائكة
مسارقة كما يعرف عنه
تعريف الخطفة وقرئ
بكسر الحاء والطاء
المشددة وبفتح الحاء
وكسر الطاء وتشديدها
وأصلهما اختطف
(فاتبع شهاب) أي
تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه
والشهاب ما يرى منقضا
من السماء (ناقب) مضى
في الغاية كأنه يتعب الجو
بضوئه يرجم به الشاطين

اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم أو يحرقهم أو يخلطهم قالوا وانما يعود من يسلم منهم حياتهما ﴿ تلك ﴾
في السلامة ونيل المراد كراكب السفينة

تلك المصاييح منها باقية على وجه الدهر آمنة من التغير والفساد ومنها ما لا يكون كذلك
وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين وبهذا التقدير فقد
زال الاشكال والله أعلم (السؤال الثاني) كيف يجوز أن تذهب الشياطين الى حيث
يعاون بالتجويز ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن أن يصدر
مثل هذا الفعل عن عاقل فكيف من الشياطين الذين لهم مزية في معرفة الحيل الدقيقة
والجواب ان حصول هذه الحالة ليس له موضع معين والام يذهبوا اليه وانما يمنعون من
المصير الى مواضع الملائكة ومواضعها مختلفة فما صاروا الى موضع تصيبهم فيه الشهب
ور بما صاروا الى غيره ولا يصادفون الملائكة فلا تصيبهم الشهب فلما هلكوا في بعض
الاقوات وساءوا في بعض الاوقات جاز أن يصيروا الى مواضع يغلب على ظنونهم انه
لا تصيبهم الشهب فيها كما يجوز فيمن بسلك البحر ان يسلكه في موضع يغلب على ظنه
حصول النجاة هذا ما ذكره أبو علي الجبائي من الجواب عن هذا السؤال في تفسيره ولقائل
ان يقول انهم اذا صعدوا فما ان يصلوا الى مواضع الملائكة أو الى غير تلك المواضع
فان وصلوا الى مواضع الملائكة احترقوا وان وصلوا الى غير مواضع الملائكة لم يغوزوا
بمقصودهم أصلا فلي كالا التقديرين المقصود غير حاصل واذا حصلت هذه التجربة وثبت
بالاستقراء ان الفوز بالمقصود محال وجب ان يمتنعوا عن هذا العمل وان لا يقدموا عليه
أصلا بخلاف حال المسافرين في البحر فان الغالب عليهم السلامة والفوز بالمقصود أما همنا
فالشيطان الذي يسلم من الاحتراق انما يسلم اذا لم يصل الى مواضع الملائكة واذا لم يصل
الى تلك المواضع لم يفز بالمقصود فوجب أن لا يعود الى هذا العمل البتة والا قرب في
الجواب أن نقول هذه الواقعة انما تتفق في الندرة فلمعها لا تشتهر بسبب كونها نادرة بين
الشياطين والله أعلم (السؤال الثالث) قالوا دلت التواريخ المتواترة على ان حدوث
الشهب كان حاصلا قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم فان الحكماء الذين كانوا
موجودين قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا في سبب
حدوثه واذا ثبت ان ذلك كان موجودا قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم امتنع حله على
مجي النبي صلى الله عليه وسلم أجاب القاضي بأن الاقرب ان هذه الحالة كانت موجودة
قبل النبي صلى الله عليه وسلم لكنها كثرت في زمان النبي صلى الله عليه وسلم فصارت بسبب
الكثرة مجهزة (السؤال الرابع) الشيطان مخلوق من النار قال تعالى حكاية عن ابليس
خلقتني من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا السبب يقدر على
الصعود الى السموات واذا كان كذلك فكيف يعقل احراق النار بالنار والجواب يحتمل
ان الشياطين وان كانوا من النيران الا انها نيران ضعيفة فاذا وصلت نيران الشهب اليهم
وتلك النيران أقوى حالاً منهم لاجرم صار الاقوى مبطلا للاضعف ألا ترى ان السراج
الضعيف اذا رجع في النار القوية فانه ينطفئ فكذلك ههنا (السؤال الخامس) ان مقر

الملائكة هو السطح الاعلى من الفلك والشياطين لا يمكنهم الوصول الا الى الاقرب من
السطح الاسفل من الفلك فيبقى جرم الفلك مانعا من وصول الشياطين الى القرب من
الملائكة ولعل الفلك عظيم المقدار فحق حصول هذا المانع العظيم كيف يفعل أن تسمع
الشياطين كلام الملائكة فان قلتم ان الله تعالى يقوى سمع الشيطان حتى يسمع كلام
الملائكة فنقول فعلى هذا التقدير اذا كان الله تعالى يقوى سمع الشيطان حتى يسمع كلام
الملائكة وجب ان لا ينفي سمع الشيطان وان كان لا يريد منع الشيطان من العمل فما
الفائدة في رميده بالرجوم فالجواب مذهبا ان أفعال الله تعالى غير مظلة فيفعل الله ما يشاء
و يحكم ما يريد ولا اعتراض لاحد عليه في شئ من أفعاله فهذا ما يتعلق بباحث هذا الباب
واذا اضيف ما كتبه ههنا الى ما كتبناه في سورة الملك وفي سائر الآيات المشتملة على
هذه المسئلة بانع تمام الكفاية في هذا الباب والله أعلم * وأما قوله لا يسمعون الى الملائكة
الاعلى ففقد مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حرة والكسائي وحفص عن عاصم لا يسمعون
بتشديد السين والميم وأصله يسمعون فادغمت التاء في السين لاشتراكهما في الهمس
والسمع تطلب السماع يقال تسمع سمع أولم يسمع والباقون بتحقيق السين واختار
أبو عبيد التشديد في يسمعون قال لا العرب تقول سمعت الى فلان ويقولون سمعت
فلانا ولا يكادون يقولون سمعت الى فلان وقيل في تقوية هذه القراءة اذا نفي التسمع فقد
نفي سمع ووجه القراءة الثانية قوله تعالى انهم عن السمع لم عزولون وروى مجاهد عن ابن
عباس ان الشياطين يسمعون الى الملائكة الاعلى ثم تنعون ولا يسمعون وللأولين ان يجيبوا
فيقولون التنصيص على كونهم معزولين عن السمع لا يمنع من كونهم معزولين أيضا عن
السمع بدلالة هذه الآية بل هو أقوى في ردع الشياطين ومنعهم من استماع أخبار
السماء فان الذي منع من الاستماع فبان يكون ممنوعا من السمع أولى (المسئلة الثانية)
انفرق بين قولك سمعت حديث فلان وبين قولك سمعت الى حديثه بأن قولك سمعت حديثه
يفيد الادراك وسمعت الى حديثه يفيد الاصغاء مع الادراك (المسئلة الثالثة) في قوله
لا يسمعون الى الملائكة الاعلى قولان (الاول) وهو المشهور ان تقدير الكلام لئلا يسمعوا
فلما حذف الناصب عاد الفعل الى الرفع كما قال بين الله لكم أن تضلوا وكما قال رواسي أن
تميد بكم قال صاحب الكشاف حذف أن واللام كل واحد منهما جازيا بغيره أما
اجتماعهما فن المنكرات التي يجب صون القرآن عنها (والقول الثاني) وهو الذي
اختاره صاحب الكشاف انه كلام مبتدأ منقطع عما قبله وهو حكاية حال المسترقفة للسمع
وانهم لا يقدر ان يسمعوا الى كلام الملائكة وينصتوا وهم مقذوفون بالشبه
مدحورون عن ذلك المقصود (المسئلة الرابعة) الملائكة الاعلى الملائكة لانهم يسكنون
السموات وأما الانس والجن فهم الملائكة الاسفل لانهم سكان الارض واعلم أنه تعالى
وصف أولئك الشياطين بصفتين ثلاث (الاولى) انهم لا يسمعون (الثانية) انهم ينفذون

من كل جانب دحور اوفيه اباحت (الاول) قد ذكرنا معنى الدحور في سورة الاعراف
عند قوله اخرج منها مذؤما مدحورا قال المبرد الدحور اشد الصغار والذل وقال ابن
قتيبة دحرت دحرا ودحورا أي دفعته وطردته (البحث الثاني) في انتصاب قوله دحورا
وجوه (الاول) انه انتصب بالمصدر على معنى يدحرون دحورا ودل على الفعل قوله تعالى
ويقدفون (الثاني) التقدير ويقذفون للدحور ثم حذف اللام (الثالث) قال مجاهد
دحورا مطرود بن فعله هذا هو حال سميت بالمصدر كالركوع السجود والحضور
(البحث الثالث) قرأ أبو عبد الرحمن السلمي دحورا بفتح الدال قال الفرأ كانه قال يقذفون
يدحرون بايدحرون ثم قال واستأشهي انفتح لانه لو وجد ذلك على صحة لكان فيها اياه
كما تقول يقذفون بالحجارة ولا تقول يقذفون بالحجارة لانه جائز في الجملة كما قال الشاعر
* نعال اللحم للاضياف نيدا * أي تعال باللحم (الصفة الثالثة) قوله تعالى ولهم عذاب
واصب والمعنى انهم مرجومون بالشهب وهذا العذاب مسلط عليهم على سبيل الدوام
وقد ذكرنا تفسير الواصب في سورة النحل عند قوله تعالى وله الدين واصبا فاقوا كلهم انه
الدائم قال ابنا احدى ومن فسر الواصب بالشديد والموجع فهم معنى وايس بتفسير ثم قال
تعالى الامن خطف الحصة ذكرنا معنى الخطف في سورة الحج قال الزجاج وهو أخذ الشيء
بسرعة واصل خطف الخطف قال صاحب الكشاف في محل رفع بدل من الواو في
لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف الحطة أي اختلس حكمه
على وجه المسارقة فأتبعه يعني لحقه وأصابه يقال تبعه وأتبعه اذا مضى في أثره واتبعه
اذا لحقه وأصله من قوله تعالى فاتبعه الشيطان وقد مر تفسيره وقوله تعالى شهاب نازب
قال الحسن نازب أي مضى وأقول سمي نازبا لانه يشب بنوره الهواء قال ابن عباس
في تفسير قوله والنجم النازب قال انه رجل سمي بذلك لانه يشب بنوره سمك سبع سموات
والله أعلم * قوله تعالى (فاستفهمهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب)
في الآية مسائل (المسئلة الاولى) في بيان النظم اعلم أنا قد ذكرنا أن المقصد الاقصى
من هذا الكتاب الكرم اثبات الاصول الاربعة وهي الالهيات والمعاد والنبوة
واثبات القضاء والقدر فنقول انه تعالى افتتح هذه السورة باثبات ما يدل على وجود
الصانع ويدل على علمه وقدرته وحكمته ويدل على وحدانيته وهو خلق السموات
والارض وما بينهما وخلق المشارق والمغارب فلما أحكم الكلام في هذا الباب فرع
عليها اثبات القول بالحشر والنشر والقيامة واعلم أن الكلام في هذه المسئلة يتعلق
بطرفين أولهما اثبات الجواز العقلي وثانيهما اثبات الوقوع أما الكلام في المطلوب
الاول فاعلم أن الاستدلال على الشيء يقع على وجهين (أحدهما) أي يقال انه قدر على
ما هو أصعب وأشد وأشق منه فوجب أيضا أن يقدر عليه (والثاني) أن يقال انه قدر
عليه في احدى الحالتين والفاعل والقابل باقيين كما كانا فوجب أن تبقى القدرة عليه في

(فاستفهمهم) فاستفهمهم
مشرقي مكة (أهم أشد
خلقا) أي أقوى خلقه
وأمتن بنية أو أصعب
خلقاً وأشق إيجاداً (أم
من خلقنا) من الملائكة
والسماء والارض وما
بينهما والمشارق
والكواكب والشهب
الثواب ومن تغلب
الفعل على غيرهم ويدل
عليه اطلاقه وبحجة
بعد ذلك لا سيما قراءة
من قرأ أم من عددنا
وقوله تعالى (انا خلقناهم
من طين لازب) فانه
الفارق بينهم وبينها
لا بينهم وبين من قبله
من الامم كعاد وثمود ولا
المراد اثبات المعاد ورد
استحسانهم والامر فيه
بالاضافة اليهم والى
من قبلهم سواء وقرئ
لازم ولا تب

الحالة الثانية والله تعالى ذكرهذين الطريقين في بيان أن القول بالبعث والقيامة أمر جائز يمكن (أما الطريق الاول) فهو المراد من قوله فاستفتهم أهم أشد خلقا والتقدير كأنه تعالى يقول استفت يا محمد هؤلاء المنكرين أهم أشد خلقا أم من خلقنا من خلق السموات والارض وما بينهما وخلق المشارق والمغارب وخلق الشياطين الذين يصعدون الفلك ولا شك أنهم يعترفون بأن خلق هذا القسم أشق وأشد في العرف من خلق القسم الاول فلما ثبت بالدلائل المذكورة في اثبات التوحيد كونه تعالى قادرا على هذا القسم الذي هو أشد وأصعب فبان يكون قادرا على إعادة الحياة في هذه الاجساد كان أولى ونظير هذه الدلالة قوله تعالى في آخر يس أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس (وأما الطريق الثاني) فهو المراد من قوله انا خلقناهم من طين لازب والمعنى ان هذه الاجسام قابلة للحياة اذ لو لم تكن قابلة للحياة لما صارت حية في المرة الاولى والاله قادر على خلق هذه الحياة في هذه الاجسام واولا كونه تعالى قادرا على هذا المعنى لما حصلت الحياة في المرة الاولى ولا شك أن قابلية تلك الاجسام باقية وان قدرية الله تعالى باقية لان هذه القابلية وهذه القادرية من الصفات الذاتية فامتنع زوالها فثبت بهذين الطريقين ان القول بالبعث والقيامة أمر ممكن ولما بين تعالى امكان هذا المعنى بهذين الطريقين بين وقوعه بقوله قل نعم وأنتم داخرون وذلك لانه ثبت صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لاجل ظهور المعجزات عليه والصادق اذا أخبر عن أمر ممكن الوقوع وجب الاعتراف بوقوعه فهذا تقرير نظم هذه الآية وهو في غاية الحسن والله أعلم (المسئلة الثانية) في تفسير ألفاظ هذه الآية أما قوله فاستفتهم يعني أنه لما ثبت بالدلائل الفاطمية كونه تعالى خالق السموات والارض وما بينهما فاستفت هؤلاء المنكرين وقل لهم أهم أشد خلقا أم هذه الاشياء انى يبتا كونه تعالى خالقها ولم يحك عنهم أنهم أقروا أن خلق هذه الاشياء أصعب لاجل ان ظهور ذلك كالمعلوم بالضرورة فلا حاجة أن يحكى عنهم صحة ان الامر كذلك ثم قال تعالى انا خلقناهم من طين لازب يعني اننا قدرنا على خلق الحياة في ذواتهم أولا وجب ان نبين قادرين على خلق الحياة فيهم ثانيا لما بينا أن حال القابل وحال الفاعل تمتنع التغبر وفيه دققة أخرى وهي ان القوم قالوا كيف يعقل تولد الانسان لامن النطفة واومن الابوين فكأنه قيل لهم انكم لما أقررتم بحدوث العالم واعترفتم بان السموات والارض وما بينهما انما حصل بتخليق الله تعالى وتكوينه فلا بد وان تعترفوا بان الانسان الاول انما حدث لامن الابوين فاذا عقلت ذلك واعترفتم به فقد سقط قولكم الانسان كيف يحدث من غير النطفة ومن غير الابوين وأيضا قد اشتهر عند الجمهور أن آدم مخلوق من الطين اللازب ومن قدر على خلق الحياة في الطين اللازب فكيف يعجز عن إعادة الحياة الى هذه الذوات وأما كيفية خلق الانسان من الطين اللازب فهي مذكورة في السورة المتقدمة واعلم ان

هذا الوجه انما يحسن اذا قلنا المراد من قوله تعالى انا خلقناهم من طين لازب هو انا
 خلقنا اباهم آدم من طين لازب وفيه وجوه آخر وهو ان يكون المراد انا خلقنا كل انسان
 من طين لازب وتقريره ان الحيوان انما يتولد من المني ودم الطمخ والمني يتولد من الدم
 فالحيوان انما يتولد من الدم والدم انما يتولد من الغذاء والغذاء اما حيواني واما نباتي اما
 تولد الحيوان الذي صار غذاء فالكلاب في كيفية تولده كالكلاب في تولد الانسان فثبت ان
 الاصل في الاغذية هو النبات والنبات انما يتولد من امتزاج الارض بالماء وهو الطين
 اللازب واذا كان الامر كذلك فقد ظهر ان كل الخلق متولدون من الطين اللازب واذا
 ثبت هذا فنقول ان هذه الاجزاء التي منها تركيب هذا الطين اللازب قابلة للحياة والله تعالى
 قادر عليها وهذه القابلية والقادرة واجبة البقاء فوجب بقاء هذه الصفة في كل الاوقات
 وهذه بيانات ظاهرة واضحة واما اللازب فقليل اللصق وقيل الزج وقيل الخندواكثر
 اهل اللغة على ان الباء لازب بدل من الميم يقال لازب ولازم ثم قال تعالى (بل عجب
 ويسخرون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) تقرير الكلام ان يقال ان هؤلاء المشركين
 افروا به تعالى قادر على تكوين اشياء اصعب من اعادة الحياة الى هذه الاجساد وقد
 تقرر في صرائح العقول ان القادر على الاشق الاشد يكون قادرا على الاسهل الايسر ثم
 مع قيام هذه الحجة البديهة بقي هؤلاء الاقوام مصرين على انكار البعث والقيامة وهذا في
 موضع التعجب الشديد فانهم ظهور هذه الحجة الجليلة الظاهرة كيف يعقل بقاء القوم على
 الاصرار فانت يا محمد تعجب من اصرارهم على الانكار وهم في طرف الانكار وصلوا
 الى حيث يسخرون منك في قولك باثبات الحشر والنشر والبعث والقيامة فهذا هو المراد
 من قوله بل عجب ويسخرون (المسئلة الثانية) قرأ حرة والكسائي عجب بضم التاء
 والباقون يفتحونها قال الواحدي والضم قراءة ابن عباس وابن مسعود وابراهيم ويحيى
 ابن وثاب والاعشى وقراءة اهل الكوفة واختيار أبي عبيدة اما الذين قروا بالفتح فقد
 احتجوا بوجوه (الاول) ان القراءة بالضم تدل على اسناد العجب الى الله تعالى وذلك محال
 لان التعجب حالة تحصل عند الجهل بصفة الشيء ومعلوم ان الجهل على الله محال (والثاني)
 ان الله تعالى اضاف التعجب الى محمد صلى الله عليه وسلم في آية أخرى في هذه المسئلة فقال
 وان تعجب فمعجب فولهم اذنا كذا ترابا (والثالث) انه تعالى قال بل عجب ويسخرون
 والظاهر انهم انما يسخرون والاجل ذلك التعجب فلما سخر وامنه وجب ان يكون ذلك التعجب
 صادرا منه واما الذين قروا بضم التاء فقد اجابوا عن الحجة الاولى من وجوه (الاول) ان
 القراءة بالضم لانهم انما تدل على اسناد التعجب الى الله تعالى وبيانه انه يكون التقدير
 قل يا محمد بل عجب ويسخرون ونظيره قوله تعالى اسمعهم وأبصر معناه ان هؤلاء ما تفواون
 فيه اثم هذا التحوم من الكلام وكذلك قوله تعالى فاصبرهم على النار الثاني سلبا ان
 ذلك يقتضي اضافة التعجب الى الله تعالى فلم قائم ان ذلك محال ويروى ان شريكا كان

(بل عجب) أى من
 قدرة الله تعالى على هذه
 الخلائق العظيمة
 وانكارهم للبعث
 (ويسخرون) من
 تعجبك وتقريرك للبعث
 وقرئ بضم التاء على
 معنى انه بلغ كمال قدرتي
 وكثرة مخلوقاتي الى
 حيث عجب منها وهو لاء
 لجهلهم يسخرون منها أو
 عجب من أن ينكروا البعث
 من هذه أفاعيله ويسخروا
 من يجوزه والعجب
 من الله تعالى اما على
 الغرض والتخيل أو على
 معنى الاستعظام اللازم له
 فانه روعة تعجز عن الانسان
 عند استعظام الشيء وقيل
 انه مقدر بالقول أى
 قل يا محمد بل عجب

الثاني) ان ثبت الرسول صلى الله عليه وسلم جهة رسالته بالمعجزات ثم يقول لما ثبت بالمعجز
كوني رسولا صادقا من عند الله فانا أخبركم بأن البحث والقياسات حق ثم ان أولئك
المذكورين لا ينفقون بهذا الطريق أيضا لانهم اذاروا ومحروقة قاهرة وآية باهرة جعلوها على
كونها سحرا وسحروا بها واستهزوا منها وهذا هو المراد من قوله واذا رآوا آية يستسخرون
قطر بالبيان الذي ذكرناه أن هذه الالفاظ الثلاثة منبهة على هذه الفوائد الجلية واعلم
أن أكثر الناس لم ينفقوا على هذه الدقائق فقالوا انه تعالى قال بل عجبتم ويسخرون ثم قال
واذا رآوا آية يستسخرون فوجب أن يكون المراد من قوله يستسخرون غير ما تقدم
ذكره من قوله ويسخرون فقال هذا القائل المراد من قوله ويسخرون اقدامهم على
السخرية والمراد من قوله يستسخرون طلب كل واحد منهم من صاحبه ان يقدم على
السخرية وهذا التكليف انما لهم لعدم وقوفهم على الفوائد التي ذكرناها والله أعلم
(والرابع) من الاقوال التي حكاه الله تعالى عنهم أنهم قالوا ان هذا الاسحر مبين يعني
أنهم اذاروا آية ومجزة سحروا منها والسبب في تلك السخرية اعتقادهم أنها من باب
السحر وقوله مبين معناه ان كونه سحرا أمر بين لاشبهة لا خد فيه ثم بين تعالى ان السبب
الذي يحتملهم على الاستهزاء بالقول بالبحث وعلى عدم الالتفات الى الدلائل الدالة على
صحة اقوال وعلى الاستهزاء بجميع المعجزات هو قواهم ان الذي مات وتفرقت
أجزاؤه في جولة العالم فافيد من الارضية اختلط بقراب الارض وما فيد من المائية والهوائية
اختلط بخارات العالم فهذا المنسار كيف يعقل عوده بعينه حيا فافهم هذا الكلام
هو الذي يحتملهم على تلك الاحوال الثلاثة المتقدمة ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الشبهة
قال قل يا محمد نعم وأنتم داخرون وأنما كنتم في هذا القدر من الجواب لانه ذكر
في الآية المتقدمة بالبرهان اليقيني القطعي انه أمر ممكن واذا ثبت الجواز انطوى فلا
سبيل الى القطع بالوقوع الا بالخبر والخبر اصادق فلما قامت المعجزات على صدق محمد
صلى الله عليه وسلم كان واجب الصدق فكان مجرد قوله قل نعم دليلا قاطعا على الوقوع ومن
تأمل في هذه الآيات علم أنها وردت على أحسن وجه الترتيب وذلك لانه بين الامكان
بالدليل العقلي وبين وقوع ذلك الممكن بالدلائل السمعية ومن المعلوم ان الزيادة على هذا
البيان كالامر المستع * أما قوله أو آياتنا لمعنى أو تبين آياتنا وهذه ألف الاستفهام
دخلت على حرف العطف وقرأ نافع وابن عامر ههنا وفي سورة الواقعة ساكنة الواو
وذكرنا الكلام في هذا في سورة الاعراف عند قوله أو آمن أهل القرى * أما قوله
تعالى قل نعم فتقول قرأ النكسائي وحده نعم بكسر العين * أما قوله تعالى وأنتم داخرون أي
صاغرون قال أبو عبيد الدخول أشد الصغار وذكرنا تفسير هذه اللفظة عند قوله سبحانه
وهم داخرون * قوله تعالى (فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم
الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون) اعلم أنه تعالى لما بين في الآية المتقدمة

الاولى وبطرح الثانية
قط (آياتنا الاوان)
رفع على الابتداء وخبره
مخدوف عند سيبويه أي
وآياتنا الاوان أيضا
مبعوثون وقيل عطف
على محل ان واسمها
وقيل على الضمير في
مبعوثون للفصل بجملة
الانكار الجارية مجرى
حرف النفي في قوله تعالى
ما أشركنا ولا آباؤنا
وأيا ما كان فرادهم زيادة
لاستبعاد بناء على أنهم
أقدم فيهم ثم أبعد على
زعمه وقرئ أو آباؤنا
(قل) تبكى عليهم (نعم)
والخطاب في قوله تعالى
(وأنتم داخرون) لهم
وآياتهم بطريق التعليل
والجمله حال من فاعل
مادل عليه نعم أي كلكم
مبعوثون وال حال أنكم
صاغرون أو لا وقرئ
نعم بكسر العين وهي لغة
فيه (فانما هي زجرة
واحدة) هي اما ضمير به
يفسر خبره أو ضمير البعثة
والجمله جواب شرط
مضمرة أو تعليل انهم مقدر
أي اذا كان كذلك فانما
هي الخ أو لا تستصعبوه
فانما هي الخ والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وهي النفخة

ما يدل على امكان البعث والقيامة ثم أردفه بما يدل على وقوع القيامة ذكر في هذه الآيات بعض تفاصيل أحوال القيامة وأنه تعالى ذكر في هذه الآية أنواعاً من تلك الأحوال (فالحالة الاولى) قوله تعالى فأتيناها من زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وفيه ابجاث (البحث الاول) قوله فأتيناها جواب شرط مقدر والتقدير اذا كان كذلك فأتيناها من الزجرة واحدة (البحث الثاني) الضمير في قوله فأتيناها ضمير على شريطة التفسير والتقدير فأتيناها بالبعث زجرة واحدة (البحث الثالث) الزجرة في اللغة الصيحة التي يزجر بها كالزجرة بالنم والابل عند الخيل ثم كثر استعمالها حتى صارت بمعنى الصيحة وان لم يكن فيها معنى الزجر كما في هذه الآية وأقول لا يبعد ان يقال ان تلك الصيحة تسمى زجرة لانها تزجر الموتى عن الرقود في القبور وتحثهم على القيام من القبور والحضوا في موقف القيامة فاذا عرفت هذا فنقول المراد من هذه الزجرة ما ذكره الله تعالى في قوله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون فبالنفخة الاولى يموتون وبالنفخة الثانية يحيون ويقومون * وههنا سوالات (السؤال الاول) ما الفائدة في هذه الصيحة فان النوم في تلك الساعة أموات لان النفخة جارية تجري السبب لحياتهم فتكون مقدمة على حصول حياتهم فثبت أن هذه الصيحة انما حصلت حال كون الخلق أمواتا فتكون تلك الصيحة عديمة الفائدة فهي عبث والعبث لا يجوز في فعل الله (والجواب) أما أصحابنا فيقولون يفعل الله ما يشاء وأما المعتزلة فقال القاضي فيه وجهان (الاول) ان تعتبر بها الملائكة (الثاني) أن تكون الفائدة التخويف والارهاب (السؤال الثاني) هل تلك الصيحة تأثير في إعادة الحياة والجواب لا بدليل أن الصيحة الاولى استعقت الموت واثانية الحياة وذلك يدل على أن الصيحة لأثر لها في الموت ولا في الحياة بل خالق الموت والحياة هو الله تعالى كما قال الذي خلق الموت والحياة (السؤال الثالث) تلك الصيحة صوت الملائكة أو الله تعالى بخلقها ابتداء (الجواب) الكل جائز الا انه روي أن الله تعالى بأمر اسرافيل حتى ينادى أيتها العظام النخرة والجلود البالية والاجزاء المتفرقة اجتمعوا باذن الله تعالى (اللفظ الرابع) من الالفاظ المذكورة في هذه الآية قوله تعالى فاذا هم ينظرون فيحتمل أن يكون المراد ينظرون ما يحدث بهم ويحتمل ينظر بعضهم الى بعض وان يكون المراد ينظرون الى البعث الذي كذبوا به (الحالة الثانية) من وقائع القيامة ما أخبر الله عنهم أنهم بعد اقيام من القبور قالوا يا ويلنا هذا يوم الدين قال الزجاج الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة والمقصود أنهم لما شاهدوا القيامة قالوا هذا يوم الدين أى يوم الجزاء هذا والمقصود أن الله تعالى ذكر في آيات كثيرة من القرآن انا نرى في الدنيا محسنا ومسيئا وعاصيا وسديقا وزنديقا ورأينا أنه لم يصل اليهم في الدنيا ما يليق بهم من الجزاء فوجب القول بآيات القيامة ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى وبالجملة فهذا يدل على أن الجزاء انما يحصل بعد الموت والكفار وان سمعوا هذا الدليل

الثانية (فاذا هم) قائمون من مرافدهم أحياء (ينظرون) بصرون كما كانوا أو ينظرون ما يفعل بهم (وقالوا) أى المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر (يا ويلنا) أى هلاكنا احضر فمنا أو ان حضورك وقوله تعالى (هذا يوم الدين) تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف أى اليوم الذي نجازي فيه بأعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا أنهم يبعثون ويحاسبون ويجزون بأعمالهم فلما شاهدوا البعث أيقنوا بما بعده أيضا وقوله تعالى (هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون) كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتفريع وقبل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء أو الفرق بين فرق الهدى والضلال

وقوله تعالى (احشروا الذين ظلموا) خطاب من الله عز وجل للملائكة أو من بعضهم لبعض يحشروا الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم (وأزواجهم) أى أشباههم ونظراء هم من العصاة عابد الصنم مع عبديته وطبائكو كعب مع عبديته كقوله تعالى وكنتم ١٢٧ ﴿ أزواجاً ثلاثاً وقيل قرناً هم من الشياطين وقيل نساءهم

اللاتى على دينهم (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الاصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم قبل هوام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم من الحسنى الآية الكريمة وأنت خير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة بحى به لتعليل الحكم بما في حيز صلتته فلا عموم ولا تخصيص فاهدوهم الى صراط الجحيم (أى عرفوهم طريقها وجوههم اليها) وفيدتكم بهم (وقفوهم) احبسوهم في الموقف كأن الملائكة سارحوا الى ما أمروا به من حشرهم الى الجحيم فأمروا بذلك وعلى بقوله تعالى (أنهم مشواون) ايذانا من أول الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ليساوا الكفار لاعتقائهم عقائدهم وأعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله تعالى (ما لكم لا تنصرون)

القوى لكنهم أنكروا وتمردوا ثم انه تعالى اذا أحياهم يوم القيامة فإذا شاهدوا القيامة يذكرون ذلك اليوم ويقولون هذا يوم الدين أى يوم الجزاء الذى ذكر الله الدلائل الكثيرة عليه في القرآن فكفرنا بها ونظيره ان من خوف بشئ ولم يلتفت اليه ثم عاينه بعد ذلك فقد يقول هذا يوم الواقعة الغلانية فكذاهمنا وقد احتال آخروها وانه تعالى قال في سورة الفاتحة مالك يوم الدين فيبين أنه لا مالك في ذلك اليوم الا الله فقولهم هذا يوم الدين اشارة الى أن هذا هو اليوم الذى لاحكم فيه لاحد الله وانما ذكرهم لما حصل في قلوبهم من الخوف الشديد أما قوله تعالى هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون ففيه بحثان (الاول) اختلافوا في أن هذا هل هو من بقية كلام الكفار أو يقال تم كلامهم عند قوله تعالى هذا يوم الدين وأما قوله هذا يوم الفصل فهو كلام غيرهم فبعضهم قال بالاول وزعم ان قوله يوم الفصل الآية من كلام بعضهم البعض والاكترون على القول الثانى واحتجوا بوجهين (الاول) ان قوله كنتم به تكذبون من كلام بعضهم البعض خطاب مع جمع الكفار فقاتل هذا القول لابد وأن يكون غير الكفار (الثانى) أن قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم منسوق على قوله هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون فلما كان قوله احشروا الذين ظلموا كلام غير الكفار فكذلك قوله هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون يجب أن يكون كلام غير الكفار وعلى هذا التقدير فقوله هذا يوم الدين من كلام الكفار وقوله هذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم والوجه في كونه جوابا لهم ان أولئك الكفار لما استقدوا في انفسهم كونهم محقين في انكار دعة الانبياء عليهم السلام وكونهم محقين في تلك الاديان الفاسدة فقالوا هذا يوم الدين أى هذا هو يوم الذى يصل فيه ايننا خرافاتنا وخيراتنا فالملائكة يقولون لهم انه لا اعتبار بظواهر الامور في هذا اليوم فان هذا اليوم يفصل فيه الجزاء الحقيقى عن الجزاء الظاهرى وتميز فيه الطاعات الحقيقية عن الطاعات المقرونة بالرياء والسمعة فهذا الطريق صار هذا الكلام من الملائكة جوابا لما ذكره الكفار * ثم قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم) وفي الآية ابحاث (البحث الاول) اعلم انه لا نزاع في ان هذا من كلام الملائكة فان قيل ما معنى احشروا مع انهم قد حشروا من قبل وحضروا في محفل القيامة وقالوا هذا يوم الدين وقالت الملائكة لهم بل هذا يوم الفصل أجاب القاضى عنه فقال المراد احشروهم الى دار الجزاء وهى النار ولذلك قال بعده فاهدوهم الى صراط الجحيم أى خذوهم الى ذلك الطريق ودلوهم عليه ثم سال نفسه فقال كيف يصح ذلك وقد قال بعده وقفوهم انهم مسؤولون ومعلوم أن حشرهم الى الجحيم انما يكون بعد المسئلة وأجاب انه ليس في العطف بحرف الواو ترتيب فلا يمنع ان يقال احشروهم وقفوهم مع أننا بقولنا نعم ان الوقوف كان قبل الحشر الى النار هذا ما قاله القاضى وعندي فيه وجه آخر وهو ان يقال انهم اذا قاموا من قبورهم لم يبعد أن يبقوا هناك بحيرة لتخفهم بسبب

لمريق التوبيخ والتفريع وأنتهكم أى ١٨ ﴿ سا لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعون في الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقضاء الرجاء عنها بالكلية فو يبخ والتفريع حينئذ أشد وقعا وتأثرا وقرى لا تنصرون ولا تنصرون بالادغام (بل هم

اليوم مستسلمون) متقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم أو أسلم بعضهم بعضا وخلفه عن
عجرة كاهم مستسلم غير منتصر (وأقول) حينئذ (بعضهم على بعض) هم الاتباع والرؤساء والكفرة والقرناء (يتساءلون)
يسأل بعضهم بعضا سؤالا توحيح بطريق الخصومة ﴿ ١٣٨ ﴾ والجذان (أقال) استضاف وقم جوابا عن سؤار نشأ

من حكاية تساؤلهم
كأنه قيل كيف تسألوا
ف قيل قالوا أي الاتباع
للرؤساء أو الكل القرناء
(أرسلهم كنتم تأنوننا)
في الدنيا (من الذين)
عن أقوى الوجوه
وأمتها أوعى الدين
أو عن الخير كما كنتم
تفعوننا نفع السامع
فتبينناكم ههنا استعار
من عين الإنسان الذي
هو أشرف الجنبين
وأفواهما وأكفهما
والذلك سمي بمناظر
بالسامع أو عن القوة وأفسر
فتمسرونا على غي وهو
الافوق للجواب أو عن
الحلف حيث كانوا
يحلفون أنهم على الحق
(قالوا) استئناف كاسبق
أي قال الرؤساء والقرناء
(بل لم تكونوا مؤمنين)
أي لم تمنعكم من الإيمان
بل لم تؤمنوا باختياركم
وأعرضتم عنه مع تكذيبكم
منه وآثرتم الكفر عليه
(وما كان لنا عليكم من
سلطان) من قهر وتسلط
نسألكم به اختياركم
(بل كنتم قومًا طاغين)
مختارين للظفران مصرين
عليه (فحق علينا) أي

مما ينة أهوال اقيامه ثم ان الله تعالى يقول لللائكة احشروا الذين ظلموا واهدوهم
الى صراط الجحيم أي سددوهم الى طريق جهنم وقمهم هناك وتحصل المسئلة ههنا من
هناك يساقون الى النار وعلى هذا التقدير فظاهر النظم موافق لما عليه الوجه (البحث
الثاني) الأمر في قوله تعالى احشروا الذين ظلموا هو الله فهو تعالى أمر اللائكة أن
يحشروا الكفار الى موقف السؤال والمراد من الحشر أن اللائكة تسوفونهم الى ذلك
الموقف (البحث الثالث) أن الله أمر اللائكة بحشر ثلاثة أشباه الظالمين وأزواجهم
والأشباه التي كانوا يعبدونها وفوق الثلاثة (الفائدة الأولى) أنه تعالى قال احشروا الذين
ظلموا ثم ذكر من صفات الذين ظلموا أنزلهم عابدين لغير الله وهذا يدل على أن الظالم المطلق
هو الكافر وذلك يدل على أن كل وعيد ورد في حق الظالم فهو مصروف الى الكفار وما
يؤكد هذا قوله تعالى والكافرون هم الظالمون (الفائدة الثانية) اختلافنا في المراد
بأزواجهم فبيد ثلاثة أقوال (الأول) المراد بأزواجهم أشباههم أي أحزابهم ونظراؤهم
من الكفرة فاليهودي مع اليهودي والنصراني مع النصراني والبدعي بدعي على جواز أن
يكون المراد من أزواج الأشباه وجوه (الأول) قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة أي
أشكالا وأشباهها (الثاني) لك تقول عندي من هذا أزواج أي أشكالا وتكون زوجان من
الحلف لكون كل واحد منهما منظر الآخر وكذلك الرجل والمرأة شبيهان لكونهما
متشابهين في أثر أحكام النكاح وكذلك العدد الزوج سمي بهذا الاسم لكون كل
واحد من سميد مثالا لاسم الثاني في العدد الصحيح قال أبو حنيفة فعلى هذا القول يجب أن
يكون المراد بالذين ظلموا الرؤساء لآلئك وجعلت الذين ظلموا عامي كل من أشرك لم يكن
للأزواج معنى (القول الثاني) في تفسير الأزواج أن المراد قرنائهم من الشياطين لقوله
تعالى وإخوانهم يمدونهم في النفي ثم لا ينصرون (والقول الثالث) أن المراد نسائهم
الأنثى على دينهم أما قوله وما كانوا يعبدون من دون الله فبيد قولان (الأول) المراد
ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان والطوائف ونظيره قوله فاتقوا النار إلى
وقودها الناس والحجارة قبل المراد بالناس عباد الأوثان والمراد بالحجارة الأصنام التي هي
أحجار منحوتة فإن قيل إن تلك الأجار جادات فالفائدة في حشرها الى جهنم أجاب
الناضى بأنه ورد الخبر بأنها تعاد وتحيى لتحصل المبالغة في توبيخ الكفار الذين كانوا
يعبدونها ولقائل أن يقول هب أن الله تعالى يحيى تلك الأصنام أنه لم يصدر عنها ذنب
فكيف يجوز من الله تعالى تعذيبها والأقرب أن يقال إن الله تعالى لا يحيى تلك الأصنام بل
يتركها على الجمادية ثم يلقبها في جهنم لأن ذلك مما يزيد في تحجيل الكفار (القول الثاني)
أن المراد من قوله وما كانوا يعبدون من دون الله الشياطين الذين دعواهم الى عبادة
ما عبدوه فلما قبلوا منهم ذلك الدين صاروا كأعابدين لأولئك الشياطين وتأكد هذا بقوله
تعالى ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشياطين والقول الأول أولى لأن الشياطين

لزمنا وثبت علينا (قول ربنا) وهو قوله تعالى لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين (اناذا نقون) ﴿ عتلاء ﴾
أي العذاب الذي ورد به الوعد (فأغويتاكم) فدصوناكم انى دعوة غير الجنة فاستجيبتم لنا باختياركم واستجابكم النفي
على الرشد (انا كنا غاوين) فلا عتب علينا في تعرضنا لأغوائكم بتلك

المرتبة من الدعوة لتكونوا امثالنا في القوابة (فانهم) أى الاتباع والتبوعين (يومئذ في العذاب مشتركون)
 حسبما كانوا مشتركين في القوابة (انا كذلك) أى مثل ذلك الفعل البديع الذى تقضيه الحكمة التشريعية
 (تفعل بالجرمين) المتأهين في الاجرام ﴿ ١٣٩ ﴾ وهم المشتركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى (انهم

كانوا اذا قيل لهم)

بطريق الدعوة

والتلقين (لا اله الا الله

يستكبرون) عن القبول

(ويقولون انا لنار كوا

آهنا الشاعر مجنون بل

جاء بالحق وصدق

المرسلين) رد عليهم

وتكذيب لهم ببيان ان

ما جاء به من التوحيد هو

الحق الذى قام به البرهان

وأجمع عليه كافة الرسل

عليهم الصلاة والسلام

فأين الشعر والجنون من

ساحة الرافعية (انكم)

بما فعلتم من الاشرار

وتكذيب الرسول عليه

الصلاة والسلام والاستكبار

(اذاشروا العذاب الالىم)

والاثبات لظهور كان

الغضب عليهم وقرئ

ينصب العذاب على

تقدير النون كقوله

واذا كره الله الاقبيلا

وهى نائقون العذاب

على الاصل (وما تجزون

الا ما كنتم تعملون) أى

الاجزاء ما كنتم تعملونه

من السيئات أو الايمان كنتم

تعملونه منها (الاعباد

الله المخلصين) استثناء

متقطع في ضمير ذنوب

عقلاء وكلمة مالا يتلى بالعقلاء والله أعلم ثم قال فاهدوهم الى صراط الجحيم قال ابن عباس
 دلوهم يقال هديت الرجل اذا دللته وانما استعملت الهداية ههنا لانه جعل بدل الهداية
 الى الجنة كما قال فبشرهم بعذاب اليم فوقعت البشارة بالعذاب لهؤلاء لابل البشارة بالتعيم
 لا وثك وعن ابن عباس فاهدوهم سوقوهم وقال الاصم قدموهم قال الواحدى وهذا
 وهم لانه يقال هدى اذا تقدم ومنه الهداية واليهادى والهاديات لوحش قال ولا يقال
 هدى بمعنى قدم ثم قال وقفوهم يقال وفقت الدابة اقفاها وقفا فوقفت هى وقفا والمعنى
 احبسوهم وفى الآية قولان (أحدهما) على التقديم والتأخير والمعنى ففوههم واهدوهم
 والاصوب أنه لا حاجة اليه بل كانه قيل فاهدوهم الى صراط الجحيم فاذا انتهوا الى
 الصراط قيل وقفوهم فان السؤال يقع هناك وقوله انهم مسؤولون قيل عن أعمالهم فى
 الدنيا وأقوالهم وقيل المراد سألهم الخزنة المربياتكم رسل منكم بالبينات قالوا بلى ولكن
 حقت كلمة العذاب على الكافرين ويجوز أن يكون هذا السؤال ما ذكر بعد ذلك وهو قوله
 تعالى ما كنتم لاتعصرون أى انهم يستلون تو بخالفهم فيزال ما كنتم لاتعصرون قال ابن
 عباس رضى الله عنهما لا ينصرف بعضكم ببعض كما كنتم فى الدنيا وذلك ان أبا ذر هل قال يوم
 بدر خسر جميع فتنصرف فليلهم يوم القيامة سألهم غيرة متأسرين وقيل يقبل للكفار
 ما شئكم فليمنعكم من العذاب ثم قال تعالى (بل هم مستملكون) يقال
 استسلم للشيء اذا انقاد له وخضع به مناهى فى الاصل طلب السلامة بترك المنازعة والمقصود
 انهم صاروا وانقادوا لاجلهم فى دنهم تلك المضار لا العابد ولا المعبود ثم قال تعالى
 (وأقبل بعضهم على بعض) قيل هم والشياطين وقيل الرؤساء والاتباع (يتسائلون) أى
 يسأل بعضهم بعضا وهذا التساؤل عبارة عن الخصم وهو سؤال التبكيت يقولون
 خسرتمونا بل يقول أولئك انهم فلبس ذلك تساؤل المستفهمين بل هو تساؤل
 التوبيخ والوعيد والله أعلم بقوله تعالى قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قاله ابل لم تكونوا
 مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قومًا طاغين فحق علينا قول ربنا اننا
 لنذاقون فاغوا شاكم انا كنا غايين فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون انا كذلك تفعل
 بالجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون انا لنار كوا آهنا
 لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لنذاقوا العذاب الالىم وما تجزون الا
 ما كنتم تعملون الاعباد الله المخلصين) واعلم أن الله تعالى لما حكى عنهم انه أقبل بعضهم على
 بعض يتسألون شرح كيفية ذلك التساؤل فقال قالوا انكم تأتوننا عن اليمين وهذا
 قول الاتباع لمن دعاهم الى الضلالة وفى تفسير اليمين وجوه (الأول) ان لفظ اليمين ههنا
 استعارة عن الخير والسعادات وبيان كيفية هذه الاستعارة ان الجانب الايمن أفضل
 من الجانب الايسر لوجوه (أحدها) اتفاق الكل على ان أشرف الجانبين هو اليمين
 (والثاني) لا يباشرون الاعمال الشريفة الا باليمين مثل مصافحة الاحياء والاكل

وما بينهما اعتراض جئ به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان أن ذوقهم العذاب ليس الا من جهة لا من جهة
 خبرهم أصلا وجملة استثناء من ضمير تجزون على معنى أن الكفرة لا يجزون الا بقدر أعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم
 يجزون أضعافا مضاعفة مما لا وجه له أصلا لا سيما جملة استثناء متصلا بتعميم الخطاب فى تجزون لجميع المكلفين فانه

ليس في حيز الاحتمال فلعني انكم لذائقوا العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى (اه انك) اشارة اليهم الاليدان بأنهم يمتازون بما اتصفوا به من الاخلاص في عبادة الله تعالى عن عبادهم امتيازاً باثماً منتظمون بسببه في سلك الامور الشاهدة * ١٤٠ * وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد

بالمشار اليه الاشعار
بعلو طبقتهم وبعد
مزلتهم في الفضل وهو
مبتدا وقوله تعالى (لهم)
اما خبره وقوله تعالى
(رزق) مرتفع على
الفاعلية بما فيه من
الاستقرار او مبتداؤهم
خبر مقدم والجنة خبر
لانك والجملة الكبرى
استئناف مبين للمأفاهة
الاستثناء اجالا يانا
تفصيليا وقيل هي خبر
الاستثناء المنقطع على أنه
متأول بالببدا وقوله
تعالى (معلوم) أي معلوم
الخصائص من حسن
المنظر ولذة الطعم
وطيب الرائحة ونحوها
من نعمت الكمال وقيل
معلوم الوقت كقوله
تعالى (لهم رزقهم فيها)
بكرة وعشبا وقوله تعالى
(فواكه) اما بدل من
رزق أو خبر مبتدأ مضمحل
أي ذلك الرزق فواكه
وتخصيصها بالذكر لان
أرزاق أهل الجنة كلها
فواكه أي ما يؤكل لجرد
التلذذ دون الافتيات
لانهم مستغنون عن
القوت ليكون خلقهم

والشرب وما على العكس منه ياشرونه باليد اليسرى (الثالث) انهم كانوا يتفادون
وكانوا يتيمين بالجانب الايمن ويسمونه باليارح (الرابع) ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يحب النيا من في كل شيء (الخامس) ان الشريعة حكمت بأن الجانب الايمن
لكاتب الحسنات واليسر لكاتب السيئات (السادس) ان الله تعالى وعد الحسن أن
يؤتي كتابه يمينه باليسرى أن يؤتي كتابه يساره فثبت أن الجانب الايمن أفضل من الجانب
اليسر واذا كان كذلك لاجرم استعير لفظ اليمين للخيرات والحسنات والصالحات فقوله
انكم كنتم تأتوننا عن اليمين يعني انكم كنتم تدعوننا وتوهمون لنا ان مقصودكم من
الدعوة الى تلك الاديان نصرة الحق وتقوية الصديق (والوجه الثاني) في التأويل انه
يقال فلان يمين فلان اذا كان عنده بالمرتبة الحسنة فقال هؤلاء الكفار لا نؤمنهم الذين
اسألوهم وزينوا لهم الكفر انكم كنتم تدعوننا وتوهمون لنا اننا نؤمنكم بمزلة اليمين أي
بالمزلة الحسنة فوثقنا بكم وقبلنا عنكم (الوجه الثالث) ان أئمة الكفار كانوا قد حلفوا
لهؤلاء المستضعفين أن ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بآيائهم وتمسكوا بعهودهم التي
عهدوها لهم فعني قوله كنتم تأتوننا عن اليمين أي من ناحية الموائيق والايان التي
قدمتموها لنا (الوجه الرابع) أن لفظ اليمين مستعار من القوة والقهر لان اليمين موصوفة
بالتهرو بها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر ونقصوننا عن
السلطان والغلبة حتى نحملونا على الضلال وتعبونا عليه ثم حكي الله تعالى عن الرؤساء
انهم أجابوا الاتباع من وجوه (الاول) انهم قالوا لهم بل لم تكونوا مؤمنين يعني انكم
ما كنتم موصوفين بالايان حتى يقال اننا زلناكم عنه (الثاني) قولهم وما كان لنا عليكم
من سلطان يعني لا قدرة لنا عليكم حتى نقهركم ونجبركم (الثالث) بل كنتم قوما طاغين أي
ضالين غالين في معصية الله (الرابع) قواهم فحق علينا قول ربنا اننا لاثقون والمعنى ان الله
تعالى لما أخبر عن وقوعنا في العذاب فلولم يحصل وقوعنا في العذاب لما كان خبر الله حقا
بل كان باطلا ولما كان خبر الله أمرا واجبا لاجرم كان الوقوع في العذاب الاليم لازما
قال مقاتل قوله تعالى فحق علينا قول ربنا اشارة الى قول الله لا يلبس لاملأن جهنم منك
ومن تملك منهم أجمعين وقوله تعالى اننا لاثقون يعني لما وجب أن يحق علينا قول ربنا
وجب أن نكون ذائقين لهذا العذاب (الخامس) قولهم فأغويناكم انا كنا غاوين
والمعنى انا انما أقدمنا على اغوائكم لانا كنا موصوفين في أنفسنا بالغواية وفيه دققة
أخرى كأنهم قالوا ان اعتقدتم ان اغوايتكم بسبب اغوائنا فغوايتنا ان كانت بسبب
اغواءنا وآخر لزم التسلسل وذلك محال فعلمنا أن حصول الغواية والرشاد ليس من قبلنا
بل من قبل غيرنا وذلك الغير هو الذي ذكره فيما قبل وهو قوله فحق علينا قول ربنا ولما حكي
الله تعالى كلام الاتباع للرؤساء وكلام الرؤساء للاتباع قال بعده فانهم يومئذ في العذاب
مشترون يعني فالتبوع والتابع والمخدوم والخادم مشتركون في الوقوع في العذاب

محكمة محفوظة من التحلل المحوج الى البذل وقيل لان الفواكه من أتياع سائر الاطعمة قد كرها من ذكرها (وكما)
(وهم مكرمون) عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك أعظم الثوابات وألقتها بأول الهمم وقيل مكرمون
في نبلة حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شأن أرزاق الدنيا وفري مكرمون بالتشديد (في جنات النعيم)

أى في جنات ليس فيها إلا النعيم وهو طرف أحوال من المستكن في مكرمون أو خبر ثمان لا و لك وقوله تعالى (على سرر)
 محتمل للمالية والخيرية وقوله تعالى (متقابلين) حال من المستكن فيه أو في مكرمون وقوله تعالى (يطاف عليهم) إما
 استئناف معنى على سؤال نشأ من حكاية ١٤١ تكامل مجالس أنفسهم أحوال من الضمير في متقابلين أو في أحد

كما كانوا في الدنيا مشتركين في الغواية ثم قال أيضا أنا كذلك فعل بالجرين وعنى
 بالجرمين ههنا الكفار بدليل أنه تعالى قال بعد هذه الكلمة أنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله
 إلا الله يستكبرون والضمير في قوله أنهم عائد إلى المذكور السابق وهو قوله بالجحيمين وهذا
 يدل على أن هذا المجرم المطلق محض في القرآن بالكفر ثم من تعالى أنهم آمنوا وقوا بذلك
 المذاب لهم كانوا مكذبين بالتوحيد وبالنبوة أما التكذيب بالتوحيد فهو وقوله تعالى
 أنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون بمعنى تكبروا ويتعصبون لأشباه الشرك
 ويستكفون عن الإقرار بالتوحيد وأما التكذيب بالنبوة فهو قولهم أننا لن نشارك
 آلهتنا لشاعر مجنون ويعنون محمدا ثم أنه تعالى كذبهم في ذلك الكلام فقال بل جاء بالحق
 وصدق المرسلين وتقرير هذا الكلام أنه جاء بالدين الحق لأنه ثبت بالفعل أنه تعالى منزه
 عن العبد والله والشريك فالحمد لله على الله عليه وسلم يتبرر بهذا المعنى كما يحبه
 بالدين الحق قرأ ابن كثير أيضا شاركوا آلهتنا بهجزة وياه بعدها خفيفة ساكنة بزم
 وقرأ نافع رواية قارود وأبو عمرو على هذا التفسير ويمدان وابتاعون بهجرتين بلامد
 وقوله تعالى وصدق المرسلين يعني صدقهم في حديثهم بالتوحيد والشرك وهذا تنبيه
 على أن أقول بالتوحيد دين لكل الأنبياء ولما حكى الله عنهم تكذيبهم بالتوحيد وبالنبوة
 نقل الكلام من الغيبة إلى الحضور فقال أنكم لثاقفوا العذاب لأنهم كانوا قلة فكيف
 يلين بالرحيم الكريم المتعالي عن النفع والضرب عباد الله فاجاب عنه بقوله وما
 نجزون إلا ما كنتم تعملون والمعنى أن الحكم يقتضي الأمر بالحسن والطاعة والنهي عن
 القبيح والمعصية والأمر والنهي لا يكمل المقصود منها إلا بالترغيب في الثواب والترهيب
 بالعقاب وإذا وقع الأخبار عنه وجب تحقيقه صوتا للكلام عن الكذب فلهذا السبب
 وقوموا في العذاب ثم قال الأعباد الله المخلصين يعني ولكن عباد الله من الاستثناء المنقطع
 وقوله تعالى (أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين)
 يطاف عليهم بكأس من معين يضاء لذة للشاربين لافيهما غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم
 قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون فاقبل بعضهم على بعض ينسألون (اعلم أنه
 تعالى لما وصف أحوال المتكبرين من قبول التوحيد المصيرين على انكار النبوة أردفه
 بذكر حال المخلصين في كيفية الثواب وفيه مسائل (المسئلة الأولى) ذكرنا في فتح اللام
 وكسر هاء المخلصين قراءتين فالفتح أن الله تعالى أخلصهم بلطفه واصطفاهم بفضله
 والكسر هو أنهم اخلصوا الطاعة لله تعالى (المسئلة الثانية) اعلم أنه تعالى وصف رزقهم
 بكونه معلوما ولم يبين أن أى الصفات منه هو المعلوم فلذلك اختلفت الأقوال فقيل معناه
 أن ذلك الرزق معلوم الوقت وهو مقدار غدوة وعشية وإن لم يكن ثم لا بكرة ولا عشية قال
 تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقيل معناه أن ذلك الرزق معلوم الصفة لكونه
 مخصوصا بخصائص خلقها الله فيه من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معناه

الجارين وقد جوز كونه
 صفه لمكرمون (بكأس)
 ببناء فيه خمر أو بخمر
 فان الكأس تطلق
 على نفس الجر كقول
 من قال وكأس شراب
 على لذة وأخرى
 تدأوت منها بها
 (من معين) متعلق
 بمفعول هو صفه لكأس
 أى كأسه من شراب معين
 أو من معين وهو
 الجساري على وجه
 الأرض الطاهر العيون
 أو الخارج من العيون
 من طين الماء ذائب وصف
 به الجمر وهو الماء لأنها
 تجري في الجنة في أنهار
 كما تجري الماء قال تعالى
 وأنهار من خمر (يضاء
 لذة للشاربين) صفتان
 أيضا لكأس ووصفها
 بلذة أما اللبانة كأنها
 نفس اللذة أولانها
 تأنيث اللذ يعني اللذيذ
 ووزنه فعل قال
 ولذ قطع الصرخدي
 تركته بأرض العدا
 من خيفة الخدنان يريد
 النوم (لافيهما غول) أى
 غائلة كأي خور الدنيا
 من غاله إذا أفسده

وأهلكه ومنه القول (ولا هم عنها ينزفون) يسكرون من نرف الشارب فهو تزيف ومزوف إذا ذهب عقله ويقال
 لما طعنون تزيفات إذا خرج دمه كله أفرد هذا بالتزيف مع اندراجها فيما قبله من نفي القول عنها لما أنه من معظم مفسدات الجمر
 كأنه جنس برأسه والمعنى لا يصبها

نوع من أنواع الفساد من مفسد أو صداع أو خمار أو عرصة أو لحواء أو ثلثهم ولا هم يسكرون وقرى يترفون بكسر الزاي من الزف الشارب اذا تفد عقله أو شربه وقرى يترفون بضم الزاي من زرف يترف بضم الزاي فيهما (وعندهم قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يبدن طرفا لى ١٤٢ غيرهم (عين) نجل العيون جمع

عيناه والجل سعة العين (كأنهن يرضن مكنون) شبهن ببيض التمام المصون من التبار ونحوه في الصفاء واليباض المخلوط بأدنى صفرة فان ذلك أحسن ألوان الابدان (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يشربون فيهمادئون على الشراب كما هو عادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا أريدت الكرام على المدام فبقية بعضهم على بعض يتساءلون من الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم في الدنيا فاتهير عنه بصيغة الماضي لنا كيد وإندالة على تحقق الوقوع حتما (فترائل منهم) في تضاعيف محارواتهم (الى كان) في الدنيا (قرين) مصاحب (يقول) على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق بالبعث (أنتك لمن المصدقين) اى بالبعث وقرى بتشديد الصاد

انهم ينفقون دوامه لا كرزق الدنيا الذي لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع وقيل معناه انه القدر الذي يستحقونه بأعمالهم من ثواب الله وكرامته عليهم وقد بين تعالى انه يعطيهم غير ذلك على سبيل التفضل ثم لما ذكر تعالى ان لهم رزقا بين ان ذلك الرزق ما هو فقال فواكه وفيه قولان (الاول) ان الفاكهة عبارة عما يؤكل لاجل التلذذ لاجل الحاجة وارزاق أهل الجنة كلها فواكه لانهم مستنون عن حفظ الصحة بالاقوات فانهم أجسام محكمة مخلوقة لا بد لكل ما ياكلونه فهو على سبيل التلذذ (والثاني) ان المقصود من ذكر الفاكهة التنبيه بالادنى على الاعلى يعنى لما كانت الفاكهة حاضرة أبدا كان الادمى أولى بالحضور والقول الاول أقرب الى التحقيق واعلم انه تعالى لما ذكر الاكل بين ان ذلك الاكل حاصل مع الاكرام التعظيم فقال وهم مكرمون لان الاكل الخالى عن التعظيم يلبق بالهائم ولما ذكر تعالى ما كولههم وصف تعالى مساكنهم فقال في جنات النعيم على سرر متقابلين ومعناه انه لا كلفة عليهم في التلقى الانس والتخاطب وفي بعض الاخبار انهم اذا أرادوا القرب سار السرى رحمتهم ولا يجوز ان يكونوا متقابلين الا مع حصول الخوض والسرور وان يكونوا كذلك الا مع الصحة والسعة ولا يجوز ان يسمع بعضهم خطاب بعض وراه على بعد الابان يقوى الله أبصارهم وأسماعهم وأصواتهم ولما شرح الله سفة المأكول والمسكر ذكر بعده صفة الشراب فقال اطاف عليهم ككأس من معين يقال للزجاجة التى فيها الخمر كأس أو تسمى الخمرة نفسها كأسا قاله وكأس شربت على يد * وعن ابنه اخفش كل كأس في القرآن هو الخمر وقوله من معين أى من شراب معين أو من نهر معين المعين مأخوذ من عين الماء أى يخرج من العيون كما يخرج الماء وسمى معيناً لظهوره يقال طان الماء اذا ظهر جارا قاله ثبت فهو مفعول من العين نحو مبيع ومكيل وقبل سمي معيناً لانه يجري ظنهر العين ويجوز ان يكون فعلا من المعين وهو الماء الشديد الجرى ومنه آمن في المسير اذا اشتد فيه وقوله يضاء صفة الخمر قال اخفش نجر الجنة اشد يياضا من اللبن وقوله لذة فيه وجوه (أحدها) انها رصفت باللذة كأنها نفس اللذة وعينها كما يقال فلان جود وكرم اذا أرادوا الامانة في وصفه به اتين الصفتين (وثانيها) قال الزجاج أى ذات لذة على هذا حذف المضاف (وثالثها) قال الايبان والذوالديزدى يجرى بان مجرى واحد فى التعت ويقال شراب الذوالديز قال تعالى يضاء لذة للشاربين وقال تعالى من خير لذة للشاربين ولذلك سمي النوم لذة الاستلذاذة وعلى هذا لذة بمعنى لذة والا قرب من هذه الوجوه الاول ثم قال تعالى لافيهما غول وفيه بحساث (البحث الاول) قال القراء العرب تقول ليس فيها غيلة وغائلة وغول سواء وقال أبو عبيدة الغول ان يقتال عقولهم وأشد قول مطيع بن ايلس

وما زالت الكأس تغالهم * وتذهب بالاول الاول وقال الايبان الغول الصداق والمعنى ليس فيها صداق كافي خيرا لنبيسا قال الواحدى

من التصديق والاول هو الاوفق لقوله تعالى (أئذ ماتوا وكنا ترابا وعظاما انشأ المدينون) أى لم يوثون * رحمه وجز بون من الدين بمعنى الجزاء أو لم يسوسون يقال دانه أى سامه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال أين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله

تعالى في الآخرة خير منه فقال أثبتك لمن المصدقين يوم الدين أو من المتصدقين اطلب الثواب والله لا أعطيك شيئا
فيكون العرض لذكرموتهم وكونهم ترابا وعظاما حيث نلتنا كيد انكار الجزاء المبني على انكار البعث (قال) أي ذلك
القائل بعدما حكى الجلسة الثالثة في سنة ١٤٣ هـ في الدنيا (هل أنتم مطلعون) أي إلى أهل النار لا يريكم ذلك

القريني يربط ذلك بيان
صدقه فيما أحكمه وقيل
القائل هو الله تعالى أو
بعض الملائكة يقول لهم
هل حيون أن تطعموا
إلى أهل النار لا يريكم
ذلك أقرب من قطعهم أن
يتركتكم من منزلتهم
قبل أن في الجنة كوي
ينظر منها أهلها إلى
أهل النار (فاطلم) أي
عليهم (فأراه) أي قرينه
(في سواء الجحيم) أي في
وسطها وقرى فاطلم
على لفظ المضارع
المنصوب وقرى مطلعون
فاطلم وفاطلم بالتخفيف
على أفعال الماضي والمضارع
المنصوب يقال طلم علينا
فلان واطلم واطلم
بمعنى واحد والمعنى هل
أنتم مطلعون إلى القرين
فاطلم أنا أيضا وأعرض
عليهم الإطلاع فقبلوا
ما عرض فاطلم هو بعد
ذلك وإن جعل الإطلاع
متعديا فاعني أنه لما شرط
في إطلاعهم إطلاعهم
كما هو ديدن الجلسة
فكانهم مطلعون وقبل
الخطاب على هذا الملائكة
وقرى مطلعون يكسر

رحم الله وحقيقته الإهلاك يقال غولا أي نهلكه وانغول وانغائل المهمات ثم سمي
الصداع غولا لأنه يؤدي إلى الإهلاك ثم قال تعالى ولا هم عنها ينزفون وقرى بكسر الزاي
قال الفراء من كسر الزاي فله معنيان يقال انزف الرجل إذا نفدت خبثته وانزف إذا
ذهب عقله من السكر ومن فتح الزاي فغناه لا يذهب عقولهم أي لا يسكرون يقال نزف
الرجل فهو ومنزف ونزيف والمعنى ليس فيها قط نوع من أنواع الفساد التي تكون
في شراب الخمر من صداع أو خمار أو عريضة وأهم يسكرون أيضا وخصه بالذكر لأنه
أعظم بفساد شراب الخمر لما ذكره تعالى مسفة مشرو بهم ذكر عقيبه صفة متكونهم
من الخمر أو وجه (الاول) قوله وعندهم فاصرات العرف ومعنى تنصير في اللغة الخبيث ومنه
قوله تعالى دور مقصورات في الخيام والمعنى النهي يحسن زهره ولا ينزرن إلى غير
أرواح من (الصفة الثانية) قوله تعالى عين قال لزجاج كبار العين حسنها واحدها عينا
(الصفة الثالثة) قوله تعالى كأنهم يبض مكنون لا يكون في اللغة المنصور يقال كانت
اشيئا واكنفته ومعنى هذا التشبيه ان ظاهر البيض باض شوبه قليل من الصفرة فاذ
كان مكنونا كان مصونا عن العبر والفترة فكان هذا اللون في غاية الحسن والعرب كانوا
يسمون النساء يبضات الخدود ولما تم الله صفات أهل الجنة قال فأقبل بعضهم على
بعض ينساء لون فان قيل على أي شيء عطف قوله فأقبل بعضهم على بعض ينساء لون قلنا
على قوله يطاف عليهم والمعنى يشربون ويتحدثون على الشراب قال الشاعر
وما بقيت من اللذات الا * محادثة الكرام على المدام

والمعنى فقبل بعضهم على بعض ينساء لون عما جرى لهم وعابهم في الدنيا * قوله تعالى (قال)
قائل منهم اني كان لي قرين يقولون أثبتك لمن المصدقين أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما ما أنا
لمدينون قال هل أنتم مطلعون فاطلم فأراه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا
دعوتي لبي لكنت من المحضرين أفأنا نحن يمين الامونتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا
لهو الفوز العظيم لئلا هذا فليعمل العاملون (في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه
تعالى كما ذكر في أهل الجنة أنهم ينساء لون عند الاجتماع على شرب خمر الجنة فان
محادثة العقلاء بعضهم مع بعض على الشرب من الامور اللذيذة وتذكر الخلاص عند
اجتماع أسباب الهلاك من الامور اللذيذة ذكر تعالى في هذه الآية ان أهل الجنة اذا
اجتمعوا على الشرب وأخذوا في المكالمات والمساءلة كان من جملة تلك الكلمات أنهم
يتذكرون انهم كان قد حصل لهم في الدنيا ما يوجب لهم الوقوع في عذاب الله ثم انهم
تخلصوا عنه وقازوا بالسعادة الابدية والمقصود من ذكر هذه الاشياء ان أهل الجنة
يتكامل سرورهم وبهجته اما قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين أي قال قائل من
أهل الجنة اني كان لي قرين في الدنيا يقول أثبتك لمن المصدقين أي كان يوتئني على
التصديق بالبعث والقيامة ويقول تعجبا أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أنا لمدينون أي

التون أراد مطلعون أي موضع التصل موضع المتفصل كقوله * هم الفاعلون الخير والآمر به أو شبه اسم الفاعل
بالمضارع لا يندرجان تحت أي القائل مخاطبا للقرينه (تالله ان كدت لتردين) أي تهلكني بالاغواء وقرى
لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان هي الخففة من ان وضيم الشان التي هو اسمها

محدوف واللام فارقة أى تالله ان الشان كدت لتردين (ولو لا نعمت ربى) بالهمزية والعصمة (لكنتم من المحضرين) أى من الذين أحضروا العذاب كما حضرته أنت وأمر ربك وقوله تعالى (أفأنتن بميتن) أرجوع الى محاورة جلسائه بعد اتعام الكلام مع قرينه تبحها وابتهاجا أتاح الله عز وجل ﴿ ١٤٤ ﴾ لهم من الفضل العظيم والتعظيم المقيم

والهمزة لا تقر يروفيها
معنى التعجب والغناء
للحلف على مقدر
يقضيه نظم الكلام
أى أنتن مخلدون
منعمون فأنتم بميتن
أى بن شانه الموت وقرئ
بماتين (الاموتنا الاول)
التي كانت في الدنيا وهى
متناولة لما في القبر بعد
الاحياء للسؤال فاله
تصدىقا لقوله تعالى
لا يذوقون فيها الموت
الاموتة الاولى وقيل
ان أهل الجنة أول ما
دخلوا الجنة لا يعلمون
أنهم لا يموتون فاذا جئ
بالموت على صورة كشف
ألمح قدح نودى بأهل
الجنة خذوا فلا موت
ويا أهل النار خذوا فلا
موت يعلمونه فتواون
فلك تحذنا بنعمة الله
تعالى واغتباطا بهما
(وما نحن بمعدين)
كالكفار فان النجاة من
العذاب أيضا نعمة جليلة
مستوجبة للتحدث بهما
(ان هذا) أى الامر
العظيم الذى نحن فيه
(لهو الفوز العظيم)
وقيل هو من قول الله

للمحاسبون ومجازون والمعنى ان ذلك القرين كان يقول هذه الكلمات على سبيل
الاستنكار ثم ان ذلك الرجل الذى هو من أهل الجنة يقول لجلسائه يدعوهم الى كمال
السرور بالاطلاع الى النار لمشاهدة ذلك القرين ومخاطبته هل أنتم مطلعون فاطلع
والاقرب انه تكلف أمرا اطلع معه لانه لو كان مطلعا بلا تكلف لم يكن الى اطلاعه
حاجة فلذلك قال بعضهم انه ذهب الى بعض اطراف الجنة فاطلع عندها الى النار فرآه في
سواء الجحيم أى في وسط الجحيم قال له موبختا لله ان كدت لتردين أى تهلكى بدطالك اياى
الى انكار البعث والقيامة ولولا نعمت ربى بالارشاد الى الحق والعصمة عن الباطل لكنت
من المحضرين فى النار مثلك ولما تم ذلك الكلام مع الرجل الذى كان فى الدنيا قرينه له
وهو الآن من أهل النار عاد الى مخاطبة جلسائه الذين هم من أهل الجنة فقال أفأنتن
بميتن وفيه قولان (الاول) ان أهل الجنة لا يعلمون فى أول دخولهم فى الجنة انهم لا يموتون
فاذا جئ بالموت على صورة كبش ألمح وذبح فعند ذلك يعلمون أنهم لا يموتون فاعلم هذا
الكلام حصل قبل ذبح الموت (والثاني) ان الذى يتكامل خيره وسعادته فاذا عظم تعجبه
بهافد يقول أيدوم هذا الى افيبقى هذا الى وان كان على يقين من دوامه ثم عند فراغهم
من هذه المباحثات شاور ان هذا لهو الفوز العظيم واما قوله مثل هذا فليعمل العاملون
فقبل انه من بقية كلامهم وقيل انه ابتداء كلام من الله تعالى أى اطلب مثل هذه
الاعدادات يجب أن يعمل العاملون (المسئلة الثانية) قال بعضهم المراد من هذا الغائل
ومن قرينه ما ذكره الله تعالى فى سورة الكهف فى قوله وانهم بها هم ثلاث رجلين الى
آخر الآيات وروى أن رجلين كانا شريكين فحصل لهما ثمانية آلاف دينار ففان أحدهما
للاخر أقاسمك فقامعه واشترى سارا بالالف دينار فأراهما صاحبه وقال وكيف ترى حسنهما
قال ما أحسنهما فخرج قال اللهم ان صاحبي هذا قد ابتاع هذه ابدار بألف دينار واتى
أسألك دارا من دور الجنة فتصدق بألف دينار ثم ان صاحبه تزوج باسراة حسنة بألف
دينار فتصدق هذا بألف دينار لاجل ان يزوجه الله من الحور العين ثم ان صاحبه اشترى
بماتين بألف دينار فتصدق هذا بألف دينار ثم ان الله أعطاه فى الجنة ما طلب فعند هذا قال
انه كان لقرين فاطلع فرآه فى سواء الجحيم (المسئلة الثالثة) قوله أشك لمن المصدقين
أندامتوا كمن تاريا وعظاما أن المدينون اختلف القراء فى هذه الاستفهامات الثلاثة قرأ
نافع الاولى والثانية بالاستفهام بجمرة غير معدودة والثالثة بكسر الالف من غير استفهام ووافقه
الكسائى الا انه يستفهم الثالثة بجمرتين وقرأ ابن عامر الاولى والثالثة بالاستفهام
بجمرتين والثانية بكسر الالف من غير استفهام وقرأ الباقر بالاستفهام فى جميعها ثم
اختلفوا فابن كثير يستفهم بجمرة واحدة غير مطولة وبعدها ياء ساكنة خفيفة وأبو عمرو
مطولة وعاصم وجمرة بجمرتين وأما قوله ان كدت لتردين قرأ نافع برواية ورش لتردين
بأثبات الياء فى الوصل والباقر بخذفها (المسئلة الرابعة) احتج أصحابنا على أن الهدى

عز وجل تقريرا لقولهم وتصدىقا له وقرئ هو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة العظمى ﴿ والضلال ﴾
(مثل هذا فليعمل العاملون) أى لنيل هذا المرام الجليل يجب أن يعمل العاملون لا المخطوط الديونية السريعة
الانصرام المشهورة ففهمنا الآلام هذا أيضا محتملا أن يكون من كلام رب العزة

ذلك خير زلا أم شجرة الزقوم) أصل النزل الفضل والرغ فاستعير للحاصل من الشيء وانتصابه على التمييز أي أذلك
 زق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير زلا أم شجرة الزقوم التي حاصلها الألم والغم ويقال النزل لما يقام ويبدأ
 الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار لهم شجرة الزقوم
 بها خير في كونه زلا والزقوم اسم شجرة صغيرة ﴿ ١٤٥ ﴾ الورق دفرة مرة كريهة الرائحة تكون في نهاية سميت

بالضلال من الله تعالى بقوله تعالى ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين وقالوا مذهب
 لحصم أن كل ما فعله الله تعالى من وجوه الانعام في حق المؤمن فقد فعله في حق الكافر
 إذا كان ذلك الانعام مشتركاً فيه امتنع أن يكون سبباً لحصول الهداية للمؤمن وأن
 يكون سبباً لخلاصه من الكفر والردى فوجب أن تكون تلك النعمة المخصوصة أمراً
 إنشأه على تلك الانعامات التي حصل الاشتراك فيها وما ذلك إلا بقوة الداعي إلى الإيمان
 بتكميل الصارف عن الكفر (المسئلة الخامسة) - يخرج نفاة عذاب القبر بقول الرجل
 لذى من أهل الجنة أفأنا نحن ببيتين الاموتنا الأولى فهذا يدل على أن الإنسان لا يموت إلا
 مرة واحدة ولو حصلت الحياة في القبر لكان الموت حاصلًا مرتين (والجواب) أن قوله لا
 وتنا الأولى المراد منه كل ما وقع في الدنيا والله أعلم بقوله تعالى (أذلك خير زلا أم شجرة
 زقوم أنا جعلناها فتنة للظالمين) أنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طعمها كأنه رؤس
 الشياطين فإنهم لا تكون منها فاللون منها البطون ثم إن لهم عذاباً شديداً من جحيم ثم
 من جحيم إلى الجحيم أنهم أنفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون وقد ضل قبلهم
 كثير الأولين وقد رسلنا فيهم منذرين فأنضر كيف كان عاقبة المنذرين الأعباد الله
 للخلصين) أعلم أنه تعالى لما قال بعد ذكر أهل الجنة ووصفها المثل هذا فليحمل العاملون
 تبعه بقوله أذلك خير زلا أم شجرة الزقوم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يورد ذلك
 على كفار قومه ليصبر ذلك زاجر لهم عن الكفر وكما وصف من قبل ما كل أهل الجنة
 مشار بهم ووصف أيضاً في هذه الآية ما كل أهل النار ومشار بهم * أما قوله أذلك خير زلا
 أم شجرة الزقوم فالعنى أن الرزق المعلوم المذكور لأهل الجنة خير زلا أي خير حاصلًا أم
 شجرة الزقوم وأصل النزل الفضل الواسع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل
 من الشيء ويقال أرسل الأمير إلى فلان زلا وهو الشيء الذي يصلح حال من ينزل بسببه إذا
 مرفت هذا فنقول حاصل الرزق المعلوم لأهل الجنة اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم
 لآلم والغم ومعلوم أنه لا نسبة لاحدهما إلى الآخر في الخيرية إلا أنه جاء هذا الكلام أما
 لي سبيل الشجيرة بهم وأجل أن المؤمنين لما اختاروا ما أوصلهم إلى الرزق الكريم
 الكافرين اختاروا ما أوصلهم إلى العذاب الأليم فقبل لهم ذلك توخيها لهم على سوء
 اختيارهم وأما الزقوم فقال الواحدى رحمه الله لم يذكر المفسرون للزقوم تفسيراً إلا
 لكلي فانه روى أنه لما نزلت هذه الآية قال ابن الزبيرى أكره الله في بيوتكم الزقوم
 أن أهل اليمن يسمون التمر والزبد بالزقوم فقال أبو جهل لجاريته زقيناً فأتته بزبد وتمر
 قال تزقوا ثم قال الواحدى ومعلوم أن الله تعالى لم يرد بالزقوم ههنا الزبد والتمر قال ابن
 زيد لم يكن للزقوم اشتقاق من التزق وهو الإفراط من أكل الشيء حتى يكره ذلك يقال
 ت فلان يترق وظاهر لفظ القرآن يدل على أنها شجرة كريهة الطعم منتنة الرائحة شديدة
 خشونة موصوفة بصفات كل من تناولها عظم من تناولها ثم أنه تعالى يكره أهل النار على

بها الشجرة الموصوفة (أنا
 جعلناها فتنة للظالمين)
 بحنة وعذاباً لهم في الآخرة
 وابتلاء في الدنيا فإنهم
 لما سمعوا أنها في النار
 قالوا كيف يمكن ذلك
 والنار تحرق الشجر ولم
 يعلموا أن من قدر على خلق
 حيوان يعيش في النار
 ويتلذذ بها أقدر على خلق
 الشجر في النار وحفظه
 من الإحراق (أنها
 شجرة تخرج في أصل
 الجحيم) منتبها في قعر
 جهنم وأغصانها ترتفع
 إلى دركات ما فوقى ثابتة
 في أصل الجحيم (طلعها)
 أي حملها الذي يخرج
 منها مستعار من طلع
 النخلة لما شاركته له
 في الشكل والطاوع
 من الشجر قالوا أول الثمر
 طلع ثم خلال ثم بلج ثم بسر
 ثم رطب ثم تمر (كأنه
 رؤس الشياطين) في
 تنهى القبح والهول
 وهو تشبيه بالخيل كتشبيه
 القاتق في الحسن بالملك
 وقيل الشياطين الحيات
 الهائلة القبيحة المنظر

لأعراف وقيل إن شجرة ﴿ ٩١ ﴾ سا يقال له الاستن خشناً منتعراً منكر الصورة يسمى ثمرة رؤس الشياطين (فإنهم
 كلون منها) أي من الشجرة أو من طلعها فلأن ثمرها مكسب من المضاف إليه (فاللون منها البطون) أغلبية الجوع أو القسر
 أكلها وإن كرهها ليكون ذلك باباً من العذاب (ثم إن الله عليها) على الشجرة التي ملأها منها بطونهم بعد ما شبعوا
 بها وغلبهم العطش وطلعت استسقاؤهم

كأنيبي هذه كلمة ثم ويجوز أن تكون التي شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة (لشوبا من حميم) لشرابهم غساق
أو صديد مشوبا بجماء حميم يقطع امعاءهم وقرى بالضم وهو اسم لما يشاب به والاول مصدر سمي به (ثم ان مرجعهم)
أي مصيرهم وقد قرئ كذلك (لاي الحميم) لاني دركاتها أولى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل
دخولها وقبل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي نحو ١٤٦ يكذب بها الجحور يطوفون بينها وبين

حميم أن يذهب بهم
مقارهم ومنازلهم في الحميم
الى شجرة الزقوم فيأكلونها
منها الى أن يملؤا ثم
يسقون من الحميم ثم يرمون
الى الحميم ويؤيده أنه
قرئ ثم ان منقلبهم (انهم)
ألقوا آياتهم ضالين
تعليل لاستحقاقهم اذ
من فنون العذاب يتناول
الآيات في الدين من غير
أن يكون لهم ولا آياتهم
شيء يتسك به أصلا
أي وجدوهم ضالين
في نفس الامر ليس لهم
ما يصلح شبهة فضلا
عن صلاح الدليل
(فهم على آياتهم
يهرعون) من غير أن
يتدبروا أنهم على الحق
أولامع ظهور كونهم
على الباطل بأدنى تأمل
والاهراع الاسراع
الشديد كأنهم يهرعون
ويحتشون حشا على الاسراع
على آياتهم وقيل هو
اسراع فيه شدة رعدة
(وقد صلل قبلهم) أي
قبل قومك قر يش
(أكثر الاولين) من الامم

تناول بعض اجزائها أما قوله تعالى انا جعلناها فتنة للظالمين ففيه أحوال (الاول) انها لما
صارت فتنة للظالمين من حيث ان الكفار لما سمعوا هذه الآية قالوا كيف يعقل أن تنبت
الشجرة في جهنم مع ان النار تحرق الشجرة والجواب عنه ان خالق النار قادر على أن يمنع
النار من احرار الشجر ولا من اذاحار أن يكون في النار زبانية والله تعالى يمنع النار عن
احراقهم لم لا يجهل مثله في هذه الشجرة اذا عرفت هذا السؤال والجواب بقضي كون شجرة
الزقوم فتنة للظالمين هو انهم لما سمعوا هذه الآية وفمت تلك الشبهة في قلوبهم وصارت
تلك الشبهة سببا لتأديهم في الكفر فهذا هو المراد من كونها فتنة لهم (والوجه الثاني) في
التفسير ان يكون المراد صيرورة هذه الشجرة فتنة لهم في النار لانهم اذا كلفوا تناولها
وشق ذلك عليهم فحينئذ يصير ذلك فتنة في حقهم (الوجه الثالث) أن يكون المراد من افتنة
الامم الحيل والاختيار فان هذا شيء يسد عن العرف والعادة يخاف له أوف راع وف
هاذا مرد على سبع المؤامير فوض علمه الى الله واذا ورد على التديب توسل به الى الطعن في
القرآن والنبوة ثم انه تعالى لما ذكر هذه الشجرة وصفها بصفات (الصفة الاولى) قولها انها
شجرة تخرج في أصل الجحيم قبل منتهى في قبر جهنم أغصانها ترتفع من دركاتها (الصفة
الثانية) قوله طلعها كأنه رؤس الشياطين قال صاحب الكشاف انطلع للخلعة فاستعير
لما طلع من شجرة الزقوم من حلها اما استعارة لفظية أو معنوية وقال ابن قتيبة سمي طلعها
لما طوعه كل سنة ولذلك قيل طلع النخل الاول ما يخرج من ثمره وارتشبه هذا الطلع برؤس
الشياطين ففيه سؤال لانه قيل انما رأينا رؤس الشياطين فكيف يمكن تشبيه شيء بها
وأجابوا عنه من وجوه (الاول) وهو الصحيح ان الناس لما اعتقدوا في الملائكة كمال
الفضل في الصورة والسيرة واعتقدوا في الشياطين نهاية القبح والنشوية في الصورة
والسيرة فكما احسن التشبيه بالملك عند ارادة تقرير الكمال والفضيلة في قوله ان هذا الا
ملك كريم فكذلك وجب أن يحسن التشبيه برؤس الشياطين في القبح ونشوية الخلقة
والحاصل ان هذا من باب التشبيه لا بالتحسوس بل بالتحليل كأنه قيل ان اقبح الاشياء في
الوهم والخيال هو رؤس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح النظر ونشوية الصورة
والذي يؤكد هذا ان العقلاء اذا رأوا شيئا شديدا اضطراب منكر الصورة فيجرح الخلقة
قالوا انه شيطان واذا رأوا شيئا حسن الصورة والسيرة قالوا انه ملك وقال امرؤ القيس
أتقتلني والمشرق مضاجعي * ومسنونة زرق كآيات اغوال
(والقول الثاني) أن الشياطين حبات لها رؤس واعراف وهي من اقبح الحيات وبها
يضرب المثل في القبح والعرب اذا رأيت منظر اقبحها قالت كأنه شيطان الخفاطة والحماطة
شجرة معينة (والقول الثالث) ان رؤس الشياطين نبت معروف فيجرح الرأس والوجه
الاول هو الجواب الحق واعلم انه تعالى لما ذكر هذه الشجرة وذكر صفاتها بين أن الكفار
لا يكون منها فائثون منها البطون واعلم أن اقدامهم على ذلك الاكل يحتمل وجهين

السالفه وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أي أنبياء أولى عدد * الاول *
كثير وذوي شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وأذروهم ماقبة الوحية وتكرير القسم لاراز كمال الاعتناء بتحقيق
مضمون كل من المثلين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) من الهول والفضاعة للملم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له
رأسا والخطاب اما رسول الله صلى الله عليه وسلم أول لكل احد ممن يمكن من مشاهدة آياتهم وحيث

كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا قظيعا استثنى منهم المخلصون بقوله تعالى (الاصحاب الله المخلصين) اي الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى (ولقد نادانا نوح) نوع تفصيل لما اجل فيما قبل ببيان احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين * ١٤٧ * حسيا أشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة

المنذرين كقوم نوح
وآل فرعون وقوم لوط
وقوم الياس ولييان حسن
عاقبة بعضهم الذين
اخلصهم الله تعالى
ووفقههم للايمان كما أشار
ايده الاستثناء كقوم يونس
عليه السلام ووجه
تقديم قصة نوح على
سائر القصص غني عن
البيان واللام جواب
سهم محذوف وكذا ما في
قوله تعالى (فلنعم المحييون)
أي والله لقد دعانا نوح
حين ينس من ايمان قومه
مدمدا عليهم اليه أحفابا
مدهورا فلم يزدهم دعاؤه
الا فرارا ونفورا فأجبتاه
أحسن الاجابة فوالله
نعم المحييون نحن فمحذف
ما حذف ثقة بدلالة ما
ذكره عليه والجمع دليل
العظمة والكبرياء
ونجيتاه وأهلكه من
الكرب العظيم (أي
من الفرق وقيل من اذ
قومه) ووجه لئلا يتردد
لباقين) فحسب حيث
أهلكنا الكفرة بموجب
دعائه رب لا تدرك على

(الاول) انهم أكلوا منها الشدة الجوع فان قبل وكيف يأكلونها مع نهاية خشونتها وننتها
ومرارة طعمها قلنا ان الواقع في الضرر العظيم ربما استروح منه الى ما يقارب به في الضرر
فاذا جوعهم الله جوع الشديد فزعوا في ازالة ذلك الجوع الى تناول هذا الشيء وان
كان بالصفة التي ذكرتموها (الوجه الثاني) أن يقال الزبانية يكرهونهم على الاكل من
تلك الاشجار فكيف لا اعدايمهم * واعلم انهم اذا شبعوا فحينئذ نشد عطفهم واحتاجون الى
الشراب فعند هذا وصف الله شرابهم فقال ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم قال الزجاج
الشوب اسم عام في كل ما خلط بغيره والحميم الماء الساخن المتأهي في الحرارة والمعنى انه اذا
قدبهم ذلك العطش الشديد سوا من ذلك الحميم فحينئذ يشرب الزقوم بالحميم نعوذ بالله منهم
واعلم ان الله وصف شرابهم في القرآن بأشياء منها كونه غساقا ومنها قوله وسقواما حسيا
فقطم أماءهم ومنها ما ذكره في هذه الآية (فان قيل) ما الفائدة في كلمة ثم في قوله ثم ان لهم
عليها لشوبا من حميم فتعاقبه وجهان (الاول) انهم يملئون بطونهم من شجرة الزقوم وهو
سائر يحرق بطونهم فبعظم عطفهم ثم انهم لا يستنون الا بعد مده مدبرة والعرض تكميل
التعذيب (والثاني) انه تعالى ذكر انضام تلك البشاعة والكراهة ثم وصف الشراب
بما هو اشد منه فكان المقصود من كلمة ثم بيان اشد حال المشرب في البشاعة اعظم من
حال المأكول ثم قال تعالى ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قال مقاتل اي بعد اكل الزقوم
وشرب الحميم وهذا يدل على انهم عند شرب الحميم لم يكونوا في الجحيم وذلك بان يكون الحميم
من موضع خارج عن الجحيم فهم يوردون الحميم لاجل الشرب كما تورد الابل الى الماء ثم
يوردون الى الجحيم وهذا قول مقاتل واحتج على صحته بقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها
المجرمون بطونهم بينها وبين حميم آن وذلك يدل على صحة ما ذكرناه ثم انه تعالى لما وصف
عذابهم في اكلهم وشربهم قال انهم أنشأوا آباءهم ضالين فهم على آباءهم بسرعون قال
انفراء الا هراع الاسراع يقال هراع وأهرع اذا استعجبت والمعنى انهم يتعسسون آباءهم
اتباعا في سرعة كأنهم يرجعون الى اتباع آباءهم والمقصود من الآية انه تعالى على
استحقاقهم لتوقع في تلك الشدائد كلها ان يفلت آباءه في الدين وترك اتباع الدال واولم
يوجد في القرآن آية غير هذه الآية في ذم التقليد لكني * ثم انه تعالى ذكر لرسوله ما يوجب
التسليته في كفرهم وتكذيبهم فقال ولقد ضل قبلكم أكثر الاولين ولقد أرسلنا قبلكهم
منذ بين فبين تعالى ان رساله للرسول قد تقدم والتكذيب لهم قد سلف ويجب أن يكون له
صلى الله عليه وسلم أسوة بهم حتى يصبر كما صبروا ويستمر على الدعاء الى الله وان تمردوا فليس
عليه الا البلاغ * ثم قال تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين وهذا وان كان في الظاهر
خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم الا ان المقصود منه خطاب الكفار لانهم سمعوا
بالاخبار جميع ما جرى من أنواع العذاب على قوم نوح وعلى عاد وثمود وغيرهم فانهم
يعلموا ذلك فلا أقل من ظن وخوف يصلح أن يكون زاجرا لهم عن كفرهم * وعوله تعالى

الارض من الكافرين ديارا وقد روى انه مات كل من كان معه في السفينة غير آتائه وأزواجهم اوهم الذين بقوا
متأسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلاثة اولاد سام وحام ويافث
قسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق الى المغرب ويافث أبو الترك وياجوج وماجوج (وترك
عليه في الآخرين) من الامم (سلام على نوح) أي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت

سورة أزلناها والمعنى بسلون عليه تسليما وبدخول له على الدوام امة بعد امة وقيل ثمّة قول مقدر اى فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى (في العالمين) متعلق بالجوار والمجرور ومعناه الدماء بثبات هذه التهمة واستمرارها أبدا في العالمين من الملائكة والنفوس جميعا وقوله تعالى (انا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لما فعل به عليه الصلاة والسلام من التكرمة السنية من اجابة دعائه ﴿ ١٤٨ ﴾ أحسن اجابة وابقاء ذريته وتبقيه ذكره

الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر السدر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراشدين فيه وأن ذلك من قبل مجازاة الاحسان بانه احسان وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت جازا عليه الصلاة والسلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالاشارة اليه للايدان بعلو رتبته وبعدم نزائه في الفضل والشرف والكاف متعلقة بآثاره هاتى مثل ذلك الجلاء الكامل نجزي الكاملين في الاحسان لاجراء ادى منه وقوله تعالى (ثم من عبادنا المؤمنين) تمليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما مالا يخفى (ثم أغرقنا الآخرين) أى المغايرين نوح وأهله وهم كفار قومه أجمعين وان من شيعته (أى من شايعة في اصول السدين

الاعباد الله المخلصين فيه قولان (أحدهما) انه استثناء من قوله ولقد فضل قبلهم أكثر الاولين (والثاني) انه استثناء من قوله كيف كان عاقبة المنتذرين فانها كانت أقبح العواقب وأفظعها الا عاقبة عباد الله المخلصين فانها كانت مقرونة بالخير والراحة وقوله تعالى (وقد نادانا نوح فلتمعجبون) ونجينا وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين تركنا عليه في الآخرة الام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم نفرنا الآخرين اعلم انه تعالى لما قال من قبل ولقد فضل قبلهم أكثر الاولين وقال فأنظر كيف كان عاقبة المنتذرين أتبعد بشرح وقائم الانبياء عليهم السلام (والقصة الاولى) حكاية حال نوح عليه السلام وقوله ولقد نادانا نوح فلتمعجبون فيه مباحث (الاول) ان الام في قوله فلتمعجبون جواب قسم محذوف والخصوص بالمذبح محذوف أى فلتمعجبون نحن (البحث الثاني) انه تعالى ذكر ان نوحا نادى ولم يذكر أن ذلك النداء في أى الوقائع كان لاجرم حصل فيه قولان (الاول) وهو المشهور عند الجمهور انه نادى الرب تعالى في أن نجيه من محنة الفرق وكرب تلك الواقعة (والقول الثاني) ان نوحا عليه السلام لما اشتغل بدعوة قومه الى الدين الحق بالغوا في ايذائه وقصدوا قتله ثم انه عليه السلام نادى ربه واستنصره على كفار قومه فأجاب الله تعالى ومنعه من قتله وايذائه وأخرج هذا القائل على ضعف القول الاول بانه عليه السلام نادى على عبيده لاجل أن نجيه الله تعالى وأهله وأجاب الله دعائه فيه فكان حصول تلك النجاة كالعلوم المتفق في دعائه وذلك يمنع من أن يقال المطلوب من هذا النداء حصول هذه النجاة ثم انه تعالى لما حكى عن نوح انه ناداه قال بعد فلتمعجبون وهذا اللفظ يدل على أن تلك الاجابة كانت من انتم العظيمة وبيان من وجوه (الاول) انه تعالى عبر عن ذاته بصيغة الجمع فقال ولقد نادانا نوح ما قدر العظم لا يلقى به الا الاحسان العظيم (والثاني) انه أعاد صيغة الجمع في قوله فلتمعجبون وذلك ايضا يدل على تعظيم تلك النعمة لاسيما وقد وصف تلك الاجابة بأنها نعمت الاجابة (والثالث) أن الغاء في قوله فلتمعجبون يدل على أن حصول هذه الاجابة مرتب على ذلك النداء والحكمة المرتبة على الوصف المناسب يقتضى كونه معللا وهذا يدل على ان النداء بالاحسان سبب لحصول الاجابة ثم انه تعالى لما بين سبحانه نعم المجيب على سبيل الاجال بين أن الانعام حصل في تلك الاجابة من وجوه (الاول) قوله تعالى ونجينا وأهله من الكرب العظيم وهو على القول الاول الكرب الحاصل بسبب الخوف من الفرق وعلى الثاني الكرب الحاصل من أذى قومه (والثاني) قوله وجعلنا ذريته هم الباقين يفيد الحصر وذلك يدل على أن كل من سواه وسوى ذريته فقد فزوا قال ابن عباس ذريته بنوه الثلاثة سام وحام ويافت فسلم أبو العرب وفارس والروم وحام أبو الروم ويافت أبو الترك (النعمة الثالثة) قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين يعني بذلكون هذه الكلمة فان

(لبراهيم) وان اختلف فروع شرائعهمسا ويجوز أن يكون بين شرعيتيهما اتفاق كلى أو أكثرى ﴿ قيل ﴾ وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أهل دينه وعلى سنته أو من شايعة على التصلب في دين الله ومصابة المكذبين وما كان بينهما الايمان هو دوساخ عليهم السلام وكان بين نوح وابراهيم الفان وسفانة وأربعون سنة (افجا ربه) منصوب بذكر أو متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة (بقلب

سليم) اي من آفات القلوب أو من العلابق الشاغلة عن التبتل الى الله عز وجل ومعتق المجي به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا بالله بطريق التبتل (اذ قال لا يبدو وقوم ماذا تعبدون) بدل من الاولى أو ظرف لجاء أو لسليم أي أي شيء تعبدونه (أنكأ آلهة دون الله تريدون) ١٤٩ أي أي آثر يدون آلهة من دون الله أفكأ أي الافك فقدم المفعول على

الفعل للاناية ثم المفعول له على المفعول به لان الالهة مكافئتهم بأنهم على أولك وباطل في شربهم ويجوز أن يكون افكأ مفعولا به بمعنى أي تريدون افكأكم يفسر الافك بقوله آلهة من دون الله دلالة على أنها افك في نفسها للباطل أو يراد بها عبادتهم بخلاف المضاف ويجوز أن يكون حالا بمعنى أو كين (فاظنكم رب العالمين) أي بن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به أخس مخلوقاته أو فظنكم به أي شيء هو من الأشياء حتى جعلتم الأصنام له أندادا أو فظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعا فكم بعد ما فعلتم ما فعلتم من الإشراك به (فانظر نظرة في النجوم) قيل كانت له عليه الصلاة والسلام حيل لها توبة معينة في بعض ساعات الليل فظنوا يعرف هل هي تلك الساعة فإذا

قيل فامعنى قوله في العالمين قلنا معناه الدماء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا أي لا يتخلو أحد منهم منها كأنه قيل أثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والنفوس فيسألون عليه بكنيتهم ثم انه تعالى لما شرح تفاصيل انعامه عليه قال انا كذلك نجزي المحسنين والمعنى انا انما خصصنا نوحا عليه السلام بتلك النشريات الرفيعة من جعل الدنيا علوة من ذريته ومن تبقية ذكره الحسن في السنة جميع العالمين لاجل انه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا لله مؤمنا والمقصود منه بيان ان أعظم الدرجات وأشرف المقامات الايمان بالله والانقياد لمطاعته (القصة الثانية) قصة ابراهيم عليه السلام * قوله تعالى (وان شيعته لا يراهم اذا جاء به بقلب سليم اذ قال لا يبدو وقوم ماذا تعبدون أنكأ آلهة دون الله تريدون فاظنكم رب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغوا عنهم فقال أنا آلهتهم فقالوا لا تكون مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا اليه يزنون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) الضمير في قوله من شيعته الى ماذا يعبدون قد قولان (الاول) وهو الاظهر انه عائدا الى نوح عليه السلام أي من شيعته نوح أي من أهل بيته وعلى دينه ومنها جدد لا يراهم قالوا وما كان بين نوح وابراهيم الانبياء هود وصالح وروى صاحب الكشاف انه كان بين نوح وابراهيم ألفان وستة مائة وأربعون سنة والثاني قال الكلبي المراد من شيعته لا يراهم بمعنى انه كان على دينه ومنها جدد فهو من شيعته وان كان سابقا له والاول أظهر لانه تقدم ذكر نوح عليه السلام ولم يتقدم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فعود الضمير الى نوح أول (المسئلة الثانية) العامل في اذما دل عليه قوله ون من شيعته من معنى المشايعة بمعنى وان من شيعته على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لا يراهم أما قوله اذ جاء به بقلب سليم فتدبر مسائل (المسئلة الاولى) في قوله بقلب سليم قولان (الاول) قال مقاتل والكلبي يعني خاص من الشرك والمعنى انه سلم من الشرك فلم يشرك بالله (والثاني) قال الاصمعيون المراد ان عاش ومات على طهارة القلب من كل دنس من المعاصي فيدخل فيه كونه سليما عن الشرك وعن الشك وعن الغل والنفس والحقد والحسد عن ابن عباس انه كان يحب للناس ما يحب لنفسه وسلم جميع الناس من غشم وظلمه وأسلم الله تعالى فليبدل به أحدا واحجج الناهبون الى القول الاول بأنه تعالى ذكر بعد هذه الكلمة انكاره على قومه الشرك بالله وهو قوله اذ قال لا يبدو وقوم ماذا تعبدون واحجج الناهبون الى القول الثاني بأن اللفظ مطلق فلا يقيد بصيغة دون صفة ويتأ كدهذا بقوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنابه عالمين مع انه تعالى قال الله أعلم حيث يجعل رسالته وقال وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ويكون من الموقنين فان قيل ما معنى المجيء بقلبه ربه قلنا معناه انه أخلص لله قلبه فكانه أتخف حضرة الله بذلك القلب ورأيت في التوراة ان الله قال لموسى أجب الهك بكل قلبك واعلم انه تعالى لما ذكر أن ابراهيم جاء به بقلب سليم ذكر أن من جملة آثار تلك السلامة ان دعا

هي قد حضرت (فقال اني سقيم) وكان صادقا في ذلك فجعله عذرا في تخلفه عن عيدهم وقيل أراد اني سقيم القلب تكفر كم وقيل نظري عليها أو في كتبها أو في أحكامها ولا يمنع من ذلك حيث كان قصده عليه الصلاة والسلام إيهامهم حين أرادوا أن يخرجوا به عليه الصلاة والسلام الى معيدهم ليركوه فان القوم كانوا انجما بين قلوبهم أنه قد استدل بأماره

في علم النجوم على انه سقيم أي مشارف للسم وهو الطاعون وكان اغلب اسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهدر بوائمه الى معيدهم وتركوه في بيت الاصنام وذلك قوله تعالى (فتولوا عنه مدبرين) أي هاربين بخافة العدوى (فراغ الى آلهتهم) أي ذهب اليها في خفية وأصله الميل بحيلة (فقال) ١٥٠ ﴿ للاصنام استمراء ﴾ (ألا تأكلون)

أي من الطعام الذي كانوا يصنعونه عندها أتبعك عليه (ما لكم لا تنطقون) أي تجوابي (فراغ عليهم) فقال مستعابا عليهم وقوله تعالى (ضر باليمين) مصدر مؤكدا فراغ عليهم فانه يعني ضرهم أو افعل مضمر هو حال من فاعله أي فراغ عليهم يضر بهم ضرا با وهو الحال منه على أنه مصدر بمعنى الفاعل أي فراغ عليهم ضاربا باليمين أي ضرر بالشيء يدا فوياو ذلك لان اليمين أدوى الجوارحين وأشد هب و قوة الآفة تقتضي قوة الفعل وشدة وقيل بالثبوت والمنافة كما في قوله

إذا ماراة رفعت لمجد تافاها عرايه باليمين أي بالقبوة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لانه يقوى الكلام ويؤكد وقيل بسبب الحلف وهو قوله تعالى وتالله لا أكذبن أصنامكم (فأقبلوا اليه) أي المأ مورون باحضاره

أباه وقومه الى التوحيد فقال اذ قال لايه وقومه ماذا تعبدون والمقصود من هذا الكلام توبيخ تلك الطريقة وتوبيخها ثم قال أنفكا آلهة دون الله تريدون قال صاحب الكشف أنفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دونه أفكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاله عنده أن يقرر عندهم بانهم على اذك وباطل في شركهم و يجوز أن يكون أفكا مفعول به يعني أتريدون أفكا ثم فسر الأفك بقوله آلهة دون الله على انها أفك في أنفسها ويجوز أن يكون حالا بمعنى تريدون آلهة من دون الله أفكين ثم قال فما ظنكم رب العالمين وفيه وجهان (أحدهما) أنظنون رب العالمين انه يجوز جعل هذه الجمادات مشاركة في العبودية (وثانيها) أنظنون رب العالمين انه من جنس هذه الاجسام حتى جعلته وها مساوية له في العبودية فنبههم بذلك على انه ليس كمثل شيء ثم قال فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم عن ابن عباس انهم كانوا يتعاطون علم النجوم فعاملهم على مقتضى عادتهم وذلك انه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في انها غير معبودة وكان لهم من العديوم عبيد يخرجون اليه فأراد أن يتخلف عنهم ليعني خائبا في بيت الاصنام فيقدر على كسرها وهدمها سواء (الاول) ان انظر في علم النجوم غير جائز فكيف أقدم عليه ابراهيم (والثاني) انه عليه السلام ما كان سقيما فلما قال اني سقيم كان ذلك كذبا واعلم أن العلماء ذكروا في الجواب عنهما وجوها كثيرة (الاول) انه نظر نظرة في النجوم في أوقات الليل والنهار وكانت تأتيه سقامة كالجمي في بعض ساعات الليل والنهار فنظر ليعرف هل هي في تلك الساعة وقال اني سقيم فجعله عذرا في تخلفه عن العيد الذي لهم وكان صادقا فيقال لان السقيم كان يأتيه في ذلك الوقت وانما تخلف لاجل تكسير أصنامهم (الوجه الثاني) في الجواب أن قوم ابراهيم عليه السلام كانوا أصحاب النجوم يعظمونها ويقضون بسا على غائب الامور فذلك نظر ابراهيم في النجوم أي في علوم النجوم وفي معانيه لانه نظر بعينه البهاء هو كما يقال فلان نظر في الفقه وفي الحو وانما أراد أن يوهبهم انه يعلم ما يعلمون ويتعرف من حيث يتعرفون حتى اذا قال اني سقيم سكنوا الى قوله وأما قوله اني سقيم فمعناه سأسقم كقوله انك ميت أي سموت (الوجه الثالث) أن قوله فنظر نظرة في النجوم هو قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الى آخر الآيات وكان ذلك النظر لاجل أن يتعرف أحوال هذه الكواكب هل هي قديمة أو محدثة وقوله اني سقيم يعني سقيم القلب غير عارف برى وكان ذلك قبل البلوغ (الوجه الرابع) قال ابن زيد كان له نجم مخصوص وكلما طلع على صفة مخصوصة مرض ابراهيم ولاجل هذا الاستقرار لما رآه في ذلك الوقت طساعا على تلك الصفة الخصوصية قال اني سقيم أي هذا السقيم واقع لاحالة (الوجه الخامس) أن قوله اني سقيم أي مرض القلب بسبب اطباق ذلك الجمع العظيم على الكفر والشرك قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اعلمك باخع نفسك (الوجه السادس) في الجواب انما لان سلم أن انظر في

عليه الصلاة والسلام بهد ما رجعوا من عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسألوا عن الفاعل علم فظنوا أنه عليه الصلاة والسلام ففعله فأتوا به (يزفون) حال من واوأقبلوا أي يسرعون من زفيف النعام وقرى يزفون من أرف اذا دخل في الزيف أو من أرفه أي حله على الزيف أي يزف بعضهم بعضا يزفون

على البناء للمفعول أى يحملون على الزفيف و يزفون من وزف يزف اذا أسر ع و يزفون من زفاه اذا حذاه كأن بعضهم يزفو بفضل اتسار صهم اليه عليه الصلاة والسلام (قال) أى بعدما أتوا به عليه الصلاة والسلام وجرى بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم من المحاورات ما نطق به ﴿ ١٥١ ﴾ قوله تعالى قَالُوا أَنزَلْنَا هَذَا مِنَ آثَمَاتِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى قَوْلِهِ

علم التجوم والاستدلال بمقايستها حرام لان من اعتقد أن الله تعالى خص كل واحد من هذه الكواكب بقوة وبخاصية لاجلها يظهر منه أثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل وأما الكذب فغير لازم لانه ذكر قوله انى سقيم على سبيل التعريض معنى أن الانسان لا ينفك في أكثر أحواله عن حصول حالة مكروهة إما في بدنه وإما في قلبه وكل ذلك سقيم (الوجه السابع) قال بعضهم ذلك القول عن ابراهيم عليه السلام كذباً ورووا فيه حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما كذب ابراهيم الا ثلاث كذبات فثبت لبعضهم هذا الحديث لا ينبغي أن يقبل لان نسبة الكذب الى ابراهيم لا يجوز فقال ذلك الرجل فكيف يحكم بكذب الرواة العدول فثبت لما وقع التعارض بين نسبة الكذب الى الراوى وبين نسبته الى الخليل عليه السلام كان المعلوم بالضرورة أن نسبته الى الراوى أولى ثم نقول لا يجوز أن يكون المراد بكونه كذاباً خبراً شديداً بالكذب (والوجه الثامن) أن المراد من قوله فظفر نظره في التجوم أى نظر في نجوم كلابهم ومترقات أفوالهم فإن الأشياء التي تحدث قطعة قطعة يقال انها نجمية أى متفرقة ومنه نجوم الكتابة والمعنى انه لما سمع كلامهم المتفرقة نظر فيها حتى يستخرج منها حيلة يقدر بها على إقامة صدر لنفسه في التخلف عنهم فلم يجد عندها أحسن من قوله انى سقيم والمراد انه لا يد من أن أصبر سقيماً كما تقول لمن رأيته على أوقات السفر انك مسافر واعلم أن ابراهيم عليه السلام لما قال انى سقيم توأوا عنده معرضين فتركوه وعذروه في أن لا يخرج اليوم فكان ذلك مراده فراغ الى آلهتهم يقال فراغ اليه اذا مال اليه في السر على سبيل الخفية ومنه روحان الثعلب وقوله ألا تأكلون بمعنى الطعام الذى كان بين أيديهم وانما قال ذلك استهزاء بها وكذا قوله ما لكم لا تطعون فراغ عليهم ضرباً فاقبل عليهم مستخفياً كأنه قال فضرهم ضرباً لان فراغ عليهم فى معنى ضرهم أو فراغ عليهم ضرباً بمعنى ضارباً * وفى قوله باليمين قولان (الاول) معناه بالقوة والشدة لان اليمين أقوى الجارحتين (والثانى) انه أى بذلك الفعل بسبب الخلف وهو قوله تعالى عنه وتالله لا أكيدن أصنامكم ثم قال فاقبلوا اليه يزفون قرأ حزة يزفون بضم الباء والباقون بفتحها وهما لغتان قال ابن عرفة من قرأ بالنصب فهو من زف يزف ومن قرأ بالنضم فهو من أزف يزف قال الزجاج يزفون يسرعون وأصله من زفيف العامة وهو ابتداء عدوها وقرأ حزة يزفون أى يحملون غيرهم على الزفيف قال الاصمعى يقال ازفقت الابل اذا حلتها على أن تزف قال وهو سرعة الخطوة ومقاربة المشى والمفعول محذوف على قراءته كأنهم حملوا دوابهم على الاسراع فى المشى فان قيل مقتضى هذه الآية أن ابراهيم عليه السلام لما كسرها عدوا اليه واخذوه وقال فى سورة أخرى فى عين هذه القصة قالوا من فعل هذا يا آلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وهذا يقتضى انهم فى أول الامر ما عرفوه فبين هاتين الآيتين تناقض قلنا لا يبعد أن يقال ان جاعة عرفوه فدعوا اليه مسرعين والاكثر ان ما عرفوه فتعرفوا ان ذلك

تعالى لقد علمت ما هؤلاء يتطوقونه (أنعبدون ما تحبون) ما تحتونه من الاصنام وقوله تعالى والله خلقكم وما تعلمون) حال من فاعل تعبدون مؤكدة لانكار روايته بيح أى والحال أنه تعالى خلقكم وخلق ما تعلمونه فان جواهر أصنامهم ومادتها بخلقها تعالى وشكها وان كان بفعلهم لكن بقاء قدره تعالى اياهم عليه وخلق ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد والاسباب وما يعملون اما عبارة عن الاصنام فوضعه موضعه ضمير ما تحتون لا يبدان بان مخلوقيتها لله عز وجل ليس من حيث نخبتهم لها فقط بل من حيث سائر أعمالهم أيضاً من التصوير والتحليسة والتزيين ونحوها وما على عمومته فيتنظم الاصنام انتظاماً أولياً مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان أن جميع ما يعملونه كأما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية أن: عليكم على أنه بـ

المفعول وقيل بمعنى فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك (قَالُوا ابْنُوا

بَنَانًا فَاَلْقُوهُ فِي الْحَيِّمِ) أى فى النار الشديدة الاتقاد من الجمجمة

وهي شدة التاجع واللام صوض من المضاف اليه أي حرم ذلك النيان وقد ذكر كيفية بنائهم له في سورة الانبياء (فأرادوا به كيدا) فانه عليه الصلاة والسلام لما قهرهم بالحجة وألغى بهم الحجة فصدوا ما قصدوا والتلاظهم للعامة عجزهم (فجعلنا هم الاسفلين) الاذنين باطل كيدهم وجعله برهاننا برهاننا على علو ١٥٢ ﴿ شأنه عليه الصلاة والسلام يجعل النار عليه برادوسلاما (وقال

اني ذاهب الي ربّي) أي مهاجر الى حيث أمرني ربّي كما قال اني مهاجر الى ربّي وهو الشام أو الى حيث أتجد فيه لعبادته تعالى (سيهدين) أي الى ما فيه صلاح ديني أو الى مناصدي وبت القول بذلك لسبق الوعد أو لفرط توكيده أو لبيان عاقبة تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ولفظك أني بصيغة التوقع (رب هب لي من الصالحين) أي بعض الصالحين يعني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولدان لفظ الهبة على الإطلاق خاص به وإن كان قد ورد مقيدا بالاخوة في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وقوله تعالى (فبشرناه بلام حليم) فانه صريح في أن المبشر به عين ما استوهبه عليه الصلاة والسلام ولقد جمع فيه بشارات ثلاث

الكاسر من هو والله أعلم * قوله تعالى (قال أتعبدون ما تحتون والله خلّكم وما تعملون قالوا ابنوا له بيانا ما نقوه في الحجيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال اني ذاهب الى ربّي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بلام حليم) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن اقواما عابثوا ابراهيم على كسر الاصنام فهو ايضا ذكر لهم الدليل الدال على فساد المصير الى عبادتها فقال أتعبدون ما تحتون والله خلّكم وما تعملون ووجد الاستدلال ظاهرا وهو الخشب والحجر قبل التخت والاصلاح ما كان معبودا للانسان البتة فاذا تحت وشكاه على الوجه المختصر ص لم يحدث فيه الا آثار تصرفه فلو صار له معبودا عند ذلك لكان معناه ان الشيء الذي ما كان معبودا لما حصلت آثار تصرفاته فيه صار معبودا عند ذلك وفساد ذلك معلوم بديمه العقل (المسئلة الثانية) احتج جهود الاصحاب بقوله والله خلّكم وما تعملون على أن فعل العبد مخوق لله تعالى فقالوا النحويون اتفقوا على أن لفظ مامع مابعد في تقدير المصدر فتوله وما تعملون معناه وعملكم وعلى هذا التقدير صار معنى الآية والله خلّكم وخلق عملكم فان قيل هذه الآية مجع عليكم من وجوه (الاول) انه تعالى قال أتعبدون ما تحتون اضاف العبادة والتخت اليهم اضافة الفعل الى الفاعل ولو كان ذلك واقعا بتخنيق الله لاستحال كونه تعالى للعبد (الثاني) انه تعالى انما ذكر هذه الآية تو يخالفهم على عبادة الاصنام لانه تعالى بين انه خالقهم وخالق تلك الاصنام والخالق هو المستحق للعبادة دون المخنوق فلما تركوا عبادته سبحانه وهو خالقهم وعبدوا الاصنام لاجرم انه سبحانه وتعالى وبخهم على هذا الخطا العظيم فقال أتعبدون ما تحتون والله خلّكم وما تعملون ولو لم يكونوا فاعلين لافعالهم لما جاز تو يخفهم عليها سلنا أن هذه الآية ليست جده عليكم لكن لانسل منها جده لكم قوله لفظ مامع مابعد في تقدير المصدر قلنا هذا ممنوع وبيانه أن سيدي به والاخفش اختلاف في أنه هل يجوز أن يقال أعجبتني ماقت أي قيامك فجوزه سيدي به ومنه الاخفش وزعم أن هذا لا يجوز الا في الفعل المتعدي وذلك يدل على أن مامع مابعد في تقدير المفعول عند الاخفش سلنا أن ذلك قد يكون بمعنى المصدر لكنه أيضا قد يكون بمعنى المفعول ويدل عليه وجوه (الاول) قوله أتعبدون ما تحتون والمراد بقوله ما تحتون المنحوت لا التخت لانهم ما عبدوا التخت وانما عبدوا المنحوت فوجب أن يكون المراد بقوله ما تعملون المفعول لا العمل حتى يكون كل واحد من هذين اللفظين على وفق الآخر (والثاني) انه تعالى قال فاذا هي تلقف ما يأفكون وإيس المراد انها تلقف نفس الافك بل أراد العصي والحبال التي هي متعلقات ذلك الافك فكذا ههنا (الثالث) أن العرب تسمى محل العمل عملا يقال في الباب وانحتم هذا عمل فلان والمراد بعمله فثبت بهذه الوجوه الثلاثة أن لفظ مامع مابعد كما تجي بمعنى المصدر بة فقد تجي أيضا بمعنى المفعول فكان حله ههنا على المفعول أولى لان المقصود في هذه الآية تزييف مذهبهم في

بشارة أنه غلام وأنه يبلغ أو ان الحليم وأنه يكون حليما وأي حليم عادل حله عليه الصلاة والسلام حين عرض عليه (عبادة) أبوه الذبح فقال يا أبت اعدل ما تؤمر سجدني ان شاء الله من الصابرين وقبل ما نعت الله الانبياء عليهم الصلاة والسلام بأقل مما نعتهم بالحلم العزة وجوده غير ابراهيم وابنه فانه تعالى نعتهما به وسالهما المحكمة بعد اعدل بينة بذلك والقاد في قوله تعالى

(فما بلغ معه السعي) فصيحة معربة عن مقدار (١٥٣) قد حذف تعويلا على شهادة الحال وايدنا بعد الحاجة

الى التصريح به لاستحالة
الحذف والتأخر بعد
البشارة كما مر في قوله
نعالي فلما رأته أكبرته
وفي قوله تعالى فلما رآه
مستقرا عنده أي فوهبناه له
فتشأ فلما بلغ رتبة أن يسعي
معه في أشغاله وحوادثه
ومعه متعلق بحذوف
يضيء عند السعي لا بنفسه
لان صلة المصدر لا تتقدمه
ولا يبالغ لان بلوغها
لم يكن معاكاة لما ذكر
السعي قبل مع من فقبل
معد وتخصيصه لان
الابأكل في الرزق
والاستصلاح فلا
يستسعيه قبل أو انه
أولانه استوهبه لذلك
وكان له يومئذ ثلاث
عشرة سنة (قال) أي
ابراهيم عليه السلام
(يا بني اني ارى في المنام
اني اذبحك) أي ارى
هذه الصورة بعينها
أو ما هذه عبارته وتأويلها
وقيل انه رأى ليلة
التوبة كأن قائل يقول
ان الله يأمرك بالذي
هذا فلما أصبح روى
في ذلك من الصباح الى
الروح أم من الله هذا

عبادة الاصنام لا بيان انهم لا يوجدون افعال أنفسهم لان الذي جرى ذكره في اول
الآية الى هذا الموضع هو مسألة عبادة الاصنام لا خلق الاعمال واعلم أن هذه المسائل
قوية وفي دلائلنا كثيرة فالاولى ترك الاستدلال بهذه الآية والله أعلم واعلم أن ابراهيم عليه
السلام لما أورد عليهم هذه الحجة القوية ولم يقدر واعلى الجواب عاوا الى طريق الايداء
فقالوا اينواله بنيانا واعلم أن كيفية ذلك البناء لا يدل عليها لفظ القرآن قال ابن عباس
بنوا حائط من حجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه نارا
فطرحوه فيها وذلك هو قوله تعالى والقوه في الحميم وهي النار العظيمة فان الزجاج كل نار
بعضها فوق بعض فهي حميم والالف واللام في الحميم يدل على النهاية والمعنى في حميمه أي
في حميم ذلك البنين ثم قال تعالى فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين والمعنى ان في وقت
الحاجة حصلت الغلبة له وعند ما القوه في النار صرف الله عنه ضرر النار فصار هو
الغالب عليهم واعلم انه لما انقضت هذه الواقعة قال ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين
ونظير هذه الآية قوله تعالى وقال اني مهاجر الى ربي وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ادلت
هذه الآية على أن الموضع الذي تكثفه الاعضاء يجب مهاجرته وذلك لان ابراهيم
صلوات الله عليه وسلامه مع ان الله سبحانه خصه بأعظم أنواع النعمة لما أحسن منهم
بالعداوة الشديدة هاجر من تلك الديار فلان يجب ذلك على الغير كالأولى (المسئلة الثانية)
في قوله اني ذاهب الى ربي قولان (الاول) المراد منه مفارقة تلك الديار والمعنى اني ذاهب
الى مواضع دين ربي (والقول الثاني) قال الكلبي ذاهب بعبادتي الى ربي فعلى القول
الاول المراد بالذهاب الى الرب هو الهجرة من الديار وبه اقندى موسى حيث قال كلا ان
معي ربي سيهدين وعلى القول الثاني المراد رعاية احوال القلوب وهو ان لا يأتي شيء من
الاغمال الا الله تعالى كما قال وجهت وجهي الذي فطر السموات والارض قبل ان أقول
الاول أولى لان المقصود من هذه الآية يبار مهاجرته الى أرض الشام وأيضاً يدخله
على الهداية في الدين لانه كان على الدين في ذلك الوقت الا أن يحمل ذلك على الثبات عليه
أو يحمل ذلك على الاهتداء الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في أمر الدين (المسئلة
الثالثة) قوله سيهدين يدل على ان الهداية لا تحصل الا من الله تعالى كما يقول أصحابنا ولا
يمكن حل هذه الهداية على وضع الادلة وازاحة الاعتذار لان كل ذلك قد حصل في الزمان
الماضي وقوله سيهدين يدل على اختصاص تلك الهداية بالمستقبل فوجب حل الهداية
في هذه الآية على تحصيل العلم والمعرفة في قلبه فان قيل ابراهيم عليه السلام جزم في هذه
الآية بأنه تعالى سيهديه وان موسى عليه السلام لم يجزم به بل قال عسى ربي أن يهديني
سواء السبيل فما الفرق قلنا العبد اذا تجلى له مقامات رحة الله فقد يجزم بحصول المقصود
واذا تجلى له مقامات كونه غنيا عن العالمين فحينئذ يستحقر نفسه فلا يجزم بل لا يظهر
الا الرجاء والطمع (المسئلة الرابعة) قوله تعالى اني ذاهب الى ربي يدل على فساد تمسك

أم من الشيطان فن ثمة سمي يوم التوبة فلما ٢٠ سا أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله تعالى
فن ثمة سمي يوم عرفة ثم

رأى مثله في الآية الثالثة فهم بغيره فسمى اليوم يوم النحر ﴿ ١٥٤ ﴾ وقيل ان الملايكة حين بشرته بغلام حلیم

المشبهة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب لان كلمة الى موجودة في قوله اني ذاهب الى ربي مع انه لم يزل أن يكون الاله موجودا في ذلك المكان فكذلك ههنا واعلم انه صلوات الله عليه لما هاجر الى الارض المقدسة أراد ان ولد فقال هرب الى من الصالحين أي هرب الى بعض الصالحين يريد ان ولد لان لفظ الهه يغيب في اولاد وان كان قد جاء في انه خفي قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهم حين هبوا بولده على أبي الاملاك شكرت الوهاب وبورك لك في الوهب وولدك وقمت التسمية بهبة لله تعالى وبهبة الوهاب وبهوب وبهوب واعلم أن هذا السمع اشتغل على ثلاث اشياء هي أن الولد غلام ذكر يرثه يبالغ الحلم وان يكون حلما وأي حلم يكون أعظم من بلد حين عرض عليه أبو النضر قال سمعتني ان شاء الله بن الصابرين ثم استسلم لذلك وأيضا ما ان ابراهيم عليه السلام كان موصوفا بالحلم قال تعالى ان ابراهيم لاواه حلیم ان ابراهيم حلم اواه متعب فيمن اراد موصوف بالحلم يرثه قائم مقامه في صفات الشرف والفضيلة واعلم ان الصلاح أفضل الصفات بدليل أن الخليل عليه السلام طلب الصلاح لنفسه فقال رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين وطلبه لوالده فقال هب لي من الصالحين وطلبه سليمان عليه السلام بعد كل د رجته في الدين والدنيا وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وذلك يدل على أن الصلاح أشرف مقامات العباد * قوله تعالى (فما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر سمعتني ان شاء الله من الصابرين فلما أسألوته للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا هو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركناك عليه في الآخرة سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريةهما محسن وظالم لنفسه مبين) اعلم انه سبحانه وتعالى لما قال فبشرناه بغلام حلیم أتبعه بما يدل على حصول ما بشر به وبلوغه فقال فلما بلغ معه السعي ومعناه فلما أدرك وبلغ الحد الذي يقدر فيه على السعي وقوله معه في موضع الحال والتقدير كأننا معه والفائدة في اعتبار هذا المعنى أن الاب أرفق الناس بالولد وغيره بما عصف به في الاستسعاء فلا يَحْتَمَلُه لانه لم تستحكم قوته قال بعضهم كان في ذلك الوقت ابن ثلاث عشرة سنة والمقصود من هذا الكلام ان الله تعالى لما وعده في الآية الاولى بكون ذلك الغلام حلما بين في هذه الآية ما يدل على كمال حلمه وذلك لانه كان به من كمال الحلم وفسحة الصدر ما قواء على احتمال تلك البلية العظيمة والاثبات بذلك الجواب الحسن اما قوله اني أرى في المنام اني أذبحك فقيه مسائل (المسئلة الاولى) في تفسير هذه اللفظة وجهان (الاول) قال السدي كان ابراهيم حين بشر باسحق قبل أن يولده قال هو اذن لله ذبيح فقيل لابراهيم قد نذرت نذرا فف بذرك فلما أصبح قال يا بني اني أرى في

قال اذن هو ذبيح الله فلما وكد وبلغ حد السعي معه قيل له أيق بذرك * والظاهر الاشهر أن المخاطب اسحق عليه السلام اذ هو الذي وهب اثر المهاجرة ولان ايشاد باسحق بعده معطوف على ايشاده بهذا الغلام ولقوله عليه السلام لا اله الا الله والاسلام انا بن الدايحين فأحدهما جسد اسحق عليه السلام والاخر أبوه عبد الله فان عبد المطلب نذر أن يذبح واسا ان سمع الله تعالى له حفر بئر زمزم أو بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الفيل واذن سنت المدينة مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكيش معقنين بالكعبة حتى احترقا في أيام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان بشارة اسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مرافقا وما روى أنه عليه الصلاة والسلام مثل أي النسب أشرف فقال

يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذليح الله ابن ابراهيم خليل الله ﴿ التمام ﴾ فالصحيح أنه عليه الصلاة

والسلام قال يوسف بن يعقوب بن ١٥٥ * اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوى وما روى من أن

المنام انى اذبحك وروى من طريق آخر انه رأى الله التروية فى منامه كأن قاذلا يقول له
ان الله بأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح تروى فى ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا
الحلم أم من الشيطان فن ثم سعى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله
فسمى يوم عرفته ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة ففهم ببحره فسمى يوم النحر فهذا هو قول أهل
التفسير وهو يدل على أنه رأى فى المنام ما يوجب أن يذبح ابنه فى اليقظة وعلى هذا فقد بر
اللفظ انى أرى فى المنام ما يوجب أن أذبحك (واقول الثانى) انه رأى فى المنام انه يذبحه
ورؤيا الانبياء عليهم السلام من باب الوحى وعلى هذا القول فالرئى فى المنام ليس الا انه
يذبح قال قيل اما أن يقال انه ثبت بالدليل عند الانبياء عليهم السلام ان كل مارآه فى
المنام فهو حق حجة أو لم يثبت ذلك بالدليل عندهم فان كان الاول فلم راجع الولد فى هذه
الواقعة بل كان من الواجب عليه أن يشتغل بتفصيل ذلك اما مور وان لا يراجع الولد
فيه وان لا يقول له فانظر ماذا ترى وان لا يوقف العمل على أن يقول له الولد فعل ما تؤمر
وأبضا فقد قلتم انه بقى فى اليوم الاول متفكرا وارثبت عنده بالدليل ان كل مارآه فى
النوم فهو حق لم يكن الى هذا التروى والتفكر حاجة وان كان الثانى وهو انه لم يثبت
بالدليل عندهم ان ما يروونه فى المنام حق فكيف يجوز له أن يقدم على ذبح تلك الطفل
بغير دروالم يدل الدليل على كونها حجة (والجواب) لا يبعد أن يقال انه كان عند الرويا
مزدافيه ثم تأكدت الرويا بالوحى الصريح والله أعلم (المسئلة الثانية) اخذنا وفى ان
هذا الذبيح من هو قيل انه اسحق وهذا قول عمرو بنى والعباس بن عبد المطلب وابن
مسعود وكعب الاحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهرى والسدى
ومقاتل رضى الله عنهم وقيل انه اسمعيل وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن
المسيب والحسن والشعبي ومجاهد والكلبي واحتج القائلون بانه اسمعيل بوجوه
(الاول) شارسل الله تعالىه وسلم قارى أن لا يمين وقال أسرى بالبن الذبيحين
باسم نبيك من ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر من بئر الله اثنتى سهال الله له أسره
لذبح ابن أحولده فخرج السهم على عبد الله فعدأحواله وقأواله فادابك بائنه من
الابل ففداء بمائة من الابل والذبيح الثانى اسمعيل (الحجة الثانية) نقل عن الاصمعى انه
قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعى ابن عتقك وسى كان اسحق بمكة
وانما كان اسمعيل بمكة والذي بنى البيت مع أبيه والمتحر بمكة (الحجة الثالثة) ان الله
تعالى وصف اسمعيل بالصبر دون اسحق فى قوله واسمعيل والبسع وذا الكفل كل من
الصابر ين وهو صبره على الذبح ووصفه أيضا بصدق الوعد فى قوله انه كان صادق الوعد
لانه وعدا به من نفسه الصبر على الذبح فوفى به (الحجة الرابعة) قوله تعالى فبشرناه باسحق
ومروراه اسحق يعقوب فنقول لو كان الذبيح اسحق لكان الامر يذبحه اما أن يقع
قبل ظهور يعقوب منه أو بعد ذلك (فالاول) باطل لانه تعالى لما بشرها باسحق وبشرها

يعقوب كتب الى يوسف
مثل ذلك لم يثبت وقرئ
انى يفتح الياء فيها
(فانظر ماذا ترى) من
الرأى وانما شاوره فيه
وهو أمر محتوم ليعلم
ما عنده فيأمر من بلاء الله
تعالى فيثبت قدمه
ان جزع ويا من عليه
اسم وابو وطن نفسه عليه
فيه هون ويكتسب
المثوية عليه بالانقياد له
قبل نزوله وقرئ ماذا
ترى بضم ألتاء وكسر
الراء وبفتحها مبنيا
للمفعول (قال يا بئس فعل
ما تؤمر) أى تؤمر به
فعدف الجار أولا على
المساعدة المطردة ثم
حذف العائد الى الموصول
بعد انملا به منصوبا
بالمسألة الى الفعل أو حذفها
دفعه أو فعل أمر له على
اضافة المصدر الى
المفعول وتسمية المأمور به
أمر أو قرئ ما تؤمر به
وصيغة المضارع للدلالة
على أن الامر متعلق به
متوجه اليه مستمر الى حين
الاستئصال به (سجدنى
ار شاء الله من الصابرين)
على الذبح أو على قضاء الله

تعالى (فلما أسبلا) أى استسبلا الامر الله تعالى وانقادا وخضعا له يقال علم الامر الله وأسلم

واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا وأصلها ﴿ ١٥٦ ﴾ من قولك سلم هذا الغلان اذا خلاص له ومعناه

سلم من أن يتأزع فيه
وقولهم سلم لأمر الله
وأسلم له متقولا من
ومعناه ما خلاص نفسه
لله وجعلها سالمة له وكذلك
معنى استسلم استخلص
نفسه له تعالى وعن قتادة
رضي الله عنه في أسلم أسلم
إبراهيم ابنه واسماعيل
نفسه (وتله للجبين)
صرعه على شقه فوق
جبينه على الأرض وهو
أحد جانبي الجبهة وقيل
كبه على وجهه بأشارته
كلا يرى منه ما يورث
رقعة تحول بين وبين
أمر الله تعالى وكل ذلك
عند الصخرة من منى
وقيل في الموضع المشرف
على مسجد منى وقيل في
المحر الذي يحرّم اليوم
فيه (وناديتاه أن يا
إبراهيم قد صدقت
الرويا) بالعزم على
الآيتين بالأمسور به
وترتيب مقدمانه وروى
أنه أمر السكين بقوته
على حلقه مرارا فلم
يقطع ثم وضع السكين
على فقهه فانقلب السكين
فعمد ذلك وقع النداء
وجواب لما مخوف

معناه بأنه يحصل منه يعقوب فقيل ظهور يعقوب منه لم يجز الأمر بذبحه والا حصل الخلف
في قوله ومن وراء اسحق يعقوب (والثاني) باطل لأن قوله فلما بلغ معه السعي قال يا بني
اني أرى في المنام أني أذبحك يدل على أن ذلك الابن لما قدر على السعي ووصل الى حد
القدرة على الفعل أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه وذلك بينا في وقوع هذه القصة في زمان
آخر وثبت أنه لا يجوز أن يكون الذبيح هو اسحق (الحجة الخامسة) حكى الله تعالى عنده
قال اني ذاهب الى ربى سيهدين ثم طلب من الله تعالى ولذا يستأنس به في غريته فقال رب
هب لي من الصالحين وهذا السؤال انما يحسن قبل أن يحصل له الولد لانه لو حصل له ولد
واحد لما طلب الولد الواحد لأن طلب الماثل محال وقوله هب لي من الصالحين لا يفيد
الاطلب الولد الواحد وكلمة من الصالحين وأقل درجات البعوضة الواحد فكان قوله من
الصالحين لا يفيد الا طلب الولد الواحد فثبت أن هذا السؤال لا يحسن الا عند عدم كل
الاولاد فثبت أن هذا السؤال وقع حال طلب الولد الاول وأجمع الناس على أن اسمعيل
متقدم في الوجود وعلى اسحق فثبت أن المطلوب بهذا الدعاء هو اسمعيل ثم إن الله تعالى ذكر
عقبيه قصة الذبيح فوجب أن يكون الذبيح هو اسمعيل (الحجة السادسة) الاخبار الكثيرة
في تعليق قرن الكبش بالكعبة فكان الذبيح بمكة ولو كان الذبيح اسحق لكان الذبيح
بالشام ونحن من قال أن ذلك الذبيح هو اسحق يوجهين (الوجه الاول) أن أول الآية
وآخرها يدل على ذلك إما وأولها فانه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام قبل هذه الآية أنه
قال اني ذاهب الى ربى سيهدين وأجمعوا على أن المراد منه مهاجرته الى الشام ثم قال
فبشرناه بسلام حلیم فوجب أن يكون هذا الغلام اسحق الاسحق ثم قال بعده فلما بلغ معه
السعي وذلك يقتضي أن يكون المراد من هذا الغلام الذي بلغ معه السعي هو ذلك الغلام
الذي حصل في الشام فثبت أن مقدمة هذه الآية تدل على أن الذبيح هو اسحق وأما آخر
الآية فهو أبضا يدل على ذلك لانه تعالى لما تم قصة الذبيح قال بعده وبشرناه باسحق نبيا
من الصالحين ومعناه أنه بشره بكونه نبيا من الصالحين وذكر هذه البشارة عقيب حكاية تلك
القصة يدل على أنه تعالى انما بشره بهذه النبوة لاجل أنه تحمل هذه الشدائد في قصة الذبيح
فثبت بما ذكرنا أن أول الآية وآخرها يدل على أن الذبيح هو اسحق عليه السلام (الحجة
الثانية) على صحة ذلك ما اشتهر من كتاب يعقوب الى يوسف عليه السلام من يعقوب اسرائيل
نبي الله ابن اسحق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله فهذا جملة الكلام في هذا الباب وكان
الزجاج يقول الله أعلم أيهما الذبيح والله أعلم واعلم انه يتفزع على ما ذكرنا اختلافهم في
موضع الذبح فالذين قالوا الذبيح هو اسمعيل قالوا كان الذبيح بمكة والذين قالوا أنه
اسحق قالوا هو بالشام وقيل بيت المقدس والله أعلم (المسئلة الثالثة) اختلف الناس في
أن إبراهيم عليه السلام كان أمورا بهذا بما رأى وهذا الاختلاف مفرع على مسئلة
من مسائل أصول الفقه وهي أنه هل يجوز نسخ الحكم قبل حضور مدة الامتثال فقال
أكث أصحابنا أنه يجوز وقالت المعتزلة وكثير من فقهاء الشافعية والحنفية أنه لا يجوز

من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ١٥٧ ما أنعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق للملم يوفق

فعلى القول الاول انه سبحانه وتعالى أمره بالذبح ثم انه تعالى نسخ هذا التكليف قبل حضور وقته وعلى القول الثاني انه تعالى ما أمره بالذبح وانما أمره بتقديم الذبح وهذه مسئلة شريفة من مسائل باب النسخ وأصح أصحابنا على انه يجوز نسخ الامر قبل مجئ مدة الامتثال بأن الله تعالى أمر ابراهيم عليه السلام بالذبح وادبه ثم انه تعالى نسخ عنه قبل اقامه عليه وذلك بقيد المظنوب انما قلنا انه تعالى أمره بالذبح الاول اوجبهين (الاول) انه عليه السلام قال لولده اني أرى في المنام اني أذبحك فقال لولده افعل ما تؤمر به وهذا يدل على انه عليه السلام كان ما موراً بتقديم الذبح لا بنفس الذبح ثم انه أتى بتقديم الذبح وأدخلها في الوجود فحينئذ يكون قد أمر بشئ وقد أتى به وفي هذا الموضع لا يحتاج الى الفداء لكنه احتاج الى انقضاء دليل قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم فدل هذا على انه أتى بالأمور به وقد ثبت انه أتى بكل مقدمات الذبح وهذا يدل على انه تعالى كان قد أمره بنفس الذبح اذ ثبت هذا فنقول انه تعالى نسخ ذلك الحكم قبل اثباته وذلك يدل على المقصود وقات المعترضة لاننا نعلم ان الله أمره بالذبح الاول بل نقول انه تعالى أمره بتقديم الذبح والذبح وادله عليه وجوه (الاول) انه ما أتى بالذبح وانما أتى بتقديم الذبح ثم ان الله تعالى أخبر عنه بأه أتى بما أمر به بدليل قوله تعالى وناديتاه أن ابراهيم قد صدقت الرواية وذلك يدل على انه تعالى انما أمره في المنام بتقديم الذبح لا بنفس الذبح وتلك المقدمات عبارة عن اضجاعه ووضع السكين على حلقه والعزم الصحيح على ان يتبين بذلك الفعل ان ورد الامر الثاني الذبح عبارة عن قطع الحلقوم ففعل ابراهيم عليه السلام قطع الحلقوم الا انه كلما قطع جزءاً أعاد الله التأليف اليه فلهذا السبب لم يحصل الموت (والوجه الثالث) وهو الذي عليه تعويل القوم انه تعالى أوامر شخصاً معيناً بيقاع فعل معين في وقت معين فهذا يدل على أن يقاع ذلك الفعل في ذلك الوقت حسن فذاته ما عتبه فذلك انتهى يدل على أن يقاع ذلك الفعل في ذلك الوقت قبيح فلو حصل هذا انتهى عقيب ذلك الامر لزم أحد أمرين لانه تعالى ان كان طالما بحال ذلك الفعل لزم أن يقال انه أمر بالذبح أو نهى عن الحسن وان لم يكن عالماً به لزم جهل الله تعالى وانه محال فهذا تمام الكلام في هذا الباب (والجواب) عن الاول انما قد دللت على انه تعالى انما أمره بالذبح اما قوله تعالى قد صدقت الرواية فهذا يدل على انه اعترف بكون تلك الرواية واجب العمل بها ولا يدل على انه أتى بكل ما رآه في ذلك المنام واما قوله ثانياً كلما قطع ابراهيم عليه السلام جزءاً أعاد الله تعالى التأليف اليه فنقول هذا باطل لان ابراهيم عليه السلام لو أتى بكل ما أمر به لما احتاج الى الفداء وحيث احتاج اليه علمنا انه لم يأت بما أمر به واما قوله ثالثاً انه يلزم اما الامر بالقبيح واما الجهل فنقول هذا بناء على ان الله تعالى لا يأمر الا بما يكون حسناً في ذاته ولا ينهى الا عما يكون قبيحاً في ذاته وذلك بناء على تحسين العقل وتقيحه وهو باطل أيضاً فذهب أناسنا ذلك الا اننا نقول لم لا يجوز أن يقال ان الامر بالشئ

أحد مثله وأظهر
فضلهما بذلك على
المالين مع احراز الثواب
العظيم الى غير ذلك
(انما كذلك تجري
المحسنين) تعليل لتفريع
تلك الكربة باحسانها
واحتج به من جاوز
النسخ قبل وقوع
الأمور به فانه عليه
الفداء والسلام كان
مأموراً بالذبح لقوله
تعالى افعل ما تؤمر
ولم يحصل (ان هذا
لهو البلاء المبين) الابتلاء
الذي يتميز به
المخلص عن غيره وأما المحنة
التي في الصعوبة اذ لا شئ
أصعب منها (وفديناه
بذبح) بما يذبح بدله
فيتم به الفعل (عظيم)
أي عظيم الجثة سمياً أو
عظيم القدر لانه يفدى
به الله نبيا ابن نبي وأبي
نبي من نسله سيد المرسلين
فدل كان ذلك كبشاً من
الجنه عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه
الكبش الذي قرب
هايل فقبل منه وكان
يرعى في الجنة حتى فدى به
اسماعيل عليه السلام

وقبل فدى بوهل أهبط عليه من ثير وروى انه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى
أخذته فبقى سنة في الرمي وروى انه رمى الشيطان

حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح والده وروى أنه لما ذبحه ﴿ ١٥٨ ﴾ قال جبريل عليه السلام الله اكبر الله اكبر

فقال الذبيح لا اله الا الله
والله اكبر فقال ابراهيم
الله اكبر والله الحمد فبقى
سنة والغادي في الحقيقة
هو ابراهيم وانما قيل
وفديناه لانه تعالى هو
المعطى له والآمر به على
التجوز في الفداء أو الاستناد
(وتركنا عليه
في الآخرين سلام على
ابراهيم) فدل على بيانه
في خاتمة قصة نوح
عليه السلام (كذلك
نجى المحسنين) ذلك
اشارة الى ابقاء ذكره
الجلى فيما بين الامم
لا الى ما اشير اليه فيما سبق
فلا تكرار وعدم تصدير
الجملة بانه لا اكتفاء
بما مر آنفاً انه من عبادنا
المؤمنين (المؤمنين
في كتابنا على وجه
الايقان والاطمئنان
(وبشرنا به اصحق نبيا
من الصالحين) أى
مقضى بانيبوته مقدرا كونه
من الصالحين وبهذا
الاعتبار وقما حان
ولا حاجة الى وجود
المبشر به وقت البشارة
فان وجود ذى الحال
ليس بشرط وانما الشرط

تارة يحسن اكون المأمور به حسنا وتارة لاجل ان ذلك الامر يفيد صحة مصلحة من
المصالح وان لم يكن المأمور به حسنا ألا ترى ان السيد اذا أراد أن يروض عبده فانه يقول
له اذا جاء يوم الجمعة فافعل الفل فلاننى ويكون ذلك الفعل من الافعال الشاقة ويكون
مقصود السيد من ذلك الامر ليس أن يأتي ذلك العبد بذلك الفعل بل أن يوطن العبد
نفسه على الانقياد والطاعة ثم ان السيد اذا علم منه انه وطن نفسه على الطاعة فقد رزى
عنه ذلك التكليف فكذا ههنا فلم تقيموا الدلالة على فساد هذا الاحتمال لم يتم كلامكم
(المسئلة الرابعة) اخبر أصحابنا بهذه الآية على ان الله تعالى قد أمر بما لا يريد وقوعه
والدليل عليه انه أمر بالذبح وما أراد وقوعه أما انه أمر بالذبح فلما تقدم في المسئلة الاولى
وأما انه ما أراد وقوعه فلا ن عندنا ان كل ما أراد الله وقوعه فانه يقع وحيث لم يقع هذا
الذبح علمنا انه تعالى ما أراد وقوعه وأما عند المعتزلة فلان الله تعالى نهى عن ذلك الذبح
والنهي عن الشيء يدل على ان انما نهى لا يريد وقوعه فثبت انه تعالى أمر بالذبح وثبت انه
تعالى ما أراد وذاك يدل على ان الامر قد يوجد بدون الارادة وتعمام الكلام في ان الله تعالى
أمر بالذبح ما تقدم في المسئلة المتقدمة والله أعلم (المسئلة الخامسة) في بيان الحكمة في
ورود هذا التكليف في النوم لافي اليقظة وبيانه من وجوه (الاول) ان هذا التكليف
كان في نهاية المشقة على الذائم والمذبح فورد أولاً في النوم حتى يصير ذلك كالمنه لورود
هذا التكليف الشاق ثم يتأكد حال النوم بأحوال اليقظة فينتسب لا يحجم هذا
التكليف دفعة واحدة بل سراً فشباً (الثانى) ان الله تعالى جعل رؤيا الانبياء عليهم السلام
حقاً قال تعالى في حق محمد صلى الله عليه وسلم لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن
المسجد الحرام وقول عن يوسف عليه السلام نرى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر
رأيتهم لى ساجدين وقال في حق ابراهيم عليه السلام انى رأى في المنام أنى أذبحك
والقصد من ذلك تقوية الدلالة على كونه صادقين لان الحاصل اما حال يقظة واما حال
منام فذا تظاهرت الحقائق على صدق كل ذلك هو النهاية في بيان كونهم محققين مادقين
في كل الاحوال والله أعلم ثم نقول مقامات الانبياء عليهم السلام على ثلاثة أقسام منها
ما يقع على وفق الرواية كافي قوله تعالى في حق رسولنا صلى الله عليه وسلم لتدخلن المسجد
الحرام ثم وقع ذلك الشيء بهينه ومنها ما يقع على الضد كافي حق ابراهيم عليه السلام فانه
رأى الذبح وكان الحاصل هو القدام والنجاة ومنها ما يقع على ضرب من التأويل والمناسبة
كافي رواية يوسف عليه السلام فلهذا السبب أطبق أهل التعبير على أن المنامات واقعة
على هذه الوجوه الثلاثة (المسئلة السادسة) قرأ حجة والكسائي ترى بضم التاء وكسر
الراء أى ما ترى من نفسك من الصبر والتسليم وقبل ما تشير والباقون بفتح التاء ثم منهم من
يعمل ومنهم من لا يعمل (المسئلة السابعة) الحكمة في مشاورة الان في هذا الباب أن يطلع
ابنه على هذه الواقعة يظهر له صبره في طاعة الله فتكون فيه قرة عين لابراهيم حيث يراه قد

مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه ﴿ بانغ ﴾
بوجود اصحق أى بان يوجد اصحق

نبأهم الصالحين ومم ذلك لا يصح نظيره قوله ﴿ ١٥٩ ﴾ تعالى فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم

وقت الدخول واسحق

عليه السلام لم يكن

مقدرا نبوة نفسه

وصلاحيها حين ما يوجد

ومن فسر الغلام بإسحق

جعل المقصود من البشارة

نبوته عليه الصلاة

والسلام وفي ذكر اصلاح

بعد النبوة تعظيم شأنه

وايماء الى انه غاية اياما

تضعفها معنى الكلام

والتكميل بانفعل على

الاطلاق (وباركنا

عليه) على ابراهيم في

أولاده (وعلى اسحق)

بأن أخرجنا من صلبه

أنبياء بني اسرائيل

وغيرهم كأبيور وشعيب

عليهم السلام أو أفضنا

عليهم سائر كات الدين

والدنيا وقرى وركنا

(ومن ذريتهما محسن)

في عمله أول نفسه بالاعان

والطاعة (وظالم لنفسه)

بالكفر والمعاصي (مبين)

ظاهر ظلمه وفيه تنبيه

على أن النسب لا تأثير له

في الهداية والضلال

وأن الظلم في أعقابهما

لا يعود اليهما بنقيصة

ولا عيب (وأقدمنا على

موسى وهرون) أي أنعمنا

بلغ في الحلم الى هذا الحد العظيم وفي الصبر على أشد المكاره الى هذه الدرجة العالية
ويحصل للابن الثواب العظيم في الآخرة والثناء الحسن في الدنيا ثم انه تعالى حكى عن ولد
ابراهيم عليه السلام انه قال أفص ما نؤمن ومعناه أفص ما نؤمن به لحذف الجار كما حذف
من قوله أمرتك الخيرة ففعل ما أمرت ثم قال سجدني ان شاء الله من الصائرين وانما عاق
ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل البرك والتمن وانما لا حول عن عصية الله الا بهيمنة الله
ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال تعالى فلما أسلموا قال لهم الله أناسموا فاسموا
بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا اذا نقاد له وخضع وأصلها من قولك سلم هذا فلان ذا
خلص له ومعناه سلم من أن ينزع فيه وقولهم سلم لأمير الله وأسلمه متقولان عند الهمزة
وحقيقة معناها أخلص نفسه الله وجعلها سائنة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص
نفسه لله وعن قيادة في أسما أسلم هذا البند وهذا نفسه ثم قال تعالى وتله لجبين أي صرعه
على شقه فوق أحد جبيني على الأرض وللوجه جبينان والجهة بينهما قال الاعرابي
التيل والمنول المصروع والمثل الذي يتل به أي يصرع فلهذا معنى انه صرعه على جبينه وقال
مقاتل كبه على جبته وهذا خطأ لأن الجبين غير الجهة * ثم قال تعالى ونادىناه أن يا ابراهيم
قد صدقت الرؤيا وفيه قولان (الاول) ان هذا جواب فلما عند الكوفيين والفراء والواو
زائدة (والقول الثاني) أن عند البصريين لا يجوز ذلك والجواب مقدر فلما فعل
ذلك ونادى الله أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بسعادة عظيمة وآتاه الله نبوة ولده وأجرل
له الثواب قالوا وحذف الجواب ليس بغير في القرآن والقائدة فيه انه اذا كان محذوفا
كان أعظم وأفخم قال المفسرون لما أضجعه للذبح نودي من الجبل يا ابراهيم قد صدقت
الرؤيا قال المحققون السبب في هذا التكليف كمال طاعة ابراهيم لتكاليف الله تعالى فلما
كلفه الله تعالى بهذا التكليف الشاق الشديد وظهر منه كمال الساعة وظهر من ولده كمال
الطاعة والانقياد لاجرم قال قد صدقت الرؤيا يعني حصل المقصود من تلك الرؤيا وقوله
انا كذلك نجزي المحسنين ابتداء اخبار من الله تعالى وليس يتصل بما تقدم من الكلام
والمعنى أن ابراهيم وولده كانوا محسنين في هذه الطاعة فكما جزينا هذا من المحسنين فكذلك
نجزي كل المحسنين * ثم قال تعالى ان هذا هو البلاء المبين أي الاختيار البين الذي ينجزي فيه
المخلصون من غيرهم والمحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها وفديناه بذبح عظيم
الذبح مصدر ذبح وذبح أيضا ما بذبح وهو المراد في هذه الآية وههنا مباحث تتعلق
بالحكايات (فالاول) حكى في قصة الذبح ان ابراهيم عليه السلام لما أراد ذبحه قال
يا بني خذ الحبل والمذبة وانطلق بنا الى الشعب فخطب فلما توسطوا شعب شبرا أخبره بما أمر به
فقال يا أبت اشد در باطنى في كى لا اضطرب واكف عني ثيابك لا ينتضح عليهما شئ من دمي
فتراه أمى فحزن واستعد شفرتك وأسرع امرارها على حاق ليكون أهون فان الموت شديد
واقرا على أمى سلامى وان رأيت ان ترد قبضى على امى فافعل فانه عسى أن يكون أمهل

عليهما بالنبوة وغيرهما من النعم الدينية والدنيوية (ونجيناها وقومهما) وهم بنو اسرائيل (من الكرب العظيم) هو
ملكة آل فرعون وتسلطهم عليهم بالوان الغشم والعذاب كما في قوله تعالى

وإذا تجميعنا كم من آل فرعون وقيل هو الفرق وهو بعيد لأنه لم يكن ﴿ ١٦٠ ﴾ عليهم كربا ومشقة (ونصرناهم) أي

أياهما وقومهما على عدوهم (فكانوا) بسبب ذلك (هم الغالبين) عليهم غلبة لا غاية وراءها بعد أن كان قومهما في أسرهم وقسرهم مفهورين تحت أيديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وهذه النتيجة وإن كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص من المكروه بنى فيها بم النصر الذي يتحقق مدلوله بمحض نتيجة المنصور من عدوه ومن غير تغليب عليه ثم بالغلبة لتوفيق مقام الامتثال حقه بانظار أن كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة على حيالها (وآتيناهما) بعد ذلك (الكتاب المستبين) أي البليغ في البيان والتفصيل وهو التوراة (وهديناهما) بذلك (الصراط المستقيم) الوصول إلى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاصيل الأحكام (وتركنا عليهم في الآخرين سلام

لما فقال إبراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بنى على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يكيان ثم وضع السكين على حلقه فقال كفى على وجهي فانك إذا نظرت وجهي رحمتي وأدر كنت رقة تحول بينك وبين أمر الله سبحانه وتعالى ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا (البحت الثاني) اختلقوا في ذلك الكذب فقيل أنه الكيش الذي تقرب به هابيل ابن آدم إلى الله تعالى فقبله وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله تعالى به اسمعيل وقال آخرون أرسل الله كبشا من الجنة فدرعى أربعين خريفا وقال السدي نودي إبراهيم فالتفت فإذا هو بكبش أملج انحط من الجبل فقام عند إبراهيم فأخذه فذبحه وخلي عن ابنه ثم اعتنق ابنه وقال يا بنى اليوم وهبت لي وأما قوله عظيم فقيل سمي عظيما لعظمه وسمته وقال سعيد بن جبير حق له أن يكون عظيما فدرعى في الجنة أربعين خريفا وقيل سمي عظيما لعظم قدره حيث قبله الله تعالى فداء عن ولد إبراهيم ثم قال تعالى أنه من عبادنا المؤمنين الضمير في قوله أنه عائد إلى إبراهيم ثم قال تعالى وبشرناه يا سمحق نبيا من الصالحين فقوله نبيا حال مقدرة أي بشرناه بوجود اسمحق مقدرة نبوته ولمن يقول أن الذبيح هو اسمعيل أو يحجج بهذه الآية وذلك لأن قوله نبيا حال ولا يجوز أن يكون المعنى فبشرناه باسمحق حال كون اسمحق نبيا لأن البشارة به متقدمة على صبر ورثته نبيا فوجب أن يكون المعنى وبشرناه باسمحق حال ما قدرناه نبيا وحال ما حكمنا عليه فصبر وإذا كان الأمر كذلك فخرشته كانت هذه البشارة بشارة بوجود اسمحق حاصلة بعد قصة الذبيح فوجب أن يكون الذبيح غير اسمحق أقصى ما في الباب أن يقال لا يعد أن يقال هذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة عن قصة الذبيح إلا أنها كانت متقدمة عليها في الوقوع والوجود ألا أنا قول الأصل رعاية الترتيب وعدم التغير في النظم والله اعلم بالصواب ثم قال تعالى وباركنا عليه وعلى اسمحق وفي تفسير هذه البركة وجهان (الاول) أنه تعالى أخرج جميع أنبياء بني إسرائيل من صلب اسمحق (والثاني) أنه أبقى النشاء الحسن على إبراهيم واسمحق إلى قيام القيامة لأن البركة عبارة عن الدوام والثبات ثم قال تعالى ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين وفي ذلك تنبيه على أنه لا يلزم من كثرة فضائل الأب فضيلة الابن ثلاثا تصير هذه الشبهة سببا لمغاخرة اليهود ودخل تحت قوله محسن الأنبياء والمؤمنون وتحت قوله ظالم الكافر والفاسق والله اعلم * قوله تعالى (ولقد مننا على موسى وهرون وتجميعناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون أنا كذلك تجري المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) اعلم أن هذا هو القصة الثالثة من القصص المذكورة في هذه السورة واعلم أن وجوه الانعام وإن كانت كثيرة إلا أنها محصورة في نوعين إيصال المنافع اليه ودفع المضار عنه والله تعالى ذكر القسامين ههنا فقوله ولقد مننا على موسى وهرون إشارة إلى إيصال

على موسى وهرون) أي أبقينا فيهما بين الأمم الآخرين هذا الذكرا الجميل والثناء الجزيل (أنا كذلك) ﴿ المنافع ﴾ الجزء الكامل (نجري المحسنين) الذين هم من جلتهم لأجر أفاضل عنه (أنهما من عبادنا المؤمنين) سبق بيانه

(وان الياس لمن المرسلين) هو الياس بن ياسين من سبط هرون أخى موسى عليهم السلام بعث بعده وقبل ادريس لانه قرى مكانة ادريس وادراس وقرى ايليس وقرى الياس بخذف الهمزة (اذقال لقومه الاتقون) أى عذاب الله تعالى (أتدعون بعلا) أتعبدون وتطلبون الخير وأواسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد المعروف اليوم بعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعاً وله أربعة أوجه فتناوبه وعظموه حتى أخذوه **﴿ ١٦١ ﴾** وأربع مائة سادن وجعلوا وهم أنبياء فكان الشيطان يدخل

جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلفظة الذين أى أتعبدون ببعض البعول (وتذرون أحسن الخالقين) أى وتتركون عبادته وقد أشير الى المقضى الانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) بالنصب على البدلية من أحسن الخالقين وقرى بالرفع على الابتداء والنعرض لذكر ربوبيته تعالى لا بآبائهم تأكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار بطلان آراء آبائهم ايضا (فكذبوه فانهم) بسبب تكذيبهم ذلك (لمحضرون) أى العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقارئ على ان الاحضار المطلق مخصوص بالشرعفا (الاعباد الله المخلصين) استثناء من ضمير محضرون (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على آل ياسين) هولعة فى الياس كاستثناء فى سنيين وقبل هو جمع له أريد به هو وأتباعه كالمهلين والخبيثين وفيه أن العلم اذا جم يجب تعريفه كالمثاليين وقرى باضافة الالىاسين لانهما فى المصحف

المنافع اليهما وقوله ونجينا هما وقومهما من الكرب العظيم اشارة الى دفع المضار عنهما (أما القسم الاول) وهو وايصال المنافع فلا شك أن المنافع على قسمين منافع الدنيا ومنافع الدين أما منافع الدنيا فالوجود والحياة والعقل والتربية والصحة وتحصيل صفات الكمال فى ذات كل واحد منهما وأما منافع الدين فالعلم والطاعة وأعلى هذه الدرجات النبوة الرفيعة المقرونة بالمجرات الباهرة ولما ذكر الله تعالى هذه التفاصيل فى سائر السور لاجرم اكتفى ههنا بهذا الرمز (وأما القسم الثانى) وهو دفع الضرر فهو المراد من قوله ونجينا هما وقومهما من الكرب العظيم وفيه قولان قيل انه الفرق أغرق الله فرعون وقومه ونجى الله نبي اسرائيل وقبل المراد انه تعالى نجاهم من ايذاء فرعون حيث كان يذبح ابناهم ويستحي نساءهم واعلم انه تعالى لما ذكر انه من على موسى وهرون فصل أفسام تلك المنة والهناء فى قوله ونصرناهم أى نصرنا موسى وهرون وقومهما وكانوا هم الغالبين فى كل الاحوال بظهور المجرة فى آخر الامر بالدولة والرفعة (وثانيهما) قوله تعالى آتيناهما الكتاب المبين والمراد منه اثروا وهو الكتاب المشتق على جميع العلوم التى يحتاج اليها فى مصالح الدين والدنيا كما قال انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور (وثالثهما) قوله تعالى وهديناهما الصراط المستقيم أى دالناهما على طريق الحق عقلا وسعوا وأمدناهما بالتوفيق والعصمة وتشبيه الدلائل الحقة بالطريق المستقيم الواضح (ورابعهما) قوله تعالى وتركنا عليهما فى الآخرين وفيه قولان (الاول) ان المراد وتركنا عليهما فى الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قولهم سلام على موسى وهرون (والثانى) ان المراد وتركنا عليهما فى الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم اثناء الحسن والذكر الجبل وعلى هذا التقدير فقوله بعد ذلك سلام على موسى وهرون هو كلام الله تعالى ولما ذكر تعالى هذه الاقسام الاربع من أبواب التعظيم والتفضيل قال انا كذلك نجزي المحسنين وقد سبق تفسيره ثم قال تعالى انهما من عبادنا المؤمنين والمقصود التنبه على ان الفضلة الحاصلة بسبب الابيان أشرف وأعلى وأكمل من كل الفضائل ولولا ذلك لما حسن ختم فضائل موسى وهرون بكونهما من المؤمنين والله أعلم * قوله تعالى (وان الياس لمن المرسلين اذقال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الاعباد الله المخلصين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على آل ياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) اعلم أن هذه القصة الرابعة من القصص المذكورة فى هذه السورة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابن عامر وان الياس بغير همزة على وصل الالف والباقيون بالهمزة وقطع الالف قال أبو بكر بن مهران من ذكر عند الوصل الالف فقد أخطأ وكان اهل الشام يتكرونها ولا يعرفونها قال الواحدى وله وجهان (احدهما) انه حذف الهمزة من الياس حذفاً كما حذفها ابن كثير من قوله انها لاحدى الكبير وكقول الشاعر

مفصولان فيكون ياسين أبا الياس **﴿ ٢١ ﴾** سا (انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) مر تفسيره (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجينا) أى اذكر وقت نجيتنا اياه (وأهله أجمعين) العجوز فى القارين أى الباقيين فى العذاب أو الماضين الهالكين (ثم دمرنا الآخرين) فان فى ذلك شواهد على جليلة أمره وكونه من جملة المرسلين (وانكم) يا أهل مكة (لتمرون عليهم) على منازلهم فى مناجركم الى الشام وتشاهدون آثارهم فأنسذوم فى طريق الشام

(مضيقين) داخلين في الصباح (وبالليل) أي ومساء أو نهارا وليلا ولعلها وقت بقرب منزل يربها الرمحل عنه صباحا والعاصله مساء (أفلا تعقلون) أنشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم (وان يونس لمن المرسلين) وقرى يكسر النون (إذا بقی) أي هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن إطلاقه عليه (إلى الفلك المشحون) أي المملوء ﴿ ١٦٣ ﴾ (فساهم) فتأرع أهله (فكان من المدحضين) فصار

و يلها في هواء الجوطاية* والآخر أنه جعل الهزمة التي تصحب اللام للتعريف كقوله واليسع (المسئلة الثانية) في الياس قولان يروى عن ابن مسعود أنه قرأ وان ادريس وقال ان الياس هو ادريس وهذا قول عكرمة وأما أكثر المفسرين فهم متفقون على أنه نبي من أنبياء بني اسرائيل وهو الياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى عليهم السلام ثم قال تعالى اذ قال لقومه الاتقون والتقديرا ذكر يا محمد لقومك اذ قال لقومه الاتقون أي الاتخافون الله وقال الكلبي الاتخافون عبادة غير الله واعلم انه لما خوفهم أولا على سبيل الاجال ذكر ما هو السبب لذلك الخوف فقال أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين وفيه اباحت الاول في بعل قولان (أحد هما) انه اسم علم لصنم كان لهم كناية وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه وفتوايه وعظموه حتى عينو له أربع مائة سادن وجملوهم أنبياء وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة فيفسدونها ويعلمونها للناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام وباسميت مدبنتهم بعلبك واعلم أن قولهم بعل اسم لصنم من أسمائهم لياس به وأما قولهم ان الشيطان كان يدخل في جوف بعلبك ويتكلم بشريعة الضلالة فهذا مشكل لاننا نجزونا هذا كان ذات قادحا في كثير من المعجزات لأنه نقل في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم كلام الذئب معه وكلام الجمل معه وتبين الجدع له لوجوز ما أن يدخل الشيطان في جوف جسم ويتكلم فحينئذ يكون هذا الاحتمال قائما في الذئب والجمل والجدع وذلك يتدح في كون هذه الاشياء معجزات (والقول الثاني) أن البعل هو الرب بلغه اليقين يقال من بعل هذه الدار أي من ربها وتسمى الزوج بعلا وهذا المعنى قال تعالى وبعوثن أحق بردهن وقول تعالى وهذا بعل شيطان فلي هذا التقدير المعنى أن عبدون بعض البعول وتترك عبادة الله (البحث الثاني) المستزادة احتجوا بهذه الآية على كون العبد خائفا لا فعال نفسه فتأوا ولم يكن غير الله خائفا لما جازه صف الله بأنه أحسن الخالقين والكلام فيه قد تقدم في قوله تعالى وتبارك الله أحسن الخالقين (البحث الثالث) كان الملقب بالرشيد الكاتب يقول لو قيل أتدعون بعلا وتدعون أحسن الخالقين أو هم انه أحسن لانه كان قد تحصل فيه رعاية معنى التحسين وجوابه ان فصاحة القرآن ليست لأجل رعاية هذه التكليف بل لأجل قوة المعاني وجزالة الالفاظ واعلم انه لما عابهم على عبادة غير الله صرح بانو حيد ونفى الشركاء فقال الله ربكم ورب آبائكم الاولين وفيه مباحث (الاول) انا ذكرنا في هذا الكتاب أن حدوث الاشخاص البشرية كيف يدل على وجود الصانع المختار وكيف يدل على وحدته وبرأته عن الاضداد والانداد فلا فائدة في الاعادة (البحث الثاني) قرأ حرة والكسائي وحفص عن عاصم الله ربكم ورب آبائكم كلها بالثصب على البذل من قوله أحسن الخالقين والباقون بالرفع على الاستئناف والاول اختيار أبي حاتم وأبي عبيدة ونقل صاحب الكشاف أن حرة اذا وصل نصب واذا

من المغلوبين بالقرعة وأصله المرتلق عن مقام الظفر روى أنه عليه الصلاة والسلام لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا فيها عبد أبوق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنهم الأبق ورعى بنفسه في الماء (فالتقمه الخوت) فالتهمه من اللائمة (وهو ملهم) داخل في اللائمة أو أت بما يلام عليه أو ملهم نفسه وقرى ملهم بالفتح مبتدأ من ليم كشيء في مشوب (فلولانه كان من المسبحين) الذي كرى الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أو في بطن الخوت وهو قول الآله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من الصالحين فانه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصلاة في الرخاء (البث في بطنه الى يوم يبعثون) حيا وقيل ميتا وفيه حديث على اكثار الذكروته طيما شأنه ومن أقبل عليه في السراء أخذ بيده عند الضراء (فنبذناه بالمرأ) بأن حملنا الخوت على لفظه بالمكان الخالي عما يقطعه من شجر أو بنت روى

أن الخوت سار مع السفينة رافعا رأسه بنفسه في يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر ﴿ وقف ﴾ فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلوا وروى أن الخوت قد فده بساحل قرية من الموصل واختلف في مقدار لبثه فقيل أربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم أخرج من بطنه بعد الوقت الذي التهم فيه روى عطاء أنه حين ابتلعه أوحى الله تعالى الى الخوت اني جعلت بطنك له مجتارا ولم أجعله لك طعاما (وهو سقيم) مما ناله قيل صار بدنه كبدين

الطفل حين يولد (وانبتشاعه) أي فوقه مظلة عليه (شجرة من بقطين) وهو كل ما ينسبط على الأرض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقاش والخل وهو يميل من قطن بالمكان إذا أقام به والا كثرون على أنه الدباء غطت بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنك تحب القر قال أجل هي شجرة أخى يونس وقيل هي التين وقيل الموز تنطى بورقه واستظل بأغصانه وأفطر ﴿ ١٦٣ ﴾ على ثماره وقبل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف أريد في شرب

من لبنها (وأرسلناه إلى مائة ألف) هم قومه الذين هرب منهم وهم أهل نينوى والمراد به إرساله السابق أخبر أولاً أنه من المرسلين على الإطلاق ثم أخبر بأنه قد أرسل إلى أمة جمة وكانت توسيط تذكير وقت هربه إلى الفلك وما بعده ينتهجا لند كيرسيه وهو ما جرى بينه عليه الصلاة والسلام وبين قومه من إنذاره إياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت حلوله وتعالاهم وتعلمهم لايمانهم بظهور أماراته كما مر تفصيله في سورة يونس يعلم أن إيمانهم الذي سيحكى بعد لم يكن عقب الإرسال كما هو المتبادر من ترتيب الإيمان على بالقابل بعد الالتيا والتي وقيل هو إرسال آخر اليهم وقيل غيرهم وليس بظاهر (أوزيدوا) أي في مرأى الناظر فإنه إذا ذاب إليهم قال أنهم مائة ألفاً أوزيدوا والمراد هو أن وصف بالكثرة وقرئ بالواو (فأمنوا) أي بعد ما شاهدوا علا حلول العذاب إيماناً خالصاً (فغناهم) أي بالحياة الدنية (إلى حين) قدره الله سبحانه لهم قبل وأعل عدم ختمها

وقف رفع ولما حكى الله عنه أنه قرر مع قومه التوحيد قال فكذبوه فانهم لمحضرون أي لمحضرون انذاراً وقد ذكرنا الكلام فيه عند قوله لكنت من المحضرين ثم قال تعالى الاعباد الله المخلصين وذلك لأن قومه ما كذبوه بكليتهم بل كان فيهم من قبل ذلك التوحيد فلهذا قال تعالى الاعباد الله المخلصين يعني الذين أتوا بالتوحيد انخالص فانهم لمحضرون ثم قال وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين قرأ نافع وابن عامر يدعوب آل ياسين على إضافة نط إلى نطق ياسين والياقون بكسر الالف وجزم اللام موصولة بياسين أما القراءة الأولى مفيدة وأوجه (الأول) وهو الأقرب ما ذكرناه الياس بن ياسين فكان الياس آل ياسين (الثاني) آل ياسين آل محمد صلى الله عليه وسلم (والثالث) أن ياسين اسم القرآن كأنه قيل سلام الله على من آمن بكتاب الله الذي هو ياسين والوجه هو الأول لأنه أليق بسباق الكلام وأما القراءة الثانية ففيها وجوه (الأول) قال الزجاج يقال مكيال وميكال وميكالين فكنداهنا الياس والياسين (والثاني) قل القراءة هوجع وأراد به الياس وأتباعه من المؤمنين كقولهم المهلون والمعدون قال ﴿ أنا ابن سعيد أكرم السعدية ﴾ ثم قال تعالى أنا أنذرك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وقد سجد تسعاً وثلاثين مرة ﴿ فبالحق الذي المرسلين ان نجزيهم واهبه أجزيهم العجزاء في الغابر ثم دمرنا الآخرين وانكم لترون عليهم مصحين وبآليل أولاء تمقون ﴾ هذا هو القصة الخامسة وأنه تعالى يذكر هذه القصة ليعتبر بها مشركوا العرب فان الذين كفروا من قومه هلكوا والذين آمنوا نجوا وقد تقدم شرح هذه القصة وقد يههم بقوله تعالى وانكم لترون عليهم مصحين وبآليل وذلك لأن التوم كانوا يسافرون إلى الشام والمسافر في أكثر الأمر انما يعيش في الليل وفي أول النهار فلهذا السبب عين تعالى هذين الوقتين ثم قال تعالى أفلا تعقلون يعني أليس فيكم عقول تعتبرون بها والله أعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق إلى الفلك المشحون فسأهم فكان من المدحضين فأنقذه الموت وهو مليح فلولا أنه كان من المسبحين لآبث في بطنه إلى يوم يبعثون فشدناه بالغراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من بقطين وأرسلناه إلى مائة ألف أوزيدون فامتنوا فغناهم إلى حين) اعلم ان هذا هو القصة السادسة وهو آخر القصص المذكورة في هذه السورة وانما صارت هذه القصة خاتمة للقصص لاجل انه لما لم يصبر على أذى قومه وأبق إلى الفلك وقع في تلك الشدائد فصار هذا سبباً لتصبر النبي صلى الله عليه وسلم على أذى قومه أما قوله وان يونس لمن المرسلين اذ أبق إلى الفلك المشحون ففيه مسائل (المسئلة الأولى) قال صاحب الكشف قرئ يونس بضم النون وكسرها (المسئلة الثانية) دللت هذه الآية على أن هذه الواقعة انما وقعت ليونس عليه السلام بعد ان صار رسولا لأن قوله وان يونس لمن المرسلين اذ أبق إلى الفلك معناه انه كان من المرسلين حين ما أبق إلى الفلك ويمكن أن يقال انه جاء في كثير من الروايات انه أرسله ملك زمانه إلى أولئك القوم ليدعوهم

القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص للفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع وأولى العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة (فاستفتحهم) أمر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسوله صلى الله عليه وسلم بتبكيته قرئش وابطال مذهبيهم في انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين الفاطمة الناطقة بحقيقته لا محالفة في وقوفه وما سبقونه عند ذلك من قنوت العذاب واستثنى

منهم عبادة المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر انه قد فعل من قبلهم كثيرا لا يبين والله تعالى ارسل اليهم من قبله من قبله على وجه الاجمال ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا في كل قصة منها أنهم من عبادة تعالى واصفانهم تارة بالاخلاص وأخرى بالايان ثم امره عليه الصلاة والسلام ههنا بتبكيهم بطريق الاستفتاء عن وجه أمر متكرار خارج عن العقول بالكلية وهي القصة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاستعداد الزائف ﴿ ١٦٢ ﴾ حيث كانوا يقولون كبعض أجناس العرب

بجهينة وبنى سلة وخرافة وبنى مليح الملائكة بنات الله بالغاء لترتيب الامر على ما سبق من كون أولئك الرسل الذين هم اعلام الخلق عليهم الصلاة والسلام عبادة تعالى فان ذلك مما يؤيد كذا التبكيت و يظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة فيعلمون اننا انما ابطال أصل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك عاوا كبيرا ولم ينظمه في سلك التبكيت لشاركتهم النصاري في ذلك أي فاستخبرهم (أربك البنات) اللاتي هن وضع الجنسين ((واهم البنون)) الذين هم أرفسها فان ذلك مما لا يقول به من له أدنى شيء من العقل وقوله تعالى (أم خلقنا الملائكة أنا) اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا كما أشير اليه أي بل أخلقنا الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق وأبعدهم من صفات الاجسام ورفائل الطبايع انما وانا واثوثة من أخس صفات الحيوان

الى الله ثم أبقي وانتم الحوت فعند ذلك أرسله الله تعالى والحاصل أن قوله لمن المرسلين لا يدل على انه كان في ذلك الوقت مرسل من عند الله تعالى ويمكن أن يجاب بأنه سبحانه وتعالى ذكر هذا الوصف في معرض تعظيمه ولن يفيد هذه الفائدة الا اذا كان المراد من قوله لمن المرسلين انه من المرسلين عند الله تعالى (المسئلة الثالثة) أبقي من اباق العبد وهو هر به من سيده ثم اختلف المفسرون فقال بعضهم انه أبقي من الله تعالى وهذا بعيد لان ذلك لا يقال الا فيمن يتعمد مخالفة ربه وذلك لا يجوز على الانبياء واختلفوا فيما لاجله صار محطنا فقول لانه أمر بالخروج الى بني اسرائيل فلم يقبل ذلك التكليف وخرج مغاضبا به وهذا بعيد سواء أمره الله تعالى بذلك يوحي أو يأسان نبي آخر وقيل ان ذنبه انه ترك دعاء قومه ولم يصبر عليهم وهذا أيضا بعيد لان الله تعالى لما أمر بهذا العمل فلا يجوز أن يتركوا الا قرب فيه وجهان (الاول) ان ذنبه كان لان الله تعالى وعده انزال الاهلاك بقومه الذي كذبوه فظن انه نازل لاجل هذا الظن لم يصبر على دعائهم فكان الواجب عليه أن يستتر على الدعاء لجواز ان لا يهلكهم الله بالعذاب وان انزله وهذا هو الاقرب لانه اقدم على أمر ظهرت أماراته فلا يكون تعمد المعصية وان كان الاولى في مثل هذا الباب أن لا يعمل فيد بالظن ثم انكشف ايونس من بعد انه أخطأ في ذلك الظن لاجل انه ظهر الايمان منهم فعني قوله اذا بقي الى الفلك ماذا كرهناه (الوجه الثاني) أن يونس كان وعد قومه بالعذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج كالمستور عنهم فقصصا البحر وركب السفينة فذلك هو قوله اذا بقي الى الفلك وتام الكلام في مشكلات هذه الآية ذكرناه في قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه وقوله الى الفلك المشحون مفسر في سورة يونس والسفينة اذا كان فيها الحمل الكثير والناس يقال انها مشحونة ثم قال تعالى فساهم المساهمة هي المقارنة يقال أسهم القوم اذا اقتصروا قال المبرد وانما أخذ من السهام التي تجال للقرعة فكان من المدحضين أي المغلوبين يقال أدحض الله حجة فدخلت أي ازالها فزالت وأصل الكلمة من الدحض الذي هو الزلق يقال دحضت رجل البعير اذا زلقت وذكر ابن عباس في قصة يونس عليه السلام انه كان يسكن مع قومه فلسطين فغراههم ملك وسبي منهم تسعة اسباط ونصفاو بنى سبطان ونصف وكان الله تعالى أوحى الى بني اسرائيل اذا اسركم عدوكم أو أصابتكم مصيبة فادعوني أستجب لكم فلما نسوا ذلك وأسروا أوحى الله تعالى بعد حين الى نبي من أنبيائهم أن اذهب الى ملك هؤلاء الاقوام وقل له حتى يبعث الى بني اسرائيل نبيا فاختار يونس عليه السلام لقوته وأمانته قال يونس الله أمرك بهذا قال لا ولكن أمرت أن أبعث قويا أميناً وانت كذلك فقال يونس وفي بني اسرائيل من هو أقوى مني فلم لا تبعثه فالج الملك عليه فغضب يونس منه وخرج حتى أتى بحر الروم ووجد سفينة مشحونة فحملوه فيها فلما دخلت لجة البحر أشرفت على الفرق فقال الملاحون ان فيكم حاصيا والام يحصل في السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر وقال البحار قد جربنا

وقوله تعالى (وهم شاهدون) استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى أشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما أشهدتهم خلق ﴿ مثل ﴾ السموات والارض ولا خلق أنفسهم فان أمثال هذه الامور لا تعلم الا بالشهادة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد أن يكون القائل بأنوثتهم شاهدا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا أي بل أخلقناهم انما والخال انهم حاضرون حيثئذ أو عطف على خلقنا أي بل أهم شاهدون

وقوله تعالى (ألا أنهم من أفكهم ليقولون ولد الله) استثناف من جهته غير داخل تحت الامر بالاستغناء مسوق لا بطلان اصل مذهبهم الفاسد ببيان أن مناه ليس الا افك الصريح والافتراء القبيح من غير أن يكون لهم دليل أو شبهة قطعا) وانهم لكاذبون) في قولهم ذلك كذبنا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على أنه خبر مبتدأ محذوف أي الملائكة ولده تعالى عن ذلك علوا كبيرا فان الولد فعل بمعنى مفعول ﴿١٦٥﴾ يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (أصطفى البنات على البنين)

اثبات لأفكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لامر بين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء أخذ صفوة الشيء لنفسه وقرئ يكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرآن عليه وجهه بدلا من ولد الله ضيق وتقدير القول أي لكاذبون في قولهم اصطفا الخ تسعف بعد (مالككم كيف تحكمون) بهذا الحكم الذي يقضي بطلانه بديهة العقل (أفلا تذكرون) بحذف إحدى التاني من تذكرون وقرئ تذكرون من ذكروا الفاء لا عطف على مقدر أي ألا لا حظون ذلك فلا تذكرون بطلانه فانه مركز في عقل كل ذكي وغبي (أم لكم سلطان مبين) اضطراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر إلى تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود أصلا أي بل أنكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته تعالى ضرورة أن الحكم بذلك لا بد له من

مثل هذا فاذا رأينا نفترع في خرج سهمه نفرفه فلأن يعرق واحد خبر من عرق الكل فخرج سهم يونس فقال الجمار نحن أولى بالمعصية من نبي الله ثم عادوا ثانيا وثالثا يقرعون فخرج سهم يونس فقال ياهؤلاء أنا العاصي وتلقف في كساء ورعى بنفسه فابتلعه السمكة فأوحى الله تعالى إلى الحوت أن تكسر منه عظما ولا تقطع له وصلا ثم إن السمكة أخرجه إلى نيل مصر ثم إلى بحر فارس ثم إلى بحر الطابخ ثم دجلة فصعدت به ورمته أرض نصيبين بالعراق وهو كالفراخ المنتوف لاشعر ولا لحم فأبنت الله عليه شجرة من يقطين فكان يستظل بها أو يأكل من ثمرها حتى تشدد ثم إن الأرضة أكلتها فخرجت من أصلها فخرج يونس لذلك حزنا شديدا فقال يا رب كنت أستظل تحت هذه الشجرة من الشمس والريح وأمن من ثمرها وقد سقطت فقبل له يا يونس تحزن على شجرة أبنت في ساعة واقتلعت في ساعة ولا تحزن على مائة ألف أو يزيدون تركتهم انطلق اليهم فانطلق اليهم والله اعلم بحقيقة الواقعة ثم قال تعالى فاتقوا الحوت وهو مليح يقال التقمه والتهمه والكل بمعنى واحد وقوله تعالى وهو مليح يقال ألام اذا أتى بما يلام عليه فالملح المستحق للوم الآتي بما يلام عليه ثم قال تعالى فلولانه كان من المسيحين لابت في بطنه إلى يوم يبعثون وفي تفسير كونه من المسيحين قولان (الاول) أن المراد منه ما حكى الله تعالى عنه في آية أخرى أنه كان يقول في تلك الظلمات لا اله الا أنت سبحانك أي كنت من الظالمين (الثاني) أنه لولانه كان قبل أن تقوم الحوت من المسيحين يعني المصلين وكان في أكثر الاوقات مواظبا على ذكر الله وطاعة الله في بطن ذلك الحوت وكان بطنه قبرا إلى يوم البعث قال بعضهم اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة فان يونس عليه السلام كان عبدا صالحا اذ أكره الله تعالى فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى فلولانه كان من المسيحين لابت في بطنه إلى يوم يبعثون وان فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا فلما أدركه العرق قال أدنت انه لا اله الا الذي آمننت به ينزل اسرائيل قال الله تعالى الآن وقد عصيت قبل واخلفوا في انه لم يلبث في بطن الحوت ولم يلفظ القرآن لا يدل عليه قال الحسن لم يلبث الا قليلا وأخرج من بطنه بعد الوقت الذي التقمه وعن مقاتل بن حيان ثلاثة أيام وعن عطاء سبعة أيام وعن الضحاك عشرين يوما وقبل شهر أو لا أدري بأي دليل عينوا هذه المقادير وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سمع يونس في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبحه فقالوا ربنا اننا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة فقال ذاك عبد يونس عصاني فحبست في بطن الحوت في البحر فقلوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وائله عمل صالح قال نعم فشفعوا له فأمر الحوت فقتله في الساحل فذاك هو قوله فنبذناه بالعراء وفيه مباحث (الاول) العراء المكان الخالي قال أبو عبيدة انما قيل له العراء لانه لا شجر فيه ولا شيء يعطيه (الثاني) انه تعالى قال فنبذناه بالعراء وأضاف ذلك النبذ إلى نفسه والنبذ انما حصل بفعل الحوت وهذا يدل على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى ثم قال تعالى وهو سقيم قيل المراد انه بلي لحد

سند حسى أو عقلى وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي (فأتوا بكتابكم) التاطق بصحة دعواكم (ان كنتم صادقين) فيها وفي هذه الآيات من الانبياء عن المسخط العظيم والانكار الفظيع لا فاوليهم والاستبعاد الشديد لا باطليلهم وتسفيه أحلامهم وتركيت عقولهم

وأفهامهم مع استهزائهم وتعجب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا)
 التفات إلى الغيبة لا يذنب بانقطاعهم عن الجواب سقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم أن يعرض عنهم وتحكي
 جنائياتهم لا تخبرهم والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من حيث من الجن ومنهم من كان شرا كله فهو شيطان ومن
 طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عسير عنهم بذلك الاسم ١٦٦ وضعاء منهم وتقصيرابهم مع عظم شأنهم

فما بين الخلق أن يبلغوا منزلة
 المناسبة التي أضافوها إليهم
 فجعلهم هذا عبارة عن قولهم
 الملائكة بنات الله وانما
 أعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه
 من قوله تعالى (ولقد علمت
 الجنة أنهم لمحضرون) أي
 وباللغة قد علمت الجنة التي
 عظموها بأن جعلوا بينه
 تعالى ونسبواهم الملائكة أن
 الكفرة لمحضرون النار
 معذبون بها فكذبهم
 واقترائهم في قولهم ذلك
 والمراد به المباشرة في التكذيب
 ببيان أن الذين يدعى هؤلاء
 لهم تلك النسبة ويعلمون
 أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال
 يكذبونهم في ذلك ويحكمون
 بأنهم معذبون لاجله حكما
 مؤكدا وقيل إن قوما من
 الزنادقة يقولون الله تعالى
 وإبليس أخوان فالله هو الخير
 الكريم وإبليس هو الشرير
 اللئيم وهو المراد بقوله تعالى
 وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
 قال الامام الرازي وهذا
 القول عندى اقرب الاقوال
 وهو مذهب المجوس القائمين
 بيزدان واهرمن وقال مجاهد
 قالت قرىش الملائكة بنات الله

وصار ضعيفا كالطفل المولود كالفرخ الممعط الذي ليس عليه ريش وقال مجاهد سقيم أي
 سلب ثم قال تعالى وابتدأ عليه شجرة من يقطين ظاهر اللفظ يدل على أن الحوت لما نبذ في
 العراء قاله تعالى أنبت عليه شجرة من يقطين وذلك المجعولة قال المبرد والزجاج كل شجر
 لا يقوم على ساق وانما يتدعى وجه الأرض فهو يقطين نحو الدباء والحنظل والبطيخ قال
 الزجاج أحسب اشتقاقها من قطن بالمكان إذا أقام به وهذا الشجر ورقه كله على وجه
 الأرض فلذلك قبله اليقطين روى القراء انه قين عند ابن عباس هو ورق القرع وقال
 ومن جعل القرع من بين الشجر يقطينا كل ورقة انسعت وسترته فهي يقطين قال
 الواحدي رجه الله والآية تقتضي شيئين لابد كرهما المفسرون (أحدهما) أن هذا
 اليقطين لم يكن قبل فأنبته الله لاجله (والآخر) أن اليقطين معروشا ليحصل له ظل لانه
 أو كان منسبطا على الأرض لم يكن أن يستظل به ثم قال تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف
 أو يزيدون وفيه مباحث (الأولى) يحتمل أن يكون المراد وأرسلناه إلى أن ياتقعه الحوت
 وعلى هذا الإرسال وإن ذكر بعد الالتفات المراد به التقسيم والواو معناها الجمع ويحتمل
 أن يكون المراد به الإرسال بعد الالتفات عن ابن عباس رضى الله عنه ما اتفقوا على أنه قال كانت
 رسالة يونس عليه السلام بعد ما نبذ الحوت وعلى هذا التفسير يجوز أن يكون أرسل إلى
 قوم آخرين سوى القوم الأول ويجوز أن يكون أرسل إلى الأولين تأسيسا بشرية فأمروا
 به (البحث الثاني) ظاهر قوله أو يزيدون يوجب الشك وذلك على الله تعالى محال ونظيره
 قوله تعالى عذرا أو نذرا وقوله تعالى اعلمه يتذكر أو يخشى وقوله تعالى اعلمهم يتقون
 أو يحدث لهم ذكر أو قوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمع البصر أو هو أقرب وقوله تعالى
 فكان قلب قوسين أو أدنى وأجابوا عنه من وجوه كثيرة والأصح منها وجه واحد وهو أن
 يكون المعنى أو يزيدون في تقديركم بمعنى أنهم إذا رأهم الرائي قال هؤلاء مائة ألف
 أو يزيدون على المائة وهذا هو الجواب عن كل ما يشبه هذا ثم قال تعالى فأتوا فاعتصموا
 إلى حين والمعنى أن أولئك الاقوام لما آمنوا أزال الله الخوف عنهم وآمنهم من العذاب
 ومنعهم الله إلى حين أي إلى الوقت الذي جعله الله أجلا لكل واحد منهم * قوله تعالى
 (فاستفتحهم أربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا أنهم من
 افكهم لقوا ون وابد الله وانهم الكاذبون أصطلى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون
 أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة
 نسبا ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون سبحانه الله عما يصفون الاعباد الله المخلصين) وفيه
 مسائل (المسئلة الأولى) اعلم انه تعالى لما ذكر أفاضل الانبياء عليهم السلام عاد إلى
 شرح مذاهب المشركين وبيان قبحها وسخاقتها ومن جملة أقوالهم الباطلة أنهم أثبتوا
 الاولاد لله سبحانه وتعالى ثم زعموا انها من جنس الاناث لا من جنس الذكور وقال
 فاستفتحهم أربك البنات ولهم البنون وهذا معطوف على قوله في أول السورة فاستفتحهم أهم

فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فن أمهاتهم تبكى عليهم فقالوا سروات الجن وقبل معنى جعلوا بينه * اشد
 وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث أشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الأقوال يل يجوز أن

يكون الضمير في انهم لمحضرون الجنة فالله تعالى قد علمت الشياطين أن الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسيين له تعالى أو شركاء في استحقاق العبادات لما عذبهم والوجه هو الاول فان قوله (سبحان الله عما يصفون) حكاية لتعزبه الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى (الاعباد الله المخلصين) شهادة * ١٦٧ * منهم ببراءة المخلصين من أن يصفوه تعالى بذلك متضمنة

لتبرئهم منه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين على ابلغ وجه وأكده على أنه استثناء منقطع من واو يصفون كأنه قيل ولقد علمت الملائكة أن المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برآء من ذلك الوصف وقوله تعالى (فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين) تعليل وتحقيق براءة المخلصين بما ذكره بيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والاتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضامين الكلام وما تعدد عبارته عن الشياطين الذين اغوواهم وفيه ايذان بتبرئهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وأنتم خطاب لهم ولمعبوديهم تعليلها وعلى متعلقة بفاتنين يقال فتى فلان على فلان امرأته أى أفسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكما أيما المشركون استم بفاتنين عليه تعالى يافساد عبادهم واضلالهم (الامن هو صال الجليم) منهم أى داخلها اعلمه تعالى بأنه

أشد خلقاً من خلقنا وذلك لأنه تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث أولاً ثم ساق الكلام موصولاً بعرضه من أن أمره بأن يستفتيهم في انهم لم يؤذوا الله سبحانه البتات ولا أنفسهم البتات ونقل الواحدى عن المفسرين انهم قالوا ان قريشا واجناس العرب جهينة وبنى سلة وخزاعة وبنى مليح قالوا الملائكة بنات الله واعلم أن هذا الكلام يستل على أمرين (أحدهما) اثبات البتات لله وذلك باطل لأن العرب كانوا يستذكرون من البت والشئ الذى يستكشف المخاوف منه كيف يمكن اثباته للمخاف (والثاني) اثبات ان الملائكة اثبات وهذا أيضاً باطل لأن طريق العلم اما الحس واما الخبر واما النظر اما الحس ففقود ههنا لانهم ما شهدوا كيفية تخلق الله الملائكة وهو المراد من قوله أم خلقنا الملائكة انا وهم شاهدون واما الخبر ففقود ايضا لان الخبر انما يفيد العلم اذا علم كونه صدقاً قطعاً وهو الذى الذين يخبرون عن هذا الحكم كذابون أفاكون أم يدل على صدقهم لادلالة ولا أماره وهو المراد من قوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم يكافون * واما النظر ففقود وبيان من وجهين (الاول) أن دليل النقل يقتضى فساد هذا المذهب لأن الله تعالى أكل الموجودات والاكل لا يليق به اصطفاً لاخص وهو المراد من قوله أصطفى البتات على البتات ما أنكم كيف تحكمون يعنى اسناد الفضل الى الفضل أقرب عند العقل من اسناد الاخس الى الافضل فان كان حاتم العقل معتبراً في هذا الباب كل قولكم باطلاً (والوجه الثاني) أن ترك الاستدلال على فساد مذهبهم بل تطالبهم بالبيات الدال على صحة مذهبهم فاذالم يجدوا ذلك الدليل فعنده يظهر انه لم يوجد ما يدل على صحة قولهم وهذا هو المراد من قوله أم أنكم سادسان مبيناً وتوايكا بكم ان كنتم صادقين فثبت بما ذكرنا ان القول الذى ذهبوا اليه لم يدل على صحته لا الحس ولا الخبر ولا انهم مكاب المصير اليه باطلاً قطعاً واعلم انه تعالى لما طالبهم بما يدل على صحة مذهبهم دل ذلك على ان التقليد باطل وان الدين لا يصح الا بالدليل (المسئلة الثانية) قوله أصطفى البتات على البتات قراءة العامة بفتح الهجزة وقصدها من أصطفى ثم يحذف ألف الوصل وهو استفهام توبيخ وتقرىع كقوله تعالى أم اتخذ مما يخلق بنات وقوله تعالى أم له البتات وكنتم البتات وقوله تعالى أنكم الذكر وله الانثى وكما ان هذه المواضع كلها استفهام فكذلك في هذه الآية وقراً نافع في بعض الروايات لكاذبون اصطفى بغير استفهام واذا ابتداء كسر الهجزة على وجه الخبر والتقدير اصطفى البتات في زعمهم كقوله ذق انك أنت العزى الذكر بم في زعمه واعتقاده ثم قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا واختلفوا في المراد بالجنة على وجوه (الاول) قال مقاتل أثبتوا نسباً بين الله تعالى وبين الملائكة حين زعموا انهم بنات الله وعلى هذا القول فالجنة هم الملائكة سمو جنة لاجتنانهم عن الابصار أو لانهم خزان الجنة وأقول هذا القول عندى مشكل لأنه تعالى أبطل قولهم الملائكة بنات الله ثم عطف عليه قوله وجعلوا بينه

يصبر على الكفر بسوء اختياره و يصير من أهل النار لا محالة وأما المخلصون منهم فأنتم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لاجرم برآء من أن يفتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ صال يضم اللام على أنه جمع محمول على معنى من قد

سقط واوه لالتفاء الساكنين وقوله تعالى (واما الله مقام معلوم) تبين جليلة امرهم وتعيين خيزهم في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا ونزبه الله تعالى عن ذلك وتبينة المخلصين عنه واظهار تصور شائهم وقائهم أي واما الله مقام معلوم في العباداة والانتفاء الى امر الله تعالى مقصور عليه لا يتجاوز ولا يستطيع أن يزل عنه خضوعا لعلفته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله ١٦٨ كآروى فنههم رآكع لا يقيم صلبه وساجد

لا يرفع رأسه قال ابن عباس رضي الله عنهما ما في السموات موضع شبرا الا وعليه ملك يصلي أو يسبح وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال أظنت السماء وحق لها أن تنط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى وقال السدي الاله مقام معلوم في القرية والمشاهدة (وانا نحن الصافون) في مواقف الصالحة ومواطن الخدمة (وانا نحن المسبحون) المقدسون لله سبحانه عن كل ما لا يليق بحجاب كبريائه وتحليه كلامهم بفنونه التاكيد لارازان صدورهم عنهم بكمال الرغبة والنشاط هذا هو الذي تقتضيه جزاءاته التبريل وقد ذكر في تفسير الآيات الكريمة واعرابها وجوهر آخر فتأمل والله الموفق (وان كانوا يقولون) ان هي الخففة من الثقلة وضخيم الشأن مخدوف واللام هي الفارقة أي ان الشأن كانت فريش تقول (لو ان عندنا ذكر اكرام الاولين) أي كتابا من كتب الاولين من التوراة والانجيل (لكننا صابدا الله المخلصين) أي

و بين الجنة نسيبا والعطف يقتضي كون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه فوجب أن يكون المراد من هذه الآية غير ما تقدم (الثاني) قال مجاهد قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق فن أمهاتهم قالوا سروات الجن وهذا أيضا عندي بعيد لان المصاهرة لا تسمى نسيبا (والثالث) روي في تفسير قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن ان قوما من الزنادقة يقولون الله وابليس اخوان قاله الحسير الكريم وابليس هو الاخ الشرير الحسيس فقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسيبا المراد منه هذا المذهب وعندى ان هذا القول اقرب الاقوال وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان وهو من ثم قال تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون أي قد علمت الجنة ان الذين قالوا هذا القول محضرون النار وبعذبون وقيل المراد ولقد علمت الجنة انهم سيحضرون في العذاب فبلى القول الاول الضمير مائد الى قائل هذا القول وعلى القول الثاني مائد الى الجنة أنفسهم ثم انه تعالى نزه نفسه عما قالوا من الكذب فقال سبحانه الله عما يصفون الاهداء الله المخلصين وفي هذا الاستثناء وجوه قيل استثناء من المحضرين يعني انهم ناجون وقيل هو استثناء من قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسيبا وقيل هو استثناء منقطع من المحضرين ومعناه وان كان المخلصين برآء من أن يصفوه بذلك والمخلص بكسر اللام من أخلص العباداة والاعتقاد لله ويفتحها من أخلصه الله بلطفه والله أعلم * قوله تعالى فانكم مانتعبدون ما أنتم عنه بغائتين الا من هو صال الحميم واما الله مقام معلوم وانا نحن الصافون وانا نحن المسبحون وان كانوا يقولون لو ان عندنا ذكر اكرام الاولين لكننا صابدا الله المخلصين فكفر وابه فسوف يعلمون) فيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر الدلائل على فساد مذهب الكفار اتبعه بماتبه به على ان هؤلاء الكفار لا يقدرين على حل أحد على الضلال الا اذا كان قد سبق حكم الله في حقه بالعذاب والوقوع في النار وذكر صاحب الكشاف في قوله فانكم مانتعبدون ما أنتم عليه بغائتين قولين (الاول) الضمير في عليه لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبودكم ما أنتم وهم جميعا بغائتين على الله الأصحاب النار الذين سبق في علم الله كونهم من أهل النار فان قيل كيف يفتنونهم على الله قلنا يفتنونهم عليه باغوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه (والوجه الثاني) أن تكون الواو في قوله ومانتعبدون بمعنى مع كما في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته فكذلك جاز أن يسكت على قوله فانكم مانتعبدون لان قوله ومانتعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع مانتعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم أي فانكم قرناؤهم وأصحابهم لان ترك كون عبادتها ثم قال تعالى ما أنتم عليه أي على مانتعبدون بغائتين باعشين أو حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من هو صال الحميم مثلكم وقرأ الحسن صال الحميم بضم اللام ووجه أن يكون جمعا وسقوط واوه لالتفاء الساكنين فان قيل كيف يستقيم الجمع مع قوله من هو قلنا من موحد اللفظ بجمع المعنى

لا خلاصنا العباداة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كفولهم لئن جاءنا نذير لنكونن أهدي من احدى * فحمل الامم والفاء في قوله تعالى (فكفروا به) فصيحة كما في قوله تعالى أن اضرب بعصاك البحر فانطلق أي فجاءهم ذكر وأى ذكر سيد الاذكار وكتاب مبين على سائر الكتب والاسفار فكفروا به (فسوف يعلمون) أي طافية كفرهم وغائلته

(ولقد سبقت كلتنا العبادنا المرسلين) استئناف مقرر للوحي وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه أي وبالله لتدقيق وعدنا لهم بالنصرة والقلبة وهو قوله تعالى (إنهم لهم المنصورون وإن جندنا) وهم أتباع المرسلين (لهم الفالون) على أعدائهم في الدنيا والآخرة ولا يقدح في ذلك أنهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة أمرهم وأساسه الظفر والنصرة وإن وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب ﴿١٦٩﴾ وعصا ابن عباس رضي الله عنهما إن لم ينصروا في الدنيا انصروا

في الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حققت وتسميتها كلمة مع أنها كلمات لاتظامها في معنى واحد وقرئ كلماتنا (فتول عنهم) فاعرض عنهم واصبر (حتى حين) إلى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح (وأبصرهم) على أسوأ حال وأقطع نكال حل بهم من القتل والأسر والمراد بالامر بأبصارهم الأبدان بغاية قربها كأنه بين يديه (فسوف يبصرون) ما يقع حينئذ من الأمور وسوف الوعيد دون التعبد (أدبنا) يستجلبون (روى أنه أنزل فسوف يبصرون) قالوا متى هذا فنزل (فأنزل بساحتهم) أي فأنزل العذاب الموعود بفنائهم كأنه جيش قد هجمهم فأناخ بفنائهم بغنة فشن عليهم الفارة وقطع دابرهم بالمرّة وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على استناده إلى الجار والمجرور وقرئ نزل مبيدًا للفقول من التزليل أي نزل العذاب (فساء صباح المنذرين) فبئس صباح

فحمل هو على لفظه والصالون على معناه (المسئلة الثانية) احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه لا تأثير لاغواء الشيطان ووسوسته وإنما المؤثر قضاء الله تعالى وتقديره لأن قوله تعالى فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بغايتين تصریح بأنه لا تأثير لقولهم ولا تأثير لأحوال معبوديهم في وقوع الفتنة والضلال وفوقه تعالى الأمن هو صال الجحيم يعني الأمن كان كذلك في حكم الله وتقديره وذلك تصریح بأن المقاضى لوقوع هذه الحوادث حكم الله تعالى وكان عمر بن عبد العزيز ينجح بهذه الآية في إثبات هذا المطلوب قال الجبائي المراد أن الذين عبدوا الملائكة يزعمون أنهم بنات الله لا يكفرون أحدا الأمن ثبت في معلوم الله أنه سيكفر قتل هذا على أن من ضل بداهة الشيطان لم يكن أيّ من بالله لو منع الله الشيطان من دعائه والا كان يمنع الشيطان فصيح بهذا أن كل من عصي لم يكن ليصلح عنه شيء من الأفعال والجواب حاصل هذا الكلام أنه لا تأثير لاغواء شياطين الأنس والجن وهذا النزاع فيه إلا أن وجه الاستدلال أنه تعالى بين أنه لا تأثير لكلامهم في وقوع الفتنة ثم استثنى عنه ما في قوله تعالى الأمن هو صال الجحيم فوجب أن يكون المراد من وقوع الفتنة هو كونه محكومًا عليه بأنه صال الجحيم وذلك تصریح بأن حكم الله بالسعادة والنقاوة هو الذي يؤثر في حصول السقاوة وأسعادة واعلم أن أصحابنا قرروا هذه الحجة بالحديث المشهور وهو أنه حج آدم موسى قال القاضي هذا الحديث لم يقبله علماء التوحيد لأنه يوجد أن لا يلام أحد على شيء من الذنوب لأنه إن كان آدم لا يجوز لوسى أن يلوم على عن كتبه الله عليه قبل أن يخلق فكل ذلك مذهب فان صحت هذه الحجة لآدم عليه السلام فلماذا قال موسى عليه السلام في الوكزة هذا من عمل الشيطان أنه عدو مضل مبين ولماذا قال فلن أكون ظهيرًا للعبرمين ولماذا لام فرعون وجنوده على أمر كتبه الله عليهم ومن عجيب أمرهم أنهم يكفرون القدرة وهذا الحديث يوجب أن آدم كان قد ربا فلزمهم أن يكفروه وكيف يجوز مع قول آدم وجواء عليه ما السلام بنظلمنا أنفسنا وأولم تغفر لنا وترحمنا نكون من الخاسرين أن يخرج على موسى بأنه لا لوم عليه وقد كتب عليه ذلك قبل أن يخلقه هذا جلة كلام القاضي فيقال له هب أنك لا تقبل ذلك الخبر فهل ترد هذه الآية أم لا فأنابنا أن صريح هذه الآية يدل على أنه لا تأثير للوسوس في هذا الباب فان الكل يحصل بحكمة الله تعالى والذي يدل عليه وجوه (الاول) أن الكافر ان ضل بسبب وسوسة الشيطان فضلال الشيطان إن كان بسبب شيطان آخر لم تسلسل الشياطين وهو محال واراتهي إلى ضلال لم يحصل بسبب وسوسة مقدمة فهو المطلوب (الثاني) أن كل أحد يريد أن يحصل لنفسه الاعتقاد الحق والدين الصدق فحصول ضده يدل على أن ذلك ليس منه (الثالث) أن الأفعال موقوفة على الدواعي وحصول الدواعي بتخلق الله فيكون الكل من الله تعالى (الرابع) أنه تعالى لما اقتضت حكمته شيئًا وعلم وقوعه فلولم يقع ذلك الشيء لم انقلاب ذلك الحكم كذا وانقلاب ذلك العلم جهلا

المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح ﴿٢٢﴾ سا مستعار من صباح الجيش المبين لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الفارة في الصباح سموها صباحا وإن وقعت ليلاروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى خيبر وكانوا خارجين إلى منازعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والحبيس ورجعوا إلى حصنهم فقال عليه الصلاة والسلام الله أكبر خربت خيبر أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف

بصرون) تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلياً وتأكيده لوقوع المعاوضة تأكيده مع ما في اطلاق الفعلين من
 لمفعول من الايدان بان ما يصره عليه الصلاة والسلام حيث من قنون المسار وما يصره من انواع المضار لا يحيط به
 الوصف والبيان وقيل اريد بذل عذاب الدنيا والثاني عذاب الآخرة (سبحار ربك رب العزة عما يصفون) تنزيهه لله سبحانه
 عن كل ما يصفه المشركون به الا لما في الحساب ﴿ ١٧٠ ﴾ كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة وما لم يذكر من الامور

وهو محال واما الآيات التي تمسك بها القاضى فهي معارضة بالآيات الدالة على ان الكل
 من الله والقرآن كالحجر المملوء من مثل هذه الآيات فتبقى الدلائل العقلية التي ذكرناها سليمة
 والله اعلم ثم قال تعالى وما منا الا له مقام معلوم فالجهور على أنهم الملائكة وصفوا
 أنفسهم بالمباعدة في العبودية فانهم يصطفون للصلاة والتسبيح والغرض منه التنبيه على
 فساد قول من يقول انهم اولاد الله وذلك لان مباغتهم في العبودية تدل على اعراضهم
 بالعبودية واعلم ان هذه الآية تدل على ثلاثة انواع من صفات الملائكة (فاولها) قوله
 تعالى وما منا الا له مقام معلوم وهذا يدل على ان لكل واحد منهم مرتبة لا يتجاوزها
 ودرجة لا يتعدى عنها تلك الدرجات اشارة الى درجاتهم في العصور في اجسام هذا
 العالم والى درجاتهم في معرفة الله تعالى اما درجاتهم في التصرفات والافعال فهي قوله
 وانا الحسن الصافون والمراد كونهم صافين في اداء الصلوات ومنازل الخدمة والعبودية
 واما درجاتهم في العارف فهي ما تعالى وانا الحسن المسبحون والتسبيح تنزيه الله عما
 لا يليق به واعلم ان قوله وانا الحسن الصافون وانا الحسن المسبحون بقيد الحصر ومعناه انهم
 هم الصافون في مواقف العبودية وغيرهم وانهم هم المسبحون لا غيرهم وذلك يدل على ان
 طاعات الشجرة سائرهم بالنسبة الى طاعات الملائكة والى معارفهم كالاسم حتى يصح
 هذا الحصر وبالجملة فهذا اللفظ الثلاثة تدل على استمرار عجيبة من صفات الملائكة
 فكيف يجوز هذا الحصر ان يقال البشر اقرب درجته من الملك فضلا عن ان يقال
 هل عوا افضل منهم ام لا اما ولدوا ان كانوا ليتولوا وان عندنا ذكر من الاولين لكن اعتبار
 الله المخلصين فانه ان مشركي فرس وغيرهم كانوا يقولون لو ان عندنا ذكر اى كتابا من
 كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لا نخلصنا المباداة لله ولا كذبنا كما
 كنوا ثم جاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتابات المهيمن على كل الكتب وهو
 القرآن فكفروا به ونظير هذه الآية قوله تعالى فلما جاءهم نذرنا زادهم اتغورا ثم قال
 تعالى فسوف يعلمون اى سوف يعلمون عاقبة هذا الكفر والكذب * قوله تعالى (ولقد
 سبقت كلنا اعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى
 حين وابصرهم فسوف يبصرون اذ هذا بنا يستجيبون فاذا نزل بسا حتمهم فساء صباح
 المذربين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون سبحانه ربك رب العزة عما يصفون
 وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) اعلم انه تعالى لما هدد الكفار بقوله تعالى
 فسوف يعلمون عاقبة كفرهم اردفه بما يقوى قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال ولقد
 سبقت كلنا اعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فبين ان وعده
 بنصرته قد تقدم والدليل عليه قوله تعالى سكنت الله لاغلين انا ورسلي وايضا ان
 الخير مقضى بالذات والشر مقضى بالعرض وما بالذات اقوى مما بالعرض واما النصرة
 والغلبة فقد تكون بقوة الحجة وقد تكون بالدولة والاستيلاء وقد تكون بالدم والسيوف

التي من جعلتها ترك انجاز
 وعود على رجب كلمة السابقة
 لاسما في حق رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كما ينبغي عنه
 الترض لعنوان الربوبية
 المعربة عن الترية والتكميل
 والمالكية الكلية مع الاضافة
 الى ضميره عليه الصلاة والسلام
 اولوا الى العزة لا يابا كانه قبل
 سبحانه من هو مربك ومكمل
 وما لك العزة والعظمة على الاطلاق
 طلاق عما يصفه المشركون به
 من الاشياء اى ما يترك نصرتك
 عليهم كما يدل عليه استعمالهم
 بالعذاب وقوله تعالى (سلام
 على الراسين) تشریف لهم
 عليهم السلام بمدتهم بها
 تعاف عما ذكر وتو به بنسبتهم
 وايدان انهم سادون عن كل
 المكاره فانهم جميع لما رب
 وقوله تعالى (الحمد لله رب
 العالمين) اشارة الى عظمته
 وجل بصفاته الكريمة الثبوتية
 بعد التنبيه على انصافه تعالى
 بجميع صفاته السلبية وايدان
 باستتباعها للافعال الجميلة
 التي من جعلتها فاضته عليهم
 من قنون الذكرات السنية
 والكمالات الدينية والدينية
 واسباغهم وعلي من تبعهم

من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة للحمد تعالى واشعار بان ما وعده عليه الصلاة والسلام من النصرة ﴿ فالؤمن ﴾
 والخلة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رساله الذين هم وسائط بينهم وبينه
 هو زولا في فيضان الكمالات الدينية والدينية عليهم ولعل توسط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده نظم
 السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار

بأن توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد * عن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتب بالملك الالوف من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين * وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الصافات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جن وشيطان وتباعدت عنه الشياطين و يرى من انشرك وشركه ١٧١ * حافظه يوم يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالرسولين * (سورة ص مكية وآياتهاست

او ثمان وتسعون آية) *

* (سم الله الرحمن الرحيم) *

(ص) يا سكران على الموقف

وقرى يا سكران والفتح لا انشاء

الناس كئيبون ويجوز أن يكون

الفتح باضمار حرف التسم

في موضع الجر لقولهم الله

لا اله الا هو وأن يكون ذلك

نفسا باضمار ذكر أو اذرا

فكما كان في فاتحة سورة

البقرة واعتناج المصنف

للغريف والتأنيث لانها علم

للسورة وقد صرفها من

قرآساد بالتثنية على انه

اسم الكتاب أو التثنية وقيل

هو في قراءة الكسر أمر

من المصاداة وهي المعارضة

والمقابلة ومنها الصدى الذي

ينعكس من الاجسام الصلبة

الصوت ومعناه عارض القرآن

بعمالك فاعمل بأوامر وانته

عن نواهيته وتخلق بأخلاقه

ثم ان جعل اسما للحرف

مسرودا على منهج التحدى

أو الرمز الى كلام مثل

صدق الله أو صدق محمد كما نقل

عن أكابر السلف أو اسما

للسورة خبير المبتدأ مخدوف

أو نصبا على اضمار اذكر

أو اقرا أمر من المصاداة

فالمراد من ان صار معلوما في بعض الاوقات بسبب ضعف احوال الدنيا فهو اغالب ولا يلزم على هذه الآية أن يقال فقد قل بعض الانبياء وقد هزم كثير من المؤمنين ثم قال تعالى لرسوله وقد أخبر بما تقدم فتول عنهم حتى حين والمراد ترك مقاتلتهم وشأنهم بعد ما وعدناهم الى حين يتنعمون ثم نزل بهم الحسرة والتداعى واختلف المفسرون فقيل المراد الى يوم بدر وقيل الى فتح مكة وقيل يوم القيامة ثم قال وأبصرهم فسوف يبصرون والعبي فأبصرهم وما يقضى عليهم من القتل والاسير في الدنيا والآخرة فسوف يبصرونك مع ما قد رآك من النصره البائس في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة المراد من الامر بأبصارهم على الحال المتظار للموعودة الدائمة على أنها كانت واقعة لا محالة وان كانوا مبررة كأنها عدم ناظر بك وقد له فسوف يبصرون للتهديد والوعيد ثم قال أفبعدل يستعملون وانني أن الرسول عليه السلام كان بعد هزمهم بالعداء وما رآه شيئا فكانوا يستعملون نزول ذلك العذاب على سبيل الاستهزاء فيقولون ان ذلك الاستعمال جهل لان لكل شئ من افعال الله تعالى وقضاءه لا يتقدم ولا يتأخر كماله مطلب قدومه قبل مجيء ذلك الوقت جهلا ثم قال تعالى في صفة العذاب ان الذي يستعملونه فانزلن بساحتهم أي هذا العذاب فسا صباح النذر ينزلنا فوقع هذا التعريف على هذه المعاني لانهم كانوا يقدمون على الغارة في وقت الصباح فيعمل ذلك الوقت كما تقدمت ذات الصباح ثم أعاد قوله في قول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون فقيل المراد من هذه بكلمة فيما تقدم احوال الدنيا وفي هذه الكلمة احوال اقيامة وعلى هذا التقدير فالتكرير زائل وقيل ان المراد من التكرير المبالغة في التهديد والتهويل ثم انه تعالى ختم السورة بخاتمة شريفة جامعة لكل المطالب العالية وذلك لان أهم المهمات للعاقل معرفة احوال ثلاثة (فأولها) معرفة الله العالم بقدر الطاقه البشرية وأقصى ما يمكن عرفانه من صفات الله تعالى ثلاثة أنواع (أحدها) تزيينه وتقديسه عن كل ما يليق بصفات الالهية وهو نفطة سبحان (وثانيها) وصفه بكل ما يليق بصفات الالهية وهو قوله رب العزة فان الربوبية اشارة الى القرية وهي دالة على كمال الحكمة والرحمة والعزة اشارة الى كمال القدرة (وثالثها) كونه منزها في الالهية عن الشريك والتظير وقوله رب العزة يدل على انه انقاد على جميع الحوادث لان الالف واللام في قوله العزة تفيد الاستغراق واذا كان الكل ملكا له وملكاه لم يبق لغيره شئ فثبت ان قوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون كلمة محتوية على أقصى الدرجات وأكمل النهايات في معرفة الله العالم (والثاني) من مهمات العاقل أن يعرف انه كيف ينبغي أن يعامل نفسه ويعامل الخلق في هذه الحياة الدنيوية واعلم أن أكثر الخلق ناقصون ولا بداهة من مكمل يكملهم ومم شديدهم وهاديهديهم وما ذاك الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبديهة الفطرة شاهدة بأنه يجب على الناقص الافداء بالكمال فنبه على هذا الحرف بقوله وسلام على المرسلين لان هذا اللفظ يدل على انهم في

قالوا وفي قوله تعالى (والقرآن ذي الذكر) القسم وان جعل مقسمه فهي للعطف عليه فان أريد بقرآن كله فافادته بينهما حقيقة وان أريد غير السورة فهي اعتبارية كما في قولك مرت بالرجل الكريم وبالنسبة المباركة وأيا ما كان في التكرير مزيدا كيد لضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والتباهة كما في قوله تعالى وانه لذكرك ولقومك أو الذكري والموعظة أو ذكر ما يحتاج اليه في أمر

الذين من الشرائع والاحكام وغيرها من اخصيص الانبياء عليهم الصلاة والسلام واخبار الامم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبي عنه التحدى والامر والاقسام به من كون التحدى به معجرا وكون المأمور به واجبا وكون المقسم به حقيقيا لا عظام أى أقسم بالقرآن أو بصادق به انه لمعجز أو واجب العمل به أو لحقيق بالاعظام وأما على الوجهين الباقيين فهو الكلام الرموز اليه ونفس الجملة المذكورة ﴿ ١٧٢ ﴾ قيل القسم فان التسمية تنويه بشأن

المسمى وتبيينه على عظم خطره أى انه اصادق والقرآن ذى الذكر أو هذه السورة عظيمة الشأن والقرآن الخ على طريقة قولهم هذا حاتم والله وما كان كل واحد من هذه الاجوبة منبثا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكتابة انباء ينشأ كان قوله تعالى (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) اضرايا عن ذلك كأنه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة له لشائبة ريب ما فيه بل هم في استكبار وحية شديدة وشقاق بعيدة تعالى ورسوله ولذلك لا يدعون له وقيل الجواب مادل عليه بالجملة الاضربية أى ما كفر به من كفر لخل وجسده فيه بل الذين كفروا الخ وقروا في غرة أى في غفلة عما يجب عليهم التنبيه له من مبادئ الايمان ودواعيه (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من الاستكبرين وكم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى وقرنا كثيرا اهلكنا من

الكمال اللائق بالبشر فادوا غيرهم ولا جرم يجب على كل من سواهم الاقتداء بهم (والمهم الثالث) من هجات العاقل أن يعرف أنه كيف يكون حاله بعد الموت واعلم أن معرفة هذه الحالة قبل الموت صعبة فلا تعتمد فيها على حرف واحد وهو انه اله العالم غنى رحيم والعنى الرحيم لا يعذب فيه على هذا الحرف بقوله والحمد لله رب العالمين وذلك لان استحقاق الحمد حصل الالباب فاعلم العظم فيين بهذا كونه منما وظهر توبه غنيا عن العالمين ومن هذا وءفد كان الغالب منه هو الرحمة والفضل والكرم فكان هذا الحرف منبها على سلامة الحال بعد الموت فظهر بما ذكرنا أن هذه الخاتمة كاصدقة المحنوية على درر أشرف من درارى الكواكب ونسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة والعافية في الدنيا والآخرة تم تفسير هذه السورة ضحوة يوم الجمعة السابع عشر من ذى القعدة سنة ثلاث وستمائة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه وأذواجد وذرياته أجمعين

(سورة ص ثمانون رثمان آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ص) والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم اهلكنا من قبلهم من قرن فتادوا ولات حين مناص) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الكلام المستقصى في امثال هذه الفوتج مذكور في أول سورة البقرة ولا بأس باعادة بعض الوجوه فاذول انه مقدم أسماء الله تعالى التي أولها صاد كقولنا صادق الوعد مسانع المصنوعات صمد (والثاني) معناه صديق محمد في كل ما أخبر به عن الله (الثالث) معناه صديق الكفار عن قبول هذا الدين كما قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله (الرابع) معناه ان القرآن مركب من هذه الحروف وأنتم قادرون عليها واستم قادرين على معارضة القرآن فدل ذلك على أن القرآن معجز (الخامس) أن يكون صاد بكسر الدال من المصاداة وهى المعارضة ومنها الصدى وهو ما يعارض صوتك في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض القرآن بعملك فأعمل باوامره واتدع عن نواهيه (السادس) انه اسم السورة والتقدير هذه صاد فان قيل ههنا اشكالان أحدهما أن قوله والقرآن ذى الذكر قسم وأين المقسم عليه (والثاني) أن كلمة بل تفتضى رفع حكم ثبت قبلها واثبات حكم بعدها بناقض الحكم السابق فأين هذا المعنى ههنا والجواب عن الاول من وجوه (الاول) أن يكون معنى صاد بمعنى صادق محمد صلى الله عليه وسلم فيكون صاد هو المقسم عليه وقوله والقرآن ذى الذكر هو القسم (الثانى) أن يكون المقسم عليه محذوفا والتقدير سورة ص والقرآن ذى الذكر انه لكلام معجز لا نابتنا أن قوله صاد تنبيه على التحدى (والثالث) أن يكون صاد اسما للسورة ويكون التقدير هذه صاد والقرآن ذى الذكر ولما كان المشهور أن محمدا

القرون الخالية (فتادوا) ههنا نزول بأس او دخول نعمتنا استغناء وتوبة لينجو من ذلك وقوله تعالى (ولات حين مناص) مناص حال من ضمير نادوا أى نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال أن ليس الحين حين مناص أى فوت ونجاة من ناصه أى قاته لا من ناص بمعنى تأخر ولاهى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث لئلا يكيد كما زيدت على ربوبهم وخصت بنى الاحياء ولم يبرز إلا أحد معمولها والاكثر حذف اسمها وقيل هى النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنى الاحياء وحين مناص منصوب

على انه اسمها أي ولا حين مناص لهم أو بفعل مضمر أي ولا أرى حين مناص وقرئ بالرفع فهو على الأول اسمها والخبر محذوف
أي وليس حين مناص حاصل لهم وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر أي ولا حين مناص كأن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله * طلبوا
ضبطا ولا ت أو أن * فأجبت أن لا ت حين بقاء * أما لا ت نجر الاحيان كأن لا ت نجر الضمائر في نحو قوله * لولاك هذا العام
لم أجمع * أولان أو أن شبه باذا في قوله * نهيتك (١٧٣) * عن طلابك أم عرو * بعاقبة وأنت اذا صحح * في أنه زمان قطع

منه المضاف اليه وعوض
التوین لان أصله أو أن صلح
ثم حل عليه حين مناص
تزيلا لقطع المضاف اليه
من مناص اذا أصله حين
مناصهم منزلة قطعه من
حين لما بين المضافين من
الاتحاد ثم بنى الحين لاضافته
الى غير متمكن وقرئ لا ت
الكسر كجبر ويقف الكسريون
عليها بالهاء كالأسماء
والبصريون بالتاء كالافعال
يعاين من أن التاء من رة
على حين لا تسميها به في الامام
بما ذوجه من خط لمصحف
خارج عن القاس (وعجبوا
أن جاءهم تنذير منهم) حكاية
وباطيهاهم المتبعة على ما حكى
من استنكارهم وشفاعهم أي
يعجبوا من أن جاءهم رسول من
جنسهم بل ادون منهم في
الرياسة النبوية والمال على
معنى أنهم عدوا ذلك أمرا
عجيبا خارجا عن احتمال
الوقوع وأنكروا أشد الانكار
لأنهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا
منه (وقال الكافرون) وضع
فيه الظاهر موضع الضمير
خصبوا عليهم وايدنا بأنهم
لا يتجاسروا على مثل ما يقولون

عليه السلام يدعى في هذه السورة كونها معجزة كان قوله هذه ص جاريا مجرى قوله هذه
هي السورة المعجزة ونظيره قولك هذا حاتم والله أي هذا هو المشهور بالسحق (والجواب)
عن السؤال الثاني أن الحكم المذكور قبل كلمة بل كون محمد صادقا في تبلغ الرسالة
أو كون القرآن أو هذه السورة معجزة والحكم المذكور بعد كلمة بل ههنا هو المنازعة
والشافة في كونه كذلك فحصل المطالب والله أعلم (المسئلة الثانية) قرأ الحسن صاد
بكسر التاء لاجل التقاء الساكنين وقرأ عيسى بن عمر بتصيب صاد ونون ومحذوف حرف
التسم وإيصال فعله كقوله الله لا فعلن وأكثرا لقرءاء على الجرم لان الاسماء المار به عن
الاموال تذكر موقوفة الاواخر (المسئلة الثالثة) في قوله ذي الذكر وجهان (الأول)
المراد ذي الشرف قال تعالى وانه الذكر لك واقومك وقال تعالى لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه
ذكر لكم ويجاز هذا مرة واهم فلان ذكر في الناس كما يقولون له صيت (الثاني) ذي البيانين
أي فيه قصص الاولين والآخرين وفيه بيان العلوم الاصلية والفروعية ومجازة من قوله
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (المسئلة الرابعة) قالت الممتزقة لقرآن ذي الذكر
والذكر حدث (بيان أول) قوله تعالى وانه الذكر لك واقومك وهذا ذكر مبارك وقرآن
ذي الذكر ان هو الاذكر وقرآن مبين (بيان الثاني) ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث
ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث (والجواب) ان انصرف ذلك الى الحروف والاصوات
وهي محدثة امامه وله بل الذين كفروا بعد ادعاء الكفار من رؤسهم قرئش الذين يجوز على
مثلهم الاجابة على احسد والتكبر عن الانقياد الى الحق والعزة ههنا التعظيم وه اعقده
الانسان في نفسه من الاحوال التي كتمه من غيباته غير قوله تعالى واذا قيل له ان الله
أخذته العزة بالاثم والشقاق هو قطهار الخفاة على جهة المساواة للخصاف أو على جهة
الفضيلة عليه وهو مأخوذ من اشق كأنه يرتفع عن أن يلزمه الانقياد له بل يجعل نفسه
في شق وخصمه في شق فيريد أن يكون في شق نفسه ولا يجرى عليه حكم خصمه ومثله المعاداة
وهو أن يكون أحدهما في عدوة والاخر في عدوة وهي جانب الوادي وكذلك المعاداة أن
يكون هذا في حد غير هذا الاخر ويقال انحرف فلان عن فلان وجانب فلان فلان فلان أي
صار منه على حرف وفي جانب غير جانبه والله أعلم ثم انه تعالى لما وصفهم بالعزة والشقاق
خوفهم فقال كم أهلكنا قبلهم من قرن فنادوا والمعنى أنهم نادوا عند نزول العذاب في
الدنيا ولم يذكر بأي شيء نادوا وفيه وجوه (الأول) وهو الاظهر أنهم نادوا بالاستغاثة لان
نداء من نزل به العذاب ليس الا بالاستغاثة (الثاني) نادوا بالايان والتوبة عند معاينة
العذاب (الثالث) نادوا أي رفعوا أصواتهم يقال فلان اندى صوتا من فلان أي ارفع
صوتا ثم قال ولا ت حين مناص يعني ولم يكن ذلك الوقت وقت فرار من العذاب وهو قوله
فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا وقال حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون والجوار
رفع الصوت بالتضرع والاستغاثة وكقوله الآن وقد عصيت قبل وقوله فلم يك ينفعهم

لا المتوغلون في الكفر وفي انفسوق (هذا ساحر) في يظهره من الخوارق (كذاب) فيما يسند الى الله تعالى من الارسال
بالانزال (أجعل الآلهة الها واحدا) بان نبي الالهية عنهم وقصرها على واحد (ان هذا شيء عجب) يبلغ في العجب وذلك
لانه خلاف ما أنفوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على ألوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كابران مدار كل ما يتون
بما يذرون من أمور دينهم هو

التقليد والاعتقاد فيمدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالا وأما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالاشياء
الكثيرة فلا وجه له لما أنهم لا يدعون أن لا إلهتهم علما وقدره ومدخلا في حدوث شيء من الاشياء حتى يلزم من نفي ألوهيتهم بقاء
الآثار بلا مؤثر وقرى عجبا بالتشديد وهو أبلغ ككرام وكرام روى أنه لما أسلم عمر رضي الله عنه شيء ذلك على فرش فاجتمع
خمس وعشرون من صناديدهم فاثوا أبا طالب فقالوا أنت شيخنا وكبيرنا ﴿١٧٤﴾ وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وقد

جئتكم تنقضي بيننا وبين ابن
أخيك فاستحضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن
أخي هؤلاء قومك بسأوتك
السؤال فلا تمل كل الميل على
قومك فقال صلى الله عليه
وسلم إذا سألتوني قالوا رفضت
وأرفض ذكر الهتنا ونعتك
والهتك فقال صلى الله عليه
وسلم أرايتم أن أعصيتكم ما
سألتكم أعطيتكم كل واحد
تملكون والعرس وتدير لكم
بها العجب قالوا نعم وعشره ما ذال
قولوا لا إله الا الله فقاموا وقالوا
ذلك (والنفاق الملائكة)
أى ونطلق الاشرف من
قرىش عن مجلس أبي طالب
بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالجواب المتبد
وشاهد واتصل به عليه الصلاة
والسلام في الدين وعن يمينه
على أن يظهره على الدين كله
و يسودا مما كانوا يرجونه
بتوسط أبي طالب من المصالحة
على الوجه المذكور (أن أمشوا)
أى قائلين بعضهم لبعض على
وجه النصيحة أمشوا (واصبروا
على آلهتكم) أى واثبتوا على
عبادتها متحمسين لما سمعونه
في حقها من القدر وأن هي

إيمانهم لما رأوا بأستاذنا بقى ههنا البحوث (البحث الاول) في تحقيق الكلام في لفظ لا تزع
الخليل وسبويه ان لا ت هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت على رب وتم
لأن كيد وسبب هذه زيادة حدث لها أحكام - مبدعة منها انها لا تدخل الاعلى الاحيان
ومنها ان لا يبرز الا أحد جزئيهاما الاسم واما الخبر ويمتنع بروزهما جميعا وقال الاخفش
انها التانيث للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنى الاحيان وحين مناص منصوب بها
كما لك ولات حين مناص لهم ويرفع بالابتداء أى ولات حين مناص كأن إلههم
(البحث الثاني) الجمهور يقفون على التاء من قوله ولات والكسائي يقف عليها بالتاء كما
يقف على الأسماء الموثقة قال صاحب الكشاف وأما قول أبي عبيدة التاء داخلة على الحين
فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملزمة بحين في مصحف عثمان فضعيف فكم وقعت في
المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط (البحث الثالث) المناسخ المحجور والقوت بفارناصه
يوصيه اذا أغاثه واستنصاح طلب المناسخ والله أعلم * قوله تعالى (عجبوا أن جاءهم منذر
منهم) وقيل الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل آلهة ما واحد ان هذا الشيء عجيب
واضيق الملائكة أمشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا شيء أراد ما سمعنا به داني الملة
الآخرة ان هذا الاخلاق اعلم انه تعالى لما حكى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق
أردف بشرح كلامهم بافساد فقال وعجبوا أن جاءهم منذر منهم من قوله منهم وجهان
(الاول) انهم قالوا ان محمد مساو لنا في الحلقة الصاهرة والاخلاق الباطنة والنسب
والشكل والصورة فكيف يعقل أن يختص من بيننا بهذا المنصب العالي واندرجات
الرفعة (والثاني) أن الغرض من هذه الكلمة التنبيه على كمال جهالةهم وذلك لانه جاءهم
رجل يدعوهم الى التوحيد ونعظيم الملائكة والترغيب في الآخرة والتفكير عن الدنيا
ثم ان هذا الرجل من أقاربهم يعلمون أنه كان بعيدا من الكذب والتهمة وكل ذلك مما
يوجب الاعتراف بتصديقه ثم ان هؤلاء الاقوام لمخافتهم يتعجبون من قوله ونظيره قوله أم
لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون فقال وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ومعناه ان محمدا
كان من رسلهم وعشيرتهم وكان مساويا لهم في الاسباب الدنيوية فاستنكفوا من
الدخول تحت طاعته ومن الانقياد لتكاليفه وعجبوا أن يختص هو من بينهم برسالة الله
وان غير عنهم بهذه الخاصية الشريفة وبالجملة فما كان لهذا التعجب سبب الا الحسد ثم
قال تعالى وقال الكافرون هذا ساحر كذاب وانما لم يقل وقالوا بل قال وقال الكافرون
اظهارا للتعجب ودلالة على ان هذا القول لا يصدر الا عن الكفر التام فان الساحر هو
الذي يمنع من طاعة الله ويدعو الى طاعة الشيطان وهو عندكم بالعكس من ذلك
والكذاب هو الذي يخبر عن الشيء لا على ما هو عليه وهو يخبر عن وجود الصانع القديم
الحكيم العليم وعن الحشر والنشر وسائر الاشياء التي تثبت بدلائل العقول صحتها فكيف
يكون كذابا ثم انه تعالى حكى جميع ما عولوا عليه في اثبات كونه كاذبا وهي ثلاثة أشياء

المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التناول لا يتخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا ﴿١٧٥﴾ احدها
من مشيت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتناول أى اجتمعوا واكثروا وقرى أمشوا بغير أن على اصمار القول وقرى يمشون
أن اصبروا (ان هذا الشيء يراد) تعليل الامر بالصبر ولوجوب الامتثال به أى هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم
من أمر التوحيد ونفى آلهتنا وإبطال أمرها لشيء يراد أى

من جهته عليه الصلاة والسلام امضوا وتغلبوا بالحق من غير صارف يلو به ولا عاطف يشبه لا قول يقال من طرف اللسان
أو امر رجي فيه المسامحة بشفاعته أو امتنان فاقطعوا أطباعكم عن استزاله من رأيه بوساطة أبي طالب وشفاعته وحسبكم
أن لا تنعموا من عبادة آلهتكم بالكلية فاسبروا عليها وتعلموا ما تسمعون في حقها من التدح وسوء القالة وقيل ان هذا الامر
لشي يريد الله تعالى ويحكم بامضائه ﴿ ١٧٥ ﴾ وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر

لشي من نواب الدهر راد
بنا فلا انكالك ثمانه وقيل ان
دينكم لشي يراد اي يطلب
ايؤخذ منكم وتعلوا عليه
وقيل ان هذا الذي يدعيه
من التوحيد او يقصده من
الرياسة والرفع على العرب
والعجم لشي ينبغي ويريد كل
أحد فامل في هذه الاقاويل
واختر منها ما يساعدك في نظم
الجليد (ما معنا هذا) الذي
يقول (في الملة الآخرة) أي
الملة النصرانية التي هي آخر
المرافق ملة أم في الملة التي
أدركنا عليها آباءنا ويجوز
أن يكون الجارو المجرور حالا
من هذا أي ما سمعنا به من
أهل الكتاب ولا الكهان
كأننا في الملة المزقية ولقد
كذبوا في ذلك أقبح كذب فان
حديث البعثة والتوحيد كان
أشهر الامور قبل الظهور
(ان هذا) أي ما هذا (الا
اختلاق) أي كذب اختلقه
(أنزل عليه الذكر) أي القرآن
(من بيننا) ونحن رؤساء
الناس وأشرافهم كقولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم ومراهم
انكار كونه ذكرا من

(أحدها) ما يتعلق بالالهيات (وثانيها) ما يتعلق بالنبوات (وثالثها) ما يتعلق بالمعاد اما
الشبهة المتعلقة بالالهيات فهي قولهم اجعل الالهة الواحدة ان هذا لشي عجب
روى انه لما أسلم عمر فرح به المسلمون فرحاشديدا وشق ذلك على قريش فاجتمع خمسة
وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت
ما فعل هؤلاء السفهاء بمنون المسلمين فيجتالك لثقتي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو
طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي هو لا قومك بسألونك السؤال فلا تمل
كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر
آلهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم رأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أنه صدقني أنتم
كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم العجم قالوا نعم قال تعذروا لا اله الا الله فقاموا
وقالوا اجعل الآلهة الهاء واحدة ان هذا لشي عجب أي بلغ في التعجب وأقول منشأ
التعجب من وجهين (الاول) هو ان القوم ما كانوا من أصحاب النظر والاستدلال بل
كانت أوهامهم تارة للحسوسات فلما وجدوا في الشاهد أن القائل الواحد لا يفي بمرتبه
وعمله يحفظ الخلق انظم قاسموا القائب على الشاهد في الابد في حقت هذا العالم الكثير
من آلهة كثيرة يتكفر كل واحد منهم بلفظ نوع آخر (والوجه الثاني) ان أسلافهم
لكثرتهم وقوة عقولهم كانوا مطيعين على الشرك فسألوا من العجيب أن يكون
أولئك الافوام على كثرتهم وقوة عقولهم كانوا جاعلين بيطلين وهذا الانسان الواحد
يكون بمحض صدق وأقول لعمرى لو سلمنا اجراء حكم الشاهد على القائب من غير دليل
وحجة لكانت الشبهة الاولى لازمة ولما توافقنا على فسادها علمنا ان اجراء حكم الشاهد
على القائب فاسد قطعوا اذا بطلت هذه القاعدة قد بطل أصل كلام المشبه في الذات
وكلام المشبه في الافعال اما المشبهة في الذات فهو أنهم يقولون لما كان كل موجود في
الشاهد يجب أن يكون جسمه وموضوعه ان يجب في العائب أن يكون كذلك واما المشبهة
في الافعال فهم المعتزلة الذين يقولون ان الامر الغلاني فيجب منا فوجب أن يكون فيهما
من الله فثبت بما ذكرنا انه ان صح كلام هؤلاء المشبهة في الذات وفي الافعال لم يقطع
بصحته شبهة هؤلاء المشركين وحيث توافقنا على فسادها علمنا أن عدة كلام المجسمة وكلام
المعتزلة باطل فاسد واما الشبهة الثانية فلمعمرى لو كان التقليد حقا لكانت هذه الشبهة
لازمة وحيث كانت فاسدة علمنا أن التقليد باطل بقي ههنا البجاث (البجث الاول) أن
العجيب هو العجيب الا انه أبلغ من العجيب كقولهم طويل وطوال وعرض وعراض
وكبير وكبار وقد شدد للباغة كقوله تعالى ومكروا مكرا كبيرا (الثاني) قال صاحب
الكشاف فرى عجيب بالتخفيف والتشديد فقال والتشديد أبلغ من التخفيف كقوله تعالى
مكرا كبيرا ثم قال تعالى وانطلق الملا منهم أن امسوا واصبروا على آلهتكم قد ذكرنا أن
الملا عبارة عن القوم الذين اذا حضروا في المجلس فانه تنبى القلوب والعيون من مهايتهم

صد الله عن وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واما مثل هذه المقالات الباطلة دليل على أن مناط تكذيبهم ليس بالاحسد
وقصر النظر على الخطام النبوي (بل هم في شك من ذكرى) أي من القرآن أو الوحي ليلهم الى التقليد واعراضهم عن
النظر في الادلة الودية الى العلم بحقيقته وليس في عقيدتهم ما يثبتون به فهم مذنبون بين الاوهام بنسبونه تارة الى السحر
وأخرى الى الاختلاق (بل لا يذوقوا عذاب) أي بل لم يذوقوا بعد عذابا فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة

الحال وفي لادلالة على أن ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى أنهم لا يصدقون به حتى يحسبهم العذاب وقيل لما يذوقوا
عذاب الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) بل أعتدهم خزائن رحمة
تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عن شاؤا ويحكموا فيها بمقتضى آرائهم
فيختبروا للنسوة بعض مناديدهم والمعنى أن النبوة عطية ﴿ ١٧٦ ﴾ من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من

وعظمتهم وقوله منهم أي من قريش انطلقوا عن مجلس أبي طالب بعدما يكتمهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالجواب المتيد فائتين بعضهم لبعض أن امشوا واصبروا على آلهتهم
وفيه مباحث (البحث الاول) القراءة المشهورة أن امشوا وقرأ ابن أبي عتبة امشوا
بحدف أن قال صاحب الكشف أن معنى أي لأن المنطلقين عن مجلس القبول لأبداهم
من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما يجري في المجلس المتقدم فكان انطلقهم مضئاً بمعنى
القول وعن ابن عباس وانطلق الملائكة منهم يشنون (البحث الثاني) معنى أن امشوا أنه قال
بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم في دفع أمر محمدان هذا الشيء يراد وفيه ثلاثة
أوجه (أحدها) ظمور دين محمد صلى الله عليه وسلم ليس له سبب ظاهر فثبت أن تزايد
ظهوره ليس إلا لأن الله يريد به وما أراد الله كونه فلا دفع له (وثانيها) أن الأمر كشيء من
نوائب الدهر فلا تنفكك لثامته (وثالثها) أن دينكم شيء يراد أي اطلب لبؤخذ منكم
قال القائل هذه كلمة تذكر تهديدهم التحذير بقا وكان معناه أنه ليس غرض محمد من هذا
القول تقرير الدين وإنما غرضه أن يستولي علينا فيحكم في أموالنا وأرلادنا بما يريد ثم قال
ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة والملة الآخرة هي ملة النصارى فقالوا إن هذا التوحيد
الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ما سمعنا في دين النصارى أو يكون المراد الملة الآخرة
ملة قريش التي أدركوا آباؤهم عليها ثم قالوا ما هذا الاختلاق اوتعال وكذب يحصل
السلام من هذا الوجه أنهم قالوا نحن ما سمعنا عن أسلافنا القول بالتوحيد فوجب أن
يكون باطلا ولو كان القول بالظهور حقا لكان كلام هؤلاء المشركين حقا وحيث كان
باطلا علمنا أن القول باطلين ﴿ قوله تعالى ﴾ (أنزل عليه الذكر من بيننا) في شك من
ذكرى بل لما يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك
السموات والأرض وما بينهما فليترقوا في الأسباب جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب)
اعلم أن هذا هو الشبهة الثالثة لا وثك الكفار هي الشبهة المعلقة بالنبوات وهي قولهم
إن محمدا لما كان مساويا لغيره في الذات والصفات والخلق الظاهرة والخلق الباطنة
فكيف يعقل أن يخص هو بهذه الدرجة العالية والمزية الشريفة وهو المراد من قولهم
أنزل عليه الذكر من بيننا فإنه استفهام على سبيل الإنكار وحكى الله تعالى عن قوم صالح
أنهم قالوا مثل هذا القول فقالوا أأتى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشعر وحكى الله
تعالى عن قوم محمد صلى الله عليه وسلم أيضا أنهم قالوا لو أنزل هذا القرآن على رجل من
القرتين عظيم وتمام الكلام في تقرير هذه الشبهة ان قالوا النبوة أشرف المراتب
فوجب أن لا تحصل إلا لشرف الناس ومحمد ليس أشرف الناس فوجب أن لا تحصل له
النبوة والمقدستان الأوليان حقيتان لكن الثالثة كاذبة وسبب رواج هذا التغليب
عليهم أنهم ظنوا أن أشرف لا يحصل إلا بالمال والاعوان وذلك باطل فان مراتب
السعادة ثلاثة أعلاها هي النفسانية وأوسطها هي البدنية وأدونها هي الخارجية

عباده المصطفين لا مانع له
فإنه العزيز أي القالب الذي
لا يقاب الوهاب الذي له أن
يحب كل ما يشاء وفي إضافة
اسم الرب المني عن الترية
والتبليغ إلى الكمال إلى ضميره
عليه الصلاة والسلام من
تشريفه والناطع به لا يخفى
وقوله تعالى (أم لهم ملك
السموات والأرض وما بينهما)
ترشيح لما سبق أي بالأمم
ملك هذه العوالم العلوية
والسفلية حتى يتكلموا في
الأسرار الباطنة ويحكموا في
التدبير الإلهية التي يستأثر
بها رب العزة والكبرياء وقوله
تعالى (فليترقوا في الأسباب)
جواب شرط محذوف أي أن
كان لهم ما ذكر من الملك
فليصعدوا في المنارج والمناهج
التي توصل بها إلى العرش
حتى يستوا عليه ويدبروا
أمر العالم وينزلوا الوحي إلى
من يختارون ويستصوبون
وفيه من التكميل بهم ملاغاية
وراء والسبب في الأصل
هو الوسيلة وقيل المراد بالأسباب
السموات لأنها أسباب
الحوادث السفلية وقيل
أبوابها (جند ما هنالك

مهزوم من الأحزاب) أي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال ﴿ وهي ﴾
بما يقولون ولا تكثرت بما يهددون وما مزيدة للتفصيل والتحذير نحو قولك أكلت شيئا وقيل للتعظيم على الهزء وهناك
إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم

وقوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد) الخ استئناف مقر لمضعون ما قبله ببيان أحوال الغاة الطغاة الذين هؤلاء جنودهم من جنودهم بما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذوالاوتاد منته ذوالملك الثابت أصله من نبات البيت المطيب بأوتاده فاستعير شجارتها لملك ورسوخ الصلابة استقامته مع الأمر فكان الأسود يعبر * وقوله غموة * إنهم عيشة * ويط * ملك ثابت الأوتاد * أو ذوالجوع الكثيرة سموا * ١٧٨ * بذلك لأن بعضهم شديدا فيهم كالنوديب ثانياً أو قيل فصلاً عن سوار

وكان يندبى الملك ورسليه
الربا أو يضرب عليها أوتاداً
ويزك حتى يموت وقل كان
يدين أرباعاً أو ثلثي الأرض
ويرسل عليه العتار والعات
وقيل كانت أوتاداً حبل
سبع هارين له (وشر قوم
نوطوا أصحاب المدينة أصحاب
الفضة من قوم شعيب عليه
السلام وقوله تعالى (أولئك
الاحزاب) أما يدل من
الطوائف المذكورة كما أن ذلك
الكتاب يدل من الم على أحد
الوجوه وفيه فضل تأكيد
وتنبيه على أنهم الذين جعل
الجند المهزوم منهم وقوله
تعالى (ان كل الاكذب الرسل)
استئناف جي به تقرير التكذيب
وبيان الكيفية وتعميدها
لما عتبه أي ما كل أحد من أحاد
أولئك الاحزاب وما كل حزب
منهم الا كذب الرسل لأن
تكذيب واحد منهم تكذيب
اهم جميعاً لاتفاق الكل على
الحق وقيل ما كل حزب الا
كذب رسوله على نزع الجمع
بالجمع وأيا ما كان فلا استثناء
مفرغ من أعم العام في خبر
المنفرد أي ما كل أحد منهم
محموماً عليه بأنه كذب الرسل

يهي المال والجاه فالقوم عكسوا القضية وظنوا بأخس الراتب أشرفها فلما وجدوا المال والجاه عند غيره أكثر ظنوا أن غيره أشرف منه فمما يندب العقيد هذا القياس الفاسد في أفكارهم ثم أنه تعالى أجاب عن هذه الشبهة من وجوه (الاول) قوله تعالى بل هم في شك من ذكرى بل لما يدقوا عذاب وفيه وجهان (أحدهما) أن قوله بل هم في شك من ذكرى أي من الدلائل التي أولفروا فيها لزال هذا السك عنهم ذلك لأن كل ما ذكره من الشبهات فهي كلام ضعيفة وأما الدلائل التي تدل بنفسها على صحة نبوته فهي دلائل قاطعة فلما لموا حق الأمر في الكلام توقفوا على ضعف الشبهات التي تسكنها ما في ابطال الشبهة ونهروا صحة الدلائل الدالة على صحة نبوته فبحث لهم يعرفوا ذلك كان لا حل أنهم تركوا النظر والاستدلال فأما قوله تعالى بل لما يدقوا عذاب فوقع من هذا الكلام أنه تعالى يقول هؤلاء انما تركوا النظر والاستدلال لأن لم اذقمهم عذاب ولو اذقمهم يقع منهم الا الاقبال على أداء المأمورات والانتفاء عن المنهيات (وثانيها) أن يكون المراد من قوله بل هم في شك من ذكرى هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم من عذاب الله أو أصروا على الكفر ثم أنهم أصروا على الكفر ولم ينزل عليهم العذاب فصار ذلك سبباً لشكهم في صدقه وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فقال بل هم في شك من ذكرى معناه ما ذكرناه وقوله تعالى بل لما يدقوا عذاب معناه ان ذلك الشك انما حصل بسبب عدم نزول العذاب (والوجه الثاني) من الوجوه التي ذكرها الله تعالى في الجواب عن تلك الشبهة قوله تعالى أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب وتقرر بهذا الجواب أن منصب النبوة منصب عظيم ودرجة عالية والقادر على هبتها يجب أن يكون عز يرا أي كامل القدرة ووهاباً أي عظيم الجود وذلك هو الله سبحانه وتعالى وإذا كان هو تعالى كامل القدرة وكامل الجود لم يتوقف كونه واهباً لهذه النعمة على كون الموهوب منه غنياً أو فقيراً ولم يختلف ذلك أيضاً بسبب أن أعداءه يحبونه أو يكرهونه (والوجه الثالث) في الجواب عن هذه الشبهة قوله تعالى أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليترقا في الأسباب واعلم أنه يجب أن يكون المراد من هذا الكلام مغاير المراد من قوله أم عندهم خزائن رحمة ربك والفرق أن خزائن الله تعالى غير متناهية كما قال وان من شيء الا عندنا خزائنه ومن جله تلك الخزائن هو هذه السموات والأرض فلذا ذكر الخزائن أولاً على عمومها أردفها بذكر ملك السموات والأرض وما بينهما يعني ان هذه الاشياء أحد أنواع خزائن الله فإذا كنتم عاجزين عن هذا القسم فبأن تكونوا عاجزين عن كل خزائن الله كان أولى فهذا ما ذكرته في الفرق بين الكلامين أما قوله تعالى فليترقا في الأسباب فالعنى انهم ارادوا ان لهم ملك السموات والأرض فعند هذا يقال لهم ارتقا في الأسباب واصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يرتقوا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي

وقيل ما كل واحد منهم مخبراً عنه بخبر ٢٢ سا الا مخبر عنه بأنه كذب الرسل وفي اسناد التكذيب الى الطوائف المذكورة على وجه الإبهام أولاً والأيدان بأن كلامهم جرب على حياله تحرب على رسوله ثانياً وتبين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثاً فتون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأفضعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى (فحق عقاب) أي ثبت

وقوم على كل منهم عقاب الذي كانت توجه جنائهم من أصناف العقوبات المفصلة في مواقعها وأما مبتدأ وقوله تعالى أن كل
الأكذب الرسل خبره بخبره العائد أي أن كل منهم الخ والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكدا لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية
تكذيبهم والتنبية على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كاذر وقيل هو مبتدأ وخبر والمعنى أن الأحزاب الذين جعل
الجند المهزوم منهم هم هم وأولئك الذين وجد منهم الكذب ١٧٨ فقدروا ما ما قبل من أنه خبره المبتدأ وقوله تعالى

وعاد الخ أو قوله وقوم أوط
الخ فما يجب تنزيهه
التنزيل عن أمثاله (وما لظن
هو لا) شروع في بيان عقاب
كذب الرسل أثر بيان عقاب
أصنافهم من الأحزاب
أخبر فيسأل في يأتون جند
منهم مهزوم من حزب فأن
ذلك مما يوجب انتظار استماع
وترقبه من الله تعالى
الإشارة إليهم في الخبر
لأنهم وتوهم من هم وأما
جعله إشارة إلى الأحزاب
باعتبار حضورهم بحسب
الذكر أو حضورهم في علم
الله عز وجل فليس في خبر الأ
حتمال أصلا كيف لا والانتظار
سواء كان حقيقة أو استهزاء
أنما يتصور في حق من لم يقرب
على أعماله نتائجها بعدد
ما بين عقاب الأحزاب
واستئصالهم بالرقم لم يبق مما
أريد بيانه من عقوباتهم أمر
منتظر وإنما الذين في مرصد
الانتظار كفار مكة حيث
ارتكبوا من عظام الجرائم
وكبار الجرائم الموجبة لشد
العقوبات مثل ما ارتكب
الأحزاب أو أشد منه ولما يلاقوا
بعد شين من غوائلها أي وما
ينتظر هؤلاء الكفرة الذين

علم من تخالفاً وأعلم أن حكماء الإسلام استدلوا بقوله فليرتقوا في الخسب على أن
الأجرام الفلكية وما أودع الله فيها من القوى والخواص أسباب لحوادث العالم السفلي
لأن الله تعالى سمي القذبات أسباباً وذلك يدل على ما قلناه والله أعلم أما قوله تعالى جند
ما هنالك مهزوم من الأحزاب ففيه مقامان من البحث (أحدهما) في تفسير هذه الألفاظ
(ما هنالك) في كيفية عقابها بما فيها (أما المقام الأول) فقوله جند مبتدأ وما هنالك بهام
كقوله جند من الأحزاب فلهذا ما ومن الأحزاب صفة الجند وهو يوم خبر المبتدأ وأما
قوله هنالك فيجوز أن يكون صفة الجند أي جند تلك هنالك ويجوز أن يكون متعلقاً بهزوم
معناه أن الجند من الأحزاب مهزوم هنالك أي في ذلك الموضع الذي كانوا يكرون فيه
هذه الكلمات المتعاقبة في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وأما المقام الثاني) فهو أنه تعالى لما
قال إن كانوا يذكرون السموات والأرض فليرتقوا في الأسباب ذكر عقوبة أنهم جند من
الأحزاب منهزون منه فون فكيف يكونون ما في السموات والأرض وما بينهما قال
فائدة هذه الإشارة إلى يوم بدر ما أخبر الله تعالى بذلك أنه سيهزم جند المشركين فجاءه أو يراه
يوم بدره قبل يوم الحارث والأصوب عندي حمله على يوم قحح مكة وذلك لأن المعنى أنهم جند
سيصرون منهزمين في الموضع الذي ذكرنا فيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة فوجب
أن يكون المراد أنهم سيصرون منهزمين في مكة وما ذلك إلا يوم الفتح والله أعلم قوله تعالى
(كذبت قلوبهم يوم نوح عليه السلام وفرعون قوا الأوتاد) ثم دونه قوم لوط أصحاب الأيكة أولئك
الأحزاب إن كل الأكذب الرسل الخ عقاب ما ينظر هؤلاء الأصفيحة واحدة ما منها من
فوق (أعلم أنه تعالى لما ذكر في الجواب عن شبهة القوم أنهم إنما اتوا أو نكسلوا في النظر
والاستدلال لأجل أنهم لم ينزل بهم العذاب بين تعالى في هذه الآية أن أقوام سائر الأنبياء
هكذا كانوا يوم بالآخرة نزل ذلك العقاب والمفسود منه تخويف أولئك الكفار الذين
كانوا يكذبون الرسول في أخباره عن نزول العقاب عليهم فذكر الله ستة أصناف منهم
أولهم قوم نوح عليه السلام ولما كذبوا نوحاً أهلكتهم الله بالغرق والطوفان (والثاني)
قادم قوم هود لما كذبوه أهلكتهم الله بالريح (والثالث) فرعون لما كذب موسى أهلكتهم الله
مع قومه بالغرق (والرابع) ثمود قوم صالح لما كذبوه فأهلكوا بالصيحة (والخامس) قوم
لوط كذبوه فأهلكوا بالحسف (والسادس) أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب كذبوه
فأهلكوا بذاب يوم انظلة قالوا وإنما وصف الله فرعون بكونه ذا الأوتاد لوجوه (الأول)
أن أصل هذه الكلمة من ثبات البيت المطب بالوتاد ثم استعمل لثبات العزم الملك قال
الشاعر

ولقد غموا فيها بالنع عيشة * في ظل ملك ثابت الأوتاد
قال القاضي حل الكلام على هذا الوجه أول لأنه لما وصف بتكذيب الرسل فيجب فيما
وصف به أن يكون تفخيماً لأمر ملكه ليكون الزجر بما ورد من قبل الله تعالى عليه من
الهلاك مع قوة أمره أبلغ (والثاني) أنه كان ينصب الحطب في الهواء وكان يمد يدي

هم أمثال أولئك أطوائف المهلكة في الكفر والتكذيب (الأصفيحة واحدة) هي النسخة الثابتة لا بمعنى أن عقابهم هو العذاب
نفسها بما فيها من الشدة والهول فإذ هاداه يوم هولاها جميع الأمم رها وفاجر هائل بمعنى أنه ليس بينهم وبين حلول ما أعد لهم من
العقاب القطيع الإلهي حيث أخرت عقوباتهم إلى الآخرة لما أن تعذيبهم بالاستئصال حسبي استحقاقه والنبي عليه الصلاة
والسلام بين أظهرهم خارج عن السنة الإلهية النبوية على الحكم الباهرة كإطلاقه بقوله تعالى وما كان ليعذبهم وأنت فيهم

وأما ما قبل من أنها النسخة الأولى فما لا وجه له أصلاً لأنه لا يشاهد هولها ولا يصحق بها الأمن كان حياً عند وقوعها وليس عقابهم الموصود وأما مضيقها ولا العذاب المطلق مؤخرها إليها بل يحل بهم من حين موتهم (مالهام فوق) أي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرى بضم الفاء وهما لغتان وفوقه تعالى (وقالوا ربنا عجل لنا قسطنا قبل يوم الحساب) حكاية لما قالوه * ١٧٩ عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة أي قالوا بطريق الاستهزاء

والسخرية بجعل لنا قسطاً من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدؤة الصيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطه إذا قطعه ويقال لصيحة الجائرة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسرها أي عجل لنا صيحة أعمالنا فنظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل المزح به عجل لنا نصيبنا من الجنة فتسدى عنهم النداء بالذات والاسرار في الاستهزاء كأنهم يظنون ذلك بكمال الرغبة والتهيئة لا يبرئ من مزاحهم من أمثال هذه المقالات المأثلة (إذا ذكر) أهم (عبدناك أود) أي وصيته فهو يلازم المعصية في الدنيا وهو يلازمها في الآخرة على كمال فحيم ما يجد قروا عليه من المصحة مع علو شأنه واختصاصه به لما تم النعم والكرامات لما أتم بصغيرة نزل عن منزله ووبخه الملائكة بالتميل والتعريض حتى تظن فاستغفر به وأتاب ووجد منه ما يحكي من بكانه الدائب ونغمه الواصب ونده

المعذب ورجله إلى تلك الحش الأربعة ويضرب على كل واحد من هذه الأعضاء وتدا ويتركه مطلقاً في الهواء إلى أن يموت (والثالث) أنه كان يد المذهب بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات (والرابع) قال قتادة كانت أوتاداً وأرسنا وملاعب يلعب بها عنده (والخامس) أن عساكره كانوا كثيرين وكانوا كثيرى الأبهة عظمى النعم وكانوا يكثر من الأوتاد لأجل الخيام فعرف بها (والسادس) ذوالاوتاد والجوع الكثيرة وسببت الجوع أوتاداً لأنهم يفرون أمره ويشدون مملكتهم كما يفوى التود البناء وأما الآية فهي الفيضة الملتفة ثم قال تعالى أولئك الأحزاب وفيه أقوال (الأول) أن هؤلاء الذين ذكرناهم من الأمم هم الذين تحزبوا على أنبيائهم وأهلكتهم فكذلك نعمل بقومك لأنه تعالى بين بقوله جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب أن قوم محمد صلى الله عليه وسلم جند من الأحزاب أي من جنس الأحزاب المتقدمين فلما ذكرناه طالع الأحزاب المتقدمين بالأهلا كان ذلك تخويفاً شديداً لقوم محمد صلى الله عليه وسلم (الثاني) أن معنى قواد أو تلك الأحزاب مبالغاً وصفهم بقوة والكثر كما يقال فلان هو الرجل والمعنى أن أولئك الأحزاب مع كل قوتهم لما كان هو الهلاك وأنوار فكيف حال هؤلاء الضعفاء الساكنين وأعلم أن هؤلاء الأقوام أن صدقوا بهذا الخبر فهو مخبر وأنهم صدقوا به فهو مخبر أيضاً لأن آثار هذه الوقائع باقية وهو يفسد أظرف القوى فيحذرون ولأن ذكر ذلك على سبيل التنبيه يوجب أخذ الناس بما قال أن كل الأكاذيب الرسل فحق صواب أي كل هذه الطوائف الكاذبة في الزمان في الغيب والتمويه لا حرج نزل العقاب عليهم وإن كان ذلك بعد حين والقصد ومنه زجر السامعين ثم يترتب على أن هؤلاء المكذبين وإن تأخر هلاكهم فكانه واقع بهم فقال ما ينظر هؤلاء الأصححة واحدة مالها من فواق وفي تفسير هذه الصيحة قولنا (الأول) أن يكون المراد عذاباً يفجأهم ويحجبهم دفعة واحدة ثم يقال صباح الزمان بهم إذا هلكوا قال الشاعر

صباح الزمان بال برمك صيحة * خروا شدتها على الأقفال

ويشبه أن يكون أصل ذلك من الخارة إذا غاصت القوم فوهم من الصيحة فيهم وضيقه وقال تعالى فهال ينظرون الأمل أيام الذين خلوا من قبلهم آتاهم (والقول الثاني) وهذه الصيحة هي صيحة النسخة الأولى في الصور كما قال تعالى في سورة يس ما ينظرون الصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون والمعنى أنهم وإن لم يدركوا عذاباً في الدنيا فهو بعد عليهم يوم القيامة فكانهم بذلك العذاب وقد جاءهم فجئتهم منظر يراها على معنى قر بها عنهم كالرجل الذي ينظر الشيء فهو ما أطراف اليد يطعم كل ساعة في حضوره ثم أنه سبحانه وصف هذه الصيحة فقال مالها من فواق قرأ حرة والكسائي فواق بضم الفاء والباقون يفتحها قال الكسائي وأنفراء وأبو عبيدة والآخر هما لغتان من فواق أنافة وهو ما بين حلبتي النافة وأصله من الرجوع يقال أفاق من مرضه أي رجع إلى الصحة فالزمان

الدائم فالظن بهؤلاء الكفرة الذين من كل ذليل المرتكبين ذكراً كبيراً المصيرين على أسطى المصطفى أو تذكر قصته عليه الصلاة والسلام ومن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصائبهم وتحمل أذيتهم كي لا يلقاك ما لقيه من العائيه (دالاً) أي بالقوة يقال فلان أيد وذو أيد بمعنى أباد كل شيء ما يقوى به (أنه أو اب) رجاء إلى مرضاة الله تعالى وهو تعبد لكونه ذا الأيد ودليل على المراد به القوة في الدين فانه عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ويقوم نصف الليل (أنا خسرنا الجبال معه) استنفاً

مُسَوِّقٌ لَتَعْلِيلِ قُوَّتِهِ فِي الدِّينِ وَأَوَائِيَّتِهِ إِلَى مَرَضَاتِهِ تَعَالَى وَمَعَ مُتَعَلِّقَةٍ بِالتَّخْفِيرِ وَإِثَارِهَا عَلَى اللَّامِ لِأَشْرَائِهِ فِي سُورَةِ الْإِنْبِيَاءِ مِنْ أَنْ تَخْفِرَ الْجِبَالُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَكُنْ بِطَرِيقِ تَقْوِيضِ التَّخْفِيرِ الْكُلِّيِّ فِيهَا إِلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَتَخْفِيرِ الرِّيحِ وَغَيْرِهَا لَسَلَوْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلْ بِطَرِيقِ التَّعْلِيلِ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْإِقْدَاءُ بِهِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقِيلَ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَا بَعْدَهَا وَهُوَ أَقْرَبُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا فِي سُورَةِ الْإِنْبِيَاءِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ ١٨٠ وَالسَّلَامُ (يَسْمَعُ) أَيْ يَفْهَمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

الْحَاصِلُ بَيْنَ الْحَبِيتَيْنِ أَعْوَدَانِ إِلَى الْمَضْرَعِ بِسَمِي فَوَاقٍ بِالْفَتْحِ وَبِالضَّمِّ كَقَوْلِكَ فَصَاصُ الشَّعْرِ وَقَصَاصُهُ قَالِ الْوَاحِدِيُّ وَالْفَوَاقُ اسْمَانِ مِنَ الْإِفَاقَةِ وَالْإِفَاقَةُ مَعْنَاهَا الرَّجُوعُ وَالسَّكُونُ كَأَفَاقَةِ الْمَرِيضِ الْأَنْفَوَاقِ بِالْفَتْحِ يَجُوزُ أَنْ يُقْسَمَ مَقَامُ الْمَصْدَرِ وَالْفَوَاقُ بِالضَّمِّ اسْمٌ لِذَلِكَ الزَّمَانِ الَّذِي يَعُودُ فِيهِ اللَّبَنُ إِلَى الْمَضْرَعِ وَرَوَى الْوَاحِدِيُّ فِي النَّبِيَةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَمْرِ اللَّهِ اسْرَافِلُ فَيَنْفُخُ نَفْخَةً فَتَرْجَعُ قَالِ فَيَمْدُهَا وَيَطْوِلُهَا وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ثُمَّ قَالَ الْوَاحِدِيُّ وَهَذَا يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ (أَحَدُهُمَا) مَا لَهَا سَكُونٌ (وَالثَّانِي) مَا لَهَا رَجُوعٌ وَالْمَعْنَى مَا نَسَكُنُ تِلْكَ الصِّحَّةَ وَلَا تَرْجِعُ إِلَى السَّكُونِ وَيُقَالُ لِكُلِّ مَنْ يَبْقَى عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ أَنَّهُ لَا يَنْفُخُ مِنْهُ وَلَا يَنْسُفُقُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ * قَوْلُهُ تَعَالَى (وَقَاوَارِئًا يَعْمَلُ ثِقَاتًا قَطُنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) أَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَإِذَا ذَكَرَ عَبْدُنَا دَاوُدَ ذَا الْإِيْدَانِ (أَوَابَ) أَعْلَمُ أَنَا ذَكَرْنَا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَنْ الْقَوْمَ إِنَّمَا تَعَجَّبُوا الشَّبَهَاتِ ثَلَاثَةً (أُولَاهَا) تَعَلُّقٌ بِالْإِلَهِيَّاتِ وَهُوَ قَوْلُهُ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا (وَالثَّانِيَةُ) تَعَلُّقٌ بِالنَّبَوَاتِ وَهُوَ قَوْلُهُ أَنْزِلْ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ يَمِينِنَا (وَالثَّالِثَةُ) تَعَلُّقٌ بِالْمَعَادِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَقَاوَارِئًا يَعْمَلُ ثِقَاتًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا فِي نَهَايَةِ الْإِنْكَارِ لِلْقَوْلِ بِالْحُشْرِ وَالنُّشْرِ فَكَانُوا يَسْتَدْنُونَ بِفَسَادِ الْقَوْلِ بِالْحُشْرِ وَالنُّشْرِ عَلَى فُسَادِ نَبَوْتِهِ وَالْقَطْعُ الْقَطْعُ مِنْ شَيْءٍ لِأَنَّهُ قُطِعَ مِنْهُ مِنْ قِطْعَةٍ إِذَا قُطِعَ وَيُقَالُ بِصِحْفَةِ الْجَائِزَةِ قَطْعًا وَمَا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِدَالَتَهُ مَتَيْنَ بِالْجَنَّةِ قَالُوا عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِهْزَاءِ عَجَلْنَا فَعَجَلْنَا فَعَجَلْنَا مِنْ الْجَنَّةِ أَوْ عَجَلْنَا صَحْفَةً أَعْمَلْنَا حَقَّ شَعْرِ فِيهَا أَوْ عَجَلْنَا أَنْ الْكُفَّارَ لِمَا نَعُوذُ فِي السَّفَاهَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالُوا أَنَّهُ سَاحِرٌ كَذَّابٌ وَقَالَ تَعَالَى سَبِيلُ الْإِسْتِهْزَاءِ عَجَلْنَا فَعَجَلْنَا فَعَجَلْنَا أَمْرَهُ اللَّهُ بِالصَّبْرِ عَلَى سَفَاهَتِهِمْ فَقَالَ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ فَإِنْ قِيلَ أَيْ تَعَلُّقٌ بَيْنَ قَوْلِهِ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَبَيْنَ قَوْلِهِ وَإِذَا ذَكَرَ عَبْدُنَا دَاوُدَ فَتَنَّا بَيْنَ هَذَا تَعَلُّقٌ مِنْ وَجْهِهِ (الْأَوَّلُ) كَأَنَّهُ قِيلَ إِنْ كُنْتَ فَدَسَّاهْتِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْجِبَالِ جَرَاءَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ وَانْكَارِهِمُ الْخُشْرَ وَالنُّشْرَ فَادْكُرْ قِصَّةَ دَاوُدَ حَتَّى تَعْرِفَ شِدَّةَ خَوْفِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ يَوْمِ الْخُشْرِ فَإِنْ يَدْرُمَا يَزِيدُ إِذَا أَحَدُ الصَّدِيقَيْنِ شَرَّ مَا يَزِيدُ إِذَا ضَدَّ الْآخَرَ نَقْصَانًا (وَالثَّانِي) كَأَنَّهُ قِيلَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَضِيقُ صَدْرُكَ بِسَبَبِ انْكَارِهِمْ قَوْلَكَ وَدِينُكَ فَاوْهَمُ أَنَا خَالَفُوكَ فَالْكَابِرُ مِنَ الْإِنْدِائِ أَوْ يَتَوَكَّ (وَالثَّالِثُ) أَنْ لِلنَّاسِ فِي قِصَّةِ دَاوُدَ قَوْلَيْنِ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ أَنَّهُ تَلَّ عَلَى ذَنْبِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ أَنَّهُ لَا تَدُلُّ عَلَيْهِ (فَقَالَ بِالْأَوَّلِ) كَأَنَّهُ وَجَّهَ الْمُنَاسِبَةَ فِيهِ كَأَنَّهُ قِيلَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ حَزَنَكَ لَيْسَ إِلَّا أَنْ الْكُفَّارَ بِكَذِّبُوكَ وَأَمَّا حَزَنُ دَاوُدَ فَكَانَ بِسَبَبِ وَقُوعِهِ فِي ذَلِكَ الذَّنْبِ وَلَا شَكَّ أَنْ حَزَنَهُ أَشَدُّ فَمَا لَمْ يَفِ قِصَّةَ دَاوُدَ وَمَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْحُزْنِ الْعَظِيمِ حَتَّى يَخْفَ عَلَيْكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْحُزْنِ (وَمَنْ قَالَ بِالثَّانِي) قَالَ الْخَصْمَانِ الَّذَانِ دَخَلَ عَلَى دَاوُدَ كَانَا مِنَ الْبُشْرِ وَإِنَّمَا دَخَلَ عَلَيْهِ لِقَصْدِ قِتْلِهِ فَخَافَ مِنْهُمَا دَاوُدُ وَمَعَ

بِصَوْتٍ يَمَثِّلُ لَهُ أَوْ يَخَاقُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا الْكَلَامُ أَوْ بِلِسَانِ الْحَالِ وَقِيلَ يَسْرُنْ مَعَهُ مِنَ السَّيَاحَةِ وَهُوَ حَالُ مِنَ الْجِبَالِ وَضِعَ مَوْضِعَ مَسْجِدَاتِ الدَّلَالَةِ عَلَى تَجْدِيدِ التَّسْبِيحِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ أَوْ اسْتِثْنَاءٌ مِمَّنْ لَيْسَ بِتَسْبِيحٍ التَّخْفِيرِ (بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) أَيْ وَوَقْتُ الْإِشْرَاقِ وَهُوَ حِينَ تَشْرُقُ الشَّمْسُ أَيْ تَضِيءُ وَيَصْفُوشُ عَاقِبَتُهَا وَهُوَ وَقْتُ الضُّحَى وَأَمَّا شَرْ وَقَهَا فَمَطْلُوعَتُهَا يُقَالُ شَرَقَتِ الشَّمْسُ وَلَمَّا تَشْرُقُ وَعَنْ أَمِّ هَانِئٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صَلَّى صَلَاةَ الضُّحَى وَقَالَ هَذِهِ صَلَاةُ الْإِشْرَاقِ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَمَّا عَافَتْ بَنَاتُهَا عَنْ حُجَّتِهَا إِذْ هَدَّيْنَهَا إِلَى الْجِبَالِ (شَمْسُورَهُ) حَالُ مِنَ الطَّيْرِ وَالْعِلَاقَةِ حَتَّى نَا الطَّيْرِ حَالُ كَوْنِهِمَا بِحُشْرِ رِجْلَيْهِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَالْإِذَا سَجَّحَ جَاوَيْتَهُ الْجِبَالُ بِالسَّيْبِ وَاجْتَمَعَتْ الْبَسَائِلُ فَسَجَّحَتْ وَذَلِكَ حُشْرُهُ أَوْ فَرَى وَالصَّبْرُ بِحُشُورَةٍ بَارَفَعَ عَلَى الْإِقْدَاءِ وَالْخَبَرِ يَفِي (كُلُّهُ أَوَابَ) اسْتِثْنَاءٌ مَقْرَرٌ لِمَنْعِهِمْ مَا فِيهِ مَصْرُحٌ بِمَافَهُمْ مِنْهُ إِجَابَةً لِمَنْ تَسْبِيحُ الطَّيْرِ أَيْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ

لِاجْلِ تَسْبِيحِهِ رَجَاعُ إِلَى التَّسْبِيحِ وَوَضْعُ الْأَوَابِ وَوَضْعُ الْمَسْجِدِ إِمَّا لِأَنَّهُمَا كَانَتَا تَرْجِعُ التَّسْبِيحَ وَالْمَرْجِعُ رَجَاعٌ لِأَنَّهُ رَجَعَ إِلَى قِطْعَةٍ رَجُوعًا بَعْدَ رَجُوعٍ وَأَمَّا لَنْ الْأَوَابِ وَالتَّوَابِ الْكَثِيرِ الرَّجُوعُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ دَابَّةِ الْكُثْرَةِ الذِّكْرُ وَإِدَامَةُ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ وَقِيلَ الضَّمِيرُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَيْ كُلِّ مَنْ دَاوُدَ وَالْجِبَالُ وَالطَّيْرِ لِلَّهِ أَوَابُ أَيْ مَسْجِدٌ مَرْجِعٌ لِلتَّسْبِيحِ (وَشَدَّدْنَا مَلِكُهُ) قُوَّتُهُ بِالْهَيْبَةِ وَالنَّصْرَةِ وَكَثْرَةُ الْجُنُودِ وَفَرَى بِالتَّشْدِيدِ لِلْبَلَاغَةِ قِيلَ كَانَ يَبِيتُ حَوْلَ مَحْرَابِهِ أَرْبَعُونَ

ألف مستلثم وقيل ادعى رجل على آخر بقرعة ونجى الله تعالى الذي التام أن اقل المدعى عليه متأخر فاعيد الوحي في اللفظة فاعلم الرجل فقال ان الله تعالى لم يأخذني بهذا الذنب ولكن باني قتلت أباهذا غيلة فقال الناس ان اذنب أحد ذنبا أظهره الله تعالى عليه فقتله فيها بوجه عظمت هيبته في القلوب (وأيتناه الحكمة) النبوة وكال العلم واتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق ١٨١ فهو حكمة (وفصل الخطاب) أي فصل الخصام بتبيير الحق عن الباطل

أو الكلام المخلص الذي يذهب الخطاب على المرام من غير التباس لما قدر وعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاظهار والاختصار والحذف والتكرار وانما سمي به أما بعد لأنه يفصل المقصود عما سبق تمهيداً له كالحمد والصلوة وقيل هو الخطاب انفصل الذي ليس فيه أيجاز محل ولا طنب عمل كما جازي نعت كلام النبوة فصل لا تزد ولا هذر (وهل تألكت بالخصم) استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماع ما في حيزه لا بذاته بانه من الانبياء البدعية التي حقه ما ان تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد وما فوقه كالضيف ومعنى خصمان في يمان (اذ تسورا الحراب) اذ تصعدوا سورته وتزاولوا اليه والسور الحائط المرتفع وظهير تسميه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته واذمعة بمحذوف أي نباحكم الخصم اذ تسورا أو باشبا على أن المراد به الواقع في عهد داود عليه السلام وأن اسناد لبيان انه

ذلك فلم تعرض لا بذاته ولادعاهما بسوء بل استغفر لهما على ما سيجي تقرير هذه الطريقة فلا جرم أمر الله تعالى محمداً عليه السلام بان يقتدى به في حسن الخلق (والخامس) ان قرئنا انما كذبوا محمداً عليه السلام واستخفوا به لقوا هم في أكثر الامر انه يتيم فقبرتم انه تعالى فص على محمد كمال مملكة داود ثم بين انه مع ذلك ما سلم من الاحزان والغموم ليعلم أن الخلاص عن الحزن لا سبيل اليه في الدنيا (والسادس) أن قوله تعالى اصبر على ما يقولون واذا ذكر عبدنا داود وغيره مقصراً على داود فقط بل ذكر عقيب قصة داود قصص سائر الانبياء فكانه قال فاصبر على ما يقولون واعتبر بحال سائر الانبياء ليعلم أن كل واحد منهم كان مشغولاً بهم خاص وحزن خاص فحينئذ يعلم أن الدنيا لا تنفك عن الهموم والاحزان وان استحقاق الدرجات العالية عند الله لا يحصل الا بتحمل المشاق والمتاعب في الدنيا وهذه وجوه ذكرناها في هذا المقام وههنا وجه آخر أقوى وأحسن من كل ما تقدم وسيجي ذكره ان شاء الله تعالى عند الانتهاء الى تفسير قوله كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته واعلم انه تعالى ذكر بعد ذلك حال تسعة من الانبياء فذكر حال ثلاثة منهم على التفصيل وحال ستة آخرين على الاجمال (فالقصة الاولى) قصة داود واعلم أن مجامع ما ذكره الله تعالى في هذه القصة ثلاثة أنواع من الكلام (فالاول) تفصيل مآل الله داود من الصفات التي توجب سعادة الآخرة والدنيا (والثاني) شرح تلك الواقعة التي وقعت له من أمر الخصمين (والثالث) استخلاص الله تعالى اياه بعد وقوع تلك الواقعة (أما النوع الاول) وهو شرح الصفات التي آتاهها الله داود من الصفات الموجهة لكمال السعادة فهي دشيرة (الاول) قوله لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون واذا ذكر عبدنا داود وأمر محمد صلى الله عليه وسلم على جلالة قدره بان يقتدى في الصبر على طاعة الله بـ داود وذلك تشريف عظيم وإكرام تام لداود حيث أمر الله أفضل الخلق بمحمد صلى الله عليه وسلم بان يقتدى به في مكارم الاخلاق (والثاني) أنه قال في حقه عبدنا داود فوصفه بكونه عبداً له وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية التعظيم وذلك غاية التشريف التي ترى انه سبحانه وتعالى لما أراد أن يشرف بمحمد عليه السلام ليلة المعراج قال سبحانه الذي أسرى بعبده فههنا يدل على ذلك التشريف لداود فكذلك يدل على علو درجته أيضاً فان وصف الله تعالى الانبياء بعبوديته مشعر بانهم قد خضعوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد في الطاعة (والثالث) قوله ذا الابدأ ذا القوة على أداء الطاعة والاحتراز عن المعاصي وذلك لانه تعالى لما مدحه بالقوة وجب ان تكون تلك القوة موجبة للمدح والقوة التي توجب المدح العظيم ليست الا الله على فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه واليد المذكور ههنا كلمة المذكورة في قوله يا محبي خذ الكتاب بقوة واجتهاد في أداء الامانة وتشدد في اقيام ما ندوة وترك اظهار الوهن والضعف والابد

على حذف مضاف أي قصة نبي الخصم أو بالخصم المأفية من معنى الخصومة لا تلي لان آياته الرسل على الله عليه وسلم لم يكن حينئذ وقوله تعالى (اذ دخلوا على داود) بدل مما قبله أو ظرف تسوروا (ففرع منهم) روى أنه تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين قبل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام فطلباً أن يدخل عليهما فوجداه في يوم عبادته فذهما الحرس فتسورا عليه المحراب بين معهما من الملائكة فلم يشعرا الا وهما بين يديه جالساً ففرع منهم لانهم تزاولوا عليه من فوق على خلاف العادة

والحرص حوله في غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضي الله عنهما ان داود عليه السلام اجزأ زمانه اربعة جزاء يوماً للعبادة و يوماً للقضاء و يوماً للاشتغال بخاصة نفسه و يوماً لاعتزاله والتدكير (قائلاً) استثناف وقع جواباً عن سؤال الشا من حكاية فرعه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فإذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفرعه فقيل قالوا ازاناه لفرعه (لا تخف خصمان) أي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصماً (بني بعضنا على ١٨٢) بعض) هو على الفرض وقصد التعريض

فلا كذب فيه (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أي لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط أي لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشطط وكلها من معنى الشطط وهو تجاوز الحد وتخطي الحق (واهدنا الى سواء الصراط) الى وسط طريق الحق بزجر الباطني عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل (انهدا أخى) استثناف ايمن مافيه الخصومة أي أخى في الدين أو في الصفة والمراد بذلك تمهيد ايمن كال قبح ما فعل به صاحبه (له تسعون تسعة ولى نعمة واحدة) هي الاثنى من الله أن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض ايمن في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح الهمزة ونعمة بكسر التون وقرئ ولى نعمة يسكون الياء (فقال افلتيها) أي ملكتها وحققة اجعني اكفليها كما اكفل ما تحت يدي وقبل اجعلها اكفلي أي نصيبي (وعزني في الخطاب) أي غلبني في مخاطبته الي أي بحاجة بان جله بحاج لم أقدر على رده أو في مقابلته الي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخطبني خطاباً أي غابني في الخطبة فغلبني حيث أنه

والقوة سواء ومنه قوله تعالى هو الذي أيدك بخصره وقوله تعالى وأيدناه بروح القدس وقال السماء بينناها يدي وعن قتادة أعطى قوة في العبادة وفقها في الدين وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر (الرابع) قوله انه أو اب أي ان داود كان رجاعاً في أموره كلها الى طاهني والابواب فمال من أب اذا رجع كما قال تعالى ان اليينا ايابهم وفعال بناء البسافة كما يقال قتال وضرب فانه أبلغ من قاتل وضارب (الخامس) قوله تعالى انا سنخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وظهر هذه الآية قوله تعالى يا جبال أو بي معه والطير وفيه مباحث (البحث الاول) وفيه وجوه (الاول) ان الله سبحانه خلق في جسم الجبل حياة وعقلاً وقدره ومنطقاً وحيث صار الجبل مسبحاً لله تعالى وظهره قوله تعالى فلما تجلج ربه للجبل فان معناه انه تعالى خلق في الجبل عقلاً وفهماً خلق فيه رؤية الله تعالى فكذا هي هنا (الثاني) في التأويل مارواه القائل في تفسيره انه يجوز أن يقال ان داود عليه السلام قد أتى من شدة الصوت وحسنه ما كان له في الجبال دوى حسن وما يصغي الطير اليه لحسنه فيكون دوى الجبال وتصويت الطير معه واصغافها اليه تسبيحاً وذكر محمد بن اسحق ان الله تعالى لما عبط أحد من خلقه مثل صوت داود حتى انه كان اذا قرأ القرآن بور دنت منه الوحوش حتى يأخذ بعضها فها (الثالث) ان الله سبحانه سخر الجبال حتى اذا كانت تسبح الي حيث يريد داود وجعل ذلك السبح تسبيحاً له كال بدل على كما يفرد الله تعالى وحكمته (البحث الثاني) قال صاحب الكشف يسبح في معنى مسبحت فان قالوا هل من فرق بين يسبحن ومسبحت فلنأمن فان صيغة الفعل تدل على الحدوث والتجدد وصيغة الاسم على الدوام على ما ينه عبداً فاهر الحوى في كتاب دلائل الانحياز اذا ثبت هذا فنقول قوله يسبحن يدل على حدوث التسبيح من الجبال شي بعد شيء وحالاً بعد حال وكان السامع محاضراً تلك الجبال يسميها تسبيح (البحث الثالث) قال الزجاج قال شرقت الشمس اذا طلعت وأشرقت اذا أضاءت وفعالاً بمعنى (والاول) أكثر قول العرب شرقت الشمس والماء بشرق (البحث الرابع) احتجوا على شرعية صلاة الضحى بهذه الآية عز أم هاني قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فداها بوضوءه ونواظم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هاني هذه صلاة الاشراف وعن طاووس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ انا سنخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق قال كان يصلي اد داود عليه السلام وقال لم يزل في نفسه شيء من صلاة الضحى حتى وجدت في قوله يسبحن بالعشي والاشراق (الصفة السادسة) من صفات داود عليه السلام قوله تعالى والطير محسورة كل اه أو اب وفيه مباحث (البحث الاول) قوله والطير معطوفة على الجبال والتقدير وسخرنا الطير محسورة قال ابن عباس رضي الله عنهما كان داود اذا سجع جأوبته الجبال واجتمعت اليه الطير فمحت معه واجتماعها اليه هو حشرها فيكون على هذا التقدير حاشرها هو الله (فان قيل) كيف يصدر تسبيح الله عن الطير مع

على رده أو في مقابلته الي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخطبني خطاباً أي غابني في الخطبة فغلبني حيث أنه زوجها دوني وقرئ وعازني أي غابني وتخفيف الزاي طاب الحقة وهو تخفيف غريب كأنه قيس على ظلت ومست (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك في نعاجه) جواب قسم محذوف قصد به عليه الصلاة والسلام المباشرة في انكار فعل صاحبه ومجهين طمعه في نعمة من ليس له غير هاهم أن له قطعاً منها وامله عليه الصلاة والسلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادله

عليه أو بناء على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالي لشخصه معنى الاضافة والضم
(وان كثيرا من الخلطاء) أى الشركاء الذين خلطوا اموالهم (ليخفى) ليمضى وقري فيفتح الياء اكتفاء بالكسرة (بعضهم
على بعض) غرر مرار حتى اصبحت والشركة (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) منهم فاتهم يحامون عن ابني والعدوان (وقليل
ماهم) أى وهم قليل وما من مدة الا بهام والتعجب ﴿ ١٨٣ ﴾ من قلةهم والجملة اعتراض (وظ) داودا يافتاه (الظن مستعار

للعلم الاستدلال لما بينه حامن
المشابهة الظاهرة أى علم بما
جرى في مجلس الحكومة وقيل
لما قضى بينهما حلفا أحدهما
الى صاحبه فضحك ثم صعد
الى العمامة عيال وجهه فلم عليه
الصلاة والسلام انه تعالى
ابتلاه وليس المعنى على تخصيص
الفتنة به عليه الصلاة والسلام
دون غيره بتوجيه القصر
المستفاد من كلمة انما بالفعول
بالقياس الى مفعول آخر كما هو
الاستعمال الشائع انوار
على توجيه القصر الى مفعول
الفعل وقبوه باعتبار النفي
فيه والاثبات فيها كافي مثل
قوله انما ضربت زيد وانما
ضربت تاديبا بل على تخصيص
حاله عليه الصلاة والسلام
بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس
الفعل بالقياس الى مغايره من
الافعال لكن لا باعتبار النفي
والاثبات معاني خصوصية
الفعل فانه غير ممكن قطعا بل
باعتبار النفي فيما فيه من معنى
مطلق الفعل واعتبار الاثبات
فيما يقارنه من المعنى المخصوص
فان كل فعل من الافعال
المخصوصة يفعل عند التحقيق
الى معنى مطلق هو مدلول

انه لا يقل لها فلنا لا يبعد أن يقول ان الله تعالى كان يخلق لها عقلا حتى تعرف الله فتسبحه
حينئذ كل ذلك كان معجزة داود عليه السلام (البحث الثاني) قال صاحب الكشف
قوله محشورة في مقابلة يسبح الا انه ليس في الحشر مثل ما كل في التسبيح من ارادة
الدلال على الحدوث شيئا بعد شيئا فلا جرم يحى به اسما فاعلام ذلك لوقيل وسبحرما الطير
محشورة يسبح على تقدير ان الحشر وجد من حاشرها جملة واحدة دل على التقدير
المدكور والله علم (البحث الثالث) قري والطير محشورة بالرفع (الصفة السابعة) من
صفات داود عليه السلام قوله تعالى كل له ارب ودمناه كل واحد من الجبال والعمير اواب
أى رجاء أى كلما رجع داود الى التسبيح جاوبته فهذه الاشياء أيضا كانت ترجع الى
تسبيحاتها وانفرد بين هذه الصفة وبين ما قبلها أن فيما سبق علمنا ان الجبال والطير سبحت
مع تسبيح داود عليه السلام وهذا اللفظ فهنا دوام تلك الموافقة وقيل الصبر في قوله كل
له اواب لله تعالى أى كل من داود والجبال والطير لله اواب أى مسبح مرجع للتسبيح
(الصفة الثامنة) قوله تعالى وشددنا منك دأى فوبناه وقال تعالى شددت عليك باخيك
وقيل شددنا على المبالغة وأما الاسباب الموجبة لحصول هذا الشد فكثيرة وهى اما
الاسباب الدنيوية أو الدينية أما الاول فذكرها وجهين (الاول) روى الواحدى
عن سعيد بن جبر عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان يحرسه كل ليلة ستة ثلاثون ألف
رجل فاذا أصبح كل ارجعوا فدرضى عنكم نبي الله وزاد آخرون فذكرها اربعين الفا
قالوا وكل أشدهم ملك الارض سلطانا ومن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا ادعى عند
داود على رجل أخذ منه بقرة فانكر المدعى عليه فقال داود للمدعى أقم البينة فلم يبقها
فراى داود في منامه ان الله يأمره أن يقتل المدعى عليه فثبت داود وقال هو منام فأتاه
الوسى بعد ذلك بان قتله فاحضره وأعلمه أن الله أمره بقتله فقال المدعى عليه صدق الله
انى كنت قتلت أباهذا الرجل غيلة فقتله داود فهذه الواقعة شددت ملكه وأما الاسباب
الدينية الموجبة لهذا الشد فهى الصبر والتأمل التام والاحتياط الكامل (الصفة
التاسعة) قوله وآتينا الحكمة واعلم انه تعالى قال ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا
كثيرا واعلم أن الفضائل على ثلاثة أقسام النفسانية والبدنية والخارجية والفضائل
النفسانية محصورة في قسمين العلم والعمل أما العلم فهو ان تصير النفس بالتصورات
الحقيقة والتصديقات النفسانية بمقتضى الطاقة البشرية وأما العمل فهو ان يكون
الانسان آتيا بالعمل الاصلح الا صوب بمصالح الدنيا والآخرة فهذا هو الحكمة وانما
سمى هذا بالحكمة لان اشتقاق الحكمة من احكام الامور وتقويتها وتبعيدها عن اسباب
الرخاوة والضعف والاعتقادات الصائبة الصحيحة لا تقبل النسخ والتقص فكانت في غاية
الاحكام وأما الاعمال المطابقة لمصالح الدنيا والآخرة فاتها واجبة الرعاية ولا تقبل النقص
والنسخ فهذا السبب سمينا تلك المعارف وهذه الاعمال بالحكمة (الصفة العاشرة)

لفظ القول وان معنى مخصوص بقارنه ويقيد وهو أثره في الحقيقة فان معنى نصير مثلا فعل النصير يرشدك الى ذلك قولهم معنى
فلان يعطى وينعم بفعل الاعطاء والمنع فورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالعنى
وعلم داود عليه السلام انما فلتنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بأمرأة أو ربا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل ينتبه بها لما قصد منها
وايثار طريق التمثيل لانه أبلغ في التوبيخ

فان التأمل فيه اذا اذناه الى الشعور بما هو الغرض كان ارقم في نفسه واعظم تأثيرا في قلبه وأدعى الى التنبه للخطا مع فيه من مراعاة
حرمته عليه الصلاة والسلام بترك المجاهرة والاشعار بأنه أمر يستحي من ان يصير محجبه وتصويره بصورة الحاكم لاجلانه عليه
السلام والسلام اني التصريح به قد قنعنا الى التنبه تنبيهه عليه الصلاة والسلام على أن أوربا يصدد الخصاص (فاستغفروا به)
اثر ما علم أن ما صدر عنه ذنب (وخررا كما) أي ساجدا على تسبيح السجود ١٨٤ ركونا لانه به أو خرا لم سجودا كما

قوله واصل الخطاب واعلم أن اجسام هذا العالم على ثلاثة أقسام (أحدها) ما تكون
خالية عن الادراك والشعور وهي الجمادات والنباتات (وثانيها) التي يحصل لها ادراك
وشعور ولكنها لا تقدر على تعريف غيرها الاحوال التي عرفوها في الاكثر وهذا القسم
هو جملة الحيوانات سوى الانسان (وثالثها) الذي يحصل له ادراك وشعور ويحصل عنده
قدرة على تعريف غيره الاحوال الملمومة له وذلك هو الانسان وقد رتبته على تعريف الغير
الاحوال الملمومة عنده بالطاق والخطاب ثم ان الناس يختلفون في مراتب القدرة على
التعريف في الضعيف منهم من يتعذر عليه ايراد الكلام المرتب المنتظم بل يكون مخطا
الكلام مضطرب القول ومنهم من يتعذر عليه الترتيب من بعض الوجوه ومنهم من يكون
قادرا على ضبط المعنى والتعريف عنه الى أقصى الغايات وكل من كانت هذه القدرة في حقه
أكمل كانت الآثار الصادرة عن النفس التطبيقية في حقه أكمل وكل من كانت تلك
القدرة في حقه أقل كانت تلك الآثار أضعف ولما بين الله تعالى كمال حال جوهر النفس
التطبيقية التي لداود بقوله وآتينا الحكمة أردفه ببيان كماله في التطق واللفظ والعبارة
فقال وفصل الخطاب وهذا الترتيب في غاية الجلالة ومن المفسرين من فسر ذلك بأن
داود أول من قال في كلامه أما بعد وأقول حقا ان الذين يتبعون أمثال هذه الكلمات
فقد حرموا الوقوف على معاني كلام الله تعالى حرمانا عظيما والله أعلم وقول من قال
المراد معرفة الامور التي بها يفصل بين الخصوم وهو مطلب البينة واليمين فبعد أيضا لان
فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ويحضر في الخيال
بحيث لا يخطئ شيء بشئ وبحيث ينفصل كل مقام عن مقام وهذا معنى عام يتناول
جميع الاقسام والله أعلم وههنا آخر الكلام في الصفات العشرة التي ذكرها الله تعالى
في مدح داود عليه السلام قوله تعالى (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب اذ دخلوا
على داود ففرغ منهم فانوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا
تشطط واحدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي ابنة حمزة تسعون نجدة ولي نعمة واحدة
قلنا أكلت منها وعرفني في الخطاب قال لقد ظنك بسؤال نعجت الى نعاجه وان كثيرا
من الخطا اعينى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقيل ما هم وظن
داود انما افتناه فاستغفر ربه وخررا كما واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لفي وحسن
مآب) اعلم ان الله تعالى للمدح واثنى عليه من الوجوه العشرة أردفه بذكر قصة
ايين بها أن الاحوال الواقعة في هذه القصة لا يبين شيء منها كونه عليه السلام مستحفا
للثناء والمدح والتعظيم أما قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم فهو نظير قوله تعالى هل
أتاك حديث موسى وفائدة هذا الاستفهام التنبيه على جلالة القصة المستقيم عنها
ليكون داعيا الى الاصغاء لها والاعتبار بها وأقول للناس في هذه القصة ثلاثة أقوال
(أحدها) ذكر هذه القصة على وجه يدل على صدور الكبرية عنه (وثانيها) دلالتها على

أي مصليا كانه أحرم ركن
الاستغفار (واناب) أي رجع
الى الله تعالى بالتوبة* واصل
التصديق أن داود عليه السلام
رأى امرأته رجل يقال له أوربا
قال فليد اليها فأسأله أن يطلقها
فاستحي أن يرده ففعل
فتزوجها وهي أم سليمان
عليه السلام وكان ذلك جائزا
في شريعة معتادا فيما بين
أمتد غير محض بالمرأة حيث كان
يسأل بعضهم بعضا أن ينزل
له عن امرأته فيتزوجها اذا
اعجبه وقد كان الانصار في
صدر الاسلام يواسون
المهاجرين بمثل ذلك من غير
تكبر خلا أنه عليه الصلاة
والسلام اعظم منزلته وارتفاع
مرتبته وعلا شأنه تنبيه بالتشديد
على أنه لم يكن ينبغي له أن
يتعاطى ما يتعاطاه الخدام
ويسأل رجل ليس له الامراه
واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها
مع كثرة نسائه بل كان يجب
عليه أن يغتاب هواه ويفهر
نفسه ويصبر على ما تمح به
وقيل لم يكن أوربا تزوجها
بل كان خطبها ثم خطبها داود
عليه السلام فآثره عليه
السلام أهلها فكان ذنبه عليه

الصلاة والسلام أن خطب على خطبة أخيه المسلم هذا وأما ما يذكر من أنه عليه الصلاة والسلام دخل ذات
يوم محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فديده لياخذها
لابن صغيره فطار فوقه فمكة فتبعها فأبصر امرأه جيلة قد نفضت شعرها فطوى بدنها وهي امرأة أوربا وهو من غزاة
البقاء فكتب الى أيوب بن صور ياوهو صاحب بعث البقاء أن أبعث أوربا وقدمه على

الصغيرة (وثالثهما) بحيث لا تدل على تكبير ولا تدل على الصغيرة فأما القول الاول فحاصل كلامهم فيها ان داود عشق امرأة أوريا فاحتال بالوجوه الكثيرة حتى قتل زوجها ثم تزوج بها فأرسل الله اليه ملكين في صورة المنحاصدين في واقعة شبيهة بواقعة وعرضنا تلك الواقعة عليه فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنباً ثم تذبذبه بذلك فاشتغل بالتوبة والذي أدين به وأذهب اليه ان ذلك باطل ويدل عليه وجوه الاول ان هذه الحكاية لو نسبت الى أفسق الناس وأشد هم فجور الاستدراك منها والرجل الحشوي الخبيث الذي يقرر تلك القصة لو نسب الى مثل هذا العمل لبات في تزييه نفسه ور بما عن من ينسب اليها واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم اليه (الثاني) ان حاصل القصة يرجع الى امرين الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته (أما الاول) فامر منكراً قال صلى الله عليه وسلم من سعى في دم مسلم ولو بشطر كفه جاء يوم القيامة مذموباً بين عينيه آيس من رحمة الله (وأما الثاني) فنكر عظيم قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وان أوريا لم يسلم من داود لاني روحه ولا في منكوحه (والثالث) ان الله تعالى وصف داود عليه السلام قبل ذكر هذه القصة بالصفات العشرة المذكورة ووصفه أيضاً بصفات كثيرة بعد ذكر هذه القصة وكل هذه الصفات تنفي كونه عليه السلام موصوفاً بهذا الفعل الشكر والعمل القبيح ولا بأس باعادة هذه الصفات لاجل المبالغة في البيان فنقول : (أما الصفات الاولى) فهي انه تعالى أمر محمد صلى الله عليه وسلم بأن يقتدى بداود في المصابرة مع المكابدة ولو قلنا ان داود لم يصبر على مخافة النفس بل سعى في اراقته دم امرئ مسلم لغرض شهوته فكيف يليق بأحكام الحاكمين أن يأمر محمداً أفضل الرسل بأن يقتدى بداود في الصبر على طاعة الله (وأما الصفات الثانية) فهي أنه وصفه بكونه عبداً له وقد بينا ان المقصود من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملاً في موقف العبودية تاماً في القيام بأداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات ولو قلنا ان داود عليه السلام اشتغل بتلك الاعمال الباطلة فحينئذ ما كان داود كاملاً في عبوديته لله تعالى بل كان كاملاً في طاعة الهوى والشهوة (الصفة الثالثة) هو قوله ذا اليد أي ذا القوة ولا شك أن المراد منه القوة في الدين لان القوة في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفار ولا معنى للقوة في الدين الا القوة الكاملة على أداء الواجبات والاجتناب عن المحظورات وأي قوة لمن لم يملك نفسه عن القتل والرغبة في زوجة المسلم (الصفة الرابعة) كونه أواباً كثير الرجوع الى الله تعالى وكيف يليق هذا بمن يكون قلبه مشغولاً بالقتل والفجور (الصفة الخامسة) قوله تعالى اناسخرتنا الجبال معه أفقياً أنه سخرت له الجبال ليتخذ وسيلة الى القتل والفجور (الصفة السادسة) قوله والطير محشورة وقيل انه كان محرماً عليه صيد شيء من الطير وكيف يعقل أن يكون الضير آمناً منه ولا يجهوم منه الرجل المسلم على روحه ومنكوحه (الصفة السابعة) قوله تعالى وشددنا ملكك ومحال أن يكون

النايوت وكان من تقدم
عنى انايوت لايجز له أن
يرجم حسنى يفتح الله
عليه يديه أو يستشهد فقطع
الله تعالى على يده وسلم
فأمر برده مرة أخرى
وثالثه حتى قتل وأناه خبر
قتله فلم يحزن كما كان
يعزن على الشهداء
وتزوج امرأته فافك
مبتدع مكروه ومكر
مخترع بأس مأكروه
تجديلا لسماع وتفرغ عنه
الطباع ويل لمن ابتدعه
وأشاعه وثالثاً اخترعه
وأذاعه ولذلك قال علي
رضي الله عنه من حدث
بحديث داود عليه السلام
على ما روي به القصص
جلدته مائة وستين وذلك
حد القرية على الانبياء
صلوات الله تعالى وسلامه
عليهم هذا وقد قيل
ان قوما قصدوا أن
يقتلوه عليه الصلاة
والسلام فتسوروا
الحراب ودخلوا عليه
فوجدوا عنده أقواماً
فصنعوا بهذا الحاكم
فعل عليه الصلاة والسلام
غرضهم فهم بأن ينقم
منهم فظن أن ذلك

قوله الصفة الثامنة الخ الموافق لما ذكره في أول القصة * ١٨٦ * أن يجعل قوله وآتياء الحكمة هي التاسعة

وقوله وفصل الخطاب
هي عشرة وعشرون
أسقطت أربع عشرة
كل أبواب وقوله بعد
ذلك وأما الصفات
المذكورة بعد ذكر القصة
فهي عشرة لا يخفى ما
فيه فاعلم ابتداءه
من الله عز وجل فاستغفر
ربه بما هم به وأتاب
(فقه ناله ذلك) أي
ما استغفر منه وروى أنه
عليه الصلاة والسلام
بقي ساجدا أربعين يوما
وليلة لا يرفع رأسه إلا الصلاة
مكتوبة أو لا يبدعه
ولا يرقأ دمه حتى ثبت
منه العشب إلى رأسه ولم
يشرب ماء الا ثلثه دمع
وجهد نفسه راغبا إلى
الله تعالى في العفو عنه
حتى كاد يهلك واشتغل
بذلك عن الملك حتى وثب
إبن له يقال له إيشاعلى
ملكه ودعا إلى نفسه
فاجتمع إليه أهل الزنج
من بني إسرائيل فلما غفر له
حارب به فهزيمه (وإن له
عندنا لثني) لقرية وكرامة
بعد المفقرة (وحسن ما ب)
حسن مرجع في الجنة
(ياد داود) أنا جعلناك خليفة

المراد أنه تعالى شد ملكه ما باب الدنيا بل المراد أنه تعالى شد ملكه بما يقوى الدين
وأخبار معادة الآخرة والمراد تشديد ملكه في الدين والدنيا ومن لا يملك نفسه عن
الافتقار والتجور كيف يليق بذلك (الصفة الثامنة) قوله تعالى وآتياء الحكمة وفصل
الخطاب والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علما وعملا فكيف يجوز أن يقول الله تعالى
آتياء الحكمة وفصل الخطاب مع استمراره على ما يستنكف عنه الخبيث الشيطان
من مزاحمة اخلص أصحابه في الروح والمنكوح فهذه الصفات المذكورة قبل شرح
تلك القصة دالة على براءة ساحته عن تلك الأكاذيب * وأما الصفات المذكورة بعد ذكر
القصة فهي عشرة (الأول) قوله وإن له عندنا لثني وحسن ما ب وذكر هذا الكلام إنما
يناسب لودت القصة المقدمة على قوته في طاعة الله أما لو كانت القصة المقدمة دالة
على سعيه في القتل والتجور لم يكن قوله وإن له عندنا لثني لأتقابه (الثاني) قوله تعالى
ياد داود أنا جعلناك خليفة في الأرض وهذا يدل على كذب تلك القصة من وجوه (أحدها)
أن الملك الكبير إذا حكى عن بعض عبيده أنه قصد دماء الناس وأموالهم وأزواجهم
فبعد فراغه من شرح تلك القصة علم ملامن الناس يقيح منه أن يقول عقبيه أي العبد
أني فوضت إليك خلافتي وثيابي وذلك لأن ذكر تلك القبائح والأفعال المنكرة يناسب
الزجر والحجرفا جعله نائبا وخليفة لنفسه فذلك البتة مما لا يليق (وثانيها) أنه ثبت في
أصول الفقه أن ذكر الحكم عقيب الوصف يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف
فلما حكى الله تعالى عنه تلك الواقعة القبيحة ثم قال بعده أنا جعلناك خليفة في الأرض
أشعر هذا بان الموجب لتفويض هذه الخلافة هو آتياءه بتلك الأفعال المنكرة ومعلوم أن
هذا غايرد أما لو ذكر تلك القصة على وجوه تدل على براءة ساحته عن المعاصي والذنوب
وعلى شدة مصابرتة على طاعة الله تعالى فحينئذ يناسب أن يذكر عقبيه أنا جعلناك خليفة
في الأرض فثبت أن هذا الذي نختاره أولى (والثالث) وهو أنه لما كانت مقدمة الآية
دالة على مدح داود عليه السلام وتعليلها وموخرتها أيضا دالة على ذلك فلو كانت الوسطة
دالة على القبائح والمعاصي لجرى مجرى أن يقال فلان عظيم الدرجة على المرتبة في طاعة
الله يقتل ويذنب ويسرق وقد جعله خليفة في أرضه وصوب أحكامه وكما أن هذا الكلام مما
لا يليق بالعامل فكذا همنا ومن المعلوم أن ذكر العشق والسعي في القتل من أعظم أبواب
العيوب (والرابع) وهو أن النازلين بهذا القول ذكروا في هذه الرواية أن داود عليه
السلام تمنى أن يحصل له في الدين كما حصل للأنبياء المتقدمين من المنازل العالية مثل
ما حصل للخليل من الالتقاء في النار وحصل للذريح من الذبح وحصل ليعقوب من الشدائد
الموجبة لكثرة الثواب فأوحى الله إليه أنهم إنما وجبوا تلك الدرجات لأنهم لما ابتلوا
صبروا فعند ذلك سأل داود عليه السلام الابتلاء فأوحى الله إليه أنك ستبلى في يوم كذا
فبأنك في الاحتراز ثم وقعت الواقعة فتقول أول حكايتهم يدل على أن الله تعالى يتبلي بالبلاء

في الأرض) أما حكاية لما خوطب به عليه الصلاة والسلام مينة لرفاه عنده عز وجل وأما (الذي)
مقول قول مقدر هو معلوف على

غفرنا أوجال من فاعله أى وقتلناه ﴿ ١٨٧ ﴾ أو قائلين له يا داود الخ أى استخلفناك

الذى يز يدق مغتبه و يكمل مراتب اخلاصه فالسعى فى قتل النفس بغير الحق والافراط فى العشق كيف يليق بهذه الحسالة ويثبت ان الحكاية التى ذكروها ينساقض أولها آخرها (الخامس) ان داود عليه السلام قال وان كثيرا من الخطاه ليسبى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا استثنى الذين آمنوا عن البغى فلو قلنا انه كان موصوما بالبغى لزم أن يقال انه حكم بعدم الايمان على نفسه وذلك باطل (السادس) حضرت فى بعض المجالس وحضر فيه بعض أكابر الملوك وكان يزيد أن يتعصب لقرار ذلك القول الفاسد والقصة الخبيثة لسبب اقتضى ذلك فقلت له لاشك ان داود عليه السلام كان من أكابر الانبياء والرسل ولقد قال الله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته ومن مدحه الله تعالى بمثل هذا المدح العظيم لم يجوز لنا أن نتابع فى الطعن فيه وأيضاً بتقدير انه ما كان نبيا فلا شك انه كان مسلما ولقد قال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير ثم على تقدير اننا لانلقت الى شئ من هذه الدلائل الا أن نقول ان من العلوم بالضرورة ان بتقدير أن تكون القصة التى ذكرتموها حقة صحيحة فان روايتها وذكرها لا يوجب شيئا من الثواب لان اشاعة الفاحشة ان لم توجب العقاب فلا أقل من أن لا توجب الثواب وأما بتقدير أن تكون هذه القصة باطلة فاسدة فان ذكرها يستحق أعظم العقاب والواقعة التى هذا شأنها وصفتها ان صريح العقل يوجب السكوت عنها فثبت أن الحق ما ذهبنا اليه وان شرح تلك القصة محرم محذور فلما سمع ذلك انك هذا الكلام سكوت ولم يذكر شيئا (السابع) ان ذكر هذه القصة وذكر قصة يوسف عليه السلام يقتضى اشاعة الفاحشة فوجب أن يكون محرم ما لقوله تعالى ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا (الثامن) اوسعى داود فى قتل ذلك الرجل لدخل تحت قواه من سعى فدم مسلم ولو بشرط كلفنا يوم القيامة مكتوبين عبيد آيس من رحمة الله وأيضاً لو فعل ذلك لما كان طامنا فكان يدخل تحت قوله لعنة الله على الظالمين (التاسع) عن سعيد بن السيب أن على بن أبى طالب عليه السلام قال من حديثكم بحديث داود على ما يرويه ان قصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفر يدعى الانبياء ومما شوى هذا انهم لما قالوا ان المغيرة بن شعبه زنى وشهد ثلاثة من صدول الصحابة بذلك واما الرابع فانه لم يقل بأى رأيت ذلك العمل بعينى فان عمر بن الخطاب كذب أولئك الثلاثة وجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة لاجل انهم قد فؤوا واذا كان الحال فى واحد من آحاد الصحابة كذلك فكيف الحال مع داود عليه السلام مع انه من أكابر الانبياء عليهم السلام (العاشر) روى أن منهم من ذكر هذه القصة على ما فى كتاب الله تعالى فقال لا ينبغي أن يراى حديثها وان كانت الواقعة على ما ذكرت ثم انه تعالى لم يذكرها لاجل أن يستتر تلك الواقعة على داود عليه السلام فلا يجوز له اعلان أن يسعى فى هتك ذلك السر بعد ألف سنة أو وقل أو أكثر فقال عمر سماعى هذا الكلام أحب الى مما طلعت عليه الشمس فثبت بهذه الوجوه التى ذكرناها ان القصة التى ذكروها فاسدة باطلة فان قال قائل

على الملك فيها والحكم
فما بين أهلها أوجه لملك
خليفة من كان قبلك من
الانبياء القائمين بالحق
وفيه دليل بين على
ان حاله عليه الصلاة
والسلام بعد التوبة كما
كانت قبلها لم تتغير قط
(فاحكم بين الناس بالحق)
بحكم الله تعالى فان
الخلافه بكلامه عليه
مقتضية له حتما (ولا تتبع
الهوى) أى هوى النفس
فى الحكومات وغيرها
من أمور الدين والدنيا
(فيضلك عن سبيل الله)
بالنصب على أنه جواب
النهى وقيل هو محذور
بالعطف على النهى
مفتوح لا لقائه اسد كثير
أى فيكون الهوى
أو اتباعه سببا لضلالك
عن دلائله التى نصيها
على الحق فكوننا
رتشر بها وقوله تعالى
ان الذين يضلون
عن سبيل الله (تعليق
ناقله بيسار غائبة
واظهار

سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير والابذان * ١٨٨ * بكمال شناعة الضلال عنه (لهم عذاب

شديد) جملة من خبر
ومبتدأ وقعت خبر الان
أو الظرف خبر لان
وعذاب مرتفع على
الفاعلية بما فيه من معنى
الاستقرار (بما نسوا)
بسبب نسيانهم وقوله
تعالى (يوم الحساب)
امام فاعول نسوا فيكون
تعليل الصريح اثبت
العذاب الشديد لهم
بنسيان يوم الحساب بعد
الاشعار بعلية ما يستتبعه
ويستلزمه أعني الضلال
عن سبيل الله تعالى فانه
مستلزم لنسيان يوم
الحساب بل المره بل هذا
فرد من أفراد أو ظرف
لقوله تعالى لهم أي لهم
عذاب شديد يوم القيامة
بسبب نسيانهم الذي هو
عبارة عن ضلالهم
ومن ضرورته أن يكون
مفعوله سبيل الله فيكون
التعليل المصريح به
حينئذ عين التعليل
المشعر به بالذات غيره

ان كثير من أكابر المحدثين والمفسرين ذكروا هذه القصة فكيف الحال فيها فالجواب
الحقيقي انه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من أخبار الآحاد
كان الرجوع الى الدلائل القاطعة أولى وأيضاً فالاصل براءة الذمة وأيضاً فلما تعارض
دليل التحريم والتحليل كان جانب التحريم أولى وأيضاً طريقة الاحتياط توجب ترجيح
قوانا وأيضاً فتحن نعلم بالضرورة ان بتقدير وقوع هذه الواقعة لا يقول الله لنا يوم القيامة
لم لم تسعوا في تشهير هذه الواقعة وأما بتقدير كونها باطلة فان علينا في ذكرها أعظم
العقاب وأيضاً فقال عليه السلام اذا علمت مثل الشمس فاشهدوه ههنا لم يحصل العلم
ولا الظرف في صحة هذه الحكاية بل الدلائل القاهرة التي ذكرناها فائنة فوجب أن لا تجوز
الشهادة بها وأيضاً كل المفسرين لم يتفقوا على هذا القول بل الاكثرون المحققون
والمحققون منهم يردونه ويحكمون عليه بالكذب والفساد وأيضاً اذا تعارضت أقوال
المفسرين والمحدثين فيه تساقطت وبقى الرجوع الى الدلائل التي ذكرناها فهذا تمام
الكلام في هذه القصة (أما الاحتمال الثاني) وهو ان نحمل هذه القصة على وجد يوجب
حصول الصغيرة ولا يوجب حصول الكبيرة فنقول في كيفية هذه القصة على هذا التقدير
وجوه (الاول) ان هذه المرأة خطبها أوريا فاجابوه ثم خطبها داود فأثره أهلها فكان
ذنبه ان خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نساؤه (الثاني) قالوا انه وقع بصره عليها
فقال قلبه اليها وليس له في هذا ذنب البتة أما وقوع بصره عليها من غير قصد فذلك ليس
بذنب وأما حصول الميل عقيب النظر فليس أيضاً ذنباً لان هذا الميل ليس في وسعه فلا
يكون مكافاه بل لما انفق أن قتل زوجها لمية تأذيا عظيما بسبب قتله لاجل انه طمع أن
يتزوج بتلك المرأة فحصلت الزلة بسبب هذا المعنى وهوانه لم يشق عليه قتل ذلك الرجل
(والثالث) انه كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضاً أن يطلق امرأته
حتى يتزوجها وكانت عاداتهم في هذا المعنى مألوفاً معروفة وبنان الانصار كانوا يواسون
المهاجرين بهذا المعنى فاتفق ان عين داود عليه السلام وقعت على تلك المرأة فأحبها ففساد
النزول عنها فاستحبها أن يرده ففعل وهي أم سليمان فقبل له هذا وان كان جائزاً في ظاهر
الشريعة الا انه لا يليق بك فان حسنات الارباب سيئات المقر بين فنهذه وجوه ثلاثة
لوجلنا هذه القصة على واحد منها لم يلزم في حق داود عليه السلام الا ترك الافضل
والاولى (وأما الاحتمال الثالث) وهو أن هذه القصة على وجه لا يلزم الحاق الكبيرة
وانصغيره بداود عليه السلام بل يوجب الحاق أعظم أنواع المدح والثناء به وهو أن نقول
رعى أن جماعة من الاعداء ساءوا في أن يقتلوا نبي الله داود عليه السلام وكان له يوم
يخلو فيه بنفسه يشتغل بصناعة به عاتق وزوال الغيرة في ذات اليوم تسوروا المحل فلما
دخل عليه وجدوا عداً أقواسا يمشونه منهم فمخفوا فوسعوا كدبا فقاموا خصمان بنى
بعضنا على بعض الى آخر القصة وليس في لفظ القرآن ما يمكن أن يخرج به في الحاق الذنب

يداود الألفاظ أربعة (أحدها) قوله وظن داود انما فتناه (وثانيها) قوله تعالى فاستغفر
 ربه (وثالثها) قوله وأتاب (ورابعها) قوله فغفرنا له ذلك ثم نقول وهذه الألفاظ لا يدل
 شيء منها على ما ذكره وتقريره من وجوه (الاول) أنهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا
 الطريق وعلم داود عليه السلام ذلك دعاه الغضب الى أن يشتغل بالانتقام منهم الا انه مال
 الى الصفح والتجاوز عنهم طلبا لرضا الله قال وكانت هذه الواقعة هي الفتنة لانها جارية
 مجرى الابتلاء والامتحان ثم انه استغفر ربه عما هم به من الانتقام منهم وتاب عن ذلك
 الهيم وأتاب فغفر له ذلك القدر من الهيم والعزم (والثاني) أنه وان غلب على ظنه أنهم
 دخلوا عليه ليقتلوه الا انه تدم على ذلك الظن وقال لما لم تقم دلالة ولا اشارة على أن الامر
 كذلك فبئسما علمت بهم حيث ظننت بهم هذا الظن الردي فكان هذا هو المراد من
 قوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخررا كما وأتاب منه فغفر الله له ذلك (الثالث)
 أن دخولهم عليه كان فتنة لداود عليه السلام الا انه عليه السلام استغفر لذلك الداخل
 العازم على قتله كما قال في حق محمد صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
 فداود عليه السلام استغفر لهم وأتاب أي رجع الى الله تعالى في طلب مغفرة ذلك
 الداخل القاصد للقتل وقوله فغفرنا له ذلك أي غفرنا له ذلك الذنب لاجل احترام داود
 وتعظيمه كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ان معناه ان
 الله تعالى يغفر لك ولا جلت ما تقدم من ذنبك (الرابع) هب انه تاب داود عليه السلام
 عن زلة صدرت منه لكن لا نسلم أن تلك الزلة وقعت بسبب المرأة فلم لا يجوز أن يقال ان
 تلك الزلة انما حصلت لانه قضى لاحد الخصمين قبل أن يسمع كلام الخصم الثاني فانه لما
 قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فتحكم عليه بكونه ظلما بمجرد دعوى الخصم بغير
 بينة لكون هذا الحكم مخالفا للصواب فعند هذا اشتغل بالاستغفار والتوبة لأن هذا
 من باب ترك الافضل والاول وثبت بهذه البيانات اننا اذا جئنا هذه الآيات على هذا الوجه
 فانه لا يلزم اسناد شيء من الذنوب الى داود عليه السلام بل ذلك يوجب اسناد أعظم
 الطاعات اليه ثم نقول وحل الآية عليه أولى لوجوه (الاول) ان الاصل في حال المسلم
 البعد عن المناهي لاسيما وهو رجل من اكابر الانبياء والرسل (والثاني) انه أحوط
 (والثالث) أنه تعالى قال أول الآية لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون
 واذا كرهت منا داود فان قوم محمد عليه السلام لما أظهروا السفاهة حيث قالوا انه
 ساحر كذاب واستهزؤا به حيث قالوا ربنا عجل لنا قسطا قبل يوم الحساب قال تعالى في أول
 الآية اصبر يا محمد على سفاهتهم وتحمل ولا تظهر الغضب واذا كرهت منا داود وهذا
 الذكر انما يحس اذا كره داود عليه السلام قاصبر على ايذائهم وتحمل سفاهتهم وحمل
 ولم يظهر البش والغضب وهذا المعنى انما يحصل اذا جئنا الآية على ما ذكرناه أما اذا
 جئناها على ما ذكره صار الكلام متافصا فاسدا (والرابع) ان تلك الرواية انما تنشئ

بالعنوان ومن لم يتنبه
 لهذا السر السري
 قال بسبب نسب انهم وهو
 ضلالهم عن السبيل
 فان تذكره يقتضي ملازمة
 الحق ومخالفة الهوى
 قدبر (وما خلقنا السماء
 والارض وما بينهما
 باطلا) كلام مستأنف
 مقرر لما قبله من أمر
 البعث والحساب والجزاء
 أي وما خلقناهما وما
 بينهما من المخلوقات على
 هذا النظام البدع الذي
 نتحار في فهمه العقول
 خلقا باطلا أي خاليا
 عن الغاية الجليلة والحكمة
 الباهرة بل متطويا على
 الحق المبين والحكم
 البالغة حيث خلقنا من
 بين ما خلقنا نفوسا
 أودعناها العقل والتمييز
 بين الحق والباطل والنافع
 والضار ومكنها من
 التصرفات العلمية والعملية
 في استجلاب منافعها
 واستدفاع مضارها
 ونصنص الحق دلائل
 آفاقية وأنبأهم بمخبر
 القدرة على الاستشهاد
 بها ثم لم نقصر على

اذا قلنا الخصمان كانا ملكين ولما كانا من الملائكة وما كان بينهما خصمة وما بنى
أحدهما على الآخر كان قولهما خصمان بنى بعضنا على بعض كذباً فهذه الرواية
لا تتم الابشيتين (أحدهما) اسناد الكذب الى الملائكة (والثاني) أريتوسل باسناد
الكذب الى الملائكة الى اسناد أفحش القبايح الى رجل كبير من أكابر الانبياء فأما اذا
حملنا الآية على ما ذكرنا استغنيا عن اسناد الكذب الى الملائكة وعن اسناد القبيح
الى الانبياء فكان قولنا أولى فهذا ما عندنا في هذا الباب والله أعلم بأسرار كلامه ورجع
الآن الى تفسير الآيات أما قوله وهل أتاك بالخصم قال الواحدى الخصم مصدر
خصمته اخصمه خصماً ثم يسمى به الاثنان والجمع ولا يثنى ولا يجمع يقال هما خصم وهم
خصم كما يقال هما عدل وهم عدل والمعنى ذو اخصم وذو وخصم وأريد بالخصم ههنا
الشخصان اللذان دخلا على داود عليه السلام وقوله تعالى اذا تسوروا المحراب يقال
تسورت السور تسورا اذا علوته ومعنى تسوروا المحراب أى أتوه من سوره وهو أعلاه
يقال تسور فلان الدار اذا أتاها من قبل سورها وأما المحراب فالمراد منه البيت الذى كان
داود يدخل فيه ويستقل بطاعة به وسمى ذلك البيت بالمحراب لاشتماله على المحراب كما
يسمى الشئ بأشرف أجزائه وههنا مسئله من علم أصول الفقه وهى أن أقل الجمل اثنان
عند بعض الناس وهو لا تمسكوا بهذه الآية لانه تعالى ذكر صيغة الجمع في هذه الآيات
في أربعة مواضع (أحدها) قوله تعالى اذا تسوروا المحراب (وثانيها) قوله اذا دخلوا
(وثالثها) قوله منهم (ورابعها) قوله قالوا لا تخف فهذه الالفاظ الأربعة كلها صيغ الجمع
وهم كانوا اثنين بدليل أنهم قالوا اخصمان قالوا فهذه الآية تدل على أن أقل الجمل اثنان
(والجواب) لا يمتنع أن يكون كل واحد من الخصمين جمعا كثيرين لانا بيننا ان الخصم
اذا جعل اسمافاته لا يثنى ولا يجمع ثم قال تعالى اذ دخلوا على داود والفسادة فيه انهم
ر بما تسوروا المحراب وما دخلوا عليه فلما قل اذ دخلوا عليه دل على انهم بعد التسور
دخلوا عليه قال القراء وقد يجاء بأمرتين ويكون كالواحد كقولك ضربك اذ
دخلت على اذا اجترأت مع أنه يكون وقت الدخول ووقت الاجتراء واحداً ثم قال ته الى
ففرع منهم والسبب أن داود عليه السلام لما رآهما قد دخلوا عليه لامن الطريق المعتاد
علم أنهم ائتماد دخلوا عليه للشرف فلا جرم فرع منهم ثم قال تعالى قالوا لا تخف خصمان بنى
بعضنا على بعض وفيه مسائل (المسئلة الاولى) خصمان خبر مبتدا محذوف أى نحن
خصمان (المسئلة الثانية) ههنا قولان (الاول) انها كانا ملكين نزلا من السماء وأراد
تنبيه داود عليه السلام على قبح العمل الذى أقدم عليه (والثاني) انها كانا انسانين
دخلا عليه الشر والقتل فقتلنا فهما مجذبان خاليا فلما رآيا عنده جماعة من الخدم اختلقا
ذلك الكذب لدفع الشر وأما المنكرون لكونهما ملكين وقد أحجوا عليه بانهما لو كانا
ملكين لكانا كاذبين في قولهما خصمان فانه ليس بين الملائكة خصومة وانما كاذبين

لك المقدار من الاطاف
بل أرسلنا اليها رسلا
وأزلنا عليها كتابنا
فيها كل دقيق وجليل
وأزحنا عليها بالكلية
وعرضناها بالكيف
للمنافع العظيمة وأعدنا
لها عاقبة وجزاء على
حسب أعمالها (ذلك)
إشارة الى مانف من
خلق ما ذكر باطلا (ظن
الذين كفروا) أى
مظنونهم فان جمودهم
بأمر البعث والجزاء
الذى عليه يدور فلك
تكوين العالم قولهم
يطلان خلق ما ذكرنا
خلوه من الحكمة سبحانه
وتعالى عما يقولون علوا
كبرا (قويل الذين
كفروا) مبتدأ وخبر
والفائدة ترتب ثبوت
الو بلى لهم على ظنهم
الباطل كما أن وضع
وصول موضع ضميرهم
شعار بما في حيز الصلة
بعلية كفرهم له ولا تنافي
بينهما لان ظنهم
من باب كفرهم ومن
في قوله تعالى (من النار)
تعليقية كافي قوله تعالى

في قولهم ابنى بعضنا على بعض وانكنا كاذبين في قوتهم ان هذا أخى له تسع وتسعون
نعجة وثبت انهما لو كانا ملكين لكانا كاذبين وسكذب على الميث غير جائز فويل له تعالى
لاستونه بالقول ولقوله ويفعلون ما يؤمرور أجاب الداعيون الى القول الاول عن هذا
الكلام بأن قالوا ان الملكين انما ذكر هذا الكلام على سبيل ضرب المثل لا على سبيل
التحقيق فلم يلزم الكذب وأجيب عن هذا الجواب بأن ما ذكرتم يقتضى العدول عن
ظاهر اللفظ ومعلوم انه على خلاف الاصل أما اذا حللنا الكلام على أن الخصمين كانا
رجلين دخلا عليه لغرض الشر ثم وضعنا هذا الحديث الباطل فحينئذ لم اسناد الكذب
الى شخصين فاسقين فكان هذا أولى من القول الاول والله أعلم وأما القائلون بكونهما
ملكين فقد احتجوا بوجوه (الاول) اتفاق أكثر القسرين عليه (والثاني) انه أرغم منزلة
من أريد سور عليه آحاد الرعية في حال تبعده فوجب أن يكون ذلك من الملائكة (الثالث)
أن قوله تعالى قالوا لا تخف كالدلالة على كونهما ملكين لان من هو من رعيته لا يكاد يقول
له مثل ذلك مع رفعة منزلته (الرابع) ان قولهما ولا تشطط كالدلالة على كونهما
ملكين لان أحدا من رعيته لا يتجاسر أن يقول له لا تظلم ولا تتجاوز عن الحق واعلم أن
ضعف هذه الدلائل ظاهر ولا حاجة الى الجواب والله أعلم (المسئلة الثالثة) بنى بعضنا
على بعض أى تعدى وخرج عن الحديث قال بنى الجرح اذا أفرط وجعه وانتهى الى الغاية
ويقال بقت المرأة اذا زنت لان الزنا كبيرة منكرة قال تعالى ولا تكرر هو فتياكم على البقاء
ثم قال فاحكم بيننا بالحق معنى الحكم احكام الامر في امضاء تكليف الله عليهما
في الواقعة ومنه حكمة الدابة لانها تمنع من الجراح ومنه بناء محكم اذا كان قويا وقوله
بالحق أى بالحكم الحق وهو الذى حكم الله به ولا تشطط يقال شط الرجل اذا بعد ومنه
قوله شطت المدار اذا بعدت قال تعالى لقد قلنا اذا شططنا أى قولا بعيدا عن الحق فقوله
ولا تشطط أى لا تبعد في هذا الحكم عن الحق ثم قال واهدنا الى سواء الصراط وسواء
الصراط هو وسطه قال تعالى فاطلع فراة في سواء الجحيم ووسط الشيء أفضله وأعدله قال
تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا وأقول انهم عبروا عن المقصود الواحد بثلاث عبارات
(أولها) قولهم فاحكم بالحق (وثانيها) قولهم ولا تشطط وهى نهى عن الباطل (وثالثها)
قولهم واهدنا الى سواء الصراط يعنى يجب أن يكون سميك في ايجاد هذا الحق وفي
الاحتراز عن هذا الباطل أن تردنا من الطريق الباطل الى الطريق الحق وهذا بما للغة
تامة في تقرير المطلوب واعلم انهم لما أخبروا عن وقوع الخصومة على سبيل الاجال
أردفوه ببيان سبب تلك الخصومة على سبيل التفصيل فقال ان هذا أخى له تسع وتسعون
نعجة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشف أخى بدل من هذا أو خبر
لقوله ان والمراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والالفة أو أخوة الشركة والخلطة قوله
تعالى وان كثيرا من الخطاء وكل واحدة من هذه الاخوات توجب الامتناع من الظلم

ما يؤدى اليها من ظنهم
وكفرهم أى قويل لهم
بسبب النار المترتبة على
ظنهم وكفرهم (أم جعل
الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين
في الارض) أم منقطعة
وما فيها من بل للاضراب
الانتقالى عن تقرير رأس
البعث والحساب والجزاء
بما مر من نفي خلق العالم
خاليا عن الحكم والمصالح
الى تقريره وتحققه بما
في الهمزة من النكار
التسوية بين الفريقين
ونفيها على أبلغ وجه
وأكده أى بل أن جعل
المؤمنين المصلحين
كالكفرة المفسدين في
أقطار الارض كما يقتضيه
عدم البعث وما يترتب
عليه من الجزاء لاستواء
الفريقين في التمتع بالحياة
الدنياء والكفرة أو فر
حظا منها من المؤمنين
لكن ذلك الجمل محال
فتعين البعث والجزاء
حتما لرفع الاولين الى
أعلى عليين وورد الآخريين
الى أسفل سافلين وقوله
تعالى (أم نجعل المتقين
كالفجار) اضراب

وانتقال عن اثبات ما ذكر بلزوم المحال الذي هو التسوية بين ١٩٢ * الفريفيين المذكورين على الإطلاق

الى اثباته بلزوم ما هو
أظهر منه استحالة وهو
التسوية بين اتقياء
المؤمنين وأشقياء الكفرة
وحمل الفجار على جفرة
المؤمنين مما لا يساعده
المقام ويجوز أن يراد
بهمذين الفريفيين عين
الاولين و يكون التكرير
باعتبار وصفين آخرين هما
أدخل في انكار التسوية
من الوصفين الاولين
وقيل قال كفار قريش
للمؤمنين انا نعطي
في الآخرة من الخير ما
تعملون فذلك (كتاب)
خير مبتدا محذوف هو
عبارة عن القرآن أو
السورة وقوله تعالى
(أنزلناه إليك) صفته
وقوله تعالى (مبارك)
خير ثان للبتدا أو صفة
لكتاب عند من يجوز
تأخير الوصف الصريح
وقرى مبارك على أنه
حال من مفعول أنزلنا
ومعنى المبارك الكثير
المنافع الدينية والدنيوية
وقوله تعالى (ليدبروا
آياته) متعلق بأنزلناه أي
أنزلناه ليدبروا في

والاعتداء (المسئلة الثانية) قال صاحب الكشاف قرى تسع وتسعون بفتح التاء ونجدة
بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطم ونفع وقوة وقوة وهي الانثى من
العقبان (المسئلة الثالثة) قال الليث النجدة الانثى من الضأن والبترة الوحشية والشاء
الجبيلة والجمع النعجات والعرب جرت عادتهم يجعل النجدة والطبية كناية عن المرأة
(المسئلة الرابعة) قرأ عبدالله تسع وتسعون نجدة أنثى وهذا يكون لاجل التأكيذ كقوله
تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو هواله واحد ثم قال أ كلفنيها وعزني
الخطاب قال صاحب الكشاف أ كلفنيها حقيقة اجعلني أ كلفها كما أ كفل ماتحت
يدي وعزني غلبني يقال عزه يعزه والمعنى جاني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرد به
وقرى وعازني من المعازة وهي المغالبة واعلم ان الذين قالوا ان هذين الخصمين كانا من
الملائكة زعموا ان المقصود من ذكر التعاج التمثيل لان داود كان تحت تسع وتسعون
امراة ولم يكن لاوريا الامراة واحدة فذكرت الملائكة تلك الواقعة على سبيل الرمز
والتمثيل ثم قال تعالى قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه أي سؤال اضافة نعجتك الى
نعاجه وروى انه قال له ان رمت ذلك ضر بنا منك هذا وهذا وأشار الى الانف والجبهة
فقال يا داود انت أحق ان تضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كبت وكيت ثم نظر داود
فلم ير أحدا فعرف المحال فان قيل كيف جاز لداود أن يحكم على أحد الخصمين بمجرد قول
خصمه قلنا ذكرنا فبه وجوها (الاول) قال محمد بن اسحق لما فرغ الخصم الاول من
كلامه نظر داود الى الخصم الذي لم يتكلم وقال لئن صدق لقد ظلمته والحاصل ان هذا
الحكم كان مشروطا بشرط كونه صادقا في دعواه (والثاني) قال ابن الانباري لما ادعى
أحد الخصمين اعترف الثاني فحكم داود عليه السلام ولم يذكر الله تعالى ذكر الاعتراف
لدلالة ظاهر الكلام عليه كما تقول أمرتك بالتجارة فكسبت تريد تجرت فكسبت وقال
تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانقلب أي فاضرب فانقلب والثالث أن يكون التقدير أن
الخصم الذي هذا شأنه يكون قد ظلمك ثم قال وان كثيرا من الخطاء ليبنى بعضهم على
بعض قال الليث خلبط الرجل مخالطه وقال الزجاج الخلطاء الشركاء فان قيل لم خص
داود الخلطاء ببنى بعضهم على بعض مع أن غير الخلطاء قد يفعلون ذلك والجواب لاشك
أن الخلطاء توجب كثرة المنازعة والمخاصمة وذلك لأنها اذا اختلطا اطلع كل واحد
منهما على أحوال الآخر فكل ما يملكه من الاشياء النفيسة اذا اطلع عليه عظمت رغبته فيه
فيفضي ذلك الى زيادة المخاصمة والمنازعة فلهذا السبب خص داود عليه السلام
الخطاء بزيادة البغى والعدوان ثم استثنى عن هذا الحكم الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لان مخالطة هؤلاء لا تكون الا لاجل الدين وطلب السعادات الروحانية الحقيقة فلا جرم
مخالطتهم لا توجب المنازعة وأما الذين تكون مخالطتهم لاجل حب الدنيا لا بد وان تصير
مخالطتهم سببا لمزيد البغى والعدوان واعلم أن هذا الاستثناء يدل على ان الذين آمنوا

وعملوا الصالحات لا ينبغي بعضهم على بعض فلو كان داود عليه السلام قد بنى وتعدى على ذلك الرجل لزم بحكم فتوى داود أن لا يكون هو من الدين آمنوا وعملوا الصالحات ومعلوم أن ذلك باطل فثبت أن قول من يقول المراد من واقعة انجحة قصة داود قول باطل ثم قال تعالى وقليل ما هم واعلم أن الحكم بقلة أهل الخسيرة كثير في القرآن قال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقال داود عليه السلام في هذا الموضع وقليل ما هم وحكى تعالى عن إبليس أنه قال ولا تجد أكرههم شاكرين وسبب القلة أن الدواعي إلى الدنيا كثيرة وهي الحواس الباطنة والظاهرة وهي عشرة والشهوة والغضب والقوى الطبيعية السبعة فالجموع تسعة عشر واقفون على باب جهنم البدن وكلها تدعو إلى الخلق والدنيا واللذة الحسية وأما الداعي إلى الحق والدين فليس إلا العقل واستيلاء القوة الحسية والطبيعية على الخلق أكثر من القوة العقلية فيهم فلهذا السبب وقعت القلة في جانب أهل الخير والكثرة في جانب أهل الشر قال صاحب الكشف وما في قوله وقليل ما هم للإيهام وفيه تعجب من قلتهم قال وإذا أردت أن تتحقق قائمتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما نلى قصره وانظر هل بقي له معنى قط ثم قال تعالى وظن داود أنما افتناه قالوا معناه وعلم داود أنما افتناه أي امتحنناه قالوا والسبب الذي أوجب حمل لفظ الظن على العلم ههنا أن داود عليه السلام لما قضى بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك ثم صعدا إلى السماء قبل وجهه فعلم داود أن الله ابتلاه بذلك فثبت أن داود علم ذلك وأنما جاز حمل لفظ الظن على العلم لأن العلم الاستدلال يشبه الظن مشابهة عظيمة والمشابهة على تجاوز المجاز وأقول هذا الكلام انما يلزم إذا قلنا الخصمان كأنهما ملكين أما إذا لم نقل ذلك لا يلزمنا حمل الظن على العلم بل لنا بل أن يقول أنه لما غلب على ظنه حصول الابتلاء من الله تعالى اشتغل بالاستغفار والابانة أما قوله فاستغفر ربه أي سأل الغفران من ربه ثم ههنا وجهان أن قلنا بأنه قد صدرت زلة منه حملنا هذا الاستغفار عليها وإن لم نقل به قلنا فيه وجوه (الاول) أن القوم لما دخلوا عليه قاصدين قتله وأنه كان سلطانا شديدا القهر عظيم القوة ثم انه مع انه مع القدرة الشديدة على الانتقام ومع حصول الفرع في قلبه عفا عنهم ولم يقل لهم شيئا قرب الامر من أن يدخل في قلبه شيء من العجب فاستغفر ربه عن تلك الحالة وأتاب إلى الله واعترف بأن اقْدَامَهُ على ذلك الخير ما كان الا بتوفيق الله فغفر الله له وتجاوز عنه بسبب طرياق ذلك الخاطر (الثاني) لعله يريد أن القوم ثم قال انه لم يدل دليل قاطع على هؤلاء قصدوا الشر فعفا عنهم ثم استغفر عن ذلك لهم (الثالث) لعل القوم تابوا إلى الله وطلبوا منه أن يستغفر الله لهم لاجل أن يقبل توبتهم فاستغفر وتضرع إلى الله فغفر الله ذنوبهم بسبب شفاعته ودعائه وكل هذه الوجوه محتملة ظاهرة والقرآن مملوء من أمثال هذه الوجوه وإذا كان اللفظ محتملا لما ذكرناه ولم يبق دليل قطعي ولا ظني على التزام المنكرات التي يذكرونها فالذي يحملنا على التزامها

آياته التي من جلتها هذه
الآيات المعربة عن
أسرار التكوين والتشريع
فيعرفوا ما يدبر ظاهرها
من المعاني القاسية
والناويلات اللائقة
وقرى ليتدبروا على
الأصل ولتدبروا على
الخطاب أي أنت وعلماء
أمتك بخذف إحدى
الساكنين (وليتدبروا على
الآيات) أي وليتدبروا
به ذروا الغفول السليمة
أو ليتدبروا ما هو
كالمركوز في عقولهم من
فرط تمكنهم من معرفته
لما نصب عليه من الدلائل
فإن الكتب الالهية مبينة
لما لا يعرف الا بالشرع
ومر شدة إلى ما لا سبيل
للعقل اليه (وهبنا لداود
سليمان نعم العبد) وقرى
نعم العبد أي سليمان كما
ينبغي عند تأخير عن داود
مع كونه مفعولا صريحا
لوهبنا ولأن قوله تعالى
(انه أواب) أي رجاع
إلى الله تعالى بالتوبة أو
إلى التسبيح مرجع له
تعليل للمدح وهو من حال
لأن الضمير المجزور في
قوله تعالى (اذ عرض

عليه) راجع اليه عليه
 الصلاة والسلام قطعا
 واذا منصوب باذكري
 اذكر ما صدر عنه اذ عرض
 عليه (بالعشي) هو من
 الظهر الى آخر النهار
 (الصافات) فانه يشهد
 بأنه أو اب وقيل طرف
 لاو اب وقيل نعم وتأخير
 الصافات عن الظرفين
 لما مر من ارامن التشويق
 الى المؤخر والصافين من
 الخليل الذي يقوم على
 طرف سبك يدا ورجل
 وهو من الصفات المجدوة
 في الخليل لا يكاد يتفق الا
 في العراب الخالص وقيل
 هو الذي يجمع بينه
 ويسويهما وأما الذي
 يتفق على سبكه فهو
 المنخيم (الجياد) جمع
 جواد وجود وهو الذي
 يسرع في جريه وقيل
 الذي يوجد عند الركن
 وقيل وصفت بالصفون
 والجودة لبيان جمعها بين
 الوصفين المحمودين
 واقفة وجارية أي اذا
 وقفت كانت ساكنة
 مطمئنة في موافقها
 واذا جرت كانت سريعا
 خفا في جريها وقيل

هو جمع جيد

واقول بها والذي يؤيد كذا أن الذي ذكرناه أقرب وأقوى أن يقال ختم الله هذه القصة
 بقره وإنه عندنا زلني وحسن مأب ومثل هذه الخاتمة انما تحسن في حق من صدر منه
 عمل كثير في الخدمة والطاعة وتحمل أنواعا من الشدائد في الموافقة والانقياد أما اذا
 كان المذكور السابق هو الاقدام على الجزم والذنب فان مثل هذه الخاتمة لا تليق به قال
 مالك بن دينار اذا كان يوم القيامة أتى بنبر رفيع وبوضع في الجنة ويقال ياد اود مجدي
 بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تجديني به في الدنيا والله أعلم بنى ههنا مباحث
 (فالاول) قرى فتاه وفتاه على ان الالف ضمير المالكين (الثاني) المشهور ان الاستغفار
 انما كان بسبب قصة النعجة والنعاج وقيل أيضا انما كان بسبب انه حكم لاحد الخصمين
 قبل ان سمع كلام الثاني وذلك غير جائز (الثالث) قوله خررا كما وأب يدل على حصول
 الركوع وأما المجهود فقد ثبت بالاخبار وكذلك البكاء الشديد في مدة أربعين يوما ثبت
 بالاخبار (الرابع) ان مذهب الشافعي رضي الله عنه ان هذا الموضع ليس فيه سجدة
 التلاوة قال لانه توبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة (الخامس) استشهد أبو حنيفة
 رضي الله عنه بهذه الآية في سجود التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود * قوله تعالى
 (ياد اود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك
 عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله اهم عذاب شديد بانسوا يوم الحساب
 وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا
 من النار أم يحمل الذين آمنوا وتعلموا الصالحات كالفسدين في الارض أم نجعل المتقين
 كالفسجار كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب) اعلم أنه تعالى
 لما تم الكلام في شرح القصة أردفها بيان أنه تعالى فوض الى داود خلافة الارض وهذا
 من أقوى الدلائل على فساد القول المشهور في تلك القصة لان من البعيد جدا أن يوصف
 الرجل بكونه ساعيا في سبيلك دماء المسلمين راغبا في انتزاع أزواجهم منهم ثم يذكر عقوبته
 ان الله تعالى فوض خلافة الارض اليه ثم يقول في تفسير كونه خليفة وجهان (الاول)
 جعلناك تخلف من تقدمك من الانبياء في الدعاء الى الله تعالى وفي سياسة الناس لان خليفة
 الرجل من يخلفه وذلك انما يعقل في حق من يصح عليه الغيبة وذلك على الله محال
 (الثاني) انا جعلناك مالكا للناس ونافذ الحكم فيهم فبهذا الأول يسمى خليفة ومنه
 يقال خلفاء الله في أرضه وحاصله ان خليفة الرجل يكون نافذا الحكم في رعيته وحقيقته
 الخلافة متممة في حق الله فلما امتنعت الحقيقة جمعت اللفظة مفيدة الزوم في تلك الحقيقة
 وهو نافذ الحكم ثم قال تعالى فاحكم بين الناس بالحق واعلم أن الانسان خلق مدينا
 بالطبع لان الانسان الواحد لا ينتظم مصالحه الا عند وجود مدينة تامة حتى ان هذا
 يحترث وذلك يطحن وذلك يخبز وذلك ينسج وهذا يخبيط وبالجملة فيكون كل واحد منهم
 مشغولا بهم وينتظم من أعمال الجميع مصالح الجميع فثبت ان الانسان مدني بالطبع

وعند

وعند اجتماعهم في الموضع الواحد يحصل بينهم منازعات ومخاصمات ولا بد من انسان قادر قاهر يقطع تلك الخصومات ويفصل تلك الحكومات وذلك هو السلطان الذي يتخذ حكمه على الكل فثبت انه لا يذم مصالح الخلق الا بسلطان قاهر سانس ثم ان ذلك السلطان القاهر السانس ان كان حكمه على وفق هواه واطلب مصالح دنياه عظم ضرره على الخلق فانه يجعل الرعية فداء لنفسه ويتوسل بهم الى تحصيل مقاصد نفسه وذلك يفضي الى تخريب العالم ووقوع الهرج والمرج في الخلق وذلك يفضي بالآخرة الى هلاك ذلك الملك اما اذا كانت احكام ذلك الملك مطابقة للشريعة الحقة الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت ابواب الخيرات على احسن الوجوه فهذا هو المراد من قولهم فاحكم بين الناس بالحق يعني لا بد من حاكم بين الناس بالحق فكن انت ذلك الحاكم ثم قال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله الآية وتفسيره ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله والضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب فينتج ان متابعة الهوى توجب سوء العذاب (أما المقام الاول) وهو ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله فقريه ان الهوى يدعو الى الاستغراق في اللذات الجسمانيات والاستغراق فيها يمنع من الاشتغال بطلب السعادات الروحانية التي هي الباقيات الصالحات لانهما حالتان متضادتان فبقدر ما يزداد أحدهما ينقص الآخر (أما المقام الثاني) وهو ان الضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب فالامر فيه ظاهر لان الانسان اذا عظم انفع به هذه الجسمانيات ونسى بالكلية أحواله الروحانيات فاذا مات فقد فارق المحبوب والمعشوق ودخل ديار ليس له باهل تلك الديار الف وليس لعينه قوة مطالعة أنوار تلك الديار فكانه فارق المحبوب ووصل الى المكروه فكان لا محالة في أعظم العناء والبلاء فثبت ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله وثبت ان الضلال عن سبيل الله يوجب العذاب وهذا بيان في غاية الكمال ثم قال تعالى بمانسوا يوم الحساب يعني ان السبب الاول لحصول ذلك الضلال هو نسيان يوم الحساب لانه لو كان متذكرا ليوم الحساب لما عرض عن اعداد الزادايوم المعاد ولما صار مستغرقا في هذه اللذات الفاسدة * روى عن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز هل سمعت ما بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية فقال يا أمير المؤمنين الخلفاء أفضل أم الانبياء ثم تلا هذه الآية ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بمانسوا يوم الحساب ثم قال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ونظيره قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار وقوله تعالى ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وفيه مسائل (المسئلة الاولى) احتج الجبائي بهذه الآية على انه تعالى لا يجوز أن يكون خالقا لاعمال العباد قال لانها مشتملة على الكفر والفسق وكلها باطيل فلما بين تعالى أنه ما خلق السموات والارض وما بينهما

رؤى أنه عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب ألف فرس وقيل أصابها أبوه من العاقلة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فبعد يوم بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعاوه فاقتم لما فاته فاسترد هافعة رها تقربا لله تعالى وبقي مائة فاني أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما قرها أبده الله خيرا منها وهي الریح تجري بأمره (فقال اني أحبيت خب الخير عن ذكر ربى) قاله عليه الصلاة والسلام عند غروب الشمس اعترفا بما صدر عنه من الاشتغال بهما عن الصلاة ونما عليه وتمهيدا لما يقبه من الامر يرد هاهو عقرها والتعقيب باعتبار أواخر العرض المستردون ابتداءه والتأكيد للدلالة على أن اعترافه وتذميه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر وأصل أحبيت أن

باطلا دل هذا على انه تعالى لم يخلق أعمال العباد ومثله قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وعند المجرة أنه خلق الكافر لاجل أن يكفر والكافر باطل وقد خلق الباطل ثم أكد تعالى ذلك بأن قال ذلك ظن الذين كفروا أى كل من قال بهذا القول فهو كافر فهذا تصريح بان مذهب المجرة عين الكفر واحتج أصحابنا رحمه الله بأن هذه الآية تدل على كونه تعالى خالقا لأعمال العباد فقالوا هذه الآية تدل على كونه تعالى خالقا لكل ما بين السموات والارض وأعمال العباد حاصلة بين السماء والارض فوجب أن يكون الله تعالى خالقها جميعا (المسئلة الثانية) هذه الآية دالة على صحة القول بالحشر والنشر والقيامة وذلك لانه تعالى خلق الخلق في هذا العالم فاما ان يقال انه خلقهم للاضرار أو للانفاع أو لا لانفاق أو لا للاضرار والاول باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم الكريم والثالث أيضا باطل لان هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين فلم يبق إلا أن يقال انه خلقهم للانفاع فقول وذلك الانفاع اما أن يكون في حياة الدنيا أو في حياة الآخرة والاول باطل لان منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة وتحمل المضار الكثيرة للنفعة القليلة لا يليق بالحكمة ولما بطل هذا القسم ثبت القول بوجود حياة أخرى بعد هذه الحياة النبوية وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيامة واعلم أن هذا الدليل يمكن تقريره من وجوه كثيرة وقد لحصناها في أول سورة يونس بالاقتضاء فلا سبيل إلى التكرير فثبت بما ذكرنا انه تعالى ما خلق السموات والارض وما بينهما باطلا واذالم يكن خلقهما باطلا كان القول بالحشر والنشر لازما وان كل من أنكر القول بالحشر والنشر كان شاكاً في حكمة الله في خلق السموات والارض وهذا هو المراد من قوله ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ولما بين الله تعالى على سبيل التفصيل ان انكار الحشر والنشر يوجب الشك في حكمة الله تعالى بين ذلك على سبيل التفصيل فقال أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار وتقريره أنا نزل في الدنيا من أطاع الله واحتز عن معصيته في الفقر والزمانة وأنواع البلاء ونرى الكفرة والفساق في الراحة والغبطة فلولا يكن حشر ونشر ومعاد فحينئذ يكون حال المطيع أدون من حال العصاة وذلك لا يليق بحكمة الحكيم الرحيم واذ كان ذلك قادحا في الحكمة ثبت أن انكار الحشر والنشر يوجب انكار حكمة الله * ثم قال تعالى كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قالت المعتزلة دلت الآية على انه تعالى انما أنزل هذا القرآن لاجل الخير والرحمة والهداية وهذا يفيد أمرين (أحدهما) أن أفعال الله معالة برعاية المصالح (والثاني) أنه تعالى أراد الايمان والخير والطاعة من الكل بخلاف قول من يقول انه أراد الكفر من الكافر (المسئلة الثانية) في تقرير نظم هذه الآيات فتقول لسائل أن يسأل فيقول انه تعالى حكى في أول السورة عن المستهزئين من الكفار أنهم بالغوا في انكار البعث

تعدى بقلى لانه بمعنى آتت لكن لما أتيت متاب أثبت عدى تعديته وحب الخير مفعوله كأنه قيل أثبت حب الخير من ذكر ربي ووضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عليه الصلاة والسلام ويحتمل أنه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه الصلاة والسلام الخير مفود ينوحي الخيل إلى يوم القيامة وقرئ أنى (حتى) توارت بالحجاب متعلق بقوله أحييت باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض أى أثبت حب الخير عن ذكر ربي واستمر ذلك حتى توارت أى غربت الشمس تشبه الغروبها في مغربها توارى الحجة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها وقيل الضمير للمصافتات أى حتى توارت بحجاب الليل أى بظلامه (ردوها على) من تمام مقالة سليمان عليه السلام

والقيامة وقالوا ربنا انجنا انما قطعنا قبل يوم الحساب ولاحكى الله تعالى عنهم ذلك لم يذكر
الجواب بل قال اصبر على ما يقولون واذا ذكر عبدنا داود ومعلوم انه لا تعلق لذكر داود عليه
السلام بان القول بالقيامة حق ثم انه تعالى اطرب في شرح قصة داود ثم اتبعه بقوله
وما خلقنا السماء والارض ومعلوم انه لا تعلق لمسئلة اثبات حكمة الله بقصة داود
ثم لما ذكر اثبات حكمة الله وفرع عليه اثبات أن القول بالحشر والنشر حق ذكر بعده أن
القرآن كتاب شريف فاضل كثير النفع والخير ولا تعلق لهذا القول بالكلية المتقدمة
واذا كان كذلك كانت هذه الفصول فصولا متباعدة لا تعلق لبعض منها ببعض فكيف
يليق بهذا الموضع وصف القرآن بكونه كتابا شريفا فاضلا هذا تمام السؤال (والجواب)
أن نقول ان العقلاء قالوا من اتبلى بقصص جماعل مصر متعصب ورأه قد تناقض في ذلك
المتعصب والاصرار وجب عليه أن يقطع الكلام معه في تلك المسئلة لانه كلما كان
موضوعه في تقريره أكثر كانت نفرته عن اقبول أشد فاطرب في - ثم أن يقطع الكلام
لهم في تلك المسئلة وأن يخوض في كلام آخر اجنبي عن المسئلة الاولى بالكلية ويطلب
في ذلك الكلام الاجنبي بحيث ينشئ ذلك المتعصب تلك المسئلة الاولى فاذا استعمل
لخاطره بهذا الكلام الاجنبي ونسي المسئلة الاولى فحينئذ يدرج في اثبات الكلام في هذا
الفصل الاجنبي مقدمة مناسبة لذلك المطلوب الاول فان ذلك المتعصب يسلم هذه
المقدمة فاذا سلمها فحينئذ يتسك بها في اثبات المطلوب الاول وحينئذ يضيق ذلك الخصم
المصر المتعصب منقطعا مفعما اذا عرفت هذا فنقول ان الكفار بلغوا في انكار الحشر
والنشر والقيامة الى حيث قالوا على سبيل الاستهزاء ربنا انجنا لما قطعنا قبل يوم الحساب
فقال يا محمد اقطع الكلام معهم في هذه المسئلة واشرع في كلام آخر اجنبي بالكلية عن
هذه المسئلة وهي قصة داود عليه السلام فان من المعلوم أنه لا تعلق لهذه القصة بمسئلة
الحشر والنشر ثم انه تعالى اطرب في شرح تلك القصة ثم قال في آخر القصة يا داود
انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وكل من يسمع هذا قال نعم ما فعل
خير امره بالحكم بالحق ثم كانه تعالى قال وانا لا آمرك بالحق فقط بل انا مع أنى رب
العالمين لا أفعل الا بالحق ولا أقضى بالباطل فههنا الخصم يقول نعم ما فعل حيث لم يقض
الا بالحق فعند هذا يقال لما سئلت أن حكم الله يجب أن يكون بالحق لا بالباطل لزمك أن
تسلم صحة القول بالحشر والنشر لانه لو لم يحصل ذلك لزم أن يكون الكافر اجماعا على المسلم
في ايصال الخيرات اليه وذلك ضد الحكمة وعين الباطل فبهذا الطريق انما طيف أو رد الله
تعالى الالزام القاطع على منكرى الحشر والنشر ايرادا لا يكتفهم الخلاص عنده فصار
ذلك الخصم الذي بلغ في انكار المعاد الى حد الاستهزاء مفعما لمز ما بهذا الضربى ولما ذكر
الله تعالى هذه الطريقة الدقيقة في الالزام في القرآن لاجرم وصف القرآن بالكمال
بالفضل فقال كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب فان من

ومرعى غرضه من تقديم
ما قدمه ومن لم يشبه له
مع ظهوره توهم أنه متصل
بمفسر هو جواب لمفسر
آخر كأن سائلا قال فاذا
قال سليمان عليه السلام
فتيل قال ردوها فتأمل
والنساء في قوله تعالى
(فطفق مسحا) فصحيحة
مفعول عن جملة قد
حذفت ثقة بدلالة الحال
عليها وايدنا بعبارة سرعة
الامثال بالامر أي
فردوها عليه فأخذ يمسح
السيف مسحا بالسوق
والاعتناق أي بسوقها
وأعتاقها يقطعها من
قواهم مسح علاوته أي
ضرب عنقه وقيل جعل
يمسح يسهه أعتاقها
وسوقها حبائلها وانجبا
بها وايس بذالك وقرئ
بالسوق على همر الواو
لضمتها كافي أدور
وقرئ بالسوق تغزلا
لغنى السين منزلة ضمة
الواو وقرئ بالساق
اكتفاء بالواحد عن الجمع
لامن الالباس (ولقد فشا
سليمان وأقينا على كرسيد
جسدائنا) أظهر
ما قيل في فتنه عليه
مر فوطا أنه قال لا طوفن

الصلوة والسلام ماروى

لم يتدبر ولم يتأمل ولم يساعده التوفيق الإلهي لم يقف على هذه الأسرار العجيبة المذكورة في
 هذا القرآن العظيم حيث يراه في ظاهر الحال مقرونا بسوء الترتيب وهو في الحقيقة مستل
 على أكمل جهات الترتيب فهذا ما حضرنا في تفسير هذه الآيات وبالله التوفيق * قوله
 تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبدان) أو باب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد
 فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق معها
 بالسوق والاعناق) واعلم أن هذا هو القصة الثانية وقوله نعم العبد فيه مباحث (الاول)
 نقول الخصوص بالمدح في نعم العبد متخوف فقيل هو سليمان وقيل داود والاول أولى لانه
 أقرب المذكورين ولانه قال بعده انه أو باب ولا يجوز أن يكون المراد هو داود لان وصفه
 بهذا المعنى قد تقدم في الآية المتقدمة حيث قال واذا ذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أو باب فلو
 قلنا فقط الاواب ههنا أيضا صفة داود لزم التكرار ولو قلنا انه صفة سليمان لزم كون
 الابن شبيها لابييه في صفات الكمال في الفضيلة فكان هذا أولى (البحث الثاني) أنه قال أولا
 نعم العبد ثم قال بعده انه أو باب وهذه الكلمة للتعليل فهذا يدل على انه انما كان نعم العبد
 لانه كان أو بابا يلزم ان كل من كان كثير الرجوع الى الله تعالى في اكثر الاوقات وفي أكثر
 المهمات كان موصوفا بأنه نعم العبد وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه لان كمال الانسان في
 أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ورأس المعارف ورئيسها معرفة الله تعالى
 ورأس الطاعات ورئيسها الاعتراف بأنه لا يتم شيء من الخيرات الا باطاعة الله تعالى ومن
 كان كذلك كان كثير الرجوع الى الله تعالى فكان أو بابا ثبت أن كل من كان أو بابا
 وجب أن يكون نعم العبد أما قوله اذ عرض عليه فقيه وجوه (الاول) التقدير نعم العبد هو
 اذا كان من أعماله انه فعل كذا (الثاني) انه ابتداء كلام والتقدير اذكر يا محمد اذ عرض
 عليه كذا وكذا والعشي هو من حين العصر الى آخر النهار عرض الخيل عليه لينظر اليها
 ويقف على كيفية أحوالها والصفافن الجياد الخيل وصفت بوصفين (أولهما)
 الصافنات قال صاحب الصحاح الصافن الذي يصفن قدميه وفي الحديث كنا اذا صاينا
 خلفه فرقع رأسه من الركوع قنا صفونا أي قنا صافنين أقدامنا وأقول على كلا
 التقديرين فالصفون صفة دالة على فضيلة الفرس (والصفة الثانية) للخيل في هذه الآية
 الجياد قال المبرد والجياد جمع جواد وهو الشديد الجري كما ان الجواد من الناس هو
 السريع البذل فالمقصود وصفها بالفضيلة والكمال حائتي وقوفها وحركتها اما حال
 وقوفها فوصفها بالصفون وأما حال حركتها فوصفها بالجودة يعني انها اذا وقفت كانت
 ساكنة مطمئنة في مواقفها على أحسن الاشكال فاذا جرت كانت مسرعا في جريها فاذا
 طلبت لحقت واذا طلبت لم تلحق ثم قال تعالى قال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي وفي
 تفسير هذه اللفظة وجوه (الاول) أن يضمن أحببت معنى فعل يتعدى يعنى كأنه قبل أن يثبت
 حب الخير عن ذكر ربي (والثاني) ان أحببت بمعنى ألزمت والمعنى اني ألزمت حب الخيل

الليلة على سبعين امرأة
 تأتي كل واحدة بفارس
 يجاهد في سبيل الله تعالى
 ولم يقل ان شاء الله تعالى
 فطاق عليهن فلم تحمل
 الامرأة واحدة جاءت
 بشق رجل والذي نفسي
 بيده لو قال ان شاء الله
 لجاهدوا في سبيل الله
 فرسانا أجمعون وقيل
 ولعله ابن فاجعت
 الشياطين على قتله فلم
 ذلك فكان يفتنوه في
 المحاب فاشعر به الآن
 ألقى على كرسيه ميتا
 فتنبه لخطئه حيث لم
 يتوكل على الله عز وجل
 وقيل انه غزا صيدون
 من الجزائر فقتل ملكها
 وأصاب بنتا له تسمى
 جرادة من أحسن الناس
 فاصطفاها لنفسه وأسلمت
 واحبها وكان لا يرقا
 دمعها جزعا على أبيها
 فأمر الشياطين فقتلوا
 لها صورته وكانت تغدو
 اليها وتروح مع ولاتها
 يسجدن لها كعادتهن
 في ملكه فأخبره آصف
 بذلك فكسر الصورة
 وعاقب المرأة ثم خرج

عن ذكر ربي أي عن كتاب ربي وهو التوراة لان ارتباط الخليل كأنه في القرآن مدوخ
فكذلك في التوراة مدوخ (والثالث) ان الانسان قد يحب شيئا لكنه يحب أن لا يحب
كل ربي يشتهي ما يريده في مرضه والاب الذي يحب ولده الردي وأما من أحب
شيئا وأحب أن يحب كذا غاية المحبة فقله أحب حب الخبير بمعنى أحببت حب الخبير
الخليل ثم قال عن ذكر ربي بمعنى ان هذه المحبة الشديدة لما حصلت عن ذكر الله وأمره
لا عن الشهوة والهوى وهذا الوجه أظهر الوجوه ثم قال تعالى حتى توارث أقول الضمير في
قوله حتى توارث وفي قوله ردوها يحتمل أن يكون كل واحد منهما عائدا إلى الشمس لانه
يجري ذكر ماله تعالى وهو العشي ويحتمل أن يكون كل واحد منهما عائدا إلى الصافنات
ويحتمل أن يكون الأول متعلقا بالشمس والثاني بالصافنات ويحتمل أن يكون بالعكس من
ذلك فهذه احتمالات أربعة لا مزيد عليها (فالاول) أن يعود الضميران معاً إلى الصافنات
كأنه قال حتى توارث الصافنات بالحجاب ردوا الشمس بالحجاب ردوا الشمس
الضميران معاً عائدين إلى الشمس كأنه قال حتى توارث الشمس بالحجاب ردوا الشمس
وروي أنه صلى الله عليه وسلم لما اشتغل بالخليل فأنته صلاة العصر فسأل الله أن يرد الشمس
فقوله ردوها على إشارة إلى طلب رد الشمس وهذا الاحتمال منقضي بعد الذي يدل عليه
وجوه (الاول) ان الصافنات مذكورة نصراً ومحاولاً الشمس غير مذكورة وعود الضمير إلى
المذكور أولى من عوده إلى المقدر (الثاني) أنه قال اني أحببت حب الخبير عن ذكر ربي
حتى توارث بالحجاب وظاهر هذا اللفظ يدل على أن سليمان عليه السلام كان يقول اني
أحببت حب الخبير عن ذكر ربي وكان يعيد هذه الكلمات إلى أن توارث الحجاب فلو قلنا
المراد حتى توارث الصافنات بالحجاب كان معناه انه حين وقع بصره عليها حال جريها كان
يقول هذه الكلمة إلى أن غابت عن عينه وذلك مناسب وأوفى لما مراد حتى توارث الشمس
بالحجاب كان معناه انه كان يعيد عين هذه الكلمة من وقت العصر إلى وقت المغرب وهذا في
غاية البعد (الثالث) اننا لو حكمنا بعود الضمير في قوله حتى توارث إلى الشمس وحملنا اللفظ
على انه ترك صلاة العصر كان هذا منافياً لقوله أحببت حب الخبير عن ذكر ربي فان تلك
المحبة لو كانت عن ذكر الله لما نسي الصلاة ولما ترك ذكر الله (الرابع) انه بتقدير انه عليه
السلام بقي مشغولاً بالخليل حتى غربت الشمس وفاتت صلاة العصر فكان ذلك ذنباً
عظيماً وجرمًا قوياً فلا يليق بهذه الحالة الضرع والبكاء والبسابة في اظهار التوبة
فأما أن يقول على سبيل التهويل والعظمة لاله العالم ورب العالمين ردوها على مثل هذه
الكلمة العارضة عن كل جهات الادب عقيب ذلك الجرم العظيم فهذا لا يصدر عن أحد
الناس عن الخبير فكيف يجوز استناده إلى الرسول المظهر المكرم (الخامس) ان القادر على
تحريك الافلاك والكواكب هو الله تعالى فكان يجب أن يقول ردوها على ولا يقول
ردوها على فان قالوا انما ذكر صيغة الجمع للتبني على تعظيم الخطاب فقوله ردوها

وحده إلى فلاة وفرش له
الرماد فجلس عليه
تائباً إلى الله تعالى باكياً
منضرباً وكانت له أم ولد
يقال لها امينة اذا دخل
للطهارة أو لاصابة
امرأة يعطيها خاتمه
وكان ملكه فيه فأعطاهما
يوماً فقتل لها بصورته
شيطان اسمه صخر
وأخذ الخاتم فخنقه به
وجلس على كرسيه
فاجتمع عليه الخلق ونفذ
حكمه في كل شيء إلا في
نسائه وغير سليمان عن
هيئته فأتى أمينة الطاب
الخاتم فأنكرته وطرده
فعرف ان الخطيئة قد
أدركته فكان يدور
على البيوت يتكفف
واذا قال أنا سليمان حثوا
عليه التراب وسبوه ثم عمد
إلى السماء كين ينقل لهم
النسك فيعطونه كل يوم
سنتين فكث على ذلك
أربعين صباحاً عدد
ما عبد الوثن في بيته
فأنكر آصف وعظماء
بنو إسرائيل حكم
الشیطان ثم طار العين
وقذف الخاتم في البحر

اللفظ مشعر بأعظم أنواع الإهانة فكيف يليق بهذا الملقب رعاية التعظيم (السادس)
 الشمس أو رجعت بعد الغروب لكان ذلك مشاهداً لكل أهل الدنيا وأوكان الأمر
 كذلك لتوفرت الدواعي على نقله وإظهاره وحيث لم يقل أحد ذلك علمنا فساد
 (السابع) أنه تعالى قال اذ عرض عليه يا عيسى الصافات الجبال ثم قال حتى توارت
 بالحجاب وسود الضمير إلى أقرب المذكورين أول وأقرب المذكورين هو الصافات
 الجبال وأما المعنى فابعدهم سافكان عود ذلك الضمير إلى الصافات أول فثبت بما ذكرنا
 أن حمل قوله حتى توارت بالحجاب على توارى الشمس وثبت حمل قوله ردوها على أن
 أراد منه طالب أن يرد الله الشمس بعد غروبها كلام في غاية البعد عن النظم ثم قال تعالى
 فندقق مسجداً بالسوق والأعناق أي فجعل سليمان عليه السلام مسجح سوقها وأعناقها
 قال الأكثرون معناه أن مسجح السقف يسوقها وأعناقها أي قطعها فأوأنه عليه السلام
 لما تشد صلاة العصر بسبب اشتغالها بنظر إلى تلك الخيل استردها وعقر سوقها وأعناقها
 تفر إلى الله تعالى وتعنى أن هذا أيضاً بعيد يدل عليه وجوه (الأول) أنه لو كان معنى
 مسجح السوق والأعناق قطعها لكان معنى قوله وأمسحوا برؤوسكم وأرجلكم قطعها وهذا
 مما لا يقوله طافل بل لو قيل مسجح رأسه بالسيف فربما فهم منه سرب العنق أما إذا لم يذكر
 لفظ السيف لم يفهم بقطع من المسح العنق والذبح (الثاني) انقللون بهذا القول جهوا
 على سليمان عليه السلام أنواعاً من الأفعال المدمرة (أو ألهب) ترك الصلاة (وثانيها) أنه
 استولى عليه الفتن ليجب الدنيا إلى حيث نسي الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم حب
 الدنيا رأس كل خطيئة (وثالثها) أنه بعد الإتيان بهذا الشرب العظيم لم يشغل بالتوبة
 والالتفات إلى الله (ورابعها) أنها شاطب رسل العالمين بقوله ردوها على وهذه كلمة لا يذكرها
 الرسل المخلصون إنما هم الخادمون لهم (وثانيها) أنه ألهب هذه المعاصي بعقر الخيل في
 سوقها ورأسها كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ذبح الحيوان إلا لأكله
 فهذه أنواع من استكبارهم بغيرها إلى سليمان عليه السلام مع أن لفظ القرآن لم يدل على
 شيء منها (وسادسها) أن هذه القصص المخصوصة إنما ذكرها الله تعالى عقيب قوله وقاواربنا
 فجعلنا قطعنا قبل يوم الحساب وإننا كنا لم نبلغوا في السفاهة أن هذا الجدل قال الله
 تعالى فحمدنا على الله عليه وسلم أصبر يا محمد على سفاهتهم واذكر عبدنا داود وذكر قصة داود
 ثم ذكر عقيبها قصة سليمان وكان التقدير أنه تعالى قال الحمد عليه السلام أصبر يا محمد على
 ما يقولون واذكر عبدنا سليمان وعدنا الكلام إنما يكون لأنفسنا لو قلنا أن سليمان عليه
 السلام أتى في هذه القصة بالأعمال الفاضلة والأخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله
 وأعرض عن الشهوات والمنازعات فاما لو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في
 هذا الموضع أنه أقدم على الكبرياء العظيم والذنوب الجسيمة لم يكن ذكر هذه القصة لأننا
 بهذا الموضع فثبت أن كتاب الله تعالى ينادي على هذه الأقوال الفاسدة بالرد والافساد

فإنه منحه منحة فوقت
 في يد سليمان فيقرضها
 فإذا هو بالحسام فتختم
 به وخرساجداً وبعاد إليه
 ملكه وجاب صخرة
 لصخر فعمله فيها وسد
 عيه بأخرى ثم أوثقهما
 بالحديد والرصاص
 وقذفه في البحر وعلى
 هذا فالجسد عبارة عن
 صخر معي به وهو جسم
 لا روح فيه لأنه لا
 يعلم يكن كذلك والخطيئة
 تغافله عليه الصلاة
 والسلام عن حال أهله
 لأن أخذ الذئب لم يكن
 في ظهوره حينئذ وسجود
 الصورة بقدر علمه
 لا منبر (قال) بل من
 آيات وتفسيره (رب
 اغفر لي) أي ما عسر
 عني من الزلة (وعسى
 ملكاً لا ينبغي لأحد من
 بعدي) لا يلهي هسل به
 ولا يكون معجزة في مناسبة
 لما في فاته عليه الصلاة
 والسلام لما نسا في بيت
 الملك والتوبة وورثها
 مع الاستدعى من ربه
 معجزة جامعة حكمها
 ألا ينبغي لأحد أن
 يسلب مني هذه

والابطال بل التفسير المطابق للحق لا لفاظ القرآن والصواب أن نقول أن رباط الخيل
كان مندوباً إليه في دينهم كما أنه كذلك في دين محمد صلى الله عليه وسلم ثم إن سليمان عليه
السلام احتاج إلى الغزو فجلس وأمر بإحضار الخيل وأمر بإجرائها وذكر أني لأحبها
لأجل الدنيا ونصيب النفس وإنما أحبها لأمر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله
عن ذكر ربي ثم إنه عليه السلام أمر بإعدادها ونسيبها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن
بصره ثم أمر الراضين بأن يردوا تلك الخيل إليه فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها
وأعناقها والفرس من ذلك الممسح أمور (الاول) تنزيهاً لها وإبانة عزتها لكونها من
أعظم الأعداء في دفع العدو (الثاني) أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والملك يضع
إلى حيث يباشراً كثر الأمور بنفسه (الثالث) أنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمر أعضائها
وعيوبها فكان يتحننهم ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم أهل فيها ما يدل على المرض فهذا
التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن انطباعاً مطابقةً لما وافق ولا يلزمنا نسبة
شيء من تلك المنكرات والمخدورات وأقول أنا شديد الإعجاب من الناس كيف قبلوا هذه
الوجوه الصحيحة مع أن العقل والنقل يردوها وليس لهم في ألبانها شبهة فضلاً عن حجة فإن
قيل فالجمهور فسرروا الآية بذلك الوجه فما ذاك فيه فنقول لتساهنهم ما من (المقام
الاول) أن ندعي أن لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي يذكرونها وقد
ظهروا الحمد لله أن الأمر كما ذكرناه وظهوره لا يرتاب العاقل فيه (المقام الثاني) أن يقال
هب أن لفظ الآية لا يدل عليه إلا أنه كلام ذكره الناس فما ذاك فيه وجوابنا أن الدلالة
الكثيرة قامت على عصاة الأنبياء عليهم السلام ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات
ورواية الآحاد لا تصلح معارضة للدلائل القوية فكيف الحكايات عن أقوام لا يبالي بهم
ولا يلتفت إلى أقوالهم والله أعلم * قوله تعالى (واقذفنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً
ثم أناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي أنك انت الوهاب فسخرنا
له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين
في الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزني وحسن ما أب
اعلم أن هذه الآية شرح واقعة ثمانية لسليمان عليه السلام واختلغوا في المراد من
قوله واقذفنا سليمان ولاهل الحشو والرواية فيه قول ولاهل العلم والتحقيق قول آخر
أما قول أهل الحشو فذكر وافيد حكايات (الاولى) قالوا إن سليمان بلغه خبر مدينة
في البحر فخرج إليها بجنوده تحمله الريح فأخذها وقتل ملكها وأخذ بيدها أسرها جراداً
من أحسن الناس وجهها فامسكها لنفسه وأمسك فاحبها أو كانت تبكي أبدأ على أيها فامر
سليمان الشيطان فقتل لها صورة أيها فكسنتها مثل كسوته وكانت تذهب إلى تلك الصورة
بكرة وعشياً مع جوارها يسجدن لها فأخبر آد ف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب
المرأة ثم خرج وحدها إلى غلاة وفرش الرماح فجلس عليه ثانياً إلى الله تعالى وكانت له أم ولد

(حيث أصاب) أي حيث قصد وأراد حكي الاضحي عن العسر أصاب الصواب فأخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الرخ (كل بناء وغواص) بدل من الشياطين (وآخرين مقرنين في الاصفاد) عطف على كل بناء داخل في حكم البديل كأنه عليه الصلاة والسلام فصل الشياطين الى غلة استعمالهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مرده قرن بعضهم مع بعض في السلاسل كلفهم من الشر والفساد ولعل أجسامهم شفاقة فلا ترى صلابة فيمكن تقييدها وينفرون على الاعمال الصعبة وقد جوز أن يكون الاقران في الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالتمسك به وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيد و أصفده أعطاه على عكس وعدوا وعدو قوله تعالى (هذا) الخ اما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام

يقال لها أمينة اذا دخل الطهارة ولا صابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما فأتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وقال يا أمينة خاتمي فتحتم به وجلس على كرسى سليمان فأتى عليه الطير والجن والانس وتغيرت هيئة سليمان فأتى أمينة اطلب الخاتم فأذكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف وإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم أخذ يخدم السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فكث على هذه الحالة أربعين يوما عددا بعيدا الوثن في بيته فأنكر آصف وعظماؤه بنى اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة مثا في دمها ولا يغسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه كل شيء الا فيمن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتاعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتحتم به ووقع ساجدا لله ورجع اليه ملكه وأخذ ذلك الشيطان وأدخله في صخرة وألقاها في البحر (الرواية الثانية) للعشوية ان تلك المرأة لما أقدمت على عبادة تلك الصورة افتتن سليمان وكان يسقط الخاتم من يده ولا يتماسك فيها فقال له آصف انك لما تون بديك فتب الى الله (والرواية الثالثة) لهم قالوا ان سليمان قال لبعض الشياطين كيف تفتنون الناس فقال ارني خاتمك أخبرك فلما أعطاه اياه نبذه في البحر فذهب ملكه وقدم هذا الشيطان على كرسيه ثم ذكر الحكاية الى آخرها اذا عرفت هذه الروايات فهؤلاء قالوا المراد من قوله ولقد فتنا سليمان ان الله تعالى ابتلاه وقوله والقينا على كرسيه جسدا هو جلوس ذلك الشيطان على كرسيه (والرواية الرابعة) انه كان سبب فتنته احتجابه عن الناس ثلاثة أيام فسلب ملكه وألقى على سريرته شيطان عقو بدله واعلم أن أهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام من وجوه (الاول) ان الشيطان لو قدر على أن يتشبه بالصورة والخلق بالانبياء فجعلنا لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائح فاعل هؤلاء الذين رأوهم الناس في صورة محم وعيسى وموسى عليهم السلام ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لاجل الاغواء والاضلال ومعلوم ان ذلك يبطل الدين بالكلية (الثاني) ان الشيطان لو قدر على ان يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب أن يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد وحينئذ وجب أن يقتلهم وأن يمزق تصانيفهم وان يخرب ديارهم ولما بطل ذلك في حق آحاد العلماء فلا بد ان يبطل مثله في حق كابر الانبياء أولى (الثالث) كيف يليق بحكمة الله واحسانه أن يسلط الشيطان على أزواج سليمان ولا شك انه قبيح (الرابع) لو قلنا ان سليمان أذن لتلك المرأة في عبادة تلك الصورة فهذا كفر منه وان لم يأذن فيه البتة فالذنوب على تلك المرأة فكيف يؤخذ الله سليمان بفعل لم يصدر عنه فأما اوجوه التي ذكرها أهل التحقيق في هذا الباب فاشياء (الاول) ان فتنة سليمان أنه ولد له ابن فتالت الشياطين ان عاش صار مسلطا علينا مثل أبيه فسيبنا أن نقله فعمل سليمان ذلك فكان يريد في السحاب فينما هو منخل يهيماته اذا نزل ذلك الولد

مبتا على كرسية فنبه على خطئه في انه لم يتوكل فيه على الله فاستغفر ربه وأتاب (الثاني)
 روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال سليمان لا طوفن الايلة على سبعين امرأة
 كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل
 الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فنجى به على كرسية فوضع في حجره فوالذي تقسمي بيده
 لو قال ان شاء الله لجاهدوا كلهم في سبيل الله فرسانا أجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمان
 (الثالث) قوله ولقد فتنا سليمان بسبب مرض شديد ألقاه الله عليه وأقينا على كرسية منه
 جسدا وذلك لشدة المرض والعرب تقول في الضعيف انه لحم على وضغ وجسم بلا روح
 ثم أتاب أي رجع الى حال الصحة فاللفظ محتمل لهذه الوجوه ولا حاجة البتة الى حمله على تلك
 الوجوه الركيكة (الرابع) أقول لا يعد أيضا أن يقال انه ابتلاه الله تعالى بتسلط خوف
 أو توقع بلا من بعض الجهات عليه وصار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى
 على ذلك الكرسي ثم انه أزال الله عنه ذلك الخوف وأعاد الى ما كان عليه من القوة
 وطيب القلب أما قوله تعالى قال رب اغفر لي فاعلم ان الذي حملوا الكلام المتقدم على
 صدور الالة منه تمسكوا بهذه الآية فانه لو لا تقدم الذنب لما طلب المغفرة ويمكن أن يجاب
 عنه بان الانسان لا ينفك البتة عن ترك الافضل والاولى وحينئذ يحتاج الى طلب المغفرة
 لان حسنات الاراسيات المقر بين ولائهم أبدا في مقام هضم النفس واظهار الذنات
 والخضوع كما قال صلى الله عليه وسلم وانى لاستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة ولا يعد
 أن يكون المراد من هذه الكلمة هذا المعنى والله أعلم ثم قال تعالى وهب لي ملكا لا ينبغي
 لاحد من عبادي ذات هذه الآية على انه يجب تقديم مهم الدين على مهم الدنيا
 لان سليمان طلب المغفرة أو لا ثم بعده طلب المملكة وأيضا الآية تدل على ان طلب المغفرة
 من الله تعالى سبب لانفتاح أبواب الخيرات في الدنيا لان سليمان طلب المغفرة أو لا ثم توسل به
 الى طلب المملكة ونوح عليه السلام هكذا فعل أيضا لانه تعالى حكى عنه انه قال فقلت
 استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين وقال
 لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك
 فان قيل قوله عليه السلام ملكا لا ينبغي لاحد من عبادي مشعر بالحسد والجواب عنه
 ان القائلين بان الشيطان استولى على ملكته قالوا معنى قوله لا ينبغي لاحد من عبادي هو
 أن يعطيه الله ملكا لا تغدر الشياطين أن يقوموا مقامه البتة فاما المنكرون لذلك فقد
 أجابوا عنه من وجوه (الاول) ان الملك هو القدرة فكان المراد أقدرني على أشياء لا يقدر
 عليها غيري البتة ليصير اقتداري عليها معجزة تدل على صحة نبوتي ورسالتي والدليل على
 صحة هذا الكلام انه تعالى قال عقبيه فسخرنا له الریح تجري بأمره رخاء حيث أصاب فكون
 الریح جاريا بأمره قدرة عجيبة وملك عجب ولا شك انه معجزة دال على نبوته فكان قوله
 هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من عبادي هو هذا المعنى لان شرط المعجزة أن لا يقدر غيره على

مهيئة لعظم شأن ما أوتي
 من الملك وأنه مفوض
 اليه تفويضاً كلياً وأما
 مقول لقول مقدر هو
 معطوف على - فخرنا
 أو حال من فاعله كما مر
 في خاتمة قصة داود
 عليه السلام أي وقلنا
 له أو قائلين له هذا الامر
 الذي أعطيناكه من
 الملك العظيم والبسطة
 والتسلط على ما لم
 يتسلط عليه غيرك
 (عطائنا) الخاص بك
 (فامتن أو امست)
 فاعط من شئت وامنع
 من شئت (بغير حساب)
 حال من المستكن في الامر
 أي غير محاسب على منه
 وامسأكه لغو بعض
 التصرف فيه اليك على
 الاطلاق أو من العطاء
 أي هذا عطائنا فامتنسأ
 بغير حساب لغاية كثرت
 أو صلة له وما بينهما
 اعتراض على التقديرين
 وقيل الاشارة الى تسخير
 الشياطين والمراد بالبن
 والامساك الاطلاق
 والتقييد (وان له عندنا
 لوائى) في الآخرة مع
 ما له من الملك العظيم في الدنيا (وحسب ما ب) هو الجنة قل فتن سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد

معارضتها فقولاه لا ينبغي لاحد من بعدى يعنى لا يقدر أحد على معارضته (والوجه الثاني) في الجواب انه عليه السلام للمرض ثم عاد الى الصحة عرف ان خيرات الدنيا صائرة الى الغير بارت أو سبب آخر فسال ربه ملكا لا يمكن أن ينقل منه الى غيره وذلك الذى سأل به بقوله ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى أى ملكا لا يمكن أن ينقل هنى الى غيرى (والوجه الثالث) في الجواب ان الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها أشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة عليها فكانه قال يا الهى أعطني ملكة فائقة على ملك البشر بالكلية حتى احتراز عنها مع القدرة عليها يصير ثوابي أكل وأفضل (الوجه الرابع) من الناس من يقول ان الاحتراز عن اذات الدنيا عسر صعب لان هذه الاذات حاضرة وسعادات الآخرة نسيئة والتقد يصعب بعه بالنسيئة فقال سليمان اعطني يارب ملكة تكون أعظم الممالك الممكنة للبشر حتى انى أبقي مع تلك القدرة الكاملة في غاية الاحتراز عنها ليظهر للخلق ان حصول الدنيا لا يمنع من خدمة المولى (الوجه الخامس) ان من لم يقدر على الدنيا يبقى ملتفت القلب اليها فيظن ان فيها سعادات عظيمة وخيرات نافعة فقال سليمان يارب العزة أعطني اعظم الممالك حتى يقف الناس على كمال حالها فيحتمل فيظن للعقل انه ليس فيها فائدة وحينئذ يعرض القلب عنها ولا يلتفت اليها وأشتغل بالعبودية ساكن النفس غير مشغول القلب بملائق الدنيا ثم قال فمخزننا له الرمح تجري بأمره رخاء حيث أصاب رخاء أى رخوة لينة وهى من الرخوة والريح اذا كانت لينة لا ترزعج ولا تمتنع عليه كانت طيبة فان قيل اليس انه تعالى قال في آية أخرى وسليمان الريح عاصفة تجري بأمره قلنا الجواب من وجهين (الاول) لامتانة بين الآيتين فان المراد ان تلك الريح كانت في قوة الرياح العاصفة الا انها لما جرت بأمره كانت لينة فكانت رخاء (والوجه الثاني) من الجواب أن تلك الريح كانت لينة مرة وعاصفة أخرى ولامتانة بين الأمرين وقوله تعالى حيث أصاب أى قصد وأراد وحكى الاصمعي عن العرب انه يقولون أصاب العاصف فخطأ الجواب وعن ربيعة ان رجلين من أهل الافة قصدها ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال ابن تميم فقال هذا مملو بنا وبالجملة فالقصود أنه تعالى جعل الريح مخزنة له حتى صارت تجري بأمره على وفق ارادته ثم قال والشياطين كل بناء وغواص قال صاحب الكشف الشياطين عطف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين وآخرين عطف على قوله كل بناء وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شاء من الابنية ويفوضون له فيستفزعون الاواؤ وقوله مفرنين يقال قرنهم في الحبال والتشديد للكثرة والاصفاد الاغلال واحدها صدف والصفد العطية أيضا قال النابغة * ولم اعرض أبيت اللعن بالصفد * فعلى هذا الصفد القيد فكل من شدته شدا وثيقا فقد صفده وكل من أعطيته عطاء جز بلا فقد أصفده وههنا بحث وهو ان هذه الآيات دالة على

مئة عشرين سنة
ذكر الفقيه أبو حنيفة
حدثني داود الدينوري
تاريخه أن سليمان
عليه السلام ورث
ملك أبيه في عصر
يخسرو بن سيارش
وسار من الشام الى
العراق فبلغ خبره
يخسرو فهرب الى
خراسان فلم يأت حتى
هلك ثم سار سليمان
عليه السلام الى مرو ثم
الى بلاد الترك فوغل
فيها ثم جاز بلاد الصين
ثم عطف الى ان وافي
بلاد فارس فتراها اياما
ثم عاد الى الشام ثم أمر
ببناء بيت المقدس فلما
فرغ منه سار الى تهامة
ثم الى صنعاء وكان من
حديثه مع صاحبته
ما ذكر الله تعالى وغزا
بلاد المغرب الاندلس
وطبقة وغيرها والله
تعالى أعلم

(واذكر عبدنا أيوب) عطف على اذكر عبدنا داود وعهدتم تصديراً قصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينة وبين داود عليهما السلام ﴿ ٢٠٥ ﴾ وأيوب هو ابن عيص بن اسحق عليه السلام (اذناني ربه)

بدل استمال من عبدنا
وأيوب عطف بيان له
(أنى) باني (مسنى)
الشیطان) بفتح باء مسنى
وقرى بأسكانها
واسقاطها (بنصب) أى
تعب وقرى بفتح النون
و بتخمين وبضتين
للتخيل (وعذاب) أى
ألم ووصب ير يدمر منه
وما كان يقاسيه من
فنون الشدائد وهو
المراد بالضرر في قوله انى
مسنى الضرر وهو حكاية
لكلامه الذى ناداه به
بعبارة والاليل انه
مسد الخ والاسناد الى
الشیطان اما لانه تعالى
مسد بذلك لما فعل
يوسوسه كما قيل انه
أعجب بكثرة ماله أو استغاثه
مظلوم فلم يغثه أو كانت
مواشيه فى ناحية ملك
كافر فداهته ولم يعزه
أو لا تخان صبره فيكون
اعترافاً بالذنب أو مراعاة
للادب أو لانه وسوس
الى أتباعه حتى رفضوا
وأخرجوه من ديارهم
أولان المراد بالنصب
والعذاب ما كان يوسوس
به اليه فى مرضه من تعظيم

أن الشياطين لها قوة عظيمة وبسبب تلك القوة قدروا على بناء الابنية القوية التي لا يقدر عليها البشر وقدروا على الغوص فى البحار واحتاج سليمان عليه السلام الى فيدهم ولقائل أن يقول ان هذه الشياطين اما أن تكون أجسادهم كثيفة أو لطيفة فان كان الاول وجب أن يراهم من كان صحيح الحاسة اذ لو جاز أن لا يراهم مع كثافة أجسادهم فليجوز أن تكون يحضروننا جبال عالية وأصوات هائلة ولا تراها ولا تسمعها وذلك دخول فى السفسطة وان كان الثانى وهو أن أجسادهم ليست كثيفة بل لطيفة رقيقة مثل هذا يمنع أن يكون موصوفاً بقوة الشديدة وأيضاً لزم أن تتفرق أجسادهم وأن تفرق بسبب الرياح القوية وأن يموتوا فى الحال وذلك يمنع من وصفهم ببناء الابنية القوية وأيضاً الجن والشياطين ان كانوا موصوفين بهذه القوة والشدّة فلم لا يقتلون العلماء والزهاد فى زماننا ولم لا يخربون ديار الناس مع أن المسلمين مبانون فى اظهار اعنتهم وعداوتهم وحيث لم يحس شئ من ذلك علمنا أن القول بآيات الجن والشياطين ضعيف واعلم أن أصحابنا يجوزون أن تكون أجسادهم كثيفة مع ان لا تراها وأيضاً لا يبعد أن يقال أجسادهم لطيفة بمعنى عدم اللون ولكنها صلبة بمعنى انها لا تقبل التفرق والتفرق وأما الجبائى فقد سلم انهما كانت كثيفة الاجسام وزعم ان الناس كانوا يشاهدونهم فى زمن سليمان ثم انه لما توفى سليمان عليه السلام أمات الله أولئك الجن والشياطين وخلق نوعاً آخر من الجن والشياطين تكون أجسادهم فى غاية الرقة ولا يكون لهم شئ من القوة والموجود فى زماننا من الجن والشياطين ليس الا من هذا الجنس ثم قال تعالى هذا عطاؤنا فاقم من أو أمسك بغير حساب وفيه قولان (الاول) قال ابن عباس رضى الله عنهما أعطى من شئت وامنع من شئت بغير حساب أى ايس عليك حرج فيما أعطيت وفيما أمسكت (الثانى) ان هذا فى أمر الشياطين خاصة والمعنى هؤلاء الشياطين المسحورون عطاؤنا فاقم من على من شئت من الشياطين فخل عنه واحبس من شئت منهم فى العمل بغير حساب ولما ذكر الله تعالى ما أنعم به على سليمان فى الدنيا أردفه بالنعمة عليه فى الآخرة فقال وان له عندنا زلفى وحسن مآب وقد سبق تفسيره ﴿ قوته تعالى ﴾ (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه انى مسنى الشيطان بنصب) وعذاب ارض برحلك هذا مقسّل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا واذكرى لأولى الابواب وخديتك ضعفاً فاضرب به ولا تخفت انا وجدناه صابراً نعم العبدانه أو اب (اعلم ان هذا هو القصة الثالثة من القصص المذكورة فى هذه السورة واعلم ان داود وسليمان كانا من أفاضل الله عليه اصناف الآلاء والثناء وأيوب كان ممن خصه الله تعالى بأنواع البلاء والمتصود من جميع هذه القصص الاعتبار كان الله تعالى قال يا محمد اصبر على سقاهة قومك فانه ما كان فى الدنيا أكثر نعمة وما لا وجاها من داود وسليمان عليهما السلام وما كان أكثر بلا ومحنة من أيوب فتأمل فى أحوال هؤلاء لتعرف ان أحوال الدنيا لا تنظم لاحد

ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى فى أن يكفيه ذلك بكشف
البلاء أو بالتوفيق لدفعه وردة بالصبر الجميل وليس هذا تمام

وان العاقل لا بد له من الصبر على الكاره وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب
الكشاف أيوب عطف بيان واذيدل اشتغال منه انى مسنى أى باني مسنى حكاية
لكلامه الذى نادى ابليس ولم يحك لفسال بانه مسدلانه غالب وقرى بنصب بضم النون
وقتها مع سكون الصاد وقتحها وضمتها فالنصب والنصب كالرشد والرشد والعدم
والعدم والسقم والسقم والنصب على أصل المصدر والنصب تشبيل نصب والمعنى
واحد وهو التعب والمشقة والعذاب والآلم واعلم انه كان قد حصل عنده نوعان من
المكروه الغم الشديد بسبب زوال الخيرات وحصول المكروهات والآلم الشديد في الجسم
ولما حصل هذان النوعان لاجرم ذكر الله تعالى لفظين وهما النصب والعذاب (المسئلة
الثانية) للناس في هذا الموضع قولان (الاول) ان الآلام والاسقام الحاصلة في جسمه
انما حصلت بفعل الشيطان (الثاني) انها انما حصلت بفعل الله والعذاب المضاف
في هذه الآية الى الشيطان هو عذاب الوسوسة والقاء الخواطر الفاسدة (وأما القول
الاول) فتقر به ماروى ان ابليس سأل ربه فقال هل في عبيدك من اوسلطني عليه
يمتنع منى فقال الله نعم عبيدى أيوب فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى ابليس عيانا ولا يلتفت
اليه فقال يارب انه قد امتنع على فسلطني على ماله وكان يجيشه ويقول له هلك من مالك
كذا وكذا فيقول الله اعطى وامه اخذهم ثم يحمدهم فقال يارب ان أيوب لا يبالي بماله
فسلطني على ولده ففجأ وزلزل الدار فهلك أولاده بالكاذبة فجاءه وأخبره به فلم يلتفت اليه
فقال يارب لا يبالي بماله وولده فسلطني على جسده فاذن فيه فتفخخ في جلد أيوب وحدثت
اسقام عظيمة وآلام شديدة فيه فحكى في ذلك البلاء سنين حتى صار يحسب استغذره أهل
بلده فخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه أحد فجاء الشيطان الى امرأته وقال لو أن
زوجك استعان بي لخصته من هذا البلاء فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف بالله لن عافاه
الله ايجلد نهامائة جلدة وعند هذه الواقعة قال انى مسنى الشيطان ينصب وعذاب
فأجاب الله دعاءه وأوحى اليه أن اركض برجلك فأظهر الله من تحت رجله عينا باردة
طيبة فاغتسل منها فأذهب الله عنه كل داء في ظاهره وباطنه ورد عليه أهله وماله (والقول
الثاني) ان الشيطان لا قدرة له البتة على ايقاع الناس في الامراض والآلام والدليل
عليه وجوه (الاول) اننا لو جونا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان
فلعل الواحد منا انما وجد الحياة بفعل الشيطان وامل كل ما حصل عندنا من الخيرات
والسعادات فقد حصل بفعل الشيطان وحينئذ لا يكون لنا سبيل الى أن نعرف ان معطى
الحياة والموت والصحة والسقم هو الله تعالى (الثاني) ان الشيطان لو قدر على ذلك فلم
لا يسعى في قتل الانبياء والاولياء ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل أولادهم (الثالث) انه
تعالى حكى عن الشيطان انه قال ما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي فصرح بأنه لا قدرة له في حق البشر الا على القاء الوسوس والخواطر الفاسدة وذلك

دعائه عليه الصلاة
والسلام بل من جلته
قوله وانت أرحم الراحمين
فاكتفى ههنا عن ذكره
بما في سورة الانبياء كما
ترك هناك ذكر الشيطان
ثقة بما ذكره ههنا وقوله
تعالى (اركض برجلك)
الح اما حكاية لما قيل له
أو مقول لقول مقدر
معطوف على نادى
أى قتلنا له اركض
برجلك أى اضرب
بها الارض وكذا قوله
تعالى (هذا مقتل
بارذ وشراب) فانه أيضا
اما حكاية لما قيل له بعد
امثاله بالامر ونوع
الماء أو مقول لقول مقدر
معطوف على مقدر
ينساق اليه الكلام
كأنه قبل فضر بها
فنبعت عين فقلنا هذا
مغتسل تغتسل به وتشرب
منه فيبرأ ظاهر لك وباطنك
وقيل نبت عينان حارة
للافتسال وباردة للشرب
وبأباه ظاهر النظم الكريم
وقوله تعالى (ووهبنا له
أهله) معطوف على مقدر
مترتب على مقدر آخر
يقضيه القول المقدر
انما كأنه قبل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كافي سورة الانبياء

ووهبنا له أهله أبا جبرائيل بعد ٢٠٧ هلاكهم وهو المروي عن الحسن أبو جبرائيل بعد تفرقهم كما قيل

(ومثلهم معهم) عطف
على أهله فكان له
من الأولاد ضعف
ما كان له قبل (رحمة منا)
أي لرحمة عظيمة عليه
من قبلنا (وذكرى
لأولي الأسباب)
ولذلك كبرهم بذلك ليصبروا
على الشدة لذلك صبر
ويجيئوا إلى الله عز وجل
فيما يحيى بهم كما لجأ
ليفعل بهم ما فعل به
من حسن العاقبة
(وخذ بيدك ضغثا)
معطوف على أركض
أو على وهبنا بتقدير
قلنا أي وقلنا خذ بيدك
الخ والأول أقرب لفظا
وهذا أنسب معنى فإن
الحاجة إلى هذا الأمر
لا تمس إلا بعد الصحة
فإن أمراته رجعت بنت
إفرايم بن يوسف وقيل
ليس بنت يعقوب وقيل
ما صر بنت ميشا بن
يوسف عليه السلام
ذهبت الحاجة فأبطلت
فخالف أن يرى ليضر بها
مائة ضربة فأمره الله
تعالى بأخذ الضغث
والضغث الحزينة
الصغيرة من الخشيش
ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر وقال (فأضرب به) أي بذلك

يدل على قول من يقول إن الشيطان هو الذي أنقاه في تلك الأمراض والآفات فإن
قال قائل لم لا يجوز أن يقال إن الفاعل لهذه الآفات هو الله تعالى لكن على وفق الناس
الشيطان قلنا فإذا كان لابد من الاعتراف بأن خالق تلك الآفات والاستقام هو الله
تعالى فأي فائدة في جعل الشيطان واسطة في ذلك بل الحق أن المراد من قوله أي معنى
الشيطان ينصب وعذاب أنه بسبب لقاء الوسوس القامسة والخواطر الباطنة كان
يلقيه في أنواع العذاب والعناء ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في أن تلك الوسوس
كيف كانت وذكروا فيه وجوها (الأول) إن علة كانت شديدة الألم ثم طالت مدة تلك
العلة واستغذره الناس ونفروا عن مجاورته ولم يبق له شيء من الأموال البتة وأمر أنه
كانت تخدم الناس وتحصل له قدر القوت ثم باغت نفرة الناس عند أن أن منعوا أمر أنه
من الدخول عليهم ومن الاشتغال بخدمتهم والشيطان كان يذكره أنهم التي كانت
والآفات التي حصلت وكان يختل في دفع تلك الوسوس فلما قويت تلك الوسوس في
قلبه خاف وتضرع إلى الله وقال أي معنى الشيطان ينصب وعذاب لأنه كلما كانت
تلك الخواطر أكثر كان ألم قلبه منها أشد (الثاني) أنها لما طالت مدة المرض جاءه
الشيطان وكان يقطعه من ربه ويزين له أن يجزع فخاف من تأكد خاطراته فوطئ قلبه
فتضرع إلى الله تعالى وقال أي معنى الشيطان (الثالث) قيل إن الشيطان لما قال لأمر أنه
لواطاعني زوجك أزلت عنه هذه الآفات فذكرت المرأة له ذلك فغلب على ظن أن الشيطان
طمع في دينه فشق ذلك عليه فتضرع إلى الله تعالى وقال أي معنى الشيطان ينصب وعذاب
(الرابع) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بقي أيوب في البلاء ثلاث عشرة سنة حتى
رضخه القريب والبعيد الأرجلين ثم قال أحدهما لصاحبه لقد أذنب أيوب ذنبا ما أنى
به أحد من العالمين وأولاه ما وقع في مثل هذا البلاء فذكروا ذلك لأيوب عليه السلام
فقال لأدري ما تقولان غير أن الله يعلم أنني كنت أمر على الأرجلين بته زعان فبذلكر أن الله
تعالى فارجع إلى بيتي فافزع عنهما كراهية أن يذكرك الله تعالى الأفي الحق (الخامس) قيل
إن أمر أنه كانت تخدم الناس فأخذ منهم قدر القوت وتبعى به إلى أيوب فاتفق أنهم
ما استخدموها البتة وطلب بعض النساء منها قطع إحدى ذوائبها على أن تعطيهما قدر
القوت ففعلت ثم في اليوم الثاني ففعلت مثل ذلك فلم يبق لها ذوابة وكان أيوب عليه
السلام إذا أراد أن يتحرك على فراشه تعلق بتلك الذوابة فلما لم يجد الذوابة وقعت الخواطر
المؤذية في قلبه واشتد غمه فعند ذلك قال إن معنى الشيطان ينصب وعذاب (السادس)
قال في بعض الأيام يارب لقد علمت ما اجتمع على أمر أن الآثرت طاعتك ولما أعطيتني
المال كنت للارامل قويا ولابن السبيل معينا واليتامى أبا فنودي من غمامة يا أيوب
من كان ذلك التوفيق فأخذ أيوب الثراب ووضع على رأسه وقال يارب ثم خاف
من الخاطر الأول فقال معنى الشيطان ينصب وعذاب وقد ذكروا أقوالا أخرى والله

ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر وقال (فأضرب به) أي بذلك

الضعف (ولا تخش) في غيبك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله ﴿ ٢٠٨ ﴾ سبحانه هذه الرخصة رحمة فولية

وصالح الحسن خدمتها
ايه ورضاه عنها وهي
باقية ويجب ان يصيب
المضروب كل واحد
من المائة اما باطرافها
قائمة او بأعراضها
مبسوطة على هيئة
الضرب (انا وجدناه
صابرا) فيما أصابه
في النفس والاهل والمال
وليس في شكواه الى الله
تعالى اخلاخل بذلك فانه
لا يسمى جزعا كذا
القافية وطلب الشفاء
على أنه قال ذلك خيفة
الفئة في الدين حيث
كان الشيطان يوسوس
الى قومه بأنه لو كان نبيا
لما ابتلى بمثل ما ابتلى به
وارادة القوة على الطاعة
فقد بلغ أمور الى أن لم
يبق منه الا القلب
واللسان ويروي أنه
عليه الصلاة والسلام
قال في مناجاته الهى
قد علمت أنه لم يخالف
لسانى قلبى ولم ينزع
قلبى بصبرى ولم يهينى
ماملكت يمينى ولم أكل
الاومى يمينى ولم أبت
شبعان ولا كاسيا ومضى
جائعا وعريان فكشف الله

اعلم بحقيقة الحال وصحت بعض اليهود يقول ان موسى بن عمران عليه السلام كتبنا مفردا
في واقعة ايوب وحاصل ذلك الكتاب ان ايوب كان رجلا كثيرا اطاعة لله تعالى واطبا على
العبادة مباغيا في الشيعية الامر لله تعالى والشفقة على خلق الله ثم انه وقع في البلاء الشديد
والعناء العظيم فهل كان ذلك حكمة أم لا فان كان ذلك لحكمة فمن المعلوم انه ما أتى
يكرم في الزمان السابق حتى يحمل ذلك العذاب في مقابلة ذلك الجرم وان كان ذلك لكثرة
الثواب فالاله الحكيم الرحيم قادر على اتصال كل خير ومنفعة اليه من غير توسط تلك
الآلام الطويلة والاستقام الكريهة وحينئذ لا يبقى في تلك الامراض والآفات فائدة
وهذه كانت ظاهرة جليلة وهي دالة على ان أفعال ذى الجلال منزهة عن التعليل بالمصالح
والمفاسد والحق الصريح انه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (المسئلة الثالثة)
لفظ الذي يدل على ان ذلك النصب والعذاب انما حصل من الشيطان ثم ذلك العذاب
على القول الاول عبارة عما حصل في بدنه من الامراض وعلى القول الثانى عبارة عن
الاحزان الحاصل في قلبه بسبب لقاء الوسوس وعلى التقديرين فيلزم اثبات الفعل
للشيطان وأجاب استحسانا رحمه الله باننا لانذكر اثبات الفعل للشيطان لكننا نقول فعل
العبد مخلوق لله تعالى على التفصيل المعلوم أما قوله تعالى اركض برجلك فاعلم انه لما
شكك من الشيطان فكأنه سأل ربه أن يزيل عنه تلك البلية فأجابه الله اليه بأن قال له
اركض برجلك والركض هو الدفع القوي بالرجل ومنه ركضك القرس والتقدير قلنا له
اركض برجلك قيل انه ضرب برجله تلك الارض فشبت عين فقبل هذا ما غسل بارد وشرب
أى هذا ما تغسل به فغيرا باطنك وظاهر اللفظ يدل على انه شبت له عين واحدة من الماء
اغتسل فيه وشرب منه والمفسرون قالوا ثبت له عينان فاغسل من احدهما وشرب من
الآخرى فذهب الداء من ظاهره ومن باطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فشبت عين
حارة فاغسل منها ثم باليسرى فشبت عين باردة فشرب منها ثم قال تعالى ووهبنا له أهله فقد
قيل فيه هم عين أهله وزيادة مثلهم وقيل غيرهم مثلهم (والاول) أولى لانه هو الظاهر فلا
يجوز العدول عنه من غير ضرورة ثم اختلفوا فقال بعضهم معناه ازلنا عنهم السقم فعادوا
اصحاء وقال بعضهم بل حضروا عنده بعد ان غابوا عنه واجتمعوا بعد ان تفرقوا وقال بعضهم
بل تمكن منهم وتكبروا منه فيما اتصل بالعشرة وبالخدمة أما قوله ومثلهم معهم فالأقرب
انه تعالى معه بمحنته وبالدفع فوام حتى كثر ناله وصار أهله ضعفاء وكان واضعاف ذلك
وقال الحسن رحمه الله المراد بهبة الاهل انه تعالى أحياهم بعد ان هلكوا ثم قال رحمة
منا أى انما فعلنا كل هذه الأفعال على سبيل الفضل والرحمة لا على سبيل اللزوم ثم
قال وذكرى لاولى الباب يعنى سلطان البلاء عليه أولا فصبر ثم أزلنا عنه البلاء
وأوصلناه الى الآلاء والنعماء تفيها لاولى الباب على أن من صبر فظفر والفصوص منه
التييد على ما وقع ابتداء الكلام به وهو قوله الحمد صبر على ما يقولون واذا ذكر عبد ناداود

تعالى عنه (نعم العبد) أى أيوب (انه أواب) تعليل لدخله أى رجوع الى الله تعالى ﴿ وفات ﴾

(واذ كر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) عطف بيان لعبادنا وقرى عبدنا اما على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان وقيل بدل وقيل نصب باضمار اعني والباقيان عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع (اولى لا يدى والابصار) اولى القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولى الاعمال الجليلة والعلوم الشرعية فغير الا يدى عن الاعمال لان كثرة مباشرها وبالابصار عن المعارف (٢٩) لانها اقوى مبادئها وفيدعها ايضا بالجملة الباطلين انهم كالزنى

والتمسة وتوابع على تركهم الجهاد والامل مع تمكثهم منها وقرى اولى الايدى بطرح الياء والاكتفاء بالكسر وقرى اولى الايدى على جمع الجمع (انا اخلصناهم خلاصتنا) تعليل لما وصفوا به من صرف العبودية وحوالته في العلم والعمل اى جاء لانهم خالصين لنا لخصلة خاصة عظيمة الشأن كما يلى عند التذكير الفخرى وقوله تعالى (ذاكرى الدار) بيان للاختصاص بمداهما للنفخيم اى تذكار للدار الآخرة اذ امان خلاصتهم في الطاعة بسبب تذكيرهم لها وذلك لان مطمح انفسهم ومطرح افكارهم في كل ما ياتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز ببقائه ولا يتنى ذلك الا في الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم اها والاطاف بهم في اختيارها وبعضد الاول قراءة من قرأ بها الصلوة واطلاق الدار للاشارة بانها الدار في الحقيقة والدار الدنيا

المعتزلة قوله تعالى رحمة منا واذ كرى اولى الابواب يعنى انا فاعلمنا ان هذه الانراض والمقاسد وذلك يدل على ان افعال الله واحكامه معاملة بالانراض والمصالح والكلام في هذا الباب قدم غير مرة اما قوله تعالى ويخذ بك ضغتنا فهو معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش اور يعان ارضه ذلك واعلم ان هذا الكلام يدل على تقدم عين منه وفي الخبر انه حلف على افعاله ثم اخذتها في السبب الذي لا جله حلف عليها ويعد ما قيل انها رغبة في طاعة الشيطان ويعد ايضا ما روى انها طاعت الشيطان عن رأسها الان المضطر الى الطعام ياح له ذلك بل الاقرب انها طاعت في بعض المهمات وذلك ان هذا ذهب في بعض المهمات فاعطت فحلف في سر عند بصيرتها امانة اذ ابرىء واذا كانت حسنة الخدمة له لا جرم حمل الله عيونه بأهون شيء عليه وعليها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتى بمجذوم خبث بأمة فقال خذوا عذرا لافيه مائة دينار فاضربوه به منصرف ثم قال تعالى انا وعبدا صابرا فان قيل كيف وجد صابرا وقد شكى اليه والجواب من وجوه (الاول) انه شكى من الشيطان اليه وما شكى منه الى احد (الثاني) ان الامم حين كان على الجسد لم يدكر شيئا فلما عطف الوساوس خاف على القلب والدين فضرع (الثالث) ان الشيطان هدو والشكاية من العدو الى الحبيب لا تقدر في الصبر ثم قال نعم العبد انه اواب وهذا يال على ان تشرى نعم العبد انما حصل الكونه اوابا وسمعت بعضهم قال لما نزل قوله تعالى نعم العبد في حق سليمان عليه السلام تارة وفي حق ايوب عليه السلام آخر عطفه نعم في قلوب امة ثم صلى الله عليه وسلم وقالوا ان قوله تعالى نعم العبد في حق سليمان تشرى نعم عليه وان احببنا الى اتفاق منكم مثل ملكة سليمان حتى نجد هذا التشرى لم نقدر عليه وان احببنا الى تحمل بلا مثل ايوب لم نقدر عليه فكيف السبيل الى تحصيله فانزل الله تعالى قوله نعم المولى ونعم النصير والمراد انك ان لم تكن نعم العبد فانما نعم المولى وان كان منك الفضل في التفضل وان كان منك التفضير في الرحمة والبصيرة (واذ كر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) اولى الايدى والابصار انا اخلصناهم بخالصتنا ذكرى الدار وانهم عندنا من المستغنيين الاخبار واذ كر اسمعيل واليسع وذا النكمل وكل من الاخيار في الآيات مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابن كثير عينا على الواحد وهي قراءة ابن عباس ويقول ان قوله عبدنا تشرى نعم عظيم فوجب ان يكون هذا التشرى نعم شمس وصا باعضهم الناس المذكورين في هذه الآية وهو ابراهيم وقرأ الباقون عبدنا قالوا لا تغيروا ابراهيم من الآية قد اجري عليه هذا الوصف فجاء في عيسى ان هو الان عبدنا نعمنا عليه وفي ايوب نعم العبد وفي نوح انه كان عبدا شكورا فن قرأ عبادنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان لانه عطف ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب ومن قرأ عبادنا جعل ابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا (المسئلة الثانية) تقدير الآية كأنه تعالى قال فاصبر على ما يقولون واذ كر عبدنا

وقرى يا منافة خلاصة الى ذكرى اى بالخلص (٢٧) من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشعرون ذكر ابراهيم آخر اصلا وتذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وترهيبهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء عليهم السلام وما ذكره بالدار الثناء الجملة في الدناء لسان الصدق الذي له انهم (وانهم عندنا)

المصطفين الاخبار) ان المختار بن من امثالهم المصطفين عليهم في الخبر والاخبار جمع خير وكثير واشهر از وقيل جمع خير
أو خير مخفف منه كأموات في جمع ميت وميت (واذ كرا سمعيل) فصل ذكره عن ذكر آية وأخيه للاشعار بمراقته في الصبر
الذي هو المقتصد بالذ كبر (واليسع) هو ابن أخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبحي واللام فيه
حرف تعريف دخل على يسع كافي قول من قال * رأيت الوليد بن * يزيد * باركا * وقرئ * واليسع * كأن

أصله يسع فعمل من اليسع
دخل عليه حرف التعريف
وقيل هو على اقراءتين
علم أجمعى دخل عليه
اللام وقيل هو يوسع
(وذا الكفل) هو ابن عم
يسع أو بشر بن أيوب
واختلف في نبوته ولقبه
فقيل فرأيه ما لذي نبي من
بني اسرائيل من القتل
فأولاهم وكفاهم وقيل
كامل لمل رجل صالح
كان يسلي كل يوم مائة
صلاة (وكل) أي وكلامهم
(من الاخبار) المشهورين
بالخبرة (هذا) اشارة الى
ما تقدم من الآيات الناطقة
بمحاسنهم (ذكر) أي
سرفاههم وذ كرجيل
يذكرون به أباؤا ونوع
من الذ كرا الذي هو اشهر
وباب منه مشتق على آباء
الانبياء عليهم السلام
وعن ابن عباس رضي الله
عنهما هذا ذكر من مضى
من الانبياء وقوله تعالى
(وان المتقين لحسن ما أب) شروعه في بيان أجرهم
الجزيل في الآجل بعد
بيان ذكرهم الجليل في

داود الى أن قال واذا كرا عبدنا ابراهيم أي واذا كرا يا محمد صبرا ابراهيم حين ألقى في النار
وصبره اسمحق للذبح وصبر يعقوب حين فقد ولده وذهب بصره ثم قال أولى الايدي والابصار
واعلم أن اليد آلة لا كثر الاعمال والبصر آلة لا قوى الادراكات فحسن التعبير عن العمل
باليد وعن الادراك بالبصر اذا صرقت هذا فتقول النفس الناطقة الانسانية لها قوتان
عاطلة وعائلة أما القوة العاطلة فاشرف ما يصدر عنها اطاعة الله وأما القوة العاطلة فاشرف
ما يصدر عنها معرفة الله وما سوى هذين القسمين من الاعمال والعارف فكالميت والباطل
فقوله أولى الايدي والابصار اشارة الى هاتين الخاتمتين ثم قال تعالى انا أخلصناهم
بخاصة ذكرى الدار وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قوله بخاصة ذكرى بآلتين والاضافة
فمن نون كان التقدير بخاصة ذكرى أي جعلناهم خاصين لنا بسبب خصلة خاصة لا شوب
فيها وهي ذكرى الدار ومن قرأ بالاضافة فاعني بما خلاص من ذكرى الدار يعني ان ذكرى
الدار قد تكون لله وقد تكون لغيره فلهذا في انا أخلصناهم بسبب ما خلاص من هذا الذ كرا
(المسئلة الثانية) في ذكرى الدار وجوه (الاول) المراد أنهم استغرقوا في ذكرى الدار
الآخرة وبلغوا في هذا الذ كرا حيث نسوا الدنيا (الثاني) المراد حصول الذ كرا
الجليل الرفيع لهم في انذار الآخرة (الثالث) المراد أنه تعالى أبيهم الذ كرا الجليل في الدنيا
وقبل دعاءهم في قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين ثم قال تعالى وانهم عندنا
ان المصطفين الاخبار أي المختارين من أبناء جنسهم والاخبار جمع خير أو خير على التخفيف
كأموات في جمع ميت أو ميت واحتج العلماء بهذه الآية في اثبات عصمة الانبياء قالوا لانه
تعالى حكم عليهم بكونهم اخبارا على الإطلاق وهذا يعين حصول الخبرة في جميع الافعال
والصفات بدليل صحة الاستثناء وبدليل دفع الاجمال ثم قال واذا كرا سمعيل واليسع
وذا الكفل وكل من الاخبار وهم قوم آخرون من الانبياء نعموا الشئنا في دين الله وقد
ذكرنا الكلام في شرح هذه الاسماء وفي صفات هؤلاء الانبياء في سورة الانبياء وفي سورة
الانعام فلا فائدة في الاعادة وههنا آخر الكلام في قصص الانبياء في هذه السورة * قوله
تعالى (وهذا ذ كرا وان المؤمنين لحسن ما أب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها
يدعون فيها بغا كهي كثيرة وشراب ومن دهم فاصرات الطرف ارباب هداما توعدون ليوم
الحساب ان هذا الرزق اما له من نفاذ) اعلم ان في قوله ذ كرا وجهين (الاول) انه تعالى
انما شرح ذكر أحوال هؤلاء الانبياء عليهم السلام لاجل أن يصبر محمد عليه السلام على
تحمل سقاهة قوم فلما تم بيان هذا الطريق وأراد أن يذكر تعذيبه طريقا آخر يوجب
الصبر على سقاهة الجاهل وأراد أن يميز أحد البابين عن الآخر لا يجرم قال هذا ذ كرا ثم شرع
في تقرير الباب الثاني فقال وان المؤمنين كأن المصنف اذا تم كلاما قال هذا باب ثم شرع في باب
آخر واذا فرغ الكتاب من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر قال هذا وقد كان
كتب وكبت والدليل عليه انه لما ذكر أهل الجنة وأراد أن يردفه بذكر أهل النار قال

الماجل وهو باب آخر من أبواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخرون في الحكم دخولا أو اياما * هذا
نفس المذ كور بن عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالقوى التي هي الغاية القاصية من الكمال (جنات عدن) عطف بيان لحسن
ما أب عند من يجوز فتحها ثم نفاذ كرا فان عدنا

معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده أو بدل منه أو نصبت على المدح وقوله تعالى (مفتحة لهم
 الابواب) حال من جنات عدن والخال فيها مافى الآتين من معنى الفعل والابواب مفتحة باسم المفعول والرابط
 بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كاهو رأى البصريين أى الابواب منها أو الالف واللام القائمة مقامه كاهو
 رأى الكوفيون اذا اصل ابوابها وقرئ (٢١١) من فوعنين على الابتداء والخبر أو على أنهما خبران محذوف

أى هى جنات عدن هى
 مفتحة (متكئين فيها)
 حال من ضمير لهم
 والخال فيها مفتحة
 وقوله تعالى (يدعون
 فيها بفاكهة كثيرة
 وشراب) استئناف
 لبيان حالهم فيها وقيل
 هو أيضا حال عما ذكر
 أو من ضمير متكئين
 والاقتصار على طاء
 انفاكهة الايدان بأن
 مطاعهم لمحض النفاكهة
 والتلذذ دون التغذى
 فانه لتحصيل بدل
 المتحاصل ولا تحال ثمة
 (وعندهم قاصرات
 الطرف) أى على
 أزواجهن لا ينظرن
 الى غيرهم (أتراب)
 لدات لهم فان الخباب
 بين الاقران أرسخ
 أو بعضهم لبعض
 لا يجوز فيهن ولا صبغة
 واشتقاقه من التراب فانه
 يسهم في وقت واحد
 (هذا ما توعدون ليوم
 الحساب) أى لاجله فار
 الحساب حلة للوصول
 الى الجزاء وقرئ بالياء

هذا وان للطاغين (الوجه الثاني) في التأويل ان المراد هذا شرف وذكر جيل لهؤلاء
 الانبياء عليهم السلام يذكرون به أبداً والاول هو الصحيح أما قوله وان للتيقين لحسن مآب
 فاعلم أنه تعالى لما حكى عن كفار قرقر يش سفاهتهم على النبي صلى الله عليه وسلم بان وصفوه
 بأنه ساحر كذاب وقالوا له على سبيل الاستهزاء ربنا نعمل لنا قنطرا فعند هذا أمر محمد بابا بصبر
 على تلك السفاهة و بين ان ذلك الصبر لازم من وجهين (الاول) أنه تعالى لما بين ان الانبياء
 المتقدمين صبروا على المكروه والشدة أد فيجب عليك أن تتقدي بهم في هذا المعنى (الثاني)
 انه تعالى بين في هذه الآية أن من أطاع الله كان له من الثواب كذا وكذا ومن خالفه
 كان له من العقاب كذا وكذا وكل ذلك يوجب الصبر على تكاليف الله تعالى وهذا نظم
 حسن وترتيب لطيف أما قوله تعالى وان للتيقين لحسن مآب المآب المرجع والجمع
 القائلون يقدم الارواح بهذه الآية وبكل آية تشتمل على لفظ الرجوع ووجه الاستدلال
 أن لفظ الرجوع إنما يصدق لو كانت هذه الارواح موجودة قبل الاجساد وكانت
 في حضرة جلال الله ثم تعلق بالابدان فعند انفصالها عن الابدان يسمى ذلك رجوعا
 وجوابه ان هذا ان دل فلانما يدل على أن الارواح كانت موجودة قبل الابدان ولا يدل
 على قدم الارواح ثم قال تعالى جنات عدن وهو بدل من قوله لحسن مآب ثم قال مفتحة
 لهم الابواب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ذكرنا في تأويل هذا اللفظ وجوها (الاول)
 قال القراء معناه مفتحة لهم ابوابها والعرب تجعل الالف واللام خلفا من الاضافة تقول
 العرب مررت برجل حسن الوجه فالالف واللام في الوجه بدل من الاضافة (والثاني)
 قال الزجاج المعنى مفتحة لهم الابواب منها (الثالث) قال صاحب الكشف الابواب بدل
 من الضمير وتقديره مفتحة هى الابواب كقولك ضرب زيد البذل والرجل وهو من بدل
 الاشتغال (المسئلة الثانية) قرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على تقدير أن يكون قوله جنات
 عدن مبتدأ ومفتحة خبره وكلاهما خبر مبتدأ محذوف أى هو جنات عدن مفتحة لهم
 (المسئلة الثالثة) اعلم انه تعالى وصف من أحوال أهل الجنة في هذه الآية أشياء (الاول)
 أحوال مساكنهم فقوله جنات عدن يدل على أمرين (أحدهما) كونها جنات وبساتين
 (والثاني) كونها دائما آمنة من الانقضاء وفي قوله مفتحة لهم الابواب وجوه (الاول)
 أن يكون المعنى ان الملائكة الموكلين بالجنات اذا رأوا صاحب الجنة فتحوا له ابوابها
 وحيوه بالسلام فيدخل كذلك مخفوقا بالملائكة على أعز حال وأجل هيئة قال تعالى حتى
 اذا جاءوها فتمت ابوابها وقال لهم خزنتموها سلام عايكم طبتهم فادخلوها خالدين (الثاني) أن
 تلك الابواب كلما أرادوا انفتاحها انفتحت لهم وكلما أرادوا انغلاقها انغلقوا لهم
 (الثالث) المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن بالسعة ومسافرة العيون فيها
 ومشاهدة الاحوال اللذيذة الطيبة ثم قال تعالى متكئين فيها يدعون فيها وفيه مباحث
 (الاول) انه تعالى ذكر في هذه الآية كونهم متكئين في الجنة وذكر في سائر الآيات

لبوا في ما قبله والتلغات أبقى بمقام الامتان والتكريم (ان هذا) أى ما ذكر من ألوان النعم والكرامات (رزقنا)
 أعطينا كونه (ماله من نفاق) انقطاع أبدا (هذا) أى الامر هذا أو هذا كما ذكر أو هذا ذكر وقوله تعالى
 (وان للطاغين لشر مآب) شروع في بيان أضداد الفريق السابق (جهنم) اعرابها كاسلف (يصلونها)
 أى يدخلونها حال من جهنم (فبئس المهاد) وهو المهدي والمفرس مستعار من فراس النائم والخصوص

بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد (هذا فليذوقوه) أي ليدوقوا هذا فليذوقوه كقوله تعالى
 وإياي قارهبون أو العذاب هذا فليذوقوه أو هذا مبتدأ خبره (حجم وضيق) وما يذهما اعتراض وهو على الأولين
 خير مبتدأ محذوف أي هو حجم والغسق ما يفق من صديد أهل النار من غسقت العين إذا سال دمعها وقبل الحميم
 يحرق بجره والغسق يحرق بجره وقبل أو قطرت ﴿٢١٢﴾ منه قطرة في المشرق لتنت أهل المغرب وأوقطرت

قطرة في المغرب لتنت
 أهل المشرق وقيل
 الغسق عذاب لا يعلمه
 إلا الله تعالى وقرئ
 بتحذيف السين (آخر
 من شكله) أي ومذوق
 آخر أو عذاب آخر من
 مثل هذا المذوق
 أو العذاب في الشدة
 والفظاعة وقرئ وآخر
 أي ومذوقات آخر
 وتوحيد ضمير شكله
 يتأويل ما ذكر أو الشراب
 الشامل للحميم والغسق
 أو هو راجع إلى الغسق
 (أزواج) أي أجناس
 وهو خبر لا آخر لأنه يجوز
 أن يكون ضروبا أو صفة
 له أو ثلاثة أو مرتفع
 بالجار والخبر محذوف
 مثل لهم (هذا فوج
 مقسم معكم) حكاية
 ما يقال من جهة الخزنة
 لرؤساء الطاغين إذا
 دخلوا النار واقسموها
 معهم فوج كانوا يبتغونهم
 في الكفر والضلالة
 والافتحام الدخول
 في الشيء بشدة قال
 الراغب الافتحام بوسط

كيفية ذلك الاتكاء فقال في آية على الأراك متكون وقال في آية أخرى متكئين على
 رفرف خضر (البحث الثاني) قوله متكئين فيها حال قدمت على العامل فيها وهو قوله
 يدعون فيها والمعنى يدعون في الجنات متكئين فيها ثم قال بفأكلهم كثيرة وشراب والمعنى
 بألوان الفاكهة وألوان الشراب والتقدير بفأكلهم كثيرة وشراب كثير والسبب في ذكر
 هذا المعنى أن ديار العرب حارة قليلة ألفوا كنهه والاشرب بقدر غلبهم الله تعالى فيه ولما بين تعالى
 أمر المسكن وأمر المأكول والمشروب ذكر عقيب أمر المنكوح فقال وعندهم فاصرات
 الطرف وقد سبق تفسيره في سورة والاصفات وبالجملة فالعنى كونهن فاصرات الطرف عن
 غيرهم مقسمورات القلب على محبةهم وقوله أتراب أي على سن واحد ويحتمل كون الجوارى
 أتراب ويحتمل كونهن أترابا للأزواج قال الثعالبي والسبب في اعتبار هذه الصفة أنهن
 لما تشابهن في الصفة والسن والحلية كان الميل إليهن على السوية وذلك يقتضى عدم
 التغير ثم قال تعالى هذا ما توعدون ليوم الحساب يعني إن الله تعالى وعند المتقين بأشواب
 الموصوف بهذه الصفة ثم أنه تعالى أخبر عن دوام هذا الثواب فقال إن هذا لرزقنا ما له من
 نفاذ قوله تعالى (هذا وإن للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه
 حجم وضيق وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقسم معكم لأمير حبا بهم أنهم صالوا النار
 قالوا بل أنتم لأمير حبا بكم أنتم قد متوه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده
 هذا باضعفنا في النار وقالوا ما لنا لنرى رجلا كنا معههم من الأشهر أن اتخذناهم سخر يام
 زاعقت منهم الأبصار إن ذلك لحق خصاص أهل النار) اعلم أنه تعالى لما وصف ثواب المتقين
 وصف بعده عتاب الطاغين ليكون الوعيد مذكورا عقيب الوعد والترهيب عقيب
 الترغيب واعلم أنه تعالى ذكر من أحوال أهل النار أنواعا (فالأول) مرجعهم وما بهم
 فقال هذا وإن للطاغين لشر مآب أو هذا في مقابلة قوله وإن للمتقين لحسن مآب فبين
 تعالى أن حال الطاغين مضادة لحال المتقين واختلفوا في المراد بالطاغين فأكثروا المفسرين
 حواه على الكفار وقال الجبائي أنه محمول على أصحاب الكبار سواء كانوا كفارا أو أم
 يكونوا كذلك واحتج الأولون بوجوه (الأول) أن قوله لشر مآب يقتضى أن يكون ما بهم
 شرا من مآب غيرهم وذلك لا يليق إلا بالكفار (الثاني) أنه تعالى حكى عنهم أنهم قالوا
 اتخذناهم سخر يا وذل لا يليق إلا بالكفار لأن انفاسق لا يتخذ المؤمن سخر يا (الثالث) أنه
 اسم ذم والاسم المطلق محمول على الكمال والكمال في الطغيان هو الكافر واحتج الجبائي
 على صحة قوله بقوله تعالى إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وهذا يدل على أن الوصف
 بالطغيان قد يحصل في حق صاحب الكبرياء ولأن كل من تجاوز عن تكاليف الله تعالى
 وتعداها فقد طغى إذا عرفت هذا فقول قال ابن عباس رضى الله عنهما المعنى إن الذين
 طغوا وكذبوا رسلى لهم شر مآب أي شر مرجع ومصير ثم قال جهنم يصلونها والمعنى أنه
 تعالى لما حكى بأن الطاغين لهم شر مآب فسرهم بقوله جهنم يصلونها ثم قال فبئس المهاد

شدة تخيفة وقوله تعالى (لأمير حبا بهم) من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج أو صفة وهو
 للفوج أحوال منه أي مقول أو مقولا في حقهم لأمير حبا بهم أي لأنوا حبا أو لا رحبت بهم الدار مر حبا
 (أنهم صالوا النار) تلميح من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم أو وصفهم بما ذكر وقيل لأمير حبا بهم
 إلى هنا كلام الرؤساء في حق أتباعهم عند خضاب الخزنة لهم بافتحام القلوب معهم فخصرهم من مقارنتهم

وأنشأ من مصاحبهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الاتباع (قالوا) أي الاتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم ووجه خطابهم للرؤساء في قواهم (بل أنتم لأمر حبايبكم) الخ على الوجهين الأخيرين ظاهر وأما على الوجه الأول فاعلمهم إنما خاطبهم مع أن الظاهر أن يقولوا بطريق الاعتذار إلى الخزانة بل هم لأمر حبايبهم الخ قصد امتناعهم إلى اظهار صدقهم بالخاصة مع الرؤساء والحكام ٢١٣ إلى الخزانة طمعا في قضائهم وتخفيف عذابهم أو

تضعيف عذاب خصصهم

أي بل أنتم أحق بما قيل

لنا أو قلتم وقوله تعالى

(أنتم قد سمعوه لنا) تعال

لا حجة لهم بذلك أي أنتم

قد سمعتم العذاب أو الصلي

لنا أو وقعنا فيه بتقديم

ما يؤدى إليه من العقاب

الرافعة والأعمال السيئة

وترينها في أعيننا

واغترابنا عليها لأننا

بشرناها من تلقاء أنفسنا

(فيلس القرار) أي فيلس

المقر جهنم قصدوا

بذمها تغليظ جنسية

الرؤساء عليهم (قالوا)

أي الاتباع أيضا وتوسيطه

بين كلامهم لما بينهم من

التباين بين ذاتنا وخطايا

أي قالوا معرضين عن

خصومتهم متضرعين

إلى الله تعالى (ربنا من

قدم لنا هذا فزده عذابا

ضعفا في النار) كقوله

ربنا هو لا أضلونا فاطم

عذابا ضعفا من النار أي

عذابا مضاعفا أي ذا

ضعف وذلك بأن يزيد

عليه مثله ويكون ضعفين

كقوله ربنا آتاهم ضعفين

من العذاب وقيل المراد

بالضعف الحيات والافاعي

وهو كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه الله ما منحهم من النار بل ما هاد الذي يفترشه النائم ثم قال تعالى هذا وليذوقوه حيم وغساق وفيه مسائل (المسألة الأولى) فيه وجهان (الأول) أنه على التقديم والتأخير والتقدير هذا حيم وغساق وليذوقوه (الثاني) أن يكون التقدير جهنم بصلواتهم فيلس المهاد هذا وليذوقوه ثم يتبدى فيقول حيم وغساق (المسألة الثانية) الغساق بالتخفيف والتشديد فيه وجود (الأول) أنه الذي يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين إذا سال دمعها وقال ابن عمر هو القبح الذي يسيل منهم يجمع فيستوته (الثاني) قيل الحميم يشرق بجمعه والغساق يشرق ببرد هود كرا لا زهرى أن الغساق البارد ولهذا قيل ليل غاسق لأنه ابرد من النهار (الثالث) أن الغساق المنبت حكي الزجاج لو قطرت منه قشرة في المشرق لانت أهل المغرب ولو قطرت منه قشرة في المغرب لانت أهل المشرق (الرابع) قال كعب الغساق عين في جهنم يسيل إليها اسم كل ذات حمة من عقرب وحية (المسألة الثالثة) قرأ حزم والكسائي وحفص عن عاصم غساق بتشديد السين حيث كان والباقون بالتخفيف قال أبو علي الفارسي الاختيار التخفيف لأنه إذا شدد لم يخل من أن يكون اسما أو صفة فإن كان اسما فالاسماء لم تجب على هذا الوزن الأقبلا وإن صفة فقد أقيم مقام الموصوف والاصل أن لا يجوز ذلك ثم قال تعالى وآخر من شكله أزواج وفيه مسائل (المسألة الأولى) قرأ أبو عمرو وآخر بضم الألف على جمع أخرى أي اصناف آخر من العذاب وهو قراءة مجاهد والباقون آخر على الواحد أي عذاب آخر أما على القراءة الأولى فقوله وآخر أي ومدوقات آخر من شكل هذا المذكور أي من مثله في الشدة وانقطاع أزواج أي اجتناس وأما على القراءة الثانية فالتقدير وعذاب أو مذوق آخر وأزواج صفة لا آخر لأنه لا يجوز أن يكون ضروبا أو صفة للثلاثة وهم حيم وغساق وآخر من شكله قال صاحب الكشف وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة وأما الفصح فبالكسر لا غير واعلم أنه تعالى لما وصف مسكن الطاغين وما كواهم حكي أحوالهم مع الذين كانوا أحبائهم في الدنيا أولاهم مع الذين كانوا أعداءهم في الدنيا ثانيا (أما الأول) فهو قوله هذا فوج مقتحم معكم واعلم أن هذا كتابة كلام رؤساء أهل النار يقوله بعضهم لبعض بدليل أن ما حكي بعده من أقوال الاتباع وهو قوله قالوا بل أنتم لأمر حبايبكم أنتم قد سمعوه لنا وقيل إن قوله هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزانة لرؤساء الكفرة في اتباعهم وقوله لأمر حبايبهم أنهم صالوا النار كلام الرؤساء وقوله هذا فوج مقتحم معكم أي هذا جمع كشف قد اقتحم معكم النار كما كانوا قد اقتحموا معكم في الجمل والضلال ومعنى اقتحم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقتحة الشدة وقوله تعالى لأمر حبايبهم دعاء منهم على اتباعهم يقول الرجل لمن يدعوله مرحبا أي أتيت رحبا في البلاد لأضيافا أو رحبت ببلادك رحبا ثم يدخل عليه كلمة لا في دعاء السوء وقوله بهم بيان للمدعو عليهم أنهم صالوا النار تعليل لاسيحابهم

(وقالوا) أي الطاغون (ما لنا لا نرى رجلا لا كنا نعدهم من الأشرار) يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يستزدلونهم ويسخرون منهم (اتخذناهم سخرى) بهمة استغفاهم سقطت لاجلها همرة الوصل والجملة استبشفت لاجلها من الأعراب قالوه إنكارا على أنفسهم وتأنيبا لها في الاستبشخار منهم (أم زانت

عنهم (الابصار) متصل باتخذناهم على أن أم متصلة والمعنى أى الامرين فعلنا بهم الاستخار منهم أم الازدراء بهم
وتخفيفهم وان ابصارنا كانت ترغ عنهم وتخففهم على معنى انتكار كل واحد من الفعلين على أنفسهم تو يتخالها أو على
انها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخرياً بل ازاحت عنهم ابصارنا كقولك أزيد عندك أم عندك عمرو على معنى تو يسخ عنهم
على الاستخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ ٢١٤ على الازدراء والتخفيف وقرئ اتخذناهم بغير همزة

الدعاء عليهم وظهر هذا الآية قوله تعالى كما دخلت أمة لنت أختها قالوا أى الاتباع
بل أنتم لأمر حبا بكم يريدون ان الدعاء الذى دعوتهم به علينا أيها الرؤساء أنتم أحق به
وعلاو ذلك بقولهم أنتم قدمتمونا والخصير للعذاب أو اصلهم فان قيل ما معنى تقديمهم
العذاب لهم قلنا الذى أوجب التقديم هو عمل السوء قال تعالى وذوقوا عذاب الحريق
ذلك بما قدمت أيديكم إلا أن الرؤساء لما كانوا هم السبب فيه ياغواهم وكان العذاب
جزاءهم عليه قيل أنتم قدمتمونا فجعل الرؤساء هم المتقدمين وجعل الجزاء هو المقدم
والخصير فى قوله قدمتموه كناية عن الطغيان الذى دل عليه قوله وان للطاغين اشراً ب
وقوله فبئس القرار أى بئس المستقر والمساكن جهنم ثم قالت الاتباع ربنا من قدم لنا هذا
فرد عذاباً ضعفاً أى مضاعفاً ومعناه ذاصعفاً وظهيراً قوله تعالى ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم
عذاباً ضعفاً وكذلك قوله تعالى ربنا انما أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل ربنا آتهم
ضعفين من العذاب فان قيل كل مقدار يفرض من العذاب فان كان يقدر الاستحقاق
لم يكن مضاعفاً وان كان زائداً عليه كان ظلاماً وانه لا يجوز قلنا المراد منه قوله عليه السلام
ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة والمعنى انه يكون أحد
القسمين عذاب الضلال والثانى عذاب الاضلال والله أعلم وههنا آخر شرح أحوال
الكفار مع الذين كانوا احبا اليهم فى الدنيا وأما شرح أحوالهم مع الذين كانوا أعداء
لهم فى الدنيا فهو قوله وقالوا ما لنا لارى رجالاً لا كنا معهم من الاشرار يعنى ان الكفار اذا
نظروا الى جوانب جهنم فحينئذ يتفكرون ما لنا لارى رجالاً لا كنا معهم من الاشرار يعنون
قراء المسلمين الذين لا يؤبه بهم وسعوهم من الاشرار اما يعنى الاراذل الذين لا خير فيهم
ولا جدوى أولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشراراً ثم قالوا اتخذناهم
سخرياً وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابو عمرو وحجزة والكسائى من الاشرار
اتخذناهم بوصل أنف اتخذناهم والباقون يفتحها على الاستفهام قال ابو عبيدو بالوصل
يقرأ لأن الاستفهام متقدم فى قوله ما لنا لارى رجالاً ولان المشركين لا يشكون فى اتخاذهم
المؤمنين فى الدنيا سخرياً لانه تعالى قد أخبر عنهم بذلك فى قوله فاتخذناهم سخرى باحتي
أنسوكم ذكرى فكيف يحسن أن يستفهموا عن شئ علموه أجاب القراء عنه بان قال هذا
من الاستفهام الذى معناه التعجب والتوبيخ ومثل هذا الاستفهام جائز عن الشئ
المعلوم أما وجه قول من ألحق الهمة للاستفهام انه لا بد من المصير اليه ليعادل قوله
اتخذناهم بأم فى قوله أم زاعت عنهم فان قيل فالجمله المعادلة لقوله أم زاعت على القراءة
الاولى قلنا انها محذوفة والمعنى المقصودون هم أم زاعت عنهم الابصار (المسئلة الثانية)
قرأ نافع سخرى يا بضم السين والباقون يكسرها وقيل هما بمعنى واحد وقيل بالكسر
هو الهزؤ وبالضم هو التذليل والتخفيف (المسئلة الثالثة) اختلفوا فى نظم الآية على
قوانين ثناء على القراءتين المذكورتين أما القراءة على سبيل الاختيار فالتقدير ما لنا لارى

على أنه صفة أخرى
رجلاً لا فقوله تعالى أم زاعت
متصل بقوله ما لنا لارى
والمعنى ما لنا لارى
النار اليسوا فيهم أفلمنك
لارىهم أم زاعت عنهم
أبصارنا وهم فيها
وقد جوز أن تكون الهمة
مقدرة على هذه القراءة
وقرئ سخرى يا بضم
السين (ان ذلك) أى
الذى حكى من أحوالهم
(لحق) لا بد من وقوعه
السته وهو قوله تعالى
(تخافهم أهل النار) خبر
مبتدأ محذوف والجملة
بيان لذلك وفى الابهام
أولاً والنبين نأيا من زيد
تقريره وقيل بدل من
محذوف ذلك وقيل بدل من
حق أو عطف بيان له
وقرئ بالنصب على أنه
بدل من ذلك وما قيل من
أنه صفة له فقد قيل عليه
ان اسم الإشارة لا يوصف
الاباء عرف باللام يقال
بهذا الرجل ولا يقال
بهذا غلام الرجل (قل)
أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يقول
للمشركين (انما أنا منذر)
من جهته تعالى أنذرهم

عذابه (وما من اله) فى الوجود (الا الله الواحد) الذى لا يقبل الشراكة والكثرة أصلاً (القهار) حاضرين
لكل شئ سواه (رب السموات والارض وما بينهما) من المخلوقات فكيف يتوهم أن يكون له شريك منها (العزيز)
الذى لا يغلب فى أمر من أموره (الفقار) المبالغ فى المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفى هذه الدعوات من تقرير

التوحيد والوعد للوحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعد من وصفي النهار والعزة وتقديهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الانذار حقه (قل) نكرير الامر للايدان بان المقول امر جليل له شأن خطير لا بد من الاعتناء به امرا وانذارا (هو) أي ما أنبأكم به من أي منذر من جهة تعالى وأنه تعالى واحد لا شريك له وأنه منصف بما ذكر من الصفات الجلية والظاهرة القرآن ٢١٥ وما ذكر داخل قيد دخولا وانما كما يشهد به آخر السورة التكرية

حاضرين لاجل انهم لحقارتهم تركوا اول اجل انهم زاغت عنهم الابصار وقع التعبير عن حقارتهم بقواهم اتخذناهم سخريا وأما غرابة على سبيل الاستفهام فالتقدير لاجل اننا قد اتخذناهم سخريا وما كانوا كذلك فلم يدخلوا التارام لاجل انه زاغت عنهم الابصار واعلم انه تعالى لما حكى عنهم هذه المناظرة قال ان ذلك ان الذي حكىناه عنهم لحق لا بد وان يتكلموا به ثم بين ان الذي حكىناه عنهم ما هو وقال لخاصم اهل النار وانما سمى الله تعالى تلك الكلمات تخاصما لان قول الرسول الامر حيا بهم وقول الاتباع بل انتم الامر حيا بكم من باب الخصومة بقوله تعالى (قل انما انا منذر وما من الله الا الله الواحد القهار رب السموات الارض وما بينهما العن من الغفار قل هو نبي اعظم انتم عند معرضون ما كان لي من علم بالملا الا على اذ يحضرون ان يوحى الي اذا دعا انما انهم يسمعون) اسلم انه تعالى لما حكى في اول السورة ان محمدا صلى الله عليه وسلم لما دعا الناس الى الله لا اله الا الله واحد والى انه رسول مبين من عند الله والى ان القول بالنعيم حق ما واثق الكفار اظهروا السفاهة وقالوا انه ساحر كذاب واستهزؤا بقوله ثم انه تعالى ذكر قصص الانبياء اوجهين (الاول) ليصير ذلك حاملا لمحمد صلى الله عليه وسلم على الناس بالانبياء عليهم السلام في الصبر على سفاهة القوم (والثاني) ليصير ذلك رادعا للكفار على الاصرار على الكفر والسفاهة وذاعبا الى قبول الايمان وانتم الله تعالى ذلك الطريق ادر فم بطريق آخر وهو شرح نعم اهل الثواب وشرح عقاب اهل العقاب فقام الله تعالى هذه البيانات عاد الى تقرير المطالب المذكورة في اول السورة وهي تقرير التوحيد والنبوة والبعث فقال قل يا محمد انما انا منذر ولا بد من الاقرار بأنه ما من الله الا الله الواحد القهار فان الترتيب الصحيح ان تذكر شهادت الخصوم اولاً وتجب عنهم ثم تذكر عقوب الدلائل الدالة على صحة المطالب فكذا ههنا اجاب الله تعالى عن شبهتهم وتبينه على فساد كذاتهم ثم ذكر عقوبه ما يدل على صحة هذه المطالب لان ازالة ما لا يخفى قدس على اثبات ما لا يخفى وغسل الاو ح من النقوش الفاسدة مقدم على كتب النقوش الصحيحة قيد ومن نظر في هذا الترتيب اعترف بان الكلام من اول السورة الى آخرها قد جاء على أحسن وجوه الترتيب وانظم اما قوله قل انما انا منذر يعني ابلغ احوال عقاب من أنكر التوحيد والنبوة والمعاد وأحوال ثواب من أقر بها وكابها في اول السورة بأدلة التوحيد حيث حكى عنهم انهم قالوا اجعل الآلهة الها واحدا فكذلك بدأ ههنا بتقرير التوحيد فقال وما من الله الا الله الواحد القهار وفي هذه الكلمة اشارة الى الدلائل الدالة على كونه بمنزها عن الشريك والتخير وبين ان الذي يجعل شريكا لله في الالهية اما أن يكون موجودا قادرا على الاطلاق على التصرف في العالم أولا يكون كذلك بل يكون جادا عاجزا (والاول) باطل لانه لو كان شريكه قادرا على الاطلاق لم يكن هو قادرا قاهرا ان بتقدير ان يرده هو شيئا ويريد شريكه ضد ذلك الشيء لم يكن حصول أحد الامرين أولى من الآخر ففضى الى اندفاع كل واحد

وهو قول ابن عباس ومجاهد وقادة (نبا عظيم) وارد من جهة تعالى وقوله تعالى (انتم عند معرضون) استئناف تابع تدليهم سوء صنيعهم بهيدان انهم لا يقدررون قدره الجليل حيث يغرضون عنه مع عظمتهم وكونه موجبا للاقبال الكلي عليه وتلقاه بخسن القبول وقيل صفة اخرى لنبا وقوله تعالى (ما كان لي من علم بالملا الا على) الخ استئناف مسوق لتحقيق انه نبا عظيم وارد من جهة تعالى يذكر نبا من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بيضة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سائر انبائه ايضا كذلك والملا الا على هم الملائكة وآدم عليه السلام وابليس عليه

اللعنة وقوله تعالى (اذ يحضرون) متعلق بجذوف يقتضيه المقام اذ المراد اني علمت على الصلوة والسلام بحالهم لا بدوا منهم والتقدير ما كان لي فيما سبق علم ما يوجه من الوجوه بحال الملا الا على وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور كحجبر للواضع فان علمه عليه الصلاة والسلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط بل عام لها والافعال ايضا من سجدة الملائكة واستكبار الملائكة كقوله سبحانه تعالى

فلا بد من اعتبار العموم في نفيه أيضا لا محالة وقوله تعالى (ان يوحى الى الانبياء انذار مبين) اعتراض وسط بين اجمال اختصاصهم وتفصيله تقريرا لثبوت علمه عليه الصلاة والسلام وتعييننا لسبب الانبياء ان انتفائه فيما سبق لما كان منبأ عن ثبوته الآن ومن البين عدم ملائمة علمه عليه الصلاة والسلام بشئ من مبادئ اليهودية تعين انه ليس الا بطريق الوحي حتما فعمل ذلك امر اسلم الثبوت غني عن الاخبار به قصد اوجمل ٢١٦ مصب الفائدة والمقصود اخبار

ما هو داع الى الوحي
ومصحح له تحقيقا لقوله
تعالى انما انا منذر
في ضمن تحقيق علمه
عليه الصلاة والسلام
بقصة الملا على
فائقهم مقام الفاعل
ليوحى اما ضمير حائد
الى الحلال المقدر
او ما يعمد وغيره فله معنى
ما يوحى الى حال الملا
الاعلى او ما يوحى الى
ما يوحى من الامور
الغيبية التي من جاتها
حاله انما انذار
مبين من جهته تعالى
فان كونه عليه الصلاة
والسلام كذلك من
دواعي الوحي اليه
ومن موجباته حقا واما
ان التائم مقام الفاعل
هو الجار والمجرور
او هو انما انذار مبين
بلا تقدير الجار وان
المعنى ما يوحى الى
الا الانذار او ما يوحى
الى الا ان انذر وأبلغ
ولا افراط في ذلك كما
فيلفع ما فيه من
الاضطرار الى التكلف

منهما بالاخر وجب ان يكون قادرا فاهرا بل كان عاجزا ضيقا واما اجزا لا يصلح للاهمية
فتوله الا الله الواحد القهار اشارة الى ان كونه قهارا يدل على كونه واحدا (واما الثاني)
وهو ان يقال ان الذي جعل شر بكماله لا يقدر على شئ البتة مثل هذه الاوثان فهذا أيضا
قاسد لان عريخ العقل يحكم بان عبادة الاله القادر التاهر أولى من عبادة الجماد الذي
لا يسمع ولا يبصر ولا ينفى عنه شئ فتوله وما من اله الا الله الواحد القهار يدل على هذه
الدلائل واعلم ان كونه سبحانه قهارا مشعر بالترهيب والتخويف فلما ذكر ذلك أردفه بما
يدل على الرجاء والترغيب فقال رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار فكونه ربا
مشعر بالترية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا مشعر بالترغيب وهذا الموجود
هو الذي يجب عبادته لانه هو الذي يخشى عقابه ويرجى فضله وثوابه ونذركر طريفة أخرى
في تفسير هذه الآيات فتقول انه تعالى ذكر من صفاته في هذا الموضع خمسة الواحد
واقهار والرب والعزيز والغفار اما كونه واحدا فهو الذي وقع الخلاف فيه بين أهل
الحق وبين المشركين واستدل تعالى على كونه واحدا بكونه قهارا وقد بينا وجه هذه
الدلالة الى ان كونه قهارا وان دل على اثبات الواحدانية بالانه يوجب الخوف الشديد
فأردفه تعالى بذكر صفات ثلاثة دالة على الرحمة والفضل والكرم (أولها) كونه ربا
للسموات والارض و بينهما وهذا انما تم معرفته بالنظر في آثار حكمة الله تعالى في خلق
السموات والارض والعناصر الاربعة والموايد الثلاثة وذلك بمنزلة احل له فاذا تأملت
في آثار حكمته ورحمته في خلق هذه الاشياء عرفت حينئذ ترينه له كل وذلك يفيد الرجاء
العظيم (وثانيها) كونه عزيزا والفائدة في ذكره ان لما نزل ان يقول هب انه رب وكرام
الا انه غير قادر على كل المقدورات فاجاب عنه بانه عزير قادر على كل الممكنات فهو يغلب
الشكل ولا يقاومه شئ (وثالثها) كونه غفارا والفائدة في ذكره ان لما نزل ان يقول هب انه رب
وشدس ولكنه يكون كذلك في حق المطيعين المخلصين في العباداة فاجاب عنه بأن من اتقى على
الكثير سبعين سنة ثم تاب فاقبيل اسمه عن ديوان المذنبين واستقر عليه بفضل ورحمته جميع
ذنوبه وأوصله الى درجات الابرار واعلم انه تعالى لما بين ذلك قال قل هو نبي أعظم انتم عنه
معرضون وهذا النبا العظيم يحتمل وجوها فيمكن أن يكون المراد ان القول بان الاله واحد
نبا أعظم ويمكن أن يقال المراد ان القول بالنبوة نبا أعظم ويمكن أن يقال المراد ان القول
بثبات الحشر والنشر والقيامة نبا أعظم وذلك لان هذه المطالب الثلاثة كانت مذكورة
في أول السورة ولا جأها البحر الكلام الى كل ما سبق ذكره ويمكن أيضا أن يكون المراد كون
القرآن معجزا لان هذا أيضا قد تقدم ذكره في قوله كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدروا آياته
وهؤلاء الاقوام معرضون عنه على ما قال قل هو نبي أعظم انتم عنه معرضون وأعلم أن قوله
انتم عنه معرضون ترغيب في النظر والاستدلال ومنع من التقليد لان هذه المطالب مطالب
شرقية عالية فان يتفكر أن يكون الانسان فيها على الحق يفوز بأعظم أبواب السعادة

في توجيه قصر الوحي على كونه الانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني فلا يساعده و ويتقدير و
سياق النظم الكريم وساقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا عما توسط بينهما من اجمال الاختصاص وتفصيله
فتأمل والله الرشيد وقريء انما بالكسر علم الحكامة

وقوله تعالى (اذ قال ربك للملائكة) شروع في تفصيل ما أجل من الاختصاص انتهى هو ما جرى بينهم من القول وحيث كان تكليمه تعالى إياهم بواسطة الملك ص ٢١٧ هـ استناد الاختصاص الى الملائكة واذ بدل من اذ الاول وليس

و بتقدير أن يكون الانسان فيها على الباطل وقع في أعظم أبواب الشقاوة فكانت هذه المباحث أنباء عظيمة ومطالب عالية بحية وصریح العقل بوجوب على الانسان أن يأتي فيها بالاحتياط التام وان لا يكتفي بالساهلة والمساهة اما قوله تعالى ما كان لي من علم بالأشياء الا على اني اخضعكم فان علم انه تعالى رغب المكلفين في الاحتياط في هذه المسائل الاربعة وبتابع في ذلك الترغيب من وجوه (الاول) أن كل واحد منهنها أعظم والنبأ العظيم يجب الاحتياط فيه (الثاني) ان الملائكة على اختصاصها وأحسن ما قيل فيه انه تعالى لما قال اني جاءك في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون والمعنى انهم قالوا أي فائدة في خلق البشر مع انهم يشتغلون بقضاء الشهوة وهو المراد من قوله من يفسد فيها وبامضاء الغضب وهو المراد من قوله ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك فقال الله سبحانه وتعالى اني أعلم ما لا تعلمون وتقرير هذا الجواب والله أعلم أن يقال ان المخلوقات بحسب القسمة العقلية على اقسام أربعة (أحدها) الذين حصل لهم العقل والحكمة ولم تحصل لهم النفس والشهوة وهم الملائكة فقط (وثانيها) الذين حصل لهم النفس والشهوة ولم يحصل لهم العلم والحكمة وهي البهائم (وثالثها) الاشياء الخالية عن القسمين وهي الجمادات وبقى في التقسيم قسم رابع وهو الذي حصل فيه الامران وهو الانسان والمقصود من تخليق الانسان ليس هو الجهل والتقليد والتكبر والترذ فان كل ذلك صفات البهائم والسباع بل المقصود من تخليقه ظهور العلم والحكمة والطاعة فقوله اني أعلم ما لا تعلمون يعني ان هذا النوع من المخلوقات وان حصلت فيه الشهوة الداعية الى الفساد والغضب الحامل له على سفك الدماء لكن حصل فيه العقل الذي يدعو الى المعرفة والمحبة والطاعة والخدمة واذ ثابت أنه تعالى انما أجاب الملائكة بهذا الجواب وجب على الانسان أن يسعى في تحصيل هذه الصفات وان يجتهد في اكتسابها وان يحترز عن طريفة الجهل والتقليد والاصرار والتكبر واذ كان كذلك فكل من وقف على كيفية هذه الواقعة صار وقوفه عليها داعيا له الى الجود والاجتهاد في اكتساب المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة زاجرا له عن اضدادها ومقابلاتها فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذا الكلام في هذا المقام فان قيل الملائكة لا يجوز أن يقال انهم اختصوا بسبب قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان الخاصة مع الله كفر قلنا لا شك أنه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشابه الخاصة والناظرة والمشابهة على الجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ الخاصة عليه ولما أمر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم أن يذكر هذا الكلام على سبيل الرمز أمره أن يقول ان يوحى الى الانما أنا نذير مبين يعني أنا ما عرفت هذه الخاصة الا بالوحى وانما أوحى الله الى هذه النصيحة لانه لم يصر هذه القصة حاصلة لكم على الاخلاص في الطاعة والاحترار عن الجهل والتقليد * قوله تعالى (اذ قال ربك

من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصاص بل يكفي اشتغال ما في خبرها عليه فان القصة ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه والايذان بأن وحى هذا النبأ اليه تربية وتأيد له عليه الصلاة والسلام والكاف واراد باعتبار حال الامر لكونه أدل على كونه وحيا من لا من عنده تعالى كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم الخ دون حال الناموس والاقبل ربي لانه داخل في خبر الامر (اني خالق) أي فيماني أي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه (بشر) أي أي جسمها كشفها يلاقى ويباشر وقيل خلقا بادى البشرية بلا صوف ولا شعر وعل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق مسماه حينئذ فضلا عن ٢٨ هـ سمعته به بل عبارة كاشفة عن حاله

وَأَمَّا قَبْرُهُ فَبِهَذَا الْأَسْمِ عِنْدَ الْحِكَايَةِ (مِنْ طِينٍ) لَمْ تَعْرِضْ لَوَصَافِهِ مِنَ الْغَيْرِ وَالْأَسْوَدَادِ وَالْمَسْنُونَةِ اكْتِفَاءً بِمَا ذَكَرْ فِي مَوَاقِعٍ أُخَرَ (فَإِذَا سَوَّيْتَهُ) أَيْ صَوَّرْتَهُ بِالصُّورَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ٢١٨ هـ وَالْخَلْقَةُ الْبَشَرِيَّةُ أَوْ سَوَّيْتُ أَجْزَاءَ بَدَنِهِ

بِتَعْدِيلِ طَبَائِعِهِ (وَتَفَحَّتْ فِيهِ مِنْ رَوْحِي) الْتَفَحَّ اجْتَرَأَ الرِّيحُ إِلَى تَجْوِيفِ جَسْمٍ صَالِحٍ لِمَسَاكِنِهَا وَالْإِتْلَاءُ بِهَا وَإِسْئَمُهُ نَفْخٌ وَلَا مَنَفْخٌ وَانْمَا هُوَ تَمْثِيلٌ لِفَاضَةِ مَا بِهِ الْحَيَاةُ بِالْفِعْلِ عَلَى الْمَادَّةِ الْقَابِلَةِ لَهَا أَيْ فَإِذَا كُنْتُ اسْتَعْدَادُهُ وَأَفَضْتُ عَلَيْهِ مَا يَحْيِيهِ مِنَ الرُّوحِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَمْرِي (فَقَعَّوَالَهُ) أَمْرٌ مِنْ وَقَعٍ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأُمُورَ بِهِ لَيْسَ بِمَجْرَدِ الْإِنْتِخَاءِ كَمَا قِيلَ أَيْ اسْقَطُوَالَهُ (سَاجِدِينَ) تَحِيَّةً لَهُ وَتَكْرِيماً (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ) أَيْ فَخَلَقَهُ فُسْوَاهُ فَتَفَحَّ فِيهِ الرُّوحُ فَبَسَّجَدَ الْمَلَائِكَةُ (كُلُّهُمْ) بِحَيْثُ لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَجَدَ (أَجْمَعُونَ) أَيْ بِطَرِيقِ الْمَعْبُودَةِ بِحَيْثُ لَمْ يَأْخُرْ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ أَحَدٍ وَلَا اخْتِصَاصٌ لِإِفَادَةِ هَذَا الْمَعْنَى بِالْحَالِيَةِ بَلْ يَفِيدُ التَّأَكِيدُ أَيْضاً وَقِيلَ أَكْثَرُ كَيْدَيْنَا كَيْدَيْنِ مَبَالِغَةٍ فِي التَّعْظِيمِ هَذَا وَأَمَّا أَنْ يَجُودَهُمْ هَذَا هَلْ تَرْتَبِ عَلَى مَا حَكَى مِنَ الْأَمْرِ

لِلْمَلَائِكَةِ أَنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَتَفَحَّتْ فِيهِ مِنْ رَوْحِي فَقَعَّوَالَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَانْزِعْ مِنْهَا فَانْزِعْ رَجِيمٍ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الْيَوْمِ أَنْتَ دِينِي قَالَ رَبِّ فَانْظُرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ قَالَ فَاكُنْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ فَالْحَقُّ أَقُولُ لَا مَلَأْتُ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِنْ تِبْكَ مَتَّهُمْ أَجْمَعِينَ) اعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْمَنْعُ مِنَ الْحَسَدِ وَالْكِبَرِ وَذَلِكَ لِأَنَّ إِبْلِيسَ انْمَا وَقَعَ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ بِسَبَبِ الْحَسَدِ وَالْكِبَرِ وَالْكَفَارِ انْمَا نَزَعُوا مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَبَبِ الْحَسَدِ وَالْكِبَرِ فَالَّذِي تَعَالَى ذِكْرُهُ الْقَصْدُ هَهُنَا لِيَصِيرَ سَمَاعُهَا زَاجِرًا لَهُمْ عَنْ هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ الْمَذْمُومَتَيْنِ وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ تَعَالَى رَغِبَ الْمَكْفَرِينَ فِي النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَمَنْعَهُمْ عَنِ الْأَصْرَارِ وَالْتِفْلِيدِ وَذَكَرَ فِي تَقْرِيرِهِ أُمُورًا أَرْبَعَةً (أَوَّلَهَا) أَنَّهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ فَيَجِبُ الْإِحْتِيَاظُ بِهِ (وَالثَّانِي) أَنَّ قِصَّةَ سُؤَالِ الْمَلَائِكَةِ عَنِ الْحِكْمَةِ فِي تَخْلِيقِ الْبَشَرِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحِكْمَةَ الْأَصْلِيَّةَ فِي تَخْلِيقِ آدَمَ هُوَ الْمَعْرِفَةُ وَالطَّاعَةُ لِلْجَهْلِ وَالتَّكْبَرُ (الثَّالِثُ) أَنَّ إِبْلِيسَ انْمَا خَاصَمَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَجْلِ الْحَسَدِ وَالْكِبَرِ فَيَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَحْتَرِزَ عَنْهُمَا فَهَذَا هُوَ وَجَدُ النِّظَمِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ قَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهَا فِي سُورَةٍ كَثِيرَةٍ فَلَا فَائِدَةَ فِي الْإِعَادَةِ إِلَّا مَا لَا يَدْرِيهِمْ وَفِيهَا مَسَائِلُ (الْمَسْئَلَةُ الْأُولَى) فِي قَوْلِهِ أَنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ سَوَّيْتُهِ (الْأُولَى) أَنَّ هَذَا النِّظَمُ انْمَا يَصِحُّ أَوْ مَكُنْ خَلَقَ الْبَشَرَ لَا مِنَ الطِّينِ كَمَا إِذَا قِيلَ إِنَّمَا تَخْنَدُ سُورًا مِنْ ذَهَبٍ فَهَذَا انْمَا يَسْتَقِيمُ أَوْ مَكُنْ اتَّخَذَهُ مِنَ الْقِصَّةِ (الثَّانِي) ذِكْرُهُنَا أَنَّهُ خَلَقَ الْبَشَرَ مِنْ طِينٍ وَفِي سَائِرِ الْآيَاتِ ذِكْرُهُ أَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي آدَمَ أَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ وَكَقَوْلِهِ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَامِ مَسْنُونٍ وَكَقَوْلِهِ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ (الثَّالِثُ) أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَخْبَرَ الْمَلَائِكَةَ بِأَنَّهُ خَلَقَ بَشَرًا مِنْ طِينٍ لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا وَفِي الْآيَةِ الْآخَرَى وَهِيَ الَّتِي قَالَ أَنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً بَيْنَ أَنْهَمُ أوردوا السُّؤَالَ وَالْجَوَابَ فِيْنَهُمَا تَنَاقُضٌ وَالْجَوَابُ عَنِ الْأَوَّلِ أَنَّ التَّعْدِيرَ كَأَنَّهُ سَجَّاهُ وَصَفَ لَهُمْ أَوْلَا ان الْبَشَرَ لِيَخْصُ جَمَاعَ لِقُوَّةِ الْبَهْمِيَّةِ وَالسَّجِيَّةِ وَالشَّيْطَانِيَّةِ وَالْمَلَائِكَةِ فَلَمَّا قَالَ أَنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَكَانَ ذَلِكَ الشَّخْصَ الْمُسْتَجْمِعَ لِهَذِهِ الصِّفَاتِ انْمَا خَلَقَهُ مِنَ الطِّينِ وَالْجَوَابُ عَنِ الثَّانِي أَنَّ الْمَادَّةَ الْبَعِيدَةَ هُوَ التُّرَابُ وَأَقْرَبُ مِنَ الطِّينِ وَأَقْرَبُ مِنَ الْجَمِّ الْمَسْنُونِ وَأَقْرَبُ مِنَ الصِّلَصَالِ فَذَبْتَ أَنَّهُ لَا مَنَافَاةَ بَيْنَ الْكُلِّ وَالْجَوَابُ عَنِ الثَّالِثِ أَنَّهُ فِي الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ بَيْنَ أَنْهَمُ أَنَّهُ يَخْلُقُ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً وَبِالْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ هَهُنَا بَيْنَ أَنَّ ذَلِكَ الْخَلِيفَةَ بَشَرٌ مَخْلُوقٌ مِنَ الطِّينِ (الْمَسْئَلَةُ الثَّانِيَّةُ) قَالَ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَتَفَحَّتْ فِيهِ مِنْ رَوْحِي وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَخْلِيقَ الْبَشَرِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِأَمْرِينِ التَّسْوِيَةِ وَأَوَّلًا تَمْ نَفْخَ الرُّوحِ ثَانِيًا وَهَذَا حَقٌّ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ كَبٍّ مِنْ جَسَدٍ وَنَفْسٍ أَمَّا الْجَسَدُ فَانْمَا يَتَوَلَّدُ مِنَ الْمَنِيِّ

والتي في سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعي ترتيبه عليه من غير أن توسط بينهما شيء غير ما توضح عنه الفاء
الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح ﴿ ٢١٩ ﴾ أو على الامر التجيزي كالتضييعة ما في سورة البقرة

وما في سورة الاعراف

وما في سورة بني اسرائيل

وما في سورة الكهف

وما في سورة طه من

الآيات الكريمة فقد مر

تحقيقه بتوفيق الله عز

وجل في سورة البقرة

وسورة الاعراف

(الابليس) استثناء

متصل لما أنه كان جنيا

مفردا مغفورا بأوف

من الملائكة موصوفا

بصفاتهم فغلبوا عليه

ثم استثنى استثناء واحد

منهم أولان من الملائكة

جنسا يتوالدون وهو

منهم أو منقطع وقوله

تعالى (استكبر) على

الاول استئناف مبين

لكيفية ترك السجود

المفهوم من الاستثناء

فان تركه يحتمل أن يكون

للتأمل والتعوى وبه

يتحقق أنه اللائع

والاستكبار وعلى الثاني

يجوز اتصاله بما قبله

أي لكن ابليس استكبر

(وكان من الكافرين)

أي وصار منهم بمخالفة

الامر واستكباره عن

الطاعة أو كان منهم

في علم الله عز وجل (قال

والتي انما تولد من دم الطمث وهو انما تولد من الاخلاط الاربعة وهي انما تولد من
الاركان الاربعة ولا بد في حصول هذه التسوية من رعاية مقدار مخصوص لكل واحد
منها ومن رعاية كيفية امتزاجاتها وتركيباتها ومن رعاية المدة التي في مثلها حصل ذلك
المزاج الذي لاجله يحصل الاستعداد لقبول النفس الناطقة وأما النفس فاليها الاشارة
بقوله ونفخت فيه من روحي ولما أضاف الروح الى نفسه دل على أنه جوهر شريف علوي
قدسي وذهبت الحلوية الى أن كلمة من تدل على التبويض وهذا يوهم أن لروح جزء من
أجزاء الله تعالى وهذا في غاية الفساد لأن كل ماله جزء وكل فهو مركب ويمكن الوجود
لذاتنا ومحدث وأما كيفية نفخ الروح فاعلم أن الاقرب أن جوهر النفس عبارة عن أجسام
شفافة نورانية علوية الغنصر قدسية الجواهر وهي تسمى في البدن سريان الضوء في الهواء
وسريان النار في الفحم فهذا التدرج معلوم أما كيفية ذلك النفخ فما لا يعلمه إلا الله تعالى
(المسئلة الثالثة) الفاء في قوله فنفخ الروح ساجدين تدل على أنه كاتم نفخ الروح في الجسد
توجه أمر الله عليهم بالسجود وأما أن الماءور بذلك السجود ملائكة الارض أو دخل
فيه ملائكة السموات مثل جبريل وميكائيل والروح الاعظم المذكور في قوله يوم يقوم
الروح والملائكة صفاء فيه مباحث عميقة وقال بعض الصوفية الملائكة الذين أمروا
بالسجود لا دم هم القوى النباتية والحيوانية الحسية والحركية فانها في بدن الانسان
خوادم النفس الناطقة وابليس الذي لم يسجد هو القوة الوهمية التي هي المنازعة لجوهر
العقل والكلام فيه طويل وأما بقية المسائل وهي كيفية سجد الملائكة لا دم وان
ذلك هل يدل على كونه أفضل من الملائكة أم لا وان ابليس هل كان من الملائكة أم لا
وأنه هل كان كافرا أصليا أم لا فكل ذلك تقدم في سورة البقرة وغيرها (المسئلة الرابعة)
احتج من أثبت الاعضاء والجوارح لله تعالى بقوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت
بيدي في آيات يدي الله تعالى بأن قالوا ظاهر الآية يدل عليه فوجب التصير اليه والآيات
الكثيرة واردة على وفق هذه الآية فوجب القطع به واعلم أن الدلائل الدالة على نفي كونه
تعالى جساما مركبا من الاجزاء والاعضاء قد سبقنا أن نذكر ههنا نكتا جارية تجري
الالزامات الظاهرة (فالاول) ان من قال انه مركب من الاعضاء والاجزاء فاما ان يثبت
الاعضاء التي ورد ذكرها في القرآن ولا يزيد عليها وأما أن يزيد عليها فان كان الاول لازمه
اثبات صورة لا يمكن أن يزداد عليها في التجميع لانه يلزمه اثبات وجه بحيث لا يوجد منه
الاجزاء رقيقة الوجه لقوله كل شيء هالك الا وجهه ويلزمه أن يثبت في تلك الرقعة عيوننا
كثيرة لقوله تجري بأعيننا وان يثبت جنبا واحدا لقوله تعالى يا حسرتنا على ما فرطت في
جنب الله وأن يثبت على ذلك الجنب أيدي كثيرة لقوله تعالى مما عملت أيدينا ويتعذر أن
يكون له يدان فانه يجب أن يكون كلاهما على جانب واحد لقوله صلى الله عليه وسلم الحجر
الاسود يمسح الله في الارض وابليس مثله ساقا واحدا لقوله تعالى يوم يكشف عن ساق
بابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) أي شتمه بالذات من غير توسط أب وأم والثنية لا يبرز كالاعتناء

بمختلفة عليه الصلاة والسلام المستدعي لاجلاله واعظامه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ (استكبرت)
بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل أي أتكبرت ﴿ ٢٢٠ ﴾ من غير استحقاق (أم كنت من العالين)

المستحقين للتعظيم وقيل
استكبرت لأن أم تزل
منذ كنت من المستكبرين
وقرى بحذف همزة
الاستفهام ثقة ببدلالة
أم عليها وقوله تعالى
(قال أنا خير منه) ادعاء
منه شيء مستلزم لمنعه
من السجود على زعمه
واشعار بأنه لا يليق
أن يعبد الفاضل
للفاضول كما يعرب عنه
قوله لم أكن لا سجد
لبشر خلقته من صلصال
من جن مسنون وقوله
تعالى (خلا في من نار
وخلقته من طين)
تدليل لما ادعاء من فضله
عليه عليه الصلاة
والسلام ولقد اخطأ
اللامعين حيث خص
الفضل بسان جهة
المادة وانصرف وزل
عنه ما من جهة الفاعل
فأبأ عنه قوله تعالى
لما خلقت بيدي وما من
جهة الصورة كإني
عليه قوله تعالى ونفخت
فيه من روحي وما من
جهة غاية وهو سلاك
الامر وإذ ان أمر
الملائكة بسجوده عليهم

فيكون الحاصل من هذه الصورة مجرد رقة الوجه ويكون عليها عيون كثيرة وجنب
واحد ويكون عليه أيد كثيرة وساق واحد ومعلوم أن هذه الصورة أقيح الصور ولو كان
هذا عبدا لم يرغب أحد في شرائه فكيف يقول العاقل إن رب العالمين موصوف بهذه
الصورة (وأما القسم الثاني) وهو أن لا يقتصر على الأعضاء المذكورة في القرآن بل يزيد
وينقص على وفق التأويلات فيجئ بتدليل مذهب في الجمل على مجرد الظواهر ولا بد له من
قبول دلائل العقل (الحجة الثانية) في إبطال قولهم أنهم إذا أثبتوا الأعضاء لله تعالى فإن
أثبتوا له عضو الرجل فهو رجل وإن أثبتوا له عضو النساء فهو أنثى وإن فوهما فهو
خمسى أو ذنين وتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا (الحجة الثالثة) أنه في ذاته سبحانه
وتعالى إيمان يكون جسما صليبا لا ينغمز البتة فيكون حجرا صليبا وإما أن يكون قابلا
للاغماز فيكون إينا قابلا للتفرق والتفرق وتعالى الله عن ذلك (الحجة الرابعة) أنه إن كان
بجانب لا يمكنه أن يتحرك عن مكانه كان كالزمن المقعد العاجز وإن كان بحيث يمكنه أن
يتحرك عن مكانه كان محلا لغيرات فدخل تحت قوله لأحب الآفلين (الحجة الخامسة)
أن كان لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يتحرك كان كاليت وإن كان يفعل هذه الأشياء
كان إنسانا كثيرا التهمة محتاجا إلى الأكل والشرب والوقاع وذلك باطل (الحجة السادسة)
أنهم يقولون أنه ينزل كل ليلة من العرش إلى السماء الدنيا فتقول لهم حين نزوله هل يبقى
مدبرا للعرش ويبقى مدبرا للسماء الدنيا حين كان على العرش وحينئذ لا يبقى في النزول
فائدة وإن لم يبقى مدبرا للعرش فمتى نزوله يصير معزولا عن الهيبة العرش والسموات (الحجة
السابعة) أنهم يقولون أنه تعالى أعظم من العرش وإن العرش بالنسبة لعظمته إلى عظمة
الكرسي وعلى هذا الترتيب حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فإذا كان كذلك كان السماء الدنيا
بأنسبة إلى عظمة الله كاندرة بالنسبة إلى البحر فإذا نزل فإما أن يقال إن الله يصير صغيرا
بحيث تسعه السماء الدنيا وإما أن يقال إن السماء الدنيا تصير أعظم من العرش وكل ذلك
باطل (الحجة الثامنة) ثبت أن العالم كرة فإن كان فوقه بالنسبة إلى قوم كان تحته بالنسبة
إلى قوم آخرين وذلك باطل وإن كان فوقه بالنسبة إلى الكل فعليه أن يكون جسما محيطا
بهذا العالم من كل الجوانب فيكون له العالم على هذا القول فلكا من الأفلاك (الحجة
التاسعة) لما كانت الأرض ككرة وكانت السموات كرات فكل ساعة تفرض من
الساعات فأنها تكون ثلث الليل في حق أقوام معينين من سكان كرة العوارض فلتنزل
من العرش في ثلث الليل وجب أن يبقى أبدا نازلا عن العرش وأن لا يرجع إلى العرش
البتة (الحجة العاشرة) أنما تميز بها الهيبة الشمس والقمر لانهما أنواع من العيوب (أولها)
كونه مؤلفا من أجزاء والأبعاد (وثانيها) كونه محدودا بمتناهيا (وثالثها) كونه
موصوفا بالمركبة والسكون والظلمة والغروب فإذا كان له المشبهة مؤلفا من الأعضاء
والأجزاء كان مركبا فإذا كان على العرش كان محدودا متناهيا وإن كان ينزل من عرش

السلام حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الأرض وأمره خواص ﴿ ويرجع ﴾
ليست غيره (قال فأتخرج منها) الفاء

لترتيب الامر على ماظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل وتعليلها بالباطل اى فاخرج من الجنة اومن زمرة
الملائكة وهو المراد بالامر ﴿ ٢٢١ ﴾ بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسه لا دم عليه السلام كانت

ويرجع اليه كان موصوفا بالحركة والسكون فهذه الصفات الثلاثة ان كانت متنافية
للالهية وجب تنزيه الاله عنها بأسرها وذلك يبطل قول المشبهة وان لم تكن متنافية للالهية
فحينئذ لا يتدراحد على الطعن في الهبة الشمس والقمر (الحجة الحادية عشرة) قوله تعالى
قل هو الله أحد ونلفظ الاحد مبالغة في الوحدة وذلك يتنافى كونه مركبا من الاجزاء
والابغاض (الحجة الثانية عشرة) قوله تعالى والله الغنى وأنتم الفقراء واوكان مركبا من
الاجزاء والابغاض لكان محتاجا اليها وذلك يمنع من كونه غنيا على الإطلاق فثبت بهذه
الوجوه أن أقول بآيات الاعضاء والاجزاء لله محال ولما ثبت بالدلائل القينية وجوب
تنزيه الله تعالى عن هذه الاعضاء فقول ذكر العلماء في لفظ اليد وجوها (الاول) ان اليد
عبارة عن القدرة تقول العرب ما لي بهكذا الامر من يد أى من قوة ومطاقة قال تعالى
أوبعوا الذى بيده عقدة النكاح (الثاني) اليد عبارة عن النعمة يقال ليدى فلان في حق
فلان ظاهرة والمراد النعم والمراد باليدين النعم الظاهرة والباطنة أو نعم الدين والدنيا
(الثالث) ان لفظ اليد قد يراد بالأيدى كقول القائل لن جنى باللسان هذا ما كسبت
يدك وكقوله تعالى بشر بين يدي رحمتي والقائل أن يقول حمل اليدين على القدرة هي هنا غير
حائز ويدل عليه وجوه (الاول) ان ظاهر الآية يقتضى اثبات اليدين فلو كانت اليد
بشارة عن القدرة لزم اثبات قدرتين لله وهو باطل (والثاني) أن الآية تقتضى أن كون
آدم مخلوقا باليدين يوجب فضيلته وكونه مسجودا للملائكة فلو كانت اليد عبارة عن
القدرة لكان آدم مخلوقا بالقدرة لكن جميع الاشياء مخلوقة بقدرة الله تعالى فكما أن آدم
عليه السلام مخلوق بيد الله تعالى فكذلك ابلis مخلوق بيد الله تعالى وعلى تقدير أن
تكون اليد عبارة عن القدرة لم تكن هذه العلة علة لكون آدم مسجودا لابليس أول
من أن يكون ابليس مسجودا لآدم حينئذ يخل نظم الآية ويبطل (الثالث) انه جاء في
الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال كلنا يدى بنى آدم وعلوم أن هذا الوجه لا يليق بالقدرة
(وأما التأويل الثاني) وهو حمل اليدين على النعمتين فيه أيضا باطل اوجوه (الاول) ان
نعم الله تعالى كثيرة كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وطاهر الآية يدل على أن اليد
لا تدل على الاثنين (الثاني) لو كانت اليد عبارة عن النعمة لخلو النعمة من القوة فحينئذ
لا يكون آدم مخلوقا لله تعالى بل يكون مخلوقا لبعض المخلوقات وذلك بأن يكون سببا لمن يبد
انقصان أولى من أن يكون سببا لمزيد الكمال (الثالث) لو كانت اليد عبارة عن النعمة
لكان قوله تبارك الذى بيده الملك معناه تبارك الذى بعثه الميثاق واثنان قوله بيدك
الخير معناه بتحكك الخير والى كان قوله يدها مبسوطتان معناه نعمته مبسوطتان ومعاوم
ان كل ذلك قاسد (وأما التأويل الثالث) وهو قوله ان انظر اليد قيد ذكر زيادة لاجل
التأكيد فتقول لفظ اليد قد يستعمل في حق من يكون هذا العضو ماسلا له وفي حق من
لا يكون هذا العضو ماسلا في حقه (أما التأويل) ذكره هؤلاء في حق من جنى باللسان هذا

بعد هذا الطرد وقد
بين كيفية وسوسته
في سورة البقرة وقبل
اخراج من الحلقة التي
كسبت فيها وانسلخ منها
فانه كان يفخر بخلقه
فغير الله خلقه فاسود
بعد ما كان ابيض وفتح
بعد ما كان حسنا وأظلم
بعد ما كان نورانيا وقوله
تعالى (فانك رجيم)
تعليل الامر بالخروج
أى طرد من كل خير
وكرامة فان من يطرد
يرجم بالحجارة او شيطان
يرجم بالشهب (وان
عليك لعنتى) أى ابعادى
عن الرحمة وتقيدها
بالاضافة مع اطلاقها
في قوله تعالى وان عليك
العنة لما لعنته الا لعين
من الملائكة والثقلين
أيضا من جهته تعالى
وأهم يدعون عليه بلعنة
الله تعالى وابعاده من
الرحمة (الى يوم الدين)
أى يوم الجزاء والعقوبة
وفيه ايدان بأن اللعنة
مع كمال ذمها ليست
جاء الجنان به بل هي
أمودج لما ساقا من

الى ذلك اليوم لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يروى في ظاهر التوقيت بل على أنه سياتى يومئذ من ألوان العذاب
وأما لعن العقاب ما ينشئ عنه اللعنة وتصير كالرائل الأرى الى قوله تعالى فان مؤذن ينتهر أن لعنة الله على

الظالمين وقوله تعالى وياعن بعضهم بعضا (قال رب فانظرنى) أى أمهلنى وأخرنى والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام أى اذا جعلتنى رجيماً فأمهلىنى ولا تمنى (الى يوم يبعثون) ﴿ ٢٢٢ ﴾ أى آدم وذريته للجزاء بعد فناءهم

وأراد بذلك أن يجد فسحة لا غوا لهم وياخذ منهم ثأره وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث (قل فانك من المنظرين) ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لسؤال ماسأله لاخرين على وجه يشعر بكون السائل تعالىهم في ذلك دليل واضح على أنه اخبار بالانظار المقدر لهم اذ لا انشاء لانظار خاص به قد وقع اجابة ادعائه وأن استنظاره كان طلباً لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير التوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الذين أى انك من جملة الذين أخرت آجلائهم اذ لا حسباً تقتضيه حكمتك ان يكون (الى يوم الوقت المعلوم) الذى قدره الله وعينه نفثاء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى الى وقت البعث الذى هو المسئول فالفاء ليست لربط نفس الانفسار بالاستنظار بل الربط

ما كسبت يدك والسبب في هذا أن محل القدرة هو اليد فاطلق اسم اليد على القدرة وعلى هذا التقدير فيصير المراد من لفظ اليد القدرة وقد تقدم ابطال هذا الوجه (وأما الثاني) فكنزوله بين يدي عذاب شديد وقوله بين يدي الساعة الأمانة قول هذا المجاز بهذا اللفظ مذكور والمجاز لا يقاس عليه ولا يكون مطرداً فلا جرم لا يجوز أن يقال ان هذا المعنى انما حصل بيد العذاب ويد الساعة ونحن نسلم ان قوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قد يجوز أن يراد به التأكيد والصلة أما المذكور في هذه الآية ليس هذا اللفظ بل قوله تعالى خلقت يدي وان كان القياس في المجازات باطلا فقط سقط كلامهم بالكلية فهذا منتهى البحث في هذا الباب والذي تلخص عندي في هذا الباب ان السلطان العظيم لا يتقدر على عمل شيء يبيده الا اذا كانت غاية عنايته مصروفة الى ذلك العمل فاذا كانت العناية الشديدة من لوازم العمل باليد أمكن جملة مجازاته عند قيام الدلائل القاهرة فهذا ما لخصناه في هذا الباب والله أعلم أما قوله تعالى أستكبرت أم كنت من العائين فالمعنى أستكبرت الآن أم كنت أبداً من المكبرين العائين فأجاب ايليس بقوله أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فالمعنى اني لو كنت مساوياً له في الشرف لكان يقبح أمرى بسجودى له فكيف وأنا خير منه ثم بين كونه خيراً منه بأن أصله من النار والنار أشرف من الطين فصح أن أصله خير من أصل آدم ومن كان أصله خيراً من أصله فهو وخير منه فهذه مقدمات ثلاثة (المقدمة الاولى) ان ايليس مخلوق من النار يدل عليه قوله تعالى حكاية عنه خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم (المقدمة الثانية) ان النار أفضل من الطين ويدل عليه وجوه (الاول) ان الاجرام الفلكية أشرف من الاجرام العنصرية والنار أقرب العناصر من الفلك والارض أبعدا عنها فوجب كون النار أفضل من الارض (الثاني) ان النار خليفة الشمس والقمر في اضاءة هذا العالم عند غيبتهما والشمس والشمس أشرف من الارض فخليفةهما في الاضاءة أفضل من الارض (الثالث) ان الكيفية الفاعلة الاصلية اما الحرارة والبرودة والحرارة أفضل من البرودة لان الحرارة تناسب الحياة والبرودة تناسب الموت (الرابع) الارض كثيفة والنار لطيفة والاطافة أشرف من الكثافة (الخامس) النار مشرقة والارض مظلمة والنور خير من الظلمة (السادس) النار خفيفة تشبه الروح والارض ثقيلة تشبه الجسد والروح أفضل من الجسد فالنار أفضل من الارض ولذلك فان الاطباء أطبقوا على أن العناصر الثمانية أعون على تركيب الاجساد وان العناصر الخفيفة أعون على تولد الارواح (السابع) النار صاعدة والارض هابطة والصاعدة أفضل من الهابطة (الثامن) ان أول بروج الفلك هو الحمل لانه هو الذى يبدأ من نقطة الاستواء السمتى ثم ان الحمل على طبيعة النار وأشرف أعضائه الحيوان الناب والروح وهما على طبيعة النار وأخس أعضائه الحيوان هو النظم وهو بارد يابس أرضى (التاسع) ان الاجسام الارضية كلما كانت

الاخبار المذكور به كافي قول من قل ان ترسم فانت اذك أهل * فانه لا مكان لجعل الفاء فيه لربط * اشد * ماله تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوفور الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار تلك الاهلية

لارجح يوقعها هذا وقد ركن التوفيق في سورة الاعراف ٥ ركن التذلل والافتقار والاستظهار والاعتراف بعو بلا حول
ما ذكره هنا وفي سورة الحجر وان خطر بك ٢٢٣ أن كل وجه من وجوه انظم الكرم لا بد أن يكون له مقام
أشدنو رانية ومشابهة بالنار كانت أشرف وكما كانت أكثر غيرة وكثافة وكدور ومشابهة
بالارض كانت أخس مثله الاجسام الشبيهة بالنار الذهب والياقوت والاحجار انصافية
النورية ومثله أيضا من اشباب الابريس وما يتخذ منه وامان كل ما كان أكثر أرضية
وغيرة فهو أخس فالامر ظاهر (العاشر) ان القوة الباصرة قوة في غاية الشرف والجلالة
ولا يتم عملها الا بالشعاع وهو جسم شبيه بالنار (الحادي عشر) ان أشرف أجسام العالم
السمائي هو الشمس ولا شك انه شبيه بالنار في صورته وطبيعته وأثره (الثاني عشر) ان
الضجج والهضم والحياة لا تتم الا بالحرارة والولا قوة الحرارة ناتجة عن اجزاء وتوابع المركبات
(الثالث عشر) ان أقوى العناصر الاربع في قوة الفعل هو النار وأكملها في قوة الانفعال
هو الارض وانقل أفضل من الانفعال فالنار أفضل من الارض أما القسايلون
بتفضيل الارض على النار فذكروا أيضا وجوها (الاول) ان الارض أمين مصلح فاذا
اودعتها حبة ردتها اليك شجرة مثمرة والنار خائفة تفسد كل ما سلمته اليها (الثاني)
ان الحس البصري أثنى على النار فليستع ما يقوله الحس الملمس (الثالث) ان الارض
مستولية على النار فانها تغطي النار وأما النار فانها لا تؤثر في الارض الخالصة (واما
المقدمة الثالثة) فهي ان من كان أصله خيرا من أصله فهو خير منه فاعلم ان هذه المقدمة
كاذبة جدا وذلك لان أصل الرماد النار وأصل البساتين التربة والاشجار المثمرة هو الطين
ومعلوم بالضرورة أن الاشجار المثمرة خير من الرماد وأيضا فذهب ان اعتبار هذه الجهة
يوجب التفضيل الا ان هذا يمكن ان يصير معارضا لجهة أخرى توجب الرجحان مثل انسان
نسب عار عن كل الفضائل فان نسبته يوجب رجحانه الا ان الذي لا يكون نسبيا قد يكون
كثير العلم والزهدي يكون هو أفضل من ذلك النسب بدرجات لاحدها فالمقدمة الكاذبة
في القياس الذي ذكره ابليس هو هذه المقدمة فان قال قائل هب أن ابليس أخطأ في هذا
القياس لكن كيف لزمه الكفر من تلك المخالفة وبيان هذا السؤال من وجوه (الاول)
ان قوله اسجدوا أمر والامر لا يقتضي الوجوب بل التنبه ومخالفة التنبه لا توجب
العصيان فضلا عن الكفر وأيضا فالذين يقولون ان الامر للوجوب فهم لا ينكرون
كونه محتملا للتنبه احتمالا ظاهرا او مع قيام هذا الاحتمال اظاهر كيف يلزم العصيان فضلا
عن الكفر (الثاني) هب انه للوجوب الا ان ابليس ما كان من الملائكة فأمر الملائكة
بسجود آدم لا يدخل فيه ابليس (الثالث) هب انه يتناواه الا أن تخصيص العام بالقياس
جائز فخصص نفسه عن عموم ذلك الامر بالقياس (الرابع) هب انه لم يسجد مع علمه بأنه
كان مأثورا به الا ان هذا القدر يوجب العصيان ولا يوجب الكفر فكيف لزمه الكفر
(والجواب) هب أن صيغة الامر لا تدل على الوجوب ولكن يجوز أن يتضمن اليها من
القرآن ما يدل على الوجوب وههنا حصلت تلك القرآن وهي قوله تعالى أستكبرت أم
كنت من العالين فلما أتى ابليس بقياسه الفاسد دل ذلك على انه انما ذكر ذلك القياس

بالآخر أي فأقسم بعزتك (لاغو ينهم أجمعين) أي ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم (الاعبادك منهم المخلصين) وهم
الذين أخلصهم الله تعالى اطاعته وعصمهم من الغواية وقرى المخلصين على صيغة الفاعل أي الذين أخلصوا

تعالى (قال) أي الله عز وجل (خالق والحق أقول) برفع الأول على أنه مبتدأ محذوف الخبر أو خبر محذوف المبتدأ ونصب الثاني على أنه مفعول لما بعده قدم عليه للتصرأى لأقول الإلحاق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي خالق قسمي (لاملان - ههنا) على أن الحق إمام الله تعالى أو تفضل الباطل عظمه الله تعالى بأقسامه أو أنا الحق أو قولي الحق ونزله تعالى لاملان جهنم الخ حينئذ جواب (ثم ٢٢٤) لتسم محذوف أي والله لاملان

الخ وقوله تعالى والحق أقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الأولين لمضمون الجملة التسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المقدمة أعني قولي الحق وقرنا منصوبين على أن الأول مقسم به كقولك الله لا فاعل وجوابه لاملان وما بينهما اعتراض وقرنا مجرورين على أن الأول مقسم به قد أضمر حرف قسمه كقولك الله لا فاعل والحق أقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرى بغير الأول على إضمار حرف القسم ونصب الثاني على المفعولية (منك) أي من جنسك من الشياطين (ومن تبعك) في الغواية والضلال (منهم) من ذرية آدم (أجمعين) تأكيد للكاف وما عطف

ليتوسل به إلى القدر في أمر الله وتكليفه وذلك يوجب الكفر * إذا عرفت هذا فقول ان إبليس لما ذكر هذا القياس الفاسد قال تعالى أخرج منها فالك رجيم وأعلم أنه ثبت في أصول الفقه ان ذكر الخبيث عقوب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف وههنا الخبيث يكونه رجيماً وأوردت في ما حكى عنه انه نصص النص بالقياس فهنا يدل على أن تخصص النص بالقياس يوجب هذا الحكم وقوله منها أي من الجنة أو من السموات والرجيم المرجوم وفيه قولان (الأول) انه مجاز عن الطرد لان الظاهر ان من طرد تقديره بالجملة وهو الرجيم فلما كان الرجيم من لوازم الطرد جعل الرجيم كناية عن الطرد فان قالوا الطرد هو العن فلوجه لنا قوله رجيم على الطرد لكان قوله بعد ذلك وان عليك لعنتي تكراراً والجواب من وجهين (الأول) اننا نحمل الرجيم على الطرد من الجنة أو من السموات ونحمل الله على الطرد من رحمة الله (والثاني) اننا نحمل الرجيم على الطرد ونحمل قوله وان عليك لعنتي الى يوم الدين على ان ذلك الطرد يعتد الى آخر القيامة فيكون هذا الفائدة زائدة ولا يكون تكريراً (والثاني) في تفسير الرجيم ان نحمله على الحقيقة وهو كون الشياطين مرجومين بالشهيد والله أعلم فان قيل كذا الى الانتهاء القاية فقوله الى يوم الدين يقتضي انقطاع تلك اللعنة عند مجي يوم الدين أوجب صاحب الكشاف بأن اللعنة باقية عليه في الدنيا فاذا جاء يوم القيامة جعل مع اللعنة أنواع من العذاب تصير اللعنة مع حضورها منسية * وأعلم ان إبليس لما صار ملعوناً قال فانظرني الى يوم يبعثون قيل انما يطلب الانظار الى يوم يبعثون لاجل أن يتخلص من الموت لانه اذا انظر الى يوم اليبعث لم يمت قبل يوم البعث وعند مجي يوم البعث لا يموت أيضاً فينتد يتخلص من الموت فقال تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ومعناه انك من المنظرين الى يوم يعلم الله ولا يعلم أحد سواه فقال إبليس فبمرتك وهوقسم بمررة الله وسلطانه لا غوبتهم أجمعين فههنا أضاف الاغواء الى نفسه وهو على مذهب القدر وقال مرة أخرى رب بما أغويتني فأضاف الاغواء الى الله على ما هو مذهب الجبر وهذان يدل على انه مخير في هذه المسئلة وأما قوله الاعبادك منهم المخلصين ففيد فوائد (الفائدة الأولى) قيل غرض إبليس من ذكره هذا الاستثناء أن لا يقع في كلامه الكذب لانه لو لم يذكر هذا الاستثناء وادعى انه يغوي الكل لكان يظهر كذبه حين يمجزعن اغواء عباد الله الصالحين فكان إبليس قال انما ذكرت هذا الاستثناء لئلا يقع الكذب في هذا الكلام وعند هذا يقال ان الكذب شيء يستنكف منه إبليس فكيف يليق بالمسلم الاقدام عليه فان قيل كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله وما أرسلنا من رسول ولا نبي الا اذا مني ألقي الشيطان في أمنته قلنا ان إبليس لم يقل اني لم أقصد اغواء عباد الله الصالحين بل قال لا غوبتهم وهو وان كان يقصد الاغواء الا انه لا يغويهم (الفائدة الثانية) هذه الآية تدل على أن إبليس لا يغوي عباد الله المخلصين وقال تعالى في صفة يوسف انه من عبادنا المخلصين فحصل من مجموع هاتين

عليه أي لاملان من المتبوعين والاتباع أجمعين كقوله تعالى لن تبك منهم لاملان جهنم منكم أجمعين (الآيتين) وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس أجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اتضح أن مدار عدم المشيئة في قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول فليس في ذلك شائبة الجبر فتدبر

دل ما أسألكم عليه) على القرآن أو على تبليغ ما يوحى الي (من اجراء يوحى ١٠٠ - ١٠٠) حتى أتتكم النبوة وأتتكم القرآن (أن هو) أي ماهو (الاذكر) من الله عز وجل (للعالمين) أي للنفلين كافة (وتعلن نبأ) أي ما أنبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما وصحة خبره وأنه الحق والصدق (بعد حين) بعد الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقي علم ذلك ٢٢٥ إذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من

التهديد ما لا يخفى * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له يومئذ كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصم أن يصير على ذنب صغير أو كبير وقال أبو أمامة عصمه الله تعالى من كل ذنب صغير أو كبير والله أعلم * (سورة الزمر مكية الاقوله قل لعبادي الآية وآيها خمس وسبعون أو ثمان وسبعون) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (تنزيل الكتاب) خبر مبتدا محذوف هو اسم إشارة أشير به الى السورة تنزيلا لها من نزلة الجاهل المشار اليه لكونها على شرف الذكر والحضور تكامرها وراوقدها هو ضمير عائد الى الذكر في قوله تعالى ان هو الاذكر للعالمين وقوله تعالى (من الله العزيز الحكيم) صلة للتنزيل أو خبر ثمان أو حال من التنزيل ما فيها من الإشارة

الآيتين ان ابليس ما أغوى يوسف عليه السلام وذلك يدل على كذب الحشوية فيما ينسبون الى يوسف عليه السلام من القبايح واعلم أن ابليس لما ذكر هذا الكلام قال الله تعالى فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ عليهم وحجرة فالحق بالرفع والحق بالنصب والباقيون بالنصب فيها أما الرفع فتقديره فالحق قسمي وأما النصب فلهي القسم أي فبالحق كتبتك والله لا فعلن وأما قوله والحق أقول انتصب قوله والحق بقوله أقول (المسئلة الثانية) قوله منك أي من جنسك وهم الشياطين ومن تبعك منهم من ذرية آدم فان قيل قوله أجمعين نأكد لما إذا قلنا محتمل أن يؤكد به الضمير في منهم أو الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين لأترك منهم أحدا (المسئلة الثالثة) اجتمع اصحابنا بهذه الآية في مسئلة أن الكل بفضاء الله من وجوه (الاول) انه تعالى قال في حق ابليس اخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين فهذا اخبار من الله تعالى بأنه لا يؤمن فلو آمن لانقلب خبر الله الصدق كذبا وهو محال فكان صدور الايمان منه محالا مع انه أمر به (والثاني) انه قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين فالحق تعالى علم منه انه يغوهم وسمع منه هذه الدعوى وكان قادرا على منعه عن ذلك والقادر على المنع اذا لم يمنع كان راضيا به فان قالوا اعل ذلك المنع مفسد قلنا هذا قول فاسد لأن ذلك المنع يخص ابليس عن الاضلال ويخلص بني آدم عن الضلال وهذا عين المصلحة (الثالث) انه تعالى أخبر انه يملأ جهنم من الكفرة فلو لم يكفر والزم الكذب والجهل في حق الله تعالى (الرابع) انه لو أراد أن لا يكفر الكفار لوجب أن يسبق الانبياء والمصلحين وان يميت ابليس والشياطين وحيث قلب الامر علمنا انه فاسد (الخامس) ان تكليف أولئك الكفار بالايمان يقتضي تكليفهم بالايمان بهذه الآيات التي هي دالة على أنهم لا يؤمنون البتة وحينئذ يلزم أن يصيروا مكلفين بأن يؤمنوا بأنهم لا يؤمنون البتة وذلك تكليف بما لا يطاق والله أعلم * قوله تعالى (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان هو الاذكر للعالمين وتعلن نبأ بعد حين) اعلم أن الله تعالى ختم هذه السورة بهذه الخاتمة الشريفة وذلك لانه تعالى ذكر طرفا كثيرة دالة على وجوب الاحتياط في طلب الدين ثم قال عند الختم هذا الذي أدعوا الناس اليه يجب أن ينظر في حال الداعي وفي حال الدعوة ليظهر انه حق أو باطل أما الداعي وهو أنا فاننا لا أسألكم على هذه الدعوة أجرا وما لا ومن الظاهر ان الكذاب لا يقطع طمعه عن طلب المال البتة وكان من الظاهر أنه صلى الله عليه وسلم كان بعدد اعن الدنيا عديم الرغبة فيها وأما كيفية الدعوة فقال وما أنا من المتكلفين والمفسرون ذكروا فيه وجوها والذي يغلب على الظن أن المراد أن هذا الذي أدعواكم اليه دين ليس يحتاج في معرفة صحته الى التكلفات الكثيرة بل هو دين يشهد صريح العقل بصحته فاني أدعواكم الى الاقرار بوجود الله وألهم أدعواكم ثانيا

أومن الكتاب الذي هو ٢٩ سا مفعول معنى عاملها المضاف وقل هـ ربح تنزيل الكتاب والوجه الاول أوفى بمقتضى المقام الذي هو بيان أن السورة أو القرآن تنزيل الكا ب من الله تعالى لا بيان أن تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفهمه الوجه الأخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اختيار فعل نحو اقرأ أو الزم

والتعرض لوضعي العزلة والحكمة الايدان بظهور أثره في الكتاب بجران أحكامه ونفاذاً وأمره ونواهيته من غير مدافع ولا مناع وبإتناء جسيم ما فيه على أساس الحكم الباهرة وقوله تعالى (أنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق) شروع في بيان شأن المنزل إليه وما يجب عليه أثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن واطهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول أيضاً لتعظيمه ومنزله الاعتناء به ٢٢٦ بشأنه والباء امامتاً بالانزال أي بسبب الحق

واثباته واطهاره أو بداعية الحق واقتضائه للانزال وأما بمحذوف هو حال من نون العظمة أو من الكتاب أي أنزلناه إليك محققين في ذلك أو أنزلناه ملتبساً بالحق والصواب أي كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به جتماً والقائه في قوله تعالى (فاعبد الله مخلصاً له الدين) لترتيب الأمر بالعبادة على أنزال الكتاب إليه عليه الصلاة والسلام بالحق أي فاعبد الله تعالى معوضاً له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبيابين في تضاعيف ما أنزل إليك وقرئ برفع الدين على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لنا كبدا الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلاً للأمر باخلاص العبادة وقوله تعالى (الله الدين الخالص) استئناف مقرر لما قبله من الأمر باخلاص الدين له تعالى وتوبيخاً للمشال به وعلى القراءة الأخيرة

إلى تنزيهه وتقديسه عن كل ما لا يليق به يقوى ذلك قوله ليس كمثل شيء وامثاله ثم أدعوك ثالثاً إلى الإقرار بكونه موصوفاً بكمال العلم والقدرة والحكمة والرحمة ثم أدعوك رابعاً إلى الإقرار بكونه منزهاً عن الشركاء والاضداد ثم أدعوك خامساً إلى الامتناع عن عبادة هذه الأوثان التي هي جادات خسيسة ولا منقمة في عبادتها ولا مضرة في الأعراض عنها ثم أدعوك سادساً إلى تعظيم الأرواح الطاهرة المقدسة وهم الملائكة والأنبياء ثم أدعوك سابعاً إلى الإقرار بالبعث والقيامة ليجزي الذين أسأوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ثم أدعوك ثامناً إلى الأعراض عن الدنيا والآقبال على الآخرة فهذه الأصول الثمانية هي الأصول القوية المعبرة في دين الله تعالى ودين محمد صلى الله عليه وسلم وبداية العقول وأوائل الأفكار شهادة بهذه الأصول الثمانية فثبت أني لست من المتكافئين في الشريعة التي أدعو الخلق إليها بل كل عقل سليم وطبع مستقيم فإنه يشهد بصحتها وجلالتها وبعدها عن الباطل والفساد وهو المراد من قوله أن هو الأذكار للعالمين ولما بين هذه المقدمات قال ولتعلن نبأه بعد حين والمعنى انكم أن أصررتم على الجهل والتقليد وأيتيم قبول هذه البيانات التي ذكرناها فستعلمون بعد حين انكم كنتم مصيبين في هذا الأعراض أو مخطئين وذكر مثل هذه الكلمة بعد تلك البيانات المتقدمة مما لا مزيد عليه في الخوف والترهيب والله أعلم قال المصنف رحمه الله عليه ثم تفسر هذه السورة يوم الحبس في آخر الثلاثاء الثاني من شهر ذي القعدة سنة ثلاث وستمئة والحمد لله على آله ونعمائه والصلاة على المطهرين من عباده في أرضه وسماهه والمدح والثناء كما يليق بصفاته وأسمائه والتعظيم التام لانياته وأوابائه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

(سورة الزمر سبعون وخمس آيات مكية)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم أنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا لقر بونا إلى الله زانين أن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون أن الله لا يهدي من هو كاذب كفار أو أراد الله أن يخذولدا الاصطفي مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) اعلم أن في الآية مسائل (المسألة الأولى) ذكر الفراء والزجاج في رفع تنزيل وجهين (أحدهما) أن يكون قوله تنزيل مبتدأ وقوله من الله العزيز الحكيم خبر (الثاني) أن يكون التقدير هذا تنزيل الكتاب فيضمر المبتدأ كقوله سورة أنزلناها أي هذه سورة قال بعضهم الوجه الأول أولى أوجه (الأول) أن الضمار خلاف الأصل فلا يصار إليه الا بضرورة ولا ضرورة ههنا (الثاني) أما فاقنا تنزيل الكتاب من الله جملة تامة من المبتدأ والخبر

مؤكد لاختصاص الدين به تعالى أي ألا هو الذي يجب أن يخص باخلاص انطاغته لانه المنفرد بصفات افاد الاوهية التي من جلالتها الاطلاع على السراريم النصير وقوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) تحقيق الحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول

عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره ماسياتي من الجملة المصدرية بأن والاولياء عن الملائكة وعسى عليهم السلام والاصنام وقوله تعالى (ما عبدكم الا بقر بونا الى الله زاني) حال يتقدرا القول من واوا اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من أعم العلل وزاني مصدر مؤنكد على غير لفظ المصدر ملاقيه في المعنى أي والذين لم يتخلصوا للعبادة لله تعالى بل شاؤوها **٢٢٧** عباد غير قائلين ما عبدكم لشي من الاشياء الا بقر بونا الى

الله تعالى تقر بيا (ان الله

يحكم بينهم) أي وبين خصماتهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كافي قوله تعالى لانفرق بين أحد من رسله على أحد الوجهين أي بين أحد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة * فإكان بين الخير لوجاء سالما أبو حجر الابلال فلائيل أي بين الخير وبينى وقيل ضمير بينهم للفرقيين جميعا (فيما هم فيه يختلفون) من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق منهم صحة ما اتبعه وحكمه تعالى في ذلك ادخل الموحدين الجنة والمشركين النار فالضمير للفرقيين هذا هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم وأما تجويز أن يكون الموصول عبارة عن العبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير ذكر تعويلا على دلالة المساق

أفاد فائدة شريفة وهي ان تنزيل الكتاب يكون من الله لا من غيره وهذا الحصر معنى معتبرا ما اذا أضمرنا المبتدأ لم تحصل هذه الفائدة (الثالث) اذا أضمرنا المبتدأ صار التقدير هذا تنزيل الكتاب من الله وحيتذ يلزمنا مجاز آخر لان هذا اشارة الى السورة والسورة ليست نفس التنزيل بل السورة منزلة فحيث يحتاج الى أن نقول المراد من المصدر المفعول وهو مجاز تحمله لا للضرورة (المسألة الثانية) القائلون بخلق القرآن احتجاجوا بأن قالوا انه تعالى وصف القرآن بكونه تنزيلا ومنزلا وهذا الوصف لا يليق الا بالحدث المخلوق والجواب اننا نحمل هذه اللفظة على الصيغ والحروف (المسألة الثالثة) الآيات الكثيرة تدل على وصف القرآن بكونه تنزيلا وآيات أخر تدل على كونه منزلا (أما الاول) فقوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين وقال تنزيل من حكيم حميد وقال حم تنزيل من الرحمن الرحيم (وأما الثاني) فقوله انما نحن نزلنا الذكر وقال وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وأنت تعلم أن كونه منزلا أقرب الى الحقيقة من كونه تنزيلا فكونه منزلا مجاز أيضا لانه ان كان المراد من القرآن الصفة السامعة بذات الله فهو لا يقبل الانفصال والنزول وان كان المراد منه الحروف والاصوات فهي أعراض لا تقبل الانتقال والنزول بل المراد من النزول نزول الملك الذي بلغها الى الرسول صلى الله عليه وسلم (المسألة الرابعة) فأت المعتزة العز يز هو القادر الذي لا يغلب فهذا اللفظ يدل على كونه تعالى قادرا على ما لا نهاية له والحكيم هو الذي يفعل للدعاية الحكمة للدعاية الشهوة وهذا انما يتم اذا ثبت انه تعالى عالم بجميع المعلومات وانه غني عن جميع الحاجات اذا ثبت هذا فنقول بكونه تعالى عزيزا حكيم يدل على هذه الصفات الثلاثة العلم بجميع المعلومات والقدرة على كل الممكنات والاستغناء عن كل الحاجات فمن كان كذلك امتنع أن يفعل القبيح وأن يحكم بالقبيح واذا كان كذلك فكل ما يفعله يكون حكمة وصوابا اذا ثبت هذا فنقول الانتفاع بالقرآن توقف على أصليين (أحدهما) أن يعلم ان القرآن كلام الله والدليل عليه انه ثبت بالعجز كون الرسول صادقا وثبت بالتواتر انه كان يقول القرآن كلام الله فيحصل من مجموع هاتين المقدمتين ان القرآن كلام الله (والاصل الثاني) ان الله أراد بهذه الالفاظ المعاني التي هي موضوعة لها ما بحسب اللغة أو بحسب القرينة العرفية أو الشرعية لانه لو لم يرد بها ذلك لكان ذلك تلبيسا وذلك لا يليق بالحكيم فثبت بما ذكرنا ان الانتفاع بالقرآن لا يحصل الا بعد تسليم هذين الاصليين وثبت أنه لا سبيل الى اثبات هذين الاصليين الا باثبات كونه تعالى حكيمًا وثبت أنه لا سبيل الى اثبات كونه خكيما الا بالبناء على كونه تعالى عن يرافلهذا السبب قال تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم أما قوله تعالى انما أنزلنا اليك الكتاب بالحق ففيه سوء الان (السؤال الاول) لفظ التنزيل يشعر بأنه تعالى أنزله عليه نجما نجما على سبيل التدرج ولفظ الانزال يشعر بأنه تعالى أنزله عليه دفعة واحدة فكيف الجمع بينهما والجواب ان صح الفرق بين التنزيل

عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون اولياء قائلين ما عبدكم الا بقر بونا الى الله ان الله يحكم بينهم أي بين العبد والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجوا العبد شفاقتهم وهم يلعنونهم فبعد الاغضاء عما فيه من التسفات يبرز من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها القرينة ان اختلاف

محموجا الى الحكم والفصل وانما ذلك ما بين فريقين الموحدين والمشركين في الدين من الاختلاف في الدين الباقي الى يوم
القيامة وقرى قالوا ما نعبدهم فهو بديل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك من يدعية وقرى
ما نعبدهم الا لقرى بنا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرى نعبدهم اتباعا لآباء (ان الله لا يهدي) أى لا يوفق للاهتداء الى الحق
الذى هو طريق النجاة من المكروه والفوز بالمعالموب (من هو كاذب) ٢٢٨ كفار) أى راسخ في الكذب مبالغ

في الكفر كما يعرب عنه
قراءة كذاب وكذوب
فانهما باقذان للبصيرة
غير قابلين للاهتداء
لتغيرهما الفطرة الاصلية
بالتمرن في الضلالة
والتمادي في الغي والجملة
تعليل لما ذكر من حكمه
تعالى (لو اراد الله ان
يتخذ ولدا) الخ استئناف
مسوق لتحقيق الحق
وابطال القول بأن
الملائكة بنات الله وعيسى
ابن تعالى عن ذلك
علوا كبيرا ببيان استحالة
اتخاذ الولد في حقه تعالى
على الاطلاق ليندرج
فيه استحالة ما قيل
اندرجا أو ليس أى
لو اراد الله ان يتخذ ولدا
(لاصطفى) أى لا يتخذ
(بما يخلق) أى من جملة
ما يخلق أو من جنس ما
يخلق (ما يشاء) ان يتخذ
اذلا موجود سواء الا وهو
مخلوق له تعالى لامتناع
تعدد الواجب ووجوب
استناد جميع ما عده اليه
ومن الين ان اتخاذ الوالد

وبين الانزال من الوجه الذى ذكرتم فطريق الجمع أن يقال المعنى ان احكمنا حكما كليما جزمنا
بأن يوصل اليك هذا الكتاب وهذا هو الانزال ثم اوصلناه نجما نجما اليك على وفق
المصالح وهذا هو التنزيل (السؤال الثاني) ما المراد من قوله اننا انزلنا اليك الكتاب بالحق
والجواب فيه وجهان (الاول) المراد انزلنا الكتاب اليك ملتبسا بالحق والصدق
والصواب على معنى كل ما اودعناه فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وأنواع
التكاليف فهو حق وصدق يجب العمل به والمصير اليه (الثاني) أن يكون المراد اننا انزلنا
اليك الكتاب بناء على دليل حق دل على أن الكتاب نازل من عند الله وذلك الدليل هو ان
الفصحاء عجزوا عن معارضته ولولم يكن معجزا معجزوا عن معارضته ثم قال فاعبد الله
مخلصا له الدين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) انه تعالى لما بين في قوله اننا انزلنا اليك الكتاب
بالحق ان هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق والصواب أردف هنا بعض ما فيه من
الحق والصدق وهو أن يشتغل الانسان بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص ويتبرأ
عن عبادة غير الله تعالى بالكيفية فاما اشتغاله بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص فهو
المراد من قوله تعالى فاعبد الله مخلصا واما ابراءه من عبادة غير الله تعالى فهو المراد بقوله
ألا لله الدين الخالص لان قوله ألا لله يفيد الحصر ومعنى الحصر أن يثبت الحكم في
الذكر ويرى عن غير المذكور واعلم أن العبادة مع الاخلاص لا تعرف حقيقة
الاذا عرفنا أن العبادة ماهي وان الاخلاص ماهو وان الوجوه المنافية للاخلاص ماهي
فهذه أمور ثلاثة لا بد من البحث عنها (أما العبادة) فهي فعل أو قول أو ترك فعل أو ترك
قول يوثق به لمجرد اعتقاد أن الامر به عظيم يجب قبوله (وأما الاخلاص) فهو ان يكون
الداعي له الى الاتيان بذلك الفعل أو الترك مجرد هذا الانقياد والامثال فان حصل منه
داع آخر فاما أن يكون جانب الداعي الى الطاعة راجعا على الجانب الآخر أو معادلا له
أو مرجوحا أو أجها وعلى ان المعادل والمرجوح ساقط وأما اذا كان الداعي الى طاعة الله
راجعا على الجانب الآخر فقد اختلفوا في انه هل يفيد أم لا وقد ذكرنا هذه المسئلة مرارا
ونقظ القرآن يدل على وجوب الاتيان به على سبيل الخلوص لان قوله فاعبد الله مخلصا
صريح في أنه يجب الاتيان بالعبادة على سبيل الخلوص وتأكد هذا بقوله تعالى وما
أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وأما بيان الوجوه المنافية للاخلاص فهي الوجوه
الداعية للشريك وهي اقسام (أحدها) أن يكون للرباء والسمعة فيه مدخل (وثانيها)
أن يكون مقصوده من الاتيان بالطاعة الفوز بالجنة والخلاص من النار (وثالثها)
أن يأتي بها ويعتقد أن لها تأثيرا في إيجاب الثواب أو دفع العقاب (ورابعها) وهو ان
يخلص تلك الطاعات عن الكبار حتى تصير مقبولة وهذا القول انما يعتبر على قول المعتزلة
(المسئلة الثانية) من الناس من قال فاعبد الله مخلصا له الدين المراد منه شهادة ان لا اله
الا الله واحتجوا بما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اله الا الله حصني ومن دخل

منوط بالمائلة بين المتخذ والمخذول أن المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اخذاه ولذا افترضناه من اتخاذ ولد لم يكن
اتخاذ ولد بل اصطفا عبد واية أشير حيث وضع الاصطفا موضع اتخاذ الذي تقتضيه الشرطية تنبها على استحالة
مقدمها الاستلزام فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاء ماى لو اراد الله تعالى أن يتخذ ولدا لفعل شيأ ليس هو من
اتخاذ الولد في شيء أصلا بل انما

هو اصطفاء عبدا ولا ريب في ان ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو متع قطعاً فكأنه قيل لو اراد الله ان يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على أن الامتناع منوط بتحقيق الارادة بل على أنه متحقق عند عدمها بطريق الاوالة على منوال لولم يتخذ الله لم يعصه وقوله تعالى (سبحانه) تقر بما ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وتأكيداً لبيان تنزهه تعالى عنه أي تنزهه بالذات عن ذلك تنزهه في ٢٢٩ الخاص به على ان السبحان مصدر من سبح اذا بعد أو سبحه

حصني أمن من عذابي وهذا قول من يقول لا تضر المعصية مع الايمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر وأما الاكثرين فقالوا الآية متأولة لكل ما كلف الله به من الاوامر والنواهي وهذا هو الاولى لان قوله فاعبد الله عام وروى ان امرأة الفرزدق لما قرب وفاتها وصت ان يصلي الحسن البصري عليها فلما صلى عليها ودفت قال الفرزدق يا أبا فراس ما الذي أعددت لهذا الامر قال شهادة أن لا اله الا الله فقال الحسن رضي الله عنه هذا العمود فأين الطنب فبين بهذا اللفظ الوجيز ان عود الخيمة لا يذفع به الامم الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة قال القاضي فأما ما يروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لما عاد وأبي الدرداء وانزني وان سرق على رغبته أنف أبي الدرداء فان صح فانه يجب أن يحمل عليه بشرط التوبة والام يحز قبول هذا الخبر لانه مخالف للقرآن ولانه يوجب أن لا يكون الانسان من جورا عن الزنا والسرقة وان لا يكون متذبذبا بفعلها لانه مع شدة شهوته للقبیح يعلم أنه لا يضره مع تمسكه بالشهادتين فكان ذلك اغراء بالقبیح والكل يتأني حكمته الله تعالى ولا يلزم أن يقال ذلك فاقول بأنه يزول ضرره بالتوبة يوجب أيضا الاغراء بالقبیح لا نقول ان من اعتقد أن ضرره يزول بالتوبة فقد اعتقد أن فعل القبیح مضره الا انه يزيل ذلك الضرر بفعل التوبة بخلاف قول من يقول ان فعل القبیح لا يضره مع التمسك بالشهادتين هذا اتمام كلام القاضي فيقال له أما قولك ان القول بالمغفرة مخالف للقرآن فليس كذلك بل القرآن يدل عليه قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال وان ربك ذو مغفرة للناس على ظلمهم أي حال ظلمهم كما يقال رأيت الامير على أكله وشربه أي حال كونه أكلوا وشاربا وقال يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وأما قوله ان ذلك يوجب الاغراء بالقبیح فيقال له ان كان الامر كذلك وجب أن يغفر غفرانه عقلا وهذا مذهب البغداديين من المعتزلة وأنت لا تقول به لان مذهب البصريين أن عذاب المذنب جائز عقلا وأيضا يلزم عليه أن لا يحصل الغفران بالتوبة لانه اذا علم أنه اذا أذنب ثم تاب غفر الله له لم يترجروا أما الفرق الذي ذكره القاضي فبعد لانه اذا علم على أن يتوب عنه في الحال علم انه لا يضره ذلك الذنب البتة ثم نقول مذهبنا اننا نقطع بحصول الغفران عن الكبائر في الجملة فأما في حق كل واحد من الناس فذلك مشكوك فيه لانه تعالى قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقطع بحصول المغفرة في الجملة الا أنه سبحانه وتعالى لم يقطع بحصول هذا الغفران في حق كل أحد بل في حق من شاء واذا كان الامر كذلك كان الخوف حاصلا فلا يكون الاغراء حاصلا والله أعلم (المسئلة الثالثة) قال صاحب الكشف قري الدين بالرفع ثم قال وحق من رفعه أن يقرأ بخلصا يفتح اللام لقوله تعالى وأخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله لا اله الا الله الدين الخالص والخلص واحد الا أنه وصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر واعلم انه تعالى لما بين ان رأس العبادات ورئيسها الاخلاص

تسبيحا لا تقا به على أنه علم للتسبيح مقول على السنة العباد أو سبحوه تسبيحا حقيقيا بشأنه وقوله تعالى (هو الله الواحد القهار) استثنافا بين تنزهه تعالى بحسب الصفات اثربان تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفة الاوهية المستتعبة لساير صفات الكمال النافية لسمات نقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقضي تنزهه تعالى عما قالوا قضاء مقتضا وكذا وصف القهار بلسان اتخاذ الولد شأن من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فناءه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يصور أن يتخذ من الاشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق) تفصيل لبعض أقواله تعالى الدال على

تفرده بما ذكر من الصفات الجليلة أي خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشبهة على الحكم والمصالح وقوله تعالى (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بحركات السموات أي بغشي كل واحد منهما الآخر كأنه

يلقى عليه اللباس على الالباس أو يغيبه به كما يغيب الملقوف باللقافة أو يجعله كالأرغفة كالأرغفة
وصيغة المضارع للدلالة على التجدد (وسخر الشمس والقمر) جعلهما متنادين لأمره تعالى وقوله تعالى (كل يجري
لأجل مسمى) بيان كيفية تسخيرهما أي كل منهما يجري لشيء من الأشياء التي من جنتها عذاب عظيم (٢٣٠) في العنصرة (العنصرة) المبالغ في المغفرة
العزير (الغالب القادر على كل شيء من الأشياء التي من جنتها عذاب عظيم)

ولذلك لا يعاجل بالعتوبة
وسلب ما في هذه الصنائع
البديعة من آثار الرحمة
وتصدير الجملة بحرف
التنبيه لاظهار كمال
الاعتناء بمضمونها
(خلقكم من نفس واحدة)
بيان لبعض آخر من
أفعاله الدالة على ما ذكر
وترك عطفه على خلق
السموات للابتنان
بإستغلاله في الدلالة
ولم يعلقه بالعالم السفلي
والبداءة بخلق الإنسان
لرافقه في الدلالة لما فيه
من تعجب آثار القدرة
وأسرار الحكمة وأصالة
في المعرفة فان الإنسان
بحال نفسه أغرق والمراد
بالنفس نفس آدم عليه
السلام وقوله (ثم جعل
منها زوجها) عطف
على محذوف هو صفة
لنفس أي من نفس
خلقها ثم جعل منها
زوجها أو على معنى واحدة
أي من نفس وحدث ثم
جعل منها زوجها
فشفعها أو على خلقكم
لتفاوت ما بينهما في

في التوحيد أورد فيه بدم طرية المشركين فقال والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم
الأيقر بونا إلى الله زاني وتقدير الكلام والذين اتخذوا من دونه أولياء يقولون ما نعبدهم
الأيقر بونا إلى الله زاني وعلى هذا التقدير فغير والذين محذوف وهو قوله يقولون واعلم
ان الضمير في قوله ما نعبدهم الأيقر بونا إلى الله زاني عائد على الأشياء التي عبت من دون
الله وهي قسبان العتلاء وغير العتلاء أما اعتلاء فهو أن قوما عبدوا المسيح وعزيرا
والملائكة وكثير من الناس يعبدون الشمس والقمر والنجوم ويعتقدون فيها أنها أحياء
عاقلة ناطقة وأما الأشياء التي عبت مع أنها ليست موصوفة بالحياة والعقل فهي الأصنام
إذا عرفت هذا فنقول الكلام الذي ذكره الكفار لاثني بالعتلاء أما بغير العتلاء فلا يليق
وبيان من وجهين (الأول) ان الضمير في قوله ما نعبدهم ضمير للعتلاء فلا يليق بالأصنام
(الثاني) أنه لا يبعد أن يعتقد أولئك الكفار في المسيح والعزير والملائكة أن يشفعوا لهم
عند الله أما يبعد من العاقل أن يعتقد في الأصنام والجمادات أنها تقربه إلى الله وعلى
هذا التقدير فرادهم أن عبادتهم لها تقربهم إلى الله ويمكن أن يقال ان العاقل لا يعبد
الصنم من حيث أنه خشب أو حجر وإنما يعبدونه لاعتقادهم أنها تماثيل الكواكب
أو تماثيل الأرواح السماوية أو تماثيل الأنبياء والصالحين الذين مضوا ويكون
مقصودهم من عبادتها توجيه تلك العبادات إلى تلك الأشياء التي جعلوا هذه التماثيل
صورائها وحاصل الكلام لعباد الأصنام أن قالوا ان الله الأعظم أجل من أن يعبد
البشر لكن الائق بالبشر أن يشتغلوا بعبادة الأصنام من عباد الله مثل الكواكب
ومثل الأرواح السماوية ثم انها تشغل بعبادة الله الأكبر فهذا هو المراد من قولهم
ما نعبدهم الأيقر بونا إلى الله زاني واعلم أن الله تعالى لما حكى مذاهبهم أجاب عنهم من
وجه (الأول) انه اقتصر في الجواب على مجرد التهديد فقال ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه
يختلفون واعلم أن الرجل المبطل اذا ذكر مذاهبا باطلا وكان مصرا عليه فالطريق في
علاجه أن يخال بجملة توجب زوال ذلك الاصرار عن قلبه فاذا زال الاصرار عن قلبه
فبعد ذلك يسمعه الدليل الدال على بطلانه فيكون هذا الطريق أفضى إلى المقصود
والاطباء يقولون لا بد من تقديم المنضح على سقى المسهل فان تناول المنضح تصيير المواد
الفاسدة رخوة قابلة للزوال فاذا سقيته المسهل بعد ذلك حصل التواء التام فكذلك ههنا
اسماع التهديد والتخويف أو لا يجري مجرى سقى المنضح أو لا واسماع الدليل ثانياً يجري
مجرى سقى المسهل ثانياً فهذا هو الفائدة في تقديم هذا التهديد ثم قال تعالى ان الله لا يهدي
من هو كاذب كفار والمراد أن من أصر على الكذب والكفر بقي مخروما عن الهداية
والمراد بهذا الكذب وصفهم لهذه الأصنام بأنها آلهة مستحقة للعبادة مع علمهم بأنها
جمادات خسيسة وهم يتخوها وتصرفوا فيها والعلم الضروري حاصل بأن وصف هذه
الأشياء بالالهية كذب محض وأما الكفر فيجتمه أن يكون المراد منه الكفر الراجع إلى

الدلالة فانهما وان كانتا آيتين داليتين على ما ذكر لكن الأولى لاستمرارها صارت معتادة وأما الثانية **﴿** الاعتقاد **﴾**
فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الأولى كما يشعر به التعبير عنها بالجملة دون الخلق كانت أدخل في كونها آية وأجلب
للتعجب من السامع فعمطت على الأولى بتم دلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما

يرجع الى زيادة كونها آية فهومن الترخي في الحال والمزلة وقيل اخرج ذرية ادم من ظهره كاذن ثم خلق منه حواء فقية
ثلاث آيات مترتبة على خلق آدم عليه السلام بلا أب وام وخلق حواء من قصيره ثم تشعب الخلق القاذات للمحصر منهما
وقوله تعالى (وأنزل لكم) بيان لبعض آخر من أفعاله الدالة على ما ذكر أي قضى أو قسم لكم فان قضيا وقسمه توصف
بالنزول من السماء حيث تكتب في الألواح المحفوظة ٢٣١ أو أحدث لكم بأسباب نازلة من السماء كالامطار وأشعة

الكواكب (من الانعام
ثمانية أزواج) ذكر
أو أنى هي الأبل والبقر
والضأن والعن وقيل
خلقهم في الجنة ثم أنزلها
وتقديم الطرفين على
المسؤول الصريح لما من
مرارا من الاعتناء بما
قدم والتشويق الى ما
آخر فان كون الأنزال

لنافعهم وكونه من الجبهة
العسالية من الامور
المهمة المشوقة الى ما
أنزل لاجل الفوق وله تعالى
(يخلفكم في بطون
أمهاتكم) استئناف
مسوق لبيان كيفية
خلقهم وأطوار

المختلفة الدالة على القدرة
الباهرة وصيغة المضارع
للدلالة على التدرج
والتجدد وقوله تعالى
(خلقنا من بعد خلق)

مصدر مؤكداي يخلفكم
فيها خلقا كأنهم بعد
خلق أي خلقا مدرجا
حيوانا سويا من بعد
عظام مكسوة لحما
من بعد عظام عارية
من بعد مضع مخلقة
من بعد مضع غير مخلقة

الاعتقاد والامر ههنا كذلك فان وصفهم لها بالالهية كذب واعتقادهم فيها بالالهية
جهل وكفرو يحتمل أن يكون المراد كفران النعمة والسبب فيه أن العبادة نهائية التعظيم
ونهاية التعظيم لا تليق إلا بمن يصدر عند غاية الانعام وذلك المنعم هو الله سبحانه وتعالى
وهذه الاوثان لا تدخلها في ذلك الانعام فلا يشغال بعبادة هذه الاوثان يوجب كفران
نعمة المنعم الحق ثم قال تعالى لو أراد الله أن يتخذ والدا لصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو
الله الواحد القهار والمراد من هذا الكلام إقامة الدلائل القاطعة على كونه متزاها عن
الولد وبيان من وجوه (الاول) أنه لو اتخذ والدا لما رضى إلا بكامل الاولاد وهو الآن
فكيف نسبتهم اليه البنت (الثاني) أنه سبحانه واحد حقيقي والواحد الحقيقي يمنع أن
يكون له ولد أم أنه واحد حقيقي فلانه لو كان مركبا لاحتاج الى كل واحد من أجزائه
وجزؤه غيره فكان يحتاج الى غيره والمحتاج الى الغير يمكن لذاته والممكن لذاته لا يكون
واجب الوجود لذاته وأما أن الواحد لا يكون له ولد فواجب (الاول) أن الولد عبارة عن
جزء من أجزاء الشيء ينفصل عنه ثم يحصل له صورة مساوية لصورة الولد وهذا انما يعقل في
الشيء الذي يتفصل منه جزء والفرد المطلق لا يقال ذلك فيه (الثاني) شرط الولد أن يكون
مماثلا في تمام الماهية للوالد فتكون حقيقة ذلك الشيء حقيقة نوعية شجولة على شخصين
وذلك محال لان تعيين كل واحد منهما ان كان من لوازم تلك الماهية فزم أن لا يحصل من
تلك الماهية إلا الشخص الواحد وان لم يكن ذلك التعيين من لوازم تلك الماهية كان
ذلك التعيين معلوما بسبب منفصل فلا يكون الها واجب الوجود لذاته فثبت أن
كونه الها واجب الوجود لذاته يوجب كونه واحدا في حقيقته وكونه واحدا
في حقيقته يمنع من ثبوت الولد فثبت أن كونه واحدا يمنع من ثبوت الولد (الثالث)
أن الولد لا يحصل الا من الزوج والزوجة والزوجة لا بد وأن يكونا من جنس واحد
فلو كان له ولدا كان واحد بل كانت زوجته من جنسه وأما أن كونه قهारा يمنع من
ثبوت الولد فلان المحتاج الى الولد هو الذي يموت فيحتاج الى ولد يقوم مقامه فاحتاج
الى الولد هو الذي يكون مفهورا بالوت أما الذي يكون قاهرا ولا يقهره غيره كان
الولد في حقيقته لا فثبت أن قوله هو الله الواحد القهار القاطع مسئلة على دلائل قاطعة
في نفي الولد عن الله تعالى وقوله تعالى (خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على
النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى إلا هو العز
الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها أزواجا وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج
يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم اقعة ربكم له الملات
لا اله الا هو فاني تصرفون ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان
تسكروا برضه لكم ولا تزروا ذرة وزرا أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبأكم بما كنتم
تعملون انه اعلم بذات الصدور اعلم ان الآيات المقدمة على انه تعالى بين كونه متزاها

من بعد علة من بعد نقطة (في ظلمات ثلاث) متعلق بخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة أو ظلمة
الصلب والبطن والرحم (ذلكم) إشارة الى تعالى باعتبار أفعاله المذكورة وما يفيد من معنى البعد الا بزمان بعد ذلك
تعالى في العظمة والكبرياء وتعله الرفع على الابتداء أي ذلكم العظيم الشأن الذي عدت أفعاله (الله) وقوله تعالى (ربكم)

خبر آخر اى من يكم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعد ما لاكم المستحق لتخصيص العبادته (له الملك) على الاطلاق
في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى (لا اله الا هو) والقائه
في قوله تعالى (فاني تصرفون) لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شـ. وانه تعالى اى فكيف تصرفون عن عبادته
تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانشاء الصارف عنها ﴿ ٢٣٢ ﴾ بالكلية الى عبادة غيره من غير داع

اليها مع كثرة الصوارف
عنهما (ان تكفروا) به
تعالى بعد مشاهدة
ما ذكر من قنونهما
ومعرفة شؤنه العظيمة
الموجبة للايمان والشكر
(فان الله غنى عنكم اى)
فاعلموا انه تعالى غنى
عن ايمانكم وشكركم غير
متأثر من انقضاءهما
(ولا يرضى لعباده الكفر)
اى عدم رضاه بكفر
عباده لاجل منفعتهم
ودفع مضرتهم رحمة
عليهم لا لتضرده تعالى
به (وان تشكروا يرضه
لكم) اى يرضى الشكر
لاجلكم ومنفعتكم لانه
سبب اقوزكم بعبادة
الدارين لا لا تشاعة
تعالى به وانما قيل لعباده
لا لاكم لتعميم الحكم
وتعليله بكونهم عباد
تعالى وقرى باسكان
الهاء (ولا تزر وازرة
وزر اخرى) بيان
لعدم سرية كفر الكافر
الى غيره أصلا اى
لا تحتل نفس حاصلة
للو ز رجل نفس اخرى

عن الوالد بكونه الها واحدا وقهارا غالبا اى كامل القدرة فلما بينى تلك المسئلة على هذه
الاصول ذكر عقيبها ما يدل على كمال القدرة وعلى كمال الاستغناء وأيضا فانه تعالى طعن
في الهية الاصنام فذكر عقيبها الصفات التي باعتبارها تحصل الالهية واعلم اننا جئنا في
مواضع من هذا الكتاب ان الدلائل التي ذكرها الله تعالى في اثبات الهية اما أن تكون
فلكية أو عنصرية أو أمم الفلكية فاقسام (أحدها) خلق السموات والارض وهذا المعنى
يدل على وجود الاله القادر من وجوه كثيرة شرحناها في تفسير قوله تعالى الحمد لله الذى
خلق السموات والارض (والثاني) اختلاف أحوال الليل والنهار وهو المراد ههنا من
قوله يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وذلك لان النور والظلمة صكران
مهيبان عظيمان وفى كل يوم يغلب هذا ذاك تارة وذلك هذا أخرى وذلك يدل على ان كل
واحد منهما مغلوب مشهور ولا بد من غالب قاهر لهما ليكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله
سبحانه وتعالى والمراد من هذا التكوير انه يزيد فى كل واحد منهما بقدر ما ينقص عن
الآخر والمراد من تكوير الليل والنهار ما ورد فى الحديث نعم ذاب الله من الحور بعد الكور
اى من الادبار بعد الاقبال واعلم انه سبحانه وتعالى عبر عن هذا المعنى بقوله يكور الليل
على النهار بقوله يغشى الليل والنهار بقوله يولج الليل فى النهار وهو الذى جعل
الليل والنهار خلفا لمن أراد أن يذكر (والثالث) اعتبار أحوال الكواكب لاسيما
الشمس والقمر فان الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل وأكثر مصالح هذا العالم
مر بوطئة لهما وقوله كل يجري لاجلسمى لاجلسمى يوم القيامة لايزالان يجريان الى
هذا اليوم فاذا كان يوم القيامة ذهباً ونظيره قوله تعالى وجمع الشمس والقمر والمراد
من هذا التسخير ان هذه الافلاك تدور كدور المنجذون على حد واحد الى يوم القيامة
وعنده تطوى السماء كطى السجل للكتاب ولما ذكر الله هذه الانواع الثلاثة من الدلائل
الفلكية قال لا هو العزير الفقار والمعنى ان خلق هذه الاجرام العظيمة وان دل على كونه
عزير اى كامل القدرة الا انه غفار عظيم رحمة والفضل والاحسان فانه لما كان الاخبار
عن كونه عظيم القدرة يوجب الخوف والرهبة فكونه غفارا يوجب كثرة الرحمة وكثرة
الرحمة توجب الرجا والرغبة ثم انه تعالى أتبع ذكر الدلائل الفلكية بذكر الدلائل المأخوذة
من هذا العالم الاسفل فبدأ بذكر الانسان فقال خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجا
ودلالة تكون الانسان على الاله المخار قد سبق بيانها مرارا كثيرة فان قيل كيف جاز أن
يقول خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجا والزوج مخلوق قبل خلقهم أجابوا
عنه من وجوه (الاول) ان كلمة ثم كما يجيى ببيان كون احدى الواقعتين متأخرة عن
اشانية فكذلك تجيى ببيان تأخر أحد الكلامين عن الآخر كقول القائل بلغنى ما صنعت
انيوم ثم ما صنعت أمس اعجب ويقول ايضا قد أعطيتك اليوم شيئا ثم الذى أعطيتك
أمس أكثر (الثاني) ان يكون التقدير خلقكم من نفس خلقت وحدها ثم جعل منها

(ثم الى ربكم مرجعكم بالبعث بعد الموت) فينبئكم) عنه ذلك (بما كنتم تعملون) اى كنتم ﴿ زوجها ﴾
تعملونه في الدنيا من أعمال الكفر والايمان اى يجاز بكم بذلك ثوابا وعقابا (انه علم بذات الصدور) اى بضمير
القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبؤ

(والإنسان ضار) من مرض وغيره (دعائه منياليه) راجعاً إليه بما كان يدعو في جلاله الرخاء لعله بأنه ينزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال ﴿ ٢٣٣ ﴾ بعض أفراد كونه تعالى أن الإنسان اظلم كفار (ثم

إذا حوله نعمة منه) أي اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من الخول وهو التوكل أي جعله خائلاً ما من قولهم فلان خائلاً ما إذا كان منه هداية حسن القيام به أو من الخول وهو الافتقار أي جعله يخول أي يتخلى ويفتخر (نسي ما كان يدعو إليه) أي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى فيمضي إلى كشفه (من قبل) أي من قبل الخويل أو نسي ربه الذي كان يدعو ويضرع إليه أما بناء على أن ما به من من كافي قوله تعالى وما خلق الذكر والأنثى وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما عبدو وما أيدنا بأن نسيانه بلغ إلى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلاً عن أن يعرف من هو كما في قوله تعالى عما أُرضعت (وجعل الله أندادا) شركاء في العبادة (ليضل) الناس بذلك (من سبيله) الذي هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء أي

زوجهما (الثالث) أخرج الله تعالى ذر يه آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء وأعلم أنه تعالى لما ذكر الاستدلال بخلق الإنسان على وجود الصانع ذكر حقيقته الاستدلال بوجود الحيوان عليه فقال وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج وهي الأبل والبقر والضأن والمعز وقد بينا كيفية دلالة هذه الحيوانات على وجود الصانع في قوله والأنعام خلقها لكم فيها ذكور وفي تفسير قوله تعالى وأنزل لكم وجود (الاول) أن قضاء الله وتقديره وحكمه موصوف بالزول من السماء لاجل أنه كتب في الأوح المحفوظ كل كائن يكون (الثاني) أن شيئاً من الحيوان لا يعيش إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء والقراب والماء ينزل من السماء فصارت التقدير كانه أنزلها (الثالث) أنه تعالى خلقها في الجنة ثم أنزلها إلى الأرض وقوله ثمانية أزواج أي ذكر وأنثى من الأبل والبقر والضأن والمعز والزواج اسم لكل واحد منهما آخرها إذا انفرد فهو فرد منه قال تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ثم قال تعالى يخلفكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق وفيه أيجاث (الاول) قرأ حرة بكسر الالف والميم والكسائي بكسر الهجره وفتح الميم والباقون أمهاتكم بضم الالف وفتح الميم (الثاني) أنه تعالى لما ذكر تخليق الناس من شخص واحد وهو آدم عليه السلام أردفه بتخليق الأنعام وإنما خصها بالذكر لأنها أشرف الحيوانات بعد الإنسان ثم ذكر حقيقته ذكرهم حالة مشتركة بين الإنسان وبين الأنعام وهي كونها مخلوقة في بطون أمهاتهم وقوله خلقاً من بعد خلق المراد منه ما ذكره الله تعالى في قوله ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظماً ما فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين وقوله في ظلمات ثلاث قبل الظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيئة وقيل الصلب والرحم والبطن ووجه الاستدلال بهذه الحالات قد ذكرناه في قوله هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء وأعلم أنه تعالى لما شرح هذه الدلائل ووصفها قال ذلكم الله ربكم أي ذلكم الشيء الذي عرفتم عجائب أفعاله هو الله ربكم وفي هذه الآية دلالة على كونه سبحانه وتعالى مزجها عن الأجزاء والأعضاء وعلى كونه مزجها عن الجسمية والمكانية وذلك أنه تعالى عندما أراد أن يعرف عباده ذاته المخصوصة لم يذكر ألا كونه فاعل هذه الأشياء ولو كان جسمياً مركباً من الأعضاء لكان تعرفه بتلك الأجزاء والأعضاء تعرفاً للشيء بأجزائه حقيقته وأما تعرفه بأحواله وأفعاله وآثاره فذلك تعرفه بأمور خارجة عن ذاته والتعرف الاول أكمل من الثاني ولو كان ذلك القسم ممكناً لكان الاكتفاء بهذا القسم الثاني تفصيلاً ونقصاً وذلك غير جائز فلعنا أن الاكتفاء بهذا القسم إنما حسن لأن القسم الاول محال متمم الوجود وذلك يدل على كونه سبحانه وتعالى متعالياً عن الجسمية والأعضاء والأجزاء ثم قال تعالى وهذا يفيد الحصر أي له الملك لا غيره ولما ثبت أنه لا ملك إلا له وجب أن نقول بأنه لا اله الا هو لانه لو ثبت له آخر فذلك اله اما أن يكون له الملك أو لا يكون

يزداد فضلاً لا أو يثبت عليه والا ﴿ ٣٠ ﴾ سا فاصل الضلال غير متأخر عن الجمل المذكور واللام لام العاقبة كافي قوله تعالى فأنقذته آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً

تخلان هذا أقرب الى الحقيقة لان الجاعل ههنا فاصد يجهله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله
أتهما اضلال وضلال وأمال فرعون فهم غير قاصدين ﴿٢٣٤﴾ بل بالثقل عليهم العداوة أصلا (قل) تهديد ذلك

الضلال والضلال وبيان
لجأه وما له (تمتع بكفره
قليل) أي تمتع قليلا
أوزمنا قليلا (انك من
أصحاب النار) أي من
ملازميها والعذبين فيها
على الدوام وهو تعذيب
قليل التمتع وفيه من الاخطأ
من التجاسة ما لا يخفى
كانه قيل اذ قد آيت
قبول ما أمرت به من
الايان والطاعة فمن
حكك أن تؤمر بتكره
لندوق عقوبته (أمن
هو قانت آتاء الليل) الخ
من تمام الكلام المأثور به
وأم اما متصلة قد حذف
معاد لها ثقة بدلالة مساق
الكلام عليه كأنه قيل له
تأكيد التهديد وتوهمكم به
أأنت أحسن حالا وما لا
أم من هو قائم بواجب
الطاعات ودائم على
أداء وظائف العبادات
في ساعات الليل حالتي
السراء والضراء لا عند
فساس الضر فقط
كسدا بك حال كونه
(ساجدا وقائما) أي
جامعا بين الوصفين
المحمودين وتقديم
السجود على القيام

لكونه أدخل في معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على أنه خبر بعد خبر (يخذر الآخرة) حال أخرى ﴿سلطان﴾
على الترادف أو التداخل أو استئناف وقع جوابا عما نشأ

مَنْ حَكَايَةَ حَالِهِ مِنَ الْقَنُوتِ وَالْحُجُودِ وَالْقِيَامِ كَأَنَّهُ قَبِيلٌ مَا بِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ قَبِيلٌ يُحَذِّرُهُ عَذَابُ الْآخِرَةِ (وَيَرْجُو رَحْمَةً بِهِ) فَيَتَجَوَّزُ بِذَلِكَ مَا يُحَذِّرُهُ وَيَفُوزُ بِمَا يَرْجُوهُ ﴿٢٣٥﴾ كَمَا بَيَّنَّاهُ عَنْهُ التَّعَرُّضُ لِعَنْوَانِ الرَّبِّ بِبَيِّنَاتٍ مُبَيَّنَّةٍ عَنِ التَّبْلِيغِ إِلَى

سُلْطَانٍ فَعَلَى هَذَا التَّعْدِيرِ قَوْلُهُ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ أَيْ وَلَا يَرْضَى لِلْمُؤْمِنِينَ الْكُفْرَ وَذَلِكَ لَا يَضُرُّنَا (الثَّانِي) أَنَا نَقُولُ الْكُفْرَ بَارَادَةً لِلَّهِ تَعَالَى وَلَا نَقُولُ أَنَّهُ يَرْضَى اللَّهُ لَأَنَّ الرِّضَا صِبَاةٌ عَنِ الْمَدْحِ عَلَيْهِ وَاتِّفَاعُهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْ عَمَدِهِمْ وَيُنْفِي عَلَيْهِمْ (الثَّلَاثُ) كَانَ الشَّيْخُ الْوَالِدُ ضِيَاءُ الدِّينِ غَرَّ رَجَاهُ اللَّهُ يَقُولُ الرِّضَا عِبَارَةٌ عَنْ تَرْكِ اللَّوْمِ وَالْإِعْتِرَاضِ وَلَيْسَ عِبَارَةً عَنِ الْإِرَادَةِ وَالِدَلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُ ابْنِ ذَرِيذٍ

رَضِيتُ قَسْرًا وَعَلَى الْقَسْرِ رِضًا * مِنْ كَانَ ذَا سَخَطٍ عَلَى صَرْفِ الْقَضَا

أَثْبَتَ الرِّضَا مَعَ الْقَسْرِ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَاهُ (الرَّابِعُ) هَبْ إِنْ الرِّضَا هُوَ الْإِرَادَةُ الْإِنَّ قَوْلُهُ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ صَامٌ فَتَخْصِيصُهُ بِالْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يَرِيدُ الْكُفْرَ مِنَ الْكَافِرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَمَا تَشَاوُنَ الْإِنِّ بِإِشَاءِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَالْمُرَادُ أَنَّهُ لِمَسَابِينِ أَنَّهُ لَا يَرْضَى الْكُفْرَ بَيْنَ أَنَّهُ يَرْضَى الشُّكْرَ وَفِيهِ مَسَائِلُ (الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى) اخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي هَاءِ يَرْضَهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ (أَحَدُهَا) قَرَأَ نَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَحِزْرَةُ بِضَمِّ هَاءٍ مُخْتَلِصَةً غَيْرَ مُشَبَّعَةٍ (وِثَانِيهَا) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَحِزْرَةُ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ يَرْضَهُ سَاكِنَةً هَاءٍ لِلتَّخْفِيفِ (وِثَلَاثُهَا) قَرَأَ نَافِعٌ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ وَابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَالْكَسَائِيُّ مَضْمُومَةً هَاءٍ مُشَبَّعَةً قَالَ الْوَاحِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ الْقُرَّاءِ مَنْ أَشْبَحَ هَاءَهُ حَتَّى أَلْحَقَ بِهَا وَآوَاوَا الْإِنِّ مَا قَبِلَ هَاءَهُ تَحْرُكٌ فَصَارَ بِمِثْلِهِ ضَرْبُهُ وَلَهُ فَكَمَا أَنَّ هَذَا مُشْعٍ عِنْدَ الْجَمْعِ كَذَلِكَ يَرْضَهُ وَمَنْهُمْ مَنْ حَرَّكَ هَاءَهُ وَلَمْ يَلْحَقْ الْوَاحِدُ الْإِنِّ الْأَصْلَ يَرْضَاهُ وَالْأَنفَ الْمُحْدَوْفَةَ لِلْجَزْمِ أَيْسَ يُلْزَمُ حَذْفُهَا فَكَانَتْ كَالْبَاقِيَةِ وَمَعَ بَقَاءِ الْآلِفِ لَا يَجُوزُ اثْبَاتُ الْوَاحِدِ كَذَا هُنَا (الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ) الشُّكْرُ حَالَةٌ مَرَكَبَةٌ مِنْ قَوْلٍ وَاعْتِقَادٍ وَعَمَلٍ (أَمَّا الْقَوْلُ) فَهُوَ الْإِقْرَارُ بِحُصُولِ النِّعَةِ (وَأَمَّا الْإِعْتِقَادُ) فَهُوَ الْإِعْتِقَادُ صَدُورِ النِّعَةِ مِنْ ذَلِكَ النِّعَمِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى قَالَ الْجَلْبَانِيُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا عَلَى فِعْلٍ غَيْرِهِ فَلَوْ فَعَلَ اللَّهُ كُفْرَهُمْ لِمَجَازٍ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهِ وَأَيْضًا لَا يَجُوزُ أَنْ يُعَذِّبَ الْإِنِّ إِلَّا بِذُنُوبِ الْإِنِّ بِخِلَافِ مَا يَقُولُ الْقَوْمُ وَاحْتِجُّ أَيْضًا مَنْ أَنْكَرَ وَجُوبَ صَرْبِ الدِّيَةِ عَلَى الْعَاقِلَةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ وَاعْلَمْنَا ذِكْرُنَا كَثِيرًا إِنَّهُمْ الْمَطَالِبُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ خَالِقَهُ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ وَأَنْ يَعْرِفَ مَا يُرْسِرُهُ وَمَا يَنْفَعُهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبِهِ أَنْ يَعْرِفَ أَحْوَالَهُ بِعَدَالَتٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ذِكْرُ الدَّلَائِلِ الْكَثِيرَةِ مِنَ الْعَالَمِ الْأَعْلَى وَالْعَالَمِ الْأَسْفَلِ عَلَى كَالِ قُسْرَةِ الْعَسَانِعِ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ ثُمَّ أَتَى بِإِبْرَاهِيمَ أَمْرَهُ بِالشُّكْرِ وَنَهَاهُ عَنِ الْكُفْرِ ثُمَّ بَيَّنَّ أَحْوَالَهُ بِعَدَالَتٍ بِقَوْلِهِ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ وَفِيهِ مَسَائِلُ (الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى) الْمَشَبَّهَةُ تَسْكُوبُ الْبَلْفُظَ إِلَى عَلَى أَنَّ الْعَالَمَ فِي جِهَةٍ وَقَدْ أَجَبْنَا عَنْهُ مَرَارًا (الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ) زَعَمَ الْقَوْمُ أَنَّ هَذِهِ الْأَرْوَاحَ كَانَتْ مَوْجُودَةً قَبْلَ الْأَجْسَادِ وَتَسْكُوبُ الْبَلْفُظَ الرُّجُوعَ الْمَوْجُودَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَفِي سَائِرِ الْآيَاتِ (الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ) دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى اثْبَاتِ الْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ ثُمَّ قَالَ فَيُنْذِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَهَذَا تَهْدِيدٌ لِلْعَصَايِ وَبِشَارَةٌ

الكمال مع الاضافة الى ضمير الراعي لانه يحذر ضرر الدنيا ويرجو خيرها فقط وامانة طمعة وما فيها من الاضرار للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب المجبى الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كانه قيل بل آمن هو قانت الخ افضل أم من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف (قل) بيان للحق وتنبئها على شرف العلم والعمل (هل يستوى الذين يعلمون) حقائق الاحوال فيعلمون بموجب علمهم كالتبائن المذكور (والذين لا يعلمون) أى ما ذكر أوشيا فيعلمون بعقضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام للتنبية على ان كون الاولين في اعلى معارج الخير وكون الآخرين في أقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه أى كما لا يستوى العاقلون والجاهلون لا يستوى الساتون والعاقلون وقوله تعالى (انما يذكر أولوالباب) كلام مستقل غير داخل

في الكلام المأمورية وأرد من جهة تعالى بعد الأمر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي إيمان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كافي قول من قال ﴿ ٢٣٦ ﴾ * عوجوا فمخى والنعمى دمنة الدار * ماذا تحبون

من نوى واختار أى انما يحفظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمنزل من ذلك وقرئ انما يذكر بالادغام (قل يا عبداي الذين آمنوا اتقوا ربكم) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكير بأولى الابواب ايذانا بانهم هم كما سيصرح به أى قل لهم قول هذا بينه وفيه اشهر بفاهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمورية فان نقل عين أمر الله ادخل في ايجاب الامثال به وقوله تعالى (للذين أحسنوا) تعليل للأمر أو اوجوب الامثال به وإيراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى للايدان بأنه من باب الاحسان وأنهما متلازمان وكذا الصبر كما مرفى قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم

للمطيع وقوله تعالى انه عليهم بذات الصدور كالملة لما سبق يعنى انه انما يمكنه أن ينشكم بأعمالكم لانه عالم بجميع المعلومات فيعلم ما في قلوبكم من الدواعي والصوارف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أفعالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم * قوله تعالى (واذا مس الانسان ضر دعار به متباليا ثم اذا خوله نعمة نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أندادا البضل عن سبيله قل تبع بكفرك قليلا لك من أصحاب النار امن هو فانت آناه الليل ساجدا وقائما تحذرا الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الالباب) واعلم ان الله تعالى لما بين فساد القول بالشرك و بين أن الله تعالى هو الذى يجب أن يعبد بين في هذه الآية ان طريقة هؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام متناقضة وذلك لانهم اذا قسمهم نوع من أنواع الضر لم يرجعوا في طلب دفعه الى الله واذا زال ذلك الضر عنهم رجعوا الى عبادة الاصنام ومعوم أنهم انما رجعوا الى الله تعالى عند حصول الضر لانه هو القادر على ازالة الخيرة ودفع الضر واذا عرفوا ان الامر كذلك في بعض الاحوال كان الواجب عليهم أن يعترفوا به في كل الاحوال فثبت ان طريقهم في هذا الباب متناقضة اما قوله تعالى واذا مس الانسان فليل المراد بالانسان اقوام معينون مثل عتبة بن ربيعة وغيره وقيل المراد به الكافر الذى تقدم ذكره لان الكلام يخرج على معهود تقدم وأما قوله ضر فيدخل فيه جميع المكروه سواء كان في جسمه أو في ماله أو أهله أو ولده لان اللفظ مطلق فلا معنى للتقييد ودعاه به أى استجار به وناداه ولم يؤمل في كشف الضر سواء فلذلك قال متباليا أى راجعا اليه وحده في ازالة ذلك الضر لان الانابة هى الرجوع ثم اذا خوله نعمة منه أى أعطاه قال صاحب الكشاف وفي حقيقته وجهان (أحدهما) جعله خائلا مال من قولهم هو خائل مال وخال ما اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتخول أصحابه بالوعضة (والثاني) جعله يتخول من خال يتخول اذا اختال واقتخر وفي المعنى قالت العرب * ان الغنى طويل النذل مياس * ثم قال تعالى نسي ما كان يدعوا اليه من قبل أى نسي ربه الذى كان يتضرع اليه ويتهل اليه وما معنى من كونه تعالى وما خلق الذكروا الانثى وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما عبدوه وقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقبل نسي الضر الذى كان يدعوا الله الى كشفه والمراد من قوله نسي أى ترك دعاءه كأنه لم يفرغ الى ربه ولو اراد به التسيان الحق في لما ذمه عليه ويحتمل أن يكون المراد انه نسي أن لا يفرغ وأن لا اله سواه فعاد الى اتخاذ الشركاء مع الله ثم قال تعالى وجعل لله أندادا البضل عن سبيله وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابن كثير وأبو عمر والبطل يفتح الياء والباقون ليضل بضم الياء على معنى ليضل غيره (المسئلة الثانية) المراد انه تعالى يعجب العقلاء من مناقضتهم عند هاتين الحالتين فعند الضر يعتقدون أنه لا مفرغ الى ما سواه وعند التمتع يهودون الى اتخاذ آلهة معه

يحسنون وفي قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى (في هذه الدنيا) * ومعلوم * متعلق بأحسنوا أى عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على

وجه الاخلاص وهو الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان بقوله عليه السلام ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك (حسنة) ٢٣٧ أي حسنة عظيمة لا يكتسبها غيرها وهي الجنة وقيل هو متعلق

ومعلوم أنه تعالى اذا كان انما يفرع اليه في حال الضر لاجل انه هو القادر على الخير والشر وهذا المعنى باق في حال الراحة والفراغ كان في تقرير حالهم في هذين الوقتين ما يوجب المناقضة وقلة العقل (المسئلة الثالثة) معنى قوله ليضل عن سبيله انه لا يقتصر في ذلك على أن يضل نفسه بل يدعو غيره اما بقوله الى أن يشاركه في ذلك فيزداد انما على الله واللام في قوله ليضل لام العاقبة كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ذكر الله تعالى عنهم هذا الفعل المتناقض هدهم فقال قل تمتع بكم فرك قليلا وليس المراد منه الامر بل الزجر وأن يعرف ذلك تمتعه في الدنيا ثم يكون مصيره الى النار ولما شرح الله تعالى صفات المشركين والضالين ثم تسكهم بغير الله تعالى أردف بشرح احوال المحقين الذين لا رجوع لهم الا الى الله ولا اعتداد لهم الا على فضل الله فقال آمن هو قانت آباء الليل ساجدا وقائما وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأنا فع وابن كثير وحزرة آمن مخففة الميم والباقون بالتشديد أما التخفيف ففقيه وجهان (الاول) أن الالف الالف الاستفهام داخله على من والجواب محذوف على تقدير كن ليس كذلك وقيل كان الذي جعل لله أندادا فما كنتي بما سبق ذكره (والثاني) أن يكون ألف نداء كأنه قيل يا من هو قانت أنت من أهل الجنة وأما التشديد فقال الغراء الاصل أم من فادغم الميم في الميم وعلى هذا القول هي أم التي في قولك أزيد أفضل أم عمرو (المسئلة الثانية) القانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الصبح لانه يدعوقائما عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال لا أعلم القنوت الا قراءة القرآن وطول القيام وتلا آمن هو قانت وعن ابن عباس القنوت طساعة الله لقوله كله قانتون أي مطيعون وعن قتادة آباء الليل ساعات الليل أوله ووسطه وآخره وفي هذه اللفظة تنبيه على فصل قيام الليل وانه أرجح من قيام النهار وبؤ كده وجوده (الاول) ان عبادة الليل استمر عن العيون فتكون ابعد عن الرياء (الثاني) ان الظلمة تمتع من الابصار ونوم الخلق يمنع من السماع فاذا اصار انقلب فارغ من الاشتغال بالاحوال الخارجية عاد الى المطلوب الاصيل وهو معرفة الله وخدمته (الثالث) ان الليل وقت انوم فتر كذا يكون أشق فيكون الثواب أكثر (الرابع) قوله تعالى اننا نشأه الليل هي أشد وما رأوه قديلا وقوله ساجدا حال وفري ساجد وقائم على أنه شبر والوار للجمع بين الصفتين واعلم ان هذه الآية دالة على اسرار عجيبة فأولها انه بدأ فيها بذكر العمل وختم بذكر التمسك اما العمل فكونه قائما ساجدا قائما وأما العلم فقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهذا يدل على ان كمال الانسان تصور في هذين المقصودين فاعمل هو البداية والعلم والمكاشفة هو النهاية (الفائدة الثانية) انه تعالى يريد على ان لا تفرغ باعمال الناس يحصل اذا كان انسان مواظبا على القنوت عبادة عن كون لرجل فاسا بما يجب عليه من الطاعات وذلك يدل على ان العمل انما يفيدها اذا واطب عليه الانسان وقوله ساجدا وقائما

بحسنة على أنه يسان
لمكانها أو حال من ضميرها
في الظرف فالمراد بها
حينئذ الصحة والعافية
(وأرض الله واسعة)
من تعسر عليه التوفر
على التقوى والاحسان
في وطنه فليها جرائ
حيث يتمكن فيه من ذلك
كما هو سنة الانبياء
والصالحين فإنه لا عذر له
في التفرط أصلا وقوله
تعالى (انما يوفى الصابرون)
الح ترغيب في التقوى
المأمور بها وإيثار
الصابرين على النقيض
للايدان بأنهم حائزون
لفضيلة الصبر كحيازتهم
لفضيلة الاحسان لما
أشير اليه من استلزام
التقوى لهما مع ما فيه
من زيادة حث على
المصابرة والمجاهدة في
تحمل مشاق المهاجرة
ومناعها أي انما يوفى
الذين صبروا على دينهم
وحافظوا على حدوده
ولم يفرطوا في مراعاة
حقوقه لما اعتداهم في
ذلك من قنوت الآلام
والإيذاء من جهتها
مهاجرة أهله ووفارقة

الاطوان (أجرهم) بمقابلة ما كابدوا من الصبر (بغير حساب) أي يبحث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رضي الله
صه حال لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف

وفي الحديث انه تنصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوتون بها أجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصيب عليهم الاجر صياحي ينجي أهل العافية في الدنيا ن ٢٣٨ * أجسادهم تفرض بالمقار يض مما يذهب به أهل

اشارة الى أصناف الاعمال وقوله يحذرا الآخرة ويرجو رحمة ربه اشارة الى ان الانسان عند الموافقة يتكشف له في الاول مقام القهرو هو قوله يحذرا الآخرة ثم بعده مقام الرحمة وهو قوله ويرجو رحمة ربه ثم يحصل أنواع المكاشفات وهو المراد بقوله هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (الفائدة الثالثة) انه قال في مقام الخوف يحذرا الآخرة فإضاف الحذر الى نفسه وفي مقام الرجاء أضافه الى نفسه وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل وأبقى بحضرة الله تعالى (المسئلة الثالثة) قبل المراد من قوله آمن هو فانت آباء الليل عثمان لانه كان يحبى الليل في ركعة واحدة ويقرا القرآن في ركعة واحدة والصحيح ان المراد منه كل من كان موصوفا بهذه الصفة فيدخل فيه عثمان وغيره لان الآية غير مقتصرة عليه (المسئلة الرابعة) لاشبهة في أن في الكلام حذفا والتقدير آمن هو فانت كثيره وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه لانه تعالى ذكر قبل هذه الآية الكافر وذكر بعدها قل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وتقدير الآية قل هل يستوى الذين يعلمون وهم الذين صفتهم انهم يقتون آباء ائيل سجدوا قياما والذين لا يعلمون وهم الذين وصفهم عند البلاء والخوف يوحدون وعند الراحة والفرغة يشركون فاذا قدرنا هذا التقدير ظهر المراد وانما وصف الله الكفار بأنهم لا يعلمون لانهم وان آباءهم الله آتة العلم الا أنهم أعرضوا عن تحصيل العلم فلهذا السبب جعلهم كأنهم ليسوا بأولى الابواب من حيث انهم لم ينتفعوا بعبادتهم وقلوبهم واما قوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهو تنبيه عظيم على فضيلة العلم وقد بالغنا في تقرير هذا المعنى في تفسير قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها قال صاحب الكشف أراد بالذين يعلمون الذين سبق ذكرهم وهم النابتون بالذين لا يعلمون الذين لا يأتون بهذا العمل كانه جعل القاتنين هم العلماء وهو تنبيه على أن من لم يعمل فهو غير عالم ثم قال وفيه ازدياء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويقتنون فيها ثم يقتنون بالدينافهم عند الله جهلة ثم قال تعالى انما يتذكر أولو الابواب يعني هذا التفاوت العظيم الحاصل بين العلماء والجهال لا يعرفه أيضا الأولو الابواب قيل لبعض العلماء انكم تتعاونون العلم أفضل من المال ثم نرى العلماء يحتجونه عند أبواب الملوك ولا ترى الملوك يحتجونه عند أبواب العلماء فأجاب العالم بأن هذا أيضا يدل على فضيلة العلم لان العلماء علموا ما في المال من المنافع فضلبوه والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه * قوله تعالى (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذي أحسنوا في هذا الدنيا حسنة وأرض الله واسعة انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله اعبد مخلصا لديني فأعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة الا ذلك هو الخاسران ألبين لهم من فوقهم ظليل من النار ومن تحتهم ظلال ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون

البلاء من الفضل (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أى من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما أمر به نفسه من الاخلاص في عبادة الله الذى هو عبارة عما أمر به المؤمنون من القوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كفوه وتهديد المايعة بما خاطب به المشركون (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) أى وأمرت بذلك لاجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لأن احراز قصب السبق في الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقديده بأعلة والاشعار بأن العبادة المذكورة كانت قضي الضرر بها لذاتها تقتضيد لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما في أردت لأن أقدم بدليل قوله تعالى وأمرت أن أكون أول من أسلم فإمعنى وأمرت

أن أكون أول من أسلم من أهل زمانى أو من قومي أو أكون أول من دعا غيره الى ما دعا اليه نفسه (قل انى * اعلم * أخاف ان عصيت ربي) بترك الاخلاص والميل الى ما ألتهم عليه من الشرك

(عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة وصف بالعظمة لعظمة ما فيه من الداهية والاهوال (قل الله أعبد) لأخيرة
لا استقلال ولا اشتراكا (مخلصه ديني) ٢٣٩ من كل شوب أمر عليه الصلاة والسلام أو لا بيان كونه

ما مورا به عباد الله تعالى
وإخلاص الدين له
ثم بالأخبار بخوفه
من العذاب على تقدير
العصيان ثم بالأخبار
بامتناله بالأمر على
أبلغ وجه وأكده
أظهار التصابي في الدين
وحسن الطباع
الفارغة وتهيبها
أتهديهم بقوله تعالى
(فاعبدوا ما شئتم)
أن تعبدوه (من دونه)
تعالى وفيه من الدلالة
على شدة الغضب عليهم
ما لا يخفى كأنهم لما
لم ينتموا عما نوهوا عنه
أمر وأباه كي يحصل
بهم العقاب (قل
إن الخاسرين) أي
الكاملين في الخسران
الذي هو عبارة عن
إضاعة ما بهمة وإتلاف
ما لا بد منه (الذين
خسروا أنفسهم
وأهلهم) باختيارهم
الكفر لهما أي
أضاعوهما وتلفوهما
(يوم القيامة) حين
يدخلون النار حيث
عرضوهما للعذاب
المرمى وأوقعهما

اعلم انه تعالى لما بين في المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم اتبعه بأن أمر رسوله بأن
يخاطب المؤمنين بأنواع من الكلام (النوع الاول) قوله قل يا عبادي الذين آمنوا
اتقوا ربكم والراد ان الله تعالى أمر المؤمنين بأن يعضموا الى الايمان التقوى وهذا من
أدل الدلائل على ان الايمان يبنى مع المصيبة قال القاضي أمرهم بالتقوى لكيلا يحبطوا
ايمانهم لان عند الاتقاء من الكبائر يسلم لهم الثواب وبالأقدام عليها يحبط فيقال لهذا
بأن يدل على ضد قولك أولى لانه لما أمر المؤمنين بالتقوى دل ذلك على انه يبقى مؤمنا
مع عدم التقوى وذلك يدل على أن النفس لا يزال الايمان واعلم انه تعالى لما أمر المؤمنين
بالاتقاء بين لهم ما في هذا الاتقاء من الفوائد فقال تعالى للذين أحسنوا في هذه الدنيا
حسنة فقول في هذه الدنيا يحتمل أن يكون صلة قوله أحسنوا أو حسنة فعلي التقدير
الاول معناه للذين أحسنوا في هذه الدنيا كلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة
والتكبير في قوله حسنة للتعظيم يعني حسنة لا يصل العقل الى كنهه كالألها (وأما على
التقدير الثاني) فعناه الذين أحسنوا فلهم في هذه الدنيا حسنة والقائلون بهذا القول
قالوا هذه الحسنة هي الصحة والعافية وأقول الاولى ان تحصل على الثلاث المذكورة في
قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ليس اهلها نهاية الأمن والصحة والكفاية ومن الناس من
قال القول الاول أولى ويدل عليه وجوه (الاول) ان التكبير في قوله حسنة يدل على
النهاية والجلالة والرفعة وذلك لا يليق بأحوال الدنيا فانها خسيسة ومنقطة وأما
يليق بأحوال الآخرة فانها شريفة وأمنة من الانقضاء والانقراض (والثاني) ان ثواب
الحسن بالوحد والاعمال الصالحة انما يحصل في الآخرة قال تعالى اليوم تجزي كل
نفس بما كسبت وأيضا فتعبد الدين من الصحة والأمن والكفاية حاصلة للكفار وأيضا
فحصلوها للكفار أكثر وأتم من حصولها للمؤمن كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن
المؤمن وجنة الكافر وقال تعالى لعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سققا من فضة
ومعارج عليها يظهرون (الثالث) ان قوله للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة يفيد الحصر
بمعنى انه يفيد أن حسنة هذه الدنيا لا تحصل الا للذين أحسنوا وهذا باطل اما لو حملناه هذه
الحسنة على حسنة الآخرة صح هذا الحصر فكان حمله على حسنة الآخرة أول ثم قال
الله تعالى وأرض الله واسعة وفيه قولان (الاول) المراد انه لا عذر البتة للمتصرين
في الاحسان حتى انهم ان اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وانهم لا يتمكنون فيها من التوفرة
على الاحسان وصرف الهمم اليه قل لهم فان أرض الله واسعة وبلادهم كثيرة فتحولوا من
هذه البلاد الى بلاد تقدر فيها على الاشتغال بالطاعات والعبادات واقتدوا بالانبياء
والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم
والمقصود منه الترغيب في الهجرة من مكة الى المدينة والصبر على مفارقة الوطن ونظيره
قوله تعالى قالوا فم كنتم قالوا كنتم من الضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة

في هلكة لاهلكة وراءها وقبل خسروا أهلهم لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم
وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا ياب بعده وفيه أن المحذور ذهاب مال أو آت لا تنفع به الخاسر وذلك
غير متصور في الشق الأخير وقيل خسروهم

لاهم لم يدخلوا مدخل الذين اهل في الجنة وخسروا اهلهم الذين كانوا يتبعون بهم او آمنوا واما ما كان قليلا
المراد مجرد تعريف التاملين في الخسران فاذا كان بيان أنهم ﴿ ٢٤٠ ﴾ اما يجعل الوصول عبارة عنهم

فهما يروا قولها (والقرول الثاني) قال ابو مسلم لا يتبع أن يكون المراد من الارض ارض
الجنة وذلك لانه تعالى أمر المؤمنين بالتقوى وهي خشية الله ثم بين أن من أتى ذلك في
الآخرة الجنة وهي الجنود في الجنة ثم بين أن أرض الله أي جنته واسعة لقوله تعالى
نزلوا من الجنة حيث نشاء وقوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض أعدت
للمقين (والقرول الاول) عندي أول لان قوله انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب
لا يليق الا بالاول وفي هذه الآية مسائل (المسئلة الاولى) اما تحقيق الكلام في ماهية الصبر
فقد ذكرناه في سورة البقرة والمراد ههنا بالصابرين الذين صبروا على مفارقة أوطانهم
وعشائرهم وعلى تجرع النقص واحتمال البلايا في طاعة الله تعالى (المسئلة الثانية)
تسمية المنافع وعد الله بها على اصبر بانجر ثوبهم ان العمل على الثواب لان الاجر هو
المستحق الا انه قامت الدلائل القاهرة على أن العمل ليس عليه الثواب فوجب حل لفظ
الاجر على كونه أجر بحسب الوعد لا بحسب الاستحقاق (المسئلة الثالثة) انه تعالى
وصف ذلك الاجر بأنه بغير حساب وفيه وجوه (الاول) قال الجبائي المعنى انهم يعطون
ما يستحقون ويزدادون تفضلا فهو بغير حساب واولم يعطوا الا المستحق لكان ذلك حسبا
قل القاضي هذا ايسر بصحيح لان الله تعالى وصف الاجر بأنه بغير حساب واولم يعطوا
الا الاجر المستحق والاجر غير الفضل (الثاني) ان الثواب له صفات ثلاثة (أحدها)
انها تكون دائمة الاجر لهم وقوله بغير حساب معناه بغير نهاية لان كل شيء دخل تحت
الحساب فهو متناه فالنهاية له كان خارجا عن الحساب (وثانيها) انها تكون منافع كاملة
في أنفسها وعقل المطيع ما كان يصل الى كنه ذلك الثواب قال صلى الله عليه وسلم ان في
الجنة ملاعين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكل ما يشاهدونه من أنواع
الثواب وجدوه أزيدا مما تصوروه وتوقعوه وما لا يتوقعه الانسان فقد يقال انه ليس في
حسابه فقوله بغير حساب محمول على هذا المعنى (والوجه الثالث) في التأويل ان ثواب
أهل البلاء لا يقدر بالميزان والمكيال روى صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيؤفون أجورهم بالموازين
ويؤتى بأهل الصدقة فيؤفون بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر
لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب
حتى يغنى أهل العافية في الدنيا ان أجسادهم تفرض بالمقاريض لما به أهل البلاء من
الفضل (النوع الثاني) من البيانات التي أمر الله رسوله أن يذكرها قوله تعالى قل اني
أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين قال مقاتل ان كفار قريش قالوا النبي صلى الله عليه وسلم
ما يحملك على هذا الدين الذي أتيتنا به المتنظر الى ملة أليك وجدك وسادات قومك
يعبدون الالات والعزى فأزل الله قل يا محمد اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأقول
ان التكليف نوعان (احدهما) الامر بالاحتراز عما لا يذني (والثاني) الامر بتحصيل

أو عما هم مندرجون
فيه اندراجا أو بيا وما
في قوله تعالى (الا ذلك
هو الخسران المبين)
من استثناف الجنة
وتصديدها بحرف
التبعية والاشارة بذلك
الى بعد منزلة الخسران
اليه في الشرو وتوسط
ضمير الفصل وتعريف
الخسران ووصفه
بالمبين من الدلالة على
كأن هولاء وقفا عنه
وأنه لا خسران وراءه
ما لا يخفى وقوله تعالى
(لهم من فوقهم ظلال
من النار) الخ نوع بيان
لخسرانهم بعد توبته
بطريق الإيهام على
أن لهم خسران ظلال
ومن فوقهم متعلق
بمحذوف قبل هو حال
من ظلال والظاهر أنه
حال من الضمير في الظرف
المقدم ومن انما صفة
الظلال أي لهم كاشفة
من فوقهم ظلال كثيرة
متراكبة بعضها فوق
بعض كاشفة من النار
(ومن تحتهم) أيضا
(ظلال) أي أطباق
كثيرة بعضها تحت

بعض ظلال لا تخرب بل لهم أيضا عند ترديهم في دركاتها (ذلك) العذاب الفظيع هو الذي ﴿ ما ينبغي ﴾
(يخوف الله به عباده) ويحذرهم اياه بآيات الوعيد ليحذروا ما يوقعهم فيه (يا عباد فاتقون) ولا تعرضوا لما يوجب
مخاطبة هذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والمرجة

ما ينبغي والمرتبة الاولى مقدمة على المرتبة الثانية بحسب الرتبة الواجبة اللازمة اذا ثبت
هذا فقول انه تعالى قدم الامر بازالة ما ينبغي فقال اتقوا ربكم لان التقوى هي
الاحترار عما لا ينبغي ثم ذكر عتبه الامر بتحصيل ما ينبغي فقال اني امرت ان اعبد الله
تخلصا له الدين وهذا يشتمل على تبيين (أحدهما) الامر بعبادة الله (والثاني) كون
تلك العبادة خالصة عن شوائب الشرك الجلي وشوائب الشرك الخفي وانما خص الله
تعالى الرسول بهذا الامر لانه على أن غيره بذلك أسحق فهو كاتزيب للغير وقوله تعالى
وأمرت لان اكون اول المسلمين لاشبهه في أن المراد اني اول من تسلك بالعبادات التي
أرسلت بها وفي هذه الآية فائدتان (الفائدة الاولى) كأنه يقول اني لست من الملوك
الجبارة الذين يأمرون الناس بأشياء وهم لا يفعلون ذلك بل كل ما أمرتكم به فانا
اول الناس شروعا فيه وأكثرهم مداومة عليه (الفائدة الثانية) انه قال اني أمرت أن
أعبد الله والعبادة لها ركنان عمل القلب وعمل الجوارح وعمل القلب أشرف من عمل
الجوارح فقدم ذكر الجزء الأشرف وهو قوله تعالى فاعبدوه الذين ثم ذكر عتبه الادوار وهو عمل
الجوارح وهو الاسلام فان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الاسلام في خبر جبريل عليه
السلام بالأعمال الظاهرة وهو المراد بقوله في هذه الآية وأمرت فان لا يكون
اول المسلمين وليس التامل أن يقول ما الفائدة في تكرير انظر أمرت لان لا تقول ذكر لفظ
أمرت أولا في عمل القلب وثانيا في عمل الجوارح ولا يكون هذا تكريرا (الفائدة
الثالثة) في قوله وأمرت لان اكون اول المسلمين النبي على كونه رسولا من عبادة الله
واجب الطاعة لان اول المسلمين في سرائع الله لا يمكن أن يكون الرسول الله لان أوله من
يعرف تلك السرائع والتكاليف هو الرسول المانع والمباين لله تعالى أمره بالانحلال
بالقلب وبالأعمال الخفية وكون الامر يحتمل الوجوب ويحتمل التخيير بين ذلك
الامر الوجوب فقال قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وفيه فوائد (الفائدة
الاولى) ان الله أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يجري هذا الكلام على نفسه وانما قصود
منه المبالغة في زجر العاصي لا مدح جلاله قدره وشرف نبوته اذا وجب أن
يكون خائفا حذرا عن المعاصي فغيره بذلك أولى (الفائدة الثانية) دلل الآية على ان
المرتبة على المعصية ليس حصول العقاب بل الخوف من العقاب وهذا يطابق قولنا ان
الله تعالى قد غفر عن المذنب والكبيرة فيكون الالتزام عند حصول المعصية هو الخوف
من العقاب لانفس حصول العقاب (الفائدة الثالثة) دلل هذه الآية على ان ظاهر
الامر للوجوب وذلك لانه قال في أول الآية اني أمرت أن أعبد الله ثم قال بعده قل اني
أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فيكون معنى هذا ان عصيان ترك الامر الذي تقدم
ذكره وذلك يقتضي أن يكون تارك الامر عاصيا والمعاصي يقترب بغير الخوف من
العقاب ولا معناه للوجوب الا ذلك (النوع الثالث) من الاشياء التي أمر الله رسوله أن

وقرى يا عبادي (والذين
اجتنبوا الطاغوت) أي
الباطل أقصى غاية الضغائن
فعلوت منه بنديم اللام
على العين بنى المبالغة في
المصدر كالرحوت
والعظمت ثم وصف به
المبالغة في المنع والمراد
به هو الشيطان (أن
يعبدوها) بدل الاشتغال
منه فان عبادة غير الله
تعالى عبادة للشيطان
اذ هو الآمر بها والمزين
لها (وأنا بوالى الله)
وأقبلوا اليه معرضين
عاصوا أقبالا كليا (لهم
البشرى) باشواب على
أسنة

بذكرها قوله قل الله أعبد مخلصا له ديني فان قيل ما معنى التكرير في قوله قل اني أمرت أن
 أعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله أعبد مخلصا له ديني قلنا هذا ليس بتكرير لان الاول
 اخبار بأنه مأمور من جهة الله بالآتيان بالعبادة والشأنى اخبار بأنه أمر بأن لا يعبد
 أحدا غير الله وذلك لان قوله أمرت أن أعبد الله لا يفيد الحصر وقوله تعالى قل الله
 أعبد يفيد الحصر يعنى الله أعبد ولا أعبد أحدا سواه والدليل عليه انه لما قال بعده
 قل الله أعبد قال بعده فاعبدوا ما شئتم من دونه ولا شبهة في أن قوله فاعبدوا ما شئتم
 من دونه ليس أمرا بل المراد منه الزجر كأنه يقول لما بلغ البيان في وجوب رعاية اتوحيد
 الى العناية القصوى فبعد ذلك أنتم أعرف بأنفسكم ثم بين تعالى كمال الزجر بقوله قل ان
 الخاسرين الذين خسروا أنفسهم اوفقوعها في هلاك لا يعقل هلاك أعظم منه وخسروا
 أهلهم أيضا لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا
 من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده البتة وقال ابن عباس ان لكل
 رجل منزلا وأهلا وخداما في الجنة فان أطاع أعطى ذلك وان كان من أهل النار حرم
 ذلك فخسر نفسه وأهله ومنزله وورثه غيره من المسلمين والخاسر المغبون ولما شرح الله
 خسرتهم وصف ذلك الخسران بغاية الفظاظة فقال ألا ذلك هو الخسران المبين كان
 التكرير لاجل التأكيد (الثاني) انه تعالى ذكر في أول هذه الكلمة حرف ألا وهو
 للتنبيه وذكر التنبيه في هذا الموضع يدل على التعظيم كأنه قيل انه بلغ في العظيمة الى
 حيث لا تنصل حقولكم اليها فتنبهوا لها (الثالث) ان كلمة هو في قوله هو الخسران المبين
 تفيد الحصر كأنه قيل كل خسران فانه بصير في مقابله كلا خسران (الرابع) وصفه
 بكونه مبينا يدل على انه هو بل وأقول قد بينا ان لفظ الآية يدل على كونه خسرانا مبينا
 فلتبين بحسب البسائط العقلية كونه خسرانا مبينا وأقول نفقر الى بيان أمرين
 الى بيان كونه خسرانا ثم الى بيان كونه مبينا (اما الاول) فتشترطه انه تعالى أعطى
 هذه الحياة وأعطى العقل وأعطى المكنة وكل ذلك رأس المال اما هذه الحياة فمادة صود
 منها أن يكتسب فيها الحياة الطيبة في الآخرة وأما العقل فانه عبارة عن العلوم البديهيّة
 وهذه العلوم هي رأس المال وانظر والفكر لا معنى له الا ترتيب علوم ليتوصل بذلك
 الترتيب الى تحصيل علوم كسبية فهناك العلوم البديهيّة المسماة بالعقل رأس المال
 وتركيبها على الوجوه المخصوصة يشبه تصرف الناجر في رأس المال وتركيبها على
 الوجوه بالبيع والشراء وحصول العلم بالنتيجة يشبه حصول الربح وأيضا حصول
 القدرة على الاعمال يشبه رأس المال واستعمال تلك القوة في تحصيل الاعمال البر والخير
 يشبه تصرف الناجر في رأس المال وحصول أعمال الخير والبر يشبه الربح اذا ثبت
 هذا فنقول ان من أعطاه الله الحياة والعقل والتكهن ثم انه لم يستفد منها لا معرفة الحق
 ولا عمل الخير البتة كان محروما عن الربح بالكلية واذا مات فقد ضاع رأس المال

الربل أو الملائكة عند
 حضور الموت وحين
 يحشرون وبعد ذلك
 (فبشر عبادي الذين
 يستمعون القول فيتبعون
 أحسنه) هم الموصوفون
 بالاجتناب والانتابة
 بأعبانهم لكن وضع
 موضع ضميرهم الظاهر
 تشير بفالهم بالاضافة
 ودلالة على أن مدار
 انصافهم بالوصفين
 الجليلين كونهم نقادا
 في الدين يميزون الحق
 من الباطل ويؤثرون
 الافضل فالافضل
 (أو انك) اشارة اليهم

بالكلية فكان ذلك خسرا نافع هذا بيان كونه خسرا نافع (واما الثاني) وهو بيان كون ذلك
الخسران مبينا فهو أن الميربح الزيادة ولكنه مع ذلك سلم من الآفات والضار فهذا
كالم يحصل له من يدفع لم يحصل له أيضا من يضر رأيا هو نفع الكفار فقد استعملوا عواهم
التي هي رأس مالهم في استخراج وجوه الشهوات وتقوية الجهالات والضلالات
واستعملوا قواهم وقدرهم في افعال الشر والباطل والفساد فهم قد جعوا بين أمور
في غاية الرداءة (أولها) أنهم اتبعوا أيدانهم وعقروا هم طبا في تلك العقائد الباطلة
والاعمال الفاسدة (وثانيها) أنهم عند الموت يضع غنهم رأس المال من غير فائدة
(وثالثها) أن تلك المنافع الشديدة التي كانت موجودة في الدنيا في نصرة تلك الضلالات
تصير أسبابا للتعوية الشديدة والبلاء العظيم بعد الموت وعند الوقوف على هذه المعاني
يظهر أنه لا يبقا خسرا أقوى من خسراهم ولا حرمان أعظم من حرمانهم ونعوذ بالله
منه ولما شرح الله تعالى أحوال حرمانهم عن الربح وبين كيفية خسراهم بين أنهم
لم يقصروا على الحرمان والخسران بل ضموا اليه استحقاق العذاب العظيم والعقاب
الشديد فقال لهم من فوقهم ظل من انار ومن تحتهم ظل والمراد احاطة النار بهم من
جميع الجوانب ونظيره في الاحوال النفسانية احاطة الجهل والحرمان والحرص وسائر
الاخلاق الذميمة بالانسان فان قيل الظل ماعلى الانسان فكيف سمي ما تحته بالظل
والجواب من وجوه (الاول) انه من باب اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر كقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها (الثاني) ان الذي يكون تحته يكون ظلة لانسان آخر تحته لان
النار دركات كما أن الجنة درجات (والثالث) أن الظلة النخيلية اذا كانت مشابهة
للظلة الفوقانية في الحرارة والاحراق والابناء أطلق اسم أحدهما على الآخر لاجل
المماثلة والمشابهة قال الحسن هم بين طبقتين من النار لا يدرون ما فوقهم أكثر مما تحتهم
ونظير هذه الآية قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقوله
تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ثم قال تعالى ذلك يخوف الله به عباده أي
ذلك الذي تقدم ذكره من وصف العذاب فقوله ذلك مبدءا وقوله يخوف الله به عباده
خبر وفي قوله يخوف الله به عباده قولان (الاول) التقدير ذلك العذاب المبدء للكفار هي
الذي يخوف الله به عباده أي المؤمنين لانا يينا أن لفظ العباد في القرآن مختص بأهل
الايان وانما كان تخويفا للمؤمنين لاجل أنهم اذا سمعوا ان حال الكفار ما تقدم خافوا
فأخلصوا في التوحيد والطاعة (الوجه الثاني) ان هذا الكلام في تقدير جواب عن
سؤال لانه يقال انه تعالى غنى عن العالمين معز عن الشهوة والانتقام وداعية الايذاء
فكيف يليق به أن يعذب هؤلاء المساكين الى هذا الحد العظيم وأجيب عنه بأن المقصود
منه تخويف الكفار والضللال عن الكفر والضللال فاذا كان التكليف لا يتم الا
بالتخويف والتخويف لا يكمل الا بتفادع به الا بدخال ذلك الشيء في الوجود وجب ادخال

باعتبار اتصافهم بما
ذكر من التعوت الجليلة
وما فيه من معنى البعد
الايدان بملو رتبهم
وبعد منزلتهم في الفضل
ومحله الرفع على الابتداء
خسره ما بعده من
الموصول أي أو تلك
الذموتون بالمحاسن
الجليلة (الذين هداهم
الله) للدين الحق
(وأولئك هم أولو
الاسباب) أي هم
أصحاب القول
السليمة من معارضة
الوهم ومنازعة الهوى
المستحقون للهداية

ذلك النوع من العذاب في الوجود تحصيلاً لذلك المطالب الذي هو التكليف (والوجه الأول) عندى أقرب والدليل عليه أنه قال بعده يا عباد فأتقون وقوله يا عباد لا تظهر منه أن المراد منه المؤمنون فكأنه قيل المقصود من شرح عذاب الكفار للمؤمنين تشويقهم المؤمنين بما يهبها المؤمنون بأنواع الخوف والخطر والتقوى * قوله تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون أصواتهم فيسمعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تتخذ من دارك منكن الذين اتقوا ربهم لهم غريب من حومها غريب مكية فبشر من تعبدوا إلا بهارون * الله لا يخلف الله الوعد) اعلم أن الله تعالى لا يذكر وعده عبدة الأسمان إلا بالوثان ذكره من اجتناب عبادتها واحترز عن الشرك ليكون التوعد مقرباً لما لا يبعد أبداً فيحصل كمال الترغيب والترهيب وفيه مسائل (المسألة الأولى) قال صاحب الكشف الطاغوت فعلت من الطغيان كالمذكور والرحوت الآن فيها قليلاً بتقديم اللام على العين وفي هذا اللفظ أنواع من المبالغة (أحدها) التسمية بالمصدر كان حين ذلك الشئ الطغيان (وثانيها) أن البناء بناء المبالغة فإن الرحوت الرحمة الواسعة والمذكور الماكسوط (وثالثها) ما ذكرنا من تقديم اللام على العين ومثل هذا إنما يصار إليه عند المبالغة (المسألة الثانية) اختلفوا في أن المراد من الطاغوت ههنا الشيطان أم الاوثان فقيل أنه الشيطان فان قيل انهم ما عبدوا الشيطان وإنما عبدوا الصنم قلنا الداعي إلى عبادة الصنم لا كان هو الشيطان كان الاقدام على عبادة الصنم عبادة للشيطان وقيل المراد بالطاغوت الصنم وسميت طواغيت على سبيل المجاز لانه لا فعل لها والطاغوت هم الذين يعبدونها الا انهم حصل الطغيان عند مشاهدتها والقرب منها وصفت بهذه الصفة اطلاقاً لاسم المسبب على السبب بحسب الظاهر وقيل كل ما يعبد ويطاع من دون الله فهو طاغوت ويقال في التواريخ ان الاصل في عبادة الأسمان ان القوم كانوا مشبهة اعتقدوا في الآله انه نور عظيم وفي الملائكة انها أنوار مختلفة في الصغر والكبر فوضعوا تماثيل وصوراً على وفق تلك الخيالات فكانوا يعبدون تلك التماثيل على اعتقاد انهم يعبدون الله والملائكة وأقول حاصل الكلام في قوله والذين اجتنبوا الطاغوت أى أعرضوا عن عبودية كل ما سوى الله قوله تعالى وأنابوا إلى الله أى رجعوا بالكليّة إلى الله ورأيت في السفر الخامس من التوراة ان الله تعالى قال لموسى يا موسى أجب الهك بكل قلبك وأقول مادام يبقى في القلب النفات إلى غير الله فهو ما أجاب الله بكل قلبه وإنما تحصل الإجابة بكل القلب اذا عرض القلب عن كل ما سوى الله من باب الطاعات فكيف يعرض عنها مع انه بالحس يشاهد الاسباب المفضية إلى المسببات في هذا العالم قلنا ليس المراد من اعراض القلب عنها أن يقضى عليها بالعدم فان ذلك دخول في السفسطة وهو باطل بل المراد ان

لاغيرهم وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تتخذ من في النار) بيان لاحوال أمجاد المذكورين على طريقة الاجال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعو خيالاتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لا يابس لاملاً أن يجمعهم منك ومن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى لمن تبعك

يعرف أن واجب الوجود لذاته واحد وان كل ما سواه فانه ممكن الوجود لذاته وكل ما كان
ممكنا لذاته فانه لا يوجد الا بتكوين الواجب وايضا فانه سبحانه وتعالى جعل تكوينه
للأشياء على قسمين منها ما يكون بغير واسطة وهي عالم السموات والارض حائيات ومنها ما يكون
بواسطة وهو عالم العناصر والعالم الاسفل فاذا عرفت الاشياء على هذا الوجد عرفت أن
الكل لله ومن الله وبالله وأنه لا مدبر الا هو ولا مؤثر غيره وجب ان يتدغم نظره عن هذه
الممكنات ويبقى مشغول القلب بالمؤثر الاول والوجد الاول فانه ان كان قد وضع الاسباب
الروحانية والجسمانية بحيث يناسب الى هذا المطلوب فهذا الشيء يحصل وان كان قد وضع
بشيء لا يقتضي الى حصول هذا الشيء لم يحصل وهذا الطريق يتدغم نظره عن الكل
ولا يبقى في قلبه الشك الى الشيء الا ان الوجود الاول وقد اتفق اني كنت أسمع بعض
الصبيان في حفظ العرض والمثل فعارضني وقال لا يجوز الاعتماد على الجند والجهل بل يجب
الاعتماد على قضاء الله وقدره فقلت هذه كلمة حقة سمعتها ولكنها ما عرفت معناها وذلك
لانه لا شبهة ان الكل من الله تعالى الا انه سبحانه تدبر الاشياء على قسمين منها ما جعل حدوثه
وحصوله معلوما باسباب معلومة ومنها ما يحدثه من غير واسطة هذه الاسباب (أما القسم
الاول) فهو حوادث هذا العالم الاسفل (وأما القسم الثاني) فهو حوادث هذا العالم الاعلى
واذا ثبت هذا فنقول من طلب حوادث هذا العالم الاسفل لامن الاسباب التي عينها
الله تعالى لها كان هذا الشخص منازعا لله في حكمته مخافا في تدبيره فان الله تعالى
حكم بحدوث هذه الاشياء بناء على تلك الاسباب المعينة المعلومة وأنت تريد تحصيلها
لامن تلك الاسباب فهذا هو الكلام في تحقيق الاعراض عن غير الله والاقبال
بالكلية على الله تعالى فقوله تعالى والنين اجنبوا الطاغوت اشارة الى الاعراض عن
غير الله وقوله تعالى وأنابوا الى الله اشارة الى الاقبال بالكلية على عبادة الله ثم انه تعالى
وعد هؤلاء بأشياء (أحدها) قوله تعالى لهم البشرى واعلم ان هذه الكلمة تتعلق
بجهات (أحدها) ان هذه البشارة متى تحصل فنقول انها تحصل عند القرب من الموت
وعند الوضع في القبر وعند الخروج من القبر وعند الوقوف في عرصة القيامة وعند
ما يصير فريق في الجنة وفريق في السعير وعند ما يدخل المؤمنون الجنة في كل موقف
من هذه المواقف تحصل البشارة بنوع من الخير والروح والراحة والرحمان (وثانيها)
ان هذه البشارة فيم اذا تحصل فنقول ان هذه البشارة تحصل بزوال المكروهات
وبحصول المرادات اما زوال المكروهات فقوله تعالى أن لا تخافوا ولا تحزنوا وال خوف
انما يكون من المستقبل والحزن انما يكون بسبب الاحوال الماضية فنقله ان لا تخافوا
يعني لا تخافوا فيما تستقبلونه من احوال القيامة ولا تحزنوا بسبب ما فاتكم من خبرات
الدنيا ولما أزال الله عنهم هذه المكروهات بشرهم بحصول الخيرات والسعادات فقال
وأبشروا بالجنة وقال أيضا في آية أخرى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم

منهم لا ملان جهنم
منكم أجمعين وأصل
الكلام أمن حق عليه
كلمة العذاب فانت تنفذه
على أنها شرطية دخل
عليها الهزيمة لانكار
مضمونها ثم الغاء
لعطفها على جملة
مستبعدة لها مفردة
بعد الهزيمة ايتعلق
الانكار والتنفذ
بمضمونها معا أي
أنت مالك أمر الناس
فن حق عليه كلمة
العذاب فانت تنفذه
ثم كررت الهزيمة
في الجزاء لا كيد
الانكار وتذكيره
لما مل الكلام ثم وضع
موضع الضمير من في النار

الفاعل فهو الله سبحانه وهو المراد من قوله أولئك الذين هداهم الله وأما القابل فالبه
 الإشارة بقوله وأولئك هم أولو الألباب فان الإنسان ما لم يكن عاقلاً كاملاً انهم امتنع
 حصول هذه المعارف الحقيقية في قلبه وانما قلنا ان الفاعل لهذه الهداية هو الله وذلك
 لان جوهر النفس مع ما فيها من نور العقل قابل للاعتقاد الحق والاعتقاد الباطل وإذا
 كان الشيء قابلاً للتدبرين كانت نسبة ذلك القابل اليهما على السوية ومتى كان الامر
 كذلك امتنع كون ذلك القابل سبباً لبحان أحد الطرفين ألا ترى أن الجسم لما كان قابلاً
 للحركة والسكون على السوية امتنع أن تصير ذات الجسم سبباً لبحان أحد الطرفين على
 الآخر فان قالوا لا نقول ان ذات النفس والعقل يوجب هذا البحان بل نقول انه يريد
 تحصيل أحد الطرفين فتصير تلك الإرادة سبباً لتلك البحان فنقول هذا باطل لان ذات
 النفس كما انها قابلة لهذه الإرادة فكذلك ذات العقل قابلة لإرادة مضادة لتلك الإرادة فيمتنع
 كون جوهر النفس سبباً لتلك الإرادة فثبت ان حصول الهداية لا بد لها من فاعل ومن
 قابل (أما الفاعل) فيمتنع أن يكون هو النفس بل الفاعل هو الله تعالى (وأما القابل)
 فهو جوهر النفس فلهمنا السبب قال أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
 ثم قال أفن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تتخذ من في النار وفيه مسائل (المسألة الأولى)
 في نطق الآية سؤال وهو انه يقال انه قال أفن حق عليه كلمة العذاب ولا يصح في الكلام
 العربي أن يدخل حروف الاستفهام على الاسم وعلى الخبر معاً فلا يقال أريد أن يقتله بل
 ههنا شيء آخر وهو انه كما دخل حرف الاستفهام على الشرط وعلى الجزاء فكذلك دخل
 حرف النفي على ما عار هو قوله أفن حق أفأنت تتخذ ولاجل هذا السؤال اختلف النحويون
 وذكروا فيه وجوهاً (القول) قال الكسائي الآية جملتان والتقدير أفن حق عليه كلمة
 العذاب أفأنت تحميد أفأنت تتخذ من في النار (الثاني) قال صاحب الكشاف أصل
 الكلام أفن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تتخذ وهي جملة شرطية دخل عليها همزة
 الإنكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محذوف يدل عليه
 الخطاب والتقدير أفأنت مالك أمرهم فن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تتخذ والهمزة
 الثانية هي الأولى كررت لتوكيد معنى الإنكار والاعتقاد ووضع من في النار موضع
 الضمير والآية على هذا جملة واحدة (الثالث) لا يبعد أن يقال ان حرف الاستفهام
 اندورده هنا لأفادة معنى الإنكار ولما كان استنكاره هذا المعنى كاملاً تاماً لا جرم ذكر
 هذا الحرف في الشرط وأما في الجزاء تنبيهها على المبالغة التامة في ذلك الإنكار
 (المسألة الثانية) احتج الأصحاب بهذه الآية في مسألة الهدى والضلال وذلك لانه
 تعالى قال أفن حق عليه كلمة العذاب فإذا حقت كلمة العذاب عليه امتنع منه
 فعل الإيمان والطاعة والالزام انقلاب خبر الله الصدق ككذباً وانقلاب علمه
 جهلاً وهو محال (والوجه الثاني) في الاستدلال بالآية انه تعالى حكم بأن

وهم المخاطبون أيضاً في
 سبق بقوله تعالى يا عبادي
 الذين آمنوا اتقوا ربكم
 الآية وبين أن لها
 درجات عالية في جنات
 النعيم بمقابلة ما بالكفرة
 من درجات سافلة في الجحيم
 أي لهم تدليل بعضها
 فوق بعض (مبنية) بناء
 المنازل المبنية المؤسسة
 على الأرض في الرصانة
 والاحكام (تجري من
 تحتها) من تحت تلك
 الفرق (الأنهار) من
 غير تفاوت بين العلو
 والسفل (وعند الله)
 مصدر مؤكداً قوله تعالى
 لهم نعرف الح فانه وعدوا
 أي وعد (لا يخاف الله
 الميعاد) لاستحالة عليه
 سبحانه

(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً) استئناف وإردافاً لتمثيل الحياة الدنيا في سعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من أحوال الزرع ترغيباً عن زخارفها وزينتها وتحذيراً من الاعتزاز بزهرتها كما في إضمار قوله تعالى إنما مثل الحياة

الدنيا الآية أو للاستعانة

على صحة الموعود من

الاسهار الجار بمن تحت

العرف بما شاهد من

انزال الماء من السماء وما

يزرب عليه من آثار

قدرته تعالى واحكام

حكيمته ورحمته والمراد

بالماء المطر وقيل كل ماء

في الارض فهو من

السماء ينزل منها الى

الصخرة ثم يقسمه الله

تعالى بين البقاع (فسلطه)

فأدخله وأظلمه) يتابع

في الارض) أي عيونا

ومجاري كالعرف في

الاجساد وقيل مياهها

تألف فيها فان البقوع

يطلق على المشيم والنابع

فانصبها على الحال وعلى

الاول ينزع الجار أي

في يتابع (ثم يخرج به

زراً مختلفاً ألوانه)

أصنافه من يرشع وغير

هذا وكيفية من الألوان

والظنوم وغيرهما وكلمة

ثم تأتي في الرتبة

أو الزمان وصيغة الضارع

لأنه قد صار الصورة (ثم

يخرج) أي يتم حقائقه

ولا يعرف على أنه أن

نوعاً من نباته (فقرأه

مصحفاً) من بعد ٣٢ سا

خضرته ونضرتة وفري مصغساراً (ثم يجمعه حطاماً) فثباته كسمرة

حقبة كلمة العذاب توجب الاستنكار التام من صدور الايمان والطاعة منه ولو كان ذلك ممكناً ولم تكن حقبة كلمة العذاب مانعة منه لم يبق لهذا الاستنكار والاستبعاد معنى (المسئلة الثالثة) احتج القاضى بهذه الآية على ان انبي صلى الله عليه وسلم لا يثبتم لاهل الكبرياء قال لانه حق عليهم العذاب فلات السقاة تكون جارية بحرى انقاذهم من النار وان الله تعالى حكم عليهم بالانكار والاستبعاد في قوله لانهم ان أهل الكبرياء قد حق عليهم العذاب وكيف يحق العقاب عليهم مع ان الله تعالى قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومع قوله ان الله يغفر الذنوب جميعاً والله أعلم (النوع الثاني) من الاشياء التي وعدها الله هولاء الذين اجتنبوا ما يحرم الله والذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية وهذا كالتقابل لما ذكر في وصف الكفار أنهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل فان قيل ما معنى قوله مبنية فلتلان المنزل اذ ان على منزل آخر تحت كان القوقى أضعف بناء من القوقى قوله مبنية معناه انه وإن كان فوق غيره لكنه في القوة والشدة مساو للمنزل الاسفل والحاصل ان المنزل القوقى والقوقى حصل في كل واحد منهما فضيلة ومتقصة أما القوقى فضيلته العلو والارتفاع ونقصانه الرخاوة والسخافة وأما القوقى فبالضد منه اما منازل الجنة فانها تكون مستجمعة لكل الفضائل وهي عالية مرتفعة وتكون في غاية القوة والشدة وقال حكماء الاسلام هذه الغرف المبنية بعضها فوق البعض مثله من الاحوال النفسانية العلوم الكسبية فان بعضها يكون مبنياً على البعض والنتائج الآخرة التي هي عبارة عن معرفة ذات الله وصفاته تكون في غاية القوة بل تكون في القوة والشدة كالعلوم الاصلية البديعية ثم قال تجرى من تحتها الانهار وذلك معلوم ثم ختم الكلام فقال وعد الله لا يخلف الله الميعاد فقوله وعد الله مصدره مؤكداً لان قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك وفي الآية دققة سر يفقه هي انه تعالى في كثير من آيات او وعد صرح بأن هذا وعد الله وأنه لا يخلف وعده وما يرد في آيات الوعد البتة بل هذا التأكيد والتثنية وذلك يدل على أن جانب الوعد أرجح من جانب الوعيد بخلاف ما يقوله المتزلة فأروا ليس الله قال في جانب الوعيد ما يدل القول لدى وما تأبى لظلام العبيد بقوله ما يدل القول لدى ليس تصرح بجانب الوعيد بل هو كلام عام يتناول القسمين أعني المؤمنين والوعيد فثبت ان الترجيح الذي ذكرناه حق والله أعلم بقوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً) يتابع في الارض ثم يخرج به زراً مختلفاً ألوانه ثم يخرج فقرأه مصغساراً ثم يجمعه حطاماً في ذلك ان ذكر في الاولى (الالباب) اعلم انه تعالى لما بين في الآخرة بصفات توجب الرتبة العنيفة لاولى الابواب فيها ووصف الدنيا بصفة توجب اشتداد الفرق بينها وذلك انه تعالى بين انه أنزل من السماء ماء وهو المطر وقيل كل ما كان في الارض فهو من السماء ثم انه تعالى ينزله الى بعض المواضع ثم يقسمه فيسلكه يتابع في الارض أي فيدخله ويأخذ

كأن لم يغفر بالامس ولكن هذه

القول الخالصة عن
شوايب الخليل وتبيينها
لهم على حقيقة الحال
يتذكرون بذلك أن حال
الحياة الدنيا سرقة
الذهبي والانهزام
كما شاهدونه من حال
الخطام كل عام فلا
يعتدون بها
ولا يفتخرون بها
يجزمون أن من قدر على
ازوال المساء من العناء
واجراؤه في شايح الارض
قادر على اجراء الانهار
من تحت اعرف هذا
وأما ما قيل ان في ذلك
التذكير او تنبيه على أنه
لا بد من صنائع حكيم
وأنه كان من تقدير
وتدبير الخالق تعالى
واحصل من هذا
تفسير الآية الكريمة
وأنما يبين ذلك بالوجه
ما ذكر من الآثار والبراهين
والأفعال الخفية من غير
استناد إليها إلى مؤثرها
فبحث ما ذكرته مسندة
إلى الله عز وجل تعالى
أن يكون متعلقا بالتذكير
والتنبيه شؤنه تعالى
أوشون آثاره حمدي
بين الوجوده تعالى

يتابع في الارض عبونا ومسالك ومجاري كالعروق في الاجسام ثم يخرج به زرع مختلفا
أوانه من خضرة ووجرة وصفرة وبياض وغير ذلك أو مختلفا أصنافه من بر وشعر وسهم
ثم يخرج ذلك لانه اذا تم حقاؤه جازاه أن يفصل عن منابته وان لم تفرق أجزاؤه فذلك
الاجزاء كأنها اجزاء لان تفرق ثم يصير حطاما لانه ان في ذلك لذكرى يعني ان من
شاهد هذه الاحوال في النبات علم أن أحوال الحيوان والانسان كذلك وأنه وان طال
عمره فلا بد له من الانتهاء إلى أن يصير مصفرا اللون منهطما الاعضاء والاجزاء ثم تكون
عاقبة الموت اذا كانت مشاهدة هذه الاحوال في النبات تذكر حصول مثل هذه
الاحوال في نفسه وفي حياته فحينئذ تظم نفقته في الدنيا وطيباتها والحاصل انه تعالى في
الآيات المذكورة ذكر ما يقوى الرغبة في الآخرة وذكر في هذه الآية ما يقوى النفرة
عن الدنيا وشرح صفات الشهامة يقوى الرغبة في طاعة الله وشرح صفات الدنيا يقوى
النفرة عن الدنيا وانما قدم الترغيب في الآخرة على التنفير عن الدنيا لان الترغيب في
الآخرة مقصود بالذات والتنفير عن الدنيا مقصود بالعرض والمقصود بالذات مقدم
على المقصود بالعرض فهذه اتمام الكلام في تفسير الآية بقى ههنا ما يتعلق بالبحث عن
الانفساط قال الواحدى والنساجم جمع ينبوع وهو يقول من نبع ينبوع يقال ينبوع
المانع وينبع وينبع ثلاث امات ذكرها الكسائي والقراء وقوله ينبوع فصب
يغطف الخافض لان التقدير فسلكه في سابع ثم يجمع أي يخضر والخطام ما يخفف ويفت
ويكسر من الذب لقوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ذليل
ذليل سبعة واربعة من ذكر الله أولئك في ضلال مبين الله عز وجل أحسن الحديث كتابا تشابهها
مجان تقشع من جلود الذين يمشون نارهم ثم تدين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى
الله يهدي من يشاء ومن غفل عن الله فاستأمن من هذا أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم
القيامة قبل ان يذوق ذوقها كما كنتم تكذبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون بأذنه الله الحار في الحياة الدنيا والعذاب الآخرة أكبر لو كانوا
يعلمون وقوله عز وجل أفمن يتلقى من كتابنا القرآن من كل مثلي أتاه زينة كرون قرآنه ريسا غير
ذى عوج لا يسمي سمع قوله (وقد مسائل) (المسألة الاولى) اعلم انه تعالى لما بالغ في تقرير
انبياءات الساقية على وجوب الاقبال على طاعة الله تعالى ووجوب الاعراض عن الدنيا
بين بعد ذلك أن استلزام برهانا لبيان لا يحل الا اذا شرح الله الصدور ونور القلوب
فقال أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه واعلم اننا لنعاني سورة الانعام في
تفسير قوله عز وجل ان يرد الله أن يهدي من يشاء شرح صدره للاسلام في تفسير شرح الصدور وفي تفسير
الهداية ولا بأس بإعادة الكلام قليل ههنا في قوله تعالى خلق جواهر النفوس مختلفة
بالمناهي فجمعها خيرة نورانية شريفة مائلة إلى الارباب عظمية الرغبة في الاتصال
بالروحانيات وبعدها بالذات كدرة خبيثة مائلة إلى الجسمانيات وهذا التفاضل أمر

الآليات وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكبير الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع الروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشرحه مستدع (٢٥١) لا تسامح القلب واستضائه بنور سانه روي

قال اذا دخل النور
الذي انشرحه وانفسح
القلب فاعلام ذلك قال
عبد الصلوة والصلوة
الطاهرة الى دار الخلود
وايمان من دار الغرور
والآداب لموت قبل
زواله والكلام في العبرة
والله كالمدي مر في قوله
تعالى انفس حق عليه
كله المذاب وخبر من
مخاوف الملافة ما بعده
عليه والتهدير لكل الناس
سواء من شرح الله صدره
أى تقدم منشرح الصدر
منع للاسلام فبقى على
القطرة الاصلية ولم
يغير العوارض المكتسبة
اقادحة فيها (فهو)
يجب ذلك منشرح
(على نور) عظيم (من)
ربه) وهو اللطيف
الالهى الفاضل عليه
عند مشاهدة الآيات
التكوينية والتزيينية
والنوفيق للاهتمام بها
الى الحق كن قسا قلبه
وخرج صدره بسبب
تبديل فطرة الله بسوء
اختياره واستولى عليه
ظلمات الخي والضلالة
فأعرض عن تلك الآيات

حاصل في جواهر النفوس البشرية والاستعدادات على ان الامر كذلك اذا عرفت هذا
فبقول المراد بشرح الصدر هو ذلك الاستعداد الذي هو نور في فطرة النفس واذا
كان ذلك الاستعداد الشديد حاصل في خروجه تلك الفطرة البشرية الى الفعل بأدنى
سبب مثل الكبريت الذي ينشأ بأدنى نار أما اذا قامت النفس بعبد من قبول هذه
الجلائل القدسية والاحوال الربوبية بل كانت مستعدة في ذاتها لاستقبال ذلك البلاء النازل
عن الاحوال المناسبة للايمان فكانت قابلية كثيرة الحساب وكلما كان ايراد الدلائل
التي تزيده والبراهين الباهرة على كبر كائنات قسوة الخلق كلما كان ايراد هذه التائدية
فتقول اما شرح الصدر وما ذكرنا وأما النور والهداية من ايراد التائدية في شرح
يحصل شرح الصدر أولاً يحصل النور لما اذا كانت القاسية هو القوة الدافعة
لم يحصل الانشراح البتة لشماع الدلائل والبراهين انشراح القلب الى الله تعالى
والشدة النفرة بهذه أصول فبقية يجب أن يكون معلومة عند الناس من جهة الله
الوقوف على معاني هذه الآيات أما الاستدلال استدلنا في مسئلة الجبر والحر وكلام
الخدسوم عليه فقد تقدم هناك والله أعلم (المسئلة الثانية) من شرح الطبر كافي قوله
أمن هو قاتل والتقدير ائني شرح الله صدره للاسلام فبقية كفى طبع على قلبه فلم يهتد
لقسوته والجواب متر ولة لان الكلام المذكور بل عليه وهو قوله تعالى فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله (المسئلة الثالثة) قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله فينبغي
وهو ان ذكر الله سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمئنان كما قل الأبد ذكر الله
تطعن القلوب فكيف جعل في هذه الآية سبباً لحصول قسوة القلب والجواب ان يقول
ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة الغنصر بعيدة عن مناسبة الى وحائيات شديدة
الميل الى الطبائع البهيمية والاخلاق الذميمة فان سمانها بالذكر الله يزيد قسوة وكدورة
وتقر بهذا الكلام بالامثلة فان الفاعل الواحد يختلف أفعاله بحسب اختلاف القوابل
كنور الشمس يسود وجه التصار ويبيض ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع وتجمد الملح وفرد
نرى انساناً واحداً يذكر كلاماً واحداً في مجلس واحد فيستهطيه واحد ويستكرهه غيره
وما ذاك الا ما ذكرناه من اختلاف جواهر النفوس ومن اختلاف أحوال تلك النفوس
ولما نزل قوله تعالى واقد خلقنا الانسان من سلاله من طين وكان قد حضر هناك عمر بن
الخطاب وانسان آخر فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى ثم انشأناه
خلقاً آخر قال كل واحد منهم فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكتب فهكذا أنزلت فازداد عمر ايمانا على ايمان وازداد ذلك الانسان كفراً على كفر
اذا عرفت هذا لم يعد أيضاً أن يكون ذكر الله يوجب النور والهداية والاطمئنان في
النفوس الفاسدة الروحانية ويوجب القسوة والبعد عن الحق في النفوس الخبيثة
الشیطانية اذا عرفت هذا فنقول ان رأس الادوية التي تفيد الصحة الروحانية ورثتها

بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يغتمها (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أى من أجل ذكره الذي حقق
أن تشرح حاله الصدر .

وإنما قيل في ذلك قوله (أولئك) الجداء هو ٢٥٧ في الموضع وفون بما ذكر من قسوة القلوب
وإنما قيل في ذلك قوله (أولئك) الجداء هو ٢٥٧ في الموضع وفون بما ذكر من قسوة القلوب

هو ذكر الله تعالى فأنما اتفق بعض النفوس أن يسار ذكر الله تعالى حيا لا زباد من صحتها
كانت من جنس نفس من جنس نفس زواله ولا يوقم علاجها وكانت في نهاية الأمر
والرداءة وهذا الذي قال تعالى فويل للذين أساءوا صلاتهم عن ذكر الله أولئك في ضلال مبين
وهذا الذي قلنا في كتابنا في بيان ذلك أردنا أن يدل على أن القرآن سبب حصول
التور والذلة والاهمال وزيادة الظلمة والمقصود منه بيان أن القرآن لما كان
موصوفا بهذه الصفات ثم إنه في ذلك الإنسان صاير سبب زيادة قسوة قلبه على أن
يجوز من تلك النفس قد بلغ في الرداءة والفساد أن أقدم الغايات فيقول الله تعالى ووصف
القرآن بأشواط من صفات الكمال (المسألة الأولى) قوله تعالى الله زل أحسن الحديث
وفيه مسائل (المسألة الأولى) القائلون بتعدد القرآن احتجوا بهذه الآية من وجوه
(الأول) أنه تعالى وصفه بكونه حديثا في هذه الآيات وفي آيات أخرى منها قوله تعالى
فلما أتوا حديث مائة ومنها قوله تعالى أفبهذا الحديث أتم مدحون والحديث لا يدوان
يكون حادثا فالوابل الحديث أقوى في الاستدلال على الحديث من الحادث لأنه يصح أن يقال
هذا حديث وليس عتيق وهذا عتيق وليس بحديث ولا يصح أن يقال هذا عتيق وليس
بحادث فثبت أن الحديث هو الذي يكون قريب العهد بالحديث وحتى الحديث حديثا
لأنه مؤلف من الحروف والكلمات وتلك الحروف والكلمات تحدث حالا فحالا وساعة
فساعة فهذا تمام تقرير هذا الوجه (أما الوجه الثاني) في بيان استدلال القوم أن قالوا
أنه تعالى وصفه بأنه نزله والمنزل يكون في محل تصرف الغير وما يكون كذلك فهو محدث
وحادث (وأما الوجه الثالث) في بيان استدلال القوم أن قالوا أن قوله أحسن الحديث
يقتضي أن يكون هو من جنس سائر الأحاديث كما أن قوله زيد أفضل الأخوة يقتضي أن
يكون زيد مشاركا لأولئك الأقوام في صفة الأخوة ويكون من جنسهم فثبت أن القرآن
من جنس سائر الأحاديث ولما كان سائر الأحاديث حادثة وجب أيضا أن يكون القرآن
حادثا (أما الوجه الرابع) في الاستدلال أن قالوا أنه تعالى وصفه بكونه كتابا والكتاب
مشتق من الكتابة وهي الاجتماع وهذا يدل على أنه مجموع عجايب ومحل تصرف متصرف
وذلك يدل على كونه محدثا (وأجواب) أن نقول نحمل هذا الدليل على الكلام المؤلف من
الحروف والأصوات والألفاظ والعبارات وذلك الكلام عندنا محدث مخلوق والله أعلم
(المسألة الثانية) كون القرآن أحسن الحديث أما أن يكون أحسن الحديث بحسب
لفظه أو بحسب معناه (القسم الأول) أن يكون أحسن الحديث بحسب لفظه وذلك من
وجهين (الأول) أن يكون ذلك الحسن لأجل الفصاحة والجزالة (الثاني) أن يكون
بحسب النظم في الأسلوب وذلك لأن القرآن ليس من جنس الشعر ولا من جنس الخطب
ولا من جنس الرسائل بل هو نوع يخالف الكل مع أن كل ذي طبع سليم يستطيه ويستلذه
(القسم الثاني) أن يكون كونه أحسن الحديث لأجل المعنى وفيه وجوه (الأول) أنه

أولاً فإن مسامحة محبي الحال من التكرار المضاف اتفاقاً ووقوعه حالاً مع كونه لا تصفاً لا انصافه كتاب
بقوله تعالى (متشابهها) أولئك في قوة مكتوبا

ومعنى صكونه فتشابهها تشابه معانيه في الصحة والاحكام والابتناء على الحق وانصدق واستنباع منافع الخلق في المعاد والمعيش وتناسب أفعاله في التدسية ٢٥٣

كتاب منزه عن التناقض كقول تعالى يا ابراهيم من عند ربك انزلنا عليك الكتاب بالحق واخبرناك انك انت الانبياء كبريا ومثل هذا الكتاب اذا خلت من ان افق كل ذلك من التبركات في قوله تعالى (الاول والثاني) اشتد على السوابب الكثيرين في الثاني وانفسه (الاول والثاني) ان الاول موجود في قوله فيه كثيرة جدا ومنه ما لا يحصى في قوله الاول انما هو في قوله هو ما ذكرنا في قوله والمؤمنون كل آمن بالله ربنا واليوم الآخر ويؤمن بالله ويؤمن بالله ويؤمن بالله ويؤمن بالله وأطاعت أمرنا ربنا واليوم الآخر في قوله أحسن من غيره في قوله (أما القسم الاول) وهو الايمان بالله فاعلم ان القسمين على سبب ان القسمين في الصفات والافعال والاحكام والاعضاء أما معرفة الذات فهي ان يعلم وجود الله وعدمه وبقائه وأما معرفة الصفات فهي نعمان (أحدها) ما يجب تنزيهه عنه وهو أن لا يجوز أن يوصف بما من الاعضاء والاجزاء وكونه خالصا بغير وجهة ويجب ان يعلم ان اللفظ الثاني على التنزيه أربعة ليس ولم وما ولا وهذه الاربعة المذكورة في كتاب الله تعالى لبيان التنزيه اما كلمة ليس فتعني ليس كمثلته شيء وأما كلمة لم فتعني لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأما كلمة ما فتعني وما كان ربك نسيا ما كان لله أن يتخذ من ولد وأما كلمة لا فتعني لا تعني لا تأخذ سنة ولا نوم وهو بطعم ولا يطعم وهو يجبر ولا يجبر عليه وقوله في سبعة وثلاثين موضعاً من القرآن لا اله الا الله (وأما النوع الثاني) وهي الصفات التي يجب كونه موسوفاً بها من القرآن (فأولها) العلم بالله والعلم بكونه بعدنا خالفاً لخالق تعالى الجسد الذي خلق السموات والارض (وثانيها) العلم بكونه قادراً قال تعالى في أول سورة القيامة يلي قادرين على أن نسوي بنانه وقال في آخر هذه السورة أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى (وثالثها) العلم بكونه تعالى علماً قال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة (ورابعها) العلم بكونه عالماً بكل المعلومات قال تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو وقوله تعالى الله يعلم ما تخمّل كل أنثى (وخامسها) العلم بكونه حياً قال تعالى هو الحي لا اله الا هو فادعوه بخالصين له الذين (وسادسها) العلم بكونه مبدئاً قال الله تعالى فمن ير الله أن يهديه يشرح صدره الاسلام (وسابعها) كونه سميعاً بصيراً قال تعالى وهو السميع البصير وقال تعالى انني معكم اسمع وأرى (وثامنها) كونه منزهاً قال تعالى واوان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر عدس من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله (وتاسعها) كونه أمراً قال تعالى لله الامر من قبل ومن بعده (وطاسرها) كونه رحماناً رحيماً ما كف قال تعالى الرحمن الرحيم ملك يوم الدين فهذا ما يتعلق بمعرفة الصفات التي يجب انصافها بها (وأما القسم الثالث) وهو الافعال فاعلم ان الافعال اما ارواح واما اجسام اما الارواح فلا سبيل لتوقيف عليها الا الله ليل كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو واما الاجسام فهي اما العالم الاعلى واما العالم الاسفل اما العالم الاعلى فالبحث فيه من وجوه (أحدها) البحث عن أحوال السموات (وثانيها) البحث عن أحوال الشمس والقمر

الكتاب أو مسائل أخرى
مصدره من حيث هو
مصدره من حيث هو
من قوله وأما
وأما قسمه وأما
وتواهيده ووعده ووعده
وهو واضحه وقيل فانه
ين في الآية وقيل
هو من حيث هو
الذي بمعنى التكرير
والاعادة كما في قوله تعالى
فارجع البصر كرتين
أي مرة بعد مرة ووقوعه
صفة لكتابنا باعتبار
تفاصيله كما يقال القرآن
سور وآيات ويجوز أن
ينصب على التمييز من
منشأها كما يقال رأيت
رجلاً حسناً شاملاً أي
شامله والمعنى متشابهة
مشابهة (تقشع منه جلود
الذين يخشون ربهم) قال
صفة لكتابنا أو حال منه
الخصيصه بالانصاف
والانظهر أنه استئناف
مستوفى لبيان آثاره
الظاهرة في سماعه بعد
بيان أوصافه في نفسه
ولتقر بكونه أحسن
الحديث والاقشعرار
القبض يقال اقشعر
الجلد اذا قبض تقبضا

شديدا وتركيبه من القسم وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ود الإ

على معنى زائد يقال افشس بخلده وقف شعرة اذا عرض له خوف شديد من منكرها لئلا ذهبة بفتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق التشيل والتصوير أو بيان حصول خوف ٢٥٤ تلك الحالة وعروضها انهم بطريق

التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا القرآن وقوارع آيات وعجابه اصابتهم هبة وخشية تفشس منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورجعت رغبة وذلك قوله تعالى (ثم ثلث جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أي ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمة تعالى وانما لم يصرح بها ايذاناً بانها أول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى (ذلك) أي الكتاب الذي شرح احواله (هدى الله يهدي به من يشاء) أن يهديه بصرف مقدوره الى الاهتداء بتأمله فيما في تضاعيفه من شواهد الحقيقة ودلائل كونه من عند الله تعالى (ومن يضل الله) أي يخفق فيه الضلالة يصرف قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكيفية وعدم تأثره بوعيده ووعده أصلاً أو ومن يخذل (غاله من هاد) يخلصه من ورطة الضلال وقبل ذلك ألدى ذكر من الخشية هو الاخلاق

والرجاء أثر هداية تعالى يهدي بذلك

والله

الامر من يشاء من عباده ومن يضلل أي ومن لا يؤثر فيه لما فيه لقوة قلبه وإصراره على فجورة قتاله من هاذ من مؤثر فيه شيء قط (أذن يتق بوجهه) ٢٥٥ كذا الاستئناف خارج جري التعليل لما قبله من تبيان حال

المهتدي والفضال والكلام في الهمة والقلة وحذف الخبر كالذي مر في نظيره والتقدير أكل الناس سواء فمن شأنه أنه يبق نفسه بوجهه الذي هو أشرف أعضائه (سواء العذاب أي العذاب

الشيء الشديد) يوم القيامة (لكون يوم القيامة) كان يتق المكارة والمخاوف مدفونة الى عنقه كمن هو آمن لا يمتريه مذكروه ولا يحتاج الى الالتفات بوجهه من الوجوه وقيل نزلت في أبي جهل (وقيل لأعدائين) عطف على ربي أي ويقال لهم من جهة غير هذا الباب وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق والقرار وقيل هو سال من ضيق ربي يا ضار قد و منسح المدبر في مقام المفسر لا يحيل عليهم بما علم والأشعار بعلة الأمر في قوله تعالى (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أي وبك ما مكتسبتم

الاخلاق الناضجة والاخلق في القاسدة والقرآن يشتمل على كل ما لابد منه في هذا الباب قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (وأم الثاني) فهو التكليف الحاصلة في أعمال الجوارح وهو المسمى بجم الفقه والقرآن مشتمل على جملة أصول هذا العلم على أكل الوجوه (وأم القسم الخامس) وهو معرفة أسماء الله تعالى فهو مذكور في قوله تعالى ولله الأسماء الحسنى فدعوه بها فهذا كما ينبغي معرفة الله (وأم القسم الثاني) من الأصول المعينة في الإيمان والقرار بالله سبحانه كما قال تعالى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه وأقرآنه يشتمل على شرح صفاتهم تارة على سبيل الإجمال وأخرى على سبيل التفصيل أما إذا يقال فقوله وملائكته وأم الكتاب فبها ما يدل على كونهم رسل الله فمن أماني بها على التلاوة رسلا ومنها ما يراى بها على العالم فان تعالى فالتسمات أمر بالمدا برات أمر أوصى تعالى بالسماوات دسها ومنها جلة العرش قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومنها المداون حول العرش قال وترى الملائكة ساقفين من حول العرش ومنها خزانة النار قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد ومنها الكرام الكارون قال وان عليكم لملائطين كراما كاتبين ومنها المعينات قال تعالى له معونات من بين يديهم ومن خلفهم وقبيل يصل بأحوال الملائكة أحوال الجن والشياطين (وأم القسم الثالث) من الأصول المعينة في الإيمان معرفة الكتب والقرآن يشتمل على شرح أحوال الكتب آدم عليه السلام قال تعالى تلتى آدم من رب كتاب ومنها أحوال صحيف إبراهيم عليه السلام قال تعالى إنا أنزلناه إبراهيم به كتابات فآتين ومنها أحوال التوراة والإنجيل والفرقان (وأم القسم الرابع) من الأصول المعينة في الإيمان معرفة الرسل والله تعالى قد شرح أحوال الرسل في أول سورة البقرة قال منهم من فسخنا عدايت وسيهم من آمنهم من آمنهم (وأم القسم الخامس) من أحوال الملائكة ربي على أربعين (الأنبياء) أن يقولوا بوجوب هذه التكليف عليهم وهو الذي أمرهم فورا وقالوا سمعنا وأطعنا (والثاني) أن يقولوا بوجوب هذه التكليف عليهم في تلك الأوقات ثم يطهروا أنفسهم وهو المراد من قوله فخرت ربهم بأنهم كانت رؤوفة التذمير في موافقت اليهودية بحسب المكاتبات في مخالفة هذه الزبوية مكتسب كانت المكاسبات في نقص اليهودية أكثر كان قوله فخرت ربهم أكثر (القسم السادس) معرفة العباد والمجتمعات والجماعة وهو المراد من قوله وإليك المصير وهذا هو الإشارة الى معرفة السطوات الخمسة في طلب الدين والقرآن يحيل على ما في تقرير هذه المسائل وما فيها من شرح لا يدرى في عشرين في الأرض وما غار بها كتابا يشتمل على جملة هذه العلوم التي استقر القرآن عليها ومن تأمل في هذا التفسير علم أن ما ذكر من حجار فضائل القرآن لما ذكره في كتاب الأمر على هذه الجملة لا يحرم مدح الله عز وجل القرآن فقال تعالى الله عز أحسن الحديث تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي (كتب الدين من قبلهم) استئناف مسوق لبيان

ما أصاب بعض الكفرة من العذاب الذي يرى أن ما يصيب الكل من العذاب الاخرى أى كتب الذين من قبلهم من الامم السابقة (فأناهم العذاب) المقدس لكل ﴿ ٢٥٦ ﴾ أمة منهم (من حيث لا يشعرون)

من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها (وأذا فهم الله الخزي) أى الضل والصغار (في الحياة الدنيا) كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال (والعذاب الآخرة) المعد لهم (أكبر) لشدة وسرمدته (أو كانوا يعلمون) أى لو كان من شأنهم أن يعلموا شيئا علوا ذلك واعتبروا به (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) يحتاج اليه السائر في أمور دينه (لعلهم يتذكرون) كي يتذكروا به ويتعظوا (فرأنا عريسا) حال مؤكدة من هذا على أن مدار التأكيده هو الوصف كقولك جاءني زيد رجلا صالحا أو مدح له (غير ذي هوج) لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه فهو أبغ من المستقيم وأنص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك (لعلهم يتقون) علة أخرى مترتبة على الاولى

والله أعلم (الصفة الثانية) من صفات القرآن قوله تعالى كتابا متشابها أما ان كتابا فقد فسرناه في قوله تعالى ذلك ان الكتاب لا ريب فيه وأما كونه متشابها فاعلم ان هذه الآية تدل على ان القرآن كله متشابه وقوله هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات يدل على كون البعض متشابها دون البعض وأما كونه كله متشابها كما في هذه الآية فقال ابن عباس معناه انه يشبه بعضه بعضا وأقول هذا التشابه يحصل في أمور (أحدها) ان الكتاب البالغ اذا كتب كتابا طويلا فانه يكون بعض كلماته فصيحاً ويكون البعض غير فصيح والقرآن يخالف ذلك فانه فصيح كامل الفصاحة بجميع أجزائه (وثانيها) ان الفصيح اذا كتب كتابا في واقعة بألفاظ فصيحة فلو كتب كتابا آخر في غير تلك الواقعة كان الغالب ان كلامه في الكتاب الثاني غير كلامه في الكتاب الاول والله تعالى حكى قصة موسى عليه السلام في مواضع كثيرة من القرآن وكلها متساوية متشابهة في الفصاحة (وثالثها) ان كل ما فيه من الآيات والبيانات فانه يقوى بعضها بعضا ويؤكد بعضها بعضا (ورابعها) ان هذه الانواع الكثيرة من العلوم التي عددناها متشابهة متشركة في ان المقصود منها بأسرها الدعوى الى الدين وتقرير عظمة الله ولذلك فانك لا ترى قصة من القصص الا ويكون محصلها المقصود الذي ذكرناه فهذا هو المراد من كونه متشابها والله الهادي (الصفة الثالثة) من صفات القرآن كونه مثاني وقد بالغنا في تفسير هذه اللفظة عند قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والجملة فأكثر الاشياء المذكورة وقعت زوجين زوجين مثل الامر والنهي والعام والخاص والمجمل والمفصل وأحوال السموات والارض والجنة والنار والظلمة والضوء واللوح والقلم والملائكة والشياطين والعرش والكرسي والوصد والوعيد والرجاء والخوف والمقصود تبيين ان كل ما سوى الحق زوج ويدل على ان كل شيء مبتلى بتدليله ونقيضه وان الفرد الاحد الحق هو الله سبحانه (الصفة الرابعة) من صفات القرآن قوله تفسر منه جلود الذين يشعرون بهم ثم يبين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وفيد مسائل (المسئلة الاولى) معنى تفسر جلودهم تأنيدهم قسماً برقة وهي تغير يحدث في جلد الانسان عند الوجع والخوف قال المفسرون والمعنى انهم عند سماع آيات الرحمة والاحسان يحصل لهم الفرح فتلين قلوبهم الى ذكر الله وأقول ان المتعنين من العارفين قالوا السائرون في مبدأ جلال الله ان ينظروا الى عالم الجلال طائسوا وان لاح اتم من عالم الجمال عاشوا ويحبب عليهم ان تذكر في هذا الباب من يد شرح وتقرر فتقول الانسان اذا تأمل في الدلائل الدالة على انه يجب تزيينها من التحسين والجلية فهم هنا يشعرون بجلده لان ثبات موجود لا داخل العالم ولا خارج ولا متصل بالعالم ولا منفصل عن العالم بما يصعب تصور فلهذا تفسر الجلود اما اذا تأمل في الدلائل الدالة على انه يجب ان يكون فردا أحدا وثبت أن كل متغير فهم ومنقسم فهم هنا يلمن بجلده وقوله الى ذكر الله وأيضاً اذا أراد أن يحيط عقله بمعنى الازل فيستقدم في ذهنه

(ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) يريد مثل من الامثال القرآنية بعد بيان أن الحكمة في ضربها
هو التذكير والاتعاظ بها وتوصل القوي ﴿٢٥٧﴾ والمراد بضرب مثل ههنا تطبيق حالة عجيبة بأخرى مثلها

بقدار ألف ألف سنة ثم بعد أن ضربت على سبيل من غلات تلك المدة ألف ألف سنة
ولا يزال يحتال ويتقدم ويخيل في الذهن فإذا بلغ وتوغل وتغلزل إلى استحضار معنى اذل
قال القتل هذا ليس بشيء لأن كل ما يستحضرته في فهو مشاهة والازل هو الوجود الماتم
على هذه المدة المتناهية فهنا يتجبر القتل ويتشعر الجسد وأما اقتراح هذا الاستبصار
وقال ههنا وجود والوجود اما واجب وامام لكن فان كان واجبا فهو دائما ممتد عن
الاول والآخر وان كان ممكنا فهو محتاج الى الواجب فيكون اذلا ابديا فإذا استبرأ القتل
فهو معنى الازلية فهنا يبين جداره وقبلة الى ذكر الله فثبت ان المتكلمين المذكورين في
الآية لا يجب قهرهما على سماع آية العذاب وايضا ترجمه بل ذلك أول نبي الراتب وبعده
عزائب لاحداها ولا حصر في حصول تلك الخصال المذكورتين (المسئلة الثانية) روى
الواحدى في البسيط عن قتادة انه قال القرآن دل على أولياء الله موت ونون بأنهم
المكاشفات والمجاهدات تارة ففسر بحدودهم وأخرى تامين بحدودهم وقاد بهم الى ذكر الله
وليس فيه ان عقولهم تزول وأن أعضائهم تضطرب فدل هذا على أن تلك الاحوال لو
حصلت لكانت من الشيطان وأقول ههنا بحث آخر وهو ان الشيخ أبان عبد الغزالي أورد
مسئلة في كتاب احياء علوم الدين وهي أن ترى كثيرا من الناس يظهرون على الوجود الشديد
النار عند سماع الآيات المشتملة على شرح النوصل والعبير وعند سماع الآيات لا يظهر
عليه شيء من هذه الاحوال ثم انه سلم هذا المعنى وذكر العذر فيه من وجوه كثيرة وأما قول
اني خلقت محروما عن هذا المعنى فاني كلما تأملت في أسرار القرآن أشعر بجلدي ووقف
على شكري وحصلت في قلبي دهشة وروعة وكناست تلك الاشعار غاب الهزل على وما
وجدت البتة في نفسي منها أثرا وأظن أن المنهج القويم والصراط المستقيم هو هذا وبيانه
من وجوه (الاول) ان تلك الاشعار كانت مسئلة على وصل وهجر وبغض وحب تالين
بالخلق واثباته في حق الله تعالى كثر وأما الانتقال من تلك الاحوال الى معان لا نفقة
بجلال الله فلا يصل اليها الا العلماء الاسخون في العلم واما المعاني التي يستدل عليها القرآن
فهى أحوال لا نفقة بجلال الله في وقف عاينها عند الوفاء في قلبه فان كان عند تورا الايمان
وجب أن يعظم اضطرابه عند سماع قوله وعند سماع تعجب لا يعلم الا الله والآخر الآية
(والثاني) وهو أنى سمعت بعض المشايخ قال كان الكلام له أثر فكذلك صدور ذلك
الكلام من القائل المعين لأثر لأن قوة نفس النازل تعين على نفاذ الكلام في الروح والقبائل
في القرآن ههنا والله بواسطة جبريل يبلغ الرسول المصنوم والقائل هناك شاعر كتاب
مملوء من الشهوة وداعية الفجور (والثالث) ان مدار القرآن على الدعوة الى الحق قال
تعالى وانك تهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض
وأما الشعر فصار على الباطل قال تعالى والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد
يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون فهذه الوجوه الثلاثة فروع ظاهرة وأما ما يتعلق

وبجدها ههنا كما مر في
سورة قصص ولا متعول
أن يضرب ورجلا مشغولا
الاول أخر عن الثاني
تتشو بق اليد وتصل
بهما هو من تشا الى هي
العمدة في التثليل وفيه
ليس بصله لشركاء كما
قيل بل هو خبر له ويان
انه في الامس كذلك حال
ما جاء به والجملة في حين
انضبط على أنه وصف
رجلا أو الوصف هو
الجار والمجرور وشركاء
من تقع به على التفاعلية
لا عتاده على الموصوف
فالمعنى جعل الله تعالى مثلا
للمشرك حسيما فودائه
مذهبه من ادعاء كل من
معبودية عبوديته عبدا
يتشارك فيه جماعة
يتجادون به ويتعاورونه
في مهماتهم المتباينة في
شبهه وتوزع قلبه (ورجلا)
أي الواحد مثلا رجلا
(سما) أي خالصا (رجل)
فرد ليس بغيره عليه سبيل
أصلا وقرى سلمة فتح
السين وكسرهما مع سكون
الام والتكلى مصدر من
سلم له كذا أي خلس نعت
بهما بالغة وحذف منها

فرو قرى سالما وسلم أي وهناك ﴿٢٣﴾ رجل سالم أو تخصص الرجل لانه أفطن لما يجري عليه
من الضرب

والنفع (هل يستويان مثلا) انكار واستبعاد لاستوائهما ونفى له على ابلغ وجهه وآكده وايدان بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يتصور أحد أن يتفوق باستوائيهما أو يتلصق بهما (٢٥٨) في الحكم ببيانتهما ضرورة أن أحدهما

في أعلى عليين والآخر في أسفل سافلين وهو السرف في إيهام التفاضل والمفضل وانحصار مثلا على التمييز أي هل يستوي حالاهما وصفتهما والافتصاف في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقري مثلين كقوله تعاد أكثر أمالا وأولاداً الأشعار باختلاف النوع أولان المراد هل يستويان في الوصفين على أن الضمير للمثلين لأن التقدير مثل رجل فبدا الخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى (الحمد لله) تقر برما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتبيينه للموحدين على أن مالهم من الزينة يتوفيق الله تعالى وأنهم نعمة جليلة موجبة عليهم أن يداوموا على حمده وعبادته أو على أن يئانه تعالى بضرب المثل أن لهم المثل الأعلى والمشركون مثل السؤال صنع جيل واطف تام منه عز وجل مستوجب الحمد وعبادته وقوله تعالى (بل أكثرهم لا يعلمون) اضرب وانتقال من بيان

بالوجدان من النفس فان كل أحد انما يخبر عما يجده من نفسه والذي وجدته من النفس والسفل ما ذكرته والله أعلم (المسئلة الثالثة) في بيان ما بقى من المشكلات في هذه الآية وتذكرها في معرض السؤال والجواب (السؤال الاول) كيف تركيب لفظ القشورية الجواب قال صاحب الكشاف تركيب من حروف التشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رابعا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف يرقف شعره وذلك مثل في شدة الخوف (السؤال الثاني) كيف قال تين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وما الوجه في تعديده بحرف الى والجواب التقدير تين جلودهم وقلوبهم حال وصواهما الى حضرة الله وهو لا يحس بالادراك (السؤال الثالث) لم قال الى ذكر الله ولم يقل الى ذكر رحمة الله والجواب أن من أحب الله لأجل رحمة فهو مأحب الله وانما أحب شيئا غيره وأما من أحب الله لاشئ سواه فهذا هو المحب الحق وهو الدرجة العالية فلهذا السبب لم يقل تين جلودهم وقلوبهم الى ذكر رحمة الله بل قال الى ذكر الله وقديين الله تعالى هذا المعنى في قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وفي قوله ألبذكر الله تضحثن القلوب وأيضا قال لامة موسى يا بني اسرأيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وقال أيضا لامة محمد صلى الله عليه وسلم فاذكروني أذكركم (السؤال الرابع) لم قال في جانب الخوف قشورية الجلود فقط وفي جانب الرجاء لين الجلود والقلوب معا والجواب لأن المكاشفة في مقام الرجاء أكل منها في مقام الخوف لأن الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض ومحل المكاشفات هو القلوب والارواح والله أعلم ثم انه تعالى لما وصف القرآن بهذه الصفات قال ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فإله من هاد فقولته ذلك إشارة الى الكتاب وهو هدى الله يهدي به من يشاء من عباده وهو الذي شرح صدره أولا لقبول هذه الهداية ومن يضل الله أي من جعل قلبه قاسيا مظلما يلبد الفهم متافيا لقبول هذه الهداية فإله من هاد واستدلال أصحابنا بهذه الآية وسؤالات المعتزلة وجوابات أصحابنا عين ما تقدم في قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام أما قوله تعالى أفن يتق بوجهه سوء العذاب يوم القيامة فاعلم أنه تعالى حكم على القاسية قلوبهم بحكم في الدنيا وبحكم في الآخرة أما حكمهم في الدنيا فهو الضلال التام كما قال ومن يضل الله فإله من هاد وأما حكمهم في الآخرة فهو العذاب الشديد وهو المراد من قوله أفن يتق بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وتقريره أن أشرف الاعضاء هو الوجه لانه محل الحسن والصلابة وهو أيضا صومعة الحواس وانما يتميز بهض الناس عن بعض بسبب الوجه وأثر السعادة والشقاوة لا يظهر الا في الوجه قال تعالى ووجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غيرة ترهقها فترة أولئك هم الكفرة الفجرة ويقال لمقدم القوم بأوجه العرب ويقال للطريق الدال على كنه حال الشئ وجهه كذا هو كذا ثبت بما ذكرنا أن أشرف الاعضاء هو الوجه فاذا وقع الانسان في

نوع من أنواع العذاب فإنه يجعل يده وقاية لوجهه وفدائه وإذا عرفت هذا فنقول إذا كان القادر على الانتقاء يجعل كل مأسوي الوجه فداء للوجه لاجرم حسن جعل الانتقاء بالوجه كناية عن العجز عن الانتقاء ونظيره قول التابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بين قلوب من قراع الكتاب

أي لا عيب فيهم إلا هذا وهو ليس بعيب فلا عيب فيهم إذن بوجه من الوجود فكذلك ههنا لا يقدر على الانتقاء بوجه من الوجوه إلا بالوجود وهذا ليس بانتقاء فلا قدرة لهم على الانتقاء البتة ويقال أيضا إن الذي يلقي في النار يلقى مغلولة يدها إلى عنقه ولا يتهيأ له أن يتقى النار إلا بوجهه إذا عرفت هذا فنقول جوابه محذوف وتقديره أفن يتقى بوجه سوء العذاب يوم القيامة كمن هو آمن من العذاب فمحذوف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ثم قال تعالى وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون ولما بين الله تعالى كيفية عذاب القاسية قلوبهم في الآخرة بين أيضا كيفية وقوعهم في العذاب في الدنيا فقال كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وهذا تنبيه على ما هو لاء لأن إلقاء في قوله فأتاهم العذاب يدل على أنهم أعاد أتاهم العذاب بسبب التكذيب فإذا كان التكذيب حاصلا ههنا لزم حصول العذاب استدلالا بالعللة على المعلول وقوله من حيث لا يشعرون أي من الجهة التي لا يحسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بينما هم آمنون إذا أتاهم العذاب من الجهة التي توقعوا الأمن منها ولما بين تعالى أنه أتاهم العذاب في الدنيا بين أيضا أنه أتاهم العذاب في الآخرة وهو النازل والصغار والهوان والفائدة في ذكر هذا القيد أن العذاب النام هو أن يحصل فيه الألم مترونا بالهوان والنذل ثم قال ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون يعني أن أولئك وانزل عليهم العذاب والحزى كما تقدم ذكره فالعذاب المدخل لهم في يوم القيامة أكبر وأعظم من ذلك الذي وقع والمقصود من كل ذلك التخويف والترهيب فلما ذكر الله تعالى هذه القرائد المكاثرة والنقائس المتوافرة في هذه المطالب بين تعالى أنه بلغت هذه البيانات إلى حد الكمال وإتمام فقال واقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون والمقصود ظاهر وقالت المعتزلة ذات الآية على أن أفعال الله وأحكامه معللة ودلت أيضا على أنه يريد الإيمان والمعرفة من الكل لأن قوله واقد ضربنا للناس مشعر بالتعليل وقوله في آخر الآية لعلمهم يتذكرون مشعر بالتعليل أيضا ومشعر بأن المقصود من ضرب هذه الأمثال إرادة حصول التذكروا والعلم ولما كانت هذه البيانات الشافعة والبيانات الباهرة موجودة في القرآن لاجرم وصف القرآن بالمدح والثناء فقال قرآننا بيا غير ذي عوج لعلمهم يتقون وفيه مسائل المسئلة الأولى (أ) أخرج القائلون بحديث القرآن بهذه الآية من وجوه (الأول) أن قوله واقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون يدل على أنه تعالى أعاد ذكر هذه الأمثال ليحصل لهم التذكروا والشئ الذي يوتى به لغرض آخر يكون بعدنا فان التذم

المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فينبغون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى (أنك ميت وأنهم ميتون) تهديد لما يعقبه من الاختصاص يوم القيامة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته أي أنكم جميعا بصدد الموت (ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم) أي مالك أموركم (تختصمون) فتعجب أنت عليهم بأنك بلغتهم ما أرسلت به من الأحكام والمواظب التي من جلتها ما في تضاعيف هذه الآيات واجتهدت في الدعوة إلى الحق حق الاجتهاد وهم قد سلخوا في المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصاص العام الجاري في الدنيا بين الأنام

والاول هو الاظهر
الانصب بقوله تعالى
(فن اظلم من كذب على
الله) فانه الى آخره
مسوق لبيان كل من
طر في الاختصاص
الجاري في شأن الكفر
والايمان لا غير اى اظلم
من كل ظلام من افترى
على الله سبحانه وتعالى
بان اضاف اليه الشريك
والولد (وكذب
بالصدق) اى بالامر
الذى هو عين الحق
ونفس الصدق وهو
ما جاء به النبي صلى الله
عليه وسلم (اذ جاءه)
اى في اول مجيئه من
غير تدبر فيه ولا تأمل
(اليس في جهنم مثوى
للكافرين) اى اهؤلاء
الذين افترى على الله
سبحانه وساروا الى
الكذب با اصدق
من اول الامر والجمع
باعتبار معنى من كان
الافراد في الضمائر
السابقة باعتبار
لفظها او الجنس الكفرة
وهم داخون في الحكم
دخولا اوليا

هو الذى يكون موجودا في الازل وهذا يمنع أن يقال انه انما أتى به لغرض كذا وكذا
(والثاني) انه وصفه بكونه عرييا وانما كان عرييا لان هذه الالفاظ انما صارت دالة على
هذه المعاني بوضع العرب وباصطلاحهم وما كان حصوله بسبب أوضاع العرب
واصطلاحاتهم كان مخوفا محدثا (الثالث) انه وصفه بكونه قرآنا واقرآن عبارة عن
القرأة والقراءة مصدر والمصدر هو المفعول المطلق فكان فعلا ومفعولا والجواب أنا
نحمل كل هذه الوجوه على الحروف والاصوات وهي حادثة ومحدثة (المسئلة الثانية) قال
الزجاج قوله عرييا منصوب على الحال والمعنى ضر بنا للناس في هذا القرآن في حال عرييته
وبيانه ويجوز أن ينصب على المدح (المسئلة الثالثة) انه تعالى وصفه بصفات ثلاثة
(أولها) كونه قرآنا والمراد كونه متلوا في المحاريب الى قيام القيامة كما قال انما نحن نزلنا
الذكر واناله لحافظون (وثانيها) كونه عرييا والمراد انه أعجز الفصحاء والبغاة عن
معارضته كما قال قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (وثالثها) كونه غير ذى عوج والمراد براءته عن التناقض
كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وأما قوله لعلمهم يتقون فالمعترلة
يتسكون به في تهليل أحكام الله تعالى (وفيه بحث آخر) وهوانه تعالى قال في الآية
الاولى لعلمهم يتذكرون وقال في هذه الآية لعلمهم يتقون والسبب فيه أن التذكروا متقدم
على الاتقاء لانه اذا تذكره وعرفه ووقف على فحواه وأحاط بمعناه حصل الاتقاء والاحتراز
والله أعلم * قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل
هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون المكهيت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة
عند ربكم تختصمون فن اظلم من كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس في جهنم
مثوى للكافرين) اعلم انه تعالى لما بالغ في شرح وعيد الكفار أردفه بذكر مثل ما يدل
على فساد مذهبهم وقبح طريقهم فقال ضرب الله مثلا وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
المتشاكسون المتخلفون العسرون يقال شكس بشكس شكوسا وشكسا اذا عسر وهو
رجل شكس أى عسر وتشاكس اذا تعاسر قل الميث التشاكس التنازع والاختلاف
ويقال الليل والنهار متشاكسان أى انهما متضادان اذ جاء احدهما ذهب الآخر وقوله
فيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه (المسئلة الثانية) قرأ ابن كثير وأبوعرو سلما
بالالف وكسر اللام يقال سلم فهو سالم والباقون سلما بفتح السين واللام بغير الف ويقال
أيضا بفتح السين وكسر هاء مع سكون العين اما من قرأ سلما فهو اسم الفاعل تقدير مسلم
فهو سالم واما سائر اقرآت فهي صادرة سلم والمعنى ذاسلامه وقوله لرجل أى ذا خلوص له
من الشرك كمن قوالهم سلمت له الضيقة وقرى بالرفع على الابتداء أى وهناك رجل سلم لرجل
(المسئلة الثالثة) تقدير الكلام اضرب قومك مثلا وقل لهم ما يقولون في رجل من
المماليك قد اشتراك في شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعى انه عبده فهم

(والذي جاء بالصدق وصدق به) الوصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كما أن المراد في قوله تعالى
ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يتدبرون ﴿٢٦١﴾ هو عليه الصلاة والسلام وقيل عن الجنس المتناول للرسول

والمؤمنين بهم ويؤيده
قراءة ابن مسعود رضي
الله عنه والذين جاؤا
بالصدق وصدقوا به
وقيل هو صفة الموصوف
مخذوف هو الفوج
أو الفريق (أوئك)
الموصوفون بما ذكر
من المجئ بالصدق
والتصديق به (هم
المتقون) المتقون
بالتقوى التي هي أجل
الغائب وقرئ وصدق
به بالتخفيف أي صدق
به الناس فأداء اليهم
كأنزل عليهم من غير تغيير
وقيل وصار صادقا به
أي بسببه لأن ما جاء به
من القرآن معجزة دالة
على صدقه عليه الصلاة
والسلام وقرئ صدق
به على البناء للفعول
(أهم ما يشاؤون عند
ربهم) بيان ما لهم
في الآخرة من حسن
المآب بعد بيان ما لهم
في الدنيا من محاسن
الاعمال أي أهم كل
ما يشاؤون من جلب
المنافع ودفع المضار
في الآخرة لا في الجنة
قط لما أن بعض

يتجادبون في حوائجهم وهو مخبر في أمره فكلمنا أرضي أحدهم غضب الباقون وإذا
احتاج في مهم اليهم فكل واحد منهم يردده إلى الآخر فهو يتي مخبرا لا يعرف أيهم أولى
بأن يطلب رضاه وأيهم يعينه في حاجاته فهو بهذا السبب في عذاب دائم وتعيب مقيم
ورجل آخر له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك المخدوم يعينه على مهماته
فأي هذين العبدین أحسن حالا وأجدا شأنا والمراد تمثيل حال من ثبتت آلهة شتى فإن
أولئك الآلهة تكون متنازعة متغلبة كما قال تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا
وقال ولعل بعضهم على بعض فيسقى ذلك المشرك مخبرا ضالا لا يدري أي هؤلاء الآلهة
يعبد وعلى ربوية أيهم يعتمدون يطلب رزقه ومن يلمس رفقدهم شفاعا وقلبه
أوزوعا ما من لم يثبت إلا الهوا واحد فهو قائم بما كلفه عارف بما أرضاه وما لم يخطئه فكان
حال هذا أقرب إلى الإصلاح من حال الأول وهذا مثل ضرب في غاية الحسن في تقبيح
الشرك وتحسين التوحيد فإن قيل هذا المثال لا ينطبق على عبادة الأصنام لأنها جادات
فليس بينها منازعة ولا مشاكسة قلنا إن عبدة الأصنام مختلفون منهم من يقول هذه
الأصنام تماثيل الكواكب السبعة فهم في الحقيقة إنما يعبدون الكواكب السبعة ثم
إن القوم يثبتون بين هذه الكواكب منازعة ومشاكسة ألا ترى أنهم يقولون زحل هو
الحس الأعظم والمشتري هو السعد الأعظم ومنهم من يقول هذه الأصنام تماثيل الأرواح
الفلكية والقائلون بهذا القول زعموا إن كل نوع من أنواع حوادث هذا العالم يتعلق
بروح من الأرواح السماوية وحينئذ يحصل بين تلك الأرواح منازعة ومشاكسة
وحينئذ يكون المثل مطابقا ومنهم من يقول هذه الأصنام تماثيل الأشخاص من العلماء
والزهاد الذين مضوا فمهم يعبدون هذه التماثيل لتبصير أولئك الأشخاص من العلماء والزهاد
شفعا لهم عند الله والقائلون بهذا القول تزعم كل طائفة منهم أن الحق هو ذلك الرجل
الذي هو على دينه وإن من سواه مبطل وعلى هذا التقدير أيضا ينطبق المثال فثبت أن هذا
المثال مطابق لما قصود أمأ قوله تعالى هل يستويان مثلا فالتقدير هل يستويان صفة فتقوله
مثلا نصب على التمييز والمعنى هل تستوي صفتاهما وحالتاهما وإنما اقتصر في التمييز على
الواحد ببيان الجنس وقرئ مثلين ثم قال الحمد لله والمعنى أنه لما بطل القول بإثبات الشركاء
والانداو ثبت أنه لا إله إلا هو الواحد الأحد الحق ثبت أن الحمد لله لا غيره ثم قال بعده بل
أكثرهم لا يعلمون أي لا يعلمون أن الحمد لله لا غيره وأن المستحق للعبادة هو الله لا غيره وقبل
المراد أنه لما سبق هذه الدلائل الظاهرة والبيئات الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه
البيانات وظهور هذه البيئات وإن كان أكثر الخلق لم يعرفوها ولم يفهموا عاينها ولم يتم الله
هذه البيانات قال إنك ميت وإنهم ميتون والمراد أن هؤلاء الأقوام وإن لم يلتفتوا إلى هذه
الدلائل القاهرة بسبب استيلاء حرص والحسد عليهم في الدنيا فلا يتبال بمحمد بهذا فأنك
ميتون وهم أيضا سيوتون ثم تحشرون يوم القيامة وتخصمون عند الله تعالى والعاقل

ما يشاؤون من تكفير السيئات والأمن من الفزع الأكبر وسائر أهوال القيامة إنما يقع قبل دخول الجنة (ذلك) الذي ذكر
من حصول كل ما يشاؤون (جزاء المحسنين) أي الذين

أحسنوا أعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى (ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عاوا) الخ متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤون لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة أن التكفير المذكور ﴿ ٢٦٢ ﴾ لا يتصور كونه غاية لشبوت ما يشاؤون

لهم في الآخرة كيف لا وهو بعض ما سبقت لهم فيها بل باعتبار فعواؤه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سبقت لهم فيما سبأني كان في معنى الوعد به كما مر في قوله تعالى وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه في معنى وعدهم الله غرافا تصب به وعد الله كأنه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤنه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد أسوأ الذي عاوا دفعا للمضارهم (ويجزهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) اعطاء لمنافعهم واطهار الاسم الجليل في موقع الاعتناء لابرار كال الاعتناء بمغفون الكلام واطراف الاسوا والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة الفضل الى الفضل عليه بل من اضافة الشيء الى بمضد للتصديق

الحق يحكم بينكم فيوصل الى كل واحد ما هو حقه وحينئذ يتميز الحق من المبطل والصدق من الزنديق فهذا هو المقصود من الآية وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون أي انك واياهم وان كنتم احياء فالك واياهم في اعداد الموتى لان كل ما هو آت ثم بين تعالى نوعا آخر من قبائح أفعالهم وهو أنهم يكذبون ويضمنون اليه أنهم يكذبون القائل الحق اما انهم يكذبون فهو انهم أثبتوا لله ولدا وشركاء وما انهم مصررون على تكذيب الصادقين فلانهم يكذبون محمد صلى الله عليه وسلم بعد قيام الدلالة القاطعة على كونه صادقا في ادعاء النبوة ثم أردفه بالوعيد فقال ليس في جهنم مثوى للكافرين ومن الناس من تمسك بهذه الآية في تكفير المخالف من أهل القبلة وذلك لان المخالف في المسائل كلها انقطاعية يكون كاذبا في قوله ويكون مكذبا للذهب الذي هو الحق فوجب دخوله تحت هذا الوعد ﴿ قوله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عاوا ويجزى بهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) ليس الله يكافى عبده ويخوفونك بالدين من دونه ومن يضلل الله فانه من هاد ومن يهد الله فانه من مضل ليس الله بمن يزني انتقام) اعلم انه تعالى لم يذكر وعيد الكاذبين والمكذبين بالصادقين ذكر عقوبة وعد الصادقين ووعد المصدقين ليكون الوعد مقرونا بالوعيد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله والذي جاء بالصدق وصدق به تقديره والذي جاء بالصدق والذي صدق به وفيه قولان (الاول) ان المراد شخص واحد فالذي جاء بالصدق محمد والذي صدق به هو أبو بكر وهذا القول مروى عن علي بن ابي طالب عليه السلام وجماعة من المفسرين رضى الله عنهم (والثاني) ان المراد منه كل من جاء بالصدق فالذي جاء بالصدق الانبياء والذي صدق به الاتباع واحتج القائلون بهذا القول بأن الذي جاء بالصدق جماعة وان لم يجز أن يقال أولئك هم المتقون (المسئلة الثانية) ان الرسالة لا تتم الا بأركان أربعة المرسل والمرسل والمرسل اليه والمقصود من الارسل اقدم المرسل اليه على التبول والتصديق فأول شخص أتى بالتصديق هو الذي يتم به الارسل وسمعت بعض القاصسين من الذي بروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دعوا أبا بكر فانه من ثقة النبوة واعلم ان اسواء قلنا المراد بالذي صدق به شخص معين او قلنا المراد منه كل من كان موصوفا بهذه الصفة فان أبا بكر داخل فيه أما على التقدير الاول فدخل أبو بكر فيد ظاهر وذلك لان هذا يتناول أمتي الناس الى التصديق وأجمعوا على أن السابق الا فضل اما أبو بكر واما علي وحل هذا اللفظ على أبي بكر أولى لان عليا عليه السلام كان وقت البعثة صغيرا فكان كالولد الصغير الذي يكون في البيت ومعلوم أن اقدامه على التصديق لا يفيد مزيد شؤنة وشوثة اما أبو بكر فانه كان رجلا كبيرا في السن كبيرا في المنصب فأقدامه على التصديق يفيد مزيد قوة وشوكة في الاسلام فكان حل هذا اللفظ على أبي بكر أولى (وأما على التقدير الثاني) فهو أن يكون المراد كل من كان موصوفا بهذه

والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وانما اعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لاعلى المضاف ﴿ الصفة ﴾ اليه المعين بخصوصه كافي قولهم الناقص والاشجع اعدا لابي مروان

خلا أن الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الأول بالنظر إلى ما يليق بها منهم وإن قلت واستصغار حسناتهم ٢٦٣ وان جلت والثاني بالنظر إلى

الصفة وعلى هذا التقدير يكون أبو بكر داخل فيه (المسئلة الثالثة) قال صاحب الكشف قري وصدق بالتحقيق أي صدق به الناس ولم يكذبهم يعني أداه اليهم كإزالة علمه من غير تحريف وقيل وصار صادقاً به أي بسببه لأن القرآن معجزة والمعجزة تدل على صدق الحكيم الذي لا يفعل القبيح فيصير المدعى الرسالة صادقاً بسبب تلك المعجزة وقري وصدق وأعلم أنه تعالى أثبت الذي جاء بالصدق وصدق به أحكاماً كثيرة (فالحكم الأول) قوله أولئك هم المنافقون وتقريره أن التوحيد والشرك ضدان وكل كان أحد الضدين أشرف وأكل كان الضد الثاني أخس وأرذل ولما كان التوحيد أشرف الأسماء كان الشرك أخس الأشياء والآتي بأحد الضدين يكون تاركاً للآخر الثاني فالآتي بالتوحيد الذي هو أفضل الأشياء يكون تاركاً للشرك الذي هو أخس الأشياء وأرذلها فلهذا المعنى وصف المصدقين بكونهم متقين (الحكم الثاني) للمصدقين قوله تعالى لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين وهذا الوعد يدخل فيه كل ما يرغب المكلف فإن قيل لاشك أن الكمالات محبوب لذاته مرغوب فيه لذاته وأهل الجنة لاشك أنهم عقلاء فإذا شاهدوا الدرجات العالية التي هي للأنبياء وأكابر الأولياء عرفوا أنها خيرات عالية ودرجات كاملة والعلم بالشيء من حيث أنه كمال وخير يوجب الميل إليه والرغبة فيه وإذا كان كذلك فهم يشاؤون حصول تلك الدرجات لأنفسهم فوجب حصولها لهم بحكم هذه الآية وأيضاً فإن لم يحصل لهم ذلك المراد كانوا في الغصة ووحشة القلب وأجيب عنه بأن الله تعالى يزيل الحقد والحسد عن قلوب أهل الآخرة وذلك يقتضي أن أحوالهم في الآخرة بخلاف أحوالهم في الدنيا ومن الناس من تمسك بهذه الآية في أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة قالوا إن الذين يعتقدون أنهم يرون الله تعالى لاشك أنهم داخلون تحت قوله تعالى وصدق به لأنهم صدقوا الأنبياء عليهم السلام ثم إن ذلك الشخص يرى يدرؤ به الله تعالى فوجب أن يحصل له ذلك لقوله تعالى لهم ما يشاؤون عند ربهم فإن قالوا لا نسلم أن أهل الجنة يشاؤون ذلك قلنا هذا باطل لأن الرؤية أعظم وجوه التبعلي وزوال الحجاب ولا شك أنها حالة مطلوبة أكل أحد نظر إلى هذا الاعتبار بل أثبت بالدليل كون هذا المطلوب متع الوجود لعينه فانه يترك طلبه لالاجل عدم مقتضى الطلب بل إقيام المانع وهو كونه متمتعاً في نفسه فثبت أن هذه الشبهة قائمة والنص يقتضي حصول كل ما أرادوه وشاؤوه فوجب حصولها وأعلم أن قوله عند ربهم لا يفيد العندية بمعنى الجهة والمكان بل بمعنى الصمدية والاختصاص كما في قوله تعالى عند ملك مقتدر وأعلم أن المعتزلة تمسكوا بقوله وذلك جزاء المحسنين على أن هذا الاجر مستحق لهم على إحسانهم في العبادات (الحكم الثالث) قوله تعالى لا يكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون فقوله لهم ما يشاؤون عند ربهم يدل على حصول الثواب على أكل الوجوه وقوله لا يكفر الله عنهم يدل على سقوط العقاب عنهم على أكل الوجوه فقول المراد أنهم إذا

من استكثر الحسنات
البسيرة ومقابلتها
بالثوابات الكثيرة وحمل
الزيادة على الحقيقة
وان أمكن في الأول بناء
على أن تخصص الاسماء
بالتذكر لبيان تكفير
ما هو به بطريق الأولوية
ضرورة استلزام تكفير
الاسماء بتكفير السيئات
لكن المسلم يكن ذلك
في الأحسن كان الأحسن
نظمهما في سلك واحد
من الاعتبار والجمع بين
صيفتي الماضي والمستقبل
في صلة الموصول الثاني
دون الأول الايدان
باستمرارهم على الأعمال
الصالحة بخلاف السيئة
(أليس الله يكاف عبده)
انكاروا في لعدم كفايته
تعالى على أبلغ وجه
وأكد أنه كأن الكفاية
من التحقق والظهور
بحيث لا يقدر أحد على
أن يتفوه بعد مهملها
أو يتلثم في الجواب
بوجودها والمراد بالعبد
أما رسول الله صلى الله
عليه وسلم أو الجنس
المنتظم له عليه السلام
انتظاماً أولاً وبؤيده

قراءة من قرأ عباده وفسر بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا قراءة من قرأ بكاف في عباده على الإضافة ويكافي عباده على صيغة الغالبة إما من الكفاية لإفادة

المبالغة فيها وأما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قاله قر يش أنا نخاف أن تخذلك آلهتنا وبصيتك مضرتها إليك ﴿٦٦٤﴾ أيها وفي رواية قالوا تكفن عن شم آلهتنا أولي بصيتك

صدقوا الانبياء عليهم السلام فيما اتوا فان الله يكفر عنهم أسوأ أعمالهم وهو الكفر السابق على ذلك الايمان ويوصل اليهم أحسن أنواع الثواب وقال مقاتل يجوز بهم بالمحسن من أعمالهم ولا يجوز بهم بالمساوي واعلم أن مقاتلا كان شيخ المرجئة وهم الذين يقولون لا يضر شيء من المعاصي مع الايمان كما لا ينفع شيء من الطاعات مع الكفر وأصح بهذه الآية فقال انها تدل على أن من صدق الانبياء والرسول فانه تعالى يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ولا يجوز حل هذا الأسوأ على الكفر السابق لان الظاهر من الآية يدل على أن التكفير انما حصل في حال ما وصفهم الله بالتقوى وهو التقوى من الشرك وإذا كان كذلك وجب أن يكون المراد منه الكبائر التي يأتي بها بعد الايمان فتكون هذه الآية تنصيصا على أنه تعالى يكفر عنهم بعد ايمانهم أسوأ ما يأتون به وذلك هو الكبائر (الحكم الرابع) انه جرت العادة أن البطالين يخوفون المحتسين بالتخويفات الكثيرة فحسم الله مادة هذه الشبهة بقوله تعالى أليس الله بكاف عبده وذكره بلفظ الاستفهام والمراد تقرير ذلك في النفوس والامر كذلك لانه ثبت انه عالم بجميع المعلومات قادر على كل المهكنات غنى عن كل الحاجات فهو تعالى عالم حاجات العباد وقادر على دفعها وابدائها بالخير والراحات وهو ليس بخيلا ولا محتاجا حتى يئمه بخلة وحاجته عن اعطاء ذلك المراد وإذا ثبت هذا كان الظاهر انه سبحانه يدفع الآفات ويزيل البليات ويوصل اليه كل المرادات فلهذا قال أليس الله بكاف عبده ولما ذكر الله المقدمة رتب عليها النتيجة المطلوبة فقال ويخوفونك بالذين من دونه يعني لما ثبت أن الله كاف عبده كان التخويف بغير الله عبثا وباطلا قرأ أكثر قراء عبده بلفظ الواحد وهو اختيار أبي عبيدة لانه قال له ويخوفونك روى أن قر يشا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أنا نخاف أن تخذلك آلهتنا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقرأ جماعة عباده بلفظ الجمل قيل المراد بالعباد الانبياء فان نوحا كفاء الخرق و ابراهيم النار ويونس بالانجاء مما وقع له فهو تعالى كافيك يا محمد كما كفى هؤلاء الرسل قبلك وقيل أئمة الانبياء قصدوهم بالسوء لقوله تعالى وهمت كل أمة برسولهم وكفاهم الله شر من عاداهم واعلم انه تعالى لما أظنبت في شرح الوعيد والوعد والترهيب والترغيب ختم الكلام بخاتمة هي الفصل الحق فقال ومن يضل الله فانه من هاد ومن يهدي الله فانه من مضل يعني هذا الفصل لا ينفع والبيئات الا اذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق وقوله أليس الله بعز يزدى انتقام تهديد للكفار واعلم أن أصحابنا يتمسكون في مسألة خلق الاعمال وارادة الكائنات بقوله ومن يضل الله فانه من هاد ومن يهدي الله فانه من مضل والمباحث فيه من الجانبين معلومة والمعتزلة يتمسكون على صحة مذهبهم في هاتين المسئلتين بقوله أليس الله بعز يزدى انتقام ولو كان الخالق للكفر فيهم هو الله لكان الانتقام والتهديد غير لائق به * قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضرره أو أرادني

منهم خيل أو جنون كما قال قوم هو دان نقول الاعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى (ويخوفونك بالذين من دونه) أي الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة استثنائية وقيل حال (ومن يضل الله) حتى غفل عن كفايته تعالى وعصيته له عليه الصلاة والسلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر أصلا (خاله من هاد) يهديه الى خيرا (ومن يهد الله فانه من مضل) بصرفه عن مقصده أو يصيبه بسوء يضل بسألوكم اذ لا راد لفعاله ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى (أليس الله بعز يزدى) غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع (ذى انتقام) ينتقم من أعدائه لا ولاءه واطهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وترية المهابة (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) اوضح الدلائل

وسنوح السبل (قل) تبيكتهم (أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضرره) أي بعد ما تحققت أن خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاجبروني أن آلهتكم ان أرادني الله بضر هل يكشف عن ذلك الضرر (أو أرادني

برحمته ورحمته وتعلق ارادة الضمير والرحمة بنفسه عليه الصلاة والسلام للرد في صورهم حيث كانوا خوفوه مرة
الاوثان ولما فيه من الايدان بالمحاض الشصحة (فل ٢٦٥) بحسبي الله) أي في جميع أموري من اصابة الخير ودفع

الشر روى أنه عليه
الصلاة والسلام
سأله سمسكتوا فزل
ذلك (عليه ينسوك
التوكلون) لا على غيره
أصلا أعلمهم بان كل مأساة
تحت ملكوته هالي (قل
أقوم اعلموا على مكانكم)
على حالتكم التي انتم تمكثون
فيها فان المكانة تستمر
من العين للمعنى كما
تستمر هنا وحيث للزنان
مع كونها للمكان وتقرى
على مكانا تمكثون (الزم
طامل) أي على سكتاتي
فمصدق للاختصاص
والمبالغة في الوعيد
والاشعار بان حاله لا تزال
تزداد قوة بنصراته
عز وجل وتأييده ولذلك
توعدهم بكونه منهمورا
عليهم في الدارين بقوله
تعالى (فسوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه)
فان خزي أعدائه دليل
خاليته عليه الصلاة
والسلام وقد عذبهم الله
تعالى وأخزاهم يوم
يدر (ويحل عليه عذاب
مقيم) أي دائم وهو عذاب
البار (انا أنزلنا عليك
الكتاب للناس) لا لغيرهم

فانه مناط مصالحهم في (٣٤) ساء الماش والعماد (بالحق) حان من قاعل أنزلنا أو من منعواد (فمن اهتدى)
بان عمل بما فيه (فلنفسه)

أى انما نفع به نفسه (من ضل) بان لم يعمل بموجبه (فانما يضل عليها) لما ان وبأل ضلاله مقصور عليها (وما أنت عليهم بوكيل) لتجبرهم على الهدى وما وظيقتك الا البلاغ وقد بلغت أى بلاغ (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها) أى يقبضها من الابدان بان يقطع تعلقها عنهما ﴿ ٢٦٦ ﴾ وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت

نفسك عليهم حسرات فلما أطلب الله تعالى فى هذه الآية فى فساد مذاهب المشركين تارة باللائل والبيّنات وتارة بضرب الامثال وتارة بذكر الوعيد أردفه بكلام يزىل ذلك الخوف العظيم عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال انما أنزلنا عليك هذا الكتاب الكامل الشرىف لنفعم الناس ولا نهدأ عنهم به وجعلنا انزاله مقرونا بالحق وهو المعجز الذى يدل على انه من عند الله فن اهتدى فنفعه يعود اليه ومن ضل فضير ضلاله يعود اليه وما أنت عليهم بوكيل والمعنى انك است مأمورا بان تحملهم على الايمان على سبيل القهر بل القبول وعدم دفعهم اليهم وذلك لتسليط الرسول فى اصرارهم على الكفر ثم بين تعالى أن الهداية والضلال لا يحصلان الا بمحض الله تعالى وذلك لان الهداية تشبه الحياة واليقظة والضلال يشبه الموت والنوم كان الحياة واليقظة وكذلك الموت والنوم لا يحصلان الا بتخليق الله عز وجل وابتعاده فكذلك الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله تعالى فى القدر ومن عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب فصبر بالتيه على هذه الدقيقة سبيل زال ذلك الحزن عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا وجه النظم فى الآية وقيل نظم الآية أنه تعالى ذكر حجة أخرى فى اثبات انه الاله العالم ليدل على انه بالعبادة أحق من هذه الاصنام (المسئلة الثانية) المقصود من الآية انه تعالى يتوفى الانفس عند الموت وعند النوم الا انه يسكن الانفس التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى وهى النائمة الى أجل مسمى أى الى وقت ضربه موتها فقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها يعنى انه تعالى يتوفى الانفس التى نامت ومما ماتت عندها منامها وقوله تعالى فيمك التى قضى عليها الموت يعنى ان النفس التى يتوفاها عند الموت يسكنها ولا يردها الى البدن وقوله ويرسل الاخرى الى أجل مسمى يعنى ان النفس التى يتوفاها عند النوم يردها الى البدن عند اليقظة وتبقى هذه الحالة الى أجل مسمى وذلك الاجل هو وقت الموت فهذه تفسير لفظ الآية وهى مطابقة للحقيقة ولكن لا بد فيه من مزيد بيان فنقول النفس الانسانية عبارة عن جوهر مشرق روحانى اذا تعاقب بالبدن حصل ضوءه فى جميع الاعضاء وهو الحياة فنقول انه فى وقت الموت يقطع تعلقه عن ظاهر هذا البدن وعن باطنه وذلك هو الموت وأما فى وقت النوم فانه يقطع ضوءه عن ظاهر البدن من بعض الوجوه ولا يقطع ضوءه عن باطن البدن فثبت ان الموت والنوم من جنس واحد الا ان الموت انقطاع تام كامل والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه واذا ثبت هذا ظهر ان القادر العالم الحكيم درى تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أوجه (أحدها) ان يقع ضوء النفس على جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه وذلك هو اليقظة (وثانيها) أن يرتفع ضوء النفس عن ظاهر البدن من بعض الوجوه دون باطنه وذلك هو النوم (وثالثها) أن يرتفع ضوء النفس عن البدن بالكلية وهو الموت فثبت أن الموت والنوم يشتملان على كون كل واحد منهما توفيا للنفس ثم يمتاز أحدهما عن الآخر

أوظاها فقط كما عند النوم (فيمك التى قضى عليها الموت) ولا يردها الى البدن وقرى قضى على البناء للمفعول ورفع الموت (ويرسل الاخرى) أى النائمة الى بدنهما عند اليقظة (الى أجل مسمى) هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرده منه فان ذلك الامتداد فيه ولا كية وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فى ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هى التى بها العقل والتبصر والروح هى التى بها النفس والحركة فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكر (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من التوفى على الوجهين والامساك فى أحدهما والارسال فى الآخر (لآيات) عجيبه دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته (اقوم يتفكرون) فى كيفية

تعلقها بالابدان وتوفيقها عها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تقضى بفنائها وما يعتريها من خواص من السعادة والشقاوة وأخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسلها حينئذ الى انقضائها بالها

وامجدوا (اي بن الجدير يس (من دون الله) من دون ادمه تعالى (شفعاء) يسعهم عنده تعالى (قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون) الهمة لانكار الواقع واستباحه والتوبخ عليه أي قل اتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن أن يملكو الشفاعة عند الله تعالى وهي لانكار الوقوع ونفيه

علم ان المراد بيان أن ما فعلوا ليس من اتخاذ الشفعاء في شيء لانه فرع كون الاوثان شفعاء وذلك أظهر المحالات فالقدر حينئذ غير ما قدر أو لا وعلى أي تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذف لدلالة المذكورة عليها أي أشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا ولو كانوا لا يعقلون الخ وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقدر حقيقة مرارا (قل) بمد تكتبهم وتجهلهم بما ذكر تحقيق الحق (لله الشفاعة جميعا) أي هو مالكها لا يستطيع أحد شفاعة ما الا ان يكون المشفوع له مر تضي والشفيع مأذونا له وكلاهما مفقود ههنا وقوله تعالى له ملك السموات والارض) تقرير له وتأكيده أي له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لا يملك أحد أن يتكلم في أمر من أموره بدون اذنه ورضاه (ثم اليه ترجعون) يوم القيامة لا إلى أحد

بخواص معينة في صفات معينة ومثل هذا التدبير الجيب لا يمكن صدوره الا عن اقادر العليم الحكيم وهو المراد من قوله ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ويحتمل أن يكون المراد بهذا أن الدليل يدل على أن الواجب على العاقل ان يبدا الهام ووصف هذه القدرة وبهذه الحكمة وان لا يعبد الاوثان التي هي جادات لاشمورها ولا ادراك واعلم ان الكفار أوردوا على هذا الكلام سوء الاقوال ونحن لانعبد هذه الاصنام لاعتقادنا انها آلهة تضر وتنفع وانما نعبدها لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند الله من المقربين فمن نعبد لاجل أن يصبروا ولك الاكابر شفعاء لنا عند الله فأجاب الله تعالى بأن قال أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون وتقرير الجواب أن هؤلاء الكفار اما أن يطعموا بتلك الشفاعة من هذه الاصنام أو من أوثان العلماء والزهاد الذين جعلت هذه الاصنام تماثيل لها (والاول) باطل لان هذه الجادات وهي الاصنام لا تملك شيئا ولا تعقل شيئا فكيف يعقل صدور الشفاعة عنها (والثاني) باطل لان في يوم القيامة لا يملك أحد شيئا ولا يقدر أحد على الشفاعة الا باذن الله فيكون الشفع في الحقيقة هو الله الذي يأذن في تلك الشفاعة فكان الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره وهذا هو المراد من قوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا ثم بين انه لا ملك لاحد غير الله بقوله له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون ومنهم من تمسك في نفي الشفاعة مطلقا بقوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا وهذا ضيف لاننا سلم انه سبحانه مالم يأذن في الشفاعة لم يقدر أحد على الشفاعة فان قيل قوله الله يتوفى الانفس حين موتها فيه سؤال لان هذا يدل على ان المتوفى هو الله فقط وتأكد هذا بقوله الذي خلق الموت والحياة بقوله رب الذي يحيي ويميت وبقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم ان الله تعالى قال في آية أخرى قل يتوفاكم ملك الموت وقال في آية ثالثة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وجوابه ان المتوفى في الحقيقة هو الله الا انه تعالى فرض في عالم الاسباب كل نوع من أنواع الاعمال الى ملك من الملائكة ففوض قبض الارواح الى ملك الموت وهو رئيس ونجته اتباع وخدم فاضيف التوفى في هذه الآية الى الله تعالى بالاضافة الحقيقية وفي الآية الثانية الى ملك الموت لانه هو الرئيس في هذا العمل والى سائر الملائكة لانهم هم الاتباع لملك الموت والله أعلم بقوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذاهم يستمشرون قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحك بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) ولأن الذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لا فتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبد الله مالم يكونوا يمتسبون وبد الله سيئات ما كتبوا وحق بهم ما كانوا به يستهزئون) اعلم ان هذا نوع آخر من الاعمال القبيحة للمشركين وهو انك اذا ذكرت الله وحده تقول لا اله الا الله وحده لا شريك له ظهرت آثار التفرقة من وجوههم

سواء لا استقلال ولا اشتراك في فعل يومئذ ما يريد (واذا ذكر الله وحده) دون آلهتهم (اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي انقبضت ونفرت كما في قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن

خذوه ولو اعلى اديارهم نفورا (واذا ذكر الذين من دونه) فرادى أو مع ذكر الله تعالى (اذا هم يستبشرون) لفرط افتقارهم
بها ونسيانهم حتى الله تعالى ولقد بولغ في بيان ما بينهم القبيحين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار هو ان يمتلئ القلب
سروا راحتي بنسبته ليدرك الوجه ٢٦٨ والاشمئزاز ان يتأني غيظا رغبا يقبض منه اديم الوجه والعامل

وذلوهم واذا ذكرت الاصنام والذوات ظهرت آثار الفرح والبشارة في قلوبهم
وصدورهم وذلك يدل على الجهل والحماسة لان ذكر الله رأس السعادات وعنوان الخيرات
وأما ذكر الاصنام التي هي الجمادات الخسيسة فهو رأس الجهالات والحماقات فنفرتهم
عن ذكر الله وحده واستبشارهم بذكر هذه الاصنام من أقوى الدلائل على الجهل الغليظ
والحق الشديد قال صاحب الكشاف وقد يقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد
منهما متعارف في نفسه لان الاستبشار ان يتأني قلبه سرورا حتى يظهر أثر ذلك السرور في بشرة
وجهه ويتمهل والاشمئزاز ان يظلم غم وغيمه فيقبض الروح الى داخل القلب فيبقى
في اديم الوجه أثر الغيرة والظلمة الارضية ولما حكى عنهم هذا الامر العجيب الذي تشهد
فطرة العقل بفساده ردفعه بامرين (أحدهما) انه ذكر الدعاء العظيم فوصفه أولا بالقدرة
النامية وهي قوله قل اللهم فاطر السموات والارض وثانيا بالعلم الكامل وهو قوله تعالى
عالم الغيب والشهادة وانما قدم ذكر القدرة على ذكر العلم لان العلم يكونه تعالى قادرا
مقدم على العلم يكونه عالما ولما ذكر هذا الدعاء قال انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون يعني ان نفرتهم عن التوحيد وفرحهم عند سماع الشرك أمر معلوم الفساد
ببدية العقل ومع ذلك القوم قد أصروا عليه فلا يقدر أحد على ازالته عن هذا
الاعتقاد الفاسد والمذهب الباطل الا أنت عن أبي سلمة قال سألت عائشة بم كان يفتتح
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته بالليل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل
واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما
كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك وانك لتهدي من تشاء الى صراط
مستقيم واعلم انه تعالى لما حكى عنهم ذلك المذهب الباطل ذكر في وعيدهم اشياء (أولها)
ان هؤلاء الكفار لو لم ياكلوا في الارض من الاموال ولم يكتسبوا مثله معه لجعلوا
الحل فدية لانفسهم من ذلك العذاب الشديد (وثانيها) قوله تعالى وبدالهم من الله عالم
يكونوا يحسبون أي ظهرت لهم أنواع من العقاب لم تكن في حسابهم وكان الله صلى الله
عليه وسلم قال في سفة الثواب في الجنة فيهما الما ليعين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر فكذلك في العقاب حصل مثله وهو قوله وبدالهم من الله عالم يكتسبون
(وثالثها) قوله تعالى وبدالهم سيئات ما كسبوا ومعناه ظهرت لهم آثار تلك السيئات التي
اكتسبوا أي ظهرت لهم أنواع من العقاب آثار تلك السيئات التي اكتسبوا ثم قال
وحاق بهم من كل الجوانب جزاء ما كانوا يستهترون به فنبه تعالى بهذه الوجوه على عظم
عقابهم قوله تعالى (فاذا من الانسان ضرعا نائم اذا خروا نعمة من اقال اعسا وتيته
على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون فحقها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا
يكسبون فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيئاتهم سيئات ما كسبوا
وما هم بمعجزين أولم يعلموا ان الله يبدل الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم

في اذا الاولى اشأزت
وفي الثانية ما هو العامل
في اذا المفاجأة تفديده
وقت ذكر الذين من
ذونه فاجسوا وقت
الاستبشار (قل اللهم
فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة)
اي التجي اليه تعالى
بالدعاء لما عبرت في أمر
الدعوة وضجرت من
شدة شكيتهم في المكابرة
والعناد فانه القادر على
الاشياء يجعلها والعالم
بالاحوال يبرئها (أنت
تحكم بين عبادك فيما
كانوا فيه يختلفون) أي
حكما يسلمه كل مكابر
معاند ويخضع له كل
عات مارد وهو العذاب
الديني أو الاخرى
وقوله تعالى (ولو ان
للذين ظلموا من الارض
جميعا) الخ كلام مستأنف
مسوق لبيان آثار الحكم
الذي استنداء النبي
صلى الله عليه وسلم غاية
شدة وفضاعته أي أو
أنهم جميع ما في الدنيا
من الاموال والذخائر
مثله معه لا قدواه
من سوء العذاب يوم

القيامة) أي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد وهرجات ولات حين مناص وهذا كما ترى ﴿يؤمنون﴾
وفيه شديد وإقناط كلهم من الخلاص (وبدالهم من الله عالم يكونوا يحسبون) أي ظهر لهم

من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين (و بدلهم سيئات ما كسبوا) سيئات أعانهم أو كسبهم حين تعرض عليهم ضوائفهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) (٢٦٩) أي أحاط بهم جزاؤه (إذ أمس الإنسان ضرر

يؤمنون) اعلم أن هذا حكاية طريقة أخرى من طرائقهم الفاسدة وذلك لأنهم عند الوقوع في الضر الذي هو الفقر والمرض يفرعون إلى الله تعالى ويرون أن دفع ذلك لا يكون إلا منه ثم أنه تعالى إذا خولهم النعمة وهي إما السعة في المال أو السانحة في النفس زعمانه إنما حصل ذلك بكسبه و بسبب جهده وجده فإن كان ما لا قال إنما حصل بكسبي وإن كان صحة قال إنما حصل ذلك بسبب العلاج الفلاني وهذا تناقض عظيم لأنه كان في حال العجز والحاجة أضاف الكل إلى الله وفي حال السلامة والصحة قطعه عن الله وأسند إلى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح فيبين تعالى قبح طريقته فيهم فيأثم عليه عند الشدة والرخاء بلفظة وجيزة فصيحة فقال بل هي فتنة يعني النعمة التي خولها هذا الكافر فتنة لأن عند حصولها يجب الشكر وعند فواتها يجب الصبر ومن هذا حاله يوصف بأنه فتنة من حيث يختبر عنده حال من أوتي النعمة كما يقال فتن الله بالناز إذا عرضته على النار لتعرف خلاصته ثم قال تعالى ولكن أكثرهم لا يعاون والمعنى ما قدمنا أن هذا الخويل إنما كان لأجل الاختبار * وبقي في الآية أبحاث نذكرها في معرض السؤال والجواب (السؤال الأول) ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء هنا وعطف مثلها في أول السورة بالواو والجواب أنه تعالى حكى عنهم قبل هذه الآية أنهم يشتمون من سماع التوحيد ويستبشرون بسماع ذكر الشركاء ثم ذكر بقاء التعقيب أنهم إذا وقعوا في الضر والبلاء والتجؤا إلى الله تعالى وحده كان الفعل الأول متناقضا للفعل الثاني فذكر فاء التعقيب ليدل على أنهم واقعون في المناقضة الصريحة في الحال وأنه ليس بين الأول والثاني فاصل مع أن كل واحد منهما مناقض للثاني فهذا هو الفائدة في ذكر فاء التعقيب ههنا فاما الآية الأولى فليس المقصود منها بيان وقوعهم في التناقض في الحال فلا جرم ذكره الله بحرف الواو لا بحرف الفاء (السؤال الثاني) ما معنى الخويل الجواب الخويل هو التفضل يعني نحن نتفضل عليه وهو يظن أنه إنما وجد به بالاستحقاق (السؤال الثالث) ما المراد من قوله قال إنما أوتيته على علم الجواب يحتمل أن يكون المراد إنما أوتيته على علم الله بكوني مستحقا لذلك ويحتمل أن يكون المراد إنما أوتيته على علمي بكوني مستحقا له ويحتمل أن يكون المراد إنما أوتيته على علم لاجل ذلك العلم قدرت على اكتسابه مثل أن يكون مريضا فيعالج نفسه فيقول إنما وجدت الصحة لعلمي بكيفية العلاج وإنما وجدت المال لعلمي بكيفية الكسب (السؤال الرابع) النعمة مؤثمة والضمير في قوله أوتيته عائدا على النعمة فضمير التذكير كيف عاد إلى المؤنث بل قال بعده بل هي فتنة فجعل الضمير مؤنثا فالسبب فيه والجواب أن التقدير حتى إذا خولناه شيئا من النعمة فلفظ النعمة مؤنث ومعه مذكر فلا جرم جاز الأمر أن ثم قال تعالى قد قالها الذين من قبلهم فأنغنى عنهم الضمير في قالها راجع إلى قوله إنما أوتيته على علم عندي لأنها كلمة أو جملة من المقول والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال إنما أوتيته على علم عندي وقومه راضون به

دعانا) أخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفرادها والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على ما مر من حالتهم انقبضت وما بينهما اعتراض مؤكّد الإنكار عليهم أي أنهم يشتمون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فإذا مسهم ضرر دعوا من أشاء زوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره (ثم إذا خولناه نعمة منا) أعطيناها إياها تفضلا فان الخويل مختص به لا يطلق على ما أعطى جزاء (قال إنما أوتيته على علم) أي على علمي بوجوه كسبه أو بآني سأعطاه لمالي من الأستحقاق أو على علم من الله تعالى بي وبأستحقاقي والهاء لما أن جعلت موصولة والفاء فلنعممة والتذكير لما أن المراد شيء من النعمة (بل هي فتنة) أي محنة وابتلاء أبشكر أم يكفر وهو رد للمقالة وتغيير السبب للبالغة

فيه والایذان بأن ذلك ليس من باب الإتياء النبي عن الكرامة وإنما هو أمر مبين له بالكلية وثابت الضمير باعتبار لفظ النعمة أو باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير (ولكن أكثرهم لا يعاون) أن الأمر كذلك وفيه دلالة على أن المراد بالإنسان هو الجنس (قد قالها الذين من قبلهم) إلهاء لقوله

انما اوتيناه على علم لانها كلمة اوجلة وقرئ بالذكور والوصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيناه على علم عندى وهم رافضون به (فاعني عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا ويجمعون منه (اصابهم سيئات ما كسبوا) جزئ سيئات اعمالهم ﴿ ٢٧٠ ﴾ اواجزية ما كسبوا ونسبتها سيئات لانها في مقابلة

فكانهم قالوها ويجوز ايضا ان يكون في الالم الخالية قائلون مثلها ثم قال تعالى فاعني عنهم ما كانوا يكسبون أى ما أغنى عنهم ذلك الاعتقاد الباطل والقول الفاسد الذى اكتسبوه من عذاب الله شيئا بل أصابهم سيئات ما كسبوا ولما بين في أوامرك المتقدمين انهم أصابهم سيئات ما كسبوا أى عذاب عقائدهم الباطلة وأقوالهم الفاسدة قال وما هم بمعجزين أى لا يعجزوننى فى الدنيا والآخرة ثم قال تعالى أولم يعلموا أن الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر أى أولم يعلموا أن الله تعالى هو الذى يسط الرزق لمن يشاء تارة ويقبض تارة أخرى وقوله ويقدر أى ويقتر ويضيق والدليل عليه انارى الناس مختلفين فى سعة الرزق وضيقه ولا بد من سبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهله لانارى العاقل القادر فى أشد الضيق ونرى الجاهل المريض الضعيف فى أعظم السعة وليس ذلك أيضا لاجل الطبايع والانجم والافلاك لان فى الساعة التى ولد فيها ذلك الملك الكبير والسلطان القاهر قد ولد فيه أيضا عالم من الناس وعالم من الحيوانات غير الانسان ويولد أيضا فى تلك الساعة عالم من النبات فلما شاهدنا حدوث هذه الاشياء الكثيرة فى تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة فى السعادة والشقاوة علمنا انه ليس المؤثر فى السعادة والشقاوة هو الطالع ولما بطلت هذه الاقسام علمنا ان المؤثر فيه هو الله سبحانه وصح هذا البرهان العقلى القاطع صحة قوله تعالى أولم يعلموا أن الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر قال الشاعر فلا السعد يقضى به المشتري * ولا التمس يقضى علينا زجل ولكنك حكيم رب السما * وقاضى القضاة تعالى وجل

﴿ قوله تعالى ﴾ (قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) انه هو الغفور الرحيم وانيدوا الى ربكم واسئلوه من قبل ان يأتىكم العذاب ثم لاتنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتىكم العذاب بغتة وانتم لاتشعرون ان تقول نفس باحسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو ان الله هدانا لكانت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو انى كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) اعلم انه تعالى لما أطلب فى الوعيد أردفه بشرح كل رحمة وفضله واحسانه فى حق العبيد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى يعفو عن الكبائر فقالوا انما بينا فى هذا الكتاب ان عرف القرآن جازي تخصيص اسم العباد بالمؤمنين قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال هين يشرب بها عباد الله ولاننا نعلم العباد مذكور فى معرض التعظيم فوجب ان لا يقع الاعلى المؤمنين اذا ثبت هذا ظهر ان قوله يا عبادى مختص بالمؤمنين ولان المؤمن هو الذى يعترف بكونه عبد الله أما المشركون فانهم يسمون انفسهم بعباد اللات والعزى وعبد المسيح فثبت ان قوله يا عبادى لا يلىق الا بالمؤمنين اذا ثبت هذا فنقول انه تعالى قال الذين اسرفوا على انفسهم وهذا

سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها (والذين ظلموا من هؤلاء) المشركين ومن للبيان اول تتبع أى أفرطوا فى الظلم وانعتو (سيئاتهم سيئات ما كسبوا) من الكفر والمعاصى كما أصاب أولئك والسبب للتاكيد وقد أصابهم أى اصابه حيث قعطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر (وما هم بمعجزين) أى فأتين (أولم يعلموا) أى أقالوا ذلك ولم يعلموا أو أغفلوا ولم يعلموا (أن الله يسط الرزق لمن يشاء) أن يسطله (ويقدر) لمن يشاء أن يقدره من غير أن يكون لاحد مدخل ما فى ذلك حيث حبس عنهم الرزق سيما ثم بسطه لهم سبعا (ان فى ذلك) الذى ذكر (لايات) دالة على أن الحوادث كافة من الله عز وجل (لقوم يؤمنون) اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها (قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم) أى

أفرطوا فى الجنابة عليها بالاسراف فى المعاصى واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عام ﴿ عرف القرآن الكريم ﴾ (لاتقنطوا من رحمة الله) أى لا تياسوا من مغفرته أولا وتفضلته ثانيا (ان الله يغفر الذنوب جميعا) عفوا لمن يشاء

وأول بعدين تعذيب في الجحيم وبغيره حسامات وتقييده بالنوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الإطلاق فيما عدا الشرك وما يدل عليه التعليل بقوله تعالى (إنه هو الغفور الرحيم) على البالغة واقادة الحصر والوعيد بالرحمة بعد ﴿ ٢٧١ ﴾ المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة عما في عبادي

من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بأنفسهم والتهني عن القسوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة وإطلاقها وتعليلها بأن الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالة على أنه المستغنى والمنعم على الإطلاق وإنما كيد بالجمع وما روى من أسباب النزول الدالة على ورود الآية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ووجوب حل المطاق على المقيد في كلام واحد مثل أكرم الفضلاء أكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الأمر بالتوبة والاختصاص في قوله تعالى وأنبئوا إلى ربكم وأسألوا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون (أفليس المدعى أن الآية تدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لغنى عن الأمر بها وتنافي الوعيد بالعذاب

عام في حق جميع المسرفين ثم قال تعالى إن الله يغفر الذنوب جميعا وهذا يقتضي كونه غافرا لجميع الذنوب الصادرة عن المؤمنين وذلك هو المقصود فان قبل هذه الآية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها والالزم انقطع بكون الذنوب مغفورة قطعا وأنتم لا تقولون به فها هو مدلول هذه الآية لا تقولون به والذي تقولون به لا يدل عليه هذه الآية فسقط الاستدلال وأيضا أنه تعالى قال عقيب هذه الآية وأنبئوا إلى ربكم وأسألوا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون إلى قوله بغنة وأنتم لا تشعرون ولو كان المراد من أول الآية أنه تعالى غفر جميع الذنوب قطعا لما أمر عقيب بالتوبة ولما خوفهم بنزول العذاب عليهم من حيث لا يشعرون وأيضا قال أن تقول نفس يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله وأوكلات الذنوب كلها مغفورة نأى حاجة به إلى أن يقول يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله وأيضا فلو كان المراد ما يدل عليه ظاهر لفظ الآية لكان ذلك اغراء بالعاصي وإطلاقا في الأقدام عليه وأوذلك لا يليق بحكمة الله وإذا ثبت هذا وجب أن يحل على أن يقال المراد منه التنبيه على أنه لا يجوز أن يظن العاصي أنه لا يخص له من العذاب البتة فان من اعتقد ذلك فهو قائل من رحمة الله إذا لأحد من العصاة المذنبين الأومئ تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة فعنى قوله إن الله يغفر الذنوب جميعا أي بالتوبة والانتابة والجواب قوله الآية تقتضي كون كل الذنوب مغفورة قطعا وأنتم لا تقولون به قلنا بل نحن نقول به ونذهب اليد وذلك لأن صيغة يغفر صيغة المضارع وهي الاستقبال وعندنا أن الله تعالى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وعلى هذا التقدير فصاحب الكبيرة مغفوره قطعا أما قبل الدخول في نار جهنم وأما بعد الدخول فيها فثبت أن ما يدل عليه ظاهر الآية فهو عين مذهبتنا أما قوله أو صارت الذنوب بأسرها مغفورة لما أمر بالتوبة فالجواب أن عندنا اتوبة واجبة وخوف العقاب قائم فانا لا نقطع بإزالة العقاب بالحكمة بل نقول له لا يغفر قطعا وأمله يذهب بالنار مدة ثم يغفر بعد ذلك وبهذا الحرف يخرج الجواب عن بقية الأسئلة والله أعلم (المسئلة الثانية) اعلم أن هذه الآية تدل على رحمة الرحمة من وجوه (الأول) أنه سمي المذنب بالعبد والعبودية مفسرة بالخدمة والذلة والسكنة واللاق بالرحيم الكريم أفاضت الخير والرحمة على المسكين الخناج (الثاني) أنه تعالى أضافهم إلى نفس سيئة الأضافة فقال يا عبادي الذين أسرفوا وشرف الأضافة إليهم يفيد الأمن من العذاب (الثالث) أنه تعالى قال أسرفوا على أنفسهم ومعناه أن ضرر تلك الذنوب ما عاد اليدل هو عائد إليهم فيكفهم من تلك الذنوب عود مضارها إليهم ولا حاجة إلى الحاق ضرر آخر بهم (الرابع) أنه قال لا تقنطوا من رحمة الله فيها هم عن القنوط فيكون هذا أمرا بالرجاء والكريم إذا أمر بالرجاء فلا يليق به إلا الكرم (الخامس) أنه تعالى قال أوليا عبادي وكان الالهي أن يقول لا تقنطوا من رحمتي لكنه ترك هذا اللفظ وقال لا تقنطوا من رحمة الله لأن قولنا الله أعظم أسماء الله وأجلها فالرحمة المضافة إليه

(واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) أي أقرآن أو المأثور به دون المنهى عنه أو العرائم دور الرخص أو الناسخ دون المنسوخ وأمله ما هو أنجي وأسلم كالأناية والمواظبة على الطاعة (من قبل أن يأتيكم العذاب بغنة وأنتم لا تشعرون) يجيئه ليتداركوا وتأهبوا له (أن تقول نفس) أي كراهة أن تقول والتشكير للتكثير كافي قوله تعالى علمت نفس

ما أحضرت فانه مسلوك وما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقدم تحفته في مطلع سورة الحجر (يا حسرتنا) بالالف بدلا من يا الاضافة وقرئ يا حسرتنا بهاء السكت وقفوا قرئ يا حسرتنا بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتي على الاصل أي احضري فهذا أوان حضورك (على ما فرطت) أي ﴿ ٢٧٢ ﴾ على تفریطى تصغيرى (في جنب الله) أي

جانبه وفي حقه وطاعته وعليه قول من قال * أمانتقين الله في جنب وامي * له كبد حري وعين تفرق * وهو كناية فيها مبالغة وقيل في ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قرينه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله (وان كنت لمن الساخرين) أي المستهزئين بدين الله تعالى وأهله ومعل الجملة النصب على الحال أي فرطت وأنا ساخر (أو تقول لو أن الله هداني) بالارشاد الى الحق (لكنت من التقيين) الشرك والمعاصي (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة) رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) في المشيئة وأعمل وأؤبد لا على أنها لا تخفى عن هذه الأقوال تحسيرا وخيرا وتعذلا لا لا طائل من تحته وقوله تعالى (يلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها) واستكبرت وكنت من الساخرين) رد من الله تعالى عليه لما أضاعه

يجب أن تكون أعظم أنواع الرحمة والفضل (السادس) انه لما قل لا تقنطوا من رحمة الله كان الواجب أن يقول انه يغفر الذنوب جميعا ولكنه لم يقل ذلك بل أعاد اسم الله وقرن به نقضة ان المفيدة لا عظم وجوه التأكيد وكل ذلك يدل على المبالغة في الوعد بالرحمة (السابع) انه لو قل يغفر الذنوب لكان المقصود حاصلا لكنه أردفه بالمفظة الدال على التأكيد فقال جميعا وهذا أيضا من المؤكدات (الثامن) انه وصف نفسه بكونه غفورا ولم يفتقر يغفر المبالغة (والناصح) انه وصف نفسه بكونه رحيا والرحمة تفيد فائدة زائدة على المعفرة فكان قوله انه هو الغفور اشارة الى ازالة موجبات العقاب وقوله الرحيم اشارة الى تحصيل موجبات الرحمة والثواب (العاشر) أن قوله انه هو الغفور الرحيم يفيد الحصر ومعناه انه لا غفور ولا رحيم الا هو وذلك يفيد الكمال في وصفه سبحانه بالغفران والرحمة فهذه الوجوه العشرة بمجموعة في هذه الآية وهي بأسرها دالة على كمال الرحمة والغفران ونسأل الله تعالى الفوز بها والنجاة من العقاب بفضلته ورحمته (المسئلة الثالثة) ذكروا في سبب النزول وجوها قيل انها نزلت في أهل مكة فأنهم قالوا يزعم محمد أن من عبدا لا يؤمن وقتل النفس لا يغفر له وقد عبدنا وقتلنا فكيف نسلم وقيل نزلت في وحشي قاتل حرة لما أراد أن يسلم وخاف أن لا تقبل توبته فلما نزلت الآية أسلم فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه خاصة أم للمسلمين عامة فقال بل للمسلمين عامة وقيل نزلت في أناس أصابوا ذنوبا عظيما في الجاهلية فلما جاء الاسلام أسفقوا أن لا يقبل الله توبتهم وقيل نزلت في عياض بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين أسلموا ثم فتنوا فافتنوا وكان المسلمون يقولون فيهم لا يقبل الله منهم توبتهم فنزلت هذه الآيات فكشبهما عمرو بن وهب بهم فأسلموا وهاجروا واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فنزلت هذه الآيات في هذه الوقائع لا ينعم من عمومها (المسئلة الرابعة) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم يا عبادي اتقوا الله والياقوت وعاصم في بعض الروايات بغير فتح وكلهم يقولون يا عبادي لا يلائم في المصنف ما في بعض روايات أبي بكر عن عاصم انه يقف بغير ياء وقرأ أبو عمرو والكسائي تقنطوا بكسر التثنية والياقوت بفتحها وهما لغتان قال صاحب الكشف وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا من يشاء ثم قال تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا عاصم يا عبادي اتقوا الله واسلموا له أي واخضعوا له العمل وانما ذكر التمام على التمام لئلا يطمع طامع في حصوها بغير توبة والدلالة على ان السطر فيها لازم فاعلم بمرته وأقول هذا الكلام ضعيف جدا لان عندنا التوبة بقصد المعاصي واجبة عليهم من ورود الأمر بها طمعا في الوعد بالفقرة فان قالوا وكان الوعد بالفقرة مائة مائة فما لا يوجب الى التوبة ثم التوبة لما أراد الاستعانة بالعقاب فإذا سقط العقاب بغير الله منه فلا حاجة الى التوبة فتقول هذا ضعيف لان مذهبا انه تعالى وان كان يغفر الذنوب فغفارا يغفر عنها طمعا لان هذا المقود الغفران يقع على وجهين

قوله لو أن الله هداني من معنى النبي وفصله عنه لما أن تقديمه يفرق امرين وتأخير الردود ينزل ﴿ تارة ﴾ بالترتيب الوجوه لانه يحسب بالتفریط ثم يعمل بفقد الهداية ثم يفتي الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا مافي من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى

تارة يقع ابتداء وتارة يعذب مدة في النار ثم يخرج منه فتأخذ التوبة
ازالة هذا العقاب فثبت ان الذي قاله صاحب التفسير ضعيف ولا فائدة فيه ثم قال
واتبعوا احسن ما اوتى اليكم من ربكم واعلم انه تعالى لما وعد بالعقوبة امر بعد هذا الوعد
بأشياء (فالاول) امر بالانابة وهو قوله تعالى واتوبوا الى ربكم (والثاني) امر بتابعة
الاحسن وفي المراد بهذا الاحسن وجوه (الاول) انه القرآن ومعناه واتبعوا القرآن
والدليل عليه قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا (الثاني) قال الحسن معناه
واتبعوا طاعة الله واجتنبوا معصية الله فان الذي انزل على ثلاثة اوجد ذكر الفصح
ليجنب عنه والادون لئلا يرغب فيه والاحسن ليتقوى به ويتبع (الثالث) المراد
بالاحسن الناسخ دون المنسوخ لان الناسخ احسن من المنسوخ لقوله تعالى ما ننسخ
من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ولان الله تعالى لما نسخ حكم ما أوثبت حكم آخر كان
اعتمادنا على الناسخ احسن لنا من اعتمادنا على المنسوخ ثم قال من قبل ان يأتيكم
العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون والمراد منه التهديد والتحذير والمعنى أنه يفجأ بالعذاب
وأنتم غافلون عنه واعلم انه تعالى لما خوفهم بالعذاب بين تعالى أن يتقدر نزول العذاب
عليهم ماذا يقولون فحكى الله تعالى عنهم ثلاثة أنواع من الكلمات (فالاول) قوله تعالى
ان تقول نفس يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين وفيه مسائل
(المسئلة الاول) قوله ان تقول مفعول به أي كراهة أن تقول يا حسرتنا على ما فرطت
في جنب الله وأما تكبير لفظا لنفس ففيد وجهان (الاول) يجوز أن تراد نفس بمنزلة عن
سائر النفوس لاجل اختصاصها بما يريد اضرار بالآليني غبتها في العاصي (والثاني)
يجوز أن يراد به الكثرة وذلك لانه ثبت في عمل أصول الفقه ان الحكم المنصوب
عقوب وصف يناسب يفيد الظن بأن ذاك الحكم معلل بذلك الوصف فتوابعنا حسرتنا
يدل على غاية الاسف ونهاية الحزن والله من كور عقيب قوله تعالى على ما فرطت في جنب
الله وانقر يط في طاعة الله تعالى يتناسب شدة الحسرة وهذا يقتضي حصول تمام
الحسرة عند حصول هذا التفرط وذلك يفيد العموم بهذا الطريق (المسئلة الثانية)
القاتلون بأثبات الاعضاء لله تعالى استدلو على اثبات الجنب بهذه الآية واعلم ان
دلائلنا على نفى الاعضاء قد كثرت فلا بد من الاعادة ونقول بتقدير أن يكون المراد من
هذا الجنب عضو مخصوص بالله تعالى فإنه يتشعب وقمع التفرط فيه فثبت انه لا بد من المصير
الى التأويل والمفسرين فيه عبارات قال ابن عباس يريد ضيعت من ثواب الله وقال
مناهل ضيعت من ذكر الله وقال مجاهد في أمر الله وقال الحسن في طاعة الله وقال سعيد
ابن جبير في حق الله واعلم ان الاكثار من هذه العبارات لا يفيد شرح المصداق وشفاء
الغليل فتقول الجنب سمي جنبا لانه جانب من جوانب ذلك الشيء والشيء الذي يكون من
لوازم الشيء وتوابعه يكون كأنه جنود من جنوده وجانب من جوانبه فلما حصلت هذه

وقرى بالتأنيث (وبوم
التيامة ترى الذين كذبوا
على الله) بأن وصفوه
بالإلحاق بشأنه كأنه
الولد (وجوههم مسودة)
بما يسألهم من الشدة
أو بما يتخيل عليها من
ظلمة الجهل والجملة حال
قد اكتفى فيها بالضمير
عن الواو على أن الرؤية
بصرية أو مفعول ثان لها
على أنها عاقبة (أليس
في جهنم مثوى) أي مقام
(للكافرين) من الايمان
والطاعة وهو تقرير لما
قبله من رؤيتهم كذلك
(ونجى الله السدين)
اتقوا الشرك والمعاصي
أي من جهنم وقرى
ينجى من الانبياء
(بمقتلهم) مصدر ميمي
امان فاز بالمطلوب أي
تفر به والباء متعلقة
بمعدوف هو حال من
الموصول مفيدة لمقارنة
تجيبهم من العذاب
انيل الثواب أي ينجيهم
الله تعالى من مشوى
المكبرين ملتبس بنفوزهم
بمناو بهم الذي هو
الجنة وقوله تعالى (لا
يسعهم السوء ولا هم
يخرجون) اما مال أخرى من

المشابهة بين الجنب الذي هو العوض وبين ما يكون لازماً للشئ وتابعه لاجرم حسن إطلاق لفظ الجنب على الحق والامر والطاعة قال الشاعر

أمانتقين الله في جنب وامنق * له كبد حرا عليك تقطم

(المسئلة الثالثة) قال صاحب الكشاف قرئ يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والعوض عنه وأما قوله تعالى وان كنت لمن الساخرين أي انه ما كان مكتفياً بذلك التقصير بل كان من المستهزئين بالدين قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخروا منها ومحل وان كنت نصب على الحال كأنه قال فرطت في جنب الله وأنا ساخر أي فرطت في حال سخريتي (النوع الثاني) من الكلمات التي حكاه الله تعالى عن أهل العذاب انهم يذكرونه بعد نزول العذاب عليهم قوله أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين (النوع الثالث) قوله أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين وحاصل الكلام ان هذا المنصر أي بثلاثة أشياء (أولها) الحسرة على التفريط في الطاعة (وثانيها) التعلل بفقد الهداية (وثالثها) تمنى الرجعة ثم أجاب الله تعالى عن كلامهم بأن قال التعلل بفقد الهداية باطل لان الهداية كانت حاضرة والاعذار زائلة وهو المراد بقوله بلى قد جاءك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين وههنا مسائل (المسئلة الاولى) قال الزجاج بلى جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي الا أنه حصل فيه معنى النفي لان معنى قوله لو أن الله هداني انه ما هداني فلا جرم حسن ذكر لفظة بلى بعده (المسئلة الثانية) قال الواحدي رحمه الله القراءة المشهورة واقعة على التذكير في قوله بلى قد جاءك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين لان النفس تقع على الذكر والانثى فخطب المذكر وروى الربيع بن أنس عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ على التأنيث قال أبو عبيد او صح هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم لكان حجة لا يجوز لأحد تركها ولكنه ليس بمسند لان الربيع لم يدرك أم سلمة وأما وجه التأنيث فهو انه ذكر النفس ونفط النفس ورد في القرآن في أكثر الامر على التأنيث بقوله سواك لي نفسي وان النفس لأثارة بالسوء وبآياتها النفس المطمئنة (المسئلة الثالثة) قال القاضي هذه الآيات دالة على صحة القول بالقدر من وجوه (الاول) انه لا يقال فلان أسرف على نفسه على وجه الذم الا لما يكون من قبله وذلك يدل على أن افعال العباد تحصل من قباهم لا من قبل الله تعالى (وثانيها) ان طلب التفران والرجاء في ذلك أو البأس لا يحسن الا اذا كان الفعل فعل العبد (وثالثها) اضافة الانابة والاسلام اليه من قبل أن يأتيه العذاب وذلك لا يكون الا مع تمكنه من محاولتها قبل نزول العذاب ومذهبهم أن الكافر لم يتمكن قط من ذلك (ورابعها) قوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وذلك لا يتم الا بما هو المختار للاتباع (وخامسها) ذمهم على انهم لا يشعرون بما يوجب العذاب وذلك لا يصح الا مع التمكن

الموصول أو من ضمير مقارنتهم مفيدة لتكون نجاتهم أو فوزهم بالجنة خير مسبوقه بمساس العذاب والحزن وامان فازمته أي نجاته والباء للملابسة وقوله تعالى لا يسهم الى آخره تفسير ويان لمقارنتهم أي ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم أي بنفي سوء الحزن عنهم أو اللبسية اما على حذف المضاف أي ينجيهم بسبب مقارنتهم التي هي تقواهم كما يشعر به ايراده في حيز الصلة واما على إطلاق المقارنة على سببها الذي هو التقوى وليس المراد في دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مراراً (الله خالق كل شئ) من خير وشر وایمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لاسبابها (وهو على كل شئ وكيل) يتولى التصرف فيه كيفما يشاء (له مقابليد السموات والارض) لا يملك أمرها ولا يمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته

تعالى وحفظه لها وفيها من يدلالة على ٢٧٥ الاستقلال والاستبذاد لان الخزان لا يدخلها ولا يتصرف

فيها الا من بيده مفاتيحها
وهو جـع مقلد او
مقلاد من قلده اذا
الزمته وقبل جمع اقليد
معرب كليلد على الشذوذ
كالذاكير وعن عثمان
رضي الله عنه أنه سأل
النبي صلى الله عليه وسلم
عن المنافذ فقال عليه
الصلاة والسلام
تفسيرها لا اله الا الله
والله أكبر وسبحان الله
وبحمده وأستغفر الله
ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم هو الاول
والاخر والظاهر
والباطن بيده الخير
يحيي ويميت وهو على
كل شيء قدير والمعنى
على هذا ان الله هذه
الكلمات بوحدها
ويجحد وهي مفاتيح
خير السموات والارض
من تكلم بها أصابه
(والذين كفروا آيات
الله أولئك هم الخاسرون)
متصل بما قبله والمعنى
ان الله تعالى خالق
جميع الاشياء
ومتصرف فيها كيفما
يشاء بالاحياء والامانة

من الفعل (وسادسها) قولهم يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله ولا يتحسر المرء على امر
سبق منه الا وكان يصح منه أن يفعله (وسابعها) قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله ومن
لا يقدر على الايمان كما يقول اقوم ولا يكون الايمان من فعله لا يكون مفرطاً (وثامنها)
ذمهم بانهم من الساخرين وذلك لا يتم الا أن تكون السخرية فعلهم وكان يصح
منهم أن لا يفعلوه (وتاسعها) قوله لو أن الله هداى أى مكنتى لكنت من المتقين وعلى
قولهم اذا لم يقدر على التقوى فكيف يصح ذاك منه (وعاشرها) قوله لو أن لى كرة
فاكون من المحسنين وعلى قولهم لورد الله أبدا كرة بعد كرة وليس فيه الاقدرة الكفر
لم يصح أن يكون محسناً (والحادى عشر) قوله تعالى مو يخالهم بلى قد جاءتك آياتى
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين فبين تعالى ان الحجمة عليهم لله لأن الحجمة لهم
على الله ولو أن الامر كما قالوا لكان لهم أن يقولوا قد جاءنا الآيات ولكنك خالفت فيها
اتكذيب بها ولم تقدرنا على التصديق بها (والثانى عشر) انه تعالى وصفهم بالتكذيب
والاستكبار والكفر على جهة الذم ولولم تكن هذه الاشياء أفعالهم لما صح هذا الكلام
(والجواب) عند ان هذه الوجوه معارضة بما ان القرآن ملوء من أن الله تعالى هو الذى
يضل ويمنع ويصدر منه اللين والقسوة والاستدراج ولما كان هذا التفسير ما أوامنه لم يكن
الى الاعادة حاجة * قوله تعالى (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
أليس في جهنم مثوى للكافرين) وينجى الله الذين اتقوا بما فازتهم لا يمسهم السوء ولا هم
يحرثون) اعلم ان هذا نوع آخر من تقرير الوعيد والوعد أما الوعيد فقوله تعالى ويوم
القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وفيه بحثان (أحدهما) ان هذا
التكذيب كيف هو (والثانى) ان هذا السواد كيف هو أما الاول وهو البحث عن حقيقة
هذا التكذيب فنقول المشهور ان الكذب هو الاخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه
ومنهم من قال هذا القدر لا يكون كذبا بل الشرط في كونه كذبا ان يقصد الاتيان بخبر
يخالف المخبر عنه اذا عرفت هذا الاصل فتذكر أقوال الناس في هذه الآية قال الكعبى
ويرد الجبر بان هذه الآية قد وردت في المجبرة ثم قال والدليل على ان الامر كذلك ان هذه
الآية وردت عقيب قوله لو ان الله هداى يعنى انه ما هداى بل أضانى فلما حكي الله هذا
عن الكفار ثم ذكر عقبيه ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وجب أن يكون
هذا عائدا الى ذلك الكلام المتقدم ثم روى عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما بال أقوام يصلون ويقرؤون القرآن يزعمون ان الله كتب الذنوب على العباد وهم كذبة
على الله والله مسود وجوههم واعلم ان أصحابنا قالوا آخر الآية يدل على فساد هذا
التأويل لانه تعالى قال في آخر الآية أليس في جهنم مثوى للكافرين وهذا يدل على ان
أولئك الذين صارت وجوههم مسودة أقوام منكبرون واتكبر لا يليق بمن يقول
انا لا افدر على الخلق والاعادة والايجاد وانما الله ادر عليه هو الله سبحانه وتعالى أما الذين

بينه مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا بآياته ﴿٢٧٦﴾ التكوينية المنصوبة في الاتفاق والانفس

يقولون ان الله يريد شيئا وانما يريد بضده فيحصل مرادى ولا يحصل مراد الله فالتكبر بهذا القائل أتيق فثبت أن هذا التأويل الذى ذكره قاسد ومن الناس من قال ان هذا الوعيد تختص باليهود والنصارى ومنهم من قال انه مختص بمشركى العرب قال القاضى يجب حمل الآية على اكل من المشبهة والمجبرة وكذلك كل من وصف الله بما لا يليق به نفيا واثباتا فاضاف اليه ما يجب تنزيهه عنه أو زهده عما يجب أن يضاف اليه فالكلمة منهم داخلون تحت هذه الآية لانهم كذبوا على الله فخصيص الآية بالمجبرة والمشبهة أو اليهود والنصارى لا يجوز واعلم أنا الواجربنا هذه الآية على عمومها كما ذكره القاضى لزمه تكفير الأمة لانك لا ترى فرقة من فرق الأمة الا وقد حصل بينهم اختلاف شديد فى صفات الله تعالى الا ترى أنه حصل الاختلاف بين أبي هاشم وأهل السنة فى مسائل كثيرة من صفات الله تعالى ويلزم على قانون قول القاضى تكفير أحدهما فثبت انه يجب أن يحمل الكذب المذكور فى الآية على ما اذا قصد الاخبار عن الشيء مع أنه يعلم انه كاذب فيما يقول ومثال هذا كفار قريش فأنهم كانوا يصفون تلك الاصنام بالالهية مع انهم كانوا يعلمون بالضرورة كونها جادات وكانوا يقولون ان الله تعالى حرم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام مع انهم كانوا ينكرون القول بأن الله حرم كذا وأباح كذا وكان قائله طالما بأنه كذب واذا كان كذلك فالحاق مثل هذا الوعيد بهذا الجاهل الكذاب الضال المضل مناسباً أما من لم يقصد الا الحق والصدق لكنه أخطأ بعد الحاق هذا الوعيد به (البحث الثانى) الكلام فى كيفية السواد الحاصل فى وجوههم والاقرب أنه سواد يخالف لساير أنواع السواد وهو سواد يدل على الجهل بالله والكذب على الله وأقول ان الجهل ظلمة والظلمة تخيل كأنها سواد فسواد قلوبهم أوجب سواد وجوههم وتحت هذا الكلام أسرار عميقة من مباحث أحوال القيامة فلما ذكر الله هذا الوعيد أردفه بالوعد فقال وينجى الله الذين اتقوا بفازتهم الآية قال القاضى المراد به من اتقى كل الكبار اذا لا يوصف بالانقاء المطلق الامن كان هذا حاله فيقال له أمرك عجيب جدا فانك قلت لما تقدم قوله تعالى لو أن الله عدائى لكنت من المنفذين وجب أن يحمل قوله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة على الذين قالوا لو أن الله عدائى فعلى هذا القانون لما تقدم قوله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ثم قال تعالى بعده وينجى الله الذين اتقوا بفازتهم وجب أن يكون المراد هم الذين اتقوا ذلك الكذب فهذا يقتضى ان كل من لم يصف بذلك الكذب أن يدخل تحت الوعد المذكور بقوله وينجى الله الذين اتقوا بفازتهم وان يكون قولك الذين اتقوا المراد منه من اتقى كل الكبار فاسد فثبت ان التعصب بحمل الرجل العاقل على الكلمات المتناقضة بل الحق أن نقول اننى هو الآتى بالانقاء والآتى بالانقاء فى صورة واحدة أت يسمى الانقاء وبهذا الحرف قلنا الامر المطلق لا يفيد التكرار ثم ذلك الانقاء

والنزيلية التى من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسروا نالا خسار وراه هذا وقبل هو متصل بقوله تعالى وينجى الله وما بينهما اعتراض فتدبر (قل أفعير الله تأمرونى أعبدوا بها الجاهلون) أى أبعد مشاهدة هذه الآيات غير الله أعبدوا تأمرونى اعتراض للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالله لك لفرط غباوتهم ويجوز أن ينصب قير بما يدل عليه تأمرونى أعبد لانه بمعنى تعبدوننى وتقولون لى أعبد على أن أصله تأمرونى أن أعبد فجذف أن ورفع ما بعدها كما فى قوله * ألا بهذا الزاجرى احضر الوعى * وأن اشهد الذات هل أنت مخلدى * ويؤيده قراءة أعبد بالنصب وقرئ تأمرونى باظهار النونين على

غير مذكور بعينه في هذه اللفظة فوجب حمله على الاتقاء عن الشيء الذي سبق ذكره وهذا هو الكذب على الله تعالى ثبت ان ظاهر الآية يقتضي ان من اتقى عن تلك الصفة وجب دخوله تحت هذا الوعد الكريم ثم قال تعالى بمفازتهم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) فرأ حزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بمفازاتهم على الجمع والباقون بمفازتهم على التوحيد وحكي الواحدى عن انقراءاته قال كلاهما صواب اذ يقال في الكلام قد تبين أمر القوم وأمور القوم قال أبو علي الفارسي الافراد للمصدر ووجه الجمع ان المصادر قد تجمع اذا اختلفت أجناسها كقوله تعالى وتظنون بالله الظنونا ولا شك ان لكل متق نوعا آخر من المفازة (المسئلة الثانية) المفازة منقولة من الفوز وهو السعادة فكان المعنى ان النجاة في القيامة حصلت بسبب فوزهم في الدنيا بالطاعات والخيرات فغير عن الفوز بأوقاتها وموضعها ثم قال لا يمسهم سوء ولا هم يحزنون والمراد انه كالتفسير انك النجاة كأنه قيل كيف يجزيهم قتل لا يمسهم سوء ولا هم يحزنون وهذه كلمة جامعة لانه اذا علم انه لا يمس سوء كان فارغ البال بحسب الحال عما وقع في قلبه بسبب فوات الماضي فحينئذ يظهر انه سلم عن كل الآفات ونسأل الله الفوز بهذه الدرجات بمنه وكرمه (المسئلة الثالثة) ذات الآية على ان المؤمنين لا ينالهم الخوف والرب في القيامة ونأكد هذا بقوله لا يحزنونهم الفرع الأكبر قوله تعالى (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ولقد آوحى اليك والى الذين من قبلك ان لا تشركوا بالله لا يحبطن عملك وان تكون من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) واعلم انه لما أطال الكلام في شرح الوعد والوعيد عاد الى دلائل الالهية والتوحيد وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا في سورة الانعام ان أصحابنا تمسكوا بقوله تعالى الله خالق كل شيء على ان أعمال العباد مخلوقة لله تعالى وأظننا هناك في الاسئلة والاجوبة فلا فائدة ههنا في الاعادة الا ان الكعبى ذكر ههنا كلمات فنذكرها ونجيب عنها فقال ان الله تعالى مدح نفسه بقوله لله خالق كل شيء وليس من المدح ان يخلق الكفر والقبائح فلا يصح أن يستخرج المخالف به وأيضا فلم يكن في صدر هذه الامة خلاف في أعمال العباد بل كان الخلاف بينهم وبين المجوس والزنادقة في خلق الامراض والسباع والهوام فأراد الله تعالى أن يبين انها جميع من خلقه وأيضا لفظه كل قد لا توجب العموم لقوله تعالى وأوتيت من كل شيء تدمير كل شيء وأيضا لو كانت أعمال العباد من خلق الله لما أضافها اليهم بقوله كفار احسدا من عند أنفسهم ولما صح قوله ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ولما صح قوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا فهذا جملة ما ذكره الكعبى في تفسيره وقل الجبائى الله خالق كل شيء سوى افعال خلقه التي صح فيها الامر والنهى واستحقوا بها الثواب والعقاب ولو كانت

الاصل ويحذف الثانية (وانتدأوحى اليك والى الذين من قبلك) أى من الرسل عليهم السلام (ان أشركت يحبطن عملك وتكون من الخاسرين) كلام وارد على طريقة الفرض النهج الرسل واقناط الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك ووجهه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن أن ياشركه فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخرى الجواب واطلاق الاحاطة يستل أن يكون من خصائصهم عند الاشراك منهم لان الاشراك منهم أشد وأقبح وأن يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم فيه فميت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب (بل الله فاعبد) رد لما أمر به ولو لا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك (وكن من

افعالهم خلق الله تعالى ما جاز ذلك فيه كما لا يجوز مثله في ألوانهم وصورهم وقال أبو مسلم الخاق هو التقدير لا الاتحاد فإذا أخبر الله عن عباده أنهم يعاونون الفعل القلاني فقد قدر ذلك الفعل فيصيح أن يقال انه تعالى خلقه وان لم يكن موجد له واعلم أن الجواب عن هذه الوجوه قد ذكرناه بالاستقصاء في سورة الانعام فمن أراد الوقوف عليه فليطالع هذا الموضع من هذا الكتاب والله اعلم اما قوله تعالى وهو على كل شيء وكيل فاعني ان الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير منازع ولا مشارك وهذا ايضا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لان فعل العبد او وقع بتخليق العبد لكان ذلك الفعل غير موكول الى الله تعالى فلم يكن الله تعالى وكيلاً عليه وذلك ينساقى عموم الآية ثم قال تعالى له مقاليد السموات والارض والمعنى سبحانه مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزان ومدير أمرها هو الذي يده مقاليدها ومنه قولهم فلان أقيت مقاليد الملك اليه وهي المفاتيح قال صاحب الكشاف ولا واحد لها من لفظها وقبل مقليد ومقاليد وقيل مقلاذ ومقاليد مثل مفتاح ومفاتيح وقبل اقليد وأقاليد قال صاحب الكشاف والكلمة أصلها فارسية الا أن القوم لما عروها صارت عربية واعلم أن الكلام في تفسير قوله له مقاليد السموات والارض قريب من الكلام في قوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب وقد سبق الاستقصاء هناك قيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألتني عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر سبحان الله وبحمده أستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير هكذا نقله صاحب الكشاف ثم قال تعالى والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون وفيه مسثلان (المسئلة الاولى) صريح الآية يقتضى انه لا خاسر الا كافر وهذا يدل على ان كل من لم يكن كافرا فانه لا بد وأن يحصل له حظ من رحمة الله (المسئلة الثانية) أورد صاحب الكشاف سؤالاً وهو انه بم اتصل قوله والذين كفروا وأجاب عنه بأنه اتصل بقوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا أى ينجي الله المتقين بمقازتهم والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون واعترض ما بينهما انه خالق للاشياء كلها وان له مقاليد السموات والارض وأقول هذا عندى ضعيف من وجهين الاول ان وقوع الفاصل الكبير بين المعطوف والمعطوف عليه بعيد (الثاني) ان قوله وينجي الله الذين اتقوا بمقازتهم جملة فعلية وقوله والذين كفروا بآيات الله هم الخاسرون جملة اسمية وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لا يجوز بل الاقرب عندي أن يقال انه لما وصف الله تعالى نفسه بالصفات الالهية والجلالية وهو كونه خالقاً للاشياء كلها وكونه مالكا لمقاليد السموات والارض بأسرها قال بعده والذين كفروا بهذه الآيات الظاهرة الباهرة أولئك هم الخاسرون ثم قال تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبدونها الجاهلون وفيه مسائل

الشاكرين) الانعام عليك وفيه اشارة الى ما يوجب الاختصاص ويقتضيه (وما قدر والله حق قدره) ما قدروا عظمته تعالى في أنفسهم حتى عظمته حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق بشئونه الجلية وقرى بالتشديد (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التي تتخبر فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته تعالى ودلالة على أن تخريب العالم أهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضه واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شايث لمة الليل والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضه وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضه وقرى بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتأكد الارض بالجميع لان المراد بهما الارضون

(المسئلة الاولى) قرأ ابن عامر تأمر ونبي بنونين سا كمة المياه وكذلك هي في مصاحف الشام قال الواحدى وهو الاصل وقرأ ابن كثير تأمر ونى بنون مشددة على اسكان الاولى وادغامها فى الثانية وقرأ نافع تأمر ونى بنون واحدة خفيفة على حذف احدى النونين والباقون بنون واحدة مكسورة مشددة (المسئلة الثانية) أفغير الله منصوب بأعبد وتأمر ونى اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون أسلم ببعض آلهتنا ونؤمن بأهلك وأقول نظير هذه الآية قوله تعالى قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وقد ذكرنا فى تلك الآية وجه الحكمة فى تقديم الفعل (المسئلة الثالثة) انما وصفهم بالجهل لانه تقدم وصف الاله بكونه خالق الاشياء وبكونه مالك لما قبل السموات والارض وظاهر كون هذه الانصنام جمادات انها لا تضر ولا تنفع ومن أعرض عن عبادة الاله الموصوف بتلك الصفات الشريفة المقدسة واشتغل بعبادة هذه الاجسام الخسيسة فقد باع فى الجهل مبلغا لا مزيد عليه فلهذا السبب قال أيها الجاهلون ولا شك ان وصفهم بهذا الامر لا يثق بهذا الموضع ثم قال تعالى ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين واعلم ان الكلام التام مع الدلائل القوية والجواب عن الشبهات فى مسئلة الاحباط قد ذكرناه فى سورة البقرة فلانعيده قال صاحب الكشف قرى ليحبطن عملك على البناء المفعول وقرى بالياء والنون أى ليحبطن الله أو الشرك وفى الآية سوالات (السؤال الاول) كيف أوحى اليه والى من قبله حال شركه على التعيين والجواب تقدير الآية أوحى اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله أو أوحى اليك والى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أى كل واحد منا (السؤال الثانى) ما الفرق بين اللامين الجواب الاول موطنه لا تقسم المحذوف والثانية لام الجواب (السؤال الثالث) كيف صيغ هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رساله لا يشركون ولا تعبط أعمالهم والجواب ان قوله لئن أشركت ليحبطن عملك قضية شرطية والقضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزائها الا ترى ان قواك لو كانت الخمسة زعمها كانت منقصة بقاها وبين قضية صادقة مع ان كل واحد من جزائها غير صادق قال الله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولم يلزم من هذا صدق القول بأن فيهما آلهة وبأنهما قد فسدتا (السؤال الرابع) ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين والجواب كما ان طاعات الانبياء والرسل أفضل من طاعات غيرهم فكذلك القبائح التى تصدر عنهم فانها بتقدير الصدور تكون أقبح اقواله تعالى اذا لا ذنوك ضعف الحياء وضعف المات فكان المعنى ضعف الشرك الحاصل منه وبتقدير حصوله منه يكون نائمه فى جانب غضب الله أقوى وأعظم واعلم انه تعالى لما قدم هذه المقدمات ذكر ما هو المفسود فقال بل الله فاعبدوا كن من الشاكرين والمقصود منه رد ما مروء به من الاسلام ببعض آلهتهم كأنه قال انكم تأمر ونى بان لا أعبد الا غير الله

السبع أو جيم أبعاضها
البادية والغائرة وقرى
مطويات على أنها حال
والسموات مطوقة على
الارض منظومة فى
حكمها (سبحانه وتعالى
عما يشركون) ما أبعد
وما أعلى من هذه قدرته
وعظمته عن اشراكهم
أو عما يشركونه من
الشركاء (ونفخ فى الصور)
هى النفخة الاولى (فصعق
من فى السموات ومن فى
الارض) أى خروا
أمواتا أو مفعليات عليهم
(الامن شاء الله) قيل هم
جنبريل وميكائيل
واسرافيل فاتهم لا يموتون
بعد وقيل حلة العرش
(ثم نفخ فيندأخرى) نفخة
أخرى هى النفخة الثانية
وأخرى يحتمل النصب
والرفع (فاذا هم قيام)
قائمون من قبورهم أو
متوقفون وقرى بالنصب
على أن الخبر (ينظرون)
وهو حال من ضميره
والمعنى يقبلون أبصارهم
فى الجوانب كالبهوتين
أو ينظرون ما يفعل بهم
(وأشرفن الارض) ر
ر بها) بما أقام فيها

لان قوله قل افعير الله تأمروني أعبد يفيد أنهم عينوا عليه عبادة غير الله فقال الله انهم
بئسما قالوا ولكن أنت على الضد مما قالوا فلا تعبد الا الله وذلك لان قوله يل الله فاعبد
يفيد الحصر ثم قال وكن من الشاكرين على ما عداك الى انه لا يجوز الا عبادة الاله القادر
على الاطلاق العليم الحكيم وعلى ما أرشدك الى أنه يجب الاعراض عن عبادة كل ما
سوى الله ﴿ قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ونشئ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرق للارض
نور ربها ووضع الكتاب وجي بالبئين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون
ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون) واعلم انه تعالى المحكي عن المشركين انهم
أمرؤا الرسول بعبادة الاصنام ثم أنه تعالى أقام الدلائل على فساد قولهم وأمر الرسول
بأن يعبد الله ولا يعبد شيئا آخر سواء بين انهم لو عرفوا الله حق معرفته لما جعلاوا هذه
الاشياء الخبيثة مشاركة له في العبودية فقال وما قدروا الله حق قدره وفي الآية
مسائل (المسئلة الاولى) احتج بعض الناس بهذه الآية على ان الخلق لا يعرفون حقيقة
الله قالوا لان قوله وما قدروا الله حق قدره يفيد هذا المعنى الا اننا ذكرنا ان هذا صفة جال
الكفار فلا يلزم من وصف الكفار بأنهم ما قدروا الله حق قدره وصف المؤمنين بذلك
فقط هذا الكلام (المسئلة الثانية) قوله وما قدروا الله حق قدره أى ما عظموه حق
تعظيمه وهذه الآية مذكورة في سورة ثلاثة في سورة الانعام وفي سورة الحج وفي هذه
السورة واعلم انه تعالى لما بين انهم ما عظموه تعظيما لا ثاقبه أردفه بما يدل على كمال
عظمته ونهاية جلالته فقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه
قال التفال وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة كتول التثايل
وما قدرتنى حق قدرى وانا الذى فعلت كذا وكذا أى لما عرفت ان حالى وصفنى هذا الذى
ذكرت فوجب أن لا تحطبنى عن قدرى ومغزى قوله تعالى كيف تكفرون بالله
وكنتم أمواتا فأحياكم أى كيف تكفرون بمن هذا وصفه وحال ملكه فكذا ههنا والمعنى
وما قدروا الله حق قدره اذ زعموا ان له شركاء وانه لا يتقدر على احياء الموتى مع ان الارض
والسموات فى قبضته وقدرته قال صاحب الكشاف الغرض من هذا الكلام اذا
أخذته كما هو بحملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنهه جلالة من غير ذهاب
بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك ما روى ان يهود ياجاء الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع
والارضين على اصبع والجال على اصبع والتجر على اصبع والترى على اصبع وسائر
الخلق على اصبع ثم هزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا
بما قال قال صاحب الكشاف وانا ضحكك أفصح العرب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه

من العدل استعير له الثور
لانه يزين البقاع ويظهر
الحقوق كما يسمى الظلم
ظلمة وفي الحديث الظلم
ظلمات يوم القيامة ولذلك
أضيف الاسم الجليل الى
ضمير الارض او بنور
خلقه فيها بلا توسط
أجسام مضيئة ولذلك
أضيف الى الاسم الجليل
(ووضع الكتاب)
الحساب والجزاء من وضع
المحاسب كتاب المحاسبة
بين يديه أو صحائف
الاعمال فى أيدي الاعمال
واكتفى باسم الجنس عن
الجمع وقيل اللوح المحفوظ
يقابل به الصحائف (وجي
بالبئين والشهداء) للام
وعليهم من الملائكة
والمؤمنين وقيل
المستشهدون (وقضى
بينهم) بين العباد (بالحق
وهم لا يظلمون) بنقص
ثواب أو زيادة عقاب
على ما جرى به الوعد
(ووفيت كل نفس ما
عملت) أى جزاءه (وهو
أعلم بما يفعلون) فلا يفوته
شي من أفعالهم

علماء البيان من غير تصور امساك ولا أجمع ولا هزل ولا شيء من ذلك ولكن فهم قد وقع
 أول كل شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الأفعال
 العظام التي تحير فيها الأوهام ولا تكتمها إلا الأذهان هيئة عليه قال ولا ترى بياض علم
 البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب فيقال له هل تعلم ان الأصل في الكلام حمله على
 الحقيقة وأنه إنما يعدل عن الحقيقة الى المجاز عند قياس الدلالة على ان حمله على حقيقة
 ممتنع فيجوز يجب حمله على المجاز فان أنكر هذا الأصل فعينه نخرج القرآن بالكناية عن
 أن يكون حجة فان لكل أحد أن يقول المقصود من الآية القلانية كذا وكذا فأنما أحل
 الآية على ذلك المقصود ولا أنفت الى الظواهر مثاله من تمسك بالآيات الواردة في ثواب
 أهل الجنة وعقاب أهل النار قال المقصود بيان سعادات المطيعين وشقاوة المذنبين وأنا
 أحل هذه الآيات على هذا المقصود ولا أثبت الأكل والشرب ولا سائر الأحوال
 الجسمانية ومن تمسك بالآيات الواردة في الثبات وجوب الصلاة فقال المقصود منه
 إيجاب تدوير القلب بذكر الله فأنا أكتفي بهذا القدر ولا أوجب هذه الأعمال المخصوصة
 وإذا عرفت الكلام في هذين المثالين فقس عليه سائر المسائل الأصولية والفروعية
 وحينئذ نخرج القرآن عن أن يكون حجة في المسائل الأصولية والفروعية وذلك بالحل
 قط ما وأما ان سلم ان الأصل في علم القرآن ان يعتقد أن الأصل في الكلام حمله على حقيقة
 فان قام دليل منفصل على أنه يمدح حمله على حقيقة فيجوز تبيين صرفة الى مجازه فان
 حصلت هناك مجازات لم يمتنع صرفه الى مجاز معين الا اذا كان الدليل يوجب ذلك
 التبيين فنقول ههنا لفظ القبضة ولفظ اليقين حقيقة في الجارحة المخصوصة ولا يملك
 ان تصرف ظاهر الكلام عن هذا المعنى الا اذا أثبت الدلالة على ان حل هذه اللفاظ
 على ظواهرها ممتنع فيجوز يجب حمله على المجازات ثم يبين بالدليل ان المعنى القلاني يصح
 حمله مجازا عن تلك الحقيقة ثم يبين بالدليل أن هذا المجاز أول من غيره واذا ثبت هذه
 المقدمات وترتيبهم اعلى هذا الوجه فهذا هو الطريق الصحيح الذي عليه تمويل أهل
 التحقيق فأن ما أثبت في هذا الباب بطريقة جديدة وكلام غريب بل هو عين ما ذكره
 أهل التحقيق وثبت ان الفرح الذي أظهره من أنه اهتدى الى الطريق الذي يعرفه
 غيره طريق فاسد دال على قسلة وقوفه على المعاني وان ترجم الى الطريق الذي يعرفه
 لاشك ان لفظ القبضة واليقين مشعر بهذه الاعضاء والجوارح الا ان الدلائل العقلية
 قامت على امتناع ثبوت الاعضاء والجوارح لله تعالى فوجب حل هذه الاعضاء على وجوه
 المجاز فقول انه يقال فلان في قبضة فلان اذا كان تحت تدبيره وتسخيره قال تعالى
 الاعلى أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم والمراد منه كونه مملوكا له ويقال هذه الدار في يد
 فلان وفلان صاحب اليد والمراد من الكل القدرة والفتها يقولون في الشروط وقبض
 فلان كذا وصار في قبضته ولا يردون الا لصوص ملكه واذا ثبت تعدد حل هذه

وقوله تعالى (وسيق
 الذين كفروا الى جهنم
 زمرا) الخ تفصيل
 للتوفية وبيان كيفيتها
 أي سيقوا اليها
 بالعنف والاهتداء فواجبا
 متفرقة بعضها في اثر
 بعض مترتبة حسب
 ترتيب طبقاتهم في الضلالة
 والشرارة والزمير
 زمرة واشتقاقها من
 الزمر وهو الصوت اذا
 الجماعة لا تغلو عنه (حتى
 اذا جاؤا فافتحت أبوابها)
 ليدخلوها وحتى هي
 التي تحكي بعدها الجملة
 وقرئ بالتشديد (وقال

الفاظ على حقائقها وجب حملها على مجازاتها صونا لهذه النصوص عن التعطيل
فهذا هو الكلام الحقيقي في هذا الباب ولنا كتاب مفرد في اثبات تزييه الله تعالى
عن الجسمية والمكان سميناها بتأسيس القديس من أراد الاطناب في هذا الباب فليرجع
اليه (المسئلة الشائكة) في تفسير الفاظ الآية قوله والارض المراد منه الارضون
السبع ويدل عليه وجوه (الاول) قوله جميعا فان هذا لا يكيد لا يحسن ادخاله الاعلى
الجمع ونظيره قوله كل الطعام وقوله تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء
وقوله تعالى والخيل باسقات وقوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فان هذه الالفاظ المحنة باللفظ المفرد تدل على أن المراد منه الجمع فكذا
ههنا (والثاني) انه قال بعده والسماوات مطويات فوجب أن يكون المراد بالارض
الارضون (الثالث) أن الموضع موضع تعظيم وتفضيم فهذا مقتضى المبالغة وأما القبضة
فهى المرة الواحدة من القبض قال تعالى فقبضت قبضة من أثر الرسول والقبضة بالضم
المقدار المقبوض بالكف ويقال أيضا أعطنى قبضة من كذا ير يدعى القبضة تسمية
بالمصدر والمعنى والارضون جميعا قبضته أى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة من
قبضاته يعنى ان الارضين مع ما لهما من العظمة والبسطة لا يبلغن الا قبضة واحدة من
قبضاته أما اذا أريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بحجمتهما مقدار ما يقبضه
بكف واحدة فان قيل ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب قلنا جعل القبضة ظرفا وقوله
مطويات من الطى الذى هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل وعادة
طوى السجل أن يطويه بيته ثم قال صاحب الكشاف وقيل قبضته ملكه وبيته
قدرته وقيل مطويات بيته أى مفنيات بتسميته لانه أقسم أن يقبضها ولما ذكر هذه الوجوه
عاد الى القول الاول بأنها وجوه ركيكة وان حل هذا الكلام على تحض التثليل أولى
وبالغنى تقرير هذا الكلام فأطلب وأقول ان حال هذا الرجل فى اقدامه على تحسين
طريقته وتبليغ طريقته القدماء عجيب جدا فانه ان كان مذهبه انه يجوز ترك ظاهر
الفاظ والمصير الى المجاز من غير دليل فهذا طعن فى القرآن واخراج له عن أن يكون
حجة فى شى وان كان مذهبه أن الاصل فى الكلام الحقيقة وأنه لا يجوز العدول
عنه الا لدليل منفصل فهذا هو الطريقة التى أطبق عليها جمهور المتقدمين فأين الكلام
الذى يزعم انه علمه وأين العلم الذى لم يعرفه غيره مع انه وقع فى التأويلات العسرة
والكلمات الركيكة فان قالوا المراد انه لما دل الدليل على انه ليس المراد من لفظ القبضة
واليمين هذه الاعضاء وجب علينا أن نذكر فى بهذا القدر ولا نشغل بتعيين المراد بل
نفوض علمه الى الله فقول هذا هو طريق الموحدين السدين يقولون انا نعلم انه ليس
مراد الله من هذه الالفاظ هذه الاعضاء فاما تعيين المراد فانا نفوض ذلك العلم الى الله
تعالى وهذا هو طريقة السلف المعرضين عن التأويلات فثبت ان هذه التأويلات التى

لهم خزنتها) تقريرا
وتوبخا) ألم يا تكلم رسل
منكم) من جنسكم وقرى
نذر منكم) يتلون عليكم
آيات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا) أى وقتكم
هذا وهو وقت دخولهم
النار وفيه دليل على
أنه لا تكليف قبل الشروع
من حيث انهم علاوا
توبخهم بآيات الرسل
وتبليغ الكتب (قالوا
بلى) قد اتونا وأنذرونا
(ولكن حقت كلمة العذاب
على الكافرين) حيث
قال الله تعالى

أتى بها هذا الرجل ليس تحتها شيء من القائدة أصلاً والله أعلم واعلم أنه تعالى لما بين عظمته من الوجه الذي تقدم قال سبحانه وتعالى عما يشركون يعني أن هذا القادر القاهر العظيم الذي حارت العقول والالباب في وصف عظمته تنزه وتقدس عن أن يجعل الاصنام شركاء له في المعبودية فإن قيل السؤال على هذا الكلام من وجوه (الاول) أن العرش أعظم من السموات السبع والارضين السبع ثم انه قال في صفة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وإذا وصف الملائكة بكونهم حاميين العرش العظيم فكيف يجوز تقدير عظمة الله بكونه حاملاً للسموات والارض (السؤال الثاني) أن قوله والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه شرح حالة لا تحصل الا في يوم القيامة والقوم ما شاهدوا ذلك فإن كان هذا الخطاب مع المصدقين للانبياء فهم يكونون معترفين بأنه لا يجوز القول بجعل الاصنام شركاء لله تعالى فلا فائدة في إيراد هذه الحجة عليهم وإن كان هذا الخطاب مع المكذبين بالنبوة وهم ينكرون قوله والارض جميعاً قبضته يوم القيامة فكيف يمكن الاستدلال به على إبطال القول بالشرك (السؤال الثالث) حاصل القول في القبضة واليمين هو القدرة الكاملة الواهبة بحفظ هذه الاجسام العظيمة وكما أن حفظها وامساكها يوم القيامة ليس بالقدرة الله فكذلك الآن فالقائدة في تخصيص هذه الاحوال بيوم القيامة (والجواب عن الاول) أن مراتب العظم كثر فأولها تقرر عظمة الله بكونه قادراً على حفظ هذه الاجسام العظيمة ثم بعده تقرر عظمته بكونه قادراً على امساك أو تلك الملائكة الذين يحملون العرش (والجواب عن السؤال الثاني) أن المقصود أن الحق سبحانه هو المتولى لابقاء السموات والارضين على وجوه العمارة في هذا الوقت وهو المتولى لتخريبها وافتنائها في يوم القيامة فذلك يدل على حصول قدرة تامة على الاعداد وتبنيه أيضاً على كونه غنياً على الإطلاق فانه يدل على أنه إذا حاول تخريب الارض فسكانه يقبض قبضة صغيرة ويريد افنائها وذلك يدل على كمال الاستغناء (والجواب عن السؤال الثالث) انه إنما خص تلك الحالة بيوم القيامة ليدل على أنه كما ظهر كمال قدرته في الابداع عند عمارة الدنيا فكذلك ظهر كمال قدرته عند خراب الدنيا والله أعلم واعلم أنه تعالى لما قرر كمال عظمته بما سبق ذكره أردفه بذكر طريقة أخرى تدل أيضاً على كمال قدرته وعظمته وذلك شرح مقدمات يوم القيامة لأن نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم فقال ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون واختلفوا في الصفة منهم من قال انها غير الموت بل قيل قوله تعالى في موسى عليه السلام وخر موسى صعقا مع انه لم يميت فهذا هو النفخ الذي يورث الفزع الشديد وعلى هذا التقدير فالمراد من نفخ الصفة ومن نفخ الفزع واحد وهو المذكور في سورة النمل في قوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض وعلى هذا القول

لا بليس لاملان جهنم
منك ومن تبعك منهم
أجمعين وقد كنا من تبعه
وكذبنا الرسل وقلنا
ما نزل الله من شيء إن أنتم
الا تكذبون (قيل ادخلوا
أبواب جهنم خالدين
فيها) أي مقدر
خلودكم فيها وإمام
القاتل انهو بل القول
(فبئس مثوى المتكبرين)
اللام للجنس والخصوص
بالذم محذوف ثقة
بذكره آنفاً أي فبئس
مثواهم جهنم ولا يقدح
ما فيه من الاشعار بأن
كون مثواهم جهنم
لتكبرهم عن الحق
في أن

ففتح الصور وليس الامر تبين (والقول الثاني) ان الصعقة عبارة عن الموت والقائلون بهذا القول قالوا انهم يموتون من الفزع وشدة الصعق وانزل على هذا التقدير فان نفخة تحصل ثلاث مرات (أولها) نفخة الفزع وهي المذكورة في سورة النمل (والثانية) نفخة الصعق (والثالثة) نفخة القيام وهم سامذكو رتان في هذه السورة وأما قوله لا من شاء الله فففيه وجوه (الاول) قال ابن عباس رضي الله عنهما عند نفخة الصعق يموت من في السموات ومن في الارض الاجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يميت الله ميكائيل واسرافيل ويحيى جبريل وملك الموت ثم يميت جبريل (والقول الثاني) انهم هم الشهداء لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هم الشهداء مقتلون أسيا فهم حول العرش (القول الثالث) قال جابر هذا المستثنى هو موسى عليه السلام لانه سقى مرة فلا يصعق ثانيا (القول الرابع) انهم الحور والعين وسكان العرش والكرسي (والقول الخامس) قال قتادة الله أعلم بأنهم من هم وليس في القرآن والاخبار ما يدل على انهم من هم ثم قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وفيه ابحاث (الاول) لفظ القرآن دل على أن هذه النفخة متأخرة عن النفخة الاولى لان لفظ ثم يفيد التراخي قال الحسن رحمه الله القرآن دل على ان هذه النفخة متأخرة عن النفخة الاولى وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن بينهما أربعين ولا أدري أربعون يوما أو شهرا أو أربعون سنة أو أربعون ألف سنة (البحث الثاني) قوله أخرى تقدير الكلام ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة أخرى وانما حسن الحذف لدلالة أخرى عليها وليكونها معاومة (الثالث) قوله فاذا هم قيام يعني قيامهم من القبور يحصل عقيب هذه النفخة الاخيرة في الحال من غير تراخي لان الفاء في قوله فاذا هم تدل على التعقيب (الرابع) قوله ينظرون وفيه وجهان (الاول) ينظرون بقلوبهم أبصارهم في الجهات نظر المبهوتين اذا فاجأه خطب عظيم (والثاني) ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والحمود في مكان لاجل استيلاء الخيرة والدهشة عليهم ولما بين الله تعالى حال هاتين النفختين قال وأشرق الارض بنور ربها وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذه الارض المذكورة ليست هي هذه الارض التي يقعد عليها الآن بدليل قوله يوم تبدل الارض غير الارض وبدليل قوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة بل هي أرض أخرى يخلقها الله تعالى لمخفل يوم القيامة (المسئلة الثانية) قالت المجسمة ان الله تعالى نور محض فاذا حضر الله في تلك الارض لاجل القضاء بين عباده أشرقت تلك الارض بنور الله وأكدها هذا بقوله تعالى الله نور السموات والارض واعلم أن الجواب عن هذه الشبهة من وجوه (الاول) أنا بينا في تفسير قوله تعالى الله نور السموات والارض انه لا يجوز أن يكون الله سبحانه وتعالى نور بمعنى كونه من جنس هذه الانوار المشاهدة وبيئنا أنه لما تعذر حمل الكلام على الحقيقة وجب حمل لفظ

دخولهم النار اسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما احقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه في سورة المم السجدة (وسبق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) مساق اعزاز وتشريف للاشرع بهم الى دار الكرامة وقيل سبق مر اكبرهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين (زمرا) متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة (حتى اذا جاؤوها وقهت أبوا بها) وقرئ بالتشديد

النور ههنا على العدل فمحتاج ههنا الى بيان أن لفظ النور قد يستعمل في هذا المعنى
ثم الى بيان أن المراد من لفظ النور ههنا ليس الا هذا المعنى أما بيان الاستعمال فهو أن
الناس يقولون للناك انعدل أشرفت الآفاق بعد لك وأضاءت الدنيا بقسطك كما
يقولون أظلمت البلاد بجورك وقال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وأما
بيان أن المراد من النور ههنا العدل فقط أنه قال وحي بالنبين والشهداء ومعلوم أن
الحي بالشهداء ليس الا لظاهر العدل وأيضا قال في آخر الآية وهم لا يظلمون فدل
هذا على أن المراد من ذلك النور إزالة ذلك الظلم فكانه تعالى قبح هذه الآية بآيات
العدل وختمها بنفي الظلم (والوجه الثاني) في الجواب عن الشبهة المذكورة ان قوله تعالى
وأشرفت الارض بنور ربها يدل على أنه يحصل هناك نور مضاف الى الله تعالى ولا يلزم
كون ذلك صفة ذات الله تعالى لانه يكفي في صدق الاضافة أدنى سبب فلما كان
ذلك النور من خلق الله وشرفه بأن أضافه الى نفسه كان ذلك النور نور الله كقوله بيت
الله وناقة الله وهذا الجواب أقوى من الاول لان في هذا الجواب لا يحتاج الى ترك
الحقيقة والذهاب الى المجاز (والوجه الثالث) انه قد يقال فلان رب هذه الارض ورب
هذه الدار ورب هذه الجارية ولا يبعد أن يكون رب تلك الارض ملكا من الملوك وعلى
هذا التقدير فلا يمتنع كونه نورا (المسئلة اشالة) انه تعالى ذكر في هذه الآية من أحوال
ذلك اليوم أشياء (أولها) قوله وأشرفت الارض بنور ربها وقد سبق الكلام فيه
(وثانيها) قوله ووضع الكتاب وفي المراد بالكتاب وجوه (الاول) انه اللوح المحفوظ الذي
يحصل فيه شرح أحوال عالم الدنيا الى وقت قيام القيامة (الثاني) المراد كتب الاعمال
كما قال تعالى في سورة سبحان وكل انسان أزمانه طائر في عنقه ونخرج له يوم القيامة
كتابا يلقاه منشورا وقال أيضا في آية أخرى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا
أحصاها (وثالثها) قوله وحي بالنبين والمراد أن يكونوا شهداء على الناس قال تعالى
فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهداء وقال تعالى يوم يجمع
الله الرسل فيقول ماذا أجبتم (ورابعها) قوله والشهداء والمراد ما قلناه في وكذلك جعلناكم
أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وأراد بالشهداء المؤمنين وقال مقاتل يعني الحفظة
ويدل عليه قوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقيل أراد بالشهداء
المستشهدين في سبيل الله ولما بين الله تعالى انه يحضر في محفل القيامة جميع ما يحتاج
اليه في فصل الحكومات وقطع الخصومات بين تعالى أنه يوصل الى كل أحد حقه وعبر
تعالى عن هذا المعنى بارج عبارات (أولها) قوله تعالى وقضى بينهم بالحق (وثانيها) قوله
وهم لا يظلمون (وثالثها) قوله ووفيت كل نفس ما عملت أي وفيت كل نفس جزاء ما عملت
(ورابعها) قوله وهو أعلم بما يفعلون يعني انه تعالى اذا لم يكن عالما بكيفية أحوالهم
فله لا يقضى بالحق لاجل عدم العلم أما اذا كان عالما بمقادير أفعالهم وبكيفية أحوالهم

وجواب اذا محذوف
الايدان بأن لهم حيث
من فنون الكرامات
ما لا يتحقق به نطاسق
العبارات كأنه قيل حتى
اذا جاؤوها وقد قبحت
أبوابها (أو قال لهم
خرنبتها سلام عليكم)
من جميع المكارة والالام
(طبتهم) طهرتهم من
دنس المعاصي أو طبتهم
نفسا بما أتبع لكم من
التعظيم (فادخلوها
خالدين) كان ما كان
مما يقصر عنه البيان
(وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده) بالبعث
والثواب

دخول الخطأ في ذلك الحكيم فثبت أنه تعالى عبر عن هذا المقصود بهذه العبارات المختلفة والمقصود المبالغة في تقرير أن كل مكلف فانه يصل الى حقه * قوله تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قبل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال أهل القيامة على سبيل الاجال فقال ووفيت كل نفس ما عملت بين بعده كيفية أحوال أهل العقاب ثم كيفية أحوال أهل الثواب وختم السورة أما شرح أحوال أهل العقاب فهو المذكور في هذه الآية وهو قوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا قال ابن زيد ان سوق الذين كفروا الى جهنم يكون بالعنف والدفع والدليل عليه قوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعاءى يدفعون دفعاً نظيره قوله تعالى فذلك الذى يدع اليتيم أى يدفعه ويدل عليه أيضاً قوله تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وأما الزمر فهى الافواج المنفرقة بعض فى أثر بعض فبين الله تعالى انهم يساقون الى جهنم فاذا جاؤوها فتحت أبوابها وهذا يدل على أن أبواب جهنم انما تفتح عند وصول أولئك اليها فاذا دخلوا جهنم قال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم أى من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا فان قيل فلم أضيف اليوم اليهم قلنا أراد لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة واستعمال لفظ اليوم والايام فى أوقات الشدة مستفيض فعند هذا تقول الكفار بلى قد أتونا وتلوا علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وفى هذه الآية مسئلتان (المسئلة الاولى) تقدير الكلام انه حقت علينا كلمة العذاب ومن حقت عليه كلمة العذاب فكيف يمكنه الخلاص من العذاب وهذا صريح فى ان السعيد لا ينقلب شقيا والشقي لا ينقلب سعيدا وكلمات المعتزلة فى دفع هذا الكلام معلومة واجوز بننا عنها ايضا معلومة (المسئلة الثانية) ذات الآية على انه لا وجوب قبيل مجيئ الشرع لان الملائكة بينوا أنه ما بقى لهم حيلة ولا عذر بعد مجيئ الانبياء عليهم السلام ولولم يكن مجيئ الانبياء شرطاً فى استحقاق العذاب لما بقى فى هذا الكلام فائدة ثم ان الملائكة اذا سمعوا منهم هذا الكلام قالوا لهم ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين قالت المعتزلة لو كان دخولهم فى النار لاجل انه حقت عليهم كلمة العذاب لم يبق لقول الملائكة فبئس مثوى المتكبرين فائدة بل هذا الكلام انما بقى مفيداً اذا قلنا انهم انما دخلوا النار لانهم تكبروا على الانبياء ولم يقبلوا قولهم ولم يلتفتوا الى دلائلهم وذلك يدل على صحة قولنا والله أعلم بالصواب * قوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض ننبؤ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وترى

(وأورثنا الارض) يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة وإيراثها تملكها مخلفة عليهم من أعمالهم أو تمكنهم من التصرف فيها تمكن الوارث فيما يرثه (ننبؤ) من الجنة حيث نشاء أى ينبؤ كل واحد منا فى أى مكان أرادته من جنته الواسعة على أن فيها مقامات معنوية لا يتأثم واردة بها (فنعم أجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة خافين) محذقين (من حول العرش) أى حوله ومن مزينة أو لا يتداه الحفوف

الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمدهم وقضى بينهم بالحق وقبل الحمد لله رب العالمين (اعلم انه تعالى لما شرح أحوال أهل العقاب في الآية المقدمة شرح أحوال أهل الثواب في هذه الآية فقال وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا فان قيل السوق في أهل النار للعذاب معقول لانهم لما مروا بالذهاب إلى موضع العذاب والشقاوة ولا بد وأن يساقوا إليه وأما أهل الثواب فاذا مروا بالذهاب إلى موضع الكرامة والراحة والسعادة فأى حاجة فيه إلى السوق والجواب من وجوه (الاول) ان المحبة والصدقة باقية بين المتقين يوم القيامة كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فاذا قيل لواحد منهم اذهب إلى الجنة فيقول لا أدخلها حتى يدخلها احبائي وأصدقائي فيتأخرون لهذا السبب فيئذ يحتاجون إلى أن يساقوا إلى الجنة (والثاني) ان الذين اتقوا ربهم قد عبدوا الله تعالى لا للجنة ولا للنار فصيرشدة استغراقهم في مشاهدة مواقف الجلال والجمال مانعة لهم عن الرغبة في الجنة فلا جرم يحتاجون إلى أن يساقوا إلى الجنة (والثالث) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أكثر أهل الجنة البله وعليون لا يرار فلهذا السبب يساقون إلى الجنة (الرابع) ان أهل الجنة وأهل النار يساقون الا ان المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأسير اذا سبق إلى الحبس والقيود والمراد بسوق أهل الجنة سوق مر اكبههم لانه لا يذهب بهم الا راكبين والمراد بذلك السوق اسراعهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على الملوك فستان ما بين السواقين ثم قال تعالى حتى اذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها الآية واعلم أن جملة هذا الكلام شرطوا حد من كب من قبود (القيد الاول) هو مجيئهم إلى الجنة (والقيد الثاني) قوله تعالى وفتحت أبوابها فان قيل قال في أهل النار فتحت أبوابها فيغير الواو وقال ههنا بالواو فما الفرق قلنا الفرق ان أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها فيها فاما أبواب الجنة فتفتح ما يكون متقدما على وصولهم إليها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فذلك بجى بالواو كأنه قيل حتى اذا جاؤوها وقد فتحت أبوابها (القيد الثالث) قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبعتم فادخلوها خالدين فبين تعالى أن خزنة الجنة يذكرون لأهل الثواب هذه الكلمات الثلاثة (فأولها) قولهم سلام عليكم وهذا يدل على انهم يشعرونهم بالسلامة من كل الآفات (وثانيها) قولهم طبعتم والمعنى طبعتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا (وثالثها) قولهم فادخلوها خالدين والفاء في قوله فادخلوها يدل على كون ذلك الدخول مع اللاباطيب والاضهارة قالت المعتزلة هذا يدل على ان أحدا لا يدخلها الا اذا كان طاهرا عن كل المعاصي قلنا هذا ضعيف لانه تعالى يبذل سيئاتهم حسنات وحينئذ يصيرون طاهرين بفضل الله تعالى فان قيل فهذا الذي تقدم ذكره هو الشرط فان الجواب قلنا فيه وجهان (الاول) ان الجواب محذوف والقصود من الحذف

(يسبحون بحمد ربهم)

أى يزهونه تعالى عما

لا يابق به ملتبسين بحمده

والجملة حال ثانية

أومقيدة للاول والمعنى

ذاكرين له تعالى

بوصفي جلاله واكرامه

تلذذا به وفيه اشعار

بأن أقصى درجات

العلمين وأعلى لذائذهم

هو الاستغراق في شؤنه

عز وجل (وقضى بينهم

بالحق) أى بين الخلق

بادخال بعضهم النار

وبعضهم الجنة أو بين

الملائكة باقامتهم في

منازلهم على حسب

تفاضلهم (وقيل الحمد لله

ان يدل على انه بلغ في الكمال الى حيث لا يمكن ذكره (الثاني) ان الجواب هو قوله تعالى
وقال لهم خزنتها سلام عليكم والواو محذوف والصحيح هو الاول ثم أخبر الله تعالى بأن
الملائكة اذا خاطبوا المتقين بهذه الكلمات قال المتقون عند ذلك الحمد لله الذي صدقنا
وعده ن قوله ان لا تخافوا ولا تحزنوا واأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون وأورثنا الارض
والمراد بالارض أرض الجنة وانما عبر عنه بالارث لوجوه (الاول) ان الجنة كانت
في أول الامر لآدم عليه السلام لانه تعالى قال فكللا منها رغدا حيث شئتم فلما عادت
الجنة الى أولاد آدم كان ذلك سببا لتسميتها بالارث (الثاني) ان هذا اللفظ مأخوذ من قول
القائل هذا أورث كذا وهذا العمل أورث كذا فلما كانت طاعتهم قد أفادت لهم الجنة
لاجرم قالوا وأورثنا الارض والمعنى ان الله تعالى أورثنا الجنة بأن وفقنا للاتيان بأعمال
أورثت الجنة (الثالث) أن الوارث يتصرف فيما يرثه كما يشاء من غير منازع ولا مدافع
فكذلك المؤمنون المتقون يتصرفون في الجنة كيف شاؤوا وأرادوا والمشابهة علة
حسن المجاز فان قيل ما معنى قوله حيث نشاء وهل يذبوا أحدهم مكان غيره قلنا يكون
لكل أحد جنة لا يحتاج معها الى جنة غيره قال حكماء الاسلام الجنات نوحان الجنات
الجسدية والجنات الروحانية فالجنات الجسدية لا يحتمل المشاركة فيها أما الروحانيات
فحصولها لواحد لا يتم من حصولها للآخرين ولما بين الله تعالى صفة أهل الجنة قال
فنعلم أجر العاملين قال مقاتل ليس هذا من كلام أهل الجنة بل من كلام الله تعالى لانه لما
حكى ما جرى بين الملائكة وبين المتقين من صفة ثواب أهل الجنة قال بعده فنعلم أجر
العاملين ولما قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش ذكر عقبيه ثواب الملائكة
فقال كما ان دار ثواب المتقين المؤمنين هي الجنة فكذلك دار ثواب الملائكة جوانب
العرش واطرافه فان هذا قال وترى الملائكة حافين من حول العرش أي محققين بالعرش
قال الليث يقال حف التوم بسيدهم يحفون حفا اذا طافوا به اذا عرفت هذا فنقول بين
تعالى ان دار ثوابهم هو جوانب العرش واطرافه ثم قال يسبحون بحمد ربهم وهذا
مشعر بأن ثوابهم هو عين ذلك التحميد والتسبيح وحينئذ رجع حاصل الكلام الى أن
أعظم درجات الثواب استغراق قلوب العباد في درجات التنزيه ومنازل التقديس ثم قال
وقضى بينهم بالحق والمعنى انهم على درجات مختلفة ومراتب متفاوتة فلكل واحد منهم
في درجات المعرفة والطاعة حد محدود لا يتجاوزه ولا يتعداه وهو المراد من قوله وقضى بينهم
بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين أي الملائكة لما قضى بينهم بالحق قالوا الحمد لله رب العالمين
على قضائه بينهم بالحق وهم نادققة أعلى مما سبق وهي انه سبحانه لما قضى بينهم بالحق فهم
ماجدون لاجل ذلك القضاء بل حمدوه بصفته الواجبة وهي كونه رب العالمين فان من حمد
الامر لاجل أن انعمه وصل اليه فهو في الحقيقة ما حمد المنعم وانما حمد الانعام وأما من
حمد المنعم لانه وصل اليه النعمة فهم ناقضون الى الجنة بحر التوحيد هذا اذا قلنا ان قوله

رب العالمين) أي على
ما قضى بينهم بالحق
وأنازل كلا منا منزله
التي هي حقه والقائلون
هم المؤمنون ممن قضى
بينهم والملائكة وطى
ذكرهم لتعظيمهم وتعظيمهم
عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة
الزمر لم يقطع الله تعالى
رجاءه يوم القيامة
واعطاه ثواب الخائفين
وعن عائشة رضي الله
عنها أنه عليه الصلاة
والسلام كان يقرأ كل
ليلة بنى إسرائيل والزمر

﴿سورة المؤمن مكية وآياتها خمس أو ثمان وثمانون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿جم﴾ بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ بأمانة الالف ﴿٢٨٩﴾ و باخراجها بينين و يفتح الميم لالتقاء الساكنين أو نصبها باضمار

أقرأ ونحوه ومنع الصرف
للتعريف والتأنيث أو
للتعريف وكونها على
زينة قائل وهابيل وبقية
الكلام فيه وفي قوله
تعالى (تنزيل الكتاب)
كالسدى ساف في ألم
السجدة وقوله تعالى
(من الله العزيز العليم)
كافي مطلع سورة الزمر
في الوجوه كلها ووجه
التعرض لتعني العزة والعلم
ما ذكره هناك (غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب
ذو الطول) أما صفات
آخر التحقيق ما فيها من
التعظيم والترهيب والحث
على ما هو المقصود
والإضافة فيها حقيقة
على أنه لم يرد بها زمان
مخصوص وأريد بشديد
العقاب مشدده أو الشديد
عقابه بخذف اللام
الازدواج وأمن الالتباس
أو ببدال وجهه وحده
بدلا كإفعلة الزجاج
مشوش للنظم وتوسط
الواو بين الأولين لإفادة
الجمع بين نحو الذنوب
وقبول التوبة أو تعابير
الوصفين اذ ربما
يؤهم الاتحاد أو تنازع
موقع الفعلين لان

وترى الملائكة حافين من حول العرش شرح أحوال الملائكة في الثواب أما إذا قلنا
أنه من بقية شرح ثواب المؤمنين فتقر به أن يقال إن المتقين لما قالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده وأورثنا الأرض ندبوا من الجنة حيث نشاء فقد ظهر منهم أنهم في الجنة اشتغلوا
بحمد الله وذكركم بالدح والثناء فبين تعالى أنه كان حرفة المتقين في الجنة الاشتغال بهذا
التحميد والتسبيح وكذلك حرفة الملائكة الذين هم حافون حول العرش الاشتغال
بالتحميد والتسبيح ثم إن جوانب العرش ملاصقة لجوانب الجنة وحينئذ يظهر منه أن
المؤمنين المتقين وإن الملائكة المقر بين يصيرون متوافقين على الاستغراق في تعبد الله
وتسبيحه فكان ذلك سببا أن يدان ذلكهم بذلك التسبيح والتحميد ثم قال وقضى بينهم بالحق
أي بين البشر ثم قال وقيل الحمد لله رب العالمين والمعنى أنهم يقدمون التسبيح والمراد منه
تزيين الله عن كل ما يليق بالالهية وأما قوله تعالى وقيل الحمد لله رب العالمين فالمراد بصفه
بصفات الالهية فالتسبيح عبارة عن الاعتراف بتعظيمه عن كل ما يليق به وهو صفات
الجلال وقوله وقيل الحمد لله رب العالمين عبارة عن الإقرار بكونه موصوفا بصفات الالهية
وهي صفات الاكرام ومجسود مما هو المذكور في قوله تبارك اسم ربك ذي الجلال
والاكرام وهو الذي كانت الملائكة يذكرونه قبل خلق العالم وهو قائلهم ونحن نسبح
بحمده ونقدس لك وفي قوله وقيل الحمد لله رب العالمين دقيقة أخرى وهي أنه لم يبين أن ذلك
التأنيل من هو والمقصود من هذا الإيهام التنبيه على أن خاتمة كلام العقلاء في إنشاء على
حضرة الجلال والكبرياء ليس إلا أن يقولوا الحمد لله رب العالمين وتأكد هذا بقوله تعالى
في صفة أهل الجنة وأخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين ﴿ قال المعترف رحمته الله تعالى تم
تفسير هذه السورة في آية الثلاث آخر ذي القعدة من سنة ثلاث وسبعمائة يقول مصنف
هذا الكتاب الملائكة المقر بون عجزنا عن احصاء ثنائك فنأنا والانباء المرسلون اعترفوا
بالعجز وواقع صور في أنا وليس معي إلا أن أقول أنت أنت وأنا أنا فنك الرحمة والفضل والجود
والاحسان ومعنى العجز والذلة والخيبة والحرمان يا رحمان يا ديان يا حنان يا منان أنقض على
سبحال الرحمة وانقران برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي
وعلى آله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليما كثيرا

﴿سورة المؤمن وخمس آيات مكية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(جم) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول
لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يعرركم تعذيبهم في البلاد
كذبت قبائلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادوا
بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمت ربك على
الذين كفروا أنهم أصحاب النار) اعلم أن في الآية مسائل (الاولى) قرأ عليهم في

الفقر هو المسترعم بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان الثابت من الذنب كنى لاذنب له والتوب مصدر كالذنب وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد ٢٩٠ صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبها ورعناها (لا اله

الا هو) فيجب الاقبال الكلى على طاعته في أوامر ونواهي (اليه المصير) فعسب لا الى غير الاستقلال ولا اشتراكا فيجازى كلام المطيع والعاصي (ما يجادل في آيات الله) أى بالطعن فيها واستعمال المندمات الباطلة لادخاض الحق كقوله تعالى وجادوا بالباطل ليدحضوا به الحق (الا الذين كفروا) بها وأما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها وأما الجدل فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق في مضائق الافهام ومنزلة الاقدار وابطال شبه أهل الزيف والضلال فمن أعظم الطاعات والذات قال عليه الصلاة والسلام ان جدد الا في اقرآن كفر بالانكبر لفرق بين جدال وجدال والغا في قوله تعالى (فلا يفررك قلبهم في البلاد) لترتيب

رواية أبى بكر وحجة والكسائي حم بكسر الهمزة والياء ففتح الحاء ونافع في بعض الروايات وابن عامر بين الفتح والكسر وهو أن لا يفتحها فتحها شديدا قال صاحب الكشاف قرئ بفتح الميم وتسكينها ووجه الفتح التحريك لانقاء الساكنين واينار أخف الحركات نحو ابن وكيف أو انصعب باضمار أفرا أو منع الصرف اما للتأنيث والتعريف من حيث انها اسم لا ورة أو لانعريف وانها على زنة أعجمى نحو غايل وهابيل وأما السكون فلا تأنيثا أن الاسماء المجردة تذكر موقوفة الاوآخر (المسئلة الثانية) الكلام المستقصى في هذه الفوائج المذكور في أول سورة البقرة والاقرب ههنا أن يقال حم اسم للسورة فتوله حم مبتدأ وقوله تنزيل الكتاب من الله خبره والتقدير ان هذه السورة المسماة بحم تنزيل الكتاب فتوله تنزيل مصدر لكن المراد منه المنزل واما قوله من الله فاعلم انه لما ذكر أن حم تنزيل الكتاب وجب بيان أن المنزل من هو فقال من الله ثم بين ان الله تعالى موصوف بصفات الجلال وسمات العظمة ليصير ذلك حاملا على التشهير عن ساق الجرد عند الاستماع وزجره عن التهاون والتواني فيه فبين أن المنزل هو الله العزيز العليم واعلم ان الناس اختلفوا في ان اعلم بالله ما هو فقال جمع عظيم انه العلم بكونه قادرا وبعده العلم بكونه عالما اذا عرفت هذا فتقول العزيز له تقديران (أحدهما) الغالب فيكون معناه القادر الذي لا يساويه أحد في القدرة (والثاني) الذي لا مثله ولا يجوز أن يكون المراد بالعزيز ههنا القادر لان قوله تعالى الله يدل على كونه قادرا فوجب حمل العزيز على المعنى الثاني وهو الذي لا يوجد له مثل وما كان كذلك وجب أن لا يكون جسما والذي لا يكون جسما يكون منزها عن الشهوة والنفرة والذي يكون كذلك يكون منزها عن الحاجة واما العليم فهو مبالغة في العلم والمبالغة التامة انما تتحقق عند كونه تعالى عالم بكل المعلومات فتقوله من الله العزيز العليم يرجع معناه الى أن هذا الكتاب تنزيل من القادر الطالق الحق المطلق العالم المطلق ومن كان كذلك كان عالما بوجوده المصالح والمفاسد وكان عالما بكونه غنيا عن جر المصالح ودفع المفاسد ومن كان كذلك كان رحما جوادا وكان انفعاله حكمة ومساواة منزها عن القبح والباطل فكانت سبحانه انما ذكر عقيب قوله تنزيل هذه الاسماء الثلاثة لكونها دالة على أن افعاله سبحانه حكمة وصواب ومن كان الأمر كذلك لزم أن يكون هذا التنزيل حقا ومساويا وقيل الفائدة في ذكر العزيز العليم أمران (أحدهما) انه بقدرته وعلمه انزل القرآن على هذا الحد الذي يتضمن المصالح والاعجاز ولا كونه عززا عليا لما صرح بذلك (والثاني) أنه تكفل بتفصيل ما به موم التكليف به وظهره الى حين انقطاع التكليف وذلك لا يتم الا بكونه عززا لا يغلب وبكونه عليا لا يخفى عليه شئ ثم وصف نفسه بما يجمع الوعيد والوعود والترغيب والتعقيب فعال غافر الذنب وقابل التوب شديدا مقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فهذه ستة أنواع من الصفات (الصفة الاولى) قوله غافر الذنب قال الجبائي معناه انه غافر الذنب اذا استحق غفرانه اما بتوبة

قوله ان غفران الخ غرضه ان من تاب لعباده ما جنى فقتضى التحسين العقلي الذي هو مذهب المعتزلة يجب ان يتسامحه
وحيث لا يكون لافرق بين الله والعبيد انتهى ﴿ ٢٩١ ﴾ أو وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم

بالكفر الذي لا شيء
أعقت منه عند الله
تعالى ولا أجلب لحسran
الدنيا والآخرة فان
من تحقق ذلك لا يكاد
يعتبر بهم من حظوظ
الدنيا وزخارفها فانهم
ما خوذون عما قيل
أخذ من قبلهم من
الام حسبا ينطق به
قوله تعالى (كذبت
قبلهم قوم نوح
والاحزاب من بعدهم
أى الذين تحزبوا على
الرسول وناصروهم بعد
قوم نوح مثل عاد وثمود
وأضرابهم) وهمت
كل أمة من تلك الامم
العاتية (برسولهم)
وقرى برسولها
(ليأخذوه) ليتكنوا منه
فيصيبوا به ما أرادوا
من تعذيب أو قتل من
الاخذ بمعنى الاسر
(وجادلوا بالباطل)
الذى لا أصل ولا
حقيقة له أصلا
(ليدحضوا به الحق)
الذى لا يحيد عنه كما
فعل هؤلاء (فأخذتهم
بسبب ذلك اخذ عزير
مقننر) فكيف كان

أوطاعة أعظم منه ومراده منه أن فاعل المعصية إما أن يقال انه كان قد أتى قبل ذلك بعبادة
كان ثوابها أعظم من عقاب هذه المعصية أو ما كان الامر كذلك فان كان الاول كانت
هذه المعصية صغيرة فيحيط عقابها وان كان الثاني كانت هذه المعصية كبيرة فلا يزول
عقابها الا بالتوبة ومذهب أصحابنا ان الله تعالى قد عفو عن الكبائر بدون التوبة وهذه
الآية تدل على ذلك وبيانه من وجوه (الاول) ان غفران الكبيرة بعد التوبة وغفران
الصغيرة من الامور الواجبة على العبد وجيم الانبياء والاويلاء والصالحين من أوساط
الناس مشتركون في فعل الواجبات فلو جئنا كونه تعالى عافرا للذنوب على هذا المعنى لم يبق
بينه وبين أقل الناس من زمرة المطيعين فرق في المعنى الموجب لهذا المدح وذلك باطل
فثبت انه يجب أن يكون المراد منه كونه عافرا للكبائر قبل التوبة وهو المطلوب (الثاني)
أن الغفران عبارة عن السترو معنى السترا ما يعقل في الشيء الذي يكون باقيا موجودا
فيستر والصغيرة تعبط بسبب كثرة ثواب فاعلمها معنى الغفر فيها غير معقول ولا يمكن حل قوله
عافرا للذنوب على الكبيرة بعد التوبة لان معنى كونه قابلا للتوب ليس الا ذلك فلو كان
المراد بكونه عافرا للذنوب هذا المعنى لزم التكرار وانه باطل فثبت ان كونه عافرا للذنوب يفيد
كونه عافرا للذنوب الكبائر قبل التوبة (الثالث) ان قوله عافرا للذنوب مذکور في معرض
المدح العظيم فوجب حله على ما يفيد أعظم أنواع المدح وذلك هو كونه عافرا للكبائر قبل
التوبة وهو المطلوب (الصفة الثانية) قوله تعالى قابل التوب وفيد بحثان (الاول) في لفظ
التوب قولان الاول انه مصدر وهو قول أبي عبيدة والثاني انه جماعة التوبة وهو قول
الاخفش قال المبرد يجوز أن يكون مصدرا يقال تاب يتوب توبا وتوبة مثل قال يقول قولاً
وقوله ويجوز أن يكون جمعا توبة فيكون توباً وتوباً مثل مرة وتوباً مرة أو المصدر أقرب لان
على هذا التقدير يكون تأويله انه يقبل هذا الفعل (البحث الثاني) مذهب أصحابنا أن
قبول التوبة من المذنب يقع على سبيل التفضل وليس بواجب على الله وقالت المعتزلة انه
واجب على الله واحتج أصحابنا بانه تعالى ذكر كونه قابلا للتوب على سبيل المدح والمثابرة ولو
كان ذلك من الواجبات لم يبق فيه من معنى المدح الا القليل وهو القدر الذي يحصل للجميع
الصالحين عند اداء الواجبات والاحتراز عن المحظورات (الصفة الثالثة) قوله شديد
العقاب وفيه مباحث (البحث الاول) في هذه الآية سؤال وهو ان قوله شديد العقاب يصلح
أن يكون نعتا للكرة ولا يصلح أن يكون نعتا للمعرفة نقول مررت برجل شديد البطش ولا
نقول مررت بعبد الله شديد البطش وقوله الله اسم علم فيكون معرفة فكيف يجوز وصفه
بكونه شديد العقاب مع انه لا يصلح الا أن يجعل وصفا للكرة قالوا وهذا بخلاف قولنا عافرا
الذنوب وقابل التوب لانه ليس المراد منهما حدوث هذين الفعلين وانه يغفر الذنب وقبل
التوبة الا أن أوغدا وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب
العرش واما شديد العقاب فشكل لانه في تقدير شديد عقابه فيكون نكرة فلا يصح جعله

عقاب (الذى عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة للناظرين ولا تخزن هؤلاء أيضا لاتحادهم في الطريقة واشترآتهم
في الجريرة كائني عنده قوله تعالى (وكذلك جفت كل ربك) أى كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب
على أولئك الامم المكذبة

التعزية على رسلهم المجادلة بالباطل لادخاض الحق به وجب أيضا (على الذين كفروا) أى كفروا بك ونحو بوا عليك وهما بالمرئى كايبنى عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عليه ﴿٢٩٢﴾ الصلاة والسلام فان ذلك

الاشعار بأن وجوب كلمة العذاب عليهم من أحكام ترتيبه التي من جعلها نصرته عليه الصلاة والسلام وتعذيب أعدائه وذلك انما يتحقق بكون الوصول عبارة عن كفار قومه لاعتناء الام المهلكة وقوله تعالى (انهم أصحاب النار) في حيز النصب بخلاف لام التعليل أى لانهم مستحقوا أشد العقوبات وأدفعها التي هي عذاب النار وما لازموها ابدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول عليه الصلاة والسلام كدأب من قبلهم من الامم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات أشد استحقاقا وأحق استيجابا وقيل هو في محل الرفع على أنه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من أصحاب النار أى كما وجب اهلاكهم في

صفة المعرفة هذا تقرير السؤال وأجيب عنه بوجوه (الاول) ان هذه الصفة وان كانت تكرة الا انها لما ذكرت مع سائر الصفات التي هي معارف حسن ذكرها كما في قوله وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد (والثاني) قال الزجاج ان خفض شديد العقاب على البدل لان جعل التكرة بدلا من المعرفة وبالعكس أمر جائز واعتبروا عليه بأن جعله وحده بدلا من الصفات فيه نبوة ظاهرة (الثالث) انه لا نزاع في ان قوله غافر الذنب وقابل التوب يحسن جعلها صفة وانما كان كذلك لانها مفيدان معنى الدوام والاستمرار فكذلك قوله شديد العقاب مفيد معنى الدوام والاستمرار لان صفات الله تعالى منزهة عن الحدوث والتجدد فكونه شديد العقاب معناه كونه بحيث يشتد عقابه وهذا المعنى حاصل ابدا وغير موصوف بأنه حصل بعد أن لم يكن كذلك فهنا ما قيل في هذا الباب (البحث الثاني) هذه الآية مشعرة بترجيح جانب الرحمة والفضل لانه تعالى لما أراد أن يصف نفسه بأنه شديد العقاب ذكر قبله أمرين كل واحد منهما يقتضي زوال العقاب وهو كونه غافر الذنب وقابل التوب وذكر بعده ما يدل على حصول الرحمة العظيمة وهو قوله ذي الطول فكونه شديد العقاب لما كان مسبوقا بتينك الصفتين ولما وقاه هذه الصفة دل ذلك على أن جانب الرحمة والكرم أرجح (البحث الثالث) لقائل ان يقول ذكر الواو في قوله غافر الذنب وقابل التوب ولم يذكرها في قوله شديد العقاب فما الفرق قلنا انه لولم يذكر الواو في قوله غافر الذنب وقابل التوب لاحتمال أن يقع في خاطر انسان انه لا معنى لكونه غافر الذنب الا كونه قابل التوب أما لما ذكر الواو زال هذا الاحتمال لان عطف الشئ على نفسه محال اما كونه شديد العقاب فمعلوم انه مغاير لكونه غافر الذنب وقابل التوب فاستغنى به عن ذكر الواو (الصفة الرابعة) قوله ذي الطول أى ذي الفضل يقال طال علينا طولا أى تفضل علينا تفضلا ومن كلامهم طل على بفضلك ومنه قوله تعالى أولوا الطول منهم ومضى تفسيره عند قوله ومن لم يستطع منكم طولا واعلم انه لما وصف نفسه بكونه شديد العقاب لابد وان يكون المراد بكونه تعالى آتيا بالعقاب الشديد الذي لا يفتح منه آتيانه به بل لا يجوز وصفه تعالى بكونه آتيا بفعل القبح واذا ثبت هذا فنقول ذكر بعده كونه ذا الطول وهو كونه ذا الفضل فيجب أن يكون معناه كونه ذا الفضل بسبب أن يترك العقاب الذي له ان يفعله لانه ذكر كونه ذا الطول ولم يبين انه ذو الطول فيما ذافوجب صرفه الى كونه ذا الطول في الامر الذي سبق ذكره وهو فعل العقاب الحسن دفعا للاجال وهذا يدل على انه تعالى قد يترك العقاب الذي يحسن منه تعالى فعله وذلك يدل على أن العقوب عن أصحاب الكبائر جائز وهو المطلوب (الصفة الخامسة) التوحيد المطلق وهو قوله لا اله الا هو والمعنى انه وصف نفسه بصفات الرحمة والفضل فلو كان معه اله آخر يشاركه ويساويه في صفة الرحمة والفضل لما كانت الحاجة الى عبوديته شديدة اما اذا كان واحدا وليس له شريك ولا شبهة كانت الحاجة الى الاقرار بعبوديته شديدة

الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل الكاف على التقديرين ﴿٢٩٣﴾

النصب على

انه نعت لمصدر محذوف (الذين يحملون العرش ومن حوله) وهم أعلى طبقات الملائكة عليهم السلام وأولهم وجودا وحملهم إياه وحفيفهم حوله مجاز ٢٩٣ عن حفظهم وتديبرهم له وكناية عن زلفاهم من ذي العرش جل جلاله

ومكانتهم عنده ومحل
الموصول الرفع على الابتداء
خبره (يستجيبون بحمد
ربهم) والجملة استئناف
مسوق لتسليط رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبين
أن إشراف الملائكة
عليهم السلام مثابرون
على ولاية من معه من
المؤمنين ونصرتهم
واستدعاء ما يسعدهم
في الدارين أي يثزّهونه
تعالى عن كل ما يلبق
بشأنه الجليل ملتبسين
بحمده على نعمائه التي
لا تنهاه (وبؤنون به)
إيماننا حقيقا بحالهم
والنصر يجمع به مع الغنى
عن ذكره وأسا الظهار
فضيلة الإيمان وإبراز
شرف أهله والأشعار
بعله دعائهم للمؤمنين
حسبا ينطق به قوله
تعالى (ويستغفرون
للذين آمنوا) في
المشاركة في الإيمان
أقوى المناسبات وأتمها
وأدعى الدواعي إلى
النصح والشفقة وفي نظم
استغفارهم لهم في سلك
وظائفهم المفروضة
عليهم من تسبيحهم
وتحميدهم وإيمانهم بكمال اعتنائهم به وأشعار بوقوعه

فكان الترغيب والترهيب الكاملان يحصلان بسبب هذا التوحيد (الصفة السادسة)
قوله إليه المصير وهذه الصفة أيضا مما يقوى الرغبة في الإقرار بعبوديته لانه بتقدير أن
يكون موصوفا بصفات الفضل والكرم وكان واحدا لا شريك له إلا أن القول بالحشر
والنشر إن كان باطلا لم يكن الخوف الشديد حاصل من عصيانه أما لما كان القول بالحشر
واقيا حاصل كان الخوف أشد والحذر أكل فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذه
الصفات واحتج أهل التشبيه بلفظة إلى قالوا إنها تفيد انتهائا غاية والجواب عنه مذكور
في مواضع كثيرة من هذا الكتاب واعلم انه تعالى لما قرآن كتاب أنزله ليس يندى به في
الدين ذكر أحوال من يجادل لغرض إبطاله وإخفاء أمره فقال ما يجادل في آيات الله
الذين كفروا وفيه مسائل (المسئلة الأولى) إن الجدال نوعان جدال في تقرير الحق
وجدال في تقرير الباطل أما الجدال في تقرير الحق فهو حرفة الأنبياء عليهم السلام قال
تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وجادلهم بالتي هي أحسن وقال حكاية عن الكفار أنهم قالوا
أنوح عليه السلام يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالك فأتيناك بالباطل وهو
مذموم وهو المراد بهذه الآية حيث قال ما يجادل في آيات الله الذين كفروا وقال
ما ضرب به لك الأجدال بل هم قوم خصمون وقال وجادوا يا باطل ليدحضوا به الحق وقال
صلى الله عليه وسلم إن جدالا في القرآن كفر فقله إن جدال الاعلى لفظ التكبير يدل على
التمييز بين جدال وجدال واعلم أن لفظ الجدال في الشيء مشعر بالجدال الباطل ولفظ
الجدال عن الشيء مشعر بالجدال لأجل تقريره والذب عنه قال صلى الله عليه وسلم إن
جدالا في القرآن كفروا قال لا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر (المسئلة الثانية)
الجدال في آيات الله هو أن يقال مرة أنه سحر ومرة أنه شعر ومرة أنه قول الكهنة ومرة
أساطير الأولين ومرة أنما يعلم بشروا شبهه هذا مما كانوا يقولونه من الشبهات الباطلة
فذكر تعالى أنه لا يفعل هذا إلا الذين كفروا وأعرضوا عن الحق ثم قل تعالى فلا يغرك
تقلبهم في البلاد أي لا ينبغي أن تغتر بأن أمهاتهم وتركهم سالمين في أبدانهم وأموالهم
يتقلبون في البلاد أي يتصرفون فيها للتجارات وطالب المعاش فاني وإن أمهاتهم فاني
سأخذهم وانتقم منهم كما فعلت بأشكائهم من الأمم الماضية وكانت قر يش كذلك
يتقلبون في بلاد السام واليمن ولهم الأموال الكثيرة يتجرون فيها ويربحون ثم كشف
عن هذا المعنى فقال كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم فذكر من أولئك
المكذبين قوم نوح والأحزاب من بعدهم أي الأمم المستمرة على الكفر كقوم عاد وثمود
وغيرهم كما قال في سورة ص كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد وثمود وقوم
لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب وقوله وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه أي وعزمت
كل أمة من هؤلاء الأحزاب أن يأخذوا رسولهم ليقتلوه ويعذبوه ويحبسوه وجادوا
بالباطل أي هؤلاء جادوا وارسلهم بالباطل أي بإيراد الشبهات ليدحضوا به الحق أي أن

وتحميدهم وإيمانهم بكمال اعتنائهم به وأشعار بوقوعه

عند الله تعالى في موقع القبول روى أن حلة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله

من الملائكة فإن خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقد ماء في الأرض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وأنه يتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوضع وفي الحديث أن الله أمر جميع الملائكة أن يفسدوا ويروحوا بالسلام على حلة العرش تفضيلاً لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهره خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقات الطير المسرع ثمانين ألف طام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهلين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتكبير والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا أيديهم على الشمائل ما منهم الذي هو يسبح عما لا يسبح به الآخر (ربنا) على إرادة القول أي يقولون ربنا على أنه أمان لا يستغفرونهم الملائكة

يزيلوا بسبب إرادة تلك الشبهات الحنق والصدق وأخذتهم فكيف كان عقاب أي فازلت بهم من الهلاك ما هموا بإزالة بالربل وأرادوا أن يأخذوهم فأخذتهم أمان فكيف كان عقابي إياهم أليس كان مهلكاً مستأصلاً مهيباً في الذكر والسماع فأنأ فعل بقومك كما فالت بهؤلاء أن أصروا على الكفر والجداً في آيات الله ثم كشف عن هذا المعنى فقال وكذلك حقت كلمتي بك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار أي ومثل الذي حق على أولئك أنهم السانقة من العقاب حقت كلمتي أيضاً على هؤلاء الذين كفروا من قومك فهم على شرف نزول العقاب بهم قال صاحب الكشف أنهم أصحاب النار في محل الرفع بدل من قوله كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكلهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكلهم بعذاب النار في الآخرة أو في محل النصب بخذف لام التعليل وإيصال الفعل واحتج أصحابنا بهذه الآية على أن قضاء الله بالسعادة والشقاوة لا يمكن تغييره فقالوا والله تعالى أخبر أنه حقت كلمة عذاب عليهم وذلك يدل على أنهم لا قدرة لهم على الإيمان لأنهم لو تمكنوا منه لتمكنوا من إبطال هذه الكلمة الحققة وتمكنوا من إبطال علم الله وحكمه ضرورة أن المتمكن من الشيء يجب كونه متمكناً من كل ما هو من لوازمه ولأنهم لو آمنوا وأوجب عليهم أن يؤمنوا بهذه الآية فيحتمل ككأنوا قد آمنوا بأنهم لا يؤمنون أبداً وذلك تكليف مالا يطاق وقرأناهم وابن عامر حقت كلمات ربك على الجمع والباقون على الواحد قوله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم أنك أنت العزيز الحكيم وفيهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم) اعلم أنه تعالى لما بين أن الكفار يبالغون في اظهار العداوة مع المؤمنين بين أن أشرف طبقات المخلوقات هم الملائكة الذين هم حلة العرش والحافون حول العرش يبالغون في اظهار المحبة والتصرة للمؤمنين كأنه تعالى يقول إن كان هؤلاء الاراذل يبالغون في العداوة فلا تبال بهم ولا تلتفت اليهم ولا تنقم لهم وزناً فإن حلة العرش معك والحافون من حول العرش معك ينصرونك وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) انه تعالى حكى عن نوعين من فرق الملائكة هذه الحكاية (أحدهما) الذين يحملون العرش وقد حكى تعالى أن الذين يحملون العرش يوم القيامة ثمانية فيمكن أن يقال الذين يحملون في هذا الوقت هم أولئك الثمانية الذين يحملونه يوم القيامة ولا شك أن حلة العرش أشرف الملائكة وأكابرهم روى صاحب الكشف أن حلة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله تعالى من الملائكة فإن خلقا من

الذي هو يسبح عما لا يسبح به الآخر (ربنا) على إرادة القول أي يقولون ربنا على أنه أمان لا يستغفرونهم الملائكة

النصب

أحوال (وسعت كل شيء رحمة وعلما) أي وسعت رحمتك وعلمك فأزيل عن أصله الاغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في عومهما وتقديم ﴿ ٢٩٥ ﴾ الرحمة لأنها المقصودة بالذات ههنا وانفاء في قوله تعالى (فاغفر

لذين تابوا واتبعوا سبيلك) أي الذين علمت منهم التوبة واتبع سبيل الحق لتقريب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم (وقم عذاب الجحيم) واحفظهم عنه وهو نصريح بمداشعار للتأكييد (ربنا وأدخلهم عطف على قهرهم وتوسيط انتهاء بينهما بالمبالغة في الجوار (جنات عدن التي وعدتهم) أي وعدتهم أياها وقرئ جنة عدن (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أي صلاحا وصحفا لدخول الجنة في الجملة وإن كان دون صلاح أصوالهم وهو عطف على الضمير الأول أي وأدخلها معهم هؤلاء إيتهم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم أو على الثاني لكن لبناء على الوعد العام لكل كما قيل اذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى ألقننا

الملائكة يقول له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى وقدم في رأسه من سبع سموات وأنه ليتضائل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوضوح قيل أنه طائر صغيره روى أن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يفدوا ويرجوا بالسلام على حلة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين اقلعتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مائة ثمان مائة ألف من ورأيهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتكبير والتكبير ومن ورأيهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمايل مائة ألف يسبح بمائة يسبح به الآخر هذه الأعمار نقلتها من الكشف (واما القسم الثاني) من الملائكة الذين ذكرهم الله تعالى في هذه الآية فقوله تعالى ومن حوله والآنظر أن المراد منهم ما ذكره في قوله وتري الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمدهم وأقول العطف يدل على أن حلة العرش والحافين حول العرش يجب أن يكونوا أفضل الملائكة وذلك لأن نسبة الارواح الى الارواح كنسبة الاجساد الى الاجساد فلما كان العرش أشرف الموجودات الجسمانية كانت الارواح المتعلقة بتدبير العرش يجب أن تكون أفضل من الارواح المدبرة للاجساد وأيضا يشبه أن يكون هناك ارواح حاملة لجسم العرش ثم يتولد عن تلك الارواح القاهرة المستعلية المدبرة لجسم العرش ارواح أخر من جنسها وهي متعلقة باطراف العرش واليهم الإشارة بقوله وتري الملائكة حافين من حول العرش وبالجملة فقد ظهر بالبراهين اليقينية وبالكشافات الصادقة انه لانسبة اعالم الاجساد الى عالم الارواح وكل ما شاهدته بعين البصر في اختلاف مراتب عالم الاجساد فيجب ان تشاهده بعين بصيرتك في اختلاف مراتب عالم الارواح (المسئلة الثانية) دلت هذه الآية على انه سبحانه معز عن أن يكون في العرش وذلك لانه تعالى قال في هذه الآية الذين يحامون العرش وقال في آية أخرى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ولا شك ان حامل العرش يكون حاملا لكل من في العرش فلو كان الله تعالى في العرش لكان هؤلاء الملائكة حاملين لاله العالم فيحيث يكونون حافطين لاله العالم والحفاظ اقدا راولي بالالهية والمحمول المحفوظ أولى بالعبودية فيحيث يتقارب الله سبحانه والعباد بها وذلك لسد فدل هذا على ان الله العرش وانما جسمان متعال عن العرش والجسم وان لم الله تعالى حكى عن حلة العرش وعن الحافين بالعرش ثلاثة أشياء (أولها) قوله يسبحون بحمدهم وتنفيره قوله حكايته عن الملائكة ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى وتري الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمدهم فالتسبيح عبارة عن تزيين الله تعالى عما يذبحي والمحميد الاعتراف بأنه هو المنعم على الاطلاق فالتسبيح اشارة الى الجلال والتحميد اشارة الى اكرام انكرام فقوله يسبحون بحمدهم بهم قريب من قوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام (والنوع الثاني) مما حكى الله عن هؤلاء الملائكة هو قوله تعالى ويؤمنون به فان قيل فاي

بهم ذريتهم بأن يكونوا أعلى درجة من ذريتهم قال سعيد ابن جبير يدخل المؤمن الجنة

فيقول أين أبي أين والدي أين زوجي فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت أعمل ولهم فيقال أدخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعي حصول ٢٩٦ الموعود بل توسط شفاعة واستغفار

وعليه مبنى قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاول لان الدعاء بالادخال فيه صريح وفي الثاني ضمنى وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد (الملك أنت العزيز) أي الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدور (الحكيم) أي الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التي من بجاتها انجاز الوعد فالجمله تعليل لما قبلها (وفهم السيئات) أي العقوبات لان جزاء السيئة سيئة مثابها أو جزا السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص أو مخصوص بالاتباع أو المعاصي في الدنيا فعن قوله تعالى (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) ومن تق المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا لهم السبب بعدما سألوا المصعب (وذلك) إشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته أو إليها وإلى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاستبعاد بدرجة المشار إليه * ان (هو الفوز العظيم) الذي لا مطمع وراءه لطامع

فائدة في قوله ويؤمنون به فان الاشتغال بالتسبيح والحمد لا يمكن الا وقد سبق الايمان بالله قلنا الفائدة فيه ما ذكره صاحب الكشاف وقد أحسن فيه جدا فقال ان المقصود منه التبيد على أن الله تعالى لو كان حاضرا بالعرش لكان حمله العرش والخافون حول العرش يشاهدونه ويعاينونه ولما كان إيمانهم بوجود الله موجبا للمدح والثناء لان الاقرار بوجوده حاضره شاهد معين لا يوجب المدح والثناء الا ترى ان الاقرار بوجود الشمس وكونها مضيئة لا يوجب المدح والثناء فلماذا ذكر الله تعالى إيمانهم بالله على سبيل الثناء والمدح والتعظيم علم انهم آمنوا به بدليل انهم ما شاهدوه حاضرا جالسا هناك ورحم الله صاحب الكشاف فلولم يحصل في كتابه الا هذه التكنية لكفاه فخره وشرفه (النوع الثالث) مما حكى الله عن هؤلاء الملائكة قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا واعلم انه قد ثبت ان كل السعادة مر بوطأ من ين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ويجب أن يكون التعظيم لامر الله مقدما على الشفقة على خلق الله فقوله يسبحون بحمدهم ويؤمنون به مشعر بالتعظيم لامر الله وقوله ويستغفرون للذين آمنوا مشعر بالشفقة على خلق الله ثم في الآية مسائل (المسئلة الاولى) احتج كثير من العلماء بهذه الآية في اثبات ان الملك أفضل من البشر قالوا لان هذه الآية تدل على ان الملائكة لما فرغوا من ذكر الله بالثناء والتفديس اشتغلوا بالاستغفار لغيرهم وهم المؤمنون وهذا يدل على انهم مستغفرون عن الاستغفار لانفسهم اذا كانوا محتاجين اليه اقدموا الاستغفار لانفسهم على الاستغفار لغيرهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك وأيضاً قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر انيك والمؤمنين والمؤمنات فأمر محمداً أن يذكر أولاً الاستغفار لنفسه ثم بعده يذكر الاستغفار لغيره وحكى عن نوح عليه السلام انه قال رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات وهذا يدل على أن كل من كان محتاجا الى الاستغفار فانه يقدم الاستغفار لنفسه على الاستغفار لغيره فالملائكة او كانوا محتاجين الى الاستغفار لكان اشتغالهم بالاستغفار لانفسهم مقدما على اشتغالهم بالاستغفار لغيرهم ولما لم يذكر الله تعالى عنهم استغفارهم لانفسهم علمنا ان ذلك انما كان لانهم ما كانوا محتاجين الى الاستغفار وأما الانبياء عليهم السلام فقد كانوا محتاجين الى الاستغفار بدليل قوله تعالى لمحمد عليه السلام واستغفر لذيالك واذا ثبت هذه حقيقة نلهم ان الملك أفضل من البشر والله أعلم (المسئلة الثانية) احتج الكعبي بهذه الآية على أن تأثير الشفاعة في حصول زيادة الثواب للمؤمنين لاني استقطب العقاب عن المذنبين قال وذلك لان الملائكة قالوا اغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك قال وليس المراد اغفر للذين تابوا من الكفر سواء كان مصرا على الفسق أو لم يكن كذلك لان من هذا حاله لا يوصف بكونه متبعا لسبيل ربه ولا يطلق ذلك فيه وأيضا ان الملائكة يقولون وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وهذا لا يليق بالفاسقين لان خصوصنا لا يقطعون على

رحمته أو إليها وإلى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاستبعاد بدرجة المشار إليه * ان (هو الفوز العظيم) الذي لا مطمع وراءه لطامع

(ان الذين كفروا) شروع في بيان أحوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين في السابق أنهم أصحاب النار (ينادون) أي من مكان بعيد وهم في النار وقد دعوا أنفسهم ﴿ ٢٩٧ ﴾ الامارة بالسوء التي وقوه وفيما وقوه وابتاع هواها أو مقت

بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا أي أبغضوها أشد البغض وأنكروها وأبلغ النكار وأظهروا ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أي لمقت الله أنفسكم الامارة بالسوء أو مقتكم أيكم في الدنيا (اذتدعون) من جهة الانبياء (الي الايمان) فتأبون قبوله (فتكفرون) اتباعا لانفسكم الامارة ومساعدة الى هواها واقتداء بأخلائكم المضلين واستحبابا لأرائهم أكبر من مقتكم أنفسكم الامارة أو من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذا ظنر في المقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما في الظنر وف من الاتساع وقيل لمصدر آخر مقتدرا أي مقتد اياكم اذتدعون وقيل مقبول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلام المتقين في الآخرة واذتدعون تعالى لما بين الظنر

ان الله تعالى وعدهم الجنة وانما يجوزون ذلك فثبت ان شفاعته الملائكة لا تناول الأهل الطاعة فوجب أن تكون شفاعته الانبياء كذلك ضرورة أنه لا قائل بالفرق والجواب ان نقول هذه الآية تدل على حصول الشفاعة من الملائكة للمذنبين فبين هذا ثم نوجب عدم ذكره الكسبي أما بيان دلالة هذه الآية على ما قلناه فن وجوه (الاول) قوله ويستغفرون ثلاثين أمنا والاستغفار طلب المغفرة والمغفرة لا تذكر الا في اسقاط العقاب أما طلب النفع الزائد فانه لا يسمى استغفارا (الثاني) قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا وهذا يدل على انهم يستغفرون لكل أهل الايمان فاذا دللنا على ان صاحب الكبيرة مؤمن وجب دخوله تحت هذه الشفاعة (الثالث) قوله تعالى فاغفر للذين تابوا طلب المغفرة للذين تابوا ولا يجوز أن يكون المراد اسقاط عقوبة الكبيرة بعد التوبة لان ذلك واجب على الله عند الخصم وما كان فعله واجبا كان طلبه بالدعاء فيجوز لا يجوز أيضا أن يكون المراد اسقاط عقوبة الصغار لان ذلك أيضا واجب فلا يحسن طلبه بالدعاء ولا يجوز أن يكون المراد طلب زيادة منفعة على الثواب لان ذلك لا يسمى مغفرة فثبت أنه لا يمكن حمل قوله فاغفر للذين تابوا الا على اسقاط عقاب الكبيرة قبل التوبة واذ ثبت هذا في حق الملائكة فكذلك في حق الانبياء لانهما قادرا لاجماع على انه لا فرق اما الذي يتك به الكسبي وهو انهم طلبوا المغفرة للذين تابوا فقولنا يجب أن يكون المراد منه الذين تابوا عن الكفر واتبعوا سبيل الايمان وقوله ان النائب عن الكفر المصير على الفسق لا يسمى تابوا ولا متبعين سبيل الله فلنا لانسلم قوله بل يقال انه نائب عن الكفر وتابع سبيل الله في الدين والشريعة واذ ثبت انه نائب عن الكفر ثبت انه نائب الأتري أنه يكفي في صدق وصفه بكونه ضارا وضارا كاسدور والضرب والضحك عنه مرة واحدة ولا يوقف ذلك على صدور كل أنواع الضرب والضحك عنه فكذلك هو لنا (المسئلة الثالثة) قال أهل التحقيق ان هذه الشفاعة الصادرة عن الملائكة في حق البشر تجري مجرى اعتذار عن زلة سبقت وذلك لانهم قالوا في أول تخليق البشر أتجعل فيهم من يشهد فيها ويسفك الدماء فلما سبق منهم هذا الكلام تداركوا في آخر الامر بأن قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم وهذا كالتنبه على ان من آذى غيره فالاولى ان يجبر ذلك الايذاء بإبصال نفع واعلم انه تعالى لما حكى عن الملائكة انهم يستغفرون للذين تابوا بين كيفية ذلك الاستغفار في كسبي منهم انهم قالوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ان الدعاء في أكثر الامور مذكور بافتراء يساوي يدل عليه ان الملائكة عند الدعاء قالوا ربنا بديل هذه الآية وقال آم عليه السلام ربنا اخلصنا أنفسنا وقال نوح عليه السلام رب اني أعوذ بك أن أسفك ما ليس لي به علم وقال أيضا رب اني دعوت قومي ليلانهارا وقال أيضا رب اغفر لي ولوالدي وقال عن ابراهيم عليه السلام رب ارنى كيف تنهى الموتي وقال رب اغفر لي ولوالدي والمؤمنين يوم تقوم الحساب

والسبب من علاقة اللزوم ﴿ ٢٩٨ ﴾ سا والمعنى لمقت الله اياكم الآن أكبر من

مقتكم أنفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فكفرون وتخصبص هذا الوجه بصورة كون المراد بأنفسهم أضراسهم
بما لا داعي اليه (قالوا ربنا أمتنا الذين وأحببتنا الذين) ﴿٢٩٨﴾ صفستان لمصدرى الفعلين المذكورين أى امانتين

واحياه تين أو موتين
وحياتين على أنهما
مصدران لهما أيضا
بحذف الزوائد وأفعلين
يدل عليهما المذكوران
فان الامانة والاحياء
ينشان على الموت والحياة
حنكا له قبل أمتنا
فتنا موتين اثنين
واحيتنا فحيتنا
حياتين اثنين
على طريقة قول من
قال وعصية دهر بالين
مروا إن تدع من المال
الامسحت أو تخلف أى
لم تدع فلم يبق في الامسحت
الح قيل أرادوا بالامانة
الاولى خلقهم أمواتا
وبالثانية امانتهم عند
انقضاء آجالهم على أن
الامانة جعل الشئ
عالم الحياة أعظم من أن
يكون بإنشائه كذلك
كفى قواهم سبحانه من
صغر البعوض وكبر القيل
أو بوجهه كذلك بعد الحياة
وبالاحياء من الاحياء الاول
واحياه البعث وقيل
أرادوا بالامانة الاولى
ما بعد حياة الدنيا
وبالثانية ما بعد حياة
التبر وما عند البعث وهو

الانسب بحالهم وأما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حياة الدنيا فدفعه مرجع

لكن لا بما قبل من عدم اعتقادهم بها والهاوانقضائها وانقطاع آثارها وأحكامها بل بأن مقصودهم أحداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه في الدنيا ﴿ ٢٩٩ ﴾ كما ينطبق به قولهم (فاعترفنا بذنوبنا) والتزام العمل بموجب ذلك

الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما عنقوا به أطباعهم الفارغة من الرجوع الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا فعمل صالحا انا موقنون

وهو الذي أرادوه بقولهم (فهل الى خروج

من سبيل) مع نوع استبعاد له واستشعار

يأس منه لأنهم قالوه بطريق القنوط البحت

كما قيل ولا ريب في أن الذي كانوا ينكرونه

ويقرعون عليه فنون الكفر والمعاصي ليس

الا الاحياء بعد الموت وأما الاحياء الاول فلم

يكونوا ينكرونه اينظفوه في سلك ما اعترفوا به

وزعموا أن الاعتراف يجديهم نفعاً وانما ذكروا

الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها في الدنيا

اتوقف حياة القبر عليها وكذا حال الموتة في القبر

فان مقصدهم الاصل هو الاعتراف بالاحياء

وانما ذكروا والا ماتين لترتيبهما عليهما

ذكر احسب ترتيبهما عليهما وجودا وتكبر

راجع على جانب الضرر وانه تعالى اما خلق الخلق الرحمة والخير لا للضرر والسرفان قيل قوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فيه سؤال لان العلم وسع كل شيء اما الرحمة فاوصلت الى كل شيء لان المضرور حال وقوعه في الضرر لا يكون ذلك الضرر رحمة وهذا السؤال ايضا مذكور في قوله وسعت كل شيء فلناكل موجود فقد نال من رحمة الله تعالى نصيبا وذلك لان الموجود اما واجب واما ممكن اما الواجب فليس الا الله سبحانه وتعالى واما الممكن فوجوده من الله تعالى وبيانه وذلك رحمة ثبت انه لا موجود غير الله الا وقد وصل اليه نصيب ونصيب من رحمة الله فانه لما قال ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وفي الآية دقة اخرى وهي ان الملائكة قد مراد ذكر الرحمة على ذكر العلم فقالوا وسعت كل شيء رحمة وعلما وذلك لان المطلوبهم اوصول الرحمة وأن يتجاوز علمهم من أنواع الذنوب فالمطلوب بالذات هو الرحمة والمطلوب بالعرض أن يتجاوز علمهم من المطلوب بالذات مقدم على المطلوب بالعرض الا ترى انه لما كان ابقاء الصحة مطلوباً بالذات وازالة المرض مطلوباً بالعرض لا جرم لما ذكر واحد اطب قدموا فيه حفظ الصحة على ازالة المرض فقالوا الطب علم يعرف منه أحوال بدن الانسان من جهة ما يصح ويؤول عن الصحة لتحفظ الصحة حاصلة وتسعة دوائه فكذلك ههنا المطلوب بالذات هو الرحمة وأما التجاوز عما علمه منهم من أنواع الذنوب فهو مطلوب بالعرض لاجل ان حصول الرحمة على سبيل الكمال لا يحصل الا بالتجاوز عن الذنوب فلهذا السبب وقع ذكر الرحمة سابقا على ذكر العلم (المسئلة الرابعة) دلت هذه الآية على ان المقصود بالقصة الاولى في الخلق والتكوين انما هو الرحمة والفضل والجود والكرم ودلت الدلائل اليقينية على ان كل ما دخل في الوجود من أنواع الخير والشر والسعادة والشقاوة فبفضاء الله وقدره والجمع بين هذين الاصلين في غاية الصعوبة فعند هذا قالت الحكماء الخير مراد مرضى والشر مراد مكروه والخير مقضى به بالذات والشر مقضى به بالعرض وفيه غور عظيم (المسئلة الخامسة) قوله وسعت كل شيء رحمة وعلما يدل على كونه سبحانه علما بجميع المعلومات التي لانهاية لم امن الكليات والجزئيات وأيضا فلولا ذلك لم يكن في الدعاء والتضرع فائدة لانه اذا جاز أن يخرج عن علمه بعض الاشياء فعلى هذا التقدير لا يعرف هذا الداعي ان الله سبحانه يعلمه ويعلم دعاءه وعلى هذا التقدير لا يقى في الدعاء فائدة البتة واعلم أنه تعالى لما حكى عنهم كيفية ثنائهم على الله تعالى حكى عنهم كيفية دعائهم وهو انهم قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم واعلم أن الملائكة طابوا بالدعاء من الله تعالى أشياء كثيرة للمؤمنين فالمطلوب الاول الغفران وقد سبق تفسيره في قوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك فان قيل لا معنى للغفران الا اسقاط العذاب وعلى هذا التقدير فلا فرق بين قوله فاغفر لهم وبين قوله وقهم عذاب الجحيم فلنا دلالة لفظ المغفرة على اسقاط عذاب الجحيم دلالة حاصلة على سبيل الرمز والاشارة فلما ذكر واهذا الدعاء على سبيل الرمز

سبيل للابهام أى من سبيل ما كيفما كان وقوله تعالى (ذلكم) الخ جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من

أعمالهم السيئة أي ذلكم الذي أتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلو وكما قيل (بأنه) أي بسبب أن المشان (إذا دعى الله)
في الدنيا أي عبدا (وحده) أي منفردا ﴿٣٠٠﴾ (كفرتم) أي بتوحيده (وان يشركه توفئوا) أي بالاشراك به

وتسارعوا في دوافع إراد
إذا وصيغة الماضي في
الشرطية الأولى وإن
وصيغة المضارع في
الثانية ما لا يخفى من
الدلالة على كمال سوء
حالهم وحيث كان
حالكم كذلك (فالحكم لله)
الذي لا يحكم إلا بالحق ولا
يقضي إلا بما تقتضيه
الحكمة (العلی الكبير)
الذي ليس كمثل شيء في
ذاته ولا في صفاته ولا في
أفعاله يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد لا معقب
لحكمه وقد حكم بأنه
لا معقب له شرك ولا نهاية
لحقه ولا نهاية
لشأنه فلا سبيل لكم
إلى الخروج أبدا (هو)
الذي يريدكم آياته الدالة
على شؤنه العظيمة
الموجبة لتفرد بالالوهية
لتنسبوا بها على ذلك
وتعملوا بموجبهما
فتوحدوه تعالى وتخصصوه
بالعبادة (وبزل) بالتشديد
وقرى بالتخفيف من
الانزال (لكم من السماء
رزقا) أي سبب رزق
وهو المطر وأفراده بالذكر
مع كونه من جملة الآيات
الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرد به عنوان كونه من آثار رحمته وجلال نعمته الموجبة للشكر ﴿ما يجادل﴾

وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجدد الآرامة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول
لما مر غير مرة (وما يذكر) بئلا الآيات الباهرة ﴿ ٣٠١ ﴾ وما يعمل بمتنفساها (الامن ينيب) الى الله

ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا بين انهم في القيامة يعترفون بذنوبهم واستحقاقهم
العذاب الذي ينزل بهم ويسألون الرجوع الى الدنيا ليلتلافوا ما فرط منهم فقال ان الذين
كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) في الآية
حذف وفيها ايضا تقديم وتأخير أما الحذف فتقديره لمقت الله اياكم وأما التقديم والتأخير
فهو أن التقدير أن يقال لمقت الله لكم حال مالدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من
مقتكم أنفسكم وفي تفسير مقتهم أنفسهم وجوه (الاول) انهم اذا شاهدوا القيامة
والجنة والنار متوا أنفسهم على اصرارهم على التكذيب بهذه الاشياء في الدنيا
(الثاني) ان الاتباع يشتد مقتهم للرؤساء الذين دعوه الى الكفر في الدنيا والرؤساء ايضا
يشتد مقتهم الاتباع فعبير عن مقت بعضهم بعضا بأنهم مقتوا أنفسهم كانه تعالى قال
فاقتلوا أنفسكم والمراد قتل بعضهم بعضا (الثالث) قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابلّس
مهم في النار بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الى قوله ولو موأ أنفسكم ففي هذه
الحالة متوا أنفسهم واعلم أنه لا نزاع ان مقتهم أنفسهم انما يحصل في القيامة اما مقت
الله لهم ففيه وجهان (الاول) انه حاصل في الآخرة والمعنى لمقت الله لكم في هذا الوقت
ثم من مقتكم أنفسكم في هذا الوقت (أو الثاني) وعليه الاكثرون ان التقدير لمقت الله
لكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فكفرون اكبر من مقتكم أنفسكم الآن ففي
تفسير الانفاظ المذكورة في الآية أوجه (الاول) ان الذين ينادونهم ويذكرونهم هذا
الكلام هم خزنة جهنم (الثاني) المقت أشد البغض وذلك في حق الله تعالى بحال فالمراد
منه أباغ الانكار والزجر (الثالث) قال الفراء ينادون لمقت الله معناه انهم ينادون ان
مقت الله اكبر يقال ناديت ان زيد قائم وان زيدا قائم (الرابع) قوله اذ تدعون الى
الايمان فيه حذف والتقدير لمقت الله لكم اذ تدعون الى الايمان فتأتون بالكفر اكبر من
مقتكم الآن أنفسكم ثم انه تعالى بين ان الكفار اذا خولبوا بهذا الخطاب قالوا ربنا
أمتنا اثنين الى آخر الآية والمعنى انهم لما عرفوا ان الذي كانوا عليه في الدنيا كان
فاسدا باطلا تملوا الرجوع الى الدنيا لكي يشتغلوا عند الرجوع اليها بالاعمال الصالحة
وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) احتج أكثر العلماء بهذه الآية في اثبات عذاب
القبر وتقرير الدليل انهم أثبتوا لانفسهم موتين حيث قالوا ربنا أمتنا اثنين فأحد
الموتين مشاهد في الدنيا فلا بد من اثبات حياة أخرى في القبر حتى يصبر الموت الذي يحصل
عقبها. وثانياً وذلك يدل على حصول حياة في القبر فان قيل قال كثير من المفسرين
الموتة الاولى اشارة الى الحالة الحاصلة عند كون الانسان نطفة وعلقة والموتة الثانية
اشارة الى ما حصل في الدنيا فلم لا يجوز أن يكون الامر كذلك والذي يدل على ان الامر
ما ذكرناه قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم والمراد من قوله
وكنتم أمواتا الحالة الحاصلة عند كونه نطفة وعلقة وتحقيق الكلام ان الامانة تستعمل

أخبر عنه بهما ايذا نابلو شأنه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به وإخلاص الدين له أما
بطريق الاستشهاد بهما عليهما

فإن ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط بأكناف العالم العلوى والسفلى تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضى يكون علو شأنه ﴿ ٣٠٢ ﴾ وعظم سطاته في غاية لا غاية وراءها واما يجعلهما

بمئين (أحدهما) إيجاد الشئ ميتا (والثاني) تصير الشئ ميتا بعد أن كان حيا كقولك
وسع الحيا طئوني بحتم انه خاطء واسماوي تحتمل أنه صيره واسعا بعد أن كان ضيقا فلم
لا يجوز في هذه الآية أن يكون المراد بالامانة خلقها مائة ولا يكون المراد تصيرها مائة
بعد أن كانت حية (السؤال الثاني) أن هذا كلام الكفار فلا يكون حجة (السؤال
الثالث) أن هذه الآية تدل على المنع من حصول الحياة في النبر وبيانه أنه لو كان الامر
كذلك لكان قد حصلت الحياة ثلاث مرات أولها في الدنيا وثانيها في القبر وثالثها في
القيامة والمذكور في الآية ليس الاحيائين فقط فتكون احدهما الحياة في الدنيا
والحياة الثانية في القيامة والموت الحاصل بينهما هو الموت المشاهد في الدنيا (السؤال
الرابع) أنه ان دلت هذه الآية على حصول الحياة في القبر فهذا ما يدل على عدمه وذلك
بالتقول والمعقول أما المعقول فمن وجوه (الاول) قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل
ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه فلم يذكر في هذه الآية الا الحذر عن
الآخرة ولو حصلت الحياة في القبر لكان الحذر عنها حاصلا ولو كان الامر كذلك لذكره
ولما يذكره علمنا أنه غير حاصل (الثاني) أنه تعالى حكى في سورة الصافات عن المؤمنين
المحققين أنهم يقولون بعد دخولهم في الجنة أفانحن بميتين الاموتتنا الاولى ولا شك ان
كلام أهل الجنة حق وصدق واو حصلت لهم حياة في القبر لكانوا قد ماتوا وموتين وذلك
على خلاف قوله أفانحن بميتين الاموتتنا الاولى قالوا والاستدلال بهذه الآية أقوى
من الاستدلال بالآية التي ذكرتموها لان الآية التي تمسكنا بها حكاية قول المؤمنين الذين
دخلوا الجنة والآية التي تمسكتم بها حكاية قول الكافرين الذين دخلوا النار وأما
المعقول فمن وجوه (الاول) وهو ان الذي افترسته السباع وأكلته أو أعيد حيا لكان
أما أن يعاد حيا بمجموعه أو بأحد أجزائه والاول باطل لان الحس يدل على أنه لم يحصل
له مجموع والثاني باطل لانه لما أكلته السباع فلو جعلت تلك الاجزاء أحياء لحصلت أحياء
في معدة السباع وفي أمعائها وذلك في غاية الاستبعاد (الثاني) ان الذي مات لو تركناه
ظاهرا بحيث يراه كل أحد فانهم يرونه باقيا على موته فلو جوز ناعم هذه الحالة انه يقال انه
صار حيا لكان هذا تشكيكا في المحسوسات وانه دخول في السفسطة (والجواب) قوله
لم لا يجوز أن تكون الموتة الاولى هي الموتة التي كانت حاصلة حال ما كان نطفة وعلمة
فتقول هذا لا يجوز وبيانه أن المذكور في الآية ان الله أماتهم ولفظ الامانة مشروط
بسبق حصول الحياة اذ لو كان الموت حاصلا قبل هذه الحالة امتنع كون هذا امانة والالزم
تحصيل الحاصل وهو محال وهذا بخلاف قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا لان
المذكور في هذه الآية أنهم كانوا أمواتا وليس فيها ان الله أماتهم بخلاف الآية التي
نحن في تفسيرها لانها تدل على ان الله تعالى أماتهم مرتين وقد بينا ان لفظ الامانة لا يصدق
الا عند سبق الحياة فظهر الفرق أما قوله ان هذا كلام الكفار فلا يكون حجة فلما ذكرنا

عبارة عنهما بطريق
المجاز المفرع على
الكتابة كالاستواء على
العرش وتهدينا لما
يعقبهما من قوله تعالى
(يلقى الروح من أمره)
فانه خبر آخر لما ذكر
منه عن انزال الرزق
الروحاني الذي هو
الوحي بعد بيان انزال
الرزق الجسماني الذي
هو المطر أي ينزل الوحي
الجساري من القلوب
منزلة الروح من الاجساد
وقوله تعالى من أمره
بيان للروح الذي أريد
به الوحي فانه أمر بالخبر
أو حال مند أي حال كونه
ناشئا ومبتدأ من أمره
أو صفه على رأى
من يجوز حذف الموصول
مع بعض صلته أي
الروح الكائن من أمره
أو متعلق بياق ومن
للسببية كالباء مثل
ماق قوله تعالى وما
خطبائهم أي يلقي الوحي
بسبب أمره (على من
يشاء من عباده) وهو
الذي اصطفاه لرسالته
وتبليغ أحكامه اليهم
(لينذر) أي الله تعالى

أو الملقى عليه أو الروح وقرئ لتندر على أن الفاعل هو الرسول عليه الصلاة والسلام أو الروح ﴿ ذلك ﴾
لأنها قد توثت (يوم التلاق) اما ظرف للمفعول الثاني أي لينذر الناس

العذاب يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يلاقى فيه الارواح والاجسام وأهل السموات والارض أو هو المفعول الثاني
اتساعاً أو أصالة فانه من شدة هولهِ ﴿ ٣٠٣ ﴾ وفظاعته حقيق بالانذار أصالة وقرئ لينذر على البناء المفعول

ورفع اليوم (يومهم
بارزون) بدل من يوم
التلاق أى خارجون
من قبورهم أو ظاهرون
لا يسترهم شئ من جبل
أو أكمة أو بناء لكون
الارض يومئذ قاعاً
صفصفاً ولا عليهم
ثياب انما هم عراة
مكشوفون كما جاء في
الحديث يحشرون عراة
حفاة غرلاً وقيل ظاهرة
نفوسهم لا يحجبهم
غواشي الابدان أو اعمالهم
وسرائرهم (لا يخفى على
الله منهم شئ) استئناف
ليبين بروزهم وتقرير له
وازاخرة لما كان بتوهمه
التوهمون في الدنيان
الاستنار توهمهما بما فلا
أو خبر ثان وقيل حال
من ضمير بارزون أى لا
يخفى عليهم تعالى شئ مما
من أعيانهم وأعمالهم
واحوالهم الجليلة والخفية
السابقة واللاحقة (لمن
الملك اليوم لله الواحد
النهار) حكاية لما يقع
حينئذ من السؤال
والجواب بتقدير قول
معطوف على ما قبله
من الجملة المنفية المستأنفة

ذلك لم يكذبهم الله تعالى اذا وكانوا كاذبين لا يظهر الله تكذيبهم الا ترى أنهم لما كذبوا
في قواهم والله ربنا ما كنا مشركين كذبهم الله في ذلك فقال انظر كيف كذبوا وأما قوله
تظاهر الآية ينفع من اثبات حياة في القبر اذ لو حصلت هذه الحياة لكان عدد الحياة ثلاث
مرات لا مرتين فنقول الجواب عند من وجوه (الاول) هو ان مقصودهم تعديد أوقات
البلاء والمحنة وهي أربعة الموتة الاولى والحياة في القبر والموتة الثانية والحياة في القيامة
فهذه الاربعة أوقات البلاء والمحنة فاما الحياة في الدنيا فليست من أقسام أوقات البلاء
والمحنة فلهذا السبب لم يذكرها (الثاني) املهم ذكروا الحياتين وهي الحياة في الدنيا
والحياة في القيامة أما الحياة في القبر فأملوا اذ كرمها الله وجودها وقصر مدتها (الثالث)
علمهم لما صاروا أحياء في القبر لم يموتوا بل بقوا أحياء اما في السعادة واما في السفاوة
واتصل بها حياة القيامة فكانوا من جملة من أرادهم الله باستثناء في قوله فاستعفى من في
السموات ومن في الارض الامن شاء الله (الرابع) لو اثبتت الحياة في القبر لزم أن لا يصل
الموت الامرة واحدة فكان اثبات الموت مرتين كذباً وهو على خلاف لفظ القرآن
أما لو اثبتت الحياة في القبر لزمنا اثبات الحياة ثلاث مرات والمذكور في القرآن مرتين
أما المرة الثالثة فليس في اللفظ ما يدل على ثبوتها أو عدمها فثبت ان نفي حياة القبر يقتضي
ترك ما دل اللفظ عليه فاما اثبات حياة القبر فانه يقتضي اثبات شئ زائد على ما دل عليه
اللفظ مع ان اللفظ لا اشعار فيه بثبوته ولا بعدمه فكان هذا أولى وأما ما ذكره في
المعارضة الاولى فنقول قوله يحذر الآخرة تدخل فيه الحياة الآخرة سواء كانت في
القبر أو في القيامة واما المعارضة الثانية فجوابها أنا ترجح قولا بالاحاديث الصحيحة
الواردة في عذاب القبر وأما الوجهان العقلان فمدفوعان لانا اذا قلنا ان الانسان أبس
عبارة عن هذا الهيكل بل هو عبارة عن جسم نوراني سابغ في هذا البدن كانت الاشكالات
التي ذكرتموها غير واردة في هذا الباب والله أعلم (المسئلة الثانية) اعلم أنا لما اثبتنا حياة
القبر فيكون الماصِل في حق بعضهم أربعة أنواع من الحياة وثلاثة أنواع من الموت
والدليل عليه قوله تعالى في سورة البقرة ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر
الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم فهم أولاء أربع مراتب في الحياة حياتان في الدنيا
وحياة في القبر وحياة رابعة في القيامة (المسئلة الثالثة) قوله ان الذين نعت لمصدر محذوف
والتقدير اماتين اثنين ثم حكى الله عنهم انهم قالوا فاعترفنا بذنوبنا فان قبل الفاء في قوله
فاعترفنا تقتضي أن تكون الامانة مرتين والاحياء مرتين سبباً لهذا الاعتراف فبينوا
هذه السببية قلنا لانهم كانوا منكربين اليه فلما شاهدوا الاحياء بعد الامانة مرتين لم يبق
لهم عذر في الاقرار بالبعث فلا جرم وقع هذا الاقرار كالمسبب عن تلك الاحياء والامانة
ثم قال فهل الى خروج من سبيل أى هل الى نوع من الخروج سريع أو بطيء من سبيل
أم اليأس وقع فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط واعلم

أو مستأنف يقع جواباً عن سؤال نسأ من حكاية بروزهم وظهور أحوالهم كانه قبل فاذا
يقال الخ أى يناسي

مناد من الملائكة اليوم فيحييه أهل المحشر لله الواحد النهار وقبل المحجب هو السائل بعينه لما روى أنه يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد في أرض يرصاد كأنها سبيكة ﴿٣٠٤﴾ فضة ثم يعرض الله فيها قسطاً أول ما يتكلم به

أن ينادى مناد لمن الملك
 اليوم لله الواحد القهار
 وقبل حكاية الماتطق
 به لسان الحال من تقطع
 أسباب التصرفات
 المجازية واختصاص
 جميع الأفاعيل بقبضة
 القدرة الإلهية (اليوم
 تبرزى كل نفس بما
 كسبت) الخ أمان تمت
 الجواب إيمان حكم
 اختصاص المقام
 تعالى ونتيجته التي هي
 الحكم السوي واقتضاء
 الحق أو حكاية السيرة
 تعالى يومئذ عقيب السؤال
 والجواب أي تجزى كل
 نفس من النفوس البرة
 والفاجرة بما كسبت من
 خيرا ونرا (لا تظلم اليوم)
 بنقص ثواب أو زيادة
 عذاب (إن الله سريع
 الحساب) أي سريع
 حسابه تماما إذ لا يشغله
 تعالى شأن عن شأن
 فيحاسب الخلائق قاطبة
 في أقرب زمان كما نقل
 عن ابن عباس رضي الله
 عنهما أنه تعالى إذا أخذ
 في حسابهم أي قل أهل
 الجنة الأفيها ولا أهل
 النار الأفيها فيكون

تعليلاً لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فإن كون ذلك اليوم بعينه يوم الثلاثاء و يوم البروز رباً يومهم ﴿ درجات ﴾ استبعاد وقوع الكل فيه أو سمعهم محيياً فيكون تعليلاً للاندثار

درجات الانبياء والاولياء في الجنة (واشأنى) رافع درجات الخلق في العلوم والاخلاق
 الفاضلة فهو سبحانه نعين لكل أحد من الملائكة درجة معينة كما قال وما منا الا له مقام
 معلوم وعين لكل واحد من العلماء درجة معينة فقال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
 أتوا العلم درجات وعين لكل جسم درجة معينة فجعل بعضها سفلية عنصرية وبعضها
 فلكية كوكبية وبعضها من جواهر العرش والكرسي فجعل لبعضها درجة أعلى من
 درجة الثاني وأيضاً جعل لكل أحد مرتبة معينة في الخلق والرزق والاجل فتعال وهو الذي
 جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وجعل لكل أحد من السعداء
 والاشقياء في الدنيا درجة معينة من موجبات السعادة وموجبات الشقاوة وفي الآخرة
 اظهر آثار تلك السعادة والشقاوة فاذا حللنا الرفيع على الرافع كان معناه ما ذكرناه وأما
 اذا حللناه على المرتفع فهو سبحانه أرفع الموجودات في جميع صفات الكمال والجلال أما
 في أصل الوجود فهو أرفع الموجودات لانه واجب الوجود لذاته وما سواه ممكن ومحتاج
 اليه وأما في دوام الوجود فهو أرفع الموجودات لانه واجب الوجود لذاته وهو الازلي
 والابدي والسرمدى الذى هو أول لكل ماسواه وليس له أول وآخر لكل ماسواه وليس له
 آخر أما في العلم فلانه هو العالم بجميع الذوات والصفات والكمالات والجزئيات كما قال
 وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو وأما في القدرة فهو أعلى القادرين وأرفعهم لانه في
 وجوده وجميع كمالات وجوده شئ من كل ماسواه وكل ماسواه فانه يحتاج في وجوده وفي
 جميع كمالات وجوده اليه وأما في الوحدة فهو الواحد الذى يستع أن يحصل له ضد وند
 وشريك ونظير وأقول الحق سبحانه له صفتان (أحدهما) استغناؤه في وجوده وفي جميع
 صفات وجوده عن كل ماسواه (والثاني) افتقار كل ماسواه اليه في وجوده وفي صفات
 وجوده فالرفع ان فسرناه بالمرتفع كان معناه انه أرفع الموجودات واعلاها في جميع
 صفات الجلال والاکرام وان فسرناه بالرفع كان معناه ان كل درجة وفضيلة ودرجة ومنقبة
 حصلت لشيء سواء فانا حصلنا بانجاده وتكوينه وفضله ورحته (الصفة الثابتة) قوله
 ذوالعرش ومعناه انه مالك العرش ومديره ومخالقه واحتج به من الآثار من المشبهة بقوله
 رفع الدرجات ذوالعرش وجاؤه على أن المراد بالدرجات السموات وقوله ذوالعرش
 انه موجود في العرش فوق سبع سموات وقد أعظموا القرية على الله تعالى فانا بيننا
 بالدلائل القاهرة العقابية والفقائية ان كونه تعالى جسماً وفي جهة محال وأيضاً فظاهر
 اللفظ لا يدل على ما قالوه لان قوله ذوالعرش لا يفيد الاضافته الى العرش ويكفى فيه
 اضافته اليه بكونه مال كاله ونحو جاله من الدم الى الوجود فأى ضرورة تدعونا الى
 الذهاب الى القول الباطل والمذهب الفاسد والقائمة في تحصيل العرش بالذکر هو انه
 أعظم الاجسام والمقصود بيان كمال الهيته وتفاذ قدرته فكل ما كان محال التصرف
 والتدبير أعظم كانت دلالاته على كمال القدرة أقوى (الصفة الثالثة) قوله ياتى الروح من

أمره على من يشاء من عباده وفيه مباحث (البحث الاول) اختلافوا في المراد بهذا الروح والصحيح أن المراد هو الوحي وقد أطنبنا في بيان أنه لم يسم الوحي بالروح في أول سورة النحل في تفسير قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره وقال أيضا أو من كان ميتا فأحييناه وحاصل الكلام فيه أن حياة الأرواح بالاعراف الإلهية والجلال القدسية فإذا كان الوحي سببا لحصول هذه الأرواح سمي بالروح فإن الروح سبب لحصول الحياة والوحي سبب لحصول هذه الحياة الروحانية واعلم أن هذه الآية مشتملة على أسرار عجيبة من علوم المكاشفات وذلك لأن كمال كبرياء الله تعالى لا اتصل إليه العقول والأفهام فاطرق الكمال في تعريفه بقدر الطائفة البشرية أن يذكر ذلك الكلام على الوجه الكلي العقلي ثم يذكر عقبيه شي من المحسوسات المؤكدة لذلك المعنى العقلي ليصير المحسوس بهذا الطريق معاضدا للعقل فههنا أيضا كذلك فقوله رفع الدرجات إما أن يكون بمعنى كونه رافعا للدرجات وهو إشارة إلى تأثير قدرة الله تعالى في إيجاد الممكنات على اختلاف درجاتها وتباين منازلها وصفاتها أو إلى كونه تعالى مرتفعا في صفات الجلال وذعوت العزة عن كل الموجودات فهذا الكلام كلي عقلي برهاني ثم إنه سبحانه بين هذا الكلام الكلي بمنزلة تقرير وذلك لأن ما سوى الله تعالى إما جسمانيات وإما روحانيات فبين في هذه الآية أن كلا القسمين مسخر تحت تسخير الحق سبحانه وتعالى أما الجسمانيات فأعظمها العرش فقوله ذو العرش يدل على استيلائه على كلية عالم الأجسام ولما كان العرش من جنس المحسوسات كان هذا المحسوس مؤكدا لذلك المعقول أعني قوله رفيع الدرجات وأما الروحانيات فكلها مسخرة للحق سبحانه واليه الإشارة بقوله يلقى الروح من أمره واعلم أن أشرف الأحوال الظاهرة في روحانيات هذا العالم ظهور آثار الوحي والوحي انما يتم بإركان أربعة (فالولها) المرسل وهو الله سبحانه وتعالى فلهذا أضاف لقاء الوحي إلى نفسه فقال يلقى الروح (والركن الثاني) الأرسال والوحي وهو الذي سماه بالروح (والركن الثالث) أن وصول الوحي من الله تعالى إلى الأنبياء لا يمكن أن يكون إلا بواسطة الملائكة وهو المشار إليه في هذه الآية بقوله من أمره فالركن الروحاني يسمى أمرا قال تعالى وأوحى في كل سما أمرها وقال آله الخلق والأمر (والركن الرابع) الأنبياء الذين يلقى الله الوحي إليهم وهو المشار إليه بقوله على من يشاء من عباده (والركن الخامس) تعيين الغرض والمقصود الأصلي من لقاء هذا الوحي إليهم وذلك هو أن الأنبياء عليهم السلام يصرفون الخلق من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة ويحملونهم على الاعتراض عن هذه الجسمانيات والأعمال على الروحانيات واليه الإشارة بقوله اينذروا يوم التلاق يومهم بارزون فهذا ترتيب عجيب يدل على هذه الإشارات العالية من علوم المكاشفات الإلهية وبقي ههنا زنيين أنه ما السبب في تسمية يوم القيامة يوم التلاق وكم الصفات التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة يوم التلاق أما السبب في تسمية يوم القيامة بيوم التلاق ففيه

وجوه (الاول) ان الارواح كانت متباينة عن الاجساد فاذا جاء يوم القيامة سارت
الارواح ملاقة الاجساد فكان ذلك اليوم يوم التلاق (الثاني) ان الخلائق يتلاقون
فيه فيقف بعضهم على حال البعض (الثالث) ان اهل السماء يتزلون على اهل الارض
فيأتي فيه اهل السماء واهل الارض قال تعالى و يوم نشق السماء بالغمام ونزل الملائكة
تنزيلا (الرابع) ان كل واحد يصل الى جزء عمله في ذلك اليوم فكان ذلك من باب التلاق
وهو ما خوذ من قوله فلان لقي عمله (الخامس) يمكن ان يكون ذلك ما خوذ من قوله من
كان يرجو لقاء ربه ومن قوله تحيتهم يوم يلقونه سلام (السادس) يوم يلتقي فيه العابدون
والمعبودون (السابع) يوم يلتقي فيه آدم عليه السلام وآخروا له (الثامن) قال ميمون بن
مهران يوم يلتقي فيه الظالم والمظلوم فر بما ظلم الرجل رجلا وانفصل عنه ولو اراد ان يجده
لم يقدر عليه ولم يعرفه في يوم القيامة يحضرون و ياتي بعضهم بعضا قرا ابن كثير التلاق
والتنادي باليات الياه في الوصل والوقف وهادي وواق بالياه في الوقف والتتوين في
الوصل وأما بيان ان الله تعالى كم عدد من الصفات ووصف بها يوم القيامة في هذه الآية
فنقول (الصفة الاولى) كونه يوم التلاق وقد ذكرنا تفسيره (الصفة الثانية) قوله يوم هم
بارزون وفي تفسير هذا البروز وجوه (الاول) انهم برزوا عن بواطن القبور (والثاني)
بارزون أي ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو كهف أو بناء لان الارض بارزة قاع صفصف
وليس عليهم أيضا ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة
غراة (الثالث) أن يجعل كونهم بارزين كناية عن ظهور أعمالهم وانكشاف أسرارهم
كما قال تعالى يوم تبلى السرائر (الرابع) ان هذه النفوس الناطقة البشرية كأنها في الدنيا
انغمست في ظلمات اعمال الابدان فاذا جاء يوم اقيامة أعرضت عن الاشتغال بتدبير
الجسمانيات وتوجهت بالكلية الى عالم القيامة ومجمع الروحانيات فكانها برزت بعد
أن كانت كامنة في الجسمانيات مستترة بها (الصفة الثالثة) قوله لا يخفى على الله منهم
شيء والمراد يوم لا يخفى على الله منهم شيء والمقصود منه الوعيد فانه تعالى بين انهم اذا برزوا
من قبورهم واجتمعوا ولاقوا فان الله تعالى يعلم ما فعله كل واحد منهم فيجازي كل بحسبه
ان خيرا فخير وان شرا فشر فهم وان لم يعلموا تفصيل ما فعلوه فالله تعالى عالم بذلك
ونظيره قوله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وقال يوم تبلى السرائر وقال اذا بعثنا في
القبور وحصل ما في الصدور وقال يومئذ تحدث أخبارها فان قيل الله تعالى لا يخفى عليه
منهم شيء في جميع الايام فامعنى تقييد هذا المعنى بذلك اليوم قلنا انهم كانوا يتوهمون
في الدنيا اذا استروا بالحيطان والجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم في ذلك
اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما يتوهمونه
في الدنيا قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون من الناس
ولا يستخفون من الله وهو معني قوله و برزوا لله الواحد القهار (الصفة الرابعة) قوله

تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والتقدير يوم ينادى فيه لمن الملك اليوم وهذا النداء في أى الاوقات يحصل فيه قولان (الاول) قال المفسرون اذا هلك كل من في السموات ومن في الارض فيقول الرب تعالى لمن الملك اليوم يعنى يوم القيامة فلا يجيبه أحد فهو تعالى يجب نفسه فيقول لله الواحد القهار قال أهل الأصول هذا القول ضعيف وبيانه من وجوه (الاول) انه تعالى بين ان هذا النداء انما يحصل يوم التلاق ويوم البروز ويوم تجزى كل نفس بما كسبت والناس في ذلك الوقت أحياء فبطل قولهم ان الله تعالى انما ينادى بهذا النداء حين هلك كل من في السموات والارض (والثاني) أن الكلام لا بد فيه من فائدة لان الكلام اما أن يذكر حال حضور الغير أو حال ما لا يحضر الغير والاول باطل ههنا لان القوم قالوا انه تعالى انما يذكر هذا الكلام عند فناء الكل والثاني أيضا باطل لان الرجل انما يحسن تكلمه حال كونه وحده اما لانه يحفظه شيأ كالذي يكرر على الدرس وذلك على الله محال أو لاجل انه يحصل له إسرور بما يقوله وذلك أيضا على الله محال أو لاجل أن يعبد الله بذلك المذكر وذلك أيضا على الله محال فثبت أن قول من يقول ان الله تعالى يذكر هذا النداء حال هلاك جميع المخلوقات باطل لأصله (والقول الثاني) ان في يوم التلاق اذا حضر الاولون والآخرون وبرزوا لله نادی مناد لمن الملك اليوم فيقول كل الحاضرين في محفل القيامة لله الواحد القهار فالؤمنون يقولونه تلذذا بهذا الكلام حيث نالوا به هذا ان ذكر المنزلة الرفيعة والكفار يقولونه على الصغار والذلة على وجد التحسر والندامة على ان فاتهم هذا الذكر في الدنيا وقال القائلون بهذا القول ان صح القول الاول عن ابن عباس وغيره لم يمنع أن يكون المراد ان هذا النداء يذكر بعد فناء البشر الا انه حضر هناك ملائكة يسمعون ذلك النداء وأقول أيضا على هذا القول لا يبعد أن يكون السائل والمجيب هو الله تعالى ولا يبعد أيضا أن يكون السائل جمعا من الملائكة والمجيب جمعا آخرين والكل ممكن وليس على التعيين دليل فان قيل وما الفائدة في تخصيص هذا اليوم بهذا النداء فتقول الناس كانوا مفرورين في الدنيا بالاسباب الظاهرة وكان الشيخ الامام الوالد عمر رضى الله عنه يقول اولا الاسباب لما ارتاب مرتاب وفي يوم القيامة زالت الاسباب وانعزلت الارباب ولم يبق البتة غير حكم مسبب الاسباب فلهذا اختص نداء يوم القيامة واعلم انه وان كان ظاهر اللفظ يدل على اختصاص ذلك النداء بذلك اليوم الا ان قوله لله الواحد القهار يفيد أن هذا النداء حاصل من جهة المعنى أبدا وذلك لان قولنا الله اسم واجب الوجود لذاته وواجب الوجود لذاته واحد وكل ما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا باليجاد الواجب لذاته ومعنى اليجاد هو ترجيح جانب الوجود على جانب عدمه وذلك الترجيح هو قهر للجانب المرجوح فثبت ان الاله القهار واحد أبدا ونداء لمن الملك اليوم انما يظهر من كونه واحدا قهارا فاذا كان كونه قهارا باقيا من الازل الى الابد لا جرم كان نداء لمن الملك اليوم

باقيا في جانب المعنى من الازل الى الابد (الصفة الخامسة) من صفات ذلك اليوم قوله
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت واعلم انه سبحانه لما شرح صفات القهر في ذلك اليوم
أردفه ببيان صفات العدل والفضل في ذلك اليوم فقال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) هذا الكلام اشتمل على أمور ثلاثة (اولها) اثبات
الكسب للانسان (والثاني) ان كسبه يوجب الجزاء (والثالث) ان ذلك الجزاء انما
يستوفى في ذلك اليوم فهذه الكلمة على اختصارها مشتملة على هذه الاصول الثلاثة في
هذا الكتاب وهي أصول عظيمة الموقم في الدين وقد سبق تقرير هذه الاصول مرارا
ولابأس بذكر بعض النكت في تقرير هذه الاصول أما الاول فهو اثبات الكسب للانسان
وهو عبارة عن كون أعضائه سليمة صالحة للفعل والترك فسادا م يبق على هذا الاستواء
امتنع صدور الفعل والترك عنه فاذا انضاف اليه الداعي الى الفعل أو الداعي الى الترك
وجب صدور ذلك الفعل أو الترك عنه وأما الثاني وهو بيان ترتيب الجزاء عليه فاعلم أن
الافعال على قسمين منها ما يكون الداعي اليه طلب الخيرات الجسمانية الحاصلة في عالم
الدنيا ومنها ما يكون الداعي اليه طلب الخيرات الروحانية التي لا يظهر كمالها الا في عالم
الآخرة وقد ثبت بالتجربة أن كثرة الافعال بسبب حصول الملذات الراسخة فن غلب عليه
القسم الاول استحكمت رغبته في الدنيا وفي الجسمانيات فعند الموت يحصل الفراق بينه
وبين مطلوبه على أعظم الوجوه وبمعظم عايد البلاء ومن غلب عليه القسم الثاني فعند
الموت يفارق المغموض ويتصل بالمحبوب فتعظم الآلاء والنعمة فهذا هو معنى الكسب
وهو كونه ذلك الكسب موجبا للجزاء فظهر بهذا ان كمال الجزاء لا يحصل الا في يوم
القيامة فمذا قانون كل عاقل والشريعة الحقة أنت بما يتولى هذا القانون الكلى في
تفاصيل الاعمال والاقوال والله أعلم (المسئلة الثانية) هذه الآية أصل عظيم في أصول
الفقه وذلك لاننا نقول لو كان شيء من أنواع الضرر مشروعا لكان اما أن يكون مشروعا
لكونه جزاء على شيء من الجنائيات أو لالكونه جزاء والقسمان باطلان فبطل القول بكونه
مشروعا أما بيان انه لا يجوز أن يكون مشروعا ليكون جزاء على شيء من الاعمال فلان
هذا النص يقتضى تأخير الاجزاية الى يوم اقيامة قائماته في الدنيا يكون على خلاف هذا
النص وأما بيان انه لا يجوز أن يكون مشروعا للجزاء نقوله تعالى يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر ونقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج ونقوله صلى الله عليه
وسلم لا ضرر ولا ضرار في الاسلام عدائنا عن هذه السمومات فيما اذا كانت المضار اجزاية
وفيما ورد نص في الاذن فيه كذبح الحيوانات فوجب أن يبقى على أصل الحرمة فيما عداها
فثبت بما ذكرنا ان الأصل في المضار والآلام التحريم فان وجدنا نصا خاصا يدل على
الشرعية قضينا به تقديم الخاص على العام والافه وبقا على أصل التحريم وهذا أصل
كل منفع به في الشريعة والله أعلم (الصفة السادسة) من صفات ذلك اليوم قوله لا ظلم

(وأنذرهم يوم الآزفة) أى القيامة سميت بها لآزوفها وهو القرب * ٣١٠ * غير أن فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل

الحظة الآزفة وهى مشاركة أهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما فى قوله تعالى فلولوا اذا بلغت الحلقوم وقوله كلا اذا بلغت التراقي وقوله تعالى (اذ القلوب لدى الحناجر) يدل من يوم الآزفة فانها ترتفع من أماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيترجحوا ولا تخرج فيسترى بحوا بالموت (كاطمين) على الغم حال من أصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم أو من ضميرها فى الظرف وجسم السلامة باعتبار أن الكظم من أحوال العقلاء كقوله تعالى فظلمت أعناقهم لها خاضعين أو من مفعول أنذرهم على أنها حال مقدرة أى أنذرهم مقدرا كظمهم أو مشا رفين الكظم (مالا لظالمين من حليم) أى قريب مشفق (ولاشفيع بطاع) أى لاشفع مشفع على معنى نبي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله

اليوم المقصود أنه لما قال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت أردفه بما يدل على أنه لا يقع فى ذلك اليوم نوع من أنواع الظلم قال المحققون وقوع الظلم فى الجزاء يقع على أربعة أقسام (أحدها) أن يستحق الرجل ثوابا فيمنع منه (وثانيها) أن يعطى بعض حقه ولكنه لا يوصل اليه حقه بالتام (وثالثها) أن يعذب من لا يستحق العذاب (ورابعها) أن يكون الرجل مستحقا للعذاب فحجب ويزاد على قدر حقه فقوله تعالى لا ظلم اليوم يفيد نفي هذه الأقسام الأربعة قال القاضى هذه الآية قوية فى ابطال قول المجرة لأن على قولهم لا ظلم غالبا وشاهدا الأمن الله ولأنه تعالى اذا خلق فيه استكفر ثم عذبه عليه فهذا هو عين الظلم والجواب عنه معام ثم قال تعالى ان الله سرى مع الحساب وذكر هذا الكلام فى هذا الموضع لائق جلاله تعالى لما بين أنه لا ظلم بين أنه سرى مع الحساب وذبح يدل على أنه يصل اليهم ما يستحقونه فى الحال والله أعلم * قوله تعالى (وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر) كاطمين مالا لظالمين من حليم ولاشفيع بطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ * ان الله هو السميع البصير أولم يسر وافي الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بأنهم كانت نآيتهم رسالتهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوى شديد العقاب اعلم ان المقصود من هذه الآية وصف يوم القيامة بأنواع أخرى من الصفات الهائلة المهيبة وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) ذكروا فى تفسير يوم الآزفة وجوها (الاول) أن يوم الآزفة هو يوم القيامة والآزفة فاصلة من أزف الامر اذا سناو حضر لقوله فى صفة يوم القيامة أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة وقال الشاعر

أزف الترحل غير أن ركابنا * لماتزل برحائنا وكان قد

والمقصود منه التنبيه على أن يوم القيامة قريب ونظيره قوله تعالى اقترب الساعة قال الزجاج انما قيل لها آزفة لانها قريبة وان استبعد الناس مداها وما هو كائن فهو قريب واعلم ان الآزفة نعت لمحدوف مؤنث على تقدير يوم اقيامة الآزفة أو يوم المجازاة الآزفة قال القفال واسماء القيامة تجرى على اثنا عشر كاطامة والحاقة ونحوها كأنها يرجع معناها الى الداهية (والقول الثانى) ان المراد بيوم الآزفة وقت الآزفة وهى مسارتهم دخول النار فان عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها من شدة الخوف (والقول الثالث) قال أبو مسلم يوم الآزفة بوالمنية وحضور الاجل والذى يدل عليه انه تعالى وصف يوم القيامة بأنه بوالطلاق ويومهم بارزون ثم قال بعده وأنذرهم يوم الآزفة فوجب ان يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم وأيضا هذه الصفة مخصوصة فى سائر الآيات بيوم الموت قال تعالى فلولوا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون وقيل كلا اذا بلغت التراقي وأيضا فوصف يوم الموت بأقرب أولى من وصف يوم القيامة بأقرب وأيضا الصفات المذكورة بعد قوله يوم

❦ على صاحب لا يهتدى بناره ❦ والضمائر ❦ ٣١١ ❦ ان عادت الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع

ضميرهم للتسجيل عليهم
بالظلم وتعليل الحكم به
(يعلم خائنة الاعين)
النظرة الخائنة كالنظرة
الثانية الى غير المحرم
واستراق النظر اليه
أو خيانة الاعين على
أنها مصدر كالعافية
(وما تخفي الصدور)
من الضمائر والاسرار
والجملات خبر آخر مثل
بأني الروح للدلالة
على أنه مامن خفي الا
وهو متعلق العلم والجزاء
(والله يقضى بالحق)
لأنه السالك الحاكم
على الاطلاق فلا يقضى
بشيء الا وهو حق
وعادل (والذين
يبدعون) يبدعونهم
(من دونه) تعالى
(لا يقضون بشيء)
توكل بهم لان الجاد
لا يقال في حقه يقضى
او لا يقضى وقرئ
تدعون على الخطاب
التقاتا أو على اضمار
قل (ان الله هو السميع
البصير) تقرير لعلمه
تعالى بخائنة الاعين
وقضائه بالحق ووعد
لهم على ما يقولون

الآخرة لا تفتة بيوم حضور الموت لان الرجل عند معاناة ملائكة العذاب يعظم خوفه فكان
قلوبهم تبلغ حناجرهم من شدة الخوف وبيتوا كاطمين ساكنين عن ذكر ما في قلوبهم من
شدة الخوف ولا يكون لهم حميم ولا شفيع يدفع ما بهم من أنواع الخوف والقلق (المسئلة
الثانية) اختلفوا في أن المراد من قوله اذا القلوب لدى الحناجر كاطمين كناية عن شدة
الخوف أو هو محمول على ظاهره قيل المراد وصف ذلك اليوم بشدة الخوف وانفرع ونظيره
قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وقال فلولا اذا بلغت الحلقوم
وأنتم حينئذ تنظرون وقيل بل هو محمول على ظاهره قال الحسن القلوب انتزعت من
الصدور بسبب شدة الخوف وبلغت القلوب الحناجر فلا تخرج فيموتوا ولا ترجع الى
مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها مقبوضة كالسجال كما قال فلما رأوه زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا وقوله كاطمين أى مكروبين والكاظم الساكنت حال امتلائه غما
وغيظا فان قيل لم انتصب كاطمين قلنا هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لان المراد
اذ قلوبهم لدى الحناجر حال كونهم كاطمين ويعوز أيتا أن يكون حالا عن القلوب وان
القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظمة جمع السلامة
لأنه وصفها بالكظم الذى هو من افعال العقلاء كما قال رأيتهم لمى ساجدين وقال فظلت
أعناقهم لها خاضعين وبعضه قراءة من قرأ كاطمون وبالجملة فالتقصود من الآية
تقرير أمرين (أحدهما) الخوف الشديد وهو المراد من قوله اذا القلوب لدى الحناجر
(والثاني) العجز عن الكلام وهو المراد من قوله كاطمين فان الملهوف اذا قدر على
الكلام حصاته خفقه وسكون اما اذا لم يقدر على الكلام وبث الشكوى فاعظم قلقه
وقوى خوفه (المسئلة الثالثة) احتج أكثر المعتزلة في نفى الشفاعة عن المذنبين بقوله تعالى
ما الظالمين من حميم ولا شفيع يطاع قالوا نفى حصول شفيع لهم بطاع فوجب ان لا يحصل
لهم هذا الشفيع أجاب أصحابنا عنه من وجوه (الاول) انه تعالى نفى أن يحصل لهم شفيع
يطاع وهذا لا يدل على نفى الشفيع الا ترى انك اذا قلت ما عندى كتاب يباع فهذا يقتضى
نفى كتاب يباع ولا يقتضى نفى الكتاب وقالت العرب « لا ترى الضرب يا يعقوب » فيفظ
الطاعة يقتضى حصول المرتبة فهذا يدل على انه ليس لهم يوم القيامة شفيع فأيضا الله لانه
ليس في الوجود أحد أعلى حالا من الله تعالى حتى يقال ان الله يطعمه (اوجد الثاني) في
الجواب ان المراد من اظالمين ههنا الكفار والدليل عليه ان هذا لا يتوعد في زجر
الكفار الذين يجادلون في آيات الله فوجب أن يكون مختصا بهم وعندنا انه لا شفاعة في حق
الكفار (الثالث) ان لفظ الظالمين اما أن يفيد الاستغراق واما أن لا يفيد فان ايجاد
الاستغراق كان المراد من اظالمين مجموعهم ووجهاتهم ويدخل في مجموع هذا الكلام
الكفار وعندنا انه ليس لهذا المجموع شفيع لأن بعض هذا المجموع هم الكفار وليس
لهم شفيع فحينئذ لا يكون لهذا المجموع شفيع وان لم يفد الاستغراق كان المراد من

ويفعلون وتعرض بحال ما يدعون من دونه (أولم يسيرا في الارض فينظروا

كيف كان طاعة الذين كانوا من قبلهم) أى مال حال من قبلهم * ٣١٢ * من الأمم المكذبة لرسالهم كعاد

وعمود وأضرابهم
(كانوا هم أشد منهم
قوة) قدرة وتمكننا
من التصرفات والمباحي
بضمير الغفصل مع
أن حقه التوسط بين
معرفتين لمضاهاة أفضل
من المعرفة في امتناع
دخول اللام عليه
وقرى أشد منكم
بالكاف (وأنارا في
الارض) مثل القلاع
الحصينة والمدائن
المتينة وقيل المعنى
وأكد أنارا كقوله *
* متقلدا سبغا ومحا *
(فأخذهم الله
بنوهم) أخذنا
ويلا (وما كان لهم
من الله من واق) أى
من واق يفهم عذاب الله
(ذلك) أى ما ذكر
من الأخذ (بأنهم)
بسبب أنهم (كانت
ناتيةهم رسلهم بالبنات)
أى بالمحزات أو بالأحكام
الظاهرة (فكفروا
فأخذهم الله أنه قوى)
تمكن مما يريد غاية
التمكن (شديد
العقاب) لا يؤبه
عند مضاهية بعتاب

الظالمين بعض من كان موصوفاً بهذه الصفة وعندنا أن بعض الموصوفين بهذه الصفة ليس
لهم شفع وهم الكافرون أجاب السنداون عن السؤال الاول فقالوا يجب حل كلام
الله تعالى على محمل مفيد وكل أحد يعلم أنه ليس في الوجود شيء يطيعه الله لأن المطيع ادون
حالا من المطاع وليس في الوجود شيء على مرتبة من الله تعالى حتى يقال إن الله يطيعه
واذا كان هذا المعنى معلوماً بالضرورة كان حل الآية عليه إخراجاً لها من الفائدة فوجب
حل الطاعة على الإجابة والذي يدل على ورود لفظ الطاعة بمعنى الإجابة قول الشاعر
رب من أنضجت غيظاً صدره * قد تمنى لي موتاً لم يطعم *

(وأما السؤال الثاني) فقد أجابوا عنه بأن لفظ الظالمين صبغة جمع دخل عليها حرف
التعريف فبقي العزم أقصى ما في الباب أن هذه الآية وردت لزم المكفار إلا أن العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (وأما السؤال الثالث) فجوابه أن قوله ما للظالمين من
حجيم يفيد أن كل واحد من الظالمين محكوم عليه بأنه ليس له حجيم ولا شقيم بطاع فهذا تمام
كلام القوم في تقرير ذلك الاستدلال أجاب أصحابنا عن السؤال الاول فقالوا إن القوم
كانوا يقولون في الأصنام إنها شفعاء لنا عند الله وكانوا يقولون إنها تشفع لنا عند الله من
غير حاجة فيها إلى إذن الله ولهذا السبب رد الله تعالى عليهم ذلك بقوله من ذا الذي يشفع
عنده إلا بإذنه فهذا يدل على أن القوم اعتقدوا أنه يجب على الله إجابة الأصنام في تلك
الشفاعة وهذا نوع طاعة فالله تعالى نفي تلك الطاعة بقوله ما للظالمين من حجيم ولا شقيم
بطاع وأجابوا عن الكلام الثاني بأن قالوا الأصل في حرف التعريف أن ينصرف إلى
المعهود السابق فإذا دخل حرف التعريف على صبغة الجمع وكان هناك مفهوماً سابقاً
انصرف إليه وقد حصل في هذه الآية مفهوماً سابقاً وهم الكفار الذين يجادلون في آيات
الله فوجب أن ينصرف إليه وأجابوا عن الكلام الثالث بأن قالوا قوله ما للظالمين من حجيم
ولا شقيم بطاع يحتمل عموم السلب ويحتمل سلب العموم أما الاول فعلى تقدير أن يكون
المعنى أن كل واحد من الظالمين محكوم عليه بأنه ليس له حجيم ولا شقيم وأما الثاني فعلى
تقدير أن يكون المعنى أن مجموع الظالمين ليس لهم حجيم ولا شقيم ولا يلزم من نفي الحكم
عن المجموع نفيه عن كل واحد من آحاد ذلك المجموع والذي يؤيد ما ذكرناه قوله تعالى
إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون فقوله إن الذين كفروا
لا يؤمنون أن خلتاه على أن كل واحد منهم محكوم عليه بأنه لا يؤمن من لزوم وقوع الخلف
في كلام الله لأن كثيراً من كفر فقد آمن بعد ذلك أما وجوبنا على أن مجموع الذين كفروا
لا يؤمنون سواء آمن بعضهم أو لم يؤمن من صدق وتخاصص عن الخلف فلا جرم جلتنا هذه الآية
على سلب العموم ولم يحملها على عموم السلب فكذلك قوله ما للظالمين من حجيم ولا شقيم
يجب حمله على سلب العموم لا على عموم السلب وحيثما يستلزم استدلال المعتزلة بهذه الآية
فهذا غاية الكلام في هذا الباب (المسئلة الرابعة) في بيان نظم الآية فتقول أنه تعالى

لتفاريغ العنوانين واما بعض مشاهيرها كانه صا أفردت ﴿ ٣١٣ ﴾ بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لاناقتها

افراد جبريل وميكال به
مع دخولها في الملائكة
عليهم السلام (الى
فرعون وهامان وفارون
فقالوا ساحر كذاب) أى
فيما أظهره من المعجزات
وفيما ادّعى من رسالته رب
العالمين (فلما جاءهم بالحق
من عندنا) وهو ما ظهر
على يده من المعجزات
القاهرة (قالوا اقتلوا
ابناء الذين آمنوا معه
واستحيوا نساءهم) كما
قال فرعون سقتل أبناءهم
ونستحي نساءهم أى
اعبدوا على اسمهم ما كنتم
تعبدهون أو لا وكان فرعون
قد كف عن قتل الولدان
فلما بعث عليه الصلاة
والسلام وأحس بأنه
قد وقع ما وقع أعاده عليه
غياطا وخفا وزعم أنه
أنه يصدهم بذلك عن
مظاهرتهم بظنهم أنه
المراد الذى حكى
النجس والكهنة
بذهاب ملكهم على يده
(وما كيد الكافرين
الانى ضلال) أى فى
شراعه وبطلان ما يغنى
عنهم شيئا وينقذ
عليهم لاشكاله القدر

ذكر فى هذه الآية جميع الأسباب الموجبة للخوف (فأولها) انه سمى ذلك اليوم يوم
الآزفة أى يوم القرب من عذابه لمن ابتلى بالذنوب العظمى لانه اذا قرب زمان عقوبته كان
فى أقصى غايات الخوف حتى قيل ان تلك النجوم والهموم وأعظم فى الانحاش من عين تلك
العقوبة (والثاني) قوله اذا انقلب لى الخناجر والمعنى انه بلغ ذلك الخوف الى أن انقلب
القلب من الصدر وارتفع الى الخبيرة والتصق بها وصار ما دما من دخول النفس
(والثالث) قوله كاطمين والمعنى انه لا يمكنهم أن ينطخوا وان يشرحوا ما عندهم من
الحر والخر والخوف وذلك بوجوب مزيد التلقى والاضطراب (والرابعة) قوله ما لا يظلمون من
حليم ولا شفيع بطاع فيبين انه ليس اهلهم قريب ينفعهم ولا شفيع يطاع فيبينهم فتقبل شفاعة
(والخامسة) قوله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور والمعنى انه سبحانه عالم لا يعرب عن
علمه مثال ذرة فى السموات ولا فى الارض والحاسم اذا بلغ فى العلم الى هذا الحد كان
خوف المذنب منه شديدا جدا قال صاحب الكشف الخائنة صفة النظرة أو مصدر
يعنى الخائنة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل أهل
الرب والمعاد بقوله وما تخفى الصدور مضمرة القلوب والحاصل ان الافعال قسمة
افعال الجوارح وافعال القلوب أما افعال الجوارح فاخفاها خائنة الاعين والله أعلم بها
فكيف الحال فى سائر الاعمال وأما افعال القلوب فهى معلومة لله تعالى لقوله وما تخفى
الصدور فدل هذا على كونه تعالى عالما بجميع افعالهم (السادسة) قوله تعالى والله يقضى
بالحق وهذا أيضا بوجوب عظم الخوف لان الحاكم اذا كان عالما بجميع الاحوال وثبت
منه انه لا يقضى الا بالحق فى كل مادى وجل كان خوف المذنب منه فى الغاية القصوى
(السابعة) ان الكفار انما عولوا فى دفع العقاب عن أنفسهم على شفاعته هذه الاصنام وقد
بين الله تعالى انه لا فائدة فيها البتة فقال والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ (الثامنة)
قوله ان الله هو السميع البصير أى يسمع من الكفار مشاهيرهم على الاصنام ولا يسمع منهم
شاهد على الله ويصبر خضوعهم وسجودهم لهم ولا يصبر خضوعهم وتواضعهم لله
فهذه الاحوال الثمانية اذا اجتمعت فى حق المذنب الذى عظم ذنبه كان بالغا فى الخوف الى
الحد الذى لا تقبل الزيادة عليه ثم انه تعالى لما بالغ فى تخويف الكفار بعذاب الآخرة
أردفه ببيان تخويفهم بأحوال الدنيا فقال أول ما يروى فى الارض فينظروا كيف كان
طاعة الذين كانوا من قبلهم والمعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار
كانوا أشد قوة من هؤلاء الحاضرين من الكفار وأقوى آثارا فى الارض منهم والمراد
حصونهم وقصورهم وعساكرهم فلما كذبوا رسالتهم أهلكهم الله بنسوة الهلاك معجلا
حتى ان هؤلاء الحاضرين من الكفار يشاهدون تلك الآثار فيحذرهم الله تعالى من مثل
ذلك بهذا القول وبين بقوله وما كان لهم من الله من واق أنه لما نزل العذاب بهم عند
أخذه تعالى لهم لم يجدوا من يعينهم ويخلصهم ثم بين ان ذلك نزل بهم لاجل انهم كفروا
وكذبوا الرسل فيحذرون الرسول من مثله وختم الكلام بانه قوى شديد العقاب بالغة

والإظهار في موقع الاعتذار لذمهم بالكفر والاشعار ببلية الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة
أهترأض بجي به في تضاعيف ما حكى ﴿ ٣١٤ ﴾ عنهم من الإباطيل المسارعة إلى بيان بطلان ما أظهره من

الابراق والارعاد
واضحلاله بالمرّة (وقال
فرعون ذروني أقتل
موسى) كان ملؤه إذا هم
يقتله عليه الصلاة
والسلام كفوه بقولهم
ليس هذا بل نذى تخافه
فانه أقل من ذلك وأضعف
وما هو إلا بعض السحرة
وبقواهم إذا قتله أدخلت
على الناس شبهة واعتقدوا
أنك عجزت عن معارضته
بالجملة وغسدت إلى
المقارعة بالسيف والظهار
من دهاء الأعين ونكارته
أنه كان قد استيقن أنه
نبي وأن ما جاء به آيات
باهرة وما هو بسحر ولكن
كان يخاف أن هم يقتله
أن يعاجل بالهلاك وكان
قوله هذا توبيخا على قومه
وابهاما أنهم هم الكافرون
لأن قتلهم ولو أنهم لقتله
وما كان الذي يكفه إلا ما
نفسه من الفرع الهائل
وقوله (وليدع ربه)
تجمل منه وإظهار عدم
المبالاة بدعائه ولكنه
أخوف ما يخافه (إني
أخاف) إن لم أقتله (أن
يبدل دينكم) أن يغير
ملازم عليه من الدين
الذى هو عبارة عن

في التحذير والتخويف والله أعلم وقرا ابن عامر وحده كانوا هم أشد منكم بالكاف والباقون
بأنها (أما وجه) قراءة ابن عامر فهو انصراف من الغيبة إلى الخطاب كقوله إياك نعيد
وإياك نستعين بعد قوله الحمد لله والوجه في حسن هذا الخطاب انه في شأن أهل مكة فجعل
الخطاب على أفعال المخاطب الحاضر لحضورهم وهذه الآية في المعنى كقوله مكناهم في
الأرض ما لم نكن لكم وأما قراءة الباقيين على لفظ الغيبة فلاجل موافقة ما قبله من الفاظ
الغيبة ﴿ قوله تعالى ﴾ (وقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون
فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا
نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني
أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد وقال موسى إني غدت بربي وربكم
من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) واعلم انه تعالى لما سلى رسوله بذكر الكفار الذين كذبوا
الأنبياء قبله وبمشاهدة آثارهم سلاه أيضا بذكر قصة موسى عليه السلام وأنه مع قوة
معجزاته بعثه إلى فرعون وهامان وقارون فكذبوه وكابروه وقالوا هو ساحر كذاب واعلم
أن موسى عليه السلام لما جاءهم بتلك المعجزات الباهرة وبالنبوة وهي المراد بقوله فلما
جاءهم بالحق من عندنا حكى الله تعالى عنهم ما صدر عنهم من الجهالات (فالاول) أنهم
وصفوه بكونه ساحرا كذابا وهذا في غاية البعد لأن تلك المعجزات كانت قد بلغت في القوة
والظهور إلى حيث يشهد كل ذي عقل سليم بأنه ليس من السحر البتة (الثاني) أنهم قالوا
افتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم والصحيح أن هذا القتل خبر القتل الذي
وقع في وقت ولادة موسى عليه السلام لأن في ذلك الوقت أخبره المجمعون بولادة عدوه
يظهر عليه فأمر بقتل الأبناء في ذلك الوقت وأما في هذا الوقت فموسى عليه السلام قد
جاءه وأظهر المعجزات الظاهرة فعند هذا أمر بقتل أبناء الذين آمنوا معه فلا يشعروا على
دين موسى فيتوهم بهم وهذه الآية مختصة بالبنين دون البنات فلهذا السبب أمر بقتل
الأبناء ثم قال تعالى وما كيد الكافرين إلا في ضلال ومعناه أن جميع ما يسهون فيه من
مكايدة موسى ومكايدة من آمن معه يضل لأن ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
(النوع الثالث) من قبائح أفعال أولئك الكفار مع موسى عليه السلام ما حكاها الله
تعالى وقال فرعون ذروني أقتل موسى وهذا الكلام كالدلالة على أنهم كانوا يمتنعونه من
قتله وفيه احتمالان (الاول) أنهم منعوه عن قتله لوجوه (الاول) لعله كان فيهم من يعتقد
بقلبه كون موسى صادقا فأبى بوجوه الخيل في منهم فرعون من قتله (الثاني) قال الحسن
أن أصحابه قالوا له لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يمكنه أن يغلب سحرته وان قتله
أدخلت الشبهة على الناس وتناولوا أنه كان محتما وعجزوا عن جوابه فقتلوه (الثالث) أعلمهم
كانوا يمتنعون في منه من قتله لاجل أن يبقوا فرعون مشغول القلب بموسى فلا يفرغ
لأديب أولئك الاقوام فان من شأن الأمراء أن يشغولوا قلب ملائكتهم بخصم خارجي حتى

عبادته وعبادة الاصنام لغيرهم اليه (أو أن يظهر في الأرض الفساد) ما يفسد دنياكم من التحارب والتمارج انتم
يقرر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ ﴿ ٣١٥ ﴾ يا اوا والجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد

وقرئ يظهر بتشديد
الضاء والهاء من تظهر
بمعنى تظاهر أى تتابع
وتعاون (وقال موسى)
أى لقومه حين سمع بما
تقوله اللعين من حديث
قتله عليه السلام (انى
عدت برى وريكم من
كل متكبر لا يؤمن بيوم
الحساب) صدر عليه
الصلاة والسلام كلامه
بان تأكيد له واظهارا
لمزيد الاعتناء بمضمونه
وفرط الرغبة فيه وخص
اسم الرب النبي عن
الحفظ والتربية لانها
الذى يستدعيه وأضافه
اليه واليهم حثا لهم على
موافقته في العبادات
تعالى والنوكل عليه فان
في تظاهر النفوس تأثيرا
قويا في استجلاب
الاجابة ولم يسم فرعون
بل ذكره بوصف يعمد
وغيره من الجسارة
لتعميم الاستعاذة
والاشعار بعلية القساوة
والجرأة على الله تعالى
وقرئ عدت بالاد قام
(وقال رجل مؤمن
من آل فرعون) قيل
كان قطبسا ابن عم

يصبروا آمنين من شر ذلك الملك (والاحتمال الثاني) ان أحدا ما منع فرعون من قتل موسى
وانه كان يريد ان يقتله الا انه كان خائفا من أنه لو حاول قتله لظهرت معجرات قاهرة تمنعه
عن قتله فيفتضح الا انه اوقا حته قال ذروني أقتل موسى وغرضه منه انه يوهم انه انما امتنع
عن قتله رعاية لقلوب أصحابه وغرضه منه اخفاء خوفه اما قوله وايدع ربه فاما ذكره على
سبيل الاستهزاء بمعنى انى أقتله فليقل له حتى يخلصه منى وأما قوله انى أخاف أن يبدل
دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ففيه مسائل (المسألة الاولى) فتجيب ان كثير الياء من
قوله ذروني وقبح نافع وابن كثير وأبو عمرو والياء من انى أخاف وأيضا قرأ نافع وأبو عمرو وان
يظهر بالواو بخذف أو بمعنى انه يجمع بين تبديل الدين وبين اظهار الفساد والذين قرؤا
بصيغة أو فعناه انه لا بد من وقوع أحد الأمرين وقرئ يظهر بضم الياء وكسر الهمزة الفساد
بالنصب على التعدي وقرأ حزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بلفظ أو يظهر بفتح الياء
والهمزة الفساد بالرفع أما وجه القراءة الاولى فهو انه أسند الفعل الى موسى في قوله يبدل
فكذلك في يظهر ليكون الكلام على نسق واحد وأما وجه القراءة الثانية فهو انه اذا بدل
الدين فقد ظهر الفساد الحاصل بسبب ذلك التبديل (المسألة الثانية) المقصود من هذا
الكلام بيان السبب الموجب لقتله وهوان وجوده بوجوب افساد الدين أو فساد الدنيا
أما فساد الدين فلان النوم اعتمدوا أن الدين الصحيح هو الذى كانوا عليه فلما كان موسى
ساعيا في افساده كان في اعتقادهم انه ساع في افساد الدين الحق وأما فساد الدنيا فهو انه
لا بد وان يجتمع عليه قوم وبصير ذلك سببا لوقوع الخصومات واثارة الفتن ولما كان حب
الناس لادبائهم فوق حبهم لاموالهم لاجرم بدأ فرعون بذكر الدين فقال انى أخاف
أن يبدل دينكم ثم اتبعه بذكر فساد الدنيا فقال أو أن يظهر في الأرض الفساد واعلم انه تعالى
لما حكى عن فرعون هذا الكلام حكى بعده ما ذكره موسى عليه السلام فعكس عنه انه قال
انى عدت برى وريكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وفيه مسئلتان (المسألة الاولى)
قرأ نافع وأبو بكر وحزة والكسائي عدت بادغام الذال في التاء والباقون بالاظهار
(المسألة الثانية) المعنى انه لم يأت في دفع شره الا بان استعاذ بالله واعتمد على فضل الله فلا
جرم صانه الله عن كل بلية وأوصله الى كل أمنية واعلم ان هذه الكلمات التى ذكرها موسى
عليه السلام تشتمل على فوائد (الفائدة الاولى) أن لفظة انى تدل على التأكيد فهذا يدل
على أن الطريق المؤكد المعتبر في دفع الشرور والآفات عن النفس الاعتماد على الله
والنوكل على عصمة الله تعالى (الفائدة الثانية) انه قال انى عدت برى وريكم فكما ان عند
القراءة يقول المسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فالله تعالى يصون دينه واخلاصه
عن وساوس شياطين الجن فكذلك عند توجه الآفات والمخافات من شياطين الانس اذا قال
المسلم أعوذ بالله فالله يصونه عن كل الآفات والمخافات (الفائدة الثالثة) قوله برى
ورىكم والمعنى كان العبد يقول ان الله سبحانه هو الذى ربانى والى درجات الخيرات رقتى

لفرعون آمن بموسى سيرا وقيل كان اسرا بليبا أو غريبا موحدا

(يكنتم ايماناً) أى من فرعون ومثله (أتقتلون رجلاً) أنقصدون قتله (أن يقول) لأن يقول أو كراهة أن يقول (ربى الله) أى وحده من غير روية وتأمل فى أمره (وقد جاءكم) ٢١٦ ﴿ بالبينات ﴾ والحال أنه قد جاءكم

بالمعجزات الظاهرة التى شاهدتموها وعهدتموها (من ربكم) أضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجاً عليهم واستتراً لاهم عن رتبة المكابرة ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال (وان يك كاذباً فعليه كذبه) لا يخطئه وبال كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله (وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) أى ان لم يصبكم كله فلا أقل من اصابته ببعضه لاسيما ان تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شتى الترديد كونه كاذباً ويصبكم ما يعدكم من غذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كأنه خوفهم بما هو اظهر احتمالاً عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلاً بقول لبيد * ترك أمكنة اذالم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس حماها * من دود لما ان

ومن الآفات وقاى وأعطانى نعماً لا أحدها ولا حصر فلما كان المولى ليس الا الله وجب أن لا يرجع العاقل فى دفع كل الآفات الا الى حفظ الله تعالى (الفائدة الرابعة) ان قوله وربكم فيه بعث لقوم موسى عليه السلام على ان يقتدوا به فى الاستعاذة بالله والمعنى فيه ان الارواح الطاهرة القوية اذا تطابقت على همة واحدة قوى ذلك التأثير جداً وذلك هو السبب الاصلى فى اداء الصلوات فى الجماعات (الفائدة الخامسة) انه لم يذكر فرعون فى هذا الدعاء لانه كان قد سبق له حق تربيته على موسى من بعض الوجوه فترك التبعين رعاية لذلك الحق (الفائدة السادسة) ان فرعون وان كان قد أظهر ذلك الفعل الا انه لا فائدة فى الدعاء على فرعون بهين بل الاولى الاستعاذة بالله فى دفع كل من كان موصوفاً بتلك الصفة حتى يدخل فيه كل من كان عدواً سواء كان مظهر ان ذلك العدو أو كان مخفياً لها (الفائدة السابعة) ان الموجب للاقدام على ايذاء الناس أمران (أحدهما) كون الانسان متكبراً فاسى القلب (والثانى) كونه منكراً للبعث والقيامة وذلك لان المتكبر القاسى قد يحمله طبعه على ايذاء الناس الا انه اذا كان مقراً بالبعث والحساب صار خوفه من الحساب مانعاً له من الجرى على موجب تكبره فاذا لم يحصل عنده الايمان بالبعث والقيامة كانت الطبيعة داعية له الى الايذاء والممانع وهو الخوف من السؤال والحساب زائلاً واذا كان الخوف من السؤال والحساب زائلاً فلا جرم تحصل القسوة والايذاء (الفائدة الثامنة) ان فرعون لما قال ذرونى أقتل موسى قال على سبيل الاستهزاء وليدع

ربه فقال موسى ان الذى ذكرته يا فرعون بطريق الاستهزاء هو الدين المبين والحق وأنا ادعو ربي وأطلب منه أن يدفع شركتى وسرى أن ربي كيف يفهرلك وكيف يستصى عليك واعلم أن من أحاط عقله بهذه الفوائد علم انه لا طريق الاصلح ولا انصوب فى دفع كيد الاعداء وابطال مكرهم الا الاستعاذة بالله والرجوع الى حفظ الله والله أعلم * قوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكنتم ايماناً أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذباً فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) اعلم انه تعالى لما حكى عن موسى عليه السلام أنه ما زاد فى دفع مكر فرعون وشركه على الاستعاذة بالله بين أنه تعالى قبض انساناً اجنبياً غير موسى حتى ذب عنه على أحسن الوجوه وبالع فى ذلك تلك الفتنة واجتمع فى ازالة ذلك الشر * يقول مصنف هذا الكتاب رحمه الله * تربيت فى أحوال نفسى انه كلما قصدنى شرير بشر ولم أعرض له وأكنتى بتفويض ذلك الامر الى الله فانه سبحانه يفيض أقواماً لا أعرفهم البتة يباغون فى دفع ذلك الشر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا فى ذلك الرجل الذى كان من آل فرعون فقيل انه كان ابن عمه وكان جارياً بحرى ولى العهد وبحرى صاحب الشرطة وقيل كان قبطياً من آل فرعون وما كان من آثاره وقيل انه كان من بنى اسرائيل وانقول الاول أقرب لان لفظ الآل يقع على القرابة والعشيرة قال تعالى

ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله تعالى إلى البينات ولما أبداه بثلث المعجزات وثانيهما أن كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله والله أراهم المعنى الثاني ﴿٣١٧﴾ وهو ما كف على المعنى الأول لتلين شككهم

وقد عرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج الحياة (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهر بن) غالبين عالين على بني إسرائيل (في الأرض) أي أرض مصر لا يقاومكم أحد في هذا الوقت (فن ينصرنا بأمر الله) من أخذه وعذابه (أن جاءنا) أي فلا تفسدوا وأمركم ولا تعرضوا لأمر الله بقوله فإنه إن جاءنا لم ينعمنا منه أحد وانما فاسد ما يسرهم من الملك والظهور في الأرض اليهم خاصة وتظم نفسه في سلكهم فيما يسوءهم من مجيئ بأس الله تعالى تطيباً لقلوبهم وايداناً بأنه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجد

ودفع ما يرد بهم سعيه في حق نفسه ليتأثر و ينصحه (قال فرعون) بعد ما سمع نصحه (ما أرىكم) أي ما أشير عليكم (ألا ما أرى) وأستصوبه من قوله (وما أهدىكم) بهذا

الرأي (الاسيل الرشاد) أي الصواب أولاً أعلمكم

الآل لوط نجيتهم بسحر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الصديقون ثلاثة حبيب البجار مؤمن آل ياسين ومؤمن آل فرعون الذي قال أنقلون رجلاً أن يقول ربى الله والثالث على بن أبي طالب وهو أفضلهم وعن جعفر بن محمد أنه قال كان أبو بكر خيراً من مؤمن آل فرعون لأنه كان بكنتم إيمانه وقال أبو بكر جهاراً أنقلون رجلاً أن يقول ربى الله فكان ذلك سرّاً وهذا كان جهاراً (المسئلة الثانية) اعظم من قوله من آل فرعون يجوز أن يكون متعلقاً بقوله مؤمن أي كان ذلك المؤمن شخصاً من آل فرعون ويجوز أن يكون متعلقاً بقوله بكنتم إيمانه والتقدير رجل مؤمن بكنتم إيمانه من آل فرعون وقيل إن هذا الاحتمال غير جائز لأنه لا يقال كتمت من فلان كذا التماسيقال كتمته كذا قال تعالى ولا تكونوا الله حديثاً (المسئلة الثالثة) رجل مؤمن لا أكثر من قروا بضم الجيم وقرى رجل بكسر الجيم كما يقال عضد في عضد (المسئلة الرابعة) قوله تعالى أنقلون رجلاً أن يقول ربى الله استغفام على سبيل الإنكار وقد ذكر في هذا الكلام ما يدل على حسن ذلك الاستنكار وذلك لأنه ما زاد على أن قال ربى الله وجاء بالينات وذلك لا يوجب القتل البتة وقوله وقد جاءكم بالينات من ربكم يحتمل وجهين (الأول) أن قوله ربى الله إشارة إلى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالينات إشارة إلى تقرير النبوة بإظهار المعجزة (الثاني) أن قوله ربى الله إشارة إلى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالينات إشارة إلى الدلائل الدالة على التوحيد وهو قوله في سورة طه ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله في سورة الشعراء رب السموات والأرض وما بينهما ما أن كنتم موقنين إلى آخر الآيات ثم ذكر ذلك المؤمن حججاً ثانية في أن الأقدام على قتله غير جائز وهي حجة مذكورة على طريقة التفسير فقال إن كان هذا الرجل كاذباً كان وبال كذبه عائد عليه فأتى كره وإن كان صادقاً يصيبكم بعض الذى يعدكم فثبت أن على كلالته تقرير أن كان الأولى إبقاءه حيافاً قبل السؤال على هذا الدليل من وجهين (الأول) أن قوله وإن يك كاذباً فعليه كذبه معناه أن ضرر كذبه مقصور عليه ولا يتعداه وهذا الكلام فاسد وأجوه (أحدها) أن لا نسلم أن بتقدير كونه كاذباً كان ضرر كذبه مقصوراً عليه لأنه يدعو الناس إلى ذاك الدين الباطل فيفتريه جماعة منهم ويقعون في المذهب الباطل والاعتقاد الفاسد ثم يقع بينهم وبين غيرهم الخصومات الكثيرة فثبت أن بتقدير كونه كاذباً يكن ضرر كذبه مقصوراً عليه بل كان متعبداً إلى الكل ولهذا السبب فإن العلماء أجروا على أن الزنديق الذى يدعو الناس إلى زندقته يجب قتله (وثانيها) أنه إن كان هذا الكلام حججته فلا كذاب الا وكنه أن يتسلك بهذه الطريقة فوجب تمكن جميع الزنادقة والمبطلين من تقرير راديانهم الباطلة (وثالثها) أن الكفار الذين أنكروا نبوة موسى عليه السلام وجب أن لا يجوز الإنكار عليهم لأنه يقال إن كان ذلك المنكر كاذباً في ذلك الإنكار فعليه كذبه وإن كان صادقاً انتفعت بصدقه فثبت أن هذا الطريق يوجب تصويب ضده وما أفضى ثبوته إلى عدمه كان باطلاً

الاما اظلم ولا أسر عنكم خلاف ما اظهره واتم كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجملذوا لولا
لما استشار احدا ابدا وقرئ بشديد المشين المبالغة من رشد كعلام ٣١٨ * أو من رشد كعباد لا من أرشد كعباد

(السؤال الثاني) انه كان من الواجب أن يقال وان يك صادقا يصيبكم كل الذي يعدكم
لان الذي يصيب في بعض ما يعد دون البعض هم أصحاب الكهانة والنجوم أما الرسول
الصادق الذي لا يكلم الا بالوحي فانه يجب أن يكون صادقا في كل ما يقول فكان قوله
يصيبكم بعض الذي يعدكم غير لائق بهذا المقام (والجواب) عن الاسئلة الثلاثة بحرف
واحد وهو أن تقدير الكلام أن يقال انه لا حاجة بكم في دفع شره الى قتله بل يكفيكم ان
تمنعوه عن اظهار هذه المقالة ثم تركوا قتله فان كان كاذبا فحينئذ لا يعود ضرره الا اليه
وان كان صادقا انتفعتم به والحاصل أن المقصود من ذكر ذلك التقسيم بيان أنه لا حاجة
الى قتله بل يكفيكم أن تعرضوا عنه وأن تمنعوه عن اظهار دينه فبهذا الطريق الاسئلة
الثلاثة مدفوعة (وأما السؤال الثاني) وهو قوله كان الاول أن يقال يصيبكم كل الذي
يعدكم فالجواب عنه من وجوه (الاول) ان مدار هذا الاستدلال على اظهار الانصاف
وترك اللجاج لان المقصود منه ان كان كاذبا كان ضرر كذبه مقصورا عليه وان كان صادقا
فلا أقل من أن يصل اليكم بعض ما يعدكم وان كان المقصود من هذا الكلام ما ذكر صح
ونظيره قوله تعالى وانا اوبأكم اعلى هدى أو في ضلال مبين (والوجه الثاني) انه عليه
السلام كان يتوعدهم بعذاب الدنيا وبهذاب الآخرة فاذا وصل اليهم في الدنيا عذاب
الدنيا فقد أصابهم بعض الذي يعدهم به (الوجه الثالث) حكى عن أبي عبيدة انه قال ورود
لفظ البعض بمعنى الكل جائزا حتى يقول لا يبد

ترك أمكنة اذا لم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس حياها

والجمهور على ان هذا القول خطأ قالوا أو أراد لا يبد ببعض النفوس نفسا والله أعلم ثم حكى
تعالى عن هذا المؤمن حكاية ثالثة في أنه لا يجوز ايذاء موسى عليه السلام فقال ان الله
لا يهدي من هو مسرف كذاب وتقرى بهذا ان لا يقال ان الله تعالى هدى موسى الى
الآيات بهذه المعجزات الباهرة ومن هدا الله الى الآيات بالمعجزات لا يكون مسرفا كذابا
فهذا يدل على ان موسى عليه السلام ليس من الكاذبين فكان قوله ان الله لا يهدي من
هو مسرف كذاب اشارته الى عاوشان موسى عليه السلام على طريق الرمز واتعريض
ويحتمل أيضا ان يكون المراد أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى كذاب في
اقدامه على ادعاء الآلهية والله لا يهدي من هذا شأنه وصفته بل يبطله ويهدم أمره
* قوله تعالى يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا
قال فرعون ما أرى لكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد وقال الذي آمن يا قوم اني
أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله
يريد ظملا للعباد ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التنادي يوم تدبرين ما لكم من الله من
عاصم ومن يضل الله فخاله من هاد اعلم ان مؤمن آل فرعون لما أقام أنواع الدلائل على انه
لا يجوز الاقدام على قتل موسى خوفهم في ذلك بعذاب الله فقال يا قوم لكم الملك اليوم

من اجبر لانه مقصور
على السماع اول النسبة
الى الرشد كعواج
وبشأن غير منظور
فيه الى فعل (وقال
الذي آمن) مخاطبا لقومه
(يا قوم اني أخاف
عليكم) في تكذيبه
والتعريض له بالسوء
(مثل يوم الاحزاب)
مثل أيام الامم الماضية
يعنى وقائهم وجع
الاحزاب مع التفسير
أخفى من جمع اليوم
(مثل دأب قوم نوح
وعاد وثمود) أى مثل
جزاء ما كانوا عليه
من الكفر وايذاء الرسل
(والذين من بعدهم)
كقوم اوط (وما الله يريد
لظلمة العباد) فلا يعاقبهم
بغير ذنب ولا يغلب
الظالم منهم بغير انتقام
وهو ابلغ من قوله تعالى
وما ربك بظلام للعبيد
لما ان المتى فيه ارادة
ظلم ما فيتنى الظلم
بطريق الاولوية
(ويا قوم اني أخاف
عليكم يوم التناد)
خوفهم بالعذاب
الاخروي بعد تخوفهم

بالعذاب الديوى ويوم التناد يوم اقيامة لانه ينادى فيه بعضهم للاستهانة أو يتصايحون بالويل وظاهرين
والشور أو ينادى أصحاب الجنة

وأصحاب النار حسبما حكى في سورة الاعراف وقرئ بشديد الدال وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحك إذا سمعوا ﴿ ٣١٩ ﴾ زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطر

الا وجدوا ملائكة صفوفا فيبناهم يوج بعضهم في بعض اذ سمعوا متاديا فقلوا الى الحساب (يوم تولون مدبرين) بدل من يوم التنادي متصرفين عن الموقف الى النار أو فارين منها حسبما نقل آغا (مالككم من الله من عاصم) يعصمكم من عذابه والجملة حال أخرى من ضمير تولون (ومن يضل الله فانه من هاد) يهديه الى طريق النجاة (ولقد جاءكم يوسف) هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على أن فرعون فرعون موسى أو على نسبة أحوال الآباء الى الأولاد وقبل سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف الصديق (من قبل موسى) بالبينات بالمعجزات الواضحة (فما زاتم في شك مما جاءكم به) من الدين (حتى إذا هلك) بالموت (فتم ان يبعث الله من بعده رسولا) من الله الى تكذيب

ظاهر بن في الارض يعني قد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تعرضوا لآس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به وإنما قل ينصرونا وجاء نالانه كان يظهر من نفسه انه منهم وأن الذي ينصحبهم به هو مشاركتهم فيه وإنما قل ذلك المؤمن هذا الكلام قال فرعون ما أرى لكم إلا ما أرى أي لا أشير اليكم برأي سوى ما ترى كرت أنه يجب قتله حسب المادة الفتنة وما أهدى لكم بهذا الرأي الاستيلاء الرشاد والصلاح ثم حكى تعالى ان ذلك المؤمن رد هذا الكلام على فرعون فقال اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب واعلم انه تعالى حكى عن ذلك المؤمن انه كان يكتم ايمانه والذي يكتم كيف يكتمه أريد ذكر هذه الكلمات مع فرعون ولهذا السبب حصل ههنا قولان (الاول) ان فرعون لما قل ذرني أقتل موسى لم يصرح ذلك المؤمن بأنه على دين موسى بل أوهم انه مع فرعون وعلى دينه الا انه زعم ان المصلحة تقتضي ترك قتل موسى لانه لم يصدر عنه الا الدعوة الى الله والاتباع بالمعجزات القاهرة وهذا لا يوجب القتل والاقدام على قتله يوجب الوقوع في السنة الناس باقبح الكلمات بل الاولى ان يؤخر قتله وأن يمنع من اظهار دينه لان على هذا التقدير ان كان كاذبا كان وبال كذبه عائدا اليه وان كان صادقا حصل الانتفاع به من بعض الوجوه ثم أكد ذلك بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يعني انه ان صدق فيما يدعيه من اثبات الاله انقاد الحكيم فهو لا يهدي المسرف الكذاب فأوهم فرعون انه أراد بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب انه يريد موسى وهو انما كان يقصده به فرعون لان المسرف الكذاب هو فرعون (والقول الثاني) ان مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه أولا فلما قل فرعون ذرني أقتل موسى ازال الكتمان وأظهر كونه على دين موسى وشافه فرعون بالحق واعلم انه تعالى حكى عن هذا المؤمن أنو اعا من الكلمات ذكرها لفرعون (فالاول) قوله يا موسى اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب والتقدير مثل أيام الاحزاب الا انه لما أضاف اليوم الى الاحزاب فسرهم يقوم نوح وعاد وحواء فيميتون ظهورهم أن كل حزب كان له يوم معين في البلاء فاقصر من الجمع على ذكر الواحد اهدم الالتباس ثم فسر قوله اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب بقوله مثل دأب قوم نوح وعاد وحواء دأب هو لا دونهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي فيكون ذلك دأبا دائما لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم والمآصل أنه خوفهم بهلاك معيبل في الدنيا ثم خوفهم أيضا بهلاك الآخرة وهو قوله ومن يضل الله فانه من هاد والمقصود منه التنبيه على عذاب الآخرة (النوع الثاني) من كلمات ذلك المؤمن قوله تعالى وما الله يريد ظلما للعباد يعني أن تدمر أولئك الاحزاب كما عدل لانهم استوجبوه بسبب تكذيبهم للانباء فذلك العلة قائمة ههنا فوجب حصول الحكم ههنا فالتا المعتبرة قوله وما الله يريد ظلما للعباد يدل على انه لا يريد أن يظلم بعض العباد بعضا ويدل على انه لا يريد ظلم أحد من العباد فلو خلق الكفر فيهم ثم بعد ذلك الكفر الكفار ظالما وإذا ثبت انه لا يريد الظلم البتة ثبت

رسالته تكذيب رساله من بعده أو جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ ان يبعث الله على ان بعضهم

يقرر بعضا بنى البعث (كذلك) مثل ٣٢٠ ﴿ ذلك الاضلال القطيع ﴾ (يضلل الله من هو مسرف)

في عصيانه (مرتاب)
في دينه شك فيما تشهد
به البينات أغلبه الوهم
والانهماك في التقليد
(الذين يجادلون
في آيات الله) يدل من
الموصول الاول أو بيان له
أوصفة باعتبار معناه
كأنه قيل كل مسرف
مرتاب أو المسرفين
المرتابين (بغير سلطان)
متعلق بجادلون بغير
حجة صالحة للتكبر بها
في الجملة (أنهم) صفة
سلطان (كبير مقنا
عند الله وعند الذين
آمنوا) فيسه ضرب
من التعجب والاستعظام
وفي كبر ضمير يعود الى
من وتذكيره باعتبار
اللفظ وقيل الى الجدل
المستفاد من يجادلون
(كذلك) أي مثل ذلك
الطبع الفظيع (يطبع الله
على كل قلب متكبر
جبار) فيصدر عنه
امثال ما ذكر من
الاسراف والارتياح
والجفافة بالباطل
وقرى بتأويل قلب
ووصفه بالتكبر والتجبر
لأنه منبهها

انه غير خافي لأفعال العباد لانه لو خلقها الارادها وثبت أبيضاً أنه قادر على الظلم اذ لو لم يقدر
عليه لما حصل المدح بترك الظلم وهذا الاستدلال قد ذكرناه مراراً في هذا الكتاب مع
الجواب فلا فائدة في الاعادة (النوع الثالث) من كلمات هذا المؤمن قوله ويا قوم اني
أخاف عليكم يوم التناد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) التناد تفاعل من التداء يقال
تنادى القوم أي نادى بعضهم بعضاً والاصل الياء وحذف الياء حسن في القواصل وذكرنا
ذلك في يوم التلاق واجمع المفسرون على ان يوم التناد يوم القيامة وفي سبب تسمية ذلك
اليوم بذلك الاسم وجوه (الاول) أن أهل النار يتنادون أهل الجنة وأهل الجنة يتنادون
أهل النار كما ذكر الله عنهم في سورة الاعراف ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ونادى
أصحاب الجنة أصحاب النار (الثاني) قال الزجاج لا يبعد أن يكون السبب فيه قوله تعالى
يوم ندعو كل أناس بأمامهم (الثالث) انه ينادى بعض الظالمين بعضاً بالويل والشبور
فيقولون يا ويلنا (الرابع) يتنادون الى المحشر أي يدعون (الخامس) ينادى المؤمن هاؤم
اقروا كتابي والكافر باليتنى لم أوت كتابي (السادس) ينادى باللعنة على الظالمين
(السابع) يجاء بالموت على صورة كبش أملح ثم يذبح ويتنادى بأهل القيامة لاموت
فيزداد أهل الجنة فرحاً على فرحهم وأهل النار حزنًا على حزنهم (الثامن) قال أبو علي
الفارسي التنادى مشتق من التناد من قولهم تدفان إذا هرب وهو قراءة ابن عباس
وفسرها فقال يتدون كما تند الابل ويدل على صحة هذه القراءة قوله تعالى يوم يفر المرء من
أخيه الآية وقوله تعالى بعد هذه الآية يوم تولون مدبرين لأنهم إذا سمعوا زفير النار
يتدون هاربين فلا يتون قطراً من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفواً فيرجعون الى
المكان الذي كانوا فيه (المسئلة الثانية) انتصب قوله يوم التناد لوجهين (أحدهما)
الظرف للخوف وكأنه خاف عليهم في ذلك اليوم لما لحقهم من العذاب ان لم يؤمنوا
(والآخر) أن يكون التقدير اني أخاف عليكم عذاب يوم التناد واذا كان كذلك كان
انتصاب يوم انتصاب المفعول به لانتصاب الظرف لان اعرابه اعراب المضاف المحذوف
ثم قال يوم تولون مدبرين وهو يدل من قوله يوم التناد عن فتادة منصرفين عن موقف يوم
الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين ثم كذا التهديد فقال ما لكم
من الله من عاصم ثم نبه على قوة ضلالتهم وشدة جهالتهم فقال ومن يضلل الله فإله من هاد
قوله تعالى (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فازتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك
فلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضلل الله من هو مسرف مرتاب الذين
يجادلون في آيات الله بغير سلطان أناهم كبير مقنا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) واعلم أن مؤمن آل فرعون لما قال ومن يضلل
الله فإله من هاد ذكر لهذا مثلاً وهو أن يوسف لما جاءهم بالبينات الباهرة فأصروا
على الشك واشبهوه ولم ينفعوا بتلك الدلائل وهذا يدل على أن من أضله الله فإله

من هاد وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قيل ان يوسف هذا هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام ونقل صاحب الكشاف انه يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نيفا وعشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف بنى حيا الى زمانه وقيل فرعون آخر والمقصود من الكل شئ واحد وهو أن يوسف جاء قومه بالبينات وفي المراد بها قولان (الاول) ان المراد بالبينات قوله أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (والثاني) المراد بهما المعجزات وهذا أولى ثم اتهم بقوافي نبوته شاكين من تابين ولم يذنبوا البتة بتلك البينات فلما مات قالوا انه لن يبعث الله من بعده رسولا وانما حكموا بهذا الحكم على سبيل التشهى والتفى من غير حجة ولا برهان بل انما ذكرنا ذلك ليكون ذلك أساسا لهم في تكذيب الانبياء الذين يأتون بعد ذلك وايس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا لاجل تصديق رسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب لرسالة من هو بعده مضموما الى تكذيب رسالته ثم قال كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب أى مثل هذا الضلال يضل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه قال الكعبى هذه الآية حجة لاهل التدر لانه تعالى بين كفرهم ثم بين انه تعالى انما أضلهم لكونهم مسرفين مرتابين فثبت ان العبد ما لم يضل عن الدين فان الله تعالى لا يضلهم ثم بين تعالى ما لاجله بقوافي ذلك الشك والاسراف فقال الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أى بغير حجة بل ابا بناء على التقليد المجرد واما بناء على شهادات خيرية كبر مقتا عند الله والمقت هو أن يبلغ المرء في القوم مبلغا عظيما فيقته الله ويغضه ويظهر خزيه وتعمسه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في ذمه اهلهم بأنهم يجادلون بغير سلطان دلالة على ان الجدل بالحجة حسن وحق وفيه أبطال للتقليد (المسئلة الثانية) قال القاضي مقت الله اياهم يدل على ان فعلهم ليس بخلق الله لان كونه فاعلا للفعل وما قتاله محال (المسئلة الثالثة) الآية تدل على انه يجوز وصف الله تعالى بأنه قديم مقت بعض عباده الا ان ذلك صفة واجبة التأويل في حق الله كما مضى والحياء والتعجب والله أعلم ثم بين ان هذا المقت كما حصل عند الله فكذلك قد حصل عند الذين آمنوا ثم قال كذلك يطعم الله على كل قلب متكبر جبار وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ بن عامر وأبو عمرو وقتيبة عن الكسائي قلب منونا متكبر صفة للقلب والباقون بغير تنوين على اضافة القلب الى المتكبر قال أبو عبيد الاختيار الاضافة لوجوه (الاول) ان عبدا لله قرأ على قلب كل متكبر وهو شاهد لهذه القراءة (الثاني) ان وصف الانسان بالتكبر والجبروت أولى من وصف القلب بهما وأما الذين قرؤا بالتثنية فقالوا ان التكبر قد أضيف الى القلب في قوله ان في صدورهم الاكبر وقال تعالى فانه أتم قلبه وأيضا فيمكن أن يكون ذلك على حذف المضاف أى على كل ذى قلب متكبر وأيضا قال قوم الانسان الحقيقى هو القلب وهذا البحث طويل وقد ذكرناه في تفسير قوله نزل به الروح الامين على قلبك قالوا ومن أضف فلا بد له من تقدير حذف

(وقال فرعون ياها مان ابنى صرخا) أى بناء مكشوقا طالبا من صرخ الشئ اذا ظهر (على أبلغ الانبياء) أى الطرق (اسباب السموات) بيان لها وفي ايهامها ثم ايضاحها ﴿ ٣٢٢ ﴾ تفخيم شأنها وتشويق السامع الى معرفتها (فاطلع

الى اله موسى) بالنصب
على جواب الترجي
وقرى بالرفع عطفا على
أبلغ وامله أراد ان يبين له
رصد فى موضع عال
ليصد منه أحوال
الكواكب التى هى
أسباب مساوية تدل
على الحوادث الارضية
فبرى هل فيها ما يدل
على ارسال الله تعالى
اياءه أو أن يرى فساد قوله
عليه الصلاة والسلام
بأن اخباره من اله السماء
يتوقف على اطلاعه
عليه ووصوله اليه
وذلك لا يتأتى الا بالاصعود
الى السماء وهو مما لا يقوى
عليه الانسان وما ذاك
الا لجهله بالله سبحانه
وكيفية استنباطه (وانى
لاظنه كاذبا) فيما يدعيه
من الرسالة (وكذلك)
أى ومثل ذلك التزيين
البليغ المفرط (زين
لفرعون سوء عمله) فانهمك
فيه انهما كالأبرعوى
عند بحال (وصد عن
السبيل) أى سبيل
الرشاد والفاسد على
الحقيقة هو الله تعالى
ويؤيده قراءة زين
بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرى وصد على أن فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه ﴿ اعطى

والتقدير بطبع الله على قلب كل متكبر (المسئلة الثانية) الكلام فى الطبع والرين
والفسوة والتشاوة قد سبق فى هذا الكتاب بالاستقصاء وأصححنا بقولهم كاذبا
بطبع الله يدل على أن الكل من الله والمعرفة يقولون ان قوله كاذبا بطبع الله على كل
قلب متكبر جوار يدل على أن هذا الطبع انما حصل من الله لانه كان فى نفسه متكبرا
جبارا وعند هذا نصير الآية حجة لكل واحد من هذين الفريقين من وجهه وعليه من وجه
آخر وانقول الذى يخرج عليه الوجهان ما ذهبنا اليه وهو انه تعالى يخلق دواعى الكبر
والرياسة فى القلب فتصير تلك الدواعى مانعة من حصول ما يدعو الى الطاعة والانقياد
لامر الله فيكون القول بالقضاء والقدر حقا ويكون تعليل الصد عن الدين بكونه متجبرا
متكبرا باقيا فثبت ان هذا المذهب الذى اخترناه فى القضاء والقدر هو الذى ينطبق لفظ
القرآن من أوله الى آخره عليه (المسئلة الثالثة) لا بد من بيان الفرق بين التكبر والجبار
قال مقاتل متكبر عن قبول التوحيد جبار فى غير حق وأقول كمال السعادة فى أمرين
التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فعلى قول مقاتل المتكبر كالمضاد للتعظيم لامر الله
والجباروت كالمضاد للشفقة على خلق الله والله أعلم * قوله تعالى (وقال فرعون ياها مان
ابنلى صرخا على ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلم الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا
وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا فى تباب) اعلم انه تعالى
لما وصف فرعون بكونه متكبرا جبارا بين انه بلغ فى البلادة والجماعة الى أن قصد الصعود
الى السموات وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) احتج الجمع الكثير من المشبهة بهذه
الآية فى اثبات ان الله فى السموات وقرروا ذلك من وجوه (الاول) ان فرعون كان من
المشكرين لوجود الله وكل ما يذكره فى صفات الله تعالى فذلك انما يذكره لاجل انه سمع ان
موسى يصف الله بذلك فهو أيضا يذكره كما سمعه فلو لانه سمع موسى يصف الله بأنه موجود
فى السماء والاماطليه فى السماء (الوجه الثانى) انه قال وانى لاظنه كاذبا ولم يبين انه كاذب
فيما ذكره المذكور السابق متعين لصرف الكلام اليه فكان التقدير فاطلم الى اله الذى
يزعم موسى انه موجود فى السماء ثم قال وانى لاظنه كاذبا أى وانى لاظن موسى كاذبا فى
ادعائه ان اله موجود فى السماء وذلك يدل على ان دين موسى هو ان اله موجود فى
السماء (الوجه الثالث) العلم بأنه لو وجد اله لكان موجودا فى السماء علم يديهى متقرر فى
كل القول ولذلك فان الصبيان اذا تضرعوا الى الله رفعوا وجوههم وأيديهم الى السماء
وان فرعون مع نهاية كفره لما طلب اله فقد طلبه فى السماء وهذا يدل على ان العلم بأن اله
موجود فى السماء علم متقرر فى عقل الصديق والزنديق والمجذو والموحد والعالم والجاهل
فهذا جملة استدلال الشبهة بهذه الآية والجواب ان هؤلاء الجهال يكفهم فى كمال
الحزى والضلال أن جمعا وقول فرعون الذين حججه لهم على صحة دينهم وأمام موسى عليه
السلام فانه لم يزد فى تعريفه العالم على ذكر صفة الخلافة فقال فى سورة طه ربنا الذى

و يؤيده قراءة زين
بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرى وصد على أن فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه ﴿ اعطى
التقويها والشبهات ويؤيده قوله تعالى (وما كيد فرعون الا فى تباب) أى

أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقال في سورة الشعراء ربكم ورب آبائكم الاولين رب المشرق
والغرب وما بينهما فظهر أن تعريف ذات الله بـكونه في السماء دين فرعون وتعريفه
بالخلاقية والموجودية دين موسى فن قال بالاول كان على دين فرعون ومن قال بالثاني كان
على دين موسى ثم نقول لانسلم أن كل ما يقوله فرعون في صفات الله تعالى فذلك قد سمع من
موسى عليه السلام بل لعله كان على دين المشبهة فكان يعتقد أن الاله او كان موجودا
لكان حاصلا في السماء فهو انما ذكر هذا الاعتقاد من قبل نفسه لالاجل انه قد سمع من
موسى عليه السلام وأما قوله وانى لاظنه كاذبا فنقول لعله لما سمع موسى عليه السلام قال
رب السموات والارض ظن انه عني به انه رب السموات كما يقال للواحد مناته رب الدار
بمعنى كونه ساكن فيه فلما غلب على ظنه ذلك حكى عنه وهذا ليس يستبعد فان فرعون كان
قد بلغ في الجهل والجماعة الى حيث لا يبعد نسبة هذا الخيال اليه فان استبعد الخصم نسبة
هذا الخيال اليه كان ذلك لا ثقابهم لانهم لما كانوا على دين فرعون وجب عليهم تعظيمه
وأما قوله ان فطرة فرعون شهدت بأن الاله لو كان موجودا لكان في السماء قلنا نحن
لا نذكر أن فطرة أكثر الناس تخيل اليهم صحة ذلك لاسيما من بلغ في الجماعة الى درجة
فرعون فثبت ان هذا الكلام ساقط (المسئلة الثانية) اختلف الناس في أن فرعون هل
قصده بناء الصرح اي صعوده الى السماء أم لا اما الظاهر يون من المفسرين فقد قطعوا
بذلك وذكروا حكاية طويلة في كيفية بناء ذلك الصرح والذي عندي انه بعيد والدليل
عليه أن يقال فرعون لا يخلو امان يتسال انه كان من المجانين أو كان من العقلاء فان قلنا
انه كان من المجانين لم يجز من الله تعالى ارسال الرسول اليه لان العقل شرط في التكليف
ولم يجز من الله أن يذكر حكاية كلام مجنون في القرآن وأما ان قلنا انه كان من العقلاء
فنقول ان كل عاقل يعلم ببديهته عقله انه يتعذر في قدرة البشر وضع بناء كهو ونارفع من
الجبيل العالي ويعلم ايضا ببديهته عقله انه لا يتفاوت في البصر حال السماء بين أن ينظر اليه
من أسفل الجبيل وبين أن ينظر اليه من أعلى الجبيل واذا كان هذان العلمان بديهين
امتنع أن يقصد العاقل وضع بناء يصعد منه الى السماء واذا كان فساد هذا معلوما
بالضرورة امتنع اسناده الى فرعون والذي عندي في تفسير هذه الآية ان فرعون كان من
الدهرية ورضه من ذكر هذا الكلام اراد شبهة في نفي الصانع وتقريره انه قال انا لا نرى
شئ نحكم عليه بأنه اله العالم فلم يجز اثبات هذا الاله أمانه لا زاه فلائنه لو كان موجودا
لكان في السماء ونحن لا سبيل لنا الى صعود السموات فكيف يمكننا أن نراه ثم انه لاجل
المبالغة في بيان انه لا يمكنه صعود السموات قال ياها مان ابنى صرحا لى أبلغ الاسباب
والمقصود انه لما عرف كل أحد أن هذا الطريق ممتنع كان الوصول الى معرفة وجود الله
بطريق الحس ممتعا ونظيره قوله تعالى فان استطعت أن تبني نفقا في الارض أو سما في
السماء فأتيتهم بآية وائس المراد منه أن محمدا صلى الله عليه وسلم طاب نفقا في الارض

خسار وهلاك أو على
أنه من صد صدودا
أى أعرض وقرى
بكسر الصاد على نقل
حركة الدال اليه وقرى
وصد على انه عطف
على سوء عمله وقرى
وصدوا أى هو وقومه

أو وضع سلا إلى السماء بل المعنى انه لما عرف ان هذا المعنى ممتنع فقد عرف انه لا سبيل لك
 إلى تحصيل ذلك المقصود فكذا ههنا غرض فرعون من قوله يا هان ابن لي صر حاي عني أن
 الاطلاع على اله موسى لما كان لا سبيل إليه الا بهذا الطريق وكان هذا الطريق ممتنعا
 فحينئذ يظهر منه انه لا سبيل إلى معرفة الاله الذي يشبه موسى فنقول هذا ما حصلته في هذا
 الباب واعلم أن هذه الشبهة فاسدة لأن طرق العلم ثلاثه الحس والخبر والنظر ولا يلزم من
 انتفاء طريق واحد وهو الحس انتفاء المطلوب وذلك لان موسى عليه السلام كان قديما
 افرعون أن الطريق في معرفة الله تعالى انما هو الحجة والدليل كما قال ربكم ورب آبائكم
 الاولين رب المشرق والمغرب الا ان فرعون لحبسه ومكره تغافل عن ذلك الدليل وألقى إلى
 الجهال انه لما كان لا طريق إلى الاحساس بهذا الاله وجب نفيه فهذا ما عندي في هذا
 الباب وبالله التوفيق والعصمة (المسئلة الثالثة) ذهب قوم إلى انه تعالى خلق جواهر
 الافلاك وحرركاتها بحيث تكون هي الاسباب لحادث الحوادث في هذا العالم الاسفل
 واحتجوا بقوله تعالى اعلمى أبلغ الاسباب أسباب السموات ومعلوم أنها ليست أسبابا
 الحوادث هذا العالم قالوا ويؤكد هذا بقوله تعالى في سورة ص فليترقوا في الاسباب
 اما المفسرون فقد ذكروا في تفسير قوله تعالى اعلمى أبلغ الاسباب أسباب السموات أن المراد
 بأسباب السموات طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها وكل ما أدرك إلى شيء فهو سبب كالرشاء
 ونحوه (المسئلة الرابعة) قالت اليهود اطبق الباحثون عن تواريخ بني اسرائيل وفرعون
 أن هان ما كان موجودا البتة في زمان موسى وفرعون وانما جاء بعدهما بزمان مديد
 ودهر داهر فاقول بأن هان ما كان موجودا في زمان موسى وفرعون خطأ في التاريخ وليس
 لقائل أن يقول ان وجود شخص يسمى بهان بعد زمان فرعون لا يمنع من وجود شخص
 آخر يسمى بهذا الاسم في زمانه قالوا الان هذا الشخص المسمى بهان الذي كان موجودا
 في زمان فرعون ما كان شخصا خفيا في حضرة فرعون بل كان كالوزير له ومثل هذا
 الشخص لا يكون مجهول الوصف والحمية فلو كان موجودا لعرف حاله وحيث أطبق
 الباحثون عن أحوال فرعون وموسى ان الشخص المسمى بهان ما كان موجودا
 في زمان فرعون وانما جاء بعده باذوار علم انه غلط وقع في التواريخ قالوا ونظير هذا اننا نعرف
 في دين الاسلام أن أبا حنيفة انما جاء بعد محمد صلى الله عليه وسلم فلو أن قائلادعى أن أبا
 حنيفة كان موجودا في زمان محمد عليه السلام وزعم انه شخص آخر سوى الاول وهو
 أيضا يسمى بأبي حنيفة فان أصحاب التواريخ يقطعون بخطئه فكذا ههنا والجواب أن
 تواريخ موسى وفرعون قد طال العهد بينهما واضطربت الاحوال والادوار فلم يبق على
 كلام أهل التواريخ اعتماد في هذا الباب فكان الأخذ بقول الله أولى بخلاف حال
 رسولنا مع أبي حنيفة فان هذه التواريخ قريبة غير مضطربة بذيل هي مضبوطة فظهر
 الفرق بين البابين فهذا جلة ما يتعلق بالباحث المعنوية في هذه الآية وبقي ما يتعلق

(وقال الذي آمن) أي مؤمن ال فرعون وقيل موسى عليه السلام (يا قوم اتبعون) فيما دلتكم عليه (أهدكم سبيل الرشاد) أي سبيل يصل سالكم إلى المقصود ﴿ ٢٢٥ ﴾ وفيه تعريض بأن ما يسلكه فرعون وقومه

سبيل النقي والضلال
(يا قوم اتبعوا هذه الحياة الدنيا متاع) أي تتم بسير لسرعة زوالها أجل لهم أولاً ثم فسر فافتح بضم الدنيا وتصغير شأنها لأن الاخلاص اليها رأس كل شرو منزه تشعب قنون ما يؤدى الى سخط الله تعالى ثم تبنى بتعظيم الآخرة فقال (وان الآخرة هي دار القرار) لخلودها وادوام ما فيها (من عمل) في الدنيا (سيئة فلا يجزى) في الآخرة (الا مثلاً) عدلاً من الله سبحانه وفيه دليل على أن الجنائيات تغرم بأمثالها (ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك) الذين عملوا ذلك (يدخلون الجنة) يرزقون فيها بغير حساب (أى بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافاً مضاعفة فضلاً من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حلاً لا ليدان بأنه لا عبادة بالعمل بدونه وأن ثوابه أعلى من ذلك

بالمباحث اللفظية قبل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد اشتدوه من صرح الشئ اذا ظهر وأسباب السموات طرقها فان قيل ما فائدة هذا التكرير واو قيل اعلى أبلغ أسباب السموات كان كافياً أجب صاحب الكشف عند فقال اذا فهم الشئ ثم أوضح كان تفخيماً لثأته فلما أراد تفخيم أسباب السموات اجمعها ثم أرضعها وقوله فأطلع الى الله موسى قراً حفص عن عاصم فأطلع بفتح العين والباقون بالرفع قال المبرد من رفع فقد عطفته على قوله ابلغ والتقدير اعلى أبلغ الأسباب ثم اطلع الآن حرف ثم أشد تراخيها من الفاء ومن نصب جملة جواباً والمعنى اعلى أبلغ الأسباب فتى بلغتها اطلع والمعنى مختلف لان الاول اعلى أطلع والثاني اعلى أبلغ وانما ضمير انى متى بلغت فلا يدوان اطلع واعلم انه تعالى لما حكى عن فرعون هذه القصة قال بعدها وكذلك زين فرعون سوء عمله وصد عن السبيل وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ عاصم وحجرة والكسائي وصد بضم الصاد قال أبو عبيدة وبه يقرأ لأن ما قبله فعل مبنى للمفعول به فجعل ما عطف عليه مثله والباقون وصد بفتح الصاد على انه منع الناس عن الايمان قالوا ومن صدده قوله لا قطعن أيديكم وأرجلكم ويؤيده هذه القراءة قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وقوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام (المسئلة الثانية) قوله تعالى زين لا بدله من المزين فقالت المعتزلة انه الشيطان فقيل لهم ان كان المزين فرعون هو الشيطان فالزمين للشيطان ان كان شيطاناً آخر لزم اثبات التسلسل في الشياطين أو الدور وهو محال ولما بطل ذلك وجب انتهاء الاسباب والمسببات في درجات الحاجات الى واجب الوجود وأيضاً فوله زين يدل على ان الشئ ان لم يكن في اعتقاد الفاعل موصوفاً بأنه خير أو شر وحسن فانه لا يقدم عليه الا ان ذلك الاعتقاد ان كان صواباً فهو العلم وان كان خطأ فهو الجهل ففاعل ذلك الجهل ليس هو ذلك الانسان لان العاقل لا يقصد تحصيل الجهل لنفسه ولانه انما يقصد تحصيل الجهل لنفسه اذا عرف كونه جهلاً ومتى عرف كونه جهلاً امتنع بقاؤه جاهلاً فثبت أن فاعل ذلك الجهل ليس هو ذلك الانسان ولا يجوز أن يكون فاعله هو الشيطان لان البحث الاول بعينه عائد فيه فلم يبق الا أن يكون فاعله هو الله تعالى والله أعلم ويقوى ما قلناه ان صاحب الكشف نقل انه قرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل ويدل عليه قوله الى الله موسى ثم قال تعالى وما كيد فرعون الا في تباب والتباب الهلاك والخسران وتظيره قوله تعالى وما زادوهم غير تنذيب وقوله تعالى تبت يدا ابي لهب والله أعلم وقوله تعالى (وقال الذي آمن) يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم اتبعوا هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلاً ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لا كفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العز والغفار لا جرم أنما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا الى

(ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار) كرر نداءهم ايظاظاً لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالنداء له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح

به الاستغفار دعوتهم اليه الى النار ودعوته اليهم الى النجاة كانه قبل اخبروني كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعونني الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل ﴿ ٣٢٦ ﴾ مالي اراك حزينا أي مالك تكون حزينا وقوله

تعالى (تدعونني لا كفر بالله) بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعبدية بالى واللام (وأشرك به ما ليس له به) بشر كنهله تعالى في العبودية وقيل يربو بينه (علم) والمراد في المعلوم والاشعار بأن الألوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) الجامع لجميع صفات الألوهية من كمال القدرة والغلبة ومبايعة عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران (لا جرم) لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حتى وفاعله قوله تعالى (أن ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) أي حتى ووجب عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها أصلاً وعدم دعوة مستجابة أو عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه أي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان

الله وأن المسرفين هم أصحاب النار فتذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد) اعلم ان هذا من بنية كلام الذي آمن من آل فرعون وقد كان يدعوهم الى الايمان بوسى والنسك بطريقته واعلم انه نادى في قومه ثلاث مرات في المرة الاولى دعاهم الى قبول ذلك الدين على سبيل الاجال وفي المرتين الباقيتين على سبيل التفصيل اما الاجال فهو قوله يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد وايس المراد بقوله اتبعوني طريقة التقليد لانه قال بعده أهدكم سبيل الرشاد والهدى هو الدلالة ومن بين الأدلة للغير بوصف بأنه هداة وسبيل الرشاد هو سبيل الثواب والخير وما يؤدى اليه لان الرشاد نقبض النخى وفيه تصريح بأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل النخى وأما التفصيل فهو أنه بين حقارة حال الدنيا وكمال حال الآخرة أما حقارة الدنيا فهي قوله يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع والمعنى انه يستمتع بهذه الحياة الدنيا في أيام قليلة ثم تنقطع وتزول واما الآخرة فهي دار انقار والبقاء والدوام وحاصل الكلام ان الآخرة باقية دائمة والدنيا منقضية منقرضة والدائم خير من المنقضى وقال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهباً فانيا والآخرة خرفاً فانيا لكانت الآخرة خيراً من الدنيا فكيف والدنيا خرفاً فان والآخرة ذهب باقى واعلم ان الآخرة كما ان النعيم فيها دائم فكذلك العذاب فيها دائم وان الترغيب في النعيم الدائم والترهيب عن العذاب الدائم من أقوى وجوه الترغيب والترهيب ثم بين كيف تحصل المجازاة في الآخرة وأشار فيه الى أن جانب الرحمة غلب على جانب العقاب فقال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثله والمراد بالمثل ما يقابلها في الاستحقاق فان قبل كيف يصح هذا الكلام مع ان كفر ساعة يوجب عقاب الا بدقلنا ان الكافر يعتقد في كفره كونه طاعة وإيماء فلهذا السبب يكون الكافر على عزم أن يبقى مصرعاً على ذلك الاعتقاد أبداً فلا جرم كان عقابه مؤبداً بخلاف الفاسق فانه يعتقد فيه كونه خائناً ومعصية فيكون على عزم أن لا يبقى مصرعاً عليه فلا جرم قلنا ان عقاب الفاسق منقطع أما الذي يقوله المعتزلة من أن عقابه مؤبد فهو باطل لان مدة تلك المعصية منقطعة والعزم على الاتيان بها أبضاً ليس دائماً بل منقطعاً فقابلته بعقاب دائم يكون على خلاف قوله من عمل سيئة فلا يجزى الا مثله واعلم أن هذه الآية أصل كبير في علوم الشرع فيما يتعلق بأحكام الجنائيات فانها تقتضى أن يكون المثل مشروطاً وأن يكون الزائد على المثل غير مشروع ثم نقول ليس في الآية بيان ان تلك المماثلة معتبرة في أى الأمور فلو حملناه على رعاية المماثلة في شئ معين مع ان ذلك المعين غير مذكور في الآية صارت الآية مجملة ولو حملناه على رعاية المماثلة في جميع الأمور صارت الآية عاملاً مخصوصاً وقد ثبت في أصول الفقه ان التعارض اذا وقع بين الاجال وبين التخصيص كان دفع الاجال أولى فوجب أن تعمل هذه الآية على رعاية المماثلة من كل الوجوه الا في مواضع التخصيص واذ ثبت هذا فالاحكام الكثيرة في باب الجنائيات على النفوس وعلى الاعضاء وعلى الاموال يمكن تفرعها على هذه الآية ثم نتول

دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الاظهار بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القاطع انه كما أن بد من لا بد لعل من التبيد أى التفريق والمعنى لا قطع لبطولان

انه تعالى لما بين ان جزاء السيئة متصور على المثل بين ان جزاء الحسنة غير متصور على المثل بل هو خارج عن الحساب فقال ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واحتج أصحابنا بهذه الآية فقالوا قوله ومن عمل صالحا ذكره في معرض الشرط في جانب الاثبات فجري مجرى أن يقال من ذكر كلمة أو من خطا خطوة فله كذا فانه يدخل فيه كل من أتى بتلك الكلمة أو بتلك الخطوة مرة واحدة فكذلك هي هنا واجب أن يقال كل من عمل صالحا واحدا من الصالحات فانه يدخل الجنة ويرزق فيها بغير حساب والأتى بالايان والمونظب على التوحيد والتعبد بسنة ثمانين سنة فأتى بأعظم الصالحات وبأحسن الطاعات فوجب أن يدخل الجنة والحسم بقول انه يبقى محمدا في النار أبدا لا يباد فكان ذلك على خلاف هذا النص الصريح قالت المعتزلة انه تعالى شرط فيه كونه مؤمنا وصاحب الكبيرة عندنا ليس بمؤمن فلا يدخل في هذا الوعد والجواب اننا بينا في أول سورة البقرة في تفسير قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب أن صاحب الكبيرة مؤمن فسبق هذا الكلام واختلفوا في تفسير قوله يرزقون فيها بغير حساب فمنهم من قال لما كان لانهاية لذلك الثواب قيل بغير حساب وقال الآخرون لانه تعالى يعطيهم ثواب أعمالهم ويضم الى ذلك الثواب من أقسام التفضل ما يخرج عن الحساب وقوله بغير حساب واقم في مقابلة الامثلةا يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير ثلاثين على الاستحقاق فلما جازاه العمل الصالح بغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة وأقول هذا يدل على ان جانب الرحمة والتفضل راجع على جانب القهر والعقاب فاذا عارضنا عمومات الوعد بعمومات الوعيد وجب أن يكون الترجيح بجانب عمومات الوعد وذلك يهدم قواعد المعتزلة ثم استأنف ذلك المؤمن ونادى في المرة الثالثة وقال يا قوم مالي أدعوكم الى الجنة وتدعونني الى النار يعني أنا أدعوكم الى الايمان الذي يوجب الجنة وتدعونني الى الكفر الذي يوجب النار فان قيل لم كررناه قومه واما جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلنا أما تكرر النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وايضا من سنة العطف واظهار أن له بهذا المهم من يداها تمام وعلى أولئك الاقوام فرط شفقة وأما المجئ بالواو العاطفة فلأن الثاني يقرب من أن يكون عين الاول لأن الثاني بيان للاول والبيان عين المبين وأما الثالث فلأنه كلام مبين للاول والثاني فحسن ايراد الواو العاطفة فيه ولذا كرر هذا المؤمن انه يدعوهم الى الجنة وهم يدعونهم الى النار ففسر ذلك بانهم يدعونهم الى الكفر بالله والى الشرك به أما الكفر بالله فلأن الأكثرين من قوم فرعون كانوا يكررون وجسود الاله ومنهم من كان يقر بوجود الله الا انه كان يشبث عبادة الاصنام وقوله تعالى وأشرك به ما ليس لي به علم المراد بنى العلم في المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس بالله وما ليس بالله كيف يعقل جملة شريكك الاله ولما بين أنهم يدعونهم الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بالعزيز الغفار وقوله العزيز اشارة الى كونه

الوهية الاصنام أي لا يتقطع في وقت ما فيقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرسد ورشد (وأن مردنا الى الله) أي بالموت عطف على أن ما تدعونني داخل في حكمه وكذا قوله تعالى (وأن المسرفين) أي في الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء (هم أصحاب النار) أي ملازموها (فستذكرون) وقرئ فستذكرون أي فستذكرون بعضكم بعضا عند عاتبة العذاب (ما أقول لكم) من النصائح (وأفوض أمري الى الله) فانه لما أذنهم كانوا توعده (ان الله بصير بالعباد) فيهرس من يلوذ به من المكارة

كامل القدرة وفيه تنبيه على أن الإله هو الذي يكون كامل القدرة وأما فرعون فهو في غاية العجز فكيف يكون الها وأما الأصنام فإنها أحجار منحوتة فكيف يعقل القول بكونها آلهة وقوله العشار إشارة إلى أنه لا يجب أن يكونوا آيسين من رحمة الله بسبب اصرارهم على الكفر مدة مديدة فإن الله العالم وإن كان عزيزا لا يغلب قادرا لا يغالب لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة بآمان ساعة واحدة ثم قال ذلك المؤمن لا جرم الكلام في تفسير لا جرم مرفى سورة هود في قوله لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون وقد أعاده صاحب الكشف ههنا فقال لا جرم مساقفة على مذهب البصريين أن يجعل لا ردالما دعاه إليه قومهم وجرم فعل بمعنى حق وإنما مع ما في حيزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرم منكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا أي كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوته بمعنى أنه ما حصل من ذلك الاظهار بطلان دعوته ويجوز أن يقال إن لا جرم نظيره لا بد فعل من الجرم وهو انقطع كما أن بد فعل من التبييد وهو التقريب وكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا أنه لا بد لك من فعله فكذلك لا جرم إنهم النار أي لا قطع لذلك بمعنى أنهم أبدى يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع بطلان دعوة الأصنام أي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروى عن بعض العرب لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل أخوان كرشدورشدو كعدم وعدم هذا كله أنفاط صاحب الكشف ثم قال إنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة والمراد أن الاوثان التي تدعونني إلى عبادتها ليس لها دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وفي تفسير هذه الدعوة احتمالان (الاول) أن المعنى أن ما تدعونني إلى عبادته ليس له دعوة إلى نفسه لأنها إجمادات والجمادات لا تدعو أحدا إلى عبادة نفسها وقوله في الآخرة يعني أنه قد أضافها حيوانا في الآخرة فإنها تنبأ من هؤلاء العابدين (والاحتمال الثاني) أن يكون قوله ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة فسميت استجابة الدعوة بالدعوة اطلاقا لاسم أحد المتضاميين على الآخر كقوله وجراء سيئة سيئة مثلها ثم قال وإن مردنا إلى الله فبين أن هذه الأصنام لا فائدة فيها البتة ومع ذلك فإن مردنا إلى الله العالم بكل المعلومات المتبادر على كل المحكنات الغنى عن كل الحاجات الذي لا يبدل النول أسية وما هو بظلام للعبيد فأبى عاقل يجوز له عقله أن يشتغل بعبادة تلك الأشياء الباطلة وإن يعرض عن عبادة هذا الإله الذي لا بد وإن يكون مرده إليه وقوله وإن المسرفين هم أصحاب النار قال قتادة يعني المشركين وقال مجاهد السفاكين للدماء والصحيح أنهم أسرفوا في معصية الله بالكمية والكيفية أما الكمية فالدوام وأما الكيفية فبالعود والاصرار ولما بالغ مؤمن آل فرعون في هذه البيانات ختم كلامه بآياتة لطيفة فقال فستذكرون ما أقول لكم وهذا كلام مبهم يوجب التخوف ويحتمل

(فوقه الله سيئات ما مكروا) شدائد مكروهم وما هموا به من الخلق أنواع العذاب عن مخالفهم قيل يجامع مؤنثي عليه السلام (وحاق بال فرعون) أي فرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولى منهم بذلك وقيل بطلية المؤمن من قومه لما ٣٢٩ ﴿ فرأى جبلًا قائمةً فاعلم أن ذلك جود فوجدوه يصلي

والوحوش من فوق
حولته فرجعوا راجعين
(سوء العذاب) العرق
والقل والنار (النار)
يعرضون عليها غدوا
وعشيا) بطلية مستأنفة
مسوفة البيان كيفية
سوء العذاب أو النار خير
مبتدأ عند وف كان
قالا قل ما سوء العذاب
ف قيل هو النار ويعرضون
استئناف البيان أو يدل
من سوء العذاب ويعرضون
حال منها أو من الآل
ولا يشترط في الحقيق أن
يكون الحقائق ذلك
السوء بعينه حتى يرد أن
آل فرعون لم يحسوا
بمعذبه بالنار ليكون
ابتلاؤهم بها من قبيل
رجوع ما هموا به عليهم
بل يكفي في ذلك أن يكون
ما يطلق عليه اسم سوء
وقرئت منصوبة على
الاختصاص أو باعتبار
فعل يفسره يعرضون
مثل يصلون فإن عرضهم
على النار باحراقهم بها
من قواهم عرض
الأسارى على السيف
إذا قوا به وذلك
لأرواحهم ناروى ابن

أن يكون المراد أن هذا الذك يحصل في الدنيا وهو وقت الموت وأن يكون في القيامة
وقت مشاهدة الأهل والأولاد وبالجملة فهو وتعدير شديد ثم قل وأفوض أمري إلى الله وهذا
كلام من هذا الأمر يخافه فكانهم خوفوه بالقل وهو أيضا خوفهم بتوابعه فاستدكرون
ما أقول لكم ثم عول في دفع تخويفهم وكميدهم ومكرهم على فضل الله تعالى فقال
وأفوض أمري إلى الله وهو أعلم بهذه الطريقة من موسى عليه السلام فإن فرعون
لما خوفه بأقل رجح موسى في دفع ذلك الشر إلى الله حيث قال أني عدت بربى وربكم
من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب فتح نافهم وأبو عمرو الباء من أمرى والباءات
بالاسكان ثم قال الله يصير بالعباد أي عالم بأحوالهم ويقادير حاجاتهم وتساك أصنافها
يقوله تعالى وأفوض أمري إلى الله على أن الكل من الله وقالوا ان اعترلة الذين قالوا ان
الخير والشر يحصل بتدبيرهم قد فوضوا أمر أنفسهم إليهم وما فوضوها إلى الله والمعترلة
تمسكوا بهذه الآية فقالوا ان قوله أفوض اعتراف بكونه فعلا مستقلا بالاعمال والباحث
الذكورة في قوله أعوذ بالله عائدة بتمامها في هذا الموضع والله أعلم وهو هنا آخر كلام مؤمن
آل فرعون والله الهادي ﴿ قوله تعالى (فوقه الله سيئات ما مكروا وحاق بال فرعون
سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا يوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون
أشد العذاب وأذقهم أجور في النار فنزل الضميمة فالتدين استكبروا لما كانوا تكبروا بها فقبل
أنهم مغفون عنا نصيبنا من النار قال الذين استكبروا انا ناكل فيها ان الله قد حكم بين
العباد وقال الذين في النار لخرقة جهنم ادعوا ربكم يفتقح لنا أبواب من العذاب قالوا
أولئك تأتكم رسلكم بالبينات قاتلوا إلى قاتلوا فادعوا ما دعا الكافرين (الافى ضلال)
اعلم انه تعالى لما بين أن ذلك الرجل لم يقصر في تقرير الدين الحق وفي الذب عنه فالتفت له
ردعند كيد الكافرين وقصد استنصدين وقوله تعالى فوقه الله سيئات ما مكروا إلى على
العلماء صرح بتقرير الحق فقد قصد به بنوع من أنواع سوء ﴿ قال مقاتل لما ذكر هذه
الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم إلى الجبل فطأوه فلم يقدروا عليه وقيل أراد بقوله
فوقه الله سيئات ما مكروا أنهم قصدوا دخاله في الكفر وصرفه عن الإسلام ففوقه الله
عن ذلك إلا أن الأول أولى لأن قوله بعد ذلك وحاق بال فرعون سوء العذاب لا يليق إلا
بالوجه الأول وقوله تعالى وحاق بال فرعون أي أحاط بهم سوء العذاب أي غرقوا
في البحر وقيل بل المراد منه النار المذكورة في قوله النار يعرضون عليهم أقل الزجاج النار
يدل من قوله سوء العذاب قال وجاز أيضا أن تكون مرتفعة على اعتبار تفسير سوء
العذاب كأن قالوا قل ما سوء العذاب فقبل النار يعرضون عليها قرأ حرة حاق بكسر
الهمزة وكذلك في كل القرآن والباقيون بالفتح أماف قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
فقدم مسائل (المسألة الأولى) أخرج أصحابنا بهذه الآية على آيات عذاب القبر فها

مسعود رضى الله عنه أن أرواحهم ﴿ ٤٣ ﴿ سا في أجواف طير سود تعرض على أشجار يكره وعشيا إلى يوم
القيامة ﴿ ٤٣ ﴿

تعالى أعلم بمآلاتهم وأما التأييد هذا ما دامت الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال للعلائكة (أدخلوا آل فرعون
أشد العذاب) أي عذاب جهنم فإنه أشد مما كانوا فيه وأشد عذاب جهنم فإن عذابها ألوان بعضها أشد من
بعض وقرئ أدخلوا من الدخول أي يقال لهم أدخلوا آل فرعون ٣٣٠ فرعون أشد العذاب (وأذبحوا جوف النار)

الآية تقتضي عرض النار عليهم غدوا وعشيا وليس المراد منه يوم القيامة لأنه قال
ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وليس المراد منه أيضا الدنيا لأن
عرض النار عليهم غدوا وعشيا ما كان حاصلا في الدنيا ثبت أن هذا العرض إنما حصل
بعد الموت وقبل يوم القيامة وذلك يدل على إثبات عذاب التعذيب في حق هؤلاء وأثبتت
في حقهم بيت في حرق في غيرهم لأنه لا فارق بالتفرق فإن قيل لم لا يجوز أن يكون المراد من
عرض النار عليهم غدوا وعشيا عرض النساء عليهم في الدنيا لأن أهل الدين إذا ذكروا
لهم الترتيب والترتيب ونحو قودهم بعذاب الله فقد عرضوا عليهم النار ثم نقول في الآية
ما علم من حله على عذاب القبر ويأنه من وجهين (الأول) أن ذلك العذاب يجب أن
يكون دائما غير منقطع وقوله يعرضون عليهم غدوا وعشيا يقتضي أن لا يحصل ذلك
العذاب إلا في هذين الوقتين ثبت أن هذا لا يمكن حله على عذاب القبر (الثاني) أن الدعوة
والعشية إنما يحصلان في الدنيا أما في التبر فلا وجود لها فثبت بهذين الوجهين أنه
لا يمكن حل هذه الآية على عذاب القبر والجواب عن السؤال الأول أن في الدنيا عرض
عليهم فكان تذكرهم أمر النار لأنه يعرض عليهم نفس النار فعلى قولهم يصير معنى
الآية الكلام أن الدعوة لا من النار كانت تعرض عليهم وذلك في معنى أن ترك ظاهر
المتنوع والدخول إلى النار أما قوله الآية يدل على حصول هذا العذاب في هذين الوقتين
وذلك لا يجوز قلنا لا يجوز أن يكفى في التبر عذابا عذابا في هذين الوقتين ثم عند
قيام القيامة يأتي في النار فيدرهم عذابهم ذلك وأيضاً لا يشع أن يكون ذكر الدعوة
وعشية كناية عن الدوام كقوله وأمر رزقهم فيها بكرة وعشيا أما قوله أنه ليس في القبر
والقيامة ذكره بعشية قلنا لا يجوز أن يقال إن حصول هذين الوقتين لأهل الدنيا
يعرض عليهم العذاب والله أعلم (المسئلة الثانية) قرأنا في سورة الكسوف وحده عن
عالم الدخول آل فرعون أي يقال لخزنة جهنم أدخلوهم في أشد العذاب والباقيون
إذا رأوا على معنى أنه يقال لهم هذا الكفار أدخلوا أشد العذاب والراية الأولى اختيار
أي سيدوا حاجتهم عليها بقوله تعالى يعرضون فهذا يفعل بهم فكذلك أدخلوا أو أخرجهم
الراية الثانية فتدبروا أدخلوا أبواب جهنم وهذه آخر الكلام في قصة مؤمن آل فرعون
واعلم أن الكلام في تلك القصة لما نجر إلى شرح أحوال النار لاجرم ذكر الله عقوبتها
قصة المناظرات التي تجري بين الرؤساء والاتباع من أهل النار فقال وأذبحوا جوف في
النار والمعنى إذا ذكر يا محمد قومك أذبحوا جوف أي يحاجج بعضهم بعضاً ثم شرح خصومتهم
وذلك أن الضعفاء يقولون للرؤساء أنا كذلككم تبعاً في الدنيا قال صاحب الكشف تبعاً
كخدم في جمع خادم أو ذوى تبع أي أتباع أو وصفوا المصدر فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من
النار أي فهل تقدرون على أن تدفعوا ألبها الرؤساء عنا نصيباً من العذاب واعلم أن
أولئك المتباع يقولون إن أولئك الرؤساء لا قدر لهم على ذلك التخفيف وإنما مقصودهم

أي وأذكر أن قومك وقت
تغابهم فيها (قيل
الضعفاء) منهم (ثاني
استكبروا) وهم
رؤسائهم (أنا كذلككم
تبعاً) أتباعاً كخدم في
جمع خادم أو ذوى تبع
أي أتباع على منار
المضاف أو تبعاً على
الوصف بالمصدر مبالغة
(وهل أنتم مغنون
عنا نصيباً من النار)
بالدفع أو الحمل ونصيباً
منه وبمعنى هل
هليله مغنون أي دفعون
عنا نصيباً الخ أو يغنون
على نصيباً معنى الخ
أي مغنون عننا نصيباً
نصيباً الخ أو نصيباً على
المصدر ككشاف في قوله
تعالى أن أغنى عنهم
أموالهم وأولادهم
من الله سبحانه في دفع
شأنه فكذلك نصيباً قال
الذين استكبروا الكل
فيها) أي نحن وأنتم
فكيف أغنى عنكم
ولو قدرنا لأغنيانا عن
أنفسنا وقرئ كما على
أن لا يمد لاسم إن بمعنى
كلنا وتنوينه عوض
عن المضاف إليه ولا

مساغ بالهال من المستكن في الطرف فإنه لا يعمل في الحال المتقدمه كما يعمل في الطرف المتقدم فانك تقول ﴿من
كل يوم نك ثوب ولا تقول جدي لك ثوب﴾ (إن الله قد جكم بين العباد)

وقضى قضاءه مثلاً من دله ولا مضيق لحكمة (وقال الذين في النار) من الضعفاء والمستكبرين جميعاً المضافات خيلهم
وعيت بهم علامهم (الخرقة جهنم) أي لا قوام بعذاب أهل النار ووضع جهنم موضع الضعفاء المستكبرين والضعفاء أولياي محملهم
فيم إن تكون جهنم أمد دركات النار وفيها (٣٣١) أعني الكثرة في أوطاء هم أو تكون الملازمة الموكلين بعذاب

أهم أنفسهم على الشفاعة

أزيد فرهم من الله
نسالي (ادعوا ربكم
يخفف عنا يوماً) أي
مقدار يوم أو في يوم ما
من الأيام على أنه ظرف
للمعيارية (من العقاب)
واقصارهم في الاستدعاء
على ما ذكر من تخفيف
قدر يسير من العذاب
في مقدار قصير من
الزمان دون رفعه رأساً
أو تخفيف قدر يسير
منه في زمان مديد لأن
ذلك عندهم مما يس
في حيز الامكان ولا يكاد
يدخل تحت اعانيهم
(فانسوا) أي الخزنة
(أو امك تأتكم رسولكم
بالبينات) أي المذنبوا
على هذا ولم تك تأتكم
رسلكم في الدنيا على
الاستمرار بالحياة
الواضحة الدالة على
سوء عية ما كنتم عليه
من الكفر والمعاصي
تأني قوله تعالى ألم يأتيكم
رسل منكم يتلون عليكم
آيات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا أرادوا
بذلك أن أتهم
وتوبخهم على انكسار

من هذا الكلام المباعدة في تحجيل أولئك الرؤساء وإيلام قلوبهم لأنهم هم الذين سوا
في إيقاع هؤلاء الاتباع في أنواع الضلالات فعند هذا يقول الرسول وأما الأكل فيها يعني أن
كلنا واقعون في هذا العذاب فلو قدرت على إزالة العذاب عنك لدفعته عن نفسي ثم
يقولون إن الله قد حكم بين العباد يعني يومئذ إلى كل أحد مقدار حسبه من النعيم
أو من العذاب ثم عند هذا يحصل اليأس الاتباع من التوبتين فيرجعون إلى ضلالة
جهنم ويقولون لهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب فإن قيل لما قيل وقال
الذين في النار لخزنتها بل قال وقال الذين في النار خزنتها جهنم ولنا فيه وجهان (الأول)
أن يكون المقصود من ذكر جهنم التهوريل والتفخيم (والثاني) أن يكون جهنم اسماً
لوضع هو أبعد النار فعلم من قلوبهم بشيئهم أي بعبد الله التهوريل ومنها أن يكون
الكفار صقوبة وشره ذلك الموضع تكون أسقام خربة جهنم عند الله درجة فذا صرف
الكفار أن الأمر كذلك استغاثوا بهم فأرأيتك الملائكة يقولون لهم أئمتكم تأتكم
رسلكم بالبينات والمقصود أن قيل أرسل الرسل كان لا يقوم أن يقولوا ادعوا ربكم يسير
ولأنهم أعاينوا نبي الرسل فلم يبق صدر ولا لغة كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولاً وهذه الآية تدل على أن الواجب لا يتحقق إلا بعد مجيء الشرع ثم إن أولئك
الملائكة يقولون لا كنسار ادعوا أئمتكم فأنالجبتم على ذلك ولا تفهم التوسيطين
(أحدهما) كون المشفوع له مؤمناً (والثاني) حصول الأذن إلى الشفاعة ولم يوجد
واحد من هذين الشرطين فاقدامنا على هذه الشفاعة تمتنع لكن ادعوا أئمتكم وليس
قواهم فادعوا الرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الحيلة فإن المالك المقرب إذا لم يسع دعاؤه
فكيف يسع دعا الكفار ثم يحسبون أنهم بأنه لا ترد دعائهم فيقولون وما دعاء
الكافرين إلا في ضلال فإن قيل إن الحاجة على الله تعالى وإذا كان كذلك امتنع أن
يقال أنه نأذي من هؤلاء أشير من يسبب جرمهم وإذا كان النأذي محسباً عليه كانت
شهوة الانتقام محتجة في حقه إذا ثبت هذا فقول ايصال هذه المضار العظيمة إلى أولئك
الكفار اضرار لا منفعة فيه إلى الله تعالى ولا لاحد من العبيد فهو اضرار خال عن جميع
الجهات المشقة فكيف يليق بالرحيم الكريم أن يبق على ذلك الإيلام أبداً لا يبدو دهر
الداهرين من غير أن يرحم حاجتهم ومن غير أن يسع دعائهم ومن غير أن يلتفت إلى
تضرعهم وانكسارهم ولو أن أقسى الناس قلباً قول مثل هذا العذيب ببعض عبيده
لدعاء كرمه ورحمته إلى العفو عنه مع أن هذا السيد في محل النفع والتضرع والحاجة فما كرم
الأكرمين كيف يليق به هذا الاضرار فتنال الله لا تعمل ولا يستل عما يفعل وهم
يسألون فلما ساء حالكم الحق به في الكتاب الحق وجب الإقرار به والله أعلم بالصواب
* قوله تعالى (إنا أنصركم ولننا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم
لا ينفع الظالمين معذرتهم ولا جهنم ولا العتق ولاهم يومئذ الدار فعدا ناساً موسى الهدى وأورثنا

أوقات الدعاء وتطيل أسباب الاجابة (قالوا بلى) أي أتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا مآزلة الله من شيء أن أنتم إلا في ضلال كبير والفاء في قوله تعالى (قالوا فادعوا) فصيغة كافي

قول من قال * فقد جئنا خراسانا * أي إذا كان الأمر كذلك فادعوا إليهم فإن الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره
 عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الأذن فيه مع عرائنه عن بيان أن سيدهم من قباهم كان يصح عند الفناء رعايتهم أن
 الأذن في حيز الامكان وأنهم لو أذن لهم في ٣٣٢ فيه لفعلاوا ويريدوا بأمرهم بالدعاء لطماعهم في الإجابة بل

أقنطهم منها وأظهار
 خيبتهم حسب ما صرحوا به
 في قولهم (ومادعاء
 الكافرين الا في ضلال)
 أي ضياع وإضلال
 وقوله تعالى (انا انصبر
 رسلا والذين آمنوا)
 الخ كلام متأنف مدوق
 من جهته تعالى لبيان
 أن ما أصاب الكفرة
 من العذاب الحمي من
 فروغ حكمهم كلي تنصبه
 الحكمة وهو أن ثأنا
 المسترانا ننصر رسلا
 وأنبايهم (في الحيرة
 الدنيا) بالحجة والظفر
 والانتقام لهم من الكفرة
 بالاسنة مسال والقتل
 والسبي وغير ذلك من
 العتوبات ولا يقدح في
 ذلك ما قد يقع فيهم من
 صورة الغلبة استحضارا
 العبرة انما هي بالعواقب
 وغالب الامر (ويوم
 يقوم الاشهاد) أي يوم
 القيامة عبر عنه بذلك
 للاشارة بكيفية النصرة
 وأنها تكون عند جميع
 الاولين والآخرين
 يشهد بها الاشهاد
 للرسول بالتأويل وغيره
 الكفرة بالتكذيب (يوم
 لا ينفع الظالمين معذرتهم)

بين اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولى الابواب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك
 وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) اعلم ان في كيفية النظم وجوها (الاول) انه تعالى
 لما ذكر وقاية الله موسى صلوات الله عليه وذلك المؤمن من مكر فرعون بين في هذه الآية
 انه ينصر رسلا والذين آمنوا معه (الثاني) لما بين من قبل ما يقع بين أهل النار من
 التخاصم وانهم عند الفزع الى خزنة جهنم يقولون ألم تك تأتيناكم رسلكم بالبينات انتم ذلك
 بتكرار الرسل وانهم ينصرونهم في الدنيا والآخرة (والثالث) وهو الاقرب عندى ان الكلام
 في أول السورة انما وقع من قوله ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يعررك تعلقهم
 في البلاد وامتد الكلام في الرد على أولئك المتجادلين ودلى أن المحققين أبدا كانوا مسغولين
 بدفع كيد المبطلين وكل ذلك انما ذكره الله تعالى تسلية لارسله صلى الله عليه وسلم
 وتفسيره على تحمل أذى قومهم ولما بلغ الكلام في نشر المطلوب الى الغاية التصوى
 وعنده الى رسوله بأن ينصره على أعدائه في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال انا لننصر
 رسلا الآية أما في الدنيا فهو المراد بقوله في الحياة الدنيا وأما في الآخرة فهو المراد بقوله
 ويوم يقوم الاشهاد فحاصل الكلام انه تعالى وعد بأن ينصر الانبياء والرسل وينصر
 الذين ينصرونهم نصرة بطهر أثرها في الدنيا وفي الآخرة واعلم ان نصرة الله للمحققين تحصل
 بوجوه (أحدها) ان نصرة بالحجة وقد سعى الله بالحجة سلطانا في غير موضع وهذه النصرة
 عامة للمحققين أجمع ونعم ما سعى الله هذه النصرة سلطانا لان السلطنة في الدنيا قد تبطل
 وقد تبدل بانقراض الدالة والحاجة والفتور أما السلطنة الحاصلة بالحجة فانها تبقى أبدا
 الابد ويعتدح تطرف الخلل والفتور اليها (وثانيها) انهم منصورون بالمدح والثناء فظلمهم فان
 الظلمة وان قهروا وتخصوا من المحققين الا أنهم لا يقدر وون على استقاط مدحه عن السنة
 الناس (وثالثها) انهم منصورون بسبب ان بواطنهم مائة من أنوار الحجة وقوة اليقين
 فانهم انما ينظرون الى الظلمة والجهال كما ينظر ملائكة السموات الى أخس الاشياء
 (ورابعها) ان المبطلين وان كان يفتق لهم ان يحصل لهم استبلاء على المحققين في العال
 ان ذلك لا يسوم بل يكشف للناس ان ذلك كان أمرا وقع على خلاف الواجب ونقض
 الحق (وخامسها) ان الحق ان اتفق له ان وقع في نوع من أنواع المخذور فذلك يكون
 سببا لمن يدنو به وقد ظلم درجاته (وسادسها) ان الظلمة والمبطلين كما عوتون تموت آثارهم
 ولا يبقى لهم في الدنيا أثر ولا خير وأما المخفون فان آثارهم باقية على وجه الدهر والناس
 بهم يقتدون في أعمال البر والخير والجنهم يتركون فهذا كله أنواع نصرة الله للمحققين
 في الدنيا (وسابعها) انه تعالى قد ينصرونهم للانبياء والاولياء بعد موتهم كأن نصر يحيى بن زكريا
 فانه لما قتل قتل به سبعون ألفا واما نصرة تعالى اياهم في الآخرة فذلك بأعلاء درجاتهم
 في مراتب الثواب وكونهم مصاحبين لانبياء الله كما قال فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم
 من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا واعلم أن في قوله انا

لا ينفع الظالمين معذرتهم (بيان من الأول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرى لا تنفع بالناد) (ولهم العنة) * لينصروا
 أي البعد عن الرحمة (ولهم جزاؤهم) أي جهنم (ولقد آتينا

موسى الهدى (ما بهدى من المعجزات والصحف والشرائع) وأورشنا بنى اسرائيل الكتاب) وتركنا عليهم
من بعده التوراة (هدى وذكرى) هداية وتذكرة أو هاديا ومذكرا (لاول الالباب) لذوى العقول السليمة
العاملين عافى تضاعفه (فاصبر) على ماتك (٣٣٣) من اذية المشركين (ان عدالله) أى وعد الله الذى

ينطق به قوله تعالى
واقدم سبقت كلنا لعبادنا
المرسلين انهم ا لهم
المصورون وان جندنا
اهم الغابون او وعد
الخاص بك أوجع
مواعيدك التى من جعلها
ذلك (حق) لا يمتنع
لا خلاف أصلا واستشهد
بحال موسى وفرعون
(واستغفر لذنبك)
تدارك المسافر ط منك
من ترك الاولى فى بعض
الاحايين فانه تعالى
كافيك فى نصرة دينك
والله سار على الدين
كاه (وسبح بحمدي بك
بالعشى والابكار) أى
ودم على التسبيح قبل
بحمده تعالى وقبل صل
لهذين الوقتين اذ كان
الواجب بمكة ركعتين
بكرة وركعتين عشا
وقبل صل شكر ال بك
بالعشى والابكار وقبل
هما صلاة العصر وصلاة
الفجر (ان الذين يجادلون
فى آيات الله) ويحججون
بها (بغير سلطان انهم)
فى ذلك من جهته تعالى
وتقييد المجادلة
بذلك مع استحالة تانيته

لنصر رسالتنا الى قوله و يوم يقوم الاشهاد دقيقة متبررة وهى ان السلطان العظيم اذا خص
بعض خواصه بالاكرام العظيم والتشريف الكامل عند حضور الجمع العظيم من أهل
المشرق والمغرب كان ذلك ألدوا جميع فقوله اننا لنصر رسالتنا الى يوم يقوم الاشهاد المقصود
منه هذه الدقيقة واختلافها فى المراد بالاشهاد والظاهر ان المراد كل من يشهد بعمل العباد
يوم القيامة من ملك ونبي ومؤمن أما الثلاثة فهم الكرام الكائون يشهدون بما
شاهدوا وأما الانبياء فقال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئناك على هود
شهودا وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا قال المبرد يجوز أن يكون واحد الاشهاد شاهدا كالطيبار وطائر وأصحاب
وصاحب ويجوز أن يكون واحد الاشهاد شهيدا كاشراف وشريف وایام ویتيم ثم
قال تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولاهم اللغة ولاهم سوء الدار قرأ ابن كثير وأبو عمرو
وابن طاهر لا تنفع بالناء لتانيث المعذرة والياقون بانياء كأنه أريد الاعتذار واعلم ان
المقصود ايضا من هذا شرح تعظيم ثواب أهل الثواب وذلك لانه تعالى بين أنه ينصرهم
فى يوم يجتمع فيه الاولون والآخرون فحالهم فى علو الدرجات فى ذلك اليوم ما ذكرناه وأما
حال اعدائهم فهو أنه حصلت لهم أمور ثلاثة (أحدها) أنه لا ينفعهم شئ من المعافاة البتة
(وثانيها) أن لهم اللغة وهذا يفيد الحصر يعنى اللغة مقصورة عليهم وهى الاهانة
والاذلال (وثالثها) سوء الدار وهو العقاب الشديد فهذا اليوم اذا كان الاعداء واقفين
فى هذه المراتب الثلاثة من الوحشة والابية ثم انه خص الانبياء والاولياء بأنواع
التشريفات الواقعة فى الجمع الأعظم فهمنا يظهر أن سرور المؤمن كبريكون وان نخدم
الكافرين الى أين تباع فان قيل قوله يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم يدل على أنهم يذكرون
الاعتذار الآن تلك الاعتذار لا تنفعهم فكيف الجمع بين هذا وبين قوله ولا يؤذن لهم
فيعتذرون قلنا قوله لا تنفع الظالمين معذرتهم لا يدل على أنهم ذكروا الاعتذار بل ليس فيه
الا انه ليس عندهم عذر مقبول نافع وهذا القدر لا يدل على أنهم ذكروه أم لا وأيضاً يقال
يوم القيامة يوم ملو يل فيعتذرون فى وقت ولا يعتذرون فى وقت آخر ولما بين الله تعالى
أنه ينصر الانبياء والمؤمنين فى الدنيا والآخرة ذكرنا نوعا من أنواع تلك النصرة فى الدنيا
فقال ولقد آتينا موسى الهدى ويجوز أن يكون المراد من الهدى ما آتاه الله من العلوم
الكثيرة النافعة فى الدنيا والآخرة ويجوز أن يكون المراد تلك الدلائل الناهرة التى
أوردناها على فرعون وأتباعه وكادهم بها ويجوز أن يكون المراد هو النبوة التى هى أعظم
المناصب الانسانية ويجوز أن يكون المراد انزال التوراة عليه ثم قال تعالى وأورشنا بنى
اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولى الالباب يجوز أن يكون المراد منه انه تعالى لما
أنزل التوراة على موسى بقى ذلك العلم فيهم وتوارثوه خلفا عن سلف ويجوز أن يكون المراد
سائر الكتب التى أنزلها الله عليهم وهى كتب أنبياء بنى اسرائيل لا يؤمنون بغير

الانبياء بأن التكلم فى أمر الدين لا بد من استناده الى سلطان مبین البتة ودعواهم لكل مجادل مبطل وانزل
فى مشركي مكة وقوله تعالى (ان فى صدورهم الاكبر) لان أى ما فى قلوبهم الا تكبر عن الحق وتكبر عن

الفكر والنعم أو الارادة الرياسة والتقدم على الاطلاق أو الارادة أن تكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسما قالوا ولازل هذا القرآن على رجل من القريتين عظم ٢٣٤ عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك

يُجادون فيها لأن فيهم
موقع جدال ماؤوا راها
شأيتوهم أن يصلح
مدار المجادلهم في الجملة
وقوله تعالى (ما هم
ببالغة) صفة الكبر قال
مجاهد ما هم ببالغة
صفة الكبر قال مجاهد
ما هم ببالغة مقتضى
ذلك الكبر وهو ما أرادوه
من الرئاسة أو النبوة
وقيل المجادلون هم
اليهود وكانوا يقولون
لست صاحبنا المذكور
في التوراة بل هو المسيح
ابن داود يريدون الدجال
يخرج في آخر الزمان
ويبلغ سلطانه البر
والبحر وتسبب معه
الانهار وهو آية من آيات
الله تعالى فيرجع النسا
الملك فسمى الله تعالى
تثنيهم ذلك كبراً ونفى
أن يبلغوا متناهم
(فاستعذ بالله) أي فالتجنى
اليه من كيد من يحسدك
ويبغى عليك وفيه رمز
الى أنه من هزات
الشياطين (انه هو
السميع البصير) لا فوالكم
وأفعالكم وقوله تعالى
(لخلق السموات والارض

والانجيل والفرق بين الهدى والذكرى ان الهدى ما يكون دليلا على الشيء وليس من شرطه ان يذكر شيئا آخر كان معلوما ثم صار منسيا وأما الذكرى فهي الذي يكون كذلك فكتب انبياء الله مشتغلة على هذين القسمين بعضهما دلائل في أنفسها وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب الالهية المتقدمة ولما بين ان الله تعالى ينصر رسله وينصر المؤمنين في الدنيا والآخرة وضرب المثال في ذلك بحال موسى وخاطب بعد ذلك محمدا صلى الله عليه وسلم فقال فاصبر ان وعد الله حق فأنه ناصر كناصرهم ومنجز وعده في حقك كما كان كذلك في حقهم ثم أمرهم بأن يقبل على طاعة الله النافعة في الدنيا والآخرة فان من كان الله مكان الله واعلم أن مجاميع الضاعات محصورة في قسمين التوبة عما لا ينبغي والاستغفار بما ينبغي والاول مقدم على الثاني بحسب الرتبة الذاتية فوجب أن يكون مقدما عليه في الذكر أما التوبة عما لا ينبغي فهو وقوله واستغفر لذنبك والضاعات في عصاة الانبياء عليهم السلام يتسكون به ونحن نحمله على التوبة عن ترك الاولى والافضل أو على ما كان قد صدر عنهم قبل النبوة وقيل أيضا المقصود منه محض العبد كافي قوله ربنا وآتينا ما وعدتنا على رسلك فان ابتداء ذلك الشيء واجب ثم انه أمرنا بطلبه وكنهه رب احكم بالحق مع أننا نعلم انه لا يحكم الا بالحق وقيل اضافة المصدر الى الفاعل والمفعول فقول واستغفر لذنبك من باب اضافة المصدر الى المفعول أي واستغفر لذنب أمك في حقك وأما الاشتغال بما ينبغي فهو وقوله وسبح بحمديك بالعشي والابكار والنسيح عبارة عن تنزيه الله عن كل ما لا يليق به والعشي والابكار قبل صلاة العصر وصلاة الفجر وقيل الابكار عبارة عن أول النهار الى النصف والعشي عبارة عن النصف الى آخر النهار فيدخل فيه كل الاوقات وقيل المراد طرفي النهار كما قال وأقم الصلاة طرفي النهار وبالجمله فالمراد منه الامر بالمواطبة على ذكر الله وأن لا يفتر اللسان عنه وأن لا يغفل القلب عنه حتى يصير الانسان بهذا السبب داخلا في زمرة الملائكة كما قال في وصفهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون والله اعلم قوله تعالى (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الاكبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما يستوى الاعى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسمى قليلا ما تذكر ان الساعة لا تية لاريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) اعلم اننا بينا ان الكلام في أول هذه السورة انما ابتدئ ردا على الذين يجادلون في آيات الله واتصل البعض ببعض وامتد على الترتيب الذي لخصناه والنسق الذي كشفناه عن هذا الموضوع ثم انه تعالى نبه في هذه الآية على الداعية التي تحمل أولئك الكفار على تلك المجادلة فقال ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم الاكبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير والصديقين

أكبر من خلق الناس) تحقيق الحق وتبيين ما يجادلون فيه من أمر البعث على منهاج ﴿ تحت ﴾
 أي إسمه تعالى أوليس الذي في السموات والأرض.

بقادر على أن يخلق مثلهم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لقصورهم في النظر والتأمل لغرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم (وما يستوي الأعمى والبصير) ﴿٢٣٥﴾ أي الغافل والمستبصر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا الهوى) أي

والحسن والمسيء فلا بد أن تكون لهم حال أخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لافى المسيء لنا كيد النفي لطول الكلام بالصلة ولأن المقصود نفي مساواته للمحسن فيماله من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بسا عطف عليه على الأعمى والبصير لتفسير الوصفين في المقصود أو الدلالة بالصراحة والتبسيط (قليلًا ما تذكرون) على الخطاب بطريق الالتفات أي تذكر قليلًا تذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس أو الكفار (إن الساعة لآتية لا ريب فيها) أي في تخمينها أوضح شواهدا واجماع الرسل على الوعد بوقوعها (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لا يصدقون بها لقصور أنظارهم على ظواهر ما يحسون به (وقال ربكم ادعوني) أي اعبدوني (استجب لكم) أي أجبكم لقوله تعالى

تحت يدك وأمرتك ونهيك لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة وفي صدورهم كبر لا يرضون أن يكونوا في خدمتك فهذا هو الذي يعملهم على هذه المجادلات الباطلة والمخاضات الفاسدة ثم قال تعالى ما هم ببالغيه يعني أنهم يريدون أن يكونوا تحت يدك ولا يصلون إلى هذا المراد بل لا بد وأن يصيروا تحت أمرك ونهيك ثم قال فاستعذبان أي فاتجبن إليهم من كيد من يجادل ذلك أنه هو السميع بما يقولون أو تقول البصير بما تعمل ويعملون فهو بحجلك نافذ الحكم عليهم وبصوتك عن مكرهم وكيدهم واعلم أنه تعالى لما وصف جدالهم في آيات الله بأنه بغير سلطان ولا حجة ذكر لهم أمثالا فقال خالق السموات والأرض أكبر من خلق الناس والقادر على الأكبر قادر على الأصغر لا بحجالة وتقرير هذا الكلام أن الاستدلال بالشيء على غيره على ثلاثة أقسام (أحدها) أن يقال لما قدر على الأضعف وجب أن يقدر على الأقوى وهذا فاسد (وثانيها) أن يقال لما قدر على الشيء قدر على مثله فهذا استدلال حق لما ثبت في العقول أن حكم الشيء يحكم مثله (وثانيها) أن يقال لما قدر على الأقل لا قدر على الأقوى فيبان يقدر على الأقل لا قدر على الأقل كان أولى وهذا الاستدلال في غاية الصحة والقوة ولا يرتاب فيه عاقل البتة ثم إن هؤلاء القوم يسلمون أن خالق السموات والأرض هو الله سبحانه وتعالى ويعلمون بالضرورة أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وكان من حقهم أن يقولوا بأن القادر على خلق السموات والأرض يكون قادرا على إعادة الإنسان الذي خلقه أولا فهذا برهان جلي في إفادة هذا المطلوب ثم إن هذا البرهان على قوته صار بحيث لا يعرفه أكثر الناس والمراد منهم الذين ينكرون الحشر والنشر فظهر بهذا المثال أن هؤلاء الكفار يجادلون في آيات الله بغير سلطان ولا حجة بل بمجرد الحسد والجهل والكبر والتعصب ولما بين الله تعالى أن الجدال المقرون بالكبر والحسد والجهل كيف يكون وأن الجدال المقرون بالحجة والبرهان كيف يكون نبيه تعالى على أن يفرق بين البابين بذكر المثال فقال وما يستوي الأعمى والبصير يعني وما يستوي المستدل والجاهل المثل ثم قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا الهوى فالمراد بالأول أن تفاوت بين العالم والجاهل والمراد بالثاني أن تفاوت بين الآتي بالأعمال الصالحة وبين الآتي بالأعمال الفاسدة الباطلة ثم قال قليلًا ما تذكرون يعني أنهم وإن كانوا يعلمون أن العلم خير من الجهل وأن العمل الصالح خير من العمل الفاسد إلا أنه قليلًا ما تذكرون في النوع المعين من الاعتقاد أنه علم أو جهل والنوع المعين من العمل أنه عمل صالح أو فاسد قال الحسد يعني قلوبهم فيعتقدون في الجهل والقليل أنه محض المعرفة وفي الحسد والحقد والكبر أنه محض الطاعة فهذا هو المراد من قوله قليلًا ما تذكرون فراطعهم وحجة والكسائي تذكرون بالناء على الخطاب أي قل لهم قليلًا ما تذكرون والباقيون بالياء على الغيبة ولما قرر الدليل الدال على إمكان وجود يوم القيامة أردفه بأن أخبر عن وقوعها ودخولها في الوجود فقال إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون

تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين آذلاء وانفسار الدعاء بالسؤال كان الأمر الصارف عنه

منه لا منزلة الاستكبار عن العادة للعبادة أو المراد بالعبادة الدعاء فإنه من أفضل أبوابها وقرئ سيدخلون على صيغة
المنى للمفعول من الإدخال (الله الذي جعل لكم الليل ﴿٣٢٦﴾ لتسكنوا فيه) بأن خلقه بازدا مظلما ليؤدي إلى

والمراد بأكثر الناس الكفار الذين شكر من البعث والقيامة ﴿٣٢٧﴾ قوله تعالى (وقال ربكم
ادعوني أستجب لكم) الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين الله الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه واتتهار مبصرا أن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر
الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم حائق كل شيء لا اله الا هو فإني توفكون كذاك يوفك
الدين كانوا بآيات الله يحجدون (اعلم انه تعالى لما بين ان القول بالقيامة حق وصدق
وكان من المعلوم باضرورة ان الانسان لا ينفع في يوم القيامة الا بطاعة الله تعالى لا جرم
كان الاشتغال بالطاعة من أهم الهامات ولما كان أشرف أنواع الطاعات الدعاء وانضرع
لا جرم أمر الله تعالى به في هذه الآية فقال وقال ربكم ادعوني أستجب لكم واختلف
الناس في المراد بقوله ادعوني فقبل انه الامر بالدعاء وقيل انه الامر بالعبادة بدليل انه قال
بعده ان الذين يستكبرون عن عبادتي ولو ان الامر بالدعاء أمر بمطلق العبادة لما بقى
لعله ان الذين يستكبرون عن عبادتي معنى وأيضا الدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن
كقوله ان يدعون من دونه الا انانا وأجيب عند بأن الدعاء هو اعتراف بالعبودية والمذلة
والمسكنة فكانه قيل ان فارك الدعاء استاركة لاجل أن يستكبر عن اظهار العبودية
وأجيب عن قوله ان الدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن بأن ترك الظاهر لا يصار اليه الا
بدليل منفصل فان قيل كيف قال ادعوني أستجب لكم وقد يدعى كثيرا فلا يستجاب أجاب
الكبرى عند بان قال الدعاء انما يصح على شرط ومن دعا كذاك استجيب له وذلك الشرط هو
أن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة أو حكمة ثم سأل نفسه فقال فاهو أصح يفعله بلا دعاء فافا
الفائدة في الدعاء وأجاب عنه من وجهين (الاول) ان فيه الفزع والانقطاع الى الله
(والثاني) ان هذا أيضا وارد على الكل لانه ان علم أنه يفعله فلا بد وان يفعله فلا فائدة
في الدعاء وان علم انه لا يفعله فانه البتة لا يفعله فلا فائدة في الدعاء وكل ما يقولونه هم منافقون
جوابنا هذا تمام ما ذكره وعندي فيه وجه آخر وهو أنه قال ادعوني أستجب لكم فكل
من دعا الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله وجهه وأقاربه واصدقائه وجده واجتهاده
فهو في الحقيقة مادعا لله الابالم ان أمابا قلب فانه يقول في تحصيل ذلك المطلوب على
غير الله فهذا الانسان مادعا ربه في وقت أما اذا دعا في وقت لا يبق في القلب التفات الى غير
الله فالتظاهر أنه تحصل الاستجابة اذا عرفت هذا فبه بشارة كاملة وهي ان انقطاع القلب
بالكلية عما سوى الله لا يحصل الا عند القرب من الموت فان الانسان قاطم في ذلك الوقت
بأنه لا يفعله شيء سوى فضل الله تعالى فإلى انقائون الذي ذكرناه وجب أن يكون الدعاء
في ذلك الوقت مقبولا عند الله ونرجو من فضل الله واحسانه أن يوفقنا للدعاء المقرون
بالاخلاص وانضرع في ذلك الوقت واعلم ان الكلام المستقصى في الدعاء قد سبق ذكره
في سورة البقرة ثم قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أي
صاغرين وهذا احسان عظيم من الله تعالى حيث ذكر الوعيد الذي يدعى على ترك الدعاء فان

ضرب المجرى كات وهد
الحواس تستريح وافية
وتقديم الجار والمجرور
على المفعول قدم سره
مرارا (والتهار مبصرا)
أي مبصرا فيه أو به
(ان الله لذو فضل)
عظيم لا يوازيه ولا يدانيه
ففضل (على الناس)
ولكن أكثر الناس لا
يشكرون (لجهنم بالنعيم
واغفل عنهم مواضع النعم
وتكرير الناس لتخصيص
الكفران بهم (فذلكم)
المتفرد بالافعال المتفضية
لللاهوتية والربوبية
(الله ربكم خالق كل
شيء لا اله الا هو) أخبار
مترادفة تخصص
للأخوة منها السابقة
وتقررها وقرئ خالق
بالنصب على الاختصاص
فيكون لا اله الا هو
استثنافا بما هو كالنتيجة
للأوصاف المذكورة
(فإني توفكون) فكيف
ومن أي وجه تصرفون
عن عبادته خاصة الى
عبادة غيره (كذلك)
ادعوا فك الذين كانوا
بآيات الله يحجدون
أي مثل ذلك الامم

العزيز الذي لا وجه له ولا محصم أصلا يوفك كل من جحد بآياته تعالى أي آياته كانت لا فكا ﴿٣٢٨﴾ قبل
آخر له وجه ومصحح في الجملة

الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً) بيان فضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى (وصوركم فأحسن صوركم) بيان لفضله المتعلق بأنفسهم والفاء في فأحسن تفسيرية فإن الأحسان عين التصوير أي صوركم أحسن تصوير ٢٣٧ حيث خلقكم منتمن القائمة بأدى البشرية متناسبي

الاعضاء والتخطيطات متهيئين لما أولها النصناف واكتساب الكمالات (ورزقكم من الطيبات أي اللذائذ ذالككم) الذي نعم بما ذكر من النعمات الجلية (الله ربكم) خبر ان ذالككم (فتبارك الله) أي تعالى بذاته (رب العالمين) أي مالكمهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مقرا اليه في ذاته ووجوده وسائر أحواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عند آتانا لندم بالكلية (هو الحي) المنفرد بالحياة الذاتية الحقيقية (لا اله الا هو) اذ لا موجود بذاته في ذاته وصفاته وأفعاله (نادعوه) فاعبدوه خاصة لا اختصاص ما يؤجبه به تعالى (مخلصين له الدين) أي الطاعة من الشرك الجلي والخي (الحمد لله رب العالمين) أي قائلين ذلك عن ابراهيماس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين (قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جلاني

قيل روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حكاية عن رب العزة انه قال من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين فهذا الخبر يقتضى أن ترك الدعاء أفضل وهذه الآية تدل على أن ترك الدعاء بوجوب الوعد الشديد فكيف الجمع بينهما فقلنا لا شك أن العقل اذا كان مستغرقا في الشيء كان ذلك أفضل من الدعاء لأن الدعاء طلب للحفظ والاستغراق في معرفة جلال الله أفضل من طلب الحفظ أما اذا لم يحصل ذلك الاستغراق كان الاشتغال بالدعاء أولى لأن الدعاء يشتمل على معرفة عزة الربوبية وذلة العبودية ثم قال تعالى الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه واعلم أن تعاقبه بما قبله من وجهين (الاول) كأنه تعالى قال اني أنعمت عليك قبل طلبك لهذه النعم الجلية العظيمة ومن أنعم قبل السؤال بهذه النعم العلية فكيف لا ينعم بالاشياء القليلة بعد السؤال (والثاني) انه تعالى لما أمر بالدعاء فكأنه قبل الاشتغال بالدعاء لا بد وأن يكون مسبوقا بمسؤول المعرفة فالدليل على وجود الله القادر وقد ذكرنا أنه تعالى هذه الدلائل العشرة على وجوده وقدرته وحكمته واعلم اننا بينا أن دلائل وجود الله وقدرته اما فلسفية واما عنصرية اما العقل كليات فاقسام كثيرة (أحدها) تعاقب الليل والنهار وكان أكثر صلاح العالم مربوطا بهما فذكرهما الله تعالى في هذا المقام وبين أن الحكمة في خلق الليل حصول الراحة بسبب النوم والسكون والحكمة في خلق النهار ابصار الاشياء ليحصل مكنته التصرف فيها على الوجه الأنفع اما أن السكون في وقت النوم سبب لراحة فيبانه من وجهين (الاول) ان الحركات توجب الاعياء من حيث ان الحركة توجب السخونة والجفاف وذلك يوجب التألم (والثاني) أن الاحساس بالاشياء انما يمكن بإيصال الارواح الحسية الى ظواهر الحس ثم ان تلك الارواح تتحمل بسبب كثرة الحركات فتضعف الحواس والاحساسات واذا نام الانسان عانت الارواح الحسية في باطن البدن وركبت وفويت وتخلصت عن الاعياء وأيضا الليل بارد رطب فهو يبرد به ويروى به يتدارك ما حصل في النهار من الحر والجفاف بسبب ما حدث من كثرة الحركات فينه هي المنافع المتولدة من قوله تعالى الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه وأما قوله والنهار مبصرا فخبرنا ان الانسان مدني بالطبع ومعناه انه ما يحصل مدينة تامة لم تنظم بهجات الانسان في مأكوله ومشروبه وملبسه ومنكبه وتلك المجهات التي يحصل بها الاعمال الكثيرة وتلك الاعمال تصرفات في أمور وهذه التصرفات لا تكمل الا بالضوء والنور حتى يبين الانسان بسبب ذلك النور بين ما يوافقه وبين ما لا يوافقه فهذا هو الحكمة في قوله والنهار مبصرا فان قبل كان الواجب بحسب رعاية النظم أن يقال هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبصروا فيه أو فجعل لكم الليل ساكنوا ولكنكم لم يقل كذلك بل قال في الليل لتسكنوا فيه وقال في النهار مبصرا فالقائدة فيه وأيضا في الحكمة في تقديم ذكر الليل على ذكر النهار مع ان النهار أشرف من الليل قلنا أما الجواب عن الاول فهو ان الليل والنوم في

النبات من ربي) من الحجج والآيات ٢٤ سا أو من الآيات لكونها مؤيدة لأدلة العقل منبهة عليها فان الآيات التزييلية مفسرات للآيات التكوينية الآفاقية والآنفسية (وأمرت أن أسلم رب

السائلين) أي من أنفسه وأخلص له ديني (هو الذي خلقكم من تراب) أي في حين خلق آدم عليه
الصلوة والسلام منه جسما من تحفته مرارا (ثم من نطفة) أي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة أي من
(ثم من علة ثم يخرجكم طفلا) أي اطفالا والافراد ٢٣٨ لا رادة الجنس أو لارادة كل واحد من أفراد

(ثم تلبغوا أشدكم) علة
ليخرجكم معطوفة على
علة أخرى له مناسبة لها
كأنه قيل ثم يخرجكم
طفلا كبروا شافينا
ثم تلبغوا الكرم في القوة
والعقل وكذا الكلام
في قوله تعالى (ثم تكونوا
شيوخا) ويجوز عطفه
على تلبغوا وقرئ شيخنا
كقوله تعالى طفلا (ومنكم
من يتوفى من قبل) أي
من قبل الشيخوخة بعد
بلوغ الأشد وقبله أيضا
(وتلبغوا) متعلق بفعل
مقدر بعده أي وتلبغوا
(أجلا مسمى) هو وقت
الموت أو يوم القيامة بفعل
ذلك (وله لكم أعمالون)
ولكي تعملوا ما في ذلك
من فنون الحكم والعبر
(هو الذي يحيي)
الأموات (ويحيي)
الاحياء أو الذي يفعل
الاحياء والأمانة (فإذا
قضى أمرا) أي أراد
أمرا من الامور (فإنما
يقول له كن فيكون) من
غير توقف على شيء من
الاشياء أصلا وهذا تعثيل
لتأثير قدرته تعالى في
المقدورات عند تعلق

الحقيقة بطبيعة عدمية فهو غير متصور بالذات اما بالنفظة فأمر وجودية وهي مقصودة
بالذات وقديين الشيخ عبد القاهر النحوي في دلائل الاعجاز أن دلالة صيغة الاسم على
التمام والكمال أقوى من دلالة صيغة الفعل عليه مما فهمنا هو السبب في هذا الفرق والله أعلم
وأما الجواب عن الثاني فهو أن النطفة طبيعة عدمية وانطور طبيعة وجودية والعلم في
المخبرات مقدم على الوجود وهذا السبب قال في أول سورة الانعام وجعل الظلمات
والنور واعلم انه تعالى لما ذكر ما في الليل والنهار من المصالح والحكم البالغة قال ان الله
لنوفضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون والمراد ان فضل الله على الخلق كثير
جدا ولكنهم لا يشكرون واعلم ان ترك الشكر اوجوه (أحدها) أن يعتقد الرجل ان
هذه النعم ليست من الله تعالى مثل ان يعتقد أن هذه الافلاك واجبة الوجود لذواتها
وواجبة الدوران لذواتها فيعتقد هذا الرجل لا يعتقد أن هذه النعم من الله (وثانيها) أن
الرجل وان اعتقد أن كل هذا العالم حصل بتخليق الله وتكوينه الآن هذه النعم العظيمة
أعني نعمة تعاقب الليل والنهار لما دامت واستمرت نسبها الانسان فإذا تلبى الانسان
بفقدان شيء منها عرف قدرها مثل أن يتفق لبعض الناس والعياذ بالله أن يجسه بعض
الضلمة في آثار عبقة مضلمة مدة مديدة فيعتقد يعرف ذلك الانسان قدر نعمة الهوا والصافي
وقدر نعمة الضوء ورأيت بعض الملوك كان يعذب بعض خدمه بأن أمر أفراما حتى
يمنعونه من الاستناد الى الجدار وعن النوم فممنهم وقع هذا التعذيب (وثالثها) أن الرجل
وان كان عارفا بواقع هذه النعم الا انه يكون حرا يساعى الدنيا محبا للآل واجئا فإذا غابته
المال الكثير والجاه العريض وقع في كفر ان هذه النعم العظيمة ولما كان أكثر الخلق
هالكين في أحد هذه الالودية الثلاثة التي ذكرنا هنا جرم قال تعالى ولكن أكثر الناس
لا يشكرون ونظيره قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقول ابليل ولا تجد أكثرهم
شاكرين ولما بين الله تعالى هناك الدلائل المذكورة وجود الله القادر الرحيم الحكيم قال
ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو قال مساحب الكشاف ذلكم المعلوم المميز
بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار
مترادفة أي هو الجامع لهذه الارصاف من الآلهة والربوبية وخلق كل شيء وأنه لا ثاني
له فأي توفاكون والمراد أي تصرفون ولم تعدلون عن هذه الدلائل وتكذبون بها ثم قال
تعالى كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يحسدون يعني أن كل من حجب آيات الله ولم
يتأملها ولم يكن فيه همم لطلب الحق ونزف العاقبة أمك كما أفكوا فوالله تعالى
(الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من
الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخضنين له
الدين الحمد لله رب العالمين قل اي ذهبت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاني
البنات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين هو الذي خلقكم من تراب ثم نطفة ثم من

أرادته بها وتصوير اسرعة ترتيب المكنونات على تكوينه من غير أن يكون هناك أمر ومأمور والفاء في حلقه
الاولى للدلالة على أن ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والامانة

به سبحانه (لم يزل الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون) تعجيب من أحوالهم الشائعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يقصده من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ما سبق من قوله تعالى أن الذين يجادلون في آيات الله الخ ٣٣٩ هـ بيان لا ابتداء جدهم على معنى فاسد لا يكاد يدخل تحت

الوجود هو الامنية
افارغة فلا تكرر فيه
أى انظر الى هؤلاء
المكابرين المجادلين
في آياته تعالى الواضحة
الموجبة للايمان بها
الزاجرة عن الجدل فيها
كيف يصرفون عنها
مع تعاضد الدواعي الى
الاقبال عليها وانسقاء
الصوارف عنهما
بالكلية وقوله تعالى
(الذين كذبوا بآياتنا) (الذين كذبوا بآياتنا)
أى بكل القرآن أو
بجنس الكتب السماوية
فان تكذيبه تكذيب
لها فى محل الجرح على انه
يدل من الموصول الاول
أوفى حيز النصب أو
الرفع على الذم وانما
وصل الموصول الثانى
بالتكذيب دون المجادلة
لان الاعتقاد وقوع
المجادلة فى بعض المواد
لا فى الكل وصيغة
الماضى للدلالة على
الحق كذا أن صيغة
المضارع فى الصلة
الاولى للدلالة على تجديد
المجادلة وتكررها
(وبما أرسلناه رسلاً)
من سائر الكتب أو

علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم يتلوهوا أشدكم ثم انكولوا شيوعاً ومنكم من يتوفى من قبل
ولتلقوا أجلاً مستمى وأهلكم تعلقون) اعلم اننا بينا أن دلائل وجود الله وقدرته اما
أن تكون من باب دلائل الآفاق أو من باب دلائل الانفس أما دلائل الآفاق فالمراد كل
ما هو غير الانسان من كل هذا العالم وهى أقسام كثيرة والمذكور منها فى هذه الآية
أقسام منها أحوال الليل والنهار وقد سبق ذكره (وثانيها) الارض والسماء وهو المراد
من قوله الله الذى جعل لكم الارض قراراً والسماء بناءً قال ابن عباس فى قوله قراراً أى منزلاً
فى حال الحياة وبعد الموت والسماء بناءً كاتبة المضمومة على الارض وقيل مسك الارض
بلاعد حتى أمكن التصرف عليها والسماء بناءً أى قائماً ثابتاً والافقعت عطيتنا وأما دلائل
الانفس فالمراد منها دلالة أحوال بدن الانسان ودلالة أحوال نفسه على وجود الصانع
القادر الحكيم والمذكور منها فى هذه الآية قسمان (أحدهما) ما هو حاصل ما هو حال
كل حاله والثانى ما كان حاصله فى ابتداء خلقه وتكوينه (أما القسم الاول) فأنواع
كثيرة والمذكور منها فى هذه الآية انواع ثلاثة (أولها) حدوث صورته وهو المراد من
قوله وصوركم (وثانيها) حسن صورته وهو المراد من قوله فاحسن صوركم (وثالثها) انه
رزقه من الطيبات وهو المراد من قوله ورزقكم من الطيبات وقد أطنبنا فى تفسير هذه
الاشياء فى هذا الكتاب مراراً لا سيما فى تفسير قوله تعالى واقدرمنا بنى آدم ولما ذكر
الله تعالى هذه الدلائل الخمسة اثنين من دلائل الآفاق وثلاثة من دلائل الانفس قل
ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين وتفسير تبارك اما الدوام والنبات واما كثرة
الخيرات ثم قال هو الحى لاله الا هو وهذا يفيد الحصر وأن لا يحى الا هو فوجب أن يحمل
ذلك على الحى الذى يتمتع أن يموت امتناعاً ذاتياً وحينئذ لا يحى الا هو فكانه أجرى الشئ
الذى يجوز زواله مجرى المعدوم واعلم ان الحى عبارة عن الدراك الفعال والدراك
اشارة الى العلم النام والفعال اشارة الى القدرة الكاملة ولما نبه على هاتين الصفتين
من صفات الجلال نبه على الصفة الثالثة وهى الواحدية بقوله لاله الا هو ولما وصفت به
الصفات أمر العباد بشيئين (أحدهما) بالدهاء (والثانى) بالاخلاص فيدفع الى فادعوه
مخلصين له الدين ثم قال الحمد لله رب العالمين فيجوز أن يكون المراد قول الحمد لله رب العالمين
ويجوز أن يكون المراد انه لما كان موصوفاً بصفات الجلال والعزة استحق لذاته أن يقال
له الحمد لله رب العالمين ولما بين صفات الجلال والعظمة قل انى ذهبت أن أعبد الذين
تدهون من دون الله فأورد ذلك على المشركين بالبين قول بصرفهم عن عبادة الاوثان
وبين أن وجه النهى فى ذلك ما جاء من البينات ونلك البينات أن اله العالم قد ثبت كونه
موصوفاً بصفات الجلال والعظمة على ما تقدم ذكره وسريح العقل يشهد بأن
العبادة لا تليق الابد وان جعل الاجار الخوثة والخشب المصورة شركاء له فى العبودية
مستنكر فى بدعية العقل ولما بين انه نهى عن عبادة غير الله بين انه أمر بعبادة الله تعالى

بطلب الوحي والشرائع (فسوف يعلمون) كنه ما فعلوا من الجدل والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته (اذا اغلغل
في أعناقهم) ظرف يعلمون اذا المعنى على الاستقبال واغظ الماضي لتيقنه (والسلاسل) عطف على الاغلال والجار
في تارة التأخير وقبل مستداً حذف

خبره لدلالة خبر الأول عليه وقيل قوله تعالى (المسجون) بخلاف السائل أي يسجون بها وهو على الأولين حال من
المسجون في الظرف وقيل استئناف وقع جواباً عن سؤال أنشأ من حكاية حالهم كأنه قيل ماذا يكون حالهم بعد
ذلك فقيل يسجون (في الجحيم) وفري والسلاسل ٣٤٠ يسجون بالنصب وقبح الياء على تقديم
المفعول وعطف

الفعلية على الاسمية
والسلاسل بالجر حلاً
على المتني لأن قوله
تعالى إذا اغتال في
أعتاب فهم في معنى
اعتابهم في الغلال
أو اعتابوا اللبأ ويدل
عليه القراءة به (ثم في
النار يسجون) أي
يسجون من سجون النار
إذا ملأه بالوقود ومنه
المسجون تصديق كأنه
يسجون بالحطب أي ملأ
والمراد بيان أنهم
يعذبون بأنواع العذاب
ويقتلون من باب إلى
باب (ثم قيل لهم أين
ما كنتم تشركون من
دون الله قالوا ضلوا عنا)
أي يقال لهم ويقاؤون
وصيغة الماضي للدلالة
على التحقيق ومعنى
ضلوا عنا غابوا عنا
وذلك قيل أن يقر بهم
آلهتهم أو ضاعوا عنا
فلم نجد ما كنا نتوقع
منهم (بل لم تكن تدعوا
من قبل شيئاً) أي بل
تبين لنا أنكم تكن نعبد
شيئاً بعبادتهم لما ظهر
لنا اليوم أنهم لم يكونوا

فقال وأمرت أن أسلم لرب العالين وإنما ذكر هذه الأحكام في حق نفسه لأنهم كانوا
يتقدمون فيه أنه في غاية العتق وكل الجوعر ومن المعلوم بالضرورة أن كل أحد فانه
لا يريد لنفسه إلا الأفضل الأكمل فإذا ذكر أن صلحته لا تتم إلا بأعراض عن غير الله
والأقبال بالكلية على طاعة الله فظهر به أن هذا الطريق أكمل من كل ما سواه ثم قال هو
الذي خافكم من تراب وأعلم أنا قد ذكرنا أن الدلائل على قسمين دلائل الآفاق والدلائل
أما دلائل الآفاق فكثيرة والمذكور منها في هذه الآية أربعة الميل والنهار والارض
واسماء وأما دلائل الانفس فقد ذكرنا أنها على قسمين (أحدهما) الأحوال الحاضرة
حال كل المخلقة وهي أقسام كثيرة والمذكور ههنا منها ثلاثة أنواع الصورة وحسن
الصورة ورزق الطيبات (وأن القسم الثاني) وهو كيفية تكون هذا البدن من ابتداء
كونه نفسه وجئنا إلى آخر الشخوخة والموت فهو المذكور في هذه الآية فقال هو
الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة فقيل المراد آدم وعندي لا حاجة إليه لأن كل إنسان
فهو مخلوق من المني ومن دم الطمخ والمني مخلوق من الدم فالإنسان مخلوق من
الدم والدم إنما يتولد من الأغذية والأغذية إما حيوانية وإما نباتية والحال في تكون ذلك
الحيوان كالإنسان في تكون الإنسان فالأغذية بأسرها منتهية إلى النباتية والنبات إنما
يكون من التراب والماء فثبت أن كل إنسان فهو متكون من التراب ثم إن ذلك التراب
يصير نطفة ثم علقته ثم بعد كونه علقته مراتب كثيرة إلى أن يصل من بطن الأم قاله تعالى
ترك ذكره ههنا لأجل أنه تعالى ذكرها في سائر الآيات وأعلم أنه تعالى رتب عمر الإنسان
على ثلاث مراتب أولها كونه طفلاً وثانيها أن يبلغ أشده وثالثها الشخوخة وهذا ترتيب
صحيح مطابق للعقل وذلك لأن الإنسان في أول عمره يكون في التزايد والنشوء والنماء وهو
المسمى بالطفولية والمرتبة الثانية أن يبلغ إلى كمال النشوء وإلى أشد السن من غير أن يكون
قد حصل فيه نوع من أنواع الضعف وهذه المرتبة هي الراد من قوله لتبلغوا
أشدكم والمرتبة الثالثة أن يتراجع ويظهر فيه أثر من آثار الضعف والنقص وهذه المرتبة
هي المراد من قوله ثم أنكونوا شيوخاً وإذا عرفت هذا التقسيم عرفت أن مراتب
العمر بحسب هذا التقسيم لا تزيد على هذه الثلاثة قال صاحب الكشف قوله لتبلغوا أشدكم
متعلق بفعل تخذوف تقديره ثم يتيقنكم شبلعوا ثم قال ومنكم من يتوفى من قبل أي من قبل
الشخوخة أو من قبل هذه الأحوال إذا خرج سيطاً ثم قال ولتبلغوا أجالاً مسمى ومعناه
يفعل ذلك لتبلغوا أجالاً مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة ثم قال وأعلمكم تعقلون
ما في هذه الأحوال العجيبة من أنواع العبر وأقسام الدلائل * قوله تعالى (هو الذي يحيى
ويميت فإذا قضى أمراً ما يكون له كنه فيكون) أعلم أنه تعالى لما ذكر انتقال الإنسان
من كونه تراباً إلى كونه نطفة ثم إلى كونه علقته ثم إلى كونه طفلاً ثم إلى بلوغ الأشد ثم إلى
الشخوخة واستدل به ثم التغيرات على وجود ذلك القادر قال بعده هو الذي يحيى ويميت

شيأ يعتقد به كقولك حسبه شيئاً فلم يكن (كذلك) أي مثل ذلك الضلال العظيم (بضل الله الكافرين) حيث (يعني)
لا يهتدون إلى شيء يتفهم في الآخرة أو كاضل عنهم آلهتهم بضلهم عن آلهتهم حتى لو طالبوا لم يتصابهوا
(فلكم) الإضلال (بما كنتم تفرحون في الارض)

أي بطرون وتكبرون (بحر الحق) وهو الشرارة والطغيان (وبما كنتم تفرحون) ثنوسعون في البطرون والاشتر
والالفتات للباغاة في التوبيخ (ادخلوا ابواب جهنم) أي ابواب السبعة المقسومة لكم (خالد بن فيها) مقدرا خلودكم
فيها (فبئس مثوى المتكبرين) أي ٣٤١ من الحق والتعبر عن مدخلهم بالثوى ليكون دخولهم بطريق
الخلود (ها صبر) إلى

أن يلاقوا ما أعد لهم
من العذاب (أن وعد الله)
بتعذيبهم (حق) كأن
لا محالة (فما نرينك)
أن فان ترك وما من يد
تأكيد الشرطية
ولذلك لحقت التوون
الفعل ولا تلحقه معان
وحدوها (بعض الذي

نعدهم) وهو القتل والاسر
(أوتوفيتك) قبل ذلك
(فأينا يرجعون) يوم
القيامة فبحاز يوم بأعمالهم
وهو جواب تتوفيتك

وجواب نرينك محذوف
مثل فذاك ويجوز أن يكون
جوابا لهما بمعنى أن
نعدهم في حياتك أولم
نعدهم فانا نعدهم

في الآخرة أشد العذاب
وأفضله كما ينبغي عنه
الاقصا على ذكر
الرجوع في هذا الموضع
(واقدا أرسلنا ربنا

من قبلك منهم من
قصصنا عليك ومنهم
من لم نقصص عليك)
اذ قبل عدد الانباء
عليهم السلام مائة
وأربعة وعشرون ألفا

والمدكور قصصهم أفراد

يعني كما أن الانتقال من صفة إلى صفة أخرى من الصفات التي تقدم ذكرها يدل على الان
القادر فكذلك الانتقال من الحياة إلى الموت وبالعكس يدل على ان الله قادر وقوله فذا
قضى أمرا فانا يقول له كن فيكون فيه رجوه (الاول) معناه انما نقل هذه الاجسام
من بعض هذه الصفات إلى صفة أخرى لم تعب في ذلك التصرف ولم يتجهج إلى التوارد فغير
عن نفاذ قدرته في الكائنات والمحدثات من غير معارض ولا مدافع بما اذا قال كن
فيكون (الوجه الثاني) لتعبر عن الاحياء والامانة بقوله كن فيكون فكأنه قيل
الانتقال من كونه ترابا إلى كونه نطفة ثم إلى كونه ثلاثة اشقاء تحصل على التدرج
قليلًا قليلًا وأما صيرورة الحياة فهي انما تحصل لتعلق جوهر الرحم النضفة به وذلك
بحدث دفعة واحدة فهذا السبب وقع التعبير عنه بقوله كن فيكون (الوجه الثالث) ان
من الناس من يقول ان تكون الانسان انما يتقدم من المني والدم في الرحم في مدة معينة
وبحسب انتقاله من حالات إلى حالات فكأنه قيل انه يمتنع أن يكون كل انسان عن
انسان آخر لان التسلسل محال ووقوع الحادث في الازل محال فلا بد من الاعتراف
بانسان هو أول الناس فحينئذ يكون حدوث ذلك الانسان لا بواسطة المني والدم بل بإيجاد
الله تعالى ابتداء فغير الله تعالى عن هذا المعنى بقوله كن فيكون * قوله تعالى (ألم ترأى
الذين يجادلون في آيات الله أني يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف
يعلمون اذا اغلغل في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل
لهم أيذا كنتم تشركون من دون الله فاقوا واضلوا غيابل لم تكن تدعوا من قبل شأ كذلك
يضل الله الكافرين فذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفرحون
ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) اعلم انه تعالى عاد إلى ذم الذين
يجادلون في آيات الله فقال ألم ترأى الذين يجادلون في آيات الله أني يصرفون وهذا ذم لهم
على أن جادلوا في انكار آيات الله ودفعها والتكذيب بها فعبج تعالى منهم بقوله أني
يصرفون كما يقول الرجل لمن لا يبين أني يذهب بك تعبجا من غفلة ثم بين أنهم هم الذين
كذبوا بالكتاب أي بالقرآن وبما أرسلنا به رسلنا من سائر الكتب فان قيل سوف
الاستقبال واذا الماضي فقوله فسوف يعلمون اذا اغلغل في أعناقهم مثل قولك سوف
أصوم أمس فاما المراد من قوله اذعو اذا لان الامور المستقبل لما كانت في أخبار الله
تعالى متبينة متطوعا بما عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال هذا اللفظ
صاحب الكشف ثم انه تعالى وصف كيفية عقابهم فقال اذا اغلغل في أعناقهم
والسلاسل يسحبون في الحميم والمعنى أنه يكون في أعناقهم الاغلغل والسلاسل ثم يسحبون
بذلك السلاسل في الحميم أي في الماء المسخن ينارجهن ثم في النار يسجرون والسجور في اللغة
الايقاد في التور ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم ويقرّب منه قوله تعالى نار الله
الموقدة التي تطلع على الافئدة ثم قيل لهم أيذا كنتم تشركون من دون الله فيقولون ضلوا

معدودة وقيل أربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس (وما كان لرسول) أي وما صح وما استقام
لرسول منهم (أن يأتي بآية الا بان الله) فان المعجزات على تشعب فتونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسب اقتضاه

المعاندين المقترحون دخولا
 أوليا (الله الذي جعل
 لكم الانعام) قبل هي
 الايل خاصة أي خائفها
 لاجلكم ومصالحكم
 وقوله تعالى (تركبوا
 منها واكلوا منها) تفصيل لما دل عليه
 الام اجالا ومن لا يبداء
 القاية ومعناها ابتداء
 الركوب والاكل منها
 أي تعلقها بها وقيل
 للتعبض أي التركبوا
 بعضها وتاكلوا بعضها
 لا على أن كلا من الركوب
 والاكل يخص بعض
 معين منها بحيث لا يجوز
 تعلقه بها تعلق به
 الاخر بل على أن كل
 بعض منها صالح لكل
 منهما وتغيرا لنظم
 الكريم في الجنة الشديد
 لمراعاة الغواصل مع
 الاشعار بأصالة الركوب
 (وايكم فيها منافع)
 آخر في الركوب والاكل
 كالبانها وأوبارها
 وجلودها (واشبعوا
 عليها حاجة في صدوركم)
 بحمل أنفالك من بلد
 الى بلد (وعليها وعلى
 انفالك تحملون) اعل

مشتتة المنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايجار بعضهم والاستبداد ببيان المخرج منها (فإذا جاء
 أمر الله) بالعذاب في الدنيا والآخرة (قضى بالحق) بأجاء الحق وأثابته واهلاك المبطل وتعذيبه (وخسر ههناك)
 أي وقت مجي أمر الله اسم مكان استعير زمان (المبطلون) أي الممتكرون (٣٤٢) بالمبطل على الإطلاق فيدخل فيهم
 دنائ أي غايها عن عبودية فلا تراهم ولا تسمع بهم ثم قالوا بل لم نكن ندعو من قبل شي أي
 تبين لنا أنهم لم يكونوا شيأ وما كنا بعد بعبادتهم شيأنا تقول حسبك أن فلانا شي فاذاهو
 ليس بشي إذا جرح به فلم تجد عنده خيرا ويجوز أيضا أن يقال أنهم كذبوا وأنكروا أنهم
 عبيد وأخبر الله كأي خبر الله تعالى عنهم في سورة الانعام أنهم قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ثم
 قال تعالى كذلك يفضل الله الكافرين قال القاضي معناه انه يفضلهم عن طريق الجنة إذ
 لا يجوز أن يقال يشاءهم من الجنة اذ قد هداهم في الدنيا اوقال صاحب الكشاف كذلك
 يفضل الله الكافرين مثل ضلال آلهم عنهم من آياتهم حتى أنهم اوطلبوا والآلهة
 أو ملجئهم الآلهة لم يجد أحدهم الا شرهم قل ذكركم بما كنتم تفرحون في الارض أي
 ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة
 الاصنام ادخلوا أبواب جهنم السبعة المقتومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل
 باب منهم جزء مقسوم فنادين فيها فيفس مؤور المنكرين والمراد منه ما قل في الآية
 المتقدمة في سبعة هو لعمري الجادين أن في صدورهم اذ كبره قوله تعالى (فاصبر ان وعد الله
 حق) فاما نريك بعض الذي تعدهم أو توفيك فإني ناري بكون وتقدرا سلتنا رسلا من قبلك
 منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله
 فإذا جاء أمر الله قضى بالحق (وخسر ههناك المبطلون) اعلم انه تعالى لما تكلم من أول السورة
 الى هذا الموضع في تزييف طرقة المجادلين في آيات الله أمر في هذه الآية رسوله بأن يصبر
 على ايذاءهم وإيحا شهم تلك المجادلات ثم قال ان وعد الله حق وعني به ما وعد به الرسول من
 نصرتة ومن انزال العذاب على أعدائه ثم قال فاما نريك بعض الذي تعدهم يعني أولئك
 الكفار من أنواع العذاب مثل القتل يوم بدر فذلك هو المطلوب أو توفيك قبل انزال
 العذاب عليهم فإني ناري بكونهم مقتدون أو توفيك فإني ناري بكونهم مقتدون ثم قال تعالى
 فإني ناري بكونهم مقتدون أو توفيك فإني ناري بكونهم مقتدون ثم قال تعالى
 وتقدرا سلتنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك والمعنى أنه قال
 لمحمد صلى الله عليه وسلم أنت كالرسول من قبلك وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم تذكر حال الباقين
 وليس فيهم أحد أعطاه الله آيات ومعجزات الا وقد جادله قومه فيها وكذبوه فيها وجرى عليهم
 من الهم ما يقارب ما جرى عليك فصبروا وكانوا ايذا بقتوحون على الانبياء اظهرا المعجزات
 الزائدة على قدر الحاجة على سبيل العناد والتعنت ثم ان الله تعالى لما علم أن الصلاح في
 اظهار ما أظهره والام بظهره ولم يكن ذلك قادحا في نبوتهم فكذلك الحال في اقتراح قومه
 عليك المعجزات الزائدة لما يكن اظهارها صلاحا لاجرم ما أظهرنا هذا هو المراد من قوله
 وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله ثم قال فإذا جاء أمر الله قضى بالحق وهذا وعيد
 ورد عقيب اقتراح الآيات وأمر الله بالقيامه والمبطلون هم المعاندون الذين يجادلون في
 آيات الله ويقترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة على سبيل التعنت قوله تعالى (الله

المراد به جل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين القتل هو الذي
 في الحال لما بينهما من المناسبة اشامة حتى سميت سفائن البر وقيل هي الأزواج الثمانية ففي الركوب والاكل منها تعلقها
 به كل لكن لا على أن كلا منهما يحوز تعلقه كلا منها
 ذلك

ولا على أن كلامهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما يتعلق به الآخر بل على أن بعضها يتعلق به
الأكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالأبل والبقر والمنافع نعم الكل وبلوغ الحاجة عليها نعم البقر
(ويريكم آياته) دلالة السالة على كل قدرته ووفور رحمته (فأي آيات الله) أي فأي آية من تلك الآيات الباهرة
(تذكرون) فإن كلامهما من الظهور ج ٢٤٣ بحث لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل في الجملة وهو

ناصب لأي وإضافة
الآيات إلى الاسم
الجليل بربية المهابية
وتحويل انكارها
وتدكير أي هو الشائع
المستفيض والتأنيث
قليل لأن التفرقة بين
المذكر والمؤنث في الأسماء
غير الصفات نحو حمار
وحمار غريب وهي
في أي غريب لا إلهامه
(أفلم يسيروا) أي أفعدوا
فلم يسيروا (في الأرض
فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم)
من الأمم المكفرة وقوله
تعالى (كانوا أكثرهم
وأشد فسادا) الخ استئناف
مستوفى لبيان مبادئ
أسوأ لهم وعواقبها
(وآثارا في الأرض)
بأفقتهم من الآية
والتمسور والمصانم
وقيل هي آثار أقدامهم
في الأرض لعظم
أجرامهم (فأعقني
عنهم ما كانوا يكسبون)
ما الأولى نافية
أو استفهامية منصوبة
بأعقني والثانية موصولة

الذي جعل لكم الأنام لتركبوا منها أومنها نأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عايدكم الحاجة
في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فأي آيات الله تذكرون) أعلم الله تعالى
لما أنطبقت في تقرير الوعيد عاد إلى ذكر ما يدل على وجود الله الحكيم الرحيم وإلى ذكر
ما يصلح أن يعد انعاما على العباد قال الزجاج الأنام الأبل خاصة وقال القاضى هي
الأنعام الثمانية وفي الآية سوء الفات (السؤال الأول) أعلم أدخل لام الغرض على قوله
لتركبوا وعلى قوله لتبلغوا ولم يدخل على البواقي فالسبب فيه (الجواب) قال صاحب
الكشاف الركوب في الحج والغزو أمان يصحكون وأجبا أو عندوا بافهمذان القسبان
اغراض دينية فلا جرم أدخل عليها حرف التعليل وأما الأكل وإصابة المنافع فمن جنس
الأيامات فلا جرم ما أدخل عليها حرف التعليل أيضا وقوله تعالى والحيوان والجمادات
لتركبوا وزينة فأدخل التعليل على الركوب ولم يدخله على الزينة (السؤال الثاني) قوله
تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون معناه تحملون في البر والبحر إذا عرفت هذا فقول لم لم يقل
وفي الفلك كما قال فتننا حمل فيها من كل زوجين اثنين والجواب أن كلمة على لا تستعمل
فأشئ الذي يوضح في انقلاط كماله صريح أن يقال وضع في موضع أن يقال وضع عليه وما صرح
الوجه كان لفتنة على أولى حتى يتم المراد في قوله وعليها وعلى الفلك تحملون ولما ذكر
الله هذه الدلائل الكثيرة قال ويريكم آياته فأي آيات الله تذكرون يعني أن هذه الآيات
التي عدا دلائلها كلها فلهذا يذكرها فأي آيات الله تذكرون تليها على أنه ليس في شيء من
الدلائل التي قد سمع ذكرها ما يمكن انكاره قال صاحب الكشاف قوله أي آيات الله جاء على
الصفة المستفيضة فقولك فأي آيات الله قبله لأن التفرقة بين المذكور والمؤنث في الأسماء
غير الصفات نحو حمار وحمار غريب وهو في أي غريب لا إلهامه والله أعلم وقوله تعالى
(أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ما كانوا يكسبون) وأشد
فسادا آثارا في الأرض فأعقني عنهم ما كانوا يكسبون فاعلموا أنهم من قبلهم ما كانوا يكسبون
يعتقدهم من العلم وحاق بهم ما كانوا يكسبون فاعلموا أنهم من قبلهم ما كانوا يكسبون فاعلموا
وكررنا في كتابنا شرايين فلم يك يفعهم إيمانهم بل رأوا بأس الله الذي لا يبدل في عهده
وخسرته الكافرون) أعلم الله تعالى وأخى تزيينا لبيان ما في آخر هذه السورة وذلك أنه
ذكر فصلا من الدلائل الإلهية وكذا أشد روعة ورحمة في آياته ثم أورد في آياته من
والوعيد وهذا التعميد الذي وقع عليه ختم هذه السورة هو العمل المستقر على الوعد
والمقصود أن هؤلاء الكفار الذين يبادون بآيات الله وحسن الكبر العظم في صدورهم
بهذا والسبب في ذلك كد طلب الرياسة والتمسك على القبر في النار والجلالة والانتقاد
للحق لأجل طلب هذه الأشياء فتدبر الآخرة الذين يافين تعالى أن هذه السورة فاسدة لأن
الدنيا فانية ذاهبة وأحجج عليه بقوله تعالى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم يعني أوسما في أطراف الأرض أعرفوا أن عاقبة التكبرين
مصدرية من فوعة أي لم يفتن عنهم أو أي شيء أعقني عنهم أو كسبهم (فلم يفتنهم رسالهم بالبنات)
جزات أو بالبنات الواضحة (فأرجوا بما عندكم من العلم) أي ألهما ما أفرح بقدرة الله من العباد الزائفة
شبه الداحضة وتسميتها علم الله بهم أو علم الطبايع

والتعظيم والاضطلاع ومحو ذلك وهو علم الانبياء الذي اظهره رسالهم على ان معنى فرحهم به صحتهم عنه واستهزائهم به
ويؤيده قوله تعالى (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) وقال الفرع ايضا للرسول فانهم لما شاهدوا اتماذي جهلهم وسوء
عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المؤدي الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم
(فلما راوا بأسنا) شدة عقابنا منهم قوله تعالى بعد ان يتسلسل (قابله) ٣٤٤ ﴿﴾ آمنا بالله وحده وكفرا بما كنا به مشركين

يعنون الاصنام (فلما راوا) يشعرون ايمانهم لما راوا
بأسنا) أي عند رؤية
هذابنا لم تنتع قبواه
حينئذ وذلك قبل فلما
يعني لم يصح وان يستهم
والفاء الاولى بيان عاقبة
كثرتهم ومدة قوتهم وما
كانوا يكسبون بذلك زعما
منهم ان ذلك يغني عنهم
فلا يرتب عليه العدم
الاغناء فبهذا المعنى
جري مجرى النتيجة
وان كان عكس الغرض
وتنقض المطلوب
بما في قولك وعظمتهم
يعطف والثانية تفسير
وتفصيل لما فيهم وأجل
من عدم الغنى فيكون
في الكلام مثل هذا الغناء
ومعناها على ان التفسير
بعد ما فيهم والتفصيل
بعد الاجمال والثالثة
لجود العقيب وجعل
ما بعدها تابعا لما قبلها
واقعا عقيبا لان مضمر
قوله تعالى فلما جاءتهم
الغزواتهم كفروا فصار
مجموع الكلام بمنزلة
ان يقال فكفروا ثم لما راوا

المتدريين ليست الانهالك والبقوار مع انهم كانوا أكثر عددا وما لا وجها لها من هؤلاء
المتأخرين فلما لم يستفيضوا من تلك المكتبة العظيمة والدولة القاهرة الا الحبيبة والخسار
والخسارة والبقوار فكيف يكون حال هؤلاء الفقراء المساكين أميانيين انهم كانوا أكثر
هؤلاء عددا فلما يعرف في الاخبار وأما انهم كانوا أشد قوة وأثارا في الارض فلانه قد
بقيت آثارهم بحصون عظيمة بعدهم مثل الاهرام الموجودة بمصر ومثل هذه البلاد
العظيمة التي بناها الملوك المتقدمون ومثل ما حكى الله عنهم من انهم كانوا يفتخون من
الجبال بربوتهم قال تعالى فاعلم انهم كانوا يكسبون ما في قوله فاعلم انهم كانوا يكسبون
أو مضمره معنى الاستغناء عنهم ومما لها النصب وما في قوله ما كانوا يكسبون موصولة
أو مصدرية وتوحيدها بالرفع بمعنى أي شيء أغنى عنهم مكسوبيهم أو كسبهم ثم بين تعالى أن
أولئك الكفار لما جاءتهم رسالهم بالبينات والمعجزات فرحوا بما عندهم من العلم واعلم ان
الضمير في قوله فرحوا يحتمل أن يكون عائدا الى الكفار وأن يكون عائدا الى الرسل اما اذا
قلنا انه عائدا الى الكفار فلذلك العلم الذي فرحوا به أي علم كان وفيه وجوه (الاول) أن
يكون المراد الاشياء التي كانوا يسوقونها بالعلم وهي الشبهات التي حكاه الله عنهم في القرآن
كقوله وما بهنكم الا ادهار وقولهم اوشاء الله ما أشركنا ولا آباءنا وقولهم من يعجبني
وهي رميم وثمن رددت الى ربي لا جدن خير امنها من قبلنا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به
علوم الانبياء كما قال كل حزب بما لديهم فرحون (الثاني) يجوز أن يكون المراد علوم
الفلاسفة عندهم كانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وسبقوا علم الانبياء الى علومهم وعن
سقراط انه سمع يحيى بن يوسف الانبياء فيقول له اوهاجرت اليه فتان من قوم مهديون فلاحاجة
بالى من يهدينا (الثالث) يجوز أن يكون المراد علومهم بأموال الدنيا وسعرتهم بتدبيرها
يؤفل تعالى يقولون فلما هزم من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك ما بهنهم من
العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الآيات وهي معرفة الله تعالى ومعرفة العباد ونظهير النفس
عن الرذائل لم يلبثوا اليها واستهزؤا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع واجد بل لغوا ثمن عندهم
فرحوا به أما اذا قلنا ان الضمير عائدا الى الانبياء ففيه وجهان (الاول) أن يجعل الفرع للرسول
ومعناه ان الرسل لما راوا من قوتهم جهلا كاملا وانراضا عن الحاق وعلو سوء عاقبتهم
وما لحقهم من اعتقوبت على جهلهم واعتراشهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه
وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (الثاني) أن يكون المراد فرحوا بما عندهم الرسل
من العلم فرحوا بخلق الله واستهزاء به كأنه قال استهزؤا بالبينات وباجاؤا به من علم الوحي
فرحوا به ويمن عليه قوت تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ثم قال تعالى فلما راوا بأسنا
قابله آمنا بالله وحده وكفرا بما كنا به مشركين البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى
بعذاب يتيسر قال قيل أي فرق بين قوله فلما يكسبون ايمانهم وبين ما الوكيل فلم ينفعهم
ايمانهم فلنا هو مثل كان في نحو قوله ما كان الله أن يخذل من ولد والمعنى فلم ينجح ولم يستقم

بأسنا آمنوا والاعتناء طفت على آمنوا كأنه قال فأتوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاستياري (سنة الله التي) (ان)
قد خلت في عباده) أي سن الله تعالى ذلك سنة ما شيد في العباد وهو من المصادر المؤكدة (وخسر هاتك الكافرون)
أي وقت رؤيتهم البأس على انه اسم مكان قد استعير لزمان كما سلف آنفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المؤمنون لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

﴿سورة السجدة مكية وأيهما ثلاث أو أربع وخمسون آية﴾ * ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * (جم) ان جعل اسماء
 للسورة فهو اما خبرية تدل على المحذوف وهو الاظهر الامر سره مرارا أو مبدأ خبره (تنزيل) وهو على الاول خبر بعد خبر
 وخبرية تدل على المحذوف ان جعل مسره داعلي لخطا التعدي ووقته تعالى (من الرحمن الرحيم) متعلق به مؤكدا لمسا فاده
 الثنوين من التمام الذاتية بالتمام الإضافية (٣٤٥) أو خبر آخر أو تنزيل مبتدأ لخصصه بالصفة خبره (كتاب)

وهو على الوجه الاول
 يدل منه أو خبر آخر
 أو خبر لمحذوف ونسبة
 التنزيل الى الرحمن
 الرحيم للايدان بأنه
 مدار المصالح الدينية
 والسيوية واقع بمقتضى
 الرحمة الربانية حسبما
 ينشئ منه قوله تعالى
 وما أرسلناك الا رحمة
 للعالمين (فصلت آياته)

ميزت بحسب النظم
 والمعنى وجعلت تفاصيل
 في أساليب مختلفة ومعان
 متغابرة من أحكام
 وقصص ومواضع
 وأمثال ووعد ووعد
 وفري فصلا أى فرقت
 بين الحق والباطل
 أو فصل بعضها من
 بعض باختلاف الأساليب
 والمعاني من قولك
 فصل من البلد فصولا
 (قرأنا عربيا) نصب
 على المدح أو الحالية من
 كتاب لخصصه
 بالصفة أو من آياته
 (تقوم يعلمون) أى معانية
 لكونه على أسانهم وقبل
 لاهل العلم والنظر لانهم

ان ينفعهم ايمانهم فان قيل اذكروا ضابطا في الوقت الذي لا يقع الايمان بالايمان فيه قلنا
 انه الوقت الذي يعاين فيه نزول ملائكة الرحمة والعذاب لان في ذلك الوقت يصير المرء ملجأ
 الى الايمان فذلك الايمان لا ينفع انما ينفع مع القدرة على خلافه حتى يكون المرء مخسارا
 أما اذا طينوا علامات الآخرة فلا يتم قال تعالى سنة الله التي قد خلت في عباده والمعنى ان
 عدم قبول الايمان حال البأس سنة الله مطردة في كل الأمم ثم قال وخسر هؤلاء الكافرون
 فقوله هنالك مستعار للزمان أى وخسر ووقت رؤية البأس والله الهادي للصواب * ثم
 تفسير هذه السورة يوم السبت الثاني من ذى الحجة من سنة ثلاث وستمائة من الهجرة في
 بلدة هراة * يامن لا يبالغ أدنى ما سئلت به من جلالك وعزتك أقصى نعوت الثائنين يامن
 تقاصر عن الاحاطة بعبادى اسرار كبريائه أفهام المنكرين وأنظار المتأملين لا تجمنا
 بفضلك ورحمتك في زمرة الخاسرين المبتلين ولا تجمنا يوم القامة من الخسر ومن فاك
 أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين وصلوات الله على سيدنا محمد النبي
 وآله وصحبه أجمعين

﴿سورة فصلات السجدة خمسون وأربع آيات مكية﴾
 (بسم الله الرحمن الرحيم)

(جم) تنزيل من الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشرنا ونذيرا
 فأعرض عنهم فهم لا يسمعون وقالوا لعلنا نأتي أمة ما تدعوننا اليه في الدنيا فمروا من
 بيننا وبينك حجاب فعملنا ما كنا نأمرهم منكم يوحي إلينا إلهكم الله واحد
 فاستمعوا له واستغفروا له وويل للمفسرين الذين لا يؤمنون بآياته وهم لا يشعرون هم
 كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون اعلم ان في أول هذه السورة
 احتمالات (أحدها) وهو انه رأى أن يقال جم اسم السورة وهو في موضع المبتدأ وتنزيل
 خبره (وثانيها) قال الاخفش تنزيل رفيع بالابتداء وكتاب خبره (وثالثها) قبل ان يجاء بـ تنزيل
 رفيع بالابتداء وخبره كتاب فصلت آياته مجزئ ان قوله تنزيل لخصص به تدوير قوله من
 الرحمن الرحيم فيجاءه قوله مبتدأ * واعلم انه تعالى حكى على السورة المسماة بحم أشباه
 (أوامها) كونها تنزلا والراد المنزل والمبر عن المفعول المصدر مجاز شهير يقال هذا
 بشيء الامرأى حيلة وهذا الدرهم ضرب من الساعات أى مضمر به والراد من كونها تنزلا لان
 الله تعالى كتبها في الموح المحفوظ وأمر جبريل عليه السلام بأن يحفظ تلك الكلمات ثم
 ينزل بها على محمد صلى الله عليه وسلم ويأمر بها فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة
 نزول جبريل عليه السلام سمى تلك التنزيل (وثانيها) كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم
 وذلك يدل على كون التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لان افعال القرون بالصفة لا بد
 وأن يكون مناسباً لتلك الصفة فكونه تعالى رحمانا رحيمافئتان دالان على كمال

المتفنون به واللام ﴿٤٤﴾ سا متعلقة بمحذوف هو صفة أخرى قرأنا أى كأننا نقوم الخ أو بتنزيل على أن من
 الرحمن الرحيم ليست بصفة له أو بصفات (بشرا ونذيرا) صفتان آخرتان لأننا أى بشرا لاهل الساعة ونذيرا لاهل المعصية
 أو حالان من كتاب أو من آياته وقرأنا بقرم على الوصفية لكتاب أو الخبرية لمحذوف (فأعرض أكرمهم) عن تدبرهم مع
 كونه على أكتهم (فهم لا يسمعون) سماع تفكير وتأمل حتى يفهموا حلالة قدره فمروا به (وقالوا) أى رسول الله

صلى الله عليه وسلم عند ظهوره اياهم الى الايمان والعمل بما في القرآن (قلو بنا في الكفة) أي اعطيتهم متكافئة (مما تدعو اليه
وفي آياتنا وقر) أي صم وأصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح القاف (ومن يشأ أو يترك حجاب) غليظ يمنع عن
التواصل ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة
فراغ أصلا وهذه تميلات انبوبة لو بهم عن ادراك ٣٤٦ في الحق وقبوله وبعج أساعده له كأنها صمعا وامتناع

مواصلتهم وموافقتهم
للسلوة عليه الصلاة
والسلام (فاعل) أي
على دينك وقيل في إبطال
أمرنا (انما علمنا) أي
على ديننا وقيل إبطال
أمرنا والاول هو الاظهر
فان قوله تعالى (قل انما
أنا بشر مثلكم يوحى الي
أنا المهكم اله واحد)
تدوين للجواب عند أي
است من جنس مغاير
لكم حتى يكون يوحى
وبدكم حجاب وتبيان
مستحق لتبيان الاعمال
والاديان كما ينبغي عند
قولكم فاعمل انما علمنا
بل انما أنا بشر مثلكم
مأمور بما أمرتم به
حيث أخبرنا جميعا
بأنو حيد بخطاب جهام
بين وبينكم فان الخطاب
في الهكم يحكي متظلم
لاكل لانه خطاب منه
عليه الصلاة والسلام
لا كفره كافي مثلكم وقيل
المعنى لست ملاكا
ولا جنيا لا يمكنكم التاني
منه ولا أدعوكم الى
ماتنوع عنه القول
والاسماع وانما أدعوكم
الى التوحيد والاستقامة

الرحمة فالتنزيل المتضاف الى هاتين الصفتين لا بد وأن يكون دالا على أعظم وجوه النعمة
والامر في نفسه كذلك لان الخلق في هذا العالم كالمرضى والزمي والاحتاجين والقرآن
مشتمل على كل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية وعلى كل ما يحتاج اليه الاصحاء من الاغذية
فكان أعظم النعم عند الله تعالى على أهل هذا العالم انزال القرآن عليهم (وثالثها) كونه
كاملا قد يتأثر هذا الاسم مشتق من الجمع وانما سمي كتابا لانه جمع فيه علوم الاولين
والآخرين (ورابعها) قوله فصحات آياته والمراد انه فرقت آياته وجعلت تفاصيل في معان
مختلفة فبعضها في وصف ذات الله تعالى وشرح صفات التنزيه والتقديس وشرح كمال
علمه وقدرته ورحمته وحكمته وبجانب أحوال خلقه السموات والارض والكواكب
وتعاقب الليل والنهار وبجانب أحوال الناس والحيوان والانس وبعضها في أحوال
التكاليف المتوجهة نحو القلوب ونحو الجوارح وبعضها في الوعد والوعيد والثواب
والعقاب ودرجات أهل الجنة ودرجات أهل النار وبعضها في المواعظ والتواصي وبعضها
في تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها في قصص الاولين وتواريخ الماضين وبالجملة
فن انصف علم أنه ليس في يد الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة والمباحث المتباينة
مثل ما في القرآن (وخامسها) قوله قرآننا والوجه في تسميته قرآنا قد سبق وقوله تعالى قرآننا
نصب على الاختصاص والمدح أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرآننا من صفته كيت
وكيت وقيل هو نصب على الحال (وسادسها) قوله عزنا والمعنى ان هذا القرآن انما نزل
بلغت العرب وانما كنهها بقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومهم (وسابعها) قوله
تعالى لقوم اعلمون والمعنى أنا نزلناه عزنا لاجل اننا نزلناه على قوم عرب فمعناه باقت
العرب اي في حواشي المراد فان قيل قوله لقوم اعلمون متعلق بما اذا قلنا يجوز ان يتعلق بقوله
تنزيل أو بقوله فصلت أي تنزيل من الله لا جلهم أو فصحات آياته لا تجدهم والاجود أن
يكون بسفحة مثل ما قبله وما بعده أي قرآننا عزنا بيا كاشنا قوم عرب لئلا يفرق بين الصلوات
والصفحات (وثامسها) قوله بشيرا ونذيرا يعني بشيرا للخطيئين بأشواب ونذيرا
للمجرمين بالعقاب والحق ان قرآننا بشار ونذارة الا انه أطلق اسم الفاعل عليه للنبية
على كونه كاملا في هذه السفحة كما يقال شعر شاعرو كلام قائل (الصفة العاشرة) كونهم
معرضين عند لاسمعون ولا يلتفتون اليه فهذه هي الصفات العشرة التي وصف الله القرآن
بها ويترفع عاينها مسائل (المسئلة الاولى) القائلون بخلق القرآن احتجوا بهذه الآية من
وجوه (الاول) انه وصف القرآن بكونه تنزيلا ولا يمتزلا ولا منزلا والتنزيل مشعر بالتصيير من
حال الى حال فوجب أن يكون مخلوقا (الثاني) ان التنزيل مصدر والمصدر هو المفعول
المضائق باتفاق النحويين (الثالث) المراد بالكتاب اما الكتاب وهو المصدر الذي هو المفعول
المطلق أو المصنوب الذي هو المفعول (الرابع) ان قوله فصلت يدل على ان متصرفا
يتصرف فيه بالتفصيل والتمييز وذلك لا يليق بتقديم (الخامس) انه انما سمي قرآنا لانه قرن

في العمل وقد تبدل عليه ما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى اني لست بملاك وانما أنا بشر مثلكم بعض
وقد أوحى الى دونكم فبحث بالوحى الى وأنا بشر يوتى واذا أصبحت نبوتى ووجب عاينكم اتبعي فتأمل والقضاء في قوله
تعالى (فاستمعوا اليه) اقرب ما بعدها على ما قبلها من اجزاء الوحدة فان ذلك موجب لاستماعهم اليه تعالى
بالتوحيد والاخلاص في الاعمال (واستغفروه)

فما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ) ترهيب وتغفير لهم عن الشرك الرترغبهم في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى (الذين لا يؤمنون الزكاة) زيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جعل من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل (وهم بالآخرة هم كافرين) وهو عطف على يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافها بالقدسية والاسمية ٣٤٧ لما ان عدم ايمانها بتجدد الكفر أمر مستمر ونقل عن ابن عباس

رسمي الله عنهما أنه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكاة الانفس والنفوس لا يظهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى وتفسر وما سواها وقال الضعيفك ومقاتل لا يتفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يؤنون اعمالهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون) أي لا يمن به عليهم من المن وأصله التثني أو لا يقطع من مننت الحبل قطعه وقيل نزلت في المرضى والهري اذا تجوزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كما صح ما كانوا يعملونه (قل انكمسركم للكافرون) انكاره تشنيع لكفرهم وان واللام اما التأكيد لانكار وتقديم التهمة لاقتضاها الصدارة لانكار التأكيد واما الاشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء

بعض اجزائه بالبعض وذلك يدل على كونه مفعول فاعل ومفعول جاعل (السادس) وصفه بكونه عربيا وانما سمحت هذه النسبة لاجل ان هذه الالفاظ انما دخلت على هذه المعاني بحسب وضع العرب واصطلاحاتهم وما جعل لجعل جاعل وفعل فاعل فلا يدوان يكون محدثا ونحوها (والجواب) ان كل هذه الوجوه التي ذكرتها هاهنا الى اللغات والى الحروف والكلمات وهي عندنا محدثة بخلافه انما الذي تدعى قدمه شيء آخر سوى هذه الالفاظ والله اعلم (المسئلة الثانية) ذهب أكثر المتكلمين الى انه يجب على المكلف تنزيل ألفاظ القرآن على المعاني التي هي موضوعات الالفاظ بحسب اللغة العربية فاما جعلها على معاني أخرى لا بهذا الطريق فهذه باطل فاعلموا ذلك مثل الوجوه التي ذكرها أهل الباطن مثل انهم تارة يحسمون الحروف على حساب الجمل وتارة يحسمون بحسب كل حرف على شيء آخر وللصوفية طرق كثيرة في هذا الباب واسمونها علم المكاشفة والذي يدل على فساد ذلك الوجوه بأشهرها قوله تعالى قرآننا عربيا وانما سمعنا عربيا بالكونه دالا على هذه المعاني المخصوصة بوضع العرب وباصطلاحاتهم وذلك يدل على ان دلالة هذه الالفاظ لم تحصل الا على تلك المعاني المخصوصة وان ما سواه فهو باطل (المسئلة الثالثة) ذهب قوم الى انه حصل في القرآن من سائر اللغات كقوله استبق وسجيل فانهما فارسيان وقوله مشكاة فانها من لغة الحبشة وقوله قدس بناس فانها من لغة الروم والذي يدل على فساد هذا المذهب قوله قرآننا عربيا وقوله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه (المسئلة الرابعة) قالت المعتزلة لفظ الايمان والكفر والصلاة والزكاة والصوم والحج الالفاظ شرعية لا لغوية والمعنى ان الشرع نقل هذه الالفاظ عن معانيها اللغوية الاصليّة الى معاني أخرى وعندنا ان هذا باطل وليس الشرع تصرف في هذه الالفاظ عن معانيها الا من وجه واحد وهو انه خصص هذه الالفاظ بنوع واحد من أنواع معانيها مثل الايمان بعبارة عن التصديق فخصصه الشرع بنوع معين من التصديق والصلاة بعبارة عن الدعاء فخصصه الشرع بنوع معين من الدعاء وكذا القول في البواقي ودليلنا على صحة مذهبننا قوله تعالى قرآننا عربيا وقوله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه (المسئلة الخامسة) انما وصف الله القرآن بكونه عربيا في مقام معرض المدح والتعظيم وهذا المطلوب لا يتم الا اذا ثبت ان لغة العرب أفضل اللغات واعلم ان هذا المقصود انما يتم اذا ضبطنا أقسام فضائل اللغات بضابط معلوم ثم بينا ان تلك الاقسام حاصلة فيد لا في غيره فنقول لاشك أن الكلام مركب من الكلمات المفردة وهي مركبة من الحروف فالكلمة لها مادة وهي الحروف وانما صورة وهي تلك الهيئة المعينة الحاصلة عند التركيب فهذه التفضيلة انما تحصل اما بحسب مادتها أو بحسب صورتها أما التي بحسب مادتها فهي آحاد الحروف واعلم ان الحروف على قسمين بعضها بيينة الخارج ظاهرة المقاطع وبعضها خفية المخارج مشبهة المقاطع وحروف العرب بأسرها ظاهرة المخارج بيينة المقاطع لا يشبه شيء من بالآخر وأما الحروف المستعملة

وقوعه فيحتاج الى التأكيد وانما علق كفرهم بالوصول حيث قيل (باندى خلق الارض في يومين) تشعيم شأنه تعالى واستغنام كفرهم به أي بالعظيم الشأن الذي قدر وجودها أي حكم بأنها ستوجد في مقدار يومين أو في ذنوبين على أن ما يوجد في كل نوبة يوجد بأسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نيرانها وترتيب حركاتها (وتجعلون له أندادا) عطف على تكفرون داخل في حكم

الانكار والتوبيخ وجمع الابدان باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد أي وتحملون له أئسادا أو الخلال أنه لا يمكن أن يكون له تدواحد (ذلك) إشارة الى الموصول باعتبار أن صافه بما في جبر الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشارية للابدان بعدة من تلك في العطفة وافراد الكاف لما مر مرارا من أن المراد ليس تعيين الخطابين وهو مبتدأ خبره ما بعده أي فذلك العظم شأن الذي قيل ما ذكر (رب العالمين) ﴿٣٤٨﴾ أي خالق جميع الموجودات ومربيها دون

الأرض خاصة فكيف يتصور أن يكون أحسن مخلوقاته تشابه وقوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي) عطف على سابق داخل في حكم الصلة والجملة أي في حديث لزوم الفصل بين ما يحملين من جرتين عن جبر الصلة مدفوع بأن الأولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الإعادة له والثانية استثنائية مقرر لمضمون الكلام بمنزلة تأكيد فافصل بهما كلا فصل دلي أن فيه فائدة التنبيد على أن مجرد المضاف تليسه كاف في تحقق ربوبية العالمين واستحسان أن يجعل له تدفك كيف إذا انضم اليه المضافات وقيل هو عطف على متدرج أي خافها وجعل الخ وقيل هو كلام مستأنف وأياما كان المراد تقدير الجمل لا الجمل بالله وقوله تعالى (من فوقها) متعلق بجعل أو بمضمون هو صفة لراسي

في سائر أفعالها ليست كذلك بل قد يحصل فيها حروف يشبه بعضها بالباقي بعض وذلك يخل كمثل ألفها حقة في سائر الحركات المستعملة في سائر لغة العرب حركات طامة جلية وهي النسب والبر وكل واحد من هذه الثلاثة فانه يتساوى في شيه امتياز ظاهر اجليا وأما التثنية والروم فقل خصوصاً في فاعل العرب وذلك أيضاً من جنس ما يوجب الفصاحة وأما الحركات الخاصة بحسب الالف في نوع (أحدها) ان الحروف على قسمين متمايزة أخرى مستندة المخرج وأيضاً الحروف على قسمين منها صليقة ومنها رخوة فيحصل من هذا التقسيم أقسام أربعة صليقة متقاربة والرخوة المتقاربة والصليقة المتمايزة والرخوة المتمايزة فإذا اتوا في الكلمة سرقان صليقان متقاربان صوب اللفظ إما عن بسبب تقارب المخرج إما عن بسبب التقارب في الجوارح كما كان الإنسان متيداً في شئ وبسبب ثلاثة تلك الحروف تتوارد في الشاقة اقوية على الموضع الواحد من المخرج وتوالي الأعمال الشاقة يوجب الضعف والاسياء ومثل هذا التركيب في اللغة العربية قليل (وثانيها) ان جنس بعض الحروف ألد وأطيب في السمع وكل كلمة يحصل فيها حرف من هذا الجنس كان سماعه أطيب (وثالثها) أن وزن فتقول الكلمة اما ان تكون ثنائية أو ثلاثية أو رباعية وأعدادها هو الثلاثي لأن الصوت المتساوي بسبب الحركة والحركة لأبداها من مبدأ وسط ومنتهى فبذلك ثلاث مراتب فالكلمة لا بد وأن يحصل فيها هذه المراتب الثلاث حتى تكون ثمانية اما ثنائية فهي ناقصة وأما الرباعية فهي زائدة والغالب في كلام العرب الثلاثيات فثبت بما ذكرنا ضبط فضائل اللغات والاستعانة يدل على أن لغة العرب موصوفة بها وأما سائر اللغات فليست كذلك والله أعلم (المسئلة السادسة) قوله تعالى يعلمون يعني انما جعلناه عربيا لأجل أن يعلموا المراد من ذلك القائلون بأن أفعال الله معاذ بالمصالح والحكم تسكوا بهذه الآية وقاوا انها تدل على انه انما جعله عربيا لهذه الحكمة فهذا يدل على أن تعليل أفعال الله تعالى واحكامه جائز (المسئلة السابعة) قال قوم القرآن كله غير معلوم بل فيه ما يعلم وفيه ما لا يعلم وقال المتكلمون لا يجوز أن يحصل فيه شيء غير معلوم والدليل عليه قوله تعالى قرآن غير بيان قوم يعلمون يعني انما جعلناه عربيا ليصير معلوماً والتول به غير معلوم بقدر فيه (المسئلة الثامنة) قوله تعالى فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون يدل على ان الهادي من هدام الله وان الضال من أضله الله وتقريره ان الصفات التسعة المذكورة لقرآن توجب قوة الاهتمام بعرفته وبالوقوف على معانيه لا نأينا ان كونه نازلا من عند الله الرحمن الرحيم يدل على اشتغاله على أفضل النافع واجل المضال وكونه قرآن غير بيان في غاية الكشف والبيان وكونه بشيرا ونذيرا يدل على ان الاحتياج الى فهم ما فيه من أهم المهمات لان سعي الانسان في معرفة ما يوصله الى اثواب أو الى العقاب من أهم المهمات وقد حصلت هذه الموجبات الثلاثة في تأكيد الرغب في فهم القرآن وفي شدة الميل الى الاطاعة به ثم مع ذلك

أي كائنه من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعة لاهلها أو يظهر للاظهار ما فيها من مراد ﴿فقد﴾ الاعتبار ومطارح الأفكار (وبارك فيها) أي قدر أن يكتر خيرها بان يخلق أنواع الحيوانات التي من جلتها الانسان وأصناف النبات التي منها ما يشبههم (وقدر فيها اقواتها) أي حكم بالفضل بان يوجد في ما سأل لاهلها من الأنواع المختلفة اقواتها المناسبة لهم على مقدار معين تقتضيه الحكمة

وقرى وقسم فيها اقواتها (في اربعة ايام) متعلق بمحصول الامور المذكورة لا بقدرها أي قدر حصولها في يومين
وانما قيل في اربعة ايام أي ثمة اربعة قصير نحو بالفضل لك (سواء) مصدر مؤكد كقصر هو صفة لا يام أي استوت
سواء أي استواء كإني عنه القراءة بالجرو وقيل هو ميل من الضمير في اقواتها أو في فيها ويرى بالرفع أي هي سواء
(للسائلين) متعلق بمحذوف تقديره هذا (٣٤٩) الحصر السائلين عن مدة خلق الارض وما فيها أو بقدر
فقد أعرضوا عنه ولم يلقوا اليه ويندوه رائد فهورهم بذلك يدل على انه لا يشهدى الامن
هداه الله ولاضال ادمن أضله الله اعلم انه تعالى لما وصف القرآن بأنهم أعرضوا عنه
ولا يستدونه بين انهم صرحوا بيهة الشرة والبابسة وذو والذلة والفساد (السعداء) وهم
قالوا قلوبنا في أكنة مما ننسأ اليه ذكركم نجعل كمالنا على ما سمع خطا عوا والكنان هو الذي
يجعل في السهام (والاشياء) فلو لم يوفى آذاننا وقراى صمم وتقبل عنهم من سماع صوتك
(والاشياء) فلو لم يوفى آذاننا وقراى صمم وتقبل عنهم من سماع صوتك
من في قوله ومن يثبت الله اوفى له يثبت له دينك كما كان لعين لا يجاب احد من المسلمين
اما بزيادة لفظ من كان المؤمن ان حجاب الدنيا منا وانما تلك الدنيا فاعلم ان الله
و دينك مستوية في الحجاب وما بقى حرمه من افرط على هذا الحجاب فكانت سدة نفوسه فانما
على قوة هذا الحجاب هكذا ذكر صاحب الكشف وحوش غايه الحسن واعلم انه انما رفع
الاقتصار على هذه الاعضاء الثلاثة وذلك لان القلب محل المعرفة وساطان البدن والسمع
والبصر هما الاكثان المعينتان لتحصيل المعارف فلما بين ان هذات الثلاثة شجوبة كان ذلك
أقصى ما يمكن في هذا الباب واعلم انه اذا نأى كدت النشرة عن الشيء صارت تلك النشرة في
القلب فاذا سمع منه كلاما لم يشبه معناه كإني واذا راى ما لم يصر تلك الرؤية سببا للوقوف
على دقائق احوال ذلك المرئي وذلك لان المدرك والساعر هو النفس وشدة نفرة النفس عن
الشيء تمنعها من التدبر والوقوف على دقائق ذلك الشيء فاذا كان الامر كذلك كل قولهم
قلوبنا في أكنة مما ننسأ اليه وفي آذاننا وقرو من بيننا وبينك حجاب استمارات كالملة
في افادة المعنى المراد فان قيل انه تعالى حكى هذا المعنى عن الكفار في معرض الذم وذكر
أيضا ما يقرب منه في معرض الذم فقال وقالوا قلوبنا غفلت بل انهم الله بكفرهم ثم انه تعالى
ذكر هذه الاشياء الثلاثة بعينها في معرض الثمر بروايات في سورة الانعام فقال وجعلنا
على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا فكيف الجمع يشبه ما قلنا انه لم يقل ههنا انهم
كذبوا في ذلك انما الذي ذمهم عليه انهم قالوا انما اذا كنا كذلك لم يجوز تكليفنا وتوجيه
الامر والذهي علينا وهذا الثاني باطل اما الاول فلانه ليس في الآية ما يدل على انهم كذبوا
فيه واعلم انهم لما وصفوا أنفسهم بهذه الصفات الثلاثة قالوا فاعمل انتاعاملون والمراد
فاعمل على دينك انتا عاملون على ديننا ويجوز أن يكون المراد فاعمل في ابطال امرنا انتا
عاملون في ابطال امرك والحاصل عندنا ان القوم ما كذبوا في قولهم قلوبنا في أكنة مما
تدعونا اليه وفي آذاننا وفر ومن بيننا وبينك حجاب بل انما اتوا بالكفر والكلام الباطل
في قواهم فاعمل انتاعاملون ولما حكى الله عنهم هذه الشبهة أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن
يجيب عن هذه الشبهة بقوله قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى و بيان هذا الجواب كانه
يقول اني لا أقدر على ان احللكم على الايمان جبرا وقهرا فاني بشر مثلكم ولا امتياز بيني
و بينكم الا مجرد ان الله عز وجل أوحى الى وما أوحى اليكم فانا نأبى هذا الوحي اليكم ثم

فقال لها وللارنس التي قدر وجودها ووجود مافيهما (الدنيا) اى كونا واحدا على وجود معين وفي وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعاقب ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان يكون هناك امر ومأمور كافي قوله تعالى كن وقوله تعالى (طوعا أو كرها) تشييل لتتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستهانة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال أى طائعتين أو كارهتين

وقوله تعالى (قالنا آتينا طائفتين) أي متفاضلتين تمثيل لكمال تأثيرهما بالذات عن القدرة الربانية وخصو لهما كما أمرنا به ونصو ير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة الباطنة فان الطوع مبنى عن ذلك والكراهة موهم لخلافه وانما قبل ففاضلتين باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى (فتناهن سيم سموات) تفصيلا لتكوين السماء هو ٢٥٠ كمال العمل المعبر عنه بالامر وجوابه لانه فعل

مترتب على تكوينها أي خالقهن خلقا بادعيا وأنفن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير اما السماء على المعنى أو مبهم وسبع سموات حال على الأول تميز على الثاني (في يومين) في وقت مقدري يومين وقديين مقدار زمان خالق الارض وخالق ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق النمل في ستة أيام حسبما نس عليه في واقع من التزليل (وأوحى في كل سماء أمرها) عطف على قضاها أي خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والنبات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة والسدي فالوحى عبارة عن التكوين كالامر مقيد بما فيه المعطوف عليه من الوقت أو أوحى إلى أهل كل منها أو أمره وكافهم ما يليق بهم من التكليف فهو بمقامه ومطلق عن القيد المذكور وأيا ما كان فعلى

بعد ذلك ان نعرفكم الله بالتمجيد والتوفيق قبل تنويع وان خذلنكم بالحرمان رددتموه وذلك لا يتعلق بغيره وربما لم يبين أن خلاصة ذلك انوحى ترجع إلى أمرين العلم والعمل أما العلم فالرأس والرئيس فله معرفة التوحيد وذلك لان الحق هو أن الله واحد وهو المراد من قوله تعالى انما الله واحد وإذا كان الحق في نفس الامر ذلك وجب علينا أن نعرف به وهو المراد من قوله فاستقيموا ايديكم وقطعوا ايديكم فلهذا الصراط المستقيم وقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقوله تعالى ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وفي قوله تعالى فاستقيموا ايدي وجهان (الاول) فاستقيموا متوجهين اليه (الثاني) أن يكون قوله فاستقيموا ايديهم فاستقيموا له لان حروف الجر يقام به ضمها معتمدا البعض واعلم أن التكليف له ركنان (أحدهما) الاعتقاد والرأس والرئيس فيه اعتقاد التوحيد فلما أمر بذلك انتقل إلى وظيفة العمل والرأس والرئيس فيه الاستغفار فلهذا السبب قال واستغفروه فان قيل المقصود من الاستغفار والتوبة ازالة ما لا ينبغي وذلك مقدم على فعل ما ينبغي فم عكس هذا الترتيب ههنا وقدم فعل ما ينبغي على ازالة ما لا ينبغي فلهذا ليس المراد من هذا الاستغفار الاستغفار عن الذنوب بل المراد منه أن يعمل ثم يستغفر بعده لاجل الخوف من وقوع التصديق في العمل الذي أتى به كما قال صلى الله عليه وسلم وانه ليعان على قلبه وان لا يستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة ولما رغب الله تعالى في الخير وانطاعة أمر بالتحذير عما لا ينبغي فقال وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون وفي هذه الآية مسائل (المسئلة الاولى) وبعد النظم في هذه الآية من وجوه (الاول) أن القول والشرائع باطلة بأن خلاصة السعادات عربونية بأمرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وذلك لان الموجودات اما الخالق واما الخلق فاما الخالق فكمال السعادة في المعاملة معه أن يقر بكونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة ثم يأتي بافعال دالة على كونه في نهاية العظمة في اعتقادنا وهذا هو المراد من التعظيم لامر الله واما الخلق فكمال السعادة في المعاملة معهم أن يسعى في دفع الشر عنهم وفي ايصال الخير اليهم وذلك هو المراد من الشفقة على خلق الله فثبت ان أعظم الطاعات التعظيم لامر الله وأفضل أبواب التعظيم لامر الله الاقرار بكونه واحدا وإذا كان التوحيد أعلى المراتب وأشرفها كان ضده وهو الشرك أخس المراتب وأرذلها ولما كان أفضل أنواع المعاملة مع الخلق هو اظهار الشفقة عليهم كان الامتناع من الزكاة أخس الاعمال لانه ضد الشفقة على خلق الله اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى أثبت اويل لمن كان موصوفا بصفات ثلاثة (أولها) أن يكون مشركا وهو ضد التوحيد واليه الاشارة بقوله وويل للمشركين (وثانيها) كونه متمتعاً من الزكاة وهو ضد الشفقة على خلق الله واليه الاشارة بقوله الذين لا يؤتون الزكاة (وثالثها) كونه منكرا للقيامة مستغرقا في طلب الدنيا وانها واليه الاشارة بقوله وهم بالآخرة هم كافرون وتتمام الكلام في انه لازمة على هذه المراتب

ما قرر من التفصيل لادلالة في الآية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء هو الثلاثة ثم انما الترتيب بين التقدير والايجاد وأما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة علم ما فيها الظاهرة فهي وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سيم سموات تدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطلاق أكثر

اهل التفسير وقد روي أن العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم ان الله تعالى أحدث في الماء اضطرابا فاز بد فارتفع منه دخان فاما الزبد فخلق في وجده الماء فخلق فيه البيوضة فجعله أرضا واحدة ثم فقهها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي أنه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ﴿ ٣٥١ ﴾ وخلق السموات وما فيها من يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه قوله تعالى والارض بهن ذلك دحاها ولما

روى عن الحسن رحمه الله من أنه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة القهر عليه دحان ملتقى بهما ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك النهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وليس المراد بفتحهما مع السماء في سلك الامر بالاتيان انشاءها واحدا ثم اهل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كأنه قيل اني ابلغ ما ينبغي أن تأتيا عابدان يا أرض مدحوة قرارا ومها دالاهات

الثلاثة أن الانسان له ثلاثة أيام الامس واليوم والغدا ما معرفة انه كيف كانت أحوال الامس في الازل فهو بمعرفة الله تعالى الازل الخالق لهذا العالم وأما معرفة كيف يلقي وفوق الاحوال في اليوم الحاضر فهو بالاخسان الى أهل العالم بقدر الطاقة وأما معرفة الاحوال في اليوم المستقبل فهو الاقرار بالبعث واغنياسة واذ كان الانسان على ضد الحق في هذه التراتب الثلاثة كان في نهاية الجاهل والضللال فلهذا حكم الله عابدها وويل فقال وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون وهذا ترتيب في غاية الحسن والله أعلم (الوجه الثاني) في تقرير كيفية النظم أن يقال المراد بقوله لا يؤتون الزكاة أي لا يزكون أنفسهم من أوث الشرك بقولهم لا اله الا الله وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها (الثالث) قيل الفراء ان قر يشاكت تمنع الحاج فحرموا ذلك على من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم (المسئلة الثانية) احتج أصحابنا في اثبات أن الكفار مخاطبون بفروع الاسلام بهذه الآية فقالوا والله تعالى ألحق الوعيد الشديد على أمرين (أحدهما) كونه مشركا (والثاني) انه لا يؤتي الزكاة فوجب أن يكون أكل واحد من هذين الأمرين تأثير في حصول ذلك الوعيد وذلك يدل على أن عدم ايتاء الزكاة من المشرك تأثيرا عظيما في زيادة الوعيد وذلك هو المطلوب (المسئلة الثالثة) احتج بعضهم على أن الامتناع من ايتاء الزكاة يوجب الكفر فقال انه تعالى لما ذكر هذه الصفة ذكر دحاها ما يوجب الكفر وهو قوله وويل للمشركين وذكر أيضا بعدها ما يوجب الكفر وهو قوله وهم بالآخرة هم كافرون فلو لم يكن عدم ايتاء الزكاة كفرا لكان ذكره فيما بين الصفتين الموجبتين للكفر فيها لأن الكلام انما يكون فيسبها اذا كانت المتابعة مرتبة بين اجزائه ثم اكدوا ذلك بأن أنكر اصدريق رضي الله عنه حكم بكفر مانعي الزكاة والجواب لما ثبت بالدليل ان الايات عبارة عن التمهيد في الاقرار بالاسان وهما حاصلات عند عدم ايتاء الزكاة فلم يلزم حصول الكفر بسبب عدم ايتاء الزكاة والله أعلم ثم انه تعالى لما ذكر وعيد انكار اورد بوعيد المؤمنين فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون أي غير مقطوع من قولك منعت الحبل أي قطعت ومنه قوائم قدعند السفر أي قطع وقيل لا يمن عليهم لانه تعالى لما سمع ايجرا فاذا الاجر لا يوجب المنة وقيل نزلت في المرضى والزمنى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم اجر كما حسن ما كانوا يعملون وقوله تعالى (قل انكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتعلمون له الداد ذلك رب العالمين) وجعل فيها راسي من فوقها وبارك فيها وقدر لها اقواتها في اربعة ايام سماء للساكنين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض انذا طوعا أم كرها فانما اتينا طاعتين ففشاها في سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء امرها وزيينا السماء الدنيا بصايب وحفظا ذلك تقديرا للذين آمنوا وعلما لهم ان الله على كل شيء قدير واليه الآية الأولى ان يقول انما أسر مشرككم يوحى الى أنما انهم اله واحد فاستمعوا اليه

واثنى باسماء مقببة سقاها لهم ومن الايات الحصول على ذلك الوجه كما في عند قراءة آياتها من المواتاة وهي الموافقة وانت حير بان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد دخان جرم الارض حتى يتأتى ما ذكر بل خلق ما فيها أيضا من الامور المتأخرة عن دحوها قطعا فالأظهر أن بسلك مسلك الاولين ويجعل الامر بالاتيان على تكويتها متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته ان يكون دحوها مترتبا على

ذلك التكوين وإنما اللازم ترتيب حصول التوافق عليه ولا ريب في أن تكون السماء على الوجه الأول وما كافي في حصوله ولا يقدح في ذلك تكوين الأرض على الوجه المذكور قبل ذلك وأن يجعل الأرض في قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها منصوبا بـعصر قد حنفى على شرطية التفسير ويجعل ذلك إشارة إلى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها إلى أنفسها وتحمل البعدية أماما على أنه قاسر ٣٥٢ هـ عن الأول في الدلالة على القدرة القاهرة كالأقل

وأما على أنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع المتوسطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك الظاهر وإحاطتهم بفائدتها أكثر وليس ما روي عن الحسن رضي الله عنه نصافي تأخر دحو الأرض عن خلق السماء فإن بسط الأرض معطوف على اصعاد السخان وخلق السماء بالاول فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدي عن مقاتل أن خلق السماء مقدم على ايجاد الأرض فضلا عن دحوها فلا بد من حل الأمر باليتينهما حينئذ أيضا على ما ذكر من التوافق والموتاة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الأرض كالم يقدح فيه تقدم خلق الأرض على خلق السماء هذا كما على تقدير كون كلام التراخي الزماني وأما على تقدير كونها للتراخي الزمني

واستغفر وأردف بما يدل على أنه لا يجوز إثبات الشراكة بينه تعالى وبين هذه الاصنام في الالهية والعبودية وذلك بأن بين كل قدرته وحكمته في خلق السموات والأرض في مدة قليلة فمن هذا صفت كيف يجوز جعل الاصنام الخسيسة شركاء له في الالهية والعبودية فهذا تقرير انظم وفي الآية مسائل (المسألة الأولى) قرأ ابن كثير أينكم لتكفرون بـمرة ويا بعدد خفيفة ساكنة بلامد وأما نافع في رواية قانون وأبو عمرو فعلى هذه الصورة الألف جايدان والياقون يهملان بلامد (المسألة الثانية) قوله تعالى أنكم أنفهام بمعنى الإنكار وقد ذكر عنهم شئين منكرين (أحدهما) الكفر بالله وهو قوله الكفرون بالذي خلق الأرض في يومين (وثانيهما) إثبات الشركاء والانداد ويوجب أن يكون أنكفرا المذكور أولا فلا غيرا لآليات الانداد لضرمة أن عطف أحدهما على الآخر يوجب التغير والاختلاف أن المراد من كفرهم وجوب (الأول) قواهم أن الله تعالى لا يقدر على حشر الموتى فلما نازعوا في ثبوت هذه القدرة فقد كفروا بالله (والثاني) أنهم كانوا ينازعون في صحة التكليف وفي بعثة الأنبياء وكل ذلك قدح في الصفات المعبرة في الالهية وهو كفر بالله (والثالث) أنهم كانوا يضيفون إليه الأولاد وذلك أيضا قدح في الالهية وهو يوجب الكفر بالله فالخلاص أنهم كفروا بالله لأجل قواهم بهذه الأشياء وأثبتوا الانداد أيضا لأجل قولهم بالهية تلك الاصنام واحتج تعالى على قساد قواهم بأن أثبت فقال كيف يجوز الكفر بالله وكيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة أندادا لله تعالى مع أنه تعالى هو الذي خلق الأرض في يومين وتم بقية مصالحها في يومين آخرين وخلق السموات بأسرها في يومين آخرين فمن قدر على خلق هذه الأشياء المنسية كيف يعزل الكفر به ونكار قدرته على الحشر والنشر وكيف يعزل النكار فسرته على المكليات وعلى بعثة الأنبياء كيف يعزل جعل هذه الاصنام الخسيسة أندادا لله تعالى والالهية خارجة عن الاستدلال بشئ على اثبات شئ فذلك شئ المستدل به يجب أن يكون مسلما عند الخصم حتى يصح الاستدلال به وكونه تعالى حائضا للأرض في يومين آخرين لا يمكن اثباته بالعقل المحض بل لا يمكن اثباته بالسمع وبشيء الأنبياء والكنار كما وانما زعمين في الوحي والنبوة فلا يعقل تقرير هذه المسألة عليهم وإذا امتنع تقرير هذه التهمة عليهم استبح الاستدلال بها على فساد مذاهبهم فثبت أن كون السموات والأرض بخلافه بطريق العقل يمكن فإذا ثبت ذلك أمكن الاستدلال به على وجود الله القادر القاهر العظيم وحجته يقال للكافرين فكيف يعقل التسوية بين لاله الموصوف بهذه القدرة الظاهرة وبين الصنم الذي هو جساد لا يضر ولا ينفع في العبودية والالهية بقي أن يقال فحينئذ لا يسبق في الاستدلال بكونه تعالى خافيا للأرض في يومين أثر فقول هذا أيضا له أثر في هذا الباب وذلك لأن أول التوراة مشتمل على هذا المعنى فكان ذلك في غاية الشهرة بين أهل الكتاب وكفار مكة كانوا يعتقدون في أهل الكتاب أنهم أصحاب العلوم والحقائق

كأجمع إليه الأكثرين فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كافي الوجه الأول وعلى ذلك بني الكلام والظاهر في تفسير قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا الآية وأنما يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كالحمل عليه ههنا أتوفية مقام الامتان حقه (وز بنا السماء الدنيا بمصابيح) من الكواكب قالها ترى منة على كائنها فيها والالغيات إلى أنون العظمة لابرار مز يد العتابة بالأمر وقوله تعالى (وحفظا) مصدر مؤن كد لعل معطوف

والظاهر أنهم كانوا قد سمعوا من أهل الكتاب هذه المعاني واعتقدوا في كونها حجة وإذا كان الأمر كذلك فحينئذ يحسن أن يقال لهم إن الإله الموصوف بالقدر على خلق هذه الأشياء العظيمة في هذه المدة الصغيرة كيف يليق بالعقل جعل الخشب المجور والجر المنحوت شرب يكاله في العبودية والالهية فظهر بما قررنا أن هذا الاستدلال قوى حسن وأما قوله تعالى ذلك رب العالمين أي ذلك الموجود الذي علمت من صفته وقدرته أنه خلق الأرض في يومين هو رب العالمين وخاتمهم ومبدعهم فكيف أثبتتم له انداداً من الخشب والجر ثم إنه تعالى لما أخبر عن كونه خاتماً للأرض في يومين أخبر أنه أتى بثلاثة أنواع من الصنع العجيب والفعل البديع بعد ذلك (فالأول) قوله وجعل فيها رواسي من فوقها والمراد منها الجبال وقد تقدم تفسير كونها رواسي في سورة النحل فإن قيل ما الفائدة في قوله من فوقها ولم يقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله تعالى وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الأرض رواسي قلنا لأنه تعالى أوجع فيها رواسي من تحتها لا وهم ذلك إن تلك الاساطين التيانية هي التي أمسكت هذه الأرض الثقيلة عن النزول وليكن ذلك تعالى قال خلقت هذه الجبال الثقيل فوق الأرض ليرى الإنسان بعينه أن الأرض والجبال أثقال على أثقال وكأها مفتقرة إلى مسك وحافظ وما ذلك المافظ المنذر إلا الله سبحانه وتعالى (والنوع الثاني) مما أخبر الله تعالى في هذه الآية قوله واركض فيها والبركة كثرة الخير والخيرات المأصلة من الأرض أكثر مما يحيط به النسخ والبيان وقد ذكرناها بالاستقصاء في سورة البقرة قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد شق الأنهار وخلق الجبال وخلق الأشجار والثمار وخلق أصناف الحيوانات وكل ما يحتاج إليه من الخيرات (والنوع الثالث) قوله تعالى وقدر فيها أوقاتها وفيه أقوال (الأول) أن المعنى وقدر فيها أوقات أهلها وأوقاتهم وما يصححهم قال شمر بن كعب قديماً أوقات الأبدان قبا أن يخلق الأبدان (والقول الثاني) قال مجاهد وقدر فيها أوقاتها من المطر وعلى هذا القول فالأوقات الأرض للسكان والمعنى إن الله تعالى قد قدر لكل أرض حقلها من المطر (والقول الثاني) أن المراد من إضافة الأوقات إلى الأرض كونها متولدة من تلك الأرض وحادثة فيها لأن الخوارج قالوا يكفي في حسن الإضافة أدنى سبب فالشي قد يضاف إلى فاعله تارة وإلى محله أخرى ففسوله وقدر أوقاتها أي قدر الأوقات التي يختص حدوثها بها وذلك لأنه تعالى جعل كل بلدة معدة لنوع آخر من الأشياء المطلوبة حتى إن أهل هذه البلدة يحتاجون إلى الأشياء المتولدة في تلك البلدة وبالعكس فصار هذه المعنى سبباً لرغبة الناس في التجارات من اكتساب الأموال ورأيت من كان يقول صنعة الزراعة والحراثة أكثر الحرف والصنائع بركة لأن الله تعالى وضع الأرزاق والأوقات في الأرض قال وقدر فيها أوقاتها وإذا كانت الأوقات موضوعة في الأرض كان طلبها من الأرض متعيناً ولما ذكر الله سبحانه هذه الأنواع الثلاثة من التدبير قال

على زينب آلى وحفظناها
من الآفات أو من المسرفة
حفظنا وقبل مقول له
على المعنى كأنه قيل
وخلقنا المصائب زينة
وحفظنا (ذلك) الذي
ذكر بتفاصيله (تقدير
العزيز العليم) المبالغ
في القدرة والعلم (فإن
أعرضوا) متصل بقوله
تعالى قل أنكم الخ أي
فإن أعرضوا عن التدبير
فيما ذكر من عطائهم
الأمور الداعية إلى الإيمان
أو عن الإيمان بدهذا
البيان (فقل) أهم
(أذركم) أي أذركم
وصيغة الماضي لدلالة
على تحقق الانتذار المتحقق
عن تحقق المنذرين
(صاعقة) أي عذاباً
هائلاً شديداً وقع كأنه
صاعقة (مثل صاعقة
عاد وحمود) وقرئ صعقة
مثل صعقة عاد وحمود
وهي المرة من الصعق
أو الصعق يقال صعقته
الصاعقة صعفاً فصعق
صعفاً

بعده في أربعة أيام سواء السائلين وههنا سؤال الثالث (السؤال الاول) انه تعالى ذكر انه خلق الارض في يومين وذكر انه اصلى هذه الانواع الثلاثة في أربعة أيام آخر وذكر انه خلق السموات في يومين فيكون المجموع ثمانية أيام ولكنه ذكر في سائر الآيات انه خلق السموات والارض في ستة أيام فليزم التناقض واعلم ان العلماء اجابوا عنه بأن قالوا المراد من قوله وقدر فيها اقواتها في اربعة أيام مع اليومين الاولين وهذا كقول القائل سرت من البصرة الى بغداد في عشرة أيام وسرت الى الكوفة في خمسة عشر يوماً يريد كلا المسافئين ويقول الرجل لرجل اعطيتك ألفاً في شهر وأوفاني شهرين فيدخل الألف في الأوف والشهر في الشهرين (السؤال الثاني) انه لما ذكر انه خلق الارض في يومين فلو ذكر انه خلق هذه الانواع الثلاثة الباقية في يومين آخر من كان أبعد عن الشبهة وأبعد عن الغلط فلم ترك هذا التسريح وذكر ذلك الكلام المجمل والجواب أن قوله في أربعة أيام سواء السائلين فيه فائدة زائدة على ما اذا قال خلقت هذه الثلاثة في يومين وذلك لانه لو قال خلقت هذه الاشياء في يومين لم يزد هذا الكلام كون هذين اليومين مستغرقين بذلك الاعمال لانه قد يقال عملت هذا العمل في يومين مع أن اليومين ما كانا مستغرقين بذلك العمل اعملاً لما ذكر خلق الارض وخلق هذه الاشياء ثم قال بعده في اربعة أيام سواء السائلين دل ذلك على أن هذه الايام الاربعة صارت مستغرقة في تلك الاعمال من غير زيادة ولا نقصان (السؤال الثالث) فكيف القراءات في قوله سرأ والجواب قال صاحب الكشاف قري سواء بالخر كات الثلاثة الجر على الوصف والنصب على المصدر استوت سواء أي استواء الرفع على هي سواء (السؤال الرابع) ما المراد من كون تلك الايام الاربعة سواء فنقول ان الايام قد تكون متساوية المتناذير كالايام الموجودة في أما كن خط استواء وقد تكون مختلفة كالايام الموجودة في سائر الاماكن فبين تعالى ان تلك الايام اربعة كانت متساوية غير مختلفة (السؤال الخامس) عرعلق قوله للسائلين الجواب فيه وجهان (الاول) ان الزجاج قال قوله في اربعة ايام أي في تمدد اربعة ايام اذا عرفت هذا فتقدير وقدر فيها اقواتها في تمدد اربعة ايام لاجل السائلين أي المطالبين للاقوات المحتاجين اليها (والثاني) انه متعلق بمعدوف والتقدير كانه قبل هذا الحصر والبيان لاجل من سأل في كم خلقت الارض وما فيها ولما شرح الله تعالى كيفية تخليق الارض وما فيها أتبعه بكيفية تخليق السموات فقال ثم استوى الى السماء وهي دخان وفيه مباحث (البحث الاول) قوله تعالى ثم استوى الى السماء من قواهم استوى الى مكان كنا اذا توجه اليه توجهها لا يلتفت معه الى عمل آخر وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونظيره قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيوا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء به دخلت الارض وما فيها من غير صارف يصرفه من ذلك (البحث الثاني) ذكر صاحب الآثار انه كان عرش الله على الماء قبل خلق

وهو من باب فعلته ففعل
(اذ جاءتهم الرسل) حال
من صاعقة عاد ولا سداد
بجمله ظرفاً لا نذر تكلم
أوصفة لصاعقة لفساد
المعنى وأما جملة صفة
لصاعقة عاد أي الكائنة
اذ جاءتهم ففعل حذف
الموصول مع بعض صلته
(من بين أيديهم ومن
خلفهم) متعلق بجاءتهم
أي من جميع جنواتهم
واجتهدوا بهم من كل
جهة أو من جهة الزمان
الماضي والآنذار مما جرى
فيه على الكفار ومن
جهة المستقبل بالتحذير
عما سيحق بهم من عذاب
الدنيا وعذاب الآخرة
وقيل المعنى جاءتهم الرسل
المتقدمون والمتأخرون
على تنزيل مجي كلامهم
ودعوتهم الى الحق
منزلة مجي أنفسهم
فان هودا صالحا كانا
داعين لهم الى الايمان
بما وبجاءهم الرسل عن

السموات والارض فأحدث الله في ذلك الماء سخونة فارتفع زبد ودخان أمان بدفنى على وجه الماء فخلق الله منه السبوسة وأحدث منه الارض وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات واعلم ان هذه النصة غير موجودة في القرآن فان دل عليه دليل صحيح قبل والا فلا وهذه القصة مذكورة في أول الكتاب الذي يزعم اليهود انه التوراة وفيه انه تعالى خلق السماء من اجزاء مظلمة وهذا هو المأخوذ لانه قد دللنا في المعقولات على ان الظلمة ليست كيفية وجودية بدليل انه لو جلس انسان في ضوء السراج وانسان آخر في الظلمة فان الذي جلس في الضوء لا يرى مكان الجالس في الظلمة ويرى ذلك الهواء مظلماً وأما الذي جلس في الظلمة فانه يرى ذلك الذي كان جالسا في الضوء ويرى ذلك الهواء مضيئاً واو كانت الظلمة صفة قائمة بالهواء لما اختلفت الاحوال بحسب اختلاف احوال الناظرين ان الظلمة تدبارة من عدم انوار فانه سبحانه وتعالى لما خلق الاجزاء التي لا تتجرا فقبل ان خلق فيها كيفية الضوء كانت مظلمة عديدة انوار ثم لما ركبها وجعلها سموات وكواكب وشمساً وقراً وأحدث صفة الضوء فيها فجاءت صارت مستنيرة فثبت ان تلك الاجزاء حين قصد الله تعالى ان يخلق منها السموات والشمس والقمر كانت مظلمة فصيح تسميتها بالدخان لانه لا معنى للدخان الا اجزاء متفرقة غير متواصلة عديدة انوار فهذا ما خطر بالبال في تفسير الدخان والله اعلم بحقيقة الدخان (البحث الثالث) قوله ثم استوى الى السماء وهي دخان مشعر بأن تخلق السماء حصل بعد تخلق الارض وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها مشعر بأن تخلق الارض حصل بعد تخلق السماء وذلك بموجب التناقض واختلاف العلماء في هذه المسئلة والجواب المشهور أن يقال انه تعالى خلق الارض في يومين أولاً ثم خلق بعدها السماء ثم بعد خلق السماء دحا الارض وبهذا الطريق يزول التناقض واعلم ان هذا الجواب مشكل عندى من وجوه (الاول) انه تعالى بين أنه خلق الارض في يومين ثم انه في اليوم الثالث جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها وهذه الاحوال لا يمكن ادخالها في الوجود الا بعد أن صارت الارض مدحوة لان خلق الجبال فيها لا يمكن الا بعد ان صارت الارض مدحوة منبسطة وقوله تعالى وبارك فيها مفسر بخلق الاشجار والنبات والحيوان فيها وذلك لا يمكن الا بعد صيرورتها منبسطة ثم انه تعالى قال بعد ذلك ثم استوى الى السماء فهذا يشئى انه تعالى خلق السماء بعد خلق الارض وبعد أن جعلها مدحوة وحينئذ يعود السؤال المذكور (الثاني) انه قد دللنا الدلائل الهندسية على أن الارض كرة فهي في أول حدودها ان قلنا بانها كانت كرة والآن بقيت كرة أيضاً فهي منذ خلقت كانت مدحوة وان قلنا انها غير كرة ثم جعلت كرة فيلزم أن يقال انها كانت مدحوة قبل ذلك ثم أزيل عنها هذه الصفة وذلك باطل (الثالث) ان الارض جسم في غاية العنلم والجسم الذى يكون كذلك فانه من أول دخوله في الوجود يكون مدحوا فيكون القول بانها ما كانت مدحوة ثم صارت مدحوة قول

جاء من بين أيديهم أو من قباهم ومن يحيى من خلفهم أى من بعدهم فكان الرسل قد جاءواهم وخطبواهم يقول تعالى (ان اعبدوا الله) أى بأعبدوا على أن أرمصد ربة أو أى تعبدوا على أنهم مقسرة (قالوا لو شربنا) أى ارسال الرسل لانزال الملائكة كما قبل فانه عار عن افاد ما ارادوه من نفي رسال البشر وقد مر في سالف (لانزال ملائكة أى لارسالهم لكن كان ارسالهم بطريق الانزال قبل لانزال) بما ارسلتم به (أى بزعمتكم وفيه ضمير تهكم بهم) كافرور لما انكم بشر مثلنا غير فضل لكم عدا روى أن ابا جهل في ملا من قريش التيس عابنا أمر فاولا التسم لنا رجلا بالشعر والكهانة

والسحر فكلهم ثم أنا
 ييسان من أمر فقال
 عتبة بن ربيعة والله
 لقد سمعت الشجر
 والكهانة والسحر
 وعلمت من ذلك علما وما
 يخفى على فأنه فقال
 أنت يا محمد خير أم هاشم
 أنت خير أم عبد المطلب
 أنت خير أم عبد الله
 فبهم نشتم آلهم
 وتضلنا فان كنت تريد
 الرئاسة عمدا تلك الآراء
 فكنت رئيسا وانك
 لك الباءة زوجناك
 عشرين سنة فختارهن
 أمى بنات قريش ثلث
 وان كان بك المال
 جمعنا لك ما تستغنى
 ورسول الله صلى الله
 عليه وسلم ساكت فلما فرغ
 عتبة قال عليه
 الصلاة والسلام
 بسم الله الرحمن الرحيم
 حم الى قوله تعالى مثل
 صاعقة عاد ومود
 فاسك عتبة على فيه
 عليه الصلاة والسلام
 وناشده بالرحم ورجع
 الى أهله ولم يخرج الى
 قريش فلما

باطل والذي جاء في كتب التواريخ ان الارض خلقت في موضع الصخرة بيت المقدس
 فهو كلام مشكل لانه ان كان المراد أنها على عظمها خلقت في ذلك الموضع فهذا قول
 يتداخل الاجسام الكثيفة وهو محال وان كان المراد منه انه خلق أولا أجزاء صغيرة
 في ذلك الموضع ثم خلق بقية أجزاءها وأضيفت الى تلك الاجزاء التي خلقت أولا فهذا
 يكون اعترافا بأن تخليق الارض وقع متأخرا عن تخليق السماء (الرابع) انه لما حصل
 تخليق ذات الارض في يومين وتخليق سائر الاشياء الموجودة في الارض في يومين آخرين
 وتخليق السموات في يومين آخرين كان مجموع ذلك ستة أيام فاذا حصل دحو الارض
 من بعد ذلك فقد حصل هذا الدحو في زمان آخر بعد الايام الستة فحينئذ يقع تخليق
 السموات والارض في أكثر من ستة أيام وذلك باطل (الخامس) انه لا نزاع ان قوله تعالى
 بعد هذه الآية ثم استوى الى السماء فقال لها والارض اثني طوعا وكرها كتابية عن ايجاد
 السماء والارض فلو تقدم ايجاد السماء على ايجاد الارض لكان قوله اثني طوعا وكرها
 يقتضي ايجاد الموجوداته محال باطل فهذا تمام البحث عن هذا الجواب المشهور ونقل
 الواحدى في البسيط عن مقاتل انه قال خلق الله السموات قبل الارض وتأويل قوله ثم
 استوى الى السماء ثم كان قد استوى الى السماء وهى دخان وقال لها قبل أن يخلق
 الارض فأضمر فيه كان كما قال تعالى قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل معناه ان يكن
 سرق وقال تعالى وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا والمعنى فكان قد جاءها هذا ما نقله
 الواحدى وهو عندى ضعيف لان تقدير الكلام ثم كان قد استوى الى السماء وهذا جم
 بين الضدين لان كلمة ثم تقتضى التأخير وكلمة كان تقتضى التقديم والجمع بينهما يفيد
 التناقض وذلك دليل على انه لا يمكن اجراؤه على ظاهره وقد بينا ان قوله اثني طوعا وكرها
 انما حصل قبل وجودهما واذا كان الامر كذلك امتنع حل قوله اثني على الامر
 والتكليف فوجب حله على ما ذكرناه بلى على لفظ الآية سوالات (السؤال الاول)
 ما الفائدة في قوله تعالى فقال لها والارض اثني طوعا وكرها (الجواب) المقصود منه اظهار
 كمال القدرة والتقدير اثني شئنا ذلك أو أيتما كما يقول الجبار لمن تحت يده انفعنا هذا
 شئت أو لم نشأ وتفعله طوعا أو كرها وانصاهما على الحال بمعنى طائعين أو مكرهين فقالنا
 اثني على الطوع لاعلى الكره وقيل انه تعالى ذكر السماء والارض ثم ذكر الطوع والكره
 فوجب أن ينصرف الطوع الى السماء والكره الى الارض وتخصيص السماء بالطوع
 لوجوه (أحدها) أن السماء في دوام حر كنهها على نهج واحد لا يختلف تشبه حيوانا مطبعا
 لله تعالى بخلاف الارض فانها مختلفة الاحوال نارة تكون في السكون وأخرى
 في الحركات المضطربة (وثانيها) ان الموجود في السماء ليس الا الطاعة قال تعالى يخافون
 ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وأما أهل الارض فليس الامر في حقهم كذلك
 (وثالثها) السماء موصوفة بكمال الحال في جميع الامور قالوا انها أفضل الالوان وهى

المستترة وأشكالها أفضل الاشكال وهي المستديرة ومكانها أفضل الامكنة وهو الجو
 العالى واجرامها أفضل الاجرام وهي الكواكب الثلاثة بخلاف الارض فانها مكان
 الظلمة والكثافة واختلاف الاحوال وتغير الدورات والصفات فلا جرم وقع التعبير عن
 تكون السماء بالطوع وعن تكون الارض بالكراهة واذا كان مدار خلق الارض على
 الكراهة كان أهلها موصوفين أبدا بما يوجب الكراهة والكرب والقهر والتسمر (السؤال
 الثانى) ما المراد من قوله انثيا ومن قوله انثيا الجواب المراد انثيا الى الوجود والحصول
 وهو كقوله كن فيكون وقيل المعنى انثيا على ما ينبغي ان ثانيا عليه من الشكل والوصف
 أى بأرض مدحوة قرارا ومهادا أى بسما مقيمة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول
 والوقوع على وفق المراد كما تقول أتى غلته مرضيا وجاء مقبولا ويجوز أيضا أن
 يكون المعنى لثانى كل واحدة منكما صاحبتهما الاتيان الذى تفرضه الحكمة والتدبير
 من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض (السؤال الثالث) هلا قيل
 طائعين على اللفظ أو طائعات على المعنى لانهما سموات وأرضون (الجواب) لما جعلا
 تخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكراهة قيل طائعين فى موضع طائعات نحو قوله
 ساجدين ومنهم من استدلل به على ككون السموات أحياء وقال الارض فى جوف
 السموات أقل من الدرة الصغيرة فى جوف الجبل الكبير فلهذا السبب صارت اللفظة
 الدالة على العقل والحياة غالبة الآن هذا القول باطل لاجماع المتكلمين على فساد ثم قال
 تعالى ففضاء من سبع سموات فى يومين وقضاء الشئ انما هو اتمامه والفرغ منه والضمير فى
 قوله ففضاء من يجوز أن يرجع الى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه أعجاز تخلق خاوية
 ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصيبين ان أحدهما
 على الحال والثانى على التمييز * ذكر أهل الاثر انه تعالى خلق الارض فى يوم الاحد
 والاثنيين وخلق سائر ما فى الارض فى يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها فى يوم
 الخميس والجمعة وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهى الساعة التى تقوم
 فيها القيامة فان قيل اليوم عبارة عن النهار والليل وذلك انما يحصل بسبب طوع الشمس
 وغروبها وقبل حدوث السموات والشمس والقمر كيف يعقل حصول اليوم قلنا انما
 انه مضى من المدة ما لو حصل هنالك فلك وشمس لكان المقدار مقدرا يوم ثم قال تعالى
 وأوحى فى كل سماء أمرها قال مقاتل أمر فى كل سماء بما أراد وقال قتادة خلق فيها
 شمسها وقرها ونجومها وقال السدى خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من
 البحار وجبال البرد قال ولله فى كل سماء بيت يحج اليه ويطوف به الملائكة كل واحد
 منها مقابل الكعبة ولو وقعت منذ حصة ما وقعت الاعلى الكعبة والا قرب أن يقال قد
 ثبت فى علم النحو أنه يكفى فى حسن الاضافة أدنى سبب ولله تعالى على أهل كل سماء
 تكليف خاص فمن الملائكة من هو فى القيام من أول خلق العالم الى قيام القيامة ومنهم

احتبس عنهم قالوا
 ما ترى عتبة الا قد صبا
 فأنطلقوا اليه وقالوا
 يا عتبة ما حبسك عنا
 الا انك قد صبت
 فغضب ثم قال والله
 لقد كلفه فاجابني بشئ
 والله ما هو بشعر ولا
 كهانة ولا سحر ولا باغ
 صاعقة عاد وثمود
 أمسكت بفيه ونأشده
 بالرحم أن يكف وقد علمتم
 أن محمدا اذا قال شيئا
 لم يكذب فحفت ان ينزل
 بكم العذاب (فأما عاد
 فاستكبروا فى الارض)
 شروع فى حكاية
 ما يخص بكل واحدة
 من انطائنين من الجنابة
 والعذاب اثر حكاية
 ما يعم الكل من الكفر
 المطلق أى فعضوا
 فيها على أهلها
 أو استعملوا فيها واستولوا
 على أهلها (بغير الحق) أى
 بغير استحقاق للتعظيم
 والولاية (وقالوا) مداين
 بشدتهم وقوتهم (من
 أشد مناقرة) حيث
 كانوا ذى أجسام

ركوع لا ينتصبون ومنهم سجدوا لا يرفعون وإذا كان ذلك الأمر مختصاً بأهل ذلك السماء كان ذلك الأمر مختصاً بتلك السماء وقوله تعالى وأوحى في كل سماء أمراً أي وكان قد خص كل سماء بالأمر المضاف إليه كقوله وكلم من قرية أهلكتنا هاهنا فاجاءها بأسنا والمعنى فكان قد جاءها ههنا ما نقله الواحدى وهو عندى ضعيف لأن تقدير الكلام ثم كان قد استوى إلى السماء وكان قد أوحى وهذا جمع بين الضدين لأن كلمة ثم تقتضى التأخير وكلمة كان تقتضى التقديم فالجمع بينهما يفيد التناقض ونظيره قول القائل ضربت اليوم زيداً ثم ضربت غمراً بالأمس فكما أن هذا باطل فكذا ما ذكرته وإنما يجوز تأويل كلام الله بما لا يؤدى إلى وقوع التناقض والركاكة فيه والمختار عندى أن يقال خلق السموات مقدم على خلق الأرض بقى أن يقال كيف تأويل هذه الآية فنقول الخلق ليس عبارة عن التكوين والابحاد والدليل عليه قوله تعالى أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فلو كان الخلق عبارة عن الابحاد والتكوين لكان تقدير الآية أوجده من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال لأنه يلزم أنه تعالى قد قال لأشئ الذى وجد كن ثم أنه يكون وهذا محال فثبت أن الخلق ليس عبارة عن التكوين والابحاد بل هو عبارة عن التقدير والتقدير فى حق الله تعالى هو حكمه بأنه سيوجد وقضاؤه بذلك وإذا ثبت هذا فنقول قوله خلق الأرض فى يومين معناه أنه قضى بحدوثه فى يومين وقضاء الله بأنه سيحدث كذا فى مدة كذا لا يقتضى حدوث ذلك الشئ فى الحال وقضاء الله تعالى بحدوث الأرض فى يومين قد تقدم على أحداث السماء ولا يلزم منه تقدم أحداث الأرض على أحداث السماء وحيث يزول السؤال فهذا ما وصلت إليه فى هذا الموضع المشكل ثم قال تعالى فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين وأعلم أن ظاهر هذا الكلام يقتضى أن الله تعالى أمر السماء والأرض بالاتباع طائعا وامثالاً وعند هذا حصل فى هذه الآية قولان (الاول) أن تجرى هذه الآية على ظاهرها فنقول أن الله تعالى أمرهما بالاتباع طائعا قال القائلون بهذا القول وهذا غير مستبعد ألا ترى أنه تعالى أمر الجبال أن تنطق مع داود عليه السلام فقال يا جبال أوبى معى والطير والله تعالى تجلّى للجبل قال فلما تجلّى ربه للجبل والله تعالى أنطق الإيدى والأرجل قال يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وإذا كان كذلك فكيف يستبعد أن يخلق الله فى ذات السماء والأرض حياة وعقلاً وفهماً ثم يوجه الأمر والتكليف عليهما ويتأكد هذا الاختلال بوجوه (الاول) أن الأصل حمل اللفظ على ظاهره إلا إذا منعه من مانع وهمنا لمانع فوجب اجراؤه على ظاهره (الثانى) أنه تعالى أخبر عنهما فقال قالتا أتينا طائعين وهذا الجمع ما يعقل ويعلم (والثالث) قوله تعالى أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وهذا يدل على كونها عارضة بالله مخصوصة بتوجيه تكليف الله عليها والاشكال عليه أن يقال المراد

طوال وخلق عظيم
وقد بلغ من قوتهم
أن الرجل كان ينزع
الصخرة من الجبل
فيقتلها بيده (أولم يروا)
أى أغفلوا أو ألم ينظروا
ولم يعلموا علما جلياً شبيهاً
بالمشاهدة والعيان
(إن الله الذى خلقهم
هو أشد منهم قوة) أى
قدرة فانه تعالى قادر
بالذات مقدر على ما لا
ينهاه قوى على ما لا
يقدر عليه غيره فقبض
للقوى والقدر على كل
قوى وقادر وإنما أورد
فى خبير الصلة خلقهم
دون خلق السموات
والأرض لادعائهم
الشدة فى القوة وفيه
ضرب من التهكم بهم
(وكانوا بآياتنا) المنزلة
على الرسل (يخجلون)
أى ينكرونها وهم
يعرفون حقيقتها وهو
عطف على فاستكبروا
كقوله تعالى وقالوا
وما بيننا وبينهم اعتراض
للرد على كلهم الشبهة
(فأرسلنا

من قوله اثنا طوعا أو كرها الاثنيان الى الوجود والحدوث والحصول وعلى هذا التقدير
فقال توجه هذا الامر كانت السموات والارض معدومة اذ لو كانت موجودة لصار حاصل
هذا الامر ان يقال يا موجود كن وجودا وذلك لا يجوز فثبت انها حال توجه هذا الامر
عليها كانت معدومة واذا كانت معدومة لم تكن قاهرة ولا عارفة للتخذب فلم يجز توجيه
الامر عليها فان قال قائل روى مجاهد عن ابن عباس انه قال قال الله سبحانه للسموات
اطلعي شمسك وفرك ونجومك وقال للارض شقي انهارك وأخرجي نهارك وكان الله تعالى
أودع فيهما هذه الاشياء ثم أمرهما بإبرازها واطهارها فتقول فعلى هذا التقدير لا يكون
المراد من قوله اثنا طاعتين حدوثهما في ذاتهما بل يصير المراد من هذا الامر ان يظهر اما
كان مودعا فيهما الان هذا الكلام باطل لانه تعالى قال فقضاهن سبع سموات في يومين
والقاء للعقيب وذلك يدل على ان حدوث السموات انما حصل بعد قوله اثنا طوعا
أو كرها فهذا جلة ما يمكن ذكره في هذا البحث (القول الثاني) ان قوله تعالى قال لها
والارض اثنا طوعا أو كرها ليس المراد منه توجيه الامر والتكليف على السموات
والارض بل المراد منه انه أراد تكوينا فيهما فلم يمتعاهما عليه ووجدتاهما أرادهما وكان في
ذلك كالأمر المطيع اذا ورد عليه أمر الأمير المطاع ونظيره قول القائل الجدار لا وتد
لم تشقني قال الونداسان من يدقني فان الحجر الذي ورأى ما خلاني ورأى واعلم ان هذا
عدول عن الظاهر وانما جاز العدول عن الظاهر اذا قام دليل على انه لا يمكن اجراؤه على
ظاهره وقد بينا ان قوله اثنا طوعا أو كرها انما حصل قبل وجودهما واذا كان الامر
كذلك امتنع حمل قوله اثنا طوعا أو كرها على الامر والتكليف فوجب حمله على ما ذكرنا
واعلم ان البات الامر والتكليف فيهما مشروط بحصول الماء ورزقهما وهذا يدل على انه
تعالى أسكن هذه السموات الملائكة وأنه تعالى أمرهم بأشياء ونهاهم عن أشياء وليس في
الآية ما يدل على انه انما خلق الملائكة مع السموات أو أنه تعالى خلقهم قبل السموات ثم
انه تعالى أسكنهم فيها وأيضاً ليس في الآية بيان الشرائع التي أمر الملائكة بها وهذه
الاسرار لا تليق بقول البشر بل هي أعلى من مصاعداً فهمهم ومرامى أوهاهم ثم قال
وزينا السماء الدنيا بمصابيح وهي النيرات التي خلقها في السموات وخص كل واحد بضوء
معين وسرمعين وطبيعة معينة لا يعرفها الا الله ثم قال وحفظنا يعني وحفظناها حفظاً يعني
من الشياطين الذين يسترقون السمع فأعد لكل شيطان نجما يرميه به ولا يخطئه فنها
ما يحرق ومنها ما يقتل ومنها ما يجعله نجلاً وعن ابن عباس ان اليهود ساءوا الرسول صلى
الله عليه وسلم عن خلق السموات والارض فقال خلق الله تعالى الارض في يوم الاحد
والاثنين وخلق الجبال والشجر في يومين وخلق في يوم الخميس السماء وخلق في يوم الجمعة
البحر والشمس والقمر والملائكة ثم خلق آدم عليه السلام وأسكنه الجنة ثم قالت اليهود
ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا ثم استراح فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليهم ربحاصصرا
أي باردة تهلك وتخرق
بشدة بردها من الصبر
وهو البرد الذي يصبر
أي يجمع وينقبض
أو عاصفة تصوت في
هو بها من الصبر
(في أيام نحسات) جمع
نحسة من نحس نحسا
نقيض سعد سعدا
وقرى بالسكون على
التخفيف أو على أنه
نعت على فعل أو وصف
بصدر مبالغة قبل كن آخر
شوال من الاربعاء الى
الاربعاء وما عذب قوم الا
في يوم الاربعاء (لتذيقهم
عذاب الخزي في الحياة
الدنيا) وقرى لتذيقهم
على استناد الاذاعة
الى الريح أو الى الايام
وأضيف العذاب الى
الخزي الذي هو الذل
والاستكانة على وصف
له كما يعرب عنه قوله
سبحانه (ولعذاب الآخرة
أخزى) وهو في الحقيقة
وصف للمعذب وقد
وصف به

فقرئ قوله تعالى وما مننا من لغوب واعلم انه تعالى لما ذكر هذه التفاصيل قال ذلك تقدير العزيز العليم والعز يز اشارة الى كمال القدرة والعليم اشارة الى كمال العلم وما احسن هذه الخاتمة لان تلك الاعمال لا يمكن الا بقدرة كاملة وعلم محيط * قوله تعالى (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا او اشر بنا لا نزل ملائكة فانا بما أرسلتم به ككافرون فاما عامر فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هم أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فإرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) اعلم ان الكلام انما ابتدئ من قوله انما الهكم اله واحد واحتج عليه بقوله قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وحاصله ان الاله الموصوف بهذه القدرة القاهرة كيف يجوز الكفر به وكيف يجوز جعل هذه الاجسام الخسيسة شركا له في الالهية ولستم تلك الجنة قال فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وبيان ذلك لان وظيفة الجنة قدمت على أكل الوجوه فان بقوا مصرين على الجهل لم يبق حينئذ علاج في حقهم الا انزال العذاب عليهم فلهذا السبب قال فان أعرضوا فقل أنذرتكم بمعنى ان أعرضوا عن قبول هذه الجنة القاهرة التي ذكرناها وأصروا على الجهل وانتاليد فقل أنذرتكم والانتذار هو التخويف قال المبرد والصاعقة النائرة المهلكة لاي شيء كان وقرئ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قال صاحب الكشاف وهي المرة من الصعق ثم قال اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم وفيه وجهان (الاول) المعنى ان الرسل المبعوثين اليهم أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأتوا بجمع وجوه الخيل فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان قوله ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم يعني لا تبينهم من كل جهة ولا علم فيهم كل حيلة ويقول الرجل استدرت بفلان من كل جانب فلم تؤثر حيلتي فيه (السؤال الثاني) المعنى ان الرسل جاءتهم من قبلهم ومن بعدهم فان قبل الرسل الذين جاؤا من قبلهم ومن بعدهم كيف يمكن وصفهم بانهم جاؤهم فلما قد جاءهم هو ذو صالح داعيين الى الايمان بهما ويحميم الرسل وبهذا التقدير فكان جميع الرسل قد جاؤهم ثم قال الاتعبدوا الا الله يعني ان الرسل الذين جاؤهم من بين أيديهم ومن خلفهم أمرهم بالتوحيد ونفي الشرك قال صاحب الكشاف أن في قوله أن لا تعبدوا الا الله بمعنى أي أو تخفف من الثقل أصله بانه لا تعبدوا أي بأن الشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا الا الله ثم حكى الله تعالى عن أولئك الكفار انهم قالوا الوشاعر بنال انزل ملائكة يعني انهم

العذاب للبالغة (وهم لا ينصرون) يدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه (وأما ثمود فهديناهم) فدللتناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وإرسال الرسل وانزال الآيات التشريعية وأزجناهم بالكتابة وقدمر تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الراء (فاستحبوا العمى على الهدى) أي اختاروا الضلالة على الهداية (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبطل منه (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) من تلك الصاعقة

(ويوم يحشر أعداء الله) شروع في بيان عقوباتهم الآجلة الزيان عقوباتهم العاجلة والتعير عنهم بأعداء الله تعالى
لذمهم والايذان بمله ما يحق بهم ﴿ ٢٦١ ﴾ من ألوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الأولين والآخرين ويرده

ماسيا أي من قوله تعالى
في أم قد خلت من قبلهم
من الجن والانس وقرئ
يحشر على بناء الفاعل
ونصب أعداء الله وبنون
العظمة وضم الشين
وكسرهما (الى النار)
أي الى موقف الحساب
اذ هناك تتحقق الشهادة
الآتية لا بعد تمام السؤال
والجواب وسوقهم الى
النار والتعير عنه بالنار
اما الايذان بانها عاقبة
حشرهم وانهم على
شرف دخولها واما
لان حسابهم يكون على
شفيرها ويوم امامه نصب
بذكر أو ظرف لمضمر
مؤخر قد حذف ايها
لقصور العبادة عن
تقصيله كما مر في قوله
تعالى يوم يجمع الله
الرسل وقيل ظرف لما
يدل عليه قوله تعالى
(فهم يوزعون) أي
يحبس أولهم على آخره
ليتلاحقوا وهو عبارة
عن كثرتهم وقيل
يساقون ويدفعون الى
النار وقوله تعالى (حتى
اذا ما جاؤها) أي
جميعا غاية الحشر

كذبوا أولئك الرسل وقالوا الدليل على كونكم كاذبين انه تعالى لو شاء ارسل الرسل الى
البشر لجعل رسله من زمرة الملائكة لان ارسال الملائكة الى الخلق افضى الى المقصود
من البعثة والرسالة ولماذكروا هذه الشبهة قالوا فانما ارسلتم به كافرون معناه فاذا أنتم
بشر ولستم بملائكة فأنتم لستم برسل واذالم تكونوا من الرسل لم يلزمنا قبول قولكم وهو
المراد من قوله فانما ارسلتم به كافرون واعلم اننا لنتا في الجواب عن هذه الشبهات في
سورة الانعام وقوله ارسلتم به ليس باقرار عنهم يكون أولئك الانبياء رسلا وانماذكروه
حكاية لكلام الرسل أو على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولاكم الذي ارسل اليكم
لجنون ﴿ روى ان ابا جهل قال في ملا من قرئش اتبس علينا أمر محمدا فلو انتم لتارجلنا
طاما بالشعر والسحر والكهانة فكلهم ثم اتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله
لقد سمعت الشعر والسحر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما يغني على فأناء فقال يا محمد
أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله لم تشتم آلهتنا وفضلنا فان
كنت تريد الرياسة عقدنا لك الاواء فكنت رئيسنا وانمكن بك البداة زوجناك عشرة
نسوة تختارهن أي بنات من شئت من قرئش وان كان المال مرادك جئنا لك ما تستغني به
ورسل الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من
الرحمن الرحيم الى قوله صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم
ورجع الى أهله ولم يخرج الى قرئش فلما احتبس عنهم قالوا ان ترى عتبة الا قد صبا فانظروا
اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك قد صبت فغضب واقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال
والله لقد كنته فاجابني بشي ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة ولما بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد
وثمود أمسكت فيه وناشدته بالرحم ولقد علمت ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن
ينزل بك العذاب واعلم انه تعالى لما بين كفر قوم عاد وثمود على الاجال بين خاصة كل
واحدة من هاتين الطائفتين فقال فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وهذا الاستكبار
فيه وجهان (الاول) اظهار الخوة والكبر وعدم الانقياد الى اغير (والثاني) الاستعلاء
على الغير واستخدامهم ثم ذكر تعالى سبب ذلك الاستكبار وهو انه قالوا من أشد منافقة
وكانوا مخصوصين بكبر الاجسام وشدة القوة ثم انه تعالى ذكر ما يدل على انه لا يجوز لهم ان
يفتروا بشدة قوتهم فقال أولم يروا ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة يعني انهم وان
كانوا أقوى من غيرهم فالله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة فان كانت الزيادة في القوة
توجب كون الناقص في طاعة الكامل فهذه المعاملة توجب عليهم كونهم متقادين لله
تعالى خاضعين لاوامره ونواهيده واحتج أصحابنا بهذه الآية على اثبات القدرة لله فقالوا
القوة ههنا هي القدرة فقوله الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة يدل على اثبات القوة لله
تعالى ويا كدهذا بقوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان قيل صيغة افعل التفضيل
انما تجري بين شيئين لاحدهما مع الآخر نسبة لكن قدرة العبد متناهية وقدرة الله

أول يوزعون أي حتى اذا حضروها ﴿ ٤٦ ﴾ سا وما من زيادة لتسا كيد اتصال الشهادة بالحضور

(شهد عليهم سمعهم وبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) في الدنيا من قوت الكفر والمعاصي بأن ينطقها الله تعالى أو يظهر عليها آثار ما اقترعوا بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بشهادة الجلود

شهادة القروح وهو الانسب بتخصيص السؤال بها في قوله تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) فان ما شهد به من الزمان أعظم جناية وقبحا وأجلب الخزي والعقوبة مما يشهد به السمع والابصار من الجنايات المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح أي ساووها سؤال توبيخ لما روي أنهم قالوا انها فتمكن كنا نفضل وفي رواية بعدا لكن وسعتا عاكن كنت أجادل وصرفه في جمع العقلاء في خطاب الجلود في قوله تعالى (قالوا ألسنا الله الذي أنطق كل شيء) أو وقوعها في موقع السؤال والجواب المختصين بالاعتلاء أي أنطقنا الله الذي أنطق كل ناطق وأقربنا على لسان الواقع فشهدنا عليكم بما علمتم بواسطتنا من اقبايح وما كناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وليس بذلك لما فيه من إيهام الاضطرار في الاخبار وقيل ساووها سؤال تعجب فالله

لانه إذا لها والمتناهي لا نسبته الى غير المتناهي فامعنى قوله ان الله أشد منهم قوة قلنا هذا ورد على قانون قولنا الله أكبر ثم قال وكانوا يأتيناك يحدون والمعنى انهم كانوا يعفون اسحاق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعه واعلم ان نظم الكلام أن يقال اما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وكانوا يأتيناك يحدون وقوله وقالوا من أشد منا قوة أو ابروا ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة اعتراض وقع في البين لتقرير السبب الداعي لهم الى الاستكبار واعلم اننا ذكرنا ان مجامع الخصال الجيدة الاحسان الى الخلق وانما نظم الخلق قوله استكبروا في الأرض بغير الحق مضاد الاحسان الى الخلق وقوله وكانوا يأتيناك يحدون مضاد لا مظيم الخلق واذا كان الامر كذلك فكذلك فهم قد بلغوا في الصفات المدمومة الموجبة للهلاك والابطال الى الغاية القصوى فلهذا المعنى سلطان الله العذاب عليهم فقال فارسلنا عليهم ريحا صرصرا وفي الصرصر قولان (أحدهما) انها العاصفة التي تضرر أي تصوت في هبوبها وفي الثانية السحبة وجوه قيل ان الريح عندما اشتداد هبوبها السمع منها صوت يشبه صوت الصرصر فسميت هذه الريح بهذا الاسم وقيل هو من صرير الباب وقيل من الصرة وهي السحبة ومنه قوله تعالى فاقبلت امرأته في صرة (والقول الثاني) انها الباردة التي تخرق ببردها كما تخرق النار بحررها وأصلها من الصر وهو البرد قال تعالى كمثل ريح فيها صر وروي عن رسول الله انه قال الريح ثمان أربع منها عذاب العاصف والصرصر والعقيم والسموم وأربع منها رحمة الناشرات والبشرات والمرسلات والذاريات وعن ابن عباس ان الله تعالى ما أرسل على عباده من الريح الا قدر خاتمي والمقصود انه مع قوته أهناك اسهل وذلك يدل على كمال قدرته وأما قوله في أيام نحسات فميد مسائل (المسئلة الاولى) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ونحسات يسكون الماء والناقون بكسر الهمزة قال صاحب التكملة يقال نحس نحسا نقض سعد سعدا فهو نحس وأما نحس فهو إما مذهب ففسد أو وصفة على فعل أو وصفة بمصدر (المسئلة الثانية) استدلال الأحكاميين من المجتهدين بهذه الآية على ان بعض الأيام قد يكون نحسا وبه يشهد بكون سعدا وقارا وهذه الآية صريحة في هذا المعنى أجاب المتكلمون بأن قالوا أيام نحسات أي ذوات غبار وتراب ما رايك لا يكاد يضر فيه ويصرف وأيضنا قالوا معنى كون هذه الأيام نحسات ان الله أهلكهم فيها أجاب المستدل الاول بأن النحسات في وضع الله هي المشؤمات لان النحس يقابله السعد والكدر يقابله الصافي وأجاب عن السؤال الثاني ان الله تعالى أخبر عن اشفاق ذلك العذاب في تلك الأيام النحسات فوجب أن يكون كون تلك الأيام نحسة مغاير لذلك العذاب الذي وقع فيها ثم قال تعالى لتذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا أي عذاب الهوان والنذل والسبب فيه انهم استكبروا فاقابل الله ذلك الاستكبار بإرسال الخزي والهوان والنذل اليهم ثم قال تعالى واعذاب الآخرة أخزى أي أشد هانة وخزيا وهم لا يصررون أي انهم يقومون في الخزي الشديد ومع ذلك فلا يكون

أنطق كل شيء وليس بذلك لما فيه من إيهام الاضطرار في الاخبار وقيل ساووها سؤال تعجب فالله

حيث ندليس نطقنا بحجب من قدرة الله الذي أنطق كل حي (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) فان من قدر على خلقكم وانشاكم أولا وعلى اعادتكم ٣٦٣ رجهكم الى جزائه ثانيا لا ينبغي من انصافه لجوارحكم ولعل

صبيحة المضارع مع أن هذه المحاورة بعد البعث والرجوع لما أن المراد بالرجوع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث بل ما بعده وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند الخطأ على تعذيب المتوقع على الواقع على أن فيه مراعاة لتواصل وقوله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) حكاية لما يقال لهم يومئذ من جهة تعالى بطريق التوبيخ والتفريع تفريعا للجواب الجلود أي ما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرتكم انبواش مخافة أن تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندئذ هم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) من القيانخ المخفية فلا يظهرها

لهم ناصري دفع ذلك الخزي عنهم ولما ذكر الله تعالى قصة ما أتبعه بقصة ما ودقن وأما مود قال صاحب الكشف قري ثمود بالرفع والنصب تنونا وغير تنون والرفع أفصح وأوقعه بعد حرف الابتداء وقري بينهم انشاء فهديتهم أي دلتناهم على طريق الخير والشر فاستجبوا العمى على الهدى أي اختاروا الدخول في الضلالة على ما لدخول في الرشاد واعلم أنا صاحب الكشف ذكر في تفسير الهدي في قوله تعالى هدى للذين آمنوا الهدى عبارة عن الدلالة الموصلة الى البقية وهذه الآية تبيح قوله لا تهتدل على أن الهدى قد حصل مع أن الافتضاء الى البقية لم يحصل فثبت أن قيد كونه مقتضايا الى البقية غير معتبر في اسم الهدى وقد ثبت في هذه الآية سؤال يشعر بذلك لأنه لم يذكر جوابا لما انشأه تركه فثبت المعترضة هذه لا يفد الله تعالى أن الله تعالى قد نصب الدلائل ورجع فيضار والعمل الذات الايمان انما يحصل من العبد لأن قوله وأما مود فهدى بهم يدل على أن الهدى قد نصب بهم الدلائل وقوله فاستجبوا العمى على الهدى يدل على أنهم من عند أنفسهم أتوا بذلك العمى فهذا يدل على أن الكفر والايان يحصلان من العبد وأقول بل هذه الآية من أول الدلائل على أنهما انما يحصلان من الله لا من العبد ويأتي من وجهين (الأول) أنهم انما صدر عنهم ذلك العمى لأنهم أحبوا تحصيله فلما وقع في قلوبهم هذه المحبة دون تحصيله فان حصل ذلك التراجع فهو باطل وإن كان المرجع هو العبد عاد الطلب وإن كان المرجع هو الله فقد حصل المطاوب (الثاني) أنه تعالى قال فاستجبوا العمى على الهدى ومن المعام بالضرورة أن أحد لا يحب العمى والجهل مع العلم بكونه عمى وجهلا بل ما لم يظن في ذلك العمى والجهل كونه تبصرة وعلم لا يرغب فيه فاقدامه على اختيار ذلك الجهل لا بد وإن يكون مسبوقا بجهل آخر فإن كان ذلك الجهل الثاني باختياره يضار من التسلسل وهو محال فلا بد من انتهاء تلك الجهالات الى جهل يحصل فيه لا باختياره وهو المطلوب ولما وصف الله كفرهم قال فاخذتهم صاعقة العذاب الهون وساعقة العذاب أي داهية العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مباينة أو أبل منه بما كانوا يكسبون يريد من شركهم وتكذيبهم صاعقا وعقرهم النافذة وشرع صاحب الكشف ههنا في سفاهة عظيمة والاولى أن لا يلتفت اليه لأنه وإن كان قد سعى سعي احسن فيما يتعلق بالالفاظ إلا أن المسكين كان بعيدا من المعاني ولما ذكر الله الوعيد أردفه بالوعد فقال ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون يعني وكانوا يتقون الأعمال التي كان يأتي بها قوم عاد وثمود فان قيل كيف يجوز نارسول صلى الله عليه وسلم أن ينذر قومه مثل صاعقة عاد وثمود مع العلم بأن ذلك لا يقع في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد صرح الله تعالى بذلك في قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وجاء في الأحاديث الصحيحة أن الله تعالى رفع عن هذه الأمة هذه الأنواع من الآفات فلما انهم لما عرفوا كونهم مشاركين لعاد وثمود في استحقاق مثل تلك الصاعقة جوزوا حدوث ما يكون من جنس ذلك وإن كان أقل درجة منهم وهذا القدر يكفي في

في الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايدان بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى حيث

لا ياتها كانت حاملة بما شهدت به عند صدوره عنهم * عن ابن مسعود رضي الله عنه كنت مستترا بأستار الكعبة فله خل
ثلاثة نفر ثقيان وقرشي أو قرشيان وثنى فقال أحدهم أترون أن الله **﴿ ٣٦٤ ﴾** يسمع ما نقول قال الآخر يسمع

الخطوب في قوله تعالى (ويوم نحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاءوها شهد
عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقأنوا لجلودهم أم شهد عليهم سمعهم أم
أبصارهم أم لبنتهم أم لبنتهم قل هي وحق فيكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون
أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن فتنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
وذلكم مثلكم الذي ظنتم بربكم أنكم وأصبحتكم من الخاسرين قال يصبروا قال نارهم ذوى
أبصارهم وإن يستغيثوا يغاث من الممتطين) واعلم أنه تعالى لما بين كيفية عقوبة أولئك الكفار
في الدنيا أراد أن يذكر كيفية سوزهم في الآخرة ليحصل منه تمام الاعتبار في الزجر والتحذير
وقرأنا نافع نحشر يا أيون أعداء بالذهب أصناف الخسائر لنفسه والتقدير يحشر الله من
وجل أعداء الكفار من الأولين والآخرين ويحشر الله معطوف على قوله ونحشرنا
فيحشر أن يكون على وقفة في الخط ويثوبه قوله يوم نحشر الممتطين وحشرناهم وأما
الباقيون فقرأ على فعل المالم اسم فاعله لأن قصده ثبوت قدرته وقوله يوم نحشر أعداء كلام
آخر وأيضاً الخاسرون أهم هم أم لا وون بقوله استصبروا وهم الثلاثة وأيدنا أن هذه
القرأة موافقة لقوله فهم يوزعون وأيضاً فتقدير القراءة الأولى أن الله تعالى قال ويوم
نحشر أعداء الله إلى النار فكان الأولى على هذا التقدير أن يقال ويوم نحشر أعداءنا إلى
النار واعلم أنه تعالى لما ذكر أن أعداء الله يحشرون إلى النار قال فهم يوزعون أي يحبس
أولهم على آخرهم أي يوقف سواهم حتى يصل إليهم تواليهم والمقصود بيان أنهم
إذا اجتمعوا سألوا عن أعمالهم ثم قال حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم
وجلودهم وفيه مسائل (المسئلة الأولى) التقدير حتى إذا جاءوها شهد عليهم سمعهم
وأبصارهم وجلودهم وعلى هذا التقدير فكلمة ماصلة وقيل فيها فائدة زائدة وهي تأكيد
أن عند مجيئهم لا بد وأن تحصل هذه الشهادة كقوله أنهم إذا ما وقع آمنتم به أي لا بد وقت
وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به (المسئلة الثانية) روي أن العبد يقول يوم القيامة يا رب
الهمزة ألسنت قد وعدتني أن لا تنفك عني فيقول الله تعالى فأتاك ذلك فيقول العبداني لا أقبل
على نفسي شاهداً إلا من نفسي فيحتم الله على فيه ويتطرق أعضاء بالأعمال التي صدرت منه
فذلك قوله شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم واختلف الناس في كيفية الشهادة
وفيه ثلاثة أقوال (أحدها) أنه تعالى يخلق النفوس والقدرة والخلق فيها فتشهد كما يشهد
الرجل على ما يعرفه (والثاني) أنه تعالى يخلق في تلك الأعضاء الأصوات والحروف الدالة
على تلك المعاني كما خلق الكلام في الشجرة (والثالث) أن يظهر في تلك الأعضاء أحوالاً
تدل على صدور تلك الأعمال من ذلك الإنسان وتلك الإشارات تسمى شهادات كما يقال
يشهد هذا العالم بتغيرات أحواله على حدوثه واعلم أن هذه المسئلة صعبة على المعتزلة أما
القول الأول فهو صعب على مذهبيهم لأن البنية عندهم شرط لحصول العقل والقدرة
فاللسان مع كونه اسماً لا يتبع أن يكون محلاً للعقل والعقل فان غير الله تعالى تلك البنية

أن جهرنا ولا يسمع أن
أخفينا فذكرت ذلك
ثاني صلى الله عليه وسلم
فأمر الله تعالى وما كنتم
تستترون الآية فالحكم
المحسبي حينئذ يكون
مناصب من كان على ذات
أما عقاد من الكفرة
واعلم أن الأنسب أن يراد
بالظن معنى تخايرهم
معناه المتبين وما يبري
تجراه من الاعتلال المتبينة
منه كما في قوله تعالى
يحب أن ماله أخذه
ليعلم ما يحكي من المال
جميع أصناف الكفرة
فتدبر (وذلكم) إشارة
إلى ما ذكر من ظنهم
وما فيه من معنى البعد
للإيدان بغاية بعد
مزالته في الشر والسوء
وهو مبتدأ وقوله تعالى
(ظنكم الذي ظنتم بربكم
أرداكم) خبر إن له ويجوز
أن يكون ظنكم بدلاً
وأرداكم خبراً
(فأصبحتكم) بسبب ذلك
الظن السوء الذي
أهلككم (من الخاسرين)
اذنصار ما فتحوا لنيل
سعادة الدارين سبباً
اشقاء النشأتين (فان
يصبروا فالنار مثوى لهم)

٤ قوله وقري وان يستعبدوا أي بصفة المفعول والمعتين بصفة الفاعل اه
 منها والائتات الى الغيبة الايدان ٢٦٥ بح باقتضاء ما لهم أن يعرض عنهم ويحكي سوء حالهم لغيرهم أو

للاشعار يا عبادهم
 عن جبر الخطايا
 والقائم في غاية دركات
 النار (وان يستعبدوا)
 أي يسألوا العبي وهو
 الرجوع الى ما يحبونه
 بجرعائهم فيه (فاهم
 من المعتين) المجابين
 اليه وانظره قوله تعالى
 سواء علينا أجزعنا أم
 صبرنا ما لنا من محي
 ٩ وقري وان يستعبدوا
 فاهم من المعتين أي
 ان يسألوا أن يرضوا
 ربه فاهم فاعلون
 افوات الكنة (وقيضنا
 لهم) أي قدرنا للكفرة
 في الدنيا (قرناء) جمع
 قرين أي اخذنا من
 الشياطين يستأون
 عليهم استيلاء القبيض
 وهو القشر وقيل
 أصل القبيض البسمل
 ومنه المقايضة للمعاودة
 (فرينوهم ما بين
 أيديهم) من أمور الدنيا
 واتباع الشهوات (وما
 خلفهم) من أمور
 الآخرة حيث أروهم
 ان لا يبت ولا حساب
 ولا مكروه قط (وحق
 عليهم القول) أي بات

والصورة خرج عن كونه لسانا وجلدا وظاهر الآية يدل على إضافة تلك الشهادة الى
 السمع والبصر والجلود فان قلنا ان الله تعالى ما غير بية هذه الاعضاء لم يشذ عن
 كونها عاقلة فاعلمنا فاهمة وأما القول الثاني وهو ان يقال ان الله تعالى خلق هذه
 الاصوات والحروف في هذه الاعضاء وهذا أيضا باطل على أصول المعتزلة لان مذهبهم أن
 المتكلم هو الذي نزل الكلام لا ما كان موصوفا بالكلام فانه يقولون ان الله تعالى خلق
 الكلام في الشجرة وكان المتكلم بذلك الكلام هو الله تعالى لا الشجرة فلهذا قلنا ان
 الله تعالى الاصوات والحروف في تلك الاعضاء لم أن يكون الشاهد هو الله تعالى لان تلك
 الاعضاء لم أن يكون المتكلم بذلك الكلام هو الله تعالى لان تلك الاعضاء لم تشهد عنهم
 ان تلك الشهادة شهادة صدرت من تلك الاعضاء لا من الله تعالى لانه تعالى قال شهد عنهم
 سمعهم وابصارهم وجلودهم وإرضائهم فان تلك الاعضاء لم تشهد لهم فان ائتمت الاعضاء
 أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وكل هذه الآيات دالة على ان المتكلم بتلك الكلمات هي
 تلك الاعضاء وان تلك الكلمات ليست كلام الله تعالى فهذا توجيه الاشكال على هذين
 القولين وأما القول الثالث وهو تفسير هذه الشهادة بظهور أمارات خصوصية على هذه
 الاعضاء دالة على صدور تلك الاعمال منهم فهذا عدول عن الحقيقة الى التجاز والاصل
 عدمه فهذا انتهى الكلام في هذا البحث أما على مذهب أصحابنا فهذا الاشكال غير
 لازم لان عندنا البنية ليست شرطا للحياة ولا العلم ولا القدرة فالله تعالى قادر على خلق العقل
 والقدرة والتعلق في كل جزء من أجزاء هذه الاعضاء وعلى هذا التقدير فالاشكال زائل
 وهذه الآية يحسن التمسك بها في بيان أن البنية ليست شرطا للحياة ولا البنية من الصفات
 المشروطة بالحياة والله أعلم (المسئلة الثالثة) ما رأيت للمفسرين في تخصيص هذه الاعضاء
 الثلاثة بالذكور سببا وقائفة وأقول لاشك ان الحواس خمسة السمع والبصر والشم والذوق
 واللمس ولا شك أن آلة اللمس هي الجلد فلهذا تعالى ذكر ههنا ثلاثة أنواع من الحواس
 وهي السمع والبصر واللمس وأهمل ذكر نوعين وهما الذوق والشم لان الذوق داخل في
 اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق إنما يأتي بان تصير جلد اللسان والحنك
 ماسة لجرم الطعام فكان هذا دخلا فيه فبقي حس الشم وهو حس ضعيف في الانسان
 وليس لله فيه تكليف ولا أمر ولا نهى اذا عرفت هذا فنقول نقل عن ابن عباس أنه قال
 المراد من شهادة الجلود شهادة الفروج قال هذا من باب التكنيات كما قال واحسن
 لا تواعدوهن سرا وأراد التكاثر وقال أوجاء أحدكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة
 وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما يتكلم من آدمي فخذ وكفه وعلى هذا التقدير
 فتكون هذه الآية وعيدا شديدا في الاتيان بالانسان مقدمة الزنا لما تحصل بالكف ونهاية
 الامر فيها إنما تحصل بالتخذ ثم يحكى الله تعالى عنهم أنهم يقولون لتلك الاعضاء لم تشهدتم
 علينا قالوا نطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون ومعناه

وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصادقها وهو قوله تعالى

لا يلبس فالخلق والخلق اقول لا ملائكة منهم منكم ومن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى من تبعك منهم لا ملائكة منهم منكم اجمعين كما مر مرارا (في اتم) سال من الضمير انجر ورأى كائنين ﴿٣٦٦﴾ في جملتهم وهم وقيل في معنى مع وهذا كما ترى

صريح في أن المراد باعداء الله تعالى في السابق اليهودون من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين كما قيل (قد خلت) صفة لانهم أي مضت (من قبلهم من الجن والانس) على الكفر والعصيان كذاب هؤلاء (الهم كانوا الخاسرين) تغلب لا تتخافهم العذاب والاضحية للاولين والآخرين (وقال الذين كفروا) من رؤس المشركين لا عقابهم أوقال بعضهم ايض (لا تسعوا والهاذا قرآن) أي لا تصنعوا له (والغوا فيه) وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر واتصديقه والكاذب أو ارفوا أصواتكم بهائشو شوه على القاري بضم القين والمعنى واحد يقال اغنى يلغى كافي باقي ولغايلغو اذا هذى (انكم تغلبون) أي تغلبونه على قراءته (فلندين الذين كفروا) أي قواله لندين هؤلاء القائلين

ان اقدر على خلقكم وانصافكم في المرة الاولى مما لم يكن في الدنيا ثم على خلقكم وانصافكم في المرة الثانية وهي حال القيامة والبعث كيف يستبعد منه انطاق الجوارح والاعضاء ثم قال تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم فذموا ثبات أنهم كانوا يستترون عند الاقدام على الإهمال القبيحة الا ان استنارهم ما كان لاجل خوفهم من أن يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وذلك لانهم كانوا منكربين للبعث والقيامة واكثر ذلك الاستنار لاجل انهم كانوا يظنون أن الله لا يعلم الاعمال التي يفتنون عابها على ميل تخفية والاستنار من ابن مسعود قال كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر على ثقيفان وفريسي فقال أحدهم أترون الله بسم ما تقولون فقال الرجلان إذا سمعنا أصواتنا سمع والام يسمع فذكرت ذلك لرسول صلى الله عليه وسلم فغزل وما سمعتم تستترون ثم قال تعالى وذلكم ظنكم الذي ظنتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وهذا نص صريح في أن من ظن بالله تعالى أنه يخرج شيء من المعلومات عن علمه فانه يكون من الهالكين الخاسرين قال أهل التحقيق الظن فسدان ظن حسن بالله تعالى وظن فاسد أما الظن الحسن فهو أن يظن به الرحمة والتفضل قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وقال صلى الله عليه وسلم لا يموت من أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله والظن القبيح فاسد وهو أن يظن بالله تعالى أنه يعزب عن علمه بعض هذه الاحوال وقال قتادة الظن نوعان ظن منيع وظن مرد فالمنيع قوله اني ظننت اني ملاق حسابه وقوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأما الظن المردى فهو قوله وذلكم ظنكم الذي ظنتم بربكم أرداكم قال صاحب الكشف وذلكم دفع بالابتداء وظنكم وأرداكم خبران ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأرداكم الخبر ثم قال فان يصبروا فالتار مشى لهم يعني ان أمسكوا عن الاستغاثة افرج ينظرونه لم يجدوا ذلك وتكون التار مشى لهم أي مقاماتهم وان يستعبدوا فاساهم من المعنيين أي لا يملحوا ولم يجابوا اليهم او نظيره قوله تعالى أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محبصين رسول يستعبدوا فاساهم المعنيين أي ان يسئلوا أن يرصوا ربهم فاساهم فاعاون أي لا سبيل لهم الى ذلك * قوله تعالى (وقيضنا لهم قرناء) قرناءهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في ام قد خات من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا الخاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلندين الذين كفروا عذابا شديدا والجن ينهم أسوأ الذي كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء عما كانوا يأتينا يمجدون وقال الذين كفروا ربنا الذي اضلانا من الجن والانس فجعلهم ما شئت أقدامنا ليكونا من الاسفلين) اعلم انه تعالى لما ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة على كفراؤك الكفار أردف ذكر السبب الذي لاجله وقعوا في ذلك الكفر فقال وقيضنا لهم قرناء وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الصحاح يقال قايضت الرجل مقايضة

واللاعين أو جمع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا أو اياها عذابا شديدا لا يقدر قدره وانجز ينهم ﴿٣٦٧﴾

أسوأ الذي كانوا يعملون) أي جزاء سيئات ﴿٣٦٧﴾ أعمالهم التي هي في أنفسها أسوأ وقبل أنه لا يجازيهم بمعاشن

أعمالهم كإثابة الملهوفين
وصلة الأرحام وقرى
الاضيايف لانها محيطة
بالكفر وعن ابن عباس
رضي الله عنهما عذابا
شديدا يوم بدر وأسوأ
الذي كانوا يعملون في
الآخرة (ذلك) مبتدأ
وقوله تعالى (جزاء
أعداء الله) خبر ما
ذكر من الجزاء جزاء
معد لا أعداءه تعالى وقوله
تعالى (النار) عطף بيان
الجزاء أو ذلك خبر مبتدأ
تخبر عن أي الأمر ذلك
على أنه عبارة عن معنونه
الجملة لأن الجزاء وما بعده
جملة مستقلة مبنية لما قبلها
وقوله تعالى (الهم فيها
دارا خلد) جملة مستقلة
مقررة لما قبلها أو النار
مبتدأ هي خبر ما هي
يعني دارا خلدتهم على
أن لا يجريدوه وإن
يتزعج من أمر ذي صفة
أمر آخر مثله مبالغة لكماله
فيها كما يقال في البيضة
عشرون مناخيد وقيل
هي على معناه والمراد
أن لهم في النار المشتدات
على الدرجات دارا
مخصوصة هم فيها
خالدون (جزاء بما كانوا يأتينا) منصوب

أي عاوضته بمناجعهما فيضات كما يقال يعان وقبض الله فلانا فلان أي جاء به وأتى به له
ومنه قوله تعالى وفيه من أنزلهم قرناء (المسئلة الثانية) احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى
يريد الكفر من الكافر فقالوا أنه تعالى ذكر أنه قبض لهم أولئك القرناء وكان عالما بأنهم
قبض لهم أولئك القرناء فأنهم يزعمون الباطل لهم وكل من فعل قولا وعلم أن ذلك الفعل
يفضي إلى أثر لا محالة فإن فاعل ذلك الفعل لا بد وأن يكون مريدا لذلك الأثر فثبت أنه
تعالى لما قبض لهم قرناء فقد أراد منهم ذلك الكفر أجاب الجبائي عنده بأن قل لو أراد
المعاصي لكانوا يفعلونها مطيعين إذا فاعل لما أراد من غيره ينبغي أن يكون مطيعا وبأن
قوله وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون يدل على أنه لم يرد منهم إلا العبادات فثبت بهذا أنه
تعالى لم يرد منهم المعاصي وأما هذه الآية فتقول أنه تعالى أيقن وفيه من أنزلهم قرناء ليعزبوا
لهم واتعاهل فزيتوا لهم فهو تعالى قبض القرناء لهم يعني أنه تعالى أخرجهم كل واحد إلى
آخر من جنسه فقبض أحد الزوجين الآخر والفني للغير والتغير للفني ثم بين تعالى أن
بعضهم يزني المعاصي لبعض واعلم أن وجه استدلال أصحابنا ما ذكرناه وهو أن من فعل
قولا وعلم قطعا أن ذلك الفعل يفضي إلى أثر فإن فاعل ذلك الفعل يكون مريدا لذلك الأثر
فهذه الآية قبض أولئك القرناء لهم وعلم أنه من قبض أولئك القرناء لهم فأنهم يععون
في ذلك الكفر والضلال وما ذكره الجبائي لا يدفع ذلك وقوله ولو أراد الله منهم المعاصي
لكانوا يفعلونها مطيعين لله قلنا لو كان من فعل ما أراد من غيره مطيعا له لوجب أن يكون الله
مطيعا لعباده إذا فعل ما أرادوه ومعلوم أنه باطل وأيضا فهذا الزام لا ينبغي لأنه يقال إن
أردت بالمطاعة أنه فعل ما أراد فهذا الزام لا شيء على نفسه وإن أردت بغيره فلا بد من بيانه
حتى ينظر فيه أنه هل يصح أم لا (المسئلة الثالثة) احتجوا في المراد بقوله فزيتوا أنفسهم ما بين
أيديهم وما خلفهم وذكر الزنجاج فيه وجهين (القول) زيتوا أنفسهم ما بين أيديهم من أمر
الآخرة أنه لا بحث ولا حجة ولا نار وما خلفهم من أمر الدنيا فزيتوا أن الدنيا قديمة وأنه
لا فاعل ولا سامع إلا المطابع والأفلاك (البيان) زيتوا أنفسهم أعمالهم التي يعملونها
ويشاهدونها وما خلفهم وما يزعمون أنهم يعملونها وخبر ابن زيد عنه فثبت زيتوا لهم
ما مضى من أعمالهم الخبيثة وما بقى من أعمالهم الخبيثة ثم قال تعالى وحتى عاينهم أقول
في أم قد خلقت من قبهم من الجن والإنس أنهم كانوا خاسرين فتوالت في أم في محل النصب
على الحال من الضمير في عليهم والقدير حق عليهم أقول حال كونهم كائين في جهلهم
من المتقدمين أنهم كانوا خاسرين واحتج أصحابنا أيضا بأنه تعالى أخبر بأن هؤلاء حق
عليهم القول فلو لم يكونوا كفارا لانتقلب هذا القول الحق باطلا وهذا العلم بحالهم هذا الخبر
الصدق كذا وكل ذلك محال ومستلزم المحال محال فثبت أن صدور الإيمان عنهم وعدم
صدور الكفر عنهم محال وان لم يكن الكلام في أول السورة فابتدىء من قوله وقاوا قلوبنا في
أكنت مما تدعوننا إليه إلى قوله فاعمل اتعاملون فأجاب الله تعالى عن تلك الشبهة بوجوه

من الاجوبة واتصل الكلام بعينه باليهض الى هذا الموضع ثم انه تعالى حكى عنهم شبهة أخرى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون قال صاحب الكشاف قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضعتها يقال غي بالغى والغا يغوا والغوا الساقط من الكلام الذى لا طائل نفعه واعلم ان القوم علموا ان القرآن كلام كامل فى المعنى وفى اللفظ وأن كل من سمعه وقف على جزالة ألفاظه وأحاط عقله بمعانيه وقضى عقله بأنه كلام حق واجب القبول فديروا تدبرا فى منع الناس عن استماعه فقال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والاشعار الفاسدة والكلمات الباطلة حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته كانت قرئش يوصى بذلك بعضهم بعضا والمراد افعلا عند تلاوة القرآن ما يكون لغوا وباطلا يخرجوا قراءة القرآن عن أن تصير مفهومة للناس فبهذا الطريق تغلبون فحدا صلى الله عليه وسلم وهذا جعل منهم لانهم فى الحلال أقروا بانهم مشتغلون بالغوا والباطل من العمل والله تعالى ينصر محمدا بفضائه ولما ذكر الله تعالى ذلك هددهم بالعذاب الشديد فقال فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا لان لفظ الذوق انما يدرك فى القدر القليل الذى يوثق به لاجل التجربة ثم انه تعالى ذكر أن ذلك الذوق عذاب شديد فاذا كان القليل منه عذابا شديدا فكيف يكون حال الكثير منه ثم قال وانجز ينهم أسوأ الذى كانوا يعملون واختلغوا فيه فقال الاكثر من المراد جزاء سيئهم وأعمالهم وقال الحسن بل المراد أنه لا يجازيهم على محاسن أعمالهم لانهم أحبطوا بها كفرة ضاعت تلك الاعمال الحسنة عنهم ولم يبق معهم الا الاعمال القبيحة الباطلة فلا جرم لم تحصلوا الاعلى جزاء السرات ثم قال تعالى ذلك جزاء أعداء الله النار والمعنى انه تعالى لما قال فى الآية المتقدمة ولنجزيهم أسوأ الذى كانوا يعملون بين أن ذلك النار وأن الذى جعل جزاء أعداء الله هو النار ثم قال تعالى لهم فيها دار الخلد أى لهم فى جنه النار دار السبات معينة وهى دار العذاب المخطط لهم جزاء بما كانوا ياتوا بها يجحدون أى جزاء بما كانوا يلبسون فى القراءة واعمالهم فجودا لانهم لما عملوا ان القرآن ياتى الى حد الإعجاز خافوا من انه أوسع من الناس لا أنوا به فاستخرجوا تلك الطريق ففقدوا فاسدة وذلك يدل على أنهم علموا كونه معجزا لانهم جحدوا الحسد واعلم انه تعالى لما بين ان الذى جعلهم على الكفر الموجب للعقاب الشديد بحال سوءه بين ان الكفار عند الوقوع فى العذاب الشديد يقولون ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والاناس والسبب فى ذكر هذين التفسيرين ان الشيطان على ضربين جنى وانسى قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الاناس والجن وقال الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقايل لان الكفر سنة ابليس والقتل بعير حتى سنة قايل وقري أرنا تخفيفا كفتخذي فخ وقيل معناه أعطناهما وقري باختلاس كسرة الراء (تجعلها) نعت اقداما (أى ندسهما) انفسا منها وقيل نجعلهما فى اندرك الاسفل (ليكونا من الاسفلين) أى ذلا ومهانة ومكانا

بفضل مقدر أى يجزون جزاء او بالمصدر السابق فان المصدر ينصب بثله كفى قوله تعالى فان جهنم جزاء لكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه مراعاة التواصل أى بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الخفية او بالغوا فيها وذكر الجحد لكونه سببا للغوا (وقال الذين كفروا) وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب (ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والاناس) يعنون فريقى شياطين الانوعين المغيضين لهم الحاملين ايه على الكفر والمعاصى بالتسويل والتزويل وقيل هما ابليس وقايل فانهما سنا الكفر والقتل بعير حتى وقري أرنا تخفيفا كفتخذي فخ وقيل معناه أعطناهما وقري باختلاس كسرة الراء (تجعلها) نعت اقداما (أى ندسهما) انفسا منها وقيل نجعلهما فى اندرك الاسفل (ليكونا من الاسفلين) أى ذلا ومهانة ومكانا

(ان الذين قالوا ربنا الله) شرو ع في بيان حسن احوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما أي
قالوه اعترفوا ربوبية الله تعالى واقراروا بوحدة الله (٣٦٩) (ثم استقاموا) أي ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على أن

استعطاء معناه أعطى ثوبك ثم قال في نعيمها ما تحت أقساما قال مقاتل يكونان
أسفل منها في النار يكونان من الأسفلين قال الزجاج يكونان في ادرك الأسفل من النار وكان
بعض اللامتنع من ميل إلى الحكمة يقول المراد بالذين يفضلان الشهوة والغضب واليهما
الإشارة في قصة الملائكة بقوله أعمل فيهما من يفسد بهما ويسدك الدماء ثم قال والمراد
بقوله نعيمها ما تحت أقدامنا يعني ياربنا أعتنا حتى نعمل الشهوة والغضب تحت أقدام
جوهر النفس الشديدة والمراد بكونهما تحت أقدامهما كونهما بمنزلة ما ينفس الشهوة
مطمئنين إياها وان لا يكونا مستوائين عليهما فاهربن إلهما فوالتعالى (ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا) تنزل عليهم الملائكة ان لا تعبدوا أفوا ولا تعبدوا ولا تعبدوا ولا تعبدوا ان كنتم
توعدون يعني أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهون أنفسكم ولكم
فيها ما تعدون لآل من غفور رحيم اعلم انه تعالى لما أطلب في الوعيد أنه قد بينا الوعد
الشريف وهذا ترتيب لطيف مدار كل القرآن عليه وقد ذكرنا مرارا ان الكمالات على
ثلاثة أقسام النفسانية والبدنية والخارجية وأسرف المراتب النفسانية وأوسطها
البدنية وأدونها الخارجية وذلك الكمالات النفسانية تتجسد في تربية العلم اليقيني
والعمل الصالح فان أهل العلم يعرفوا كمال الانسانية في أن يعرف الحق لذاته والخبر له جل
العمل يعرف رأس المعارف الباطنية ورأسها معرفته واليه الإشارة بقوله ان الذين قالوا
ربنا الله ورأس المعارف الصالحة ورأسها أن يكون الانسان مستقيما في انفسه متغيرا إلى
أبدي طريق الإفراط والشر يتركها قالوا كمالها في علم وسطه وفان يشاهد هذا الصراط
المتوسط واليه الإشارة في هذه الآية بقوله ثم استقاموا روي عن ابن قاري قرأ من علم
العباد في هذه الآية فقال أعلامه والاعمال في القوام بقدر الاستقامة اذا عرفت هذا
فقول فوالله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ليس المراد من قولهم استقاموا فقط
لان ذلك لا يفيد الاستقامة بل انما ذكره لبيان انهم استقاموا على ما كانوا قائلين
مقرونين باليقين السام والعرفه لا يتغيرا كما عرفت هذا فقول في الاستقامة قولان
(أحدهما) ان المراد من الاستقامة في الدين والوحدانية والمعرفة (والثاني) ان المراد منه
الاستقامة في الاعمال الصالحة أما على القول الأول فله عبارات قال أبو بكر السديني
رضي الله عنه ثم استقاموا أي لم يمتثلوا إلى الله بغيره قال ابن عباس في بعض الروايات هذه
الآية نزلت في أبي بكر السديني رضي الله عنه وذلك ان أبي بكر رضي الله عنه وقع في أنواع
سيدة من البلاء والحكمة ولم يمتثل لله من دينه فحار هو الذي قال ربنا الله وبقي مستقيما
عليه لم يغير بسبب من الأسباب وأقول يمكن فيه وجود أخرى وذلك ان مرأى بان هذا
العالم انها بقيت له مقامات أخرى (قائلها) أن لا يدخل في جانب الحق إلى حيث يتجهى
إلى التعطيل ولا يدخل في جانب الثبات إلى حيث يتجهى إلى التشديد بل يبقى على الخط
المستقيم الفاصل بين التشديد والتعطيل وأيضا يجب أن يبقى على الخط المستقيم الفاصل

ثم التزم في الزمان أو
في الزمان فان الاستقامة
فيها الشأن كله وما روي
عن الخلفاء الراشدين
رضي الله تعالى عنهم في
معناها من الثبات على
اليمان وإخلاص العمل
وأداء الفرائض بيان
لحركاتها (ثم استقاموا)
الملائكة من جهة
تعالى مدحهم فيها من
أهم من الأمور الدينية
والسبوية ببيان
صدورهم ويدفع عنهم
الخطوف والحرمان بطريق
الإلهام كما أن الكفرة
أخوهم ما قبض لهم من
مرئاة السوء بزيوت التبليغ
وقبل تنزل عند الموت
بالبري وفيل اذا قاموا
من قبورهم وقبل البشري
في مواضع ثلاثة عند الموت
وفي القبر وعند البعث
وأما ظاهره هو العدم
والإطلاق كما ستعرفه
(ان لا تخافوا) ما تقدمون
عليه فان الخوف ثم
يلحق الوهم المذكور
(ولا تخفوا) على ما
تقدم فانه غم يلحق
لوقوعه من دوات
تافع أو حصول خسار
وقيل المراد منهم

كتب لكم الامن من كل غم فلن تدوقوه أبدا وأن امامفسرة أو مخففة من الثقله والاصل بأنه لا تخافوا ولا الهاء ضمير
الشان وقرئ لا تخافوا أى يقولون لا تخافوا على أنه حال من الملائكة ﴿ ٣٧٠ ﴾ أو استشاف (وأبشروا) أى

سروا (بالجنة التى كنتم
توعدون) فى الدنيا على
السنة الرسل هذان
بشاراتهم فى أحد المواطن
الثلاثة وقوله تعالى (نحن
أولياؤكم فى الحياة الدنيا)
الح من بشاراتهم فى الدنيا
أى أعوانكم فى أموركم
نلهحكم الحق ونرشدكم
الى ما فيه خيركم ومصلحتكم
ولعل ذلك عبارة عما لا يحيط
بيان المؤمنين المسترئين
على الطاعات من أن
ذلك يتوفى الله تعالى
ونأيداهم بواسطة
الملائكة عليهم السلام
(وفى الآخرة) عندكم
بالشفاعة وتلقاكم بالكرامة
حين يقع بين الكفرة
وقرنائهم ما يقع من
التصادم والخصام
(ولكم فيها) أى فى
الآخرة (ما تشتهى
أنفسكم) من فنون
الطيبات (ولكم فيها
ما تدعون) ما تشتهون
الضرب أى تدعون
لأنفسكم وهو أعم من
الأول ولكم فى الموضعين
خير وما مبتدأ وفيها
حال من ضميره فى الخير

بين الخير والقدر وكذا فى الرجاء والقنوط يجب أن يكون على الخط المستقيم فهذا هو
المراد من قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وأما على القول الثانى وهو أن تحمل
الاستقامة على الاتيان بالاعمال الصالحة فهذا قول جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين
قالوا وهذا أولى حتى يكون قوله ان الذين قالوا ربنا الله متناولا للقول والاعتقاد ويكون
قوله ثم استقاموا متناولا للاعمال الصالحة ثم قال تنزل عليهم الملائكة قبل عند الموت
وقبل فى مواقف ثلاثة عند الموت وفى القبر وعند البعث الى القيامة أن لا تخافوا بمعنى
أى أو مخففة من الثقله وأصله بأنه لا تخافوا وألهاء ضمير الشأن واعلم ان الغاية القصوى
فى رعاية المصالح دفع المضار وجلب المنافع ومعلوم ان دفع المضرة أولى بالرعاية من جلب
المصلحة والمضرة أما ان تكون حاصلة فى المستقبل أوفى الحال أوفى الماضى وههنا دقة
عقلية وهى ان المستقبل مقدم على الحاضر والحاضر مقدم على الماضى فان الشئ الذى
لم يوجد ويتوقع حدوثه يكون مستقبلا فإذا وجد يصير حاضرا فإذا عدم وفى بعد ذلك يصير
ماضيا وأيضا المستقبل فى كل ساعة يصير أقرب حصولا والماضى فى كل حانة أبعد حصولا
وهذا قال الشاعر

فلا زال ما تهواه أقرب من غدا * ولا زما تخشاه أبعد من أمس

واذا ثبت هذا فالمضار التى يتوقع حصولها فى المستقبل أولى بالدفع من المضار الماضية
وأىضا الخوف عبارة عن تألم القلب بسبب توقع حصول مضرة فى المستقبل وانغم عبارة
عن تألم القلب بسبب خوف نفع كان موجودا فى الماضى وإذا كان كذلك فدفع الخوف
أولى من دفع الخزن الحاصل بسبب الغم اذا عرفت هذا فقول الله تعالى اخبر عن الملائكة
انهم فى أول الامر يخبرون بأنه لا خوف عليكم بسبب ما تستقبلونه من أحوال القيامة ثم
يخبرون بأنه لا حزن عليكم بسبب ما فاتكم من أحوال الدنيا وعند حصول هذين الأمرين
فقد زالت المضار والمناع بالكلية ثم بعد انقراض منه يشعرون بحصول المنافع وهو قوله
تعالى وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون فان قيل ابشارة عبارة عن الخير الاول بحصول
المنافع فاما اذا أخبر الرجل بحصول منفعة ثم أخبر ثانيا بحصولها كان الاخبار الثانى
اخبارا ولا يكون بشارة والمؤمن قد يسمع بشارات الخير فإذا سمع المؤمن هذا الخبر من
الملائكة وجب أن يكون هذا اخبارا ولا يكون بشارة فما السبب فى تسمية هذا الخبر
بالبشارة فلنا المؤمن يسمع ان من كان مؤمنا تقيا كان له الجنة اما من لم يسمع البشارة من أهل
الجنة فإذا سمع هذا الكلام من الملائكة كان هذا اخبارا يرفع عظيم معاته هو الخبر
الاول بذلك فكان ذلك بشارة واعلم ان هذا الكلام يدل على ان المؤمن عند الموت وفى
القبر وعند البعث لا يكون فازعا من الأهوال ومن الفزع الشديد بل يكون آمنا القلب
ساكن الصدر لان قوله أن لا تخافوا ولا تحزنوا يفيد فى الخوف والحزن على الاطلاق ثم
انه تعالى أخبر عن الملائكة انهم قالوا للمؤمنين نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة

وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهى للاشباع فى البشارة والايذان باستقلال كل * وهذا *

منهما (نزل من غفور رحيم) حال مما تدعون مقيدة لكون ما تمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظام الاجور كالنزل
للضيف (ومن احسن قولا من دعا) ٢٧١ بحمد الى الله) أي الى توحيد تعالي وطاعته * عن ابن عباس رضي الله عنهما

هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعا الى
الاسلام وعنه انهم
استجاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقيل
نزلت في المؤمن والحق
أن حكمها عام لكل

من جمع ما فيهما من
الحاصل الحميدة وان
نزلت فيمن ذكر (وعمل

صالحا) فيما بين وبين
ربه (وقال انني من
المسلمين) ابتهاجا بانه

منهم أو اخذ الاسلام
دينا ونحلة من قوامهم
هذا قول فلان أي

مذهبه لأنه تكلم بذلك
وقرى اني بنون واحدة
(ولا تستوى الحسنة

ولا السيئة) جملة
مستأنفة سبقت لبيان
مخاسن الاعمال الجارية

بين العباد اثر بيان
مخاسن الاعمال الجارية
بين العبد وبين الرب

عز وجل ترغيبا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
في الصبر على اذية

المشركين ومقابلة
اساءتهم بالاحسان أي
لا تستوى الحسنة الحسنة

والسيئة في الآثار
والاحكام ولا الثانية مزينة
لأن كيد الله في قوله تعالى (ادفع بالتي هي احسن) الخ استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة أي

وهذا في مقابلة ما ذكره في وعيد الكفار حيث قال وقضنا لهم قرنا ومعنى كونهم أولياء
للمؤمنين ان الملائكة تأثرت في الارواح البشرية بالالهامات والكشافات اليقينية
والمقامات الحقيقية كما ان الشياطين تأثرت في الارواح ببقاء الوسوس فيها وتخييل
الاباطيل اليها وبالجملة فيكون الملائكة أولياء لارواح الطيبة الظاهرة محاد ل من جهات
كثيرة معلومة لارباب المكاشفات والمشاهدات فهم يقولون كان تلك الولاية كانت
حاصلة في الدنيا فهي تكون باقية في الآخرة فان تلك العلائق ذاتية لازمة غير
قابلة الزوال بل كانتا تصير بعد الموت أقوى وأبقى وذلك لان جوهر النفس من جنس
الملائكة وهي كالشمعة بالنسبة الى الشمس واقطرة بالنسبة الى البحر والنعاسات
الجسمانية هي التي تحول بينهما وبين الملائكة ثم قال صلى الله عليه وسلم ولان الشياطين
يعودون على قلوب بني آدم لنظروا الى ما يكون السموات فاذنات الملائكة في الجسمانية
والديورات البدنية قد زال الغطاء والوحاء فيحصل الاثر بالمؤثر والقطرة بالبحر والشمعة
بالشمس فهذا هو المراد من قوله نحن أولياءكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم قال ولكم
فيها ما تشتهي أنفسكم وإنكم فيها ما تدعون قال ابن عباس قوله ولكم فيها ما تدعون أي
ما تمنون كقوله تعالى لهم فيها ما كهة وانهم ما يدعون فان قيل فعلى هذا التفسير لا يبق
فرق بين قوله ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم وبين قوله ولكم فيها ما تدعون قلنا الاقرب
عندي ان قوله ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم اشارة الى الجنة الجسمانية وقوله ولكم فيها
ما تدعون اشارة الى الجنة الروحانية المذكورة في قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم وتعتبهم
فيها لسلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ثم قال نزل من غفور رحيم والنزل رزق
النزل وهو الضيف وانتصابه على الحال قال العارفون دلت هذه الآية على ان كل هذه
الاشياء المذكورة جارية مجرى النزل والكريم اذا أعصى النزل فلا يدوان به عن الخلق
النفيسة بعدها وتلك الخلق النفيسة ليست الا السعادات الحاصلة عند الروية والتجلى
والكشف التام نسأل الله تعالى أن يحمدنا بها أهلا بفضلها وكرمه انه قريب مجيب * قوله
تعالى (ومن احسن قولا من دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوى
الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم
وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وما يبرز عنك من الشيطان نزع
فاستعد بالله انه هو السميع العليم) اعلم أن في الآية مسائل (المسئلة الاولى) انا ذكرنا
في الكلام من أول هذه السورة انما ابتدئ حيث قالوا لرسول قلوبنا في أسكنة مما
دعونا اليه ومرادهم ان لا تقبل قولك ولا تلغى الى دليلك ثم ذكرنا طريقة أخرى في
الشفاعة فقالوا لا تسعوا وهذا القرآن والعواقيبه وانه سبحانه ذكر الاجوبة الشافعة
والبيانات الكافية في هذه الشبهات وازالة هذه الضلالات ثم انه سبحانه وتعالى بين
ان تقوم وان اتوا بهذه الكلمات الفاسدة الا انه يجب عليك تتابع المواظبة على التبليغ

والاحكام ولا الثانية مزينة
لأن كيد الله في قوله تعالى (ادفع بالتي هي احسن) الخ استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة أي
ادفع السيئة حيث اعترضتك

من بعض اغايدك باقى هي احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالا حسان الى من اساء فانه احسن من العفو واخراجة
مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف اصنع للبالغ ولذالك وضع ﴿ ٢٧٢ ﴾ احسن موضع الحسنة وقوله تعالى

(فاذا الذي يذنب و بينه
عداوة كأنه ولي حميم)
بيان نتيجة الدفع المأمور
ه أي فاذا فعلت ذلك صار
عدوك المشاق مثل الولي
الشفيق (وما يلقاها)
أي ما يلقى هذه الخصلة
والسجدة التي هي مقابلة
الاساءة بالاحسان
(ان الذين صبروا) أي
شأنهم الصبر (وما يلقاها)
الاذ وحظ عظيم) من
الخير وكال النفس وقبل
الحظ العظيم الجنة وقبل
هو الثواب قبل نزول
في أبي سفيان بن حرب
وكان مؤذيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فصار وليا مصافيا
(واما يتزغتك من
الشیطن تزغ) التزغ
والنسخ بمعنى وهو شبه
به وسوسة الشيطان
لانها بعث على الضرر
وجعل نازعا على طريقه
جدجده أو أريد واما
يتزغتك نازغ وصفا
للسيطان بالمصدر أي
وان صر ذلك الشيطان
عملا وصيت به من الدفع
بالتى هي احسن (فاستعد
بالله) من شره ولا قطع

والدعوة فان الدعوة الى الدين الحق اكمل الطاعات ورأس العبادات وعبر عن هذا المعنى
فقال ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين فهذا وجه
شريف حسن في نغم آيات هذه السورة وفيه وجه آخر وهو ان مراتب السعادات الثمان
الامم وفوق التام اما التام فهو ان يكسب من الصفات الناقصة ما لا يجلبها بصير كما لا في
ذاته فاذا فرغ من هذه الدرجات مثل يسدها بتكميل الناقصين وهو فوق التام اذا عرفت
هذا فنقول ان قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اشارة الى المرتبة الاولى وهي
اكتساب الاحوال التي تفيد كمال النفس في جوهرها فاذا حصل الفراغ من هذه المرتبة
وجب الانتقال الى المرتبة الثانية وهي الاشغال بتكميل الناقصين وذلك انما يكون
بدعوة الخلق الى الدين الحق وهو المراد من قوله ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله فهذا
ايضا وجه حسن في نغم هذه الآيات واعلم ان من اتاه الله قريحة قوية ونصايبا وافيا من
العلوم الالهية الكشفية عرف انه لا ترتيب احسن ولا اكمل من ترتيب آيات القرآن
(المسئلة الثانية) من الناس من قال المراد من قوله ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله هو
الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال هم المؤذنون ولكن الحق المقطوع به ان كل من
دعا الى الله بطريق من الطرق فهو داخل فيه والدعوة الى الله مراتب (فالمرتبة الاولى)
دعوة الانبياء عليهم السلام ودعوتهم راجعة على دعوة غيرهم من وجوه (أحدها) انهم
جمعوا بين الدعوة بالحجة أولا ثم الدعوة بالسيف ثانيا وقما اتفق لغيرهم الجمع بين هذين
الطريقين (وثانيها) انهم هم المبتدئون بهذه الدعوة وأما العلماء فانهم يبنون دعوتهم على
دعوة الانبياء والشارع في احداث الامر الشريف على طريق الابتداء أفضل (وثالثها)
ان نفوسهم أقوى قوة وأرواحهم أصق جوهر افكانت تأثيراتها في احياء القلوب الميتة
واشراق الارواح الكدرة اكمل فكانت دعوتهم أفضل (ورابعها) ان النفوس على
ثلاثة أقسام ناقصة وكاملة لا تقوى على تكميل الناقصين وكاملة تقوى على تكميل
الناقصين (فالقسم الاول) العوام (والقسم الثاني) هم الاولياء (والقسم الثالث) هم
الانبياء واهذا السبب قال صلى الله عليه وسلم علماء أتى كائنات بنى اسرائيل واذا عرفت
هذا فنقول ان نفوس الانبياء حصلت لها من شتان الكمال في الذات والتكميل لغير
فكانت قوتهم على الدعوة أقوى وكانت درجاتهم أفضل وأكمل اذا عرفت هذا فنقول
الانبياء عليهم السلام لهم صفتان العلم والقدرة اما العلماء فهم نواب الانبياء في العلم وأما
الملوك فهم نواب الانبياء في القدرة والعلم يوجب الاستيلاء على الارواح والقدرة توجب
الاستيلاء على الاجساد فالعلماء خلفاء الانبياء في عالم الارواح والملوك خلفاء الانبياء في
عالم الاجساد واذا عرفت هذا ظهر ان اكمل الدرجات في الدعوة الى الله بعد الانبياء
درجة العلماء ثم العلماء على ثلاثة أقسام العلماء بالله والعلماء بصفات الله والعلماء باحكام الله
اما العلماء بالله فهم الحكماء الذين قال الله تعالى في حقهم يوثق بالحكمة من يشاء ومن يوثق

الحكمة دأوى خيرا كثيرا وأما العلماء بصفات الله تعالى فهم أصحاب الأصول وأما
 العلماء بأحكام الله فهم أئمة الهدى ولكل واحد من هذه المقامات ثلاث درجات لانهاية لها
 فلهذا السبب كان للدعوة الى الله درجات لانهاية لها وأما الملوك فهم أيضا يدعون الى
 دين الله بالسيف وذلك بوجهين اما بتخصيله عند عدده مثل المحاربة مع الكفار واما
 بإبقائه عند وجوده وذلك مثل قوتنا المرتديقتل وأما المؤذنون فهم يدخلون في هذا
 الباب دخولا ضعيفا اما دخولهم فيه فلان ذكر كانت الاذان دعوة الى الصلاة فكان ذلك
 داخلا تحت الدعاء الى الله واما كون هذه المرتبة ضعيفة فلان الظاهر من حال المؤذن
 انه لا يحيط بمعاني تلك الكلمات وبتقدير أن يكون محيطا بها الا انه لا يريد بذكرها تلك
 المعاني الشريفة فهذا هو الكلام في مراتب الدعوة الى الله (المسئلة الثالثة) قوله ومن
 أحسن قولاً من دعا الى الله يدل على أن الدعوة الى الله أحسن من كل ما سواها اذا عرفت
 هذا فنقول كل ما كان أحسن الاعمال وجب أن يكون واجبا لان كل ما لا يكون واجبا
 فالواجب أحسن منه فثبت أن كل ما كان أحسن الاعمال فهو واجب اذا عرفت هذا
 فنقول الدعوة الى الله أحسن الاعمال بمقتضى هذه الآية وكل ما كان أحسن الاعمال
 فهو واجب ثم ينتج أن الدعوة الى الله واجبة ثم نقول الاذان دعوة الى الله والدعوة اليه
 واجبة فينتج الاذان واجب وانعلم أن الأكثرين من الفقهاء زعموا أن الاذان غير واجب
 وزعموا أن الاذان غير داخل في هذه الآية والدليل القاطع عليه ان الدعوة المرادة بهذه
 الآية يجب أن تكون أحسن الاقوال وثبت أن الاذان ليس أحسن الاقوال لان الدعوة
 الى دين الله سبحانه وتعالى بالدلائل اليقينية احسن من الاذان ينتج من السكك الثاني
 ان الداخل تحت هذه الآية ليس هو الاذان (المسئلة الرابعة) اختلف الناس في أن
 الاولى ان يقول الرجل أنا مسلم أو الاولى أن يقول أنا مسلم ان شاء الله فالقائلون بالقول
 الاول احتجوا على صحة قولهم بهذه الآية فان التقدير ومن أحسن قولاً من قال اني من
 المسلمين فيحكم بأن هذا القول أحسن الاقوال واو كان قولنا ان شاء الله معتبرا في كونه
 أحسن الاقوال لبطل ما دل عليه ظاهر هذه الآية (المسئلة الخامسة) الآية تدل
 على أن أحسن الاقوال قول من جمع بين خصال ثلاثة (أولها) الدعوة الى الله
 (وثانيها) العمل الصالح (وثالثها) ان يكون من المسلمين أما الدعوة الى الله فقد شرحناها
 وهي عبارة عن الدعوة الى الله بإقامة الدلائل اليقينية والبراهين القطعية وأما قوله وعمل
 صالحا فاعلم أن العمل الصالح اما أن يكون عمل القلب وهو المعرفة أو عمل الجوارح
 وهو سائر الطاعات وأما قوله وقال اني من المسلمين فهو ان ينضم الى عمل القلب وعمل
 الجوارح الاقوال باللسان فيكون هذا الرجل موصوفا بخصال أربعة (أحدها)
 الاقرار باللسان (وثاني) الاعمال الصالحة بالجوارح (وثالث) الاعتقاد الحق
 بالقلب (والرابع) الاشتغال بإقامة الحجّة على دين الله ولا شك ان الموصوف

بهذه الحصان الاربعة أشرف الناس وأفضالهم وكان السرجة في هذه المراتب
 الاربعة ليس إلا محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة
 واعلم أنا بيننا أن الكلام من أول السورة ابتدئ من أن الله حكى عنهم أنهم قالوا
 قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه فاعلموا من أنفسهم الاصرار الشديد على أديانهم
 القديمة ومن التأثير بدلائل محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى أطلب في الجواب عنه
 وذكر الوجوه الكثيرة وأردفها بالوعد والوعيد ثم حكى عنهم شبهة أخرى وهى قواهم
 لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وأجاب عنها أيضا بالوجوه الكثيرة ثم انه تعالى بعد
 الاطنباب في الجواب عن تلك الشبهات رغب محمد صلى الله عليه وسلم في أن لا يترك الدعوة
 الى الله فابتدأ أولاً بأن قال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فمنهم الثواب العظيم ثم ترقى
 من تلك الدرجة الى درجة أخرى وهى ان الدعوة الى الله من أعظم الدرجات فصار الكلام
 من أول السورة الى هذا الموضع واقعاً على أحسن وجه ترتيب ثم كان سائلاً فقال
 ان الدعوة الى الله وان كانت طاعة عظيمة الا ان الصبر على سفاهة هؤلاء الكفار شديد
 لطافة لنا به فعند هذا ذكر الله ما صلح لان يكون دافعاً لهذا الاشكال فقال ولا تستوى
 الحسنة ولا السيئة والمراد بالحسنة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم الى الدين الحق
 والصبر على جهالة الكفار وترك الانتقام من كمال الشفقت اليهم والمراد بالسيئة ما يظهره
 من الجلافة في قواهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وماذكروه في قواهم لا تسمعوا لهذا
 القرآن والغوا فيه فكانه قال يا محمد فمالك حسنة وفعلهم سيئة ولا تستوى الحسنة
 ولا السيئة بمعنى انك اذا أتيت بهذه الحسنة تكون مستوجباً للعظيم في الدنيا والثواب
 في الآخرة وهم بانضد من ذلك فلا ينبغي أن يكون اقدارهم على تلك السيئة مانعاً لك
 من الاشتغال بهذه الحسنة ثم قال ادفع باقى هى أحسن بعد ادفع سفاهتهم وجهالتهم
 بالطريق الذى هو أحسن الطرق فمالك اذا صبرت على سوء أخلاقهم مرة بعد أخرى
 تقابل سفاهتهم بالغضب ولا اضرارهم بالايذاء والايحاش ستحيوا من تلك الاخلاق
 المذمومة وتركوا تلك الافعال القبيحة ثم قال فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم
 اذ قابلت اساءتهم بالاحسان وافعالهم القبيحة بالافعال الحسنة تركوا افعالهم القبيحة
 وانقلبوا من العداوة الى المحبة ومن البغضة الى المودة ولما أرشد الله تعالى الى هذا الطريق
 النافع في الدين والدنيا والآخرة عظمه فقال وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها
 الا ذو حظ عظيم قال الزجاج أى وما يلقى هذه الفعلة الا الذين صبروا على تحمل المكاره
 وتجبرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام ثم قال وما يلقاها الا الذين صبروا على تحمل المكاره
 النفسانية والدرجة العالية فى القوة الروحية فان الاشتغال بالانتقام والدفع لا يحصل
 الا بعد تأثر النفس وتأثر النفس من الواردات الخارجية لا يحصل الا عند ضعف النفس
 فلما اذا كانت النفس قوية الجوهر لم تتأثر من الواردات الخارجية واذا لم تتأثر منها

الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان من يد تحذير وتنبيه عنه (ومن آياته) الدالة على شؤنه العظيمة (الليل والنهار والشمس والقمر) كل منها مخلوق ﴿ ٢٧٥ ﴾ من مخلوقاته مسخر لأمره (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهما

من جملة مخلوقاته المسخرة
لاوامره مثلكم (واسجدوا
للله انظر ربه لا لا حرم
جاعة ملائكة حكم
الانبياء والامان اولائها
عبارة عن الايات وتعليق
الفعل بالكل مع كفاية
بيان مخلوقية الشمس
والقمر للايدان بكمال
منوطهما عن رتبة
المجودية بنظمهما
في المخالفة في سلك
الاعراض التي لا قيام
لها بذاتها وهو السر
في نظم الكل في سلك
آياته تعالى (ان كنتم
ايه تعبدون) فان السجود
اقصى مراتب العبادة
فلا بد من تخصيصه به
سبحانه وهو موضع
السجود عند الشافعي
رحمه الله وعندنا آخر
الاية الاخرى لانه تمام
المعنى (فان استكبروا)
عن الامثال (فالنبي
عند ربك) من الملائكة
(يسجدون له بالليل
والنهار) أي دائما
(وهم لا يسأمون)
لا يفترون ولا يملون
وقرى لا يسأمون
فقال خليفته (فإذا أنزلنا

لم تصعب ولم تأذ ولم تشغل بالانتقام فثبت أن هذه السيرة التي شرحناها لا يلقاها الا ذو حظ
عظيم من قوة النفس وصفاء الجوهر وطهارة الذات ويحتمل أن يكون المراد وما يلقاها
الا ذو حظ عظيم من ثواب الآخرة فعلى هذا الوجه قوله وما يلقاها الا الذين صدقوا
بفعل الصبر وقوله وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وعد بأعظم الحظ من الثوابية طريقا
الطريق الحسن الكامل في دفع الغضب والانتقام وفي ترك الخصومة ذممه تعالى الله هو
آخر عظيم النفع أيضا في هذا الباب فقال وما يلقاها الا الذين صدقوا وهو شبه الخمس
السميع العليم وهذه الآية مع ما فيها من الفوائد الجليلة مفسر واحد وهو شبه الخمس
على الامتصاص قال صاحب الكشف النزغ والنسخ بمعنى النزغ نازعا كما قيل جد
والشيطان ينزغ الانسان كأنه يخصه بجد على ما لا ينبغي له فآلة صود من الآية وان
جده أو أريدوا ما ينزغ نازع وصف الشيطان بالصدور بالله من سره وامض على
صرفك الشيطان عما شرعت من الدفيع التي هي من سائر ما روي في الشمس والقمر لا تسجدوا
مالك ولا تطعه والله أعلم * قوله تعالى (فان استكبروا) فان استكبروا غالدين
للشمس ولا تقهر واسجدوا لله ربكم وان من آياته انك ترى الارض خاضعة فاذا
عند ربك يسجدون له بالليل والنهار (ان كنتم ايها الذين آمنوا) اي الذين آمنوا
أترأى انهم انما اهتزن وريثا ان حسن الاتقال والاقوال هو الدعوة الى الله تعالى
تعالى لما بين في الآية المقدمة ان الله وحده وحكمته تدبرها على أن الدعوة الى الله
أودفه بذكر الدلائل الدالة على وجوده وحده ^{الآيات الدالة على وجوده} ^{مما ثبت أحسن علوم القرآن وقد عرفت أن}
تعالى عبارة عن تقرير الدلائل الدالة على ^{هي العلم بجميع ما فيه من الاجزاء والابحار}
من تناسق هذه الايات فكان العلم ^{وإنما قدم ذكر المبدأ على ذكرها لتبينها على}
الدلائل الدالة على هذه المطالب ^{تأنيق على الوجود فهذا كالتبيين على حدوث هذه}
فيدها بذكر انفاكيات وهي ^{أن الظلمة عدم والنور وجود وان}
أن الظلمة عدم والنور وجود وان ^{الاشياء وأما دلالة الشمس والقمر}
الاشياء وأما دلالة الشمس والقمر ^{في سائر الكواكب على وجود الصانع فقد}
في سائر الكواكب على وجود الصانع فقد ^{شرحنا في هذا الكتاب}
الشمس والقمر بعبارة ^{الحمد لله الذي خلق السموات}
الحمد لله الذي خلق السموات ^{على وجود الاله التادر قال}
على وجود الاله التادر قال ^{وجود الاله والسجدة عبارة}
وجود الاله والسجدة عبارة ^{فقال لا تسجدوا للشمس والقمر لان حكم جاعة ملائكة}
فقال لا تسجدوا للشمس والقمر لان حكم جاعة ملائكة ^{الحكم والضمير في قوله}
الحكم والضمير في قوله ^{حكم الانبياء الانبياء تعبدون لان اناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر}
حكم الانبياء الانبياء تعبدون لان اناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر ^{فقال خليفته}
فقال خليفته (ان من خاشعة) بابسة متطامنة مستعار من الخشوع يعني

يكسر الياء (ومن آياته انك ترى الارض عليها الماء) أي المطر (اهتزن

كالصائين في عبادتهم انكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله
 فهو اعن هذه الوساطة وأمروا أن لا يسجدوا الا لله الذي خلق هذه الاشياء فان قيل اذا
 كان لا بد في الصلاة من قبلة معينة فلو جعلنا الشمس قبلة معينة عند السجود كان ذلك
 الصلوات في الشمس جوهر مشرق عظيم الرفع على الدرجة فلو أذن الشرع في جعلها قبلة في
 الشمس لا الله ^{بما} اعتياد السجود الى جانب الشمس بما غلب على الاوهام ان ذلك السجود
 قبلة للسجود بخلاف ^{الحل} الخوف من هذا المحذور نهى الشارع الحكيم عن جعل الشمس
 حاصلا والمحذور المذكور ^{بما} الجهر المعين فانه ليس فيه ما يوهم الالهية فكان المقصود من القبلة
 أن موضع السجود هو ^{بما} رزائلا فكان هذا أولى واعلم أن مذهب الشافعي رضي الله عنه
 هو قوله وهم لا يسلمون لانه تعبدون لاجل أن قوله واسجدوا لله متصل به وعند أبي حنيفة
 فان استكبروا فان الذين عند ^{بما} الكلام انما يتم عنده ثم انه تعالى لما أمر بالسجود قال بعده
 (السؤال الاول) ان الذين يسجدون له بالليل والنهار وهم لا يسلمون وفيه سوالات
 يحصل لنا أهلية عبودية الله تعالى ^{بما} يسجدون للشمس والقمر وهما عبدان لله واذا كان
 قول هؤلاء هكذا فكيف يليق أن يقولوا انهم يسجدون لله ^{بما} المراد من لفظ الاستكبار ما ذكرتم بل المراد ما ذكره كبروا عن قبول قولك يا محمد في التهم
 عن السجود للشمس والقمر (السؤال الثاني) هل يسجدون لله ^{بما} اثبات المكان والجهة لله تعالى والجواب انه يسجد في كل مكان لا يحد كذا وكذا ولا يحد
 به قرب المكان فكذا ههنا ويدل عليه قوله أنا ^{بما} قلوبهم لا تجلي في متعدد صدق عند ملك مقتدرو وقال عبد الشافعي رضي الله عنه ان
 المسلم لا يقتل بالدمى (السؤال الثالث) هل تدل هذه ^{بما} الجواب نعم لانه انما يستدل بحال الاهل على حال الا
 استكبروا عن طاعة فلان فلا كبر يخدعونه ويعترفون ^{بما} من الاستدلال انما يحسن بحال الاهل على حال الادون
 صفة الملائكة يسجدون له بالليل والنهار فهنا يدل على ^{بما} لا ينفكون عنه لحظة واحدة واشغالهم بهذا العمل
 الاشتغال بسائر الاعمال ككونهم ينزلون الى الارض كما قال ^{بما} قلوبك وقال ونبئهم عن ضيف ابراهيم وقال تعالى عليها ملائكة
 الذين ذكرهم الله تعالى ههنا يكونهم مواظبين على التسبيح ^{بما} وهم الاشراف الاكابر منهم لانه تعالى وصفهم بكونهم عنده
 اشرف والمنقبة وهذا لا ينافي كون طائفة أخرى من الملائكة ^{بما} فان قالوا هب ان الامر كذلك الا انهم لا بد وان يثبت
 سوا فاشغالهم بذلك التنفس

ورويت (أي تحركت
 بالنبات وانتفعت لان
 النبات اذا دنا أن يظهر
 ارتفعت له الارض
 وانتفعت ثم تصدعت
 عن النباتات وقيل
 ترخفت بالنباتات
 وقرئ ربأت أي ارتفعت
 (ان الذي أحياها) بما
 ذكر بعد موتها (لحيى
 الموتى) بالبعث (انه على
 كل شيء) من الاشياء
 التي من جعلها الاحياء
 قدير) مبالغ في القدرة

(ان الذين يلمدون) يملون عن الاستقامة وقرى يلمدون (في آياتنا) بالاطمئن فيها ونحوها على المحامل الباطلة
(لا تخفون عينا) فجازهم بالحادهم وقوله تعالى (انني يلقى في النار خير امن ياتي آياتي يوم القيامة) تنبيه على كيفية الجزاء
(اعمالوا ما شئتم) من الاعمال النورية الى ما ذكر من الايمان في النار والاثبات آياتي يوم القيامة تنبيه شديد (انه يعملون بصير)
فجاز يكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى (ان الذين كفروا بالآيات كرم للمجاهدين) بدل من قوله تعالى ان الذين

يلمدون الخ وخبر انه
الخبر السابق وقيل
مستأنف وخبرها شذوذ
وقال الكسائي ساد مسدود
الخبر السابق والذكر
ان قرآن وقوله تعالى (وا
الكتاب عن يميني) كشي
النافع عديم الظهور ومن
لا تأتي معارضته بجملة
حالية مفيدة لاجتماع
الكفرية وقوله تعالى
(لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه) أي
لا يتطرق اليه الباطل
من جهة من الجهات
وصفة أخرى الكتاب
وقوله تعالى (تزييل
حكيم حديد) خبر بـ
محدوف او صفة آخر
لكتاب مفيدة لاجتماع
الاضافية كما ان الصفة
السابقة مفيدة
للفاعلية الذاتية وقوله
تعالى لا ياتيه اي
اعراض عديم لا ي
تقديم خبر الصريح
الصفات على الصبر
كل ذلك لا يبدل
الكفر بالقرآن وقوله
تعالى (ما قال لك)

يصددهم عن تلك الخاتمة من التوسيع واما كان النفس سبب اصلاح حال الخيرة بالنسبة الى
البشر فذكر الله تعالى سبب اصلاح حالهم في حياتهم ولا يجب على العاقل النصف ان يقاس
أحوال الملائكة في سفل جحيمها وشراف ذواتها واستغراقها في معارج معارف الله
بأحوال البشر فان بين الخلقين بعد المسرفين ثم قال تعالى ومن اياته املك ترى الارض
خاشعة واعلم انه تعالى لما ذكر الآيات اضر بعظمة كفة وهي الليل والنهار والخمس والاعمال
آيةها بذكر آية أرضية فقال ومن آياته انك ترى الارض خاشعة والخشعة مع الخشوع
والانحسار واستمع هذا اللفظ الى الارض تعالى وهو عن المطر والنبات فذكر ان سفلها
الماء اهترت وربت ابي تحركت بالخراب ودرت ففتحت لان التفت اذا قرب ان يظهر
ارتفعت الارض وانفتحت ثم فسدت على آيات ثم قال ان الذي اصابه من الموت
يعني ان القادر على احياء الارض بعد موتها هو القادر على احياء الموتى بعد
موتها وقد ذكرنا في هذا الدليل مرارا ان احصاء آيات الله تعالى قل من يفسد هذا
الدليل الاصلى وتقر به ان عبادة التاليف والتركيب الى تلك الاجزاء المرفقة فمكن اذاته
للعود الى الحياة والموت والقدرة الى تلك الاشياء التي لا يمكن ان تاتيها والله تعالى
عذر على المستكثفات فوجب ان يكون قادر على اعادة التركيب والتأليف والحياة والقدرة
الاعقل والغهم الى تلك الاجزاء وهذا يدل دلالة واضحة على ان حشر الاجساد ممكن
بلا مشاع فيه البتة والله اعلم وقوله تعالى (ان الذين يلمدون في آياتنا لا يخفون عينا) ان
يلقى في النار خير امن ياتي آياتي يوم القيامة اعمالوا ما شئتم الله ياتون بصير ان الذين
كفروا بالآيات كرم للمجاهدين (ان الذين كفروا بالآيات كرم للمجاهدين) تنبيه على
من حكيم حديد اعلم انه تعالى الى الذين الذين الله تعالى انهم المنادى بسبب ما عرفت
المراتب ثم بين ان الدعوة الى دين الله تعالى انما يحصل بذكر دلائل التوحيد والعدل
وحجة اليه والقيامة عادى تهديد من يزارع في تلك الآيات ويحاول اقتلاع اشياء
فيما اتى ان الذين يلمدون في آياتنا يقال انهم المفسدون والمجادل من الاستقامة في
شق فالمجد هو التحريف ثم يحكم العرف الخاص بالتحريف عن الحق الى الباطل وقوله
لا تخفون عينا تهديد كما اذا قال الملك الملك الذي يزارعوني في سبي ارفهم فانه
يكون ذلك تهديدا ثم قال ان يلقى في النار خير امن ياتي آياتي يوم القيامة وهذا استفهام
يعني انشرروا تعرض ان ياتي على ان الذين يلمدون في آياتنا يلقون في النار والله من
يقومون بآياتنا ياتون آمنين يوم القيامة ثم قال اعمالوا ما شئتم الله ياتون بصير ومما
ايضا تهديد ثالث وخطيره اي قوله الملك المهيب عند غضب الشيطان اذا نادى ما تاب بعض
عبيد ثم يقول لهم اعمالوا ما شئتم فان هذا يدل على الوعيد الشديد على ان الذين
كفروا بالآيات كرم للمجاهدين وهذا ايضا تهديد وفي جوابه وجهان (احدهما) انه شذوف
كسائر الاجوبة المحذوفة في القرآن على تقدير ان الذين كفروا بالآيات كرم للمجاهدين يجازون

تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٨ ساد عماد بسببه من اذية الكفار أي ما يقال في شأنه وسأن ما نر
اليك من القرآن من جهة كفار قومك (انما قد قيل للرسول من قولك) أي الامثل ما قد قيل في حقهم مما اخبر فيه (ان ربي
لذو مغفرة) لانبيائه (وذو عقاب انهم) لا عدائهم وقد نص من قبلنا من الرسل وانهم من أعدائهم وسيتعمل مثل ذلك با
وياعدك ايضا

(ولو جعلناه قرآنا أعجميا) جواب لقوله هم هلا أنزل القرآن بلغة الجهم والضمير للذكر (لما والوا) لفصلت آياته (أي ينته بلسان نفعهم وقوله تعالى) (أعجمي وعربي) انكاره مقرر للتخصيص والأعجمي يقال للكلام لا يفهمه والكلمة به والياء المطالعة في الوصف كآخرى والمعنى أكلام أعجمي ورسول أو مرسل اليه عربي على أن الأفراد مع كون المرسل اليهم أمة لغة لما أن المراد بيان التناهي واختلاف بين الكلام وبين المخاطب به ٢٧٨ لا بيان كون المخاطب واحدا أو جهة أو قرى

أعجمي أي أكلام منسوب إلى أمة الجهم وقرى أعجمي على الاختصار بأن القرآن أعجمي والشك والمخاطب عربي ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لافهام الجهم وبعضها عربيا لافهام العرب وأما ما كان فالقصد ببيان أن آيات الله تعالى على أي وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتناولون به (قل هو الله الذي آمنوا هدى) يهديهم إلى الحق (شفاء) لما في الصدور من شك وشبهة (والذين لا يؤمنون) مبتدأ خبر (في آذانهم) وقرى على أن آذانهم هو أي القرآن في آذانهم وقرى على أن وقر خير للضمير المنقذ وفي آذانهم متعلق بمحذوف وقع حال من وقر وهو أوفق لقوله تعالى (وهو عليهم عى) وقيل خبر الموصول في آذانهم ووقفا على الضرف وقيل وقر مبتدأ وانظر خبره والخلة خبر

بكفرهم أو ما أشبه ذلك (والثاني) أن جوابه قوله أو شك ينادون من مكان بعيد والاول أسبغ ولما بالغ في تهديد الذين يلحدون في آيات القرآن أتبعه ببيان تعظيم القرآن فقال وأنه لكتاب عزيز لا يناله منصفان (أحدهما) الغالب القاهر (والثاني) الذي لا يوجد نظيره أما كون القرآن عزيزا بمعنى كونه غائبا فالامر كذلك لأنه بقوة جنته غلب على كل ما سواه وأما كونه عزيزا بمعنى عديم النظير فالامر كذلك لأن الاولين والآخرين عجزوا عن معارضته ثم قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفيه وجوه (الاول) لا تكذبه الكتب المنقولة عليه كالإنجيل والزبور والإنجيل كتاب من بعده يكذب (الثاني) ما حكم القرآن بكونه حقا لا يصير بادلا وما حكم بكونه باطلا لا يصير حقا (الثالث) معناه أنه محفوظ من أن ينقص منه فآيته الباطل من بين يديه أو يزداد فيه فآيته الباطل من خلفه والدليل عليه قوله وأنه لما حفظون فعلى هذا الباطل هو الزيادة والنقصان (الرابع) محتمل أن يكون المراد أنه لا يوجد في المستقبل كتاب يمكن جعله معارضه ولم يوجد فيما تقدم كتاب يصلح جعله معارضه (الخامس) قال صاحب الكشف هذا تمثيل والمقصود أن الباطل لا يتطرق إليه ولا يتعد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يتصل إليه واعلم أن لا يسلط الاصفهاني أن يحكم بهذه الآية على أنه لم يوجد النسخ فيه لأن النسخ ابطال فلو دخل النسخ فيه لكان قد أتاه الباطل من خلفه وأنه على خلاف هذه الآية ثم قال تعالى تنزيل من حكيم حكيم في جميع أحواله وأفعاله حميد إلى جميع خلقه بسبب كثرة نعمه وهذا السبب جعل الحمد لله رب العالمين فاتحة كلامه أخبر أن خاتمة كلام أهل الجنة هو قوله الحمد لله رب العالمين وقوله تعالى (ما مثل لك انما هذا قول للرسول من ملك أن ربك ذو مغفرة وذو عقاب أليم) أو ما أشبه ذلك أعجميا لقوله والوا لا فصل آياته أعجمي وعربي قل هو الله الذي آمنى هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى أو لك ينادون من مكان بعيد لقد آتيناهم من بين يدي الكتاب فاختلاف فيه وإياهم لا كلمة سبقت من ذلك تقضي بينهم والهم في شك متدبر من عمل ساطع فتنفسد من أساء فاعلموا ما ربك بظلام العيدين) واعلم أنه تعالى لا يهدي المحسنين في آيات الله ثم بمن شرف آيات الله وعلو درجة كتاب الله رجم الله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصاف على أذى قومه وإن لا يضيق قلبه بسبب ما حكماء عندهم في أول السورة من آياتهم قالوا قلوا بشا في أكنة ما تدعوننا إليه لا قبله فاعلم انه عالمون فقال ما إن كان لا إلا ما قد قبل للرسول من قبلك وفيه وجهان (الاول) وهو الأقرب أن المراد ما تقوى لك كفار قومك إلا مثل ما قد قال للرسول كفار قومه من المكاشات المؤذية والمخاض في الكتب المنزلة أن ربك ذو مغفرة للمحسنين وذو عقاب أليم للمبغضين نفوض هذا الامر إلى الله واشغل بما أمرت به وهو التبايع والدعوة إلى الله تعالى (الثاني) أن يكون المراد ما قال الله لك إلا مثل ما قال أسأثر الرسل وهو أنه تعالى أمر كل الأمم بالانصاف بالنسبة إلى سنهاة الاقوام فمن حته أن يرجوه أهل

للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ومن يجوز العطف على عاملين عطف على طاعته ثم الموصول على الموصول الاول أي هو الاولين هدى وشفاء والآخرين وقر في آذانهم (أولئك) إشارة إلى الموصول الثاني باعتبار اتصافه بما في خبر صلته ولا حظ ما أثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشار إليه للايدان بعد عزائه في الشرع ما فيه من نكال المناسبة للنداء من بعيد

أى أولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من النصام عن الحق الذى يسمعون والتعاضد عن الآيات الظاهرة التى يشاهدونها
(ينادون من مكان بعيد) تشيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يشادى من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها
الاصيات (ولهذا أتينا موسى الكتاب فاخترنا فيه) كما تم مسائل مسوق إليها أن الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة
الام غير مختص بغير ملك على منهاج من اتى به ٣٧٩ كما يقال لك انما قد قيل لرسول من ربك ائبى وبالله اتينا

طاعته وخافه أهل معصيته وقبضه من دلائل نفي تفسير هذه السورة ان المقصود من
هذه السورة هو ذكر الاجوبة عن قولهم وقالوا قلنا فى آية مما تدعوننا اليه وفى آياتنا
وفى ومن يتناويناك جواب فاعل انشاؤون فتارة يذهب على فساد هذه الطريقة وتارة
يذكر الوعد لمن لم يؤمن به فى القرآن وفى بعض هذه واعدا كما تم الى هذا
الموضع من ابل السورة على التعريب المسار والظاهر ان المثال ثم انه تعالى ذكره واما آخر
من قولهم وقالوا قلنا فى آية مما تدعوننا اليه وفى آياتنا وفريقنا ولو جعلناه قرآنا
أعجميا لئلا نؤلفوا لآيات العجمى وعربى وفى مسائل (المسألة الاولى) فراضرة
والكسائى وأبو بكر عن عاصم العجمى بهذين على الاستفهام و"يا قوم بهمة واحدة
ومدة على أسبوع في أمثاله كقوله أنذرهم بغيرها على الاستفهام وروى عن ابي عباس
بهمة واحدة على الخبر واما القراء بهمة واحدة فاهمة لازل همزة الكسرة والراء اذ انكروا
وقالوا ان العجمى ورسول عربى أو مرسل اليه عربى واما القراء بغير همزة الاستفهام
فلما راد الاخبار بان القرآن أعجمى والمرسل اليه عربى (المسألة الثانية) نقول فى سبب
نزول هذه الآية ان الكفار لاجل التعت قائلوا انزل القرآن بلغة العجم فنزلت هذه
الآية وعندي ان أمثال هذه الكلمات فيها حيف عظيم على القرآن لانه يستغنى وروى
آيات لا تعلق بالبرص فيها بامراض وانما يوجب انما من انواع الضم فكيف يتم مع التزام مثل
هذا الطعن ادعاء كونه كتابا من نظاما فضلا عن ادعاء كونه معجزا بل الحق عندى ان هذه
السورة من أولها الى آخرها كلام واحد على ما حكى الله تعالى عنهم من قولهم قالوا بنافى
أكنة مما تدعوننا اليه وفى آياتنا وفى هذا الكلام أيضا متعلق به وجوابه والتقدير انا
لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أرسلت الكلام العجمى الى
القوم العرب ويصح لهم أن يقولوا قلنا بنافى أكنة مما تدعوننا اليه أى من هذا الكلام
وفى آياتنا وفريقنا لانهم قد لا يحيط بعنايه اماننا أنزلنا هذا الكتاب بلغة العرب
وبالفاظهم وأنتم من أهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعاء ان قلوبكم فى أكنة منها وفى
آياتكم وقرآنكم فظهورنا اذا جعلنا هذا الكلام جوابا عن ذلك الكلام بقيت السورة
من أولها الى آخرها على أحسن وجوه النظم امانا على الوجه الذى يذكره الناس فهو عجيب
جدا ثم قال تعالى قل هو الذى آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آياتناهم وقروهم
عليهم عى أولئك ينادون من مكان بعيد واعلم ان هذا متعلق بقولهم وقالوا قلنا بنافى أكنة
مما تدعوننا اليه الى آخر الآية كائنه تعالى يقول ان هذا الكلام أرسلته اليكم بلغته
لا بلغة اجنبية عنكم فلا يمكنكم أن تقولوا ان قلوبنا بنافى أكنة منه بسبب جهلنا بهذه اللغة
فبقى ان يقال ان كل من آتاه الله طبعه امانا الى الحق وقلبا مائلا الى الصدق وهم تدعوه
الى بذل الجهد فى طلب الدين فان هذا القرآن يكون فى حقه هدى وشفاء اما كونه هدى
فلا تله دلائل على الخيرات ويرشد الى كل السعادات واما كونه شفاء فانه اذا أمكنه

التوراة فاختلف فيها
فمن صدق اها ومكذب
وهكذا حال قومك فى
شأن ما آتيناك من القرآن
فمن مؤمن به وكافر (ولو لا
كلمة سبقت من ربك) فى
حق أمك المكذبة
وهى العدة بتأخير
عذابهم وفصل ما بينهم
وبين المؤمنين من
الخصم الى يوم القيامة
نحو قوله تعالى بل الساعة
موعدهم وقوله تعالى
ولكن يؤخرهم الى
أجل مسمى (لقضى
ينهم) باستئصال
المكذبين كما فعل بمكدي
الام السافكة (وانهم)
أى كفسار قومك (فى)
شك منه مريب) أى
من القرآن وجعل الضمير
الاول لليهود والثانى
للتوراة مما لا وجدله (من)
عمل صالحا) بأن آمن
بالكتب وعمل بموجبها
(فلنفسه) أى فلنفسه
يعمله أو فتقده لنفسه
ذات غيره (ومن اساء فعليه)
ضرره لا على غيره (ومار بك
بظلام العبيد) اعتراض
تدلى مقرر لمضون ما قبله

مبنى على تنزيل ترك الابة المحسن بعمله أو انابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة أو باسائة غيره منزل الضلم الذى
يسمحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقدم ما فى المقام من التحقيق والتفصيل فى سورة آل عمران وسورة الانفال
(اليه يرد علم الساعة) أى اذا سئل عنها يقال الله يعلم أولا يعلمها الا الله تعالى (ما تخرج من ثرات من أحكامها) أى من
أوصيتها جاع كم بانكيسرو هو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ

من ثمرة على ارادة الجنس والجمع لا اختلاف الانواع وقد قرى يجمع الضمير ايضا ومانافية ومن الاولى مزينة الاستغراق واحتمال ان تكون ماموصولة معطوفة على الساعة ومن مينة بعيد (وما تحمل من أنى ولا تضع) أى حلالها وقوله تعالى (الاية) استثناء مفرغ من أهم الاحوال أى وما يحدث شئ من خروج ثمرة ولا حل حامل ولا وضع واضع فلا يساوى من الاشياء الاية لا يساوى له المحيط ٣٨٠ (ويزعمون انهم ان شر كافي) أى زعمهم كائن على فى قوله تعالى أين شر كافي

اذ تبتدأ قد حصل الى سى فلذلك الهدى شفاء من مرض الكفر والجهل وأما من كان غرقا فى بحر الخذلان وتاه فى مناويز الحرمان وسفوف الخيبة الشيطان كان هذا القرآن فى اذانهم قرأوا قالون اذنا وقر وكان القرآن عليهم عن كفاك ومن يشا وبيتك حجاب وأوتيت نادون من مكان بعيد بسبب ذلك الحجاب الذى حل بين الارتفاع ببيان القرآن وكل من أنصف ولم يتعسف علم اننا اذا فسرنا هذه الآية على الوجه الذى ذكرناه صارت هذه السورة من اولها الى آخرها كلاما واحدا متعلما مسوقا لغرض واحد فيكون هذا التفسير اول ما ذكروه وقرأنا الجوهري وعلمهم على المصدر وقرأ ابن عباس عم على التمت قال أبو عبيد الاول هو الوجه كتوا هدى وشفاء وكذلك عمى هو مصدر مثاها ولو كان المذكور انه هاد وشاف الكتاب الكسرى على أجود فيكون نعتا لهما وقوله تعالى اولئك ينادون من مكان بعيد قال ابن عباس يريد مثل الشهادة التى لانفهم الادعاء ونداء وقيل من دعى من مكان بعيد ليعلم انهم سمعوا ما يقولون فكذلك حال هؤلاء ثم قال تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه وأقول أيضا ان هذا متعلق بما قبله كأنه قيل انما آتينا موسى الكتاب فاختلفوا فيه فقبله بعضهم ورده الآخرون فكذلك آتيناك هذا الكتاب فقبله بعضهم وهم أصحابك ورده آخرون وهم الذين يقولون قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه ثم قال تعالى واولا كلمة سبقت من ربك أى فى ناخير العذاب عنهم الى أجل مسمى وهو يوم القيامة كما قال بل الساعة موعدهم لقضى بينهم يعنى المصدق والمكذب بالعذاب الواقع بمن كذبوا وهم انى شك من صدقك وكذبك مريب فلا ينبغي ان تستعظم استيحاك من قواهم قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه ثم قال من عمل صالحا فأنفسه ومن أساء فعليه يعنى خفف على نفسك اعراضهم فانهم ان آمنوا فتنفع ايماهم يعود عليهم وان كفروا فضرر بقرهم يعود اليهم والله سبحانه يوصل الى كل أحد ما يليق بعمله من الجزاء وماربك بظلام لا يبيد * قوله تعالى (اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرة من أكنةها وما تحمل من أنى ولا تضع الاية) ويوم يناديهم أين شركائى قالوا اذنك مامنا من شهيد وصل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسد الشرفوس قنوط ونحن أذقناه رحمة منامن بعد ضراء مسته لا يولان هذا الى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي انى عنده للعسنى فانتشئ الدين كفر واما عواوئد يقنهم من عذاب غليظ واذا نعتنا على الانسان أعرض واني نجانبه واذا مسه الشر فذود دعاءه رضى فإرايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد سترهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنهم آمل الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد لا أنهم فى مريد من تقاربهم لأنه بكل شئ محيط) اعلم انه تعالى لما هدد الكفار فى الآية المتقدمة بقوله من عن صالحا فأنفسه ومن أساء فعليه ومعناه ان جزاء كل أحد يصل اليه فى يوم القيامة وكان سائلا قال ومتى يكون ذلك اليوم فقال تعالى انه

الذين زعمهم وقصيه
نهمكم بهم وتقريرهم
ويوم منصوب باذكر
أو ظرف لمضمر مؤخر قد
ترك ايدنا بقصور البيان
عنه كما مر فى قوله تعالى
يوم يجمع الله الرسل
(قالوا اذنك) أى أخبرناك
(مامنا من شهيد) من
أحد يشهد لهم بالشركة
اذ تبتدأ انهم لما طاب حال
وامنا أحد الا وهو
موجد لك أو مامنا من
أحد يشاهدهم لانهم
شكوا عنهم حينئذ وقيل
هو قول الشركاء أى
مامنا من شهيد يشهد بهم
بأنهم كانوا متقين وقوله
آذنك اما لان هذا التوبيخ
مستوفى بنوبخ آخر
بحسب بهذا الجواب
أولان معناه انك علمت
من قلوبنا وعقائدنا لان
أنا لا نشهد تلك الشهادة
الباطلة لانه اذا علمد من
نفوسهم فكانهم اعلوه
أولان معناه الانشاء
لا الاخبار بايدان قد كان
قيل ذلك (وصل عنهم

ما كانوا يدعون) أى يعبدون (من قبل) أى غابوا عنهم أو ظهر عنهم ففهم فكان حضورهم كمينهم لا سبيل
(وظنوا) أى أيقنوا (ما لهم من محيص) مهرب وانطق معاقب عنه تحرف اللغوى (لا يسأم الانسان) أى لا يمل ولا يفت
(من دعاء الخير) من طلب السعة فى الشعمة واسباب المعيشة وقرى من دعاء بالخير (وان مسد الشر) أى العسر والضيق
(قنوط) فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن يأس مفرط

يظهر أثره في الشخص في فضائل وينكسر أثره في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للناس بوصف غالب أفرادنا أن الناس من رحمته عز وجل ٢٨١ تعالى لا يأتي الأمن الكافر وسير حبه (وأن أذنته رحمة

منه من بعد ضراء مستند)
بشر يبعث الله (آية وأن
هذا) أي حتى استحققه
لأن من الفضل والعمل
أولى لا ينبغي فلا يزول
عن أبدا (وما ظن الساعة
فأنت) أي تقوم فيما
سأتي (وأن رجعت
الدرج) على تقدير
قيامها (أن لي عنده
العسى) أي للعساة
الحسن من الكرامة
وذلك لا اعتقاده أن ما
أصابه من نعم الدنيا
لا يستحقه فله وأنهم
الآخرة كذلك (فلننبئن
الذين كفروا بما عملوا)
أي أنهم بمحبة
أعمالهم حين أظهرناها
بصورها الحقيقية
وقد مر حقيقة في سورة
الاعراف عند قوله تعالى
والوزن يومئذ الحق
وفي قوله تعالى انما بعثكم
على أنفسكم من سورة
يونس (والذين هم
من عذاب غليظ)
لا يقدر قدره ولا يبالغ
كثرتهم (واذا نفعنا على
الأناس أعرض) أي
عن الشكر (ونأى بجانبه)
أي ذهب بنفسه وتعاود

لا سبيل للخلق إلى معرفة ذلك اليوم ولا يعلم إلا الله تعالى فأن الله يرد علم الساعة وهذه الحكمة
تفيد المحصر أي لا يعلم وقت الساعة بعينه إلا الله وكان هذا العلم ليس إلا عند الله فكذلك
العلم بحدوث الحوادث المستقبلية في أوقاتها لمعينة ليس إلا عند الله سبحانه وتعالى ثم ذكر
من أمثلة هذا الباب مثالين (أحدهما) قوله وما تخرج من ثمرة من أكلها (والثاني) قوله
وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعينه أكلها أو عيها وهي ما كانت فيه
الثمرة واحدها كم وكمة قرأ نافع وابن عامر وحسن عن عاصم من ثمرات بالالف على الجمع
والباقيون من ثمرة بغير ألف على الواحد واعلم أن نظير هذه الآية قوله إن الله عنده علم
الساعة ويترى الغيث إلى آخر الآية فإن قيل ليس أن المتجهين قد يعرفون من طوائف
سنة العالم أحوال كثيرة من أحوال العالم وكذلك قد يعرفون من طوائف الناس أشياء
من أحوالهم وهم ناشئ آخر يسمى علم الرسل وهو كثيرا فسادا وأيضاً علم التعبير بالاعتقادي
قد يدل على أحوال المغيبات فكيف الجمع بين هذه الدوام المشاهدة وبين هذه الآية ولنا
أن أصحاب هذه العلوم لا يصفونهم القطع والجزم في شيء من المطالب المتدوال العالمة
التصوي ادعاء ظن ضعيف والذكور في هذه الآية أن علمها ليس إلا عند الله والعلم هو
الجزم واليقين وبهذا الطريق زالت المناقاة والمائدة والله أعلم ثم ته تعالى لما ذكر القيامة
أردف به شيء من أحوال يوم القيامة وهذا الذي ذكره ههنا شديد التعلق بأخبار ما وقع
الابتداء به في أول السورة وذلك لأن أول السورة يدل على أن شدة تفهيمهم عن استماع
القرآن إنما حصلت من أجل أن محمد صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم إلى التوحيد وإلى
البراءة عن الأصنام والأوثان بدليل أنه قال في أول السورة قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى
إلي أنما ألهمكم الله الواحد فذكر في خاتمة السورة وعبدان قائلين بالشركاء والانداد فقال
ويوم ينسأ بهم فيقول أين شركائي أي بحسب زعمكم واعتقادكم قاتوا أذنالك قال ابن
عباس أمعنك كقوله تعالى وأذنت لهما وحدثت بهن سمعت وقال انك كلين أعمالك وهذا
بعد لأن أهل القرية يعلمون الله ويعلمون أنه يعلم الأشياء علمها واجبا فلا إعلام في حقه
محال ثم قال ما منا من شهيد وفيه وجوه (الأول) ليس أحد منا يشهد بأنك شركتنا
فأما قصودناهم في ذلك اليوم يتبرون من أيات الشريك لله تعالى (الثاني) ما منا من أحد
يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلوا عنهم لا يصرونها في ساعة الويل (الثالث)
أن قوله ما منا من شهيد كلام الأصنام فإن الله يحيمها ثم أنها تقول ما منا من أحد يشهد
بصدقه ما أضافوا اليها من الشركه وعلى هذا التقدير فمضى ضلالهم عنهم أنها لا تنفهمهم
فكانت ضلوا عنهم ثم قال وظنوا ما لهم من محصر وهذا ابتداء كلام من الله تعالى يقول
إن الكفار ظنوا أولا ثم آتوا الله محصر لهم عن النار والعذاب ومنهم من قال أنهم
ظنوا أولاً أنه لا محصر لهم عن النار ثم آتوا ذلك بعده وهذا بعد لأن أهل النار يعلمون
أن محصرهم دائم ولما بين الله تعالى من حال هؤلاء الكفار أنهم بعد أن كانوا محصرين على

بكلية تكبرا وتغظما والجبابرة مجاز عن النفس كافي قوله تعالى في جنب الله ويجوز أن يراد به عطشه ويكون
جبارة عن الانحراف

والأزوار كما قالوا في عطائه وتول بركته (وأدامه الشرف وذو عار ورض) أي كثير مستعار ماله عرض متسع للاشعار
بكثرته واستمراره وهو بالغ من الخوايل إذا طول أطول (٣٨٢) الامتداد من فإذا كان عرضه كذلك فظنك بطوله

ولعل هذا شأن بعض
غير البعض الذي حكى
منه اليأس والشروط
أوشان الكل في بعض
الافوات (قل أرايتم)
أي أخبروني (إن كان)
أي القرآن (من عند الله
ثم كفرتم به) مع تعاضد
موجبات الايمان به (من
أضل من هو في شقاق
بعيد) أي من أضل منكم
فوضع الموصول موضع
الضمير شر حالهم
وتعليل المز يدضلالهم
(سزيهم آياتنا) الدالة
على حقيقته وكونه من
عند الله (في الآفاق)
هو ما أخبرهم به أثبت
صلى الله عليه وسلم من
الحوادث الآتية وآثار
النوازل الماضية وما
يسر الله تعالى له وخلقائه
من الفتوح والظهور
في آفاق الدنيا والاستيلاء
على بلاد المشارق
بالمغرب على وجه خارق
للعادة (وفي أنفسهم)
هو ما ظهر فيما بين أهل
مكة وما حل بهم وقال
ابن عباس رضي الله
عنهما في الآفاق أي
منازل الأمم الخالية

أقول بآيات الشركاء والاضداد لله في الدنيا وبرهان تلك الشركاء في الآخرة بين أن
الإنسان في جميع الاوقات متبدل الاحوال متغير المصير فان أحسن بخير وقسرة انتفخ
وتعظم وإن أحسن بلاء ومحنة ذبل كاقيل في المثل أن هذا كما نقل أن رأى خبرا تدلى وإن
رأى شرا تولى فقال لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشرف فيؤس قنوط يعني أنه في
حال الاقبال ومحبي الرادات لا ينتهى منه الى درجة الاو يطلب الزيادة عليها ويطمع بالفوز
بها وفي حال الادبار والحرم ان يصير أيسر ان سطا لا تتقار من ذلك الرجاء الذي لا آخر له أي
هذا اليأس الكلي يدل على كونه متبدل الصفة متغير الحال وفي قوله يؤس قنوط مبالغة
من وجهين (أسد هما) من طريق بشء فعول (والثاني) من طريق التكرير واليأس من
صفة القلب والشروط أن يظهر آثارا يأس في الوجه والاحوال الظاهرة ثم بين تعالى أن
هذا الذي يسار أيسر ان سطا لا تتقار من ذلك الرجاء الذي لا آخر له أي
من بعضه مستدفان هذا الرجل يأتي بثلاثة أنواع من الاقاويل الفاسدة والمذاهب
الباطلة الموجبة للكفر والبعد عن الله تعالى (فأولها) أنه لا بد وأن يقول هذا وفيه
وجهان (الاول) معناه أن هذا حق وصل الى لاني استوجبه بما حصل عندي من أنواع
الفضائل وأعمال البر والقربة من الله ولا يعلم المسكين أن أحدا لا يستحق على الله شيئا وذلك
لأنه ان كان ذلك الشخص عاريا عن الفضائل فهذا الكلام ظاهر الفساد وان كان
موصوفا بشيء من الفضائل والصفات الحميدة فهي بأسرها إنما حصلت له بفضل الله
واحسانه وإذا فضل الله بشيء على بعض عبده امتنع أن يصير تفضله عليه بتلك العطية
سبباً لأن يستحق على الله شيئا آخر ثبت بهذا فساد قوله إنما حصلت هذه الخيرات بسبب
استحقاق (والوجه الثاني) أن هذا أي لا يزول عني ويقي على وعلى أولادي وذريتي
(والنوع الثاني) من كلامهم الفاسدة أن يقول وما أظن الساعة قائمة يعني أنه يكون شديد
الرغبة في الدنيا عظيم الثمرة عن الآخرة فإذا آل الامر الى الأحوال الدنيا يقول إنما هي
وإذا آل الامر الى الآخرة يقول وما أظن الساعة قائمة (والنوع الثالث) من كلامهم
الفاصلة أن يقول وثن رجعت الى ربي أن لي عنده للحسن يعني أن الغالب على الظن أن
أقول بالبعث والقيامة باطل وبتقدير أن يكون حقا فان لي عنده للحسن وهذه الكلمة
تدل على جزمهم بوصولهم الى الثواب من وجوه (الاول) أن كلمة ان تفيد التأكيد
(الثاني) أن تقديم كذا على كذا يدل على هذا التأكيد (الثالث) قوله عنده يدل على أن تلك
الخيرات حاضرة مهيئة عنده كما تقول لي عند فلان كذا من الدنانير فان هذا يفيد كونها
حاضرة عنده فلو قلت ان لي على فلان كذا من الدنانير لا يفيد ذلك (والرابع) اللام في قوله
للحسني تفيد التأكيد (الخامس) للحسني يفيد الكمال في الحسن ولما حكى الله تعالى عنهم
هذه الاقوال الثلاثة الفاسدة قال فلننبئن الذين كفروا بما عملوا أي فظهر لهم ان الامر
على ضدهما اعتدوا وعلى عكس ما تصوروه كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فيعلمناه

ما يفتح الله من القرمي عليه عليه الصلاة والسلام والمسلمين وفي أنفسهم فتح مكة وقيل في الاتفاق أي في إقطار
السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم ﴿ ٣٨٣ ﴾ وما يرتب عليهما من الليل والنهار والاضواء

والضلال والظلمات

ومن النبات والأشجار

والأنهار وفي أنفسهم

من لطيف الصنعة

وبديع الحكمة في تكوين

الاجنة في ظلمات الأرحام

وحدوث الأعضاء

العجيبة والتركيبات

الغريبة كقوله تعالى

وفي أنفسكم أفلا

تبصرون واعتذرون بأن

معنى السين مع أن أراءة

تلك الآيات قد حصلت

قبل ذلك أنه تعالى

سيطلعهم على تلك

الآيات زمانا فزمانا

ويزيدهم وقفا على

حقائقها يوما فيوما

(حتى يتبين لهم) بذلك

(أنه الحق) أي القرآن

أو الإسلام والتوحيد

(أول يكف ربك)

استغنى وارتدوا وبخهم

على ترددهم في شأن

الشرآن وعنادهم الخروج

إلى أراءة الآيات وعدم

اكفائهم بإخباره تعالى

والهجرة للانكار والواو

للعطف على مقدر

يقضيه المقام أي المبرقن

ولم يكف ربك والياء

منه التأكيد ولا تكاد

هبا مشورا ولتدينهم من عذاب فليظ في مقابلة قولهم انلى عنده الحسنى ولما حكى الله
تعالى أقوال الذي أنعم عليه بعد وقوعه في الآيات حكى أفعاله أيضا فقال وإذا أنعمنا
على الإنسان أعرض عن التعظيم لأمراة والشفقة على خلق الله وأبى بوجاهة أى ذهب
بنفسه وتكبر وتعتظم ثم ان مسد الصدر والفقر أقبل على دوام الدعا وأخذ في الإتهال
والتضرع وقد استعبر العرض لكثرة الدعا ودوامه وهو من صفات الأجرام ويستأمله
الطويل أيضا كما استعبر العظيمة العذاب رادف الله تعالى لما ذكر الوعيد العظيم على الشرك
وبين ان المشركين يرجعون عن القول بالشرك في يوم القيامة ويظهرون من أنفسهم
الذلة والخضوع بسبب استدلاء الخوف عليهم وبين ان الإنسان حيل على التبدل فان وجد
لنفسه قوة بالغ في التكبر والتعظيم وان أحس بالفتور والضعف بالغ في اظهار الذلة
والمسكنة ذكر عقيد كلاما آخر يوجب على هؤلاء الكفار أن لا يبالغوا في اظهار التفرقة
من قبول التوحيد وان لا يفرطوا في اظهار الدعا مع الرسول صلى الله عليه وسلم فقال
فلأرىتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في سفاق بعيد وتقرر هذا
الكلام انكم كذا صحتهم هذا القرآن أعرضتم عنه وما أنتم فيه بالعلم في التفرقة عند حتى
قلتم قلوبنا في أكنة مما ننوئنا له وفي آذاننا وقرئتم من المعلوم بالضرورة انه ليس العلم
يكون القرآن بلا علم بديهيا وليس العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوة غلا بديهيا
فقبل الدليل يحتل أن يكون صحيحا وان يكون فاسدا فتقدير أن يكون صحيحا كان
أصرارهم على دفعه من أنظم موجبات العقاب فهذا الطريق يوجب عليهم ان يتروا
هذه التفرقة وان يرجعوا الى النظر والاستدلال فان دل الدليل على صحة بطلانهم وان دل
على فسادهم تركوه فقبل الدليل فالأصرار على الدفع والاعراض بعيد عن الحق وقوله
عن هو في سفاق بعيد مرصوع موضع منكم يا أيها الجاهلون فسادهم ولما ذكر هذه الوجوه
الكثيرة في تقرير التوحيد والتبوي أجاب عن شبهات المشركين وتوهمات المشائين قال
سنردسم آياتنا في الاتفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق قل لو اجدتم واحدة
الآفاق أفى وهو الفاحشة من تواصى الأرض والآفاق العظمى اجربوا آياتها وقوله
تفسير قوله سنردسم آياتنا في الاتفاق وفي أنفسهم قوله (الآيات) ان المراد آيات
الاتفاق الآيات الفلكية والكواكبية وآيات الليل والنهار آيات الاشیاء والاضلال
والظلمات وآيات علم العناصر الاربعية وآيات احوال الملائكة وقوله كثرتم من شأن القرآن
وقوله وفي أنفسهم المراد منها الدلائل المأخوذة من كريمة تكون الاجنة في ظلمات الارحام
وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كما قال تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون
يعنى نريهم من هذه الدلائل مرة بعد أخرى الى أن ترزله الشبهات عن قلوبهم ويحصل فيها
الجزم والقض بوجود الاله القادر الحكيم العليم المنزه عن المثل والشك فقل هذا
الوجه ضعيف لان قوله تعالى سنردسم آياتنا في الاتفاق وفي أنفسهم على تلك الآيات الى

تراد الامع كقوله تعالى (أنه على كل شئ شهيد) يدل منه أى المبرقن من آراءة الآيات الموعودة المينة
لحقية القرآن ولم يكفهم في

فذلك أنه تعالى شهيد على جميع الاشياء وقد أخبر بانه من عند وقيل معناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه ﴿ ٣٨٤ ﴾ فيبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب

الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولولم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حامدوه هذه النصرة فأمل وأما ما قيل من أن المعنى أول يكفك أنه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق أمره باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة فمع اشارة بما لا يليق بحال من نصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود برده قوله تعالى (ألا أنهم في مريبة من لقاء يوم) أي في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح في أن عدم الكفاية معتبرا بالنسبة اليهم وقرئ مريبة بالضم وهو لغة فيها (ألا انه بكل شيء محيط) عالم بجميع الاشياء جلها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية

الآن وسيطعونهم عليها بعد ذلك والآيات الموجودة في العالم الاعلى والاسفل قد كان الله أعلمهم عليها قبل ذلك ثبت انه تعذر حال هذا الاطلاق على هذا الوجه قلنا ان اقوم وان كانوا قد رأوا هذه الاشياء إلا أن العجائب التي أودعها الله تعالى في هذه الاشياء مما لا نهاية لها فهو تعذر مطالعهم على تلك العجائب زمانا فزمانا ومثله كل أحد رأى بعينه بنية الانسان وشاهد بها الآن العجائب التي أبدعها الله في تركيب هذا البدن كثيرة وأكثر الناس لا يعرفونها والذي وقف على شيء منها فكلما ازداد تفكرا ازداد وفوقا على تلك العجائب والغرائب فصيح بهذا الطريق قوله ستر بهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم (واقول الثاني) ان المراد بآيات الآفاق فتح البلاد المحيطة بمكة وبآيات أنفسهم فتح مكة والثالثون بهذا القول رجحوه على القول الاول لاجل ان قوله ستر بهم يليق بهذا الوجد ولا يليق بالاول الا ما أجبت عنه بأن قوله ستر بهم لا يثق بالوجه الاول كما قررناه فان قيل حل الآية على هذا الوجه بعيد لان أقصى ما في آيات ان محمدا صلى الله عليه وسلم استولى على بعض البلاد المحيطة بمكة ثم استولى على مكة الا ان الاستيلاء على بعض البلاد لا يدل على كون المستولى محققا نازي ان الكفار قد يحصل لهم استيلاء على بلاد الاسلام وعلى ملوكهم وذلك لا يدل على كونهم محققين قلنا ولهذا السبب قلنا ان حل الآية على الوجه الاول أولى ثم نقول ان أردنا أن نخرج هذا الوجه قلنا اننا لا نستدل بمجرد استيلاء محمد صلى الله عليه وسلم على تلك البلاد على كونه محققا في ادعاء النبوة بل نستدل به من حيث انه صلى الله عليه وسلم أخبر عن مكة أنه يستولى عليها ويقهر أهلها ويصير أشعيا قاهرين للاعداء فهذه الاخبار عن الغيب وقد وقع تخبره مطابقا لخبره فيكون هذا الخبر اصدقا من الغيب والافكار عن الغيب معجزة فهذا الطريق يستدل بحصول هذا الاستيلاء على كون هذا الدين حقا ثم قال أول يكف بربك أنه على كل شيء شهيد وقوله بربك في موضع الرفع على انه فاعل يكف وانه على كل شيء شهيد بدل منه وتقديره ولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد ومعنى كونه تعالى شهيدا على الاشياء خلق الدلائل عليها وقد استقصينا ذلك في تفسير قوله فلأي شيء أكبر شهادة قل الله والمعنى ألم تكفهم هذه الدلائل الكثيرة التي أوضحها الله تعالى وفررها في هذه السورة وفي كل سور القرآن الدالة على التوحيد والتبزيه والعدل والنبوة والمعاد ثم ختم السورة بقوله ألا أنهم في مريبة من لقاء يوم أي ان اقوم في شك عظيم وشبهه شديدة من البعث والقيامة وقرئ في مريبة بالضم ثم قال ألا انه بكل شيء محيط أي عالم بجميع الاشياء جلها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية

منهم وهو مجاز بهم على كفرهم ومريبة هم لا محالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ﴿ الحجة ﴾ سورة المجدة أعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنة والله أعلم

يوجه اليك والى الذين
من قبلك الله العزيز
الحكيم) كلام مستأنف
واراد التحقيق أن مضمون

❖ (سورة شوریٰ خمسوں پہنچات آت مکہ) ❖

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

السورة موافق لما في
تضايف سائر الكتب
انزلة على الرسل المتقدمة
في الدعوة الى التوحيد
والارشاد الى الحق أو أن
ايحاءها مثل ايحاءها بعد
تنويرها بذكر اسمها
والتنبيه على فحشها
شأنها والكاف في حيز
النصب على أنه منقول
ابوحي على الاول وعلى
أنه نعت مصدر مؤنث
على الثاني وذلك على الاول
اشارة الى ما فيها وعلى
الثاني الى ايحاءها وما فيه
من معنى البعد الايدان
بعلورية المسار اليه
وبعد منزلة في الفضل
أى مثل ما في هذه
السورة من المعاني
أوحى اليك في سائر
السور والى من قبلك من
الرسل في كتبهم على
أن تناط المماثلة ما أشير
اليه من الدعوة الى
التوحيد والارشاد الى
الحق وما فيه صلاح
العباد في المعاش والعاد
ايحاء كتبهم اليهم لايحاء

أومثل إيمانها أوحى ﴿ ٤٩ ﴾ سا اليك عند
مخارجه كاذبوه تعالى انما احسن اليك كما أوحينا

الى نوح الا يذبح على ان هذا المذبح لونه بواسطه الملائكة وصيغته المصادرة على حبه اجدل المصنوع من النحاس والفضة
وان اجدل ماله عادته وفي جعل مضمون السورة أو ايجازها مشبهاً به من تفخيمها ما لا يخفى وكذا في وصفه تعالى بوصف العزة
والحكمة وتأخير الفاعل اعطاء القواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ ٣٨٦ يوحى على البناء المفعول على أن

كذلك مبتدأ ويوحى خبره المستند الى ضميره
أو مصدر ويوحى مستند
الى اليك والله من نعمنا
دل عليه يوحى كأنه قيل
من يوحى فقول الله والعرش
الحكيم صفتان له أو
مبتدأ كان فراء نوحى
والعرش زوما بعده خبران
له أو العرش الحكيم
صفتان له وقوله تعالى
(له ما فى السموات وما
فى الارض وهو العلى
العظيم) خبران له وعلى
الوجه السابقة استئناف
مقرر لمرته وحكمته
(تكاد السموات) وقرئ
بالياء (ينفطرن) ينفطر
من انضمام الله تعالى وقول
من دعا اولاد له كما فى
سورة مريم وقرئ
ينفطرن والاول ابلغ منه
مطالع فطر وهندا
مضاوع فطر وقرئ
تنفطرون بالياء كيد
الانثى وهونادر (من
فوقهن) أى يتبدأ
النفطر من جهتهن
الفوقية وتخصبها
على الاول لما أن أعظم
الآيات وأدائها على
العظمة والجلال من

أو العرش الحكيم صفتان وانظر خبره وانذ كر أن هذا الكتاب حصل يانوحى بين
أن الموحى من هو فقال انه هو العرش الحكيم وقد بينا فى أول سورة حم المؤمن ان كونه
عن يرا يدل على كونه قادرا على الانهاية له وكونه حكما يدل على كونه عالما بجميع
الاعوامات غنيا عن جميع الحاجات فيحصل ثمان كونه عن يرا حكما كونه قادرا على جميع
القدورات عالما بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات ومن كان كذلك كانت
أفعاله وأقواله حكمة وسوابا وكانت مبرأة عن العيب والعيب قال مصنف الكتاب
قلت فى قصيدة

الحمد لله ذى الآلاء والنعيم * والفضل والجلود والاحسان والكرم
منزه الفعل عن عيب وعن عيب * مقدس الملك عن عزل وعن عدم

(والصفة الثالثة) قوله له ما فى السموات وما فى الارض وهذا يدل على مطالوع بين فى غاية
الجلال (أحدهما) كونه موصوفا بقدرة كاملة نافذة فى جميع أجزاء السموات والارض
على حفظها وسعتها بالابجاد والاعداد والتكوين والابطال (والثانى) انه لما بين
بقوله له ما فى السموات وما فى الارض أن كل ما فى السموات وما فى الارض فهو ملكه
وملكه وجب أن يكون منزها عن كونه حاسلا فى السموات وفى الارض والالزم كونه
ملكاً لنفسه واذا ثبت أنه ليس فى شئ من السموات امتنع كونه أيضا فى العرش لان كل
ما سواه فهو منزهة فإذا كان العرش موجودا فوق السموات كان فى الحقيقة سماء فوجب
أن يكون كل ما كان حاسلا فى العرش ملكا لله وملكه فوجب أن يكون منزها عن
كونه حاسلا فى العرش وان قالوا انه تعالى قال له ما فى السموات وكله ما لا يتناول من
يحمل فاما هذا مدفوع من وجهين (الاول) ان انظمة ما واردة فى حق الله تعالى قال تعالى
والسما وما بناها والارض وما لهاها وقال لها عبد ما تسبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد
(والثانى) ان صيغة من وردت فى مثل هذه السورة قال تعالى ان كل من فى السموات
والارض الا آتى الرحمن عبدا وكله من لاشك أنها واردة فى حق الله تعالى فدللت هذه
الآية على أن كل من فى السموات والارض فهو عبد الله فلو كان الله موجودا
فى السموات والارض وفى العرش لكان هو من جملة من فى السموات فوجب أن يكون
عبد الله ولما ثبت بهذه الآية أن كل من كان موجودا فى السموات والعرش فهو عبد الله
وجب فيمن تقدست كبريائه عن تحمة العبودية أن يكون منزها عن الكون فى المكان
والجهة والعرش والكرسى (والصفة الرابعة والخامسة) قوله تعالى وهو العلى العظيم
ولا يجوز أن يكون المراد بكونه عالما ا ما فى الجهة والمكان لما ثبت الدلالة على فساده
ولا يجوز أن يكون المراد من العظيم العظمة بالجهة وكبر الجسم لان ذلك يقتضى كونه
مؤا ف من الاجزاء والابعاض وذلك ضد قوله الله أحد فوجب أن يكون المراد من العلى
التمعالى عن مشابهة المكنات ومناسبة المكنات ومن العظيم العظمة بالقدرة والقهر

تلك الجهة وعلى الثاني نادلالة على انفطر من تحتهن بأعزريق الاول لان تلك الكلمة الشعاء بالاستعلاء
الواقعة فى الارض حيث أثرت فى جهة الفوق فلأن تؤثر

في جهة البحث أول وقبل الصبر الأرض فانه في معنى الأرضين (والملائكة يسبحون بحمدهم) يترهبون به تعالى
لا يلبق به التوسيع بحمد (ويستغفرون لمن في الأرض) بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب
الاسباب المقررة في الطاعة واستدعاء ٣٨٧ كذا تأخير العتوبة طمعاً في إيمان الكافر توبة انقاص وهذا
المؤمن والكافر بل لو

فسر الاستغفار بالسعي
فيما يدفع الخلل المتوقع
عالم الحيوان بل الجسد
وحث خص بالأموات
صكها في قوله تعالى
ويستغفرون للذين آمنوا
فأراد به الشفاعة
(إلا أن الله هو الغفور
الرحيم) إذ ما من شائق
الأول حط عظيم من
رحمته تعالى والآية
على الأول زيادة تقرير
اعظمه تعالى وعلى
الثاني بيان الكمال تقدسه
عما نسب إليه وأن ترك
معاملتهم بالعتاب على
تلك الكلمة الشنعاء
بسبب استغفار الملائكة
وفرط غفرانه ورحمته
فتبها من أن الله تعالى
يقبل استغفارهم ويزيدهم
على ما طلبوه من المغفرة
رحمة (والذين اتخذوا
من دونه أولياء) شركاء
وأنداداً (الله حفيظ
عليهم) رقيب على
أحوالهم وأعمالهم
فيجازيهم بها (وما أت
عليهم بوكيل) بوكيل
بهم أو بكول اليك
أمرهم وأتباعك

بالاستعلاء وكان الإلهية ثم قال تكاد السموات يتفطرن من فوقهن وفيه مسائل
(المسألة الأولى) قرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر تكاد بالاء يتفطرن بالياء والنون
وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص بن غسان وحركة تكاد بالياء يتفطرن بالياء والواو وقرأ
نافع والكسائي يكاد بالياء يتفطرن أيضاً بالياء قال صاحب الكشف وروى يونس عن
أبي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بالتسعين مع النون وتظيرها حرف ناء روى في نوادر
ابن الأعرابي الأبل تشبه من (المسألة الثانية) في قاعدة قوله من فوقهن وجوه (الأول)
روى عن ابن عباس أنه قال تكاد السموات يتفطرن من فوقهن قال والمعنى
انهما تكاد تتفطرن من ثقل الله عليهما وإني أن هذا القول ضعيف ويجب أن تطعم ببراءة ابن
عباس عنه ويدل على فساده وجوه (الأول) أن قوله من فوقهن لا يفهم منه معنى فوقهن
(وثانيها) هب أنه يعمل على ذلك لكن لم يتم أن هذه الجملة إنما حصلت من ثقل الله عليهما
ولم لا يجوز أن يقال أن هذه الجملة إنما حصلت من ثقل الملائكة عليهما فإجاء في الحديث
أنه صلى الله عليه وسلم قال أطأت السماء وحق لها أن تظلم ما فيها موضع شبر إلا وفيه ميث
قائم أو راع أو ساجد (وثالثها) لا يجوز أن يكون المراد تكاد السموات تتشق
وتفطرن من هبة من فوقها فوقية بالانهاية والنهر والشفرة فثبت بهذه الوجوه أن
القول الذي ذكره في غاية الشك والركاكة (والوجه الثاني) في تأويل الآية ما ذكره
صاحب الكشف وهو أن كلمة الكثر التي جاءت من الذين تحت السموات وكان اعتبار
أن يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بواجب في ذلك فقلب
فجعل مؤثراً في جهة الشوق كأنه قيل يكدر يتفطرن من الجهة التي فوقهن ودع الجهة
التي تحتهم وتظير في المباشرة قوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الجسيم بصهر به ما في معنهم
والجود فجعل مؤثراً في اجزاءهم الباطنة (الوجه الثالث) في تأويل الآية أن يقال من
فوقهن أي من فوق الأرضين لأنه تعالى قال قبل هذه الآية ما في السموات وما في
الأرض ثم قال تكاد السموات يتفطرن من فوقهن أي من فوق الأرضين (والوجه
الرابع) في التأويل أن يقال معنى من فوقهن أي من الجهة التي حصلت هذه السموات
فيها وتلك الجهة هي فوق فقوله من فوقهن أي من الجهة التي فوقها التي هي فيها (المسألة
الثالثة) اختلفوا في أن هذه الهيئته حصلت وفيه قولان (الأول) أنه تعالى لما بين أن
الموسى لهذا الكتاب هو الله العزيز الحكيم بين وصف جلاله وكبريائه فقال تكاد السموات
يتفطرن من فوقهن أي من هيئته وجلاله (والقول الثاني) أن السبب فيه إثباتهم الولد
لله قوله تكاد السموات يتفطرن منه وهما السبب فيه إثباتهم الشكر لله قوله بعد هذه
الآية ولذين اتخذوا من دونه أولياء والتخريج هو الأول ثم قال والملائكة يسبحون بحمد
ربهم ويستغفرون لمن في الأرض واعلم أن مخدوثة الله تعالى نوعان عالم الجسمانيات
وأعظمها السموات وعالم الروحانيات وأعظمها الملائكة والله تعالى يقر بكان عظمته

الانذار (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا) ذلك سارة إلى صدر أرحمنا وحمل الكاف النصيب على الصدرية وقرآنا
عربيا مفعول لأوحينا أي ومثل ذلك الإيعاء البديع البين المفهم أوحينا إليك قرآنا عربيا لا بأس

فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الآية المتقدمة من انه تعالى هو الخفيظ عليهم وانما انت نذير محسب فالكاف مفعول به لا وحشا وقرأ ناعرا يحال من المفعول به أى أوحينا إليك وهو قرآن عربى بين (لتندرا أم القرى) أهلها وهى مكة (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) أى يوم القيامة ﴿ ٣٨٨ ﴾ لانه يجمع فيه الخلائق قال تعالى يوم

يجمعكم ليوم الجمع وقل يجمعهم فيسب الأرواح والاشباح وقيل الاعمال والاعمال والانتذار يعمد الى مفعولين وقد يستعمل تأنيدهما بالياء وقد حذف هو والثانى مفعول الاول وأول مفعولى الثانى للتأويل وايهام التجميع وهى التندير بالياء على أن فاعله ضمير القرآن (لأرب فيه) استراض مقرر لما قبله (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أى يجمعهم فى الموقف فانه يجمعون فيه أولا ثم يفرقون بعد الحساب والتدبير منهم فريق والضمير للجمع وعين لدلالة الجمع عليه وقرأنا منصوبين على الحالية منهم أى وتنذر يوم جمعهم متفرقين أى مشارفين للتفرق أو متفرقين فى دارى الثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلهم) أى فى الدنيا (أمة واحدة) قيل مهتدين أو ضالين وهو تفصيل لما أجله ابن عباس رضى الله عنه فى قوله على دين واحد فمضى قوله تعالى (ولكن

لتجلى نفاذ قدرته وهيبته فى الجسمانيات ثم يردفه بنفاذ قدرته واستيلائه هيبته على الجسمانيات والنبيل عليه انه تعالى قال فى سورة عم يثا لاون لما أراد تقرير العظمة والكبرياء بدأ يذكر الجسمانيات فقال رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه حسابا ثم انتقل الى ذكر عالم الجسمانيات فتندريوم يقوم الروح والملائكة صفا تاما كما هو شأنه من أن لا يرى من قبله سواها فكذلك يقول فى هذه الآية بين كمال عظمته باستيلائه على الجسمانيات فقال كتاب السموات والارض من فوقه من ثم انتقل الى ذكر الروحانيات فقال والملائكة يسبحون بحمدهم وما اتوا بتربى شربى وما يراه من وراءهم أن الموجودات على ثلاث أقسام مؤثر لا يتقبل أثر وهو الله سبحانه وتعالى وهو أشرف الأقسام ومؤثر لا يؤثر وهو القابل وهو الجسم وهو أنس الأقسام وموجود يقبل الأثر من القسم الاول ويؤثر فى القسم الثانى وهو الجواهر الروحانيات المقدسة وهو المرتبة المتوسطة اذا عرفت هذا فنقول الجواهر روحانية لها صفات تعلق بالجلال والكبرياء وهو تعلق القبول فالجلال بالقدسية والاضواء الصمدية اذا أشرفت على الجواهر الروحانية استضاءت جواهرها وأشرقت ماهياتها ثم ان الجواهر الروحانية اذا استفاضت تلك القوى الروحانية قويت بها على الاستيلاء على عوالم الجسمانيات واذا كانت كذلك فلها درجات وجه الى جانب الكبرياء وحفزة الجلال ووجه الى عالم الاجسام والوجه الاول أشرف من الثانى اذا عرفت هذا فنقول دولة تعالى يسبحون بحمدهم اشارة الى الوجه الذى اهتم الى عالم الاجسام هذا حسن هذه اللطائف وما أشرفها وما أشد تأثيرها فى جذب الأرواح من حضيض الخلق الى أوج معرفة الحق اذا عرفت هذا فنقول أما الجهة الاولى وهى الجهة العلوية المقدسة فقد اشتملت على أمرين أحدهما التسبيح وثانيهما التحميد لان قوله يسبحون بحمدهم يفيد هذين الأمرين والتسبيح مقدم على التحميد لان التسبيح عبارة عن تزيه الله تعالى عما لا ينبغي والتحميد عبارة عن وصفه بكونه مفضل لكل الخيرات وكونه منزها فى ذاته عما لا ينبغي مقدم بالرتبة على كونه فياضا للخيرات والسعادات لان وجود الشئ مقدم على إيجاد غيره وحصوله فى نفسه مقدم على تأثيره فى حصول غيره فلما كان التسبيح مقدما على التحميد وان هذا قال يسبحون بحمدهم وأما الجهة الثانية وهى الجهة التى تلك الأرواح الى عالم الجسمانيات فالأشارة اليها بقوله ويسبحون لمن فى الارض والمراد منه تأثيراتها فى نظم أحوال هذا العالم وحصول الطريق الاصول الصالح فيها فهذه ملاح من المباحث العالية الالهية مدرجة فى هذه الآيات المقدسة ولتخرج الى ما يلى بعلم التفسير فان قيل كيف يصح أن يستغفروا لمن فى الارض وفيهم الكفار وقد قال تعالى أولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون داعين ومستغفرين لهم قلنا الجواب عند من وجوه (الاول) ان قوله لمن

يدخل من يشاء فى رحمة) أنه تعالى يدخل فى رحمة من يشاء أن يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء ﴿ ٣٨٩ ﴾ فى أن يدخله فيه ولا ريب فى ان مشيئة

تعالى لكل من الداخلين تامة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب
اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فليشأ جعل الكل أمة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل (والظالمون
مالهم من رول ولا نصير) الاذنان بأن الاذنان في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء

اختيارهم لا من جهة
تعالى كافي الادخال
في الرحمة لا لما قيل من
البالغة في الوعيد وقيل
مؤمنين كلهم وهو
ما شاء الله تعالى على دين
الاسلام كافي قوله تعالى
وان شاء الله لجمعهم على
الهدى وقوله تعالى
واولئك لا يتابوا كل نفس
ههنا والمعنى ولو شاء الله
مشيئة فورة افسرهم
على الايمان والكنه
شأنه في حكمه بكونهم
ويعني أمرهم على
ما يختارون ليدخل
المؤمنين في رحمته وهم
المرادون بقوله تعالى
يدخل من يشاء وذلك
الظالمين بغير رول ولا نصير
وانت خير بأن فرض
جعل اكل مؤمنين
ياباه تصدير الاستدراك
بادخال بعضهم في رحمته
اذا اكل حيثما داخون
فيها فكان المناسب
حينئذ تصدير باخراج
بعضهم من بينهم
وادخالهم في عذابه
فانني يقتضيه سياق
النظم الكريم وسياقه
أن يراد الاتصاف في

في الارض لا يفيد العموم لانه يصح أن يقال انهم استغفروا اكل من في الارض وأن
يقال انهم استغفروا لبعض من في الارض دون البعض ولو كان قوله في الارض
صريحا في العموم لم يصح ذلك التسليم (الثاني) ههنا هذا النص يفيد العموم الا انه
تعالى حكى عن الملائكة في سورة حم المؤمن فقال ويستغفرون ثلثين أمواتا بنا وسعت
كل شيء رحمة وعلما فلغفر الذين تابوا وتوبوا سبحانك (الثالث) يجوز أن يكون المراد من
الاستغفار أن لا يسألهم بالتقارب كقوله تعالى ان الله يستحب المتطهرين وانما من أن
تزول الى أن قال انه كان حليا غفورا (الرابع) يجوز أن يقال انهم يستغفرون كل من
في الارض أما في حق الكفار فهو امة فطلب الايمان منهم وأما في حق المؤمنين فالتجارب
عن سياقتهم فانا نقول انهم اهد الكفار من وزن قلوبهم يجوز ان يكونوا في
خوابهم وحشة الكفر وهذا في الحقيقة استغفار واعلم أن قوله ويستغفرون لمن في
الارض يدل على انهم لا يستغفرون لانفسهم ولو كانوا مصرين على المعصية فكان
استغفارهم لانفسهم قبل استغفارهم لن في الارض وحيث لم يرد الله عنهم استغفارهم
لانفسهم علمنا أنهم مبرون عن كل الذنوب والانياء عليهم السلام لهم ذنوب ولذي لاذب
له البتة أفضل من له ذنب وأيضا قوله ويستغفرون لمن في الارض يدل على انهم
يستغفرون الانبياء لان الانبياء من جهة من في الارض واذا كانوا مستغفرين الانبياء
عليهم السلام كان الظاهر انهم أفضل منهم ولما حكى الله تعالى عن الملائكة التسبيح
والحمد والاستغفار قال الا ان الله هو الغفور الرحيم والمقصود التبييه على ان الملائكة
وان كانوا يستغفرون للبشر الا ان المغفرة المطلقة والرحمة المطلقة للعق سبحانه وتعالى
وبيانه من وجوه (الاول) ان اقدام الملائكة على طلب المغفرة للبشر من الله تعالى انما
كان لان الله تعالى خلق في قلوبهم داعية اضطر بها تلك المغفرة واولا ان الله تعالى خلق في
قلوبهم تلك الدواعي والاملاء فقدموا على ذات الطلب واذا كان كذلك كان الغفور المطلق
والرحيم المطلق هو الله سبحانه وتعالى (الثاني) ان الملائكة قاوا في أول الامر أن جعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ثم في آخر الامر صاروا
يستغفرون لمن في الارض وأما رحمة الحق واحسانه فقد كان موجودا في الاول
والآخر فثبت ان الغفور المطلق والرحيم المطلق هو الله تعالى (الثالث) انه تعالى حكى
عنهم أنهم يستغفرون لمن في الارض ولم يحك عنهم أنهم يطلبون الرحمة لمن في الارض فقال
الا ان الله هو الغفور الرحيم يعني انه يعطي المغفرة التي طلبوها ويضم اليها الرحمة
انكامله التامة ثم قال تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء أي جعلوا له شركاء وأنشأ
الله حفيظ عليهم أي رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شيء وهو سبحانه عليها
لا رقيب عليهم الا هو وحده وما أنت يا محمد بمفوض اليك أمرهم ولا قسرها على الايمان
انما أنت منذر فحسب الله قوله تعالى (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا ننذر أمة اقربى

الكفر كافي قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين اثني عشر ألفا على أحد الوجهين بأن يراد بهم الذين هم
في فترة ادريس أوفى فترة نوح علمهما السلام فالعنى ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة منفقة على الكفر بأن لا يرسل
إليهم رسولا لينذرهم

فذاكر من يوم الجمع وما فيه من الوان الاهول فيتموا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء في رحمة
أى شأنه ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم ماذكر فيناثر بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوقفهم
الله للايمان والطاعة ويدخلهم في رحمته ولا يثأر به ﴿ ٣٩٠ ﴾ الآخرون ويتعادون في غيهم وهم الظالمون

فيبقون في الدنيا على
ما هم عليه من الكفر
ويعصرون في الآخرة
الى السعير من غير ولى
يلى أمرهم ولا نصير
يخلصهم من العذاب
(أم اتخذوا من دونه
أولياء) جملة مستأنفة
مقررة لما قبلها من
انتفاء أن يكون للظالمين
ولى أو نصبروام متقطعة
وما فيها من بل الانتفال
من بيان ما قبلها الى
بيان ما بعدها والهمزة
لانكار الوقوع ونفيه
على ابلغ وجه وأكده
لانكار الواقع واستقباحه
كما قبل اذا المراد بيان
أن ما فعلوا ليس من
اتخاذ الاولياء فى شئ
لان ذلك فرع كون
الاصنام اولياء وهو
اظهر الممتعات أى
بل اتخذوا متجاوزين الله
أولياء من الاصنام
وغيرها هيئات وقوله
تعالى (فالله هو الولي)
جواب شرط محذوف
كأنه قيل بعد ابطال
ولاية ما اتخذوه اولياء
ان أرادوا وليا فى الحقيقة
فالله هو الولي لاولى

ومن حوالها وتندر يوم الجمع لاريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير واوشاء الله جعلهم
أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمة والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير أم اتخذوا
من دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير وما اختلفتم فيه من
شئ فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب فاطر السموات والارض
جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذكروكم فيه ليس كنز شئ وهو السميع
البصير فما يبد السموات والارض يدس الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شئ عليم (اعلم
أن كلمة ذلك للإشارة الى شئ سبق ذكره وقوله وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا يقتضى
تشبيه وسى الله باقرآن بشئ ههنا قد سبق ذكره وليس ههنا شئ سبق ذكره يمكن تشبيه وسى
القرآن به الا قوله والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل
يعنى كما أوحينا اليك أنك است حفظنا طاعتهم واست وكيلنا عليهم فكذلك أوحينا اليك
قرآنا عربيا لتكون نذير لهم وقوله تعالى لتندر أم القرى أى لتندر أهل أم القرى لان
البلد لا تعقل وهو كقوله واسئل القرية وأم القرى أصل القرى وهى مكة وسميت بهذا
الاسم اجلالا لان فيها البيت وتنام ابراهيم والعرب تسمى أم كل شئ أمة حتى يقال
هذه القصيدة من أمهات قصائد فلان ومن حوالها من أهل البدو والحضر وأهل المدر
والانذار التخويف فان قيل فظاهر اللفظ يقتضى ان الله تعالى انما أوحى اليه لينذر أهل
مكة وأهل القرى المحيطة بمكة وهذا يقتضى أن يكون رسولا اليهم فقط وأن لا يكون
رسولا الى كل العالمين (والجواب) ان التخصيص بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما سواه
فهذه الآية تدل على كونه رسولا الى هؤلاء خاصة وقوله وما أرسلناك الا كافة للناس
يدل على كونه رسولا الى كل العالمين وأيضاً المأثبات كونه رسولا الى أهل مكة وجب كونه
صادقا ثم انه نقل النبأ بانوار انه كان يدعى أنه رسول الى كل العالمين والصادق اذا أخبر
عن شئ وجب تصديقه فيه ثبت انه رسول الى كل العالمين ثم قال تعالى وتندر يوم الجمع
الاصل أن يقال أنذرت فلانا بكذا فكان الواجب أن يقال لتندر أم القرى بيوم الجمع
وأيضاً فيه اخبار والتقدير لتندر أهل أم القرى بعذاب يوم الجمع وفى تسميته بيوم الجمع
وجوه (الاول) ان الخلائق يجمعون فيه قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع فيجتمع فيه
أهل السموات مع أهل الارض (الثانى) أنه يجمع بين الارواح والاجساد (الثالث)
يجمع بين كل عامل وعمله (الرابع) يجمع بين الظالم والمظلوم وقوله لاريب فيه صفة ليوم
الجمع أى يوم الجمع الذى لاريب فيه وقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير تقديره يوم
الجمع الذى من صفته يكون القوم فيه فريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير فان قيل
قوله يوم الجمع يقتضى كون القوم مجتمعين وقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير يقتضى
كونهم متفرقين والجمع بين الصفتين محال قلنا انهم مجتمعون أولا ثم يصيرون فريقين

سواء (وهو يحيى الموتى) أى ومن شأنه ذلك (وهو على كل شئ قدير) فهو الحقيق بان يتخذ ﴿ ثم ﴾
وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من شئ) حكاية لقول

رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين أي وما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين فاختلقتم أنفسكم وهم (فحكمكم) راجع
(إلى الله) وهو إثابة المحققين وعقاب المبطلين (ذالككم) الحاكم العظيم الشأن (الله رب) مالك (عليه توكلت) في مجامع
أموري خاصة لأعلى غيره (والله أئيب) ٣٩١ رجع في كل ما من ل من فضلات الأمور لآل أحدسوا

وحيث كان التوكل
أمرا واحدا مستمرا
والإثابة متعددة متجددة
حسب تجدد موادها
أو في الأول صيغة
الماضي وفي الثاني صيغة
المضارع وقيل وما
اختلفتم فيه وتنازعتم
في شيء من الخصومات
فتحاكموا فيه إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم
ولا تؤثر أفعاله على حكومته
حكومة غيره وقيل وما
اختلفتم فيه من تأويل
آية واشتبه عليكم
فارجعوا في بيانه إلى
الحكم من كتاب الله
والناظر من سنة رسول الله

صلى الله عليه وسلم
وقيل وما وقع بينكم
الخلاف فيه من العلوم
التي لا تتعلق بتكليفكم
ولا طريق لكم إلى علمه
فقولوا لله أعلم كعرفته
الروح ولا مساع للجل
هذا على الاجتهاد
لعدم جوازه بعضرة
الرسول عليه الصلاة
والسلام (فاطر السموات
والارض) خير آخر
لذلك أو خير لمبدأ
يخبر أو مبتدا خير

ثم قال ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة والمراد تقر بقوله وان الذين اتخذوا من دونه أولياء
الله حفظ عليهم ومأنت عليهم بوكيل أي لا يكن في قدرتك أن تجعلهم على الإيمان
فأولاء الله ذلك لفعله لأنه أقدر منك ولكند جعل البعض مؤمنا والبعض كافرا فتوابعه
يدخل من يشاء في رحمته بدل على أنه تعالى هو الذي أدخلهم في الإيمان والطاعة وقوله
واظالمون ما بهم من ولي ولا نصير يعني أنه تعالى ما أدخلهم في رحمته وهذا يدل على أن
الأولين انما دخلوا في رحمته لأنهم كانوا له وليا نصير أدخلهم في تلك الرحمة وهو مؤمن ما كان
لهم ولي ولا نصير يدخلهم في رحمته ثم قال تعالى أم اتخذوا من دونه أولياء والمعنى أنه
تعالى حكى عنهم أولا أنهم اتخذوا من دونه أولياء ثم قال بعده لمحمد صلى الله عليه وسلم
است عليهم رقبيا ولا حافظا ولا يجب عليك أن تجعلهم على الإيمان شاؤا أم أبوا فان هذا
المعنى لو كان واجبا لفعله الله لأنه أقدر منك ثم انه تعالى أعاد بعده ذلك الكلام على سبيل
الاستنكار فان قوله أم اتخذوا من دونه أولياء استفهام على سبيل الإنكار ثم قال تعالى
فأله هو الولي وانفاء في قوله فأله هو الولي جواب شرط مقدرا كأنه قال إن أرادوا أولياء
يحق فأله هو الولي بالحق لا ولي سواه لأنه يحى الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بأن
يتخذوا يادون من لا يقدر على شيء ثم قال وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله وفيه
مسائل (المسئلة الأولى) وجه التنظيم أنه تعالى كما منع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحمل
الكفار على الإيمان فهرا فكذلك منع المؤمنين أن يشرعوا معهم في الخصومات
والتنازعات فقال وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله وهو إثابة المحققين فيه ومعاقبة
المبطلين وقيل وما اختلفتم فيه من شيء وتنازعتم فتحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا تؤثر أفعاله على حكومته غيره على حكومته وقيل وما وقع بينكم فيه خلاف من الأمور
التي لا تصل بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه كحديثه الروح فتقولوا الله أعلم به قال تعالى
ويستأونك عن الروح قل الروح من أمر ربي (المسئلة الثانية) تقدير الآية كأنه تعالى
قال قل يا محمد وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله والدليل عليه قوله تعالى ذلكم الله
ربي عليه توكلت واليه أئيب (المسئلة الثالثة) احتج نفاة التماس بهذه الآية فقالوا
قوله تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله أما أن يكون المراد فيحكمه مستفاد
من نص الله عليه أو المراد فحكمه مستفاد من القياس على ما نص الله عليه والثاني باطل
لأنه يقتضي كون كل الأحكام مثبتة بالقياس وأنه باطل فيعتبر الأول فوجب كون كل
الأحكام مثبتة بالنص وذلك ينفي العمل بالقياس والتأمل أن يقول لم لا يجوز أن يكون
المراد فحكمه يعرف من بيان الله تعالى سواء كان ذلك البيان بالنص أو بالقياس أجيب
عنه بأن المقصود من التحاكم إلى الله قطع الاختلاف والرجوع إلى القياس يقوى حكم
الاختلاف ولا يوضحه فوجب أن يكون الواجب هو الرجوع إلى نصوص الله تعالى ثم
قال تعالى ذلكم الله ربي أي ذلكم الحاكم بينكم هو ربي عليه توكلت في دفع كيد

(جعل لكم) وقرئ بالجر على أنه يدل من الضمير أوصف الاسم الجليل في قوله تعالى وما بينهما اعتراض بين
الصفة والموصوف (من أنفسكم) من جنسكم

(ازواجاً) ساء وتعدم الجار والمجرور على المفعول الصريح قدم سره غير مرة (ومن الانعام) أي وجعل للانعام من جنسها (ازواجاً) أو خلق لكم من الانعام أصنافاً ﴿٣٩٢﴾ أذكوراً وأنا أنثى (يذكركم) يكثركم من الذر وهو

البث وفي معناه الذر والذر (فيه) أي فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والانعام أزواجاً يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير (ليس كذلكه شيء) أي ليس مثله شيء في شأن من الشئون التي من جلتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما في قرائهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عند فاته اذ انفي عن يناسبه كان نفيه عنه أولى ثم سكت هذه الطريقة في شأن من لا مثل له وقيل له صفة أي ليس كصفته صفة (وهو السميع البصير) المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر (له) متسايد السموات والارض) أي خزانها (يسط الرزق لمن يشاء) ويقدر (يوسع) ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة (انه بكل شيء عليم) مبالغ في الاحاطة به فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي أن يفعل عليه والجملة دليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى ﴿وَالْبَهَاءُ﴾

الانعام وفي طلب كل خير وانيه أي وانيه أرجع في كل المهمات رفوله عليه توكلت يفيد الحصر أي لا أتوكل الا عليه وهو اشارة الى تزييف طريقة من اتخذ غير الله وياثم قال فاطر السموات والارض قري بالرفع والجر فالرفع على أنه خبر ذلكم أو خبر مبتدا محذوف والجر على تقدير أن يكون الكلام هكذا وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله فاطر السموات والارض وقوله فاعلم الله ربى اعتراض وقم بين الصفة والموصوف جعل لكم من أنفسكم من جنسكم من الناس أزواجاً ومن الانعام أزواجاً أي خلق من الانعام أزواجاً ومعناه وخلق أيضاً للانعام من أنفسها أزواجاً يذكركم يكثركم يقال ذر الله خلق أي كثركم وقوله فيه أي في هذا التدبير وهو التزويج وهو أن جعل الناس والانعام أزواجاً حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذكركم يرجع الى المخاطبين الا انه غلب فيه جانب الناس من وجهين (الاول) انه غلب فيه جانب العقلاء على غير العقلاء (والثاني) انه غلب فيه جانب المخاطبين على الغائبين فان قيل ما معنى يذكركم في هذا التدبير وما يقل يذكركم به قلنا جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن لهذا التكثير ألا ترى انه يقال للحبوان في خلق الأزواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة ثم قال تعالى ليس كذلكه شيء وهو السميع البصير وهذه الآية فيها مسائل (المسئلة الاولى) احتج علماء التوحيد قديماً وحديثاً بهذه الآية في نفي كونه تعالى جسماً مركباً من الاعضاء والاجزاء وحاصلاً في المكان والجهة وقائراً لو كان جسماً لكان مثلاً لساير الاجسام فيلزم حصول الامثال والاشباه له وذلك باطل بصريح قوله تعالى ليس كذلكه شيء ويمكن ايراد هذه الحجة على وجد آخر فيقال اما أن يكون المراد ليس كذلكه شيء في ماهيات الذات أو أن يكون المراد ليس كذلكه في الصفات شيء والثاني باطل لان العباد يوصفون بكونهم عاقلين قادرين كما ان الله تعالى يوصف بذلك وكذلك يوصفون بكونهم معلومين مذكورين مع ان الله تعالى يوصف بذلك فثبت ان المراد بالمثالة المساواة في حقيقة الذات فيكون المعنى ان شيئاً من انشوات لا يساوي الله تعالى في الذاتية فلو كان الله تعالى جسماً لكان كونه جسماً ذاتاً لا صفة فاذا كان سايراً لاجسام مساوياً له في الجسمية أعني في كونها متغيرة طويلة عريضة عميقة فحينئذ تكون سايراً لاجسام مماثلة لذات الله تعالى في كونه ذاتاً والنسب في ذلك فوجب أن لا يكون جسماً واعلم أن محمد بن اسحق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية في الكتاب الذي سماه بانو حيد وهو في الحقيقة كتاب الشرك واعترض عليها وأنا أذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات لانه كان رجلاً مضطرب الكلام قليل الفهم ناقص العقل فقال نحن نثبت لله وجهاً ونقول ان لوجه ربنا من النور والضياء والبهاء ما لو كشف حجاب له لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره ووجه ربنا من عند الهلاك والفناء ونقول ان لبني آدم وجوها كتب الله عليها الهلاك والفناء ونفى عنها الجلال والاکرام غير موصوفة بالنور والضياء

(شرح لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) وايدان بان ما شرع
لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان بيان ٣٩٣ نسبه الى المذكورين عليهم الصلاة والسلام تنبيه على

والبهاء واو كان مجرد اثبات الوجه لله يقتضى التشبيه لكان من قال ان لبنى آدم وجوها
والخنازير والقردة والكلاب وجوها لكان قد شبه وجوه بنى آدم بوجوه الخنازير
والقردة والكلاب ثم قال ولا شك انه اعتقاد الجهمية لانه اوقبل له وجهك يشبه وجه
الخنازير والقردة لغضب ولشافهه بالسوء فعلمنا انه لا يلزم من اثبات الوجه واليد لله
اثبات تشبيه بين الله وبين خلقه وذكر في فصل آخر من هذا الكتاب ان القرآن دل على
وقوع النسوية بين ذات الله تعالى وبين خلقه في صفات كثيرة ولم يلزم منها ان يكون القائل
بها مشبهاف كداهمنا ونحن نمد الصور التي ذكرها على الاستقصاء (فالاول) انه تعالى قال
في هذه الآية وهو السميع البصير وقال في حق الانسان فجعلناه سميعا بصيرا (الثاني) قال
وقل اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله قال في حق المخلوقين اولم يروا الى الطير مستخرات
في جوا السماء (الثالث) قال واصنع الفلك باعيننا واسير ليحكم برك فذلك باعيننا وقال
في حق المخلوقين ترى اعينهم تفبض من الدمع (الرابع) قال لا بليس ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي وقال بل يده مبسوطتان وقال في حق المخلوقين ذلك بما قدمت ايديكم
ذلك بما قدمت يداك ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يدا الله فوق ايديهم (الخامس)
قال تعالى الرحمن على العرش استوى وقال في الذين يركبون الدواب لتستروا على ظهوره
وقال في سفينة نوح واستوت على الجودي (السادس) سمي نفسه عزرا فقال العزيز
الجبار ثم ذكر هذا الاسم في حق المخلوقين بقوله يا ايها الذين آمنوا انزلوا من فوقكم ايها
الذين آمنوا انزلوا الضمر (السابع) سمي نفسه بالملك وسمى بهض عبده ايضا بالملك فقال
وقال الملك اتوني به وسمى نفسه بالعظيم ثم اوقع هذا الاسم على المخلوق فقال رب العرش
العظيم وسمى نفسه بالجبار المنكبر واوقع هذا الاسم على المخلوق فقال كذلك يطيع الله
على كل قلب منكبر جبار ثم اول في ضرب الامثلة عن هذا الجنس وقال ومن وقف على
الامثلة ان ذكرناها امكنه الاكثار منها فهداما اورد هذا الرجل في هذا الكتاب
واقول هذا المسكين الباهل انما وقع في امثال هذه الخرافات لانه لم يعرف حقيقة المثلين
وعلماء التوحيد حثوا الكلام في المثلين ثم فرغوا بطريق الاستدلال بهذه الآية فتقول
المثلان هما اللذان يقوم كل واحد منهما مقام الآخر في حقيقة وماهية وتتميم
الكلام فيه مسبق في مقسمة أخرى فتقول المعتبر في كل شيء اما تمام ماهيته واما جزء من
أجزاء ماهيته واما أمر خارج عن ماهيته ولكنه يكونه او اوزم تلك الماهية واما أمر
خارج عن ماهيته ولكنه ليس من اوزم تلك الماهية وهذا التسمي مبني على الفرق بين
ذات الشيء وبين الصفات القائمة به فذلك معلوم بالبداهة فانا ترى الحبة من الحصرم كانت
في غاية الخضرة والمجوضة ثم صارت في غاية السواد والحلاوة فالذات باقية والصفات
مختلفة والذات الباقية مغايرة لصفات المختلفة وأيضا ترى اشعر قد كان في غاية الواد
ثم صار في غاية البياض فالذات باقية والصفات متبدلة والباقي غير المتبدل فظهر بما ذكرنا

كونه ديناً قديماً أجمع
عليه الرسل والخطاب
لامته عليه الصلاة
والسلام أي شرع لكم
من الدين ما وصى به
نوحا ومن بعده من آرباب
الشرائع وأولى اعزائم
من مشاهير الانبياء عليهم
الصلاة والسلام وأمرهم
به أمرا مؤكدا على أن
تخصيصهم بالتدكر لما
ذكر من علو شأنهم
ولاستغالة قلوب الكفرة
اليه لا اتفاق الكل على
نبوة بعضهم وتفردهم
اليهود في شأن موسى
عليه السلام وتفردهم
النصارى في حق عيسى
عليه السلام والافغان
بنى الزهرو أمور بما
أمروا به وهو عبارة عن
التوحيد ودين الاسلام
وما لا يختلف باختلاف
الامم وتبطل الاعصار
من اصول الشرائع
والاحكام كايدين عنه
التوصية فانها معرفة
عن تأكيد الامر
والاعتناء بشأن المأمور
به والمراد بانخائه اليه
عليه الصلاة والسلام
اما ما ذكر في صدر

السورة الكريمة وفي قوله الى وكناك أوحينا الآية ٥٠ سا أو ما علمهم ما وغيره اما وقع في سائر المواضع التي
من جعلها قوله تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا

وقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما اهلهم الله واحد وعبر ذلك وتعبير سن ٣٩٤ ﴿ ٣٩٤ ﴾ ما قبله وما بعده من النصيحة لمراجعة والسلام بالذي لا يذنب زيادة تفخيم شأنه من تلك الحقيقة واشار الى الجاه على

ان الذوات مغايرة للصفات اذا عرفت هذا فتقول اختلاف الصفات لا يوجب اختلاف الذوات البتة لان ترى الجسم الواحد كان ساكناً ثم يصير متحركاً ثم يسكن بعد ذلك فالذوات باقية في الاحوال كلها على نهج واحد ونسق واحد والصفات متعاقبة متزايلة فثبت بهذا ان اختلاف الصفات والاعراض لا يوجب اختلاف الذوات اذا عرفت هذا فتقول الاجسام التي منها تألف وجه الكلب والقرود مساوية الاجسام التي تألف منها وجه الانسان والفرس وانما حصل الاختلاف بسبب الاعراض القائمة وهي الالوان والاشكال والخشونة والملاسة وحصول الشعور فيه وعدم حصولها فلا اختلاف انما وقع بسبب الاختلاف في الصفات والاعراض فاما ذوات الاجسام فهي متماثلة لان العوام لا يعرفون الفرق بين الذوات وبين الصفات فلا جرم يقولون ان وجه الانسان مخاف لوجه الحمار ولقد صدقوا فانه حصلت تلك المخالفة بسبب اشكال واللون وسائر الصفات فاما الاجسام من حيث انها اجسام فهي متماثلة متساوية فثبت ان الكلام الذي اوردته انما ذكره لاجل انه كان من العوام وما كان يعرف ان المتعبر في التماثل والاختلاف حقائق الاشياء وما هياتها لا الاعراض والصفات القائمة بها بقي ههنا ان يقال فما الدليل على ان الاجسام كلها متماثلة فتقول انها هي متماثلان (المقام الاول) ان نقول هذه المقدمة اما ان تكون مسلمة او لا تكون مسلمة فان كانت مسلمة فقد حصل المقصود وان كانت ممنوعة فتقول فلم لا يجوز ان يقال اله العالم هو الشمس والقمر والفلك والعرش والكرسي ويكون ذلك الجسم مخالفاً لما هي سائر الاجسام فكان هو قديماً ازلها واجب الوجود وسائر الاجسام محدثة مخلوقة ولو ان الاولين والآخرين اجتمعوا على ان يسبقوا هذا الزمان عن المجسمة لا يقدر ان عليه فان قالوا هذا باطل لان القرآن دل على ان الشمس والقمر والافلاك كلها محدثة مخلوقة فيقال هذا من باب المجازة المفرطة لان صحة القرآن وصحة نبوة الانبياء مفرعة على معرفة الاله فاثبت معرفة الاله بالقرآن وقول النبي لا يقوله عاقل يفهم ما يتكلم به (والمقام الثاني) ان علماء اصول اقاموا البرهان اقام على تماثل الاجسام في الذوات والحقيقة واثبت هذا ظهوره لو كان اله العالم جسماً لكانت ذاته مساوية لذوات الاجسام الا ان هذا باطل بالعقل والنقل اما العقل فلان ذاته اذا كانت مساوية لذوات سائر الاجسام وجب ان يصح عليه ما يصح على سائر الاجسام فليزعم كونه محدثاً مخلوقاً قابلاً للعدم والقضاء قابلاً للفرق والتمزيق واما النقل فتعوله تعالى ليس كمثل شيء فهذا تمام الكلام في تقرير هذا الدليل وعند هذا يظهر اننا لانقول بأنه متى حصل الاستواء في الصفة لزم حصول الاستواء في تمام الحقيقة الا اننا نقول لما ثبت ان الاجسام متماثلة في تمام الماهية فلو كانت ذاته جسماً لكان ذلك الجسم مساوياً لسائر الاجسام في تمام الماهية وحينئذ يلزم ان يكون كل جسم مثلاً له لما بيننا من المتعبر في حصول المماثلة اعتبار الحقائق من حيث هي لا اعتبار الصفات القائمة بها

ما وقع في الآيات المذكورة ولما في الانجاء من التصريح برسائه عليه الصلاة والسلام اقامه لانكار الكفرة والاتفات الى نون المظلمة لاظهار كمال الاعتناء بايجائه وهو السرف في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زماناً وتقديم توصية نوح عليه السلام للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم ديناً قديماً وتوجيه الحساب اليه عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين للتشريف والتبديد على أنه تعالى شرع لهم على اسانه عليه الصلاة والسلام (ان اقيموا الدين) أي دين الاسلام الذي هو توحيد الله تعالى وطاعته والايان بكتبه ورسوله ويوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمناً والمراد باقامته تعديل اركانها وحفظه من ان يقع فيه زيغ أو المواناة عليه والتشمر له ومحمل ان اقيموا اما ان نصب على أنه يدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو الرفع

على أنه جواب عن سؤال نشأ من ابهام المشروع كانه قبل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل يدل على فظهر من ضمير به وليس بذلك لما أنه مع

افضلها الى خروجه عن حيز الابطال الى النبي عليه الصلاة والسلام مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى (ولا تفرقوا فيه) ثلاثا المذكورين عليهم الصلاة والسلام * ٣٩٥ * وتوجيه التهي الى ائمتهم يحمل ظاهره على ان الاظهر انه منوجه الى ائمتهم صلى

الله عليه وسلم وائمتهم
المتفرقون كما ستمطيه
خبراً أي لا تفرقوا في
الدين الذي هو عبارة
عما ذكر من الاصول
دون الفروع المختلفة
حسب اختلاف الائم
باختلاف الاعصار كما
يتعلق به قوله تعالى
لكل جده لنا منكم سريرة
ومنهاجا وقوله تعالى
(كبر على المشركين)
شروع في بيان احوال
بعض من شرع لهم
ما شرع من الدين القويم
أي عظم وشق عليهم
(ما تدعوهم اليه) من
التوحيد ورفض عبادة
الاصنام واستبعاد
حيث قالوا اجعل
الالهة الهما واحد
ان هذا لشيء عجيب
وقوله تعالى (الله يجزي
اليه من يشاء) استثناء
وارد لتحقيق الحق و
اشعار بان منهم
يجيب الى الدعوة أي
الله يجلب الى ما
تدعوهم اليه من يشاء
أن يجيب اليه وهو من
صرف اختياره الى ما

فظهر بالنظر الذي ذكرناه أن جهة التوحيد في غاية القوة وإن هذه الكلمات التي
أوردناها هذا الإنسان إنما أوردناها لأنه كان بعيداً عن معرفة الحقائق فجرى على منهج
كلمات العوام فاعتبر تلك الكلمات التي ذكرها ونسأل الله تعالى حسن الخاتمة (المسئلة
الثانية) في ظاهر هذه الآية اشكال فانه يقال المقصود منها في المثل عن الله تعالى
وظاهرها يوجب اثبات المثل لله فانه يقتضي في المثل عن مثله لا عنه وذلك يوجب اثبات
المثل لله تعالى وأجاب العلماء عنه بان قالوا ان العرب تقول مثلك لا يجزل أي أنت لا تجزل
فتفوا لا تجزل عن مثله وهم يريدون نفية عنه ويقول الرجل هذا الكلام لا يقال لمثلي أي
لا يقال قال الشاعر * ومثلي كمثل جذوع النخيل * والمراد منه المبالغة فانه اذا كان
ذلك الحكم متفقاً على كان مشابها بسبب كونه مشابهاً فلان يكون متفقاً عنه كان
ذلك أولى وظاهره قواهم سلام على المجلس العالي والمقصود ان سلام الله اذا كان واقفاً على
مجلسه وموضعه فلا يكون واقفاً عليه كان ذلك أولى فكذلك قوله تعالى ليس كمثل شيء
والمعنى ليس كمثل شيء على سبيل المبالغة من الوجه الذي ذكرناه وعلى هذا التقدير فلم يكن
هذا اللفظ ساقطاً عديم الاثر بل كان مقيداً للمبالغة من الوجه الذي ذكرناه وزعم جههم
ابن صفوان أن المقصود من هذه الآية بيان انه تعالى ليس مسمى باسم الشيء قال لان كل
شيء فانه يكون مثلاً لمثل نفسه فقوله ليس كمثل شيء معناه ليس مثل مثله شيء وذلك يقتضي
أن لا يكون هو مسمى باسم الشيء وعندى في طريفة أخرى وهي ان المقصود من ذكر الجمع
بين حرقى التشبيه الدليل الدال على كونه ممزهاً عن المثل وتقريره أن يقال لو كان له مثل
لكان هو مثل نفسه وهذا محال فاثبات المثل له محال أما بيان انه لو كان له مثل لكان هو
مثل نفسه فالامر فيه ظاهر وأما بيان ان هذا محال فلانه لو كان مثل مثل نفسه لكان
مساوياً للمثل في تلك الماهية ومبايناً له في نفسه ومبايناً للشاركة غير مباينة المباشرة فتكون
ذات كل واحد منهما مركبة من كل مركب ممكن فثبت انه لو حصل لواجب الوجود مثل
لما كان هو في نفسه واجب الوجود اذا عرفت هذا فقوله ليس مثل مثله شيء إشارة الى انه
لو صدق عليه انه مثل مثل نفسه لما كان هو شيئاً بناء على ما بينا انه لو حصل لواجب الوجود
مثل لما كان واجب الوجود فهذا ما يحتمله اللفظ (المسئلة الثالثة) هذه الآية دالة على ان في
المثل وقوله تعالى وله المثل الأعلى يقتضي اثبات المثل فلا بد من الفرق بينهما ما فنقول المثل
هو الذي يكون مساوياً للشيء في تمام الماهية والمثل هو الذي يكون مساوياً له في بعض
الصفات الخارجة عن الماهية وان كان مخالفاً في تمام الماهية (المسئلة الرابعة) قوله وهو
السميع البصير يدل على كونه تعالى سامعاً للمسموعات مبصراً للربيات فان قيل يمتنع
اجراء هذا اللفظ على ظاهره وذلك لانه اذا حصل قرع أو قلع انقلب الهواء من بين دينك
الجسمين انقلاباً بعنف فمتزوج الهواء بسبب ذلك ويتأدى ذلك التزوج الى سطح الصماخ
فهذا هو السماع وأما الابصار فهو عبارة عن نثر الحديقة بصورة الرئي فثبت أن السمع

دعى اليه كما ينبغي عنه قوله تعالى (ويهدي اليه من يذب) أي يقبل اليه حيث يمد به بالتوفيق والالطاف وقوله
تعالى (وما تفرقوا) شروع في بيان احوال أهل الكتاب عقيب الإشارة

الاجالية الى احوال أهل الشرك قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود والنصارى أقوله تعالى وما تفرق الدين
أوتوا الكتاب الامن بعد ما جاءتهم البينة أي وما تفرقوا في ٢٩٦ في الدين الذي دعوا اليه ولم يؤمنوا

كأنهم بعضهم (الامن
بعد ما جاءهم العلم)
ببينة فنه بما شاهدوا
في رسول الله صلى الله
عليه وسلم والقرآن من
دلائل الحقيقة حسبا
وجدوه في كتابهم
أو اعلم بمبعثه عليه
الصلوة والسلام
وهو استثناء مفرغ
من أعم الاحوال أو من
أعم الاوقات أي وما
تفرقوا في حال من
الاحوال أو في وقت
من الاوقات الاحال
مجيء العلم أو الاوقات
مجيء العلم (بما بينهم)
وحجة وطلب للرياسة
لان لهم في ذلك
شبهة (والكلمة سبقت
من ربك) وهي العدة
بأجل خير العقوبة (ال
أجل مسمى) هو يوم
القيامة (لقضى بينهم)
لاوقع القضاء بينهم
بانتصالهم لاستيجاب
جناياتهم لذلك قطعا
وقوله تعالى (وان الذين
أوتوا الكتاب من
بعدهم) الخ بيان لكيفية
كفر المشركين بالقرآن
البيان كيفية كفر أهل

والبصيرة عن تأثير الحاسة وذلك على الله تعالى فثبت ان الخلاق السمع والبصر على
علم تعالى بالسموات والمبصرات غير جار (والجواب) الدليل على أن السمع مغاير
تأثير الحاسة اننا اذا سمعنا الصوت علمنا انه من أي الجوانب جاء فعلمنا اننا أدركنا الصوت
محيث وجد ذلك الصوت في نفسه وهذا يدل على ان ادراك الصوت حالة مغايرة لتأثير
السمع عن توج ذلك الهواء وأما الرواية فالدليل على انها حالة مغايرة لتأثير الحاسة فذلك
لان نقول اننا نرى جسم صغير فيستحيل ان يطباع الصورة العظيمة فيه فنقول الصورة المنطبعة
صغيرة والصورة المرئية في نفس العالم العظيمة وهذا يدل على ان الرواية حالة مغايرة لنفس
ذلك الانطباع واذا ثبت هذا فنقول لا يلزم من امتناع التأثير في حق الله امتناع السمع
والبصر في حقه فان قالوا هب ان السمع والبصر حالتان مغايرتان لتأثير الحاسة الا ان
حصولهما مشروط بحصول ذلك التأثير فلما كان حصول ذلك التأثير في حق الله تعالى
ممتنعما كان حصول السمع والبصر في حق الله ممتنعما فنقول ظاهر قوله وهو السمع البصير
يدل على كونه سمعا بصيرا فلم يجز لنا أن نعدل عن هذا الظاهر الا اذا قام الدليل على أن
الحاسة المسماة بالسمع والبصر مشروطة بحصول التأثير والتأثير في حق الله تعالى ممتنع
فكان حصول الحاسة المسماة بالسمع والبصر ممتنعاً وأنتم المدعون لهذا الاشتراط
فعليناكم الدلالة على حصوله وانما نحن متسكون بظاهر اللفظ الى أن تذكروا ما يوجب
العدول عنه فان قال قائل قوله وهو السمع البصير يفيد الحصر فامعنى هذا الحصر
مع أن العباد أيضا موصوفون بكونهم سمعين بصيرين فنقول السمع والبصير لفظان
مشعران بحصول هاتين الصفتين على سبيل الكمال والكمال في كل الصفات ليس الله
فهذا هو المراد من هذا الحصر أما قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فاعلم أن المراد
من الآية انه تعالى قاطر السموات والارض والاصنام ليست كذلك وأيضا فهو خالق
أفئتنا وأزواجنا وخالق أولادنا منا ومن أزواجنا والاصنام ليست كذلك وأيضا فله
مقاليد السموات والارض والاصنام ليست كذلك والمقصود من الكل بيان القادر المنعم
الكريم الرحيم فكيف يجوز جعل الاصنام التي هي جنادات مساوية في العبودية
فنبوه له مقاليد السموات والارض يريد مفاتيح الرزق من السموات والارض فمقاليد
السموات الامطار ومقاليد الارض النبات وذكرنا تفسير المقالة في سورة الزمر عند قوله
يسط الرزق لمن يشاء ويقدر لان مفاتيح الارزاق بيده انه بكل شيء من البسط والتقدير
عليم قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به
ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) كبر على المشركين ما تدعوههم
اليه الله يحب اليه من يشاء ويهذي اليه من يذنب وما تفرقوا الامن بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم واو كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم وان الذين أوتوا الكتاب
من بعدهم لفي شك منه مريب فذلك هادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت

الكتاب وقرئ ورثوا ورثوا أي وان المشركين الذين أوتوا القرآن من بعد ما ورث أهل الكتاب ﴿وما﴾
كتابهم (ان في شك منه) من القرآن (مريب) موقع في القلق أو في الريبة ولذلك لا يؤمنون به لالحض البغي
والكثرة بعد

ذلك الدين والعمل بموجبيه فان الامن تفرقهم وكونهم في شك من رب ومن شرع ذلك الدين اهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب الدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه * ٣٩٨ * ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة

واللهي عن التفرق حتى
يتوهم شائبة التكرار
وقبل المشار اليه نفس
الدين المشروع واللام
بمعنى الى كافي قوله تعالى
بان ربك أوحى لها أي
فالى ذلك الدين فادع
(واستقم) عليه وعلى
الدعوة اليه (كما أمرت)
وأوحى اليك (ولا تتبع
أهواءهم) الباطلة
(وقل آمنت بما نزل الله
من كتاب) أي كتاب
كل من الكتب المزعاة
لا كالذين آمنوا به بعض
منها وكفروا به بعض
وفيه تحقيق للحق وبيان
لانفاق الكذب في الاصول
وتأليف لقلوب أهل
الكتابيين وتوهم بعض
بهم وقدم بيان كيفية
الايان بها في خاتمة سورة
البقرة (وأمرت لاعدل
بينكم) في تبليغ الشرائع
والاحكام وفصل
القضايا عند المحاكمة
والخصام وقيل معناه
لا سوى بيني وبينكم
ولا أمركم بما لا أعلمه
ولا أخالفكم الى
مأنهاكم عنه ولا أفرق
بينكم كما أفرقكم

وشق عليهم ما ندعوهم اليه من اقامة دين الله تعالى على سبيل الاتفاق والاجماع بدليل ان
 الكفار قالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا شيء محجوب وههنا مسائل (المسئلة
 الاولى) احيى نقاة القياس بهذه الآية قالوا انه تعالى اخبر ان اكابر الانبياء اطبقوا على
 انه يجب اقامة الدين بحيث لا يفضى الى الاختلاف والتنازع والله تعالى ذكره في معرض
 المثبة على عباده انه ارشدهم الى الدين الخالي عن التفرق والتخالف ومعلوم ان فتح باب
 القياس يفضى الى اعظم انواع التفرق والمنازعة فان الحس شاهد بان هؤلاء الذين بنوا
 دينهم على الاختيار قياسي تفرقوا وتفرقا لارجاء في حصول الاتفاق بينهم الى آخره اقامة
 فوجب ان يكون ذلك محرما ونوعا عنه (المسئلة الثانية) هذه الآية تدل على ان هذه
 الشرائع على قسمين منها ما يعتزم دخول التمسح والتغير فيه بل يكون واجب البقاء في
 جميع الشرائع والاديان كما نقول بحسن الصدق والعدل والاحسان والقول بفسخ
 الكذب والظلم والافشاء ومنها ما يختلف باختلاف الشرائع والاديان ودلت هذه الآية
 على ان سعي الشرع في تقرير النوع الاول اقوى من سعيه في تقرير النوع الثاني لان
 المواظبة على القسم الاول مهمة في اكتساب الاحوال المفيدة لحصول السعادة في الدار
 الآخرة (المسئلة الثالثة) قوله تعالى ان اقيموا الدين ولا تفرقوا فيه مشعر بان حصول
 الموافقة امر مطلوب في الشرع والعقل وبيان منفعة من وجوه (الاول) ان للنفوس
 تأثيرات واذا تطابقت النفوس وتوافقت على شيء واحد قوى التأثير (الثاني) انهما اذا
 توافقت صار كل واحد منهما معينا للآخر في ذلك المقصود العين وكثرة الاعوان توجب
 حصول المقصود اما اذا تخالفت تنازعت وتجادلت فضعت فلا تحصل المقصود (الثالث)
 ان حصول التنازع ضد مصلحة العالم لان ذلك يفضى الى الهرج والمرج والقتل والنهب
 فلهذا النسب امر الله تعالى في هذه الآية باقامة الدين على وجه لا يفضى الى التفرق
 وقال في آية أخرى ولا تنازعوا فتفشاوا ثم قال الله تعالى يحبني اليه من يشاء ويهدي اليه
 من يشاء وفيه وجهان (الاول) انه تعالى لما ارشدهم الى هذا الخير لانه اجتباهم واصطفاهم
 بالدين المتفق عليه بين انه تعالى انما ارشدهم الى هذا الخير لانه اجتباهم واصطفاهم
 وخصهم بمن يد الرحمة والكرامة (الثاني) انه انما اكبر عليهم هذا الدعاء من الرسل لما فيه
 من الانقياد لهم تكبرا وانفة فيبين تعالى انه يخص من يشاء بالرسالة ويلزم الانقياد لهم ولا
 يعتبر الحسب والنسب والغنى بل الكل سواء في انه يلزمهم اتباع الرسل الذين اجتباهم
 الله تعالى واشتاق لفظ الاجتباء يدل على الضم والجمع فنه جبي الخراج واجتباه ووجب
 الماء في الخوض فقوله الله يحبني اليه أى يضمه اليه ويقربه منه تقرب بالآكرام والرحمة
 وقوله من يشاء كقوله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ثم قال ويهدي اليه من يشاء
 وهو كما روى في الخبر من تقرب مني شيئا تقربت منه ذراعا ومن اتاني عشي آتيت هرولة
 أى من أقبل الى بطاعته أقبلت اليه بهدائي وارشادي بان اشرح له صدره واسهل أمره

واللام اما على حقيقةها والمأمور به محذوف أى أمرت بذلك لأعدل أو زائدة أى أمرت أن أعدل والباء ﴿ واعلم ﴾ محذوفة (الله ربنا وربكم) أى خالقنا

بجميعا ومتولى أمورنا (لنا أعمالا) لا يتخطا ناجزا أو هائلا باكان أو عقابا (ولكم أعمالكم) لا تجاوزكم آثارها لتستفيد بحسنتكم
وتتضرر بسيئاتكم (لا حجة بيننا وبينكم) أى لا حاجة ولا خضومة لأن الحق قد ظهر واما يبقى للحاجة حاجة ولا للمخالفة
محل سوى المكابرة (الله يجمع بيننا) ﴿ ٣٩٩ ﴾ يوم القيامة (والله المصير) فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى

بحاجة في مواقف
النجاة لا مراكمة في
مواطن المحاربة حتى
يصار الى النسخ
بأية القتال (والذين
يحتاجون في الله) أهدى
دينه (من بعد ما استجاب
له) من بعد ما استجاب له
الناس ودخلوا فيه والتعبير
عن ذلك بالاستجابة باعتبار
دعوتهم اليه أو من بعد
ما استجاب الله لرسوله
عليه الصلاة والسلام
وأيد بصبره أو من بعد
ما استجاب له أهل الكتاب
بان أقروا بنبوته عليه
الصلاة والسلام
واستفصوا به قبل معه
عليه الصلاة والسلام
وذلك أن اليهود والنصارى
كانوا يقولون للمؤمنين
كتابنا قبل كتابكم وديننا
قبل دينكم ونحن خير منكم
وأولى بالحق (حججهم
داخضة عند ربهم)
زائلة باطللة بل لا
حجة لهم أصلا وانما
من أباطلهم بالحجة بمجاراته
معه على زعمهم الباطل
(وعليهم غضب)
عظيم لكارثتهم الحق
بعد ظهوره (ولهم عذاب شديد)

وأعلم أنه تعالى لما بين أنه أمر كل الأنبياء والامم بالآخذ بالدين المتفق عليه كان لقائل أن
يقول فلماذا نجدهم متفرقين فاجاب الله تعالى عنهم بقوله وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم يعنى أنهم ما تفرقوا الا من بعد أن علموا أن الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك
للغنى وطلب الرياسة فحملتهم الحمية النفسانية والاتفة الطبيعية على أن ذهب كل طائفة
الى مذهب ودعا الناس اليه وفتح ما سواه طلبا للذكر والرياسة فصار ذلك سببا لوقوع
الاختلاف ثم أخبر تعالى أنهم استحقوا العذاب بسبب هذا الفعل الا انه تعالى أخر عنهم
ذلك العذاب لأن لكل عذاب عنده أجلا مسمى أى وقتا معلوما اما المحض المشبهة كما هو
قولنا أولانه علم أن الصلاح تحقيقه كما عند المعتزلة وهو معنى قوله ولا كفاء سبقت من
ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم والاجل المسمى قد يكون في الدنيا وقد يكون في القيامة
واختلفوا في الدين أريدوا بهذه الصفة من هم فقال الأكثرون هم اليهود والنصارى
والدليل عليه قوله تعالى في آل عمران وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم وقال في سورة لم يكن وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم
البيان ولأن قوله الا من بعد ما جاءهم العلم لأنق بأهل الكتاب وقال آخرون أنهم هم العرب
وهذا باطل للوجود المذكور لأن قوله تعالى بعد هذه الآية وان الذين أوتوا الكتاب من
بعدهم لا يلقى الرب لأن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم هم أهل الكتاب الذين كانوا في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شك من كتابهم لا يؤمنون به حتى الإيمان ثم قال تعالى
فلذلك فادع واستقم كما أمرت يعنى فلاجل ذلك التفرق ولاجل ما حدث من الاختلافات
الكثيرة في الدين فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفة واعتقم عليها وعلى الدعوة اليها كما
أمر الله ولا تتبع أهواءهم المختلفة الباطلة وقل آمئت بما أنزل الله من كتاب أى بأى
كتاب صح ان الله أنزله يعنى الإيمان بجميع الكتب انزلة لأن المتفرقين آمنوا ببعض
وكفروا ببعض ونظيره قوله يؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله أولئك هم الكافرون ثم
قال وأمرت لأهدل بينكم أى فى الحكم اذا اختلفتم فهاكم الى قال اتفقا معناه
ان ربى أمرنى أن لا أفرق بين نفسى وأنفسكم بأن أمركم بالأعماله أو أخافكم الى
ما نهيتكم عنه لكنى أسوى بينكم وبين نفسى وكذلك أسوى بين أكبركم وأصاغركم فيما
يتعلق بحكم الله ثم قال الله ربنا وربكم لنا أعمالا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله
يجمع بيننا والله المصير والمعنى ان الله الكل واحد وكل واحد مخصوص بعمل نفسه
فوجب أن يشتغل كل واحد فى الدنيا بنفسه فان الله يجمع بين الكل فى يوم القيامة
ويجازيه على عمله والمقصود منه التاركة واشتغال كل أحد بعبادته نفسه فان قيل كيف
يلقى بهذه التاركة ما فعل بهم من القتل وتخريب البيوت وقطع الخيل والاجلاء فلنا هذه
التاركة كانت مشروطة بشرط أن يقبلوا الدين المتفق على صحته بين كل الانبياء ودخل
فيه التوحيد وترك عبادة الاصنام والاقرار بنبوة الانبياء وبهجة البعث والقيامة فلما

لا يقادر قدره (الله الذي أنزل الكتاب) أي جنس الكتاب (بالحق) ملتصقة في أحكامه وأخباره أو بما يحق أنزاله من
العتاشوا الأحكام (والميزان) والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس أو نفس العدل بأن أنزل الأمر به أو آلة
الوزن (وما يدريك) أي شيء يجهل كما قال (أهل الساعة) التي تغير مجيئها الكتاب الناطق بالحق (قريب) أي شيء
قريب أو قريب مجيئها أو قيل القريب بمعنى ذات قرب ٤٠٠ أو الساعة بمعنى البعث والمعنى أنها على جناح

الآيات فأتبع الكتاب
وأعمل به وواطى على
العدل قبل أن يفاجئك
اليوم الذي يوزن فيه
الأعمال ويوفي جزاؤها
(يستعجل بها الذين
لا يؤمنون بها) استعجال
انكار واستهزاء كانوا
يقولون متى هي آياتها
قامت حتى يظهر لنا الحق
أهو الذي نؤمن عليه
أم الذي عليه محمد
وأصحابه (والذين آمنوا
مشفقون منها) خائفون
منها مع اعتقادها التوقع
الثواب (ويعلمون أنها
الحق) أي المكان لا محالة
(ألا أن الذين يمارون في
الساعة) يجادلون فيها
من الرية أو من مرتبة
النافعة إذا صحت ضررهم
بشدة للحطب لأن كلامهم
المتجادلين يستخرج ما
عند صاحبه بكلام فيه
شدة (في ضلال بعيد)
عن الحق فإن البعث أشبه
الغائبات بالخصومات
فن لم يهتد إلى تجويزه
فهو عن الهدى إلى ما
وراءه أبعد وأبعد (الله
لطيف بعباده) أي بربليغ

لم يقبوا وهذا الدين فيجئ ثقات الشرط فلا جرم فأتى المشروط وأعلم أنه ليس المراد من قوله
لا تحفظ ديننا ودينكم تحريم ما يجري مجرى محاجتهم وبدل عليه وجوه (الاول) أن هذا
الكلام مذكور في معرض الحاجة فلو كان المقصود من هذه الآية تحريم المحاجة لزم
كونه المحرمة لنفسها وهو متناقض (والثاني) أنه لو لا الأدلة لما وجد التكليف (الثالث)
أن الدليل يفيد العلم وذلك لا يمكن تحريمه بل المراد أن القوم عرفوا بالحجة صدق محمد صلى
الله عليه وسلم واتمروا وتصديقه بغيره وعنادا فبين تعالى أنه قد حصل الاستغناء عن
محاجتهم لأنهم عرفوا بالحجة صدقه فلا حاجة معهم إلى المحاجة البتة وما بقوى قولنا أنه
لا يجوز تحريم المحاجة وقوله وجادلهم بالتي هي أحسن وقوله تعالى ادع إلى سبيل ربك وقوله
ولا تجدوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن وقوله ياتوا قد جادلنا فأكثر جدالنا
وقوله وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ثم قال تعالى والذين يحتاجون في الله أي
يخاضعون في دينه من بعد ما استجيب له أي من بعد ما استجاب الناس لذلك الدين حجتهم
داحضة أي باطلة وتلك الحجة الخاصة هي أن اليهود قالوا ألسنتم تقولون أن الأخذ بالتفق
أولى من الأخذ بالمختلف فنبوة موسى وحقية التوراة معلومة بالاتفاق ونبوة محمد ليست
متفقا عليها فإذا بديتم كلامكم في هذه الآية على أن الأخذ بالتفق أولى وجب أن يكون
الأخذ باليهودية أولى فبين تعالى أن هذه الحجة داحضة أي باطلة فاسدة وذلك لأن اليهود
أطبقوا على أنه إنما يوجب الإيمان بموسى عليه السلام لأجل ظهور المعجزات على وفق
قوله وهم هنا ظهرت المعجزات على وفق قول محمد عليه السلام واليهود شاهدوا تلك المعجزات
فإن كان ظهور المعجزات يدل على الصدق فلهذا يجب الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وإن كان لا يدل على الصدق وجب في حق موسى أن لا يقرروا بنبوته وأما الإقرار بنبوة
موسى والإصرار على انكار نبوة محمد مع استوائهما في ظهور المعجزة يكون متناقضا ولما
قرر الله هذه الدلائل خوفا للمكرين بعذاب القيامة فقال الله الذي أنزل الكتاب بالحق
والميزان وما يدريك أهل الساعة قريب والمعنى أنه تعالى أنزل الكتاب المشتمل على أنواع
الدلائل والبيانات وأنزل الميزان وهو الفصل الذي هو القسط المستقيم وأنهم لا يعلمون
أن القياس متى تفاجه هو متى كان الأمر كذلك وجب على العاقل أن يجد ويجتهد في النظر
والاستدلال وبذلك طريق أهالي الجهل والتقليد ولما كان الرسول يهديهم ينزل قيامة
وأكثر ذلك وأنهم ما رأوا منه أنرا قالوا على سبيل المخبريات في تقوم القيامة وليستقامت
حتى يظهر لنا الحق ما نحن عليه أو الذي عليه محمد وأصحابه فلدفع هذه الشبهة قال تعالى
يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها والمعنى ظاهر وأنما مشفقون
ويخافون لعلمهم أن صحتها تمتنع التوابع وأما منكر البعث فلا لأنه لا يحصل له هذا الخوف
ثم قال ألا أن الذين يمارون في الساعة في ضلال بعيد والممارسة الملاجة قال الزجاج الذين
تدخلهم الرية والشك في وقوع الساعة فيمارون فيها ويحجسون في ضلال بعيد لأن

البرهم يفيض عليهم من فنون العتاشه ما لا يكاد يناله أيدي الإنكار والظنون (برزق من يشاء) واستيفاء
أي برزق كيفما يشاء يخص كلاما من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبينة على الحكم الباسخة (وهو
القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شيء (العزيز) المنيع الذي لا يغلب

واستعمل في ثمرات الاعمال
ونسأجها بطريق
الاستعارة المبنية على
تشبيهها بالانفال الحاصلة
من البذور المتضمن
تشبيه الاعمال بالبذور
أي من كان يريد بأعماله
ثواب الآخرة (نزدله
في حثه) نضاعف له
ثوابه بالواحد عشرة
الى سبع مائة فافوقها
(ومن كان يريد) بأعماله
(حث الدنيا) وهو متاعها
وطياتها (نؤته منها)
أي شيئاً منها حسيماً فسمناه
لاما يريد و يتغيبه
(وماله في الآخرة من
نصيب) اذ كانت هذه
مقصورة على الدنيا
وقد مر تفصيله في سورة
الاسراء (أم لهم شركاء)
أي بل ألههم شركاء
من الشياطين والهمزة
للتقرير والقريب
(شعروا لهم) بالتسويل
(من الدين ما لم يؤذ به
الله) كالشرك وانكار
البعث والعمل للدنيا
وقبل شركاءهم أو ثنائهم
واضافتها إليهم لانهم
الذين جعلوها شركاء
لله تعالى واستنادا لشرع

استيفاء حق المظلوم من الظالم واجب في العدل فلو لم تحصل القيام لم يستند الظلم الى الله
تعالى وهذا من أمحل المحالات فلا جرم كان انكار القيام ضلالاً بعيداً ثم قال الله لطيف
بعباده أي كثيراً لاحسان بهم واداً حسن ذكر هذا الكلام ههنا لانه أنزل عليه بهم الكتاب
المشتل على هذه الدلائل الماطية فكان ذلك من لطيف الله بعباده وأيضاً المشرقون
استوجبوا العذاب الشديد ثم انه تعالى أخرجهم ذلك العذاب فكان ذلك أيضاً من لطيف
الله تعالى فلما سبق ذكر إصالح أعظم المنافع إليهم ودفع أعظم المضار عنهم لاجرم حسن
ذكره ههنا ثم قال يرزق من يشاء يعني أن أعمال الاحسان والبرعام في حق كل العباد وذلك
هو الاحسان بالحياة والعقل والفهم والعطاء ما لا يدنه من الرزق ودفع أكثر الآفات
والبلبات عنهم فامر ارباعية والبرجة فغاوتة مخففة ثم قال وهو اهوى أي اقصد
على كل ما يشاء العزير الذي لا يغالب ولا يدافع قوله تعالى (من كان يريد حث الآخرة
نزدله في حثه) ومن كان يريد حث الدنيا فؤته منها وهو ما له في الآخرة من نصيب أم لهم
شركاء شعروا لهم من الدين ما لم يؤذ به الله ولولا كلمة انفصل لكانت يدعهم وإن الضالين لهم
عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو افق بهم بالذين آمنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكثير الذي يشرك الله
بعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولما أسألكم عليه أجزا الامودة في القر بي ومن
يقترف حسنة نزدله فيها حسناً ان الله غفور شكور أم يقولون افترى على الله تذبذباً فان
يشأ الله يختم نالي فبذلك وعلم الله انما لم يحق الحق بكلامه انه يعلم بذات الصدور وهو
الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ويريدهم من فضله والكافرون انهم عذاب شديد اعلم انه تعالى لما بين
كونه لطيفاً بعباده كثيراً لاحسان إليهم بين انه لا بد لهم من أن يسعوا في طلب الخيرات
وفي الاستقار عن القباح فتنان من كان يريد حث الآخرة تزداد في حثه قال صاحب
الكشاف انه تعالى سمي ما يعمل به مما يطالب به الفائدة حثاً على سبيل المجاز وفي
الآية مسائل (المسألة الاولى) انه تعالى أظهر الفرق في هذا الآية بين من أراد الآخرة
وبين من أراد الدنيا من وجوه (الاول) انه قدم يريد حث الآخرة في الذكر على يريد
حث الدنيا وذلك يدل على التفضيل لانه وسفد بكونه آخرة ثم قدم في الذكر نبيه على
قوله نحن الآخرون السابون (الثاني) انه قال في يريد حث الآخرة نزدله في حثه
وقال في يريد حث الدنيا فؤته منها وكلمة من للتعبير فانه يعني انه يعطيه بعض ما يطالبه
وأيؤتيه كله وقال في سورة بني اسرائيل عجزنا له فيها ما نشاء لمن نريد وأقول البرهان
العالى مساعد على البابين وذلك لان كل من عمل للآخرة وواظب على ذلك العمل فثمة
الاعمال سبب لحصول الملكات فكل من كانت مواظبته على تلك الاعمال أكثر كان مل

اليها لانها سبب ضلالتهم وافتنانهم كقوله تعالى انهم ٤٠٢ أضلّان كثيرا أو تامل من سن الضلالة لهم

(ولو لآكلة الفصل)
أى القضاء السابق
بأخير الجزاء أو العدة
بأن الفصل يكون يوم
القيامة (عقبي بينهم)
أى بين الكافرين
والمؤمنين أو بين المشركين
وشركائهم (وإن الظالمين
لهم عذاب أليم) وقرئ
بالتحريك عطا على كلمة
الفصل أى ولو لآكلة
الفصل وتقدير عذاب
الظالمين فى الآخرة
نقضى بينهم فى الدنيا
فإن العذاب الأليم غالب
فى عذاب الآخرة (ترى
الظالمين) يوم القيامة
والخطاب لكل أحد من
يصلح له القصد إلى أن
سوء حالهم غير مختص
برؤية رآه دون رآه
(مشفقين) خائفين (مما
كسبوا) من السيئات
(وهو واقع بهم) أى
ووباله لاحق بهم لآحالة
أشفقوا أولم يشفقوا
والجملة حال من ضمير
مشفقين أو اعتراض
(والذين آمنوا وعملوا
الصالحات فى روضات
الجنات) مستقرون فى
أطيب بقاعها وأزهرها
(لهم ما يشاؤون)

قبحه إلى طلب الآخرة أكثر وكلما كان الأمر كذلك كان الابتهاج أعظم والسعادات
أكثر وذلك هو المراد بقوله نزله فى حرته وأما طالب الدنيا فكلمة كانت مواظبه على
أعمال ذلك الطالب أكثر كانت رغبته فى الفوز بالدنيا أكثر وميله إليها أشد وإذا كان
الميل أبدا فى التزايد وكان حصول المطاوب باقيا على حاته واحدة كان الحرمان لازما
للمحبة (الساكن) أنه تعالى قال فى طالب حث الآخرة نزله فى حرته ولم يذكر أنه تعالى
يعطيه الدنيا أم قبل بقى الكلام ساكتا عنه نغيا وإثباتا وأما طالب حث الدنيا فإنه تعالى
بين أنه لا يعطيه شيئا من نصيب الآخرة على التخصيص وهذا يدل على التفاوت العظيم كأنه
يقول الآخرة أصل والدينا تبع فواجب الأصل يكون واجدا للاتباع بقدر الحاجة إلا أنه لم
يذكر ذلك تنبيه على أن الدينا أحسن من أن يقرن ذكرها بذكر الآخرة (الرابع) أنه تعالى
بين أن طالب الآخرة يزداد فى مطاوبه وبين أن طالب الدنيا يعطى بعض مطاوبه من الدنيا
وأما فى الآخرة فإنه لا يحصل له منها نصيب البتة فبين بالكلام الأول أن طالب الآخرة
يكون حاله أبدا فى الترقى والتزايد وبين بالكلام الثانى أن طالب الدنيا يكون حاله فى المقام
الأول فى نقصان وفى المقام الثانى فى البطلان انقسام (الخامس) أن الآخرة نسبية والدنيا
تقدر ونسبية مرجوحة بالنسبة إلى التفاضل الناس يقولون التقدير من النسبة فبين
تعالى أن هذه القضية انعكست بالنسبة إلى أحوال الآخرة والدنيا فالآخرة وإن كانت
نسبية إلا أنها متوجهة للزيادة والدوام فكانت أفضل وأكمل والدنيا وإن كانت تقدر
الانحطاط متوجهة إلى النقصان ثم إلى البطلان فكانت أخس وأزحل فهذا يدل على أن
حال الآخرة لا يناسب حال الدنيا البتة وأنه ليس فى الدنيا من أحوال الآخرة إلا مجرد
الاسم كما هو مروي عن ابن عباس (السادس) الآية دالة على أن منافع الآخرة والدنيا
ليست حاضرة بل لا بدنى الباب من الحرث والحرق لا يتأتى إلا بتحمل المشاق فى البذر
ثم التسقية والتخمين ثم الحصد ثم التسقية فلما سمى الله كلام القسمين حرما علمنا أن كل واحد
منهما لا يحصل إلا بتحمل المشاق والمناعب والمشاق ثم بين تعالى أن مصير الآخرة إلى الزيادة
والكمال وأن مصير الدنيا إلى النقصان ثم الغناء فكانت قبل إذا كان لا بدنى القسمين جميعا
من تحمل متاعب الحرث والتسقية والتخمين والحصد والتسقية فسلان تصرف هذه
المتاعب إلى ما يكون فى التزايد والبقاء أولى من صرفها إلى ما يكون فى النقصان
والانقضاء والغناء (المسئلة الثانية) فى تفسير قوله نزله فى حرته قولان (الأول) المعنى أنا
نزله فى توفيقه وإعانه وتسهيل سبل الخيرات والطاعات عليه وقال مقاتل نزله
فى حرته بتضعيف الثواب قال تعالى ابوفهم أجورهم ويزيدهم من فضله وعن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال من أصبح وهمه الدنيا شئت الله تعالى عليه همه وجعل فقره بين
عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وجعل غناه
فى قلبه وأتمه الدنيا وهى راحة عن أغفها أو لفظ يقرب من أن يكون هذا معناه

عند ربهم) أي ما يشتهونه من فنون المستلذات ﴿ ٤٠٣ ﴾ حاصل لهم عند ربهم على أن عند ربهم ظرف

للاستقرار العامل في لهم
وقيل ظرف لما يشاؤون
(ذلك) إشارة إلى ما ذكر
من حال المؤمنين وما
فيه من معنى البعد
للايمان ببعد منزلة
المشار إليه (هو الفضل
الكبير) الذي لا يقادر
قدره ولا يبالغ غايته
(ذلك) الفضل الكبير
هو (الذي يبشر الله
عباده) أي يبشرهم به
فحذف الجارم المائد إلى
الموصول كما في قوله تعالى
أهذا الذي بعث الله رسولا
أو ذلك التبشير الذي
يبشره الله تعالى عباده
(الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) وقرئ يبشر
من ابشر (قل لا أسئلكم
عليه) روى أنه اجتمع
المشركون في مجمع لهم
فقال بعضهم لبعض
أترون أن محمدا يسأل
على ما يتعاطاه أجرا
فقلت أي لا أطلب منكم
على ما أنا عليه من التبليغ
والبشارة (أجرا) نفعا
(الامودة في القرى)
أي الآن تودوني لقرابتي
منكم أو تودوا أهل
قرابتي وقيل الاستثناء
منقطع والمعنى

(المسئلة الثالثة) ظاهر اللفظ يدل على أن من صلى لأجل طلب الثواب أو لأجل دفع
العقاب فانه تصح صلاته وأجبه وأعلى أنها لا تصح (والجواب) انه تعالى قال من كان
يريد حرث الآخرة والحرث لا يتأتى إلا بالفساء البذر الصحيح في الأرض والبذر الصحيح
لجميع الخيرات والسعادات ليس العبودية لله تعالى (المسئلة الرابعة) قال أصحابنا إذا
توضأ بغيرة لم يصح قالوا لأن هذا الإنسان ما أراد حرث الآخرة لأن الكلام فيما إذا
كان غافلا عن ذكر الله وعن الآخرة فوجب أن لا يحصل له نصيب فيما يتعلق بالآخرة
والخروج عن عهدة الصلاة من باب منافع الآخرة فوجب أن لا يحصل في الوضوء
العماري عن النية واعلم أن الله تعالى لما بين القاتون الأعظم والتسلسل الأقوم في أعمال
الآخرة والدينا رده بالتبنييه على ما هو الأصل في باب الضلالة والسقاة فقال أم لهم
شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ومعنى الهمة في أم التقرير والتقرير
وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانتكاز البعث والعمل للدينا لانهم لا يعلمون
غيرها وقيل شركاؤهم أوثانهم وانما أضيفت اليهم لانهم هم الذين اتخذوها شركاء لله ولما
كانت سببا لفضلاتهم جعلت شارة لدين الضلالة كما قال إبراهيم صلى الله عليه وسلم رب
انهن أضللان كثيرا من الناس وقوله شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله يعني أن تلك
الشرايع بأسرها على ضد دين الله ثم قال وأولا كلمة الفصل أي القضاء السابق بتأخير الجزاء
أو يقال ولولا الوعد بأن الفصل يكون يوم القسامة لقضى بينهم أي بين الكافرين
والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم وقرأ بعضهم وإن يفتح
الهمة في أن عطفه على كلمة الفصل يعني وأولا كلمة الفصل وتقريره تعذيب الظالمين
في الآخرة لقضى بينهم في الدنيا ثم انه تعالى ذكر أحوال أهل العقاب وأحوال أهل
الثواب أما الأول فهو قوله ترى الظالمين مشفقين خائفين خوفا شديدا مما كسبوا من
السيئات وهو واقع بهم يريد أن وباله واقع بهم سواء أشفقوا أو لم يشفقوا وأما الثاني
فهو أحوال أهل الثواب وهو قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات
الجنات لأن روضة الجنة أطيب بقعة فيها وفي الآية تنبيه على أن انفساق من أهل
الصلاة كلهم في الجنة إلا أنه خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بروضات الجنات وهي
البقاع الشريفة من الجنة فالشاع التي دون تلك الروضات لابد وأن تكون مخصوصة
بمن كان دون أولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم قال لهم ما يشاؤون عند ربهم وهذا
يدل على أن كل الأشياء حاضرة عنده مهية ثم قال تعالى في تعظيم هذه الدرجة ذلك هو
الفضل الكبير وأصحابنا استدلوا بهذه الآية على أن الثواب غير واجب على الله وانما
يحصل بطريق الفضل من الله تعالى لانه تعالى قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات في
روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم فهذا يدل على أن روضات الجنات ووجدان كل
ما يريدونه انما كان جزاء على الإيمان والأعمال الصالحة ثم قال تعالى ذلك هو الفضل

لا أسألكم أجرا فطولكن أسألكم المودة وفي القر بي حال منها ٤٠٤ أي المودة ثابتة في القر بي ممكنة

في أهلها أو في حق
القرابة والقر بي مصدر
كالزنى بمعنى القرابة
روى أنها لما نزلت قيل
يا رسول الله من قرأيتك
هو لاء الذين وجبت
عليها مودتهم قال على
وفاطمة وابنائهم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم
حرمت الجنة على من ظلم
أهل بيته وأذاني في
عسرتي ومن استطاع
صنيعة إلى أحد من ولد
عبد المطلب ولم يجازه
فأنا أجازه عليه
غدا إذا بقي يوم القيامة
وقبل القر بي التقرب
إلى الله أي الآن تودوا
الله ورسوله في نفر بكم
اليد بالطاعة والعمل
الصالح وقرى المودة
في القر بي (ومن يغترف
حسنة) أي يكتسب أي
حسنة كانت فتنال
مودة ذي القر بي تناولا
أوليا وعن السدي أنها
المرادة وقيل نزلت في
الصديق رضي الله عنه
ومودته فيهم (نزلها فيها)
أي في الحسنة (حسنا)
بمضاعفة ثواب وقرى
يزد أي يزد الله

الكبر وهذا نصريح بأن الجزاء المرتب على العمل إنما حصل بطريق التفضل لا بطريق
الاستحقاق ثم قال ذلك الذي يشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال صاحب
الكشاف قرى يشر من بشره ويشر من بشره وبشر من بشره واعلم أن هذه الآيات
دالة على تعظيم حال الثواب من وجوه (الأول) إن الله سبحانه رتب على الإيمان وعمل
الصالحات روضات الجنات والساكنات الذي هو أعظم الموجودات وأكرمهم إذا رتب
على أعمال شاقة جزاء دل ذلك على أن ذلك الجزاء قد بلغ إلى حيث لا يعلم كأنهم إلا الله تعالى
(الثاني) أنه تعالى قال لهم ما يشاؤون عند ربهم وقوله لهم ما يشاؤون يدخل في باب غير
المتناهى لأنه لا درجة لا للإنسان يريد ما هو أعلى منها (الثالث) أنه تعالى قال ذلك هو
التفضل الكبير والذي يحكم بكبره من له الكبرياء والعظمة على الإطلاق كان في غاية الكبر
(الرابع) أنه تعالى أعاد إشارة على سيدنا العظيم فقال الذي يشر الله عباده وذلك بدل
أيضا على غاية العظمة نسأل الله اغفر لهما والوصول إليها واعلم أنه تعالى لما أوحى إلى محمد
صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب الشريف العالى وأودع فيه ثلاثة أقسام الدلائل
وأصناف الشكاليب ورتب على الطاعة ثواب وعلى المعصية العقاب بين أنى لا يطلب
منكم بسبب هذا التبليغ نفعا عاجلا ومطلوبا حاضرا فلا تخيل جاهل أن مقصود محمد
صلى الله عليه وسلم من هذا التبليغ المال والجاه فقال قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في
القر بي وفيه مسائل (المسألة الأولى) ذكر الناس في هذه الآية ثلاثة أقوال (الأول)
قال الشعبي أكثر الناس علينا في هذه الآية فككتبنا إلى ابن عباس نسأله عن ذلك فكتب
ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان واسطه النسب من قر يش ليس بطن من
بطونهم الا وقد واده فقال الله قل لا أسئلكم على ما أدعوكم إليه أجرا إلا أن تودوني أقرابي
منكم والمعنى انكم قومي وأحق من أجاين وأطاعني فإذا قد أيتتم ذلك فاحفظوا حق
القر بي ولا تؤذوني ولا تهيجوا على (والقول الثاني) روى الكلبي عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تعرفه نواصب وحقوق
وايس في يده سعة فقال الانصهار أن هذا الرجل قد هداهم الله على يده وهو ابن أخنكم
وجاركم في بلدكم فاجروا والطائفة من أموالكم ففعلوا ثم أتوه به فرده عليهم فنزل قوله
تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرا أي على الإيمان إلا أن تودوا أقرابي فحشهم على مودة أقرابه
(القول الثالث) ما ذكره الحسن فقال إلا أن تودوا إلى الله فيما يقر بكم إليه من التودد
إليه بالعمل الصالح فالقر بي على القول الأول القرابة التي هي بمعنى الرحم وعلى الثاني
القرابة التي هي بمعنى الأقارب وعلى الثالث هي فعل من القرب والتقرب فان قيل الآية
مشكلة وذلك لأن طلب الاجرة على تبليغ الوحي لا يجوز ويدل عليه وجوه (الأول) أنه
تعالى حكى عن أكثر الانبياء عليهم السلام أنهم صرحوا بنبي طلب الاجرة فذكر في
قصة نوح عليه السلام وما أسئلكم عليه من أجران أجرى الاعلى رب العالمين وكذا في

وفرى حسنى (ان الله غفور) لمن اذنب ﴿ ٤٠٥ ﴾ (شكور) لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه

قصة هود وصالح وفي قصة لوط وشعب عليهم السلام ورسولنا افضل من سائر الانبياء عليهم السلام فكان بان لا يطلب الاجر على النبوة والرسالة اولى (والثاني) انه صلى الله عليه وسلم صرح بنى طلب الاجر في سائر الآيات فقال قل ما سألكم من اجر فهو ولكم وقال قل ما سألكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين (والثالث) العنلى يدل عليه وذلك لان ذلك التابع كان واجبا عليه قال تعالى بلغ ما نزل اليك من ربك وان اتفعل بما بلغت رسالته وطلب الاجر على اداء الواجب لا يليق بأقل الناس فضلا عن أئمة العلماء (الرابع) أن النبوة افضل من الحكمة وقد قال تعالى في صفة الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وقال في صفة الدنيا قل متاع الدنيا قليل فكيف يحسن في العقل مقابلة أشرف الاشياء بأخس الاشياء (الخامس) ان طلب الاجر كان يوجب التهمة وذلك يناقض التسليم بصحة النبوة ثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز من النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلب اجرا البتة على التبليغ والرسالة وظاهر هذه الآية يقتضى انه طلب أجر على التبليغ والرسالة وهو المودة في اقرنى هذا تقرير السؤال (والجواب) عنه انه لا نزاع في انه لا يجوز طلب الاجر على التبليغ والرسالة بقى قوله المودة في القرى نقول الجواب عنه من وجهين (الاول) ان هذا من باب قوله

ولا عيب فيهم خبر ان سبب وفهم * بهما من قراع الدارعين فلول

بمعنى أنا لأطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس أجرة لان حصول المودة بين المسلمين أمر واجب قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وقال صلى الله عليه وسلم المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا والآيات والاخبار في هذا الباب كثيرة واذا كان حصول المودة بين جمهور المسلمين واجبا فقصوها في حق أشرف المسلمين وأكابرهم أولى وقوله تعالى قل لا أسئلكم عليه اجرا الا المودة في اقرنى تقديره والمودة في القرى ليست اجرا فرجع الحاصل الى انه لا أجر البتة (والوجه الثاني) في الجواب ان هذا استثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا أسئلكم عليه اجرا ثم قال الا المودة في القرى أى لكن اذكركم قرابتي منكم وكأنه في اللفظ أجر وليس باجر (المسئلة الثالثة) نقل صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات على حب آل محمد مات شهيدا ألاومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له ألاومن مات على حب آل محمد مات تائبا ألاومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكملا الايمان ألاومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكر ألاومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ألاومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بانيان الى الجنة ألاومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره من ارض ملائكة الرحمة ألاومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الاومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين يديه آيس من رحمة الله ألاومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ألاومن

بالزيادة (أم يقولون) بل أبقواون (افترى) محمد (على الله كذبا) بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على أن الهمة للانكار انويحى كأنه قيل أيمانكم انفسوا مثله عليه السلام وهو هو الى الافتراء لاسيما الافتراء على الله الذي هو أعظم القرى وانحشها وقوله تعالى (فان يشأ الله يختم على قلبك) استشهدا على بطلان ما قالوا ببيان أنه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لمعه من ذلك قطعا وتحققه أن دعوى كون القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم بأنه تعالى لا يشاء صدور عن النبي صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته منه عند قطعا فكانه قيل لو كان افتراء عليه تعالى اشاء عدم صدوره منك وان يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحي حينما

فحينما تبين أنه من عند الله تعالى هذا وقبل المعنى ﴿ ٤٠٦ ﴾ ان يشأ يجعلك من المخنوم على قلوبهم فانه

لا يجترى على الافتراء عليه تعالى الامن كان كذلك ومؤداهما استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام وأنه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جلة المخنوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك يذك القرآن ويقطع عنك الوحى يعنى لو افترى على الله الكذب لفعله ذلك وهذا معنى ما قيل لو كتب على الله لانساه القرآن وقيل يختم على قلبك ير بط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم (ويخو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) استئناف مقرر لثبوت الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبى عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في بعض المصاحف لا يتابع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشرأى ومن عادته تعالى أنه يحو الباطل ويثبت الحق بوجه أو بفضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل

فيمنعه

مات على بعض آل محمد لم يشم رائحة الجنة هذا هو الذى رواه صاحب الكشاف وأنا أقول آل محمد صلى الله عليه وسلم هم الذين بول أمرهم اليه فكل من كان أمرهم اليه أشد وأكمل كانوا هم الآل ولا شك ان فاطمة وعليها والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد التعلقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل وأيضا اختلف الناس في الآل فقليل هم الاقارب وقيل هم أمتهم فان حملناه على القرابة فهم الآل وان حملناه على الامة الذين قبلوا دعوته فهم أيضا آل فثبت ان على جميع التقديرات هم الآل وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل فختلف فيه وروى صاحب الكشاف انه لما نزلت هذه الآية قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت عايننا مودتهم فقال على وفاطمة وابناهما فثبت ان هؤلاء الاربعة اقارب النبي صلى الله عليه وسلم واذ ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمن يدانته عظيم ويدل عليه وجوه (الاول) قوله تعالى الامودة في القر بي ووجه الاستدلال به ما سبق (الثانى) لا شك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب فاطمة عليها السلام قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها وثبت بالنقل المتواتر عن محمد صلى الله عليه وسلم انه كان يحب عليا والحسن والحسين واذ ثبت ذلك وجب على كل الامة مثله نقوله واتبعوه لعلكم تهتدون ولقوله تعالى فليحذر الذين يخافون عن أمره وبقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولقوله سبحانه انه قد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة (الثالث) ان النداء للآل منصب عظيم وان ذلك جعل هذا النداء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحمهم محمد وآل محمد وهذا التظيم لم يوجد في حق غير الآل فكل ذلك يدل على ان حب آل محمد واجب وقال الشافعى رضى الله عنه

يارا كبا قف بالمحب من منى * واهنف بساكن خيفها والناهض
سحرا اذا فاض الحجج الى منى * فيضضا كما نظم الفرات القنائض
ان كان رفضا حب آل محمد * فليس شهد الشعلان انى رافضى

(المسئلة الثالثة) قوله الامودة في القر بي فيه منصب عظيم للمحابة لانه تعالى قال والسابقون السابقون أولئك المقربون فكل من أطاع الله كان مقربا عند الله تعالى فدخل تحت قوله الامودة في القر بي والخاص ان هذه الآية تدل على وجوب حب آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب أصحابه وهذا المنصب لا يسلم الا على قول أصحابنا أهل السنة والجماعة الذين جمعوا بين حب العتره والصحابه وسمعت بعض المذكرين قال انه صلى الله عليه وسلم قال مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا وقال صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ونحن الآن في بحر التكليف وتضر بنا أمواج الشبهات والشهوات وراكب البحر يحتاج الى أمرين (أحدهما) السفينة

فلو كان افتراء كاذباً لم يرد عليه ٤٠٧ أوعده لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه تعالى يعوالباطل الذي هم

عليه من البهت والتكذيب
ويثبت الحق الذي
هو عليه بالقرآن
أو بضائنه الذي لا مرد
له بصيرته عليهم (أنه
عليهم بذات الصدور)
فيجري عليها أحكامها
اللائقة بها من المحو
والاثبات (وهو الذي
يقبل التوبة عن عباده)
التوبة هي الرجوع
عن المعاصي بالندم
طلبها والعزم على أن
لا يعاودها أبداً وروي
جابر رضي الله عنه أن
أعرابياً دخل مسجد
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال اللهم
انني استغفرك وأتوب
إليك وكبر فلما فرغ من
صلاته قال له صلى
رضي الله عنه يا هذا
ان سرعة اللسان
بالاستغفار توبة الكذابين
وتوبتك هذه تحتاج
إلى التوبة فقال يا أمير
المؤمنين وما التوبة
قال اسم يقع على ستة
معان على الماضي من
الذنوب الندامة
ولتضييع القرائض
الاعادة ورد المظالم وإذابة

الخالية عن العيوب والثلث (والثاني) انكواكب الظاهرة الطساعة النيرة فذا ركب
تلك السفينة ووقع نظره على تلك الكواكب الظاهرة كان رجاء السلامة غالباً فتلك
ركب أصحابنا أهل السنة سفينة حب آل محمد ووضعوا أبصارهم على نجوم المحابة
فرجوا من الله تعالى أن يفوزوا بالسلامة والسعادة في الدنيا والآخرة ولزججوا إلى
التفسير أورد صاحب الكشاف على نفسه سؤالاً فقال هلا قيل الامودة القرني
أو الامودة للقرني وما معنى قوله الامودة في القرني وأجاب عنه بأن قال جعلوا مكانا
للمودة ومقرها كما قولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هو وحب شديد تريد احبهم وهم
مكان حي ومجمل ثم قال تعالى ومن يقترب حسنة نردله فيها حسناً فبلى نزلت هذه الآية في
أبي بكر رضي الله عنه والظاهر العموم في أي حسنة كانت الا أنها لما ذكرت عقب ذكر
المودة في القرني دل ذلك على ان المقصود التأكيدي في تلك المودة ثم قال تعالى ان الله خفور
شكور والشكور في حق الله تعالى مجاز والمعنى انه تعالى يحسن إلى المطيعين في إيصال
الثواب اليهم وفي أن يريد عليه أنواع كثيرة من التفضيل وقال تعالى أم يقولون
افتري على الله كذباً واعلم ان الكلام في أول هذه السورة انما ابتدئ في تقرير ان هذا
الكتاب انما حصل بوحى الله وهو قوله تعالى كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله
العزيز الحكيم واتصل الكلام في تقرير هذا المعنى وتعاق البعض ببعض حتى وصل إلى
همنا ثم حكى ههنا شبهة التوهم وهي قولهم ان هذا ليس وحياً من الله تعالى فقال أم يقولون
افتري على الله كذباً قال صاحب الكشاف أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ
كأنه قيل أيقم في قلوبهم ويجري في ألسنتهم أن ينسبوا مثله إلى الافتراء على الله الذي هو
أقبح أنواع الفرية وأفحشها ثم أجاب عنه بأن قال فان يشاء الله نختم على قلبك وفيه وجوه
(الاول) قال مجاهد يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يسق عليك قولهم انه مقرر
كذاب (الثاني) يعني بهذا الكلام انه ان يشاء الله يجعلك من المخرم على قلوبهم حتى
يفترى عليه الكذب فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الامن كان في مثل هذه
الحالة والمقصود من ذكر هذا الكلام المبالغة في تقرير الاستبعاد ومثاله أن ينسب رجل
بعض الامناء إلى الخيانة فيقول الأمين لعل الله خذلني لعل الله أعمى قاي وهو لا يريد
اثبات الخذلان وعجى القلب لنفسه وانما يريد استبعاد صدور الخيانة عنه ثم قال تعالى
ويح الله الباطل ويحق الحق أي ومن عادة الله ابطال الباطل وتقرير الحق فلو كان محمد
مبطلاً كذا بالنصحه الله ولكشف عن باطله ولما أيده بالقوة والنصرة ولما يكن الامر
كذلك علمنا انه ليس من الكاذبين المقتربين على الله ويجوز أن يكون هذا وعداً
من الله لرسوله بأنه يعوالباطل الذي هم عليه من البهت والفرية والتكذيب ويثبت
الحق الذي كان محمد صلى الله عليه وسلم عليه ثم قال انه عليهم بذات الصدور أي ان الله عليهم
بما في صدورهم فيجري الامر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك

النفس في الطاعة كارتبها في المعصية واذا قهرها مرارة ﴿ ٤٠٨ ﴾ الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل

كل ضحك ضحكته
(ويعفو عن السيئات)
صغيرها وكبيرها لمن
يشاء (ويعلم ما يغفلون)
كأننا ما كان من خير
وشر فيهم أذى ويتجاوز
حسبما تقتضيه مشيئته
المبينة على الحكم
والمصالح وقرئ ما
تفعلون إن شاء (ويستجيب
الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) أي
يستجيب الله لهم فحذف
اللام كما في قوله تعالى
وإذا كانوا هم أي كانوا لهم
والمراد اجابة دعوتهم
والإجابة على طاعتهم
فذهبوا كدعاء وطلب
للمبرزين عابها ومنه
قوله عليه السلام
أفضل الدعاء الحمد لله
أو يستجيبون الله بالطاعة
إذا دعاهم إليها وعن
إبراهيم بن أدهم أنه
قيل له ما باننا ندعو
فلا نجاب قال لأنه دعائكم
ولم تجيبوه ثم قرأ الله
يدعو إلى دار السلام
(ويزيدهم من فضله)
على ما سألوا واستحقوا
بموجب السوء عند
(والكافرون لهم

القرآن ويقطع عنك الروحى بمعنى لو افترى على الله الكذب لفعّل الله به ذلك واعلم أنه تعالى
لما قال أم يقولون افترى على الله كذباً نهم برأسوله بالاضافه اليه من هذا وكان من
المعلوم أنهم قد استحقوا بهذه القرينة عذاباً عظيماً لا جرم ندمهم الله إلى التوبة وعرفهم أنه
يقبها من كل مسمى وإن عظمته إساءته فقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو
عن السيئات وفي هذه الآية مسائل (المسألة الأولى) قال صاحب الكشاف يقال
قبلت منه الشيء وقيل عنه فعني قبلته منه أخذته منه وجعلته مبدأ قبول ومنشأ ومعنى
قبلته عند أخذته عنه وأثبتته عند وقد سبق البحث المستقصى عن حقيقة التوبة في سورة
البقرة وأقل ما لابد منه الذم على الماضي والترك في الحال والعزم على أن لا يعود إليه
في المستقبل وروى جابر أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم
انني استغفرك وأتوب إليك وكبر فأسأله من صلاته قال له على عليه السلام يا هذا
إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين فتوبتك تحتاج إلى توبة فتوب بالأمير
المؤمنين وما التوبة فقال اسم يقع على ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة
ولتضييع أنفرائض الاعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كارتبها في المعصية
وإذا قهر النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته
(المسألة الثانية) قالت المعتزلة يجب على الله تعالى عتلا قبول التوبة وقال أصحابنا لا يجب
على الله شيء وكل ما يفعله فاعماله بالكرم والفضل واحتجوا على صحة مذهبهم بهذه
الآية فقالوا أنه تعالى تمدح بقبول التوبة ولو كان ذلك القبول واجباً لما حصل التمدح
العظيم ألا ترى أن من مدح نفسه بأن لا يضرب الناس ظملاً ولا يقتلهم غضباً كان ذلك
مدحاً قليلاً أما إذا قال اني أحسن إليهم مع أن ذلك لا يجب على كان ذلك مدحاً وثناء
(المسألة الثالثة) قوله تعالى ويعفو عن السيئات إما أن يكون المراد منه أن يعفو عن
الكبائر بعد الاتيان بالتوبة أو المراد منه أنه يعفو عن الصغائر أو المراد منه أنه يعفو عن
الكبائر قبل التوبة والاول باطل والاحصاء قوله ويعفو عن السيئات عين قوله وهو
الذي يقبل التوبة والتكرار خلاف الأصل (والثاني) أيضاً باطل لأن ذلك واجب وأداء
الواجب لا تمدح به فبقى القسم الثالث فيكون المعنى أنه تارة يعفو بواسطة قبول التوبة
وتارة يعفو ابتداء من غير توبة ثم قال ويعلم ما تفعلون قرأ حزة والكسائي وحفص عن
عاصم بانهاء على المخاطبة والباقون بالياء على الغيبة والمعنى أنه تعالى يعلم فيثيبه على
حسناته ويعاقبه على سيئاته ثم قال ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله وفيه قولان (أحدهما) الذين آمنوا وعملوا الصالحات رفع على أنه فاعل تقديره
ويجيب المؤمنون الله فيمسا دعاهم إليه (والثاني) محله نصب والفعل مضمّر وهو الله
وتقديره ويستجيب الله للمؤمنين إلا أنه حذف اللام كما حذف في قوله وإذا كانوا هم وهذا
الثاني أولى لأن الخبر فيما قبل وبعد عن الله لأن ما قبل الآية قوله تعالى وهو الذي يقبل

(واو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) لنكبروا وافسدوا فيها بطرا أو لعلنا يعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجيلة البشرية وأصل البغي طاب ٤٠٩ ﴿ تجاوزا لاقتصاد فيما يتجرى من حيث الكمية أو الكيفية (واكن

التوبة عن عبادته ويعفون عن السيئات وما بعده قوله ويزيدهم من فضله فيزيد عطاف على ويستجيب وعلى الاول ويستجيب العبد ويزيد الله من فضله أمامن قال ان الفعل للذين آمنوا فزيد وجهان (أحدهما) ويستجيب المؤمنون بهم فيما دعاهم اليه (والثاني) يطيعونه فيما أمرهم به والاستجابة الطاعة وأمامن قال ان الفعل لله فقد اختلفوا فقيل يجب الله دعاء المؤمنين ويزيدهم ما طلبوه من فضله فان قالوا تخصيص المؤمنين بإجابة الدعاء هل يدل على انه تعالى لا يجيب دعاء الكفار قلنا قال بعضهم لا يجوز لأن إجابة الدعاء تعظيم وذلك لا يليق بالكفار وقيل يجوز على بعض الوجوه وفائدة التخصيص ان إجابة دعاء المؤمنين تكون على سبيل التشریف وإجابة دعاء الكافرين تكون على سبيل الاستدراج ثم قال ويزيدهم من فضله أي يزيدهم على ما طلبوه بالدعاء والكافرون لهم عذاب شديد والمقصود التهديد قوله تعالى (واو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعبادة خير بصير وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ومن آياته خلق السموات والارض وما بينهما من دابة وهو على جميعهم إذا شاء قدير وما أسألكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويسفوا عن كثير وما أنتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) وفي الآية مسائل (المسألة الاولى) اسلم الله تعالى لما قال في الآية الاولى انه يجب دعاء المؤمنين ورد تعالى سؤال وهو ان المؤمن قد يكون في شدة وبلية وفقر ثم يدعو فلا يشاهد أثر الإجابة فكيف الحال فيه مع ما تقدم من قوله ويستجيب الذين آمنوا فاجاب تعالى عنه بقوله واو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولا تقدموا على المعاصي لما كان ذلك محذوراً وجب أن لا يطالبهم ما طلبوه قال الجبائي هذه الآية تدل على بطلان قول المجبرة من وجهين (الاول) لا يحصل اكلام الله تعالى لو بسط الرزق لعباده لبغوا في الارض والبغي في الارض غير مراد فإعادة بسط الرزق غير موصولة فهذا الكلام انما يتم اذا قلنا انه تعالى لا يريد ما غنى في الارض وذلك يوجب فساد قول المجبرة (الثاني) انه تعالى بين انهم لا يريد بسط الرزق لانه يدفعني الى الفسدة فلما بين تعالى انه لا يريد ما يغني الى الفسدة فبأن لا يكون مراداً للفسدة كان أولى أجاب أصحابنا بأن الميل الشديد الى البغي والفسوة وانتهر صفة حدثت بعد ان لم تكن فلا بد لها من فاعل وفاعل هذه الاحوال اما العبد أو الله (والاول) باطل لانه انما يفعل هذه الاشياء اوما لا طبعه اليها فيعود الى وائل في أنه من المحدث ذلك الميل الثاني ويلزم التسلسل وأيضا فاليل الشديد الى الظلم والفسوة عيوب ونقصانات والماعقل لا يرضى بتكميل موجبات نقصان لنفسه ولما بطل هذا ثبت ان محدث هذا الميل والرغبة هو الله تعالى ثم أورد الجبائي في تفسيره على نفسه سؤالا قال فان قيل أليس قد بسط الله الرزق لبعض عباده

ينزل بقدر (أي بتقدير ما يشاء) أن ينزله مما تقتضيه مشيئته (انه بعباده خير بصير) محيط بخفايا أمورهم وجلاليها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من أوقاتهم ما يليق بشأنهم فينقر ويغنى وينعم ويعطى ويقبض ويسطح حسبما تقتضيه الحكمة الربانية واو أغناهم جميعا لبغوا واو أفقرهم اهلكت واو روي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فقلت وقيل نزلت في العرب كانوا اذا أخصبوا اتخاروا واذا أجذبوا اتجمعوا (وهو الذي ينزل الغيث) أي المطر الذي يعيهم من الجذب ولذلك خص بانافع منه وقرئ ينزل من انزال (من بعد ما قنطوا) يتسوا منه وتقييد تنزيله بذلك محقق بدونه أيضا ان ذكر كمال النعمة وقرئ بكسر النون (وينشر رحمته) أي بركات الغيث ومنافعة في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان أو رحمته

الواسعة المنتظمة لما ذكرنا نظاما أوليا (وهو الولي) الذي يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة (الحمد) المستحق للحمد على ذلك لا غيره (ومن آياته خلق السموات والارض) على ٤١٠ ما هما عليه من تعاجيب الصنائع فانهما بذاتها

وصفاتها تدل على شؤنه العظيمة (وما يث فيها) عصف على السموات أو الخلق (من دابة) من حي على اطلاق اسم السبب على السبب أو بما يدب على الارض فان ما يخص بأحد الشئين التجاورين يصح نسبته اليهما كافي قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد جوز أن يكون الملائكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالديب وأن يذلق الله في السماء حيوانا يشون فيها مشى الاناسى على الارض كما ينبت عنه قوله تعالى ويخرج من تحتها من لا تعلمون وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة جبريين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن واطلا فهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم (وهو على جمعهم) أى حشرهم بعد البحث للمحاسبة وقوله تعالى

مع انه بنى وأجاب عند ان الذى عنده الرزق وبنى كان العلوم من حاله انه يبنى على كل حال سواء اعطى ذلك الرزق أو لم يعط وأقول هذا الجواب فاسد ويدل عليه اقرآن والعقل أما القرآن فتدله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى حكم مطلقاً بأن حصول الغنى سبب لحصول الطغيان وأما العقل فهو ان النفس اذا كانت مائلة الى الشر لكنهما كانت فاقدة للآلات والادوات كان الشر أقل واذا كانت واجدة لهما كان الشر أكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان (المسئلة الثانية) في بيان الوجه الذى لاجله كان التوسع موجبا للطغيان ذكرنا فيه وجوها (الاول) ان الله تعالى لوسوى في الرزق بين الكل لا متع كون البعض خادما للبعض ولو صار الامر كذلك لحرب العالم وتعطلت المصالح (الثاني) ان هذه الآية مختصة بالعرب فانه كلما اتسم رزقهم ووجدوا من ماء المطر ما يرويه من انكلا والعشب ما يشبعهم أقدموا على النهب والغارة (الثالث) ان الانسان متكبر بطبع فاذا وجد الغنى والقدرة عاد الى مقتضى خلقه الاصلي وهو التكبر واذا وقع في شدة وبليّة ومكروه انكسر فعاد الى الطاعة والتواضع (المسئلة الثالثة) قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية وذلك اننا نظرنا الى أموال بني قريظة والضير وبني قينقاع ففتنناهما وقيل نزلت في أهل الصفة ممن واسعة الرزق والغنى ثم قال تعالى ولكن ينزل بقا وما يشاء قرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل خفيفة والباقون بالتشديد ثم نقول بقدر يتقدير يقل قدره قدر او قدر انه بعباده خير بصير يعنى انه عالم بأحوال الناس و بطباعهم ويعاقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم ولما بين تعالى أنه لا يعطيهم ما زاد على قدر حاجتهم لاجل انه علم أن تلك الزيادة تضرهم في دينهم بين انهم اذا احتاجوا الى الرزق فانه لا ينعمهم به قال وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا قرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بشدة والقون مخففة قال صاحب التفسير قرئ قنطوا بفتح النون وكسرهما وانزال الغيث بعد القنوط أدعى الى الشكر لان الفرج بحصول النعمة بعد البلية أتم فكان اغدام صاحبها على الشكر أكثر وينشر رحمته أى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر رضى الله عنه انه قبل له أشد التقط وقنط الناس فقال اذن مطروا اراد هذه الآية ويجوز أن يريد رحمته الواسعة في كل شئ كانه قبل ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر سائر أنواع الرحمة وهو الولي الحميد الولي الذى يتولى عباده باحسانه والحميد الممدود على ما يوصل للخلق من أقسام الرحمة ثم ذكر آية أخرى تدل على الهيته فقال ومن آياته خلق السموات والارض وما يث فيها من دابة فنقول أما دلالة خلق السموات والارض على وجود الاله الحكيم فقد ذكرناها وكذلك دلالة وجود الحيوانات على وجود الاله الحكيم فان قبل كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلنا فيه وجوه (الاول) انه قد يضاق الفعل الى جماعة وان كان فاعله واحدا منهم يقال بنو فلان فملوا كذا واتما فله واحد منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما

(اذيشاء) متعلق بما قبله لا بقوله تعالى (قدبر) ٤١١ كنهان المقيد المشيئة جزمه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى

الوقت كاندخل الماضي
تدخل المضارع (وما
أصابكم من مصيبة)
أي مصيبة كانت (فما
كسبت أيديكم) أي فوهي
بسبب معاصيكم التي
اكتسبتموها وانفاه لان
ما شرطية أو متضمنة
لمعنى الشرط وقرئ
بدونها اكتفاء بما في
الباء من معنى السببية
(وبعضوا عن كثير) من
الذنوب فلا يعاقب
عليها والآية مخسوسة
بالجزم من فان ما أصاب
غيرهم لاسباب آخر منها
تعرضه للثواب بالصبر
عليه (وما أنتم بمجرى
في الارض) فاشين
ما قضى عليكم من
المصائب وان هر يتم
من أقطارها كل مهرب
(ومالككم من دون الله
من ولي) يحكمكم منها
(ولا نصبر) يدفعها
عنكم (ومن آياته الجوار)
السفن الجسارية
(في البحر) وقرئ
الجواري (كالاعلام)
أي كالجبال على الاطلاق
لا التي عليها النار
للاهتمام خاصة (ان

اللولؤ والمرجان) (الثاني) ان الديب هو الحركة والملائكة لهم حركة (الثالث) لا يبعد
أن يقال انه تعالى خلق في السموات أنواعا من الحيوانات يشسون مشي الاناس على
الارض ثم قال تعالى وهو على جميعهم اذيشاء قدبر قال صاحب الكشاف اذاندخل على
المضارع كاندخل على الماضي قال تعالى والليل اذيعشى ومنه اذيشاء قدبر والمقصود
انه تعالى خلقها متفرقة لا لعجز ولكن لمصلحة فلهذا قال وهو على جميعهم اذيشاء قدبر
يعني الجمع للعشر والحاسبة والمافال على جميعهم ولم يقل على جميعها لاجل أن المقصود من
هذا الجمع المحاسبة فكأنه تعالى قال وهو على جميعهم اعتلاء اذيشاء قدبر واخرج الجاني
بقوله اذيشاء قدبر على ان مشيئته تعالى محدثة بأن قال ان كلمة اذ تفيد ظرف الزمان
وكلمة يشاء صيغة المستقبل فلو كانت مشيئته تعالى قديمة لم يكن تخصيصه بذلك الوقت
المعين من المستقبل فائدة ولما دل قوله اذيشاء قدبر على هذا التخصيص علم ان مشيئته
تعالى محدثة (والجواب) أن هاتين الكلمتين كادخلتا على المشيئة أي مشيئة الله قدر
دخلتا أيضا على لفظ التقدير فليزم على هذا أن يكون كونه قارضا صفة محدثة ولما كان هذا
باطلا فكذا القول فيما ذكرته والله أعلم ثم قال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت
أيديكم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ نافع وابن عامر بما كسبت بغير فاء وكذلك
هي في مصاحف الشام والدينة والباقون بافاء وكذلك هي في مصاحفهم وتقدير الاول
ان ما مبتدأ بمعنى الذي وبما كسبت خبره والمعنى والذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم
وتقدير الثاني تضمين كلمة ما معنى الشرطية (المسئلة الثانية) المراد بهذه المصائب
الاحوال المذكورة نحو الآلام والاسقام والفحط والفرق والصواعق وأشباهاها
واختلفوا في نحو الآلام انها هل هي عقوبات على ذنوب سلفت أم لا منهم من أنكر ذلك
أوجوه (الاول) قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت بين تعالى ان الجزاء انما يحصل
في يوم القيامة وقال تعالى في سورة الفاتحة مالك يوم الدين أي يوم الجزاء وأطبقوا على ان
المراد منه يوم القيامة (والثاني) أن مصائب الدنيا يشترك فيها الزنديق والصادق وما
يكون كذلك أتمم جعله من باب العقوبة على الذنوب بل الاستقرار بدل على أن حصول
هذه المصائب للصالحين والمنقين أكثر منه للذين وللهذا قال صلى الله عليه وسلم خص
البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل (الثالث) ان الديار التكليف فلو جعل الجزاء
فيها لكانت الدنيا دار التكليف ودار الجزاء معا وهو محال وأما القائلون بأن هذه
المصائب قد تكون أجزية على الذنوب المتقدمة فقد تمسكوا أيضا بما روى عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال لا يصيب ابن آدم خدش عود ولا غيره الا بذنب أولفط هذا معناه
وتمسكوا أيضا بهذه الآية وتمسكوا أيضا بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات وتمسكوا أيضا بقوله تعالى بعد هذه الآية أو يوبقهن بما كسبنها وذلك تصریح
بأن ذلك الاهلاك كان بسبب كسبهم واجاب الاولون عن التمسك بهذه الآية فقالوا ان

بشا يسكن الريح) التي تجريها وقرئ الرياح (فيظللن رواكد على ظهره) فيقين ثوابت على ظهر البحر أي غير
جاريات لا غير مجرعات أصلا

(ان في ذلك) الذي ذكر من السفن الالاف تجري تارة ويركدن أخرى (٤١٢) على حسب مشيئته تعالى (آيات) عظيمة

في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شئونه تعالى (لكل صبار شكور) لكل من حبس نفسه عن التوجه الى ما لا ينبغي و وكل هتة بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر في آياته أو اكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر (أو يوبقهن بما كسبن) عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الرجح فيركدن أو يرسلها فيبرقن بعصفها وايضاغ الايباق عليهن مع أنه حال اهلهم للسياقة والتهويل واجراء حكمه على العفو في قوله تعالى (ويعف عن كثير) لما أن المعنى أو يرسلها فيوبق ناسا ويبح آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفوا على الاستئناف (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا) عطف على علة مقدرة مثل لينقم منهم و يعلم الخ كافي قوله تعالى وانجمله آية للناس

حصول هذه المصائب يكون من باب الامتحان في التكليف لامن باب العقوبة كافي حق الابياء والاولياء و يحمل قوله فيما كسبت أيديكم على أن اصلح عند اتيانكم بذلك الكسب انزال هذه المصائب عليكم وكذا الجواب عن بقية الدلائل والله أعلم (المسئلة الثالثة) اخرج أهل التناسخ هذه الآية وكذلك الذين يقولون ان الاطفال والبهائم تتألم فقالوا دلت الآية على ان حصول المصائب لا يكون الا لسابقة الجرم ثم ان أهل التناسخ قالوا لكن هذه المصائب حاصلة للاطفال والبهائم فوجب أن يكون قد حصل لها ذنوب في الزمان السابق وأما القائلون بأن الاطفال والبهائم ليس لها ما قالوا قد ثبت ان هذه الاطفال والبهائم ما كانت موجودة في بدن آخر لفساد انشوخ فوجب القطع بأنها لا تتألم اذا لالم مصيبة (والجواب) ان قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم خطاب مع من يفهم ويعقل فلا يدخل فيه البهائم والاطفال ولم يقل تعالى ان جميع ما يصيب الحيوان من المكاره فانه بسبب ذنب سابق والله أعلم (المسئلة رابعة) قوله فيما كسبت أيديكم يقتضي اضافة الكسب الى اليد قال والكسب لا يكون باليد بل بالقدرة القائمة باليد واذ كان المراد من لفظ اليد ههنا القدرة وكان هذا المجاز مشهورا مستملا كان لفظ اليد الوارد في حق الله تعالى يجب حله على القدرة تنزيها لله تعالى عن الاعضاء والاجزاء والله أعلم ثم قال تعالى ويعفوا عن كثير ومعناه انه تعالى قد يترك الكثير من هذه التشديدات بفضله ورحته ومن الحسن قال دخلنا على عمران بن حصين في الوجع الشديد فقل له اما لنغتم لك من بعض ما نرى فقال لا تفعلوا فوالله ان أحبه الى الله أحبه الى قرأ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فهذا بما كسبت يداي وسيأتيني عفوري وقد روى أبو سفيان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال ماعفا الله عنه فهو أعز وأكرم من أن يعود اليه في الآخرة وما عاف عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يعيد العذاب عليه في الآخرة رواه الواحدى في البسيط وقال اذا كان كذلك فهذه ارجى آية في كتاب الله لان الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين صنف كفر عنهم بالمصائب في الدنيا وصنف عفا عنه في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوه وهذه سنة الله مع المؤمنين وأما الكافر فلا ثمة لا يعجل عليه عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة ثم قال تعالى وما أنتم بمعجزين في الارض بقول ما أنتم بامعش المشركين بمعجزين في الارض اى لانعجزوننى حيث ما كنتم فلا تسبقوننى بسبب هركم في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والمراد بهم من يعبد الاصنام بين أنه لا فائدة فيها البتة والنصير هو الله تعالى فلا جرم هو الذى تحسن عبادته * قوله تعالى (ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظلان روادك على ظهره ان في ذلك آيات لكل صبار شكور أو يوبقهن بما كسبن ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص فأوتيتهم من شئ فتنازع الحياة الدنيا وما عند الله خير

وقوله ولنعلم من تأويل الاحاديث و نظائرهما وقرئ بالرفم على الاستئناف وبالجزم عطف على يعف * وابقى فيكون المعنى وان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم

(مالهم من محبس) أي من مهرب من العذاب والجللة معلق عنها القفل (فأأوتيتهم من شيء) مما ترهبون وتنافسون فيه (فتخاض الحياة الدنيا) أي فهو متاعها (٢١٣) تمنعون به مدة حياتكم (وما عند الله) من ثواب الآخرة (خير) ذاتا

نخلوص نفعه (وأبقي) زمانا حيث لا يزول ولا يفنى (لأنهم آمنوا وعلى ربهم توكلون) لا على غيره أصلا والموصول الأول لما كان متعلقا بمعنى الشرط من حيث أن ابتداء ما وتوا سبب للتختم بها في الحياة الدنيا دخلت جوابها الغاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله عنه أنه تصديق أبو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فتزات وقوله تعالى (والذين ينجتوبون كبار الأثم) أي الكبار من هذا الجنس (والفواحش) وإذا ما غضبوا هم يغفرون) مع ما بعده صطف على الذين آمنوا وأمدح بالنصب أو الرفع وبناء يغفرون على التفسير خير له للدلالة على أنهم الاختصاص بالمغفرة حال الغضب أمره من أفعالها وقرئ كبر الأثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كبر الأثم الشرك (والذين استجابوا لربهم

وأبقي نلتهم آمنوا وعلى ربهم توكلون والذين ينجتوبون كبار الأثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم وما رزقناهم يفتقون والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) وفي الآية مسائل (المسئلة الأولى) قرأ نافع وأبو عمرو والجوازي بناء في الوصل والوقف فثبت البناء على الأصل وحذفوا اللخفيف (المسئلة الثانية) الجوازي يعني السفن الجوازي فحذف الموصوف لعدم الالتباس (المسئلة الثالثة) أعلم أنه تعالى ذكر من آياته أيضا هذه السفن العظيمة التي تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح وأعلم أن المقصود من ذكره أمران (أحدهما) أن يستدل به على وجود القادر الحكيم (والثاني) أن يعرف ما فيه من انعم العظيمة لله تعالى على العباد (أما الوجه الأول) فقد اتفقوا على أن المراد بالأعلام الجبال قالت الخنساء في مرثيد أخيها

وان صخر الأثم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

ونقل أن النبي صلى الله عليه وسلم استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوي إلى هذا البيت قال فأنشأها الله ما رصيت بتشبيهها بالجليل حتى جعلت على رأسه نار إذا عرفت هذا فنقول هذه السفن العظيمة التي تكون كالجبال تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح على أسرع الوجوه وعند سكون هذه الرياح تقف وقد بناها بالدليل في سورة النحل أن يحرك الرياح ومسكنها هو الله تعالى إذ لا يقدر أحد على تحريكها من البشر ولا على تسكينها وذلك يدل على وجود الإله القادر وأيضا أن تلك السفينة تكون في غاية القفل ثم إنهم مع ثقلها بقيت على وجه الماء وهو أيضا دلالة أخرى (وأما الوجه الثاني) وهو معرفة ما فيها من المنافع فهو أنه تعالى خص كل جانب من جوانب الأرض بنوع آخر من الأمتة وإذا نقل متاع هذا الجانب إلى ذلك الجانب في السفن وبالعكس حصلت المنافع العظيمة في التجارة فلهذه الأسباب ذكر الله تعالى حال هذه السفينة ثم قال تعالى أن يشأ يسكن الريح فيظللان رواكده على ظهره قرأ أبو عمرو والجمهور بهمزة إن يشأ لأن سكون الهمة علامة للجزم وعن ورش عن نافع بلا همز وقرأ نافع وحده يسكن الريح على الجم والباقون الريح على الواحد قال صاحب الكشاف فرى يظللان بفتح اللام وكسر هاء من ظل يظل ويظل وقوله تعالى رواكده أي رواكب أي لا تجري على ظهره أي على ظهر البحران في ذلك آيات لكل صبار على بلاء الله شكور انعمائه والقصود التبيد على أن المؤمن يجب أن لا يكون غافلا عن دلائل معرفة الله البتة لأنه لا بد وأن يكون آمنا في البلاء وأما في الآلاء فإن كان في البلاء كان من الصابرين وإن كان في النعماء كان من الشاكرين وعلى هذا التقدير فإنه لا يكون البتة من الغافلين ثم قال تعالى أو يوبقهن بما كسبن أو يهلكن يقال أو يبقه أي يهلكه ويقال للمعجم أو يبقه ذنوبه أي يهلكته والمعنى أنه تعالى إن شاء ابتلى المسافر بن في البحر بأحدى بلتين إما أن يسكن الريح فتزكك

وأقاموا الصلاة) نزل في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان فاستجابوا له

(وأمرهم شورى بينهم) أي فوشورى لا ينفردون برأى حتى يشاوروا ويختصموا هداية وكانوا قبل المنجزة وبعد ما إذا حزن بهم
أمر اجتماعهم وتشاوروا (ومما رزقناهم ينفقون) أي في سبيل الخير ﴿٢١٤﴾ وأما فصله عن قرينه بذكر المشاورة

لوقوعها عند اجتماعهم
للاصلوات (والذين إذا
أصابهم البغي هم
يقتصرون) أي ينفقون
من بغي عليهم على
ما جعله الله تعالى لهم
كراهة التذلل وهو
وصف لهم بالشجاعة
بعد وصفهم بسائر
مهمات الفضائل
وهذا لا ينافي وصفهم
بالغفران فإن كلامهم
فضيلة محمودة في موقع
نفسه وذيلة مذمومة
في موقع صاحبه فإن
الحلم عن العاجز وصوراء
الكرام مجود وعن
الغلب والنعوذ بالنام
مذموم فإنه اغراء على
البغي وعليه قول من قال
* إذا أنت أكرمت الكريم
ملكته * وإن أنت
أكرمت اللئيم تمردا
* فوضع الندي في موضع
السيف بالاعلا * مضر
كوضع السيف
في موضع الندي *
وقوله تعالى (وجزاء
سيئة سيئة مثله) بيان
لوجه كون الانتصار
من الخصال الحميدة مع
كونه في نفسه اسادة

الجواري على متن البحر وتقف وأما أن يرسل الرياح عاصفة فيها فيهلك من بسبب الاغراق
وعلى هذا التقدير قوله أو يوبقهن * موقوف على قوله يسكن لأن التقدير أن يسكن
البحر فيركن أو يهضمها فيعرف بعصفتها وقوله ينفقون كثير معناه أن يشاء يهلك ناسا
ويجئ ناسا على طريق العفو عنهم فإن قيل فمعنى ادخاها العفو في حكم الايباق حيث
جعل مجز وما مثله قلنا معناه ان يشاء يهلك ناسا على طريق العفو عنهم وأما من
قرأ أو ينفقون قد استأنف الكلام ثم قال ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص
قرأنا فاع وابت عامر يعلم بالرفع على الاستئناف وقرأ الباقيون بالانصب فالقراءة بالرفع على
الاستئناف وأما بالانصب فلا عطف على تعليل تخذوف تقديره ليتقم منهم ويعلم الذين
يجادلون في آياتنا والعطف على التعليل التخذوف غير منزه في القرآن ومنه قوله تعالى
ولجعلناه آية للناس وقوله تعالى خالق السموات والارض والحق والنجوى كل نفس بما كسبت
قال صاحب الكشاف ومن قرأ على جزم ويعلم فكانه قال أو ان يشاء يجمع بين ثلاثه
أمور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين إذا عرفت هذا فنقول معنى الآية ويعلم
الذين يجادلون أي ينافسون على وجه التكذيب ان لا تخلص لهم اذا وفقت السفن واذا
عصفت الرياح فيصير ذلك سببا لاعتراضهم بأن اذله النافع الضار ليس الا الله واعلم انه تعالى
لما ذكر دلائل اتوحيده أردفها بالتعريف عن الدنيا وتحقير شأنها لأن الذي يمنع من قبول
الدليل إنما هو الرغبة في الدنيا بسبب الرياسة وطلب الجاه فاذا صغرت الدنيا في عين
الرجل لم يلتفت اليها فحينئذ ينفع بذكر الدلائل فقال غافا وتيم من شيء فناع الحياة الدنيا
وسماه متاعا نيبها على قلته وحجارتها ولأن الحس شاهد بأن كل ما يتعلق بالدنيا فانه يكون
سريع الانقراض والانقضاء ثم قال تعالى وما عند الله خير وأبقى والمعنى ان مطالب الدنيا
خسيسة مفترضة ونبه على خساستها بتسميتها بالمتاع ونبه على انقراضها بأن جعلها من
الدنيا وأما الآخرة فانه خير وأبقى وصرح العقل يقتضي ترجيح الخير الباقي على
الخسيس الغاني ثم بين ان هذه الخير بما لنا تحصل لمن كان موصوفا بصفات (الصفة
الاولى) ان يكون من المؤمنين بدليل قوله تعالى للذين آمنوا (الصفة الثانية) أن
يكون من المتوكلين على فضل الله بدليل قوله تعالى وعلى ربهم يتوكلون فأما من زعم أن
الطاعة توجب الثواب فهو متكمل على عمل نفسه لا على الله فلا يدخل تحت الآية (الصفة
الثالثة) أن يكونوا مجتنبين لكبائر الذنوب والفواحش عن ابن عباس كبير الذنوب هو الشرك
نقله صاحب الكشاف وهو عندى بعيد لأن شرط الايمان مذكور أو لا وهو يعني عن
عدم الشرك وقيل المراد بكبائر الذنوب ما يتعلق بالبدع واستخراج الشبهات والفواحش
ما يتعلق بالقوة الشهوانية وقوله واذا ما غضبوا هم يغفرون ما يتعلق بالقوة الغضبية
وانما خص الغضب بلفظ الغفران لأن الغضب على طبع النار واستيلاؤه شديد ومقاومته
صعبة ولهذا السبب خصه بهذا اللفظ والله أعلم (الصفة الرابعة) قوله تعالى والذين

ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السببة على الثانية لانها تسوء من نزلت به (فن عفا)
على المسي اليه (واصلح) بينه وبين من ٤١٥ يعاديه بانعفو والاغضاء كافي قوله له ان فاذا الذي يبتكو بينه

عداوة كأنه ولي حميم
(فأجره على الله) عدة
مهمة منبهة عن عظم
شأن الموعود وخروجه
عن الحد المعهود (انه
لا يحب الظالمين) البادئين
بالسببة والتعدين في
الانتقام (ولن اتصبر
بعد ظلمه) أي بعد ما ظلم
وقد فرى به (فأوثق)
اشارة الى من باعتبار
المعنى كما أن الضميرين
لها باعتبار اللفظ (ما
عليهم من سبيل) بالمعاقبة
أو المعاقبة (انما السبيل
عن الذين يظلمون الناس)
يتدوّنهم بالاضرار أو
يعتدون في الانتقام
(ويبغون في الارض بغير
الحق) أي يتكبرون فيها
تجبر او فسادا (أو تلك)
الموصوفون بانذ كرم
الظلم والبغي بغير الحق
(لهم عذاب أليم) بسبب
ظلمهم وبغيهم (ولن
صبر) على الذي
(وعفر) ان ظلمه ولم
يتصبر وفوض أمره
الى الله تعالى (ان ذلك)
الذي ذكر من الصبر
والمغفرة (لن عزم الامور)
أي ان ذلك منه فحنفي

استجابوا له والاراد مع تمام الانقياد فان قالوا أليس انه لما جعل الايمان شرطا فيه
فقد دخل في الايمان اجابة الله قلنا الاقرب عندي أن يحمل هذا على الرضاء بقضاء الله
من صميم القلب وان لا يكون في قلبه منازعة في أمر من الامور ولذا ذكر هذا الشرط قال
وأقاموا الصلاة والمراد منه اقامة الصلوات الواجبة لان هذا هو الشرط في حصول
الثواب وأما قوله تعالى وأمرهم شورى بينهم فويل كان اذا وقعت بينهم واقعة اجتماعوا
وتشاوروا فأنشئ الله عليهم أي لا يتفردون برأي بل ما لم يجتمعوا عليه لا يقدمون عليه وعن
الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لأرشد أمرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور
ومعنى قوله وأمرهم شورى بينهم أي ذو شورى (الصفة الخامسة) قوله تعالى والذين
إذا أصابهم البغي هم ينتصرون والمعنى أن يقتصروا في الانتصار على ما يجعله الله لهم
ولا يتعدونه وعن الخفي انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون ان يذنبوا أنفسهم فيجترى
عليهم السفهاء فان قيل هذه الآية مشكلة لوجهين (الاول) انه لما ذكر قبله واذا
ما غضبوا هم يغفرون فكيف يليق أن يذكروا كرمه ما يجري مجرى انذار له وهو قوله والذين
إذا أصابهم البغي هم ينتصرون (الثاني) وهو ان جميع الآيات دافعة على أن العفو
أحسن قال تعالى وان تغفوا أقرب للتقوى وقال واذا مروا بالغفوة مروا كراما وقال خذ
العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل وقال وان عافيتهم فاعفوا بما عمل ما عوفيتهم به
ولن صبرتم اهو خير لا صبرين فهذه الآيات تناقض مداول هذه الآية (والجواب)
ان العفو على قسمين (أحدهما) ان يصير العفو سببا لتسكين الفتنة وجناية الجاني
ورجوعه عن جنائحه (والثاني) أن يصير العفو حيا لمزيد جرأة الجاني واتوة غيظه
وغضبه ولايات في العفو محاولة على القسم الاول وهذه الآية مجملة على القسم
الثاني وحديث بطل التناقض والله أعلم الا ترى ان العفو عن المصير يكون كافيا لله
وغيره فلو أن رجلا وجد عبده فجر بجارته وهو مصير فلو عفا عنه كان مذموم ما روى
أن زينا أقبلت على عائشة فشتها فنهها النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنها فلم تنده فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فانتصرتي وأرضا انه قد عفا عنك في الانتصار بل بين
انه مشروع فقط لم ين إمامه أن شرعه مشروط بغير غاية الممانعة ثم بين ان العفو أولى بقوله
فن عفا وأصلح فأجره على الله فزال الدوال والله أعلم قوله تعالى (وجزاء سببة سببة
مثلهما فن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين ولن اتصبر بعد ظلمه فأولئك
ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق
أولئك لهم عذاب أليم ولن صبر وعفر ان ذلك لمن عزم الامور ومن يضلل الله فانه من ولي
من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون
عليها خاشعين من الدل ينظرون من طرف خفي قال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين

تقفة بغاية ظهوره كافي قولهم السمن منوان بدرهم وهذا في الواد التي لا يؤدى العفو الى التبركا أشير

الآية (ومن يضل الله فإله من ولي من بعده) من ناصر يتولاه من بعده خلافة تعالى إياه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) أي حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق (يقولون هل إلى مرد) (٤١٦) أي إلى رجعة إلى الدنيا (من سبيل)

حتى تؤمن ونعمل صالحا
(وتراهم يعرضون عليها)
أي على النار المدلول
عليها بالعذاب والخطاب
في الموضعين لكل من
يتأذى منه الرؤية
(خاشعين من الذل)
متدللين متضائلين ما
دهاهم (ينظرون من
طرف خفي) أي يتندى
نظرهم إلى النار من
تعييرك لأجفانهم ضعيف
كالصبور ينظر إلى
السيف (وقال الذين
آمنوا إن الخاسرين)
أي المتصفين بحقيقة
الخسران (الذين خسروا
أنفسهم وأهلهم)
بالعربض للعذاب الخالد
(يوم القيامة) أما طرف
الخسران وأما القول في الدنيا
أولاً قاله قول يوم القيامة
أي يقولون حين يرونهم
على تلك الحال وصيغة
الماضي للدلالة على تحققه
وقوله تعالى (ألان
الظالمين في عذاب مقيم)
أما من تسام كلامهم
أو تصديق من الله تعالى
لهم (وما كان لهم من
أولياء ينصرونهم) برفع
العذاب عنهم (من
دون الله) حسبنا كانوا يرجون ذلك في الدنيا (ومن يضل الله فإله من ولي من بعده) يؤدى سلوكه إلى الهجاء

خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ألان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء
ينصرونهم من دون الله ومن يضل الله فإله من سبيل) اعلم أنه تعالى للمآل وأن الذين إذا
أصابهم البغي هم ينصرون أردفه بما يدل على أن ذلك الانتصار يجب أن يكون مقبدا
بالمثل فإن نقصان حيف والزيادة ظلم والنسأوى هو العدل وبه قامت السموات
والأرض فلهذا السبب قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وفي الآية مسائل (المسألة الأولى)
لنائل أن يقول جزاء السيئة مشرووع مأذون فيه فكيف سمي بالسيئة أجاب صاحب
الكشاف عنه كذا الفعلة الأولى وجزاؤها سيئة لأنها تسوء من تنزل به قال تعالى
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا وأجاب غيره
بأنه لما جعل أحدهما في مقابلة الآخر أطلق اسم أحدهما على الآخر على سبيل المجاز
والحق ما ذكره صاحب الكشاف (المسألة الثانية) هذه الآية أصل كبير في علم الفقه
فإن مقتضاها أن تقابل كل جنابة بمثلها وذلك لأن الإهدار يوجب فتح باب الشر
والعدوان لأن في طبع كل أحد الظلم والبغي والعدوان فإذا لم يزرع عنه أقدم عليه
ولم يتركه وأما الزيادة على قدر الذنب فهو ظلم والشرع مبرز عنه فلم يبق إلا أن يقابل بالمثل
ثم تأكد هذا النص بتصريح آخر كقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقوله
تعالى من عمل سيئة فلا يجزى الأمثلة وقوله عز وجل كتب عليكم القصاص في القتلى
والقصاص عبارة عن المساواة والمماثلة وقوله تعالى والجروح قصاص وقوله تعالى
ولكم في القصاص حياة فهذه النصوص بأسرها تقتضي مقابلة الشيء بمثله ثم ههنا حقيقة
وهي أنه إذا لم يكن استيفاء الحق بالإستيفاء الزيادة فههنا وقع التعارض بين الحاق زيادة
الضرر بالجاني وبين منع المجنى عليه من استيفاء حقه فأيهما أولى فههنا محل اجتهد
المجتهدين ويختلف ذلك باختلاف الصور وتفرع على هذا الأصل بعض المسائل تنبيهها
على الباقي (المثال الأول) احتج الشافعي رضي الله عنه على أن المسلم لا يقتل بالذمى وأن
الحر لا يقتل بالعبد بأن قال المسألة شرط لجرى القصاص وهي مفقودة في هاتين
المسئلتين فوجب أن لا يجزى القصاص بينهما أما بيان أن المماثلة شرط لجرى القصاص
فهو التصوص المذكورة وكيفية الاستدلال بها أن نقول أما أن نحمل المماثلة
المذكورة في هذه النصوص على المماثلة في كل الأمور إلا ما خصه الدليل أو نعملها على
المماثلة في أمر معين والثاني مرجوح لأن ذلك الأمر المعين غير مذكور في الآية فلو
حملنا الآية عليها لزم الأجل وأوجهنا النص على القسم الأول لزم تعمل التخصيص
ومعلوم أن دفع الأجل أولى من دفع التخصيص فثبت أن الآية تقتضي رعاية المماثلة
في كل الأمور إلا ما خصه دليل العقل ودليل نقل منفصل وإذا ثبت هذا فنقول رعاية
المماثلة في قتل المسلم بالذمى وفي قتل الحر بالعبد لا يمكن لأن الإسلام اعتبره الشرع في
إيجاب القتل له صلبه عند عدمه كافي حق الكافر الأصلي ولا بقاءه عند وجوده كافي حق

دون الله) حسبنا كانوا يرجون ذلك في الدنيا (ومن يضل الله فإله من ولي من بعده) يؤدى سلوكه إلى الهجاء

(استجيبوا لربكم) اذ دعاكم
الى الايمان على اسان
بيه (من قبل أن يأتي
يوم لا مرد له من الله)
أى لا يردده الله بسعد
ما حكم به على أن من
صلاته مرد أو من قبل أن
يأتى من الله يوم لا يمكن
رده (مالكم من ملجأ
يومئذ) أى مفر لتنجون
اليه (ومالكم من تكبير
لما اقترفتوه لانه مدون
في صحائف أعمالكم
وتشهد عليكم جوارحكم
(فان أعرضوا فما
أرسلناك عليهم حفيظا)
تاوينا للكلام وصرف له
عن خطاب الناس بعد
أمرهم بالاستجابة
وتوجيهه الى الرسول
عليه الصلاة والسلام
أى فان لم يستجيبوا
وأعرضوا عما ندعوهم
اليه فما أرسلناك رقيباً
وتحاسبنا عليهم (ان عليك
الابلاغ) وقد فعلت
(وانا اذا أذقنا الانسان
منارحة) أى نعمة من
الصحة والغنى والامن
(فرح بها) أريد بالانسان

المرتد وأيضاً الحربة صفة اعتبرها الشارع في حق القضاء والامامة والشهادة فثبت أن
المائة شرط لجرمان القصاص وهي مفقودة ههنا فوجب المنع من القصاص (المثال
الثاني) احتج الشافعي رضي الله عنه في أن الأيدي تقطع باليد الواحدة فقال لا شك انه
اذا صدر كل القصاص أو بعضه عن كل أو تلك القاطنين أو عن بعضهم فوجب أن يشرع في
حق أو تلك القاطنين مثله لهذه النصوص وكل من قال يشرع التقطع اما كله أو بعضه في
حق كلهم أو بعضهم قال بانجابه على الكل بقى أن يقال فليتم منه استيفاء الزيادة من
الجاني وهو ممنوع منه الا اننا نقول لما وقع التعارض بين جانب الجاني وبين جانب المجنى
عليه كان جانب المجنى عليه بالرعاية أولى (المثال الثالث) شريك الأب شرع في حقه
القصاص والدليل عليه انه صدر عنه الجرح فوجب أن يقابل بمثله لقوله تعالى والجروح
قصاص وإذا ثبت هذا ثبت تمام القصاص لانه لا قاتل بالفرق (المثال الرابع) قال
الشافعي رضي الله تعالى عنه من حرق حرفناه ومن غرق غرقناه والدليل عليه هذه
النصوص الدالة على مقابلة كل شيء بمثله (المثال الخامس) شهود القصاص اذا رجموا
وقالوا تعمدنا بالكذب يلزمهم القصاص لانهم بذلك الشهادة أهدر وادع فوجب أن يصبر
دمهم مهدياً لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثله (المثال السادس) قال الشافعي رضي الله
عنه المكر يجب عليه القود لانه صدر منه القتل ظمناً فوجب أن يجب عليه مثله أما انه
صدر عنه القتل فالجس بدل عابه وأما أنه قتل فلما فلا ن المسلمين أجبروا على أنه مكلف من
قبل الله تعالى بان لا يقتل وأجمعوا على أنه يستحق به الاثم العظيم والعقاب الشديد وإذا
ثبت هذا فوجب أن يقابل بمثله لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثله (المثال السابع) قل
الشافعي رضي الله عنه القتل بالقتل يوجب القود والدليل عليه ان الجاني أبطل حياته
فوجب أن يتمكن ولي المقتول من ابطال حياة القاتل لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثله (المثال الثامن)
(المثال الثامن) الحر لا يقتل بالعبد فصا صا ونحن وان ذكرنا هذه المسئلة في المثال الاول
الا اننا ذكرها هنا وجه آخر من البيان فتقول ان لقاتل أنف على مائة العبد سيئة يساوي
عشرة نانبر مثلاً فوجب عليه أداء عشرة نانبر لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثله وإذا
وجب الضمان وجب أن لا يجب القصاص لانه لا قاتل بالفرق (المثال التاسع) منافع
الغصب مضونة عند الشافعي رضي الله عنه والدليل عليه ان الغاصب فوت على المالك
منافع تقابل في العرف بدينار فوجب أن يفوت على الغاصب مثله من المال لقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثله وكل من أوجب تفويت هذا القدر على الغاصب قال بانه يجب
أداؤه الى المغموب منه (المثال العاشر) الحر لا يقتل بالعبد فصا صا لانه لو قتل بالعبد
لكان هو مساوياً للعبد في المعاني الموجبة للقصاص لقوله من عمل سيئة فلا يجزى الا مثله
ولسائر النصوص التي تلونها ثم ان عبد غيره يقتل فصا صا بعبد نفسه فوجب أن يكون
عبد غيره مساوياً لعبد نفسه في المعاني الموجبة للقصاص لعين هذه النصوص التي ذكرناها

الجنس لقوله تعالى (وان
تصبرهم سبعة) أى يلا
من مرض وفقر وخوف
(بما قدمت أيديهم فان
الإنسان كفور) بلغ
الكفر ينسى النعمة
رأساً ويذكر البايسة
ويستغنى عنها ولا يتأمل
سببها بل يزعم أنها
أسبابه بغير استحقاق
لها واسناد هذه الحصلة
الى الجنس مع كونها من
خواص المجرمين لعلة
فيما بين الافراد وتصدر
الشريعة الاولى باذام
استناد الاذاقة الى نون
العظمة التي يدعى ان
ايصال النعمة تحقق
الوجود كثير الوقوع
وانه مقتضى الذات
كما أن تصدر الثانية بان
واسناد الاصابة الى
البينة وتوليها بأعمالهم
للإيدان بندرة وقوعها
وأنها بمنزلة عن الانظمة
في سلك الارادة بالذات
ووضع الظاهر موضع
الضمير للتسجيل على
أن هذا الجنس موسوم
بكفران النعم (لله ملك
السموات

فعلى هذا التقدير يكون عبد نفسه مساوياً بالعبد غيره في المعاني الموجبة للقصاص فكان
عبد نفسه مثلاً لمثل نفسه و مثل المثل مثل قوجب كون عبد نفسه مثلاً لنفسه في المعاني
الموجبة للقصاص وأوقل الحر بعبد غيره لقتل بعبد نفسه بالبيان الذي ذكرناه ولا يقتل
بعبد نفسه فوجب أن لا يقتل بعبد غيره فتدكرنا هذه الامثلة العشرة في التفريع على
هذه الآيات ومن أخذت القطة ان يبدى سهل عليه تفريع كثير من مسائل الشريعة على هذا
الاصل والله أعلم ثم ههنا بحث وهو ان أباحيفة رضى الله عنه قال في قلع الايدي لاسك
انه صدر كل القطع أو بعضه عن كاهم أو عن بعضهم الا انه لا يمكن استيفاء ذلك الحق
البايسته فإلزامه لان تقويت عشرة من الايدي أز يد من تقويت يد واحدة فوجب ان
يتقوى على أصل الحرمة فقال الشافعي رضى الله عنه لو كان تقويت عشرة من الايدي في
سنة واحدة يد واحدة حراما لكان تقويت عشرة من النفوس في مقابلة نفس واحدة حراما
لان تقويت النفس يشتمل على تقويت اليد فتقويت عشرة من النفوس في مقابلة النفس
الواحدة يوجب تقويت عشرة من الايدي في مقابلة اليد الواحدة فلو كان تقويت عشرة
من الايدي في مقابلة اليد الواحدة حراما لكان تقويت عشرة من النفوس لاجل النفس
الواحدة مشتتلا على الحرام والمشتتل على الحرام حرام فكان يجب أن يحرم قتل النفس
العشرة في مقابلة النفس الواحدة وحيث أجمعنا على انه لا يحرم علمنا ان ما ذكرتم من
استيفاء الزيادة غير ممنوع منه شرعاً والله أعلم (المسئلة الثالثة) قد بينا قول وجزاء
سبعة سبعة مثلهما يقتضى وجوب رعاية المعاملة مع الناس في كل الاحوال الا فيما خصه الدليل
واقتهاء ادخال التخصيص فيه في صور كثيرة فتارة بناء على نص آخر اخص منه وأخرى بناء
على اقياس ولا شك ان من ادعى التخصيص فعليه البيان والمكاف بكيفية أن يتسبب بهذا
النص في جميع المسائل قال مجاهد السدي اذا قال له أخراه الله فليقل له أخراه الله أما
اذا قلده فليقل له أخراه الله فليقل له أخراه الله فليقل له أخراه الله أما
وأصلح بينه وبين خصمه بالنفوس والاعضاء كما قال تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه
ولى حميم فأجره على الله وهو عند مبهم لا يقاس أمره في التعظيم ثم قال تعالى انه لا يحب
الظالمين وفيه قولان (الاول) ان المقصود منه التنبيه على ان المجنى عليه لا يجوز له استيفاء
الزيادة من الظالم لان الظالم فيما وراء ظلمه معصوم والاتصار لا يكاد يوثق من فيه تجاوز
التسوية والتعدي خصوصاً في حال الحرب والنهاب الحمية فربما صار المظلوم عند الاقدام
على استيفاء القصاص ظالماً وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى
مناد من كان له على الله أجر فليقم قال في يوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن
الذين عفو عنا عن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله تعالى (الثاني) انه تعالى لما حث على
العفو عن الظالم أخبر انه مع ذلك لا يبيد تبيينها على انه اذا كان لا يحب مع ذلك فانه يندب
الى عفو ظالم من الذي هو حبيب الله بسبب ايمانه أولى أن يعفوه عنه ثم قال تعالى ولن

والارض) فن قضيته
 أن يملك ان تصرف فيهما
 وكل ما فيهما كيفما يشاء
 ومن جلسته أن يقسم
 الشئمة والبلية حسب ما يريد
 (يخلق ما يشاء) مما تعلمه
 ومما لا تعلمه (يهب لمن يشاء
 انا) من الاولاد (ويهب
 لمن يشاء الذكور) منهم
 من غير أن يكون في ذلك
 مدخل لاحد (أو
 يزوجهم) أي يقرن بين
 الصغين فيهما جاعلا
 (ذكرانا وانانا) قالوا
 معنى يزوجهم أن تلد
 غلاما ثم جارية أو جارية
 ثم غلاما أو تلد ذكرا
 وأنثى توأمين (ويجعل
 من يشاء عتقا) والمعنى
 يجعل أحوال العباد في
 حق الاولاد مختلفة على
 ما تقتضيه المشيئة فيمن
 يهب لبعض ابا صنف
 واحدا من ذكر أو أنثى
 واما صنفين ويعقب آخرين
 وامل تقديم الاناث لانها
 أكثر تكثير النسل أو لان
 مساقي الآية للدلالة على
 أن الواقع ما يتعلق به
 مشيئته تعالى لا ما يتعلق

انتصر بعد ظلمه أي ظلم الظالم اياه وهذا من باب اضافة المصدر الى المفعول فأولئك يعني
 المنتصرين ما عليهم من سبيل كعقوبة ومواخذة لانهم أتوا بما أيسر لهم من الانتصار
 واحتج الشافعي رضي الله تعالى عنه بهذه الآية في بيان أن سرية القود مهدرة فقال
 الشرع اما أن يقال انه أذن له في القطع مطلقا أو بشرط ان لا يحصل منه السران وهذا
 الثاني باطل لان الاصل في القطع الحرمة فإذا كان تجوز معلقا بشرط عدم السران
 وكان هذا الشرط مجهولا وجب أن يبقى ذلك القطع على أصل الحرمة لان الاصل فيها هو
 الحرمة والحل انما يحصل معلقا على شرط مجهول فوجب أن يبقى ذلك على أصل الحرمة
 وحيث لم يكن كذلك علمنا ان الشرع أذن له في التمتع كيف كان سواء سرى أو لم يسر وإذا
 كان كذلك وجب أن لا يكون ذلك السران مضمونا لانه قد انتصر من بعد ظلمه فوجب
 أن لا يحصل لاحد عليه سبيل ثم قال انما السبيل على الذين يظلمون الناس أي يبدون بالظلم
 ويبغون في الارض بغير الحق أو تلك لهم عذاب أليم ثم قال تعالى ولم يبرؤ غفران ذلك
 لمن عزم الامور والمعنى ولم يصبر بأن لا يقتصر وغرر وتجاوز فن ذلك الصبر والتجاوز من
 عزم الامور يعني ان عزمه على ترك الانتصار لمن عزم الامور الجيدة وحذف الرابع لانه
 مفهوم كما حذف من قولهم السمن من وان بدرهم ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس
 الحسن فكان المسبوب يكظم ويعرق فبمسح العرق تم قام وتلاهذه الآية فقال الحسن
 عقلها والله وفهمها الماضيها الجاهلون ثم قال تعالى ومن يضل الله فغاله من ولي من بعده
 أي فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه أي من بعد اضلال الله اياه وهذا صريح في
 جواز الاضلال من الله تعالى وفي ان الهداية ليست في غرور احد سوى الله تعالى قال
 القاضي المراد من يضل الله عن الجنة غاله من ولي بعده ينتصره (والجواب) أن
 تقييدا للاضلال بهذه الصورة المعينة خلاف الدليل وايضا قال تعالى ما أضله عن الجنة على
 قواكم بل هو أضل نفسه عن الجنة ثم قال تعالى وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون
 هل الى مرد من سبيل والمراد انهم يطلبون الرجوع الى الدنيا العظم ما يشاهدون من
 العذاب ثم ذكر حالهم عند عرض النار عليهم فقال وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل
 أي حال كونهم خاشعين حقيرين مهانين بسبب ما لحقهم من الذل ثم قال ينظرون من طرف
 خفي أي يبتدي نظره من تحريك لاجنازهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى الذي يتيقن أن
 يقتل فانه ينظر الى السيف كأنه لا يقدر على أن يفتح أجفانه عليه ويلا عينيه منه كما يفعل
 في نظره الى المحبوبات فان قيل أليس انه تعالى قال في صفة الكفار انهم يحشرون عيا
 فكيف قال ههنا انهم ينظرون من طرف خفي قلنا العلمهم يكونون في الابتداء هكنا ثم
 يجعلون عيا وامل هذا في قوم وذلك في قوم آخرين واما وصف الله تعالى حال الكفار حكي
 ما يقوله المؤمنون فيهم فقال وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم
 وأهليهم يوم القيامة قال صاحب الكشاف يوم القيامة اما ان يتعلق بخسروا أو يكون

به مشيئة الانسان والالاهات
كذلك أولان الكلام
في البلاء والعرب
تعدهن اعظم البلايا
أولت طيب قلوب آبائهن
أولاحسا فظة على
الفواصل وذلك عرف
الذكور أو جبر النأخير
وتغير العاطف في الثالث
لانه قسم المشترك بين
القسمين ولا حاجة اليه
في الرابع لا فضا حده بانه
قسم المشترك بين الاقسام
المتقدمة وقيل المراد بيان
أحوال الانبياء عليهم
السلام حيث وهب
اشعيب ولوط اناثا
ولا ابراهيم ذكورا وللنبي
صلى الله عليه وسلم ذكورا
واناثا وجعل يحيى وعيسى
عقيمين (انه عليم قدير)
مبالغ في العلم والندرة
فيفعل ما فيه حكمة
ومصلحة (وما كان لبشر)
أى وما صح لفرد من
أفراد البشر (أن يكلمه
الله) بوجه من الوجوه
(الاوحياء) أى الابان
يوحى اليه ويأهمه
ويصدق في قلبه كما أوحى
الى أم موسى والى

قول المؤمنين واقعاني الدنيا وأما أن يتعلق بقال أى يقولون يوم القيامة اذارأوهم على
تلك الصفة ثم قال أذان الظالمين في عذاب مقبم أى دائم قال القاضى وهذا يدل على ان
الكافر والغاسق يدوم عذابهما (والجواب) ان لفظ الظالم المطلق في القرآن مخصوص
بالكافر قال تعالى والكافرون هم الظالمون والذي يؤكدها انه تعالى قال بعد هذه
الآية وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله والمعنى ان الاصنام التى كانوا
يعبدونها لاجل أن تشفع لهم عند الله تعالى ما أتوا بتلك الشفاعة ومعلوم أن هذا لا يليق
بالالكفار ثم قال ومن يضلل الله فانه من سبيل وذلك يدل على ان المضل والهادى هو الله
تعالى على ما هو قولنا ومذهبنا والله أعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ استجبوا لربكم من قبل أن يأتى
يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فإن أعرضوا فإنا أرسلناك
عليهم حفيفا ان عليك الابلاغ وانا اذا أدقنا الانسان منارحة فرح بها وان
تصيرهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور لله ملاك السموات والارض يخلق
ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرا واناثا ويجعل
من يشاء عقيما (انه عليم قدير) اعلم انه تعالى لما طلب في الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو
المنصود فقال استجبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله وقوله من الله يجوز أن
يكون صلة لقوله لا مرد له يعنى لا يرد الله بعدما حكم به ويجوز أن يكون صلة لقوله يأتى أى
من قبل أن يأتى من الله يوم لا يقدر أحد على رده واختلفوا في المراد بذلك اليوم فقيل هو
يوم ورود الموت وقيل يوم القيامة لانه وصف ذلك اليوم بانه لا مرد له وهذا الوصف
موجود في كلا اليومين ويحتمل أن يكون معنى قوله لا مرد له أنه لا يقبل التقديم
والأخير أو ان يكون معناه أن لا مرد فيه الى حال التكليف حتى يحصل فيه التلاقي ثم
قال تعالى في وصف ذلك اليوم ما لكم من ملجأ ينفع في الخصاص من العذاب وما لكم من
نكير من ينكر ذلك حتى يتغير حالكم بسبب ذلك المنكر ويجوز أن يكون المراد من النكير
الانكار أى لا تقدر وون أن تنكروا شيئا مما افترقتموه من الاعمال فان أعرضوا أى هؤلاء
الذين أمرتهم بالاستجابة ان لم يقبلوا هذا الامر فإنا أرسلناك عليهم حفيفا بان تحفظ أعمالهم
وتحصى ما ان عليك الابلاغ وذلك تسليية من الله تعالى ثم انه تعالى عابن السبب في اصرارهم
على مذاهبهم الباطلة وذلك انه وجدوا في الدنيا سعادة وكرامة والفوز بمطالب الدنيا فيبد
الغرور والفجور والتكبر وعدم الانقياد للحق فقال وانا اذا أدقنا الانسان منارحة فرح
بها ونعم الله في الدنيا وان كانت عظيمة الا انها بالنسبة الى السعادات المعدة في الآخرة
كأنه طرة بالنسبة الى البحر فلذلك سماها ذوقا فبين تعالى أن الانسان اذا فاز بهذا القدر الخفير
الذى حصل في الدنيا فانه يفرح بها ويكبر غروره بسببها ويقع في العجب والكبر ويظن أنه
فاز بكل المني ووصل الى أقاصى السعادات وهذه طريقة من يضعف اعتقاده في سعادات

الآخرة وهذه الطريقة مخالفة لطريقة المؤمن الذي لا يعدنم الدنيا الا كالوصلة الى نعم
الآخرة ثم بين انه متى أصابتهم سببة أى شئ يسوءهم في الحال كالمرض والفقر وغيرهما
فانه يظهر منه الكفر وهو معنى قوله فان الانسان كفور والكفور الذي يكون مبالغا
في الكفران ولم يقل فانه كفور ليبين ان طبيعة الانسان تقتضى هذه الحالة الا اذا أدبها
الرجل بالآداب التي أرشد الله اليها ولما ذكر الله اذا قد الانسان الرحمة واصابته بصددها
اتيم ذلك بقوله لله ملك السموات والارض والمفسود منه ان لا يفترا الانسان بما ملكه من
المال والجاه بل اذا علم ان الكل ملك الله وملكه وانه انما حصل ذلك انقدر تحت يده لان
الله انعم عليه به فحينئذ يصير ذلك حاملا له على مزيدا لطاعة والخدمة وأما اذا اعتقد ان تلك
النعم انما تحصل بسبب عقله وجده واجتهاده بنى مغرورا بنفسه معرضا عن طاعة الله تعالى
ثم ذكر من أقسام تصرف الله في العالم انه يخص البعض بالاولاد الاناث والبعض بالذكور
وبعض بهما والبعض بان يجعله محروما من الكل وهو المراد من قوله ويجعل من يشاء
عقيبا واعلم ان أهل الطبائع يتعاونون السبب في حدوث الولد صلاح حال النطفة والرحم
وسبب الذكورة استيلاء الحرارة وسبب الانوثة استيلاء البرودة وقد ذكرنا هذا الفصل
بالاستقصاء التام في سورة النحل وابطلناه بالدلائل القينية ونظهر ان ذلك من الله تعالى
لانه من الطبائع والانجم والافلاك وفي الآية سوالات (السؤال الاول) انه قد قدم الاناث
في الذكر على الذكور فقال يهب لمن يشاء انا و يهب لمن يشاء الذكور ثم في الآية الثانية
قدم الذكور على الاناث فقال أو يزوجهم ذكرانا وانا فما السبب في هذا التقديم
والتأخير (السؤال الثاني) انه ذكر الاناث على سبيل التنكير فقال يهب لمن يشاء انا و
وذكر الذكور بلفظ التعريف فقال ويهب لمن يشاء الذكور فما السبب في هذا الفرق
(السؤال الثالث) لم قال في اعطاء الاناث وحدهن وفي اعطاء الذكور وحدهم بلفظ الهيبة
فقال يهب لمن يشاء انا و يهب لمن يشاء الذكور وقال في اعطاء الصنفين معا أو يزوجهم
ذكرانا وانا (السؤال الرابع) لما كان حصول الولد هبة من الله فيكون في عدم حصوله ان
لا يهب فأى حاجة في عدم حصوله الى أن يقول ويجعل من يشاء عقيبا (السؤال الخامس)
هل المراد من هذا الحكم جمع معينون أو المراد الحكم على الانسان المطلق (والجواب)
عن السؤال الاول من وجوه (الاول) أن الكريم يسمى في أن يقع الختم على الخير والراحة
والسرور والبهجة فاذا وهب الوالد الانثى أو لأم اعطاه الذكر بعده فكانت نقله من النعم
الى الفرح وهذا غاية الكرم أما اذا أعطى الولد أو لأم اعطى الانثى ثانيا فكانت نقله من
الفرح الى النعم فذكر تعالى هبة الولد الانثى أو لأم ثانيا هبة الولد الذكر حتى يكون قد نقله
من النعم الى الفرح فيكون ذلك أليق بالكرم (الوجه الثاني) أنه اذا أعطى الولد الانثى أو لأم
علم أنه لا اعتراض له على الله تعالى فيرضى بذلك فاذا أعطاه الولد الذكر بعد ذلك علم ان هذه
الزيادة فضل من الله تعالى واحسان اليه فبرز اذا شكره وطاعته ويعلم ان ذلك انما حصل

ابراهيم عليهما السلام
في ذبح ولده وقدروى
عن مجاهد أوحى الله
الزبور الى داود عليه
السلام في صدره أو بأن
يسمعه كلامه الذي
يخلق في بعض الاجرام
من غير أن يصير السامع
من يكلمه وهو المراد
بقوله تعالى (أو من وراء
حجاب) فانه تمثيل له
بحال الملك المتعجب الذي
يكلم بعض خواصه
من وراء الحجاب يسمع
صوته ولا يرى شخصه
وذلك كما كلم موسى
وكا يكلم الملائكة عليهم
السلام أو بأن يكلمه
بواسطة الملك وذلك
بقوله تعالى (أو يرسل
رسولا) أى ملكا (فيوحى)
ذلك الرسول الى المرسل
اليه الذي هو الرسول
البشرى (بأذنه) أى
بأمره تعالى وتيسيره
(ما يشاء) أن يوحى اليه
وهذا هو الذي يجري
بينه تعالى وبين الانبياء
عليهم الصلاة والسلام
في عامة الاوقات من
الكلام وقيل قوله
تعالى وحيا

وقوله تعالى أو يرسل
مصدران واقعان
موقع الحال وقوله تعالى
أو من وراء حجاب ظرف
واقع موقعها والتقدير
وما صح أن يكلم الأوحيا
أو سمع من وراء حجاب
أو مر سلا وقرئ أو يرسل
بالرفع على اضمار مبتدا
وروي أن اليهود قالت
للنبي عليه الصلاة
والسلام الاتكلم الله
وتنظر إليه أن كنت
نبيا كما كلمه موسى ونظر
إليه فأنان نؤمن حتى
تفعل ذلك فقال عليه
السلام لم ينظر موسى
عليه السلام إلى الله
تعالى فنزلت وعن
عائشة رضي الله عنها
من زعم أن محمدا رأى
ربه فقد أعظم على الله
الفرية ثم قالت رضي الله
عنها أول سمعوا ربكم
يقول قلت هذه الآية
(أنه على) متعال عن
صفات المخلوقين
لا يتأتى جريان المفاوضة
بينه تعالى وبينهم
إلا بأحسب قلبه ما وحي
المذكورة موسى وإلى
يجرى أفعاله على سنن

بعض الفضل والكرم (والوجه الثالث) قال بعض المذكرين الاثنى ضعيفة نافضة
عاجزة فقدم ذكرها تنبيها على أنه كلما كان العجز والحاجة أتم كانت عناية الله به أكثر
(الوجه الرابع) كأنه يقال أينها المرأة الضعيفة العاجزة إن أباك وأملك بكرها إن وجودك
فإن كانا قد كرها وجودك فأنما قدمك في الذكر لتعلمي أن المحسن المكرم هو الله تعالى فإذا
علمت المرأة ذلك زادت في الطاعة والخدمة والبهدة عن موجبات الضغن والذم فهذه المعاني
هي التي لأجلها وقع ذكر الاناث مقدما على ذكر الذكور وإنما قدم ذكر الذكور بعد ذلك
على ذكر الاناث لأن الذكر أكبر وأفضل من الاثنى والأفضل الاكمل مقدم على الاخص
الارذل والخاص على ان النظم الى كونه ذكر أو أثنى يقتضى تقديم ذكر الذكر على ذكر الاثنى
أما العوارض الخارجية التي ذكرناها فتدأ وحيث تقدم ذكر الاثنى على ذكر الذكر فلما
حصل المقضى التقديم وانما خفي البابين بجرم قدم هذا مرة وقدم ذلك مرة أخرى
والله أعلم (وأما السؤال الثاني) وهو قوله لم عبر عن الاناث بلفظ التكثير وعن الذكور
بلفظ التعريف فجوابه أن المقصود منه التنبيه على كون الذكر أفضل من الاثنى (وأما
السؤال الثالث) وهو قوله لم قال تعالى في اعطاء الصنفين أو يزوجهم ذكرانا وإنانا فجوابه
أن كل شئئين يقرن أحدهما بالآخر فهما زوجان وكل واحد منهما يقال له زوج والكناية
في تزوجهم عائنة على الاناث والذكور التي في الآية الاولى والمعنى يقرن الاناث
والذكور فيجب عليهم أزواجه (وأما السؤال الرابع) فجوابه أن العقيم هو الذي لا يولد له يقال
رجل عقيم لا يلد وامرأة عقيمة لا تلد وأصل العقيم القطم ومنه قيل المالك عقيم لأنه يقطع
فيه الأرحام بالقتل والعقوق (وأما السؤال الخامس) فجوابه قال ابن عباس يهب لمن
يشاء نانا يريد لوطا وشعبيا عليهما السلام لم يكن لهما إلا البنات ويهب لمن يشاء الذكور
يريد إبراهيم عليه السلام لم يكن له إلا الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإنانا يريد محمدا
صلى الله عليه وسلم كان له من البنين أربعة القاسم والطاهر وعبد الله وإبراهيم ومن
البنات أربعة زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ويجعل من يشاء عتيما يريد عيسى ويحيى
وقال الاكثرون من المفسرين هذا الحكم عام في حق كل الناس لأن المقصود بيان نفع
قدرة الله في تكوين الاشياء كيف شاء وأراد فلم يكن للتخصيص معنى والله أعلم ثم ختم
الآية بقوله انه عليم قدير قال ابن عباس عليم بما خلق قدير على ما يشاء أن يخلق الله أعلم
وقوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا
فيوحي) يشاءه على حكيم وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري
مالم يكن الا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك انتهدي
إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله نصير
الجميع (اعلم انه تعالى لما بين كمال قدرته وعلمه وحكمته اتبعه ببيان انه كيف يخص أنبياءه
بالحكمة وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر

الحكمة فيكم تارة
بواسطة وأخرى بدونها
وأما الهام وأما خطايا
(وكذلك) أي ومن
ذلك الانحسار البدع
(أو حينما اليك روحا
من أمرنا) هو القرآن
الذي هو لقلوب بمنزلة
الروح الابدان حيث
يحييها حياة أبدية
وقيل هو جبريل عليه
السلام ومعنى إيجائه
اليه عندهما السلام
إرساله اليه بأوحي
(ما كنت تدري) قبل
الوحي (ما الكتاب) أي
أي شيء هو (ولا الإيمان)
أي الإيمان بتفاصيل
ما في تضاعيف الكتاب
من الأمور التي لا تمثدي
اليها العقول لا الإيمان
بما يستقل به العقل
والنظر فان دراسته
عليه الصلاة والسلام
لهما لا ريب فيه قطعا
(ولكن جعلناه) أي
الروح الذي أوحيناه
اليك (نورا نهدى به
من نشاء) هدايته (من
عبادنا) وهو الذي
يصرف اختياره نحو
الاهتداء به وقوله تعالى
(واياك انتهدي) تقرير

أن يكلمه الله الأعلى أحد ثلاثة أوجه أما على الوحي وهو الإلهام والتدفق في القلب أو
المنام كما أوحى الله إلى أم موسى وإبراهيم عليه السلام في ذبح ولده وعن مجاهد أوحى الله
تعالى الزبور إلى داود عليه السلام في صدره وأما على أن يسمعه كلامه من غير واسطة مبالغ
وهذا أيضا وحي بدليل أنه تعالى أسمع موسى كلامه من غير واسطة مع أنه سمعه وحيًا قال
تعالى فاستمع لما يوحى وأما على أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيبلغ ذلك الملائكة ذلك
أوحى إلى الرسول البشري فطريق الحصر أن يقال وصول الوحي من الله إلى البشر إما
أن يكون من غير واسطة مبالغ أو يكون بواسطة مبلغ وإذا كان الأول وهو أن يصل إليه
وحي الله بواسطة شخص آخر فهمنا إما أن يقال أنه لم يسمع نين كلام الله أو يسمعه أما
الأول وهو أنه وصل إليه الوحي بواسطة شخص آخر وما سمع عين كلام الله فهو المراد
بقوله الأوحيا وأما الثاني وهو أنه وصل إليه الوحي بواسطة شخص آخر ولكن سمع عين
كلام الله فهو المراد من قوله أو من وراء حجاب وأما الثالث وهو أنه وصل إليه الوحي
بواسطة شخص آخر فهو المراد بقوله أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء واعلم أن كل
واحد من هذه الأقسام الثلاثة وحي الله تعالى خصص القسم الأول باسم الوحي لأن
ما يقع في القلب على سبيل الإلهام فهو يقع دفعة فكان تخصيصه فقط الوحي به أولى فهنا
هو الكلام في تمييز هذه الأقسام بعضها عن بعض (المسئلة الثانية) القائلون بأن الله في
مكان احتجوا بقوله أو من وراء حجاب وذلك لأن التقدير وما كان لبشر أن يكلمه الله
الأعلى أحد ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون الله من وراء حجاب وإنما يصح ذلك لو كان
مخصصا بكان معين وجهة معينة (والجواب) أن ظاهر اللفظ وإن أوهم ما ذكرتم إلا أنه
ذلك الدلائل العقلية والنقلية على أنه تعالى يتمتع حصوله في المكان راجحة فوجب حل
هذا اللفظ على التأويل والمعنى أن الرجل إذا سمع كلاما مع أنه لا يرى ذلك المتكلم كان
ذلك شبهها بما إذا تكلم من وراء حجاب والمشابهة سبب لجواز المجاز (المسئلة الثالثة) قالت
المعتزلة هذه الآية تدل على أنه تعالى لا يرى وذلك لأنه تعالى حصر أقسام وحيه في هذه
الثلاثة وأوصحت رؤى الله أصح من الله تعالى أنه يتكلم مع العبد حال ما يراه العبد
فحينئذ يكون ذلك قسما رابعا زائدا على هذه الأقسام الثلاثة والله تعالى في القسم الرابع
بقوله وما كان لبشر أن يكلمه الله الأعلى أحد هذه الأوجه الثلاثة (والجواب) يزيد في اللفظ
فقد افترس التقدير وما كان لبشر أن يكلمه الله في الدنيا الأعلى أحد هذه الأقسام
الثلاثة وحينئذ لا يلزم ما ذكرتموه وزيادة هذا التقيد وإن كانت على خلاف الظاهر لكنه
يجب المصير إليها لتوفيق بين هذه الآيات وبين الآيات الدالة على حصول الرؤية في يوم
القيامة والله أعلم (المسئلة الرابعة) أجمعت الأمة على أن الله تعالى متكلم ومن سوى
الاشعري وتابعه أطبقوا على أن كلام الله وهذه الحروف المسموعة والاصوات الموثقة
وأما الاشعري وتابعه فأنهم زعموا أن كلام الله تعالى صفة قديمة يعبر عنها بهذه الحروف

لهديته تعالى وبيان
لكيفية ما مفعول تهدي
مخروف ثقة بفساد
الظهور أي وانك
تهدي بذلك التور من
نشاء هديته (الى صراط
مستقيم) هو الاسلام
سائر الشرائع والاحكام
وقرى تهدي أي
ليهديك الله وقرى
لندعو (صراط الله)
بدل من الاول واصله
الى الاسم الجليل ثم
صفه بقوله تعالى (الذي
له ما في السموات وما
في الارض) لتفخيم شأنه
وتعزيز استقامته
وتأكيد وجوب سلوكه
فان كون جميع ما فيها
من الموجودات له تعالى
خالقا ومليكا وتصرفا
ما يوجب ذلك ثم ايجاب
(ألا الى الله تصير
الامور) أي أمور ما
فيها فاطبة لاي غيره
ففيه من الوعد للمهتدين
الى الصراط المستقيم
والوعيد للضالين عنه
ملايخفي * عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة حم عسق
كان ممن تصلي عليه
المذكور
يجري أفعاله الملائكة ويستغفرون
مترجون له

والاصوات (أما الفريق الاول) وهم الذين قالوا كلام الله تعالى هو هذه الحروف
والكلمات فهم فريقان (أحدهما) الخبيلة الذين قالوا بقدم هذه الحروف وهؤلاء
أخس من أن يذكروا في زمرة العقلاء واتفق اني قلت يوما لبعضهم لوتكلم الله بهذه
الحروف اما أن يتكلم بها دفعة واحدة أو على التعاقب والتوالي والاول باطل لان
التكلم بجملته هذه الحروف دفعة واحدة لا يفيد هذا النظم المركب على هذا التعاقب
والتوالي فوجب أن لا يكون هذا النظم المركب من هذه الحروف المتواليه كلام الله
تعالى والثاني باطل لانه تعالى لو تكلم بها على التوالي والتعاقب كانت محدثة ولما سمع ذلك
الرجل هذا الكلام قال الواجب علينا ان نفروا ونرعى نقر بأن القرآن قديم ونمر على هذا
الكلام على وفق ما سمعناه فتجبت من سلامة قلب ذلك القائل وأما العقلاء من الناس
فقد أظنوا على ان هذه الحروف والاصوات كأنه بعد ان لم تكن حاصلة بعد ان كانت
معدومة ثم اختلفت صيغاتهم في انها هل هي مخلوقة أو لا يقال ذلك بل يقال انها حادثة
أو بعبرتها بعبارة أخرى واختلفوا أيضا في ان هذه الحروف هل هي قائمة بذات الله تعالى
أو يخلقها في جسم آخر فالاول هو قول الكرامية والثاني قول المعتزلة وأما الاشعرية
الذين زعموا أن كلام الله صفة قديمة تدل عليها هذه الالفاظ والعبارة فقد اتفقوا على
ان قوله أو من وراء حجاب هو ان الملك والرسول يسمعون ذلك الكلام المنزه عن الحروف
والاصوات من وراء حجاب قالوا وكما لا يبعد ان ترى ذات الله مع انه ليس بجسم ولا في حيز فأرى
بعد في ان يسمع كلام الله مع أنه لا يكون حرفا ولا صوتا وزعم أبو منصور الماتريدي
السرقي أن تلك الصفة القائمة يمتنع كونها مسموعة وانما المسموع حروف وأصوات
يخلقها الله تعالى في الشجرة وهذا القول قريب من قول المعتزلة والله أعلم (المسئلة
الخامسة) قال القاضي هذه الآية تدل على حدوث كلام الله تعالى من وجوه (الاول) ان
قوله تعالى أن يكلمه الله يدل عليه لان كلمة ان مع المضارع تفيد الاستقبال (الثاني) انه
وصف الكلام بأنه وحى لان لفظ الوحي يفيد أنه وقع على أسرع الوجوه (الثالث) ان قوله
أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء يقتضي أن يكون الكلام الذي يبلغه الملك الى الرسول
البشري مثل الكلام الذي سمعه من الله والذي يبلغه الى الرسول البشري حادث في
كان الكلام الذي سمعه من الله مماثلا لهذا الذي بلغه الى الرسول البشري وهذا الذي
بلغه الى الرسول البشري حادث ومثل الحادث وجب أن يقال ان الكلام الذي سمعه
من الله حادث (الرابع) ان قوله أو يرسل رسولا فيوحى يقتضي كون الوحي حاصلا بعد
الارسل وما كان حصوله متأخرا عن حصول غيره كان حادثا (والجواب) اننا نصرف جملة
هذه الوجوه التي ذكرناها الى الحروف والاصوات ونعترف بانها حادثة كأنه بعد ان لم تكن
وبديهة العقل شاهد بان الامر كذلك فاي حاجة الى اثبات هذا المطلوب الذي علمت صحته
بديهة العقل وبظواهر القرآن والله أعلم (المسئلة السادسة) ثبت ان الوحي من الله تعالى

أما أن لا يكون بواسطة شخص آخر وأما أن يكون بواسطة شخص آخر ويمتنع أن يكون كل وحى حاسلا بواسطة شخص آخر والالزم اما التسلسل واما الدور وهم - احتمالان فلا بد من الاعتراف بحصول وحى يحصل لا بواسطة شخص آخر ثم ههنا اثبات (البحث الاول) ان الشخص الاول الذي سمع وحى الله لا بواسطة شخص آخر كيف يعرف ان الكلام الذي سمعه كلام الله فان قلنا انه سمع ذلك الصفة القديمة المنزهة عن كونها حرفا وصوتا لم يبعدانه اذا سمعها علم بالضرورة كونها كلام الله تعالى وان يبعد أن يقال انه يحتاج مدد ذلك الى دلائل زائدة أما ان قلنا ان المسموع هو الحرف والصوت امتنع أن يقطع بكونه كلام الله تعالى الا اذا ظهرت دلالة على أن ذلك المسموع هو كلام الله تعالى (البحث الثاني) ان الرسول اذا سمعه من الملاك كيف يعرف ان ذلك المبلغ ملك معصوم لا شيطان مضل والحق انه لا يمكنه القطع بذلك الا بناء على معجزة تدل على ان ذلك المبلغ معصوم لا شيطان خبيث وعلى هذا التقدير فالوحى من الله تعالى لا يتم الا بثلاث مراتب في تدهور المعجزات (المرتبة الاولى) ان الملاك اذا سمع ذلك الكلام من الله تعالى فلا بد له من معجزة تدل على أن ذلك الكلام كلام الله تعالى (والمرتبة الثانية) ان ذلك الملاك اذا وصل الى الرسول لا بد له ايضا من معجزة (والمرتبة الثالثة) ان ذلك الرسول ان اوصله الى الأمة فلا بد له ايضا من معجزة فثبت ان السكاف لا يتوجه على الخلق الا بعد وقوع ثلاث مراتب في المعجزات (البحث الثالث) انه لا شك ان ملكا من الملائكة قد سمع الوحى من الله تعالى ابتداء فذلك الملك هو جبريل ويقال لعل جبريل سمعه من ملك آخر فاسكنه محقق ولو بألف واسطة ولم يوجد ما يدل على التطوع بواحد من هذه الوجوه (البحث الرابع) هل في البشر من سمع وحى الله تعالى من غير واسطة منتهورا أن موسى عليه السلام سمع كلام الله من غير واسطة بدليل قوله تعالى فاستمع لما يوحى وقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم سمع ايضا قوله تعالى فآوحى الى عبده ما أوحى (البحث الخامس) ان الملائكة يقدرون على أن يظهروا أنفسهم على اشكال مختلفة فتتبدل أن يراه الرسول صلى الله عليه وسلم في كل مرة وجب أن يحتاج الى المعجزة ليعرف ان هذا الذي رآه في هذه المرة عين ما رآه في المرة الاولى وان كان يرى شخصه كانت الحاجة الى المعجزة أقوى لاحتمال انه حصل الاشياء في الصوت ان كان الاشكال في أن الحاجة الى اظهار المعجزة في كل مرة لم يقل به أحد (المسئلة السابعة) دلت المناظرات المذكورة في القرآن بين الله تعالى وبين ايليس على انه تعالى كان يتكلم مع ايليس من غير واسطة فذلك هل يسمى وحيا من الله تعالى الى ايليس أم لا الاظهر منه ولا بد في هذا الموضع من بحث غامض كامل (المسئلة الثامنة) قرأ نافع أو يرسل رسولا برفع اللام فيوحى بسكون الياء ومجمله رفع على تقدير اوهو يرسل فيوحى والباقيون بالنصب على تأويل المصدر كانه قيل ما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو سماعا لكلامه من وراء حجاب أو يرسل لكن فيه اشكال لان قوله وحيا أو سماعا اسم وقوله أو يرسل فعل

* (سورة الزخرف مكية وقيل الاقوله واسأل من أرسلنا واثما نسع وثمانون) *

* بسم الله الرحمن الرحيم * (حم) الكلام فيه كالذى مر في فاتحة سورة يس خلا أن الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما لا قرآن للسورة كما قيل فان ذلك محال بغير الة النظم الكريم (والكتاب) يا جبر على أنه مقسم به اما ابتداء او عطف على حم على تقدير كونه مجرور باباضمار به القسم على أن مدار العطف الفاعلة في العنوان ومناط لكرير التسم المباشرة في تأكيد مضمون الجملة القسمية (المبين) أي المبين ان انزل عليهم ليكون بلغتهم وعلى أساليبهم أو المبين لطريق انهدى من طريق اضلاله الموضح لكل ما يحتاج اليه في أبواب الديانة (انا جعلناه قرآنا عربيا) جواب القسم لكن لا على أن مرجع التأكيده كجمله كذا كقيل بل ما هو غايته

التحقيق والتأكيـ
لكونها مثبتة عن الاعتراف
بأمرهم واتمام النعمة
عليهم وازاحة أعذارهم
أى جعلنا ذلك الكتاب
قرأ ما هر يالكى تفهموه
وتحيطوا بما فيه من النظم
الرائق والمعنى الفائق
وتقفوا على ما ينضمه
من الشواهد الشاطقة
بخروجه من طوق البشر
وتعرفوا حق النعمة في
ذلك وتقطع أعذاركم
بالكلية (وانه في أم الكتاب)
أى فى الأوح المحفوظ فانه
أصل الكتب السماوية
وهى أم الكتاب بالكسر
(لدينا) أى عندنا (لعلى)
رفع القدر بين الكتب
شريف (حكيم) ذو
حكمه بالغذاء ومحكم وهما
خبران لان وما بينهما
بيان لمحل الحكم كأنه قيل
بعد بيان اتصافه بما ذكر
من الوصفين الجليلين
هنا فى أم الكتاب ولدينا
والجمله اما عطف على
الجملة المقسم عليها داخله
فى حكمها فى الاقسام
بأن قرآن على علوقده
عنده تعالى براعة بديعة
وايدان بأنه من علو
الشان بحيث

وعطف الفعل على الاسم فيج فاجيب عنه بان التقدير وما كان لبشر أن يكلمه إلا أن
يوحى اليه وحيا أو يسمع اسما عما وراء حجاب أو يرسل رسولا (المسئلة التاسعة) الصحيح
عند أهل الحق ان عندما يبلغ الملك الوحي الى الرسول لا يقدر الشيطان على انقضاء الباطل
فى أثناء ذلك الوحي وقال بعضهم يجوز ذلك لقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته وقالوا الشيطان ألقى فى أثناء سورة التهم تلك
الغرائب العلى منها الشفاعة ترجى وكان صديقنا الملك سام بن محمد رحمه الله وكان
أفضل من أقيته من أرباب السلطنة يقول هذا الكلام بعد الدلائل القوية القاهرة باطل
من وجهين آخرين (الاول) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رأى فى المنام فقد رآنى
فان الشيطان لا يتل بصورنى فاذا لم يقدر الشيطان على أن يتل فى المنام بصورة الرسول
فكيف قدر على التشبه بجبريل حال اشتغال تبليغ وحى الله تعالى (والثانى) أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما سلك عمر فجا الا وسلك الشيطان فجا آخر فاذا لم يقدر الشيطان
أن يحضر مع عمر فى فح واحد فكيف يقدر على أن يحضر مع جبريل فى موقف تبليغ وحى
الله تعالى (المسئلة العاشرة) قوله تعالى فيوحى بأذنه ما يشاء يعنى فيوحى ذلك الملك بأذن
الله ما يشاء الله وهذا يقتضى ان الحسن لا يحسن لوجه عائد عليه وان القبح لا يقبح لوجه
عائد اليه بل لله أن يأمر بما يشاء من غير تخصيص وان ينهى عما يشاء من غير تخصيص
اذ لو لم يكن الامر كذلك لما صح قوله ما يشاء والله أعلم ثم قال تعالى فى آخر الآية انه على
حكيم يعنى أنه على من صفات المخلوقين حكيم يحى أفعاله على موجب الحكمة فيتكلم
تارة بغير واسطة على سبيل الالهام وأخرى باسماع الكلام وثالثا بتوسيط الملائكة
الكرام ولما بين الله تعالى كيفية أقسام الوحي الى الانبياء عليهم السلام قال وكذلك
أوحينا اليك روحا من أمرنا والمراد به القرآن وسماه روحا لانه يفيد الحياة من موت
الجهل أو الكفر ثم قال تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان واختلف العلماء فى
هذه الآية مع الاجماع على انه لا يجوز أن يقال الرسل كانوا قبل الوحي على الكفر وذكروا
فى الجواب وجوها (الاول) ما كنت تدري ما الكتاب أى القرآن ولا الايمان أى الصلاة
لقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم (الثانى) أن يحمل هذا على
حذف المضاف أى ما كنت تدري ما الكتاب ومن أهل الايمان يعنى من الذى يؤمن ومن
الذى لا يؤمن (الثالث) ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان حين كنت طفلا فى المهد
(الرابع) الايمان عبارة عن الاقرار بجميع ما كلف الله تعالى به وانه قبل النبوة ما كان
عارفا بجميع تكاليف الله تعالى بل انه كان فارقا بالله تعالى وذلك لا ينافى ما ذكرناه
(الخامس) صفات الله تعالى على قسمين منها ما يمكن معرفته بمحض دلائل العقل ومنها
ما لا يمكن معرفته الا بالدلائل السمعية فهذا القسم الثانى لم تكن معرفته حاصلة قبل
النبوة ثم قال تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا واختلفوا فى الضمير

لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام ﴿ ٤٢٧ ﴾ بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك

من حيث الاقسام به
كما أنه كاف فيها من
حيث اعجازه ورمز
الى أنه لا يخضر بالبال
عند ذكره شيء آخر
أولى منه بالاقسام به
واما مستأنفة مقرر
اعلموا شأنه الذي أنبا
عنه الاقسام به على
منهاج الاعتراض في
قوله تعالى واته قسم
لو تعلمون عظيم وبعد
ما بين علو شأن القرآن
العظيم وحقق أنزاله
على لغتهم ليعقلوه
ويؤمنوا به ويعملوا
بموجبه عقب ذلك
بانكار أن يكون الامر
بخلافه فقيل
(أقتضرب عنكم
الذكر) أي تحييد
وتبعده عنكم مجاز من
قولهم ضرب الغرائب
عن الحوض وفيه
اشعار باقتضاء الحكمة
توجه الذكر اليهم
وملازمته لهم كأنه
يتهافت عليهم والغاء
للعطف على محذوف
تقضيده المقام أي
أنهم ملكتهم فتعجبوا الذكر
عنكم (صفحة) أي

في قوله ولكن جعلناه منهم من قال انه راجع الى القرآن دون الايمان لانه هو الذي يعرف
به الاحكام فلا جرم شبه بالنور الذي يهتدى به ومنهم من قال انه راجع اليهم اماما وحسن
ذلك لان معانهم واحد كقوله تعالى واذا راوا تجارة أو اموالهم انفقوا اليها ثم قال نهدي به
من نشاء من عبادنا وهذا يدل على انه تعالى بعد ان جعل القرآن في نفسه هدى كما قال
هدى للمنفين فانه قد يهدي به البعض دون البعض وهذه الهداية ليست عبارة عن
الدعوة وايضا الادلة لانه تعالى قال في سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانك لتهدى الى
صراط مستقيم وهو يفيد العموم بالنسبة الى الكل وقوله نهدي به من نشاء من عبادنا
يفيد الخصوص فثبت أن الهداية بمعنى الدعوة عامة والهداية في قوله نهدي به من نشاء
من عبادنا خاصة والهداية الخاصة غير الهداية العامة فوجب أن يكون المراد من قوله
نهدي به من نشاء من عبادنا أمرا غيرا لاظهار الدلائل ولازالة الاعتذار ولا يجوز أيضا
أن يكون عبارة عن الهداية الى طريق الجنة لانه تعالى قال ولكن جعلناه نورا نهدي به
من نشاء من عبادنا أي جعلنا القرآن نورا نهدي به من نشاء وهذا لا يليق إلا بالهداية التي
تحصل في الدنيا وأيضا فالهداية الى الجنة عند كم في حق البعض واجب وفي حق الآخرين
محذور وعلى التقديرين فلا يبق لقوله من نشاء من عبادنا فائدة فثبت أن المراد انه تعالى
يهدي من يشاء ويضل من يشاء ولا اعتراض عليه فيه ثم قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم
وانك لتهدى الى صراط مستقيم فبين تعالى انه كان القرآن يهدي فكذلك الرسول يهدي
وبين انه يهدي الى صراط مستقيم وبين ان ذلك الصراط هو صراط الله الذي له
ما في السموات وما في الارض شبه بذلك على ان الذي يجوز عبادته هو الذي يملك السموات
والارض والغرض منه ابطال قول من يبعد غير الله ثم قال لا الى الله نصير الامور وذلك
كالوعيد والزجر فيبين ان امر من لا يقبل هذه التكليف يرجع الى الله تعالى أي الى حيث
لاحاكم سواء فيجازي كلامهم بما يستحقه من ثواب أو عقاب (قال رضي الله عنه) ثم تفسير
هذه السورة آخر يوم الجمعة الثامن من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وستمائة * يامدبر الامور
ويا مدهر الدهور ويا معطي كل خير وسرور ويا دافع البلاء والشور أوصلنا الى منازل
النور في ظلمات القبور بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين

﴿ سورة الزخرف وهي تسع وثمانون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في أم الكتاب لدينا على
حكيم أقتضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكم أرسلنا من نبي في الاولين
وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين)
اعلم ان قوله حم والكتاب المبين يحتمل وجهين (الاول) أن يكون التقدير هدمهم والكتاب

إصراضا عنكم على أنه مفعول له المذكور أو مصدر

مؤكد لما دل هو عليه فان انتحية منبئة عن الصفع والاعراض ٤٢٨ قطعاً كأنه قيل أفنصفه عنك

صفعاً أو بمعنى الجانب
فإن تصب على الضربة
أي أفنصفه عنكم جانباً
(أن كنتم قوماً
مفسرين) أي لأن
كنتم منهكم في
المسراف مصرين
عليه على معنى أن حاكمكم
رأى اقتضى تخيبتكم
وشأنكم حتى تموتوا
على الكفر والضلالة
وتنوا في العذاب الخلد
لكننا سمعنا رجلاً
ننفع ذلك بل نهدىكم
إلى الحق بإرسال
الرسول الأمين وأنزل
الكتاب المبين وقرئ
أن بالسكر على أن
الجملة شرطية مخرجة
للحقيق تخرج المشكوك
لاستجهاهم والجزاء
محذوف ثقة بدلالة
ما قبله عليه وقوله
تعالى (وكم أرسلنا
من نبي في الأولين وما
ياتيهم من نبي إلا كانوا
به يستهزئون) تقرير
لما قبله ببيان أن مسراف
الأمم السالفة لم يمنع
تعالى من إرسال الأنبياء
إليهم وتسلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم

المبين فيكون التسمي وإفعاء على أن هذه السورة هي سورة حم ويكون قوله أنا جعلناه قرآناً
عربياً ابتداء للكلام آخر (والثاني) أن يكون التقدير هذه حم ثم قال والكتاب المبين
أنا جعلناه قرآناً عربياً فيكون التسمي عليه هو قوله أنا جعلناه قرآناً عربياً وفي المراد
بالكتاب قولان (أحدهما) أن المراد به القرآن وعلى هذا التقدير فقد أقسم بالقرآن أنه
جعلناه عربياً (الثاني) أن المراد بالكتاب الكتابة والخط أقسم بالكتابة لكثر ما فيها من
المنافع فإن العلوم إنما تكاملت بسبب الخط فإن المقدم إذا استنبط علماً واثبت في كتاب
وجاء المتأخر ووقف عليه أمكن أن يزيد في استنباط النوائد فهذا الطريق تكاثرت
النوائد وانتهت إلى الغايات العظيمة وفي وصف الكتاب بكونه مبيناً وجوه (الأول)
أنه المبين للمبين أنزل إليهم لأنه بلغهم وأساوهم (والثاني) المبين موالدي أبان طريق الهدى
من طريق الضلال وأبطل كل باب مما سواه وجعلها منفصلة للحنس وأعلم أن وصفه بكونه
مبيناً يحازن المبين هو الله تعالى يسمى القرآن بذلك توسعاً من حيث أنه حصل البيان
نفسه أما قوله أنا جعلناه قرآناً عربياً عليكم تسفلون ففقد مسائل (المسألة الأولى) أقائلون
بحدوث القرآن احتجوا بهذه الآية من وجوه (الأول) أن الآية تدل على أن القرآن
مجمول والمجمول هو المصنوع المخلوق فان قالوا لم لا يجوز أن يكون المراد أنه سماه
عربياً قلنا هذا مدفوع من وجهين (الأول) أنه وكان المراد بالجعل هذا الوجه أن من سماه
بجميعاً أن يصير بجميعاً وإن كان بلغة العرب ومعلوم أنه اطل (الثاني) أنه لو صرف
الجعل إلى التسمية لزم كون التسمية مجعولة والتسمية أيضاً كلام الله وذلك بوجوب أنه
فعل بعض كلامه وإذا صح ذلك في البعض صح في الكل (الثاني) أنه وصفه بكونه قرآناً
وهو اسم يسمى قرآناً لأنه جعل بمضه مقروناً لبعض وما كان كذلك كان مصنوعاً معمولاً
(الثالث) أنه وصفه بكونه عربياً وهو إنما كان عربياً لأن هذه الالفاظ إنما اختصت
بسمياتها بوضع العرب واصطلاحاتهم وذلك يدل على كونه معمولاً ومجعولاً (الرابع)
أن القسم بغير الله لا يجوز على ما هو معلوم فكان التقدير حم ورب الكتاب المبين وأنا كذا
هذا أيضاً ياروي أنه عليه السلام كان يقول يارب طه ويسن ويارب القرآن العظيم
(والجواب) أن هذا الذي ذكرتموه حق وذلك لأنكم إنما استدلتتم بهذه الوجوه على كون
هذه الحروف المتوالية والكلمات المتعاقبة محدثة مخلوقة وذلك معلوم بالضرورة ومن
الذي ينازعكم فيه بل كان كلامكم يرجع حاصلة إلى إقامة الدليل على ما عرفت ثبوته
بالضرورة (المسألة الثانية) كلمة لعل للثني والترجي وهو لا يليق بمن كان عالماً بعواقب
الأمور فكان المراد منها ههنا كي أي أنزلناه قرآناً عربياً لكي تعقلوا معناه وتحيطوا
بفحواه قالت المعتزلة فصار حاصل الكلام أنا أنزلناه قرآناً عربياً لا أجل أن تحيطوا بمعناه
وهذا يقيد أمرين (أحدهما) أن أفعال الله تعالى معللة بالأغراض والدواعي (والثاني)
أنه تعالى إنما أنزل القرآن ليهتدى به الناس وذلك يدل على أنه تعالى أراد من الكل

عن استهزاء قوميه وقوله تعالى ﴿ ٤٢٩ ﴾ (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أي من هؤلاء القوم المسرفين عدله

المهدية والمعرفة خلاف قول من يقول انه تعالى أراد من البعض الكفر والاعراض
واعلم ان هذا النوع من استدلالات المعتزلة مشهور وأجوبتنا عنه مشهورة فلا فائدة
في الإعادة والله أعلم (المسئلة الثالثة) قوله لعلمكم تعلمون يدل على ان القرآن معام
وايسر فيه شيء مبهم مجهول خلافا لمن يقول ان القرآن بعضه معلوم وبعضه مجهول ثم قال
تعالى وانه في ام الكتاب لدينا اعلى حكيم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حرة
والكسائي ام الكتاب بكسر الالف والباقون بالغنم (المسئلة الثانية) الضمير في قوله وانه
عائذ في الكتاب الذي تقدم ذكره في أم الكتاب لدينا واختلفوا في المراد بأم الكتاب على
قولين (فانقول الاول) انه اللوح المحفوظ نقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ واعلم
ان على هذا التفسير فالصفات المذكورة هيها كلها صفات اللوح المحفوظ (والصفة
الاولى) انه أم الكتاب والسبب فيه ان اصل كل شيء أمه والقرآن مثبت عند الله في اللوح
المحفوظ ثم نقل الى سماء الدنيا ثم أزل حاله بعد طمان بحسب المصلحة عن ابن عباس رضى
الله عنهما اول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق فالتكتاب عنده فان
قبل وما الحكمة في خلق هذا اللوح المحفوظ مع انه تعالى علام الغيوب ويستحيل عليه
العمل بالنسيان قلنا انه تعالى لما ثبت في ذلك أحكام وادب المخلوقات ثم ان الملازمة
يسعدون ان جميع الحوادث انما تحدث على موافقة ذلك المكتوب استدلوا بذلك
على كمال حكمة الله وعلمه (الصفة الثانية) من صفات اللوح المحفوظ قوله لدينا هكذا
ذكره ابن عباس وانما خصه الله تعالى بهذا التشريف لكونه كتابا جامع الاحوال جميع
المحدثات فكانت في الكتاب المشتمل على جميع ما يقع في ملك الله وملكوته فلا جرم حصل له
هذا التشريف قال الواحدى ويحتمل أن يكون هذا صفة القرآن والتقدير وانه لدينا
في أم الكتاب (الصفة الثالثة) كونه علويا والمعنى كونه عاليا عن وجوه الفساد والبطلان
وقيل المراد كونه عاليا على جميع الكتب بسبب كونه معجزا باقيا على وجه اندهر (الصفة
الرابعة) كونه حكيما أى محكما في أبواب البلاغة والفصاحة وقيل حكيم أى ذو حكمة
بالغة وقيل ان هذه الصفات كلها صفات القرآن على ما ذكرناه (والقول الثاني) في تفسير
أم الكتاب انه الآيات المحكمة لقوله تعالى هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات
هن أم الكتاب ومعناه ان سورة حم واقعة في الآيات المحكمة التي هي الاصل والام
ثم قال تعالى أنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين وفيه مسائل (المسئلة
الاولى) قرأ نافع وحزق والكسائي ان كنتم بكسر الالف تقديره ان كنتم مسرفين
لانضرب عنكم الذكر صفحا وقيل ان بمعنى اذكروه تعالى وذروا ما بقى من الزبان كنتم
مؤمنين وبالجملة فالجزء مقدم على الشرط والباقون بفتح الالف على التعليل أى لان
كنتم مسرفين (المسئلة الثانية) قال القراء والزجاج يقال ضربت عنه وأضربت عنه أى
تركته وامسكت عنه وقوله صفحا أى اعراضا والاصل فيه انك توأيت بصفحة عنقك وعلى

عليه الصلاة والسلام
ووعيد لهم بمثل ما جرى
على الاولين ووصفهم
بأشدية البطش لاثبات
حكمهم لهؤلاء بطريق
الاولوية (ومضى مثل
الاولين) أى ساف
في قرآن غير مرة ذكر
قصتهم التي حقها
ان تسميرهم المثل (ولئن
سألهم من خلق
السموات والارض
أيقنوا ون خلقهم من الزبر
العلم) أى ليستند
خلقها الى من هذا
شأنه في الحقيقة وفي نفس
الامر لانهم يعبرون
عنه بهذا العنوان
وسلك هذه الطريقة
للاشعار بان انصافه
تعالى بما سرد من جلائل
الصفات والافعال
وبما يستلزمه ذلك من
البهت والجزاء أمر بين
لا ريب فيه وأن الحجة
قائمة عليهم شأوا أو
أبوا وقد جوز أن يكون
ذلك عين عبارتهم
وقوله تعالى (الذى جعل
لكم الارض مهادا)
استئناف من جهته
تعالى أى بسطها لكم
تستقرون فيها (وجعل لكم فيها

سبلا) تسلكونها في أسفاركم (اعلمكم تهتدون) أي لكي تهتدوا بسلوكمها ﴿٤٣٠﴾ إلى مقاصدكم أو بالتفكر فيها إلى

التوحيد الذي هو المقصد الأصلي (والذي نزل من السماء بما يقدر) بمقدار تقضيه مشيئته المبينة على الحكم والمصالح (فأنشمرنا به) أي أحينا بذلك الماء (بلدة ميتا) خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لأن البلدة في معنى البلد والمكان والالتفات إلى نون العظمة لظهور كمال العناية بأمر الأحياء والاشمار يعظم خطره (كذلك) أي مثل ذلك الأحياء الذي هو في الحقيقة إخراج النبات من الأرض (تخرجون) أي تبعثون من قبوركم أحياء وفي التعبير عن إخراج النبات بالإنشاء الذي هو أحياء الموتى وعن أحيائهم بالإخراج تفخيم لشأن الأنبياء وتهوين لأمر البعث لتقوم سنن الاستدلال وتوضح منهاج القياس (والذي خلق الأزواج كلها) أي

هذا فقوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا تقديره أفنضرب عنكم اضربا أو تقديره أفنصفح عنكم صفحا واختلفا في معنى الذكر فقليل معناه أفنزد عنكم ذكر عذاب الله وقل أفنزد عنكم النصائح والمواعظ وقل أفنزد عنكم القرآن وهذا استفهام على سبيل الإنكار يعني أنا لا نترك هذا الإعذار والإنذار بسبب كونكم مسرفين قال قتادة لو أن هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا ولكن الله برحمته كرره عليهم ودعاهم إليه عشرين سنة إذا عرفت هذا فنقول هذا الكلام يحتمل وجهين (الاول) الرحمة يعني أنا لا نترككم مع سوء اختياركم بل نذكركم ونعظكم إلى أن ترجعوا إلى الطريق الحق (الثاني) المبالغة في التغليظ يعني أنظنون أن تتركوا مع ما ترون كلابا نلزمكم العمل وندعوكم إلى الدين ونؤاخذكم متى أخلأتم بالواجب وأقدمتم على القبيح (المسئلة الثالثة) قال صاحب الكشاف الغاء في قوله أفنضرب للعطف على محذوف تقديره أنه لم يكن فتنضرب عنكم الذكر ثم قال تعالى وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون والمعنى إن عادة الأمم مع الأنبياء الذين يدعونهم إلى الدين الحق هو التكذيب والاستهزاء فلا ينبغي أن تتأذى من قومك بسبب إقدامهم على التكذيب والاستهزاء لأن المصيبة إذا عمت خفت ثم قال تعالى فأهلكنا أشد منهم بطشا يعني أولئك المتقدمين الذين أرسل الله إليهم الرسل كانوا أشد بطشا من قريش يعني أكثر عددا وجلدا ثم قال ومضى مثل الأولين والمعنى إن كفار مكة سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فيحذروا أن يعزل بهم من الحزبي مثل ما عزلهم فقد ضر بنا لهم مثلهم كما قال وكلاضر بنا له الأمثال وكفوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلى قوله وضر بنا لكم الأمثال والله أعلم ﴿٤٣١﴾ قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون) والذي نزل من السماء بما يقدر فأنشمرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما ترون تلتسنونوا على ظهوره ثم تذكروا نعمه ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي هخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا المنقلبون) اعلم أنه قد تقدم ذكر المسرفين وهم المشركون وتقدم أيضا ذكر الأنبياء فقوله ولئن سألتهم ليقولن أن يرجع إلى الأنبياء ويحتمل أن يرجع إلى الكفار لأن الأقرب رجوعه إلى الكفار فيبين تعالى أنهم مقرون بأن خالق السموات والأرض وما بينهما هو الله العزيز الحكيم والمقصود أنهم مع كونهم مقرنين بهذا المعنى يفيدون معه غيره وينكرون قدرته على البعث وقد تقدم الأخبار عنهم ثم أنه تعالى ابتداء والاعلى نفسه بذكر مصنوعاته فقال الذي جعل لكم الأرض مهدا ولو كان هذا من جملة كلام الكفار لوجب أن يقولوا الذي جعل لنا الأرض مهدا ولأن قوله في إنشاء الكلام

فأنشأنا به بلدة ميتا لا يلقى الا بكلام الله ونظيره من الكلام الناس أن يسمع الرجل رجلا
يقول الذي بنى هذا المسجد فلان العالم فيقول السامع لهذا الكلام الزاهد الكريم كان
ذلك السامع يقول أنا أعرفه بصفات جديدة فوق ما تعرفه فازيدني وصفه فيكون الثعنان
جميعا من رجلين لرجل واحد اذا عرفت كيفية النظم في الآية فتقول انها تدل على
انواع من صفات الله تعالى (الصفة الاولى) كونه خائفا للسماوات والارض والمتكلمون
بينوا ان اول العلم بالله العلم بكونه محدثا للعالم فاعل له فلهمذا السبب وقع الابتداء بذكر
كونه خائفا وهذا انما يتم اذا فسرنا الخلق بالاحداث والابداع (الصفة الثانية)
العزیز وهو الغالب وما لا جل له يحصل المكنة من الغلبة هو القدرة فكان العزیز اشارة
الى كمال القدرة (والصفة الثالثة) العليم وهو اشارة الى كمال العلم واعلم ان كمال العلم
والقدرة اذا حصل كان الموصوف به قادرا على خلق جميع الممكنات فلهذا المعنى أثبت
تعالى كونه موصوفا بهاتين الصفتين ثم فرع عليه سائر التفاصيل (الصفة الرابعة)
قوله الذي جعل لكم الارض مهذا وقد ذكرنا في هذا الكتاب ان كون الارض مهذا انما
حصل لاجل كونها واقفة ساكنة ولاجل كونها موصوفة بصفات مخصوصة باعتبارها
يمكن الانتفاع بها في الزراعة وبناء الابنية وفي كونها سائرة لغروب الاحياء والاموات
ولما كان المهد موضع الراحة للصبي جعل الارض مهذا لكثرة ما فيها من الراحة
(الصفة الخامسة) قوله وجعل لكم فيها سبيلا والمقصود ان انتفاع الناس انما يكمل اذا
قدر كل أحد ان يذهب من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم ولولا ان الله تعالى هبأ تلك
السبل ووضع عليها علامات مخصوصة والا لما حصل هذا الانتفاع ثم قال تعالى اعلمكم
تهتدون بمعنى المقصود من وضع السبل ان يحصل لكم المكنة من الاهتداء والشأنى
المعنى لتهتدوا الى الحق في الدين (الصفة السادسة) قوله تعالى والذي نزل من السماء
ماء بقدرنا أنشأنا به بلدة ميتا وههنا مباحث (أحدها) ان ظاهر هذه الآية يقتضى
ان الماء ينزل من السماء فهل الامر كذلك أو يقال انه ينزل من السحاب وسمى نازلا
من السماء لان كل ما ساءك فومعه وهذا البحث قد مر ذكره بالاستقصاء (وثانيها)
قوله بقدرنا أى انما ينزل الماء من السماء بقدر ما يحتاج اليه أهل تلك البقعة من غير زيادة
ولا نقصان لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أغرقهم بل بقدر حتى يكون معاشا
لكم ولانعامكم (وثالثها) قوله فأنشأنا به بلدة ميتا أى خالية من النبات فاحييناها وهو
الانشار ثم قال كذلك تخرجون بمعنى ان هذا الدليل كما يدل على قدرة الله وحكمته فكذلك
يدل على قدرته على البعث والقيامة ووجه التشبيه انه يجعلهم احياء بعد الاماة كهذه
الارض التى انشئت بعد ما كانت ميتة وقوله تخرجون من الارض بما كاثرت فيها
ويخرجهم من الارض بما كاثرت فيها (الصفة السابعة) قوله تعالى والذي
في ظاهر الالفاظ الاثبات الاعادة فقط

أصناف المخلوقات ومن
ابن عباس رضى الله عنهما
الازواج الضروب
والانواع كالخمر والحامض
والابيض والاسود
والذكر والانثى وقيل
كل ما سوى الله تعالى
فهو زوج كالفوق
والثقت واليمين واليسار
الى غير ذلك (وجعل لكم
من الفلك والانعام ما
تركبون) أى ما تركبونه
تغلب بالانعام على الفلك
فان الركوب متعدية بنفسه
واستعماله فى الفلك
ونحوها بكلمة فى الرمن
الى مكانيتها وكون
حر كنها غير ارادية كما
مر فى سورة هود عند
قوله تعالى وقال اركبوا
فيها (انستوا على ظهوره)
أى لتستعملوا على ظهور
ما تركبونه من الفلك
والانعام والجمع باعتبار
المعنى (ثم تذكروا نعمته
ربكم اذا استويتم عليه)
أى تذكروا بها قبلوكم
معتزفين بها مستغظا لها
ثم تحمدوا عليها بالستكم
(وتقوالوا سبحان الذى
سخر لنا هذا) متجيين
من ذلك كما يروى عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه

خلق الأزواج كلها قال ابن عباس الأزواج الضروب والأنواع كالحاوي والحامض
والأبيض والأسود والدكر والانثى وقال بعض المحققين كل ما سوى الله فهو زوج كالفوق
والتحت واليمين واليسار والقدام والخلف والماضي والمستقبل والذوات والصفات
والصيف والشتاء والربيع والخريف وكونها أزواجاً يدل على كونها ممكنة الوجود في
ذواتها محدثة مسبوقة بالعدم فاما الحق سبحانه فهو الفرد الممتزج عن الضد والند والمقابل
والعاصد فلهذا قال سبحانه والذي خلق الأزواج كلها أي كل ما هو زوج فهو مخلوق فدل
هذا على أن خالفها فرد مطلق ممتزج عن الزوجية وأقول أيضاً العلماء يعلم الحساب يبنوا أن
الفرد أفضل من الزوج من وجوه (الاول) أن أقل الأزواج هو الاثنان وهو لا يوجد
الا عند حصول وحدتين فالزوج يحتاج الى الفرد والفرد وهو الوحدة غنية عن الزوج
والغنى أفضل من المحتاج (الثاني) أن الزوج يقبل القسمة بقسمين متساويين والفرد هو
الذي لا يقبل القسمة وقبول القسمة انفعال وتأثر وعدم قبولها قوة وشدة ومقاومة فكان
الفرد أفضل من الزوج (الثالث) أن العدد الفرد لا بد وأن يكون أحد قسميه زوجاً والثاني
فرداً فالعدد الفرد حصل فيه الزوج والفرد معاً وأما العدد الزوج فلا بد وأن يكون كل
واحد من قسميه زوجاً والمشمول على القسمين أفضل من الذي لا يكون كذلك (الرابع) أن
الزوجية عبارة عن كون كل واحد من قسميه معادلاً للقسم الآخر في الذات والصفات
والمقدار وإذا كان كل ما حصل له من الكمال فله حاصل غير لم يكن هو كمالاً على الإطلاق
أما الفرد فالفردي كماله خاصة لا غيره ولا لاله فكان كماله حاصله لا غيره فذكر أفضل
(الخامس) أن الزوج لا بد وأن يكون كل واحد من قسميه مشاركاً للقسم الآخر ببعض
الامور ومغايراً له في أمور أخرى وما به المشاركة غير ما به المخالفة فكل زوجين فهما ممكنان
الوجود لذاتيهما وكل ممكن فهو محتاج فثبت أن الزوجية منشأ الفقر والحاجة وأما
افردانية فهي منشأ الاستغناء والاستقلال لأن العدد محتاج الى كل واحد من تلك
الوحدات وأما كل واحد من تلك الوحدات فانه غني عن ذلك العدد فثبت أن الأزواج
ممكنات ومحدثات ومخلوقات وأن الفرد هو القائم بذاته المستقل بنفسه الغني عن كل
ما سواه فلهذا قال سبحانه والذي خلق الأزواج كلها (الصفة الثامنة) قوله وجعل لكم
من الفلك والأنعام ما تركبون وذلك لأن السفر اما سفر البحر أو سفر البر اما سفر البحر
فالحامل هو السفينة وأما سفر البر فالحامل هو الانعام وههنا سؤالان (الاول) لم يقل
على ظهورها أجابوا عنه من وجوه (الاول) قال أبو حنيفة التذكير قوله ما والتقدير
ما تركبوه (الثاني) قال القراء أضاف الظهور الى واحد فيه معنى الجمع بمنزلة الجيش
والجند ولذلك ذكر وجع الظهور (الثالث) أن هذا التأنيث ليس تأنيثاً حقيقياً فجاز أن
يختلف اللفظ فيه كما قال عندي من النساء من يوافقك (السؤال الثاني) يقال ركبوا
الانعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسيتين فكيف قال تركبون (والجواب) غلب

كان اذا وضع رجله في
الركاب قال بسم الله فاذا
استوى على الدابة قال
الحمد لله على كل حال
سبحان الذي منحنا
هذا الى قوله تعالى لنقلبون
وكبر ثلاثاً وهلل ثلاثاً
(وما كنا له مقرنين) أي
أي مطبقين من أقرن
الشيء اذا أطاقه وأصله
وجدته قريبة لأن الصعب
لا يكون قريباً للصعب
وقرى بالتشديد والمعنى
واحد وهذا من تمام ذكر
نعمته تعالى اذ يدون
استغفار النعم عليه بالبحر
عن تحصيل النعمة لا يعرف
قدرها ولا حق النعم بها
(وانا الى ربنا لنقلبون)
أي راجعون وفيه ايدان
بأن حق الركب أن
يتأمل فيما لا يبسه من
السيرة ويتذكر منه
المسافة العظمى التي
هي الانقلاب الى الله
تعالى فيبني أموراً في مسيره
ذلك على تلك الملاحظة
ولا يخطر بباله في شيء
مما يأتي ويذر أمراً
يتأفها ومن ضرورته
أن يكون ركباً به لا مرس

(وجعلوا له من عباده جزءاً) متصل بقوله تعالى وثن سألهم الخ أي وقد جعلوا له سبحانه بالسنن واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدوا وانما عبر عنه بالجزء ٤٣٣ لزيد استحالته في حق الواحد الحق من جميع الجهات

وقرى جزأين (ان الانسان الكفور مبين) ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحانه الله عما يصفون (أم تخذلنا خلقاً) أم منقطعة وما فيها من معنى بل الانقصال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولما على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من أخس صنفيه والنهضة لانكار والتوبيخ والتعجب من شأنهم وقوله تعالى (وأصفاكم بالبينين) اما عطف على انخذل في حكم الانكار والتعجب أو حال من فاعله باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور والالفاظ الى خطابهم لتأكيد الالزام وتشديد التوبيخ أي بل أنخذل من خلقه أخس الصنفين واختار لكم أفضلهما على معنى هبوا أنكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحاله وامتناعه أما كان لكم شيء من العقل وينذ من الحياء حتى ٥٥ سا اجترأتم على التقوى بالعظمة الخارقة للقول من ادعاء أنه تعالى أنركم على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وتركه شرهما وادناهما وتشكيران وتعریف

المتعدي بغير واسطة قوته على المتعدي بواسطة ثم قال تعالى ثم تذكروا نسخة ربكم اذا استويتم عابدين ومعنى ذكر نعمة الله أن يذكره في ما يوجبهم وذلك الذكر هو أن يعرف ان الله تعالى خلق وجه البحر وخلق الرياح وخلق جرم السفينة على وجهه يترك الانسان من تصرف هذه السفينة الى أي جانب شاءوا راغداً تذكروا ان خلق البحر وخلق الرياح وخلق السفينة على هذه الوجوه اذ لا يصير بغات الانسان البحر يكاتبه من ذلك الانسان وانما هو من تدبير الحكيم العليم القادر على ان يخلق نعمة عظيمة من الله تعالى فيحمله ذلك على الانقياد والطاعة له تعالى وعلى الانشغال بالشكر نعمه التي لا نهاية لها ثم قال تعالى وتقولوا سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين واعلم انه تعالى عين ذكرنا معينا لركوب السفينة وهو قوله بسم الله بحرنا وما سخرنا هذا لركوب السفينة وهو قوله سبحانه الذي سخر لنا هذا وذكرنا دخول المنازل ذكرنا آخر وهو قوله رب أنزلى من السماء ماء كالأمانت خير المزيلين وتحقيق القول فيه ان الدابة التي يركبها الانسان لا بد وان تكون أكثر قوة من الانسان بكثير وليس لها عقل يهتدي بها الى طاعة الانسان ولكنه سبحانه خلق تلك البهيمة على وجه مخصوص في خلقها الظاهر وفي خلقها الباطن يحصل منها هذا الاتفاغ اما خلقها الظاهر فلائها تمضي على أربع قوائم فكان ظاهرها كما وضع الذي يحسن استقرار الانسان عليه واما خلقها الباطن فلائها تم قوتها الشديدة قد خلقها الله سبحانه بحيث تصير منافاة للانسان وسخرنا له فاذ انما في الانسان في هذه العجائب وغاص بعلمه في مدارها الاسرار عظم تعجبه من تلك القدرة القاهرة والحكمة الغير المتناهية فلا بد وان يقول سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال أبو عبيدة فلان مقرن اعلان أي ضابط له قال الواحدي وكان اشتقاقه من قوتك ضرب به قرنا ومعنى ناقرن فلان أي مثله في الشدة فكان المعنى انه ليس عندنا من القوة والطاغاة ان نقرن هذه الدابة واقلاماً وان فضبطم. ان سبحانه من سخرها لنا بعاد وحكمته وكان قدرته روى صاحب الكشف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجليه في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحانه الذي سخر لنا هذا الى قوله لنقايون وروى القاضى في تفسيره عن أبي عبد الله الحسن بن علي عليه السلام رأى رجلاً ركب دابة فقال سبحانه الذي سخر لنا هذا فقال له ما بهذا أمرت أمرت أن تقول الحمد لله الذي هدانا لهذا لا الحمد لله الذي من علينا الحمد لله الذي هدانا لهذا الحمد لله الذي جعلنا من خير أمة أخرجت للناس ثم تقول سبحانه الذي سخر لنا هذا وروى أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا سافر وركب راحلته كبيراً ثلاثاً ثم يقول سبحانه الذي سخر لنا هذا ثم قال اللهم اني أسألك في سفرى هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا السفر واطو عنا بعد الارض اللهم أنت صاحب السفر والخليفة على الامل اللهم احببنا في سفرنا واخفنا في أهنا وكان اذارجع الى أهله يقول آيرون تأيرون

العقل وينذ من الحياء حتى ٥٥ سا اجترأتم على التقوى بالعظمة الخارقة للقول من ادعاء أنه تعالى أنركم على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وتركه شرهما وادناهما وتشكيران وتعریف

البين لتربية ما اعتبر فيها من الحقارة والنفخامة (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرجن مثلاً) الخ استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى أنهم نسبوا إليه ما ذكره ٢٣٤ * ومن حاشية أن أحدهم اذا بشر به اغتم والالتفات

للايدان باقتضاء ذكر قبائحهم أن يعرض عنهم وتحمكي لغيرهم تعجيباً منها أي اذا أخبر أحدهم بولادة ما جعله مثلاً له سبحانه اذا ولد لا بد أن يجانس الوالدو بمثاله (نزل وجهه مسوداً) أي صار أسود في الغاية من سوء ما بشر به (وهو كظيم) مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال وقرئ مسود ومسود على أن في ظل ضمير المبشرو وجهه مسود جملة وقعت خبره (أو من ينشأ في الحلية) تكرير الانتكار وثنية لتوبيخ ومن منصوبة بمنشأه مطوف على جعلوا أي أو جعلوا من شأنه أن يربي في الزينة وهو عاجز عن أن يتولى أمره بنفسه فالهجرة لا نكار الوقع واستقباحه وقد جوزوا تصابيحها بمضمر معضوف على اتخذ فالهجرة حينئذ لا نكار الوقوع واستقباحه واقحامها بين المطوفين لتذكير ما في أم المتكلمة من الانتكار وتأكيده

ربنا حامدون قال صاحب الكشاف دلت هذه الآية على خلاف قول المخبر من وجوه (الاول) انه تعالى قال تسووا على ظهوره ثم تذكروا نعمه ربكم فذكره بلام كي وهذا يدل على انه تعالى أراد منا هذا الفعل وهذا يدل على بطلان قولهم انه تعالى أراد الكفر منه وأراد الاصرار على الانتكار (الثاني) ان قوله تسووا يدل على أن فعله معمل بالأغراض (الثالث) انه تعالى بين ان خلق هذه الحيوانات على هذه الطبائف انما كان لغرض أن يصدر الشكر عن العبد فلو كان فعل العبد لله تعالى لكان معنى الآية اني خلقت هذه الحيوانات لاجل أن أخلق سبحانه الله في لسان العبد وهذا باطل لانه تعالى قادر على أن يخلق هذا اللفظ في لسانه بدون هذه الوسائط واعلم ان الكلام على هذه الوجه معلوم فلافائدة في الاعادة ثم قال تعالى وانالي ربنا المتقربون واعلم ان وجه اتصال هذا الكلام بما قبله ان ركوب الفلك في خطر الهلاك فانه كثير ما تنكسر السفينة ويهلك الانسان وراكب الدابة أيضا كذلك لان الدابة قد يتفق اهما اتفاقات توجب هلاك الراكب واذا كان كذلك فركوب الفلك والدابة يوجب تعرض النفس الهلاك فوجب على الراكب أن يتذكر أمر الموت وان يقطع انه هالك لا محالة وانه منقلب الى الله تعالى وغير منقلب من قضائه وقدره حتى لو اتفق له ذلك المحذور كان وطمع نفسه على الموت * قوله تعالى (وجعلوا له من عباده جزءاً) ان الانسان تكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم البين واذا بشر أحدهم بما ضرب للرجن مثلاً نزل وجهه مسوداً وهو كظيم أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اباناً أشهدوا خلقهم سكتب شهادتهم ويستأون) اعلم انه تعالى لما قال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بين انهم مع اقرارهم بذلك جعلوا له من عباده جزءاً والمقصود منه التنبيه على قلة عقولهم وخافت محصوراتهم في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأنا صم في رواية أبي بكر جزءاً يضم الزاي والهجرة في كل القرآن وهما الغتان واما حرة فاذا وقف عليه قال جزءاً يفتح الزاي بلاهجرة (المسئلة الثانية) في المراد من قوله وجعلوا له من عباده جزءاً قولان (الاول) وهو المشهور ان المراد انهم أثبتوا له ولدا وتقرر الكلام ان ولداً رجل جزء منه قال عليه السلام فاطمة بضعة مني ولان المفعول من الوالد ان يفصل عنه جزء من أجزائه ثم يربي ذلك الجزء ويولد منه شخص مثل ذلك الاصل واذا كان كذلك فولد الرجل جزء منه و بعض منه فقوله وجعلوا له من عباده جزءاً معنى جعلوا حكموا وأثبتوا وقاؤا به والمعنى انهم أثبتوا له جزءاً وذلك الجزء هو عبد من عباده واعلم انه لو قال وجعلوا له عباده منه جزءاً لا فاد ذلك انهم أثبتوا انه حصل جزء من أجزائه في بعض عباده وذلك هو الولد فكذا قوله وجعلوا له من عباده جزءاً معناه وأثبتوا له جزءاً وذلك الجزء هو عبد من عباده والحاصل انهم أثبتوا لله ولداً وذكروا في تقرير هذا القول وجوهاً أخر فقالوا الجزء هو الانثى في لغة العرب واختجوا في اثبات هذه اللغة بينتين فالاول قوله

والعطف للتغاير العنوان أي اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته (وهو) مع ما ذكر من القصور (في) * ان * (الخصام) أي الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه

١١ ثمان في الصلاة (غير مبين) عز وجل على امرير دعوا واحامد حجة نقصان عقله وضعه رايه واصافه غير لا تمنع عمل ما بعده في الجار المتقدم لانه بمعنى التي وقرئ ١٣٥ ينشأ وينشأ من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى واحد

واظيره غلاء وأغلاء
وغلاء (وجعلوا الملائكة

الذين هم عباد الرحمن
اناما) بيان انهم كفروهم

لذكور وكفروا آخر وتذريع
لهم بذلك وهو جملتهم

أكل العبادوا كرمهم
على الله عز وجل أنفهم

رايا وأخسهم صنفنا
وقرئ عبيد الرحمن

وقرئ عند الرحمن على
تشيل زلفهم وقرئ انشا

وهو جملتهم (أشهدوا
خلقهم) أي أحضروا

خلق الله تعالى اياهم
فشاهدوهم انما حتى

يحكموا بانوثهم فان
ذلك مما يعلم بالمشاهدة

وهو تجهيل لهم وتهم
يهم وقرئ أشهدوا

بهمزتين مفتوحة
ومضومة وآشهدوا

بألف يثهما (ستكتب
شهادتهم) هذه في ديوان

أعمالهم (ويستلون)
غنها يوم القيامة وقرئ

سيكتب وستكتب بالياء
والنون وقرئ شهاداتهم

وهي قولهم ان الله جزأ
وان له بنات وان الملائكة

وقرئ بساء لون من
المساءلة للمبالغة (وقالوا

نوشاء الرحمن ما عبدناهم)
بيان لقن آخر من كفرهم أي لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم أرادوا بذلك بيان أن ما فعلوه حق

مرضى عنده تعالى

ان اجزأت حرة يوما فلا يحب * قد تجزئ الحرة المذكاة أحيانا

وقوله زوجتهما بنات الاوس مجزئة * للموسج المدن في أياتها غزل

وزعم الزجاج والازهرى وصاحب الكشاف ان هذه الالف فاسدة وان هذه الايات
مصنوعة (وانقول الثاني) في تفسير الآية ان المراد من قوله وجعلوا له من عباده جزأ

البنات اشركاء لله وذلك لانهم لما ثبتوا الشركاء لله تعالى قد دعوا ان كل العباد ليس لله
بل بعضهم الله وبعضها غير الله فهم ما جعلوا لله من عباده كلهم بل جعلوا له منهم بعضا

وجزأ منهم قالوا والذي يدل على ان هذا القول أول من الاول اننا اذا حملنا هذه الآية
على انكار اشريك لله وحملنا الآية التي بعدها على انكارنا والله كانت الآية جامدة

لارد على جميع المبطلين ثم قال تعالى ام اتخذتم ايتاخ بنات وأصفاكم بالبنين واعلم انه تعالى
رتب هذه المظاهرة على أحسن الوجوه وذلك لانه تعالى بين ان البنات الولد لله محال وبه تقدير

أن ثبت الولد فجعله بنتا أيضا محال أما بيان ان البنات الولد لله محال فلان الولد لا بد وان
يكون جزأ من الولد وما كان له جزء كان مركبا وكل مركب ممكن وأبضا ما كان كذلك

فانه يقبل الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق وما كان كذلك فهو عبيد محدث فلا
يكون الها قدما أزاليا (واما المقام الثاني) وهو ان بتقدير ثبوت الولد فانه يمتنع كونه بنتا

وذلك لان الابن أفضل من البنت فلو قلنا انه اتخذ لنفسه بنات وأعطى البنين لعباده لم
أن يكون حال العبد أكل وأفضل من حال الله وذلك مدفوع في بديهة العقل يقال

أصفيت فلانا بكذا أي أثرته به ايثارا حصل له على سبيل الصفاء من غير أن يكون له فيه
مشارك وهو كقوله أفأصفاكم بكم بالبنين ثم بين نقصان البنات من وجوه (الاول) قوله

واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم والمعنى ان الذي بلغ
حاله في النقص الى هذا الحد كيف يجوز له ما قل اثباته لله تعالى وعن بعض العرب ان

امرأته وضعت أنثى فهجرت البيت الذي فيه المرأة فقالت
مالا بي حرة لا يأتينا * يظل في البيت الذي يلينا * غضبان أن لاند الميئنا

ليس لسان من أمرنا ماشينا * وانما نأخذ ما أعطينا
وقوله ظل أي صار كما يستعمل اكثر الافعال الناقصة قال صاحب الكشاف قرئ مسود

ومسود والتقدير وهو مسود فتقع هذه الجملة موقع الخبر (والثاني) قوله أو من ينشأ في
الحلية وهو في الخصام غير مبين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حرة والكسائي وحفص

من عاصم بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين على ما لم يسم فاعله أي ير بي والياقون ينشأ
بضم الياء وسكون النون وفتح الشين قال صاحب الكشاف وقرئ ينشأ قال ونظير

المنشأة بمعنى الانشاء المفاعلة بمعنى الاغلاء (المسئلة الثانية) المراد من قوله أو من ينشأ في
الحلية التنيه على نقصانها وهو ان الذي ير بي في الحلية يكون ناقص الذات لانه لو لا نقصان

في ذاتها لما احتاجت تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بطريق آخر وهو قوله وهو

بيان لقن آخر من كفرهم أي لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم أرادوا بذلك بيان أن ما فعلوه حق

مرضى عنده تعالى

وأنهم انما يملونه بمشيئته تعالى لا الاغترار من ارتكاب ما ارتكبه بأنه بمشيئته تعالى اياه منهم مع اعترافهم بمشيئته
يتضمن ذمهم به دليلا للمعزلة وبني كلامهم الباطل ٤٣٦ على مقدمتين احدهما ان عباده لهم بمشيئته

تعالى والثانية ان ذك

مستلزم لكونها امر ضيق

عنده تعالى ونقدنا أخطوا

في الثانية حيث جعلوا

أمر المشيئة عبارة عن

ترجيح بعض الممكنات

على بعض كانهما كان

من غير اعتبار الرضا أو

المسخط في شيء من

الطرفين ولذلك جعلوا

بقوله تعالى (مالهم بذلك)

أي بما أرادوا بقولهم

ذلك من كون ما فعلوه

بمشيئته الارضاء لا بمطلق

المشيئة فان ذلك محقق

ينطبق به ما لا يخصى من

الآيات الكريمة (من

علم) يستند الى سندما

(انهم الايخرون)

يتعلون بمحلا باطلا وقد

جوز أن يشار بذلك الى

أصل الدعوى كانهما

أظهروا وجوه فسادها

وحكى شبههم المزيفة

نفي أن يكون لهم بها علم

من طريق العقل ثم

أضرب عنه الى ابطال

أن يكون لهم سند من

جودة النقل قبل (أم

آتيانهم كتابا من قبله)

من قبل القرآن أو من قبل

ادعائهم ينطق بصحة

في الخصام غير مبين يعني انها اذا احتاجت الى

الضمف اسانها وقله تعالى و يلاذة طيبها و يقل قلما كلمت امرأة فأرادت أن تكلم

بمحجتها الا تكلمت بما كانت تحب عليه ان هذه الوجوه دالة على كمال تفهم فكيف يجوز

اضافتهم بالولاية اليه (المسئلة الثالثة) دلت الآية على ان الكلى مباح للنساء وانه حرام

للرجال لانه تعالى جعل ذلك من المأايب وموجبات النقسان واقسام الرجل عليه يكون

التأنيب في الذل وذلك حرام لقوله تعالى السلام ليس للمؤمن أن يذل نفسه وانما زينة

الرجل السبر على طاعة الله والزين بزيته انقوى قال الشافعي

تدرعت يوما نقوع حصينة * أصون بهما عرضي وأجعلها ذخرا

ولم أحذر أدهر الخون وانسا * ففساراه ان يرمى بي الموت والفقر

فأعددت للموت المله وعفوه * وأعددت للفقر الجمل والصبرا

ثم قال تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انما وفيه مسائل (المسئلة الاولى)

المراد بقوله جعلوا أي حكموا به ثم قال أشهدوا خلقهم وهذا استفهام على سبيل الانكار

يعني انهم لم يشهدوا خلقهم وهذا مما لا سبيل الى معرفته بالدلائل العقلية واما الدلائل

النقلية فتكفيها معرفة على اثبات النبوة وهو لاء الكفار منكرين للنبوة فلا سبيل لهم الى

اثبات هذا المطلوب بالدلائل النقلية فثبت انهم ذكر وهذه الدعوى من غير أن عرفوه

ثم بضرورة ولا بدليل ثم انه تعالى هددهم فقال سنكتب شهادتهم ويسألون وهذا يدل على

أن القول بغير دليل منكر وانما يتلبد يوجب الدم العظيم والعقاب الشديد قال أهل

التحقيق هؤلاء الكفار كفروا في هذا القول من ثلاثة أوجه (أولها) اثبات الولد لله تعالى

(وثانيها) ان ذلك الواجب (وثالثها) الحكم على الملائكة بالانوثة (المسئلة الثانية) قرأ

نافع وابن كثير وابن عامر عند الرحمن ياتون وهو اختيار أبي حاتم واحتج عليه بوجوه

(الاول) انه يوافق قوله ان الذين عند ربك وقوله ومن عنده (والثاني) ان كل الخلق عباد

فلامدح لهم فيه (والثالث) ان التقدير ان الملائكة يكونون عند الرحمن لا عند هؤلاء

الكفار فكيف عرفوا كونهم انما واما الباقيون فقروا عباد جمع عبد وقيل جمع عبد

كقائم وقيام وصائم وصيام وثالثهم وياهم وهي قراءة ابن عباس واختيار أبي عبيد قال لانه

تعالى رد عليهم قواهم انه يثبت الله اخبرتهم عبيد ويؤيد هذا القراءة قوله بل عباد

مكرمون (المسئلة الثالثة) قرأ نافع وحده أشهد والجمزة ومدة بعدها خفيفة لينة وضمة

أي أحضروا خلقهم وعن نافع غير مدود على ما لم يسم فاعله والباقيون أشهدوا بفتح الالف

من شهدوا أي أحضروا (المسئلة الرابعة) احتج من قال بتفضيل الملائكة على البشر

بهذه الآية فقال أما قراءة عند ياتون فهذه العندية لاشك انها عندية الفضل والقرب من

الله تعالى بسبب الطاعة والفاضة هم توجب الحصر والمعنى انهم هم الموصوفون بهذه العندية

لا غيرهم فوجب كونهم أفضل من غيرهم رعاية للفظ الدال على الحصر واما من قرأ عباد

ما دعونه (فهم به) بذلك الكتاب (مستمكون) وعليه معونون (بل قوا) واما وجدنا آية فاعلى أمة وانما على جمع

آثارهم مهتدون) أنه المحجة عقلية أو نقلية بل اعترفوا بأن

آثارهم مهتدون) أنه المحجة عقلية أو نقلية بل اعترفوا بأن

لاستدلالهم سوى تقليد آباؤهم الجاهلة مثلهم والامة الدين والطريقة التي تأم أي تقصد كالرحلة لما رحل اليه
وقرى امة بالكسر وهي الحسنة التي يكون ﴿ ٤٣٧ ﴾ عليها الام أي القاصد وقوله تعالى على آثارهم

مهندون خبران والظرف

صلة لمهندون (وكذلك)

أي والامر كما ذكر من

عبرهم عن الحجة

وتشبههم بنيل التقليد

وقوله تعالى (ما أرسلنا

من قبلك في قرية من

نذير الاقل مرفوها

انا وجدنا آباءنا على أمة

وانا على آثارهم مقتدون)

استئناف مبين لذلك

دال على أن التقليد

فيما بينهم ضلال قديم

ليس لاسلافهم أيضا

سند غيره وتخصيص

المترفين بتلك المقالة

للايدان بأن التمسك وحب

البطالة هو الذي صرفهم

عن النظر الى التقليد

(قال) حكاية لما جرى

بين المنسذرين وبين

أئمتهم عند تعاليمهم بتقليد

آباؤهم أي قال كل نذير

من أولئك المنسذرين

لامهم (أو اوجنتكم)

أي أقتصدون بأئمتكم

واوجنتكم (بأهدى)

بدين أهدى (مما وجدتم

عليه آباءكم) من الضلالة

التي ليست من الهداية

في شيء وانما عبر عنها

بذلك بمجازاة معهم على

جمع اعيد فقد ذكر بان افظا ايجاد مخصوص في القرآن بالمؤمنين فقوله هم عباد الرحمن
يفيد حصر العبودية فيهم فإذا كان اللفظ الدال على العبودية دالا على الفضل والشرف
كان اللفظ الدال على حصر العبودية دالا على حصر الفضل والتميز والشرف فيهم وذلك
يوجب كونهم أفضل من غيرهم الله أعلم * قوله تعالى (وقالوا الوسله الرحمن ما عبدناهم
ما لهم بذلك من علم ان هم الا بخرصون أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا
انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من
نذير الاقل مرفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال اواوجنتكم
بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا انما أرسلناهم بكافرون فالتفتعنا منهم فانظر كيف
كان طاعة المكذبين) اعلم انه تعالى حكى نوعا آخر من كفرهم وشبهاتهم وهو انه قالوا
لو شاء الرحمن ما عبدناهم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قالت المعتزلة هذه الآية تدل على
فساد قول المجبرة في أن كفر الكافر يقع بارادة الله من وجهين (الاول) انه تعالى حكى عنهم
انهم قالوا الوسله الرحمن ما عبدناهم وهذا صريح قول المجبرة ثم انه تعالى أبطله بقوله ما لهم
بذلك من علم ان هم الا بخرصون فثبت انه حكى مذهب المجبرة ثم أردفها بالباطل والافساد
فثبت ان هذا المذهب باطل ونظيره قوله تعالى في سورة الانعام سيقول الذين أشركوا لو شاء
الله ما أشركنا الى قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوا انا ان تدعون الا الظن وان اتم
الا بخرصون (والوجد الثاني) انه تعالى حكى عنهم قبل هذه الآية أنواع كفرهم (فالاولها)
قوله وجعلوا له من عباد جبرا (وثانيها) قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انا
(وثانيها) قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلما حكى هذه الاقاويل الثلاثة
بعضها على اثر بعض وثبت ان القولين الاولين كفر محض فكذلك هذا القول الثالث
يجب أن يكون كفر واعلم أن الواحدى أجاب في البسيط عنه من وجهين (الاول) ما ذكره
الزجاج وهو ان قوله تعالى ما لهم بذلك من علم عائد الى قوالهم الملائكة انك والى قولهم
الملائكة بنات الله (والثاني) انهم أرادوا بقوالهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم انه أمرنا بذلك
وانه رضى بذلك واقربنا عليه فانكر ذلك عنهم فهنا ما ذكره الواحدى في الجواب وعندى
هذان الوجهان ضعيفان (اما الاول) فلا انه تعالى حكى عن القوم قوايل باطلين وبين وجه
باطلها نسما ثم حكى بعده مذهبها ثالثا في مسئلة أجنبية عن المسئلتين الاوليتين ثم حكم
بالبطالان والوعيد فصرف هذا الابطال عن هذا الذي ذكره عقيبها الى كلام مقدم أجنبي
عنه في غاية البعد (واما الوجد الثاني) فهو أيضا ضعيف لان قوله لو شاء الله ما عبدناهم ليس
فيه ما يتعلق بتلك المشيئة والاجال خلاف الدليل فوجب أن يكون التقدير لو شاء الله
ان لا نعبدهم ما عبدناهم وتلك لتفبد انتفاء الشيء لانقضاء غيره فهذا يدل على انه لم توجد
مشيئة الله اعدم عبادتهم وهذا عين مذهب المجبرة فالابطال والافساد يرجع الى هذا المعنى
ومن اتأس من اجاب عن هذا الاستدلال بأن قال انهم انما ذكروا ذلك الكلام على

مسالك الانصاف وقرئ قل على أنه حكاية أمر ماض أوحى حينئذ الى كل نذير لاعلى أنه خطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم كقيل لقوله تعالى (قالوا انما أرسلناهم بكافرون) فانه حكاية عن الامم قطعنا اي قال كل أمة
لنذيرها انما أرسلناهم بكافرون

وقد أجل عند الحكاية للإيجاز كما مر في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وجعل الحكاية عن قومه عليه الصلاة والسلام يحمل صيغة الجمع على تعاليه ﴿ ٤٣٨ ﴾ على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجه كفرهم

إلى ما أرسل به الكل من التوحيد لأجاءهم عليه كما في نظائر قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تحمل بعيد يرد بالكلمة قوله تعالى (فانتقمنا منهم) أي بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) من الأمم المذكورين فلا تكثر بتكذيب قومك (واذ قال إبراهيم) أي واذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام (لأييهم وقومه) المكسبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله (انني برأ مما تعبدون) وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال أوليقلدوه ان لم يكن لهم يد من التقليد فانه أشرف آبائهم وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والمتعدد والمذكور المؤنث وقرى برى وبراء بضم الباء ككريم وكرام وما اما مصدرية أو موصولة حذف عائدها أي انني برى من عبادتك أو معبودكم (الا الذي فطرني) استثناء منقطع أو متصل على أن ماتم اولى العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والاصنام أو صفة على أن ماموصوفة أي انني برأ من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه

سبيل الاستهزاء والسخرية فلماذا السبب استوجبوا الطعن والذم وأجاب صاحب الكشف عنه من وجهين (الاول) انه ليس في اللفظ ما يدل على انهم قالوا مستهزئين وادعاء ما لدليل عليه باطل (الثاني) انه تعالى حكى عنهم ثلاثة أشياء وهي انهم جعلوا له من عباده جزاً وانهم جاءوا الملائكة انما واذنهم قالوا لولاء الرحمن ماعبدناهم فلو قلنا بانه انما جاء الذم على القول الثالث لانهم ذكروه على طريق الهزؤ لا على طريق الجد وجب أن يكون الحال في حكاية القولين الاولين كذلك فلزم انهم اوتوا بقولهم بتلك الاشياء على سبيل الجدان يكونوا محتمين ومعلوم انه كفر واما القول بأن الطعن في القولين الاولين انما توجه على نفس ذلك القول وفي القول الثالث لا على نفسه بل على ايراده على سبيل الاستهزاء فهذا يوجب تشويش النظم وانه لا يجوز في كلام الله واعلم ان الجواب الحق عندي عن هذا الكلام ما ذكرناه في سورة الانعام وهو ان القوم انما ذكروا هذا الكلام لانهم استدلوا بمشبهة الله تعالى للكفر على انه لا يجوز ورود الامر بالايان فاعتقدوا ان الامر والارادة يجب كونهما متطابقين وعندنا ان هذا باطل فالقوم لم يستحقوا الذم بمجرد قولهم ان الله يريد الكفر من الكافر بل لاجل انهم قالوا لما أراد الكفر من الكافر وجب أن يفتح منه أمر الكافر بالايان واذا صرنا الذم والطعن الى هذا المقام سقط استدلال المعتزلة بهذه الآية وتام انقراض مذكور في سورة الانعام والله أعلم (المسئلة الثانية) انه تعالى لما حكى عنهم ذلك المذهب الباطل قال مالهم بذلك من علم انهم الايخرسون وتقريره كأنه قيل ان القوم يقولون لما أراد الله الكفر من الكافر وخلق فيه ما أوجب ذلك الكفر وجب أن يفتح منه ان يأمره بالايان لان مثل هذا التكليف فيصح في الشاهد فيكون فيجب في الغائب فقال تعالى مالهم بذلك من علم أي مالهم بصحة هذا القياس من علم وذلك لان أفعال الواحد منا وأحكامه مبنية على رعاية المصالح والمفاسد لاجل ان كل ما سوى الله فانه ينتفع بحصول المصالح ويستضرر بحصول المفاسد فلا جرم ان صريح طبعه وعقله يحمله على بناء أحكامه وأفعاله على رعاية المصالح اما الله سبحانه وتعالى فانه لا ينفعه شيء ولا يضره شيء فكيف يمكن القطع بأنه تعالى يبنى أحكامه وأفعاله على رعاية المصالح مع ظهور هذا الفارق العظيم فتعوله تعالى مالهم بذلك من علم أي مالهم بصحة قياس الغائب على الشاهد في هذا الباب علم ثم قال انهم الايخرسون أي كالم يثبت لهم صحة ذلك القياس فقد ثبت بالبرهان القاطم كونهم كذابين خراسين في ذلك القياس لان قياس المنزه عن النفع والضرر من كل الوجوه على المحتاج المنتفع المتضرر قياس باطل في بديهة العقل ثم قال أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون يعني القول الباطل الذي حكاها الله تعالى عنهم عرفوا صحته بالعقل أو بالنقل اما آياتنا بالعقل فهو باطل لقوله مالهم بذلك من علم انهم الايخرسون واما آياتنا بالنقل فهو باطل لقوله أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون والضمير في قوله من قبله لقرآن أولر رسول والمعنى انهم وجدوا ذلك الباطل

أو متصل على أن ماتم اولى العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والاصنام أو صفة على أن ماموصوفة أي انني برأ من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه

سبيدين) أي سبقتني على الهداية أو سبيدين إلى ما وراء الذي هداني إليه الآن والوجه أن السبب للتاكيد دون التسوية وصيغة المضارع الدلالة ٤٣٩ ﴿ على الاستمرار (وجعلها) أي جعل إبراهيم كلمة التوحيد التي ما تكلم

به عبارة عنها (كلمة باقية

في عقبه) أي في ذريته

حيث وصاهم بها كما

نطق به قوله تعالى ووحي

بها إبراهيم بنبيه ويعنوب

الآية فلا يزال فيهم

من يوحد الله تعالى

ويدعو إلى توحيده

وقرى كلمة وفي عقبه

على التخصيف (لعلهم

يرجعون) علة للعمل

أي جعلها باقية في عقبه

رجاء أن يرجع إليها

من أشرك منهم بدعاء

الموحد (بل تمتع

هؤلاء) اضطراب عن

مخدوف ينساق إليه

الكلام كأنه قبل جعلها

كلمة باقية في عقبه بأن

وصى بها بنبيه رجاء

أن يرجع إليها من أشرك

منهم بدعاء الموحد فلم

يحصل ما رجاء بل تمتع

منهم هؤلاء المعاصرين

لرسول صلى الله عليه

وسلم من أهل مكة

(وآباءهم) بالمدنى العمر

والنعمه فاعتزوا بالله

وانهم كانوا في الشهوات

وشغلوا بها عن كلمة

التوحيد (حتى جاءهم)

أي هؤلاء (الحق) أي

في كيب منزل قبل القرآن حتى جازلهم أن يعولوا عليه وان يتسكوا به والمقصود منه ذكره في معرض الإنكار ولما ثبت أنه لم يدل عليه لادليل عقلي ولا دليل نقلي وجب أن يكون القول به باطلا ثم قال تعالى بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آئناهم مهتدون والمقصود أنه تعالى لما بين أنه لا دليل لهم على صحة ذلك القول البتة بين أنه ليس لهم حامل يحملهم عليه الا التقليد المحض ثم بين أن تمسك الجهال بطريقة التقليد أمر كان سائلا من قديم الدهر فقال وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آئناهم مقتدون وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشف قرئ على أمة بالكسر وكلاهما من الام وهو التصيد فالامة الطريقة التي تؤم أي تقصد كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد (المسئلة الثانية) لو لم يكن في كتاب الله الا هذه الآيات لكفث في ابطال القول بالتقليد وذلك لانه تعالى بين ان هؤلاء الكفار لم يتسكوا في اثبات مذهبوا اليه لا بطريق عقلي ولا بدليل نقلي ثم بين أنهم انما ذهبوا اليه بمجرد تقليد الآباء والاسلاف وانما ذكر تعالى هذه المعاني في معرض الذم والتوبيخ وذلك يدل على ان القول بالتقليد باطل وما يدل عليه أيضا من حيث العقل ان التقليد أمر مشترك فيه بين المبطل وبين الحق وذلك لانه كما حصل لهذه الطائفة قوم من المقلدة فكذلك حصل لاضدادهم أقوام من المقلدة فلو كان التقليد طريقا إلى الحق لوجب كون اشئ ونقيضه حقا ومعوام ان ذلك باطل (المسئلة الثالثة) انه تعالى بين ان الداعي إلى القول بالتقليد والحامل عليه انما هو حب النعم في طيبات الدنيا وحب الكسل والبطالة وبغض تحمل مشاق النظر والاستدلال لقوله الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة والمترفون هم الذين أترفهم النعمة أي أبطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويغضون تحمل المشاق في طلب الحق واذا عرفت هذا علمت ان رأس جميع الآفات حب الدنيا والذات الجسمانية ورأس جميع الخيرات هو حب الله والدار الآخرة فلهذا قال عليه السلام حب الدنيا رأس جميع الخيرات هو لرسوله قل أو أوجنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم أي دين أهدى من دين آباءكم فعند هذا حكى الله عنهم أنهم قالوا انا نأبئون على دين آباءنا لا نشك منه وان جئنا بآية أهدى فانا بما أرسلتم به كافرون وان كل أهدى مما كنا عليه فعند هذا لم يبق لهم هذر ولا علة فلهذا قال تعالى فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المذكبين والمراد منه تهديد الكفار والله أعلم * قوله تعالى (واذ قال إبراهيم لأبيه وقومه انى براء مما تعبدون الا الذى فطرني فانه سبيدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل تمتع هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون) اعلم انه تعالى لما بين في الآية المقدمة انه ليس لأوثك الكفار داع يدعوهم إلى تلك الاقاويل الباطلة الا التقليد الآباء والاسلاف ثم بين انه طريق باطل ومنتهج فاسد وان الرجوع إلى الدليل أولى من

القرآن (ورسول) أي رسول (مبين) ظاهر الرسالة واضحا بالمعجزات الباهرة أو مبين للتوحيد بالآيات البينات والجميع

وقرى متعنا و تمتع بالخطاب على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله

الاعتماد على التقليد أردف هذه الآية والمقصود منها ذكر وجود آخر يدل على فساد القول
بالتقليد وتقريره من وجهين (الأول) أنه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام أنه نبرأ عن
دين آباءه بناء على الدليل فنقول أما أن يكون تقليد الآباء في الأديان محرماً أو جازاً فإن
كان محرماً فقد بطل القول بالتقليد وإن كان جازاً فعلوم أن أشرف آباء العرب هو
إبراهيم عليه السلام وذلك لأنه ليس لهم فخر ولا شرف إلا بأنهم من أولاده وإن كان كذلك
فنتقليد هذا الأب الذي هو أشرف الآباء أولى من تقليد سائر الآباء وإذا ثبت أن تقليده
أولى من تقليد غيره فنقول أنه ترك دين الآباء وحكم بالاتباع الدليل أولى من متابعة
الآباء وإذا كان كذلك وجب تقليده في ترك تقليد الآباء ووجب تقليده في ترجيح
الدليل على التقليد وإذا ثبت هذا فنقول فقد ظهر أن القول بوجوب التقليد يوجب المنع
من التقليد وما أفضى به إلى نفيه كان باطلاً فوجب أن يكون القول بالتقليد باطلاً
فمن اطرق بيقين دقيق في إبطال التقليد وهو المراد من هذه الآية (الوجود الثاني) في بيان أن
ترك التقليد والرجوع إلى متابعة الدليل أولى في الدنيا وفي الدين أنه تعالى بين أن إبراهيم
عليه السلام لما عدل عن طريقة آبيه إلى متابعة الدليل لأجرم جعل الله دينه ومذهبه باقياً
في عقبه إلى يوم القيامة وأما أديان آباءه ففقدت دراستها وبطلت فثبت أن الرجوع إلى
متابعة الدليل يبق محمود الأثر إلى قيام الساعة وإن التقليد والأصرار ينقطع أثره ولا يبقى
منه في الدنيا خبر ولا أثر فثبت من هذين الوجهين أن متابعة الدليل وترك التقليد أولى فهذا
بيان المقصود الأصلي من هذه الآية ولما نرجع إلى تفسير الفاظ الآية بما قوله انني براء مما
تعبدون فقال الكسائي والفراء والمبرد والزجاج براء مصدر لا يثنى ولا يجمع مثل عدل
ورضا وتقول العرب انا البراء منك والخلاء منك ونحن البراء منك والخلاء ولا يقولون
البراء ولا البراؤون لأن المعنى ذوا البراء وذو البراء فإن قلت برئ وخلى ثبتت وجمعت ثم
استثنى خاتمة من البراءة فقال الألباني فطرني والمعنى انا أتبرأ مما تعبدون الأمن الله عز
وجل ويجوز أن يكون الابعني لكن فيكون المعنى لكن الذي فطرني فإنه سيهدين أي
سيرشدني لبيته وبوقته الصاعته واعلم أنه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام في آية أخرى
أنه قال الذي خلقني فهو يهدين وحكى عنه ههنا أنه قال سيهدين فاجمع بينهما وقرآنه
قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال وجمعها أي
وجعل إبراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون جارياً مجرى لآله
وقوله الا الذي فطرني جارياً مجرى قوله الا الله فكان مجموع قوله انني براء مما تعبدون الا
الذي فطرني جارياً مجرى قوله لا اله الا الله ثم بين تعالى أن إبراهيم جعل هذه الكلمة باقية في
عقبه أي في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيدهم لعلهم يرجعون أي لعل
من أشرك منهم يرجع بدعاه من وحيدهم وقيل وجعلهم الله وقرئ كما على التخفيف وفي
عقبة ثم قال تعالى بل تمتع هؤلاء يعني أهل مكة وهم من عقب إبراهيم مالد في العمر

تعالى وجعلها كلمة باقية
الحق مباعدة في تعبيرهم
فإن التشيع يزاد في التعم
يوجب عليهم أن يجعلوه
سبباً لزيادة الشكر
والثبات على التوحيد
والإيمان فجعله سبباً لزيادة
الكفر أن أقصى مراتب
الكفر والضلال (ولما
جاءهم الحق) لينبهم
عما هم فيه من الغفلة
ويرشدهم إلى التوحيد
ازدادوا كفراً وعتوا
وصمموا إلى كفرهم
السابق معاندة الحق
والاستهانة به حيث
(قالوا هذا سحر وانا به
كافرون) فسموا
انقرآن سحراً وكفروا به
واستمروا الرسول
صلى الله عليه وسلم

(وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) أي من إحدى القريتين مكة والطائف على نهي قوله تعالى يخرج منها الثالوث والمرجان (عظيم) أي بالجاه والمال كالولدين المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل حبيب بن عمر بن عير الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنت قدس عبد الله ولم تقف هو أبوه العظيمة حسدا على نزوله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من هذا ما فهم مع اعتقادهم في ٤٤١ بقرائنه بل استدلالا على عدمها يعني أنه لو كان قرآنا

والنعمه فاعتروا بالهولة واشغلوا بآياتهم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين بين رسالة وأوضحها بآياته من الآيات والبيانات فكذبوا به وسعوا ما حاروا ما جاء به سحرا وكفرا به ووجه الظلم أنهم لما عولوا على تقلب الآيات ولم يفكروا في الحجة اغتروا بطول الأهمسال وامتاع الله آياتهم بعيم الدنيا فاعترضوا عن الحق قال صاحب التفسير ان كشف ان قيل ما وجه قراءة من قرأتمت بفتح انا فلما كان الله سبحانه اعترض على ذاته في قواه وجدها كلمة باقية في عقبه لعالمهم يرجعون فقال بل معتهم بما معتم بهم من طول العمر والسعة في الرزق حتى شفاهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد بذلك المبالغة في تعبيرهم لانه اذا معتمهم بزيادة نعم وجب عليهم أن يعملوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثناء على التوحيد لان يشركوا به في عملوا له أندادا فخالفه أن يشكروا الرجل اساءة من أحسن اليده ثم يقبل على نفسه فيقول أنت السبب في ذلك بعرفك واحسانك اليه وغرضه بهذا الكلام توخي المسى في تشييع فعل نفسه قوله تعالى (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظم أهم) يسمون رجلة بك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات فجاءت بعضهم ببعض خيرا ورجلة ربك خير مما يجمعون) الخ لم أر هذا هو النوع الرابع من كفر يأنهم التي حكاه الله تعالى عنهم في هذه السورة وهو الكفر بالسالكين قالوا ان نصب رسالة الله من نصيب شريف فلا يليق إلا برجل شريف وقد صدقوا في ذلك لانهم ضلوا الم مقدمة فاسدة وهي ان الرجل اشرف هو الذي يكون كثير المال والجاه وشيئ من ذلك فلا يليق رسالة الله به وانما يليق هذا المنصب برجل عظيم الجاه كثير المال في إحدى القريتين وهي مكة والطائف قال المفسرون والذي يتركه هو لرايدين المغيرة والذي بالطائف هو عروة بن مسعود الثقفي ثم أبدل الله تعالى هذه الشبهة من وجهين (الاول) قوله أهم يسمون رجلة بك بقرين هذا الجواب من وجه (أحدها) اننا وقعنا التفاوت في مناصب الدنيا ولم بقدر أحد من الخلق على تغييره فانفاوت الذي أوقعناه في مناصب الدين والسوة بأن لا بقدر ما على التصرف فيه كأن أولي (وثانيها) أن يكون المراد ان اختصاص ذلك النبي بذلك المال اكثر مما كان لاجل حكمنا وفضلنا واحساننا اليه فكيف يليق باعتل أن يجعل احساننا اليه بكثر المال حجة علينا في أن نحسن اليه أيضا بالشوة (وثانيها) اننا وقعنا التفاوت في الاحسان بتناصب الدنيا لا بسبب سابق فلم لا يجوز أيضا أن يقع التفاوت في الاحسان بتناصب الدين والشوة لا بسبب سابق فهذا تقرير الجواب وزجج الى تفسير اللفاظ فتقول المخرن في قوله أنهم يسمون رجلة بك لانكار الدال على التجهيل والتعجب من اعراضهم وتكلمهم وأن يكونوا هم المديرين لأمور النبوة ثم ضرب بهذا مثلا فقال نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اننا وقعنا

انزل الى أحد هو لآياتنا على ما زعموا من أن لرسالة من نصب جليل لا يليق به الا لمن له جلالة من حيث المال والجاه ولا يدروا أن هاترنية روحانية لا يترقى اليها الا هم الخواص المختصين بالنفوس الركية المؤيدين بالقوة القدسية المتحاضرين بالفضائل الانسية وأما المخرن فون بالخراف السديوية المضمون بالحظوظ الدينية فهم من استحقاق تلك الرتبة بأف منزل وقوله تعالى (أهم) يسمون رجلة ربك) انكار فيه تجهيل لهم وتعجب من تكلمهم والمراد بالرجلة النبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) أي أسباب معيشتهم (في الحياة الدنيا) قسمنا نفصيحها مشائنا المبذبة على الحكم والمصالح ولم نفوض أمرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية (ورفعنا بعضهم فوق بعض) في الرزق وسائر مبادئ المعاش

(درجات) مئة وثمانون بحسب القرب ٥٦ سا والبعد حسبا تقتضيد الحكمة فنضعف وقوى وقبيل وغنى وخادم وتخدم وحاكم وتحكم (لنخلف بعضهم بعضا خيرا) ليصرف بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في أمورهم ويتخبروهم في أشغالهم حتى يتعابسا ويتزادوا ويصلوا الى مرافقهم لالكمال في الموسع

ولا نقص في الحق وأوفى من ذلك إلى تبيينهم أيضاً وأهل كوا إذا كانوا في تدبير خورصة أمرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا والدينة وهو في طرف النعم على هذه الحال فأنظروا بأنفسهم في تدبير أمر الدين وهو أبعد من متاع العبود ومن أين لهم البحث عن أمر النبية والتخيرات من يصلح لهم أو يقوم بأمرها (ورحمة ربك) أي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا والدينة الغائبة وقوله تعالى ﴿ ٤٤٢ ﴾ (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة)

هذا التفاوت بين العباد في القوة والضعف والعلم والجهل والحقاقة والبلاهة والشهرة والحمول والناقلات إذا كانا لا وسو يتأيدونهم في كل هذه الأحوال لم يخدم أحداً أحداً ولم يصبر أحدهم مع آخر غيره. وحينئذ يفرض ذلك إلى خراب العالم وفساد نظام الدنيا ثم إن أحداً من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فإن عجزوا عن الاعتراض عن حكمنا في أحوال الدنيا مع قلنا ودنايتها فكيف يمكنهم الاعتراض على حكمنا وقضائنا في تخصيص بعض العباد بمنصب النبوة والرسالة (المسئلة الثانية) قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا يقتضي أن تكون كل أقسام معيشتهم إذا تحصل بحكم الله وتقديره وهذا يقتضي أن يكون الرزق الحرام والحلال كله من الله تعالى (والوجه الثاني) في الجواب ما هو المراد من قوله ورحة ربك خير مما يجمعون وتقديره أن الله تعالى إذا خص بعض عبده بنوع من أنواع فضله ورحمته في الدين فهذه الرحمة خير من الأموال التي يجمعها لأن الدنيا على شرف الانقضاء والانقراض وتفضل الله ورحمته تبقى أبداً لا يباد ^{في} قوله تعالى (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجلعننا لمن ي كفر بالرحمن لبيوتهم) سقفاً من فضة (أي من فضة منها لبيوتهم بدل استحل من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن أفراد المسكن في يكفر بإعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن انقراء أنه جمع سقفة كسفن وسفينة وقرى سقفاً يسكنون أعاف نخعفا وسقفاً اكتفاء بجمع البوت وسقفاً كأنه أمة في سقفة وسقفاً (ومعارج) أي جعلنا لهم معارج من فضة أي مصاعد جمع معراج وقرى معارج جمع

استشاف مبین لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى أن حجارة شأنه بحيث لو لا أن يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر إذا رأوا أهله في سعة وتعم فيجمعوا عليه لا عطية من الله فافهم من هو شر الخلائق وأدناهم منزلة وذلك بقوله تعالى (جعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة) أي من فضة منها لبيوتهم بدل استحل من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن أفراد المسكن في يكفر بإعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن انقراء أنه جمع سقفة كسفن وسفينة وقرى سقفاً يسكنون أعاف نخعفا وسقفاً اكتفاء بجمع البوت وسقفاً كأنه أمة في سقفة وسقفاً (ومعارج) أي جعلنا لهم معارج من فضة أي مصاعد جمع معراج وقرى معارج جمع

معارج (عليها يظهرون) أي يملون السطوح والعلاني (ولبيوتهم) أي وجمع ثنائيات وتهم (أبواباً) فخصوا لهما (وسرراً) من فضة (عليها) أي على السرر (يتكئون) ولعل نكرير ذكر بيوتهم زيادة تشريراً (وزخرفاً) أي زينة عطف على سقفاً وأذهباً عطف على محل من فضة (وان كل ذلك للمتاع الحياة الدنيا) أي وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة إلا شيء يتعم.

به في الحياة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الامتاع الحياة الدنيا وقرئ يتخفف ما على ان هي المتخفة واللام هي الفارقة وقرئ بكسر اللام على انها لام العلة وماه وسولة قد حذف عاينها أي الذي هو متاع الخ كافي قوله تعالى تماماً على الذي أحسن (والآخرة) بما فيها من دنون السم التي تصرعها ايمان (عند ربك المؤمنين) أي من الكفر والمعاصي وبهذا تبين أن العظيم هو العظيم (١٤٣) في الآخرة لا في الدنيا (ومن يشأ) أي يتعمم (عن ذكر الرحمن) وهو

فحصولهما لا يفيد حصول الشرف والله أعلم (المسئلة الثانية) قرأ ابن كثير وأبو عمرو سقفا بفتح السين وسكون القاف على لفظ الواحد لارادة الجنس كافي قوله فخر عليهم السقف من فوقهم والباقون سقفا على الجمع واختلاف قيل هو جمع يعقب كرهن ورجل قال أبو عبيد ولا ثالث لهما وقيل السقف جمع سقف كرهن ورجل وزبروز يورف وهو جمع الجمع (المسئلة الثالثة) قوله ان يكفر بالرحمن لبيوتهم فقوله لبيوتهم بدل اشتغال من قوله ان يكفر قال صاحب الكشاف قرئ معارج ومعارج جمع معرج أو اسم جمع معراج وهي المصاعد الى المساكن العالية كالدرج والسلام عليها يظهر من أي على تلك المعارج يظهر من وفي نصب قوله وزخرفا قولان قيل جعلنا لبيوتهم سقفا من فضة وجعلنا لهم زخرفا وقيل من فضة وزخرف فلما حذف الخافض انتصب وأما قوله وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا قرأ طائفة وحجة لما تشديد الميم والباقون بالتخفيف أما قراءة حجة بالتشديد فانه جعل لمتاع معنى الا وحكى سيبويه تشديدك بالله لما فعلت بمعنى الافعلت ويقوى هذه القراءة ان في حرف أي وما ذلك الامتاع الحياة الدنيا وهذا يدل على ان لما معنى الا وأما القراءة بالتخفيف فمقال الواحدى لفظه ما نفو والتقدير لمتاع الحياة الدنيا قال أبو الحسن الوجه التخفيف لان لما معنى الا لا تعرف وحكى عن الكسائي أنه قال لأعرف وجهه الثقيل (المسئلة الرابعة) قالت المعتزلة دلت الآية على انه تعالى انما يعطى الناس نعم الدنيا لاجل انه لو فعل بهم ذلك لداهم ذلك الى الكفر فهو تعالى لم يفعل بهم ذلك لاجل ان لا يدعوهم الى الكفر وهذا يدل على احكام (أحدها) أنه اذا لم يفعل بهم ما يدعوهم الى الكفر فلا يخلق فيهم الكفر أولى (وثانيها) أنه ثبت ان فعل اللطف قائم مقام اراحة العذر والعلة فلما بين تعالى انه لم يفعل ذلك اراحة للعذر والعلة عنهم دل ذلك على أنه يجب أن يفعل بهم كل ما كان اطقا داعيا لهم الى الايمان فصارت هذه الآية من هذا الوجه دالة على أنه يجب على الله تعالى فعل اللطف (وثالثها) أنه ثبت بهذه الآية ان الله تعالى انما يفعل ما يفعله ويترك ما يترك لاجل الحكمة ومسئلة وذلك يدل على تعليل احكام الله تعالى وأفعاله بالصالح والعلل فان قيل لما بين تعالى أنه لو فتح على الكافر ابواب النعم اصاب ذلك سببا لاجتماع الناس على الكفر فلم يفعل ذلك بالمسلمين حتى يصير ذلك سببا لاجتماع الناس على الاسلام قلنا لان الناس على هذا التقدير كانوا يجتمعون على الاسلام لطلب الدنيا وهذا الايمان ايمان المنافقين فكان الاصول أن يضيق الامر على المسلمين حتى ان كل من دخل الاسلام فانهما يدخل فيه لمتابعة الدليل ولطلب رضوان الله تعالى فحيثما يعظم ثوابه لهذا السبب ثم قال تعالى ومن يشأ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين والمراد منه التنبيد على آفات الدنيا وذلك ان من فاز بالمال والجاه صار كالاعشى عن ذكر الله ومن صار كذلك صار من جلساء الشياطين الضالين المضلين فهذا وجه تعلق هذا الكلام بما قبله قال صاحب الكشاف

القرآن وضافته الى اسم الرحمن للايدان بوزن له رجة للعالمين وقرئ يشأ بالتخفيف أي يعمر يقال عشي بعشي اذا كان في بصره آفة وعشا يعشو اذا عشي بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يشأ على أن من موصولة غير مفعلة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض هذه لفرط اشتغاله برهرة الحياة الدنيا وانها كما في حظوظها القانية والشهوات (نقيض له شيطانا فهو له قرين) لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع بعشو فحقه أن يرفع يقيض (وانهم) أي الشياطين الذين يقيض كل واحد منهم لكل واحد من يعشو (ليصدونهم) أي قرناءهم فدار جمع الضمير باعتبار معنى من كما أن مدار افراد الضمير السابقة اعتبار لفظها (عن السبيل)

المستبين الذي يدعو اليه القرآن (ويحسبون) أي العاشون (انهم) أي الشياطين (مهتدون) أي الى السبيل المستقيم والا لا تبعوهم أو يحسبون أن انفسهم مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون يتقدير المبتدا أو من فاعله أو منهما لاشتغالها على ضميريهما أي وانهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم

يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ الْبُذُرُ وَصِغَةُ الْمَضَارِعِ فِي الْأَفْعَالِ الْأَرْبَعُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْأَسْمَاءِ الْجَدِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى (حَتَّى إِذَا جَاءَنَا) مَنْ حَتَّى وَإِنْ كَانَتْ ابْتِدَائِيَّةً دَاخِلَةً عَلَى الْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ لَكِنَّهَا تَقْتَضِي حَتَّى أَنْ تَكُونَ غَايَةً لِأَمْرٍ مَعْدُومٍ كَمَا مَرَّ أَرَادَ وَافْرَادًا ضَمِيرٌ فِي جَاءَ وَمَا بَعْدَهُ لِأَنَّ الْمُرَادَ حِكَايَةً مَقَاتِلَةَ كُلِّ وَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنَ الْعَاشِينَ تَرِيدُ تَهْوِيلَ الْأَمْرِ وَتَقْطِيعَ الْخَالِ وَالْمَعْنَى يُسَمِّرُ الْعَاشِينَ عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ مَقَارِنِ الشَّيَاطِينِ وَالْحَصْدُ ٢٤٤ هـ وَالْحَسْبَانِ الْبَاطِلُ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا كُلُّ وَاحِدٍ

فَرَى وَمَنْ يَدُشْ بِضَمِّ الشَّيْنِ وَفَتْحِهِ أَوْ سَوَّقَ يَدُهَا أَنَّهُ إِذَا حَمَلَتْ الْآفَةُ فِي بَصَرِهِ قَبْلَ عَيْنِي وَإِذَا نَظَرَ نَظَرَ عَيْنِي وَلَا أَقْبَهُ قِيلَ عَشَى وَطَبِيرُهُ عَرَجُ ابْنِ بَهْ الْآفَةُ وَعَرَجُ ابْنِ مَشَى مَشِيَّةُ الْعَرَجَانِ مِنْ غَيْرِ عَرَجٍ قَالِ الْحَصِيدَةُ * مَنِ تَأْتَهُ تَعَشَوْا إِلَى عَشْوٍ نَارُهُ * أَيْ تَنْظُرُ إِلَيْهَا تَنْظُرُ الْعَشَى لِأَنَّهَا ضَعُفَ بِمِثْلِكَ مِنْ عَصَمِ الْوُفُودِ وَتَسَاءَلَ الْبَصَرُ وَقُرَى يَعَشُو عَلَى أَنْ مِنْ مَوْجُودَةٍ غَيْرِ مَقْصُودَةٍ مَعْنَى الشَّرْطِ وَحَقُّ هَذَا الْقَارِي أَنْ يَرْتَفِعَ تَقْبِضُ بِهِ مَعْنَى الْقِرَاءَةِ بِالْقَبْضِ وَمَنْ يَمُحُّ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ وَهُوَ الْقِرَاءَانُ لِأَنَّهُ صَمٌّ بِكُمُ عَمَى * أَمَّا الْقِرَاءَةُ بِأَعْظَمِ فَعَنَاهَا وَمَنْ يَعْلَمُ عَنْ ذِكْرِهِ أَيْ يَعْرِفُ أَنَّهُ الْحَقُّ وَهُوَ يَنْجُو وَيُنَجِّي وَيُنَجِّي كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَجَدْنَا بَابَهَا وَاسْتَبَقَتْهَا أَلْفُسُهُمْ تَقْبِضُ لَهُ شَيْءًا قَالِ مَنَّا لَنْ نَضْمُ إِلَيْهِ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ فَرَيْنَ ثُمَّ قَالَ وَأَنَّهُمْ لِيَصْدُرُ عَنْهُمْ عَنْ أَسْبَابٍ يَعْنِي أَنَّ الشَّيَاطِينَ لِيَصْدُرُوا عَنْهُمْ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى وَالْحَقِّ وَذَكَرَ الْكُتَابَةَ عَنْ الْإِنْسَانِ وَالشَّيَاطِينِ بِأَنَّهُ يَجْمَعُ لَانْقِصَ وَمَنْ يَعَشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تَقْبِضُ لَهُ شَيْطَانًا يَقْبِضُ الْجَمْعُ وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ عَلَى الْوَاحِدِ وَيُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ يَعْنِي الشَّيَاطِينُ يَصْدُرُونَ الْكُفْرَ عَنْ السَّبِيلِ وَالْكَافَرُ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ثُمَّ عَادَ إِلَى فِعْلِ الْوَاحِدِ فَقَالَ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا يَعْنِي الْكَافِرُ وَقُرَى جَاءَنَا يَعْنِي الْكَافِرُ وَشَيْطَانُهُ رَوَى أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا بَعَثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قَبْرِ أَخَذَ شَيْطَانُهُ يَدَهُ فَلَمْ يَفَارِقْهُ حَتَّى يَصِيرَ هُمَا اللَّهُ إِلَى النَّارِ فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ بَالَيْتَ يَبْنَى وَيَبْنَى بَعْدَ الْمَشْرِقِينَ وَالْمُرَادُ بِبَالَيْتَ حَصَلَ يَبْنَى وَيَبْنَى بَعْدَ عَلَى أَعْظَمِ الْوُجُوهِ وَاخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ بَعْدَ الْمَشْرِقِينَ وَذَكَرُوا فِيهِ وَجُوهًا (الْأَوَّلُ) قَالَ الْكَثَرُونَ الْمُرَادُ بَعْدَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ تَسْمِيَةَ الشَّيْئَيْنِ الْمُتَقَابِلَيْنِ بِاسْمِ أَحَدِهِمَا قَالَ الْفَرَزَقِيُّ * لَمَّا قَرَأْنَا أَوَّلَ الْجُيُومِ السُّطُوعِ * يَرِيدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَيَقُولُونَ لِلْكَوْفَةِ وَالْبَصَرِ وَالْبَصْرَتَانِ وَالْقِدَادَةُ وَالْعَصْرُ الْعَصْرَانِ وَلَا يَبْنَى بِكَرٍّ وَعَمَرَ الْعَمْرَانِ وَالْمَاءُ وَالْمَرُّ الْأَسْوَدَانِ (الثَّانِي) أَنَّ أَهْلَ الْجُيُومِ يَقُولُونَ الْحَرَكَةَ الَّتِي تَكُونُ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ هِيَ حَرَكَةُ الْفَلَكَ الْأَعْظَمِ وَالْحَرَكَةُ الَّتِي مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ هِيَ حَرَكَةُ الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ وَحَرَكَةُ الْأَفْلَاقِ الْمُمَثِّلَةِ الَّتِي لِلسَّيَّارَاتِ سَوَى الْقَمَرِ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَشْرِقٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ فَبُنِيَ أَنْ أُطْلِقَ لَفْظُ الْمَشْرِقِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْجَهَنِّينِ حَقِيقَةً (الثَّالِثُ) قَالُوا لِيَجْمَلَ ذَلِكَ عَلَى مَشْرِقِ الصَّيْفِ وَمَشْرِقِ الشِّتَاءِ وَيَبْنَى بَعْدَ عَظِيمٍ وَهَذَا يَبْدُو عِنْدِي لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ قَوْلِهِ بَالَيْتَ يَبْنَى وَيَبْنَى بَعْدَ الْمَشْرِقِينَ الْمُبَاقِفَةُ فِي حَصُولِ الْبَعْدِ وَهَذِهِ الْمُبَاقِفَةُ إِنَّمَا تَحْصُلُ عِنْدَ ذِكْرِ بَعْدِ لَا يُمْكِنُ وَجُودُ بَعْدِ آخِرٍ أَوْ يَدْمُنُهُ وَالْبَعْدِيَيْنِ مَشْرِقِ الصَّيْفِ وَمَشْرِقِ الشِّتَاءِ لَيْسَ كَذَلِكَ فَبَدَّلَ لَفْظَ الْفِعْلِ عَلَيْهِ (الرَّابِعُ) وَهُوَ أَنَّ الْحَسَّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَرَكَةَ الْيَوْمِيَّةَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَمَّا الْقَمَرُ فَانَّهُ يَظْهَرُ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ فِي جَانِبِ الْمَغْرِبِ ثُمَّ لَا يَزَالُ يَتَقَدَّمُ إِلَى جَانِبِ الْمَشْرِقِ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَشْرِقَ حَرَكَةِ الْقَمَرِ هُوَ الْمَغْرِبُ وَإِذَا بُنِيَ هَذَا فَالْجَانِبُ الْمُسَمَّى بِالْمَشْرِقِ هُوَ مَشْرِقُ الشَّمْسِ وَلَكِنَّهُ مَغْرِبُ الْقَمَرِ وَأَمَّا الْجَانِبُ الْمُسَمَّى بِالْمَغْرِبِ فَانَّهُ

منهم مع قرينه يوم القيامة (قال) تخاطبنا به (يا ليت بيني وبينك) في الدنيا (بعد المشرقين) أي بعد المشرق والمغرب أي يساعدا كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثني وأضيف اليه (يا ليت بيني وبينك) أي أنت وفعله تعالى (ولن ينفعكم) الخ حكاية لما يقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توخيها وتقررها أي لن ينفعكم (اليوم) أي يوم القيامة تمنحكم لمباعدتهم (اذظلمتم) أي لأجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا باتباعكم إياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذظلمتم بدل من اليوم أي اثنتين عندهم وعند الناس جميعاً أنكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا وعليه قول من قال * إذا ما انتسبنا لم تلدني لئمة * أي تبين أني لم تلدني لئمة بل كريمة وقوله تعالى (أنكم في العذاب مشتركون) تعاليل انفي النفع أي لأن

حكمكم أن تشركوا أنتم بقرنائكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا ويجوز أن يستدل * مشرق * الفعل إليه لكن لا بد من أن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع أواقين في شدائد الدنيا اشتراكهم فيها تعلقا وذهابا عنهم أعبائها وتسميهم أعباءها لأن لكل منهم ما لا يتباعد طاقته كما قيل لأن الانتفاع بذلك الوجه مما يخطر ببالهم حتى يرد

عليهم بغير دليل يعني ان يحصل لكم التشفى يكون قرناشكم معقوبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتتهم
ضيقين من العذاب والعناب لعنا كبراء واولكم فآتهم عذابا مضاعفا من النار ونظائرهما انتسفوا بذلك * كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبالغ في المجاهدة في دعا، فومه وهم لا يريدون الاغيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتضاماعا
يسمعونه من بيئات له ان فنز (أفانت تسع ٤٤٥) * (عصر الهدى العمى) وهو انكار تحجب من أن يكون هو

الذي يقدر على هدايتهم
وهم قد تروا في الكفر
واستغرقوا في الضلال
بحيث صار ما بهم من
العشى عى مقرونا بالصمم
(ومر كان في ضلال مبين)
عطف على العمى باعتبار
تغابر الوصفين ومدار
الانكار هو التمكن
والاستمرار في الضلال
المعترض بحث لا رعوامه
منه لا توهم القصور من
قبل الهدى فقيه رمز
الى أنه لا يقدر على ذلك
الا الله تعالى وحده
بالقسر والاجلاء (فاما
نذهبن بك) أى فان
فبضناك قبل أن تبصر
عذابهم ونشفي بذلك
صدرك وصدور المؤمنين
(فاما منهم من تقمون)
لأحوالهم في الدنيا والآخرة
فأمر بدنا كيد بمنزلة
لام التسم في أنها لا تفارق
الزور المؤكدة (أوزينك
الذى وعدناهم) أى أو
أردنا أن نريك العذاب
الذى وعدناهم (فانا
عليهم مقدرون) بحيث
لا مناص لهم من تحت

مشرق القمر ولكنه مغرب الشمس وبهذا التقدير يصح تسمية المشرق والمغرب
بالمشرقين وأهل هذا الوجه أقرب الى مطابقة اللفظ ورعاية المقصود من سائر الوجوه
والله أعلم ثم قال تعالى فبئس القرين أى الكافر يقول ذلك الشيطان يائس يئس وبيئك
بعد المشرقين فبئس القرين أنت فهذا ما يتعلق بتفسير الاماظ والمقصود من هذا الكلام
تحقير الدنيا وبيان ما في الدال والجاه من المضار العظيمة وذلك لأن كثرة المال والجاه
تجعل الإنسان كالأعشى عن مطالعة ذكر الله تعالى ومن صار كذلك صار جليسا للشيطان
ومن صار كذلك ضل عن سبيل الهدى والحق وبقي فبئس الشيطان في الدنيا وفي القيامة
ومجالسه الشيطان حالة توجب الضرر الشديد في القيامة بحيث يقول الكافر يائس يئس
وبيئك بعد المشرقين فبئس القرين أنت فثبت بما ذكرنا ان كثرة المال والجاه توجب كان
التقصير والحرمان في الدين والدنيا وإذا ظهر هذا فقد ظهر ان الذين قالوا لا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قالوا كلاما فاسدا وشبهة بالآلة ثم قال تعالى
وان ينعكم اليوم فظلمتم أنكم في العذاب مشركون فقله انكم في محمل الرفع على
الفاعلية يعنى وان ينعكم اليوم كونكم مشركين في العذاب والسبب فيه ان الناس
يقولون المعصية اذا عمت طابت وقالت الخساء في هذا المعنى

ولولا كثرة البائسين حولي * على اخوانهم لقتلت نفسي
ولا يكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس عنه بأسى

فبين تعالى ان حصول الشركة في ذلك العذاب لا يفيد التخفيف كما كان يفعله في الدنيا
والسبب فيه وجوه (الاول) ان ذلك العذاب شديد فاشتغال كل واحد بنفسه بذهله عن
حال الآخر فلا جرم الشركة لا تفيد الخفة (الثاني) ان قوما اذا اشتركوا في العذاب
أعان كل واحد منهم صاحبه بما قدر عليه فيحصل بسببه بعض التخفيف وهذا المعنى
متعذر في القيامة (الثالث) ان جلوس الإنسان مع قرينه يفيد أنواعا كثيرة من السلوة
فبين تعالى ان الشيطان وان كان قرينه الا ان مجالسته في القيامة لا توجب السلوة
وخفة المعقوبة وفي كتاب ابن محاهد عن ابن عامر قرأ اذ ظلمتم انكم يكسر الالف والباء قون
انكم يفتح الالف والله أعلم * قوله تعالى (أفانت تسع انهم) أو نهدي العمى ومن كان
في ضلال مبين فاما نذهبن بك فاما منهم من تقمون أوزينك الذى وعدناهم فاما عليهم
مقدرون فاستمسك بالذى أوحى إليك على صراط مستقيم وأنه لذكر لك ولقومك
وسوف تسألون واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة
يعبدون) اعلم انه تعالى لما وصفهم في الآية المقدمة بالعشى وصفهم في هذه الآية
بالعمى والعمى وما أحسن هذا الترتيب وذلك لان الإنسان في أول اشتغاله بطلب الدنيا
يكون كمن حصل بعينه رمد ضعيف ثم كلما كان اشتغاله بتلك الاعمال أكثر كان ميله الى
الجسمانيات أشد واعراضه عن الروحانيات أكثر لما ثبت في علوم العقل ان كثرة

ملكنا وقهرنا وقد أراه عليه السلام ذلك يوم بدر (فاستمسك بالذى أوحى إليك) من الآيات والشرائع سواء عجلنا لك
الموعود أو أخرناه الى يوم الآخرة وقرئ أوحى على البناء للفاعل وهو لله عز وجل (انك على صراط مستقيم) تعليل
للاستمسك بالأمر به (وأنه لذكر) لشرف عظيم (للك ولقومك وسرف تسألون) يوم القيامة عنه وعن قيامكم

بمجموعة (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) أي واسأل أممهم وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبه على أن المسؤول عنه عين ما نطق به السنة الرسل لا ما يقوله أممهم وعلماءهم من تلقاء أنفسهم قال القراء هم انما يخبرون عن كتب الرسل فاذا سألهم فكانه سأل الانبياء عليهم الصلاة والسلام (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) أي هل حكم ارباب الاوثان وهل جاءت في 116 في قوله من ملأهم والمراد به الاستشهاد

باجماع الانبياء على التوحيد والتنبه على أنه ليس يدع ابتدعه حتى يكذب وبعاذي (واقدرسلنا موسى بآياتنا) ملتبس بها (الى فرعون وملكه فقال اني رسول رب العالمين) أريد باقتصاصه تسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثرما أشير الى اجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه (فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون) أي فاجروا وقت ضحكهم منها أي استهزؤا بها اول ما رأوها ولم يأتوا فيها (وما نريهم من آية) من الآيات (الا هي أكبر من أختها) الا وهي بالغة أقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها أنها أكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شيء منها والاوهى مختصة بضرب من الاعجاز

اذ قال توجب حصول المنكبات الراسخة فيقل الناس من الرمد الى ان يصير اعشى فاذا واطب على تلك الحالة أياما أخرى انتقل من كونه اعشى الى كونه أعمى فهذا ترتيب حسن موافق لما ثبت بالبراهين البينة روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا تصميما على الكفر وتناديا في الغي فقال تعالى أمانت نفع الصم أو تهدي العمي يعني أنهم بلغوا في الغفلة عنك وعن دينك ان حيث اذا سمعهم القرآن كانوا كاذصم واذا أريتهم المعجزات كانوا كالاعمى ثم بين تعالى ان صممهم وعماهم انما كان بسبب كونهم في ضلال مبين ولما بين تعالى ان دعوته لا تؤثر في قلوبهم قال فاما نذهب بك بريد حصول الموت قبل نزول النقة بهم فانما منهم من يقعون بعدك أو نريك في حياتك ما وعدناهم من النل والقتل فانما تتدرون على ذلك واسلم ان هذا الكلام يفيد كمال التسليية للرسول عليه السلام لانه تعالى بين أنهم لا تؤثر فيهم دعوته والياس احدى الراحتين ثم بين انه لا بد وأن ينتقم لاجله منهم اما حال حياته أو بعد وفاته وذلك أيضا يوجب التسليية فبعد هذا أمره أن تمسك بما أمره الله تعالى به فقال فاستمسك بالذي أوحى اليك بأن تعتقد أنه حق وبأن تعمل بوجبه فانه الصراط المستقيم الذي لا يعيل عنه الاضال في الدين ولما بين تأثير التمسك بهذا الدين في منافع الدين بين أيضا تأثيره في منافع الدنيا فقال وانه لذكر لك واقومك أي انه بوجوب الشرف العظيم لك ولقومك حيث يقال ان هذا الكتاب العظيم أنزله الله على رجل من قوم هؤلاء واعلم ان هذه الآية تدل على الانسان لا بد وأن يكون عظيم الرغبة في اثناء الحسن والذكر الجليل ولو لم يكن الذكر الجليل أمرا مرغوبا فيه لما من الله به على محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال وانه لذكر لك ولقومك ولما طلبه ابراهيم عليه السلام حيث قال واجعل لي لسان صدق في الآخرين ولان الذكر الجليل قائم مقام الحياة الشريفة بل ان ذكر افضل من الحياة لان أثر الحياة لا يحصل الا في مسكن ذلك الحى أما أثر الذكر الجليل فانه يحصل في كل مكان وفي كل زمان ثم قال تعالى وسوف تستلون وفيه وجوه (الاول) قال الكلبي تسألون هل أدبتم شكر أنعامنا عليكم بهذا الذكرا الجليل (الثاني) قال مقاتل المراد أن من كذب به يسأل لم كذبه فيسأل سؤال توبيخ (الثالث) تسألون هل عاتم بمادل القرآن عليه من التكليف واعلم أن السبب الأقوى في انكار الكفار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وابغضهم له أنه كان ينكر عبادة الاصنام فبين تعالى ان انكار عبادة الاصنام ليس من خواص دين محمد صلى الله عليه وسلم بل كل الانبياء والرسل كانوا مطيعين على انكاره فقال واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمة آلهة يعبدون وفيه أقوال (الاول) معناه واسأل مؤمنى اهل الكتاب أي اهل التوراة والانجيل فانهم سيخبرونك انهم يردون دين أحد من الانبياء عبادة الاصنام واذا كان هذا الامر متقنا عليه بين كل الانبياء والرسل وجب ان لا يجعلوه سببا لبغض محمد صلى الله

مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها (وأخذناهم بالعذاب) كالسنين والطوفان والجراد وغيرها (اعلمهم) عليه (يرجعون) لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر (وقالوا يا أيها الساحر) نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية صتوهم ونهاية حافتهم وقبل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم

المجروقي الساجر يضم الهاء (ادع تبارك) ليكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) بعهد عندك من النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف العذاب عن اهتدي او بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والعناية (اننا لمهندون) أي المؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا دعوتك كقولهم لن كشف عنا الرجز لنؤمن بك (فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوتهم (اذا هم ينكثون) فاجروا وقت ﴿ ٤٤٧ ﴾ نكث عهدهم بالاعتداء وقدمر تفصيله في الاعراف (ونادى

فرعون) بنفسه
أو يناديه (في قومه)
في مجرمهم وفيما بينهم
بعد ان كشف العذاب
عنهم تخافوا أن يؤمنوا
(قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه
الانهار) (الانهار) أنهار النيل
وأنهارها أربعة
أنهر نهر الملك ونهر
طواون ونهر مياط
ونهر نضيس (تجري
من تحتي) أي من تحت
قصرى أو امرى وقيل
من تحت مصرى
لارتفاعه وقيل بين
يدى فى جناحى وبساتينى
والواو اما عاطفة
لهذه الانهار على ملك
مصر فتجربى حال منها
أو للحال فهذه مبتدأ
والانها رصفتها
وتجربى خبر للمبتدأ
(أفلا تبصرون) ذلك
يريد به استعظام
ملكه (أم أنا خير) مع
هذه الملكة والبسطة
(من هذا الذى هو
مهمين) ضعيف حقير
من المهانة وهى القلة

عليه وسلم (وانقول اشأنى) قال عطاء عن ابن عباس لما أسرى به صلى الله عليه وسلم الى المسجد الأقصى بعث الله له آدم وجيع المرسلين من ولده فاذن جبريل ثم أقام فقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة قال له جبريل عليه السلام واسأل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال صلى الله عليه وسلم لا أسأل لاني است شاك فيه (والقول الثالث) ان ذكر السؤال في موضع لا يمكن السؤال فيه يكون المراد منه النظر والاستدلال كقول من قال سل الارض من شقي انهارك وغرس أشجارك وحنى ثمارك فانها ان لم تجبك جوابا اجابك اعتبارا فهنا سؤال النبي صلى الله عليه وسلم على الانبياء الذين كانوا قبله مجتمع فكان المراد منه انظر في هذه المسئلة بعقلك وتذكر فيها نفهمك والله أعلم ﴿ قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملأه فتلقى انى رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا اذاهم منها يصحكون وماز بهم من آية الاهى أكبر من آياتها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهندون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذى هو مهمين ولا يكاد يبين فلو لا أنى عليه أسورة من ذهب أو جاءهم الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما أمقونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجهلناهم سلفا و مثالا للآخرين) وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان المقصود من إعادة قصة موسى عليه السلام وفرعون في هذا المقام تقرير الكلام الذى تقدم وذاك لان كفار قرىش طعنوا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب كونه قتيلا عديم المال والجاه فبين الله تعالى أن موسى عليه السلام بعد ان أورد المعجزات القاهرة الباهرة التى لا يشك على صحتها عاقل أورد فرعون عليه هذه الشبهة التى ذكرها كفار قرىش فقال انى غنى كثير المال والجاه ألترون انه حصل لى ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي وأما موسى فانه فقير مهمين وليس له بيان ولسان والرجل الفقير كيف يكون رسولا من عند الله الى الملك الكبير الذى ثبتت ان هذه الشبهة التى ذكرها كفار مكة وهى قولهم اول انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قد أوردنا بينهما فرعون على موسى ثم اننا انتقمنا منهم فأغرقناهم و المقصود من ايراد هذه القصة تقرير أمرين (أحدهما) ان الكفار والجهال أبدا ينجبون على الانبياء بهذه الشبهة الركيكة فلا يبالى بها ولا يلتفت اليها (والثانى) ان فرعون على غاية كان حال الدنيا صار مقهورا باطلا فيكون الامر في حق أعدائك هكذا فثبت انه ليس المقصود من إعادة هذه القصة عين هذه القصة بل المقصود تقرير الجواب عن الشبهة المذكورة وعلى هذا فلا يكون هذا تقريرا للقصة البتة وهذا من نفائس الاجاث والله أعلم

(ولا يكاد يبين) أى الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وتفاصيله عليه السلام في أعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام من نوع رثة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى فأتيت سؤلك وأم انا شظيعة والهمزة لتقرير كانه قائم اثر ما عدا اسباب فضله ومبداى خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم أنى أنا خير وهذه جالى من هذا الخ واما متصلة فالعنى افلا

تبصرون أم تبصرون خلائه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده يصبروا وهذا من باب تنزيل السبب منزلة السبب ويجوز أن يجعل من تنزيل السبب منزلة السبب فإن إصرارهم لما ذكر من أسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخبرته (فلو لا أتى عليه أسورة من ذهب) أي فله لا أتى إليه مقابل ذلك أن كان صادقا لما أنهم كانوا إذا سودوا رجلا سودوه وطوفوه ﴿ ٤٤٨ ﴾ بطوف من ذهب وأسورة جمع سوار وقرى

أساور جمع أسورة وقرى أساور جمع أسوار بمعنى السوار على تعويض النساء من ياه أساور وقد قرئ كذلك وقرئ أتى عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى (أوجاء معه الملائكة مفترنين) مفرونين يعنيونه أو يصدقونه من قرنته به فافترن أو مفترنين من افترن بمعنى تقارن (فاستخف قومه) فاستخفهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته أو فاستخف أحلامهم (فاطاعوه) فيما أمرهم به (أنهم كانوا قوما فاسقين) فلذلك سار عوا إلى طاعة ذلك الفاسق الغوي (فلما أسفونا) أي أغضبونا أشد الغضب فنقول من أسف إذا اشتد غضبه (انتقمنا منهم) فأغرقناهم جميعا (في اليم) فجعلناهم سلفا) فدوة لمن بعدهم

(المسئلة الثانية) في تفسير اللفظ ذكر تعالى أنه أرسل موسى بآياته وهي المعجزات التي كانت مع موسى عليه السلام إلى فرعون وملأه أي قومه فقال موسى أتني رسول رب العالمين فلما جاءهم تلك الآيات اذاهم منها يضحكون قبل أن يأتوا إلى عصاه صار ثمانا ثم أخذها فعاد عصا كل ضحكوا ولما عرض عليهم اليد البيضاء ثم عادت كما كانت ضحكوا فان قيل كيف جازان نجاب عن ما إذا الذي يفيد المفاجأة فلنا أن فعل المفاجأة معها مقدر كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجأوا وقت ضحكهم ثم قال وما نريهم من آية إلا همى أكبر من أختها فان قيل ظاهر هذا اللفظ يقتضي كون كل واحد منها أفضل من الثاني وذلك محال فلنا إذا أريد المباعدة في كون كل واحد من تلك الأشياء بالغاً إلى أقصى الدرجات في الفضيلة فقد يدكر هذا الكلام بمعنى أنه لا يعنى في أناس ينظرون البهتان يقول هذا أن هذا أفضل من الثاني وأن يقول الثاني لابل الثاني أفضل وأن يقول الثالث لابل الثالث أفضل وحينئذ يصير كل واحد من تلك الأشياء مقولاً في أنه أفضل من غيره ثم قال تعالى وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون أي عن الكفر إلى الإيمان قالت المعتزلة هذا يدل على أنه تعالى يريد الإيمان من الكل وإنما أظهر تلك المعجزات اقهازة لإرادة أن يرجعوا من الكفر إلى الإيمان قال المفسرون ومعنى قوله وأخذناهم بالعذاب أي بالآيات التي سلطها عليهم كأن طوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس ثم قال تعالى وقالوا يا أيها السحار ادع لنا ربك بما عهد عندك لنا لمهتدون فار قيل كيف سموا بالسحار مع قواهم انما همتهون قلنا فيه وجوه (الاول) أنهم كانوا يقولون العالم الماهر ساحر لأنهم كانوا يستعظمون السحر وكما يقال في زماننا في العامل العجيب الكامل أنه أتى بالسحر (الثاني) بأنهم السحار في زعم الناس ومعترف قوم فرعون بقوله يا أيها الذي نزل عليه الذكراك لتجنون أي نزل عليه الذكراك في اعتقاده وزعمه (الثالث) أن قوامهم انما همتهدون وقد كانوا عازمين على خلافه ألا ترى إلى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم يتكثرون فتسميتهم آياه لساحر لا يتنافى قولهم انما همتهدون ثم بين تعالى أنه لما كشف عنهم العذاب انكثروا ذلك العهد ولما حكى الله تعالى معاملته قوم فرعون مع موسى حكى أيضا معاملته فرعون معه فقال ونادى فرعون في قومه والمعنى أنه أظهر هذا القول فقول يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي يعني الأنهار التي فصلوها من النيل ومنها ما ربيعة نهر الملك فنهري دمياط ونهر النيل تدنس النيل كانت تجري تحت قصره وحاصل الأمر أنه احتج بكثرة أمواله وقوة جاعده على فضله نفسه ثم قال ثم أناخير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ومعنى يكون مهيناً كونه فقيراً ضعيف الحال وبقوله ولا يكاد يبين حيلة كانت في لسانه واختلغوا في معنى أم ههنا فقال أبو عبيدة بن جازهايل أناخير وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله أفلا تبصرون ثم ابتدأ فقال أم أناخير بمعنى بل أناخير وقال الباقون أم هذه متصلة لأن المعنى

من الكفار يسلكون مسلكهم في استهجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو أمام صدر نعت به أوجع سالف (أفلا) كخدم جمع خادم وقرئ يضم السين واللام على أنه جمع سالف أي فر يق قد سلف كسلف أو سلف كصبر أو سلف كأسد وقرئ سلفا بابدال صفة اللام فتحه أو على أنه جمع سلفة أي ثلة قد سلفت (ومثلاً للآخرين) أي عظة لهم أو قصة بحجة تسر مسر الأمثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون

(ولما ضرب ابن مريم مثلاً) أي ضرب به ابن الزعري حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال أهنا لنا ولا لهنا أو لجميع الأمم فقال عليه الصلاة والسلام هركم ولا آلهتكم وجميع الأمم فقال المؤمن خصمك ورب الكعبة أليس النصراني يعبدون المسيح واليهود عزير أو بنو ملاح الملايكة ما كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون ﴿٢٤٩﴾ نحن وأهملناهم ففرح به قومهم وشكوا وارتفعت

أصواتهم وذلك قوله تعالى (إذا قومك منه) أي من ذلك المثل (يعبدون) أي يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحوا وجلوا وقرئ يعبدون أي من أجل ذلك المثل يعرضون عن الحق أي يلبثون على ما كانوا عليه من الاعتراض أو يزدادون فيه وقيل هو أيضا من الصديد وهما قتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الأنسب بمعنى المفاجأة (وقالوا آلهتنا خير أم هو) حكاية لمنزف من المثل المضروب قاهمه تهديد المانواع عليه من الباطل المسود بما يقتربه السفهاء أي ظاهر أن عيسى خير من آلهتنا فحث كان هو في النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها واعلم أن ما قل عنهم من الفرح ورفع الآيات لما يكن لما قيل من أنه عليه الصلاة والسلام سكت عند ذلك إلى أن نزل قوله تعالى أن الذين سبقوا هم عنا الحسن الآية فإن ذلك مع إيهامه لما يجب تزيده سبحانه عليه الصلاة والسلام عنه من شائبة الإقصاء من أول الأمر خلاف الواقع كيف لا وقد روي أن قول ابن الزعري خصمك ورب الكعبة صد

أفلا تبصرون أن تبصرون إلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون كنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنه بصراء وقال آخرون إن تمام الكلام عند قوله أم وقوله أنا خير ابتداء الكلام والتعدير أفلا تبصرون أم تبصرون لكنه استكتفي فيه بذكر أم كما تقول أعيرك أنا كل أم أي أنا كل أم لا تأكل تفنصر على ذكر كلمة أم إشارة للاختصار فكذلك هنا فإن قيل أليس أن موسى عليه السلام سأل الله تعالى أن يزيل الرثة عن لسانه بقوله واحلل حدة من لساني يفة وهاقولي فأعطاه الله تعالى ذلك بقوله قد أوتيت سؤلتي يا موسى فكيف طابه فرعون بذلك الرثة (والجواب) عنه من وجهين (الأول) أن فرعون أراد بقوله ولا يكاديين حجة التي تدل على صدقه فيما يدعي ولم يرد أنه لا قدرة له على الكلام (والثاني) أنه طابه بما كان عليه أولا وذلك أن موسى كان عند فرعون يمانا طوباو في لسانه حبسة فتسبه فرعون إلى ما عهده عليه من الرثة لأنه يعلم أن الله تعالى أزال ذلك العيب عنه ثم قال فلو لا ألقى عليه أسيرة من ذهب والمراد أن عادة القوم جرت بأنهم إذا جعلوا واحدا منهم رئيسا لهم سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بسوق من ذهب فطلب فرعون من موسى مثل هذه الحالة واختلف القراء في أسورة فبعضهم قرأ أسورة وآخرون أسورة فأسورة جمع سوار لا ذني العدد ككذلك حاروا حرة وغرابا وغربة ومن قرأ أسورة فذلك لأن أساور يرجع أسوار وهو السوار فأسورة تكون انتهاء عنونها عن الياء نحو بطيقي وبطارقة وزنديق وزنادقة من زبي وفراسة فتكون أسورة جمع أسوار وحاصل الكلام يرجع إلى حرف واحد هو أن فرعون كان يقول أنا أكثر ما ذرجاها فوجب أن أكون أفضل منه فيمتنع كونه رسولا من الله لأن منصب النبوة يقتضي الخدومية والآخر لا يكون مخدوما لا شرف ثم لما عطف الله عليه قوله من كل أمر مالا وجاها فهو أفضل وهي عين المقدمة التي تسكت بها كقوله في قوله لهم لو لا أنزلها القرآن على رجل من القرنيين عيسى ثم قال أو جاءهم الملايكة فترين يجوز أن يكون المراد قرنين به من قولك قرنته فافترن وإن يكون من قولهم افترنوا بمعنى تفارتوا قال لزجاج معناه يمشون معه فيدأون على صحة نبوته ثم قال تعالى فاستخف قوم فاطا عوده أي طلب منهم الخفض في اختياره بما كان أمرهم به وأطاعوه أم كانوا أقوا ما فاستخف حيث أظاهروا ذلك الجاهل الفاسق فلما آفونا غضبونا حتى أن ابن جريج غضب في شيء فقليل له أن غضب بالباطل فقال قد غضب الذي خلق الإحلام أن الله يقول فلما آسفونا أي أغضبونا ثم قال تعالى انتقمنا منهم واعلم أن ذكر لفظ الأسف في حق الله تعالى محال وذكر لفظ الانتقام وكل واحد منهما من الانتقامات التي يجب أن يسار فيها إلى التأويل ومعنى الغضب في حق الله إرادة العقاب ومعنى الانتقام إرادة العقاب لجرم سابق ثم قال تعالى فبعثناهم سلفا مثلاً للأسف كل شيء قد مضى من عمل صالح أو قرض فهو سلف والسلف أيضا من تقدم من آتاك وأقاربك واحدهم سلف ومنه قول طفيل يرثي قومه

عنه من أول الأمر عند سماع ﴿٥٧﴾ سا الآية الكريمة فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام ما أجهلك بلغة قومك أم أفهمت أن ما لا يستقر وإتمام يخص عليه السلام هذا الحكم بأنهم من الفاجر عن الخصوص والعوم من بما ذكر من اختصاص كل ما غير العقلاء لأن إخراج بعض المعبودين من عند الحاجة موهبة للخدمة في عبادته في الجملة فمعه عليه السلام للكل لكن لا يطرأ في عبارة النص بل يطرأ في الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية

من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عبيدوا للشياطين التي أمرتهم بذلك ان الملائكة والمسبحين عز وجل من ان يكونوا معبودينهم كما نطق به قوله تعالى سبحانه انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الاية وقدم تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقتهم من الحسنى الاية بل انما كان ما يظهره من الاحوال المذكرة لحض وقاحتهم وتها لكهم على المكارة والعناد كما نطق به قوله تعالى (ما ضرب بولئك في الاجل المثل الا لاجل الجسدال

مضوا سلفا قصد السبيل عليهم * وصرف المنايا بالرجال تغلب

فعلى هذا قل القراء والزجاج يقول جعلناهم متقدمين ليعظ بهم الآخرون أى جعلناهم سلفا للكفار أمة محمد عليه السلام وأكث القراء قروا بالفتح وهو جمع سالف كاذكرناه وقرأ حزة والكسائي سلفا بالضم وهو جمع سلف قال الليث يقال سلف بضم اللام يسلف سالوفا فهو سلف أى متقدم وقوله ومثلا للاخرين يريد عظة لمن بقي بعدهم وآية وعبرة قال أبو علي الفارسي المثل واحد يراد به الجم ومن ثم عطف على سلف والدليل على وقوعه على أكثر من واحد قوله تعالى ضرب الله مثلا لعبدا مملوكا لا يتذكر على شئ ومن رزقناه فأدخل تحت المثل شثنين والله أعلم * قوله تعالى (وما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خيرا مما مضى بولئك الاجدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولولوا شاء لجمعنا منكم ملائكة في الارض يتخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى ذكر انواعا كثيرة من كفر باتهم في هذه السورة وأجاب عنها بالوجوه الكثيرة (فأولها) قوله تعالى وجعلناه من عباده جزأ (وثانيها) قوله تعالى وجعلناه الملائكة الذين هم عباد الرحمن انانا (وثالثها) قوله وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم (ورابعها) قوله وقالوا والازل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (وخامسها) هذه الآية التي نحن الآن في تفسيرها ونفط الآية لا يدل الا على انه لما ضرب ابن مريم مثلا أخذ القوم يضجون ويرفون أصواتهم فاما ان ذلك المثل كيف كان وفي أى شئ كان فاللفظ لا يدل عليه والمفسرون ذكروا فيه وجوها كلها تحتمل (فالأول) ان الكفار لما سمعوا ان النصارى يعبدون عيسى قالوا اذا عبدوا عيسى فآلهتنا خيرا من عيسى وانما قالوا ذلك لانهم كانوا يعبدون الملائكة (الثاني) روى انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال عبد الله بن الزبير هذا خاصة لنا ولا آلهتنا أم لجميع الامم فقال صلى الله عليه وسلم بل لجميع الامم فقال خصمك ورب الكعبة الست زعم ان عيسى بن مريم نبى وتثنى عليه خيرا وعلى أمه وقد علمت ان النصارى يعبدونها واليهود يعبدون عزرا والملائكة يعبدون فاذا كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وفرح القوم وضحكوا وضحكوا فنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية أيضا ولما ضرب عبد الله بن الزبير عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله بعبادة النصارى اياه اذا قومك فيش مندأى من هذا المثل يصدون أى يرتفع لهم ضجيج وجاية فرحا وجدلا وضحكا بسبب ما رأوا من اسكات رسول الله فانه قد جرت العادة ان احد الخصمين اذا انقطع أظهر الخصم الثانى الفرح والضحج وقالوا آلهتنا خيرا أم هو يعنون ان آلهتنا عندك ابست خيرا من عيسى فاذا كان عيسى من حصب

والخصام لا يطلب الحق حتى ينعوا له ضد ظهوره بديانك (بل هم قوم خصمون) أى لندش اذا الخصومة يحبوا ون على الحكم واللباح وقيل لما سمعوا وقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فترأت قوتهم آلهتنا خيرا أم هو حيث تفضل لا آلهتهم على عيسى عليه السلام لان المراد بهم الملائكة ومعنى ما مضى بول الخ ما قالوا هذا القول الالجدل وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الآية قالوا ما يريد مجود بهذا الآن نعبد وانه يستأهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجون والغصير فى أم هو لمحمد عليه الصلاة والسلام وغيرهم بالموازنة بينه عليه السلام وبين آلهتهم الاستعزاء به وقد جوز ان يكون مراده الشخص عما ذكر عليهم من قوا الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم لهم كأنهم قالوا ما قننا بديان من

القوا ولا نعلمانكم من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه فنهج أشف منهم فولا وفلا * جهنم حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسى فقوله تعالى (ان هو الا عبد انعمنا عليه) أى باشوة (وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) أى أمرنا بحبها حتى بان يسير ذكره كالمثال السائرة على الوجه الاول استئناف مسوق لتزييد عليه السلام عن أن ينسب اليه ما نسب الى الاصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحاً بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى

الآية وقية كسبه على بطلان رأي من رجع عن زينة اليهودية وتعرى نفس نفسه رأي من رآهم في شأن الملائكة وعلى الثاني
والأربع لبيان أنه قياس باطل أو يابطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كسائر العبيد قصارى أمره أنه من أنعمنا عليهم بإنشوة
وخصصناه ببعض الخوص البديعة ان خففنا بوجده بدع وفدغنة آدم بوجه ابدع فت فليس هو من رتبة الاربعة بوجده بوجده
يتوهم صحة مذهبه عيسيه حتى يقتصر عبادة ٢٥١ الملائكة بكونهم أهدي منهم أو يعتذروا بان حالهم أشف
أو أخف من حالهم وأما على

أوجه الثالث فهو وزعمهم
وتكذيبهم في افتراءهم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيان أن عيسى في الساقطة ذوقيا
أوحى الى الرسول عليه السلام
والسلام ليس الا أنه عبدهم
عليه كاذر فكيف يرضى عليه
السلام بعبوديته أو كيف
يتوهم الرضا بعبودية نفسه
وقوله تعالى (ولو نشاء) الخ
لتحقيق أن مثل عيسى عليه
السلام ليس يدع من قدرة الله
وأنة تعالى قادر على ابدع من
ذلك وأبرع مع التنبيه على
سقوط الملائكة أيضا من درجة
المعبودية أى قدرتنا بحيث أو
نشاء (جعلنا) أى خلقنا بطريق
التوالد (منكم) وأتم رجال
ليس من شأنكم الولادة
(ملائكة) كما خلقناهم بطريق
الابداع (في الارض) مستقرين
فيها كما جعلناهم مستقرين في
السماء (يخلفون) أى يخلفونكم
مثل أولادكم فيما تاتون وما تدرور
ويباشرون الافاعيل المنوطة
بمباشرتكم مع أن شأنهم التسبيح
والقدس في السماء في شأنهم
بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة
الربانية كيف يتوهم استحقاقهم

جهنم كان أمر آلهتنا أهون (الوجه الثالث) في التأويل وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم
لما حكى أن النصارى عبدوا المسيح وجعلوه الها لأنفسهم قال كفار مكة ان محمد يريد أن
يجعل لنا الها كما جعل النصارى المسيح الها لأنفسهم ثم عندهم هذا قائلوا ألهتنا خير أم هو
يعنى ألهتنا خير أم محمد وذكروا ذلك لاجل انهم قالوا ان محمد ايدعونا الى عبادة نفسه
وأبوا نارعوا انه يجب عبادة هذه الاصنام واذ كان لابد من أحد هذين الامرين فعبادة
هذه الاصنام أولى لان آباءنا واسلافنا كانوا مطابعين عليه وأما محمد فانه متهم في أمرنا
بعبادته فكان الاشتغال بعبادة الاصنام أولى ثم انه تعالى بين بالم نقل ان الاشتغال بعبادة
المسيح طريق حسن بل هو كلام باطل فان عيسى ليس الا عبدا أنعمنا عليه فاذا كان الامر
كذلك فقد زالت شبهتهم في قولهم ان محمد يريد أن يأمركم بعبادة نفسه فهذه الوجوه
الثلاثة مما يحتل كل واحد منها لفظ الآية (المسئلة الثانية) قرأنا نافع وابن عامر والكسائي
وأبو بكر عن عاصم يصدون بضم الصاد وهو قراءة على بن أبي طالب عليه السلام والباقون
يكسر الصاد وهي قراءة ابن عباس واختلفوا فقال الكسائي هما بمعنى نحو يعرشون
ويعرشون ويعكفون ويعكفون ومنهم من فرق أما القراءة بالضم فن الصدود أى من
أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وأما بالكسر فعناه يصبجون (المسئلة
الثالثة) قرأ عاصم وحجة والكسائي ألهتنا استغفها ما ممرتين الثانية مطولة والباقون
استغفها ما ممرتين ثم قال تعالى ما ضربوه لك الا جدلا أى ما ضرب بوالك هذا المثل الا لاجل
الجدل والغلبة في القول لا لطلب الفرق بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون مباغنون
في الخصومة وذلك لان قوله انكم وما تعبدون من دون الله لا يتناول الملائكة وعيسى وبيانه
من وجوه (الاول) ان كلمة ما لا تتناول العقلاء البتة (والثاني) أن كلمة ما ليست صريحة في
الاستغراق بدليل انه يضح ادخال لفظي الكل والبعض عليه فيقال انكم وكل ما تعبدون
من دون الله انكم وبعض ما تعبدون من دون الله (الثالث) ان قوله انكم وكل ما تعبدون
من دون الله أو وبعض ما تعبدون خطاب مشافهة فاعله ما كان فيهم أحد يعبد المسيح
والملائكة (الرابع) أن قوله انكم وما تعبدون من دون الله هب انه عام لان النصوص
الدالة على تعظيم الملائكة وعيسى أخص منه والخاص مقدم على العام (المسئلة الرابعة)
القائلون بدم الجدل تمسكوا بهذه الآية الا انها قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى ما يجادل في
آيات الله الا الذين كفروا ان الآيات الكثيرة دالة على ان الجدل موجب للمدح والثناء
وطريق التوفيق ان تصرف تلك الآيات الى الجدل الذى يفيد تقري الحق وان تصرف
هذه الآية الى الجدل الذى يوجب تقري الباطل ثم قال تعالى ان هو الا عبدا أنعمنا عليه
يعنى ما عيسى الا عبد كسائر العبيد أنعمنا عليه حيث جعلناه آية بان خلقناه من غير أب كما
خلقنا آدم وشرفناه بالنبوته وصيرناه عبرة عجبية كاللؤلؤ السائر وأونشاء لجعلنا انكم اولادنا
منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى

للمعبودية أو اتسببهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا (وأنه) وان عيسى (الملائكة) أى انه بجزوله شرط من أشرطها وتسميته
علما لخصولته أو بحدوثه بغير أب أو باحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذى هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة
في الساعة وقرى علم أى علامة وقرى العلم وقرى لذكر على تسمية ما يذكر به ذكر التسمية ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى
عليه السلام ينزل على نبيه

بالارض القدسة يقال لها أفيق وعليه مصرتان ويده خرازة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح
فيث آخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب
وتخرب البيعة وانكناثس ويقتل النصراري الامن آمريه وقل الضمير ترأر لأر فيه اعلام بالساعة (ولا تترن بها)
قلنا ثلث أن في وقوعها (واتبعو) أي واتبعوا هداى أوسرى ٢٥٢ أو رسون وقل هو قول الرسول ما رواه من

من قدس فعل ان عرفوا مسيرنا بالقدرة الباهرة واعرفوا ان دخول اتولد والتولد في
الآن لك أمر ممكن وذات الله تعالى عز ذلك وان عسى اتم تساعة أي شرط من
أشراط ما علم فيسمى الشرط الدال على الشئ عظم الحصول العلم به وفرا أن عباس اتم
وهو الملاءمة وقري لأتم وفرا أي لشكر وفي الحديث ان عيسى ينزل على ليلة في الارض
المندسة يقال لها أفيق ويده خرازة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في
صلاة الصبح والامام يؤم بهم في آخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد
صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب وتخرب البيعة وانكناثس ويقتل
النصارى الامن آمريه بدلائل تنبها من الرقة وه الشك والتيهون واتبعوا هداى وشري
هذا صراط مستقيم أي هذا الذي ادعواكم اليه صراط مستقيم ولا تصد دنكم الشيطان انه
لكم خدوسمين قد بانث عدواته لكم بل انه هو الذي أخرج اياكم من الجنة ونزع عنه
لباس النور * قوله تعالى (ولمجا عيسى بالنبات قال قد جئتكم بالحكمة ولا بين لكم
بعض الذي تخفون فيه فاتقوا الله وأطيعوا ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل
ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) اعلم انه تعالى ذكر انه لمسا به عيسى
بالمعجزات وبأشراط النبات الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة وهي معرفة ذات الله
وصفاته وافعاله ولا بين لكم بعض الذي تخفون فيه يعني ان قوم موسى كانوا قد اختلفوا
في أشياء من أحكام التكليف واتفقوا على أشياء فجاء عيسى ايشين لهم الحق في تلك
المسائل الخلافية وبالجملة فالحكمة معناها أصول الدين وبعض الذي يخفون فيه معناه
فروع الدين فان قيل لم يبين لهم كل الذي يخفون فيه قلنا لان الناس قد يختلفون في
أشياء لا حاجة بهم الى معرفتها فلا يجب على الرسول بيانها ولمسا بين الاصول والفروع قال
فاتقوا الله في الكفر به والانراض عن دينه وأطيعوا فيما أبغاه اليكم من التكليف
ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم والمعنى ظاهر فاختلف الاحزاب أي
الفرق المخزبة بعد عيسى وهم الملكانية واليعقوبية والنسطورية وقبل اليهود
والنصارى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم وهو وعيد يوم الاحزاب فان قيل قوله
من بينهم الضمير فيه الى من رجم قلنا الى الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة
وهم قومه ثم قال هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقلنا ان تأتيهم بغتة من الساعة
والمعنى هل ينظرون الا انبان الساعة فان قالوا قوله بغتة يفيد عين ما يفيد قوله وهم
لا يشعرون فالفائدة فيه قلنا يجوز أن تأتيهم بغتة وهم يعرفونه بسبب أنهم يشاهدونه
* قوله تعالى (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عبادى لا خوف عليكم اليوم
ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا وباتوا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون
يطاف عليهم يصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلد الاعين وأنتم فيها

جهنم تعالى (هذا) أي الذي
أدعوكم اليه أو اقرأ على أن
الضيق في انها (صراط مستقيم)
موسى الى الحق (ولا تصد دنكم
الشيطان) عن اتبعي (انه
لكم خدوسمين) بين اعداؤه
حيث أخرج اياكم من الجنة
وعصاكم بالابية (ولمجا عيسى
بالنبات) أي بالمعجزات أو نباتات
الا نبيل أو بالشرائع
الواضحات (قال) اي
اسرائيل (قد جئتكم بالحكمة)
أي الانجيل أو الشريعة (ولا بين
لكم) عطف على مقدر ينزل
عنه المجي بالحكمة كأنه قيل
قد جئتكم بالحكمة لا علمكم
اياها ولا بين لكم (بعض الذي
تخفون فيه) وهو ما يتعلق
بامور الدين وأما ما يتعلق بامور
الدنيا فليس بيانه من وظائف
الانبياء عليهم السلام كما قال عليه
السلام أنتم أعلم بامور دنياكم
(فاتقوا الله) في مخالفتي
(وأطيعوا) فيما أبغاه عنه تعالى
(ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه)
بيان لما أمرهم بالطاعة فيه وهو
اعتقاد انوح بسدوا تعبد
بالشرائع (هذا) أي انوح
والتمجد بالشرائع (صراط
مستقيم) لا يشل سالكم وهو

امام من جهة تعالى مفر لمقابلة عيسى عليه السلام (فاختلف الاحزاب) * خالدون
انفر في المخزبة (من بينهم) أي من بين من يبعث اليهم من اليهود والنصارى (فويل للذين ظلموا) من المختفين (من عذاب
يوم أليم) هو يوم اقامة (هل ينظرون) أي ما ينظر الناس (الا الساعة أن تأتيهم) أي الا انبان الساعة (بغتة) أي فجاءة لكن
شد أولهم متربين لها بل غاين عنها مشغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك قوله

تعالى (وهم لا يشعرون الاغلاء) المحببون في الدنيا على الاطلاق أوفى الامور الدنياوية (يومئذ) يوم اذ تأتيهم الساعة (بعضهم لبعض عدو) لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب اظهر كونها اسبابا للعقاب (الالمتقين) فان خلتهم في الدنيا كانت في الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل على الثاني منقطع (يا عباد لا خوف عليكم اليوم) ٥٥٢ (ولا أنتم تحزبون) حقاية لما ينادى به لقول المحببون

في الله يومئذ نذرى لهما
وقد يسألونهم (الذين آمنوا
بآيات) صفدا لما نادى أو نضب
على المرح (وكا نوا مسلمين)
أى تحصين وجوههم لنسا
جائدين أنفهمهم بالمداطاعنا
وهو حال من وؤمنوا عن
مقاتلة اذ بعث الله الناس فزع
كل أحد فينادى مناديا عبادى
فيرفع الخلائق رؤسهم على
الرجائم يتبها الذين آمنوا
الآية فيكس أهل الايمان
الباطلة رؤسهم (أدخلوا الجنة
أنتم وأزواجكم) نساؤكم
المؤمنات (تحزبون) تسرون
سرور اظهر حباره أى أثره
على وجوهكم أو تزبون من
الحيرة وهو حسن الهيئة
أو تكرمون اكراما بليغا والحيرة
البالغة فيما وصف بجحيل
(يطاف عليهم) بعد دخولهم
الجنة حسب أمر إياه (بصحاف
من ذهب وأكواب) كذلك
والصحاف جمع صحفة قيل هى
كالقصة وقيل أعظم القصص
الجفنة ثم القصصة ثم الصحفة
ثم المكيلة والأكواب جمع كوب
وهو كوز لا عروة له (وفيها)
أى في الجنة (ما تشبه الانفس)
من قنون الملاذ وفرى ما تشتهى

خالد ، وتلك الجنة التى أورتهموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها
تأكلون) العلم تعالى لما قل هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة ذكر عقبيه بعض
ما يعلل بحال القيامة (فاولها) قوله تعالى الاغلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
والله الاغلاء في الدنيا يومئذ يعنى في الآخرة بعضهم لبعض عدو يعنى ان الخلة اذا
كانت على العصبية والكفر صارت عداوة يوم القيامة الا المتقين يعنى المؤمنين الذين
يخال بعضهم بعضا على الايمان والتوى فان خلتهم لا تصير عداوة للحكمة فى تفسير هذه
الآية طريق حسن فاننا ان المحبة أمر لا يحصل الا عند اعتقاد حصول خير أو دفع ضرر
ففى حصل هذا الاعتقاد حصلت المحبة لا محالة ومتى حصل اعتقاد انه يوجب ضررا حصل
البغض وانقرة اذ اعرفت هذا فنقول تلك الخيرات التى كان اعتقاد حصولها يوجب
حصول المحبة اما أن تكون قابلة للتغير والتبدل أولا تكون كذلك فان كان الواقع هو
النسب الاول وجب أن تبدل تلك المحبة بالنقرة لأن تلك المحبة لما حصلت لا اعتقاد حصول
الخير وراحه فاذا زال ذلك الاعتقاد وحصل عقبيه اعتقاد أن الحاصل هو الضرر والالم
وجب أن تبدل تلك المحبة بانبغضة لان تبدل العلة يوجب تبدل المفعول أما اذا كانت
الخيرات الموجبة للمحبة خيرات باقية أبدية غير قابلة للتبدل والتغير كانت تلك المحبة أيضا
مستقبية آمنة من التغير اذ اعرفت هذا الاصل فنقول الذين حصلت بينهم محبة ومودة
في الدنيا ان كانت تلك المحبة لاجل طلب الدنيا وطيباتها ولذا انها فهذه المطالب لا تبقى في
القيامة بل يصير طلب الدنيا سببا لحصول الآلام والآفات في يوم القيامة فلا جرم تقلب
هذه المحبة الدنياوية بغضة ونفرة في القيامة أما ان كان الموجب لحصول المحبة في الدنيا
الاشتراك في محبة الله وفي خدمته وطاعته فهذا السبب غير قابل للنسخ والتغير فلا جرم
كانت هذه المحبة باقية في القيامة بل كانت تصير أقوى وأصفى وأكمل وأفضل مما كانت
في الدنيا فهذا هو التفسير المطابق لقوله تعالى الاغلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
(الحكم الثاني) من أحكام يوم القيامة قوله تعالى يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم
تحزبون وقد ذكرنا مرارا ان عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالوثنين المطيعين
المتقين فقوله يا عبادى كلام الله تعالى فكان الحق يخاطبهم بنفسه ويقول لهم يا عبادى
لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزبون وفيه أنواع كثيرة مما يوجب الفرح (أولها) ان الحق
سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة (وثانيها) انه تعالى وصفهم بالعبودية وهذا
تشريف عظيم يدل على انه لما أراد أن يشرف محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قل سبحان
الذى أسرى بهى (وثالثها) قوله لا خوف عليكم اليوم فزال عنهم الخوف في يوم القيامة
بالكلية وهذا من أساطم النعم (ورابعها) قوله ولا أنتم تحزبون فتفى عنهم الحزن بسبب قوت
الدنيا الماضية ثم قال تعالى الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين قيل الذين آمنوا مبتدأ وخبره
مضمر والتقدير يقال لهم ادخلوا الجنة ويحتمل أن يكون المعنى أعنى الذين آمنوا قال

(وتلذذوا بعين) أى تسللوه وتفر بمشاهدته وقرى وتلذذ (وأنتم فيها خالدون) انعام النعمة وإكمال السرور فان كل نعم له
زوال بالآخرة مقارن لحوقه لا محالة والائات انشريف (وتلك الجنة) مبتدأ وخبر (التي أورتهموها) وقرى
(بما كنتم تعملون) في الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالبرات لانه يتخلف العامل عليه وقيل تلك الجنة
مبتدأ وصفه والوصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون

فتمتلك النار بمخدوش لا يورثوها كما في الاوامين (لكنم فيها ما كرهتم كثيرا) بحسب الاصناف والاصناف لا بحسب الافراد فقط
(منها تاكلون) أي بعضها تاكلون في كل نوبة وأما الباقي فعلى الأشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلقت عن ثمرة الخلق
فهى مزينة بالثمار أبدا موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يزع رجس في الجنة من ثمرة الا نبت مثلاها مكانها
(ان المجرمين) أي الراسخين في الاجرام وهم الكفار ﴿ ٤٥٢ ﴾ حسبما ينبي عنه ابراهيم في مقابلة المؤمنين بالآيات

(في عذاب جهنم خالدون)
خير ان أو خالدون هو الخير
وفي متعلق به (لا يفتقر عنهم)
أي لا يخفف العذاب عنهم
من قولهم ففتر عنه الحمى
اذا سكنت قليلا والتركيب
للضعف (وهم فيه) أي
في العذاب وقرئ فيها أي
في النار (مبلسون) أي
من النجاة (وما ظلمناهم) بذلك
(ولكن كانوا هم الظالمين)
لنعم يرضهم انفسهم للعذاب
الخالد (ونادوا) خازن النار
(يا مالكا) وقرئ يا مال على
الترخيم بالضم والكسر وعله
رمز الى ضعفهم وعجزهم
عن تأدية اللفظ بتمامه (ايض
طينار بك) أي ليتنا حتى
نستريح من قضى عليه اذا أمانته
والعنى سل ربك أن يقضى
علينا وهذا لا يناني ما ذكر
من ابلاسهم لانه جوارون من
للوت لفرط الشدة (قال انكم
ما كنون) أي في العذاب أبدا
لا خلاص لكم منه بموت
ولا بغيره عن ابن عباس رضى
الله عنهما انه لا يجيبهم الا بعد
ألف سنة وقيل بعد مائة وقيل
بعد أربعين سنة (لقد جئناكم
بالحق) في الدنيا برسالة الرسل
وانزال الكتب وهو خطاب

مقاتل اذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم فاذا سمعوا
النداء رفع الخلائق رؤسهم فيقال الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فتكس أهل الأديان
الباطلة رؤسهم (الحكم الثالث) من وقائع القيامة انه تعالى اذا آمن المؤمنين من الخوف
والحزن وجب ان يمر حسابهم على أسهل الوجوه وعلى أحسنها ثم يقال لهم ادخلوا الجنة
أنتم وأزواجكم تحبرون والخبرة المبالغة في الاكرام فيما وصف بالجليل يعنى يكرمون اكراما
على سبيل المبالغة وهذا مما سبق تفسيره في سورة الروم ثم قال يطاف عليهم بصحاف من
ذهب وأكواب قال انفراء الكوكب المستدير الرأس الذى لا أذن له فقول له يطاف عليهم
بصحاف من ذهب إشارة الى المطعوم وقوله وأكواب إشارة الى المشروب ثم انه تعالى ترك
التفصيل وذكر بياننا كليا فقال وفيها ما تشبهه الانفس وتلد الاعين وأنتم فيها خالدون ثم
قال وتلك الجنة التى أوردتموها بنا كنتم تعملون وقد ذكرنا فى ورائه الجنة وجهين فى تفسير
قوله أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ولما ذكر الطعام والشراب فيما تقدم
ذكره هنا حال الفاكهة فقال لكم فيها ما كرهتم كثيرا منها تاكلون واعلم انه تعالى بعث
محمد صلى الله عليه وسلم الى العرب أولا ثم الى العالمين ثانيا والعرب كانوا فى ضيق شديد
بسبب المأكول والمشروب والفاكهة فلهم هذا السبب بفضل الله تعالى عليهم بهذه المعاني
مرة بعد أخرى تكميلا لرضياتهم وتقوية لدواعيهم ﴿ قوله تعالى ﴾ ان المجرمين فى عذاب
جهنم خالدون لا يفتقر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا
يا مالكا ليقض علينا ربك قال انكم ما كنون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق
كارهون أم أرموا أمرا فانما يرمون أم يحسبون اننا لنسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا
لديهم يكتوبون اعلم انه تعالى لما ذكر الوعد أردفه بالوعيد على الترتيب المستمر فى القرآن
وفيه مسائل (المسألة الاولى) احتج انقاضى على القاطع بوعيد الفاسق بقوله ان المجرمين
فى عذاب جهنم خالدون لا يفتقر عنهم وهم فيه مبلسون ونفط المجرم يتناول الكافر والفاسق
فوجب كون الكل فى عذاب جهنم وقوله خالدون يدل على الخلود وقوله أيضا لا يفتقر عنهم
يدل على الخلود والدوام أيضا (والجواب) ان ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على ان
المراد من لفظ المجرمين هم الكفار أما ما قبل هذه الآية فلانه قال يا عبادي لا خوف
عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فهذا يدل على أن كل من
آمن بآيات الله وكانوا مسلمين فانهم يدخلون تحت قوله يا عبادي لا خوف عليكم اليوم
ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين والفاسق من أهل الصلاة آمن بالله تعالى
وبآياته وأسلم فوجب أن يكون داخلا تحت ذلك الوعد ووجب أن يكون خارجا عن هذا
الوعيد وأما ما بعد هذه الآية فهو قوله لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون
والمراد بالحق همنا اما الاسلام واما القرآن والرجل المسلم لا يكره الاسلام ولا القرآن
وثبت ان ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على أن المراد من المجرمين الكفار والله اعلم

تويج وتفرع من جهاد الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل فى قال ضمير الله تعالى (ولكن) المسئلة
أكثركم للحق) أى حق كان (كارهون) لا يقبأونه وينفرون عنه وأما الحق المعهود الذى هو التوحيد أو القرآن فكلامهم
كارهون له مشتمون منه (أم أرموا أمرا) كلام مبتدأ ناع عن المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه
وسلم وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من تويج أهل النار الى حكاية جناتية هو لاد والهجرة

لأنكار ما أراد بالبرام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاد ما أراد بالاحكام بصورة فهي لانكار الواقع واستبعاد أى أأبرم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (فأنا مبرمون) كيدنا حقيقة لأهم أو فأننا مبرمون كيدناهم حقيقة كما أريدوا كيدهم صورة كنواه تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون في أنفسهم وينشاورون في أموره ٤٥٥ بحمد الله عليه الصلاة والسلام (أم يحسبون) أى بل أيحسبون

(أنا لا نسمع سرهم) وهو ما حدثوا به أنفسهم أو غيرهم في مكان خال (ونحوهم) أى ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التامى (بلى) نحن نسمعهما ونطلع عليهما (ورسلنا) الذين يحفظون عليهم أعمالهم ويلزمونهم أنما كانوا (أديهم) عندهم (يكتبون) أى يكتبونهما أو يكتبون كل ما صدر عنهم من الأفعال والأقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونحوهم والجملة أما عطف على ما ترجم عنه بلى أو حال أى نسمعهما والحال أن رسلنا يكتبون (قل) أى للكفرة تحقير الحق وتبليها لهم على أن مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليست أبغضك وعداوتك لهم أو لمعبودهم بل إنما هو لجنك باستحالة ما نسبوا إليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى (إن كان للرحمن ولد فأننا أول العابدين) أى له وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بشئونه تعالى وبما يجوز عليه وبما

(المسئلة الثانية) أنه تعالى وصف عذاب جهنم في حق المجرمين بصفات ثلاثة (أحدها) الخلود وقد ذكرنا في مواضع كثيرة أنه عبارة عن طول المكث ولا يفيد الدوام (وثانيها) قوله لا يفتقر عنهم أى لا يخفف ولا ينقص من قولهم فثرت عند الخنى إذا سكنت ونقص حرها (وثالثها) قوله وهم فيه ملبسون والملبس الياثس الساكت سكوت يائس من فرج عن الضحك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يقفل عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى قال صاحب الكشاف وقرئ وهم فيها أى وهم في النار (المسئلة الثالثة) احتج القاضي بقوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين فقال إن كان خلق فيهم الكفر ليدخلهم النار فما الذى نفاه بقوله وما ظلمناهم وما الذى نسب به البهم بمافاه عن نفسه أو ليس أو أثبتناه ظلما لهم كان لا يزيد على ما يقوله القوم فان قالوا ذلك الفعل لم يقع بقدره الله عز وجل فقط بل انما وقع بقدره الله مع قدرة العبد معاذ لم يكن ذلك ظلما من الله قلنا عندهم ان القدرة على الظلم موجبة للظلم وخالف ذلك القدرة هو الله تعالى فكانه تعالى لما فعل مع خلق الكفر قدرة على الكفر خرج عن أن يكون ظلما لهم وذلك محال لأن من يكون ظلما في فعل فإذا فعل معه ما يوجب ذلك الفعل يكون بذلك أحق يقال للقاضي قدرة العبد هل هي صالحة للطرفين أو هي متعينة لأحد الطرفين فان كانت صالحة لكلا الطرفين فالترجيح أن وقع للمرجع لزم نفى الصانع وإن افتقر إلى مرجع عادته تقسيم الاول فيه ولا بد وأن ينتهى إلى داعية مرجحة بخلافها الله في العبد وإن كانت متعينة لأحد الطرفين فحينئذ يلزمك ما أوردته علينا وأعلم أنه ليس الرجل من يرى وجه الاستدلال فيذكره إنما الرجل الذى ينظر فيما قبل الكلام وفيما بعده فان رآه واردا على مذهبه بعينه لم يذكره والله أعلم (المسئلة الرابعة) قرأ ابن مسعود ما لم يجد من الكاف للترخيم فقبل لابن عباس أن ابن مسعود فرأوا نادوا يا مال فقال ما أشغل أهل النار عن هذا الترخيم وأجيب عنه بأنه لما حسن هذا الترخيم لأنه يدل على أنهم بلغوا في الضعف والخفاة أى حيث لا يمكنهم أن يذكروا من الكفاة الأبعضا (المسئلة الخامسة) اخلفوا في أن قولهم يا مالك ليتض علينا ربك على أى وجه طلبوه فقال بعضهم على التثني وقال آخرون على وجه الاستغاثه والأفهم عالمون بأنه لا خلاص لهم عن ذلك العقاب وقيل لا بعد أن يقال أنهم أشد ما هم فيه من العذاب نسوا تلك المسئلة فذكروه على وجه الطلب ثم أنه تعالى بين أن ما لك يقول لهم أنكم ما تكون وليس في القرآن من أجابهم هل أجابهم في الحال أو بعد ذلك بمدة وإن كان بعد ذلك فهل حصل ذلك الجواب بعد ذلك السؤال بمدة قليلة أو بمدة طويلة فلا يمتنع أن تؤخر الإجابة استخفافا بهم وزيادة في غمهم فعن عبد الله بن عمر بعد أربعين سنة وعن غيره بعد مائة سنة وعن ابن عباس بعد ألف سنة والله أعلم بذلك المقدار ثم بين تعالى أن ما لك لما أجابهم بقوله أنكم ما تكون ذكر بعده ما هو كالملة لذلك الجواب فقال لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون والمراد نفر منهم عن محمد وعن القرآن وشدة

لا يجوز أولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك على أبلغ الوجوه وأقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوتين وثبات قدم في باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استئزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه إرادان مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل إن كان للرحمن ولد فنزعكم وأنا أول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل أنا أول الآتقين أى المستكفين منه أو من أن يكون له ولد من صبي بعد

إذا اشتد أنفة وقيل إن نافية أي ما كان للرحن والمدفان أول من قال بذلك وقرئ ولد (سبحان رب السموات والأرض رب العرش
 عما يصفون) أي يصفونه به من أن يكون له ولد وفي إضافة اسم الرب إلى أعظم الأجرام وأقواها تنبيه على أنه وما فيها
 من الخوقات حيث كانت تحت ملكوته وورب يوده كيف توهم أن يكون شيء منها جزءاً منه سبحانه وفي تكرير اسم الرب تعظيم
 لشأن العرش (قدرهم) حيث لم يدعوا للعق يد ما عدا هذا البرهان في ٤٥٦ الجلي (يخـ) وا في المطلبهم

(ويعبوا) في دنياهم فإن
 ما هم فيه من الأفعال
 والأقوال ليست إلا من باب
 الجهل واللعب والجزم في
 الفعل لجواب الأمر (حتى
 يلاقوا يومهم الذي
 يوعدون) من يوم القيامة
 فإنهم يومئذ يعلمون ما فعلوا
 وما يفعل بهم (وهو الذي
 في السماء هو في الأرض له)
 النظر فإن متعلقان بالمعنى
 الوصفى الذي ينشأ عنه
 الاسم الجليل من معنى
 المعبودية بالخلق بناء على
 اختصاصه بالعبودية كالق
 مر في تفسير البسملة كأنه
 قيل وهو الذي مستحق لأن
 يعبد ذبحاً وقد مر تعنيته
 في سورة الأنعام وقرئ وهو
 الذي في السماء الله وفي الأرض
 الله ولراجع إلى المذول
 مبتدأ وحذفاء وللمصلة
 بمتعلق الخبر والعطف عليه
 ولا مبالغ لكون الجار
 خبراً قدما والهاء مبتدأ وخرا
 للزوم عراء الجملة حيث ذهبن
 العائد نعم يجوز أن يكون
 صلة للموسول والهاء خبراً مبتدأ
 محذوف على أن الجملة بيان
 للصلة وأن كونه في السماء
 على سبيل الإلهية لا على

بعضهم أقبول الدين الحق فإن قيل كيف قل ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس قلنا
 تلك أزممة متطاولة وأحباب عمدة فختلف بهم الأحوال فيسكتون أو فانا لندينه اليأس
 عليهم ويستغيثون أو فانا شدت ما بهم روى أنه يلقي على أهل النار الجوع حتى يمدن ما هم
 فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكاً فيدعون يا مالك ليخلص علينا ربك ولما ذكر الله
 تعالى كيفية عذابهم في الآخرة ذكر بعده كيفية مكربهم وفساد باطنهم في الدنيا فقال أم
 أبرموا أمراً فانا مبرمون والمعنى أم أبرموا مشركو مكة أمراً من كيدهم ومكرهم برسول
 الله فانا مبرمون كيدنا كما أبرموا كيدهم كقولهم كفو له تعالى أم يريدون كيداً فأنذرتهم
 المكيدون قال مقاتل نزلت في تدبيرهم في المكر به في دار الندوة وهو ما ذكره الله تعالى
 في قوله تعالى وإذ يكره لك الدين كفرؤا وقد ذكرنا القصة ثم قال أم يحسبون أنا لن نسمع
 سرهم ونجواهم السر ما حدث به الرجل نفساً أو غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به
 فيما بينهم على سريها ونطلع عليها ورسلا يريد الحفظة يكتبون عليهم تلك الأحوال وعن
 يحيى بن معاذ من ستر من الناس ذنوبه وأبداهما الذي لا يخفى عليه شيء في السموات فتجمله
 أهون الناظرين إليه وهو من علامات النفاق * قوله تعالى (قل إن كان للرحن مدفاناً
 أول العابدين سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون قدرهم نعم عبوا
 ويعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله هو
 الحكيم العليم وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وما علم الساعة واليه
 يرجعون وتبارك الذي يدع من دونه الشفاعة الأمن شهد بالحق وهم أهلون ومن
 سألتهم من خاتمهم بقول الله فأتى يوفكون وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فصفع
 عنهم وقل سلام فسوف يعلمون وفيه مسائل (المسئلة الأولى) قرأ جزء من القرآن
 بضم الواو واسكان اللام والياءون لفتحهما فانا أول العابدين فانا هم فانا ففتحنا لم يلة
 على لقون والناقون بلا تطويل (المسئلة الثانية) اعلم أن الناس ظنوا أن قوله قل
 للرحن ولد فانا أول العابدين أو أجز بناء على ظاهره فانه يقتضى وقوع اشك في اثبات
 والله تعالى وذلك محال فلا جرم افتشروا إلى تأويل الآية وعندي أنه ليس الأمر كذلك
 وليس في ظاهر الآية ما يوجب العدول عن ظاهره فقرر به ان قوله ان كان للرحن مدفاناً
 أول العابدين قضية شرطية والقضية الشرطية مركبة من قضيتين خبريتين أحدهما على
 أحدهما حذف الشرط وعلى الأخرى حرف الجزاء فحصل مجموعهما قضية واحدة
 ومثاله هذه الآية فان قوله ان كان للرحن ولد فانا أول العابدين قضية مركبة من
 قضيتين (أحدهما) قوله ان كان للرحن ولد (والثانية) قوله فانا أول العابدين ثم أدخل
 حرفاً شرط وهو واظفة ان على القضية الأولى وحرف الجزاء وهو الفاء على القضية
 الثانية فحصل من مجموعهما قضية واحدة وهي القضية الشرطية إذا عرفت هذا فتقول
 القضية الشرطية لا تنبذ الا كون الشرط مستلزماً للجزاء ليس فيها اشعار بكون

سبيل الاستقرار وفيه في الآسمة السماوية والأرضية منصف حص لا سبحانه في الإلهية تعالى وقوله تعالى (وهو عزو شرطية)
 الحكيم العليم) كالإله على ما قبله (وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما) أما على الدوام كالهواء أو في بعض
 الاوقات كالطير (وعنده علم الساعة) أي العلم بالساعة التي فيها تقوم القيامة (واله ترجعون) للجزاء والنفات التي يدور في
 على الغيبة وقرئ تحشرون باسماء (ولذلك الذين يدعون) أي يدعونهم وقرئ بالهاء مخففاً ومشدداً (من دونه الشفاعة)

الشرط حقا أو باطلا أو يكون الجزاء حقا أو باطلا بل نقول القضية الشرطية الحقة قد تكون مركبة من قضيتين حقيتين أو من قضيتين باطلتين أو من شرط باطل وجزاء حق أو من شرط حق وجزاء باطل (وأما القسم الرابع) وهو أن تكون القضية الشرطية الحقة مركبة من شرط حق وجزاء باطل فهذا محال وإنشأ مثله فهذه الأقسام الأربعة فإذا قلنا أن كان الإنسان حيوانا فالإنسان جسم فهذه شرطية حقة وهي مركبة من قضيتين حقيتين (أحدهما) قولنا الإنسان حيوان والثانية قولنا الإنسان جسم وإذا قلنا أن كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بتساويين فهذه شرطية حقة لكنها مركبة من قولنا الخمسة زوج ومن قولنا الخمسة منقسمة بتساويين وهما باطلان وكونهما باطلين لا يمنع من أن يكون استلزام أحدهما للآخر حقا وقد ذكرنا أن القضية الشرطية لا تفيد الاستلزام وإذا قلنا أن كل الإنسان حجر فهو جسم فهذا أيضا حق لكنها مركبة من شرط باطل وهو قولنا الإنسان حجر ومن جزاء حق وهو قولنا الإنسان جسم وإنما جاز هذا لأن الباطل قد يكون بحيث يلزم من فرض وقوعه حق قلنا وفرضنا كون الإنسان حجرا يجب كونه جسما فهذه شرطية باطل يستلزم جزاء حقا (وأما القسم الرابع) وهو تركيب قضية شرطية سقيمة من شرط حق وجزاء باطل فهذا محال لأن هذا التركيب يلزم منه كون الحق مسلما باطلا وذلك محال بخلاف القسم الثالث فإنه يلزم منه كون الباطل مسلما للحق ذلك ليس محال إذا عرفت هذا الأسفل فنخرج إلى أمية فنقول فثبت أن كل نار حرجن ولدفنا أول العابدس قضية شرطية حقة من شرط باطل ومن جزاء باطل لأن قولنا كل نار حرجن ولد باطل وقولنا أول العابدس ذلك الولد باطل أيضا إلا أن بيننا كون كل واحد منهما باطلا لا يمنع من أن يكون استلزام أحدهما للآخر حقا كما مضى بنا من المثال في قولنا أن كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بتساويين فثبت أن هذا الكلام لا يحتاج في إجرائه على ظاهره أو يكون المراد منه أنه كان نار حرجن ولدفنا أول العابدس لذلك وأما قال السلطان إذا كان له ولد فكما يجب على عبده أن يخدمه فكذلك يجب عليه أن يخدم ولده وقد بينا أن هذا التركيب لا يدل على الاعتناء بآليات ولد أم لا وما يقرب من هذا الباب قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا فهذا الكلام قضية شرطية والشرط هو قولنا فيهما آلهة والجزاء هو قولنا فسدنا فالشرط في نفسه باطل والجزاء أيضا باطل لأن الحق أنه ليس فيهما آلهة وكلمة لو تفيد انتفاء الشيء بانتفاء غيره لأنهما ما فسدنا ثم مع كون الشرط باطلا وكون الجزاء باطلا كان استلزام ذلك الشرط لهذا الجزاء حقا فكذلك ههنا فإن قالوا الفرق أن ههنا ذكر الله تعالى هذه الشرطية بصيغة لو فقال لو كان فيهما آلهة وكلمة لو تفيد انتفاء الشيء وانتفاء غيره وأما في الآية التي نحن في تفسيرها أنما ذكر الله تعالى كلمة أن وهذه الكلمة لا تفيد انتفاء الشيء لا انتفاء غيره بل هذه الكلمة تفيد الشك في أنه هل حصل الشرط أم لا وحصول هذا الشك للرسول

كأبرهون (الأم من شهد بالحق) الذي هو التوحيد (وهم يعلمون) بما يشهدون به عن بصيرة وإيمان وإخلاص وجع الضير باعتبار معنى من كأن الأفراد أو لا باعتبار لفظها والاستثناء أما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله أو منفصل على أنه خاص بالأصنام (وإن سألتهم من خلقهم) أي سألت العابدس والمع ودين (ليقولن الله) لنذكر الإنكار الخافية بطلانه (فأني سوفكون) فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع اعتقادهم بكون الكل مخلوقا له تعالى (وقيله) بالجرأ ما على أنه عطف على الساعة أي عنده علم الساعة وعلم قوله عليه الصلاة والسلام (يارب الخ فان القول والقليل والقال كلها مصادر أو على أن الواو والقسم وقوله

تعالى (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) جوابه وفي الاقسام به من رفق شأنه عليه الصلاة والسلام وتفخيم دعائه والتجانه اليه تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب بالغطف على سرهم أو على محل الساعة أو باضمار فعله أو بتقدير فعل انقسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفة على علم الساعة (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم واغفل عن ايمانهم (أو قل سلام) أي أمرى نسلهم ومشاركة (فسوف يعلمون) حالهم البتة وان تأخر ذلك رهو وعيد من الله تعالى لهم وتسليم الرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على أنه داخل في حيز قل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة باصباح لا خوف

غير ممكن قلنا الفرق الذي ذكرتم صحيح الآن مقصودنا بيان انه لا يلزم من كون الشرط صادقة كون جزأيها صادقين أو كاذبين على ما قررنا، اما قوله ان لفظة ان تفيد حصول الشك في ان الشرط هل حصل أم لا قلنا هذا ممنوع فان حرف ان حرف الشرط وحرف الشرط لا يفيد الا كون الشرط مستلزما للجزء، واما بيان ان ذلك الشرط معلوم الوقوع أو مشكوك الوقوع فاللفظ لا دلالة فيه عليه البتة فظهر من المباحث التي لحصناها ان الكلام ههنا ممكن الاجراء على ظاهره من جميع الوجوه وانه لا حاجة فيه البتة الى التأويل والمعنى انه تعالى قال هل يا محمد ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين لذلك الولد وانا أول الخلق مسين له والمقصود من هذا الكلام بيان اني لا انكر ولده لاجل العناد والمنازعة فان بتقدير أن يقوم الدليل على ثبوت هذا الولد كنت مقرابه معترفا بوجوب خدمته الا انه لم يوجد هذا الولد ولم يقم الدليل على ثبوته البتة فكيف أقول به بل الدليل القاطع قائم على عدمه فكيف أقول به وكيف اعترف بوجوده وهذا الكلام ظاهر كامل لا حاجة به البتة الى التأويل والعدول عن الظاهر فهنا ما عندي في هذا الموضوع ونقل عن السدي من المفسرين انه كان يقول جل هذه الآية على ظاهرها يمكن ولا حاجة الى التأويل والتقرير الذي ذكرناه يدل على أن الذي قاله هو الحق أما الغائلون بانه لا بد من التأويل فقد ذكروا فيه وجوها (الاول) قال الواحدى كثرت الوجوه في تفسير هذه الآية والاقوى أن يقال المعنى ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا أول العابدين أي الموحدين لله المكذبين لقواكم باضافة الولد اليه ولقائل أن يقول اما ان يكون تقدير الكلام ان ثبت للرحمن ولد في نفس الامر فانا أول المنكرين له أو يكون التقدير ان يثبت لكم ادعاء ان للرحمن ولدا فانا أول المنكرين له والاول باطل لان ثبوت الشيء في نفسه لا يقتضي كون الرسول منكرا له لان قوله ان كان الشيء ثابتا في نفسه فانا أول المنكرين يقتضي اصراره على الكذب والجهل وذلك لا يليق بالرسول (والثاني) أيضا باطل لانهم سواء أثبتوا الله ولدا أو لم يثبتوه له فالرسول منكرا لذلك الولد فلم يكن زعمهم تأثري كون الرسول منكرا لذلك الولد فلم يصلح جعل زعمهم اثبات الولد وتأثري كون الرسول منكرا للولد (والوجه الثاني) قالوا معناه ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين الآتين من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتدت انفته فهو عبد وعابد وقرأ بعضهم عبدين واعلم ان السؤال المذكور قائم ههنا لانه ان كان المراد ان كان للرحمن ولد في نفس الامر فانا أول الاتغين من الاقرار به فهذا يقتضي الاصرار على الجهل والكذب وان كان المراد ان كان للرحمن ولد في زعمكم واعتقادكم فانا أول الاتغين فهذا التعليق فاسد لان هذه الالفه حاصلة سواء حصل ذلك الزعم والاستعداد أو لم يحصلوا واذ كان الامر كذلك لم يكن هذا التعليق جائزا (والوجه الثالث) قال بعضهم ان كلمة ان ههنا هي النافية والتقدير ما كان للرحمن ولدا فانا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولده واعلم أن التزام

هذه الوجوه البعيدة انما يكون للضرورة وقد بينا أنه لا ضرورة البتة فلم يجز المصير اليها
والله أعلم ثم قال سبحانه وتعالى سبحانه رب السموات والارض رب العرش عما يصفون
والمعنى ان الله العالم يجب أن يكون واجب الوجود لذاته وكل ما كل كذلك فهو فرد
مطلق لا يقبل التجزى بوجه من الوجوه والولد عبارة عن ان يفصله عن الشيء جزء من
أجزائه فيتولد عن ذلك الجزء شخص مثله وهذا انما يعقل فيما تكون ذاته قابلة للتجزى
والتبعض واذا كان ذلك مخالفاً في حق الله العالم امتنع الثبات الولد والمذكور هذا البرهان
القاطع قال فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يؤسدون والمقصود
منه التهديد يعني قد ذكرت الحجة القاطعة على فساد ما ذكروا وهم لم يلتفتوا اليها لاجل
كونهم مستغرقين في طلب المال والجاه والرياسة فاتركهم في ذلك الباطل واللعب حتى
يصلوا الى ذلك اليوم الذي وعدوا فيه بما وعدوا والمقصود منه التهديد ثم قال تعالى وهو
الذي في السماء وفي الارض الله وفيدبحاث (البحث الاول) قال أبو علي نظرت فيما يرتفع
به الله فوجدت ارتفاعه يصح بان يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير وهو الذي في السماء
هو الله (والبحث الثاني) هذه الآية من أدل الدلائل على انه تعالى غير مستقر في السماء
لانه تعالى بين بهذه الآية ان نسبته الى السماء بالالهية كنسبته الى الارض فلما كان الها
للارض مع انه غير مستقر فيها فكذلك يجب أن يكون الها للسماء مع انه لا يكون مستقراً
فيها فان قيل وأي تعلق لهذا الكلام بنو الوارد عن الله تعالى قلنا تعلقه به انه تعالى خلق
عيسى بمحض كن فيكون من غير واسطة انطفئة والاب فكانه قيل ان هذا القدر
لا يوجب كون عيسى والله سبحانه لان هذا المعنى حاصل في تخليق السموات والارض
وما بينهما مع انتفاء حصول الولدية هناك ثم قال تعالى وهو الحكيم العليم وقد ذكرنا
في سورة الانعام ان كونه تعالى حكيماً عليماً ينافي حصول الوالد له ثم قال وتبارك الذي له
ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون واعلم ان قوله تبارك
اما أن يكون مشتقاً من الثبات والبقاء واما أن يكون مشتقاً من كثرة الخير وعلى
التقديرين فكل واحد من هذين الوجهين ينافي كون عيسى عليه السلام ولداً لله تعالى
لانها ان كان المراد منه الثبات والبقاء فعيسى عليه السلام لم يكن واجب البقاء والدوام
لانه حدث بعد أن لم يكن ثم عند النصارى انه قتل ومات ومن كان كذلك لم يكن بينه وبين
الباقي الدائم الازلي تجانسة ومشابهة فامتنع كونه ولداً له وان كان المراد بالبركة كثرة
الخيرات مثل كونه خالقاً للسموات والارض وما بينهما فعيسى لم يكن كذلك بل كان
محتاجاً الى الطعام وعند النصارى انه كان خائفاً من اليهود وبالآخرة أخذوه وقتلوه فالذي
هذا صفت كيف يكون ولداً لمن كان خائفاً للسموات والارض وما بينهما وأما قوله وعنده
علم الساعة فالمتصور منه أنه لما شرح كمال قدرته فكذلك شرح كمال علمه والمقصود التنبيه
على ان من كان كاملاً في الذات والعلم والقدرة على الحد الذي شرحناه امتنع أن يكون

عليكم اليوم ولا أنتم
تخرجون ادخلوا الجنة
بغير حساب * (سورة
الدخان مكية الاقواله
انا كاشفوا العذاب
الآية وهي سبع أو تسع
ونحسون آية) *
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(حم والكتاب المبين)
الكلام فيه كالذي
سلف في السورة السابقة
(انا أنزلناه) أي الكتاب
المبين الذي هو القرآن
(في ليلة مباركة) هي
ليلة القدر وقيل ليلة
البراءة ابتدئ فيها انزاله
أو أنزل فيها جله الى
السماء الدنيا من الموح
واملاه جبريل عليه
السلام على السفرة ثم
كان ينزله على النبي
صلى الله عليه وسلم
نحو ما في ثلاث وعشرين
سنة كما في سورة
الفاحة ووصفها بالبركة
لما أن القرآن مستنبح
للخساف الديني
والنبوية بأوجهها

أولاً فيها من تعزل
الملائكة والرحمة واجابة
الدعوة وقسم النعمة
وفصل الافضية وفضيلة
العبادة واعطاء تمام
الشفاعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
وقيل يزيد في هذه الليلة
ما من عز من زيادة ظاهرة
(انا كنا منذرين)
استثنى مابين ما يقتضى
الانزال كانه قبل انا
انزلناه لان من شأننا
الانذار والتحذير من
العقاب قبل جواب
للقسم وقوله تعالى
انا انزلناه الخ اعترض
وقيل جواب بغير عطف
(فيها يفرق كل امر
حكيم) استثنى كما قبله
فان كونها مفرق الامور
الحكمة أو الملتبسة
بالحكمة الموافقة لها
يستدعى أن ينزل فيها
انقرآن الذى هو من
عظائمها وقيل صفة
أخرى لليلة وما بينهما
اعترض وهذا يدل على
أنها ليلة القدر ومعنى

والده في العجز وعدم الوقوف على أحوال العالم بالحمد الذى وصفه النصارى ولما اطلب الله
تعالى في نفي الولد أردفه بيد ان نفي الشركاء فقال ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة
الامن شهد بالحق وهم يعلمون ذكر المفسرون في هذه الآية قولين (أحدهما) ان الذين
يدعون من دونه الملائكة وعيسى وعزير والمعنى ان الملائكة وعيسى وعزير لا يشفعون
الا ان شهد بالحق روى أن النضر بن الحرث ونفر معه قالوا ان كان ما يقول محمد حجة
فنحن نتولى الملائكة فهم احق بالشفاعة من محمد فانزل الله هذه الآية يقول لا يقدر
هو ولا ان يشفعوا لاحد ثم استثنى فقال الامن شهد بالحق والمعنى على هذا القول
هو ولا لا يشفعون الا ان شهد بالحق فأعزى الامن أو يقل التقدير الشفاعة من شهد
بالحق فحذف المضاف وهذا على انه من بعدى الشفاعة غير لام فيقول شفعت فلان معنى
شفعت له كما تقول كذا وكنت له وأصحه ونصحت له (والثول الثاني) ان الذين يدعون
من دونه كل معبود من دون الله وقوله الامن شهد بالحق الملائكة وعيسى وعزير والمعنى
ان الاشياء التى عبدوها هو لا الكفار لا يذكرون شفاعة الامن شهد بالحق وهم الملائكة
وعيسى وعزير فان لهم شفاعة عند الله عز وجل ومعنى من شهد بالحق من شهد انه لا اله الا الله
ثم قال تعالى وهم يعلمون وهذا التقيد يدل على ان الشهادة بالنسب فقط لا تقيد البتة
واحجج القائلون بان ايمان التقيد لا ينفع البتة بهذه الآية فقالوا بين الله تعالى ان
اشهادة لا تنفع الا اذا حصل معها العلم والعلم عبارة عن اليقين الذى لو شكك صاحبه
فيه لم يشكك وهذا لم يحصل الا عند الدليل فثبت ان ايمان المقلد لا ينفع البتة ثم
قال تعالى وثن سألتهم من خلقهم ليقول ان الله فأتى يؤفكون وفيه مسئلتان (المسئلة
الاولى) ظن قوم ان هذه الآية وأمثالها في القرآن تدل على ان اقوم مضطرون الى
الاعتراف بوجود الاله للعالم قال الجبائى وهذا لا يصح لان قوم فرعون قالوا لا اله الا
غيره وقوم ابراهيم قالوا انا في شك مما تدعوننا اليه فيقال لهم لانهم لانهم ان قوم فرعون
كانوا منكربين لوجود الاله والدليل على قولنا قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
أنفسهم ظمنا وقال موسى لفرعون لقد علمت ما أنزل هو لا اله الا رب السموات والارض
بصائر فالقراءة بفتح التاء في علمت تدل على ان فرعون كان عارفا بالله وأما قوم
ابراهيم حيث قالوا وانا في شك مما تدعوننا اليه فهو مصروف الى اثبات القسامة
واثبات التكليف واثبات النبوة (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى ذكر هذا الكلام
في أول هذه السورة وفي آخرها والمقصود التنبيه على انهم لما اعتقدوا ان خالق
العالم وخالق الحيوانات هو الله تعالى فكيف أقدموا مع هذا الاعتقاد على عبادة
أجسام خسيسة وأصنام خيثة لا تنضر ولا تنفع هي جادات محضة وأما قوله فأتى
تؤفكون معناه لم تكذبون على الله فتقولون ان الله أمرنا بعبادة الاصنام وقد احتج
بعض أصحابنا به على ان افكهم ليس منهم بل من غيرهم بقوله فأتى تؤفكون وأجاب

يفرق أنه يكتب ويفصل
كل أمر حكيم من أرزاق
العباد وآجالهم وجميع
أمرهم من هذه الليلة
الى الاخرى من السنة
القابلة وقيل يبدأ في
استنساخ ذلك من اللوح
في ليلة البراءة ويقع الفراغ
في ليلة القدر فتدفع
نسخة الارزاق الى
ميكائيل ونسخة الحروب
الى جبريل وكذا النزول
والخسف والصواعق
ونسخة الاعمال الى
اسماعيل صاحب سماء
الدنيا وهو ملك عظيم
ونسخة المصائب الى
ملاك الموت عليهم السلام
وقرى يغفر بان شديدا
وقرى يفرق على البناء
للقايل أى يفرق الله
تعالى كل أمر حكيم
وقرى نفرق بنون
العظيمة (أمر من
عندنا) نصب على
الاختصاص أى أعنى
بهذا الامر امر احصاه
من عندنا على مقتضى
حكمته وهو بيان

القاضى بأن من يضل في فهم الكلام أو في الطريق يقال له أين يذهب بك والمراد أين
تذهب وأجاب الاصحاب بأن قول القائل أين يذهب بك ظاهره يدل على ان ذاهبا آخر
ذهب به فصرف الكلام عن حقيقة خلاف الاصل الظاهر وأيضا فان الذى ذهب به
هو الذى خلق تلك الداعية في قلبه وقد ثبت بالبرهان الباهر ان خالق تلك الداعية هو
الله تعالى ثم قال تعالى وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وفيه مباحث (الاول) قرأ
الاكثرون وقيله بفتح اللام وقرأ عاصم وحزرة بكسر اللام قال الواحدي وقرأ أناس
من غير السبعة بالرفع أما الذين قرؤا بالنصب فقد ذكر الاخفش والقراء فيه قولين
(أحدهما) انه نصب على المصدر بتقدير وقال قيله وشكاشكوا الى ربه بعنى النبي صلى الله
عليه وسلم فان نصب قيله باضمار قال (والثاني) انه عطف على ما تقدم من قوله انا
لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وذكر الزجاج فيه وجهان ثانيا فقال انه نصب على موضع
الساعة من قوله وعند علم الساعة معناه انه علم الساعة والتقدير علم الساعة وقيله ونصيره
قولك يحجب من ضرب زيد وعمرا وأما القراءة بالجر فقال الاخفش والقراء والزجاج انه
معطوف على الساعة أى عنده علم الساعة وعلم قيله يارب قال المبرد العطف على المنسوب
حسن ان تباعد المعطوف من المعطوف عليه لانه يجوز أن يفصل بين المنسوب وعامله
والجبرور يجوز ذلك فيه على فتح وأما القراءة بالرفع ففيها وجهان (الاول) أن يكون وقيله
مبتدأ وخبر ما بعده (والثاني) أن يكون معطوفا على علم الساعة على تقدير حذف المضاف
معناه وعند علم الساعة وعلم قيله قال صاحب الكشاف هذه الوجوه ليست قوية
في المعنى لاسيما وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضهم ذكر
وجه آخر وزعم انه أقوى مما سبق وهو أن يكون النصب والجر على اضمار حرف القسم
وحذفه والرفع على قولهم آمين الله وأما الله ويمين الله ويكون قوله ان هؤلاء قوم
لا يؤمنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقيله يارب أو وقيله يارب قسمي وأقول هذا
الذى ذكره صاحب الكشاف متكلف أيضا وههنا اضممار امتلاء القرآن منه وهو
اضمار اذ كر والتقدير واذا كر قيله يارب وأما القراءة بالجر فالتقدير واذا كر وقيله يارب
واذا وجب التزام الاضمار فلان يضر شيئا جرت العادة في القرآن بالتزام اضماره أولى
من غيره وعن ابن عباس أنه قال في تفسير قوله وقيله يارب المراد وقيل يارب والهاء زيادة
(البحث الثاني) القيل مصدر كالقول ومنه قوله النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن
قيل وقال قال النيث تقول العرب كثر في القيل والقيل وروى شمر عن أبي زيد يقال
ما أحسن فيك وقولك ومقالك وقالك ومقالك خمسة أوجه (البحث الثالث) الضمير
في قيله لرسول الله صلى الله عليه وسلم (البحث الرابع) ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ضمير
منهم وعرف اصرارهم أخبر عنهم أنهم قوم لا يؤمنون وهو قرىب مما حكى الله عن نوح
أنه قال رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ثم انه تعالى قال له فاصفح

عنهم فامرهم بان يصفح عنهم وفي ضمنه منعه من أن يدعوا عليهم بالعذاب وانصفهم هو
 الاعراض ثم قال وقل سلام قال سيبويه انما معناه الماركة ونظيره قول ابراهيم لايه
 سلام عليك سأستغفر لك ربي واكوله سلام عليكم لا ينبغي الجاهلين فسوف يعلمون
 المتصود منه التهديد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأنا نافع وابن عامر يعملون بالثناء على
 الخطاب والباقون بالياء كناية عن قوم لا يؤمنون (المسئلة الثانية) احتج قوم بهذه الآية
 هل أتت يجوز السلام على الكافر وأقول ان صح هذا الاستدلال فهذا يوجب الافتصار
 على مجرد قوله سلام وأن يقال المؤمن سلام عليكم والتصود انبياه على التوبة التي
 تذكر للمسلم والكافر (المسئلة الثالثة) قال ابن عباس قوله تعالى فاصفح عنهم وقل سلام
 منسوخ بآية السيف وعندى التزام النسخ في أمثال هذه المواضع مشكل لان الامر
 لا يغيد الفعل الامر واحد فاذا أتى به مرة واحدة فقد سقطت دلالة اللفظ فأى حاجة
 فيه الى التزام النسخ وأيضا فله بين الفور مشهورة عند الفقهاء وهى دالة على أن اللفظ
 المطلق قد تنقيد بحسب قرينة العرف واذا كان الامر كذلك فلا حاجة فيه الى التزام
 النسخ والله أعلم بالصواب قال مولانا المؤلف عليه مصائب الرحمة والرضوان ثم تفسر
 هذه السورة يوم الاحد الحادى عشر من ذى الحجة سنة ثلاث وستمائة والحمد لله أولا
 وآخرا وباطنا وظاهرا والصلاة على ملائكته المقربين والانبياء والمرسلين خصوصا
 على محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه أجمعين أبدا لا يدين ودهر الداهرين

*(سورة الدخان خسون وتسع آيات مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب) *

*(بسم الله الرحمن الرحيم) *

(حم والكتاب المبين انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم
 أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض
 وما بينهما ان كنتم موقنين لاله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين بل هم
 في شك يلعبون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) في قوله حم والكتاب المبين وجوه من
 الاحتمالات (أولها) أن يكون التقدير هذه حم والكتاب المبين كقولك هذا زيد والله
 (وثانيها) أن يكون الكلام قد تم عند قوله حم ثم يقال والكتاب المبين انا أنزلناه
 (وثالثها) أن يكون التقدير وحام والكتاب المبين انا أنزلناه فيكون ذلك في التقدير قسمين
 على شئ واحد (المسئلة الثانية) قالوا هذا يدل على حدوث القرآن لوجوه (الاول)
 ان قوله حم تقديره هذه حم يعنى هذا شئ مؤلف من هذه الحروف والمؤلف من الحروف
 المتعاقبة يحدث (الثانى) انه ثبت ان الحلف لا يصح بهذه الاشياء بل باله هذه الاشياء
 فيكون التقدير ورب حم ورب الكتاب المبين وكل من كان مر بوبا فمحدث (الثالث)
 أنه وصفه بكونه كتابا والكتاب مشتق من الجمع فعنه أنه مجموع والمجموع محل تصرف

لنخاتمه الاضافية بعد
 بيان فخامته الذاتية
 ويجوز كونه حالاً من
 كل أمر المخصوصه
 بالوصف أو من ضميره
 في حكمه وقد جوز أن
 يراد به مقابل النهى
 ويجعل مصدرا مؤكدا
 ليعرف لا اتحاد الامر
 والفرقان في المعنى أو فعله
 المضمرا أن الفرق به
 أو حالاً من أحد ضميرى
 أنزلناه أى أمرين أو
 مأمورا به (انا كنا
 مرسلين) يدل من انا
 كنا منذرين وقيل
 جواب ثالث وقيل
 مستأنف وقوله تعالى
 (رحمة من ربك) غاية
 للارسل متأخرة عنه
 على أن المراد بها الرحمة
 الواصلة الى العباد
 وباعت مقدم عليه
 على أن المراد مبدؤا
 أى انا أنزلنا القرآن لان
 من عادتنا ارسال الرسل
 بالكتب الى العباد
 لاجل افاضة رحمتنا
 عليهم أو لاقضاء
 رحمتنا السابقة

الغير وما كان كذلك فهو محدث (الرابع) قوله انا أنزلناه والميزان محل تصرف الغير
وما كان كذلك فهو محدث وقد ذكرنا مرارا أن جميع هذه الدلائل تدل على ان الشيء
المركب من الحروف المتعاقبة والاصوات المتواليه محدث والعلم بذلك ضروري بديهى
لا ينازع فيه الامن كان عديم العقل وكان غير عارف بمعنى القديم والحديث واذا كان
كذلك فكيف ينازع في صحة هذه الدلائل انما الذى ثبت قدمه شئ آخر سوى ما تركب
من هذه الحروف والاصوات (المسئلة الثالثة) يجوز أن يكون المراد بالكتاب ههنا
الكتب المقدمة التى أنزلها الله على أنبيائه كما قال تعالى لقد أرسلنا رسالنا بالبينات
وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ويجوز أن يكون المراد النوح المحفوظ كما قال سبحانه والله
ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقال وانه في أم الكتاب لدينا ويجوز أن يكون المراد
به القرآن وبهذا التقدير فقد أقسم بالقرآن على انه أنزل القرآن في ليلة مباركة وهذا
النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن فقد يقول الرجل اذا أراد تعظيم رجلا له
حاجة اليه أستشفع بك اليك وأقسم بحقك عليك (المسئلة الرابعة) المبين هو المشتل
على بيان ما بانتهاس حاجة اليه في دينهم ودنياهم فوصفه بكونه مبينا وان كانت
حقيقة الابانة لله تعالى لاجل ان الابانة حصلت به كما قال تعالى ان هذا القرآن يقصص على
بنى اسرائيل وقال في آية أخرى نحن نقص عليك أحسن القصص وقال أم أنزلنا عليهم
سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فوصفه بالكلم اذا كان غاية في الابانة فكانه ذو
لسان ينطق والمعنى فيه المبالغة في وصفه بهذا المعنى (المسئلة الخامسة) اختلفوا في هذه
الليلة المباركة فقال الأكثرين انها ليلة القدر وقال عكرمة وطائفة آخرون انها ليلة
البراءة وهى ليلة النصف من شعبان (أما الاولون) فقد احتجوا على صحة قولهم بوجوه
(أولها) انه تعالى قال انا أنزلناه في ليلة القدر وههنا قال انا أنزلناه في ليلة مباركة فوجب
أن تكون هذه الليلة المباركة هى تلك المسماة بليلة القدر لئلا يلزم التناقض (وثانيها)
انه تعالى قال شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن فبين ان أنزل القرآن انما وقع في شهر
رمضان وقال ههنا انا أنزلناه في ليلة مباركة فوجب أن تكون هذه الليلة المباركة واقعة
في شهر رمضان وكل من قال ان هذه الليلة المباركة واقعة في شهر رمضان قال انها ليلة
القدر وثبت انها ليلة القدر (وثالثها) انه تعالى قال في صفة ليلة القدر تنزل الملائكة
والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى وقال أيضا ههنا فبها يفرق كل أمر حكيم
وهذا مناسب لقوله تنزل الملائكة والروح فيها وههنا قال أمر من عندنا وقال في تلك
الآية باذن ربهم من كل أمر وقال ههنا رجعة من ربك وقال في تلك الآية سلام هى واذا
تقاربت الاوصاف وجب القول بأن احدى اليلتين هى الاخرى (ورابعها) نقل محمد
ابن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة أنه قال نزلت صحف ابراهيم في أول ليلة من رمضان
والثوراة لست ايل منه والزابور لثنتي عشرة مضت منه والانجيل لثمان عشرة مضت منه

ارسلهم ووضع الرب
موضع الضمير للايدان
بان ذلك من أحكام
الربوبية ومقتضياتها
واضافته الى ضميره عليه
الصلاة والسلام
لتشريفه أو لتعليل ليفرق
أول قوله تعالى أمرنا على
أن قوله تعالى رحمة
مفعول للارسال كما في قوله
تعالى وما يمسك فلا
هرس له أى يفرق فيها
كل أمر أو تصدر
الوامر من عندنا لان
من عادتنا ارسال رحمتنا
ولا ريب في أن كلامنا
قصة الارزاق وغيرها
والوامر الصادرة منه
تعالى من باب الرحمة فان
الغاية لتكليف العباد
تعريضهم للنافع وقرى
رحمة بالرفع أى تلك رحمة
وقوله تعالى (انه هو
السميع العليم) تحقيق
لربوبية تعالى وأنها
لأنه خلق الامن هذه نعوته
(رب السموات والارض
وما بينهما) يدل من
ربك أو بيان أو نعت
وقرى بالرفع على أنه
خبر آخر أو استئناف
على ضمير مبتدا
(ان كنتم موقنين)

والقرآن لاربع وعشرين مضت من رمضان واليلة المباركة هي ليلة القدر (وخاسها)
 ان ليلة القدر انما سميت بهذا الاسم لان قدرها وشرفها عند الله عظيم ومعلوم انه ليس
 قدرها وشرفها السبب نفس ذلك الزمان لان الزمان شيء واحد في الذات والصفات فيمتنع
 كون بعضها أشرف من بعض لذاته فثبت ان شرفه وقدره بسبب انه حصل فيه أمور
 شريفة عالية لها قدر عظيم ومرتبة رفيعة ومعلوم ان منصب الدين أعلى وأعظم من
 منصب الدنيا وأعلى الأشياء وأشرفها منصب في الدين هو القرآن لاجل ان به ثبت نبوة
 محمد صلى الله عليه وسلم وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل في سائر كتب الله الميزة كما قال
 في صفته ومهيئنا عليه وبه ظهرت درجات أرباب السعادات ودرجات أرباب الشقاوات
 فولى هذا الاشياء الاو القرآن أعظم قدرا وأعلى ذكرا وأعظم منصباً منه فلو كان نزوله انما
 وقع في ليلة أخرى سوى ليلة القدر لكانت ليلة القدر هي هذه الثانية لا الاولى بحيث
 أطبقوا على ان ليلة القدر هي التي وقعت في رمضان علما ان القرآن انما نزل في تلك
 اليلة وأما قائلون بأن المراد من اليلة المباركة المذكورة في هذه الآية هي ليلة
 انصف من شعبان فارأيت لهم فيه دليلاً يعول عليه وانما وافيه بأن نقول عن بعض
 الناس فان صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه كلام فلا حيز عليه والافاض هو
 الاول ثم ان هؤلاء القائلين بهذا القول زعموا ان ليلة انصف من شعبان لها أربعة أسماء
 اليلة المباركة ويلة البراءة ويلة الصلح ويلة الرجعة وقيل انما سميت بليلة البراءة ويلة
 الصلح لان البندار اذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل
 يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه اليلة وقبل هذه اليلة مختصة بخمس حاصل
 (الاول) تفريق كل أمر حكيم فيها قال تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم (والثانية) فضيلة
 العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله
 اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون
 عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكاييد الشيطان (الخصلة الثالثة) نزول الرحمة قال
 عليه السلام ان الله برحم أمي في هذه الليلة بعدد شعرا غنم بني كلب (والخصلة الرابعة)
 حصول المغفرة قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة
 الا لكاهن أو مشاحن أو مد من خمر أو عاق للوالدين أو مصر على الزنا (والخصلة
 الخامسة) انه تعالى أعطى رسوله في هذه الليلة تمام الشفاعة وذلك انه سأل ليلة الثالث
 عشر من شعبان في أمته فاعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فاعطى الثلثين ثم
 سأل ليلة الخامس عشر فاعطى الجميع الا من شره على الله شراد البعير هذا الفصل نقلته
 من الكشف فان قيل لاشك ان الزمان عبارة عن المدة الممتدة التي تقديرها حركات
 الافلاك والكواكب وانه في ذاته أمر متشابه الاجزاء فيمتنع كون بعضها أفضل من بعض
 والكان أيضاً عبارة عن الفضاء الممتد والخلاء الخالي فيمتنع كون بعض أجزائه أشرف

أي ان كنتم من أهل
 الايمان في العلوم أو
 ان كنتم موقنين في
 اقراركم بانه تعالى رب
 السموات والارض وما
 بينهما اذا سئتم من
 خلقها فقلتم علمتم أن
 الامر كما قلنا وان كنتم
 من يدين اليقين فاعلموا
 ذلك (لا اله الا هو) جله
 مستأنفة مقررة لما قبلها
 وقيل خبر لقوله رب
 السموات الخ ما بينهما
 اعتراض (يعني: يمت)
 مستأنفة كما قبلها وكذا
 قوله تعالى (ربكم ورب
 آباءكم الاولين) باضمار
 مبتدأ أو بدل من رب
 السموات على قراءة الرفع
 أو بيان أو نعت له وقيل
 فاعل ايمت وفي يحيى
 ضمير راجع الى رب
 السموات وقرئ بالجزم
 بدلا من رب السموات
 على قراءة الجزم (بل هم
 في شك) مما ذكر من شؤنه
 تعالى غير موقنين في
 اقرارهم (يلعبون)
 لا يقولون ما يقولون
 عن جسد واذعان بل
 مخلوطة باهر وأواب
 والفاء في قوله تعالى

(فان ثبت) ترتيب الارتفاعات او الامر به على ما قلنا فان كونهم في شك مما يوجب ذلك حتم اي فانه نظرهم (يوم تأتي السحاب طامنين) أي يوم شدة ومجاعة فان الجمع ربي بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما الضعف بصره أو لان في عام القحط يظلم الهواء ثلاثة ايام مطار وكثر نحو ٤٦٥ ٤٦٦ اعتبار أولان العرب تسمى النسر الغالب دخانا وذلك ان قر يشالما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فأخذتهم سنة حتى أكلوا الجيف والعظام والعلمن وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى (يغشى الناس) أي يحيط بهم (هذا عذاب اليم) أي قتلين ذلك فغشى اليه عليه الصلاة والسلام أبو سفيان ونفر معه واشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعاهم وكشف عنهم أن يؤمنوا وذلك قوله تعالى (ربنا اكشف عنا العذاب اننا مؤمنون) وهو يقول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وبه أخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار القراء والزجاج وقيل هو دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة فيدل في اسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد نحو ٥٩ سا كالأرأس الخندوبية ترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان وزول عيسى ابن مريم

من البعض واذا كان كذلك كان تخصيص بعض أجزائه بزيادة الشرف دون الباقي ترجيحاً لاحد طرفي الممكن على الآخر لا ترجيحاً به محار قلنا القول بثبات حدوث العالم وثبات أن فاعله فاعل مختار بناء على هذا الحرف وهو انه لا يبعد من الفاعل المختار تخصيص وقت معين باحداث العالم فيه دون ما قبله وما بعده فان بطل هذا الاصل فتدبطل حدوث العالم وبطل الفاعل المختار وحينئذ لا يكون للخوض في تفسير القرآن فائدة وان صح هذا الاصل فقد زال ما ذكرتم من السؤال فهذا هو الجواب المعتقد والناس قالوا لا يبعد ان يخص الله تعالى بعض الاوقات بمن يشرف حتى يصير ذلك داعياً له كلف الى الإقدام على الطاعات في ذلك الوقت ولهذا السبب بين انه تعالى أخفاه في الاوقات وما لحينه لانه اذا لم يكن معينا جواز المكاف في كل وقت معين أن يكون هو ذلك الوقت الشريفي فيصير ذلك حاملاً له على المواظبة على الطاعات في كل الاوقات واذا وقفت على هذا الحرف ظهر عندك ان الزمان والمكان انما فازا بالتشريفات الزائدة تبعاً لشرف الانسان فهو الاصل وكل ما سواه فهو تبع له والله أعلم (المسئلة السادسة) روى أن عطية الحروري سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله انما أنزلناه في ليلة الندر وقوله انما أنزلناه في ليلة مباركة كيف يصح ذلك مع أن الله تعالى أنزل القرآن في جميع اشهر فقال ابن عباس رضي الله عنهما يا ابن الاسود لو هلكك أنا ووقع هذا في نفسك ولم تجد جوابه لهلكك زل القرآن جلة من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور وهو في السماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك في أنواع البقاع حالاً فقالوا والله أعلم (المسئلة السابعة) في شأن نظم هذه الآيات اعلم أن المنصود منها تعظيم القرآن من ثلاثة أوجه (أحدها) بيان تعظيم القرآن بحسب ذاته (الثاني) بيان تعظيمه بسبب شرف الوقت الذي نزل فيه (الثالث) بيان تعظيمه بحسب شرف منزله أما بيان تعظيمه بحسب ذاته فثلاثة أوجه (أحدها) انه تعالى أقسم به وذلك يدل على شرفه (وثانيها) انه تعالى أقسم به على كونه نازلاً في ليلة مباركة وقد ذكرنا أن القسم شيء على حالة من أحوال نفسه يدل على كونه في غاية الشرف (وثالثها) انه تعالى وصفه بكونه مبیناً وذلك يدل أيضاً على شرفه في ذاته (وأما النوع الثاني) وهو بيان شرفه لاجل شرف الوقت الذي أنزل فيه فهو وجهان اما أنزلناه في ليلة مباركة وهذا تنبيه على ان نزوله في ليلة مباركة يقتضي شرفه وجلالته ثم نقول ان قوله انما أنزلناه في ليلة مباركة يقتضي أمرين (أحدهما) انه تعالى أنزلناه (والثاني) كونه تلك الليلة مباركة فذكر تعالى عقيب هذه الكلمة ما يجري مجرى الباري لكل واحد منهما ما يثبت انه تعالى لم أنزلناه فهو قوله انما كنا منذرين يعني الحكمة في انزال هذه السورة لئلا تظن انهم لا يتم الاباء وأما بيان ان هذه الليلة ليلة مباركة فهو أمران (أحدهما) انه تعالى يفرق في ما كل أمر حكيم (والثاني) ان ذلك الأمر الحكيم يكون مخصوصاً بشرف انه انما يظهر من عبده واليه الإشارة بقوله أمرنا من عندنا (وأما النوع الثالث) فهو بيان شرف القرآن لشرف منزله وذلك هو قوله

حتى يكون رأس الواحد نحو ٥٩ سا كالأرأس الخندوبية ترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان وزول عيسى ابن مريم

ونار يخرج من قعر عدن أربعين نسوة إلى النار كلما قال حديثه رسول الله وما الدنيا فقلنا لا يا مينا
المشرق والغرب يمكث أربعين يوما وليله أما المؤمن فيصليه كهيئة الزكاة وأما الكافر فهم كالسكران يخرج من مخزبه
واذنيه وديره الأول هو الذي يستدعيه مساق النظم ٤٦٦ الكرم قطعاً فان قوله تعالى (أني اهتم الذكري) الخ زرد

انا كنا مرسلين فيمن ان ذلك الانذار والارسال انما حصل من الله تعالى ثم بين ان ذلك
الارسال انما كان لاجل تكميل الرحمة وهو قوله رحمة من ربك وكان الواجب أن يقال
رحمة منا لانه وضع الظاهر موضع المضمرا لئلا يبان الربوبية تقتضي الرحمة على الربوبية
ثم بين أن تلك الرحمة وقعت على وفق حاجات المحتاجين لانه تعالى يسمع تضرعاتهم ويعلم
أنواع حاجاتهم فلهذا قال انه هو السميع العليم فهذا ما خطر بالبال في كيفية تعلق بعض
هذه الآيات ببعض (المسئلة الثامنة) في تفسير مفردات هذه الالفاظ اما قوله تعالى انا
أنزلناه في ليلة مباركة فقد قيل فيه انه تعالى أنزل كلية القرآن من اللوح المحفوظ الى سكر
الديان في هذه الليلة ثم أنزل في كل وقت ما يحتاج اليه المكلف وقيل يبدأ في استنساخ ذلك
من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى
ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرائيل وكذلك الزلازل والصواعق والحسف ونسخة
الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت
أما قوله تعالى فيها يفرق أي في تلك الليلة المباركة يفرق أي يفصل بين من قولهم فرقت
الشيء أفرقه فرقا وفرقا قال صاحب الكشف وقرئ يفرق بالتشديد و يفرق على اسناد
الفاعل الى الفاعل ونصب كل بالفارق هو الله عز وجل وقرأ زيد بن علي نقرأ أما قوله
كل أمر حكيم فالحكيم معناه ذو الحكمة وذلك لان تخصيص الله تعالى كل أحد بحالة
معينة من العمر والزرق والالجل والسعادة والشقاوة يدل على حكمة باقية لله تعالى فلما
كانت تلك الافعال والاقضية دالة على حكمة فاعلمها وصفت بكونها حكيم وهذا من
الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز ثم
قال أمر من عندنا وفي انتصاب قوله أمر اوجهان (الأول) انه نصب على الاختصاص
وذلك لانه تعالى بين شرف تلك الاقضية والاحكام بسبب ان وصفها بكونها حكيم ثم زاد في
بيان شرفها بأن قال أعني بهذا الامر أمر احاطه الامن عندنا كما نؤمن لدنا وكما فنضكم
علمنا وتديرنا (والثاني) انه نصب على الحال وفيه ثلاثة أوجه (الأول) أن يكون حال من
أحد الضميرين في أنزلناه اما من ضمير الفاعل أي انا أنزلناه أمرين أمر أو من ضمير
المفعول أي انا أنزلناه في حال كونه أمر من عندنا بما يجب أن يفعل (والثالث) ما حكاها
أبو علي الفارسي عن أبي الحسن رحمه الله انه حل قوله أمر على الحال وذو الحال قوله
كل أمر حكيم وهو نكرة ثم قال انا كنا مرسلين يعني انا انما فعلنا ذلك الانذار لاجل انا كنا
مرسلين يعني الانبياء ثم قال رحمة من ربك أي للرحمة فهي نصب على أن يكون مفعولا له ثم
قال انه هو السميع العليم يعني أن تلك الرحمة كانت رحمة في الحقيقة لان المحتاجين اما أن
يذكروا بالاستتسار حاجاتهم واما أن لا يذكروها فان ذكرها فهو تعالى يسمع كلامهم فيعرف
حاجاتهم وان لم يذكروها فهو تعالى عالم بها وثبت أن كونه سميعا عليما يقتضي أن ينزل
رحمته عليهم ثم قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين وفيه مسائل

لكلامهم واستدعائهم
الكشف وتكذيب
لهم في الوعد بالايمن
لنبي من التذكروا الانماط
اعتراهم من الداهية أي
كيف يتذكرون أو من
أن يتذكرون بذلك
ويفون بما وعدوه من
الايمن عند كشف
العذاب عنهم (وقد جاءهم
رسول مبين) أي والحال
أنهم شاهدوا من دواعي
التذكروا وجبات الانماط
ما هو أعظم منه في
استجابها حيث جاءهم
رسول أعظم الشان
وبين لهم مناهج الحق
بآثار آيات ظاهرة
ومعجزات فاهرة تخرها
صم الجبال (ثم تولوا عنه)
عن ذلك الرسول وهو
هو ربنا شاهدوا منه
ما شاهدوه من العظام
الموجبة للاقبال عليه
ولم يقتضوا باتولى (وقالوا)
في حقه (معلم مجنون)
أي قالوا تارة يعلم غلام
أعجمي بعض ثقيف
وأخرى مجنون أو يقول
بعضهم كذا وآخرين
كذا فهل يتوقع من قوم
هذه صفاتهم أن يتأثروا

بالعظة والتذكروا ما يلهم الاكثل الكلب اذا جاع ضغوا واذا شبع طغى وقوله تعالى (انا كاشفوا العذاب) المسئلة
قل لا انكم عائدون) جواب من جهة تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بطريق

لأنهم لم يأتوا بالبرهان والهدى وما يهتدون به من أي الكسب العذاب المهدودكم كشفا قليلا أو زمانا قليلا
 نكم تعودون إلى ما كنتم عليه من العنوا والاضرار على الكفر وتسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة
 على محققهما الاحتمال والتدقيق كلاهما ٤٦٧ حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فخلصوا

ان عادوا الى ما كانوا
 عليه من العنوا والاضرار
 ومن فسر الدخان بنار
 من الاشرار قال اذا جاء
 الدخان تضورا للمذنبين
 به من الكفار والمنافقين
 وضوئوا وقالوا ربنا اكشف
 عنا العذاب اننا مؤمنون
 فيكشفه الله تعالى عنهم
 بعد أربعين يوما ويطا
 يكشفه عنهم يرتدون
 ولا يتهنون (يوم يبطش
 البطشة الكبرى)
 يوم القيامة وقيل يوم
 بدر وهو ظرف لسائل
 عليه قوله تعالى
 (انما تمقمون) لانتم قمون
 لان ان مانعة من ذلك
 أي يومئذ تنتقم انما تمقمون
 وقيل هو بدل من يوم تأتي
 الحزق وقرئ يبطش أي
 نحمل الملائكة على أن
 يبطشوا بهم البطشة
 الكبرى وهو التناول
 بعنف ووصولة أو نجعل
 البطشة الكبرى باطشة
 بهم وقرئ يبطش بضم
 الطاء وهي لغة (واقعد
 فتناقب لهم قوم فرعون)
 أي امتحنهم بارسال
 موسى عليه السلام أو
 أوقفناهم في الفتنة

(المسئلة الاولى) قرأ عاصم وحزرة والكسائي بكسر الباء من رب عطف على قوله رحمة من
 ربك والباقون بالرفع عطف على قوله هو السميع العليم (المسئلة الثانية) المقصود من هذه
 الآية ان المنزل اذا كان موصوفا بهذه الجلالة والكبرياء كان المنزل الذي هو القرآن في
 غاية الشرف والرفعة (المسئلة الثالثة) الفائدة في قوله ان كنتم موقنين من وجوه (الاول)
 قال أبو مسلم معناه ان كنتم تطلبون اليقين وتريدونه فاعرفوا ان الامر كما قلنا كقولهم
 فلان متجدد بهم أي يريدون مجدا وتهامة (الثاني) قال صاحب الكشاف كانوا يقررون بأن
 للسموات والارض ربا بخلاف ما قيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب
 سبحانه وتعالى ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذي أتم مقرون به ومعترفون بأنه
 رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم ويقين كما تقول هذا انعام زيد
 الذي تسمع الناس بكرمه ان يملك حديثه وسمعت قصته ثم انه تعالى رد أن يكونوا
 موقنين بقوله بل هم في شك يلبسون وان اقرارهم غير صادر عن علم ويقين ولا عن جد
 وحققة بل قول مخلوط به ولو لمع والله أعلم بقوله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان
 مبين يفتش الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انما هم موقنون أن لهم الذكرى
 وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انما كاشفوا العذاب فليلا انكم طائدون
 يوم يبطش البطشة الكبرى انما تمقمون) اعلم ان المراد بقوله فارتقب انتظر ويقال ذلك
 في المكروه والمعنى انتظر يا محمد عذابهم فمخفف مفعول الارتقاب لدلالة ما ذكر بعده عليه
 وهو قوله هذا عذاب أليم ويجوز أيضا أن يكون يوم تأتي السماء مفعول الارتقاب وقوله
 بدخان فيه قولان (الاول) ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قومه بمكة لما كذبوه فقال
 اللهم اجعل سنهم كسنى يوسف فارتقم المطر وأجدبت الارض وأصابت قريشا شدة
 المجاعة حتى أكلوا العظام والكلاب والجيف فكان الرجل لمسا به من الجوع يرى بينه
 وبين السماء كالبدخان وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما في بعض الروايات ومقاتل
 ومجاهد واختيار القراء والزجاج وهو قول ابن مسعود رضى الله عنه وكان ينكر أن
 يكون الدخان الا هذا الذي أصابهم من شدة الجوع كالظلمة التي في أبصارهم حتى كانوا كأنهم
 يرون دخانا فالجاصل أن هذا الدخان هو الظلمة التي في أبصارهم من شدة الجوع وذكر ابن
 قتبية في تفسير الدخان بهذه الحالة وجهين (الاول) ان في سنة الفصح طبعظم يمس الارض
 بسبب انقطاع المطر يرتفع الغبار الكثيرو يظلم الهواء وذلك يشبه الدخان وهذا يقال
 لسنة المجاعة الغبراء (الثاني) ان العرب يسمون الشر القسالب بالدخان فيقولون كان بيننا
 أمر ارتفع له دخان والسبب فيه ان الانسان اذا اشتد خوفه أو ضعفه أظلم عيناه فيرى
 الدنيا كالمملوءة من الدخان (والقول الثاني) في الدخان انه دخان يظهر في العالم وهو احدى
 علامات القيامة قالوا فاذا حصلت هذه الحالة حصل لاهل الايمان منه حالة تشبه الزكام
 وحصل لاهل الكفر حالة يصبر لاجلها رأسه كراس الحنيد وهذا القول هو المنقول عن

بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للمبالغة أو كثرة القوم (وجاءهم رسول كريم) على الله تعالى أو على
 المؤمنين أو في نفسه لان الله تعالى (أن أدوا الى عباد الله) أي بأن أدوا الى
 بنى اسرائيل

وأرسلوهم بمعنى أو بان أدوا إلى يعباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل أنه مقتضى لان معنى الرسول لا يكون
الارسالة ودعوة وحيل مختلفة من التثنية أي جاءهم بأن أشاء أدوا إلى الخ وبوله تعالى (اني بكم رسول أمين) تعليل الامر
أو لوجوب الأمور به أي رسول غير ملتبس قد اتقنى الله تعالى ٢٦٨ على وحيد وسدقني بالمعجزات القاهرة
(وأن تملأوا على الله)

أي لا تكبروا عليه تعالى
بالاستهانة بوحده وبرسله
وأن كائنات لم تفت وقوله
تعالى (اني آتيكم) أي
رجلته تعالى (بسلطان
مبين) تعليل للنهاي أي
آتيكم بحجة واضحة
لا يسيل إلى انكارها
وآتيكم على صيغة الفاعل
أو المضارع وفي إيراد
الاداء مع الامين
والسلطان مع العلاء
من الجزالة ما لا يخفى
(واني عذت بربي وربكم)
أي التجات إليه وتوكلت
عليه (أن ترجون) من
أن ترجوني أي تؤذوني
ضرباً أو شتماً وأن تقتلوني
قيل لما قال وأن لا تعلموا
على الله توعدوه باقتل
وقري بادغام الدال في
التاء (وان لم تؤمنوا لي
فاعتزلون) أي وان كابرتم
مقتضي العزل ولم تؤمنوا
إلى فتحاوي كفاً فالأعلى
ولالي ولا تعرضوا لي
بشر ولا تذي فليس ذلك
جزاء من يدعوك إلى ما فيه
فلا حكم وحله على معنى
فأفهموا أسباب الوصلة
عني فلا موالاة بيني وبين

على بن أبي طالب عليه السلام وهو قول مشهور لابن عباس (أصح ما تناول به هذا القول
بوجود) (الاول) ان بوله يوم تأتي السماء بدخا يقتضي وجود دخان يأتي به السماء وما
ذا كرموه من الظلمة الحاصلة في العين بسبب شمل الجوع فذلك الدخان يدخل أتت به السماء
فكان حل لفظ الآية على هذا الوجه عداً ولا عن ظاهر الأدليل منفصل وأنه لا يجوز
(الثاني) أنه وصف ذلك الدخان كونه مبيد والحالة التي ذكرتموه يستصحب ذلك أنها
مأرضة تعرض لبعض الناس في أدمغتهم ومن هذا لا يوصف بكونها خائفاً علينا (والثالث)
أنه وصف ذلك الدخان بأنه يغشى الناس وهذا ما يصدق اذا وصل ذلك الدخان إليهم
واتصل بهم والحالة التي ذكرتموها لا توصف بأنها تغشى الناس الأعلى سبيل المجاز وقد
ذكرنا ان العنود من الحقيقة إلى المجاز لا يجوز والدليل منفصل (الرابع) روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال أول آيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم عليهما السلام ونار
تخرج من فم عدن تسوق الناس إلى المحشر قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال دخان يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين
يوماً وإبلة أما المؤمن فيصيبه كهية الزنكة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من
مخزئيه وأذنيه وديره رواء صاحب الكشاف وروى القاضي عن الحسن عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ياكروا بالاعمال سناؤاً ذكر منها طلوع الشمس من مغربها والدجال
والدخان والدابة أما القائلون بالقول الاول فلا شك ان ذلك يقتضي صرف اللفظ عن
حقيقته إلى المجاز وذلك لا يجوز الا عند قيام دليل يدل على ان حمله على حقيقته ممتنع
والقوم لم يذكروا ذلك الدليل فكان المصير إلى ما ذكرناه مشكلاً جداً فان قالوا الدليل على
أن المراد ما ذكرناه انه تعالى حكى عنهم انهم يقولون ربنا اكشف عنا العذاب انما مؤمنون
وهذا اذا حلتنا على القحط الذي وقع بمكة استقام فانه نقل ان القحط لما أشد بمكة مشى
إليه أبو سفيان وناشد بالله والرحم وأوعده انه ان دعا لهم وأزال الله عنهم تلك البلية ان
يؤمنوا به فلما أزال الله تعالى عنهم ذلك رجعوا إلى شركهم أما اذا حلتنا على ان المراد منه
ظهور علامة من علامات القيامة لم يصح ذلك لان عند ظهور علامات القيامة لا يمكنهم أن
يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب انما مؤمنون ولم يصح أيضاً أن يقال لهم اننا كاشفوا العذاب
قليلاً انكم عائدون (والجواب) لم لا يجوز أن يكون ظهور هذه العلامة جارية مجرى ظهور
سائر علامات القيامة في أنه لا يوجب قطع التكليف فتحدث هذه الحالة ثم ان الناس
يخافون جداً فيتضرعون فإذا زالت تلك الواقعة عادوا إلى الكفر والفسق وإذا كان
هذا محتملاً فقد سقط ما كانوا والله أعلم ولزجج إلى التفسير فنقول قوله تعالى يوم تأتي
السماء بدخان مبين أي ظاهراً الحال لا يشك أحدي أنه دخان يغشى الناس أي يشعلهم وهو
في محل الجر صفة لقوله بدخان وفي قوله هذا عذاب ألم قولان (الاول) أنه منصوب المحل
بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال أي قائلين ذلك (الثاني) قال

من لا يؤمن بإياه المقام (سما به) بعد ما تموا على تكذيبه عليه السلام (ان هو لاه) أي بأن هو لاه نحو الجرجاني
(قوم مجرمون) هو أمر يضرب بالدعاء عليهم يذكر ما استوجبوه به ولذلك سمي

فدعا وقرئ بالكنز على اضممار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجر امهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعل فتنة للقوم الظالمين (فأسر بعبادي ليلا) باضممار القول اما بعد الفاء أى فقال ربه أسر بعبادي وأما قبلها ثم قيل قال ان كان الامر كما تقول فأسر في ٤٦٩ بعبادي أى بنى اسرائيل فقدد بر الله تعالى

ان تقدموا وقرئ بوسل
الهزيمة سرى (نكم
متبعون) أى يتبعكم
فرعون وجنوده بعد
ما علموا بخروجكم (وارك
البحر رهوا) مفتوحا
ذافجوة واسعة أو ساكنا
على هيئة بعد ما جاوزته
ولا تضربه بمصالك
ليطبق ولا تغيره عن حاله
ليدخله القبط (انهم جند
مفرقون) وقرئ أنهم
بالفتح أى لانهم (كم
تركوا) أى كثير اتركوا
بصر (من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم)
محافل مزينة ومنازل
محصنة (ونعمة) أى
نعم (كانوا فيها فاكهين)
متنعمين وقرئ فكهين
(كذلك) الكاف في حيز
النصب وذلك اشارة
الى مصدر فعل يدل
عليه تركوا أى مثل
ذلك السلب سلبناهم
ايها (وأورثناها قوما
آخريين) وقيل مثل ذلك
الاج اخرجناهم
منها وقيل في حيز الرفع
على الخبرية أى الامر
كذلك فحينئذ يكون
أورثناها معطوفا على

الجرماني صاحب النظم هذا اشارة اليه واخبار عن دنوه واقترابه كما يغار هذا العدو
فاستبقه وانعصر منه التنبية على القرب ثم قال ربنا اكشف عنا العذاب فان لنا التقدير
يقوا وهذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب فلعنى ظاهر وان لم يضر القول هناك
أضمر اه ههنا والعذاب على القول الاول هو القحط الشديد وعلى القول الثاني الدخان
المهلل انما يؤمنون أى محمد وبالقرآن والمراد منه الوعد بالايان ان كشف عنهم العذاب
ثم قال مالى أى لىم الذكري يعنى كيف يتذكرون وكيف يتعظون بهذه الحادثة وقد جاءهم
ما هو عظيم وأدخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على رسول الله من المعجزات القاهرة
والبينات الباهرة ثم تولوا عنه ولم يلتفتوا اليه وقالوا معلم مجنون وذلك لان كفار مكة
كان لهم في ظهور القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام قولان منهم من كان يقول ان
محمد يعلم هذه الكلمات من بعض الناس لقوله انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه
أنجمي و قوله تعالى وأعان عليه قوم آخرون ومنهم من كان يقول انه مجنون والجن
يلقون عليه هذه الكلمات حال ما يعرض له الفشى ثم قال تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا
انكم عائدون أى كما يكشف العذاب عنكم تعودون في الحال الى ما كنتم عليه من الشرك
والمقصود التنبية على انهم لا يوفون بعهدهم وأنهم في حال العجز يتضرعون الى الله تعالى
فاذا زال الخوف عادوا الى الكفر والتقليد لمذاهب الاسلاف ثم قال تعالى يوم يبطش
البطشة الكبرى انما تتقهم قال صاحب الكشف وقرئ يبطش بضم الطاء وقرأ الحسن
يبطش بضم النون كأنه تعالى يأمر الملائكة بأن يبطشوا بهم والبطش الاخذ بشدة
وأكثر ما يكون بوقع الضرب المتتابع ثم صار بحيث يستعمل في ابصال الآلام المتتابعة
وفي المراد بهذا اليوم قولان (الاول) انه يوم بدر وهو قول ابن مسعود وابن عباس
ومجاهد ومقاتل وأبى العالية رضى الله تعالى عنهم قالوا ان كفار مكة لما أزال الله تعالى
عنهم القحط والجوع عادوا الى التكذيب فانتقم الله منهم يوم بدر (والقول الثاني) انه يوم
القيامة روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال قال ابن مسعود
البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة وهذا القول أصح لان يوم بدر لا يبلغ
هذا المبلغ الذى يوصف بهذا الوصف العظيم ولان الانتقام انما يحصل يوم القيامة
اقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ولان هذه البطشة لما وصفت بكونها كبرى
على إطلاقه يجب أن تكون أعظم أنواع البطش وذلك ليس الا في القيامة ولفظ الانتقام
في حق الله تعالى من التشابهات كالأغضب والحياء والتعجب والمعنى معلوم والله أعلم
قوله تعالى (ولقد فتناهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا الى عباد الله انى
لكم ورسول أمين وأن لا تعلموا على الله انى آتاكم بسلطان مبين واتى عذت برى وركم ان
ترجعوا وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون فدعاه ربهم ان هؤلاء قوم مجنون فأسر بعبادي ليلا
انكم متبعون وارك البحر رهوا انهم جند مفرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع

تركوا وعلى الاولين على الفعل المقدر (فآيت عليهم السماء والارض) مجاز عن عدم الاكثرت بهلاكهم
والاعتساد بوجودهم فبد تمكهم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقهه فيقال له يكت عليهم السماء والارض
ومنه ما روى ان المؤمن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومساعد

عمله ومهبط رزقه وآثاره في الأرض وقبل تقديره أهل السماء والأرض (وما كانوا) للنجاة وقت هلاكهم
(منظرين) مهلين الى وقت آخر وألى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا (ولقد نجينا بني إسرائيل) بأن فعلنا
بفرعون وقومه ما فعلنا (من العذاب المهين) ﴿٤٧٠﴾ من استبداد فرعون اياهم وقتل آبائهم واستحياء

نساءهم على الخسف
والضيم (من فرعون)
بدل من العذاب اما على
جعل له نفس العذاب
لا فراطه فيه واما على
حذف المضاعف أي
عذاب فرعون أو حال
من المهين أي كائنات
فرعون وقرى من
فرعون على معنى هل
تعرفونه من هو في عتوه
وتفرغه وفي ابهام
أمره أو لا تبينه بقوله
تعالى انه كان عالما من
المسرفين (نائباً من
الافصاح عن كنه امره
في الشر والفساد مالا
من يدعيه وقوله تعالى
من المسرفين اما خبر
نائب لكان أي كان متكبراً
مسرفاً أو حال من الضمير
في طائفة أي كان رفيع
الطبقة من بين المسرفين
فأنفاهم يليغ في
الاسراف (ولقد اخترنا
هم) أي بني إسرائيل
(على علم) أي عالين
بانهم أحقاء بالاختيار
أو عالين بأنهم يزفون
في بعض الاوقات ويكثر
منهم الفرطات (على
العالين) جميعاً لكثرة

ومقام كريم ونعمة كانوا فيها ما كهن كذلك وأورثناها قوماً آخرين فابكت عليهم السماء
والأرض وما كانوا منظرين) اعلم انه تعالى لما بين ان كفار مكة مصرون على كفرهم بين
أن كثيراً من المتقدمين أيضاً كانوا كذلك فينبول هذه الصفة في أكثر قوم فرعون
قال صاحب الكشف قري ولقد فتنا بالشدائد كيد قال ابن عباس ابتلينا قال الزجاج
بلونا والمعنى ما ملناهم معاملة المخبر بعث الرسول اليهم وجاءهم رسول كريم وهو موسى
واختلفوا في معنى الذكر ثم ههنا فقال الكلبي كريم على ربه يعني انه استحق على ربه أنواعا
كثيرة من الاكرام وقال مقاتل حسن الخلق وقال الفراء يقال فلان كريم قومه لانه قل
ما بعث رسول الا من أشرف قومه وكرامهم ثم قال أن أدوا الى عباد الله وفي أن قولان
(الاول) أنها أن المفسرة وذلك لان يحيى الرسول الى من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه
لا يجيبهم الا بشرا ونذيرا وداعيا الى الله (الثاني) انها المخففة من الثقلة ومعناه وجاءهم
بان الشان والحديث أدوا وعياد الله مفعول به وهم بنو إسرائيل يقول أدوهم الى
وأرسلوهم يحيى وهو كونه فأرسل معاني إسرائيل ولا تعذبهم ويجوز أيضاً أن يكون نداء
لهم والتقدير أدوا الى يا عباد الله ما هو واجب عليكم من الايمان وقبول دعوتي واتباع
سبيلي وعلى ذلك بانه رسول أمين قد اتته الله تعالى على وحيه ورسالة وأن لا تزلوا هذه
مثل الاولى في وجهيها أي لا تكبروا على الله باهانة وحيه ورسوله اني آتيكم بسلطان مبين
بحجة بينة يعترف بصحتها كل عاقل واني عدت بربى وربكم أن ترجون قبل المراد ان تغفلون
وقيل أن ترجون باقول فتقوا وا انه ساحر كذاب وان لم تؤمنوا مني أي ان لم تصدقوني
ولم تؤمنوا بالله لاجل ما أتيتكم به من الحجة فاللام في لام الاجل فاعتزلون أي خلوا سبيلي
لالى ولا على قال مصنف الكتاب رحمه الله تعالى ان المعتزلة يتصلفون ويقولون ان افظ
الاعتزال أي ناسجاء في القرآن كان المراد منه الاعتزال عن الباطل لاعتزال الحق فانفق
حضورى معهم في بعض المحافل وذكر بعضهم هذا الكلام فاوردت عليه هذه الآية
وقلت المراد من الاعتزال في هذه الآية الاعتزال عن دين موسى عليه السلام وطريقته
وذلك لانه اعتزال عن الحق فانقطع الرجل ثم قال تعالى فدما ر به الفاء في فدعا نذل
على انه متصل بمحذوف قبله والتأويل انهم كفروا ولم يؤمنوا فدعا موسى ر به بان هو لاء قوم
مجرمون فان قالوا الكفر أعظم حالا من الجرم فالسبب في أن جعل صفة الكفار كونهم
مجرمين حال ما أراد المبالغة في ذمهم قلت لان الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد يكون
مجرماً في دينه وقد يكون فاسقا في دينه فيكون أخس الناس قال صاحب الكشف قري
ان هو لاء بالكسر على اضمار القول أي فدما ر به فقال ان هو لاء فأسر بعبادى ليلأقرأ
ابن كثير ونافع فأسر موصولة الالف والباقون مقطوعة الالف سرى وأسرى لغتان أي
أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى ليلأ انكم متبعون أي يتبعكم فرعون وقومه ويصير
ذلك سبباً لهلاكهم واترك البحر رهوا وفي الرهوقولان (أحدهما) انه الساكن يقال عيش

الانبياء فيهم أو على عالمي زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كخلق البحر وتطليل الغمام وانزال المن ﴿٤٧١﴾ راه
والسلوى وغيرها من عظام الآيات التي لم يعهد مثلها في غيرهم (ما فيه بلاء مبين) نعمة جليلة أو اختبار ظاهر
لنظر كيف يعملون (ان هو لاء) يعني كفار قريش لان الكلام

فيهم وقصة فرعون وقومة منسوقة للدلالة على تماثلهم في الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم
(ليقولون ان هي الاموتنا الاولى) ٤٧١ أي ما العاقبة ونهاية الامر الاموت الاول المزيل للحياة الدنيوية

ولا قصد فيه الى اثبات
موتة أخرى كافي فذلك
تخرج زيدا لحجة الاولى
ومات وقيل لما قيل لهم
انكم تموتون موتة تعقبها
حياة كما تقدمتكم موتة
كذلك قالوا ما هي الا
موتتنا الاولى أي ما الموتة
التي تعقبها حياة الاموتة
الاولى وقيل المعنى ليست
الموتة الا هذه الموتة
دون الموتة التي تعقب
حياة القبر كما تزعمون
(وما نحن بمنشرين)
بموتين (فأتوا يا بئسا)
خطاب لمن وعدهم
بالنشور من الرسول عليه
السلام والسلام والمؤمنين
(ان كنتم صادقين)
فيما تعدونه من قيام
الساعة وبعث الموتى
ليظهر أنه حق وقيل
كانوا يطلبون اليهم أن
يدعوا الله تعالى فينشر
لهم قصي ابن كلاب
لبشاوروه وكان كبيرهم
ومفرعهم في المعونات
والمهمات (أهم خير) رد
لقولهم ونهيد لهم أي
أهم خير في القوة والمنعة
التي يدفع بها اسباب
الهلاك (أم قوم تبع)

راه اذا كان خافضا وادعا وافعل ذلك سهوا رهوا أي ساكنا بغير تشدد أراد موسى عليه
السلام لما جاوز البحر ان يضرب به بعصاه فينطلق كما كان فامر الله تعالى بان يتركه ساكنا
على هيئته فاراعلى حاله في اتفلاق الماء وبقاء الطريق يبساح حتى يدخله القبط فاذا حصلوا
فيه أطبقه الله عليهم (والثاني) ان الرهو هو الفرجة الواسعة والمعنى ذا رهوا أي ذا فرجة
يعنى الطريق الذي أظهره الله فيما بين البحرانهم جند مغرفون يعنى اترك الطريق كما كان
حتى يدخلوا فيفرقوا وإنما أخبره الله تعالى بذلك حتى يبقى فارغ القلب عن شرهم وايدانهم
ثم قال تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم دللت هذه الآية على انه تعالى
أغرقهم ثم قال بعد غرقهم هذا الكلام وبين تعالى انهم تركوا هذه الاشياء الخمسة وهي
الجنات والعيون والزروع والمقام الكريم والمراد بالمقام الكريم ما كان لهم من المجالس
والمنازل الحسنة وقيل المنازل التي كانوا يدحون فرعون عليها ونعمة كانوا فيها فاكهين
قال علماء اللغة نعمة العيش بفتح النون حسنة ونضارته ونعمة الله احسانه وعطاؤه قال
صاحب الكشاف النعمة بالفتح من التعم وبانكسر من الانعام وقرى فاكهين وفكهين
كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج أخرجنهم منها وأورثناها أوفى
موضع الرفع على تقدير ان الامر كذلك وأورثناها قوما آخرين لبسوا منهم في شيء من
قراية ولادين ولولاؤهم بنو اسرائيل كانوا مستعبدين في أيديهم فأهلكهم الله على
أيديهم وأورثهم منكمهم وديارهم ثم قال تعالى فابكت عليهم السماء والارض وفيه وجوه
(الاول) قال الواحدى في البسيط روى أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من عبد الا وله في السماء باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه
وبكى عليه ونلاه هذه الآية قال وذلك لانهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا
فتبكى عليهم ولم يصعد لهم الى السماء كلام ملب ولا عمل صالح فتبكى عليهم وهذا قول أكثر
المفسرين (القول الثاني) التقدير فابكت عليهم أهل السماء وأهل الارض فحذفت
المضاف والمعنى ما بكت عليهم الملائكة والامواتون بل كانوا يهلكهم مسرورين
(والقول الثالث) ان عادة الناس جرت بان يقولوا في هلاك الرجل العظيم الشأن انه أظلمت
له الدنيا وكسفت الشمس والقمر لاجله وبكت الريح والسماء والارض ويريدون المبالغة
في تعظيم تلك المصيبة لانفس هذا الكذب ونقل صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكبه الابكت عليه السماء والارض
وقال جرير الشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكى عليك نجوم الليل والقمر
وفيه ما يشبه السحر بغيرهم يعنى انهم كانوا يستعظمون أنفسهم وكانوا يعتقدون في أنفسهم
انهم لوماتوا بكت عليهم السماء والارض فكانوا في هذا الخدبل كانوا دون ذلك وهذا
انما ذكر على سبيل التهكم ثم قال وما كانوا منظرين أي لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى
وقت آخر توبة وتدارك تنصير * قوله تعالى (ولقد نجينا بنى اسرائيل من الغاب المهين

هو تبع الجسرى الذى سار بالجيش وحير الحيرة وبنى ممرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك
ضمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في عنوان كتابه بسم الله الذى ملك بحرا وبحرا أى

محاربا كثيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تيسافا نه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدري أكان تبع نيبا
أو غير نبي وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نه كان قد أسلم قيل ٤٧٢ للمولك اليمن التباة لانهم يتبعون كما قال لهم

الاقبال لانهم يتقبلون
(والذين من قبلهم)
عطف على قوم تبع والمراد
بهم عاد وثمود وأضرابهم
من كل جبار عنيد أول
بأس شديدوا الاستفهام
لتقري أن أولئك أقوى
من هؤلاء وقوله تعالى
(أهلكناهم) استئناف
ليبين عاقبة أمرهم وقوله
تعالى (انهم كانوا مجرمين)
تعليل لاهلاكهم ليعلم
أن أولئك حيث أهلكوا
بسبب اجرامهم مع ما
كانوا في غاية القوة
والشدة فلأن يهلك
هؤلاء وهم شركا لهم
في الاجرام أضعف منهم
في الشدة والقوة أولى
(وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما)
أي ما بين الجنسين
وقرى وما بينهما (لأصعين)
لاهيمن من قدير أن يكون
في خلقهم غرض صحيح
رعاية حميدة (وما خلقنا
هما) وما بينهما (البا
الحق) استثناء مفرغ
من أعم الاحوال أو أعم
الانساب أي ما خلقناهما
مكتسبا بشي من الاشياء
الاموتيسا بالحسق أو ما

من فرعون انه كان طابا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وأيتناهم من
الآيات ما فيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون ان هي الاموتيسا الأولى ما نحن بنشرين
فأتوا يا بلثنا ان كنتم صادقين أهدم خيرا م قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا
مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا عيين ما خلقناهما الا بالحق ولكن
أكثرهم لا يعلمون اعلم انه تعالى لما بين كيفية اهلاك فرعون وقومه بين كيفية احسانه
الى موسى وقومه واعلم ان دفع الضرر مقدم على ايصال النفع فبدأ تعالى ببيان دفع
الضرر عنهم فقال ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين يعني قتل الابناء واستخدام
النساء والانتعاب في الاعمال الشاقة ثم قال من فرعون وفيه وجهان (الاول) ان يكون
التقدير من العذاب المهين الصادر من فرعون (الثاني) أن يكون فرعون بدلا من العذاب
المهين كاشته في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم قل صاحب الكشف
وقرى من عذاب المهين وعلى هذه القراءة فالمهين هو فرعون لانه كان عظيم السعي في اهانة
الحقين وفي قراءة ابن عباس من فرعون وهو بمعنى الاستفهام وقوله انه كان عاليا من
المسرفين جوابه كان التقدير ان يقال هل تعرفونه من هو في حقوه وشيطنته ثم عرف حاله
بقوله انه كان عاليا من المسرفين أي كان على الدرجة في طبقة المسرفين ويجوز أن يكون
المراد انه كان عاليا لقوله ان فرعون علا في الارض وكان أيضا مسرفا ومن اسرافه انه على
حقارته وخسته ادعى الالهية ولما بين الله تعالى انه كيف دفع الضرر عن بني اسرائيل بين
انه كيف أوصل اليهم الخيرات فقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وفيه بحثان والبحث
الاول) أن قوله على علم في موضع الحال ثم فيه وجهان (أحدهما) أي عاين بكونهم متحققين
لان تخاروا ويرجوا على غيرهم (والثاني) أن يكون المعنى مع علمنا بأنهم قد نزلوا
وبصدر عنهم الفرط في بعض الاحوال (البحث الثاني) ظاهر قوله ولقد اخترناهم على
علم على العالمين يقتضي كونهم أفضل من كل العالمين فقبل المراد على عالمي زمانهم وقيل
هذا عام دخله التخصيص كقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس ثم قال تعالى آتيناهم من
الآيات مثل فلق البحر وقطيل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرهم من الآيات المتتابعة
التي ما أنظر الله مثلها على أحد سواهم بلاء مبين أي نعمة ظاهرة نعمة تعبدية كانت يلو
بالحننة قد يلو أيضا نعمة اختيارا ظاهر التميز الصديق عن الزنديق وهما في الكلام
في قصة موسى عليه السلام ثم رجع الى ذكر كفار مكة وذلك لان الكلام فيهم حيث قال
بل هم في شك يلعبون أي يلهم في شك من البعث والقيامة ثم بين كيفية اصرارهم
على كفرهم ثم بين أن قوم فرعون كانوا في الاصرار على الكفر على هذه القصة ثم بين انه
كيف أهلكهم وكيف أنعم على بني اسرائيل ثم رجع الى الحديث الأول وهو كون كفار
مكة متكافرين بالبعث فقال ار هؤلاء ليقولون ان هي الاموتيسا الأولى وما نحن بنشرين

خلقناهما بحسب من الانساب الالبسب الحق الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء (ولكن أكثرهم لا يعلمون)
لا يعلمون) أن الامر كذلك فيكون البعث والجزاء

المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذي ٤٧٥ شاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو

الطعام بالهمل وهو دردى الزيت وعكر اشطران ومذاب الححاس وسائر الغلات وتم الكلام ههنا ثم أخبر عن غليانه في بطون انكفاره فقال يغلي في البطون وقرئ بالثاء فنقرأ بالثاء فلنايت الشجرة ومن قرأ بالياء حله على الطعام في قوله طعام الاثيم لان الطعام هو الشجرة في المعنى واختار أبو عبيد الياء لان الاسم المذكور يعنى المهمل هو الذى يلى الفعل فصار التذكير به أولى واعلم انه لا يجوز أن يحمل الغلى على المهمل لان المهمل مثبه به وانما يغلى ما يشبه بالهمل كغلى الحميم والماء اذا اشتد غليانه فهو حميم ثم قال خذوه أى خذوا الاثيم فاعتلوه قرئ بكسر التاء قال الايث العتل أن تأخذ بمنكب الرجل فتعته أى تجره اليك وتذهب به الى حبس أو ثنية وأخذ فلان بزمام الثاقفة يعقلها وذلك اذا قبض على أصل الزمام عند الرأس وقادها قودا شديدا وقال ابن السكيت دخلت الى السجن وأعتلته اذا دفعته دفعا عنيفا هذا قول جميع أهل اللغة في العتل وذكروا في الثاقفين ضم التاء وكسرها وهما صحيحان مثل يعمهون ويعكفون ويعرشون ويعرشون قوله تعالى الى سواء الجحيم أى الى وسط الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم وكان الاصل أن يقال ثم صبوا من فوق رأسه الجحيم يصب من فوق رؤسهم الجحيم الا ان هذه طائفة استعاره أكل في المبالغة كأنه يقول صبوا عليه عذاب ذلك الجحيم ونظيره قوله تعالى ربنا أفرغ علينا صبا ذق انك أنت العزيز الكريم وذكروا فيه وجوها (الاول) انه يخاطب بذلك على سبيل الاستهزاء والمراد انك أنت بالصدمة (والثاني) ان أباجهمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جليلها أعز ولا أكرم مني فوالله ما نستطيع أن ولا ربك أن تفعل فى شأ (والثالث) انك كنت تعتز لا بالله فانظر ما وقعت فيه وقرئ أنك بمعنى لانك ثم قال ان هذا ما كنتم به تعتزون أى ان هذا العذاب ما كنتم به تعتزون أى تشكون والمراد منه ما ذكره في أول السورة حيث قال بل هم في شك يلعبون * قوله تعالى (ان المتقين في مقام أمين في جناب وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووفاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلمهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون) اعلم انه تعالى لما ذكر الوعيد في الآيات المتقدمة ذكر الوعد في هذه الآيات فقال ان المتقين قال أصحابنا كل من اتى الشرك فقد صدق عليه اسم المتقى فوجب ان يدخل الفاسق في هذا الوعد واعلم انه تعالى ذكر من أسباب تنعمهم أربعة اشياء (أولها) مساكنهم فقال في مقام أمين واعلم ان المسكن انما يطيب بشرطين (أحدهما) أن يكون آمنا عن جميع ما يخاف ويحذر وهو المراد من قوله في مقام أمين قرأ الجمهور في مقام يفتح الميم وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم قال صاحب الكشف المقام يفتح الميم هو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذى جعل مستعملا في المعنى العام وبالضم هو موضع الإقامة والأمين من قولك امن الرجل امانة

موضع إقامة (أمين)
يا من صاحبه الآفات
والاستقال عنه وهو من
الامن الذى هو ضد
الحيانة وصف به
المسكن بطريق
الاستعارة كأن المكان
الخفيف يخون صاحبه
لما يلقى فيه من المكارة
(في جنات وعيون)
يدل من مقام جنى به
دلالة على نزاهته واشتاله
على طبقات الماء كل
والشارب (يلبسون
من سندس واستبرق)
اما خبر ثان او حال من
الضمير في الجار أو
استئناف والسندس
مارق من الحرير
والاستبرق ما غلظ منه
معرب (متقابلين) في
المجالس ليستأنس
بعضهم ببعض (كذلك)
أى الامر كذلك أو
كذلك أتينا هم
(وزوجناهم بحور
عين) على الوصف
وقرئ بالاضافة أى
قرناهم بهن والخور جمع
الخوراء وهى البيضاء
والعين جمع العيناء
وهى العنيفة العينين

اختلف في أنهن نساء الدنيا أو غيرها (يدعون فيها بكل فاكهة) أى يطالبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه
بأكله لا يتخصص شئ منها

يتمكن ولا زمان (أمين) من كل ما يسوءهم (لا يذوقون فيها الموت) ﴿٤٧٦﴾ (الاموتة الاولى) بل يستمرون على الحياة

فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استمارة لان المكان الخفيف كأنه يخون صاحبه (والشرط الثاني) لطيب المكان أن يكون قد حصل فيه أسباب النزهة وهي الجنات والعبود فلما ذكر تعالى هذين الشرطين في مساكن أهل الجنة فقد وصفها بما لا يقبل الزيادة (والقسم الثاني) من نعماتهم الملابس فقال يلبسون من سندس واستبرق قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبرك فان قالوا كيف جازو روي الأعجمي في القرآن قلنا لما عرب فقد صار عربيا (والقسم الثالث) فهو جلوسهم على صفة التعاقب والتعرض منه استئناس البعض ببعض قالوا الجلوس على هذا الوجه موحش لانه يكون كل واحد منهم مطلعا على ما يفعله الآخر وأيضا فإذ يلقى ثوبه إذا طلع على حال من يكثر ثوبه يتعص عبثه قلنا أحوال الآخرة بخلاف أحوال الدنيا (والقسم الرابع) أزواجهم فقال كذلك وزوجناهم بحور عين الكاف فيه وجهان أن تكون مرفوعة والتقدير الأمر كذلك أو منصوبة والتقدير آتيناهاهم مثل ذلك قال أبو عبيدة جمعناهم أزواجا كإزوج البعل بالبعل أي جعلناهم اثنين اثنين واختلفوا في أن هذا اللفظ هل يدل على حصول عقد الزوجية أم لا قال يونس قوله وزوجناهم بحور عين أي قرناهم بمن وليس من عقد الزوجية والعرب لا تقول تزوجت بها وإنما تقول تزوجتها قال الواحدي رحمه الله والتزويل يدل على ما قال يونس وذلك قوله فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها أولئك المراد تزوجت بها فقال زوجها بها وأيضاً فقوله القائل زوجها به معناه أنه كان فردا فزوجته بآخر كما يقال شققت بآخر وأما الحور فقال الواحدي أصل الحور البياض والنحو رائب بياض وقد ذكرنا ذلك في تفسير الحوار بين وعين حوراء إذا اشتد بياضها واشتد سواد سوادها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون حور عينيها بياضا في لون الجسد والدليل على أن المراد بالحور في هذه الآية البياض قراءة ابن مسعود بعين عين والعين البياض وأما العين فجمع عيناء وهي التي تكون عظيمة العينين من النساء قال الجبائي رجل أعين إذا كان ضخم العين واسعها والأنثى عيناء والجمع عين ثم اختلفوا في هؤلاء الحور العين فقال الحسن بن عمار زك الدرديني نشهن الله خلقا آخر وقال أبو هريرة زهن ليسوا من نساء الدنيا (والنوع الخامس) من نعمات أهل الجنة المأكول فقال يدعون فيها بكل فاكهة آمنين قالوا أنهم يأكلون جميع أنواع الفاكهة لاجل أنهم آمنون من النخم والأمراض ولما وصف الله تعالى أنواع ما هم فيه من الخيرات والراحات بين أن حياتهم دائمة فقال لا يذوقون فيها الموت الاموتة الاولى وفيه سؤالان (السؤال الاول) أنهم ماذا قوا الموتة الاولى في الجنة فكيف حسن هذا الاستثناء واجب عنه من وجوه (الاول) قال صاحب الكشف أريد أن يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الاموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال في المستقبل فهو من باب التعليق بالحال كأنه قيل ان كانت

أبدا والاستثناء منقطع أو متصل على أن المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الإطلاق كأنه قيل لا يذوقون فيها الموت إلا إذا أمكن ذوق الموتة الاولى حينئذ (وقاهم عذاب الجحيم) وقرئ مشددا للمبالغة في الوقاية (فضلا من ربك) أي أعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع أي ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاه ونيل لكل المطالب وقوله تعالى (فانما يسرناه بلسانك) أي أنهم يتذكرون ذلك نكته للسورة الكريمة أي إنما أنزلنا الكتاب المبين بلغتك كي يفهمه قرك ويتذكرها ويعملوا بموجبها واذالم يفهموا ذلك (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقون) ما يحل بك * روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفورا له ﴿سورة الجاثية مكية وهي سبع وأوست وثلاثون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الموتة﴾

(خم) الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة (٤٧) كما لو من فان جعل اسم السورة فحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف

الموت لاولى يمكن ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها (الثاني) أن لا يعنى لكن والتقدير لا يذوقون فيها الموت لكن الموت الاوى قد ذاقوها (الثالث) أن الجنة حقيقتها ابتهاج النفس وفرحها بعرفة الله تعالى وبطاعته ومحبة واذ كان الامر كذلك فان الانسان الذى فاز بهذه السعادة فهم فى الدنيا فى الجنة وفى الآخرة أيضا فى الجنة واذ كان الامر كذلك فقد وقعت الموتة الاوى حين كان الانسان فى الجنة الحقيقية التى هى جنة المعرفة بالله والمحبة فذكر هذا الاستثناء كالتنبيه على قولنا ان الجنة الحقيقية هى حصول هذه الحالة لا الدار التى هى دار الاكل والشرب ولهذا السبب قال عليه السلام أنبياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار الى دار (والرابع) ان من جرب شيئا ووقف عليه صح أن يقال انه ذاقه واذ صح أن يسمى ذلك العلم بالذوق صح أن يسمى تذكره أيضا بالذوق فقوله لا يذوقون فيها الموت الاوى يعنى الا الذوق الحاصل بسبب تذكر الموتة الاوى (السؤال الثانى) أليس أن أهل النار أيضا لا يموتون فلم يشر أهل الجنة بهذا مع أن أهل النار يشاركونهم فيه (والجواب) ان البشارة ما وقعت بدوام الحياة لا بدوام الحياة مع سائر حصول تلك الخيرات والسعادات فظهر الفرق ثم قال تعالى ووقاهم عذاب الجحيم قرئ ووقاهم بالتشديد فان قالوا مقتضى الدليل أن يكون ذكر الوقاية عن عذاب الجحيم متقدما على ذكر الفوز بالجنة لان الذى وقى عن عذاب الجحيم قد يفوز وقد لا يفوز فاذا ذكر بعده أنه فاز بالجنة حصلت الفائدة أما ان الذى فاز بخيرات الجنة فقد تخلص عن عقاب الله لا محالة فلم يكن ذكر الفوز عن عذاب جهنم بعد ذكر الفوز بشواب الجنة مفيدا فلنا تقدير كانه تعالى قال ووقاهم فى اول الامر عن عذاب الجحيم ثم قال فضلا من ربك يعنى كل ما وصل اليه الموفقون من الخلاص عن النار والفوز بالجنة فانما يحصل بفضل الله واحج اصحاب هذه الآية على ان الثواب يحصل تفضلا من الله تعالى لا بطريق الاستحقاق لانه تعالى لما عدد أقسام ثواب المتقين بين انها بأسرها انما حصلت على سبيل الفضل والاحسان من الله تعالى قال القاضى اكثر هذه الاشياء وان كانوا قد استحقوه بعملهم فهو بفضل الله لانه تعالى تفضل بالكليف وغرضه منه أن يصيرهم الى هذه الميزة فهو كما أعطى غيره ما لا يصل به الى ملك شبيهة فانه يقال فى تلك الضبعة انها من فضله فلنا مذهبنا ان هذا الثواب حق لازم على الله وأنه تعالى أو اخل به لئلا يفسدها ويخرج به عن الالهية فكيف يمكن وصفه بل هذا الشئ بأنه فضل من الله تعالى ثم قال تعالى ذلك هو الفوز العظيم واحج اصحابنا بهذه الآية على ان الفضل أعلى درجة من اشواب المستحق فانه تعالى وصفه بكونه فضلا من الله ثم وصف الفضل من الله بكونه فوزا عظيما ويدل عليه أيضا ان الملك العظيم اذا أعطى الاجرا جرت ثم خلع على انسان آخر فان تلك الخلة أعلى حالا من اعطاه تلك الاجرة ولما بين الله تعالى الدلائل وشرح الوعد والوعيد قال فانما يسرناه بلسانك اعلمهم يتذكرون والمعنى انه تعالى وصف القرآن فى اول هذه

أى هذا مسمى بحم
والاشارة الى السورة قبل
جريان ذكرها قد وقعت
على سره مرارا وان
جعل مسرودا على نط
التعديد فلا حظ له من
الاهراب وقوله تعالى
(تنزيل الكتاب) على
الاول خبر بعد خبر على
أنه مصدر أطاق على
الفعول مبالغة وعلى
الثانى خبر مبتدأ مضمرة
يلوح به ما قبله أى الموفى
من جنس ما ذكر تنزيل
الكتاب وقيل هو خبر
الحم أى المسمى به تنزيل
النخ وقد مر مرارا ان الذى
يجعل عنوانا للموضع
حقه أن يكون قبل ذلك
وما دام الانساب اليه
واذ لا عهد بالتسمية بعد
فتحها الاخبار بها
وأما جعله خبرا له بتقدير
انضاف وابقاء التفسير
على اصله أى تنزيل
حم تنزيل الكتاب فم
عرائه عن افادة فائدة
يعنيها تحمل على تحمل
وقوله تعالى (من الله
العزيز الحكيم) كما مر
فى صدر سورة الزمر
على التفصيل وقيل حم

مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى (ان فى السموات والارض لايات للذين آمنوا) وهو على الوجوه

المقدمة كلام مستأنف مسوق للتنبية على الآيات التكوينية الآفاقية ﴿٤٧٨﴾ والانفسية ومحل الآيات اما نفس

السموات والارض
فانهما منظوران من
فنون الآيات على
ما يقصر عنه البيان
واما خلقها كما في قوله
تعالى ان في خلق السموات
والارض وهو الاوتى
بقوله تعالى (وفي خلقكم)
أى من نطفة ثم من
علقة متعلقة في أطوار
مختلفة الى تمام الخلق
(وما يثبت من دابة)
عطف على المضاف
دون المضاف اليه أى
وفيما ينشرو ويفرقه من
دابة (آيات) بالرفع على
أنه مبتدأ خبره الظرف
المقدم والجملة معطوفة
على ما قبلها من الجملة
المصدرة بان وقيل آيات
عطف على ما قبلها
من آيات باعتبار المحل
عند من يجوزه وقرئ
آية بالتوحيد وقرئ
آيات بالنصب عطفا
على ما قبلها من اسم
ان والخبر هو الخبر كانه
قبل وان في خلقكم وما
يبت من دابة آيات
(لقوم يوقنون) أى
من شأنهم أن يوقنوا
بالاشياء على ما هي عليه

السورة بكونه كتابا بينا أى كثير البيان والغائده وذكر في خاتمتها ما يؤيد ذلك فقال ان
ذلك الكتاب المبين الكثير الغائده انما يسرناه بلسانك أى انما أنزلناه عر بيا بلغتك
لعلهم يتذكرون قال القاضي وهذا يدل على انه تعالى أراد من الكل الايمان والمعرفة
وأنه ما أراد من أحد الكفر وأجاب أصحابنا ان الضمير في قوله لعلهم يتذكرون عائد الى
أقوام مخصوصين فحينئذ يحمل ذلك على المؤمنين ثم قال فارتقب أى فانتظر ما يحل بهم انهم
مرتقبون ما يحل بك مرتبسون بك السواثر والله أعلم * قال المصنف رحمه الله تعالى
ثم تفسر هذه السورة لله الاثلاث في نصف النازل الثاني عشر من ذى الحجة سنة ثلاث
وسمائة يادائم المعروف يا قسيم الاحسان شهيدك اشراق العرش وضوء الكرسي
ومعارج السموات وأنوار الثوابت والسيارات على منابرها المتوخلة في العلو الاعلى
ومعارجها المقدسة عن غبار عالم الكون والفساد بان الاول الحق الازلى لا يناسبه شئ
من علائق العقول وشوائب الخواطر ومناسبات المحضات فالتعبر بسبب محوه مقرر
بالنقصان والشمس بشهادة المعارج بتغيراتها معترفة بالحاجة الى تدبير الرحمن والطبائع
مقهورة تحت القدرة القاهرة فالثاني في غيبات المعارج العالية والتغيرات شاهدة بعدم
تغيره والمنعاقبات ناطقة بدوام سرمدية وكل ما توجد عليه انه ماضى وسيأتى فهو خافه
وأعلى منه فيجوده الوجود والابتعاد وبانعدامه القضاء والفساد وكل ما سواه فهو تائه في
جبروته نائر عند طلوع نور ملكوته وليس عند عقول الخلق الا انه بخلاف كل الخلق له العز
والجلال والقدرة والكمال والجود والافضال ربنا ورب مبادينا اياك نروم ولك نصلى
ونصوم وهليك المعول وأنت المبدأ الاول سبحانه سبحانك

(سورة الجاثية ثلاثون وسبع آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات للاحقنين
وفي خلقكم ما يثبت من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من
السماء من رزق فأحى به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون تلك
آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون) وفيه مسائل (المسئلة
الاولى) اعلم ان في قوله حم تنزيل الكتاب وجوها (الاول) ان يكون حم مبتدأ وتنزيل
الكتاب خبره وعلى هذا التقدير فلا بد من حذف مضاف والتقدير تنزيل حم تنزيل
الكتاب ومن الله صلة لتنزيل (الثاني) أن يكون قوله حم في تقدير هذه حم ثم نقول تنزيل
الكتاب واقع من الله العزيز الحكيم (الثالث) أن يكون حم قسما وتنزيل الكتاب نعتا
له وجواب القسم ان في السموات واسقدير وحى الذى هو تنزيل الكتاب ان الامر
صكدا وكذا (المسئلة الثانية) قوله العزيز الحكيم يجوز جعلها صفة الكتاب

(واختلاف الليل والنهار) بالجر على اضممار الجار المذكور في الآيتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد ﴿ ويجوز ﴾
باختلافهما اما تعاقبهما أو تفاوتهما طولا وقصيرا

(وما أنزل الله من السماء)
 عطف على اختلاف
 (من رزق) أى من مطر
 وهو سبب الرزق عبر عنه
 بذلك تنبيه على كونه
 آية من جهتي القدرة
 والرحمة (فأحيى به
 الأرض) بأن أخرج منها
 أصناف الزروع والثمار
 والنبات (بعدمونها)
 وعراها عن آثار الحياة
 واتفاء قوة النخبة عنها
 وخالأ أشجارها عن النار
 (وتصريف الرياح)
 من جهته إلى أخرى ومن
 حال إلى حال وقرئ
 بتوحيد الريح وتأخير
 عن أنزال المطر مع تقدمه
 عليه في الوجود أما
 الايدان بانه آية مستقلة
 حيث أورد على الترتيب
 الوجودي ليمتثلهم
 أن مجموع تصرف
 الرياح وأنزال المطر آية
 واحدة وأما لأن كون
 التصريف آية ليس
 لمجرد كونه مبدأ لإنشاء
 المطر بل له واساير المنافع
 التي من جعلها سوق
 السفن في البحار (آيات
 لقوم يعقلون) بالرفع على
 أنه مبتدأ أخبر ما تقدم

ويجوز جعلها صفة لله تعالى إلا أن هذا الثاني أولى ويدل عليه وجوه (الاول) أنا إذا
 جعلناهما صفة لله تعالى كان ذلك حقيقة وإذا جعلناهما صفة الكتاب كان ذلك مجازا
 والحقيقة أولى من المجاز (الثاني) أن زيادة التقرب توجب الرجحان (الثالث) أنا إذا
 جعلنا عزير الحكيم صفة لله كان ذلك إشارة إلى الدليل الدال على أن القرآن حق لأن
 كونه عزير يدل على كونه قادرا على كل الممكنات وكونه حكيما يدل على كونه عالما
 بجميع المعلومات غنيا عن كل الحاجات ويحصل لنا من مجموع كونه تعالى عزير حكيما
 كونه قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات غنيا عن كل الحاجات وكل
 ما كان كذلك امتنع منه صدور العبث والباطل وإذا كان كذلك كان ظهور المعجز دليلا
 على الصدق ثبت أنا إذا جعلنا كونه عزيرا حكيما صفتين لله تعالى يحصل منه هذه
 الفائدة وأما إذا جعلناهما صفتين للكتاب لم يحصل منه هذه الفائدة فكان الاول أولى
 والله أعلم ثم قال تعالى أن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين وفيه مباحث (الاول)
 أن قوله أن في السموات والأرض لآيات يجوز اجراؤه على طاهره لأنه حصل في ذوات
 السموات والأرض أحوال دالة على وجود الله تعالى مثل مقاديرها وكيفياتها وحر كائنها
 وأيضا الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار موجودة في السموات والأرض وهي
 آيات ويجوز أن يكون المعنى أن في خلق السموات والأرض كما صرح به في سورة البقرة
 في قوله أن في خلق السموات والأرض وهو يدل على وجود التقدير المختار في تفسير قوله
 الحمد لله الذي خلق السموات والأرض (المبحث الثاني) قد ذكرنا المجرى الكشفي في دلالة
 السموات والأرض على وجود لاله القادر المختار في تفسير قوله الحمد لله الذي خلق السموات
 والأرض ولا بأس بإعادة بعضها فنقول إنها تدل على وجود الاله من وجوه (الاول)
 أنها أجسام لا تخاو عن الحوادث ولا تخاف من الحوادث فهي حادثة فهذه الاجسام
 حادثة وكل حادث فله محدث (الثاني) أنها مركبة من الاجزاء وتلك الاجزاء متماثلة
 لما بينا ان الاجسام متماثلة وتلك الاجزاء وقع بعضها في العمق دون السطح وبعضها
 في السطح دون العمق فيكون وقوع كل جزء في الموضع الذي وقع فيه من الجاذبات
 وكل جاذب فلا بد له من مرجع ومخصص (الثالث) أن اختلاف العناصر مع تماثلها
 في تمام الماهية الجسمية اختص كل واحد منها بصفة معينة كالحرارة والبرودة
 والمطافة والكثافة الفلكية والعنصرية فيكون ذلك أمرا جائزا ولا بد لها من مرجع
 (الرابع) أن اجرام الكواكب مختلفة في الالوان مثل كودة زحل وبياض المشتري
 وحرارة المريخ والضوء الباهر للشمس ودرية الزهرة وصفرة عطارد ومحو القمر وأيضا
 فبعضها سدة وبعضها نحسة وبعضها نارى ذكرنا بعضها إلى اني وقد بينا ان الاجسام
 في ذواتها متماثلة فوجب أن يكون اختلاف الصفات لاجل ان الاله القادر المختار
 خصص كل واحد منها بصفة معينة (الخامس) ان كل فلك فانه مخصص بالحر كة الى جهة

من الجار والمجرور والجملة معطوفة على اقبلها وقرئ بالنصب

معينة ومختص بمقدار واحد من السرعة والبطء وكل ذلك أيضا من الجائزات فلا بد من
 انفعال المختار (السادس) ان كل فلك مختص بشئ معين وكل ذلك ايضا من الجائزات
 فلا بد من انفعال المختار وتمام الوجوه مذکور في تفسير تلك الآيات (البحث الثالث)
 قوله لا آيات للمؤمنين يقتضى كون هذه الآيات مختصة بالمؤمنين وقالت المعتزلة انها
 آيات للمؤمن والكافر الا انه لما انتفع بها المؤمن دون الكافر اضيف كونها آيات الى
 المؤمنين ونظيره قوله تعالى هدى للمقين فانه هدى لكل الناس كما قال تعالى هدى
 للناس الا انه لما انتفع بها المؤمن خاصة لاجرم قيل هدى للمقين فكذا هيمنسا وقال
 اصحاب الدليل والآية هو الذى يترتب على معرفته حصول العلم وذلك العلم انما حصل
 بتخلق الله تعالى لا بايجاب ذلك الدليل والله تعالى انما خلق ذلك العلم للمؤمن لا للكافر
 فكان ذلك آية دليلا في حق المؤمن لا في حق الكافر والله أعلم ثم قال تعالى وفي خلقكم
 وما يث من دابة آيات لقوم يوقنون وفيه مباحث (البحث الاول) قال صاحب الكشف
 قوله وما يث عطف على الخلق المضاف لاعلى الضمير المضاف اليه لان المضاف ضمير
 منصل مجرور والعطف عليه مستفجع فلا يقال مرث بك وزيد ولهذا طعنوا في قراءة
 حزة تسألون به والارحام بالجر في قوله والارحام وكذلك ان الذين استفتحوا هذا عطف
 فلا يقوان مرث بك أنت وزيد (البحث الثاني) قرأ حزة والكسائي آيات بكسر التاء
 وكذلك الذى بعده وتصريف الرياح آيات والباقيون بالرفع فيها أما الرفع فن وجهين
 ذكرهما المبرد والزجاج وأبو على (أحدهما) العطف على موضع ان وما علمت فيه لان
 موضعهما رفع بالابتداء فيحمل الرفع فيه على الموضع كما تقول ان زيدا منطلق وعمر و
 الله يرى من المشركين ورسوله لان معنى قوله ان الله يرى أن يقول الله يرى من
 المشركين ورسوله (والوجه الثاني) أن يكون قوله وفي خلقكم مستأنفا ويكون الكلام
 جملة معطوفة على جملة أخرى كما تقول ان زيدا منطلق وعمر و كاتب جعلت قولك وعمر و
 كاتب كلاما آخر كما تقول زيد في الدار واخرج غدا الى بلد كذا فانهما حدثت بحديثين
 ووجهات أحدهما بالآخر بانوا وهذا الوجه هو اختيار أبي الحسن والقرء وأما وجه
 القراءة بالنصب فهو بالعطف على قوله ان في السموات على معنى وان في خلقكم لا آيات
 ويقولون هذه القراءة انها في قراءة ابي وعبد الله لا آيات ودخول اللام يدل على ان
 الكلام محمول على ان (البحث الثالث) قوله وفي خلقكم معناه خلق الانسان وقوله وما
 يث من دابة إشارة الى خلق سائر الحيوانات ووجه دلالتها على وجود الاله القادر المختار
 ان الاجسام منسوبة فاخصاص كل واحد من الاعضاء بكون المعين وصفته المعينة
 وشكله المعين لا بد وأن يكون بتخصيص القادر المختار ويدخل في هذا الباب انتقاله من
 سن الى سن آخر ومن حال الى حال آخر والاستقصاء في هذا الباب قد تقدم ثم قال تعالى
 واختلاف الليل والنهار وهذا الاختلاف يقع على وجوه (أحدها) تيرل النهار بالليل

على الاختصاص وقبل
 على أنه اسم ان والمجرور
 المتقدم خبرها بطريق
 العطف على معمول
 عاملين مختلفين هما ان
 وفي أقيت الواو متماهما
 فعلت الجر في اختلاف
 والنصب في آيات وتكبر
 آيات في المواقع الثلاثة
 للتفخيم كما وكيف اختلاف
 انشواصل اختلاف
 مراتب الآيات في الدقة
 والجلالة (تلك آيات الله)
 مبتدأ وخبر وقوله تعالى
 (تناوها عليك) حال
 عاملها معنى الإشارة وقيل
 هو الخبر وآيات الله بدل
 أو عطف بيان (بالحق)
 حال من فاعل تناووا ومن
 مفعول أي تناووها محقين
 أو ملتبسة بالحق (فبأي
 حديث) من الاحاديث
 (بعد الله وآياته) أي بعد
 آيات الله وتقديم الاسم
 الجليل لتعظيمها كما في
 قولهم أعجبتى زيدو كرمه
 أو بعد حديث الله الذى
 هو القرآن حسب انطوى
 بقوله تعالى الله نزل أحسن
 الحديث وهو المراد بآياته
 أيضا ومناط العطف
 التغير العنوانى (يومنون)

بصيغة الغيبة وقرئ باناء

(ويحل لكل آفاك) كذاب (أنهم) كثير الاسماء (يسمع آيات الله) صفة أخرى لافاك وقيل استئناف وقيل حال من الضمير في أنهم (تتلى عليه) حال من آيات الله ولا مضاف لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرطه أن يكون ما بعده مما يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ (ثم يصبر) أي يقيم على كفره وأصله من اصرار الجار على العائد (مستكبرا) عن الايمان بما سمعه من آيات الله تعالى والاذعان لما تنطق به ﴿٤٨١﴾ من الحق من درياها معجبا بما عنده من الاباطيل

وقيل نزلت في النضرين
الحرث وكان يشترى من
أحاديث الاعاجم ويشغل
بها الناس عن استماع
القرآن لكنها وردت
بعبارة عامة ناعية عليه
وعلى كل من يسير صيرته
ما هم فيه من الشر وفساد
قلوبهم لاستبعاد الاصرار
والاستكبار بعد سماع
الآيات التي حقه أن
تدعوا لها القلوب
وتخضع لها الرقاب كافي
قول من قال يرى غمرات
الموت ثم يزورها *
(كأن لم يسمعها) أي
كأن لم يسمعها فحذف
وحذف ضمير الشأن
والجمله حال من بصري
يصبر شيئا بغير السامع
(فبشره بعذاب أليم)
على اصراره واستكباره
(وإذا علم من آياتنا شيئا)
أي إذا بلغه من آياتنا شيء
وعلم انه من آياتنا لا انه صله
كما هو عليه فانه يعزل من
ذلك العلم وقيل إذا علم
منها شيئا يمكن أن ينشأ
به المعاندو يجده محملا
فاسدا يتوصل به الى

ويا ضدمته (وثانيها) انه تارة يزداد طول النهار على طول الليل وتارة بالعكس وبمقدار ما يزداد في النهار الصبي يزداد في الليل اشتوى (وثالثها) اختلاف مصالح الشمس في أيام السنة ثم قال تعالى وما أنزل الله من السماء من رزق فأحى به الأرض بعد موتها وهو يدل على القول بالفعل المخبر من وجوه (أحدها) انشاء السحاب وانزال المطر منه (وثانيها) تولد النبات من تلك الحبة الواقعة في الأرض (وثالثها) تولد الانواع المختلفة وهي ساق الشجرة وأغصانها وأوراقها وأثمارها ثم تلك الثمرة منها ما يكون القشر محيطا باللب كالجوز والوز ومنها ما يكون اللب محيطا بالقشر كالشمس والخوخ ومنها ما يكون خاليا عن القشر كالحبوب كالحنظل فتولد أقسام النبات على صكيرة أصنافها وتبين أقسامها يدل على صحة القول والفعل المختار الحكيم الرحيم ثم قال وتصريف الرياح وهي تنقسم الى أقسام كثيرة بحسب تقسيمات مخددة فمنها المشرقية والغربية والشمالية والجنوبية ومنها الحارة والباردة ومنها الرياح النافذة والرياح الضارة ولما ذكر الله تعالى هذه الانواع الكثيرة من الدلائل قال انها آيات اقوم بعثون واسلم ان الله تعالى جمع هذه الدلائل في سورة البقرة فقال ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفقاك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحى به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات اقوم يعقلون فذكر الله تعالى هذه الاقسام الثمانية من الدلائل اثباتا بين اوضاع من وجوه (الاول) انه تعالى قال في سورة البقرة ان في خلق السموات والأرض وقال ههنا ان في السموات والصالحين عند اصبح بيان خلق عين الخلق في وهدى انظروا خلق في سورة البقرة ولم يذكر في هذه السورة تبسم اعلى انه لاتفوت بين ان يفتان السموات وبين أن يقال خلق السموات فيكون هذا ليلا على ان الخلق عين الخلق (الثاني) انه ذكر هناك ثمانية أنواع من الدلائل وذكرها ثمانية أنواع واهل منها فهاك السحاب والسبب أن مدار حركة افلاك والسحاب على الرياح الخفيفة المذكور الرياح الذي هو كالسبب يعني عن ذكرهما (والثالث) انه جمع الكل وذكرها مقطعا حسابا وهنار تبها على ثلاثه مقاطع والغرض التنبيه على انه لا بد من افراد كل واحد منهم ابتداء تام شاف (والرابع) انه تعالى ذكر في هذا الموضع ثلاثة مقاطع (أولها) يؤمنون (وثانيها) يوفون (وثالثها) يعقلون وأطن ان سبب هذا الترتيب انه قيل ان كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين بل أنتم من طلاب الحق واليقين فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين ولا من الموقنين ولا أقل من أن تكونوا من زمرة العاقلين فاجتهدوا في معرفة هذه الدلائل واعلم ان كثير من ائمة علماء يقولون انه ليس في القرآن العلوم التي يبحث عنها المتكلمون بل ليس فيه الا ما يتعلق بالاحكام والفقه وذلك غفلة عظيمة لانه ليس في القرآن سورة طويلة مفردة يذكر الاحكام وفيه سور كثيرة خصوصاً المكيات ليس فيها الا ذكر دلائل

الطعن والغميرة (أخذها) أي ﴿٦١﴾ سا الآيات كلها (هزوا) أي هزواها الاما سمع فقط وقيل الضمير للشيء والثاني لان في معنى الآية (أولئك) إشارة الى كل آفاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبايح والجمع باعتبار الشمول للكل كافي قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما أن الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد (لهم) بسبب جنائياتهم المذكورة (عذاب مهين) وصف العذاب

بالاها انه توفيق خلق استكبارهم واشهرتهم بآيات الله سبحانه وتعالى (من وراءهم جهنم) أي من قدامهم لانهم متوجهون
الى ما أعد لهم أو من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك متبلون على الدنيا فان الوراثة اسم للجهة التي يورثها الشخص
من خلفه وقديم (ولا يغني عنهم) ولا يدفع (ما كسبوا) من الاموال والاولاد (شيئا) من عذاب الله تعالى أشياء من
الغناء (ولاما اتخذوا من دون الله اولياء) أي الاصنام في ٤٨٣ وتوسط حرف التثنية بعد السين - أن عدم

غناء الاصنام أظهر
وأجلى من عدم إغناء
الاموال والاولاد قطعاً
مبنى على زعمهم الفاسد
حاشا كانوا يطمعون في
شفاعتهم وفيه تهكم
(ولهم) فيما وراءهم
من جهنم (عذاب
عظيم) لا يقادر قدره
(هكذا) أي القرآن
(هدى) في غابة الكمال
من الهداية كأنه نفسها
(والذين كفروا) أي
بأقرآن وانما وضع
موضع ضميره قوله تعالى
(بآيات ربهم) لزيادة
تدريج كفرهم به وتفظير
حالهم (إهم عذاب من
رجز) أي من أشد
العذاب (أليم) بالرفع
صفة عذاب وقرئ
بالجر على أنه صفة
رجز وتوحي عذاب في
المواقع الثلاثة للتفخيم
ورفعه اما على الابتداء
واما على التفاعلية (الله
الذي سخر لكم البحر)
بان جعله أملاً سطح
يطفو عليه ما يتخلف
كالاخشاب ولا يمتنع الغوص

التوحيد والنبوة بالبعث والشفاعة وكل ذلك من علوم الاصوليين ومن تأمل علم
في بدع علماء الاصول التفصيل ما اشغل القرآن عليه على سبيل الاستدلال تلك
آيات الله تلوها عليك بالحق والمراد من قوله بالحق هو ان صحتها ومعها باللائل العملية
وذلك لان العلم بانها حقة صحيحة اما أن يكون مستفاداً من النقل أو العقل ولاون باطل
لان صحة الدلائل العقلية موقوفة على سبق العلم بآيات الاله العالم القادر الحكيم وبآيات
النبوة وكيفية دلالة المعجزات على صحتها فلو أثبتنا هذه الاصول بالدلائل العقلية لزم الدور
وهو باطل ولما بطل هذا ثبت ان العلم بحقيقة هذه الدلائل لا يمكن تحصيله الا بمحض العقل
واذا كان كذلك كان قوله تلك آيات الله تلوها عليك بالحق من أعظم الدلائل على الترغيب
في علم الاصول وتقرير المباحث العقلية ثم قال تعالى فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون
يعني ان من لم يدفع بهذه الآيات فلا شيء بعده يجوز أن يتنعم به وأبطل بهذا قول من يزعم
ان التقليد كاف وبين انه يجب على المكلف التأمل في دلائل دين الله وقوله يؤمنون قرئ
بالياء والياء واختار أبو عبيد اياه لان قبله غيبة وهو قوله ليقوم يؤمنون واقوم يعقلون فان
قيل ان في أول الكلام خطاباً وهو قوله وفي خلقكم فتننا الغيبة التي ذكرنا أقرب الى الحرف
المختلف فيه والأقرب أولى ووجه قول من قرأ على الخطباء ان قل فيدهم قدر رأي قل لهم
فبأي حديث بعد ذلك يؤمنون قوله تعالى (ويل لكل أفاك أثيم) يسمع آيات الله تتلى
عليه ثم يصبر مستكبراً كأن لم يسمعها فيشبهه بعذاب أليم إذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها
هزوا أولئك لهم عذاب عظيم من وراءهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا
من دون الله اولياء وإلهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من
رجز أليم) علم انه تعالى لما بين آيات التكفار وبين انهم بأي حديث بعده يؤمنون اذا لم
يؤمنوا بها مع ظهورها اتبعوا بغيرها عظيم اثم فقال ويل لكل أفاك أثيم الا فاك الكذاب
والأثيم المبالغ في افتراء الآثام واعلم ان هذا اثم له مقامان (الأول) ان يبقى مصرأ
على التكفار والاستكبار فقال تعالى يسع آيات الله ثم يصبر أي يقيم على كفره اقامة بقوة
وشدة مستكبراً عن الايمان بالآيات معجبا بما عنده قبل نزات في التنصير في الحشر وما
كان يشترى من أحاديث المعاجم ريشة بها الناس عن استماع القرآن والآية عا في
كل من كان موصوفاً بصفة المذكورة فان قالوا ماء عنى ثم في قوله ثم يصبر مستكبراً قلنا
نظيره قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض الى قوله ثم الذين كفروا ببر بهم
يعبدون ومعناه انه تعالى لما كان خالق السموات والارض كان من المستبعد جعل هذه
الاصنام مساوية له في العبودية ككذاهمنا سماع آيات الله على قوتها وظهورها من
المستبعد أن يقابل بالانكار والاعراض ثم قال تعالى كأن لم يسمعها الاصل كأنه لم يسمعها
والضمير ضمير الشأن ومحل الجملة انصب على الحال أي يصبر مثل غير السامع (المقام
الثاني) ان ينقل من مقام الاصرار والاستكثار الى مقام الاستهزاء فقال وإذا علم من آياتنا

والحرق لميعانه (تجري الفلك فيه بأمري) وأتم راكبوها (وتبتغوا من فضله) بالتجارة والغوص في شيا
والصيد وغيرها (واعلمكم تشكرون) ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض)
من الموجودات بان جملة اعدادها متافكم (جميعاً) اما حال من ما في السموات والارض أو توكيده (ممد) متعلق
بمخبرف هو صفة لجميعها أو حال من ما في جميعها كأنما لله تعالى أو سخر لكم هذه الاشياء

كائنة منه مخلوقة له تعالى وأخبر لمخدوف أي هي جيعامته تعالى وقري منه على المفعول له ومنه على أنه فاعل سخر على
الاسناد المجازي وأخبر مستنداً لمخدوف أي ذلك منه (إن في ذلك) أي فيما ذكر من الأمور العظام (آيات) عظيمة الشأن
كثرة العدد (لقوم يتفكرون) في بدائع صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ووقفون
لشكرها (قل للذين آمنوا) حذف المفعول ﴿ ٤٨٣ ﴾ لدلالة (يعفروا) عليه فانه جواب للامر باعتباره تعفقه به لا باعتبار

نفسه فقط أي قل لهم
اعفروا ويعفروا (للذين
لا يرجون أيام الله) أي
يعفروا ويصفوا وعن الذين
لا يتوقفون وفائده تعالى
باعدائه من قواهم أيام
العرب أوقافها وقيل
لا يأملون الاوقات التي
وقتها الله تعالى لثواب

المؤمنين ووعدهم الفوز
فيها وقيل تزنت قبل آية
القتال ثم نسخت بها وقيل
نزلت في عمر رضي الله عنه
حين شتم غفاري فهم
أن يبطش به وقيل حين
قال ابن أبي مائل وذلك
انهم نزوا في غزوة بني
المصطلق على بشرى
لها المريسع فارسل ابن
أبي غلامه يستقي فابعد
عليه فلما أتاه قال له
ما حبسك قال غلام عمر
قعد على طرف البئر
فأترك أحدنا يستقي فحسب
ملا قرب النبي صلى الله
عليه وسلم وبني يار
قال ابن أبي مائل وسئل
هو لا الاكابر
كلبك يا كلك فباع ذلك
عمر رضي الله عنه فاشترى
سيف يريد التوجه اليه
فأنزلها الله تعالى (يجري
قوما بما كانوا يكسبون)

شيئاً اتخذها هزوا وكان من حق الكلام أن يقال اتخذها هزوا أي اتخذ ذلك الشيء هزوا
الا انه تعالى قال اتخذها للاشعار بان هذا الرجل اذا أحس شيئاً من الكلام أنه من جملة
الآيات التي أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم لم يخاض في الاستهزاء بتجمع
الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بذلك الواحد ثم قال تعالى أولئك لهم عذاب مهين أو شئت
أشار الى كل أمة أشبهت لشموله جميع الأفاكين ثم وصف كيفية ذلك العذاب المهين فقال
من وراءهم جهنم أي من قدامهم جهنم قال صاحب الكشاف وراء اسم الجهة التي
تواري بها الشخص من خلف أو ودام ثم بين أن ما منكوه في الدنيا لا يتبعهم فقال ولا يغني
عنهم ما كسبوا شيئاً ثم بين أن أصدانهم لا تنفعهم فقال ولا زادوا من دون الله أولياء ثم
قال ولهم عذاب عظيم فان قالوا انه قال قبل هذه الآية لهم عذاب مهين فبالتأني في
قوله بعده ولهم عذاب عظيم فمنا كواب العذاب مهين يدل على حصولها فانه مع العذاب
وكونه عذاباً يدل على كونه بالغالى أخصى الغيات في كونه ضرراً ثم قال هذا هدى أي
كامل في كونه هدى والذين كفر وأبى آيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم والرجز أشد
العذاب بدلالة قوله تعالى فأنازلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء وقوله لن كشف عنا
الرجز وقري أليم بالجر والرفع أما الجر فتقديره لهم عذاب من عذاب أليم وإذا كان عذابهم
من عذاب أليم كان عذابهم أليماً ومن رفع كان المعنى لهم عذاب أليم ويكون المراد من
الرجز الرجز الذي هو النجاسة ومعنى النجاسة فيه قوله ويسقى من ماء صديد وكان المعنى
لهم عذاب من تجرع رجز أو شرب رجز فتكون من تبييننا للعذاب * قوله تعالى
(الله الذي سخر لكم البحر ليجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جيعامته إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل
للذين آمنوا ويعفروا (للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوماً كانوا يكسبون من عمل
صالحاً فلك نفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون) اعلم أنه تعالى ذكر الاستدلال بكيفية
جريان الفلك على وجه البحر وذلك لا يحصل إلا بسبب تسخير ثلاثة أشياء (أحدها) الرياح
التي تهب على وفق المراد (وثانيها) خلق وجه الماء على الملائسة التي تجري عليها الفلك
(وثالثها) خلق الخسبة على وجه تيق طافية على وجه الماء ولا تغوص فيه وهذه الأحوال
الثلاثة لا يندر عليها واحد من البشر فلا بد من وجود قادر عليها وهو الله سبحانه وتعالى
وقوله بتدبيره فله معناه أما بسبب التجارة أو بالفصوص على التوالؤ والمرجان أو لاجل
استخراج اللؤلؤ ثم قال تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جيعامته
والمعنى بوزن الله تعالى أوقف أجرام السموات والأرض في مقارها وأحياها كلها حصل
الانتفاع من تلك التدبير كواب الأرض هابطة أو صاعدة لم يحصل الانتفاع بها وبتقدير كون
الأرض من الذهب أو الفضة أو الحديد لم يحصل الانتفاع بكل ذلك فديناره فان قيل ما معنى
منه في قوله جيعامته فلان معناه انها واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشياء كائنة

تعليل للامر بالمعروف والمراد بالقوم المؤمنون والتكثير لدحهم واثناء عليهم أي أمروا بذلك ليجزى يوم القيامة قوماً بما قام
قوماً مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جنتها الصبر على اذية الكفار والاضضاء عنهم بكظم
الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا

وقد جاوز أن يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من نجسها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتكبر الصغير
وفيه أن مطلق الجزاء لا يصلح تعالى بالامر بالمعزة لتحقيقه على تقدير المعزة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بان
لا يتحقق بعض منه في الدنيا أو يصدر عنه تعالى بالذات وفي ذلك من الشكف ما لا يخفى وأن يراد الكلا الفرقتين وهو أكثر
تكافؤا أشد تحملا وقرئ بجري قوم ويجري قوم أي يجري * ٤٨٤ * الجزاء قومًا وعري تجري بنون العظمة

(من عمل صالحا فلنفسه
ومن أساء فعليها) لا يكاد
يسرى عمل إلى غير عامله
(ثم إلى ربكم) مآل أمورك
(ترجعون) فيجازيكم على
أعمالكم خيرا كان أو شرا
(وأتينا بني إسرائيل
الكتاب) أي التوراة
(والحكم) أي الحكمة
النظرية والعملية الفقه
في الدين أو فصل
الخصومات بين الناس
اذككار الملك فيهم
(والنبوة) حيث كثرت فيهم
الانبياء ما لم يكن في غيرهم
(ورزقناهم من الطيبات)
ما أحل الله تعالى من
الذات كالن والسوى
(وفضلناهم على
العالمين) حيث آتيناهم
ما لم نؤت من عداهم من
فلق البحر واطلال الغمام
ونظائرهما وقبل على عالمي
زمانهم (وآتيناهم بينات
من الامر) دلائل ظاهرة
في أمر الدين ومعجزات
قاهرة وقال ابن عباس
رضي الله عنهما هو العلم
بمبعث النبي صلى الله عليه
وسلم وما بين لهم من أمره
وأنه يهاجر من تهامة إلى

منه وحاصله من عنده يعني أنه تعالى مكنونها وموجدوها ربه وحكمته ثم مسخرها
لخلقها قال صاحب الكشف قرأ أسلف بن محارب منه على أن يكون منه فاعل مسخر على
الاستناد المجازي أو على أنه خير من ما محذوف أي ذلك منه وهو منه وإعلم أنه تعالى لما علم
عباده دلائل التوحيد والقدرة والحكمة اتبع ذلك بتعليم الأخلاق الفاضلة والأفعال
الجميدة بقوله قل الذين آمنوا يقرءوا للذي لا يرجو أيام الله والمعاد بان لا يرجو أيام
الله كفار واختلفوا في سبب نزول الآية قال ابن عباس قل الذين آمنوا يعني عمر
يفغروا للذين لا يرجو أيام الله يعني عبد الله بن أبي وذلك أنهم نزوا وغزوة بني المصطلق
على أثر نزل المريسع فأرسل عبد الله غلاما يستقي الماء فابضا عليه فلما أتاه قال له
ما حبسك قال غلام عمر فقد على طرف البئر فترك أحدا يستقي حتى ملا قرب النبي صلى
الله عليه وسلم وقرب أبي بكر وملا لولاء فقال عبد الله ما شئنا مثل هؤلاء الاكفاب من
كلمتك يا كذا فباغ قوله عمر فاشتمل بسفد يريد التوجه اليه فارتل الله هذه الآية وقال
مقاتل شتم رجل من كفار قريش عمر بمكة فبهم أن يهطش به فامر الله بالهغو والتجاوز
وأُتزل هذه الآية وروى ميمون بن مهران أن فخص اليهودي لما نزل قوله من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج رب محمد فسمع بذلك عمر فاشتمل على سيفه وخرج في
طلبه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى رده وقوله للذين لا يرجو أيام الله قال
ابن عباس لا يرجون نواب الله ويخفون عقابه ولا يخشون مثل عقاب الامم الخالية
وذكرنا تفسير أيام الله عند قوله وذكرهم بأيام الله وأكثر المفسرين يقولون انه منسوخ
وانما قالوا ذلك لانه يدخل تحت الغفران أن لا يقتلوا ولا يقتلوا فلما أمر الله بهذه المقالة
كان نسخا والاقرب ان يقال انه محمول على ترك المنازعة في المحرمات وعلى التجاوز عما
يصدر عنه من الكلمات المؤذية والاعمال الموحشة ثم قال تعالى يجزي قومًا بما كانوا
يكسبون أي لكي يجازي بالمعزة قومًا يعمدون الخير فان قيل ما الفائدة في التكرير في قوله
ليجزي قومًا مع ان المراد بهم هم المؤمنون المذكورون في قوله قل للذين آمنوا قلنا التكرير
يدل على تعظيم شأنهم كأنه قيل يجزي قومًا أي قوم من شأنهم الصفة مع شغل السيات
والتجاوز عن المؤذيات وتحمل الوحشة وتجزع المصكروه وقال آذان خرون معنى الآية قل
للمؤمنين يتجاوزوا عن الكفار ليجزي الله الكفار عما كانوا يكسبون بصون من الاثم كأنه قيل
لهم لا تكافؤهم أنهم حتى تكافؤهم نحن ثم ذكر الحكم العام فقال الذل من عمل صالح لنفسه
وهو مثل ضرر به الله للذين يغفرون ومن أساء فعليها مثل ضرر به للكفار الذين كانوا
يقدمون على ابداء الرسول والمؤمنين وعلى ما لا يحل فبين تعالى رذائل العمل الصالح بعود
بالنفع العظيم على فاعله والعمل الردي بعود بالضرر على فاعله وهو انه تعالى أمر بهذا وعي
عن ذلك لحظ العبد لا لنفع يرجع اليه وهذا ترغيب منه في العمل الصالح وزجر عن العمل
الباطل * قوله تعالى (وقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من

يثرب ويكون أنصاره أهل يثرب) فاختلوا في ذلك الامر (الامن بعد ما جاءهم العلم) بحقيقته وحقه * (الطيبات)
فجعلوا له زوال الخلاف موجباً لسوخته (بغيا بينهم) أي عداوة وحسد لا شكافيه (ان ربك يفضي بينهم
يوم التوفيق لبيحة اخذة والجزاء) فيما كانوا فيه يختلفون (من أمر الدين) ثم جعلناك

على شريعة) أي سنة وطر يفة عظيمة الشأن (من الأمر) أي أمر الدين (فاتبعها) بإجراء أحكامها في نفسك وفي غيرك من غير إحلال بشيء منها (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) أي آراء الجاهلة واعتقاداتهم الزائفة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه الصلاة والسلام ارجع إلى دين آبائك (أنهم لم يغفوا عنك من الله شيئا) أراد بك إرابتهم (وإن الظالمين) ٢٨٥ (بعضهم أولياء بعض) لا يوالاهم ولا تتبع أهواءهم

الأمم كان ظالمًا لهم

(والله ولي المنقرضين)

الدين أنت قدوتهم

قدم على ما أنت عليه

من توليه خاصة

والاعراض عما سواها كلية

(هــدا) أي القرآن

واتباع الشريعة (بصائر

للناس) فإن ما فيه من

معالم الدين وشعائر

أشرائع بمنزلة البصائر

في القلوب (وهدي

من ورطة الضلالة

(ورجة) عظيمة (يقوم

يقفون) من شأنهم

الإيقان بالأمور (أم حسب

الذين اجتروا السيئات)

استئناف مسوق لبيان

تباين حالي المسيئين

والحسينين أثر بيان تباين

حالي الظالمين والمنقيين

وأم منقطعة وما فيها

من معنى بل للاتقال

من أيمان الأول إلى

الثاني والهمزة لانكار

الحسبان لكن لا بطريق

انكار الوقوع ونفيه

كأن قوله تعالى أم نجعل

الذين آمنوا وعملوا

الصالحات كالمفسدين

الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فإختلفوا الأمن بعد ما جاءهم العلم فآمن بعضهم إن ربك يفتنى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون أنهم إن يغفوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين هـذا بصائر للناس وهدي ورجة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجتروا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محييتهم ومماتهم ساء ما يحكمون) أعلم أنه تعالى بين أنه أنعم بهم كثيرة على بني إسرائيل مع أنه فصل بينهم الاختلاف على سبيل البغي والحسد والمفارقة ودان يبين أن طريقة قومه كطريقهم من تقدم وأعلم أن النعم على قسعين نعم الدين ونعم الدنيا ونعم الدين أفضل من نعم الدنيا فلماذا بد الله تعالى بذكر نعم الدين فقال واقدنا آتينا بني إسرائيل الكتاب واختمهم والثبات والأقرب أن كل واحد من هذه الثلاثة يجب أن يكون غايًا للصاحبه أما الكتاب فهو التوراة وأما الحكم ففقه وجوه يجوز أن يكون المراد العلم والحكمة ويجوز أن يكون المراد العلم بفصل الحكومات ويجوز أن يكون المراد معرفة أحكام الله تعالى وهو لم يغفها وأما النبوة فمعلومة وأما نعم الدنيا فهي المراد من قوله تعالى ورزقناهم من الطيبات ذلك لأنه تعالى وسع عليهم في الدنيا فأورثهم أموال قوم فرعون وسائرهم ثم أنزلهم بهم إن والسواوي ولما بين تعالى أنه أعطاهم من نعم الدين ونعم الدنيا نصيبا وأفرا قال بصلناهم على العالمين يعني أنهم كانوا أكبر درجة وأرفع منقبة عن سواهم في وقتهم فلماذا المعنى قال المفسرون المراد وفضلناهم على عالمي زمانهم ثم قال تعالى وآتيناهم بينات من الأمر وفيه وجوه (الأول) أنه آتاهم بينات من الأمر أي أدلة على أمور الدنيا (الثاني) فل ابن عباس يعني بين لهم من أمر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يهاجر من تهامة إلى يثرب ويكون أنصاره أهل يثرب (الثالث) المراد وآتيناهم بينات أي معجزات فاهرة على صحة نبوتهم والمراد معجزات موسى عليه السلام ثم قال تعالى فإختلفوا الأمن بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وهذا مفسر في سورة حم عسق والمقصود من ذكر هذا الكلام التعجب من هذه الحالة لأن حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف وههنا صار مجي العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك لأنهم لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وإنما المقصود منه طلب الرياسة والتقدم ثم ههنا احتمالات يريدونها علموا ثم عاندوا ويجوز أن يريدوا العلم الدلائل التي توصل إلى العلم والمعنى أنه تعالى وضع الدلائل والبيانات التي لو تأملوا فيها لعرفوا الحق لكنهم على وجه الحسد والعناد اختلفوا وأظهروا النزاع ثم قال تعالى إن ربك يفتنى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون والمراد أنه لا ينبغي أن يغتر المبطل بنعم الدنيا فانها وإن ساوت نعم الحق أوزادت عليها فانه سيرى في الآخرة ما يسوءه وذلك كان جزاءهم ولما بين تعالى أنهم أعرضوا عن الحق لأجل البغي والحسد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يدل عن تلك الطريقة ويقول ان تجسك بالحق وإن لا يكون له غرض سوى اظهار

في الأرض أم نجعل المنقيين كالنجس بل بطريق انكار الواقع واستباحه والتهم (ان نجعلهم) أي نصيبهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مسا (الصالحات) وهم فيما هم فيه من محاسن الأعمال ونعاماتهم معاملة لهم في الكرم محييتهم ومماتهم) أي يحيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير في انظر

على ضمير محمداً على أنه السواء بمعنى المستوي ومحباهم ومحباتهم من تغفلان به على الغافلية والمعنى أنهم حسبوا أن نجعلهم
كأشياء مثلهم حال كون الكل مستويا محباهم ومحباتهم كالأشياء لا يستويون في شيء منها فإن هؤلاء في عز الإيمان والطاعة
وشرفهم في الحياة وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات وأولئك في ذل الكفر والمعاصي وهو انهما في المحباة وفي لعنة الله
والعذاب الخالد في الممات شتان بينهما وقد قيل ﴿ ٤٨٦ ﴾ المراد انكار أن يستويوا في الممات كما استويوا

في الحياة لأن المسيئين
والمحسنين مستوي محباهم
في الرزق والصحة وإنما
يفترقون في الممات وقرئ
محباهم ومحباتهم بالنصب
على انهما ظرفان
كقدم الحاج وسواء حال
على حاله أي حال كونهم
مستويين في محباهم
ومحباتهم وقد ذكر في
الآية الكريمة وجوه
أخر من الأعراب والذي
يليق بجملة التزييل هو
الأول فتدبر وقرئ
سواء بالرفع على أنه خبر
ومحباهم مبتدأ فقبل
الجملة بدل من الكاف
وقيل حال وأياها كان
فتسببه حساب التساوي
اليهم في ضمن الانكار
التوبيخ مع انهم يعمل
منه جازمون بفضلهم
على المؤمنين للبسافة
في الانكار والتشديد
في التوبيخ فان انكار
حسبان التساوي
والتوبيخ عليه انكار
لحسبان الجزم الفضل
وتوبيخ عليه على أبلغ
وجه وأكده (ساء

الحق وتقرير الصدق فقال تعالى ثم جعلناك على شريعة من الأمر أي على طريقة
ومنهاج من أمر الدين فتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والبيانات ولا تتبع ما لاجحة عليه
من أهواء الجاهل وأديانهم المبتدعة على الأهواء والجهل قال الكلبي إن رؤساء قریش قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم هو بمكة أرجع إلى مكة آتاك فهم كانوا أفضل منك واسن وأنزل
الله تعالى هذه الآية ثم قال تعالى انهم لم يغنوا عنك من الله شيئا أي أوملت إلى أديانهم
الباطلة فصرت مستغنياً بالعذاب فهم لا يقدرهون على دفع عذاب الله عنك ثم بين تعالى أن
الظالمين يتولى بعضهم بعضاً في الدنيا وفي الآخرة لا ولي لهم ينفعهم في اتصال الثواب
وإزالة العقاب وأما الملقون المهتدون فآله وليهم وناصرهم وهم موأله وما بين الفرق بين
الولائين ولما بين الله تعالى هذه البيانات الباقية الشافعة قال هذا بصائر للناس وهدى
ورحمة لتوم يوقنون وقد فسرناه في آخر سورة الأعراف والمعنى هذا الصرائر بصائر للناس
جعل ما بين من البيانات الشافية والبيانات الكافية بمنزلة البصائر في الصلوات كما جعل في
صائر الآيات روحاً وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن وأيقن ولما بين
الله تعالى الفرق بين الظالمين وبين المتقين من الوجه الذي تقدم بينا في بينهما من وجه
آخر فقال أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
وفيه مباحث (البحث الأول) أم كلمة وضعت للاستفهام عن شيء حال كونه معطوفاً على
شيء آخر سواء كان ذلك المعطوف مذكوراً أو مضمراً والتقدير ههنا أفبعل المشركون
هنا أم يحسبون اننا نتولى هم كاتولى المتقين (البحث الثاني) الاجترار الاكتساب ومنه
الجوارح وفلان جارحة أهله أي كآبهم قال تعالى ويعلم ما جر حنم بالهار (البحث الثالث)
قال الكلبي نزلت هذه الآية في علي وحزرة وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم وفي
ثلاثة من المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة قالوا للمؤمنين والله ما أنتم على شيء
ولو كان ما تقولون حقاً لكان حالنا أفضل من حالكم في الآخرة كما أننا أفضل حالاً منكم
في الدنيا فانكر الله عليهم هذا الكلام وبين أنه لا يمكن أن يكون حال المؤمن المطيع
مساوياً لحال الكافر العاصي في درجات الثواب ومنازل السعادات واعلم أن نطق حسب
يستدعي مفعولين (أحدهما) الضمير المذكور في قوله أن نجعلهم (والثاني) الكاف في
قوله كالذين آمنوا والمعنى أحسب هؤلاء المجترحين أن نجعلهم أمثال الذين آمنوا ونظيره
قوله تعالى أفز كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستويون وقوله اننا لننصر رسلنا والذين آمنوا
في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم العنة وهم سوء
الدار وقوله تعالى أفجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون وقوله أم نجس الدين
آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ثم قال تعالى سواء
محباهم ومحباتهم وفيه مسائل (المسألة الأولى) فرأ حزة والكسائي وحفص عن عاصم
سواء بالنصب والباقون بالرفع واختيار أبي عبيد النصب أمام وجه القراء بالرفع فهو أن

ما يحكمون) أي ساء حكمهم هذا أو ليس شياً يحكموا به ذلك (وخلق الله السموات والأرض بالحق) قوله ﴿
استأناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى إلهما ولما فيهما بالحق المقضى للعدل يستدعي لا محالة تفضيل
المحسن على المسيء في الحياة والممات وانتصار المظلوم من الظالم وإذا لم يطرد ذلك في الحياة فهو بعد الممات حتماً
(وتجزئ كل نفس بما كسبت) عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها

معرفة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل فحاصله خلقها لاجل ذلك وتجزي الخ، على علمه بمخدوفة مثل ليدل بها على قدرته أو بدمه وتجزى (وهم أي النفوس الدالول عليها بكل نفس (لا يظلمون) بنص ثواب أو بزياء عقاب وتسمية ذلك ظلماً لهم وليس كذلك على ما عرفت من قاعة أهل السعد لبيان غاية تترساحه لطيفة تعالى عند كبريت بله من زلة الظلم الذي يستحق سدوره عند تعالى ﴿ ٤٨٧ ﴾ (أفرأيت من اتخذ الهواه) تحب من حال من ترك متابعة الهدى

الى مطاوعة الهوى فكانت عبده أي أنظرت فرأيت فان ذلك مما يقضي منه العجب وقرى آلهته هواء لان أحدهم كان يستحسن حجراً في عبده فاذا رأى أحسن منه رفضه اليه فكانت اتخذ آلهة شتى (وأضله الله) وخذله (على علم) أي عالماً بضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها (وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات والنذر) (وجعل على بصره غشاوة) مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرى بفتح الفين وضما وقرى غشوة (فمن يهديه من بعد الله) أي من بعد اضلاله تعالى إياه بموجب تعاميه عن الهدى وتناديه في الخي (أفلا تذكرون) أي ألا تلاحظون فلا تذكرون وقرى تذكرون على الاصل (وقالوا) بيان لاحكام ضلالهم المحكي

دعاه سواء محياهم ومماتهم مبتدأ وجملة في حكم المقرد في محل انصب على البدل من المفعول الثاني بقوله أم نجعل وهو الكاف في قوله كالذين آمنوا ونظيره قوله ظننت زيدا أبوه من خلق وأما وجه القراءة بالنصب فقال صاحب الكشف أجرى سواء مجرى مستويا فارتفع محياهم ومماتهم على القاعلية وكان مفرداً غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كقدم الحاج وخفوق الجهم أي سواء في محياهم ومماتهم قال أبو علي من نصب سواء جعل المحيا والممات بدلاً من الضمير المنصوب في نجعلهم فيصير تقدير أن نجعل محياهم ومماتهم سواء قال ويجوز أن نجعله حالاً ويكون المفعول الثاني هو الكاف في قوله كالذين (المسئلة الثانية) اختلفوا في المراد بقوله محياهم ومماتهم قال مجاهد عن ابن عباس يعني أحسبوا ان حياتهم ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم كلافاتهم يعيشون كافرين ويموتون كافرين والمؤمنون يعيشون مؤمنين ويموتون مؤمنين لان المؤمن مادام يكون في الدنيا فانه يكون وليه هو الله وأنصاره المؤمنون حجة الله معه والكافر بالاضد منه كاذكره في قوله وان الظالمين بعضهم أولياء بعض وعندا القرب الى الموت فان حال المؤمن ماذا كره في قوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة وحال الكافر ماذا كره في قوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم وامام في القيامة فقال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة فهذا هو الاشارة الى ان وقوع التفاوت بين الحياتين (واوجه الثاني) في تأويل الآية أن يكون المعنى انكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحيات وذلك لان المؤمن والكافر قد يستوى محياهم في الصحة والرزق والكنية يدل قديكون الكافر أرجح حالاً من المؤمن وأما بظهور الفرق بينهما في الممات (والوجه الثالث) في تأويل ان قوله سواء محياهم ومماتهم مستأنف على معنى ان محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم أي كل يموت على حسب ما عاش عليه ثم انه تعالى صرح بالانكار تلك التسمية بقوله قال ساء ما يحكمون وهو ظاهر قوله تعالى (وخلق الله السموات والارض والحي والحصى) وتجزي كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ الهواه وأضله الله على علم تختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون قالوا ما هي الاحيات الدنيا نموت ونحى وما نهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا نتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتنا ما بآئنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون اعلم انه تعالى لما أفنى بان المؤمن لا يساوى الكافر في درجات السعادات أتبعه بالادلة اظاهرة على صحة هذه الفتوى فقال وخلق الله السموات والارض بالحق وأولم يوجد البعث لما كان ذلك بالحق بل كان بالباطل لانه تعالى لما خلق الظالم وسلطه على المظلوم الضعيف ثم لا ينقم له مظلوم من الظالم كان ظالماً وأولو كان ظالماً لابطل انه خلق السموات

أي قالوا من غابة غمهم وضلالهم (ماهى) أي ما الحياة (الاحيات الدنيا) التي نحن فيها (نموت ونحى) أي يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نكون نطفة وما قبلها وما بعدها ونحى بعد ذلك أو نموت بانفسنا ونحيا بقاء أولادنا أو نموت بعضنا ونحيا بعضنا وقد جوز أن يرادوا به استامخ فانه عقيدة أكثر عبدة الاوثان وقرى نحيا (وما يهلكنا الا الدهر) الامر والزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره

أي غلبة وقرى الأدهر عمرو كانوا يزعمون أن الموت في هلاك النفس هو من الألام والالبالي ويذكرون ملك الموت وقبضه للأرواح بأمر الله تعالى وتضيفون الحوادث إلى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر قال الله هو الدهر أي فإن الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر (وما هم بذلك) أي بما ذكر من اقتصار الحياة على ما في الدنيا واستناد الحياة والموت إلى الدهر (من علم) ما مستند إلى عقله نقل ﴿٤٨٨﴾ (إنهم لا يظنون) ما هم الاقدم وصاري

أمرهم الظن والتقليد من غير أن يكون لهم شيء يصح أن ينسك به في الجملة هذا مقدم الفاسد في أنفسهم (وإذا تلى عليهم آياتنا) الناطقة بالحق الذي من جلته البعث (بينات) واضحات الدلالة على ما نهكت به أو مبنات له (ما كان حجتهم) بالنسب على أنه خبر كان أي ما كان منسكاً عليهم شيء من الأشياء (الآن قالوا) أتوا بآياتنا إن كنتم صادقين) في أن البعث بعد الموت أي الأهدا القول الباطل الذي يستحيل أن يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة ما اسوقهم إياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم أو لأنه من قبيل تحية بينهم ضرب وحيج * وقرى برع حجتهم على أنها اسم كان فاعني ما كان حجتهم شيئاً من الأشياء الأهدا القول الباطل (قل الله يحكمكم) ابتداء (ثم عيتكم) عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحبون وتوتون بحكم الدهر (ثم يحكمكم)

والارض بالحق وتما تقرر بهذا. للدلائل المذكور في أول سورة نه ناس قال الناصي هذه الآية تدل على أن في مقدور الله ما لو حصل لكان ظلماً وذلك لا يصح الأعلى مذهب لمحبرة الذين يقولون أو فعل كل شيء أراداهم يكن ظلماً وعلى قول من يقول أنه لا يوصف بالقدرة على الظلم وأجاب الأصحاب عنه بأن المراد فعل ما لو فعله غيره لكان ظلماً كما أن المراد من الابتلاء والاختبار فعل ما لو فعله غيره لكان ابتلاء واختباراً وقوله تعالى وتجزي فيه وجهان (الأول) أنه معطوف على قوله بالحق فيكون التقدير وخلق الله السموات والارض لأجل اظهار الحق وتجزي كل نفس (الثاني) أن يكون العطف على محذوف والتقدير خلق الله السموات والارض بالحق ليدل بهما على قدرته وتجزي كل نفس والمعنى أن المتصور من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم إلا إذا حصل البعث والقيامة وحصل التفاوت في الدرجات والدركات بين المحققين وبين المبطلين ثم عادته إلى الـ شرح أحوال الكفار فبدأهم فقال أفرأيت من اتخذ الهه هواه يعني تركوا متابعة الهدي وأقبلوا على متابعة الهوى فكانوا يعبدون الهوى كإعبد الرجب الهه وقرى آلهته هواه لأنه كما ما لم يطبعه إلى شيء اتبعه وذهب خلقه فكانه اتخذوا آلهته شيئاً يعبد كل وقت واحداً منها ثم قال تعالى وأضل الله على علم يعني على علمه بأن جهر وجهه لا قبل الإصلاح ونظيره في جانب التعظيم قوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته وحقيق الكلام في بيان جواهر الأرواح البشرية مختلفة فتنها مشرقة نورانية عاوية آهيد منها كدرة ظلمانية سفلية عظيمة الميز إلى السموات الجسمانية فهو تعالى يقابل كلامهم بحسب ما يليه بجوهر وماهية وهو المراد من قوله وأضل الله على علم في حق المردودين بقوله الله أعلم حيث يجعل رسالته في حق المؤمنين ثم قال وختم على سمعهم وقبض على أبصارهم غشاوة فقولوه وأضل الله على علم هو المذكور في قوله إن الذين كفروا إلى قوله لا يؤمنون وقوله وختم على سمعهم وقبض على أبصارهم غشاوة هو المراد من قوله ختم الله على سمعهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة وكل ذلك قد مر تفسيره في سورة البقرة بالآية عشاء وأنفاوت بين الآيتين أنه في هذه الآية قد ذكر السمع على التلبي وفي سورة البقرة قد ذكر السمع على السمع وقرى أن الإنسان قد سمع كلاماً فبهم في قلبه منه أثر ثم أرجعهم من الكفار كما يأتون إلى الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم شاعر وكاهن وأنه يملك الملك والرياسة فالسامعون إذا سمعوا ذلك أذهتوه ونفرت قلوبهم عنه وأما كفار مكة فهم كانوا يعضونه بقلوبهم بسبب الحسد الشديد فكانوا يستمعون إليه ولو سمعوا كلامه فهموا منه شيئاً فاعا في الصورة الأولى لأن الأثر يصعد من البدن إلى جوهر النفس وفي الصورة الثانية كل الأثر ينزل من جوهر النفس إلى قرار البدن فلما اختف القسم لا جرم ارشاد الله تعالى إلى كلا هذين القسمين بهذين التبيين اللذين نبهنا عليهما ولما ذكر الله تعالى هذا الكلام قال فمن يهديه من بعد الله أي من بعد أن أضله الله أفلا تذكرون أيها

بعد الموت (أي يوم القيامة) للجزاء (لأرب فيه) أي في جملة حكمهم فان من قدر على البذل قد رعى على الإعادة والحكمة (الناس) اقتضت الجمع للجزاء محالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتى الاتيان بآياتهم حيث كان من أجل الحكمة التشرعية امتناع إيقاعه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو ما من تمام الكلام المأمورية أو كلام مسوق من جهته تعالى تحقيق الحق وتبيينها على أن ارتبابهم لجهلهم وقصدتهم في النظر والتفكير لأن فيه شيئاً قريباً ما

(ولله ملك السموات والأرض) بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالاحياء والاماتة ﴿ ٤٨٩ ﴾ والبعث والجمع بالحجازة (ويوم تقوم الساعة يومئذ نخسر

البطلون) العامل في يوم
نخسر ويومئذ تبدل منه
(وترى كل أمة) من الامم
المجموعة (جائية) باركة
على الركب مستوفزة
وقرى جاذبة أى جالسة
على أطراف الاصابع
والجذو أشد استيفازا
من الخنوع عن ابن عباس
رضي الله عنهما جائية
مجموعة وقبل جاعات من
الجثوة وهى الجماعة (كل
أمة تدعى الى كتابها)
الى صحيفة أعمالها وقرى
كل بالنصب على أنه تبدل
من الاول وتدعى صفة
أحوال أو مقول ثان
(اليوم تجزون ما كنتم
تعملون أى يقال لهم
ذلك وقوله تعالى) هذا
كتابنا الخ لم تدم ما
يقار حينئذ وحيث كان
أنا كل أمة مكتوبا
بأمر الله تعالى أضيف
الى نون العظمة تفخيما
لشأنه وهو بلا لامر
فهذا مبتدأ وكتابنا
مفعول وقوله تعالى (ينطق
عليكم أى يشهد عليكم
بالحق) من غير زيادة
ولا نقص خبر آخر أحوال
وبالحق حال من فاعل
ينطق وقوله تعالى (الما كننا نستنسخ) سا الخ تعليل انطقه عليهم بأعمالهم من

الناس قال الواحدى وليس يبقى للأقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لان الله تعالى صرح بمنعه اياهم عن الهدى حين أخبرانه ختم على سمع هذا الكافر وقلبه وبصره وأقول هذه المناظرة قد سبقت بالاستقصاء فى أول سورة البقرة واعلم أنه تعالى حكى عنهم بعد ذلك شبهتهم فى انكار القيامة وفى انكار الاله القادر اما شبهتهم فى انكار القيامة فهى قوله تعالى وقالوا ما هى الاحياء الدنيا نموت ونحى فان قالوا الحياة مقدمة على الموت فى الدنيا فنكر واقسامة كان يجب أن يقولوا نحى ونموت فذا السبب فى تقديم ذكر الموت على الحياة قلنا فيه وجوه (الاول) المراد بقوله نموت حال كونهم فطفا فى أصلاب الآباء وأرحام الامهات وبقوله نحى ما حصل بعد ذلك فى الدنيا (الثانى) نموت نحن ونحى بسبب بقاء أولادنا (الثالث) نموت بعض ونحى بعض (الرابع) وهو الذى خطر بالبال عند كتابة هذا الموضع انه تعالى قدم ذكر الحياة فقال ما هى الاحياء الدنيا ثم قال بعد نموت ونحى يعنى ان تلك الحياة منها ما يطرأ عليها الموت وذلك فى حق الذين ماتوا ومنهم ما لم يطرأ الموت عليها وذلك فى حق الاحياء الذين لم يموتوا بعد واما شبهتهم فى انكار الاله الفاعل المختار فهو قولهم وما يهلكنا الا الدهر يعنى تولد الاشخاص انما كان بسبب حركات الافلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع واذا وقعت تلك لامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة واذا وقعت على وجه آخر حصل الموت فالوجوب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الافلاك ولا حاجة فى هذا الباب الى ثبوت الفاعل المختار فهذه النسخة جوهرا بين انكار الاله وبين انكار البعث والقيامة ثم قال تعالى وما منهم من علم انهم الانطون والمعنى انهم انظر ومعرفة تبدل الاحتمالات بأسرها قائم فأنهى قوله بيقين وحده أيضا يحتمل ذات عوا يكون قويا بالبعث والقيامة حقا وان يكون القول بوجود الاله الحكيم حقا فانهم لم يذكروا شبهة ضعيفة ولا فوية فى أر هذا الاحتمال الثانى باطن وتكند حشر ببالهم ذلك الاحتمال القوم معزوا به وأصروا عليه من غير حجة ولاينة تثبت أنه ليس لهم علم لا جزم ولا يقين فى حقيقة القول الذى اختاروه بسبب النسخ والحساب وميل الذات الباطنة غير وجه وهذه آيات من أدوى السلال على ان القول بغير حجة يذوق قول بالحل فاسد وار من جهة الظن الحسن منكر عند الله تعالى ثم قال تعالى واذا تنلى عليهم آياتنا بينات ما كان حججهم ان قالوا ما يأتينا ان كنتم سادقين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرى حججهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتأخير (المسئلة الثانية) سعى قولهم حجج اوجوه (الاول) انه فى زعمهم حجة (الثانى) ان يكون المراد من كان حججهم هذا فليس لهم البتة حجة كقوله * حجة بينهم ضرب وجع (الثالث) انهم ذكروها فى معرض الاحتجاج بها (المسئلة الثالثة) ان حججهم على انكار البعث أن قالوا اوضح ذلك فأتوا بآياتنا الذين ماتوا ايشهدوا لنا بحجة البعث واعلم ان هذه الشبهة ضعيفة جدا لانه ليس كل ما لا يحصل فى الحال وجب أن يكون متمتع

ينطق وقوله تعالى (الما كننا نستنسخ) ﴿ ٦٢ ﴾ سا الخ تعليل انطقه عليهم بأعمالهم من

تمام الخطاب الى غيابة النار (ولا هم يستغيثون) أي يطلب منهم أن يستغيثوا بهم أي برضوخة لقوات أوانه (فلا الحمد) غاصصة (رب السموات ورب الارض رب العالمين) فلا يستغيثون ١٩٢ الحمد أحد سواء وتكرير الرب للتأكيد

الابذان بان رب يوتيه
على اكل منها الطريق
الامانة وفي رفع
السلامة على المذبح
بضار هو (والكبرياء
في السموات الارض)
لظهور آثارها واحكامها
فيهما وانما ههنا في
موقع الانصار تفخيم
شان الكبرياء (وهو
العزيز) الذي لا يغلب
(الحكيم) في كل ما قضى
وقدر فاجسوه وكبروه
وأطيعوه * عن النبي
عليه الصلاة والسلام
من قرأ أحزاب الجاثية ستر
الله تعالى صورته وسكن
روحه يوم الحساب
* سورة الاحقاف
مكية وآيها أربع أو
خمس وثلاثون آية *
* بسم الله الرحمن
الرحيم * (حم تنزيل
الكتاب من الله العزيز
الحكيم) الكلام فيه
كالاسى مر في مطلع
السورة السابقة
(ما خلقنا السموات
والارض) بما فيها
من حيث الجزئية منها
ومن حيث الاستقرار
فيهما (وما بينهما)

باعتل (المسألة الثالثة) جواب أما عندى واستقدر وأما الذين كفروا فبما هم
اذلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم من قبل آياتى وقالوا كيف
يحسن وصف الكافر بكونه محرما في مرضا طم فيه والذلة فناء عنهم مع كونهم
كفار ما كانوا عدولا في أديان أنفسهم بل كانوا فاسقا في ذلك الدين والله أعلم * قوله
تعالى (واذا قيل ان وعد الله حتم والساعة آتية فاستعجوا ما ساءلة ان تظن
الاطنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم آيات ما عاينوا ما عاينهم كانوا بهداهة
اليوم نلتاكم كما نسبتم قائلهم هذا يومنا ثم انار ما اليكم من ناصر في ذلكم بامرهم
انفذتم آيات الله عزوا بغيركم الحياة الدنيا فأيهم بالخروج منها لا هم يستغيثون
فلا الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين (والكبرياء في السموات والارض هو
العزيز الحكيم) وفيه مسائل (المسألة الاولى) في معنى الساعة رفعها ونصبها قال الزجاج
من نصب عطاف على الوعد ومن رفع فعلى معنى رقيب الساعة لا ريب فيها قال الاخفش
الرفع أجود في المعنى وأكثر في كلام العرب اذا جاز بعد خبر ان لأنه كلام مستقل بنفسه
بعد مجيئ الكلام الاول بتمامه (المسألة الثانية) حكى الله تعالى عن الكفار أنهم اذا قيل
ان وعد الله بالثواب والعقاب حق وان الساعة آتية لا ريب فيها قالوا ما ندرى ما الساعة
ان نظن الاطنا وما نحن بمستيقنين أقول الاغلب على الظن أن القوم كانوا في هذه المسئلة
على قولين منهم من كان قاطعا بنفى البعث والقيامة وهم الذين ذكرهم الله في الآية
المقدمة بقوله وقالوا ما هي الاحياتنا الدنيا ومنهم من كان شاكا متحيرا فيه لانهم لكثرة
ما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم ولكثرة ما سمعوه من دلائل القول بصحته صاروا
شاكين فيه وهم الذين أرادهم الله بهذه الآية والذي يدل عليه انه تعالى حكى مذهب
أولئك القاطعين ثم اتبعه بحكاية قول هؤلاء فوجب كون هؤلاء مغايرين للفرقة الاولى
ثم قال تعالى وبدا لهم أى في الآخرة سيئات ما عملوا وقد كانوا من قبل يمدون بها حسنات
فصار ذلك أول خسراتهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وهذا كالدليل على ان هذه
الفرقة لما قالوا ان نظن الاطنا انما ذكروه على سبيل الاستهزاء والسخرية وعلى هذا الوجه
فهذا الفريق شر من الفريق الاول لان الاولين كانوا منكريين وما كانوا مستهزئين وهذا
الفريق ضموا الى الاصرار على الانكار الاستهزاء ثم قال تعالى وقيل اليوم نلتاكم
كما نسبتم لقائلهم هذا وفي تفسير هذا النسيان وجهان (الاول) نترككم في العذاب
كما تركتم الطاعة التي هي الزاد ليوم المعاد (الثاني) نجعلكم بمنزلة الشئ المنسي غير المبالي
به كالم تبالوا أنتم بلفاء يومكم ولم تلتفتوا اليه بل جعلتموه كالشئ الذي يطرح نسيا منسيا
فجمع الله تعالى عليهم من وجوه العذاب الشديد ثلاثة أشياء (فأولها) قطع رحمة الله تعالى
عنهم بالحكاية (وثانيها) انه يصير ما واهم النار (وثالثها) أن لا يحصل لهم أجر من الاعوان

من المخلوقات (الابالحق) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى الاخلقا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه * والانصار *
الحكمة التكوينية والتشريعية

أو من أعم الأحوال من فاعل خلقها أو من مفعوله أي ما خلقناها في حال من الأحوال الأصل ملا يستثنى بالحق أحوال ملا يستتابه وفيه من الدلالة على ٤٩٣ وجود الصانع تعالى وصفات كماله وإبداء أفعاله على حكم بانه

وانتهى بها الى غايات
جدالة ما لا يخفى (وأجل
مسمى) مضاف على
الحق بتقدير مضاف
أي وبتقدير أجل مسمى
يتمى اليه أمر الكل
وهو يوم القيامة يوم
تبدل الارض غير
الارض والسموات
ورزوا لله الواحد القهار
وقيل هو آخر مدة البقاء
المستدر لكل واحد
وبآياته وله تعالى (والذين
كفروا عما أنذروا
معرضون) فان ما أنذروه
يوم القيامة وما فيه
من العظمة العظمة
والاهوال العامة لا آخر
أعمارهم وقد جوز
كون ما مصدرية والجملة
حالية أي ما خلقنا
الخلق بالحق وتقدر
الأجل الذي يجازون
عنده والحال أنهم غير
مؤمنين به معرضون
عنه وعن الاستعداد له

(قل) توحيها لهم وتبكيها
(أرايتهم) أخبروني وقرئ
أرايتكم (مائدعون)
ما تعبدون (من دون الله)
من الأصنام (أروني)
تأكيد لأرايتهم (ماذا
خلقوا من الارض)

والانصار ثم بين تعالى انه يقال لهم انكم انما صرتم مستحقين لهذه الوجوه الثلاثة من
العذاب الشديد لأجل انكم أتيتهم بثلاثة انواع من الاعمال القبيحة (فأولها) الاصرار
على كابر الحق (وثانيها) الاستهزاء به والسخرية منه وهذا الوجه من داخلان
تحت بوله تعالى انكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا (وثالثها) الاستغراق في حب الدنيا
والاعراض الكلبة (الآخرة وهو المراد من قوله تعالى وغرتكم الحياة الدنيا ثم
قال اني ما يوم يخرجون منها من أجرة وانك اني يخرجون بفتح اياء والياء هزوا)
ولاه يستحقون أي ولا يفتد منهم أن يعتبوا ربهم أمر رضوه وانتم الكفار في هذه
المبائث شرب الخمر والروحية ختم سورة بحميد الله تعالى وقال فله الحمد رب السموات
ورب الارض رب العالمين أي فاحمدوا الله الذي هو خالق السموات والارض بل خالق كل
العالم من الاجسام والارواح والذوات والصفات فان هذه الربوبية توجب الحمد
والشكر على كل أحد من المخلقين والربوبية بين ثم قال تعالى وله الكبرياء في السموات
والارض وهذا مشعر بامرين (أحدهما) ان التكبير لا بد أن يكون بعد الحمد
والإسادة الى أن الحامدين اذا خدوه وجب أن يعرفوا انه أعلى وأكبر من ان
يكور الحمد الذي ذكروه لا نقابا بانه بل هو أكبر من حمد الحامدين وآياديه أعلى وأجل
من شكر الشاكرين (والثاني) ان هذا التكبير ياله لا لغيره لان واجب الوجود لذاته ليس
الاهو ثم قال تعالى وهو العزيز الحكيم يعني انه لكمال قدرته يقدر على خلق أي شيء
أراد و لكمال حكمته يخص كل نوع من مخلوقاته بآثار الحكمة والرحمة والفضل
والكرم وقوله وهو العزيز الحكيم يفيد الحصر فهذا يفيد ان التكامل في القدرة وفي
الحكمة وفي الرحمة ليس الاهو وذلك يدل على انه لا اله الا هو ولا يحسن ولا متفضل
الاهو قال مولانا رضي الله عنه تم تفسير هذه السورة يوم الجمعة بعد الصلاة الخامسة عشر
من ذي الحجة سنة ثلاث وسمائة والحمد لله جدا دأما طيبا مباركاً ما أخذنا مؤبدا كما يليق
بعلاوشانه وباهر برهانه وعظيم احسانه والصلاة على ارواح الطاهرة المقدسة من
ساكني اعلى السموات ونجوم الارضين من الملائكة والانباء والاولياء والموحدين
خصوصا على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

(سورة الاحقاف وهي ثلاثون وخمس آيات مكيدة وقيل أربع وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون قل أرايتهم ما تدعون من
دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات أثوني بكتاب من قبل
هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين) اعلم ان نظم أول هذه السورة كنظم أول سورة

يسان للإيهام في ماذا (أم لهم شرك) أي شركة مع الله تعالى (في السموات) أي في خلقها أو ملكها وتديرها

سوى قوتهم أن يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية فإن ما لا مدخل له في وجود شيء من الأشياء بوجه من الوجوه فهو
يعمل من ذلك الاستحقاق بالمرّة وإن كان من الاحتمالات فلا غنا ظنكم ﴿ ٤٩٤ ﴾ بالجماد وقوله تعالى (أتوفى مكنت)

الجائبة وقد ذكرنا ما قبله وأما قوله ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق فهذا
يدل على اثبات الاله بهذا العالم ويدل على أن ذلك الاله يجب أن يكون عادلا رحيما بعباده
ناظرا لهم محسنا اليهم ويدل على أن القيامة حق (أما المطلوب) الاول وهو اثبات الاله
بهذا العالم وذلك لأن الخلق عبارة عن التقدير وآثاره تقدر ظاهرة في السموات والارض
من الوجوه العشرة المذكورة في سورة الانعام وقد بينا ان جملة تلك الوجوه تدل على
وجود الاله القادر المختار (وأما المطلوب) الثاني وهو اثبات ان الاله العالم عادل رحيم
فيدل عليه قوله تعالى الا بالحق لان قوله الا بالحق معناه الا لاجل الفضل والرحمة
والاحسان وان الاله يجب أن يكون فضله زائدا وان يكون احسانه راجعا وان يكون
وصول المنافع منه الى المحتاجين أكثر من وصول المضار اليهم قال الجبتي هذا يدل على
ان كل ما بين السموات والارض من التبايح فهو ليس من خلقه بل هو من افعال عباده
والا لزم أن يكون خائفا لكل باطل وذلك يناقض قوله ما خلقتهما الا بالحق أجاب أصحابنا
وقالوا خلق الباطل غير الخلق بالباطل غير فحين نقول انه هو الذي خلق الباطل الا انه
خلق ذلك الباطل بالحق لان ذلك تصرف من الله تعالى في ملك نفسه وتصرف المالك
في ملك نفسه يكون بالحق لا بالباطل قاوا والذي يقرر ما ذكرناه ان قوله تعالى ما خلقنا
السموات والارض وما بينهما يدل على كونه تعالى خائفا لكل أعمال العباد لان أعمال
العباد من جملة ما بين السموات والارض فوجب كونهما مخاوفه لله تعالى ووقوع
التعارض في الآية الواحدة محال فلم يبق الا أن يكون المراد ما ذكرناه فان قالوا افعال
العباد اعراض والاعراض لا توصف بأنها حاصلة بين السموات والارض فتقول فلهي
هذا التقدير سقط ما ذكرتموه من الاستدلال والله أعلم (وأما المطلوب الثالث) فهو دلالة
الآية على صحة القول بالبعث والقيامة وتقديره انه اولم توجد القيامة لتعطل استيفاء
حقوق المظلومين من الظالمين وتعطل توفية اشواب على المطيعين وتوفية العقاب على
الكافرين وذلك يمنع من القول بأنه تعالى خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق
وأما قوله تعالى وأجل مسمى فالمراد انه ما خلق هذه الاشياء الا بالحق والا لاجل مسمى
وهذا يدل على ان الاله العالم ما خلق هذا العالم ليبقى مخلدا سرمدا بل انما خلقه ليكون دارا
للعمل ثم انه سبحانه يفتيه ثم يعيده فيقع الجزاء في الدار الآخرة فعلى هذا الاجل المسمى
هو الوقت الذي عينه الله تعالى لافناء الدنيا ثم قال تعالى والذين كفروا عما أنذروا
معرضون والمراد ان مع نصب الله تعالى هذه الدلائل ومع ارسال الرسل وانزال الكتب
ومع مواظبة الرسل على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار بقي هؤلاء الكفار معرضين
عن هذه الدلائل غير ملتفتين اليها وهذا يدل على وجوب النظر والاستدلال وعلى أن
الاعراض عن الدليل مذموم في الدين والدنيا واعلم انه تعالى لما قرر هذا الاصل الدال
على اثبات الاله وعلى اثبات كونه عادلا رحيما وعلى اثبات البعث والقيامة بنى عليه

الحج تبصكيت لهم
بتحيزهم عن الايمان
يستدفعلى بعد تبكيتهم
بالتعبير عن الايمان بسند
عقلى أى اثونى بكتاب
(من قبل هذا) الكتاب
أى القرآن الناطق
بالتوحيد وإبطال الشرك
دال على صحة دينكم
(أو أنارة من علم) أو بنية
من علم بقيت عابكم
من علوم الاولين شاهدة
باستحقاقهم للعبادة
(ان كنتم صادقين)
في دعواكم فانه لا نكاد
تصح ما لم يقم عليها
برهان عقلى أو سلطان
نقلى وحيث لم يقم عليها
شيء منها وقد قامت
على خلافها أدلة العقل
والنقل تبين بطلانها
وقرى إثارة بكسر الهمزة
أى مناظرة فانها تثير
المعاني وأثرة أى شيء
أوترتم به وخصصم من
علم مطوى من غيركم
وأثرة بالحركات الثلاث
مع سكون الشاء أما المكسورة
فيعنى الأثرة وأما المفتوحة
فهى المرة من أثر الحديث
أى رواه وأما المضموه
فاسم ما يؤثر كالخطبة

التي اسم ما يخطب به (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) انكارونى لأن يكون أحد في التفاريع

يسأوى المشركين في الضلال وان كان بيت التمر تيب لى الاصل منهم من غير عرض لى المساوى كما مر في قصة اى هم
أصل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم ١٩٥ هـ السميع القادر المحيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العارى

عن السمع والقدرة
والاستجابة (الى يوم
القيامة) غاية لى
الاستجابة (وهم عن
دعائهم) الضمير الاول
للمفعول يدعو والثاني
لفاعله والجم فيهما باعتبار
معنى من كما أن الافراد
فيما سبق باعتبار افظها
(غافلون) اسكونهم
جادات وضمائر الغفلة
لاجرائهم اياها مجرى
الغفلة ووصفها بما ذكر
من ترك الاستجابة والغفلة
مع ظهور حالها التهم
بها وبعيدتها كقوله تعالى
ان تدعوهم لا يسمنوا
دعائهم الآية (واذا حشر
الناس) عند قيام القيامة
(كانوا لهم أعداء وكانوا
بعبادتهم كافرين) أى
مكدين بلسان الحال
أو المبال على ما يروى
أنه تعالى يحى الاصنام
فتتبرأ عن عبادتهم وقد
جوز أن يراد بهم كل
من يعبد من دون الله
من الملائكة والجن
والانس وغيرهم وبين
ارجاع الضمائر واسناد
العداوة والكفر اليهم
على التغليب ويراد
بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين (واذا تلى عليهم

الفاربع (فافزع الاول) رد على عبدة الاصنام فقال قل أرايتم مالدعون من دون الله
وهى الاصنام أرونى أى أخبرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات
والمراد ان هذه الاصنام هل يعقل أن يضاف اليها خلق جزء من أجزاء هذا العالم فان
لم يصح ذلك فهل يجوز أن يقال انها أعانت الله العالم فى خلق جزء من أجزاء هذا العالم ولما
كان صريح العقل حاكما بأنه لا يجوز اسناد خلق جزء من أجزاء هذا العالم اليها وان كان
ذلك الجزء أقل الاجزاء ولا يجوز أيضا اسناد الاعانة اليها فى أقل الافعال وأذاها فحينئذ
صح ان الخالق الحقيقى لهذا العالم هو الله سبحانه وان المنعم الحقيقى بجميع أقسام النعم هو
الله سبحانه والعبادة عبارة عن الاتيان بأكل وجوه التعظيم وذلك لا يلىق الا بى صدر
عنه أكل وجوه الانعام فلما كان الخالق الحق والمنعم الحقيقى هو الله سبحانه وتعالى وجب
أن لا يجوز الاتيان بالعبادة والعبودية الا له ولا جله بى أن يقال انا لا نعبدها لانها تستحق
هذه العبادة بل انما نعبدها لاجل ان الله الخالق المنعم أمرنا بعبادتها فعند هذا ذكر
الله تعالى ما يجرى مجرى الجواب عن هذا السؤال فقال اتونى بكتاب من قبل هذا
أو أنارة من علم وتقرير هذا الجواب ان ورود هذا الامر لاسبيل الى معرفته الا بالوحى
والرسالة فنقول هذا الوحى الدال على الامر بعبادة هذه الاوثان اما أن يكون على محمد
أوفى سائر الكتب الالهية المنزلة على سائر الانبياء وان لم يوجد ذلك فى الكتب الالهية
لكنه من تقابل الامور المنقولة عنهم والكل باطل اما اثبات ذلك بالوحى الى محمد صلى الله
عليه وسلم فهو معلوم البطالان واما اثباته بسبب اشتغال الكتب الالهية المنزلة على الانبياء
اتدمين عاينه فهو أيضا باطل لانه علم بالنواتر الضرورى اطباق جميع الكتب الالهية
على المنع من عبادة الاصنام وهذا هو المراد من قوله تعالى اتونى بكتاب من قبل هذا
واما اثبات ذلك بالمعلوم المنقولة عن الانبياء سوى ما جاء فى الكتب فهذا أيضا باطل
لان العلم الضرورى حاصل بأن أحدا من الانبياء مادعا الى عبادة الاصنام وهذا هو
المراد من قوله أو أنارة من علم ولما بطل اسكل ثبت ان الاشتغال بعبادة الاصنام عمل باطل
وقول فاسد وبقى فى قوله تعالى أو أنارة من علم نوعان من البحث (النوع الاول) البحث
النفوى قال أبو عبيد والفراء والزجاج أنارة من علم أى بقية وقال المبرد أنارة ما يؤثر من
علم أى بقية وقال المبرد أنارة تؤثر من علم كقولك هذا الحديث يؤثر عن فلان ومن هذا
المعنى سميت الاخبار بالآثار يقال جاء فى الاثر كذا وكذا قال الواحدى وكلام أهل اللغة
فى تفسير هذا الحرف يدور على ثلاثة أقوال (الاول) البقية واشتقاقها من أثرت
الشيء أثيرة أنارة كأنها بقية تستخرج فتشار (والثانى) من الاثر الذى هو الرأية
(والثالث) هو الاثر بمعنى العلامة قال صاحب الكشاف وقرئ أثره أى من شيء أو أثره به
وخصصتم من علم للاحاطة به غيركم وقرئ أثره بالحرركات الثلاث مع سكون الهمزة فالأثرة
بالكسر بمعنى الاثر وأما الأثرة فالأثرة من مصدر أثر الحديث اذا رواه وأما الأثرة بالضم

بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين (واذا تلى عليهم

آياتنا بينات) واضحات أم بينات (قال الذين كفروا الحق) أى لا يحل وفي شأنه وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضم موضع ضميرها تنصب صاعلى حقيقتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول ﴿ ٢٩٦ ﴾ موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا

عليهم يكسأل الكفر والضلال (لما جاءهم) أى فى أول ما جاءهم من خبر تدبر وتأمل (هذا سحر مبین) أى ظاهر كونه سحرا (أم يقولون افتراء) اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة الى حكاية ما هو أشنع منها وما فى أم من الهمزة للانكار التوبيخى المتضمن للتعجب أى بل يقولون افترى القرآن (قل ان افتريته) على الفرض (فلا تملكونلى من الله شيئا) اذ لا ريب فى أنه تعالى بما جأتى حينئذ بالغلبة كيف أجتزئ على أن افترى عليه تعالى كذبا فأعرض نفسى للعناية التى لا مناص عنها (هو أعلم بتفيضور فيه) أى تدفعون فيه من القدر فى وحى الله والصدق فى آياته وتسميته سحرا تارة وفريفة أخرى (كفى به شهيدا بينى وبينكم) حيث يشهد بالصدق والبلاغ عليكم بالكذب والجود وهو وعيد بجزاء افاضتهم

فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم لما يخطب به وههنا قول آخر فى تفسير قوله تعالى أو أنارة من علم وهو ما روى عن ابن عباس أنه قال أو أنارة من علم هو علم الخط الذى يخط فى الرمل والعرب كانوا يخطونه وهو علم مشهور ومن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كان نبى من الانبياء يخط فى وافى خطه خطه علمه وعلى هذا الوجه فعنى الآية اتونى بعلم من قبل هذا الخط الذى تخطونه فى الرمل يدل على صحة مذهبكم فى عبادة الاصنام من صح تفسير الآية بهذا الوجه كان ذلك من باب النهكم بهم وبأقوالهم ودلائلهم والله تعالى أعلم ﴿ قوله تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وإذا تلى عليهم آياتنا بينات قل الذين كفروا الحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراء قل ان افتريته فلا تملكونلى من الله شيئا هو أعلم بتفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم) اعلم أنه تعالى بين فيما سبق أن القول بعبادة الاصنام قول باطل من حيث انها لا قدرة لها البتة على الخلق والفعل والايحاء والاعداد والنفع والضرر فاردفه بدليل آخر يدل على بطلان ذلك المذهب وهى أنها اجادات فلا تسمع دعاء الداعين ولا تعلم حاجات المحتاجين وبالجملة فالدليل الاول كان اشارة الى نفي العلم من كل الوجوه واذا اتقى العلم والقدرة من كل الوجوه لم يبق عبادة معلومة ببدئية العقل فتنبه ومن أضل ممن يدعو من دون الله استفهام على سبيل الانكار المبين انه لا امرأ أبعد عن الحق وأقرب الى الجهل ممن يدعو من دون الله الاصنام فتخذه الهة ويعبدها وهى اذا دعيت لا تسمع ولا تصح منها الاجابة لافى الحال ولا بعد ذلك ليوم ال يوم القيامة وانما جعل ذلك غاية لان يوم القيامة قد قيل انه تعالى يجزيها وتفع بينها وبين من يعبدها مخاطبة فلذلك جعله تعالى حدا واذا قامت القيامة وحشر الناس فهذه الاصنام تعادى هؤلاء العابدين واخضعوا فيه فلا يذكرون على انه تعالى يجزى هذه الاصنام يوم القيامة وهى تظهر عداوة هؤلاء العابدين وتبترأ منهم وقال بعضهم بل المراد عبدة الملائكة وعيسى قالهم فى يوم القيامة يظهر من عداوة هؤلاء العابدين فان قيل ما المراد بقوله تعالى وهم عن دعائهم غافلون وكيف يعقل وصف الاصنام وهى اجادات بالغلة وأيضا كيف جاز وصف الاصنام بما لا يليق الا بالاعلاء وهى الهة من وقوله هم غافلون قلنا انهم لما عبدوها ونزلوها منزلة من يضرو وينفع صحر أرى بقاؤها انها بمنزلة الغافل الذى لا يسمع ولا يجيب وهذا هو الجواب أيضا عن قوله ار غفلة من وافظة هم كيف يليق بها وأيضا يجوز أن يريد بكل معبود من دون الله من الملائكة وعيسى وعزير والاصنام الا انه غلب غير الاوثان على الاوثان واعلم انه تعالى لما تكلم فى تقرير التوحيد وفى الاضداد والانداد تكلم فى النبوة وبين أن محمد صلى الله

وقوله تعالى (وهو الغفور الرحيم) وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن واشتعار بحلم الله تعالى ﴿ عليه ﴾ عنهم مع عظم جرائمهم

(فلما كنت بدعاً من الرسل) البدع بمعنى القديم كالحل بمعنى الخليل وهو المأمول له وقري بفتح الدال على أنه ضفة كقيم وزيم أوجع مقدر عضاف أي ذابح وقد جوز ذلك في القراءة الأولى أيضاً على أنه مصدر كانوا يفترون عليه الصلاة والسلام آيات عجيبة منسأة له ٤٩٧ عن الغيبات عند أومكاره فأمر عليه السلام بأن

يقول لهم ما كنت بدعاً من

الرسول قادر على ما لم
يقدروا عليه حتى أتيتكم
بكل ما تقرحونه وأخبركم
بكل ما نسألون عنه من
الغيبات فإن من قبلي من
الرسول عليهم الصلاة
والسلام ما كانوا يأتون

الأنبياء أنهم الله تعالى
من الآيات ولا يخبرونهم
الأنبياء أوحى إليهم
(وما أدري ما يفعل بي
ولا بكم) أي أي شيء
يصيبنا فيما يستقبل من
الزمان من أفعاله تعالى

وماذا يقدر لنا من قضائه
وعن الحسن رضي الله
عنه ما أدري ما يصير
إنه أمرى وأمركم في
الدنيا وعن ابن عباس

رضي الله عنه ما يفعل بي
ولا بكم في الآخرة
وقال هي منسوخة
بقوله تعالى لبغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك

وما تأخر وقيل يجوز أن
يكون المنفي هي الدراية
المفصلة والظاهر الأوفق
لما ذكر من سبب الغزل
أن ما عبارة عما ليس

علمه من وظائف
النسوة من الحوادث
والواقعات ٦٣

عليه وسلم كما عرض عليهم نوعاً من أنواع المعجزات زعموا أنه سحر فقال وإذا تنلى
عليهم الآيات البينة وعرضت عليهم المعجزات الماهرة سهوها بالسحر ولما بين أنهم يسمون
المعجزة بالسحر بين أنهم متى سمعوا القرآن قالوا إن محمداً افتراه واختلقه من عند نفسه
ومعنى الهمة في أم اللانكار والتعجب كأنه قيل دع هذا واجمع القول المنكر العجيب ثم
أنه تعالى بين بطلان شبهتهم فقال إن افتروا به على سبيل القرص فإن الله تعالى يعاجلني
بعقوبة بطلان ذلك إذ افتراء وأنتم لا تقدرُونَ على دفعه عن معاجلتي بالعقوبة فكيف
أقدم على هذه الفرية وأعرض نفسي لعنابه يقال فلان لا يملك نفسه إذا غضب ولا يملك
عنايته إذا صمم ومثله فن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله
فتنت فلن يملك له من الله شيئاً ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يملك لكم من الله شيئاً ثم قال
تعالى هو أعلم بما تفيضون فيد أي تدفعون فيه من القدح في وحي الله تعالى والطمع في
آياته وتسميته سحر اتارة وفرية أخرى كفي به شهيداً يدين ويدينكم بشيئى بالصدق
ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيدهم على أقامتهم في
الطمع والشتيم ثم قال وهو القدر الزحيم من رجم عن الكفرة تاب واستعان بحكم الله
عليهم مع عقوبته ما ارتكبه من قوله تعالى (فلما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي
ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين قل أأتيتكم إن كان من عند الله وكفرتم
به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن به أو كذبتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين
وقل الذين كفروا يدين الله ما تنزلون خيراً مما يسنئون إليه وإمام يهدوا به فسيقولون هذا
أذاك قديم من قبله كتاب موسى إماماً ورحمة هذا كتاب مصدق لسانا غريباً لينذر الذين
ظلموا وبشروا للمحسنين) علم أنه تعالى لما حكى عنهم أنهم طعنوا في كون القرآن معجزة
بأن قالوا إنه يختلف من عند نفسه ثم نسب إلى أنه كلام الله على سبيل القرية حكى عنهم نوعاً
آخر من الشبهات وهو أنهم كانوا يفترون منه معجزات عجيبة فاهرة وبطالونه بأن
يخبرهم عن الغيبات فأجاب الله تعالى عنه بأن قل ما كنت بدعاً من الرسل والبدع
والبدع من كل شيء المبدأ والبدعة ما اخترع ما لم يكن موجوداً قبله بحكم السنة وفيه
وجوه (الأول) ما كنت بدعاً من الرسل أي ما كنت أولهم فلا ينبغي أن تشكروا أخباري
بأنى رسول الله إليكم ولا تذكروا دعائى لكم إلى التوحيد ونهى عن عبادة الأصنام فإن كل
الرسول إنما يمشوا بهذا الطريق (الوجه الثاني) أنهم طلبوا منه معجزات عظيمة وأخباراً
عن الغيبات فقال قل ما كنت بدعاً من الرسل والمعنى أن الاتيان بهذه المعجزات القاهرة
والأخبار عن هذه الغيوب ليس في وسع البشر وإنما من جنس الرسل واحد منهم لم يقدر
على ما تريدونه فكيف أقدر عليه (الوجه الثالث) أنهم كانوا يسيبونه بأكل الطعام
ويشرب في الأسواق وبأنه فقير وبأن أنبأه فقراء فقال قل ما كنت بدعاً من الرسل وكلامهم

والواقعات ٦٣

الحكي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له عليه السلام وقد خسرنا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أترك بمكة أم أمرو بالخروج الى أرض ذات نخيل وشجر قد رقت لي ورأيتهما يعني في منامه وجوز أن تكون ماموصولة والاستههامية هو ٤٩٨ ف أقضى لحق مقام التبرؤ عن الدابة وتكرير

كانوا على هذه العصة وبهذه المثابة فهذه الاشياء لا تنفدح في نبوتى كما لا تنفدح في نبوتهم ثم قال وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في تفسير الآية وجهان (أحدهما) ان يحمل ذلك على أحوال الدنيا (والثاني) ان يحمل على أحوال الآخرة (أما الاول) ففيه وجوه (الاول) لا أدري ما يصير اليه أمرى وأمركم من الغالب منا والمغلوب (والثاني) قال ابن عباس في رواية الكلبي لما اشتد البلاء باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة رأى في المنام أنه يهاجر الى أرض ذات نخيل وشجر وما فقصة ما علم أصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا أن ذلك فرج مما هم فيه من اذى المشركين ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون أن ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذي قلت ومتى نهاجر الى الأرض التي رأيتها في المنام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزله الله تعالى ما أدري ما يفعل بي ولا بكم وهو شئ رأته في المنام وأتانا أتبع الاما أو شاء الله الى (الثالث) قال الضحاك لا أدري ما تؤمرون به ولا أمربه في باب التكليف والشرائع والجهاد ولا في الابتلاء والامتحان وإنما أنذركم بما أعمى الله به من أحوال الآخرة في الثواب والعقاب (والرابع) المراد انه يقول لا أدري ما يفعل بي في الدنيا أم موت أم أقتل كما فعل الانبياء قبلى ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون اتمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم يفعل بكم ما فعل بسائر الامم أما الذين حياوا هذه الآية على أحوال الآخرة فروى عن ابن عباس انه قال لما نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنافقون واليهود وقالوا كيف نذبح نذبا لا يدري ما يفعل به وبنسأ أنزل الله تعالى انما نحن لك فحقا مينا يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك الى قوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما فبين تعالى ما يفعل به وعن اتبعه ونسخت هذه الآية وأرغم الله أنف المنافقين والمشركين وأكثر المحققين استبعدوا هذا القول واحتجوا عليه بوجوه (الاول) ان النبي صلى الله عليه وسلم لا بد وان يعلم من نفسه كونه نبيا ومتى علم كونه نبيا علم انه لا تصدر عنه الكبرياء انه مغفور له واذا كان كذلك امتنع كونه شاكا في انه هل هو مغفور له أم لا (الثاني) لا شك ان الانبياء أرفع حالا من الاولياء فلما قال في هذا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكيف يعقل أن يبقى الرسول الذي هو رئيس الاتقياء وقبوة الانبياء والاولياء شاكا في انه هل هو من المغفورين أو من المعذبين (الثالث) انه تعالى قال الله أعلم حيث يجعل رسالته والمراد منه كمال حاله ونهاية قربه من حضرة الله تعالى ومن هذا حاله كيف يليق به أن يبقى شاكا في انه من المعذبين أو من المغفورين فثبت أن هذا القول ضعيف (المسئلة الثانية) قال صاحب الكشاف قرئ ما يفعل بفتح الياء أى يفعل الله عز وجل فان قالوا ما يفعل مثبت وغير منفي وكان وجه الكلام أن يقال ما يفعل بي وبكم قلنا التقدير ما أدري ما يفعل بي وما أدري ما يفعل بكم ثم قال تعالى ان أتبع الاما يوحى الى يعني انى لا أقول قولاً ولا أعمل عملاً الا بما تضى الوحي واحتج نقاة القياس بهذه

لالتذكير التفي المسحوب اليه وتأكيده وقرئ ما يفعل على استناد الفعل الى ضميره تعالى (ان أتبع الاما يوحى الى) أى ما أقول الا بما يوحى الى على معنى قصر أفعاله عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي كما هو المتعارف الى الافهام وقدر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوحى على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عالم يوح اليه عليه السلام من الغيوب وقيل عن استعمال المسلمين أن يتخلصوا عن اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى (وما أنا الا نذير) أنذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى الى (مبين) بين الانذار بالمعجزات الباهرة (قل) أرايتم ان كان أى ما يوحى الى من القرآن (من عند الله) لا سحر ولا مفترى كما زعمون وقوله تعالى (وكفرتم به) حال باضمار قد من الضمير في الخبر وسطعت بين اجزاء الضمير الى التسجيل عليهم بالكفر أو عطف على كان عز الآية

الضمير في الخبر وسطعت بين اجزاء الضمير الى التسجيل عليهم بالكفر أو عطف على كان عز الآية كافي قوله تعالى قل أرايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على أن نطعمه في

ذلك الشرط المذكور في الوقوع عند من يعبد رجاى من سبيل الاعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرتم به
أمر تحقق عندهم أيضا وانما تردد هم في أن ذلك كفر بما عن الله تعالى أم لا وكذا الحال في قوله تعالى (وشهد شاهد
من بني إسرائيل) وما بعده من الفعلين (٤٩٩) فمن انكل أمورا رمتهم عندهم وانما تردد هم في أنها شهادة وإيمان

بما عن الله تعالى
واستكبار عند أولي المعنى
أخبروني أن كان ذلك في
الحقيقة من عند الله
وكفرتم به وشهد شاهد
عظيم الشأن من بني
إسرائيل الواقفين على
شؤون الله تعالى وأسرار
الوحي بما أوتوا من التوراة
(على مثله) أى مثل القرآن
من المعاني المنطوية في
التوراة المطابقة لما
في القرآن من التوحيد
والوعد والوعيد وغير
ذلك فانها عين ما فيه
في الحقيقة كما يعرب عنه
قوله تعالى وأنه أنزله
الاولين وقوله تعالى ان
هذا في الصحف الاول
والثانية باعتبار أدبيتهما
بعبارات أخر أو على
مثل ما ذكر من كونه من
عند الله تعالى والثانية
لما ذكر وقيل المثل صلة
والفاء في قوله تعالى
(فآمن) للدلالة على أنه
سارع الى الإيمان بالقرآن
لما علم أنه من جنس الوحي
الناطق بالحق وهو عبد الله
بن سلام لما سمع بمقدم
رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة أتاه فخطب الى

الآية فقالوا النبي صلى الله عليه وسلم ما قل قولوا على عملا الا بالنص الذي أوجاه الله
اليه فوجب أن يكون جانا كذلك (بيان الاول) قوله تعالى أن أتبع الامايوسى الى
(بيان الثاني) قوله تعالى وأتبعوه وقوله تعالى فليحذر الذين يخافون عن أمره ثم قال تعالى
وما أنا الانذير مبين كانوا يطالبونه بالاعجاز العجيبة وبالاخبار عن الغيوب فقال قل
وما أنا الانذير مبين واقتدر على تلك الاعمال الخارجة عن قدرة البشر والعالم بتلك
الغيوب ليس الا الله سبحانه * ثم قل تعالى (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به
وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين)
وفيها مسائل (المسئلة الاولى) الشرط محذوف والتقدير ان يقال ان كان
هذا الكتاب من عند الله ثم كفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على صحته ثم استكبرتم
لكتمتم من الحاسرين ثم حذف هذا الجواب وتطيره قولك ان أحسنت اليك وأسات
الى وأقبلت عليك وأعرضت عنى فقد طنتي فكذا هيمة التقدير أخبروني ان ثبت ان
القرآن من عند الله بسبب عجز الخلق عن معارضته ثم كفرتم به وحصل أيضا شهادة اعلم
بني اسرائيل بكونه معجزا من عند الله فلو استكبرتم وكفرتم انتم أضل الناس
وأظلمهم واعلم ان جواب الشرط قد حذف في بعض الآيات وقد يدكر اما الحذف فكما
في هذه الآية وكما في قوله تعالى واوأن قرآننا سرت به الجبال أوقطعت به الارض أو كظم به
الموتى وأما المذكور فكما في قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل
وقوله قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله
يأتيكم بضياء (المسئلة الثانية) اختلفوا في المراد بقوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل
على قولين (الاول) وهو الذي قال به الاكثرون أن هذا الشاهد عبد الله بن سلام روى
صاحب الكشاف انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم أنه
ليس بوجه كذاب وتأمله وتحقق انه هو النبي صلى الله عليه وسلم المنتظر فقال له انى
سألتك عن ثلاث ما يعلمن الا نبى ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة
والولد يترزع الى أبيه أو الى أمه فقال صلى الله عليه وسلم اما أول اشراط الساعة فأن
تخسرهم من المشرق الى المغرب واما أول طعام يأكله أهل الجنة فزينة كبد الحوت وأما
الولد فأن سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعه ثم قال أشهد انك رسول الله
حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بيت وان علموا انى قبل ان نسألهم عنى بهنوتى
عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أى رجل عبد الله فيكم فقالوا
خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا فقال أرأيتم ان أسلم عبد الله
فقالوا أعاد الله من ذلك فخرج عليهم عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا
رسول الله فقالوا شربنا وابن شربنا واتقوه فقال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله فبين
سعد بن أبي وقاص رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد من بني على الارض

وجهه الكريم فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فحقق انه النبي المنتظر فقال له انى سألتك عن ثلاث ما يعلمن الا نبى
ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة والولد يترزع الى أبيه

أوالى أمة يقال عليه الصلاة والسلام أما أول اشراط الساعة فثلاث نحشرهم من المشرق إلى المغرب وأما أول طعن أهل الجنة فثلاثة كبدها حوت وأما الولد فان سبق ماء الرجل نزعته وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت فان علموا باسلامي ٥٠٠ يوم قبل أن تسألهم حتى يهتوني عندك فيجاءت اليهود فقال لهم النبي

عليه الصلاة والسلام
أي رجل عبد الله فيكم
فقالوا خيرنا وابن خيرنا
وسيدنا وابن سيدنا فآذنا
وابن آذنا قل أرايتم ان
أسلم عبد الله فآوا أعاده
الله من ذلك فخرج إليهم
عبد الله فقال أشهد
أن لا اله الا الله وأشهد
أن محمدا رسول الله
فقالوا شرتا وابن شرتا
وانت عصوه قال هذا
ما كنت أخاف يا رسول الله
وأحذر قال سعد بن أبي
وقاص رضي الله عنه
ما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يقول لاحد يمشى على
الارض انه من أهل
الجنة الا عبد الله بن سلام
وفيه نزل وشهد شاهد
الآية وقيل الشاهد
موسى عليه السلام
وشهادته بما في التوراة
من بعثة النبي عليهما
الصلاة والسلام وبه
قال الشعبي وقال مسروق
والله ما نزلت في عبد الله
بن سلام فان أي حم نزلت
بمكة وانما أسلم عبد الله
بالمدينة وأجاب الكلبي

انه من أهل الجنة الا عبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله
واعلم أن الشعبي ومسروقاً وجعلاً آخرين أنكروا أن يكون الشاهد المذكور في هذه
الآية هو عبد الله بن سلام قالوا لان اسلامه كان بالمدينة قبل وفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعامين وهذه السورة مكية فكيف يمكن حل هذه الآية المكية على واقعة
حدثت في آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأجاب الكلبي بأن السورة
مكية الا هذه الآية فانها مدنية وكانت الآية تنزل فيؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأن يضعها في سورة كذا فهذه الآية نزلت بالمدينة وان الله تعالى أمر رسوله صلى الله
عليه وسلم بأن يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين واقابل أن يقول ان
الحديث الذي رويتم عن عبد الله بن سلام مشكل وذلك لان ظاهر الحديث يوهم انه
لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن انسان اثنائه وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم
بتلك الجوابات آمن عبد الله بن سلام لاجل أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الجوابات
وهذا بعيد جدا الوجهين (الاول) ان الاخبار عن أول اشراط الساعة وعن أول طعنهم
بأكله أهل الجنة اخبار عن وقوع شيء من الممكنات وما هذا سبيله فانه لا يعرف كون ذلك
الخبر صدقا الا اذا عرف أول كور الخبر صا وقابلوا ناعرفنا صدق الخبر يكون ذلك الخبر
صدقا لزم الدور وانه محال (الثاني) اننا علم بالضرورة ان الجوابات المذكورة عن هذه
المسائل لا يبلغ العلم بها الى حد الاعجاز البتة بل نقول الجوابات القاهرة عن المسائل
الصعبة لما لم تبلغ الى حد الاعجاز فامثال هذه الجوابات عن هذه السؤالات كيف يمكن
أن يقال انها بلغت الى حد الاعجاز (والجواب) يحتمل انه جاء في بعض كتب الانبياء
المتقدمين أن رسول آخر الزمان يسأل عن هذه المسائل وهو يجيب عنها بهذه الجوابات
وكان عبد الله بن سلام عالما بهذا المعنى فلما سأل النبي صلى الله عليه وسلم وأجاب بتلك
الجوابات عرف بهذا الطريق كونه رسولا حقا من عند الله وعلى هذا الوجه فلا حاجة
بنائي أن نقول العلم بهذه الجوابات معجز والله أعلم (القول الثاني) في تفسير قوله تعالى
وشهد شاهد من بني اسرائيل انه ليس المراد منه شخصا معيناً بل المراد منه ان ذكر محمد
صلى الله عليه وسلم موجود في التوراة والبشارة بمقدمته حاصلة فيها فتقدير الكلام لو أن
رجلا منصفاً عارفاً بالتوراة أقر بذلك واعترف به ثم انه آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم
وأنكرتم أستم ظالمين لانفسكم ضالين عن الحق فهذا الكلام مقرر سواء كان المراد
بذلك الشاهد شخصا معيناً أو لم يكن كذلك لأن المقصود الاصل من هذا الكلام انه
ثبت بالمعجزات القاهرة ان هذا الكتاب من عند الله وثبت أن التوراة مشتملة على البشارة
بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم ومع هذين الأمرين كيف ياتي بالعقل انكار نبوته (المسئلة
الثالثة) قوله تعالى على مثله ذكروا فيه وجوهاً والا قرب ان نقول انه صلى الله عليه وسلم
قال لهم أرايتم ان كان هذا القرآن من عند الله كما أقول وشهد شاهد من بني اسرائيل

بأن الآية مدنية وان كانت السورة مكية (واستكبرتم) عطف على شهد شاهد وجواب الشرط ﴿على﴾
بمخزوف والمعنى أخير وني ان كان من

عند الله تعالى وشهد على ذلك أسلم بنى إسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الإيمان به بعد هذه المرتبة من أضل منكم بقرينة قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل من هو في شقاق بعيد وقوله تعالى (ان الله لا يهدي القوم الضالين) فان عدم الهداية مما يوجب عن الضلال قطعاً وبه يبينهم بالظلم للاشعار بعلة استكبرتم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم (٥٠١) (وقال الذين كفروا) كتابة

على مثل ما قلت فآمن واستكبرتم أستم كنتم ظالمين أنفسكم ثم قال تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) انه تهديد وهو قائم مقام الجواب المحذوف واستدرك قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونون مهتدين بل تكونون ضالين (المسئلة الثانية) قالت المعتزلة هذه الآية تدل على انه تعالى انما منعهم الهداية بناء على الفعل القبيح الذي صدر منهم أولافان قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين صريح في انه تعالى لا يهديهم لكونهم ظالمين أنفسهم فوجب ان يستندوا في جميع الآيات الواردة في المنع من الايمان والهداية أن يكون الحيل فيها كما هي هنا والله أعلم ثم قال تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذه شبهة أخرى للتأويل في تكاثر وجه محمد صلى الله عليه وسلم وفي سبب نزوله وجهه (الاول) ان هذا كلام كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا الغفراء والاراذل مثل عمار وصهيب وان مسعود ولو كان هذا الدين خيرا ما سبقونا اليه هو لا (الثاني) قيل لنا اسلمت بجهنمة ومزينة وأسلم وغفار قالت يتوغمرو غطفان وأسد واشجع لو كان هذا خيرا ما سبقنا اليه رطاه الهمم (الثالث) قيل ان أمة لعمر أسلمت وكان عمر يضربهم حتى يفترو ويقولوا لا انا فترت لذلك ضرر بافكان كفار فر يش يقولون لو كان ما يدعوه محمدا اليه حتما ما سبقنا اليه فلانة (الرابع) قيل كان اليهود يقولون هذا الكلام عند اسلام عبد الله بن سلام (المسئلة الثانية) الا لم في قوله تعالى للذين آمنوا ذكر فيه وجهين (الاول) أن يكون المعنى وقال الذين كفروا للذين آمنوا على وجه الخطاب كما تقول قال زيد لعمر ثم تترك الخطاب وتنتقل الى الغيبة كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجبرين بهم (الثاني) قال صاحب الكشاف للذين آمنوا لاجلهم يعني ان الكفار قالوا لاجل ايمان الذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وعندى فيه وجه ثالث وهو ان الكفار لما سمعوا ان جماعة آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا جماعة من المؤمنين الحاضرين وقالوا الهمم لو كان هذا الدين خيرا لما سبقنا اليه أولئك الغائبون الذين أسلموا واعلم انه تعالى لما حكى عنهم هذا الكلام أجاب عنه بقوله واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم والمعنى انهم لما لم يهتدوا على وجه كونه معجزا فلا بد من عامل في الظرف في قوله واذا لم يهتدوا به ومن متعلق بقوله فسيقولون وغير مستقيم أن يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالات المعنى والاستشغال فاوجه هذا الكلام وأجاب عنه بان العامل في المحذوف لسالة الكلام عايد واستدرك واذا لم يهتدوا به يظهر عندهم فسيقولون هذا افك قديم ثم قال تعالى ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة كتاب موسى ميتا ومن قبله نذير واقع خبر متصفا عليه وقوله اما ان نصب على الحال كنواك في انذار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى والتفسير وآتينا الذي قبله التوراة ومعنى اماما أي قدوة ورحمة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به

عند الله تعالى وشهد على ذلك أسلم بنى إسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الإيمان به بعد هذه المرتبة من أضل منكم بقرينة قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل من هو في شقاق بعيد وقوله تعالى (ان الله لا يهدي القوم الضالين) فان عدم الهداية مما يوجب عن الضلال قطعاً وبه يبينهم بالظلم للاشعار بعلة استكبرتم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم (٥٠١) (وقال الذين كفروا) كتابة على مثل ما قلت فآمن واستكبرتم أستم كنتم ظالمين أنفسكم ثم قال تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) انه تهديد وهو قائم مقام الجواب المحذوف واستدرك قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونون مهتدين بل تكونون ضالين (المسئلة الثانية) قالت المعتزلة هذه الآية تدل على انه تعالى انما منعهم الهداية بناء على الفعل القبيح الذي صدر منهم أولافان قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين صريح في انه تعالى لا يهديهم لكونهم ظالمين أنفسهم فوجب ان يستندوا في جميع الآيات الواردة في المنع من الايمان والهداية أن يكون الحيل فيها كما هي هنا والله أعلم ثم قال تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذه شبهة أخرى للتأويل في تكاثر وجه محمد صلى الله عليه وسلم وفي سبب نزوله وجهه (الاول) ان هذا كلام كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا الغفراء والاراذل مثل عمار وصهيب وان مسعود ولو كان هذا الدين خيرا ما سبقونا اليه هو لا (الثاني) قيل لنا اسلمت بجهنمة ومزينة وأسلم وغفار قالت يتوغمرو غطفان وأسد واشجع لو كان هذا خيرا ما سبقنا اليه رطاه الهمم (الثالث) قيل ان أمة لعمر أسلمت وكان عمر يضربهم حتى يفترو ويقولوا لا انا فترت لذلك ضرر بافكان كفار فر يش يقولون لو كان ما يدعوه محمدا اليه حتما ما سبقنا اليه فلانة (الرابع) قيل كان اليهود يقولون هذا الكلام عند اسلام عبد الله بن سلام (المسئلة الثانية) الا لم في قوله تعالى للذين آمنوا ذكر فيه وجهين (الاول) أن يكون المعنى وقال الذين كفروا للذين آمنوا على وجه الخطاب كما تقول قال زيد لعمر ثم تترك الخطاب وتنتقل الى الغيبة كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجبرين بهم (الثاني) قال صاحب الكشاف للذين آمنوا لاجلهم يعني ان الكفار قالوا لاجل ايمان الذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وعندى فيه وجه ثالث وهو ان الكفار لما سمعوا ان جماعة آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا جماعة من المؤمنين الحاضرين وقالوا الهمم لو كان هذا الدين خيرا لما سبقنا اليه أولئك الغائبون الذين أسلموا واعلم انه تعالى لما حكى عنهم هذا الكلام أجاب عنه بقوله واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم والمعنى انهم لما لم يهتدوا على وجه كونه معجزا فلا بد من عامل في الظرف في قوله واذا لم يهتدوا به ومن متعلق بقوله فسيقولون وغير مستقيم أن يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالات المعنى والاستشغال فاوجه هذا الكلام وأجاب عنه بان العامل في المحذوف لسالة الكلام عايد واستدرك واذا لم يهتدوا به يظهر عندهم فسيقولون هذا افك قديم ثم قال تعالى ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة كتاب موسى ميتا ومن قبله نذير واقع خبر متصفا عليه وقوله اما ان نصب على الحال كنواك في انذار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى والتفسير وآتينا الذي قبله التوراة ومعنى اماما أي قدوة ورحمة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به بن سلام وأصحابه وبأبائه أن السورة مكية ولا بد حينئذ من الاتجاه الى ادعاء أن الآية نزلت بالمدينة (واذا لم يهتدوا به) ظرف المحذوف يدل عليه ما قبله وبقرب عليه ما بعده أي واذا لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا (فسيقولون) غير مكلفين بنفي خبره (هذا افك قديم) كما قالوا أساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عندهم وليس يذلل (ومن قبله) أي من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى (كتاب

بن سلام وأصحابه وبأبائه أن السورة مكية ولا بد حينئذ من الاتجاه الى ادعاء أن الآية نزلت بالمدينة (واذا لم يهتدوا به) ظرف المحذوف يدل عليه ما قبله وبقرب عليه ما بعده أي واذا لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا (فسيقولون) غير مكلفين بنفي خبره (هذا افك قديم) كما قالوا أساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عندهم وليس يذلل (ومن قبله) أي من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى (كتاب

موسى) قيل والجنة حالية أو مستأنفة وأيا ما كان فهو لرد قولهم هذا ملك قديم وإبطاله قل كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيقته قطعا (اماما ورجحة) حالان من كتاب موسى أى اماما يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى بالامام ورجحة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بوجوب (وهذا) الذى يقولون في حقه ما يقولون (كتاب) عظيم الشأن (مصدق) أى الكتاب موسى الذى هو امام ورجحة أولميين يديه من جميع الكتب

الالهية وقد قرئ كذلك (لساناعربيا) حال من ضمير الكتاب في مصدق أو من نفسه لتخصسه بالصفة وعاملها معنى الإشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق أى يصدق ذاللسان عربى (لينذر الذين ظلموا) متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيد الأخير القراءة بناء الخطاب (وبشرى للمحسنين) في حيز النصب عطف على محل لينذر وقيل في محل الرفع على أنه خبر مبدا مضمرة أى وهو بشرى وقيل على أنه عطف على مصدق (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أى جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة في أمور الدين التى هى منتهى العمل وشم لدلاله على رتبة العمل وتوقف الاعتداد به

وعمل بما فيه ووجه تعلق هذا الكلام بما قبله ان تقوم طعنوا في صحة القرآن وقالوا لو كان حبرا ما سبقنا اليه هؤلاء الصمانيك وكأنه تعالى قال الذى يدل على صحة القرآن انكم لا تنازعون في ان الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام وجعل هذا الكتاب اماما يقتدى به ثم ان التوراة مستقلة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فاذا سألتم كون التوراة اماما يقتدى به فاقبلوا حكمه في كون محمد صلى الله عليه وسلم حقا من الله ثم قال تعالى وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا أى وهذا القرآن مصدق لكتاب موسى فى أن محمد رسول الله حق من عند الله وقوله تعالى لسانا عربيا نصب على الحال ثم قال لينذر الذين ظلموا قال ابن عباس مشركى مكة وفي قوله لينذر قراءتان التاء لكثرة ما ورد من هذا المعنى بالخطابة كقوله تعالى تنذر به وذكري للؤمنين والياء لتقدم ذكر الكتاب فاستند الانذار الى الكتاب كما استند الى الرسول وقوله تعالى الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب الى قوله لينذر بأسا شديدا من لدنه ثم قال تعالى وبشرى للمحسنين قال الزجاج الاجود أن يكون قوله وبشرى في موضع رفع والمعنى وهو بشرى للمحسنين قال ويجوز أن يكون في موضع نصب على معنى لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين وحاصل الكلام ان المقصود من انزال هذا الكتاب انذار المعرضين وبشارة المطيعين وقوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه احسانا حجة أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأبرأ عمن صالحا ترضا وأصلح لى فى ذرىتى انى تبت اليك وانى من المسلمين أولئك الذين يتحمل عنهم أحسن ما عملوا وفضلهم عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعدا مصدق الذى كانوا يوعدون) اعلم انه تعالى لما قرر دلائل التوحيد والتبوة وذكر شبهات المنكرين وأجاب عنها ذكر بعد ذلك طريقة المحققين والمحققين فقال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقد ذكرنا تفسير هذه الكلمة فى سورة المجدة والفرق بين الموضوعين ان فى سورة السجدة ذكر ان الملائكة ينزلون ويقولون ان لا تخافوا ولا تحزنوا وههنا رفع الواسطة من البين وذكر انه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاذا جمعنا بين الآيتين حصل من مجموعهما ان الملائكة يبلغون اليهم هذه البشارة وان الحق سبحانه يسمعهم هذه البشارة أيضا من غير واسطة واعلم ان هذه الآيات دالة على أن من آمن بالله وعمل صالحا فأنهم بعد الحشر لا ينالهم خوف ولا حزن ولهذا قال أهل التحقيق انهم يوم انقياد آمنون من الأهوال وقال بعضهم خوف العقاب زائل عنهم اما خوف الجلال والهيبة فلا يزول البتة عن العبد ألا ترى ان الملائكة مع علو درجاتهم وكال عصمتهم لا يزول الخوف عنهم فقال تعالى يخافون ربهم من فوقهم وهذه المسئلة سبقت بالاستقصاء

على التوحيد (فلا خوف عليهم) من الخوف مكره (ولا هم يحزنون) من فوات محبوب وإفاء في تضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام فنى الحزن لا بيان فنى دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقدمر بيانه مرارا (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين (أصحاب الجنة خالدين فيها) حال من المستكن فى أصحاب وقوله تعالى (جزاء) منصوب اما بعامل

يعتد أي يحزنون جزاء أو بمعنى ما نعلم فإن قوله تعالى أو تلك أصحاب الجنة في معنى جازينهم (بما كانوا يعملون) من الحسنات العلمية والعملية (ووصيتنا الإنسان) بأن يحسن (بوالديه أحسانا) وقرئ حسنا أي بأن يفعل بهما حسنا أي فعلا ذا حسن أو كأنه في ذاته نفس الحسن فحط حسنه وقرئ بضم السين أيضا وفتح هاء أي بأن يفعل بهما فعلا حسنا أو وصيتنا أيضا ﴿٥٠٣﴾ حسنا (حمله أمه كرها ووضعته كرها) أي ذات كره أو حلا ذاك كره وهو المشقة

وقرئ بالقبح وهو الغان
كافقر والفقر وقيل
المضموم اسم والمفتوح
صدر (وحله وفصله)
أي مدة حله وفصله
وهو القطام وقرئ
وفصله والفصل
والفصال كالقطم
والقطام بناء ومعنى
والمراد به الرضاع
التمام المنتهي به كما أراد
بالامد المدة من قال
كل حي مستكمل مدة

العمر * ومود إذا انتهى
أمدته (ثلاثون شهرا)
بمضى عليها بمائة
المشاق ومقاساة
الشدائد لاجله وهذا
دليل على أن أقل مدة
الحمل ستة أشهر لما أنه
إذا حط عنه للفصال
حولان نقوله تعالى
حولين كاملين لمن أراد
أن يتم الرضاعة يبقى
للحمل ذلك قيل ولعل
تعيين أقل مدة الحمل
وأكثر مدة الرضاع
لأنضبا طهما وتحقق
ارتباط السبب والرضاع

في آيات كثيرة منها قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر ثم قال تعالى أو تلك أصحاب الجنة خالدون فيها جزاء بما كانوا يعملون قالت المعتزلة هذه الآية تدل على مسائل (أولها) قوله تعالى أو تلك أصحاب الجنة وهذا يدل على أن أصحاب الجنة ليسوا إلا الذين قانوا ربنا الله ثم استقاموا وهذا يدل على أن صاحب الكبيرة قبل التوبة لا يدخل الجنة (وثانيها) قوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون وهذا يدل على فساد قول من يقول أن أبواب فضل لأجزاء (وثالثها) أن قوله تعالى بما كانوا يعملون يدل على إثبات العمل للعبد (ورابعها) أن هذا يدل على أنه يجوز أن يحصل الأثر في حال الموت أو أي أن كان موجودا قبل ذلك بدليل أن العمل المتقدم أوجب الأبواب الأخر (وخامسها) كون العبد مستحقا على الله تعالى وأعظم أنواع هذا النوع الاحسان إلى الوالدين لاجرم ما رده بهما المعنى فقال تعالى ووصيتنا الإنسان بوالديه حسنا وقد تقدم الكلام في نظير هذه الآية في سورة العنكبوت في سورة لقمان وفيه مسائل (المسألة الأولى) قرأ عاصم وحركة والكسائي بوالديه أحسانا والباقون حسنا وأعلم أن الاحسان خلاف الاساءة والحسن خلاف القبح فنقرأ أحسانا فتحته قوله تعالى في سورة بني إسرائيل وبوالدين أحسانا والمعنى أمرناه بأن يوصل إليهما أحسانا وحجة القراءة الثانية قوله تعالى في العنكبوت ووصيتنا الإنسان بوالديه حسنا ولم يخلفوا فيه والمراد أيضا أنا أمرناه بأن يوصل إليهما فعلا حسنا لأنه سمي ذلك الفعل الحسن بالحسن على سبيل المبالغة كما يقال هذا الرجل علم وكرم وانتص حسنا على ما صدر لأن معنى ووصيتنا الإنسان بوالديه أمرناه أن يحسن إليهما أحسانا ثم قال تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وفيه مسائل (المسألة الأولى) قرأ ابن عامر وعاصم وحركة والكسائي كرها بضم الكاف والباقون بفتحها قيل هما لغتان مثل الضعيف والضعف والفقر والفقر ومن غير المصادر الدف والدف والشهد والشهد قال الواحدى الكره مصدر من كرهت الشيء كرهه والكره الاسم كأنه الشيء المكروه قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم فهذا بالضم وقال ابن ثرثوا النساء كرها فهنا موضع الحال ولم يقرأ الثانية بغير القبح فما كان مصدرا أوفى موضع الحال فالقبح فيه أحسن وما كان اسما نحو ذهبت به على كرهه كان الضم فيه أحسن (المسألة الثانية) قال المفسرون حملته أمه على مشقة ووضعته في مشقة وليس يريد ابتداء الحمل فإن ذلك لا يكون مشقة قد قال تعالى فلما أنشأها حات جلاخه بغير ابتداء الحمل فإن ذلك لا يكون مشقة فالحمل نطفة وعلاقة ومضغة فإذا انقلبت فصيت ذلك كرها ووضعته كرها يريد شدوا الضيق (المسألة الثالثة) دلت الآية على أن حق الأم أعظم لأنه تعالى قال أولا ووصيتنا الإنسان بوالديه حسنا فقد كرها معا ثم خصي الأم بالذكر فقال حملته أمه كرها ووضعته كرها وذلك يدل على أن حقها أعظم وأن وصول المشاق إليها بسبب الولد أكثر والأخبار كثيرة مذكورة في هذا الباب ثم قال تعالى وحله وفصله ثلاثون شهرا

بهما (حتى إذا بلغ أشده) أي اكتمل واستحكم قوته وعقله (وبلغ أربعين سنة) قبل أن يموت حتى إذا استوى وبلغ أشده (قال رب أوزعني) أي اللهم وأسله أو أمني من أوزعته وألذ (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) أي نعمة الدين أو ماله أو غيرها (وإن عمل مسامحة لرضاه) الشكر للتعظيم والتكثير (وأصلح لي في ذريتي) أي واجعل الصلاح ساريا في ذريتي واستخاف فيهم كافي

قوله يخرج في فراغيها نضلي قال ابن عباس اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر رضي الله عنهم فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعاصم بن فهيرة وامر شيطان الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي ذريتي فاحابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ٥٠٤ أبو يده واولاده جميعا فأدرك ابوه أبو فحافة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي عليه الصلاة والسلام ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين (انني ثبت اليك) عما لا يرضاه أو عما يشغني من ذكرك (واني من المسلمين) الذين اخلصوا لك انفسهم (واذك) اشارة الى الانسان والجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه بما فيها من معنى البدل لا سيما بعلمه وتنبهه وعدم مزائه اي اوصفك المنعوتون بما ذكر من التعوت الجلية (الذين نتق) عنهم احسن ما عملوا من الطاعات فان المباح حسن ولا يشاب عليه (وتجاوز عن سيئاتهم) وقرئ القعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن على انه قائم مقام القاعل

وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذا من باب حذف المضاف وانقدر بربوة حمله ومساله ثلاثون شهرا والقسم بالقطام وهو فصله عن اللبن فان قبل المراءيان مدة الرضاعة لا انقطاع فكيف عبرت بالفصل فلما كان الرضاع يليه الفصل ولائحه لانه يذهي ويتم به سمي فصلا (المسئلة الثانية) دلت الآية على أن أقل مدة الجن ستة أشهر لانه لما كان مجموع مدة الحمل ورضاع ثلاثون شهرا قال والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين فإذا أسقطت حولين الكاملين وهي أربعة وعشرون شهرا من الثلاثين بقى أقل مدة الحمل ستة أشهر روى عن عمران امرأة رفعت اليد وكانت قد ولدت لستة أشهر فامر برجمها فقال علي لا رجم عليها او ذكر الطريق الذي ذكرناه وعن عثمان أنه هم بذلك فمرأ ابن عباس عليه ذلك واعلم ان اقل والتجربة يدلان ايضا على ان الامر كذلك قال أصحاب التجارب ان تكون الجن زمانا مقدرا فإذا تضاعف ذلك الزمان تحرك الجن فاذا انضاف الى ذلك المجموع مثله انفصل الجنين عن الام فلنقضى أنه يتم خنقه في ثلاثين يوما فإذا تضاعف ذلك الزمان حتى صار ستين تحرك الجن فاذا تضاعف الى هذا المجموع مثله وهو مائة وعشرون حتى صار المجموع مائة وثلاثين وهو ستة أشهر فحينئذ يفصل الجنين فلنقضى أنه يتم خنقه في خمسة وثلاثين يوما فبذلك في سبعين يوما فإذا انضاف اليه مثله وهو مائة وأربعون يوما صار المجموع اثنين وعشرة أيام وهو سبعة أشهر انفصل الولد فنقضى أنه يتم خنقه في أربعين يوما فيتحرك في ثمانين يوما فينزل عن عشرين مائتين وأربعين يوما وهو ثمانية أشهر ولنقضى أنه تمت الخلق في خمسة وأربعين يوما فيتحرك في تسعين يوما فينفضل عند مائتين وسبعين يوما وهو تسعة أشهر فلهذا هو ضبط الذي ذكر أصحاب التجارب قال جالينوس اني كنت شديد التفحص عن مفاد ازمة الحمل فرأيت امرأة ولدت في المائة والاربع والثمانين ليلة وزعم أبو علي بن سينا انه شاهد ذلك فقد صار أقل مدة الحمل بحسب نص القرآن وبحسب التجارب الطبية شيئا واحدا وهو ستة أشهر وأما اثر مدة الحمل فليس في القرآن ما يدل عليه قال أبو علي بن سينا في الفصل السادس من المقالة التاسعة من عنوان الشفاء بالغنى من حيث وثقت به كل ثقة ان امرأة وضعت بعد الرأيم من سني الحمل ولما قد نبت اسنانه وعاش وحكى عن ارسطاطاليس انه قال ازمة الولادة وحبل الحيوان مضبوطة سوى الانسار فربما وضعت الحبلي لسبعة أشهر وربما وضعت في الثامن وقيل يعيش المولود في الثامن الا في بلاد مينة مثل مصر والغالب هو الولادة بعد التاسع قال أهل التجارب والذي قلناه من انه اذا تضاعف زمان التكوين تحرك الجنين واذا انضم الى المجموع مثله انفصل الجنين انما قلناه بحسب التقریب لا بحسب التحديد فانه ربما زاد وانقص بحسب الايام لانهم يشتم على هذا الضبط برهان انه هو تقریب ذكره وبحسب التجربة والله أعلم ثم قالوا المدة

وكذا الجار والمجير (في صحاب الجنة) أي كائنين في عدادهم منتظرين في سلكهم (وعدا الصدق) - روى النبي ٥٠٥ مؤ كد لما أن قوله تعالى نتقبل ونجاوز وعدم من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز (الذي كانوا يوعدون) على ألسنة الرسل

التي فيها تم خلق الجنين تنقسم الى اقسام (فاولها) ان الرحم اذا استملت على المني ولم
تغذفه الى الخارج استدار المني على نفسه منحصر الى ذاته وصار كالكرة ولما كان من
شأن المني ان يفسده الحركان لاجرم يتخفى في هذا الوقت وبالحرى أن خلق المني من مادة
تجف بالحر اذا كان الغرض منه تكون الحيوان واستخصاف اجزائه و يصير المني زبدا
في اليوم السادس (وثانيها) ظهور النقط الثلاثة الدموي في فيه (احداها) في الوسط وهو
الموضع الذي اذات خلقته كان قلبا (والثاني) فوق وهو الدماغ (والثالث) على
اليمين وهو الكبد ثم ان تلك النقط تنباعدو يظهر فيما بينها خيوط حرو ذلك يحصل بعد
ثلاثة ايام اخرى فيكون المجموع تسعة ايام (وثالثها) ان تغذ الدموي في الجميع فيصير
صلقة وذلك بعد ستة ايام اخرى حتى يصير المجموع خمسة عشر يوما (ورابعها) ان يصير
الحجوف تميزت الاعضاء الثلاثة وامست رطوبد الخناق وذلك انما يتم باثني عشر يوما
فيكون المجموع سبعة وعشرين يوما (وخامسها) ان يفصل الرأس على المشكين
والاطراف عن الضرع والبطن يبرز لحس في بعض ويتخفى في بعض وذلك يتم في تسعة
ايام اخرى فيكون المجموع ستة وثلاثين يوما (وسادسها) ان يتم اتصال هذه الاعضاء
بعضها عن بعض و يصير بحيث يظهر ذلك الحس ظهورا يينا وذلك يتم في اربعة ايام اخرى
فيكون المجموع اربعين يوما وقد يتأخر الى خمسة واربعين يوما قالوا لعل هو الثلاثون
فصارت هذه الجوارح الطيبة مطابقة لما ابرء اصداق المصدق في قوله صلى الله
عليه وسلم يجمع خلق احدكم ببطن اربعين يوما قال صاحب المجرب راء بعد
الاربعين اذا شق عنه السلالة ووضع في ماء بارد ظهر شي صغير متميز الاطراف
(المسئلة الثالثة) هذه الآية دللت على اقل مدة الحمل وعلى اكثر مدة الرضاع اما انها تدل
على اقل مدة الحمل فقد بيناه واما انها تدل على اكثر مدة الرضاع فلقوله تعالى والوالدان
يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يرضع الرضاعة والفقهاء ربطوا بهذين
الضابطتين احكاما كثيرة في الفقه وايضا فاذا ثبت ان اقل مدة الحمل هو الاشهر الستة
فبتقدير ان تاتي المرأة بالولد في هذه الاشهر يبقى جانبها مصونا على تامة الزنا والفاحشة
و بتقدير ان يكون اكثر مدة الرضاع ما ذكرناه فاذا حصن الرضاع بهذه المدة لا يترتب
عليها احكام الرضاع فتبقى المرأة مستورة عن الاجانب وعند هذا يظهر ان المقصود من
تقدير اقل الحمل ستة اشهر وتقدير اكثر الرضاع حولين كاملين السعي في دفع المضار
والفواحش وانواع التهمة عن المرأة فسيحان من له تحت كل كلمة من هذا الكتاب
الكريم اسرار عجيبة ونفائس لطيفة تخرج العقول عن الاحاطة بكما لها وروى الواحدى
في البسيط عن عكرمة انه قال اذا حلت تسعة اشهر ارضعته احدى وعشرين شهرا واذا
حلت ستة اشهر ارضعته اربعة وعشرين شهرا والصحيح ما قدمناه ثم قال تعالى حتى اذا
بلغ أشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التي انعمت على وعلى

(والذى قال لوالديه)
عند دعوتهم الى الايمان
(أف لكم) هو صوت
يصدر عن المرء عند
تضجره واللام ابيان
الموافق له كافي هيت لك
وقرى أف بالفتح والكسر
بغير تنوين وبالمركات
الثلاث مع التنوين
والمرصول عبارة عن
الجنس المتماثل ذات
انقول ولذلك اخبر
بالمجموع كما سبق قال
في الكافر المفسر
وانديه المكذب بالبحث
وعن

والدى وفيه مسائل (المسألة الأولى) اختلف المفسرون في تفسير الاشع قال ابن عباس في رواية عطاه يريد ثمانى عشرة سنة والاكثر من المفسرين على انه ثلاثة وثلاثون سنة واحتج الفراء عليه بأن قال ان الاربعين أقرب في المنطق الى ثلاث وثلاثين منها الى ثمانية عشر ألا ترى انك تقول أخذت عامة المال أو كله فيكون أحسن من قولك أخذت أقل المال أو كله ومثله قوله تعالى ار ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثبتي الليل ونصفه وثلاثة في بعض هذه الأقسام قريب من بعض بكذا هيبة وقال الزجاج الأولى حمله على ثلاث وثلاثين سنة لان هذا الوقت الذى يكمل فيه بدن الانسان وأقول تحق في الكلام في هذا الباب أن يقال ار مراتب سن الحيوان ثلاثة وذلك لان بدن الحيوان لا يتكون الا برطوبة غريزية وحارة غريزية ولا شك ان الرطوبة الغريزية غالبة في أول العمر وناقصة في آخر العمر والاتصال من زيادة الى نقصان لا يعقل حصوله الا اذا حصل الاستواء في وسط مائتين المدين فثبت اربعة العشر منقسمة الى ثلاثة أقسام (أولها) ان تكون الرطوبة الغريزية زائدة على الحرارة الغريزية وحينئذ تكون الاعضاء قابلة للتعدد في ذواتها والزيادة بحسب الطول والعرض والعمق وهذا هو سن النشو والنماء (والمرتبة الثانية) وهي المرتبة المتوسطة أن تكون الرطوبة الغريزية يوافية بحفظ الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو سن الشباب (والمرتبة الثالثة) وهي المرتبة الاخيرة أن تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفاء بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا التقصان على قسمين (فالاول) هو التقصان الخفي وهو سن الكهولة (والثاني) هو التقصان الظاهر وهو سن الشيخوخة فهذا ضبط معلوم ثم ههنا مقدمة أخرى وهي ان دور القمر انما يكمل في مدة ثمانية وعشرين يوما وشيئا فاذا قسمنا هذه المدة بأربعة أقسام كان كل قسم منها سبعة فلهذا السبب قدروا الشهر بالاسبوع الأربعة ولم هذه الاسبوع تأثيرات عظيمة في اختلاف أحوال هذا العالم اذا عرفت هذا فنقول ان المحققين من أصحاب التجارب قسموا مدة سن النماء والنشو الى أربعة أسابيع وبحصل اللآدمى بحسب انتهاء كل سابع من هذه السوابيع الأربعة نوع من التغير يؤدي الى كماله اما عند تمام السابوع الاول من العمر فتصلب أعضاؤه ببعض الصلابة وتقوى أفعاله أيضا بعض القوة وتبدل امنائه الضعيفة الواهية باسنان قوية وتكون قوة الشهوة في هذا السابوع أقوى في الهضم مما كان قبل ذلك واما في نهاية السابوع الثاني فتقوى الحرارة وتقل الرطوبات وتتسع المجارى وتقوى قوة الهضم وتقوى الاعضاء وتصلب قوة وصلابة كافية ويتولد فيه مادة الزرع وعند هذا يحكم الشرع عليه بالبلوغ على قول الشافعي رضى الله عنه وهذا هو الحق الذى لا يحيد عنه لان هذا الوقت لما قويت الحرارة الغريزية قلت الرطوبات واعتدل الدماغ فتكامل القوى النفسانية التى هي الفكر والذكر فلا جرم يحكم عليه بكمال العقل فلا جرم حكمت

قتادة هو تمتع عب سوا
عاق والدية فاجر له به
وماروى من أنها نزلت
في عهد الرحمن بن أبي
يكر رضى الله عنهما قبل
اسلامه برده ماسيا نى
من هواله تعالى اولئك
الذين حق عليهم القول
الآية فانه كان من
أفاضل المسلمين
وسرواتهم وقد كذبت
الصديقة رضى الله
عنهما من قال ذلك
(أتعد اننى أن أخرج)
أبعث من القبر بعد الموت
وقرى أخرج من الخروج
(وقد خلت القرون من
قبلى) ولم يبعث

الشرعية بالبلوغ وتوجه التكليف الشرعية فأحسن قول من ضبط البلوغ الشرعي
بخمسة عشرة سنة واعلم انه يتفرع على حصول هذه الحالة أحوال في ظاهر البدن
(أحدها) انقراق طرف الارنية لان الرطوبة الغريزية التي هناك تنقص فيظهر
الانقراق (وثانيها) تنوء الخجيرة وظل الصوت لان الحرارة التي تنهض في ذلك الوقت
توسع الخجيرة فتنتو ويقلظ الصوت (وثالثها) تغير ريح الابط وهي الفضلة العفينة التي
يدفعها القلب الى ذلك الموضع وذلك لان القلب لما قويت حرارته لاجرم قويت على
انضاج المادة ودفعها الى اللحم الغددي الرخو الذي في الابط (ورابعها) نبات الشعر
وحصول الاحتلام وكل ذلك لان الحرارة قويت فقدرت على توليد الابخرة المولدة للشعر
وعلى توليد مادة الزرع وفي هذا الوقت تتحرك الشهوة في الصبايا وينهض ثديين وينزل
حيضهن وكل ذلك بسبب ان الحرارة الغريزية التي فيهن قويت في آخر هذا السابوع وأما
في السابوع الثالث فيدخل في حد الكمار وينت الذكر اللينة ويزداد حسنه وكما له وأما في
السابوع الرابع فلا تزال هذه الاحوال فيه متكاملة متزايدة وعند انتهاء السابوع الرابع
نهاية أن لا يظهر الازداد امامه من الشباب وهي مدة الوقوف فسابوع واحد
فيكون المجموع خمسة وثلاثين سنة لما كانت هذه المدة بما قد تزداد وأما قد تنقص بحسب
الامرجة جعل الغاية فيه مدة أربعين سنة هذا هو السن الذي يحصل فيه الكمال
اللائق بالانسان سرعا بطا مان في هذا السن اسكن أفعال القوى الطبيعية بعض
السكون وتنمى له أفعال اقوة الحيوانية فاعلم تبدي أفعال اقوة النفسانية بالقوة
والكمال واذا عرفت هذه المدة طهرت ان يذبح للانسان وقت الاشدهشي وبلوغه
الى الاربعين شي آخر فان وغدا الى وقت الاشده عباره عن الوصول الى آخر سن النشو
والنماء وأن وفيه الى الأربعين عباره عن الوصول الى آخر مدة الشباب ومن ذلك الوقت
تأخذ القوى الطبيعية والحوائية في الانحلال وتأخذ القوة العقلية والنطقية
في الانقراض وهذا ما يدل على ان النفس غير البدن فان البدن عند الاربعين يأخذ
في الانقراض والنفس من وقت الاربعين تأخذ في الاستكمال ولو كانت النفس عين البدن
لحصل للشي الواحد في الوقت الواحد الكمال وانقضاء ذلك محال وهذا الكلام
انه ذكرناه ولخصناه مذكور في صريح لفظ القرآن لا نأينا ان عند الاربعين تنتهي
الكاملات الحاصلة بسبب القوى الطبيعية والحيوانية وأما الكمالات الحاصلة بحسب
القوى النطقية والعقلية فانها تبدي بالاستكمال والدليل عليه قوله تعالى حتى اذا بلغ
أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي
فهذا يدل على ان توجه الانسان الى عالم العبودية والاشتغال بطاعة الله انما يحصل من
هذا الوقت وهذا صريح بان القوة النفسانية العقلية النطقية انما تبدي بالاستكمال
من هذا الوقت فسيحان من أودع في هذا الكتاب الكريم هذه الاسرار الشريفة

منهم أحد (وهما
يستغنيان الله) يسألانه
أن يغنيه ويوفقه
للإيمان (ويلاك) أي
قائلين له ويلاك وهو في
الاصل دعاء عليه
بالشور أي يديه الخ
والتحريض على الإيمان
لاحقيقة الهلاك آمن
ان وعد الله حق أي
البعث أمه فاه البه على
تحقيق الحق وتبليها
على خطئه في اسناد
او عدله ما ودرى
أن وعد الله أي أن بان
وعد الله حق (فيقول)
مكسبا لهما

المقدسة قال المفسرون لم يمت نبي قط الا بعد أربعين سنة وأقول هذا مشكل بعيسى عليه السلام فان الله جعله نبيا من أول عمره الا انه يجب أن يقال الاغلب أنه ما جاءه الوحي الا بعد الأربعين وهكذا كان الأمر في حق رسولنا صلى الله عليه وسلم ويروى أن عمر بن عبد العزيز لما بلغ أربعين سنة كان يقول اللهم أوزعني أن أشكر نعمتك إلى تمام الدعاة وروى أنه جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يوشم الحافظان أن أرفقا بعبدى من حادثة سنة حتى إذا بلغ الأربعين قبل أحفظا وحققا فكان راوى هذا الحديث إذا ذكر هذا الحديث بكى حتى تبطل عينه رواه القاضي في التفسير (المسئلة الثانية) اعلم أن قوله تعالى حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة يدل على أن الإنسان كالاحتياج إلى مراعاة الوالدین له إلى قريب من هذه المدة وذلك لأن العقل كان ناقصا فلا بد من رعاية الأبوين على رعاية المصالح ودفع الآفات وفي تنبيهه على أن نعم الله عليه وعلى الوالدین بعده دخوله في الوجود ثم إلى هذه المدة الطويلة فذلك يدل على أن نعم الوالدین كانا يخرج عن وسع الإنسان مكافأتهما لا باعاء وانذكر الجليل (المسئلة الثالثة) حكى الواحدى عن ابن عباس وقوم كثير من متأخري المفسرين ومقدمهم أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه قالوا والرب لعل الله تعالى قد عتق الجحش والفصان فهنا بمقدار يعلم أنه وديته من وفقره به عنه بسبب اختلاف الناس في هذه الاحوال فوجب أن يكون المنصور منه شخصا واحدا حتى يقال إن هذا التقدير اخبار عن حاله فيمكن أن يكون أبو بكر كان حمله وفصله من الفقر ثم قال تعالى في صفة ذلك الإنسان حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمك التي أنعمت على وعلى والدي ومعلوم أنه ليس كل إنسان يقول هذا القول فوجب أن يكون المراد من هذه الآية إنسانا معينا قال هذا القول وأما أبو بكر فقد قال هذا القول في قريب من هذا السن لأنه كان أقل سنا من النبي صلى الله عليه وسلم بستين وشي والنبي صلى الله عليه وسلم بعث عند الأربعين وكان أبو بكر قريبا من الأربعين وهو قد صدق النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به فثبت بما ذكرناه أن هذه الآيات صالحة لأن يكون المراد منها أبو بكر وإذا ثبت القول بهذه الصلاحية فنقول ندعى أنه هو المراد من هذه الآية ويدل عليه أنه تعالى قال في آخر هذه الآية أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا و نتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وهذا يدل على أن المراد من هذه الآية أفضل الخلق لأن الذي يتقبل الله عنه أحسن أعماله ويتجاوز عن كل سيئاته يجب أن يكون من أفضل الخلق وأكابرهم واجمعت الأمة على أن أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أبو بكر وأما علي ولا يجوز أن يكون المراد من هذه الآية علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأن هذه الآية إنما تليق بمن أتى بهذه الكلمة عند بلوغ الأشد وعند القرب من الأربعين وعلي بن أبي طالب ما كان كذلك لأنه إنما آمن في زمان الصبا أو عند القرب من

(ما هذا) الذي تسمونه
وعد الله (الأساطير
الاولين) أباطلهم التي
سطروها في الكتب
غير أن يكون لها
حقيقة (أو تلك)
اتقنلون هذه المات
اباطلة (الذين حتى
عليهم القول) وهو
قوله تعالى لا بليس
لاملان جهنم امك
ومن تبعك منهم
أجمعين كما ينبي عنه
قوله تعالى (في أم قد
خلت من قبلهم من
الجن والانس) وقدمي
تفصيله في سورة ألم
المجدة

الصبا فثبت ان المراد من هذه الآية هو أبو بكر والله أعلم (المسئلة الرابعة) قوله تعالى
أوزعني قال ابن عباس معناه ألهمني قال صاحب الصحاح أوزعني بالشيء أغريته به فاوزع
به فهو موزع به أي معزى به واستوزعت الله شكره فاوزعني أي استلهمته فآلهمني
(المسئلة الخامسة) اعلم انه تعالى حكى عن هذا الساعى انه طيب من الله تعالى ثلاثة أشياء
(أحدها) ان يوفقه الله للشكر على نعمه (والثاني) ان يوفقه للاتباع بالطاعة المرصية عند
الله (والثالث) أن يصلح له في ذريته وفي ترتيب هذه الأشياء الثلاثة على الوجه المذكور
وحهار (الاول) ان يبين ان مراتب السعادات الثلاثة أكملها النفسانية وأوسطها البدنية
وأدونها الخارجية والسعادات النفسانية هي اشتغال القلب بشكر آلاء الله ونعمائه
والسعادات البدنية هي اشتغال البدن بالطاعة والخدمة والسعادات الخارجية هي
سعادة أهله والنول فلما كانت المراتب محصورة في هذه الثلاثة لاجرم رتبها الله تعالى على
هذا الوجه (والسبب الثاني) لرعاية هذا الترتيب أنه تعالى قدم الشكر على العمل لان
الشكر من أعمال القلوب والعمل من أعمال الجوارح وعلى القلب أشرف من عمل
الجوارح وأيضاً لما تصود من الأعمال الظاهرة أحوال القلب قال تعالى وأقم الصلاة
ادكرى بين ان الصلاة مطلوبة لاجل انها تغيد الذكر فثبت ان أعمال القلوب أشرف من
أعمال الجوارح والأشرف يجب تقديمه في الذكر وأيضاً لاشتغال بالشكر اشتغال بقضاء
حقوق النعم الماضية والاشتغال بالطاعة الظاهرة اشتغال بصواب النعم المستقبل وقضاء
الحقوق الماضية يجرى مجرى قضاء الدين وطب للمؤمن المستقبلة طلب النعم الدائمة ومعلوم
ان قضاء الدين مقدم على سائر المهمات لهذا السبب قدم الشكر على سائر الطاعات
وأيضاً أنه قدم طلب التوفيق على الشكر وطلب التوفيق على الطاعة على طلب أن يصلح له
ذريته وذلك لان المطلوبين الاولين اشتغال بالتعظيم لامر الله والمطلوب الثالث اشتغال
بالشفقة على خلق الله ومعلوم ان التعظيم لامر الله يجب تقديمه على الشفقة على خلق الله
(المسئلة السادسة) قال أصحابنا ان العبد يطلب من الله تعالى أن يلهمه الشكر على نعم
الله وهذا يدل على انه لا يتم شيء من الطاعات والأعمال الا باعانة الله تعالى واوكان
العبد مستقلاً بافعاله لكان هذا الطالب عبثاً وأيضاً المفسرون قالوا المراد من قوله
أوزعني ان أشكر نعمك التي أنعمت على هو الايمان أو الايمان يكون داخل فيه والدليل
عليه قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم والمراد صراط الذين
أنعمت عليهم بنعمة الايمان واذا ثبت هذا فنقول العبد يشكر الله على نعمة الايمان فلو
كان الايمان من العبد لامن الله لكان ذلك شكر الله تعالى على فعله لا على فعل غيره
وذلك قبيح لقوله تعالى ويحبون أن يمحضوا بآلام يفعلوا فان قيل فهب أن يشكر الله
على ما أنعم به عليه فكيف يشكره على النعم التي أنعم بها على والديه وانما يجب على
الرجل أن يشكر ربه على ما يصل اليه من النعم قلنا كل نعمة وصلت من الله تعالى الى

(انهم) جميعاً (كانوا)
خاسرين (قد ضيعوا)
فطرهم الاصلية الجارية
بحر روث أم والهم
بأبائهم الشيطان
والجمللة تعليل للحكم
بطريق الاستئناف
الحق في (واكل)
من القرين المذكورين
(درجات مما عملوا) مراتب
من أجزئة ما عملوا
من الخير والشعر والدرجات
المثوبة وايرادها هنا
بطريق التعليل
(وليوفهم أعمالهم) أي

والديه فقد وصل منها أثره فلذلك وصاه الله تعالى على أن يشكر ربه على الأمرين
 (وأما المطلوب الثاني) من المطالب المذكورة في هذا الدعاء فهو قوله وأن أعمل صالحا
 ترضاه واعلم أن الشيء الذي يعتقد الإنسان فيه كونه صالحا على قسمين (أحدهما) الذي
 يكون صالحا عند الله ويكون صالحا عند الله تعالى (والثاني) الذي يظنه صالحا ولكنه
 لا يكون صالحا عند الله تعالى فلما قسم الصالح في ظنه إلى هذين القسمين طلب من الله
 أن يوفقه لأن يأتي بعمل صالح يكون صالحا عند الله ويكون مرضيا عند الله (والمطلوب
 الثالث) من المطالب المذكورة في هذه الآية قوله تعالى وأصلح لي في ذريتي لأن ذلك من
 أجل نعم الله على الوالد كما قال إبراهيم عليه السلام واجتنبني وبنّي أن تهيب الأصنام
 فإن قبل ما معني في قوله وأصلح لي في ذريتي قلنا تقدير الكلام هب لي الصلاح في ذريتي
 وأوقعه فيهم واعلم أنه تعالى لما حكى عن ذلك الداعي أنه طلب هذه الأشياء الثلاثة قال
 بعد ذلك أتيت بك وأني من المسلمين والمراد أن الدعاء لا يصح إلا مع التوبة والإمع
 كونه من المسلمين فتبين أني إنما أقدمت على هذا الدعاء بعد أن ثبت اليك من الكفر
 وكل قبيح وبعد أن دخلت في الإسلام والانقياد لأمر الله تعالى وفضائه وعلم أن
 الذين قالوا إن هذه الآية نزلت في أبي بكر قالوا إن أبي بكر أسلم والدعاء لم يتفق لاحد من
 الصحابة والمهاجرين الإسلام إلا بوجوب الإله قابوه أبو قحافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخطابت
 صحبة بن عمرو وقوله وأرأعمر صالحا ترضاه قال ابن عباس فاجابه الله عليه دعاءه فقبض
 المؤمنين يعذبون في الله منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شأ من الخير رضي الله عليه
 ودعاه تعالى وأصلح لي في ذريتي قال ابن عباس لم يبق لأبي بكر ولد من الذكور لأنك
 إلا وقد آمنوا ولم يتفق لاحد من الصحابة أن أسلم أبواه وجيم أولاده المذكور وإنما
 إلا أني لم يتم قال تعالى وأهلك أي أهل هذا القول الذين تتقبل عنهم شيء ضم نساء
 على بناء الفعل للمفعول وقرئ بالنون المفتوحة وكذلك تجاوز وكلاهما في المعنى واحد
 لأن الغمر وإن كان مبنيًا للمفعول فمعلوم أنه لله سبحانه فهو كقوله يغفر لهم ما قد سلف
 فبين تعالى بقوله وأهلك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا أن من تقدم ذكره ممن يدعو
 بهذا الدعاء وبذلك هذه الطريقة التي تقدم ذكرها تتقبل عنهم والتقبل من الله هو
 إيجاب الثواب له على عمله فإن قيل ولم قال تعالى أحسن ما عملوا والله يتقبل الحسن
 وما دونه قلنا الجواب من وجوه (الأول) المراد بالاحسن الحسن كقوله تعالى وأطيعوا
 أحسن ما أنزل إليكم من ربكم وكقولهم الناقص والشيخ عبد الله بن مروان أي عاد لابن
 مروان (الثاني) أن الحسن من الأعمال هو المباح الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب
 والاحسن ما يفار ذلك وهو كل ما كان مندوبا أو واجبا ثم قال تعالى وتجاوز عن
 سيئاتهم والمعنى أنه تعالى يتقبل طاعاتهم ويتجاوز عن سيئاتهم ثم قال في أصحاب الجنة
 قال صاحب الكشاف ومعنى هذا الكلام مثل قولك أكرمني الأمير في مائتين من أصحابه

أجزبه أعمالهم وقرئ
 بنون العظمة (وهم
 لا يطلون) بنقص ثواب
 الأولين وزيادة عقاب
 الآخرين والجملة أما
 حال مؤكدة للتوفيق
 أو استئناف مقرر لها
 واللام متعلقة بعذوبهم
 مؤخر كأنه قبل وأبوفهم
 أعمالهم ولا يظلمهم
 حذوقهم فعل ماض
 من تقدير الجزية
 على مقاسير أعمالهم
 فجعل ثواب درجات
 والعقاب درجات (ويوم
 به من

يريدنا كرمي في جملة من أكرم منهم وضمني في عدادهم ومحلل النصب على الحال على
معنى كاشين في أصحاب الجنة ومعدودين منهم وقوله وعد الصدق مصدر مؤن كدلان قوله
تقبل وتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز والمقصود بيان أنه تعالى يعامل من
صفته ما قدمناه بهذا الجراء وذلك وعد من الله تعالى فبين أنه صدق بولا شك * قوله
تعالى (والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما
يسئنيما الله وبك آمن أن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين أوئك
الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين
ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا
على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون
بما كنتم تستكبرون في الارض بغير حق وبما كنتم تكفرون) اعلم انه تعالى لما وصف
الولد البار بواله في الآية المفسدة توفى الوالد العاق لوالديه في هذه الآية فقال والذي
قال له لوالديه أف لكما وفي هذه الآية قولان (الاول) انهما نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر
قالوا كان أبوا يدعوانه الى الاسلام فبأي وهو قوله أف لكما واحتج القائلون بهذا القول
على صحته بأنه لما كتب معاوية الى مروان بأن يابع الناس ليزيد قال عبد الرحمن بن
أبي بكر لقد جئتموها رقية أتياهمون لا يبايئكم فقال مروان يا أيها الناس هو الذي قال
الله وهو الذي قال لوالديه أف لكما (واقول الثاني) انه باس المراد منه شخص معين بل
المراد منه كل من كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبوا الى الدين الحق فأباه
وأنكره وهذا القول هو الصحيح عندنا ويدل عليه وجوه (الاول) انه تعالى وصف هذا
الذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني بقوله أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت
من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولا شك ان عبدالرحمن آمن وحسن
اسلامه وكان من سادات المسلمين فبطل حمل الآية عليه فان قالوا روى انه لما دعاه
أبوا الى الاسلام وأخبراه بالبعث بعد الموت قال أتعدانني أن أخرج من القبر يعني
أبعث بعد الموت وقد خلت القرون من قبلي يعني الامم الخالية فلم أر أحدا منهم بعث فابن
عبدالله بن جدهما وأين فلان وفلان اذا عرفت هذا فنقول قوله أولئك الذين حق عليهم
القول المراد هؤلاء الذين ذكرهم عبدالرحمن من المشركين الذين ماتوا قبله وهم الذين حق
عليهم القول وبالجملة فهو عائد الى المشار اليهم بقوله وقد خلت القرون من قبلي لا الى
المشار اليه بقوله والذي قال لوالديه أف لكما هذا ما ذكره الكلبي في دفع ذلك الدليل وهو
حسن (والوجه الثاني) في ابطال ذلك القول ما روى ان مروان لما خاطب عبدالرحمن
ابن أبي بكر بذلك الكلام سمعت مائسة ذلك فغضبت وقالت والله ما هو به ولكن الله آمن
أباك ما انت في صلبه (الوجه الثالث) وهو الاقوى أن يقال انه تعالى وصف الوالد البار

الذين كفروا على النار
أي يعذبون بها من دولهم
عرض الاسارى على
السيف أو فو وقيل
يعرض نساء طيبهم
نضروا القلوب ماغة
(أذعنتم طيباتكم) أي
نسالهم ذلك وهو
الاصح الظرف وهو
أذعنتمهم مرتين وبأف
بينهما على لاستفهام
انوا يغني أي أصبتم
واخذتم ما كتب لكم
من حظوظ الدنيا
ولذا نذها (في حياتكم
الدنيا

بأبويه في الآية المقدمة ووصف الوالد العاق لأبويه في هذه الآية وذكر من صفات ذلك ولدانه بانع في العقوق الى حيث للمدعاء أبواه الى الدين الحق وهو الاقرار بالبعث والقيامة أصراً على الإنكار وأبى واستكبر وعول في ذلك الإنكار على شبهات خسيسة وكلمات واهية وإذا كان كذلك كان المراد كل ولدان تصف بالصفات المذكورة ولا حاجة البتة الى تخصيص اللفظ المطلق بشخص معين قال صاحب الكشاف قرئ أف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه منوجع واللام للبيان معناه هذا التأنيف لكما خاصة ولا جلا كما دون غدا قرئ أتعذاني بنونين وأتعذاني بأحداهما وأتعذاني بالادغام وقرأ بعضهم أتعذاني بفتح النون كأنه استقل اجتماع النونين والكسرين والياء ففتح الاولى تحريراً للتخفيف كما تحراه من أدغم ومن طرح أحدهما ثم قال أن اخرج أي ان ابعث وأخرج من الارض وقرئ أخرج وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم أحد ثم قال وهما يستغيثان الله أي الوالدان يستغيثان الله فان قالوا كان الواجب أن يقال يستغيثان بالله قلنا الجواب من وجهين (الاول) ان المعنى انهما يستغيثان بالله من كفره وانكاره فلما حذف الجار وصل الفعل (الثاني) يجوز أن يقال الباء حذف لانه أريد بالاستغاثة ههنا مدعاء على ما قاله المفسرون يدعون الله فلما أريد بالاستغاثة الههنا حذف الجار لان الدعاء لا يقتضيه وقوله وبلك أي يقولان له وبلك آمز وصدق يا بعث وهو دعاء عليه باشبور والمراد به الحث والتحرير بض على الايمان لاحقية الهلاك ثم قال ان الله بالبعث حق فقول لهما ما هذا الذي تقولان من أمر البعث وتدعوانني اليه الأساطير الاولى ثم قال تعالى اثنت الذين حق عليهم القول أي حق عليهم كلمة العذاب ثم ههنا قولان فالذين يقولون المراد بيزول الآية عبد الرحمن بن أبي بكر قالوا المراد به هؤلاء الذين حقت عليهم كلمة العذاب هم القرون الذين خلوا من قبله والذين قالوا راد به ليس عبد الرحمن بل كل ولد كان موصوفاً بالصفة المذكورة قالوا هذا الوعيد مختص بهم وقوله في أئمة نظير لقوله في أصحاب الجنة وقد ذكرنا أنه نظير لقوله أكرمني الامير في اناس من أصحابه يريد أكرمني في جلة من أكرم منهم ثم قال انهم كانوا اخاسرين وقرئ أن باقح على معنى آمن بأن وعد الله حق ثم قال ولكل درجات مما عملوا وفيه قولان (الاول) ان الله تعالى ذكر الوالدان بار ثم أردفه بذكر الوالد العاق فقوله ولكل درجات مما عملوا خاص بالمؤمنين وذلك لان المؤمن البار بوالديه له درجات متفاوتة ومراتب مختلفة في هذا الباب (والقول الثاني) أن قوله ولكل درجات مما عملوا عائد الى الفريقين والمعنى ولكل واحد من الفريقين درجات في الايمان والكفر والطاعة والمعصية فان قالوا كيف يجوز ذكر لفظ الدرجات في أهل النار وقد جاء في الاثر الجنة درجات والنار درجات فكذلك في وجه (الاول) يجوز أن يقال ذلك على جهة التغليب (الثاني) قال ابن زيد درج أهل الجنة

واستغثتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها (فالقوم يخرجون عذاب الهون) أي الهوان وقد قرئ كذلك (وبما كنتم في الدنيا تستكبرون في الارض بغير الحق) بغير استحقاق لذلك (وبما كنتم تفسقون) أي تخرجون عن طاعة الله عز وجل أي بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر السين

(واذكر) أي الكفار منكم (أخاعد) أي هذعده اسلام (انذار قومهم) بدل اشتغال منه أي وقت انذاره امامهم (بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع واما انذاره اذا عوج وكانت عاد أصحاب عديسكنون بين رمال مشرفة على البحر يارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقبل بين عمان ومهرة (وقد خلت انذر) أي الرسل جمع نذر بمعنى المنذر (م بين يديه) أي من قبله ﴿ ٥١٣ ﴾ (ومن خلفه) أي من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكدا

لوجوب العمل بوجود
الانذار وسط بين أئله
دونه وبين قوله أن لا
تعبدوا الا الله مساره
الى ما ذكر من التقرر
التأكيد والذبا بآثارهم
في الدنيا والمعية والمعنى
واذكر نفوسكم انذار هود
مودة عليه اذ شرك
والعذاب العظيم وقد
انذر من تقدمه من الرسل
ومن فآخرونه قومهم
مثل ذلك فاذكرهم أو اما
جعلها حالامن فاعل أنذر
على معنى أنه عليه الصلاة
والسلام أنذرهم وقال
لهم لا تعبدوا الا الله (أي
أخاف عليكم عذاب يوم
عظيم) وقد أعلمهم أن
الرسل الذين بعثوا قبله
والذين سيعثون بعده
كلهم منذرون نحو انذاره
فمع ما فيه من تكلف تقدير
الاعلام لا بد في نسبة
الحوال الى من بعده من
الرسل من تنزيل الآتي
منزلة الخالي (قالوا
اجتنتنا لأفكنا) أي
نصرفنا (عن آلهتنا)
عن عبادتها (فأتانا بما

يذهب علوا ودرج أم النار ينزل هبوطا) الثالث والمراد بالدرجات المراتب المترتبة
الان زبادات أهل الجنة في الحرات والسموات وزبادات أهل النار في المعاصي
والسيئات ثم قال تعالى اليوم هم فرى نالهم هذا تعويل معمله محذوف لدلالة الكلام
عليه كأنه قيل وليومهم أعمالهم وبطلانهم وقومهم قدر جزاءهم على مقادير
أعمالهم فجعل الثواب درجات والسيئات درجات ولما بين الله تعالى انه يوصل حق كل
أحد اليه بين أعمال أهل الجنة وأهل النار و يوم يعرض الذين كفروا على النار فويل
يدخلون النار فويل لهم عن ربهم النار وأهلها أذهنت طبيساتكم في حياتكم
الدنيا فإس كثير آذنتهم استغفام بجزء ومدة وابن عامر استغفام بهم مرتين بلامد
والباقون أذهنتهم بالغلبة والخبر والمعنى ان كل ما قدر لكم من الطيبات والراحات فقد
استوفيتوه في الدنيا وأخذتموه فلم يبق لكم به استيفاء حظكم شيء منها وعن عمرو شئت
لكتب أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكن استبق طيباتي وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه دخل على أهل الصفة وهم رقعون ثيابهم بالادم ما يجدون اياما فلما فقال
أثم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى وبغدي عليه بحقيقة وراح
عليه بأخرى وسيزينه كأنه ستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أتم اليوم خير رواه
صاحب الكشاف قال الواحدى ان الصالحين يؤثرون التقشف والزهد في الدنيا رجا
ان يكون ثوابهم في الآخرة أكبر الا ان هذه الآية لا تدل على المنع من التمتع لان هذه
الآية وردت في حق الكافر وانما ونج الله الكافر لانه يتمتع بالدنيا ولم يؤد شكر المنعم
بطاعته والايان به وأما المؤمن فانه يؤدى بآيمانه شكر المنعم فلا يؤتى بتمعه والدليل
عنه قوله تعالى قل من حرم زينته الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق نعم لا ينكر
ار الاحتراز عن التمتع أولى لان النفس اذا اعتادت التمتع صعب عليها الاحتراز
والانقباض وحينئذ فر بما حله المبل الى تلك الطيبات على فعل ما لا ينبغي وذلك مما يجز
بعضه الى بعض ويقع في البعد عن الله تعالى بسببه ثم قال تعالى فاله يوم تجزون عذاب
الهون أي الهوان وقرئ عذاب الهوان وما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق
وبما كنتم تفسقون فعلى ذلك تعالى ذلك العذاب بأمرين (أولهما) الاستكبار والترف وهو
ذنب القلب (والثاني) الفسق وهو ذنب الجوارح وقدم الاول على الثاني لان أحوال
القلوب أعظم وقعسا من أعمال الجوارح ويمكن أن يكون المراد من الاستكبار انهم
يشكرون عن قبول الدين الحق ويشكفون عن الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام
وأما الفسق فهو والمعاصي واحتج أصحابنا بهذه الآية على ان الكفار مخاطبون بفروع
الشرائع قالوا لانه تعالى علل عذابهم بأمرين (أولهما) الكفر (وثانيهما) الفسق وهذا
الفسق لا بد وأن يكون مغايرا لذلك الكفر لان العطف يوجب المغايرة فثبت ان فسق
الكفار يوجب العقاب في حقهم ولا معنى للفسق الا ترك الأمور الثابتة والمنهيات

تعدنا) من العذاب العظيم (ان كنت ﴿ ٦٥ ﴾ سا من الصادقين) في وعدك بزيولته بنا (قال انما العلم) أي بوقت
نزوله أو العلم بجميع الاشياء التي من جنتها ذاك (عند الله) وحده لا علمى بوقت نزوله ولا مدخل في اثباته وحلوله وانما
عليه عند الله تعالى بآياتكم به في وقته لمقدره (وابلاغكم ما أرسلت به) من مواجب الرسالة التي من جملتها

بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرى ابلغكم من الابلاغ (ولم يزل يوعظهم
تجهلون) حيث تفتخون على ما ليس من وطائف الرسل من الايمان بالعذاب وتعين وقته والقائه في قوله تعالى (فلما راوه)
فصيحة والضمير امامهم يوضحه قوله تعالى (عارضا) اما تبيروا اوسلا اذ ارجع الى ما استجوابوه بقولهم فاستجابنا بعدنا اي
فاننا هم فلما راوه مصابيا يمرض في افق السماء (مستقبل اوديتهم) ٥١٤ أي متوجه اوديتهم والاضافة فيه

والله اعلم قوله تعالى (واذكر اخاعاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت انذرت من بين
يديه ومن خلفه ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا اجئنا
لنا فكنا عن آهتنا ذاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وابلاغكم
ما ارسلت به ولكني اراكم قوما تجهلون فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا
عارض عطر نابل هو ما استعملتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شئ يا مري رها واصبحوا
لا ترى الامسا كنهم كذلك تجزى القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكنتكم فيه
وجعلنا الهم سمعا وابصارا وافئدة فاعقبتهم سمعهم ولا ابصارهم ولا فئدتهم من شئ
اذ كانوا يحسدون بايات الله وخاف بهم ما كانوا به يستهزئون اعلم انه تعالى لما اورد أنواع
الدلائل في اثبات التوحيد والنبوة وكان اهل مكة بسبب استغرافهم في لذات الدنيا
واشتغالهم بطامها اعرضوا عنها ولم يلتفتوا اليها ولهذا السبب قال تعالى في حقهم و يوم
يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا فلما كان الامر كذلك
بين ان قوم عاد كانوا اكثر اموالا وقوة وجاها منهم ثم ان الله تعالى سلب العذاب عنهم
بسبب شؤم كفرهم فذكر هذه القصة ههنا ليعتبر بها اهل مكة فيتركوا الاعتزاز بما يجدوه
من الدنيا و يقبلوا على طلب الدين فلهذا المعنى ذكر الله تعالى هذه القصة في هذا الموضع
وهو مناسب لما تقدم لان من اراد تفهيم طريقة عند قوم كاد الطريق فيه ضرب
الامثال وتقريره ان من واظب على تلك الطريقة نزل به من البلاء كذا وكذا وقوله تعالى
واذ راخاعاد أي واذا كراي محمد فومك اهل مكة هوذا عليه السلام اذ انذر قومه أي
حذرهم عذاب الله ان لم ينتهوا وهواه بالاحقاف قال ابو حنيفة الحقف الرسل الموج
ومنه قيل للموج محتوف وقال الفراء الاحقاف واحدها حقف وهو الكتيب المكسر
غيره العظيم وفيه احواج قال ابن عباس الاحقاف وادي بين عمان ومهرة وانذر جمع نذير
معنى المنذر من بين يديه من قبله ومن خلفه من بعده والمعنى انه ودا عليه السلام قد
انذرهم وقال لهم ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم العذاب واعلم ان الرسل الذين
بعثوا قبله والذين سببوا بعده كلهم مدرسون نحو انذاره ثم حكي تعالى عن الكفار انهم
قالوا اجئنا لنا فكنا لافك الصريف يقال افك عن رأيه أي صرفه وقيل بل المراد لتزيتنا
بضرب من الكذب عن آهتنا وعن عبادتها ذاتنا بما تعدنا من معاجلة العذاب على
الشرك ان كنت من الصادقين في وعدهك فعند هذا قال هود انما العلم عند الله وانما صلح
هذا الكلام جوابا لقولهم فأتنا بما تعدنا لان قولهم فأتنا بما تعدنا استعجال منهم لذلك
العذاب فقال لهم هود لا علم عندي بالوقت الذي يحصل فيه ذلك العذاب انما علم ذلك عند
الله تعالى وابلاغكم ما ارسلت به وهو التحذير عن العذاب وأما العلم بوقته فلما اوجاه الله الى
ولكني اراكم قوما تجهلون وهذا يحتمل وجوها (الاول) المراد انكم لا تعلمون ان الرسل

الفضيلة كما في قوله تعالى
قالوا هذا عارض عطرنا
ولذلك وقعا وصفين
للتكرة (بل هو) أي قال
هود وقد قرى كذلك
وقرى قل وهو رعد عليهم
أي ليس الامر كذلك
بل هو (ما استعملتم به)
من العذاب (ريح) بدل
ما او خبر مبتدأ محذوف
(فيها عذاب اليم) مسند
ريح وكذا قوله تعالى
(تدمر) أي تهلك (كل
شئ) من نفوسهم
وأموالهم (يا مري رها)
وقرى يدمر كل شئ
من دمر دمارا اذ هلك
قاله اشد الى الموصوف
منون أو هو الهاء في رها
ويجوز ان يكون استنفا
وارد البيان ان كل ممكن
فتامة قضيا منوطا بامر
بارئه وتكون الهاء لكل
شئ لكونه بمعنى الاشياء
وفي ذكر الامر والرب
والاضافة الى الريح من
الدلالة على عظيمة شأنه
عز وجل ما لا يخفى والقائه
في قوله تعالى (فأصبحوا
لا يرى الامسا كنهم)

فصيحة أي فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لا يرى الامسا كنهم وقرى ترى بالياء ونصب مسا كنهم ولم
خطا بالكل احديتا أي منذ الرواية تنبيهها على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد يلا دهم لا يرى فيها الامسا كنهم
(كذلك) أي مثل ذلك الجزء الفطيع (تجزى القوم المجرمين) وقد مر تفصيل القصة في سورة الاعراف

وقد روي أن الريح كانت تحمل الغسائط والطيبات فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جردة قبل أن أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كسهب النار وروى أن أول ما عرفوا به أنه عذاب مارا أو ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم يطير بهما الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم بأمر الله تعالى الأحقاف فكانوا تحتها ٥١٥ سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشف الريح عنهم فاحتلتهم فطرحتهم في البحر

وروي أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط شلى نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود ومن معه في حفيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يبلين على الجلود وتلذذ الأنفس وانها تحترق من عذابها طعن بين السماء والأرض وتدفغهم بالجرارة (وا مكنائهم) أي قررنا عادا أو أفدرناهم وماذا قوله تعالى (فيما ان مكنائهم فيه) موصولة أو موصوفة وإن تافية أي في الذي أوفى شيء ما مكنائهم فيه من السعة والبسطة وطول الأعمار وسائر مبادئ التصرفات كافي قوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكنائهم في الأرض ما لم تكن لكم ومما يحسن موقع أن ههنا التفصي عن تكرار لفظة ما هو

المؤمنين من غير ما أفتاهم فيه وإنما بعثوا مبلغين (الثاني) أراكم قوما يجهلون من حيث أنكم بقيتم مصرين على كفركم وجهلكم فغلب على ظني أنه قرب الوقت الذي ينزل عليكم العذاب بسبب هذا الجهل المفرط والوقاحة السامة (الثالث) اني أراكم قوما تجهلون حيث تصرون على طلب العذاب وهب انهم يظهر لكم كوني صادقا ولكن لم يظهر أيضا لكم كوني كاذبا فالأفام على الطلب أشد لهذا العذاب جهل عظيم ثم قال تعالى فلما رأوه ذكر البعد في الضمير في رأيهم فوالين (أحرهما) أنه عائد إلى غير المذكور ويثبه قوله عارضا كما قال ماترك على ظهرها من دابة وإن ذكر الأرض لكونها معلومة فكذا ههنا الضمير عائد إلى السحاب كأنه قبل فلما رأوا السحاب عارضا وهذا اختيار الزجاج ويكون من باب الضمير لا على شريطة انفسر (والقول الثاني) أن يكون الضمير عائدا إلى ما في قوله فأتينا بنائسنا أي فلما رأوا ما يوعدهون به عارضا قال أبو زيد العارص السحابية اني ترى في ناحية السماء ثم تسبق وقوله مستقبل أوديتهم قال انفسرون كانت عاد قد حبس عنهم المطر أياما فساق الله إليهم سحابة سوداء فخرجت عليهم من واد يقال له الغيث فلما رأوه مستقبل أوديتهم استبشروا وقالوا هذا عارض مطرنا والمعنى مطرا ياما قبل كان هود قاعدا في قومه فجاء سحاب مكره فأتوا هذا عارض مطرنا فقال بل هو ما استجئتم به من العذاب ثم بين ماهيته فقال ريح فيها عذاب أنهم ثم وصف تلك الريح فقال تدمر كل شيء أي تهلك كل شيء من الناس والحيوان والنبات بأمر ربها والمعنى أن هذا ليس من باب تأثيرات الكواكب والقرانات بل هو أمر حدث ابتداء بقدرة الله تعالى لأجل تعذيبكم فأصبحوا يعني عاد لا ترى إلا مساكنهم وفيه مسائل (المسألة الأولى) روي أن الريح كانت تحمل الغسائط وترفعها في الجو حتى ترى كأنها جردة وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كسهب النار وروي أن أول ما عرفوا به أنه عذاب أليم انهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم يطير به الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأحال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشف الريح عنهم فاحتلتهم فطرحتهم في البحر وروي أن هودا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع فكانت الريح التي نصيبهم ريحا لينة هادية طيبة والريح التي تصيب قوم عاد ترفعهم من الأرض وتطيرهم إلى السماء وتضر بهم على الأرض وأثر المجرة انما ظهر في تلك الريح من هذا الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أمر الله خازن الرياح أن يرسل على عاد الأمثل مقدار الخاتم ثم إن ذلك القدر أهلككم بكميتهم والمقصود من هذا الكلام اظهار كمال قدرة الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان إذا رأى الريح فزع وقال اللهم اني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها ومن شر ما أرسلت به (المسألة الثانية) قرأ عاصم

الداعي إلى قلب الها هاء في مهمل وجعلها شرطية أوزائدة مما لا يلقى بالقام (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نبطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شئون منعمها من زوجل ويدوا وما على شكره (فأغنى عنهم سمعهم) حيث لم يستعملوه في استماع الوحي وما وعظ الرسل (ولأبصارهم) حيث لم يجتعلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة

في صحائف العالم (ولا أقدرتهم) حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى (في شيء) أي شيئاً من الاعتناء ومن منة لا يأتى
وقوله تعالى (إذا كانوا يجحدون) يأتى الله تعالى بما أغنى وهو طرف جري مجرى تعطيل من حيث أن الحكم
على ما أضيف إليه فإن قولك أكرمته إذا كرمته في قوة قولك أكرمته لا كرامه لأنك إذا كرمته وقت إكرامه في
أكرمته فيه لوجود إكرامه فيه وكذا الحال في حيث (وحاق) ٥١٦ بهم ما كانوا به يستهزئون) من العناد

وحجة لا يرى بالباء وضمتها مساكنتهم بضم النون قال الكسائي معناه لا يرى شيء
الامساكنهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمر وابن عامر والكسائي لا ترى على الخطاب
أي لا ترى أنت أيها المخاطب وفي بعض الروايات عن عاصم لا ترى بالياء مساكنتهم بضم
النون وهي قراءة الحسن والنأويل لا ترى من بقايا عاد أشياء الامساكنهم وقال الجمهور هذه
القراءة ليست بالقوية ثم قال تعالى كذلك نجزي القوم المجرمين والمقصود منه تخويف
كفار مكة فإن قيل لما قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فكيف يبنى
التخويف حاصلًا لقوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم إنما نزل في آخر الأمر فكان
التخويف حاصلًا قبل نزوله ثم انه تعالى خوف كفار مكة وذكر فضل عاد بالقوة والجسم
عليهم فقال ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه قال المبرد ما في قوله فيما بمزلة الذي وان بمزلة
ما والتقدير وأقدم مكناهم في الذي ما مكناكم فيه والمعنى أنهم كانوا أقوى منكم قوة وأكثر
منكم أموالاً وقال ابن قتيبة كلمة ان زائدة والتقدير ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه وهذا
غلط الوجوه (الاول) ان الحكم بأن حرقا من كتاب الله عبث لا يقول به عاقل (والثاني)
ان المقصود من هذا الكلام أنهم كانوا أقوى منكم قوة ثم أنهم مع زيادة القوة ما نجوا
من عقاب الله فكيف يكون حالكم وهذا المقصود انما يتم اودلت الآية على أنهم كانوا
أقوى قوة من قوم مكة (والثالث) ان سائر الآيات تفيد هذا المعنى فان تعالى هم أحسن
أئامنا ورثا وقال كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض ثم قال تعالى وجعلنا
لهم سمعا وأبصارا وأفئدة والمعنى انما فُتحت عليهم أبواب السمع وأعطيتهم سمعا وبصيرة
استعملوه في سماع الدلائل وأعطيتهم أوصارا فما استعملوها في تأمل المعبر وأعطيتهم
أفئدة فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب الدنيا
والدنيا فلا جرم ما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من عذاب الله تعالى شيئا
ثم بين تعالى انه تعالى لم يغفر عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم لاجل أنهم كانوا يجحدون
بآيات الله وقوله إذا كانوا يجحدون بمنزلة تعطيل ولقد اذعديت كراهة تعطيل تقول
ضربتته اذ أساء والمعنى ضربته لانه أساء وفي هذه الآية تخويف لأهل مكة قال قوم عاد
لما غارت ابدنياهم وأعرضوا عن قبول الدليل والحجة رزقهم عذاب الله ولم تغن عنهم قوتهم
ولا كثرتهم فاهل مكة مع عجزهم وضعفهم أولى بأن يحذروا من عذاب الله تعالى ويخافوا
ثم قال تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون يعني أنهم كانوا يطلبون نزول العذاب
وانما كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء والله أعلم بقوله تعالى (ولقد أهلكنا ما حولكم
من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) فلو أن نصرهم الذين اتخذوا من دون الله
قربانا آلهة بل صلوا عنهم وذلك آفئتهم وما كانوا يفترون) اعلم ان المراد ولقد أهلكنا
ما حولكم يا كفار مكة من القرى وهي قرى عاد وثمود باليمن والشام وصرفنا الآيات
ببناها لعلهم أي لعل أهل القرى يرجعون فالمراد بالتصريف الاحوال الهائلة التي

الذي كانوا يستعملونه
يطربق الاستهزاء
ويقولون فاتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين
(ولقد أهلكنا ما
حولكم) يا أهل مكة
(من القرى) كعجروثمود
وقرى قوم لوط (وصرفنا
الآيات) كررناها لعلهم
(لعلهم يرجعون) لكي
يرجعوا إياهم فيه من
الكفر والمعاصي (فلولا
نصرهم الذين اتخذوا
من دون الله قربانا آلهة)
القرى ما يتقرب به الى
الله تعالى وأحد معنوا
اتخذوا ضمير الموصول
المحذوف والثاني آلهة
وقربانا حال والتقدير
فهل أنصرهم وخلعهم
من العذاب الذين
اتخذوا هم آلهة حال
كونها متقربا بها الى الله
تعالى حيث كانوا
يقولون ما نعبدهم الا
ليقر بونا الى الله زاني
وهؤلاء شفعاؤنا عند
الله وفيه تهكم بهم ولا
مساغ لجعل قربانا
مفعولا ثانيا وآلهة بدلا
منه لفساد المعنى فان

البدل وان كان هو المقصود ولكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب في ان قولنا اتخذوهم وجئت
من دون الله قربانا أي متقربا به مما لا صحة له قطعا لانه تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح أنهم اتخذوهم قربانا
متجاوزين الله في ذلك وقرى قربانا بضم الراء (بل صلوا عنهم) أي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم اغيبتهم

وضاهواهم أي ظهر ضياعهم عنهم بالكيفية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن التصور (وذلك) أي ضياع
لهتهم عنهم وامتناع نصرهم (افكهم) أي أترافكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة وتبيحة شركهم وقرى افكهم
كل اسم مصدر كالخذر والحدرو قرى أدكهم على صيغة الماضي فذلك إشارة حيث دلالاته على ذلك الاتخاذ الذي هذه
عمرته وناقشته صرفهم عن الحق ٥١٧ روى افكهم بالتشديد للبالغة وأدكهم من الافعال أي جعلهم أفكين

وقرى افكهم على
صيغة اسم الفاعل
مضافا إلى ضميرهم أي
قولهم الافك أي
ذوالافك كما يقال قول
كاذب (وما كانوا
يفترون) عطف على
افكهم أي وأترافترأهم
على الله تعالى أو أتر
ما كانوا يفترونه عليه
تعالى وقرى وذلك افك
مساكنوا يفترون أي
بعض ما كانوا يفترون
من الافك (واذ صرفنا
إليك نفرا من الجن)
أمنناهم إليك واقبلناهم
نحوك وقرى صرفنا
بالتشديد لا كثير لأنهم
جاعة وهو السرف في جمع
الضمير في قوله تعالى
(يستمعون القرآن)
وما بعده وهو حال
مقدرة من نفرا المخصوصه
بالصفه أو صفه أخرى له
أي وأذكر لقومك وقت
صرفنا إليك نفرا كأننا
من الجن مقدرا استماعهم
القرآن (فلما حضروه)
أي القرآن عند تلاوته
أو الرسول عند تلاوته

وحدث قبل الإهلاك قال الجبائي قوله لهم يرجعون معناه لكي يرجعوا عن كفرهم بل
بذلك على أنه تعالى أراد رجوعهم ولم يرد أصرارهم (والجواب) أنه فعل ما توقعه غيره
لكان ذلك لأجل الإرادة المذكورة واتخاذهم إلى هذا التأويل للدلالة على أنه
سبحانه يريد لجميع الكائنات ثم قال تعالى فلو أن نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا
آلهة القربان ما يتقرب به إلى الله تعالى أي اتخذوهم شفعا مقربا بهم إلى الله حيث كانوا
هو الشفعا وناشدوا الله وقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وفي إعراب الآية وجوه
(الاول) قال صاحب الكشاف أحد مفعولى اتخذ الراجع إلى الذين هو مخذوف
(والثاني) آلهة وقرى بانحال وقيل عليه أن الفعل المتعدي إلى مفعولين لأنهم لا يذكرهما
نفعا وإحلال مشعر بنجام الكلام ولا شك أن إتيان الحال بين المفعولين على خلاف
الاصل (الثاني) قال بعضهم قرى بانما مفعول ثان قدم على المفعول الاول وهو آلهة فقيل
عليه أنه يؤدى إلى خلل الكلام من الراجع إلى الذين (والثالث) قال بعض المحققين
بضم أحد مفعولى اتخذوا وهو الراجع إلى الذين ويجعل قرى بانما مفعولا ثانيا وآلهة عطف
بيان إذا عرفت الكلام في الإعراب فتقول المقصود أن يقال أن أولئك الذين أهلكتهم
الله لأن نصرهم الذين عبدوهم وزعموا أنهم مقربون لعبادتهم إلى الله ليشفعوا لهم بل
ضاهوا عنهم أي غابوا عن نصرتهم وذلك إشارة إلى أن كون آلهتهم ناصرين لهم أمر
ممتنع ثم قال تعالى وذلك افكهم أي وذلك الامتناع أترافكهم الذي هو اتخاذهم إياها
آلهة وثمرة شركهم وافتراءهم على الله الكذب في إثبات الشرك كاله قال صاحب الكشاف
وقرى افكهم والافك والافك كالخذر والحدرو قرى وذلك افكهم بفتح الفاء والكاف
أي ذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرى افكهم على التشديد
للمباغة افكهم جعلهم أفكين وافكهم أي قولهم الافك أي ذوالافك كما تقول قور
كاذب ثم قال وما كانوا يفترون وذلك افكهم وافتراءهم في إثبات الشركاء
لله تعالى ما الله أعلم قوله تعالى (واذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما
حضروه قالوا ائذنا وعلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا اناسمنا كتابا أنزل
من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أسيبوا
داعى الله وآتوا به بغفر لكم من ذنوبكم ويخرجكم من عذاب أليم ومن لا يجب داعى الله
فليس يمحى في الأرض وأيسر له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) في الآية مسائل
(المسئلة الاولى) اعلم أنه تعالى لما بين أن في الانس من آمن وفيهم من كفر بين أيضا أن
الجن فهم من آمن وفيهم من كفروا أن مؤمنهم معرض للثواب وكافرهم معرض للعقاب
وفي كيفية هذه الواقعة قولان (الاول) قال سعيد بن جبيرة كانت الجن تستمع فلما رجوا
قالوا هذا الذي حدث في السماء انما حدث شيء في الأرض فذهبوا يطلبون السبب

له على الالتفات والاول هو الاظهر (قالوا) أي قال بعضهم لبعض (أنصتوا) أي اسكتوا والسمع (فلما قضى) أمم وفرغ
من تلاوته وقرى على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا يؤيد دعوى ضمير حضروه اليه عليه
الصلاة والسلام (والوالى قومهم منذرين) مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روى أن الجن كانت تسترق
السمع فلما حرس السماء ورجوا

بالشهب قالوا ما هذا الا لئلا يحدث فتنهم من سبعة نفر من اشراف جن نصيبين او ثلثوا منهم ذو بعد قصير يوا
حتى بلغوا ثمانمائة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي اوقى صلاة
الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الجن ولا رآهم وانما كان تلاوق صلاته فروا به ووقفوا مستمعين ٥١٨ وهو لا يشعر بهم فأتى الله تعالى باستماعهم

وقيل بل أمره الله تعالى
أن ينذر الجن ويقرأ
عليهم قصصهم اليه
نقرأ منهم جمعهم له
فقال عليه الصلاة
والسلام اني امرت ان
أقرأ على الجن ليلة فز
يتبعني قالها ثلاثا
فاطرقوا الاعبد الله
ابن مسعود رضى الله
عنه قال فانطلقنا حتى
اذا كنا باعلى مكة
في شعب الجحون خطلى
فقال لا تخرج منه حتى
اعود اليك ثم افتتح
القرآن وسمعت لفظا
شديدا حتى خفت على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وغشيتة اسودة
كثيرة حالت بيني وبينه
حتى ما أسمع صوته عليه
الصلاة والسلام ثم
انقطعوا كقطع السحاب
فقال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل رأيت
شيئا قلت نعم رجالا سوداء
مستشعرى ثياب بيض
فقال أولئك جن نصيبين
وكانوا اثني عشر ألفا
والسورة التي قرأها

وكان قد اتفق ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أيس من أهل مكة ان يجيبوه خرج الى
الطائف ليدعوهم الى الاسلام فلما انصرف الى مكة وكان يطن لخل قام يقرأ القرآن في
صلاة الفجر فربه نفر من اشراف جن نصيبين لان ابليس بعثهم ليعرفوا السبب الذي
أوجب حراسة السماء بالرجم فسمعوا القرآن وعرفوا ان ذلك هو السبب (والقول
الثاني) ان الله تعالى أمر رسوله ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله تعالى ويقرأ عليهم
القرآن فصرف الله اليه نفرا من الجن ليستمعوا منه القرآن وينذروا قومهم ويتفرع على
ما ذكرناه فروع (الاول) نقل عن القاضي في تفسيره الجن انه قال انهم كانوا يهودا لان
في الجن ملأ كما في الانس من اليهود والنصارى والمجوس وعبيدة الاصنام وأطبق
المحققون على ان الجن مكلفون (مثل ابن عباس) هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم
عقاب يلتقون في الجنة ويزدجون على أبوابها (الفرع الثاني) قال صاحب الكشف
النفردون العشرة ويجمع على أنفارتهم روى محمد بن جرير الطبري عن ابن عباس ان
أولئك الجن كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى
قومهم وعن زر بن حبیش كانوا تسعة أحدهم زوبعة وعن قتادة ذكرنا انهم صرخوا
اليه من ساوة (الفرع الثالث) اختلفوا في انه هل كان عبد الله بن مسعود مع النبي
صلى الله عليه وسلم ليلة الجن والروايات فيه مختلفة ومشهورة (الفرع الرابع) روى
القاضي في تفسيره عن أنس قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حبال مكة اذ
أقبل شيخ متوكئ على عكازة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مشيت جني ونفتمته فقال أجل
فقال من أي الجن أنت فقال انما هامة بن هم بن لاقيس بن ابليس فقال أرى يدك وبين
ابليس الأبو بين فكلم أي عليك فقال أكلت عمر الدنيا الأفلها وكنت وقت قتل قايل
هايل امشي بين الآكام وذكر كثيرا مما مر به وذكر في جلته ان قال قال لي عيسى بن مريم
ان اقيت محمدا فارقته مني السلام وقد بلغت سلامه وأمنت بك فقال عليه السلام وعلى
عيسى السلام وعليك يا هامة ما حاجتك فقال ان موسى عليه السلام علمني التوراة وعيسى
علمني الانجيل فعلمني القرآن فعلمه عشر سور وقبض صلى الله عليه وسلم ولم ينعه قال عمر بن
الخطاب ولا أراه الا حيا واعلم ان تمام الكلام في قصة الجن مذکور في سورة الجن
(المسئلة الثانية) اختلفوا في تفسير قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن فقال بعضهم
لما يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم قراءة القرآن عليهم فهو تعالى ألقى في قلوبهم ميلا
وداعية الى استماع القرآن فلهذا السبب قال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن ثم قال تعالى
فلما حضروه الضمير للقرآن أول رسول الله قالوا أي قال بعضهم لبعض أنصتوا أي اسكتوا
مستمعين يقال انصت لكذا واستنصت له فلما فرغ من القراءة ولوا الى قومهم منذرين
ينذرونهم وذلك لا يكون الا بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى استماع القرآن
والنصديق به الا وقد آمنوا فعنده قالوا يا قومنا اناسمنا كتابا أنزل من بعد موسى ووصفوه

عليهم اقرأ باسم ربك (قالوا) أي عند رجوعهم الى قومهم (يا قومنا اناسمنا كتابا أنزل من بعد موسى) بوصفين
قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام (مصدقا
لما بين يديه) ارادوا به التوراة (يهدي الى الحق) من العقائد الصحيحة (والى طريق مستقيم) موصل اليه وهو الشرائع

والاعمال الصالحة (يا قومنا احبوا داعي الله واغنوا به) اراذوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهم مادعوهم الى ذلك بعد بيان حقته واستقامته ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكدهم بقولهم (يغفر لكم من ذنوبكم) أي بعض ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان (ويجركم من عذاب اليم) ﴿٥١٩﴾ معدل للكفرة واختلف في ان لهم اجر اخير هذا أولا ولا يظهر أنهم

في حكم بنى آدم لو ابا وعقابا وقوله تعالى (ومن لا يجيب داعي الله فليس بمعجز في الارض) ايجابا للاجابة بطريق الترهيب اثر ايجابها بطريق الترهيب وتحتيق لكونهم منذرين واظهار داعي الله من غيرا كنفاء باحد الضميرين للبالغة في الايجاب بزيادة التقرير وثبوت المهابة واذا كان الروعة وثقييد الانحياز بكونه في الارض لتوسيع الدائرة أي فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل مهرب من أقطارها أو دخل في أعماقها وقوله تعالى (وليس له من دونه أولياء) بيان لاستحالة نجاة بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجع الاولياء باعتبار معنى من فيكون من بابة مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الاحاد كما أن الجمع في قوله تعالى (أولئك) بذلك الاعتبار أي أولئك الموصوفون

بوصفين (الاول) كونه مصدقا لما بين يديه أي مصدقا لكتب الانبياء والمعنى ان كتب سائر الانبياء كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد والنبوة والمعاد والامر بشطهير الاخلاق فكذلك هذا الكتاب مشتمل على هذه المعاني (الثاني) قوله يهدي الى الحق والى طريق مستقيم واعلم ان الوصف الاول يفيد ان هذا الكتاب يماثل سائر الكتب الالهية في الدعوة الى هذه المطالب العالية الشريفة والوصف الثاني يفيد ان هذه المطالب التي اشتمل القرآن عليها مطالب حقة صدق في أنفسها يعلم كل أحد بصريح عقله كونها كذلك سواء وردت الكتب الالهية قبل ذلك بها أو لم ترد فان قالوا كيف قالوا من بعد موسى قلنا قد نقلنا عن الحسن انه قال انهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس ان الجن ما سمعت امر عيسى فلذلك قالوا من بعد موسى مم ان الجن لما وصفوا القرآن بهذه الصفات الفاضلة قالوا يا قومنا اجيبوا داعي الله واختلفوا في انه هل المراد بداعي الله الرسول أو الواسطة التي تبلغ عنه والا قرب انه هو الرسول لانه هو الذي يطلق عليه هذا الوصف واعلم ان قوله اجيبوا داعي الله فيه مسئلتان (المسئلة الاولى) هذه الآية تدل على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن كما كان مبعوثا الى الانس قال مقاتل ولم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله (المسئلة الثانية) قوله اجيبوا داعي الله امر بالاجابة في كل امر به فيدخل فيه الامر بالايمان الا انه أعاد ذكر الايمان على التعيين لاجل انه أهم الاقسام وأشرفها وقد جرت عادة القرآن بانه يذكر اللفظ العام ثم يعطف عليه أشرف أنواعه كقوله وملائكته وجبريل وقوله واخذنا من النبيين ميثاقهم وبنك ومروحا ولما أمر بالايمان به ذكر فائدة ذلك الايمان وهي قوله يغفر لكم من ذنوبكم وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال بعضهم كلمة من ههنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل بل الفائدة فيه ان كلمة من ههنا ابتداء الغاية فكان المعنى انه يقع ابتداء الغفران بالتوب ثم ينتهي الى غفران ما صدر عنكم من ترك الاولى والاكتسب (المسئلة الثانية) احتافوا في ان الجن هل لهم ثواب أم لا فقبل لاثواب لهم الا لاجابة من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل الجاهنم واحجوا على صحة هذا المذهب بقوله تعالى ويجركم من عذاب اليم وهو قول أبي حنيفة والصحيح انهم في حكم بنى آدم فيستحقون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وهذا القول قول ابن أبي يئلى ومالك وجرت بينه وبين أبي حنيفة في هذا السبب مناظرة قال الضحاك يدخلون الجنة وياكلون ويشربون والدليل على صحة هذا القول ان كل دليل دل على ان البشر يستحقون الثواب على الطاعة فهو بعينه قائم في حق الجن والفرق بين البابين بعد جدا واهل ان ذلك الجنى لما أمر قومهم بالاجابة الرسول والايمان به حذرهم من ترك تلك الاجابة فقال ومن لا يجيب داعي الله فليس بمعجز في الارض أي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق فضاه سابق وتظهيره قوله تعالى واننا نلظنا أن لن نعجز الله في الارض وان نعجزه هربا ولا نجده أيضا وايا

مدم اجابة داعي الله (في ضلال مبين) أي ظاهر كونه ضلالا لا ينجي على أحد حيث أعرضوا عن اجابة من هذا بأنه (أولم يروا) الهمة للانكار والاولاء عطف على مقدر يستدعيه المقام والروية قلبية أي ألم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما نأخذها للشهادة والعيان (أن الله الذي خلق السموات والارض) ابتداء من غير مثال

يخزيه ولا قانون يتعبه (ولم يخلق من) أي لم يتعب ولم ينصب بذلك أصلاً ولم يعجز عنه يقال عيبت الأمر إذا لم يعزف وجهه وقواه تعالى (بقادر) في حيز الرفع لأنه خبر أن كائني عنه قراءة بغيرياء ووجد دخولها في القراءة الأولى اشتمال النبي الوارد في صدر الآية على أن وما في حيزها كأنه قيل أولس الله بقادر (على أن يحيى الموتى) ولذلك أجيب عنه بقوله تعالى (على أنه على كل شيء قدير) تقرر برأه القدرة على وجه عام يكون ﴿٥٢٠﴾ كالبرهان على المقصود (ويوم يعرض

والذين كفروا على النار) الذي خلق السموات والأرض وما بين يديهم بقادر على أن يحيى الموتى بني الله على كل شيء فسر يوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالخلق قايلاً وربنا قال مددوا عذاب بما كنتم تكفرون) وفي الآية مسائل (المسئلة الأولى) أعلم الله تعالى ذكر في أول السورة ما يدل على وجود الإله القادر الحكيم المختار ثم فرغ عاينه فرسين (أول) إبطال قول عبدة الأصنام (والثاني) اثبات النبوة وذكر شبهاتهم في الضعف في النبوة وأجابه عنها ولما كان أكثر أعراض كفار مكة من قبول الدلائل بسبب اختراعهم الدنيا واستغراقهم في استغناء طبيعتها وشهواتها وبسبب أنه كان يشغل عليهم لانتفاء الحمد والاعتراف بقدومه عليهم ضرب لذلك مثلاً وهم قوم غاد فانهم كانوا أكل في منافع الدنيا من قوم محمد فلما أصروا على الكفر أبادهم الله وأهلكهم فكان ذلك نكوة يغالاهم مكة بأصرارهم على انكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ثم لما قرر نبوته على الأنس أردفه بإثبات نبوته في الجن والي ههنا فدم الكلام في التوحيد وفي النبوة ثم ذكر حافيهما تقرير مسألة المعاد ومن تأمل في هذا البيان الذي ذكرناه علم أن المقصود من كل القرآن تقرير التوحيد والنبوة والمعاد وأما القصص فالمراد من ذكرها ما يجري مجرى ضرب الأمثال في تقرير هذه الأصول (المسئلة الثانية) المقصود من هذه الآية إقامة الدلالة على كونه تعالى قادراً على البعث والدليل عليه أنه تعالى أقام الدلائل في أول هذه السورة على أنه هو الذي خلق السموات والأرض ولا شك أن خلقها أعظم وأفخم من إعادة هذا الشخص حياً بعد أن صار ميتاً والقادر على الأقوى لا كمال لا بد وأن يكون قادراً على الأقل الأضعف ثم ختم الآية بقوله أنه على كل شيء قدير والمقصود منه أن تعلم الروح بالجسد أمر ممكن إذ لو لم يكن ممكناً في نفسه لما وقع أولاً والله تعالى قادر على كل الممكنات فوجب كونه قادراً على تلك الإعادة وهذه الدلائل يقينية ظاهرة (المسئلة الثالثة) في قوله تعالى بقادر ادخل الباء على خبران وإنما جاز ذلك لدخول حرف النفي على أن وما يتبعها فيهما فكانه قيل أليس الله بقادر قال لزجاج لو قلت ظننت أن زيدا بقائم جاز ولا يجوز ظننت أن زيدا بقائم والله أعلم (المسئلة الرابعة) يقال عيبت بالأمر إذا لم تعرف وجهه ومنه أفعبنا بالخلق الأول وأعلم أنه تعالى لما أقام الدلالة على صحة القول بالمشي والشر والشرذكر بعض أسوال الكفار فقال ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالخلق قايلاً وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فقوله أليس هذا بالخلق التقدير يقال لهم أليس هذا بالخلق والمقصود التذكير بهم والتوبيخ على استهزائهم بوعده الله ووعيد وقولهم وما نحن بمعذبين ﴿٥٢١﴾ قوله تعالى (فأصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) وأعلم

الذين كفروا على النار) ظ في عالمه دول مضمر مقوله (أليس هذا بالخلق) على أن الإشارة إلى ما يشاهدونه حيث هو من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلائس تذكيره وتأنيده اذ هو الآخر يتهوئله وتغنيجه وقد مر في سورة الاحزاب وقيل هي إلى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعده الله ووعيد وقولهم وما نحن بمعذبين (قالوا بلى وربنا) اكدوا جوابهم بالقسم كأنهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيقتها كما في الدنيا وأنى لهم ذلك (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بها في الدنيا ومعنى الأمر الإهانة بهم والتوبيخ لهم والقاء في قوله تعالى (فأصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) جواب شرط محذوف أي إذا كان عاقبة أمر الكفرة ما ذكر فأصبر

على ما يصيبك من جهتهم كما صبر أولوا العزم من الرسل فالك من جملتهم بل من عليتهم ومن التبين وقيل ﴿٥٢٢﴾ أنه للتبعض والمراد بأولي العزم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقهم ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقيل لهم

الصابرون على بلاء الله
كروح صبر على أذية
قومه كانوا يضربونه
حتى يغشى عليه وإبراهيم
صبر على النار وعلى ذبح
ولده والذبح على الذبح
ومعقوب على فقد الولد
والبصير يوسف على
الجب والسجن وأيوب
على الضر وموسى قال له
قومه أنا لندر كون قال كلا
إن معي ربي سيهدين
وداود بكى على خطيئته
أربعين سنة وعيسى لم
يضع لبنة على لبنة صلوات
الله تعالى وسلامه عليهم
أجمعين (ولا تستعجل
بهم) أي لكفة ركة
بأنعذاب قائم على شرف
الترؤل بهم (كأنهم يوم
يرون ما يوعدون) من
العذاب (لم يشعروا)
الندى (الأسخنة) يسيرة
(من نهار) لما يشهدون
من شدة العذاب وطول
مدته وقوله تعالى (بلاغ)
خبر مبتدأ محذوف أي
هذا الندى وعظمت به
كفاية في الموعظة
أو تبلغ من الرسول

أنه تعالى لما قرر المطالب الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد وأجاب عن الشبهات
أردفه بما يجري مجرى الوعظ والنصيحة لرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لأن الكفار كانوا
يذنبونه ويؤسسون صدره فقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل أي أولو الجند
والصبر والثبات وفي الآية قولان (الأول) أن تكون كلمة من التبعض ويراد بأولو
العزم بعض الأنبياء قيل هم نوح صبر على أذى قومهم وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه
وإبراهيم على النار وذبح الولد واسحق على الذبح ويعقوب على فقدان الولد وذهب
البصير يوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومهم أنا لندر كون
قال كلا إن معي ربي سيهدين وداود بكى على زناه أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة
وقال إنها ميرة فاصبروها ولا تمصروها وقال الله تعالى في آدم ولم نجد له عزاء وفي يونس ولا
تكن كصاحب الحوت (والقول الثاني) أن كل الرسل أولو عزم ولم يمض الله رسولا إلا
كان ذا عزم وحزم ورأى وكال وعقل ولفظة من في قوله من الرسل تبين لاتباعه كما
يقان كسبته من الخزن وكأنه قبل اصبر كما صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم وصفهم
بالعزم لاصبرهم وشباعتهم ثم قال ولا تستعجل لهم ومفعول الاستعجال محذوف والتقدير
لا تستعجل لهم بالعذاب قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم ضجر من قومهم بعض الضجر وأحب
أن يترك الله العذاب عن أبي من قومهم بأمر بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر أن ذلك
العذاب منهم قريب وأنه نازل بهم لا محالة وإن أخر وعند نزول ذلك العذاب بهم
يستقصرون مدتها بهم في الدنيا حتى يحسبونه ساعة من نهار والمعنى أنهم إذا عاينوا
العذاب صار طول لبسهم في الدنيا والبرزخ ~~كما~~ ساعة من النهار أو كما لم يكن أهول
ما عاينوا والاول شيء إذا مضى صار كأنه لم يكن وإن كان طويلا قل الشاعر

كأن شيئا لم يكن إذا مضى * كأن شئ لم يزل إذا أتى

واعلم أنه تم الكلام من قوله تعالى (بلاغ) هذا البلاغ في نصيره قوله تعالى هذا بلاغ
للناس أي هذا الندى وعظمته فيه في أوجعه أو هذا البلاغ من الرسل فهل يهلك
الإنسان الخارج من لا تعظم وأمر بموجبه والله أعلم قال الصنف رحمه الله تعالى تم
تفسير هذه السورة يوم الأربعاء العاشر من ذي الحجة سنة ثلاث وست مائة والحمد لله
رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وآله أصحابه وأزواجه والتابعين لهم بإحسان إلى
يوم الدين

(سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثون وتسع آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الندى كفرة أو صدوا عن سبيل الله أصل أعمالهم) أول هذه السورة مناسب لا آخر
السورة المتقدمة فإن آخرها قوله تعالى فهل يهلك إلا القوم الفاسقون فإن قال قائل
كيف يهلك الفاسق وله أعمال صالحة كاطعام الطعام وصلة الأرحام وغير ذلك مما

ويؤيده أنه قرئ: باغ
 وقرئ: بلاغا أي بلغوا
 بلاغا (فهل يهلك إلا
 التوم الفاسقون) أي
 الخارجون عن الانعاطية
 أو عن الطاعة وقرئ:
 بفتح الياء وكسر اللام
 وبفتحهما من هلك
 وعلاك وبتون العظمة
 من الإهلاك ونصب
 اقوم ووصفه * عن
 النبي صلى الله عليه وسلم
 من قرأ سورة الاحقاف
 كتب له عشر حسنات
 بعدد كل رملة في الدنيا
 * (سورة محمد صلى
 الله عليه وسلم وتسمى
 سورة اقبال وهي مدينية
 وقيل مكية وآياتها تسع
 أو ثمان وثلاثون) *
 * (بسم الله الرحمن
 الرحيم) * الذين
 كفروا وصدوا عن
 سبيل الله أي أعرضوا
 عن الاسلام وسلوك
 طريقه من صد صدوا
 أو منعوا الناس عن ذلك
 من صد صدوا كالأطعمين
 يوم بدر وقبلهم اثنا
 عشر رجلا من اهل
 الشرك

لا يخلو عنه الانسان في ملول عمره فيكون في اهلا كه اهدارعله وقد قال تعالى فمن يعمل
 مثقال ذرة خيرا يره وقال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله افضل أعمالهم أي لم
 يبق لهم عمل ولم يوجد فلم ينتفع الاهلاك سببين كيف ابطال الاعمال مع تحقيق القول
 فيه وتعالى الله عن الظلم وفي التفسير مسائل (المسئلة الاولى) من المراد بقوله الذين
 كفروا قلنا فيه وجوه (الاول) هم الذين كانوا يطعمون الجبلش يوم بدر منهم أبو جهل
 والحارث ابناه شام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم (الثاني) كفار قريش (الثالث) اهل
 الكتاب (الرابع) هو عام يدخل فيه كل كافر (المسئلة الثانية) في الصد ووجهها (أحدهما)
 صدوا أنفسهم معناه انهم صدوا أنفسهم عن السبيل ومنعوا عقولهم من اتباع الدلائل
 (وثانيهما) صدوا غيرهم ومنعواهم كما قال تعالى عن المستضعفين قال الذين استضعفوا
 للذين استكبروا اولاً أنتم لكتابكم مؤمنين وعلى هذا فيه بحث وهو ان اضلال الاعمال
 مرتب على الكفر والصد والمستضعفون هم يصدوا فلا يضل أعمالهم فتقول التخصيص
 بالذكر لا يدل على نفى ما بعده ولا سيما اذا كانت المذكور أولى بالذكر من غيره وههنا الكافر
 الصاد أدخل في الفساد فصار هو أولى بالذكر أو نقول كل من كفر صار صادافيه أما
 المستكبر فظاهر وأما المستضعف فلانه يتابعه أثبت للمستكبر ما ينفه من اتباع الرسول
 فانه بعد ما يكون متبعاً ويشق عليه بيان بصيرتنا بعبارة لان كل من كفر صار صادافيه
 لان عادة الكفار اتباع المنقسم كما قال عنهم انا وجدنا آباءنا على أمة واما على آثارهم
 مهتدون أو مقتدون فان قيل فعلى هذا كل كافر صاد فافيه في ذكر الصد بعد الكفر
 نقول هو من باب ذكر السبب وعطف السبب عليه تقول أكلت كثيراً وشجبت والكفر
 على هذا سبب الصد ثم اذا قلنا بأن المراد منه انهم صدوا أنفسهم ففيه إشارة الى أن ما في
 الانفس من الفطرة كان داعياً الى الايمان والامتناع لما في وهو الصد انفسه (المسئلة
 الثالثة) في المصدود عنه وجوه (الاول) عن الاتفاق على محمد عليه السلام وأصحابه
 (الثاني) عن الجهاد (الثالث) عن الايمان (الرابع) عن كل ما فيه طاعة الله تعالى وهو
 اتباع محمد عليه السلام وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم على الصراط المستقيم هاد
 اليه وهو صراط الله قال تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله فمن منع من
 اتباع محمد عليه السلام فقد صد عن سبيل الله (المسئلة الرابعة) في الاضلال وجوه
 (الاول) المراد منه الاضلال ووجهه هو ان المراد انه اضله بحيث لا يجده فالطلب انما
 يطالبه في الوجود وما لا يوجد في الوجود فهو معدوم فالقول كيف يبطل الله حسنة
 أو جده انقول ان الاضلال على وجوه (أحدها) يوازن بسياهم الحسنات التي صدرت
 منهم ويسقطها بالموازنة ويبقى لهم سيئات محضة لان الكفر يز يد على غير الايمان من
 الحسنات والايمان يترجم على غير الكفر من السيئات (وثانيها) ابطالها فقد شرط
 ثبوتها وإثباتها وهو الايمان لانه شرط قبول العمل قال تعالى من عمل صالحاً من ذكر

أو اتقى به هو مؤمن وإذا لم يقبل الله العمل لا يكون له وجود لأن العمل لا يقبله في نفسه بل هو بعدم عقيب ما يوجد في الحقيقة غير أن الله تعالى يكتب عنده بفضله أن فلانا عمل صالحا وعندي جزاؤه فيبقى حكما وهذا البقاء حكما خيرا من البقاء الذي للأجسام التي هي محل الأعمال حقيقة فإن الأجسام وإن بقيت غير أن ما أتىها إلى الفناء والعمل الصالح من الباقيات عند الله أبدا وإذا ثبت هذا تبين أن الله بالتبطل متفضل وقد أخبرني لأقبل الأمن مؤمن فمن عمل وتعب من غير سبق الإيمان فهو المضيع تعب لا الله تعالى (وثالثها) لم يعمل الكافر عمله لوجه الله تعالى فلم يأت بخير فلا يرد علينا قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ويثابه هو أن العمل لا يتميز إلا بمن له العمل لا بالعمل ولا بتفسي العمل وذلك لأن من قام ليقتل شخصا ولم يتفق قتله ثم قام ليكرمه ولم يتفق الإكرام ولا القتل وأخبره عن نفسه أنه قام في اليوم التالي لقتله وفي اليوم الآخر لاكرامه يتميز القيامان لا بالنظر إلى القيام فانه واحد ولا بالنظر إلى انقائمه فانه حقيقة واحدة وإنما يتميز بما كان لأجله القيام وكذلك من قام وقصد بقيامه إكرام الملك وقام وقصد بقيامه إكرام بعض العوام يتميز أحدهما عن الآخر بمنزلة العمل لكن نسبة الله الكريم إلى الأصنام فوق نسبة الملوك إلى العوام فالعمل للأصنام ليس بخير ثم إن اتفق أن يقصد واحد بعمله وجه الله تعالى ومع ذلك يعبد الاوثان لا يكون عمله خيرا لأن ما أتى به لوجه الله أتى به للأصنام المنحوت فلا تعظيم (الوجه الثاني) الاضلال هو جعله مستمرا كاد حقيقة هو أنه إذا كفر وأتى الاحجار والاشباب بالركوع والسجود فلم يبق لنفسه حرمة وقبله لا يبقى معتبرا بسبب كفره وهذا كمن يخدم عند الحارس والسايس إذا قام فالسلطان لا يعلم قيامه تعظيما لحسته كذلك الكافر وأما المؤمن فيتقدم ما يشكر على غير الله بظهر تعظيمه لله كالمؤمن الذي لا يتأذ لا حدا إذا انتقد في وقت لمالك من الملوك يتبين به عظيمته (الوجد الثالث) أضله أي أهمله وتركه كما يقال أضل بعيره إذا تركه مسيا فاضاع ثم إن الله تعالى لما بين حال الكفار بين حال المؤمنين * فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا مرارا أن الله تعالى كما ذكرنا الإيمان والعمل الصالح رتب عليهما المغفرة والاجر كما قال إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم وقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات أشكروا عنهم سيئاتهم ولنجز عنهم وقلنا بأن المغفرة ثواب الإيمان والاجر على العمل الصالح واستوفينا البحث فيه في سورة العنكبوت فنقول ههنا جزاء ذلك قوله كفر عنهم سيئاتهم إشارة إلى ما يشب على الإنسان وقوله وأصلح بأنهم إشارة إلى ما يشب على العمل الصالح (المسئلة الثانية) قالت المعتزلة تكفير السيئات مرتب على الإيمان والعمل الصالح فمن آمن ولم يعمل الصالحات بقي في العذاب خالدا فنقول لو كان كما ذكرتم لكان الاضلال مرتبا على الكفر والمصدق يكفر لا ينبغي أن تفضل أعماله أو نقول قد ذكرنا أن

كانوا يصدون الناس من الاسلام ويأمرهم بالكفر وقيل أهل الكتاب الذين كفر واوعدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل في الاسلام وقبل هو عام في كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أي أبطلها وأحبطها وجعلها ضائعة لا أثر لها أصلا لكن لا يعني أنه أبطلها وأحبطها بعد أن لم تكن كذلك بل يعني أنه حكم بطلانها وضياها فان ما كانوا يعملون من أعمال الخير كصلة الأرحام وقرى الاضياف وفك الأسارى وغيرها من المكارم ليس لها أثر من أصلها لعدم مقارنتها بالإيمان أو بطل ما عملوه من التكيد رسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله واطهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سيأتي من قوله تعالى فنعصاهم وأضل أعمالهم وقوله تعالى فاذا قيمتم

الحق والذين آمنوا وعملوا الصالحات (فيلهم ناس من فريش فيقول من لا نصار وويل لهم مؤمنو أهل الكتاب وقيل عام لكل) وآمنوا بربهم على محمد (خص بالذكرا لايمن بذلك مع اندراجهم فيما قبله تنويعا بآشأه وتنبيهها على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الايمان به وأنه الاصل في الكل ولذلك اكد بقوله تعالى (وهو الحق من ربهم) بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيقته بكونه ناسا غائبا منسوخا فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل وأيا ما كان فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير الحق وقرئ نزل على البناء الفاعل وأنزل على البناء بن وزل بالتخفيف (كفر عنهم سيئاتهم) أي سترها بالايمن والعمل الصالح (واصلح بهم) أي حالهم في الدين والدنيا بالتأييد

الله تعالى رب أمرين على أمرين فمن آمن كفر سيئاته ومن عمل صالحا صلح بالله وانقول أي مؤمن يتصور أنه غير آت بالصالحات بحيث لا يصدر عنه صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا طعام وعلى هذا قوله وعملوا (المسئلة ذلك) قوله وآمنوا نزل على محمد مع أن الله آمنوا وعملوا الصالحات أفاد هذا المأمي في الحكمة فيه وليف وجهه في كل ما وجد في حياته من وجوه (الاول) قوله والذين آمنوا أي بالله - رسوله وأوم الأخر وقوله وآمنوا بما نزل أي بجميع الأشياء الواردة في كلام الله - وبالله نعمم عبارة أورخصا - وهو حسن تقول خلق الله السموات والأرض وكل شيء أما على معنى وكل شيء غير ما ذكرنا وما على العموم بعد ذكر الخصوص (الثاني) أن يكون للمؤمن آمنوا وآمنوا من قبل بما نزل على محمد وهو الحق المعجز الفارق بين الكاذب والصادق يعني آت أولا بالبعين وأتة نوابان القرآن لا يأتي به غيره فآمنوا وعملوا الصالحات وأما للجمع المطلق ويجوز أن يكون المتأخر ذكر امتدما - هو ما وهذا كقول أناس آمن به وكان الايمان به واجبا أو يكون ياما لا يمانهم كأنهم آمنوا وآمنوا بما نزل على محمد أي آمنوا وآمنوا بالحق كما يقول القائل خرجت وخبرجت مصيبا أي كان خروجه جيدا حيث نجوت من كذا وربحت كذا فكذلك لما قال آمنوا بين أن ايمانهم كان بما أمر الله وأنزل الله لا بما كان باطلا من عند غير الله (الثالث) ما قاله أهل المعرفة وهو أن العلم والعمل والعلم فالعلم يحصل ليميل به لما جاء اذا عمل العلم العمل الصالح علم ما لم يكن يعلم فيعلم الانسان مثلا قدرة الله بالدليل وعلمه وامره فيحمله الامر على الفعل ويحمله عليه علمه فعلمه بحاله وقدرته على ثوابه وعقابه فاذا اتى بالعمل الصالح علم من انواع مقدورات الله ومعلومات الله تعالى ما لم يعلمه احد الا باطلاع الله عليه وبكشفه ذلك له فيؤمن وهذا هو المعنى في قوله هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فاذا آمن المكلف بمحمد بالبرهان وبالمعجزة وعمل صالح حمله علمه على ان يؤمن بكل ما قاله محمد ولم يجد في نفسه شك ولا مؤمن في المرتبة الاولى احوال وفي المرتبة الاخيرة احوال أمان في الايمان بالله في الاول يجعل الله معبودا وقديرة صدغيره في حوائج فيطلب الرزق من زيد وعمره ويجعل امر اسببا لامر وفي الاخيرة يجعل الله مقصودا ولا يقصد غيره ولا يرى الامنه سره وجهه فلا يذب الى شيء في شيء فهذا هو الايمان الآخر بالله وذلك الايمان الاول واماما في النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اولاهو صادق فيما ينطق ويقول آخره لا نطق له الا بالله ولا كلام يسمع منه الا وهو من الله فهو في الاول يقول بالصدق ووقوعه منته وفي الثاني يقول بعدم امكان الكذب منه لان حاكم كلام الغير لا ينسب اليه الكذب ولا يمكن الا في نفس الحكاية وقد علم هو انه حاك عنه كما قاله وما في المرتبة الاولى فيجعل الحشر مستقبلا والحياة العاجلة حالا وفي المرتبة الاخيرة يجعل الحشر حالا والحياة الدنيا ماضيا فيقسم حياة نفسه

وانتو في (ذلك) اشارة
الى ما من من اصابه ال
الاعمال وكثير السببات
واصلاح البول وهو
ابتداء خبره قوله الى
(أن السبب كذا) والتبعوا
الباطل وأن الذين آمنوا
اتبوا الحق من ربهم
أي ذلك كأن سبب
أن الاولين اتبعوا
الشیطان كما قاله مجاهد
ففعوا ما فعلوا من الكفر
والصدق في بيان سببية
اتباعه فلا ضلال المذكور
متضمن لبيان سببية حاله
لكونه أصلاً مستتباً
لهما قطعاً وبسبب
أن الآخرين اتبعوا
الحق الذي لا يحيد عنه
كأننا من ربهم ففعوا
ما فعلوا من الإيمان به
وبكتابه ومن الأعمال
الصالحة في بيان سببية
اتباعه لما ذكر من اشكاف
والاصلاح بعد الاشعار
بسببية الإيمان والعمل
الصالح له متضمن لبيان
سببية حاله لكونه مبدأ
ومشألاً لهما احتمالاً
الاولى الى السبب ما ذكر
فلا تدافع بين الاشعار
والتصريح في شيء

في كل لحظه ويجعل انبعاثها عدم ما لا يفت إليها ولا يقبل إليها (السبب الخامسة) قوله
وآمنوا بما نزل على محمد هو في مقابلة قوله في حق الكافر وصدوا الانا بيننا في وجه ان المراد
بهم صدوا عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهذا حدث على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
فهم صدوا أنفسهم عن سبيل الله وهو محمد عليه السلام وما أنزل عليه وهو لا حذر
أنفسهم على اتباع سبيله لاجرم حصل لهؤلاء ما حصل لاولئك وأضل الله حسنة
اولئك وستر على سببات هؤلاء (السبب الخامسة) قوله تعالى وهو الخ من ربهم
يمكن أن يكون من ربهم وصفاً فارقاً كما يقال رأيت رجلاً من تعداد قومهم وصفاً للرجل
فارقاً بينه وبين من يكون من الموصل وغيره نقول لا لأن كل ما كان من الله فهو الحق
فليس هذا هو الحق من ربهم بل قوله من ربهم خبر به خبر كأنه قال وهو الحق وهو من
ربهم أو أن كان وصفاً فارقاً فهو على معنى انه الحق انما نزل من ربهم لأن الحق قد يكون
مشاهداً فان كون الشمس مضيئة حق وهو ليس ناراً من رب بل هو علم عاصم بذات يق
بسم الله تعالى له ثم قال تعالى (كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) أي سترها وفيه اشارة ان
بشار ما كانت تحصل بقوله أعدها ومحامها لأن محو الشيء لا يثبت عن إثبات أمر آخر مكانه
وأما استرفيئي عنه وذلك لأن من يريد استئوب بال أو وسخ لا يستر بشئ وانما يستر بثوب
تفيس نظيف ولا سيما الملك الجواد اذا ستر على عبده من عيبه ثوبه البالي أمره باحضار ثوب
من الجنس العالي لا يحصل الا بالثمن العالي فليس هذا هو الستر بينه وبين المحبوب بين
وكذلك المغفرة فان المغفرة والتكفير من باب واحد في المعنى وهذا هو المذكور في قوله
تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله وأصلح بالهم اشارة الى ما ذكرنا من انه
يبدلها حسنة فان قيل كيف تبدل السيئة حسنة نقول معناه انه يحجز به بعد سيئاته
ما يجري المحسن على احسانه فان قال الاشكال باق وبادوما زال بل زاد فان الله تعالى لو
أثاب على السيئة كما يشيب عن الحسنه لكان ذلك حثاً على السيئة نقول ما قلنا انه يشيب
على السيئة وانما قلنا انه يشيب بعد السيئة بما يشيب على الحسنه وذلك حيث يأتي المؤمن
بسيئته ثم يتوبه ويندم ويقف بين يدي ربه معترفاً بذنبه مستحقراً لنفسه فيصير أقرب الى
الرحمة من الذي لم يذنب ودخل على ربه مقتحراً في نفسه فصار الذنب شرطاً للندم والثواب
ليس على السيئة وانما هو على الندم وكان الله تعالى قال عبدي أذنب ورجع الى ففعله
سبي لكن ظنه في حسن حيث لم يجد ملجأ غيري فانكلى على فضلي والظن عمل القلب
والفعل عمل البدن واعتبار عمل القلب أولى ألا ترى ان التأمم والغمى عليه لا يفت الى
عمل بدنه والمفلوج الذي لا خير كماله يعتبر فصيلاً في البدن والروح والبدن راكب دابة ركض
فرسه بين يدي ملك يدفع عنه العدو بسيفه وسنانه رماحاً في الحرب والملك راكب دابة ركض
استنائه فهل يافت الى فعل الدابة مع فعل الفارس بل لو كان راكباً فارغاً وانقرس
بؤذى بالنويس يخاطب الفارس به فكذلك الروح راكب والبدن من كوابل كانت

الروح مشغولة بعبادة الله وذكره وبصدر من البدن شيء لا يلتفت اليه بل يستحسن منه ذلك ويزاد في تربية الفرس الراسخ ويهجر الفرس الوافق وان كان غير مشغول فهو مؤاخذ بأفعال البدن * ثم قال تعالى (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) أي ذلك الاضلال والابطال بسبب اتباعهم الباطل وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في الباطل وجوه (الاول) ما لا يجوز وجوده وذلك لانهم اتبعوا الها غير الله والغير الله محال الوجود وهو الباطل وغاية الباطل لان الباطل هو المعدوم يقال بطل كذا أي عدم والمعدوم الذي لا يجوز وجوده ولا يمكن أن يوجد ولا يجوز أن يصبح مقام وجود فهو في غاية البطلان فبلى هذا فالخلق هو الذي لا يمكن عدمه وهو الله تعالى وذلك لان الحق هو الموجود يقال تحقق الامر أي وجد وثبت والموجود الذي لا يجوز عدمه هو في غاية الثبوت (الثاني) الباطل الشيطان بدليل قوله تعالى لا تملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين فبين ان الشيطان متبوع وأتباعه هم الكفار والفجار وعلى هذا فالخلق هو الله لانه تعالى جعل في مقابلة حزب الشيطان حزب الله (الثالث) الباطل هو قول كبرائهم ودين آبائهم كما قال تعالى عنهم اننا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون ومقتدون فعلى هذا الحق ما قاله النبي عليه السلام عن الله (الرابع) الباطل كل ما سوى الله تعالى لان الباطل والهاالك بمعنى واحد وكل شيء هالك الا وجهه وعلى هذا فالخلق هو الله تعالى أيضا (المسئلة الثانية) اوقال قائل من ربهم لا يلائم الاوجهها واحدا من أربعة أوجه وهو قولنا المراد من الحق هو ما أنزل الله وما قال النبي عليه السلام من الله فأما على قولنا الحق هو الله فكيف يصح قوله اتبعوا الحق من ربهم نقول على هذا من ربهم لا يكون متعلقا بالحق وانما يكون تعلقه بقوله تعالى اتبعوا أي اتبعوا أمر ربهم أي من فضل الله أو هدايته ربهم اتبعوا الحق وهو الله سبحانه (المسئلة الثالثة) اذا كان الباطل هو المعدوم الذي لا يجوز وجوده فكيف يمكن اتباعه نقول لما كانوا يقولون انما يضلون الأصنام وهي آلهة وهي تؤجرهم بذلك كانوا متبعين في زعمهم ولا متبعين هناك (المسئلة الرابعة) قال في حق المؤمنين اتبعوا الحق من ربهم وقال في حق الكفار اتبعوا الباطل من آلهتهم أو شيطان نقول أما آلهتهم فلا تهم لا كلام لهم ولا عقل وحيث ينطقهم الله ينكرون فعلمهم كما قال تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم وقال تعالى وكانوا يعبدونهم كافرين والله تعالى رضى بفعلهم وثبتهم عليه ويحتمل أن يقال قوله من ربهم عائدا الى الامرين جميعا أي من ربهم اتبعوا الله لا اله الا الله وهو لا الحق أي من حكمهم ربهم ومن عند ربهم * ثم قال تعالى (كذلك يضرب الله للناس ما يشاء) وفيه أيضا مسائل (المسئلة الاولى) أي مثل ضرب به الله تعالى حتى يقول كذلك يضرب الله للناس أمثالهم نقول فيه وجهان (أحدهما) اضلال أعمال الكفار وتكفير سيئات الأبرار (الثاني) كون الكفار متبعين للباطل وكون المؤمنين متبعين للحق ويحتمل وجهين آخرين

من الموضعين ويجوز أن يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذي لا أصل له أصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال أعمالهم وابطالها البيان أن ابطالها لبطولان مبناها وزواله وأما حله على ما لا ينفع به فليس كما ينبغي لما أن الكفر والصد أفحش من الصد فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر من اضلال أعمالهم بطريق النص بعد الاشعار بسببيته حاله فتدبر ويجوز أن يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالخلق نفس الايمان والأعمال الصالحة فيكون التخصيص على سببتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح فصرح بما بالسببية المشعر بها في الموقعين (كذلك) أي مثل ذلك الضرب البديع (يضرب الله) أي يبين (لنفس) أمثالهم أي أحوال الغريقتين وأوصافهما الجارية في الغرابة

(أحدهما) على قولنا من ربه أي من عند ربههم اتبع هو الباطل وهو لا الحق نقول
 هذا مثل يضرب عليه جميع الامثال فان الكل من عند الله الاضلال وغيره والاتباع
 وغيره (وثانيهما) هو ان الله تعالى لما بين ان الكافر بضل الله عمله والمؤمن يكفر الله سيئاته
 وكان بين الكفر والايان مبانة ظاهرة فانها بضدان بل بسبب كذا أي ليس
 الاضلال والتكفير بسبب المضادة والاختلاف بل بسبب اتباع الحق والباطل وانما علم
 السبب فالضلال قد يتحدان صورة وحقيقة وأحدهما يورث البطلان الاعمال والآخر
 يورث تكفير السيئات بسبب ان أحدهما يكون فيه اتباع الحق والآخر اتباع الباطل
 فان من يؤمن ظاهرا وقلبه مملوء من الكفر ومن يؤمن بقلبه وقلبه مملوء من الايمان اتحد
 فعلاهما في الظاهر وهما مختلفان بسبب اتباع الحق واتباع الباطل لا بدع من ذلك فان
 من يؤمن ظاهرا وهو يسر الكفر ومن يكفر ظاهرا بالاكراه وقلبه مطمئن بالايمان
 اختلف الفعلان في الظاهر والامثال الاعمال لمن أظهر الايمان بسبب ان اتباع الباطل من
 جانبه فكأنه تعالى قال الكفر والايان مثلان يثبت فيهما حكمان وعلم سيده وهو اتباع
 الحق والباطل فكذلك اعلموا ان كل شيء اتبع فيه الحق كان مقبولا مشابها عليه وكل أمر
 اتبع فيه الباطل كان مردودا معاقبا عليه فصار هذا عاما في الامثال على اننا نقول قوله
 كذلك لا يستدعي ان يكون هناك مثل مضروب بل معناه انه تعالى لما بين حال الكافر
 واضلال أعماله وحال المؤمن وتكفير سيئاته وبين السبب فيهما كان ذلك غاية فيوضح
 فقال كذلك أي مثل هذا البيان يضرب الله للناس أمثالهم وبينناهم أحوالهم (المسئلة
 الثانية) الضمير في قوله أمثالهم عائد الى من فيه وجهان (أحدهم) الى الناس كافة قال
 تعالى يضرب الله للناس أمثالهم على أنفسهم (وثانيهما) الى الفريقين السابقين في الذكر
 معناه يضرب الله للناس أمثال الفريقين السابقين ثم قال تعالى (فاذا قيمتم الذين كفروا
 فضرب الرقاب حتى اذا اختموهم) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) المقام في قوله فاذا
 قيمتم يستدعي متعلقات متعلق به ومرتب عليه فواجه التعاقب بما قبله تقول هو من وجوه
 (الاول) لما بين ان الذين كفروا أضل الله أعمالهم واعتبار الانسان بالعمل ومن لم يكن له
 عمل فهو وهمج فان صار مع ذلك يوفى حسن اعدامه فاذا قيمتم بعد ظهور ان لاهرمه
 لهم و بعد ابطال أعمالهم فاضربوا عنقهم (الثاني) اذا تبين ثبائن الفريقين وتباعد
 الطريقين وان أحدهما يتبع الباطل وهو حزب الشيعة والآخر يتبع الحق وهو حزب
 الرحمن حق القال عند الحرب فاذا قيمتم فافتلوهم (الثالث) ان من الناس من يقول
 لضعف قلبه وقصور نظره ايلام الحيوان من الظلم والطغيان ولا سيما قتل الذي هو
 تخريب ببيان فيقال ردا عليهم لما كان اعتبار الاعمال بالاتباع الحق والباطل فمن يقتل في
 سبيل الله العظيم أمر الله لهم من الاجر ما لم يصلي والصائم فاذا قيمتم الذين كفروا فافتلوهم
 ولا تأخذكم بهما رأفة فان ذلك اتباع الحق والاعتبار به لا بصورة الفعل (المسئلة الثانية)

يجري الامثال وهي
 اتباع الاولين الباطل
 وخيبتهم وخسرانهم
 واتباع الآخرين
 الحق وفوزهم وفلاحهم
 والنساء في قوله تعالى
 (فاذا قيمتم الذين كفروا)
 تقرب ما في خبرها من
 الامر على ما قبلها فان
 ضلال أعمال الكفرة
 وخيبتهم وصلاح أحوال
 المؤمنين وفلاحهم مما
 يوجب أن يرتب على كل
 من الجانبين ما يليق به
 من الاحكام أي فاذا
 كان الامر كما ذكر فاذا
 اقيمتوهم في المحاربة
 (فضرب الرقاب) أصله
 فاضربوا الرقاب ضربا
 فعذفي الفعل وقد م
 المصدر وأتبع منابه
 مضافا الى المفعول
 وفيه اختصار وتأكيده
 بالغ والتعبير به عن القتل
 تصوير له بأشتم صورة
 وترويل لامره وارشاده
 للفرقة الى أيسر ما يكون

فضرب منصوب على المصدر أى فاضر بواضرب الرقاب (المسئلة الثالثة) ما الحكمة في اختيار ضرب الرقبة على غيرها من الاعضاء تقول فيه للمبين أن المؤمن ليس يدافع انما هو دافع وذلك ان من يدفع الصائل لا ينبغي ان يقصد أولام قتله بل يتدرج ويضرب على غير المقتل فان اندفع فذاك ولا يرتقى الى درجة الاهلاك فقال تعالى ليس المقصود الا دفعهم عن وجه الارض واطهير الارض منهم وكف لا والارض لكم مسجد والمشركون نجس والمسجد يطهر عن النجاسة فاذا ينبغي أن يكون قصدكم أولا إلى قتلهم بخلاف دفع الصائل والرقبة أظهر المقاتل لان قطع الخنوق والادراج مستلزم للموت لكن في الحرب لا يهياً ذلك والرقبة ظاهرة في الحرب ففي ضرب بها حنق العنق وهو مستلزم للموت بخلاف سائر المواضع ولا سيما في الحرب وفي قوله لقيتم ما ينبغي عن مخالفتهم الصائل لان قوتهم يدل على ان القصد من جانبهم بخلاف قولنا لقيكم ولذلك قال في غير هذا الموضع فاذا لوهم حيث نفقتوهم (المسئلة الرابعة) قال ههنا ضرب الرقاب باظهار المصدر وترك الفعل وقال في الانفال فاضر بواضرب الرقاب باظهار المصدر وترك الفعل فائدة تقول نعم وتبينها بتقديم مقدمة وهي ان المقصود أولا في بعض السور قد يكون صدور الفعل من فاعل يتبعه المصدر ضمنا اذ لا يمكن ان يفعل فاعل اذ يقع منه المصدر في الوجود وقد يكون المقصود أولا المصدر ولكنه لا يوجد الامن فاعل فيجب عليه ان يفعل مثله من قال اني خلقت أن اخرج من المدينة فيقال له فاخرج صار المقصود منه صدور الفعل منه والخروج في نفسه غير مقصود الانتفاء ولو أمكن أن يخرج من غير تحقق الخروج منه لما كان عليه الا أن يخرج لكن من ضرورات الخروج ان يخرج فاذا قال قاتل مضائق بي المكان بسبب الانتفاء فيقال له مثلا الخروج يعني الخروج فاخرج من الخروج والمطلوب حتى لو أمكن الخروج من غير فاعل لم يحصل الفضا لكنه محقق فيه الفعل اذا عرفت هذا فتقول في الانفصال الحكاية عن الحرب المكان وهم كانوا فيم او ان لا تكة أترأوا العصرة من حضر في صف القتال فصدور اسم منه مطلوب وههنا الامر وارد وليس في وقت القتال دليل قوله تعالى فاذا قيتهم وانهم صديق يكون المصدر مظلوما تقدم الامور على الفعل قال فضرب الرقاب وفيما ذكرنا تبين فائدة أخرى وهي ان الله تعالى قال هناك واضرب بواضربهم كل ينان وذلك لان الوقت وقت قتال فأرشدكم الى قتل وغيره ان لم يصيبوا المقتل وههنا ليس وقت القتال فبين ان المقصود القتل وغرض المسلم ذلك (المسئلة الخامسة) حتى لبيان غاية الامر لا بيان غاية القتل أى حتى اذا اختلفتوهم لا يبقى الامر بالقتل ويبقى الجواز ولو كان لبيان القتل لما جاز القتل واقتل جاز اذا التحى المتحن بالشيخ الهرم والمراد كما اذا قطعت يده ورجلاه فنهى عن قتله * ثم قال تعالى (فشذوا الوثاق) أمر ارشاده ثم قال تعالى (فاما ما بعد والامان) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اما انما المحصر وحالهم بعد الاسر غير منحصر

منه (حتى اذا اختلفتوهم) أى اكثرتهم قتلهم واغظلتهم من الشئ الثخين وهو الغليظ أو أثقلتهم بالقتل والجراح حتى أذهبت عنهم اتهوس (فشذوا الوثاق) فأسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك (فاما ما بعد) أى فاما تكون من بعد ذلك أو تفدون فداء والمعنى الخبير بين القتل والاسترقاق وان فداء وهذا ثابت عند السامعي رحمه الله تعالى وحديثنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ بحكم اما القتل أو الاسترقاق ومن مجاهد ليس اليوم من لا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق

وقرى فدا كعسا (حتى تضع الحرب) ﴿ ٥٢٩ ﴾ (أوزارها) أوزار الحرب ألتها وأتقالها التي لا تقوم إلا بها

في الأمرين بل يجوز القتل والاسترقاق والنز والتبذير فتقول هذا ارشاد فذكر الأمر العام الجائز في سائر الاجناس والاسترقاق فخرجوا في أسر العرب قال النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم فلم يذكر الاسترقاق وأما القتل فلان الظاهر في المنعن الا زمان ولان القتل ذكره بقوله فضرب الرقاب فلم يبق الا الامران (المسئلة الثانية) منا وفداء منصوص بان لكونها مصدرين تقديره فامتنون منا واما فتدون فداء وتديم المن على الفداء اشارة الى ترجيح حرمة النفس على طلب المال والفداء يجوز أن يكون مالا وأن يكون غيره من الاسرى أو شرطاً بشرط عليهم أو عليه وحده (المسئلة الثالثة) اذا قدرنا الفعل وهو تمنين أو فتدون على تقدير المشعول حتى تقول امانتون عليهم منا أو فتدونهم فداء فتقول لا لان المقصود المن والفداء لا عليهم وبهم كما يقول التامل فلان يعطى وينع ولا يقال يعطى زيد او ينع عرا لان غرضه ذكر كونه فاعلا لا بيان المفعول وكذلك معناه المنصوص ارشاد المؤمنين الى الفضل ثم قال تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) وفي تعلق حتى وجهان (أحدهما) تعلقها بالقتل أقتلوهم حتى تضع (وثانيهما) بالمن والفداء ويحتمل أن يقال متعلقة بشدوا الوثاق وتعلقها بالقتل أظهر وان كان ذكره أبعد وفي الأوزار وجهان (أحدهما) السلاح (والثاني) الأثام وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ان كان المراد الائتم فكيف تضع الحرب الائتم والائتم على المحارب وكذلك السؤال في السلاح لكنه على الاول اشد توجهها فنقول تضع الحرب الأوزار لا من نفسها بل تضع الأوزار التي على المحاربين والسلاح الذي عليهم (المسئلة الثانية) هل هذا كقوله تعالى واسئل القرية حتى يكون كأنه قال حتى تضع أمة الحرب أو فرقة الحرب أوزارها تقول ذلك محتمل في النظر الاول لكن اذا أمعنت في المعنى تجد بينهما فرقا وذلك لان المنصوص من قوله حتى تضع الحرب أوزارها انقراض الحرب بأنكوبة بحيث لا يبقى في الدنيا حرب من أحزاب الكفر بحارب حزبا من احزاب الاسلام ولو قلنا حتى تضع أمة الحرب جاز أن يضعوا الأسلحة ويتركوا الحرب وهي باقية بمدتها كما تقول خسومتي ما انفصلت ولكني تركتها في هذه الايام واذا أسندنا الوضع الى الحرب يكون معناه ان الحرب لم يبق (المسئلة الثالثة) لو قال حتى لا يبقى حرب أو ينقرض الحرب هل يحصل معنى قوله حتى تضع الحرب أوزارها فنقول لا ولا تشاوت بين العبارتين مع قطع النظر عن النصب بل النظر الى نفس المعنى كالنشاوت بين قولك انقرضت دولة بني أمية وقولك لم يبق من دولتهم أثر ولا شك ان الثاني ابلغ فكذلك ههنا قوله تعالى أوزارها معناه آثارها فان أوزار الحرب آثارها (المسئلة الرابعة) وقت وضع اوزار الحرب متى هو فعول فيه افعال حاصلة راجع الى أن ذلك الوقت هو الوقت الذي لا يبقى فيه حزب من احزاب الاسلام وحرب من احزاب الكفر وقبل ذلك عند قتال الدجال ونزول عيسى عليه السلام ثم قال تعالى (ذات ماو يشاء الله لا تنصر منهم) في معنى ذلك وجهان (أحدهما) امر ذلك وليست بمختلفة ويحتمل ان يقال ذلك واجب او مقدم

من السلاح والكراع
وأشد وضعها اليها
وحملهاها اسنادا
بمازيا وحتى غاية عند
الشاذي لاحد الامور
الاربعة أو المجموع
والعنى أنهم لا يزالون على
ذلك أبدا الى أن لا يكون
مع المشركين حرب بأن
لا تبقى لهم شوكة وقبل
بأن يقتل عيسى عليه
السلام وأما عند أبي
حنيفة رحمه الله تعالى
فان حل الحرب على حرب
بدر فهمي غاية لمن
والفداء او المعنى عن عليهم
و يفادون حتى تضع
حرب بدر أوزارها وان
حلت على الجنس فهمي
غاية للضرب والشد
والعنى أنهم يقتلون
ويؤثرون حتى يضع
جنس الحرب أوزارها
بأن لا يبقى للمشركين
شوكة وقبل أوزارها
آثارها أى حتى يترك
المشركون شركهم
ومعنا صيغهم بأن أسلموا
(ذلك) أى الأمر ذلك
أو أفعال ذلك (ولو يشاء
الله لا تنصر منهم)
لا تنص منهم به من
أسباب الهدى ٦٧ (ولكن) لم يشأ ذلك (ليلوبضكه

فيه بنى) ظاهر كم بالقتال ويلاكم بالكافرين لتجاهدوهم ﴿٥٣٠﴾ فتنسحبوا الثواب العظيم بموجب الوعد

كايقول القائل ان فعلت فذاك اى فذاك مقصود ومطلوب ثم بين ان قتالهم ليس طريقا
متعينا بل الله لو اراد اهلكهم من غير جند قواه تعالى (ولكن لياو بعضكم ببعض) اى
ولكن ليكلفكم به فيحصل لكم شرف باختياره اياكم لهذا الامر فان قيل ما الحقيقة في قولنا
التكليف ابتلاء وامتحان والله يعلم السر وأخفى وماذا يفهم من قوله ولكن لياو بعضكم
ببعض نقول فيه وجوه (الاول) المراد منه يفعل ذلك فعل المبشرين اى كاي فعل المبشئ
المختبر ومنها ان الله تعالى يباو ليظهر الامر لغيره اما للثلاثة واما للناس والتحقيق هو ان
الابتلاء والامتحان والاختبار فعل يظهر بسببه امر غير متعين عند العقلاء بالنظر اليه
فصدنا الى ظهوره وقولنا فعل يظهر بسببه امر ظاهر الدخول في مفهوم الابتلاء لان
مالا يظهر بشبهه شئ أصلا لا يسمى ابتلاء وأما قولنا امر غير متعين عند العقلاء وذلك لان
من يضرب بسيفه على القنا والخيار لا يقال انه يتحقق لان الامر الذى يظهر منه متعين
وهو القطع والقدر بضمين فاذا ضرب بسيفه سباعا يقال يتحقق سيفه لان الامر فيه غير متعين
وقد يقدر وقد لا يقدر وأما قولنا لا يظهر منه ذلك فلان من يضرب سباعا بسيفه ليدفعه عن
نفسه لا يقال انه يتحقق لان ضربه ليس لظهور امر متعين اذا علم هذا فنقول الله تعالى اذا
امرنا بفعل يظهر بسببه امر غير متعين وهو اما الطاعة أو المعصية في القول بظهور ذلك
يكون متحكما وان كان عالما به لكون عدم العلم مقارنا فينا لا ابتلاءنا فاذا ابتلينا وعدم العلم
فينا مستمر أمرنا وليس من ضرورات الابتلاء فان قيل الابتلاء فائدة حصول العلم عند
المبتلى فاذا كان الله تعالى عالما فائدة فيه نقول ليس هذا سواء لا يختص بالابتلاء فان
قول القائل ان ابتلى كقول القائل لم عاقب الكافر وهو مستغن ولم خلق النار معرفة وهو
قادر على ان يخلفها بحيث تنفع ولا تنضر (وجوابه) لا يستل عايقف ونقول حيثما قاله
المتقدمون انه لظهور الامر المتعين لانه بعد هذا فنقول المبتلى لا حاجة له الى الامر الذى
يظهر من الابتلاء فان المتحقق السيف فيما ذكرنا من الصورة لا حاجة له الى قطع ما يجرب
السيف فيه حتى انه لو كان محتاجا كاضر بنا من مثال دفع السبع بالسيف لا يقال انه
يتحقق وقوله لياو بعضكم ببعض اشارة الى عدم الحاجة تقرير القوله تعالى ذلك ولو يشاء
الله لاتنصر منكم ﴿٥٣١﴾ ثم قال تعالى (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يصلح عملهم) اقرى قتلوا
وقتلوا والكل مناسب لما تقدم امامن قرأ قتلوا فلانه لما قال فاضرب الرقاب ومعناه
فاقتلواهم بين ما للقائل بقوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يصلح عملهم ردا على من زعم
ان القتل فساد محرم اذ هو قضاء من هو مكره فقال عملهم ليس كحسنة الكافر بل هو
فوق حسنات الكافر أضل الله أعمال الكفار ولن يصل انقائين فكيف يكون القتل
سنة وامامن قرأ قاتلوا فهو كثر فائدة وأعم تناولا لانه يدخل فيه من سعى في القتل سواء
قتل أولم يقتل وامامن قرأ والذين قتلوا على البناء للمعول فنقول هي مناسبة لما تقدم من
وجوه (أحدها) هو انه تعالى لما قال فاضرب الرقاب أى اقتلوا والقتل لا يتأتى الا بالاقدام

والكافرين بكم ليعاجلهم
على أيديكم ببعض
عذابهم كي يرتدع بعضهم
عن الكفر (والذين
قتلوا في سبيل الله) أى
استشهدوا وقرى قاتلوا
أى جاهدوا وقتلوا
وقتلوا (فلن يصل
أعمالهم) أى فلن
يضيعها وقرى يضل
أعمالهم على البناء
للمعول ويضل أعمالهم
من ضلوع عن قيادة انها
تزلت في يوم أحد
(سجدتهم) في الدنيا
الى أرشد الامور وفي
الآخرة الى الثواب
أو سببت هدايتهم
(ويصلح بهم ويدخلهم
الجنة عرفها لهم) في
الدنيا يذكر أو صافها
بحيث اشتاقوا اليها
أو ينهالهم بحيث يعلم
كل أحد منزلته ويهتدى
اليه كأنه كان ساكنه
من خلق وعن مقاتل ان
الملك الموكل بعمله في
الدنيا يعيش بين يديه
فيعرفه كل شئ أعطاه
الله تعالى أو طيبها لهم
لن يعرف وهو طيب
أرائحة أو حدها لهم
وأقرضا من عرف الدار فجنة كل منهم

محددة مفرزة والجملة امام استأنفة أحوال ﴿ ٥٣١ ﴾ باضمار قد أو بدونه (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله)

وخوف ان يقتل المقدم يمنعه من الاقدام فقال لا تخافوا قتل فان من يقتل في سبيل الله له من الاجر والثواب ما لا يمتنع المقاتل من القتال بل يحثه عليه (وثانيها) هو انه تعالى لما قال ليبلو بعضكم ببعض والمبتلى بان شيء له عيب كل وجه من وجوه امثال الظاهر بالابتلاء حال من الاحوال فان السيف المعتمد على تقدير ان يقطع وتنقص على تفسير أن لا يقطع فحال المبتلى ان قتله ان لا يضل عمله ويهدى ويكرم ويدخل الجنة واما ان قتل فلا يخفى أمره عاجلا وآجلا وترك يانه على تقدير كونه قاتلا اصفهويه وبين حاله على تقدير كونه مقتولا (وثالثها) هو انه تعالى لما قال ليبلوكم ولا يبتلى الذي النفس بما يخاف منه هلاكه فان السيف المهند العضب الكبير القيمة لا يجرب بان شيء الصلب الذي يخاف عليه منه الانكسار ولكن الاذى مكرم كرمه الله وشرفه وعظمه فلماذا ابتلاء بالقتال وهو يفضي الى القتل والهلاك افضاء غير نادر فكيف يحسن هذا الابتلاء فنقول القتل ليس باهلاك بالنسبة الى المؤمن فانه يورث الحياة الابدية فاذا ابتلاء بالقتل فهو على تقدير أن يقتل مكرم وعلى تقدير ان لا يقتل مكرم هذا ان قاتل وان لم يقاتل فالمرتبة لا بد منه وقد فوت على نفسه الاجر الكبير واما قوله تعالى فلن يضل اعمالهم قد علم معنى الاضلال ببقى الفرق بين العبارتين في حق الكافر والضال قال أضل وقال في حق المؤمن الداعي ان يضل لان المقاتل داع الى الايمان لان قوله حتى تضع الحرب أوزارها قد ذكر أن معناه حتى لم يبق اثم بسبب حرب وذلك حيث يسلم الكافر فالقاتل يقول امان تسلم واما ان تقتل فهو داع والكافر صداد وبينهما تبان وتضاد فقال في حق الكافر أضل بصيغة الماضي ولم يقل يضل اشارة الى ان عمله حيث وجد عدمه وكأنه لم يوجد من أصله وقال في حق المؤمن فلن يضل ولم يقل ما أضل اشارة الى ان عمله كلما ثبت عليه أثبت له فلن يضل للتأييد وينها غاية الخلاف كما أن بين الداعي والصاد غاية التبان والتضاد فان قيل ما معنى الفاء في قوله فلن يضل جوابه لان في قوله تعالى والذين قتلوا معنى الشرط وقوله تعالى (سيهديهم) ان قري قتلوا أو قاتلوا فالهداية محمولة على الآجلة والعاجلة وان قري قتلوا فهو في الآخرة سيهديهم طر بقى الجنة من غير وقعة من قبورهم الى موضع قبورهم وقوله (و يصلح بالهم) قد تقدم تفسيره في قوله تعالى أصحح بالهم والماضي والمستقبل راجع الى ان هناك وعدهم ما وعدهم بسبب الايمان والعمل الصالح وذلك كان واقعا منهم فاخبر عن الجزاء بصيغة تدل على الوقوع وههنا وعدهم بسبب القتال والقتل فكان في اللفظ ما يدل على الاستقبال لان قوله تعالى فاذا قيمتم يدل على الاستقبال فقال و يصلح بالهم ثم قال تعالى (و يدخلهم الجنة) وكان الله تعالى عند حشرهم يهديهم الى طريق الجنة وليسهم في الطريق خلع الكرامة وهو اصلح البال ويدخلهم الجنة فهو على ترتيب الوقوع واما قوله (عرفها لهم) ففيه وجوه (أحدها) هو ان كل أحد يعرف منزله وماواه حتى ان أهل الجنة يكونون أعرف بمنزلهم فيها من أهل الجمعة ينتشرون

دينه ورسوله (ينصرون) على أعدائهم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) في مواضع الحرب ومواقفها أو على حجة الاسلام (والذين كفروا فتعسوا لهم) اتعس انهلاك والعار والسقوط والشر والبعد والاختطاط ورجل تاعس وتعس واتعس به ففعله الواجب حذفه سماعا أي فقال تعسوا لهم أو ففرضي تعسا لهم وقوله تعالى (وأضل أعمالهم) عطف عليه داخل معه في خبر الخبرية للموصول (ذلك) أي ما ذكر من التعس واضلال الاعمال (بأنهم) بسبب أنهم (كروهوا ما أنزل الله) من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة لما ألغوه واشتهتوا أنفسهم الامارة بالسوء (فأحبط) لاجل ذلك (أعمالهم) التي لو كانوا عملوها مع الايمان لا يبدوا عليها (أفلم يسبوا في الارض) أي أقعدوا في أماكنهم فلم يسبوا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين

استضاف مبنى على
سؤال نشأ من الكلام
كانه قيل كيف كان
عاقبتهم قبل استأصل
الله تعالى عليهم
ما اختص بهم من
أنفسهم وأهلبيهم
وأموالهم يقال دمره
أهلكه ودمر هاه
أهلك عليه ما يختص به
(وللكافرين) أى
ولهؤلاء الكافرين
الساثرين بسيرتهم
(أمثالها) أمثال
صواقبهم أو عقوباتهم
لكن لا على أن هؤلاء
أمثال ما لا أولئك
وأضعافه بل مثله وانما
جمع باعتبار مماثلته
لغواقب متعددة حسب
تعدد الامم المعصية
وقيل يجوز ان يكون
عذابهم أشد من عذاب
الاولين وقد قتلوا
وأسروا بأيدي من
كانوا يستخفونهم
ويستضعفونهم والقتل
يبد المثل أشد ألمان
الهلاك بسبب عام
وقيل المراد بالكافرين
المتقدمون بطريق
وضع الظاهر موضع

في الارض كل أحد يأوى الى منزله ومهم من قال الملك الموتى بأعماله يهديه (الوجه
الثاني) عرفها لهم أى طيها يقال طعم طعم معرف (الوجه الثالث) فان ان تخشى يحتمل
أن يقال عرفها لهم حدودها من عرف الدار وأرفها أى حدودها وتحديدها في قوله
وجنة عرضها السموات والارض ويحتمل أن يقال المراد هو قوله تعالى وتلك الجنة
التي أورثوها مشيرا اليها عرفها لهم بانها هى تلك وفيه وجه آخر وهو أن يقال معناه عرفها
لهم قبل القتل فان الشهيد قبل وفاته تعرض عليه منزله في الجنة فيشتاق اليه (ووجه
ثان) معناه يدخلهم الجنة ولا حاجة الى وصفها فانه تعالى عرفها لهم مرارا ووصفها
(ووجه ثالث) وهو من باب تعريف الضال فان الله تعالى لما قال ان الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فكانه تعالى قال من يأخذ الجنة ويطلبها بماله أو بنفسه
فالذى قتل سمع التعريف وبذل ما طالب منه عليها فادخلها ثم انه تعالى لما بين ما على القتال
من الثواب والاجر وعدهم بالنصر في الدنيا زيادة في الحث ليرتداد منهم الاقدام فقال
(يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وفي نصر الله تعالى وجوه
(الاول) ان تنصروا الله وطريقه (والثاني) ان تنصروا حزب الله وفريقه (والثالث)
المراد نصره الله حقيقة فنقول النصر تحقيق مطلوب أحد المتعاضدين عند الاجتهاد
را الاخذ في تحقيق علامته فالشيطان عدو الله يجتهد في تحقيق الكفر وغلبة أهل الايمان
والله يطلب مع الكفر وأهلك أهله وافناء من اختار الاشرار بجهله فن حقق نصره الله
حيث حقق مطلوبه لا تقول حقق مراده فان مراده الله لا يتحققه غيره ومطلوبه عند أهل
السنة ينبر مراده فانه طلب الايمان من الكافر ولم يرده والا لوقع ثم قال ينصركم فان قيل
فعلام قلت اذا نصر المؤمنين الله تعالى فقد حقق ما طلبه فكيف يحقق ما طلبه العبد وهو
شيء واحد فنقول المؤمن ينصر الله بخروجه الى القتال واقدامه والله ينصره بتقويته
وتثبيت اقدمه وارسال الملائكة الحافظين له من خلفه وقدامه ثم قال تعالى (والذين
كفروا فاعمالهم) هذا زيادة في تقوية قلوبهم لانه تعالى لما قال ويثبت أقدامكم جاز أن
يتوهم أن الكافر أيضا يصبر ويثبت للقتال فيدوم القتال والحرب والطعان والضرب
وفيه المشقة لعظيمة فقال تعالى لكم اشبات وانهم الزوال والتغير والهلاك فلا يكون اثبات
وسبب مظاهر لان آلهتهم جادات لا قدرة لها ولا ثبات عندهم له قدرة فهي غير صالحة لدفع
ما قدره الله تعالى عليهم من الدمار وعند هذا لا بد من زوال القدم والشار وقال في حق
المؤمنين ويثبت بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شيء وقال في حقهم بصيغة الدعاء
وهي أبلغ من صيغة الاخبار من الله لان عشا بهم واجب لان عدم النصر من آلهتهم
واجب الوقوع اذ لا قدرة لها والتثبت من الله ليس بواجب الوقوع لانه قادر مختار يفعل
ما يشاء وقوله (واضل اعمالهم) اشارة الى بيان مخافة موتاهم لقتلى المسلمين حيث قال في
حق قتلاهم فلن يضل اعمالهم وقال في موتى الكافرين اضل اعمالهم ثم بين الله تعالى سبب

الضمير كأنه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة أمثالها (ذلك) اشارة الى ثبوت أمثال ما اختلفوا
حقوبة الامم السالفة لهؤلاء (بأن الله مولى الذين آمنوا)

أى نامهم على أعدائهم وفري * ٥٣٣ * ولذالذ (وأن الكافرين لامولى لهم) فيدفع عنهم ما حل بهم

ما لفسد فقال (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) فيه وجوه (الاول)
المال القرآ وهو حبه هو ان كيفية العمل الصالح لا تعلم بالعقل واعتادك بالشرع والشرع
بالله آت فذا أعرضوا لم يعرفوا العمل الصالح وكيفية الاتيان به فأتوا بالباطل فأحبط أعمالهم
(الثاني) كرهوا ما أنزل الله من بيان التوحيد كما قال الله تعالى عنهم أثنائنا وكوآلمتنا
وقال تعالى أجعل الآلهة إلها واحدا الى ان قال ان هذا الاختلاف وقال تعالى واذا
ذكر عه وحدهما شأرت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ووجهه ان الشرك يحبط للعمل قال
الله تعالى انن أشركت ليحبطن عملك وكيف لا والعمل من الشرك لا يقع اوجه الله فلا يبقاء
له في نفسه ولا يبقاه له بقاء من له العمل لان كل ما سوى وجه الله تعالى هالك محبط (الثالث)
كرهوا ما أنزل الله من بيان أمر الآخرة فلم يعملوا إلها والدينا وما فيها وما آلهها باطل فأحبط
الله أعمالهم * وقوله (افل يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم)
ففيه اسبة للوجه الثالث يعنى فينظروا الى حالهم ويعلموا ان الدنيا قانية * وقوله (دمر
الله لميهم) أى أهلك عليهم متاع الدنيا من الأموال والاولاد والارواح والاجساد * قوله
تعالى (وللكافرين أمثالها) يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون المراد لهم أمثالها في
الدنيا وحيث نذير يكون المراد من الكافرين هم الكافرون بمحمد عليه الصلاة والسلام
(وثانيهما) أن يكون المراد لهم أمثالها في الآخرة فيكون المراد من تقدم كأنه يقول
دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة أمثالها في العائد اليه ضمير المؤنث في قوله أمثالها
وجهان (أحدهما) هو المذكور وهو العاقبة (وثانيهما) هو المفهوم وهو العقوبة لان
التدمير كان عقوبة لهم فان قيل على قولنا المراد الكافرين بمحمد عليه السلام أمثال
ما كان لمن تقدمهم من العاقبة يرد سؤال وهو ان الاولين أهلكوا بوقائع شديدة كالزالزل
والنيران وغيرهما من الرياح والظوفان ولا كذلك قوم محمد صلى الله عليه وسلم نقول جاز
أن يكون عذابهم أشد من عذاب الاولين لكون دين محمد أظهر بسبب تقدم الانبياء عليهم
السلام عليه واخبارهم عنه وانذارهم به على انهم قتلوا واسروا بأيدي من كانوا
يستخفونهم ويستضعفونهم واقتل بيد المثل ألم من الهلاك بسبب عام (وسؤال آخر) اذا
كان الضمير عائدا الى العاقبة فكيف يكون لها أمثال قلنا يجوز أن يقال المراد العذاب
الذى هو مدلول العاقبة أو الألم الذى كانت العاقبة عليه * ثم قال تعالى (ذلك بأن الله مولى
الذين آمنوا وان الكافرين لامولى لهم) ذلك يحتمل أن يكون اشارة الى النصر وهو
اختار جماعة ذكره الواحدى ويحتمل وجه آخر أعرب من حيث الثقل واغرب من حيث
العقل وهو انما يبين ان قوله تعالى وللکافرين أمثالها اشارة الى ان قوم محمد عليه الصلاة
والسلام أهلكوا بأيدي أمثالهم الذين كانوا الايرضون بمجساتهم وهو ألم من الهلاك
بالسبب العام قال تعالى ذلك أى الاهلاك والهوان بسبب ان الله تعالى ناصر المؤمنين
والکافرون اتخذوا آلهة لاتنفع ولا تضر وتروكوا الله فلاناصر لهم ولا شك ان من ينصره

من العقوبة والعداب
ولا يخاف هذا قوله
تعالى ثم ردوا الى الله
مولاهم الحق فان المولى
هناك يعنى المالك (ان
الله يدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات
جنتنا تجري من تحتها
الانهار) بيان لحكم
ولا يشك تعالى لهم وثمرتها
الآخرة (والذين
كفروا يتعذبون) أى
يتعذبون في الدنيا بما بها
(وبأكلون كما تأكل
الانعام) غافلين عن
عواقبهم (والنار مشوى
لهم) أى مغل ثواء
واقامة والجلج اما حال
مقدرة من واوبأكلون
أو استثنائي (وكأين)
كلمة مركبة من الكاف
واى يعنى كم الخبرية
ومحلها الرفع بالابتداء
وقوله تعالى (من قرية)
تميزها وقوله تعالى
(هى أشد قوة من
قريتك) صفة قرية
كما أن قوله تعالى (التي
أخرجك) صفة
أقريتك وقد حذف
عنهما المضاف وأجرى
أحكامه عليهما كما

يفصح عنه الخبر الذى هو قوله تعالى (أهلكناهم) أى وكن أهل قرية

هم أشد قوة من أهل فرقك الذين كانوا سيدي الخروجك من بينهم ﴿ ٥٣٤ ﴾ ووصف القرية الأولى بشدة القوة

للايذان بأولوية الثانية
منها بالاهلال للضعف
قوتها كإذن وصف
الثانية بإخراجها عليه
الصلاة والسلام
للايذان بأولويتها به
قوة جثائها وعلى
طريقه قول النافذة
* كليب لعمري كان أكثر
ناصرًا * وأيسر جرما
منك ضرج بالدم * وقوله
تعالى (فلان ناصر لهم)
بيان لعدم خلاصهم
من العذاب بواسطة
الاعوان والانصار اثر
بيان عدم خلاصهم
منه بأنفسهم والفناء
لترتيب ذكر ما بالغير على
ذكر ما بالذات وهو
تحكاية حال ماضية (أفن)
كان على ينة من ربه)
تفرير لتباين حال فرقي
المؤمنين والكافرين
وكون الاولين في أعلى
عليين والآخرين في
أسفل سافلين وبيان
لعل ما لكل منهما من
الحال والهمزة للانكار
والفناء للعطف على
مقدر يقتضيه المقام
وقد فرى بدونها ومن
عبارة عن المؤمنين
المتسكين بأدلة الدين

الله تعالى بقدر على القتل والاسروان كان له أنف ناصر فضلا عن أن يكون لناصر لهم
فان قيل كيف الجمع بين قوله تعالى لا مولى لهم وبين قوله مولا لهم الحق نقول المولى ورد
بمعنى السيد والرب والناصر فحيث قال لا مولى لهم أراد لناصر لهم وحيث قال مولا لهم
الحق أى ربهم وما نكفهم كما قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم وقال ربكم ورب آبائكم
الاولين وفي الكلام تباين عظيم بين انكروا المؤمن لان المؤمن من نصرة الله وهو خير
الناصرين والكافر لا مولى له بصيغة نافية للجنس فليس له ناصر وانه شر الناصرين * ثم قال
تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين
كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم) لما بين الله تعالى حال
المؤمنين والكافرين في الدنيا بين حالهم في الآخرة قال انه يدخل المؤمن الجنة والكافر
النار وفيه مسائل (المسئلة الاولى) كثيرا ما يقتصر الله على ذكر الانهار في وصف الجنة
لان الانهار يتبعها الاشجار والاشجار تتبعها الثمار ولانه سبب حياة العالم والناظر سبب
الاعدام والمؤمنين الماء ينظر اليه ويدفع به والكافر النار يتقلب فيها ويتضرر بها
(المسئلة الثانية) ذكرنا مرارا ان من في قوله من تحتها الانهار يحتمل أن يكون صلة معناه
تجري تحتها الانهار ويحتمل أن يكون المراد ان ماءها منها لا يجري اليها من موضع آخر
فيقال هذا النهر منبعه من أين يقال من عين كذا من تحت جبل كذا (المسئلة الثالثة)
قال والذين كفروا يتمتعون خصهم بالذكر مع ان المؤمن أيضا له التمتع بالدنيا وطيباتها نقول
من يكون له ملك عظيم ويملك شيئا يسيرا أيضا لا يذكر الا بالملك العظيم لا يقال في حق الملك
العظيم صاحب الضيعة القلانية ومن لا يملك الاشياء يسيرا فلا يذكر الا به فالؤمن من له ملك
الجنة فناع الدنيا لا يلتفت اليه في حقه والكافر ليس له الا الدنيا ووجه آخر الدنيا للمؤمن
سجين كيف كان ومن يأكل في السجن لا يقال انه يتمتع فان قيل كيف تكون الدنيا سجنا
مع ما فيها من الطيبات نقول للمؤمن في الآخرة طيبات معدة واخوان مكرمون نسبتها
ونسبتهم الى الدنيا ومن فيها تبين بمثل وهو ان من يكون له بستان فيه من كل الثمرات الطيبة
في غاية اللذة وأنهار جارية في غاية الصفاء ودور وغرف في غاية الرفعة وأولاده فيها وهو قد
غاب عنهم سنين ثم توجه اليهم فيها فلما قرب منهم عوق في أجرة فيها من بعض الثمار
العفصة والماء الكدرة وفيها سباع وحشرات كثيرة فهل يكون حاله فيها كحال مسجون
في بئر مظلمة وفي بيت خراب أم لا وهل يجوز أن يقال له اترك ما هو لك وتعلل بهذه الثمار وهذه
الانهار أم لا كذلك حال المؤمن وأما الكافر فحال كحال من يقدم الى القتل فيصير عليه
أباما في مثل تلك الاجرة التي ذكرناها يكون في جنة ونسبة الدنيا الى الجنة والنار دون
ما ذكرنا من المنال لكنه ينبي ذال البال عن حقيقة الحال وقوله كما تأكل الانعام يحتمل
وجوها (أحدها) ان الانعام يهجمها الاكل لا غير الكافر كذلك والمؤمن يأكل ليعمل
صالحا ويقوى عليه (وثانيها) الانعام لا تستدل بالمأكول على خالقها والكافر كذلك

وجعلها عبارة عن النبي عليه الصلاة والسلام أو عنه وعن المؤمنين لا يساعد النظم المكرم ﴿ وناشها ﴾
على ان الموازنة بينه عليه الصلاة

والسلام وبينهم مما يابأه منصبه الجليل ﴿ ٥٣٥ ﴾ والتقدير أليس الأمر كما ذكر فن كان مستترا على جهة ظاهرة

(وثالثها) الانعام تعلق للنعم وهي غافلة عن الأمر لا تعلم أنها كلما كانت أسمن كانت أقرب إلى الذبح والهلاك وكذلك الكافر ويناسب ذلك قوله تعالى والنار مثوى لهم (المسئلة الرابعة) قال في حق المؤمن إن الله يدخل بصيغة الوعد وقال في حق الكافر والنار مثوى لهم بصيغة تنبي عن الاستحقاق لما ذكرنا أن الاحسان لا يستدعي أن يكون عن استحقاق فالحسن إلى من لم يوجد منه ما يوجب الاحسان كريم والمعذب من غير استحقاق ظالم * قوله تعالى (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم) لما ضرب الله تعالى لهم مثلا بقوله أفلم يسيروا في الأرض ولم ينفعهم مع ما تقدم من الدلائل ضرب للنبى عليه السلام مثالا تسلية له فقال وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم وكانوا أشد من أهل مكة كذلك نفعل بهم فاصبر كما صبر رسلهم وقوله فلا ناصر لهم قال الزنخشري كيف قوله فلا ناصر لهم مع أن الاهلاك ماض وقوله فلا ناصر لهم المحال والاستعجال والجواب أنه محمول على الحكاية والحكاية كالحال الحاضر ويحتمل أن يقال أهلكناهم في الدنيا فلا ناصر لهم ينصرهم ويختصهم من العذاب الذي هم فيه ويحتمل أن يقال قوله فلا ناصر لهم عائد إلى أهل قرية محمد عليه السلام كأنه قال أهلكنا من تقدم أهل قريتك ولا ناصر لأهل قريتك ينصرهم ويختصهم مما جرى على الأولين * ثم قال تعالى (أفمن كان على بينة من ربه كن زينا له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) اعلم أن هذا إشارة إلى الفرق بين النبي عليه السلام والكفار لعلم أن اهلاك الكفار ونصرة النبي عليه السلام في الدنيا محقق وإن الحال يناسب تعذيب الكافر وإتباع المؤمن وقوله على بينة فرق فارق وقوله من ربه مكمل له وذلك أن البينة إذا كانت نظرية تكون كافية للفرق بين المتمسك بها وبين القائل قول لا دليل عليه فإذا كانت البينة منزلة من الله تعالى تكون أقوى وأظهر فتكون أعلى وأبهر ويحتمل أن يقال قوله من ربه ليس المراد إزالتها منه بل المراد كونها من الرب بمعنى قوله يهدي من يشاء وقولنا الهداية من الله وكذلك قوله تعالى كن زينا له سوء عمله فرق فارق وقوله واتبعوا أهواءهم تكملة وذلك أن من زين له سوء عمله وراجت الشبهة عليه في مقابلة من يبين له البرهان وقبله لكن من راجت الشبهة عليه فديتفكر في الأمر ويرجع إلى الحق فيكون أقرب إلى من هو على البرهان وفديتبع هواه ولا يتدبر في البرهان ولا يتفكر في البيان فيكون في غاية البعد فاذن حصل النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمن مع الكافر في طرفي التضاد وغاية التباعد حتى مدهم بالبينة والكافر له الشبهة وهو مع الله وأولئك مع الهوى وعلى قولنا من ربه معناه الاضافة إلى الله كقولنا الهداية من الله فقوله اتبعوا أهواءهم مع ذلك القول يفيد معنى قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقوله كن زينا له سوء عمله بصيغة التوحيد محمول على لفظة من وقوله واتبعوا أهواءهم محمول على معناه فإنها الجمع والعموم وذلك لأن التزيين للكل على حد واحد فحمل على

وبرهان نير من مالك
أمره وممره وهو القرآن
الكريم وسائر المعجزات
والجمع العقلية (كن زينا
له سوء عمله) من الشرك
وسائر المعاصي مع كونه
في نفسه أفصح الثبائح
(واتبعوا) بسبب ذلك
التزيين (أهواءهم)
الزائفة والتكوا في فنون
الضلالات من غير أن
يكون لهم شبهة فوهم
صحة ما هم عليه فضلا
عن جهة تلبس عليه وجمع
الضميرين الأخيرين
باعتبار معنى من كما أن
أفراد الأولين باعتبار
لفظها (مثل الجنة التي
وعدها المتقون) استئناف
مستوفى شرح محاسن
الجنة الموصودة آنفا
للمؤمنين وبيان كيفية
أنهارها التي أشير إلى
جريانها من تحتها وتدير
عنهم بالمتقين أي أنابا أن
الآيمان والعمل الصالح
من باب التقوى الذي
هو عبارة عن فعل
الواجبات بأسرها
وترك السببات عن
آخرها ومثلها وصفها
العجيب الشأن وهو

مبتدأ محذوف الخبر قد دره النضر بن شبيل مثل الجنة ما تسمون وقوله تعالى (فيها أنهار)

الح مفسره وقد سببه فيما تلي عليكم مثل الجنة والاول هو ٥٣٦ ك الانسب لصدور النظم المذكور وقيل

المثل زائدة كزيادة الاسم
في قول من قال * الى
الحول ثم اسم السلام
عليكما * والجنة مبتدأ
خبره فيها أنهار الخ
(من ماء غير آسن) أي
غير متغير الطعم والرائحة
وقرى غير آسن (وأنهار
من لبن لم يتغير طعمه)
بأن صار قارصا ولا زرا
كالبان الدنيا (وأنهار
من خمر زائدة للشار بين)
لذبة ليس فيها كراهة
طعم وريح ولا غائلة سكر
ولا خمار وإنما هي تلذذ
محض ولذة أمانا ثبت لذ
بمعنى اللذذ أو مصدر
نعت به مبالغة وقرى
لذة بالرفع على أنها صفة
أنهار و بالتصويب على
العلة أي لاجل لذة
الشار بين (وأنهار من
عسل مصفى) لا يشخالطه
الشحم وفضلات التحل
وغيرها وفي هذا تمثيل
لما تجرى مجرى الاشربة
في الجنة بأنواع ما يستطاب
منها ويستند في الدنيا
بالخلة عما يتفصصها
و بتفصصها والتخية
بما يوجب غزارتها
ودوامها

اي فقط يفر به منه في الحس والذكر وعند اتباع الهوى كل أحد يتبع هوى نفسه فظهر
التعدد فحمل على المعنى * قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون) لما بين الفرق بين
الفرقتين في الاهتداء والضلال بين الفرق بينهما في مربيهما وما للماء كما قدم * على
البيئة في الذكر على من اتبع هواه قدم حاله في ما آله على حال من هو بخلاف حاله وفي
التفسير مسائل (المسئلة الاولى) قوله تعالى مثل الجنة يستدعي أمرا يمثل به فها هو نقول
فيه وجوه (الاول) قول سيويو به حيث قال المثل هو الوصف معناه وصف الجنة وذلك
لا يقتضي مثالا به وعلى هذا فقيه احتمالان (أحدهما) ان يكون الخبر محذوفًا ويكون مثل
الجنة مبتدأ تديره فيما قصصناه مثل الجنة ثم يستأنف ويقول فيها أنهار وكذلك القول
في سورة الرعد يكون قوله تعالى تجري من تحتها الأنهار ابتداء بيان (والاحتمال الثاني)
ان يكون فيها أنهار وقوله تجري من تحتها خبر كما يقال صف لي زيدا فيقول القائل زيد أحمر
قصير والقول الثاني ان المثل زيادة والتقدير الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار (الوجه
الثاني) ههنا المثل به محذوف غير مذكور وهو يحتمل قولين (أحدهما) قول الزجاج
حيث قال مثل الجنة جنة تجري فيها أنهار كما يقال مثل زيد رجل طويل أسمر فيذكر عين
صفات زيد في رجل منكر لا يكون هو في الحقيقة إلا زيدا (الثاني) من القولين هو أن يقال
معناه مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب أو شيء عظيم أو مثل ذلك وعلى هذا يكون قوله
فيها أنهار كلاما مستأنفا محققا لقوله تعالى مثل عجيب (الوجه الثالث) المثل به مذكور وهو
قول الزمخشري حيث قال كن هو خالدي النار شبه به على طريقة الإنكار وحينئذ فهذا
كقول القائل حر كات زيد أو أخلاقه كعمرو على أحد التأويلين إما على تأويل حر كات
عمرو أو على تأويل زيد في حر كاته كعمرو وكذلك ههنا كانه تعالى قال مثل الجنة كن هو
الغنى النار وهذا أقصى ما يمكن ان يقرر به قول الزمخشري وعلى هذا فقوله تعالى فيها
أنهار وما بعد ما جعل اعتراضية وقعت بين المبتدأ والخبر كما يقال نظير زيد فيه مرقوق وعند
علم وله أصل عمرو * ثم قال تعالى (فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه
وأنهار من خمر زائدة للشار بين وأنهار من عسل مصفى) اختار الأنهار من الاجناس اذ رتبة
وذلك لان المشروب اما ان يشرب اطعمه واما ان يشرب لأمر غير عائد الى الطعم وان كان
للطعم فالطعم تسعة المر والمالح والحريف والحامض والعفص والقابض والنفث والخلو
والدسم أندها الخلو والدسم لكن احلى الاشياء العسل فذكر واما ادسم الاشياء فانه من
لكن الدسومة اذا تمحضت لا تطيب الا كل ولا للشرب فان الدهن لا يؤكل ولا يشرب كما هو
في الغالب وأما اللبن فبه الدسم البكائن في غيره وهو طيب الا كل و به تغذية الحيوان أولا
فذكره الله تعالى واما ما يشرب لالامر عائد الى الطعم فالله والخمر فالخمر فيها أمر يشربها
الشارب لاجله وهي كريمة الطعم باتفاق من يشربها وحصول التواتر به ثم عرى كل واحد
من الاشياء الاربع عن صفات انقص التي هي فيها وتتغير بها في الدنيا فالله تتغير بقول آسن

(ولهم فيها) مع ما ذكر من فنون الانهار ﴿٥٧٧﴾ (من كل الثمرات) اي صنف من كل الثمرات (ومغفرة) أى ولهم

الماء بأسن على وزن آمن بامن فهو آمن وأسن اللبن اذا بقي زمانا لم يغير طعمه والخمر يكرهه
 الشارب عند الشرب والعسل يشوبه اجزاء من الشمع ومن التحل يموت فيه كثيرا ثم ان
 الله تعالى خلط الجنسين فذكر الماء الذي يشرب لالا طعم وهو عام الشرب وقرن به اللبن
 الذي يشرب لطعمه وهو عام الشرب اذ ما من أحد الا وكان شربه اللبن ثم ذكر الخمر الذي
 يشرب لالا طعم وهو قليل الشرب وقرن به العسل الذي يشرب للطعم وهو قليل الشرب
 فان قيل العسل لا يشرب نقول شراب الجلاب لم يكن الامن العسل والسكر قريب الزمان
 الا ترى ان السكجيين من سرکه وانكبين وهو الخل والعسل بالفارسية كما أن استخراج
 كان أولا من الخل والعسل ولم يعرف السكر الا في زمان متأخر ولان العسل اسم يطلق
 على خير عسل التحل حتى يقال عسل التحل للتميز والله أعلم (المسئلة الثانية) قال في الخمر اذ
 للشاربين ولم يقل في اللبن لم يغير طعمه لاطما عين ولا قال في العسل مصفى للناظرين لان
 اللذة تختلف باختلاف الاشخاص فرب طعام يلذبه شخص ويعافه الآخر فقال اذ
 للشاربين بأسرهم ولان الخمر كريمة الطعم فقال اذ أى لا يكون في خمر الآخرة كراهة
 الطعم وأما العظم واللون فلا يختلفان باختلاف الناس فان الخلو والحامض وغيرهما
 يدركه كل أحد كذلك لكنه قد يعافه بعض الناس ويلذبه البعض مع اتفاقهم على ان له
 طعما واحدا وكذلك اللون فلم يكن الى الصريح بالعميم حاجة وقوله لذة تحتل وجهين
 (أحدهما) ان يكون ثابتا لذي الطعم اذ هو لذيذ وطعمه لذة ولذية (وثانيهما) أن يكون
 ذلك وصفا بنفس المعنى لا بالمشق منه كما قدر للجسم هو حليم كله والله اقل عقل كله ثم قال
 تعالى ﴿ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم﴾ بعد ذكر المشروب أشار الى الماء كقول
 ولما كان في الجنة الاكل للذات لا للجمادى ذكر ثم فاذهاؤ كل لذة بخلاف الخبز واللحم وهذا
 كقوله تعالى في سورة الرعد من الجنة اتى بعد الفنون تجري من تحتها الانهار اكلها دائم
 وظلها حيث أشار الى الماء كقول والشراب وهو من البقية وهي انه تعالى قال فيها وظلها
 ولم يقل فيها ذلك نزل قال ههنا مغفرة واظن قد معنى السر والمغفرة كذلك ولان
 المغفور تحت نظر من رحمة الغافر يقال نحن تحت ظل الامير وظلها هو رحمة الله ومغفرته
 حيث لا يسعهم حر ولا برد (المسئلة الثالثة) التي لا يدخر الجنة الا بعد المغفرة فكيف
 يكون لهم فيها مغفرة فنقول (الجواب) عند من وجهين (الاول) ليس بلازم أن يكون
 المعنى لهم مغفرة من ربهم فيها بل يكون عطف على قوله لهم كانه نمار قال لهم الثمرات
 فيها ولهم المغفرة قبل دخولها (والثاني) هو ان يكون المعنى لهم فيها مغفرة أى رفع
 التكليف عنهم فإياكلون من غير حساب بخلاف الدنيا فان الثمار فيها عليها حساب
 أو عقاب ووجه آخر وهو ان الأكل في الدنيا لا يخلو عن استئجاز فيبيع أو مكروه كرجس
 أو حاجة الى تبرز فقال لهم فيها من كل الثمرات ومغفرة لا فيبيع على الأكل بل هو مستور
 القبايح مغفور وهذا استفدته من المعاني في بلادنا فانهم يعودون الصبيان بان يقولوا

مغفرة عظيمة لا يقادر
 قدرها وقوله تعالى
 (من ربهم) متعلق
 بمحذوف هو صفة لمغفرة
 مؤكدة لما أفاده التذكير
 من الغفامة الثانية
 بالغفامة الاضافية
 أى كائنه من ربهم وقوله
 تعالى (كن هو خالدي
 النار) خبر مبتدأ محذوف
 تقديره أمن هو خالدي
 هذه الجنة حسبما جرى
 به الوعد كن هو خالدي
 في النار كما نطق به قوله
 تعالى والنار شوى لهم
 وقبل هو خير لثل الجنة
 عسى أن في الكلام
 حذف تقديره أمثل الجنة
 كمثل جزاء من هو
 خالدي النار أو مثل
 أهل الجنة كمن من
 هو خالدي النار فمرى
 عن حرف الاذكار
 وحذف ما حذف تصويرا
 لمكارة من يسون بين
 المكارة بالبينة وبين
 التابع الموعى بمكارة
 من سوى بين الجنة
 الموصوفة بمافصل من
 الصفات الجليلة وبين
 النار (وسقوا ماء حميا)
 مكان تلك الاشربة

(قطع أمعاءهم) من فرط الحرارة قيل اذا دنا منهم

شوى وجوههم وانما رة فرة رؤسهم فاذا شربوه ﴿ ٥٣٨ ﴾ قطع امعاءهم (ومنهم من يستمع اليك)

الناقضون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كأن جمعه فيما سبأى باعتبار معناه كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يرونه ولا يراعونه حق رعايته نهاونامهم (حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم) من الصحابة رضى الله عنهم (ماذا قال انما) أى ما الذى قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وانما من قواهم أنف الشئ لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشئ واثنف وهو ظرف بمعنى وقاموا تنفأ وحال من الضمير فى قال وقرئ أنما (أولئك) الموصوفون بما ذكر (الذين طبع الله على قلوبهم) اسد توجههم نحو الخير أصلا (واتبعوا أهواءهم) الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خيرة فيه (والذين اهتموا) الى طريق الحق (زادهم)

وقت حاجتهم الى اراقة البول وغيره ياملم غفر الله لك فيقهم العلم انهم يطلبون الاذن فى الخروج لقضاء الحاجة فيأذن لهم فقلت فى نفسى معناه هو ان الله تعالى فى الجنة صفر لمن أكل وأما فى الدنيا فلان الاكل توابع واوازم لا بد منها فيقهم من قولهم حاجتهم ثم قال تعالى (كن هو خالدى النار وسقوا ماء حميا فقطع امعاءهم) وفيه ايضا مسائل (المسئلة الاولى) على قول من قال مثل الجنة معناه وصف الجنة فقوله كن هو بماذا يتعلق نقول قوله لهم فيم امن كل الثمرات يتضمن كونهم فيها فكانه قال هو فيها كن هو خالدى النار فالشبه يكون مجذوما مدولا عليه بما سبق ويحتمل أن يقال ما قيل فى تقرير قول الزمخشري ان المراد هذه الجنة التى مثلها ما ذكرنا كقسام من هو خالدى النار (المسئلة الثانية) قال الزجاج قوله تعالى كن هو خالدى النار راجع الى ما تقدم كأنه تعالى قال أفن كان على بينة من ربه كن زينا له سوء عمله هو خالدى النار فهل هو صحيح أم لا نقول لئلا نظر الى اللفظ فيمكن تصحيحه بتعسف ونظر الى المعنى لا يصح الابان بعود الى ما ذكرناه اما التصحيح فمخوف كن فى المرة الثانية أو جعله بدلا عن المتقدم أو باضمار عاطف يعطف كن هو خالدى على كن زينا له سوء عمله وكن هو خالدى النار أو اما التعسف فينظر الى الحذف الى اضممار مع الفاصل الطويل بين المشبه والمشببه به وأما طريقة البدل فقاسدة والالكان الاعتماد على الثانى فيكون كأنه قال أفن كان على بينة كن هو خالدى هو سمج فى التشبيه تعالى كلام الله عن ذلك والقول فى اضممار العاطف كذلك لان المعطوف أيضا يصير مستغلا فى التشبيه اللهم الآن يقال يقابل المجموع بالمجموع كأنه يقول أفن كان على بينة من ربه وهو فى الجنة التى وعد المتقون فيها نهار كن زينا له سوء عمله وهو خالدى النار وعلى هذا تقع المقابلة بين من هو على بينة من ربه وبين من زينا له سوء عمله وبين من فى الجنة وبين من هو خالدى النار وقد ذكرناه فلا حاجة الى خلط الآية بالآية وكيف وعلى ما قاله تقع المقابلة بين من هو فى النار وسقوا ماء حميا وبين من هو على بينة من ربه وأية مناسبة بينهما بخلاف ما ذكرناه من الوجوه الأخر فان المقابلة فيها بين الجنة التى فيها الانهار وبين النار التى فيها الماء الحميم وذلك تشبيه انكاره مناسب (المسئلة الثالثة) قال كن هو خالدى لاجل على اللفظ الواحد وقال وسقوا ماء حميا على المعنى وهو جمع وكذلك قال من قبل كن زينا له سوء عمله على التوحيد والافراد واتبعوا أهواءهم على الجمع فاما الوجه فيه نقول المستدالى من اذا كان متصلا فرطية اللفظ أولى لانه هو المسموع واذا كان مع انفصال فالعود الى المعنى أولى لان اللفظ لا يبق فى السمع والمعنى يبق فى ذهن السامع فالجمل فى الثانى على المعنى أولى وحل الاول على اللفظ أولى فان قيل كيف قال فى سائر المواضع من آمن وعمل صالحا ومن تاب وأصلح نقول اذا كان المعطوف مفردا أو شبيها بالمعطوف عليه فى المعنى فالأولى ان يختلفا كما ذكرت فانه عطف مفرد على مفرد وكذلك لو قال كن هو خالدى النار ومعذب فيها لان

(وَأَنَّهُمْ تَقَوَّاهُمْ) أَعَانَهُمْ عَلَى ﴿٥٣٩﴾ تَقَوَّاهُمْ أَوْ أَعْطَاهُمْ جَزَاءَهَا وَبَيْنَ لَهُمْ مَا يَتَقَوَّنَ (فَهَلْ يَنْظُرُونَ

المشابهة تتأني المخالفة وأما إذا لم يكن كذلك كافي هذا الموضع فإن قوله سقوا ماء جـ... غير
مشابهة لقوله هو خالد وقوله تعالى وسقوا ماء حميا... بل هي مخالفة لهم في سائر أحوال أهل
الجنة فلم يأنه من ماء غير آسن ولهم ماء حميم فإن قيل المشابهة الانتكارية بالمخالفة على
ما ثبت وقد ذكرت البهض وقلت بأن قوله على يئنة في مقابلة زين له سوء عمله ومن ربه
في مقابلة قوله واتبعوا أهواءهم والجنة في مقابلة النار في قوله خالد في النار والماء الحميم
في مقابلة الانهار فأين ما يقابل قوله وأهم فيهما من كل الثمرات ومغفرة فتقول تقطع
الأمعاء في مقابلة مغفرة لا يابئنا على أحد الوجوه أن المغفرة التي في الجنة هي تسرية أكل
الثمار لا يلزمه من قضاء الحاجة والأمراض وغيرها كانه قال لله ومن أكل وشرب
مطهر طاهر لا يحتم في جوفهم فيؤذيهم ويحوجهم إلى قضاء حاجة والكافر ما حميم في أول
ما يصل إلى جوفهم يقطع أمعاءهم ويشتهون خروجه من جوفهم وأما الثمار فلم يذكر
مقابلها لأن في الجنة زيادة مذكرة فحقة لها بذكر أمر زيد (المسئلة الرابعة) الماء الحار
يقطع أمعاءهم لأمراً آخر غير الحرارة وهي الحمة التي تكون في السموم المدونة والافجرد
الحرارة لا يقطع فإن قيل قوله تعالى فقطع بالساء بقيةضى أن يكون القطع بما ذكر نقول
نعم لكنه لا يقتضى أن يقال يقطع لأنه ماء حميم فمحسب بل ماء حميم مخصوص يقطع * ثم
قال تعالى (ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا
قال آنفأ) لما بين الله تعالى حال الكافر ذكر حال المتسابق بأنه من الكفار وقوله ومنهم
يحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الناس كما قال تعالى في البقرة ومن الناس من يقول آفأنا
بالله بعد ذكر الكفار ويحتمل أن يكون راجعاً إلى أهل مكة لأن ذكرهم سبق في قوله تعالى
هي أشد قوة من فريتك التي أخرجتك أهلكتناهم ويحتمل أن يكون راجعاً إلى معنى قوله
هو خالد في النار وسقوا ماء حميا يعني ومن الخالدين في النار قوم يستمعون إليك وقوله
حتى إذا خرجوا من عندك على ما ذكرنا حل على المعنى الذي هو الجمع ويستعمل على اللفظ
وقد سبق التحقيق فيه وقوله حتى للعطف في قول المفسرين وعلى هذا فالعطف يعني
لا يحسن إلا إذا كان المعطوف جزءاً من المعطوف عليه أما أعلاه أو دونه كقول القائل
أكرمى الناس حتى الملك وجاء الحاج حتى المشاة وفي الجنة يذبح أن يكون المعطوف
عليه من حيث المعنى ولا يشترط في العطف بالواو وذلك فيجوز أن تقول في الواو جاء الحاج
وما علمت ولا يجوز مثل ذلك في حتى إذا علمت هذا فوجه التعلق ههنا هو أن قوله حتى إذا
خرجوا من عندك يفيد معنى زائداً في الاستماع كأنه يقول يستمعون استماعاً عالياً
جيداً لأنهم يستمعون وإذا خرجوا يستعيدون من العلماء كما يفعله المجتهد في التعلم الطالب
للفهم فإن قلت فعلى هذا يكون هذا صفة مدح لهم وهو ذكرهم في معرض الذم نقول
يتبين بما بعده وهو أحد أمرين إما كونهم بذلك مستمرين كالذي يقول لا يلبد أعد
كلامك حتى أفهمه ويرى في نفسه أنه مستمع إليه غاية الاستماع وكل أحد يعلم أنه

الاساعة) أى القيامة
وقوله تعالى (أن تأتيهم
بغثة) أى تباغتهم بغثة
وهى المفاجأة بدل اشتغال
من الساعة والمعنى أنهم
لا يتذكرون بذكر أهوال
الآلئ الحالية ولا بالأخبار
بآتيان الساعة وما فيها
من عظام الأهوال وما
يتذكرون للتذكر الاتيان
نفس الساعة بغثة وقرئ
بغثة بفتح الغين وقوله
تعالى (فقد جاء أشراطها)
تدليل لمفاجأتها لا لآتيانها
مطلقاً على معنى أنه لم يبق
من الأمور الموجبة للتذكر
أمر متقرب يتطرونه
سوى آتيان نفس الساعة
إذا قد جاء أشراطها فلم
يرفعوا الهارأسا ولم
بعدوها من مبادئ آتيانها
فيكون آتيانها بطريق
المفاجأة لا محالة والأشراط
جمع شرط بالتحريك
وهى السلامة والمراد
بها معشاه صلى الله عليه
وسلم وأنشاق القمر
ونحوهما وقوله تعالى
(فأنى لهم إذا جاءتهم
ذكرهم) حكم بخطتهم
وفساد رأيهم في تأخير
التذكر إلى آتيانها

بيان استعماله في التذكار حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر ﴿ ٥٤٠ ﴾ الانسان وأنى له الذكرى أى وكيف لهم

إذا جاءتهم هلى أنأتى
خبرهمند وذكرهم مبتدا
واذ حالتهم استراض
وسميتهم منزا الى
غايه سرعة مجيها
واط في المجي عن قيد
ايتمد ان مدراسمالة
نفع التذكر كونه عند
محيته مطلقا لا قيد بقيد
البخنة وقرى ان تأتهم
على أنه شرط مسانف
جزاؤه فأتى لهم الخ والمعنى
ان تأتهم الساعة بقة
لانه قد ظهر أماراتها
فكيف لهم تذكرهم
واتعاضهم إذا جاءتهم
(فاعلم أنه لا اله الا الله)
أى إذا حملت أن مدار
السعادة هو التوحيد
والطاعة ومناط الشقاوة
هو الاشرار والعصيان
فأثبت على ما أنت عليه
من العلم بالوحدانية والعمل
بوجبه (واستغفرانك)
وهو الذى ر بما يصدر
عنه عليه الصلاة والسلام
من ترك الاولى عبرته
بالذنب نظرا الى منصبه
الجليل كيف لا وحسنات
الابرار سيأت المقر بين
وارشاده عليه الصلاة
والسلام الى التواضع

مستعزى غير مستعبد ولا مستعبد واما كونهم لا يفهمون مع أنهم يستمعون ويستعيدون
ويناسب هذا الثانى قوله تعالى كذلك يطبع الله على قلوب المجرمين والاول يؤكده
قوله تعالى وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون (والثانى) يؤكده
قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولمسا بدخل الايمان
في قلوبكم وقوله آنف قال بعض المفسرين معناه الساحة ومنه الاستناق وهو الابتداء
فعلى هذا فالاولى أن يقال بقاوس ماد قال آنف بمعنى أنهم يستعيدون كلامه من
الابتداء كما يقول المستعيد للمعيد بعد كلامك عن الابتداء حتى لا يفوتى شى منه * ثم
قال تعالى (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وتبوا أهواءهم) أى تركوا اتباع الحق
اما بسبب عدم انهم أو بسبب عدم الاستماع بلا فائدة واتباعوا ضده * ثم قال تعالى
(والذين اهتدوا زادهم هدى وآناهم تقواهم) نابين الله تعالى أن المنافق يستمع ولا ينفذ
ويستعيد ولا يستفيد ان حال المؤمن المهندي بخلافه يستمع فيههم ويعمل
بما علم والمنافق يستعيد والمهندي يفسر ويعيد وفيه فائدتان (أحدهما) ما ذكرنا من
بيان التباين بين الغريقتين (وثانيهما) مطع عذر المنافق وابعاض كونه مذموم
الطريقة فانه لو قال ما فهمته لغموضه وكونه معي يرد عليه ويقول ايس كذلك فان
المهندي فهم واستنبط اوزامه وتوابعه فذلك لعماء القلوب لالحقاء المطلوب وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) ما الفاعل للزيادة في قوله زادهم نقول فيه وجوه (الاول) المسموع من
النبي عليه الصلاة والسلام من كلام الله وكلام الرسول يدل عليه قوله ومنهم من يستمع
اليه فانه يدل على مسموع والمقصود بيان التباين بين الغريقتين فكأنه قال هم لم يفهموه
وه لا يفهموه (والثانى) ان الله تعالى تعالى زادهم ويدل عليه قوله تعالى أولئك الذين طبع
الله على قلوبهم وكانه تعالى طبع على قلوبهم فزادهم عى والمهندي زادهم هدى (والثالث)
استهزاء المنافق زاد المهندي هدى ووجهه هو انه تعالى لما قال واتبعوا أهواءهم قال
والذين اهتدوا زادهم اتباعهم الهدى فأنهم استنبحوا فاعلمهم فاجتنبوه (المسئلة
الثانية) ما معنى قوله وآناهم تقواهم نقول فيه وجوه مقولة ومستنبطة اما المقولة
فنقول قبل فيه ان المراد آناهم ثواب تقواهم وقبل آناهم نفس تقواهم من غير احتسار
يعنى بين لهم القوى وقبل آناهم توفيق العمل بما علموا واما المستنبط فنقول يحتمل أن
يكون المراد به بيان حال المستمعين للقرآن الفاهمين لعانيه المفسرين له بيان لغاية
الخلاف بين المنافق فانه استمع ولم يفهمه واستعاد ولم يعلم والمهندي فانه علمه وبينه لغيره
ويدل عليه قوله تعالى زادهم هدى ولم يقل اهتداء والهدى مصدر من هدى قال الله
تعالى فيهم هدى فاده أى خذ بها هدى واهدكم كما هداوا على هداى قوله تعالى وآناهم
تقواهم معناه جنبهم عن القول فى القرآن بغير برهان وحلهم على الاتقاء من التفسير
بالأى وعلى هداى قوله زادهم هدى معناه كانوا مهتدين فزادهم على الاهتداء هدى حتى

وهضم النفس واستقصار العمل (والمؤمنين) ﴿ ٥٤١ ﴾ * والمؤمنات) أى لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم

فما يستدعي غفرانهم
وفي إعادة صلاة الاستغفار
تفنيه على اختلاف
تأويله جذاً وبه حذف
المضاف وإقامة المضاف
إليه مقامه اشعار
بمراقبتهم في الذنب
وحرط اعتقارهم إلى
الاستغفار (والله يعلم
مقتلهم) في الدنيا منها
مراحل لابد من فطسها
لإحسان (ومشاكم)
في العقبي فانها موطن
أفانتكم فلا يأمركم
الأبما هو خير لكم فيها
فبادروا إلى الامتثال
بما أمركم به فانه المهم لكم
في المقامين وقيل يعلم جميع
أحوالكم فلا ينفي عليه
شيء منها (ويقول
الذين آمنوا) حرصاً
منهم على الجهاد
(اولاً نزلت سورة) أي
هلأ نزلت سورة نوثر
فيها بالجهاد (فاذا نزلت
سورة محكمة وذكر فيها
القتال) بطريق الأمر
به أي سورة مبينة لا تشابه
ولا احتمال فيها الوجه
آخر سوى وجوب
القتال

ارتقوا من درجۃ المهتمين الى درجۃ الهادين ويحتمل أن يفة لقوله زادهم هدى اشارة الى العلم وآتاهم تقواهم اشارة الى الاخذ بالاحتياط فيما لم يعلموه وهو مستنبط من قوله تعالى بشّر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقوله تعالى والراشدون في العلم قواوا آياته (المعنى الثالث) يحتمل أن يكون المراد بيان أن المخلص على خطر فهو أحشى من غيره وتحقيقه هو أنه لما قال زادهم هدى افاد أنهم ازداد علمهم وقال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء فقال آتاهم خشيتهم التي يغيبها العلم (والمعنى الرابع) تقواهم من يوم اقامة كمال قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واحشوا يوما لا يجزى والدعوى والى و يدل عليه قوله تعالى فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة كان ذكر الساعه عقب التقوى يدل عليه (المعنى الخامس) آتاهم تقواهم التقوى التي تليق بالؤمن وهي التقوى التي لا يخاف معها لومة لائم قال تعالى الذين يبلغون رسالت الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكذلك قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تسلط الكافرين والمنافقين وهذا الوجه مناسب لان الآية لبيان تباين الفريقين وهذا يحتمل ذلك من حيث ان المنافق كان يخشى الناس وهم الفريقان المؤمنون والكافرون فكان يتردد بينهما ويرضى الفريقين ويخطئ الله فقال الله تعالى المؤمن المهتدى بخلاف المنافق حيث علم ذلك ولم يعلم ذلك واتقى الله لا غيره واتقى ذلك غير الله * ثم قال تعالى (فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها) يعني الكافرون والمنافقون لا ينظرون الا الساعة وذلك لان البراهين قد صحت والامور قد انضحت وهم لم يؤمنوا فلا يتوقع منهم الايمان الا عند قيام الساعة وهو من قبيل بدل الاشتغال على تقدير لا ينظرون الا الساعة اتيانها بغتة وقرى فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم على الشرط وجزاؤه لا ينفعهم ذكراهم يدل عليه قوله تعالى فأتى لهم اذا جاءتهم ذكراهم وقد ذكرنا ان القيامة سميت بالساعة لسرعة الامور الواقعة فيها من البعث والحشر والحساب وقوله فقد جاء اشراطها يحتمل وجهين (أحدهما) لبيان غاية عنادهم وتحقيره هو ان الدلائل لما ظهرت ولم يؤمنوا لم يبق الا ايمان اليأس وهو عند قيام الساعة لكن اشراطها بانتهى مكان ينبغي أن يؤمنوا ولم يؤمنوا فهم في لجنة الفساد وغاية العناد (ثانيهما) أن يكون تسلية قلوب المؤمنين كأنه تعالى لما قال فهل ينظرون فهم منه تعذيبهم والساعة عند العوام مستبعدة فكان قائلا قال متى تكون الساعة فقد جاء اشراطها كنوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر والاشراط العلامات قال المفسرون هي مثل انشقاق القمر ورسالة محمد عليه السلام ويحتمل أن يقال معنى الاشراط البينات الموضحة لجواز الحشر مثل خلق الانسان ابتداء وخلق السموات والارض كما قال تعالى أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم والاول هو التفسير * ثم قال تعالى (فأتى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) يعني لا تنفعهم الذكرى اذ لا تقبل التوبة ولا يحسب

من فتادة كل سورة فيها ذكر القتل فهي محكمة ﴿٥٤٢﴾ لم تلتحق وقرئ فاذا نزلت سورة وقرئ

وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال (رأيت الذين في قلوبهم مرض) أى ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) أى تشخص ابصارهم جنباً وهاماً كدأب من أصابته غشية الموت (فأولى لهم) أى فويل لهم وهو أفعال من الولي وهو اقرب وويل من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يلهم المكروه أو يؤن اليه أمرهم وقيل هو مشتق من أويل وأصله أويل نقلت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أى أمرهم طاعة الخ أو طاعة وقول معروف خبر لهم أو حكاية لقولهم ويؤيده قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف أى أمرنا ذلك (فاذا عزم الامر) أسند العزم وهو الجد الى الامر

الايمان والمراد فكيف لهم الحال اذا جاءتهم ذكراهم ومعنى ذلك يحتمل أن يكون هو قوله تعالى هذا يومكم الذى كنتم توعدون هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون فيذكرون به للأحسر وكذلك قوله تعالى ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ثم قال تعالى (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك والمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم) وليان المناسبة وجوه (الاول) هو انه تعالى لما قال فقد جاء اشراطها قال فاعلم أنه لا اله الا الله يأتى بالساعة كما قال تعالى أزفت الآزفة ايس لها من دين الله كاشفة (وثانيها) فقد جاء اشراطها وهى آية فكان فافلاك متى هذا فقال فاعلم أنه لا اله الا الله فلا تشتغل به واشتغل بما عليك من الاستغفار وكن فى أى وقت مستعداً لاقائها ويناسبه قوله تعالى واستغفر لذنبك (الثالث) فاعلم أنه لا اله الا الله ينفعك فان قيل النبي عليه الصلاة والسلام كان طالما بذلك فامعنى الامر نقول لجواب عنه من وجهين (أحدهما) فأنبت على ما أنت عليه من العلم كقول القائل لجالس يريد اقيام اجلس أى لا تقم (ثانيها) الخطاب مع النبي عليه الصلاة والسلام والمراد قومه والضمير فى انه للشان وتفسير هذا هو انه عليه السلام لما دعا القوم الى ايمان ولم يؤمنوا ولم يبق شئ يحملهم على الايمان الا ظهور الامر بالبعث والنشور وكان ذلك مما يحزن النبي عليه الصلاة والسلام فسلى قلبه وقال أنت كامل فى نفسك مكمل لغيرك فان لم يكمل بك قوم لم يرد الله تعالى بهم خيراً فأنبت فى نفسك عامل بعلمك وعلمك حيث تعلم ان الله واحد وتستغفر وأنت بحمد الله مكمل تكمل المؤمنين والمؤمنات وأنت تستغمر لهم فقد حصل لك الوصفان فأنبت على ما أنت عليه ولا يحزنك كفرهم وقوله تعالى واستغفر لذنبك يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون الخطاب معهم والمراد المؤمنون وهو بعيد لافراد المؤمنين والمؤمنات بالذكر وقال بعض الناس لذنبك أى لذنب أهل بيتك والمؤمنين والمؤمنات أى الذين ليسوا منك بأهل بيت (ثانيها) المراد هو النبي وذنب هو ترك الافضل الذى هو بالنسبة اليه ذنب وحاشاء من ذلك (وثالثها) وجه حسن مستنبط وهو ان المراد توفيق العمل الحسن واجتناب العمل السيئ ووجهه ان الاستغفار طلب الغفران والغفران هو الستر على القبيح ومن عصم فقد ستر عليه فبأنج الهوى ومعنى طلب الغفران أن لا تنقضه ذلك قد يكون بالعصمة منه فلا يقع فيه كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم وقد يكون بالستر عليه بعد الوجود كما هو فى حق المؤمنين والمؤمنات وفى هذه الآية لطيفة وهى ان النبي صلى الله عليه وسلم له أحوال ثلاثة حال مع الله وحال مع نفسه وحال مع غيره فاما مع الله فوحده واما مع نفسك فاستغفر لذنبك واطلب العصمة من الله واما مع المؤمنين فاستغفر لهم واطلب الغفران لهم من الله والله يعلم متقلبكم ومثواكم يعنى حالكم فى الدنيا وفى الآخرة احوالكم فى الليل والنهار ثم قال تعالى (ويقول الذين آمنوا لولانزلت سورة فاذا نزلت سورة

الظرف محذوف أى خافوا وتخلعوا ﴿٥٤٣﴾ وقبل نافضوا وقبل كرهوا وقبل هو قوله تعالى (فلو صدقوا الله)

على طريقة قولك اذا
حضرني طعام فاجتني
لا طعمتك أى فلو صدقوه
تعالى فيما قالوا من الكلام
المنبئ عن الحرص على
الجهاد بالجرى على
موجب (لكان) أى
الصدق (خير لهم)
وبه دلالة على شراك
اسكل فيما حكى عنهم
من مودة نفاق أو لانت
سورة وقبل فله صدقوه
في الامان و طأت
فلو به في ذنبت انفسهم
وأيا ما كان عالم دهم
الدين في قلوبهم مرض
وهم الخاطبون بقوله
تعالى (فهل عسيتم)
الخ بطريق الانتفات
لما كبد التوبخ وتشديد
التفريع أى هل يتوقع
منكم (ان توليتهم) أمور
الناس وأمرتم عليهم
(أن تفسدوا في الارض
وتقطعوا أرحامكم)
تناحرا على المالك وتمالكه
على الدنيا فان من
شاهد أحوالكم الدالة
على الضعف في الدين
والحرص على الدنيا
حين أمرتم بالجهاد
الذي هو عبارة عن
اجراز كل خير وصلاح ودفع كل

محكمة وذكريتها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظرا المغشى عليه
من الموت فأولى لهم (لما بين الله حال المنافق والكافر والمهتدي المؤمن عند استماع
الآيات العلمية من التوحيد والحشر وغيرهما بقوله ومنهم من يستمع اليك وقوله والذين
اهتدوا زادهم هدى بين حالهم في الآيات العلمية فان المؤمن كان ينظر وروده
ويطلب تنزيهاها واذا تأخر عنه التكليف كان يقول هلا أمرت بشئ من العبادة خوفا
من أن لا يؤهل لها والمنافق اذا نزلت السورة أو الآية وفيها تكليف شق عليه اعلم تبين
الفرق بين في العلم والعمل حيث لا يفهم المنافق العلم ولا يريد العمل والمؤمن يعلم ويحب
العمل وقوله لولا نزلت سورة المراد منه سورة فيها تكليف يحسن المؤمن والمنافق ثم انه
تعالى أنزل سورة فيها القتال فانه أشق تكليف وقوله سورة محكمة فيها وجوه (أدها)
سورة (تفسخ ثابها) سورة فيها الفاظ أريدت حقائقها بخلاف قوله الرحمن على العرش
الاعلى وقوله في جنب الله فان قوله تعالى فضرب الرقاب أراد القتل وهو أشق - قوله
أو لم يؤمن وقوله أو فقلوهم حيث نفقتوهم صريح وكذلك غير هذا من آيات القرآن وعلى
انوجهين فقوله محكمة فيها اعادة زائدة من حيث انهم لا يمكنهم ان يقولوا المراد غير ما يظهر
منه أو يقولوا هذه آية وقد نسخت فلا نقاتل وقوله رأيت الذين في قلوبهم مرض أى
المنافقين ينظرون اليك نظرا المغشى عليه من الموت لان عند التكليف باستمال لا يبقى
لتناقضهم فائدة فانهم قبل القتال كانوا يترددون الى التيسير وعند الامر بالقتال لم يبق
لهم امكان ذلك فأولى لهم دعاء كقول القائل فويل لهم ويحتمل أن يكون هو خير لمبتدا
محذوف سبق ذكره وهو الموت كان الله تعالى لما قال نظرا المغشى عليه من الموت قال
فأولى لهم لان الحياة التي لا في طاعة الله ورسوله الموت خير منها وقال الواحدى
يجوز أن يكون المعنى فأولى لهم طاعة أى الطاعة أولى لهم * ثم قال تعالى (طاعة وقول
معروف) كلام مستأنف محذوف الخبر تقديره خير لهم أى أحسن وأمثل لا يقال طاعة
نكرة لا تصلح للابتداء لانا نقول هى موصوفة يدل عليه قوله وقول معروف فانه موصوف
فكانه تعالى قال طاعة مخصصة وقول معروف خير وقبل معناه قالوا طاعة وقول معروف
أى قواهم أمرنا طاعة وقول معروف ويدل عليه قراءة أبى يقولون طاعة وقول معروف
* وقوله تعالى (فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) جوابه محذوف تقديره فاذا عزم
الامر خافوا وتخلعوا وهو مناسب لمعنى قراءة أى كانه يقول فى أول الامر قالوا سمعنا
وطاعة وعند آخر الامر خافوا وأخلفوا موعدهم ونسب العزم الى الامر والعزم
لصاحب الامر معناه فاذا عزم صاحب الامر هذا قول الزمخشري ويحتمل أن يقال هو
مجاز كقولنا جاء الامر وولى فان الامر في الاول يتوقع أن لا يقع وعند اخلاله
ويجز الكاره عن ابطاله فهو واقع فقال عزم والوجه ان متقاربان وقوله تعالى فلو
صدقوا فيه وجهان على قولنا المراد من قوله طاعة انهم قالوا طاعة فسموا لوصدقوا في ذلك

شر وفساد وأتم ماورون شأنكم الطاعة والقول المعروف ﴿ ٥٤٤ ﴾ يتوقع منكم اذا طلقت اصنتكم وصرت

القول وأطاعوا لكان خيرا لهم وعلى قولنا طاعة وقول معروف خيرا لهم وأحسن فغناه
لو صدقوا في ايمانهم واتباعهم الرسول لكان خيرا لهم ثم قال تعالى (فهل عسيتم ان
تولينهم ان يفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) وهذه الآية فيها اشارة الى فساد
قول قالوه وهو انهم كانوا يقولون كيف نقاتل والقتل افساد والعرب من ذوى ارحامنا
وقبائلنا فقال تعالى ان توليتهم لا يفسد منكم الا الفساد في الارض فانكم تقتلون من
تقدرون عليه وتتهبونوا والقتال واقع بينكم أليس قتلكم البنات افسادا وقطعا لرحم
فلا يصح تعللكم بذلك مع انه خلاف ما أمر الله وهذا طاعة وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
في استعمال عسى ثلاثة مذاهب (أحدها) الاثبات بها على صورة فعل ماض معه فاعل
تقول عسى زيد وعسيتا وعسوا وعسيت وعسيتا وعسيتا وعسيتا وعسيتا وعسيتا وعسيتا
أن يوتى بها على صورة فعل معه مفعول تقول عسا وعساها وعساك وعساك وعساك وعساك
وعسانا (والثالث) الاثبات بها من غير ان يقرن بها شيء تقول عسى زيد يخرج وعسى أنت
تخرج وعسى أنا أخرج والكل له وجه وما عليه كلام الله أوجه وذلك لان عسى من
الافعال الجامدة واقتزان الفاعل بالفعل أولى من اقتزان المفعول لان الفاعل كالجزء
من الفعل ولهذا لم يحذف فيه أربع متحرركات في مثل قول القائل نصرت وحوز في مثل
قولهم نصرت ولا ركل فعل له فاعل سواء كان لازما أو متعليا ولا كذلك المفعول به
فصيت وعساك كعصيت وعصاك في اقتزان الفاعل بالفعل والمفعول به وأما قول من قال
عسى أنت تقوم وعسى ان أقوم فدون ما ذكرنا لتطو بلا لذي فيه (المسئلة الثانية)
الاسفة ام لا تقرير المواقفاته وقال على سبيل الاخبار عسيتم ان توليتهم لكان خيرا لهم
ان ينكره فاذا قال بصيغة الاسفة فهم كانه يقول أنا أسألك عن هذا أنت لا رأي
تجيب انبلا أنهم فهو مقرر عندك وعندى (المسئلة الثالثة) عسى للتوعد والله تعالى
عالم بكل شيء فقول فيه ما قلنا في اهل وفي قوله انبلوه ان بعض الناس مال يغفل عنه فعل
الترجي والمبتلى والمتوقع وقال آخرون كل من ينصرا اليهم يتوقع منهم ذلك ونحن قلنا
هو محمول على الحقيقة وذلك لان الفعل اذا كان ممكنا في نفسه فالنصر اليه غير مستلزم لامر
وانما الامر يجوز أن يحصل منه تارة ولا يحصل منه أخرى فيكون الفعل لذلك الامر
المطلوب على سبيل الترجي سواء كان الفاعل يعلم حصول الامر منه وسواء أن لم يكن يعلم
مثاله من نصب شبكة لاصطياد الصيد يقال هو متوقع لذلك فان حصل له العلم بوقوعه فيه
باخبار صادق أنه سقع فيه أو بطريق أخرى لا يخرج عن الوقوع غاية ما في الباب ان في
الشاهد لم يحصل لنا العلم فيما نتوقعه فيظن ان عدم العلم لازم للتوقع وليس كذلك بل
التوقع هو المنتظر لامر ليس بواجب الوقوع نظرا الى ذلك الامر فحسب سواء كان
له به علم أو لم يكن وقوله ان توليتهم فيه وجهان (أحدهما) انه من الولاية بمعنى ان أخذتم
الولاية وصار الناس بأمركم أفسدتم وقطعتهم الارحام (وثانيهما) هو من التولى الذي

أمرين ما ذكر من
الافساد وقطع الارحام
وقيل ان أعرضتم عن
الاسلام أن ترجعوا الى
ما كنتم عليه في الجاهلية
من الافساد في الارض
بالغاور والتأهب وقطع
الارحام بمقاتلة بعض
الافارب بعضا ووأد
البنات وفيه أن الواقع
في حيز الشرط في مثل
هذا المقام لا بد أن تكون
محذورة منه باعتبار ما
يستتبعه من المفساد
لا باعتبار ذاته ولا ريب
في ان الاضرار عن
الاسلام رأس كل شر
وفساد فحده أن يحول
عمدة التوجيه لاسئلة
للتوجيه نادوتهم من المفسد
وقرى وتتم على البناء
للمعروف أي جعلتم لالة
وقرى توليتهم أي توليتكم
ولالة جور خرجتم معهم
وساعدتموهم في الافساد
وقطعية الرحم وقرى
وتقطعوا عن التقطع
بحذف إحدى التاءين
فان تصاب أرحامكم
حينئذ على زرع الجار
أي في أرحامكم وقرى
وتقطعوا من القطع
والحاق الضمير بعسى لانه أهل الحجاز وأما بنوعيم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا

(أولئك) إشارة إلى المخاطبين بطريق الالتفات أي إذا بان ذكر هتاهم أوجب استقامتهم من رتبة الخطاب وحكاية أحوالهم الغضبية لغيرهم وهو مبتدأ ﴿٥٤٥﴾ خبر (الذين لعنهم الله) أي أبعدهم من رحمته (فأصمهم)

عن استماع الحق تصامهم

عنه بسوء اختيارهم

(رأعى أبصارهم)

لتعاميمهم عما يشاهدونه

من الآيات المنصوبة

في الانفس والآفاق

(أفلا يتدبرون القرآن)

أي ألا يلاحظونه ولا

يتصفحونه وما فيه من

المواعظ والزواجر حتى

لا ينعوا فيما وقعوا فيه

من الموبقات (أم على

قلوب أفقاها) فلا يكاد

يصل إليها ذكر أصلا

وأم منقطعة وما فيها

من معنى بل للانتقال من

النوع إلى نوع آخر

مقفلة لا تقبل التدرج

والتفكير والهمزة التقرير

وتنكير القلوب أماتهم

حالتها وتغطيع شأنها

بإهمال أمرها في القساوة

والجهالة كأنه قيل على

قلوب منكرة لا يعرف

حالتها ولا يقدر قدرها

في القساوة وأمالان المراد

بها قلوب بعض منهم

وهم المنافقون وإضافة

الاقفال إليها للدلالة

على أنها أقفال مخصوصة

بها مناسبة لها غير

مجانسة لسائر الاقفال

المعهودة وفري أفقاها وأقفاها

هو الاغراض وهذا مناسب لما ذكرنا أي ان كنتم تتركون القتال وتقولون فيه الفساد وقطع الارحام ليكون الكفار أقاربنا فلا يقع منكم الا ذلك حيث تقابلون على أي شيء كما كان عادة العرب (الاول) يؤكد قراءة من قرأ وليتم قراءة على عليه السلام توليتم أي ان تولاكم ولا غلظة جفاة غشمة ومشيتم تحت لوائهم وأفسدتم بأفسادهم معهم وفضعتم أرحامكم والنبى عليه السلام لا يأمركم الا بالاصلاح وصلة الارحام فلم تتفاعدون عن القتال وتباعدون في الضلال ثم قال تعالى (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) إشارة لمن سبق ذكرهم من المنافقين أبعدهم الله عنه وعن الخير فأصمهم فلا يسمعون الكلام المستبين وأعماهم فلا يذهبون الصراط المستقيم وفيه ترتيب حسن وذلك من حيث انهم استمعوا الكلام العلى ولم يفهموه فهم بالنسبة اليه صم أصمهم الله وهذا الامر بالعمل تركوه وعملوا بكونه افسادا وقطعا للرحم وسم كانوا يتعاطونه عند النهى عنه فلم يروا حالهم وما هم عليه وتركوا اتباع النبى الذى يأمرهم بالاصلاح وصلة الارحام وادعاهم من يأمر بالافساد وقطعة الرحم لاتبعوه فهم عمى أعماهم الله وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال أصمهم ولم يقل أصم أذانهم وقال أعمى أبصارهم ولم يقل أعماهم وذلك لان العين آفة الروية ولو أصابها آفة لا يحصل الابصار والاذن لو أصابها آفة من قطع أو قلع تسمع الكلام لان الاذن خلقت وخلق فيها تعاريج ليكثر فيها الهواء المتوج ولا يقرع الصماخ بعنف فيؤذى كما يؤذى الصوت القوى فقال أصمهم من غير ذكر الاذن وقال أعمى أبصارهم مع ذكر العين لان البصر ههنا بمعنى العين ولهذا جمعه بالابصار ولو كان مصدرا لما جمع فلم يذكر الاذن اذ لا يدخل لها في الاصنام والعين لها مدخل في الروية بل هي الكل ويدل عليه ان الآفة في غير هذه المواضع لما أضافها الى الاذن سماها وعرا كما قال تعالى وفي آذاننا وقرو وقال كان في آذنيه وقرا والوقردون الصمم وكذلك انطرش ثم قال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفاها) ولذا ذكر تفسيرها في مسائل (المسئلة الاولى) لما قال الله تعالى فأصمهم وأعمى أبصارهم كيف يمكنهم التدبر في القرآن قال تعالى أفلا يتدبرون وهو كقول القائل للاعمى أبصر والاصم اسمع فنقول (الجواب) عنه من ثلاثة أوجه مترتبة بعضها أحسن من البعض (الاول) تكليفه ما لا يطاق جاز والله أمر من علم انه لا يؤمن بأن يؤمن فكذلك جاز أن يعميهم ويذمهم على ترك التدبر (الثاني) ان قوله أفلا يتدبرون المراد منه الناس (الثالث) ان نقول هذه الآية وردت محققة لمعنى الآية المقدمة فانه تعالى قال أولئك الذين لعنهم الله أي أبصدهم عنه أو عن الصدق أو عن الخير أو غير ذلك من الامور الحسنة فأصمهم لا يسمعون حقيقة الكلام وأعماهم لا يذهبون طريق الاسلام فاذن هم بين أمرين اما لا يتدبرون القرآن فيبعدون منه لان الله تعالى لعنهم وأبعدهم عن الخير والصدق والقرآن منها الصنف الاعلى بل النوع الاشرف واما يتدبرون لكن لا تدخل معانيه في

المعهودة وفري أفقاها وأقفاها ﴿٦٩﴾ سا على المصدر (ان الذين ارتدوا على أديبارهم) أي رجعوا الى ما كانوا

عليه من الكفر وهم الناقصون الذين وضعوا عياشلف برض القلوب وغيره من قباح الاعمال والاحوال فانهم قد كفروا به هذه الصلاة والسلام (من بعد ما تبين لهم في ٥٤٦ هـ الهندي) بالدلائل الظاهرة والمعجزات

القاهرة وقبل هم اليهود
وقيل أهل الكتابين
جميعا كفروا به عليه
الصلاة والسلام به ما
وجه وانتم في كتابهم
وعرفوا أنه المنعوت بذلك
بقوله تعالى (الشيطان
سوله) حيلة من مبتدأ
وخبر وقعت خبر الان أي
سهل لهم ركوب العظام
من السول وهو الاسترخاء
وقيل من السول المنخفض
من السؤل لاستمرار
القلب فعني سؤل له أمرا
حينئذ أوقعه أميته فان
السؤل الامنية وقرئ
سؤل مبنيا للفعول على
حذف المضاف أي كيد
الشيطان (وأملى لهم)
وسدلهم في الاماني
والآمال وقيل امهلهم
الله تعالى ولم يعاجلهم
بالعقوبة وقرئ وأملى
لهم على صيغة التكلم
فالمعنى أن الشيطان
يغو بهم وأنا أنظرهم
قالوا والحال أول الاستئناف
وقرئ أملى لهم على البناء
للفعل أي أمهلوا ومد
في عمرهم (ذلك) إشارة
إلى ما ذكر من ارتدادهم
إلى الاملاء كما نقل عن

قلوبهم لكونها مقلدة تقديره أقل يتدبرون لآ آسكونهم ما عودين أم على
قلوب افعال فيتدبرون ولا يفهمون وعلم هذا لا يخرج من قول أم على بل هي على
حققتها الاستفهام وافعة في وسط الكلام ولهم ما أدبت مكانها وهو اصدر وأم
دخلت على القلوب التي في وسط الكلام (المسئلة الثانية) قوله سلى قلوب على التذكير
ما فائدة فيه نقول تلك التخصيص يحتمل من أحدهما أن يكون التثنية على كونه
موصوفا لان الشكره بالوصف أولى من المعرفة فكأنه قال أم على قلوب قاسية أو مظلمة
(الثاني) أن يكون التثنية كانه قال أم على بعض القلوب لان الشكره لا تم نقول جاني
رجال فيفهم البعض وجاني الرجال فيفهم الكل ونحن نقول التذكير للقلوب للتثنية على
الانكار الذي في القلوب وذلك لان القلب اذا كان عارفا كان معروفا لان القلب خلق
للمعرفة فاذا لم تكن فيه المعرفة فكانه لا يعرف وهذا كما يقول القائل في الانسان المؤذي
هذا ليس بانسان هذا سمع ولذلك يقال هذا ليس بقلب هذا حجة اذا علم هذا ما تعريف اما
بالالف واللام واما بالاضافة واللام ليعرف الجنس أولا العهد ولم يمكن ارادة الجنس
اذ ليس على كل قلب قفل ولا تعريف العهد لان ذلك القلب ليس ينبغي أن يقال له قلب واما
بالاضافة فان نقول على قلوب افعالها وهي لعدم عود فائدة اليهم كأنها ليست لهم فان قيل
فقد قال ختم الله على قلوبهم وقال فويل للقاسية قلوبهم فنقول الافعال أبلغ من الختم
فتلك الاضافة لعدم انتفاعهم رأسا (المسئلة الثالثة) في قوله أفعالها بالاضافة ولم يقل
افعال كما قال قلوب لان الافعال كانت من شأنها فاضافها اليها كأنها ليست الاوليها وفي
الجملة لم يضاف القلوب اليهم لعدم نفعها اليهم واضاف الافعال اليها لكونها مناسبة لها
ونقول أراد به افعالا مخصوصة هي افعال الكفر والعناد ثم قال تعالى (ان الذين
ارتدوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سؤل لهم وأملى لهم) إشارة إلى
أهل الكتاب الذين تبين لهم الحق في التوراة بعث محمد صلى الله عليه وسلم بعثه وارتدوا
أوالى كل من ظهرت له الدلائل وسمعها ولم يؤمن وهم جماعة منهم حب الرياسة عن اتباع
محمد عليه السلام وكانوا يقولون انه الحق الشيطان سؤل لهم وأملى لهم يعني قالوا
نعيش أياما ثم نموت من به وقرئ وأملى لهم فان قيل الاملاء والامهال واحد الآجال لا يكون
الامن الله فكيف يصح قراءة من قرأ وأملى لهم فان المولى حينئذ يكون هو الشيطان
نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) جاز أن يكون المراد وأملى لهم الله فيقف على
سؤل لهم (وثانيهما) هو ان السؤل أيضا ليس هو الشيطان وإنما أسند اليه من حيث ان
الله قدر على يده ولسانه ذلك فذلك الشيطان يلبسهم ويقول لهم في آجالكم فسحة فتمتعوا
برياستكم ثم في آخر الامر تؤمنون وقرئ وأملى لهم بفتح الياء وضم الهمزة على البناء
للفعل ثم قال تعالى (فكذبهم قالوا الذين كرهوا ما نزل الله سنطعكم في بعض الامر
والله يعلم اسرارهم) قال بعض المفسرين ذلك إشارة إلى الاملاء أي ذلك الاملاء بسبب

الواحدى ولا إلى التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسببا عن القول الا ترى وهو مبتدأ خبره قوله (انهم)
تعالى (بانهم) أي بسبب انهم

(قالوا) بمعنى المناقضين المذكورين لا اليهود الكافرين به عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدوا نفعه في التوراة كما قيل كان كفرهم به ليس بسبب هذا القول ولو فرض ^{٥٤٧} صدورهم عنهم سواء كان القول لهم المناقضين أو المشركين

على رأى القائل بل من حين بعثته عليه الصلاة والسلام (للذين كرهوا ما نزل الله) أى لليهود الكافرين لتزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بأنه من عند الله تعالى حسدا وطعنا في نزوله عليهم للذين كرهوا ما نزل الله (سنطيعكم في بعض الامر) عبارة قطعا عما حكى عنهم بقوله تعالى ألم ترالى الذين نافعوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لتخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً وان قوتلتهم لننصبرن لكم وهم يتوقرون بطعة والنصير الذين كانوا يبايعونهم ويؤاخذونهم وأرادوا بالبعض الذى أشاروا الى عدم اطاعتهم في اظهار كفرهم واعلا امرهم بالفعل قبل قتلهم ، اخرجهم من ديارهم فانهم كانوا بأبواب ذلك قبل ساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم

انهم قالوا للذين كرهوا وهو اختيار الواحدى وقال بعضهم ذلك اشارة الى التسويل ويحتمل ان يقال ذلك الارتداد بسبب انهم قالوا سنطيعكم وذلك لاننا بين ان قوله سنطيعكم في بعض الامر هو انهم قالوا نوافقكم على ان محمد ليس برسول وانما هو كاذب ولكن لا نوافقكم في انكار الرسالة والحشر والاشراك بالله مع الاجتنام ومن لم يؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام فهو كافر وان آمن بغيره لا يل من لم يؤمن بمحمد عليه السلام لا يؤمن بالله ولا يرسله ولا بالحشر لان الله كما أخبر عن الحشر وهو جاز أخير عن نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وهى جائزة فاذالم يصدق الله في شئ لا ينفي انكذب بقول الله في غيره فلا يكون مصدقا موفنا بالحشر ولا برسالة أحد من الانبياء لان طريق معرفتهم واحد والمراد من الذين كرهوا ما نزل الله المشركون والمنافقون وقبل المراد اليهود فان أهل مكة قالوا لهم نوافقكم في اخراج محمد وقته وقتال اصحابه والاول أصح لان قوله كرهوا ما نزل الله لو كان مستندا الى أهل الكتاب لكان مخصوصا ببعض ما نزل الله وان قلنا بأنه مستند الى المشركين يكون عاما لانهم كرهوا ما نزل الله وكذبوا بالرسول بأسرهم وانكروا الرسالة رأسا وقوله سنطيعكم في بعض الامر يعنى فيما يتعلق بمحمد من الايمان به فلا تؤمن والكذب به فكذبته كما تكذبونه والقتال معه وأما لا شراك بالله واتخاذا لانداده من الاصنام وانكار الحشر والنبوة فلا وقوله والله يعلم أسرارهم قال أكثرهم المراد منه هو انهم قالوا ذلك سرا فافشاء الله ، أظهره لئيبه عليه السلام والاظهر أن يقال والله يعلم أسرارهم وهو ما في قلوبهم من العلم بصدق محمد عليه السلام فانهم كانوا كافرين معاندين وكانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم وقرى أسرارهم يكسر الهمزة على المصدر وما ذكرنا من المعنى ظاهرا على هذه القراءة فانهم كانوا يسرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وعلى قولنا المراد من الذين ارتدوا المنافقون فكانوا يقولون للجهاهدين من الكفرة سنطيعكم في بعض الامر وكانوا يسرون أنهم ان غلبوا انقلبوا كما قال الله تعالى ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم وقال تعالى فاذ جاء الخوف صدقكم بأستة حدود ثم قال تعالى فكذب ادنوسهم الملائكة يضربون وجوههم وأنبأهم) انه نافع الله تعالى والله يعلم أسرارهم قال فذهب عنهم سرهم والله لا يظهره اليوم فكذب بقى تخفيا وقت وعاتهم أو نقول كما به تعالى قال والله يعلم أسرارهم وذهب عنهم يختارون القتال دافعة من اضراب والسعيان معاته مفيد على الوجهين جميعا ان غلبوا فالمل في الحال والثواب في المال ومن غلبوا شهادة والسعادة فكيف حالهم اذا ضرب وجوههم وأنبأهم وعلى هذا فيه لطيفة وهى ان القتال في الحال ان أهدم المبارز فرما يهزم الخصم ويسلم وجهه وفقاء وان لم يهزمه فاضرب على وجهه ان صبر وثبت وان لم يثبت وان هزم فافات القرن فقد سلم وجهه وفقاء وان لم يهزمه فاضرب على فقاء لا غير ويوم الوفاة لانصرته ولا مقر فوجهه وظهره مضروب مطعون فكيف يحترض الاذى

في اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يجب عند قوله تعالى (والله يعلم أسرارهم) أى اخفاءهم لما يقولونه

للإهود وهري أسرارهم أي جميع أسرارهم التي من أجلها قولهم هذا واجبة اعتراض مغرر لما قبله متضمن للاقتداء في الدنيا والتعذيب في الآخرة والفناء في قوله تعالى (فكيف اذا توفتهم في ٥٤٨ الملائكة) لترتيب ما بعدهما على

ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل في الظرف كأنه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي فكيف حالهم اوحياهم اذا توفتهم الخ وهري توفاهم على أنه اماما مض أو مضارع قد حذف إحدى تاييه (يضربون وجوههم وأديبارهم) حاك من فاعل توفتهم أو من مفعوله وهو تصوير لتوفيتهم على أهل الوجوه وأفضعها وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الا يضرب الملائكة وجهه وديره (ذاك) التوفى الهائل (بأنهم) أي بسبب انهم (اتبعوا ما أسخط الله) من الكفر والمعاصي (وكرهوا رضوانه) أي ما يرضاه من الإيمان والطاعة حيث كفروا بعد الإيمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا

وتختار العذاب الأكبر * قوله تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه) وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى ذكر أمرين ضرب الوجه وضرب الادبار وذكر بعدهما أمرين آخرين اتباع ما أسخط الله وكرهه رضوانه فكانت تعالى قابل الأمرين فقال يضربون وجوههم حيث أقبلوا على أسخط الله فان المتبع للشيء متوجه اليه ويضربون أديبارهم لأنهم تولوا عافيه رضاء الله فان الكاره للشيء يتولى عنه وما أسخط الله يحتمل وجوها (الاول) انكار الرسول عليه الصلاة والسلام ورضوانه الاقرار به (الثاني) الكفر هو ما أسخط الله والايمان يرضيه يدل عليه قوله تعالى ان تكفروا فان الله غني عن عباده ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكرم وقال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية الى ان قال رضي الله عنهم ورضوانه (الثالث) ما أسخط الله تسويل الشيطان ورضوان الله التعويل على البرهان والبرآن فان قيل هم ما كانوا يكرهون رضوان الله بل كانوا يقولون ان مانعنا عليه فيد رضوان الله ولا يطلب الارضاء الله وكيف لا والمشركون بأشراكهم كانوا يقولون اننا نطلب رضاء الله كما قالوا ليقرّبونا الى الله زلفى وقالوا اشفعوا لنا فنقول معناه كرهوا ما فيه رضاء الله تعالى (وفيه لطيفة) وهي ان الله تعالى قال ما أسخط الله ولم يقل ما أَرْضَى الله وذلك لان رحمة الله سابقة فله رحمة ثابتة وهي منشأ الرضوان وغضب الله متأخر فهو يكون على ذنب فقال رضوانه لانه وصف ثابت لله سابق ولم يقل أسخط الله بل ما أسخط الله إشارة الى أن السخط ليس بثبوت كثرت الرضوان ولهذا المعنى قال في اللعان في حق المرأة والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من العاصدين فقال غضب الله مضافا لان إسماعيل قد سبق مظهر الزنا بقوله وأيمانه وقبله لم يكن الله غضب ورضوان الله أمر يكون منه الفعل وغضب الله أمر يكون من فعله ولنضربه مثلا الكريم الذي رشح الكريم في نفسه يعمل الكرم على الأفعال الحسنة فاذا كثر من السيئ الاساءة فنضبه لا لأمر يعود اليه بل غضبه عليه يكون لاصلاح حاله وزجرا لامثاله عن مثل فعالمه فيقال هو كمال الكريم فكرمه لمسا فيه من العريضة الحسنة لكن فلانا أغضبه بظهور منه الغضب فيجمل الغضب ظاهرا من الفعل والفعل الحسن ظاهرا من الكرم فالغضب في الكريم بعد فعل وانفعل منه بعد كرم ومن هذا يعرف لطيف قوله ما أسخط الله وكرهوا رضوانه * ثم قال تعالى (فأحبط أعمالهم) حيث لم يطلبوا رضاء الله واطاعوا رضاء الشيطان والاصنام * قوله تعالى (أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله اضغانهم) هذا إشارة الى المنافقين وأم تستدعي جملة أخرى استفهامية اذا كانت للاستفهام لا كلمة أم اذا كانت متصلة استفهامية تستدعي سبق جملة أخرى استفهامية يقال أزيد في الدار أم عمرو واذا كانت منقطعة لا تستدعي ذلك يقال ان هذا زيد أم عمر وكما يقال بل عمرو والمفسرون على انها منقطعة ويحتمل ان يقال انها استفهامية والسابق مفهوم من قوله تعالى والله يعلم أسرارهم فكانت تعالى قال

من المعاملة مع الإهود (فأحبط) لاجل ذلك (أعمالهم) التي عملوها حال إيمانهم من الطاعات * (أم حسب الذين في قلوبهم مرض) أو بعد ذلك من أعمال البر التي اعملوها حال الإيمان لاتنفعوا بها (أم حسب الذين في قلوبهم مرض)

أهم المنافقون الذين فصلت أحوالهم الشبهة وصنفوا بوصفهم السابق لكونهم دار المأوى عليهم بقوله تعالى (أن لن يخرج الله أضغانهم) وأم مقطوعة وأن (٥٤٩) بحذف من أن وخبر الشأن الذي هو اسمها محذوف ولن بما في خبرها

خبرها والأضغان جمع ضغن وهو الحقد أى بل أحسب الذين في قلوبهم حظوظ ودواعي المؤمنين أنه لن يخرج الله أضغانهم ولن يبرزها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فتبقى أمورهم مستورة والمعنى أن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال (ولو نشاء) أرايتهم (لأريناكمهم) أرايتهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة متاخمة للروية والاتفات إلى نون العظمة لأبراز العناية بالآراء (فلأعرفتهم بسميائهم) بعلامتهم التي نسميهم بها وعن أنس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسميائهم ولقد كنا في بعض القربات وفيها تسعة من المنافقين يشكروهم الناس فتأموا ذات ليلة وأصبروا وعا كل واحد منهم مكتوب شذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتأكيد والغاء لترتيب المعرفة على الإرادة وأما ما في قوله تعالى

أحسب الذين كفروا أن يعلم الله أسرارهم أم حسب المنافقون أن لن يظهرها والكل قاصرون عما يعلمها ويظهرها ويؤيد هذا أن المقطوعة لا تكاد تقع في صدر الكلام فلا يقال ابتداء بل جاز يذول أم جاء عمرو والاخراج بمعنى الأظهار فإنه أبراز والأضغان هي الحقد والامراض واحد مضغن ثم قال تعالى (ولو نشاء لأريناكمهم فاعرفتهم بسميائهم ولتعرفتهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم) إما كان مفهوم قوله أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم أن الله يظهر ضمائرهم ويبرز أسرارهم كان قائلا قل فلم يظهر فقال أخرناه لمحض المشبهة بالخوف منهم كالانقشأ أسرار الأكابر خوفا منهم ولو نشاء لأريناكمهم أى لا مانع لنا والإرادة بمعنى التعريف وقوله فلأعرفتهم زيادة فائدة وهي أن التعريف قد يطلق ولا يلزمه المعرفة يقال عرفته ولم يعرف وفهمته ولم يفهم فقال ههنا فلأعرفتهم بمعنى عرفناهم تعريفًا تعرفهم به إشارة إلى قوة التعريف واللام في قوله فلأعرفتهم هي التي تقع في جزاء لو كما في قوله لأريناكمهم أدخلت على المعرفة إشارة إلى أن المعرفة كالمرتبة على المشبهة كأنه قال ولو نشاء لعرفتهم أي فهم أن المعرفة غير متأخرة عن التعريف فنفيد تأكيد التعريف أى لو نشاء لعرفناكم تعريفًا مع المعرفة لا بعده وأما اللام في قوله تعالى ولتعرفتهم جواب أقسم محذوف كأنه قال ولتعرفتهم والله وقوله في لحن القول فيه وجوه (أحدها) في معنى القول وعلى هذا فيحتمل أن يكون المراد من القول قولهم أى تعرفتهم في معنى قولهم حيث يقولون ما معناه اتفاق قولهم حين يحكى التعصباتا كننا بكم وقولهم نحن رجسنا إلى المدينة ليخرجن وقواهم أن يوتنوا سورة وغير ذلك ويحتمل أن يكون المراد قول الله عز وجل أى تعرفتهم في معنى قول الله تعالى حيث قال ما تعلم منه حال المنافقين كقولته تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا وقوله إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم إلى غير ذلك (وثانيها) في ميل القول عن الصواب حيث قالوا ما لم يعتقدوا فأما لو كلامهم حيث قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون وقالوا إن يوتن سورة وما هي بسورة ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار إلى غير ذلك (وثالثها) في لحن القول أى في الوجد الخفي من القول الذي يفهمه النبي عليه السلام ولا يفهمه غيره وهذا يحتمل أمرين أيضا النبي عليه السلام كان يعرف المنافق ولم يكن يظهر أمره إلى أن أذن الله تعالى له في إظهار أمرهم ومنع من الصلاة على جنازتهم والقيام على قبورهم وأما قوله بسميائهم فالظاهر أن المراد أن الله تعالى لو شاء لجعل على وجوههم علامة أو يمسحهم كما قال تعالى ولو نشاء لمسخناهم وروى أن جماعة منهم أصبحوا وعلى جباههم ككوب هذا منافق وقوله تعالى والله يعلم أعمالكم وحده المؤمنين وبيان لكون حالهم على خلاف حال المنافق فإن المنافق له قول بلا عمل وللمؤمن كان له عمل ولا يقول به وإنما قوله التسميع يدل على قوة تعالى ربنا لا تتواخذنا أن نسينا

(ولتفرقهم في الحق القول) فالجواب قسم محذوف وحق القول صوره وأسلوبه أو أماله إلى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمعطى لاحن لمدله باللام عن سمت الصواب (والله يعلم أعمالكم) ﴿ ٥٥٠ ﴾ فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد

للمؤمنين و ايدان بان حالهم بخلاف حال المنافقين (واستبلونكم) بالامر بالجهاد ونحوه من التكليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) أي لنا من نعلم المجاهدين أي بما يحتمل الوقوع ويحتمل عدم الوقوع كما يغفل الخبير وقوله تعالى حتى نعلم المجاهدين أي نعلم المجاهدين من غير المجاهدين ويدخل في علم الشهادة فانه تعالى قد علم علم الغيب وقد ذكرنا ما هو الصحيح في الابتلاء وفي قوله حتى نعلم وقوله المجاهدين أي المتقدمين على الجهاد والصابرين أي اللاحقين الذين لا يولون الادبار وقوله ونباواخباركم يحتمل وجوها (أحدها) قوله آمنا لان المنافق وجد منه هذا الخبر والمؤمن وجد منه ذلك أيضا والجهاد يعلم الصادق من الكاذب كما قال تعالى أولئك هم الصادقون (وثانيها) اخبارهم من عدم التولية في قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار الى غير ذلك فالؤمن وفي بعده وقابلهم أصحابه في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص والمنافق كان كالهباء يزهر بأدنى صيحة (وثالثها) المؤمن كان له أخبار صادقة مجموعة من النبي عليه السلام كقوله تعالى تدخلن المسجد الحرام لا غابن أنا ورسلي وإن جندنا لهم الغالبون والمنافق أخباره هي أراجيف كما قال تعالى في حقهم والمرجعون في المدينة فعند تحقق الإيجاف يبين الصادق من الأراجاف ﴿ ثم قال تعالى (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاءوا الرسول بعد ما تبين لهم الهدى أن يضروا الله شيئا وسيجلب الله عملهم) وفيه وجهان (أحدهما) هم أهل الكتاب قرينة والنضير (والثاني) كفار قرين يشيد على الأول قوله تعالى من بعد ما تبين لهم الهدى قيل أهل الكتاب تبين لهم صدق محمد عليه السلام وقوله إن يضروا الله شيئا تهديد معناه هم يظنون أن ذلك الشقاق مع الرسول وهم به يشاققونه وليس كذلك بل الشقاق مع الله فإن محمدا رسول الله ماحليه الإيلاخ فإن ضروا يضروا المرسل لكن الله منزّه عن أن يضمر بكفر كافر وفسق فاسق وقوله وسيجلب الله عملهم معناه فإن قل قد تقدم في أول السورة إن الله تعالى أحبط أعمالهم فكيف يجلب في المستقبل فنقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن المراد من قوله الذين كفروا بصدوا عن سبيل الله في أول السورة المشركون ومن أول الامر كانوا مبطلين وأعمالهم كانت على غير شريرة والمراد من الذين كفروا ههنا أهل الكتاب وكانت لهم أعمال قبل لرسول فاحبطها الله تعالى بسبب تكذيبهم الرسول ولا يتفقهم إيمانهم بالحشر والرسول والتوحيد والكافر المشرك أحبط عمله حيث لم يكن على شرع أصلا ولا كان معتز بالحشر (الثاني) كهموان المراد بالأعمال ههنا ما كان في القتال وذلك قد تحقق منهم والله سيطله حيث يكون الكسر للمؤمنين والمراد بالأعمال في أول السورة هو ما ظفوه حسنة ﴿ ثم قال

للمؤمنين و ايدان بان حالهم بخلاف حال المنافقين (واستبلونكم) بالامر بالجهاد ونحوه من التكليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) أي لنا من نعلم المجاهدين أي بما يحتمل الوقوع ويحتمل عدم الوقوع كما يغفل الخبير وقوله تعالى حتى نعلم المجاهدين أي نعلم المجاهدين من غير المجاهدين ويدخل في علم الشهادة فانه تعالى قد علم علم الغيب وقد ذكرنا ما هو الصحيح في الابتلاء وفي قوله حتى نعلم وقوله المجاهدين أي المتقدمين على الجهاد والصابرين أي اللاحقين الذين لا يولون الادبار وقوله ونباواخباركم يحتمل وجوها (أحدها) قوله آمنا لان المنافق وجد منه هذا الخبر والمؤمن وجد منه ذلك أيضا والجهاد يعلم الصادق من الكاذب كما قال تعالى أولئك هم الصادقون (وثانيها) اخبارهم من عدم التولية في قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار الى غير ذلك فالؤمن وفي بعده وقابلهم أصحابه في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص والمنافق كان كالهباء يزهر بأدنى صيحة (وثالثها) المؤمن كان له أخبار صادقة مجموعة من النبي عليه السلام كقوله تعالى تدخلن المسجد الحرام لا غابن أنا ورسلي وإن جندنا لهم الغالبون والمنافق أخباره هي أراجيف كما قال تعالى في حقهم والمرجعون في المدينة فعند تحقق الإيجاف يبين الصادق من الأراجاف ﴿ ثم قال تعالى (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاءوا الرسول بعد ما تبين لهم الهدى أن يضروا الله شيئا وسيجلب الله عملهم) وفيه وجهان (أحدهما) هم أهل الكتاب قرينة والنضير (والثاني) كفار قرين يشيد على الأول قوله تعالى من بعد ما تبين لهم الهدى قيل أهل الكتاب تبين لهم صدق محمد عليه السلام وقوله إن يضروا الله شيئا تهديد معناه هم يظنون أن ذلك الشقاق مع الرسول وهم به يشاققونه وليس كذلك بل الشقاق مع الله فإن محمدا رسول الله ماحليه الإيلاخ فإن ضروا يضروا المرسل لكن الله منزّه عن أن يضمر بكفر كافر وفسق فاسق وقوله وسيجلب الله عملهم معناه فإن قل قد تقدم في أول السورة إن الله تعالى أحبط أعمالهم فكيف يجلب في المستقبل فنقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن المراد من قوله الذين كفروا بصدوا عن سبيل الله في أول السورة المشركون ومن أول الامر كانوا مبطلين وأعمالهم كانت على غير شريرة والمراد من الذين كفروا ههنا أهل الكتاب وكانت لهم أعمال قبل لرسول فاحبطها الله تعالى بسبب تكذيبهم الرسول ولا يتفقهم إيمانهم بالحشر والرسول والتوحيد والكافر المشرك أحبط عمله حيث لم يكن على شرع أصلا ولا كان معتز بالحشر (الثاني) كهموان المراد بالأعمال ههنا ما كان في القتال وذلك قد تحقق منهم والله سيطله حيث يكون الكسر للمؤمنين والمراد بالأعمال في أول السورة هو ما ظفوه حسنة ﴿ ثم قال

المضاف لتعظيمه وتفطيع مشاقته (وسيجلب أعمالهم) أي مكابدهم التي نصبوها في ابطال ﴿ تعالى ﴾ دينه تعالى ومشاقه رسوله عليه

البصلاة والسلام فلا يصلون بها إلى ما كانوا يفعلون من القوائل ولا تحرمهم الاقتل والجلاد عن أوطانهم (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا) ٥٥١ ﴿ أعمالكم ﴾ بما أنزل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والنفاق

والحجب والرياء وإن
والذي ونحوها وبس
فيه له على ط
الطاعات والكبائر (إن
الذين كفروا وصعدوا
من سبيل الله ثم ماتوا
وهم كفار فإن يغفر الله
لهم) حكمهم بعم كل من
مات على الكفر وإن
صحيح نزوله في أصحاب
القلب (فلا تنهوا) أي
لا تضعضعوا (وتدعوا إلى
السلام) أي ولا تدعوا
الكفار إلى الصلح خورا
فإن ذلك إعطاء الدنيا
ويجوز أن يكون منصوبا
بإخبار أن على جواب
النهى وقرئ ولا تدعوا
من ادعى القوم بمعنى
تدعوا نحو ارتدوا والعصيدة
وتراموه ومنه تراموا والملال
فإن صيغة التفاعل قد
يراد بها صدور الفعل
عن المتعدد من غير
اعتبار وقوعه عليه
ومنه قوله تعالى عم
يتساءلون على أحد
الوجهين والقاء لترتيب
النهى على ما سبق
من الأمر بإطاعة
وقوله تعالى (وأنتم
الاعلون) جلة حاله

تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) اذهب
ههنا من باب عطف المسبب على السبب يقال اجلس واسترح وقم واشل لا رطبة
الله يحمل على طاعة الرسول وهذا إشارة إلى العمل بعد حصول العلم كأنه تعادى قال
بأيها الذين آمنوا علمتم الحق فافعلوا الخير وفوله ولا تبطلوا أعمالكم يحتمل وجوها
(أحدها) وموا على ما أنتم عليه ولا تنسروا أعمالكم قال تعالى لن أشركت
بكم من عملك (الوجه الثاني) لا تبطلوا أعمالكم بترك طاعة الرسول كما يبطل أهل الكتاب
أعمالهم بتأديب الرسول وعصيانته ويؤيده قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا
أصواتكم لي أرا قال أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون (الثالث) لا تبطلوا أعمالكم
بالن والافى كما قال تعالى يمتنون عليك إن أسلوا قل لا تمنوا على إسلامكم وذلك إن من يمن
باططاعة على الرسول كأنه يقول هذا فعلته لأجل قلبك ولو لا رضاك به لما فعلت وهو
مثنى للاخلاص والله لا يقبل إلا العمل الخالص * ثم قال تعالى (إن الذين كفروا
وصعدوا من سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) بين أن الله لا يغفر الشرك وما
دون ذلك يغفره إن شاء حتى لا يظن ظان أن أعمالهم وإن بطلت لكن فضل الله باق يغفر لهم
بفضله وألم يغفر لهم بمعلمهم * ثم قال تعالى (فلا تنهوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون
والله أعلم ولن يترك أعمالكم) لما بين أن عمل الكافر الذي له صورة الحسنات محبط وذنبه
الذي هو أفرح السمات غير مغفور بين أن لحرمة له في الدنيا ولا في الآخرة وقد أمر الله
تعالى بطاعة الرسول بقوله وأطيعوا الرسول وأمر بالقتال بقوله فلا تنهوا أي لا تضعضعوا
بعد ما وجد السبب في الحذف في الأمر والاجتهاد في الجهاد فقال فلا تنهوا وتدعوا إلى السلم
وفي الآيات ترتيب في غاية الحسن وذلك لأن قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول يقتضي
السعي في القتال لأن أمر الله وأمر الرسول ورد بالجهاد وقد أمروا بالطاعة فذلك يقتضي
أن لا يضعف المكلف ولا يكسل ولا يهن ولا يتهاون ثم إن بعد مقتضى قد يتحقق مانع
ولا يتحقق المسبب والمانع من القتال إما أخروي وإما دنيوي فذكر الأخروي وهو أن
الكافر لحرمة له في الدنيا والآخرة لأنه لا عمل له في الدنيا ولا مغفرة له في الآخرة فإذا وجد
السبب ولم يوجد المانع ينبغي أن يتحقق المسبب ولم يقسم المانع الدنيوي على قوله فلا تنهوا
إشارة إلى أن الأمور الدنيوية لا ينبغي أن تكون مانعة من الاتيان فلا تنهوا فإن لكم
النصر أو عليكم بالعزيمة على تقدير الاعتراف للهزيمة ثم قال تعالى بعد ذلك المانع الدنيوي
مع أنه لا ينبغي أن يكون مانعا ليس بموجود أيضا حيث أنتم الأعلون والاعلون
والمصطفون في الجمم حالة الرفع معلوم الأصل ومعلوم أن الأمر كيف آلا إلى هذه الصيغة
في التصريف وذلك لأن أصله في الجمع الموافق اعليون ومصطفون فسكنت الياء لكونها
حرف علة فتحرك ما قبلها والواو كانت ساكنة فالتقى ساكنان ولم يكن بينهما حذف أحدهما
أو تحريكه والتحريك كان يوقع في المحذور الذي اجتنب منه فوجب الحذف والواو كانت

مقررة لمعنى النهى مؤكدة لوجود الانتهاء وكذا قوله (والله معكم) فإن كونهم الاعلين وكونه

من وجب ناصره من أقوى موجبات الاجتناب عما يوجبهم الذل ﴿ ٥٥٢ ﴾ والضراعة وكذا توفيقه تعالى لا يجوز

الاعمال حسبا يعرب عنه قوله تعالى (ولن يترك أعمالكم) أي وإن بضيعها من وثرت الرجل إذا قتل له قتيلا من ولد أو أخ أو جيم فأفردته عنه من الوتر الذي هو الفرد وعبر عن ترك الانابة في مقابلة الاعمال بالوتر الذي هو اضاعة شيء معسده من الانفس والاموال مع أن الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة أهل السنة أرازا لغاية اللطيف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتزليل ترك الانابة منزلة اضاعة أعظم الحقوق واتلافها وقدم في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم أني لا أضع عمل عامل منكم (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) لا ثبات لها ولا اعتداد بها (وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتيكم أجوركم) أي ثواب إيمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التي ينشأ قس فيها المتنافسون (ولا يستلکم أموالکم) بحيث يخل أداؤها بما شكم وإنما اقصر على نزع سير منها هور بع العشر تؤدونها إلى فقرائكم

فيه معنى لا يستفاد لامتها وهو الجمع فاستقطت الباء وبقى أعاون وبهذا الدليل صار في الجرح أعلين ومصطفين بقوله تعالى والله معكم هداية وإرشاد يمنع المكلف من الإعجاب بنفسه وذلك لأنه تعالى لما قال أنتم الأعاون كان ذلك سبب الافتخار فقال والله معكم يعني ليس ذلك من أنفسكم بل من الله أو قول لما قال وأنتم الأعلون فكان المؤمنون يرون ضعف أنفسهم ولا يهتم مع كثرة الكفار وشوكتهم وكان يقوم في نفس بعضهم أنهم كيف يكون اسم الغلبة فقال إن الله معكم لا يبقئكم شك ولا ريب في أن الغلبة لكم وهذا كقوله تعالى لا غلبن أناورسلي وقوله وإن جندنا بهم الغالبون وقوله وإن يترك أعمالكم وعد آخر وذلك لأن الله لما قال إن الله معكم كان فيه أن النصرة بالله لا بكم فكان القائل يقول لم يصدر مني عمل له اختيار فلا استحق تعظيما فقال هو ينصركم ومع ذلك لا ينص من أعمالكم شيئا ويجعل كان النصرة جعلت بكم ومنكم فكانتكم مستقلون في ذلك ويعطيكم أجر المستبد والثرة النقص وعنه الموتر كأنه نقص منه ما يشفعه ويقول عند القتال إن قتل من الكافرين أحد فقد وتروا في أهلهم وعملهم حيث نقص عددهم وضاع عملهم والمؤمن إن قتل فأنما ينقص من عدده ولم ينقص من عمله وكيف ولم ينقص من عدده أيضا فانه حي مرزوق فرح بما هو إليه مسوق ﴿ ثم قال تعالى ﴾ (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتيكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم) زيادة في التسلية بمعنى كيف تمنعك الدنيا من طلب الآخرة بالجهاد وهي لا تفوتك لكونك منصورا غالبا وإن فانتك فعملك غير موتر فكيف وما يفوتك فارت فانت ولم يعوض لا ينبغي لك أن تلتفت إليها لكونها لعبا ولهوا وقد ذكرنا في اللعب واللهو مرارا أن اللعب ما تشتغل به ولا يكون فيه ضرورة في الحال ولا منفعة في المآل ثم إن استعمله الإنسان ولم يشغله عن غيره ولم يشغله عن اشتغاله المهمة فهو لعب وإن شغله ودهشه عن مهماته فهو لهو ولهذا يقال ملاهي لآلات الملاهي لأنها مشغلة عن الغير ويقال للمادة لهو كالعاب بالسطرنج والحمام وقد ذكرنا ذلك غير مرة وقوله وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتيكم أجوركم إعادة للوعود والاضافة للتعريف أي الأجر الذي وعدكم بقوله أجر كريم وأجر كبير وأجر عظيم وقوله ولا يستلکم أموالکم يحتمل وجوها (أحدها) أن الجهاد لا بد له من انفاق فلو قال قائل أن لا تنفق مالى فيقال له الله لا يستلکم مالکم في الجهات المعينة من الزكاة والغنمة وأموال المصالح فيما يحتاجون إليه من المال لا ترعون باخراجه (وثانيها) الأموال لله وهي في أيديكم طارية وقد طلب منكم أو أجاز لكم في صرفها في جهة الجهاد فلا معنى لاختلافكم بماله وإلى هذا أشار بقوله تعالى ومالکم أن لا تنفقوا في سبيل الله والله ميراث السموات والأرض أي الكل لله (وثالثها) لا يستلکم أموالکم كلها وإنما بسألكم شيئا يسيرا منها وهو ربع العشر وهو قليل جدا لأن العشر هو الجزء الأقل إذا ليس دونه جزء آخر وليس اسما مفردا وأما الجزء من أحد عشر ومن اثني عشر ومن مائة جزء لما لم يكن ملتقيا إليه لم يوضع له اسم مفرد ثم إن الله تعالى لم يوجب ذلك

(ان يسألكموها) أى أموالكم (فحفكم) أى يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والاحفاد والبالغه وبلوغ الغاية يقال أحق شاربه اذا استأصله (تخلوا) فلا تملأوا ﴿ ٥٥٣ ﴾ (ويخرج أضغانكم) أى أحقادكم وضرب

يخرج الله تعالى ويعضده
القرارة بنون العظمة
أو لا يخل لأنه سبب
الأضغان وقرى يخرج
من الخروج بالياء والتاء
سندا الى الأضغان (ها
أنتم هؤلاء) أى أنتم
أيها المخاطبون هؤلاء
الموصوفون وقوله تعالى
(تدعون لتنفقوا في سبيل
الله) استئناف مقرر لذلك
أو صلة اه ولا بدلى انه
يعنى الذين أى هاتم
الذين تدعون فقيه تولى
عظيم وتحف من شأنهم
والانفاق في سبيل الله
يعم نفقة الغزو والزكاة
وغيرهما فحكم من
يخل أى ناس يخلون
وهو في حيز الدليل على
الشرطية السابقة (ومن
يخل قائما يخل عن
نفسه) فان كلاما نفق
النفاق وضررا يخل عائد
اليه واليخل يستعمل
بعن ودلى لتضمنه معنى
الامساك والتعدي
(والله الغنى) دون من
عداه (وأنتم الفقراء)
فما يأمركم به فهو
لاحتياجكم الى ما فيه
من المنافع فان امتثلتم
فليكن وان

في رأس المال بل أوجب ذلك في الربح الذى هو من فضل الله وعطائه وان كان رأس
المال أيضا كذلك لكن هذا المعنى في ربح أظهر ولما كان المال منه ما ينفق بالتجارة
فيه ومنه ما لا ينفق وما انفق منه للتجارة أحد قسميه وهو يحتمل أن تكون التجارة فيه
رابحة ويحتمل أن لا تكون رابحة فصار القسم الواحد قسمين فصار في التقدير كل الربح
في ربه فأوجب عشر الذى فيه الربح وهو عشر فهو ربع العشر وهو الواجب فعلم ان
الله لا يسألكم أموالكم ولا الكثير منه * ثم قال تعالى (ان يسألكموها فحفكم) فخرجوا
ويخرج أضغانكم) الغاء في قوله فحفكم بلاشارة أى أن الاحفاء يقع السؤال بيانا
لشيخ النفس وذلك لأن العطف بالواو قد يكون امثليين بالقاء لا يكون أمثليين أو
متعديين أحدهما بالآخر فكأنه تعالى بين أن الاحفاء يقع حقيق السؤال لأن الانسان
يخرج السؤال لا يعطى شيئا وقوله تخلوا ويخرج أضغانكم يعنى ما طلبها ولو طلبها الخ
عليكم في الطلب ليجتهد كيف وأنتم يخلون باليسير فكيف لا يخلون بالكثير وقوله ويخرج
أضغانكم يعنى بسببه فان الطالب وهو الذى على الله عليه وسلم وأصحابه يطلبونكم وأنتم
لحبة المال وشمخ النفس تمتعون فيغضى الى التال وتظهر به الضغائن * ثم قال تعالى
بيانا لما قاله (هاتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فحكم من يخل ومن يخل قائما
يخل عن نفسه والله غنى وأنتم الفقراء) قد طلبت منكم اليسير فخلتم فكيف لو طلبت
منكم الكل وقوله هؤلاء يحتمل وجهين (أحدهما) ان تكون موصولة كأنه قال أنتم
هؤلاء الذين تدعون لتنفقوا في سبيل الله (وثانيهما) هؤلاء وحدها خبر أنتم كما يقال أنت
هذا تحقيقا مشهورة والظهور أى ظهر أثركم بحيث لا حاجة الى الاخبار عنكم بامر مغاير
ثم يتبدى تدعون وقوله تدعون أى الى الانفاق اما في سبيل الله تعالى بالجهاد واما في صرفه
الى المستحقين من اخوانكم وبالجملة في الجهتين تخزيل الاعداء ونصرة الاولياء فحكم
من يخل ثم بين ان ذلك يخل ضرر عائد اليه فلا تملأوا انهم لا ينفقونه على غيرهم بل
لا ينفقونه على أنفسهم فان من يخل باجرة الطيب وثمن الدواء وهو مريض فلا يخل الا
على نفسه ثم حقيق ذلك بقوله والله الغنى غير محتاج الى ما نكم وأتمه بقوله وأنتم الفقراء
حتى لا تقولوا انما ايضا أغنياء عن القتال ودفع حاجة الفقراء فانهم لا غنى لهم عن ذلك
في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فلأنه لولا القتال لقتلوا فان الكافرين لم يغز يغزو المحتاج
ان لم يدفع حاجته يقصده لاسيما باباح الشارع للمضطرب ذلك وأما في الآخرة فظاهر فكيف
لا يكون فقيرا وهو موقف مسؤل يوم لا ينفق مال ولا بنون * ثم قال تعالى (وأن تنولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) بيان الترتيب من وجهين (أحدهما) انه ذكره
بيانا للاستغناء كما قال تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وقد ذكر ان هذا تقرير
بعد التسليم كأنه تعالى يقول الله غنى عن العالم بأسره فلا حاجة له اليكم فان كان ذاهب

توايتم فعليكم وقوله تعالى (وان تولوا) عطف على ﴿ ٥٥٤ ﴾ ان تولوا أي وان تعرضوا عن الايمان والتقوى

(يستبدل فوما غيركم)
 خلف مكانكم وما
 آخر (ثم لا يكونوا
 أمثالكم) في تولي عن
 الايمان وان شئى بل
 يكونوا راضين فيهما
 قيل هم الانصار وقيل
 الملائكة وقيل أهل
 فارس لما روى أنه عليه
 الصلاة والسلام سئل
 عن القوم وكان سلمان
 الى جنبه فضرب على
 فخذه فقال هذا وقومه
 والذي نفسى بيده لو كان
 الايمان منوطا بالثريا لتأوله
 رجال من فارس وقيل
 كددة والخم وقيل العجم
 وقيل الروم * عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 من قرأ سورة محمد كان
 حقا على الله عز وجل
 أن يسقيه من أنهار الجنة
 * (سورة الفتح مدنية
 نزلت في مرجع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 من الجديبية وآيها
 تسع وعشرون) *
 * (بسم الله الرحمن
 الرحيم) * (انا فتحناك)
 فتح البلد عبارة عن
 الظفر به عنوة أو صلحا
 بحراب أو بدونه فانه
 مالم يظفر به منفلق ما خرد من فتح باب الدار واستناده الى نون العظمة لاستناده أفعال * الاعلون *

يذهب الى ان ملكه بالعالم وجبروته يظهر به وعظامته بعباده فتقول هان هذا الباطل
 حق لكنكم غير متعينين له بل الله قادر على أن يخاق حلفاء غيركم بفخروه بعبادته وعالمه
 غير هذا يشهد بعظمته وكبريائه (وثانيها) انه تعالى لما بين الاور وأعاد عليها لبراهين
 وأوضحها بالأمثلة قال ان طمتم فلنكم أحمركم زيادة ان تتوا والم يبق لكم الا الاهلاك
 فان ما من نبي أنذر قومه وأصروا على تكذيبه فوفى حق عليهم اقول بالاهلاك وظهر
 الله الارض منهم وأنى بقوم آخرين طمتم وقوله ثم يكونوا أمثالكم فيه مسألة نحوية
 يتبين منها فوائد عريضة وهى ان الفاء ما لا يجوز في المعطوف على جواب اشترط بالواو
 والفاء ثم الجزم والرفع جميعا قال الله تعالى ههنا وان تتوا يستبدل فوما غيركم ثم
 لا يكونوا أمثالكم بالجرم وقال في موضع آخر وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون
 بالرفع باثبات النون وهو مع الجواز ففيه تدقيق وهوان ههنا لا يكون متعلقا بالتولى لانهم
 ان لم يتولوا يكونون ممن يأتى بهم الله على اطاعة وان تولوا لا يكونون مثلهم لكونهم
 عاصين وكور من يأتى بهم مطيعين وأما هناك سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا لا ينصرون فلم يكن
 للتعليق هناك وجه فرفع بالابتداء وههنا جزم للتعليق وقوله ثم لا يكونوا أمثالكم يحتمل
 وجهين (أحدهما) أن يكون المراد لا يكونوا أمثالكم في الوصف ولا في الجنس وهو لائى
 (الوجه الثاني) وفيه وجوه (أحدها) قوم من العجم (وثانيها) قوم من فارس روى أن
 النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن يستبدل بهم ان تولوا وسلمان الى جنبه فقال هذا وقومه
 ثم قال لو كان الايمان منوطا بالثريا لتأله رجال من فارس (وثالثها) قوم من الانصار والله
 أعلم والمحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبي وآله وصحبه وعترته وأهل بيته
 أجمعين وسلم تسليما كثيرا آمين

(سورة الفتح عشرون وتسع آيات مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا فتحناك فتحا مبينا) لغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك
 صراطا مستقيما ويتصرك الله نصرا عزيزا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في الفتح وجوه
 (أحدها) فتح مكة وهو ظاهر (وثانيها) فتح الروم وغيرها (وثالثها) المراد من الفتح صلح
 الحديبية (ورابعها) فتح الاسلام بالحنة والبرهان والسيف والسنان (وخامسها) المراد
 منه الحكم كقوله ربنا افصح بيننا وبين قومنا بالحق وقوله ثم يقض بيننا بالحق والخنا من
 الكل وجوه (أحدها) فتح مكة والآخر فتح الحديبية والثالث فتح الاسلام بالآية
 والبيان والحنة والبرهان والاول مناسب لا آخر ما قبلها من وجوه (أحدها) انه تعالى لما
 قال ها أنتم هؤلاء تصدون لشفقة وفى سبيل الله الى أن قال ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه
 بين تعالى انه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل لهم اضعاف ما أغفوا وأو بخلوا الضاع
 عنهم ذلك فلا يكون بخلهم الا على أنفسهم (ثانيها) لما قال والله معكم وقال وأنتم

مالم يظفر به منفلق ما خرد من فتح باب الدار واستناده الى نون العظمة لاستناده أفعال * الاعلون *

العباد اليه تعالى خلقوا وابتدأوا المراد به ﴿ ٥٥٥ ﴾ فتح مكة شرفها الله وهو المروي عن أنس رضي الله عنه بشره رسول

الله صلى الله عليه وسلم عند
انصرافه من الحديبية
والتعبير عنه بصيغة
الماضي على سنن سائر
الاخبار الرابطة للايدان
بتحققه لا بحالته أكيدا
للتبشير كما أن نصدير الكلام
بحرف التحقيق لذلك
وفيه من الفخامة المنبئة
عن عظمته شأن الخبر جل
جلاله وعرسلطانه ما
لا يخفى وقيل هو ما أتبعه
عليه الصلاة والسلام
في تلك السنة من فتح
خيبر وهو المروي عن
مجاهد وقيل هو صلح
الحديبية فانه وإن لم يكن
فيه حراب شديد بل
ترام بين الفريقين بسهام
وحجارة لكن لما كان
الظهور للمسلمين حيث
سأهمهم المشركون الصلح
كان فتحا بلا ريب وروى
عن ابن عباس رضي الله
عنه رموا المشركين
حتى أدخلوهم ديارهم
وعن الكلبي طهر وأعلمهم
حتى سأوا الصلح وقدرى
أنه عليه الصلاة والسلام
حين بلغه أن رجلا قال
ما هذا بفتح اقد صدنا
عن البيت وصد هدينا

الاهلون بين برهانه بفتح مكة فانهم كانوا هم الاعلون (ثالثها) لما قال تعالى فلاتهنوا
وتدعوا الى السلم وكان معناه لاتسألوا الصلح من عندكم بل اصبروا فانهم يسألون الصلح
ويجتهدون فيه كما كان يوم الحديبية وهو المراد بالفتح في أحد الوجوه وكما كان فتح مكة
حيث أتى صناديد قریش مستأمنين ومؤمنين ومسلمين فان قيل ان كان المراد فتح مكة
فمكة لم تكن قد فُتحت فكيف قال تعالى فتحناك فتحا مبينا بلفظ الماضي نقول الجواب
عنه من وجهين (أحدهما) فتحنا في حكمنا وتقديرنا (ثانيهما) ما قدره الله تعالى فهو
كأن فآخبر بصيغة الماضي إشارة الى أنه أمر لادافع له واقع لارفع له (المسئلة الثانية)
قوله ليغفر لك الله يبنى من كون الفتح سببا للمغفرة والفتح لا يصلح سببا للمغفرة فالجواب
عنه نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) ما قيل ان الفتح لم يجعله سببا للمغفرة وحدها
بل هو سبب لاجتماع الامور المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة والهداية والنصرة
كأنه تعالى قال ليغفر لك الله ويتم نعمته ويهديك وينصرك ولا شك ان الاجتماع لم يثبت
الا بالفتح فان النعمة به تمت والنصرة بعده قد تمت (الثاني) هو ان فتح مكة كان سببا
لتطهير بيت الله تعالى من رجس الاوثان تطهير بيته صار سببا لتطهير عبده (الثالث)
هو ان بالفتح تحصل الحج ثم بالحج تحصل المغفرة ألا ترى الى دعاء النبي عليه الصلاة والسلام
حيث قال في الحج اللهم اجعله حجبا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبيا مغفورا (الرابع) المراد
منه التعريف بتقديره اننا فتحناك ليعرف اليك مغفور معصوم فان الناس كانوا يعلموا بعد
عام الفيل ان مكة لا يأخذها عدو الله المسخوط عليه وانما يدخلها وياخذها حبيب الله
المغفور له (المسئلة الثالثة) لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ذنبا فاذي يغفر له قلنا الجواب
عنه قد تقدم مرارا من وجوه (أحدها) المراد ذنوب المؤمنين (ثانيها) المراد ترك الافضل
(ثالثها) الصغار فانها جائزة على الانبياء بالسوء والعمد وهو يصونهم عن العجب
(رابعها) المراد العصاة وديننا وجهه فسوء افعال (المسئلة الرابعة) ما معنى قوله
وما تأخر نقول فيه وجوه (أحدها) انه بعد النبي عليه السلام بأنه لا يذنب بعد النبوة
(ثانيها) ما تقدم على فتح وما تأخر عن الفتح (ثالثها) انعموم يقال اضرب من لقيت ومن
لاتنقاه مع ان من لا يلقى لا يمكن ضربه إشارة الى العموم (رابعها) من قبل النبوة ومن
بعدها وعلى هذا فقبل النبوة بالعموم وما بعد النبوة بالعموم وفيه وجوه أخرى سأقصه منها قول
بعضهم ما تقدم من أمر مارية وما تأخر من أمر زينة وهو أبعد الوجوه وأسقطها
لعدم التام الكلام وقوله تعالى ويتم نعمته عليك يحتمل وجوها (أحدها) هو ان
التكليف عند الفتح تمت حيث وجب الحج وهو آخر التكليف والتكليف نعم (ثانيها)
يتم نعمته عليك باخلاء الارض لك عن معانديك فان يوم الفتح لم يبق للنبي عليه الصلاة
والسلام حدود واعتبار فان بعضهم كانوا أهل كوايوم بدر والباقي آمنوا واستأمنوا
يوم الفتح (ثالثها) ويتم نعمته عليك في الدنيا باستجابة دعائك في طلب الفتح وفي الآخرة

قال بل هو أعظم الفتوح وقد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح

ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقدرأوا ﴿٥٥٦﴾ منكم ما يكرهون وعن الشعبي نزلت بالحديبية

وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة من قبله وأصاب أن يبيع يده الرضوان وغفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخره وبلغ الهدى محله وأطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية آية عظيمة هي نزح ماؤها حتى لم يبق فيها فطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شرب فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وشبع وفيل فحاش الماء حتى امتلأت ولم يتقدم ماؤها بعد وقبل هو جميع ما فتح له عليه الصلاة والسلام من الفتوح وقبل هو ما فتح الله له عليه الصلاة والسلام من الاسلام والنبوة والدعوة بالجنة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقبل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على أهل مكة أن تدخلها من قابل وهو المروى عن قتادة رضي الله عنه

﴿٥٥٦﴾ لكنها

﴿٥٥٦﴾ لكنها

وأيا ما كان فحذق القول للقصدي الى نفس الفعل والايذان بأن مناط التبشير نفس القتح الصادر عنه سبحانه
لا خصوصية المفتوح (فتحها مينا) بينا ﴿ ٥٥٧ ﴾ ظاهرا الامر مكتشف الحال أو قارقا بين الحق والباطل

وقوله تعالى (ليفقر لك
الله) غاية للفتح من
حيث انه مترتب على
سعيه عليه الصلاة
والسلام في اعلاء كلمة
الله تعالى بمكافئته مشاق
الحروب واقتحام موارد
الخطوب والالتفات
الى اسم الذات المستنبح
لجميع الصفات للاشعار
بأن كل واحد مما انتظم
في سلك الغاية من أفعاله
تعالى صادر عنه تعالى
من حيلة غير حيلة
الآخر مترتبة على
صفة من صفاته تعالى
(ما تقدم من قبلك
وما تأخر) أي جسيم
ما فرط منك من ترك
الاولى وتسميته ذنبا
بالنظر الى منصبه الجليل
(ويتم نعمته عليك)
باعلاء الدين وضم
الملك الى النبوة وغيرها
مما أفاضه عليه من النعم
الدينية والعنوية
(ويهديك صراطا
مستقيما) في تبليغ الرسالة
واقامة مراسم الرئاسة
وأصل الاستقامة
وان كانت حاصلة قبل
الفتح لكن حصل بعد
ذلك من اتضاح سبيل الحق واستقامة متاهجه ما لم يكن

لكنها عامة لقوله تعالى ان الله يفر الذنوب جميعا وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولئن
قلنا بأن المراد من المغفرة في حق النبي عليه السلام العصمة فذلك لم يخص نبينا بل غيره
من الرسل كان معصوما وانما النعمة كذلك قال الله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتي وقال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وكذلك
الهداية قال الله تعالى يهدي اليه من يشاء فعمم وكذلك النصر قال الله تعالى واقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وأما الفتح فلم يكن لاحد غير النبي صلى
الله عليه وسلم فعظمه بقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا وفيه التعظيم من وجهين
أحدهما انا وثانيهما لك أي لاجلك على وجه المنة * ثم قال تعالى (هو الذي أنزل
السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم والله جنود السموات والارض وكان
الله عليما حكيم) لما قال تعالى وينصرك الله بين وجه النصر وذلك لان الله تعالى قد
ينصر رسوله بصيحة يهول بها أعداءهم أو رجفة تحكم عليهم بالغناء أو جنود يرسله من السماء
أو نصروا قوة وثبات قلب يرزق المؤمنين به ليكون لهم بذلك الثواب الجزيل فقال هو الذي
أنزل السكينة أي تحقيقا للنصر وفي السكينة وجوه (أحدها) هو السكون (الثاني)
الوقار لله ولرسول الله وهو من السكون (الثالث) اليقين والكل من السكون وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) السكينة هنا غير السكينة في قوله تعالى اراية ملكه ان يأتيكم
التابوت فيه سكينة من ربكم في قول اكثر المفسرين ويحتمل هي تلك لان المقصود منها
على جمع الوجوه اليقين وثبات القلب (المسئلة الثانية) السكينة المترتبة عليهم هي سبب
ذكرهم الله كما قال تعالى ألا يدرك الله سطحا متطويا (المسئلة الثالثة) قال الله تعالى في حق
الكافرين وقذف في قلوبهم بلغظ القذف المزعج وقال في حق المؤمنين وأنزل السكينة
بلغظ الانزال المثلث وفيه معنى حكيم وهو ان من علم شأ من قبل وتذكره واستدام تذكره
فاذا وقع لا يتغير ومن كان غافلا عن شئ فيقع دفعة يرجف فوائده الاترى ان من اخبر
بوقوع صيحة وقبل له لا يتزعج منها فوقع الصيحة لا يرجف ومن لم يخبر به أو أخبر وغف
عنه يرجف اذا وقعت فكذلك الكافر أنا الله من حيث لا يحتسب وقذف في قلبه
فارتجف والمؤمن انما من حيث لا يدركه فسكن وقوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
فيه وجوه (أحدها) أمرهم بتكاليف شأ بعد شئ فآمنوا بكل واحد منها مثلا أمروا
بالوحيد فآمنوا وأطاعوا ثم أمروا بالقتال والحج فآمنوا وأطاعوا فزادوا ايمانا
مع ايمانهم (ثانيها) أنزل السكينة عليهم فصبروا فرأوا عين اليقين بما علموا من النصر علم
اليقين ايمانا بالغيب فزادوا ايمانا مستفادا من الشهادة مع ايمانهم المستفاد من
الغيب (ثالثها) ازدادوا بالقروع مع ايمانهم بالاصول فانهم آمنوا بأن محمدا رسول الله
وان الله واحد والخمير كائن وآمنوا بأن كل ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم صديق
وكل ما يأمر الله تعالى به واجب (رابعها) ازدادوا ايمانا استدلاليا مع ايمانهم القطري

حاصلا قبل (وينصرك الله) اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصرة كما يعرب عنه تأكيد بقوله تعالى (نصرا عزيزا) ﴿ ٥٥٨ ﴾ أى نصرا فيه عزة ومنعة أو قويا متبعا على

وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا المبالغة أو عزيزا صاحبه (هو الذى أنزل السكينة)

بيان لما أقاض عليهم من مبادئ الفتح من الثبات والطمأنينة أى أنزلها (فى قلوب المؤمنين) بسبب الصلح والامن اظهار الفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف

(ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) أى بقينا منضمين الى بقيتهم أو أنزل فيها السكون الى ما جاء به عليه الصلاة والسلام من الثمرات ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم با وحدانيه واليوم الآخر عن ان عباس رضى الله عنهما أن أول ما أتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلاة والزكاة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم أو أنزل فيها الوفاء والعظمة لله تعالى ورسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم (والله جنود السموات

وعلى هذا الوجه نبين الطيفه وهى ان الله تعالى قال فى حق الكافرين انما على ايمانهم ليزدادوا ايمانا ولم يقل مع كفرهم لان كفرهم هنا دى وليس فى الوجود كفر فطرى لينضم اليه الكفر العنادى بل الكفر ليس الانسدادا وكذلك الكفر بالفروع لا يقال انضم الى الكفر بالاصول لامن ضرورة الكفر بالاصول الكفر بالفروع وليس من ضرورة الايمان بالاصول الايمان بالفروع بمعنى الضاعة والانقياد فقال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقوله والله جنود السموات والارض فكان قادرا على اهلاك عدوه بجنوده بل بصيحه ولم يفعل بل أنزل السكينة على المؤمنين ليكون اهلاك أعدائهم بأيديهم فيكون لهم الثواب وفى جنود السموات والارض وجوه (أحدها) ملائكة السموات والارض (ثانيها) من فى السموات من الملائكة ومن فى الارض من الحيوانات والجن (وثالثها) الاسباب السماوية والارضية حتى يكون سقوط كسف من السماء والخسف من جنوده وقوله تعالى وكان الله عليا حكيما لما قال والله جنود السموات والارض وعددهم غير محصور أثبت العلم اشارة الى أنه لا يعرب عنه مثال ذرة فى السموات ولا فى الارض وأيضا لما ذكر أمر القلوب بقوله هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين والايمان من عمل القلب ذكر العلم اشارة الى أنه يعلم السر وأخفى وقوله حكيما بعد قوله عليا اشارة الى أنه يفعل على وفق العلم فان الحكيم من يعمل شيئا متقنا ويعلمه فان من يقع منه صنع عجيب انفا لا قاله حكيم ومن يعلم ويعمل على خلاف العلم لا يقال له حكيم * وقوله تعالى (ليرسل الله المؤمنين المؤمنين جئات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) يكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) يستدعى فعلا سابقا يدخل فان من قال ابتداء لتكرمى لا يجرى ما من قبله جئتك أو ما يفيوم مقامه وفى ذلك الفعل وجوه مضطرب الاحوال فيه بأ نقول ذلك الفعل اما أن يكون مذكورا بصريحة أو لا يكون وحيدته ينبغي ان يكون مبهوما فإن أن يكون مبهوما من لفظ يدل عليه أو لامن لفظ يدل عليه بل فهم بقية حاشا فان كان مذكورا فهو محتمل وجوها (أحدها) قوله ليزدادوا ايمانا كأنه تعالى أنزل السكينة ليزدادوا ايمانا بسبب الانزال ليندخلمهم بسبب الايمان جئات فان قيل فقوله بعذب عصف على قوله ليدخل واذا زاد ايمانهم لا يصلح سببا لتعذيبهم فتكون بلود من وجهين (أحدهما) ان التعذيب مذكور لكونه مقصودا للمؤمنين كأنه تعالى يقول بسبب ازديادكم فى الايمان بدخلكم فى الآخرة جئات ويعذب بأيديكم فى الدنيا المكفار والمنافقين (الثانى) تقديره ويعذب بسبب ما لكم من الازدياد يقال فعلته لأجابه العدو والصديق أى لا عرف بوجوده الصديق وبعده العدو فكذلك ليزدادوا ايمانا فيدخله الجنة ويزداد الكافر كفرا فيعذبه به (ووجه آخر ثالث) وهو ان سبب زيادة ايمان المؤمنين بكثرة صبرهم وثباتهم فيعبي المنافق والكافر معه ويعذب وهو قبيح مما ذكرنا (الثانى) قوله وينصرك الله كأنه تعالى قال وينصرك الله بالمؤمنين ليدخل المؤمنين

بعض تارة و يوفق بينهما السليم اخرى حسب مقتضيه مشيئة المنة على الحكم والمصالح (وكان الله عليما) مبالغا في العلم بجميع الامور (حكيميا) في تقديره ﴿ ٥٥٩ ﴾ وتديره وقوله تعالى (ابدخا المؤمنين والمؤمنات جنات تجري

جنات (الثالث) قوله تعالى ليفرلك الله ما تقدم من ذنبك على قولنا المراد ذنب المؤمن كانه ذنبا لفرل فرل ذنب المؤمنين ليدخل المؤمنين جنات واما ان قلنا هو مفهوم من لفظه صريح فحل وحوها ايضا (أحدها) قوله حكيميا يدل على ذلك كانه تعالى قال الله حكيم مل ما عمل ليدخل المؤمنين جنات (وثانيها) قوله تعالى ويتم نعمته عليك في الدنيا والآخرة ويستجيب دعاك في الدنيا ويقبل شفاعتك في الآخرة ليدخل المؤمنين جنات (الثاني) قوله ما يحضرك هو جهة هو انه روى ان المؤمنين قالوا لا اله الا الله صلى الله عليه وسلم هنيئا من الله ففرل ذنب ذنبا ففرل هذه الآية كانه تعالى قال انما يحضرك فمحامينا لفرل وفحل المؤمنين ليدخلهم جنات واما ان قلنا ان ذنبك مفهوم من غير مقال بل من قرينة الحال فنقول هو الامر بالقتال لا من ذكر الفتح والنصر علم ان الحال حال القتال فكانه تعالى قال ان الله تعالى أمر بالقتال ليدخل المؤمنين أو نقول عرف من قرينة الحال ان الله اختار المؤمنين فكانه تعالى قال اختار المؤمنين ليدخلهم جنات (المسئلة الرابعة) قال ههنا وفي بعض المواضع المؤمنين والمؤمنات وفي بعض المواضع اكتفى بذكر المؤمنين ودخلت المؤمنات فيهم كافي قوله تعالى وبشر المؤمنين وقوله تعالى قد أفلح المؤمنون فالحكمة فيه نقول في المواضع التي فيها ما يوجب اختصاص المؤمنين بالجزاء الموعود به مع كون المؤمنات يشتركن معهم ذكرهن الله صريحا وفي المواضع التي ليس فيها ما يوجب ذلك اكتفى بدخولهم في المؤمنين وقوله وبشر المؤمنين مع انه علم من قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا العموم لا يوجب خروج المؤمنات عن البشارة واما ههنا فلما كان قوله تعالى ليدخل المؤمنين لفعل سابق وهو الامر بالقتال أو الصبر فيه أو النصر للمؤمنين أو الفتح بأيديهم على ما كان يتوهم لان ادخال المؤمنين كان للقتال والمرأة لا تقايل فلا تدخل الجنة الموعود بها صرح الله بذكرهن وكذلك في المنافقات والمشركات والمنافقة والمشركة لم تقايل فلا تعذب فصرح الله تعالى بذكرهن وكذلك في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات لان الموضع موضع ذكر النساء وأحوالهن لقوله ولا تبرجن وآثين وأطمن وقوله واذكرن ما ينلن في بيوتكن فكان ذكر النساء هناك أصلا لكن الرجال لما كان لهم ما للنساء من الاجر العظيم ذكرهم وذكرهن بلفظ مفرد من غير تبعية لما بينا ان الاصل ذكرهن في ذلك الموضع (المسئلة الخامسة) قال الله تعالى ويكفر عنهم سيئاتهم بعد ذكر الادخال مع أن تكفير السيئات قبل الادخال نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) الواو لا تقتضي الترتيب (الثاني) تكفير السيئات والمغفرة وغيرهما من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الادخال في الذكر بمعنى انه من أهل الجنة (الثالث) وهو ان التكفير يكون بالباس خلع الكرامة وهي في الجنة وكان الانسان في الجنة تزال عنه قبائح البشرية الجرمية كالفصلات والعنوية كالغضب والشهوة وهو التكفير وثبت فيه الصفات الملكية وهي أشرف

من نعمها الانهاس
خادين فيها) متعلق
ما يدل عليه ما ذكر من
كون جنود السموات
والارض له تعالى من
شيء لتصرف والى
أي دبر ما در من تليط
المؤمنين بغيره نعم الله
في ذلك و شكرها
فيدخلهم الجنة (ويكفر
عنهم سيئاتهم) أي
يعطيها ولا يظهرها
وتقديم الادخال في
الذكر على التكفير مع
أن الترتيب في الوجود
على العكس المسارعة
الى ما هو المطلب الاعلى
(وكان ذلك) أي ما ذكر
من الادخال والتكفير
(عند الله فوزا عظيما)
لا يقادر قدره لانه
مستهي فامتد اليه أعناق
الهمم من جلب نفع
ودفع ضرر وعند الله
حال من فوزا لانه صفة
في الاصل فلما قدم
عليه صار حالا أي
كأننا عند الله أي في
علمه تعالى وقضائه
والجمله اعتراض مقرر
لما قبله (ويعذب
المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات) عطفا على بدخل وفي تقديم المنافقين على

المشركين ما لا يخفى من الدلالة على أنهم أحق منهم بالعذاب ﴿ ٥٦٠ ﴾ (الظانين بالله ظن السوء أي ظن الأسر

السوء وهو أن لا ينصر
رسوله والمؤمنين
(عليهم دائرة السوء)
أي ما يظنون به
و يتر بصوته بالمؤمنين
فهو حائق بهم ودائر
عليهم وقرى دائرة
السوء يا غيبيهم وهما الغائبان
من سوء كالكفرة والكفرة
خلا أن المفتوح غلب
في أن يضاف إليه ما يراد
ذمه من كل شيء وأما
المضوم فجاء مجرى
الشر (وغضب الله
عليهم وأعلمهم وأعد لهم
جهنم) عطف على
ما استحقوه في الآخرة
صلى ما استوجبوه
في الدنيا والسواو
في الآخرين مع أن
حقهما الغاء الفيدة
لسببية ما قبلها لما بعدها
للايدان باستقلال كل
منهما في الوعيد
وأصله من غير اعتبار
استنباع بعضها البعض
(وساء مصبرا) أي
جهنم (ولله جنود
السموات والأرض
وكان الله عز وجل حكيم)
إعادة لما سبق قالوا
فأثنتها التنبية على
أن الله تعالى جنود
الرحمة و جنود العذاب وأن المراد ههنا جنود العذاب كما ينبغي عند تعرض لوصف العزة

أنواع الخلق وقوله تعالى وكان ذلك عند الله فوزا عظيما فيه وجهان (أحدهما) مشهور
وهو أن الإدخال والتكفير في علم الله فوز عظيم يقال عندى هذا الأمر على هذا الوجه أى
في اعتقادي (وثانيهما) أغرب منه وأقرب منه عقلا وهو أن يجعل عند الله كإوصاف
ذلك كانه تعالى يقول ذلك عند الله أى بشرط أن يكون عند الله تعالى و يوصف أن يكون
عند الله فوز عظيم حتى أن دخول الجنة أو ما يكن فيه قرب من الله بالعندية الساكن فوزا
﴿ ثم قال تعالى ﴾ يعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن
السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم وأعلمهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا والله
جنود السموات والأرض وكان الله عز وجل حكيم) اعلم أنه قد قدم المنافقين على المشركين في
الذكر في كثير من المواضع لا دور (أحدها) أنهم كانوا أشد على المؤمنين من الكافر المجاهر
لأن المؤمن كان يتوقى المشرك المجاهر وكان يخالف المنافق لظنه بإيمانه وهو كان يفتشى
أسراره وإلى هذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله أعدى عدوك نفسك التي بين جنبك
والمنافق على صورة الشيطان فإنه لا يأتي الإنسان على أنى عدوك وانما ياتيه على أنى
صديقك والمجاهر على خلاف الشيطان من وجه ولأن المنافق كان يظن أن يتخلص
للمخادعة والكافر لا يقطع بأن المؤمن أن غلب بفضله فأول ما أخبر الله أخبر عن المنافق
وقوله الظانين بالله ظن السوء هذا الظن يحتمل وجوها (أحدها) هو الظن الذي ذكره الله
في هذه السورة بقوله بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول (ثانيها) ظن المشركين بالله في الأشراك
كما قال تعالى إن هي إلا أسماء سميتموها أتم إلى أن قال إن يذبحون إلا الظن وإن الظن
لا يغني عن الحق شيئا (ثالثها) ظنهم أن الله لا يرى ولا يعلم كما قال ولكن ظننتم أن الله
لا يعلم كثيرا مما تعملون والاول أصح أو نقول المراد جميع ظنونهم حتى يدخل فيه ظنهم
الذي ظنوا أن الله لا يعي الموتي وإن العالم خلقه باطل كما قال تعالى ذلك ظن الذين كفروا
ويؤيد هذا الوجه الألف واللام الذي في السوء وسنذكره في قوله ظن السوء وفيه وجوه
(أحدها) ما اختاره المحققون من الأدباء وهو أن السوء صار عبارة عن الفساد والصدق
عبارة عن الصلاح يقال مررت برجل سوء أى فاسد وسئلت عن رجل صدق أى صالح
فاذا كان مجموع قولنا رجل سوء أى معنى قولنا فاسد فالسوء وحده يكون بمعنى
الفساد وهذا ما اتفق عليه الخليل والزجاج واختاره الزمخشري وتحقيق هذا أن السوء
في المعاني كالفساد في الأجساد يقال ساء من أجه وساء خلقه وساء ظنه كما يقال فسد اللحم
وفسد الهواء بل كل ما ساء فقد فسد وكل ما فسد فقد ساء غير أن أحدهما أكثر
الاستعمال في المعاني والآخرة في الأجرام قال الله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر وقال
ساء ما كانوا يعملون هذا ما يظهرلى من تحقيق كلامهم ثم قال تعالى عليهم دائرة السوء
أي دائرة الفساد وحق بهم الفساد بحيث لا خروج لهم منه ثم قال تعالى وغضب الله عليهم
في زيادة في الافادة لأن من كان به بلاء فقد يكون مبتلى به على وجه الامتحان فيكون مصابا

(اننا أرسلناك شاهدا) أى على أمتك لقول تعالى ﴿ ٥٦١ ﴾ ويكون الرسول عليكم شهيدا

لكى يصير مثابا وقد يكون مصابيا على وجه التعذيب وقوله وغضب الله عليهم اشارة الى ان الذى حاق بهم على وجه التعذيب وقوله ولعنهم زيادة افادة لان المغضوب عليه قد يكون بحيث يقيم الغاضب بالعتب والشتم أو الضرب ولا يفضى غضبه الى ابعاد المغضوب عليه من جنابه وطرده من يابه وقد يكون بحيث يفضى الى الطرد والابعاد فقال ولعنهم ليكون الغضب شديدا ثم لما بين حالهم فى الدنيا بين ما لهم فى العقبى قال وأعداهم جهنم وسات مصيرا وقوله سات اشارة لما كان ان أثبت فى جهنم بقال هذه الدار نعم المكان وقوله تعالى والله جنود السموات والارض قد تقدم تفسيره وبقي فيه مسائل (المسئلة الاولى) ما الفائدة فى الاعادة نقول لله جنود الرحمة وجنود العذاب أو جنود الله انزالهم قد يكون للرحمة وقد يكون للعذاب فذكرهم أولا لبيان الرحمة بالموثمين قال تعالى وكان بالموثمين رحيمًا وثانيا لبيان انزال العذاب على الكافرين (المسئلة الثانية) قال هناك وكان الله عليهما حكيمًا وهنا وكان الله عزيزا حكيمًا لان قوله والله جنود السموات الارض قد بينا ان المقصود من ذكرهم الاشارة الى شدة العذاب فذكر العزة كما قال تعالى أليس الله بعزى شام وقول تعالى فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر وقال تعالى الذين يجار (المسئلة الثالثة) ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة وذكرهم ههنا بعد ذكر تعذيب الكفار واعداد جهنم نقول فيه ترتيب حسن لان الله تعالى ينزل جنود الرحمة فيدخل المؤمنين مكرمين معظمين الجنة ثم يلبسهم خلع الكرامة بقوله ويكفر عنهم سيئاتهم كما بينا ثم تكون لهم اقرية والزائق بقوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما وبعد حصول القرب والعندية لا تبقى واسطة الجنود فالجنود فى الرحمة أولا يبتلون ويفربون آخرها واما فى الكافر فيغضب عليه أولا فيبعد ويطر الى البلاد النائية عن ناحية الرحمة وهى جهنم ويسلط عليهم ملائكة العذاب وهم جنود الله كما قال تعالى عليهم ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ولذلك ذكر جنود الرحمة أولا والقربة بقوله عند الله آخرها وقال ههنا غضب الله عليهم وانهم وهو الابعاد أو لا و جنود السموات والارض آخرها ثم قال تعالى (اننا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) تؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا قال المفسرون شاهدا على أمتك بما يفعلون كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا والاولى ان يقال ان الله تعالى قال اننا أرسلناك شاهدا وعليه بشهادته لا اله الا الله كما قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم وهم الانبياء عليهم السلام الذين آتاهم الله علما من عنده وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ولذلك قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله أى فاشهد وقوله وبشر لمن قبل شهادته وعمل بما وافقه فيها ونذير لمن رد شهادته ويخالفه فيها ثم بين فائدة الارسال على الوجه الذى ذكره فقال لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا وهذا يحتمل وجهين (أحدهم) ان تكون الامور الاربعة

(ومبشرا) على الطاعة
(ونذيرا) على المعصية
(تؤمنوا بالله ورسوله)
الخطاب للأنبي عليه
الصلاة والسلام ولائته
(وتعزروه) وتوقروه
بتقوية دينه ورسوله
(وتوقروه) وتعظموه
(وتسبحوه) وتزهوه
أو تصلوا له من السجدة
(بكرة وأصيلا)
غدوة وحشاهن ابن
عباس رضى الله عنهما
صلاة الفجر وصلاة
الظهر وصلاة العصر
وقرى الافعال الاربعة
بالياء التثنية وقرى
وتعزروه بضم التاء
وتخفيف الزاى المكسورة
وقرى يفتح التاء وضم
الزاى وكسر ها وتعزروه
بزاءين وتوقروه من
أوقره بمعنى وقره (ان
الذين يبايعونك) أى
على قتال قريش تحت
الشجرة وقوله تعالى
(انما يبايعون الله)
خبر ان يعنى أن مبايعتك
هى مبايعة الله عز وجل
لان المقصود توثيق
العهد بمراعاة أوامره
ونواهيه وقوله تعالى
(يد الله فوق أيديهم)
حال أو استئناف مؤكد

له على طريقة التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول ﷺ كعقد مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله

تعالى من يعلم الرسول
فقد اطاع الله وقرئ
انما يبايعون الله أى لاجله
واوجهه (فن نكت
فانما ينكت على نفسه)
أى فن نقض عهده
فانما يعود ضرر نكته
على نفسه وقرئ
بكمرا الكاف (ومن أوفى
بما عاهد عليه الله) يضم
الهاء فانه أبى بعد حذف
الواو توسلا بذلك الى
تفخيم لام الجلالة وقرئ
يكسرها أى ومن وفى
بعهده (فسيوته أجرا
عظيما) هو الجنة وقرئ
بما عاهد وقرئ فسئوتيد
بنون العظيمة (سيقول
لك المخلفون من
الاعراب) هم أعراب
غنى ارمز بته وجهينة
وأشجم واسلم والديل
تخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين
استنفر من حول المدينة
من الاعراب وأهل
البوادي ليجز جوامعه
عند ارادته السير الى مكة
عام الحديبية معتمرا حذرا
من قريش أن يتعرضوا له
بحرب أو يصدوه عن
البيت وأحرم عليه
الصلاة والسلام

المذكورة مرتبة على الامور المذكورة من قبل قوله لتؤمنوا بالله ورسوله مرتب على
قوله انا ارسلناك لان كونه من سلام الله يقتضى أن يؤمن المكلف بالله والمرسل والمرسل
وقوله شاهدا يقتضى أن يعز ر الله ويقوى دينه لان قوله شاهدا على ما بينا معناه انه يشهد
انه لا اله الا هو فدينه هو الحق وأحق ان ينبع وقوله مبشرا يقتضى أن يوفر الله لان تعظيم
الله عنده على شبه تعظيم الله اياه وقوله نذيرا يقتضى أن يتره عن سوء والفحشاء بخافة
عذابه الاليم وعقابه الشديد وأصل الارسل مرتب على أصل الايمان ووصف الرسول
بترتب عليه وصف المؤمن (وثانيهما) أن يكور كل واحد مقتضيا للامور الاربعة فكونه
مرسلا يقتضى أن يؤمن المكلف بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه ويسجدوا وكذلك كونه
شاهدا بالوحدانية يقتضى الامور المذكورة وكذلك كونه مبشرا ونذيرا لا يقال ان
افتراق اللام بالفعل يستدعى فعلا مقدماتى تتعلق به ولا يتعلق بالوصف وقوله لتؤمنوا يستدعى
فعلا وهو قوله انا ارسلناك فكيف تترتب الامور على كونه شاهدا ومبشرا انا نقول يجوز
الترتيب عليه معنى لا غضا كما أن القائل اذا قال بعثت اليك طالما لتكرمهم فانما ينفى
عن كون البعث سبب الاكرام وفى المعنى كونه عالما هو السبب للاكرام ولهذا قال بعثت
اليك جاهلا لتكرمهم كان حسنا وادا أردنا الجزم بين اللفظ والمعنى نقول الارسل الذى هو
ارسل حال كونه شاهدا سبب كما نقول بعث العالم سبب جعله سبيلا لاجرد البعث ولا مجرد
العالم وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال فى الاحزاب انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا نيرا وههنا تقتصر على الثلاث من الخمسة فالحكمة
فيه نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) ان ذلك المقام كان مقام ذكره لان أكثر
السورة فى ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله وما تقدمه من المباشرة والوعد
والدخول ففصل هنالك ولم يفصل ههنا (ثانيهما) أن نقول ان الكلام مذكور ههنا لان قوله
شاهدا لما يقتضى أن يكون داعيا لجزاز أن يقول مع نفسه أشهد أن لا اله الا الله ولا يدعوا
الناس قال هنالك وداعيا لذلك وههنا لما لم يكن كونه شاهدا منبثا عن كونه داعيا قال
لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه وقوله تعالى وتعزروه وتوقروه وتسبحوه
دليل على كونه سراجا لانه أتى بما يجب من التعظيم والاجتناب عما يحرم من سوء
والفحشاء بالنزبه وهو التسبيح (المسئلة الثانية) قد ذكرنا مرارا ان اختيار البكرة
والاصيل يحتمل أن يكون اشارة الى المداومة ويحتمل أن يكون أمرا بخلاف ما كان
المشركون يعملونه فانهم كانوا يجتمعون على عبادة الاصنام فى الكعبة بكرة وعشبة
فأمروا بالتسبيح فى اوقات كانوا يذكرون فيها الفحشاء والمنكر (المسئلة الثالثة)
الكتابات المذكورة فى قوله تعالى وتعزروه وتوقروه وتسبحوه راجعة الى الله تعالى أرى
الرسول عليه الصلاة والسلام والاصح هو الاول ثم قال تعالى (ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله بدالله فوق أيديهم فن نكت فانما ينكت على نفسه ومن أوفى بما عاهد

وساق معه الهدى لعل أنه لا يريد الحرب ﴿٥٦٣﴾ وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب إلى قوم قد هزوة

في حذر داره بالمدينة
وقتلوا أصحابه فقتلهم
فأوحى الله تعالى إليه
عليه الصلاة والسلام
بانهم سيقتلون ويقتلون
(شغلنا أموالنا وأهلونا)
ولم يكن لنا من بخلافاتهم
و يقوم بمصالحهم
ويحكمهم من الضبائع
وقرى شغلنا بالتشديد
للتكثير (فاستغفر لنا) الله
تعالى يغفر لنا تخلفنا عنك
حيث لم يكن ذلك باختيار
بل عن اضطرار (يتوانون
بالاستمغال ليس في قلوبهم)
ذلك من سيقول أو استغفار
تكذيبهم في الاعتذار
والاستغفار (قل) رد الله
عند اعتذارهم البك
بأباطلهم (فن يملك لكم
من الله شيئا) أي فن يقدر
لأجلكم من مشيئة الله
تعالى وقضائه على شيء
من النفع (ان أرادكم
ضرا) أي ما يضركم
من هلاك الأهل
والمال وضياعها حتى
تخلفوا عن الخروج
لحفظها ودفع الضرر
عنهم وقرى ضرا بالاض
(أو أرادكم نفعاً) أي

عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً) لما بين أنه مرسل ذكر أن من بايعه فقد بايع الله وقوله
تعالى يد الله فوق أيديهم يحمل وجوهاً وذلك أن اليد في الموضعين أمان أن تكون بمعنى
واحد وأمان أن تكون بمعنىين فالتأنيدهما بمعنى واحد ففيه وجهان (أحدهما) يد الله
بمعنى نعمه الله عليهم فبوق احسانهم إلى الله كما قال تعالى بل الله بمن عليكم أن هذاكم
للإيمان (وثانيهما) يد الله فوق أيديهم أي نصرته أيهم أقوى وأعلى من نصرتهم أي يقال
اليد لفلان أي الغلبة والنصرة والتفهم وأمان قلنا التأنيدهما بمعنىين فنقول في حق الله تعالى
بمعنى الحفظ وفي حق المبائعين بمعنى الجارحة والبد كناية عن الحفظ مأخوذ من حال
المتبائعين إذا مكد كل واحد منهم أي صاحبه في البيع والشراء وبينهما ثالث متوسط
لا يريد أن يتفاسخ العقد من غير إتمام البيع فيضع يده على يديهما ويحفظ أيديهما إلى أن
يتم العقد ولا يترك أحدهما يترك يد الآخر فوضع اليد فوق الأيدي صار سبباً للحفظ على
البينة فقال تعالى يد الله فوق أيديهم يحفظهم على البينة كما يحفظ ذلك المتوسط أيدي
المتبائعين وقوله تعالى فن نكث فأنكثك على نفسه أماناً على قولنا المراد من اليد
النعمة أو الغلبة والقوة فلان من نكث فوث على نفسه الاحسان الجزيل في مقابلة
العمل القليل فقد خسروا نكثه على نفسه وأماناً على قولنا المراد الحفظ فهو طائد إلى قوله
انما يبأيون الله يعني من يبأيك أيها النبي إذا نكث لا يكون نكثه طائداً إليك لان
البينة مع الله ولا إلى الله لانه لا يضر ربه شيء فضرره لا يعود إلا إليه ومن أوفى بما عاهد
عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً وقد ذكرنا أن العظم في الأجرام لا يقال إلا إذا اجتمع فيه
الطول والباع والعرض والسمك الغليظ فيقال للجبل انه ذو هو مرتفع ولا اتساع
لعرضه جبل عال أو مرتفع أو شاهق فإذا انضم إليه الاتساع في الجوانب يقال عظيم
والأجر كذلك لان ما كل الجنة تكون من أرفع الاجناس وتكون في غاية السكينة
وتكون ممتدة إلى الأبد لا تنقص لها فحصل فيه ما يناسب ان يقال له عظيم والعظيم في حق
الله تعالى إشارة إلى كماله في صفاته كآله في الجسم إشارة إلى كماله في جهاته * ثم قال تعالى
(سيقول لك المخنفون من الاعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون باستغفارهم
ماليس في قلوبهم قل فن يملك لكم من الله شيئاً ان أرادكم ضراً أو أرادكم نفعاً بل كان
الله بما تعملون خبيراً) لما بين حال المنافقين ذكر المخلفين فان قوماً من الاعراب امتنعوا
عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنه يهزم فأنهم قالوا أهل مكة يقاتلون
عن باب المدينة فكيف يكون حالهم اذا دخلوا بلادهم وأحاط بهم العدو فاعتذروا
وقولهم شغلنا أموالنا وأهلونا فيه أمران يفهمان وضوح العذر (أحدهما) أموالنا
ولم يقولوا شغلنا الأموال وذلك لان جرم المال لا يصلح عذراً لانه لا نهاية له وأما حفظ
ما جمع من الثنات ومنع الحاصل من القوات يصلح عذراً فقالوا أموالنا أي ما صار مالنا
لامطلاق الأموال (وثانيهما) قوله تعالى وأهلونا وذلك لو أن قاذلاً قال لهم المال لا ينبغي

ومن يقدر على شيء من الشر ان أراد بكم ما ينفعكم ﴿٥٦٤﴾ من حفظ أهلكم وأهلكم فأما حاجة إلى الخلف

لأجل القيام بحفظهم
وهذا تحقيق للعق ورد
أهم بموجب ظاهر مقامهم
الكاذبة وتعميم الضرر
والنفع لما يتوقع على تفسير
الخروج من القتل
والهزيمة والظفر
والغنية بوجه قوله تعالى
(بل كان الله بما تعملون
خبيرا) فإنه اضرب عما
قالوا وبيان لكذبه بعد
بيان فساد على تقدير
صدقه أي ليس الأمر
كما تقولون بل كان الله
خيرا بجميع ما تعملون
من الأعمال التي من جلتها
تخلفكم وما هو من مبادئه
وقوله تعالى (بل ظننتم)
الخ يدل من كان الله الخ
مفسر لما فيه من الإيهام
أي بل ظننتم (أن لن ينقلب
الرسول والمؤمنون إلى
أهلهم أبدا) بأن
يستأصلهم المشركون
بالمرة فخشيتهم ان كنتم
معهم أن يصيبكم ما
أصابهم فلاجل ذلك
تخلقتم لئلا ذكرتم من
المعاذير الباطلة والأهلون
جمع أهل وقد يجمع على
أهلات

أن يبالغ إلى درجة يمنعكم حفظه من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لكان أهم أن
يقولوا فإلاهل يمنع الاشتغال بهم وحفظهم عن أهم الأمور ثم انهم مع العذر تصرعوا
وقالوا فاستغفروا لئلا يفتنهم مع إقامة العذر معترفون بالأساءة فاستغفروا لئلا يفتنهم مع إقامة العذر
أمر الخروج فكذبهم الله تعالى وقال يقولون بالأساءة ما ليس في قلوبهم وهذا يحتمل
أمرين (أحدهما) أن يكون الكذب راجعا إلى قولهم فاستغفروا لئلا يفتنهم هو أنهم
أظهروا أنهم يتقنون أنهم مسيئون بالخلف حتى استغفروا ولم يكر في اعتقادهم ذلك بل
كانوا يعتقدون أنهم بالخلف محسنون (ثانيهما) قالوا غفلت الإشارة إلى أن امتناعنا لهذا
لأنه لم يكن ذلك في اعتقادهم بل كانوا يعتقدون امتناعهم لاعتقاد أن النبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين يقهرون ويغلبون كما قال بعده بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول
والمؤمنون إلى أهلهم أبدا وقوله قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم
نفعا معناه انكم تحترون عن الضرر وتتركون أمر الله ورسوله وتعدون طلبا للسلامة
ولو أراد بكم الضرر لا ينفذكم فهو دكم من الله شيئا ومعناه انكم تحترون عن ضرر القتال
والمقاتلين وتعدون أن أهلكم وبلادكم تحفظكم من العدو فذهب انكم حفظتم
أنفسكم عن ذلك فمن يدفع عنكم عذاب الله في الآخرة مع أن ذلك أولى بالاحتراز وقد
ذكرنا في سورة يس في قوله تعالى ان يردن الرحمن بضره في صورة ككون الكلام مع
المؤمنين ادخل الباء على الضر فقال ان أرادني الله بضر وقال وان يمسك الله بضره في
صورة ككون الكلام مع الكافر ادخل الباء على الكافر فقال ههنا ان أراد بكم ضرا وقال
من ذا الذي يمسككم من الله ان أراد بكم سوءا وقد ذكرنا الفرق الفاسق هناك ولا نعيد
لكون هذا بابا على مطالعة تفسير سورة يس فانه ادرج الدرر القيمة بل كان الله بما
تعملون خيرا أي بما تعملون من اظهار الحرب واضرار غيره * ثم قال تعالى (بل ظننتم)
أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبدا ووزن ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء
وكنتم قومابورا) يعني لم يكن تخلفكم لما ذكرتم بل ظننتم أن لن ينقلب وأن تخففة من
الثقيلة أي ظننتم انهم لا ينقلبون ولا يرجعون وقوله وزن ذلك في قلوبكم يعني ظننتم
أولا فزين الشيطان ظنكم عندكم حتى قطعتم به وذلك لان الشبهة قد زينها الشيطان
وبضم اليها مخيلة يقطع بها الغافل وان كان لا يشك فيها العاقل وقوله تعالى وظننتم ظن
السوء يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون هذا العطف عطفا بقيد المغاربة فقوله وظننتم
ظن السوء غير الذي في قوله بل ظننتم وحينئذ يحتمل أن يكون الظن الثاني معناه وظننتم
ان الله يخلف وعده أو ظننتم ان الرسول كاذب في قوله (وثانيهما) أن يكون قوله بل ظننتم
ظن السوء هو ما تقدم من ظن أن لا يتقلبوا ويكون على حد قول القائل علمت هذه المسئلة
وعلمت كذا أي هذه المسئلة لاغيرها وذلك كأنه قال بل ظننتم ظن أن لن ينقلب
وظننتم ذلك فاسد وقد بينا التحق في ظن السوء وقوله تعالى وكنتم قومابورا يحتمل

كأرضنا على تقدير تاء التانيث وأما الأهلالي ﴿٥٦٥﴾ فاسم جسم كالأهلالي وقرئ إلى أهلهم (وزين

ذلك في قلوبكم)
وقبلتموه واشتغلتم بشأن
أنفسكم غير مباليين بهم
وقرئ زين على البناء
للفاعل بإسناده إلى الله
سبحانه وأول الشيطان
(وظنتم ظن السوء)
المراد به أما الظن الأول
والذكرير التشديد
التوبيخ والتسجيل عليه
بالسوء أو ما يعمه وغيره
من الظنون الفاسدة
التي من جعلتها الظن
بعدم صحة رسالته
عليه الصلاة والسلام
فإن الجأزم بصحتها
لا يحوم حول فكره
ما ذكر من الاستئصال
(وكنتم قوما بورا)
أي هالكين عند الله
مستوجبين السخط
وعقابه على أنه جمع بأر
كما نذروا فاسدين
في أنفسكم وقلوبكم
ونياتكم لا خير فيكم
وقيل البور من بار كالهالك
من هلك بناء ومعنى
وانذرك وصف به
الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث (ومن لم يؤمن
بالله ورسوله) كلام
مبتدأ من جهته تعالى
غير داخل

وجهمين) (أحدهما) يصيرتم بذلك اظن بأمرين هالكين (وثانيهما) أنتم في الأصل بأمرين
وظنتم ذلك اظن انفسكم * ثم قال تعالى (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين
سعيرا) على قولنا قوله وظنتم ظن السوء ظن آخر غير ما في قوله بل ظنتم ظاهرا لا باهنا
ذلك لظنهم بأن الله يخف وعده أو ظنهم بأن الرسول كاذب فقال ومن لم يؤمن بالله ورسوله
ويظن به خلفا ورسوله كذبا فانا أعتدنا له سعيرا وفي قوله الكافرين بدلا عن أن يقول
فانا أعتدنا له فائدة وهي التعميم كأنه تعالى قال ومن لم يؤمن بالله فهو من الكافرين وانا
أعتدنا للكافرين سعيرا * ثم قال تعالى (ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء
وعذب من يشاء وكان الله غفورا رحاما) بعد ما ذكر من له أجر عظيم من المباهين
ومن له عذاب أليم من الفذائين الضالين أشار إلى أنه يغفر للاولين بمشيتته وعذبه
الآخرين بمشيتته وغفراته ورحمته أعم وأشمل وأنهم وأكل وقوله تعالى ولله ملك
السموات والارض يفيد عظمة الامرين جميعا لأن من عظم ملكه يكون أجره وهيبته في
غاية العظم وعذابه وعقوبته كذلك في غاية انكسار والام * ثم قال تعالى (سيقول
المخلفون اذا انطلقتم إلى معانم لناخذوها ذرونا ننبهكم) أوضح الله كذبهم بهذا حيث
كانوا عند ما يكون السير إلى معانم يتوقعونها يقولون من تلقاء أنفسهم ذرونا ننبهكم
فذا كل أموالهم وأهلهم شفقتهم يوم دعوتكم أيهم إلى أهل مكة فابالهم لا يشتغلون
بأموالهم يوم أخذ الغنمة والمراد من المعانم معانم أهل خير وقتهمها وغنم المسلمون
ولم يكن معهم الا من كان معه في المدينة وفي قوله سيقول المخلفون وعد المباهين
الموافقين بالغنمة والمخلفين المخالفين بالحرمات * وقوله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام
الله ولأن تتبعونا كذلككم قال الله من قبل) (يحتمل وجوها) (أحدها) هو ما قال الله أن
غنية خير لن شاهد الحديدية وجاهد بها لا غير وهو الأشهر عند المفسرين والظاهر نظرا
إلى قوله تعالى كذلككم قال الله من قبل (ثانيها) يريدون أن يبدلوا كلام الله وهو قوله
وغضب الله عليهم وذلك لأنهم لو اتبعواكم لكانوا في حكم بيعة أهل الرضوان الموعودين
بالغنمة فيكونون من الذين رضي الله عنهم كما قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ
يذيعونك تحت الشجرة فلا يكونون من الذين غضب الله عليهم فيلزم تبديل كلام الله
(ثالثها) هو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تخلف القوم أطاعه الله على ما ظنهم وأظهر له
نفاقهم وأنه يريد أن يعاقبهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم فقل إن تخرجوا معي أداون
تقاتلوا معي عدوا فأرادوا أن يبدلوا ذلك الكلام بالخروج معه لا يقال فلاية التي
ذكرتم واردة في غزوة تبوك لا في هذه الواقعة لاننا نقول قد وجد ههنا بقوله لن تتبعونا على
صيغة التثنية بدلا عن قوله لا تتبعونا على صيغة التثنية معنى اطيعوا وهو أن النبي صلى الله
عليه وسلم بنى على اخبار الله تعالى عنهم النبي لو توفقه وقطعه بصدقه فيجزم وقال لن تتبعونا

في الكلام الملقن مقرر لبراهم ومبين لكيفية أي ومن لم يؤمن بهما كذاب هؤلاء المخلفين (فانما اتدنا للكافرين
سبعرا) أي لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرون ﴿ ٥٦٦ ﴾ ايذانا بان من لم يحجم بين الايمان بالله ورسوله

فهو وكافروا أنه مستوجب
للسمير بكفره وتكبر
سمير الله هو بل أولانها
نار مخصوصة (والله
ملك السموات والارض)
وما فهم ما يتصرف
في الكل كيف يشاء
(يغفر لمن يشاء) أن
يغفر له (ويعذب من
يشاء) أن يعذبه من غير
دخول لاحد في شيء
منهما وجودا وعندما
وفيهم جميع لاطباعهم
الغارقة في استغفاره
عليه الصلاة والسلام
لهم (وكل الله غفورا
رحيما) مبالغى الغفرة
والرحمة لمن يشاء ولا يشاء
الان تقضى الحكمة
مغفرته ممن يؤمن به
و رسوله وأما من عداه
من الكافرين فهم
يعزل من ذلك قطعا
(سيقول المخلفون) أي
المدكورون وقوله تعالى
(اذا انطلقتهم الى مغامر
لتأخذوها) ظرف لما قبله
لا شرط لما بعده أي
سيعولون عند انطلاقتهم
الى مغامر خيبر ليجوزها
حسبا وعدكم ايها
وخصكم بها عوضا

لما فأنكم من غنائم مكة (ذرونا نبعثكم) الى خيبر ونشهد معكم قتال أهلها (يدعون أن سداها) ظه

كلام الله) ان يشار كوا في الغنائم التي خصها بأهل الحديبية فانه عليه الصلاة والسلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها ﴿ ٥٦٧ ﴾ وأوائل المحرم من سنة سبع ثم هز أخيراً من شهد الحديبية ففتحها

ظهر بهذا والظهور كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي عليه الصلاة والسلام لو امتنع من قبولهم لاتباعه لامتنع أبو بكر وعمر لقوله تعالى واتبعوه وقوله فاتبعوني فان قيل هذا ضعيف لوجهين (أحدهما) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان تتبعونا وقال ان تخرجوا معي أبدا فكيف كانوا يتبعونه مع النبي (الثاني) قوله تعالى أولى بأس شديد ولم يبين بعد ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام حرب مع قوم أولى بأس شديد فان الرعب استولى على قلوب الناس ولم يبق للكفار بعده شدة وبأس وانفاق الجمهور يدل على القوة والظهور نقول اما الجواب عن الاول فن وجهين (أحدهما) ان يكون ذلك مقيداً بتقديره ان تخرجوا معي أبدا وأنتم على ما أنتم عليه ويجب هذا التقيد لانا أجمعنا على أن منهم من أسلم وحسن اسلامه بل أكثر ذلك وما كان يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم استم مسلمين لقوله تعالى ولا تقولوا لمن أتىكم السلام لست مؤمنوا ومع انقوز باسلامهم ما كان يجوز أن يمنهم من الجهاد في سبيل الله مع وجوبه عليهم وكان ذلك متبداً وقتبين حسن حالهم فان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى جهاد فأطاعه قوم وامتنع آخرون وظهر أمرهم وعلم من استمر على الكفر من استقر قلبه على الايمان (الثاني) المراد من قوله ان تتبعونا في هذا القتال فحسب وقوله ان تخرجوا معي كان في غير هذا هم المناذقون الذين تخلفوا في عزة تبوك واما اتفاق الجمهور فنقول لا تخافة بيننا وبينهم لانا نقول النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم أولاً وأبو بكر رضي الله عنه أيضاً دعاهم بعد معرفته جواز ذلك من فعل النبي صلى الله عليه وسلم انما نحن نثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم فان كانوا أبو بكر رضي الله عنه دعاهم لا يكثر بين القولين تناف وان قالوا لم يدعهم النبي صلى الله عليه وسلم فالتقي والجزم به في غاية البعد لجواز أن يكون ذلك قد وقع وكيف لا والنبي عليه الصلاة والسلام قال من كلام الله ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وقال تتبعوني هذا صراط مستقيم ومنهم من أحب الله واختار اتباع انبي محمد صلى الله عليه وسلم لان بقاء جمعهم على النفاق والكفر بعدما اتسعت دائرة الاسلام واجتمعت العرب على الايمان بعيد ويوم قوله صلى الله عليه وسلم ان تتبعونا كان أكثر العرب على الكفر والنفاق لانه كل قبل فتح مكة وقبل أخذ حصون كثيرة واما قوله لم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم حرب مع أولى بأس شديد قلنا لا نسلم ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية دعاهم الى الحرب لانه خرج محرماً ومعه الهدى ليعلم فريش انه لا يطلب القتال وامتنعوا فقال استدعوني الى الحرب ولا شك ان من يكون خصمه مسلحاً محارباً أكثر بأساً من يكون على خلاف ذلك فكان قد علم من حال مكة انهم لا يوقرون حاجاً ولا معتمراً فقوله أولى بأس شديد يعني أولى سلاح من آفة الحديد فان الحديد فيه بأس شديد ومن قال بان الداعي أبو بكر وعمر تسلك بالآية على خلافتهما واولد لهما ظاهرة وحيث تقاتلونهم أو يسلمون اشارة الى ان أحدهما يقع وقرئ أو يسلموا بالانصب باضمار أن على معنى

وغنم أموالاً كثيرة فخصها بهم حسباً أمر الله عز وجل وقرئ كالم الله وهو جمع كلمة وأياما كالم فاما ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لأهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى ان تخرجوا معي أبدا فان ذلك في غرة تبوك (قرئ) افناطاهم (ان تتبعونا) أي لا تتبعونا فانه نفى في معنى النهي للباخفة (كذلك قال الله من قبل) أي عند الانصراف من الحديبية (فسيقولون) المؤمنين عند سماع هذا النهي (بل تحسدونا) أي نيس ذلك النهي حكم الله بل تحسدونا أن نشاركم في الغنائم وقرئ تحسدونا بكسر السين وقوله تعالى (بل كانوا لا يفقهون) أي لا يفهمون (الافقلا) أي الافهم قليلاً وهو فطنتهم لامور الدينار د لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو أعظم من الحسد وأطم من الجهل المغرط وسوء الفهم

في أمور الدين (قل للمخلفين من الاعراب) كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم

(ستدعون الى قوم اولى بأس شديد) هم خوحيصة قوم مسيلة الكنداء أو غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المشركون لقوله تعالى (تقاتلوا معهم أو إسلام) أي يكون ٥٦٨ أحد الأمرين إما القاتلة أبداً أو الإسلام

لأغلب كما يفهم عنه قراءة أو إسلاماً أو أمناً عداهم فيأتي قتالهم بالجزية كما انتهى بالإسلام وفيه دليل على إمامة أبي بكر رضي الله عنه إذ لم تنفق هذه الدعوة لغيره إلا إذا صح أنهم ثقيف وهو أزن قان ذلك كان في عهد النبوة فيخص دوام نفي الاتباع بما في غزوة خيبر كما قاله يحيى السنة وقبلهم فارس والروم ومعنى يسلمون يغادون فإن الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) هو الغنية في الدنيا والآخرة (وان تولوا) من الدعوة (كانوا يمت من قبل) في الحديبية (يعذبكم عذاباً أليماً) لضعف جرمكم (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على البصير حرج) أي في الخلف من الغزو لما بهم من العذر والعاهة فإن التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المذكورة مزيد اعتناء بأمرهم وتوسيع لدائرة الرخصة لم يكن

تقاتلوا بهم إلى أن يسلموا والتحقيق فيه هو أن لا تأتي الأبيات المتعارفين وتلبي عن المحصر فيقال العدد زوج أو فرد ونه لا يصح أن يقال هو زيد أو عمرو وإنما يقال العدد زوج أو خمسة وغيرهما إذا علم هذا فنقول المقاتل لآل منكم أو تقضي حتى يفهم منه أن الزمان المخصص في قسمين قد سمى يكون فيه الملازمة وقسم يكون فيه قضاء الحق فلا يكون بين الملازمة وقضاء الحق زمان لا يوجد فيه الملازمة ولا قضاء الحق فيكون في قوله لآل منكم أو تقضي في قول المسائل لآل منكم إلى أن تقضي لامتداد زمان الملازمة إلى القضاء وهذا ما ضعف قول الشائل الداعي هوهم والقوم فارس والروم لأن الفريقين يقران بالجزية فإما قال معهم لا يتعدى الإسلام بل يوزن أن يؤدوا الجزية وقوله تعالى فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تولوا كانوا يمت من قبل فيه فائدة لأن النبي إذا كان بعذر كما قال تعالى ليس على الأعمى حرج لا يكون ملزوماً فيقال وان تولوا كما توفيتهم يعني أن كان توبيتكم بناء على الأمن انفساد الاعتقاد بالعدل كما كان حيث قسم بأنستكم لا يغاوبكم شعثاً أمواتاً لله عذاباً أليماً ثم ان الله تعالى قال (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) بين من يجوز له التخلف وترك الجهاد وما يسببه يجوز ترك الجهاد وهو ما يمنع من الكر والفر وبين ذلك بيان ثلاثة أصناف (الأول) الأعمى فإنه لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز والهرب والاعرج كذلك والمريض كذلك وفي معنى الأعرج الأضعف والمتمد بل ذلك أولى بأن يعذر ومن به عرج لا يمنع من الكر والفر ولا يفر وكذلك المريض الضليل الذي لا يمنع من الكر والفر كالطحال والسعال أذبه يضعف و بعض أوجاع المقاصد لا يكون عذراً وفيه مسائل (المسألة الأولى) إن هذه العذار تكون في نفس المجاهد ولنا أعمار خارجة كالقفر الذي لا يمكن صاحبه من استعجاب ما يحتاج إليه والاشتغال بمن لولاه اضاع كطفل أو مريض والاضطراب قد علم من الفقه ونحن نبحث فيما يتعلق بالتفسير في بيان مسائل (المسألة الأولى) ذكرنا العذار التي في السفر لأن غيرها يمكن الإزالة بخلاف العرج والأعمى (المسألة الثانية) اقتصر من جملة على الامتناع الثلاثة لأن العذر إما أن يكون باختلال في عضو أو باختلال في القوة والذي بسبب اختلال العضو مما أن يكون بسبب اختلال في العضو الذي يد الرسول إلى العدو والاشتغال في مواضع القتال أو في العضو والذي تتم به فائدة الحصول في المركة والوصول والاول هو الرجل والثاني هو العين لأن بالرجل يحصل الانتقال والعين يحصل الانتفاع في الطلب والهرب وأما الأذن والأنف واللسان وغيرها من الأعضاء فلا تدخل في شيء من الأمرين بقيت البدان المقطوع البدن لا يقدر على شيء وهو عذر واضح وقد ذكره نقول لأن فائدة الرجل وهي الانتقال تبطل بالخلل في أحداهما وفائدة اليد وهي اضطراب البعش لا تبطل إلا بطلان البدن جميعاً ومدة طوع البدن لا يوجد إلا نادراً وأول في جماعة النبي صلى الله عليه وسلم

(ومن بطع الله ورسوله) مما ذكر من الأوامر والنواهي (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) وقرى تدخله بنون
القطعة (ومن يتول) أي عن الطاعة (بعذبه) وقرى بالتون (هذا بالياء) لا يقادرفدرة (لقد رضى الله عن المؤمنين) هم
الذين ذكرشان مبايعتهم وهذه الآية ﴿٥٦٩﴾ سميت بصفة الرضوان وقوله تعالى (اذ يبايعونك تحت الشجرة)

يكن أحد مطوع الدين فلم يذكره أولان المقطوع ينفع به في الجهاد فإنه ينظر ولولا
لاستقل به مقاتل فيمكن أن يقاتل وهو غير مستور في الخفاف لان المجاهدين يدفعون به
بخلاف الاعشى فان قيل كان المقطوع البدن الواحدة لا تبطل منعة بطشه كذلك الاصور
لا تبطل منعة رؤيته وقد ذكر الاعشى وما ذكر الاشل وأقطع الدين قلنا لما بينا ان مقطوع
الدين نادر الوجود والآفة النازلة باحدى الدين لاتعمها والآفة النازلة بالدين الواحدة
تعم العنين لان منبع النور واحد وهما متجاذا بان والوجود يفرق بينهما فان الاعشى كثير
الوجود ومقطوع الدين نادر (المسئلة الثالثة) قدم الآفة في الآفة على الآفة في القوة
لان الآفة في القوة تزول وتطرأ والآفة في الآفة اذا طرأت لا تزول فان الاعشى لا يبرد
بصبره فالعذر في محل الآفة أم (المسئلة الرابعة) قدم الاعشى على الاعرج لان عذر الاعشى
بشتر وحضر القتال والاعرج ان حضر راكباً أو بطريق آخر يقدر على القتال بالرمي
وغیره مما أتى (ومن بطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) ومن يتول
بعذه بن أبي بكر رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم
فأمن فثبتهم فحقا قريبا ومفاتيح كثيرة ما خذونها وكان الله عزيراً حكيماً
اعلم منهم اطاعة للآخر فجمع بينهما يابا اطاعة الله فان الله تعالى او
قال من لم يسمع الناس أن يقول نحن لا نرى الله ولا نسمع كلامه فمن أين نعلم
أمره بنى عليه فقال طاعته في طاعة رسوله وكلامه يسمع من رسوله ثم قال ومن يتول أي
يقبله ثم لا يبين من المختلفين بمد قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله عادالى بيان حالهم
وقال اندرضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم من الصدق كما
علم ما في قلوب المنافقين من المرض فانزل السكينة عليهم حتى يبايعوا على الموت وفيه معنى
لطيف وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الآية ومن بطع الله ورسوله يدخله جنات فجعل
طاعة الله وارسول علامة لادخال الله الجنة في تلك الآية وفي هذه الآية بين ان طاعة الله
والرسول وجدت من أهل بيعة الرضوان أما طاعة الله فالأشارة اليها بقوله لقد رضى الله
عن المؤمنين وأما طاعة الرسول فبقوله اذ يبايعونك تحت الشجرة بى الموعد به وهو
ادخال الجنة أشار اليه بقوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين لان الرضا يكون معه ادخال
الجنة كما قال تعالى ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ثم
قال تعالى فعلم ما في قلوبهم والفاء للتعقيب وعلم الله قبل الرضائه علم ما في قلوبهم من
الصدق فرضى عنهم فكيف يفهم التعقيب في العلم بقوله فعلم ما في قلوبهم معلق بقوله
اذ يبايعونك تحت الشجرة كما يقول القائل فرحت أمس اذ كنت زيدا فقام الى أو اذ دخلت
عليه فأكرمني فيكون الفرح بعد الأكرام ترتيباً كذلك ههنا قال تعالى لقد رضى الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم من الصدق اشارة الى ان الرضا لم يكن
عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التي كان معها علم الله بصدقهم والفاء في قوله فانزل

منصوب برضى وصيغة
المضارع لاستحضار
صورته وتحت الشجرة
منعلق به أو بمحذوف
هو حال من مفعوله روى
أنه عليه الصلاة والسلام
لما نزل الحديدية يست
خراش بن أمية الخزاعي
رسولا الى أهل مكة
فهموا به فغضبوا لآش
فرجع فيمض عثمان بن
عثمان رضى الله
فأخبرهم أنه عليه السلام
والسلام لم يأت الحبيب
وانما جاء نزل الهداية
مفعلها لحرمة فوفروه
وقالوا ان شئت أن نملوف
بالبيت فأفهل فقال ما كنت
لاطوف قبل أن يطوف
رسول الله صلى الله عليه
وسلم واحتبس عندهم
فأرجف بانهم قتلوه فقال
عليه الصلاة والسلام
لانبرح حتى تناجز القوم
ودعا الناس الى البيعة
فبايعوه تحت الشجرة
وكانت سمرة وقيل سدره
على أن يقاتلوا قريشا
ولا يفر وروى على الموت
ذوه وأن لا يفر واما قال لهم
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أتم اليوم خير أهل

الأرض وكانوا ألفاً وخمسمائة وخمسة ﴿٧٢﴾ سا وعشرين وقيل ألفاً وأربعمائة وقيل ألفاً وثلاثمائة وقوله
تعالى (فعلم ما في قلوبهم) عطف على يبايعونك لما عرفت من أنه بمعنى يبايعونك لأعلى رضى فان

رضاء تعالى عنهم مرتب على عمله تعالى بما في قلوبهم من الصدق والاحسان عند ما استمرى الله عليه وسلم وقوله تعالى (فانزل السكينة عليهم) عطف على رضى أى فانزل عليهم الطمأنينة والأمن وسكون النفس بالطمع على قلوبهم وقيل بالصلح (وأنا بهم فتحا قريبا) هو فتح خيبر * ٥٧٠ * انصرف عنهم من الجديبة كما مر تفصيله وقرئ

وآتابهم) ومغائهم كثيرة (ياخذونها) أى مغائهم خبير والاتفات الى الخطاب على قراءة الهمش وظلحة ونافع لتشتريهم في مقام الامتنان (أو كان الله عز ورا) غالبا (حكيم) مر اعياى القضى الحكمة في أحكامه وقضايه (وعدكم الله مغائهم كثيرة) هى ما يغتبط على المؤمنين الى يوم القيامة (ياخذونها) فى أوقات المدة لكل واحدة منها (فجعل لكم هذه) أى غنائم خيبر (وكف أيدي الناس عنكم) أى أيدي أهل خيبر وخلفائهم من بنى أسد ومطغان حيث جاؤا لنصرتهم فقدف الله فى قلوبهم الرعب فتكصوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح (ولتكون آية للمؤمنين) أمانة يعرفون بها صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى وعده إياهم عند رجوعه من الجديبة ما ذكر من المغائم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة أما بمحذوف

السكينة عليهم لتعقيب الذى ذكرته فانه تعالى رضى عنهم فانزل السكينة عليهم وفى علم بيان وصف الميامة يكونها معية بالعلم بالصدق الذى فى قلوبهم وهذا توفيق لا يتأتى الا لمن هداه الله تعالى الى معاني كتابه الكريم وقوله تعالى وأنا بهم فتحا قريبا هو فتح خيبر ومغائهم كثيرة ياخذونها مغائهم وقيل مغائهم هجر وكان الله عز ورا كامل القدرة غنيا عن اعانتكم اياه حكيم حيث جعل هلاك أعدائه على أيديكم ليثيبكم عليه أولان فى ذلك اعزاز قوم واذلال آخرين فانه يدل من يشاء بعزته وبقدر من يشاء بحكمته ثم قال تعالى (وعدكم الله مغائهم كثيرة) تأخذونها ففعل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما) إشارة الى ان ما آتابهم من الفتح والمغائم ليس هو كل الثواب بل الجزاء قد امهم وانما هى لما جعله عيلا بها وفى المغائم الموهوب بها أقوال أصحابها انه وعد مغائهم كثيرة من غير تعيين وكل ما غنموه كان منها والله كان عالما بها وهذا كما يقول الملك الجواد لمن يخدمه يكون لك منى على ما فعلت الجزاء ان شاء الله ولا يريد شيئا بعينه ثم كل ما يأتى به ويؤتيه يكون داخل تحت ذلك الوعد غير ان الملك لا يعلم تفاصيل ما يصل اليه وقت الوعد والله عالم بها وقوله تعالى وكف أيدي الناس عنكم لانهم النسبة كأنه قال رزقكم غنيمة باردة من غير من حر القنال واونعتم فيه اقلتم هذا جزاء تعبنا وقوله تعالى ولتكون آية للمؤمنين عطف على مفهوم لانه لما قال الله تعالى ففعل لكم هذه واللام يبنى من النفع كان على يبنى عن الضرر القائل لا على ولا ليا بمعنى لا ما انضرر به ولا ما انتفع به ولا أضر به ولا أنتفع فكذلك قوله ففعل لكم هذه انتفعكم ولتكون آية للمؤمنين وفيه معنى لطيف وهو ان المغائم الموهوب بها كل ما ياخذها المسلمون فقوله ولتكون آية للمؤمنين يعنى لينفعكم بها وليجعلها لمن بعدكم آية تذللهم على ان ما وعدهم الله يصل اليهم كما وصل اليكم أو تقول معناه انتفعكم فى الظاهر وتنفعكم فى الباطن حيث يزداد يقينكم اذ اراهم صدق الرسول فى اخباره عن الغيوب ففعل اخباركم ويكمل اعتقادكم وقوله ويهديكم صراطا مستقيما وهو التوكيل عليه والتفويض اليه والاعتزاز به * قوله تعالى (واخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شئ قديرا) قيل غنيمة هوازن وقيل غنائم فارس والروم وذكر الزنجشري فى أخرى ثلاثة أوجه أن تكون منصوبة بفعل مضمر يفسره قد أحاط ولم تقدروا عليها صفة لآخرى كأنه يقول وغنيمة أخرى غيره مفدورة قد أحاط الله بها (ثانيها) ان تكون مرفوعة وخبرها قد أحاط الله بها وحسن جعلها مبتدأ ثم كونها نكرة لكونها موصوفة بلم تقدروا (وثالثها) الجر باضمار رب ويحتمل ان يقال منصوبة بالهاتف على منصوب وفيه وجهان (أحدهما) كأنه تعالى قال ففعل لكم هذه وأخرى ما قدرتم عليها وهذا ضعيف لان أخرى لم يفعل بها (وثانيهما) على مغائهم كثيرة تأخذونها وأخرى أى وعدكم الله أخرى وحينئذ كأنه قال وعدكم الله مغائهم تأخذونها ومغائهم لا تأخذونها أنتم ولا تقدرون عليهم وانما ياخذها من يحبى بعدكم من المؤمنين وعلى

مؤخرأى ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف أو عما ملق به حلة أخرى محذوف من أحد الفعلين وهذا أى ففعل لكم هذه وكف أيدي الناس لتغنيوها ولتكون الخ قالوا وعلى الاول احتمالية وعلى الثانى طائفة (ويهديكم)

ذلك الآية (متراطم مستعجلاً) هو الله تعالى والوكل عليه في كل ما تاتون وما تدرؤن (وأخرى) تحفظ على هذه أي فعمل لكم هذه المغائم ومغام أخرى (لم تقدر وأعطها) وهي مغائم هوان في خروعة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك ٥٧١ * زيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى (قد أحاط الله بها) صفة أخرى

لاخرى مفيدة اسهولة
تأتيها بالنسبة الى قدرته
تعالى بعد بيان صعوبة
مناها بالنظر الى قدرتهم
أي قد قدر الله عليها
واسنولي واظهر كم عليها
وقيل حفظها لكم
ومتعها من غير كم هذا
وقد قيل ان اخرى
منصوب بمضمر يفسره
قد احاط الله بها أي
وقضى أمه أخرى ولا
ريب في أن الاخبار
بفضاء الله ايها بعد
اندراجها في جملة المغائم
الموعودة بقوله تعالى
وعند كم الله مغائم كثيرة
تأخذونها ليس فيه
من زيادة فائدة وانما الفائدة
في بيان تعجلها (وكان الله
على كل شيء قديراً)
لان قدرته تعالى ذاتية
لا تختص بشيء دون
شيء (ولو فالتكم الذين
كفروا) أي أهل مكة
ولم يصالحوكم وقيل
خلفاء خيبر (لولوا الاذبار)
منهزمين (ثم لا يجدون
وليا يحرسهم) (ولانصير)
ينصرونهم (سنة الله التي
قد دخلت من قبل) أي
من الله غلبة أنبيائه سنة

هذاتين أقول القراء حسن وذلك لانه فسر قوله تعالى قد أحاط الله بها أي حفظها للؤمنين
لايجري عليها هلاك الى ان يأخذها المسلمون كاحاطة الحراس بالخرائن * ثم قال تعالى
(واوقاتكم الذين كفروا اولوا الاذبار) وهو يصلح جواباً لمن يقول كف الايدي عنهم كان
أمراً اتفاقياً ولو اجتمع عليهم العرب كما عزموا لمتهم من قبح خيبر واعتنام غنائمها فقال
ليس كذلك بل سواء فالتوا أو لم يقاتلوا لا ينصرون والغاية واقعة للمسلمين فليس أمرهم
أمراً اتفاقياً بل هو أمر الهي محكوم به مخنوم * وقوله تعالى (ثم لا يجدون ولوا ولا نصيراً)
قد ذكرنا مراراً ان دفع المضمر عن الشخص اما أن يكون يولى ينفع بالانطف أو ينصير
يدفع بالانطف وليس للذين كفروا شيء من ذلك وفي قوله تعالى ثم لاطفة وهي ان من يولى دبره
بصلب الخلاص من القتل بالانفاق بما ينجيته فقال وليس اذا ولوا الاذبار يتخلصون بل
بعد التولى الهلاك لاحق بهم * وقوله تعالى (سنة الله التي قد دخلت من قبل) جواب عن
سؤال آخر يقوم مقام الجهاد وهو ان الطوائع لها تأثيرات والاتصالات لها تغيرات فقال
ليس كذلك سنة الله نصرته رسوله واهلاك عدوه * وقوله تعالى (وان تجد لسنة الله تبديلاً)
بشارة ودفع وهن يقع بسبب وهم وهوانه اذا قال الله تعالى ليس هذا با تأثيرات فلا يجب
وقوع تبديل الله فاعل مختار ولو اراد ان يهلك العباد لهلككم بخلاف قول المنجم بان الغلب
لمن له طالع وشواهد تقتضي غلبته قطعاً فقال الله تعالى وان تجد لسنة الله تبديلاً يعني ان
الله فاعل مختار يفعل ما يشاء ويقدر على اهلاك أعدائه ولكن لا يبدل سنته ولا يغير
قاده * ثم قال تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بيطن مكة من بعد ان
أظفركم عليهم) تبيننا تقدم من قوله ولو فالتكم الذين كفروا ولوا الاذبار أي هو بتقدير
الله لانه كف أيديهم عنكم بالفرار وأيديكم عنهم بالرجوع عنهم وتركهم وقوله تعالى بيطن
مكة اشارة الى أمر كان هناك يقتضي عدم الكف ومع ذلك وجد كف الايدي وذلك الأمر
هو دخول المسلمين بيطن مكة فان ذلك يقتضي أن يصبر المكفوف على القتال ليكون العدو
دخل دارهم طالبيين ثارهم وذلك مما يوجب اجتهاد البليد في الذبح عن الحريم ويقتضي ان
يبالغ المسلمون في الاجتهاد في الجهاد لكونهم اوقصروا الكسر وأأسروا والبعد ما منهم فتوله
بيطن مكة اشارة الى بعد الكف ومع ذلك وجد بشيئة الله تعالى وقوله تعالى من بعد ان
أظفركم عليهم صالح الامرين (أحدهما) ان يكون منه على المؤمنين بان الظفر كان لكم
مع ان الظاهر كان يستدعي كون الظفر لهم لكون البلاد لهم ولكنة عددهم (الثاني) أن
يكون ذكر أمرين مانعين من الامرين الاولين مع ان الله حققهما مع المنافقين اما كف
أيدي الكفار فكان بعيد الكونهم في بلادهم ذابين عن أهلهم وأولادهم واليد اشارة بقوله
بيطن مكة وأما كف أيدي المسلمين فلانه كان بعد ان ظفروا بهم ومتى ظفر الانسان بعدوه
الذي لو ظفر هو به لاستأصله يبعد ان كفاه عنه مع ان الله كف اليمين * وقوله تعالى
(وكان الله بما تعملون بصيراً) يعني كان الله يرى فيه من المصلحة وان كنتم لاترون ذلك وبيته

قدية فمن مضى من الامم (وان تجد لسنة الله تبديلاً) أي تغيراً (وهو الذي كف أيديهم) أي أيدي كفار مكة (عنكم
وأيديكم عنهم بيطن مكة) أي في داخلها (من بعد ان أظفركم عليهم) وذلك ان حكيم بن أبي جهل خرج في شخصائته
الى الجند فبحث رسول الله صلى الله

عليه وسلم خالدين الوليد على جند فخرجهم حتى أدخلهم في بطن مكة ثم عاد وقيل كان يوم الصبح و
حينئذ على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا (وكان الله بما تعملون) من مقاتلتهم وهرتهم أولا والكف عنهم بأبى العظيم عنه
الحرام وقرى بالياء (بصيرا) فيجازيكم بذلك أو يجازيهم نحو ٥٧٢ (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد

بقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً إلى أن قل ولولا
رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يعني كان الكف محاطة على ما في مكة من المسلمين يخرجوا
منها ويدخلوها على وجه لا يكون فيه إيذاء من فيها من المؤمنين والمؤمنات واختلف
المفسرون في ذلك الكف منهم من قال المراد ما كان طام الفتح ومنهم من قال ما كان عام
الحديبية فإن المسلمين هزموا جيش الكفار حتى أدخلوهم بيوتهم وقيل إن الحرب كان
بالجأرة وقوله تعالى (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً) أن
يلجأ محله إشارة إلى أن الكف لم يكن لأمرفهم لأنهم كفروا وصدوا واحصروا وكل ذلك
يقضي قتالهم فلا يقع لاحد أن الفر يقين اتفقوا ولم يبق بينهم خلاف واصطالحوا ولم يبق
بينهم حارز بل الاختلاف باق والنزاع مستمر لأنهم هم الذين كفروا وصدوكم ومنعوا
فازدادوا كفرا وعداوة وانما ذلك للرجال المؤمنين والنساء المؤمنات وقوله والهدى
منصوب على العطف على كم في صدوكم ويجوز الجر عطفاً على المسجد أي وعز الهدى
ومعكوفاً حال وان يلغ تقديره عن أن يلغ ويحتمل أن يقال أن يلغ به رهم فغير معكوفاً
بأوفه محله كما يقال رأيت زيداً شديداً بأسه ومعكوفاً أي ممنوعاً ولا يدخل في ذلك على
هذا الوجه وقوله تعالى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) تعني من المؤمنين
فتصديقكم منهم معرفة بغير علم) وصف الرجال والنساء يعني لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
معلومين وقوله تعالى أن تطوهم بدل اشتغال كأنه قال رجال غير معي بهم وتصديقكم
منهم معرفة عيب أو اثم وذلك لأنكم ربما تقتلونهم فتلزمكم الكفارة وهي دين الأثم
أو يعيبكم الكفار بأنهم فعلوا باخوانهم ما فعلوا بأعدائهم وقوله تعالى بغير علم قال
المتنخسري هو متعلق بقوله أن تطوهم يعني تطوهم بغير علم وجاز أن يكون يدل على الضمير
المنصوب في قوله لم تعلموهم وتقاتل أن يقول يكون هذا تكراراً لأن على قوتنا هو بدل من
الضمير يكون التقدير لم تعلموا أن تطوهم بغير علم فيلزم تكرار بغير علم لحصوله بقوله لم تعلموهم
فالاولى أن يقال بغير علم هو في موضعه تقديره لم تعلموا أن تطوهم فتصديقكم منهم معرفة بغير علم
من الذي يعرفكم عليكم يعني أن وطئوهم غير عالمين بصيبكم مسببة الكفار بغير علم أي
بجهل لا يعلمون أنكم معذورون فيه أو نقول تقديره لم تعلموا أن تطوهم فتصديقكم منهم معرفة
بغير علم أي فتقتلوهم بغير علم أو تؤذوهم بغير علم فيكون الوطء سبب القتل والوطء غير معلوم
لكم والقتل الذي هو سبب المعرة وهو الوطء الذي يحصل بغير علم أو نقول المعرة قسمان
(أحدهما) ما يحصل من القتل العمد من هو غير العالم بحال المحل (والثاني) ما يحصل من
القتل خطأ وهو غير عدم العلم فقال تصديقكم منهم معرفة غير معلومة لا التي تكون من العلم
وجواب لولا بخلاف تقديره لولا ذلك لما كف أيديكم عنه هذا ما قاله المتنخسري وهو
حسن ويحتمل أن يقال جوابه ما يدل عليه قوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد
الحرام يعني قد استحقوا أن لا يعلموا لولا رجال مؤمنون لوقع ما استحقوه كما يقول القائل

الحرام والهدى) بالنصب
منه على التعيين المنصوب
في صدوكم وقرى بالجر
عطفاً على المسجد محذوف
المضاف أي وعز الهدى
وبالرفع على وصد الهدى
وقوله تعالى (معكوفاً)
حال من الهدى أي
محذوف ما وقوله تعالى (أن
يلجأ محله) بدل اشتغال من
الهدى أو منصوب بترج
الحافض أي محبوساً من
أن يلجأ مكانه الذي يصل
فيه محله وبه استدلال
أبو حنيفة رحمه الله تعالى
بأنه لا يحصر محل هديه
الحرم فأنسوا بعض
الحديبية من الحرم وروى
أن خيامه صلى الله عليه
وسلم كانت في الحل
ومصلا في الحرم وهناك
نشرت هداياه صلى الله
عليه وسلم والمراد صدها
عن محلها المهود الذي
هو منى (ولولا رجال
مؤمنون ونساء مؤمنات
لم تعلموهم) لم تعرفوهم
بأعيانهم لاختلاطهم وهو
صف للرجال ونساء وقوله
تعالى (أن تطوهم) أي
توقعوا بهم وتهلكوهم
بدل اشتغال منهم أو من
الضمير المنصوب في تعلموهم

(فتصديقكم منهم) أي من جهتهم (معرة) أي مشقة ومكره كوجوب ﴿هو﴾
الدبة أو الكفارة بقتالهم والتأسف عليهم وتعيب الكفار وسوء قائلهم والاثم بالتصغير في البحث

وهي مقسمة من طرفه اذا صرنا وهذا ما يكرهه (بغير دليل) متعلق بان يهلكهم اي غير طالين بهم وجواب لا يحذف
لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان يهلكوا ناسا مؤمنين بين الكافرين غير طالين بهم فيصيبكم بذلك مكره
لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ﴿ ٥٧٣ ﴾ (ليدخل الله في رحته) متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كانه

قبل عقبيه لكن كفها
عنهم ايدخل بذلك
الكف المؤدى الى
القبح بلا محذوف في
رحته الواحدة بقسميها
(من يشاء) وهم
المؤمنون فانهم كانوا
خارجين من الرحمة
الدينية التي من جملتها
الامن من ضعفين تحت
ايدى الكفرة وأما
الرحمة الاخرى ففهم
وان كانوا غير محرومين
منها بالمرء لكنهم
كانوا قاصرين في اقامتها
مراسم العبادة كما ينبغي
فتوفيقهم لاقامتها
على الوجه الاتم ادخال
لهم في الرحمة الاخرى
وقد جوز ان يكون من
يشاء عبارة عن رقب
في الاسلام من المشركين
ويا باه قوله تعالى (لو
تزيلوا) الخ فان فرض
التزيل وترتيب التعذيب
عليه يقتضى تحقق
الباينة بين الفريقين
بالايمان والكفر قبل
التزيل جنما أى لو
تفرقوا وتميز بعضهم
من بعض وفرض لو تزيلوا
(لعذبنا الذين كفروا

هو سارق ولولا فلان لم يصح بده وذلك لان لولا لا تستعمل الا لامتناع الشيء لوجود غيره
وامتناع الشيء لا يكون الا اذا وجد مقتضى له فبما الغير فقد كراهة تعالى أولا مقتضى
الناس البالغ وهو الكفر والصد والمتم وذكر ما امتنع لاجله مقتضاه وهو وجود الرجال
المؤمنين * وقوله تعالى (ليدخل الله في رحته من يشاء) لوتزيلوا العذبة الذين كفروا منهم
عذابا ألينا) فبما البحث (الاول) في الفعل الذي يستدعى الالام الذي بسببه يكون الادخال
وفيه وجوه (أحدها) أن يقال هو قوله كف ايديكم عنهم ليدخل لا يقال بانك ذكرت
ان المانم وجود رجال مؤمنين فيكون كانه قال كف ايديكم ثلاثا متواتر فكيف يكون شيء
آخر نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن نقول كف ايديكم ثلاثا متواتر لدخولوا
كما يقال أطعمته لبشيع يغفر الله لى أى الاطعام للشيع كان يغفر (الثاني) هو انما يدا
ان لولا جوابه ما دل عليه قوله هم الذين كفروا فيكون كانه قال هم الذين كفروا
واستحقوا التعذيب في اهلاكهم ولولا رجال لغا بهم ولكن كف ايديكم ليدخل (ثانيها)
أن يقال فعل ما فعل ليدخل لان هناك احد من الاطراف والهداية وغيرها وقوله
ليدخل الله في رحته من يشاء ليؤمن منهم من اعلم الله تعالى انه يؤمن في تلك السنة
اوليخرج من مكة وهاجر فيدخلهم في رحته وقوله تعالى لوتزيلوا أى لوتغيروا والصغير
يحتفل أن يقال هو ضمير الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات فان قيل كيف يصح هذا وقد
قلتم بان جواب لولا محذوف وهو قوله لما كف أراجل ولو كان لوتزيلوا راجعا الى
الرجال لكان لعذبنا جواب لولا نقول وقد قال به الزمخشري فقال لوتزيلوا يتعقبن ذكر
لولا فيحمل أن يكره لعذبنا جواب لولا ويحتمل أن يقال هو ضمير من يشاء كانه قال
ليدخل من يشاء في رحته لوتزيلواهم وتميزوا وآمنوا لعذبنا الذين كذب الله عليهم
انهم لا يؤمنون وفيه اباحت (البحث الاول) وهو على تقدير نفي ضد فالكلام يفيد
ان العذاب الاليم يدفع عنهم اما بسبب عدم التزيل او بسبب وجود الرجال وعلم تقدير
وجود الرجال والعذاب الاليم لا يتدفع عن الكافر نقول المراد عذابا عاجلا بأيديكم
يبدأ بالجنس اذا كانوا غير مفرين ولا متقلبين اليهم فيظهرون ويقنطرون يكون الينا
(البحث الثاني) ما الحكمة في ذكر المؤمنين والمؤمنات مع ان المؤنث يدخل في ذكر المذكر
عند الاجتماع قلنا الجواب عنه من وجهين (أحدهما) ما تقدم يعني ان الموضوع موضع وهم
اختصاص الرجال بالحكم لان قوله تعذبهم فتصيبكم معناه تهلكوهم والمرأة لا تقتل
ولا تقتل فكان المانع هو وجود الرجال المؤمنين فقال والنساء المؤمنات أيضا لان تخریب
بيوتهن ویتيم أولادهن بسبب قتل رجالهن وسطة شديدة (وثانيها) ان في محل الشبهة
نعم الموضوع لتريق القلب يقال لمن يمسب شخصا لا تعذبه وارحمه فله وفقره وضعفه ويقال
أولاده وصغار وأهله الضعفاء العاجزين فكذلك ههنا قال لولا رجال مؤمنون ونساء
مؤمنات لتريق قلوب المؤمنين ورضاهم بما جرى من الكف بعد الظفر ثم قال تعالى

عنهم عذابا ألينا) يقتل مقاتلاتهم ومبى ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها (اذ جعل الذين كفروا) منصوب
بأذكر على المفعولية او بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو اجسن الله اليكم وايما ما كان فوضع الموصول موضع
ضمير هم اليهم بما في حين الصلة وتعليل اليكم به

والجمل إما بمعنى الإلقاء بقوله تعالى (في قلوبهم الحمية) أي الالفة والكبر منطلق أو بمعنى التفسير وهو محقق
 بمخنوق هو معمول ثمان له أي جعلوها ثابتة زائجة في قلوبهم (حجة الجاهلية) بدل من الحجة أي حجة الله
 الجاهلية أو الحجة الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى (فأمر الله) ٥٧٤ ﴿ سكتته على رسوله وعلى المؤمنين ﴾

على الأول ضطف على
 جعل والمراد تذكير
 حسن صنيع الرسول
 صلى الله عليه وسلم
 والمؤمنين بتوفيق
 الله تعالى وسوء صنيع
 الكفرة وعلى الثاني
 على ما يدل عليه الجملة
 الامتناعية كأنه قيل
 لم يتركوا فلم نعتب
 فأمر الخ وعلى الثالث
 على المصغر تفسيره
 والسكينة الثبات
 والقوارير وبى أن رسول
 الله صلى الله عليه
 وسلم لما نزل الحديبية
 بمث قرش سهل
 ابن عمرو القرشي
 وجو بط بن عبد
 العزى ومكرز بن حفص
 بن الاحنف على أن
 يعرضوا على النبي
 صلى الله عليه وسلم
 أن يرجع من عامه ذلك
 على أن تخلى له قرش
 مكة من العام القابل
 ثلاثة أيام ففعل ذلك
 وكتبوا بينهم كتابا
 فقال عليه الصلاة
 والسلام على رضى الله
 عنه اكتب بسم الله
 الرحمن الرحيم فقالوا

اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حجة الجاهلية فأمر الله سكتته على رسوله وعلى
 المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما) اذ يحتمل
 أن يكون ظرفا فلا بد من فعل يقع فيه و يكون عاملا له ويحتمل أن يكون مفعولا به فان
 قلنا انه ظرف فالفعل الواقع فيه يحتمل أن يقال هو مذكور ويحتمل أن يقال هو مفعول مفعول غير
 مذكور فان قلنا هو مذكور فزيد وجهان (أحدهما) هو قوله تعالى وصدوكم أي وصدوكم
 حين جعلوا في قلوبهم الحمية (وثانيها) قوله تعالى لعذبتناهم أي لعذبتناهم
 حين جعلوا في قلوبهم الحمية (والثاني) أقرب اقرب لغضا وشدة مناسبتة معنى لانهم اذا جعلوا
 في قلوبهم الحمية لا يرجعون الى الاستسلام والانتقاد والمؤمنون لما أنزل الله عليهم السكينة
 لا يتركون الاجتهاد في الجهاد والله مع المؤمنين فيعذبونهم عذابا أليما أو غير المؤمنين
 واما ان قلنا ان ذلك مفعول غير مذكور فزيد وجهان (أحدهما) حفظ الله المؤمنين عن
 أن يملوهم وهم الذين كفروا الذين جعل في قلوبهم الحمية (وثانيها) أحسن الله اليكم
 اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية وعلى هذا فقولته تعالى فأمر الله سكتته تفسير لذلك
 الاحسان واما ان قلنا انه مفعول به فالعامل مقدر تقديره اذ كرأى اذكر ذلك الوقت كما
 تقول اذكر اذ قام زيد أي اذكر وقت قيامه كما تقول اذكر زيد اذ كان على هذا يكون الظرف
 للفعل المضاف اليه عاملا فيه وفيه لطائف معنوية ولغظية (الاولى) هو ان الله تعالى أبان
 غاية البون بين الكافر والمؤمن فاشار الى ثلاثة أشياء (أحدها) جعل ما للكافر من يحملهم
 فقال اذ جعل الذين كفروا وجعل ما للمؤمنين يجعل الله فقال فأمر الله و بين القاعطين
 ما لا يخفى (ثانيها) جعل للكافر من الحمية وللمؤمنين السكينة و بين المفعولين تفاوت على
 ما سذكره (ثالثها) اضاف الحمية الى الجاهلية و اضاف السكينة الى نفسه حيث قال حجة
 الجاهلية وقال سكتته و بين الاضافتين ما لا بد ذكر (الثانية) زاد المؤمنين خيرا بعد حصول
 مقابلة شيء بشيء فعلهم بفعل الله والحمية بالسكينة والاضافة الى الجاهلية بالاضافة الى الله
 تعالى وألزمهم كلمة التقوى وسند كرمناه واما اللفظية فثلاث لطائف (الاولى) قال
 في حق الكافر جعل وقال في حق المؤمن أنزل ولم يقل خلق ولا جعل سكتته إشارة الى ان
 الحمية كانت تجمولة في الحال في العرض الذي لا يبقى واما السكينة فكانت كالخفوفة
 في خزانة الرحمة معدة لعباده فانزلها (الثانية) قال الحمية ثم اضافها بقوله حجة الجاهلية لان
 الحمية في نفسها صفة مذمومة وبالاضافة الى الجاهلية تزداد قبحا والخمية في القبح درجة
 لا يعتبر معها قبح القبانح كالمضاف الى الجاهلية واما السكينة في نفسها وان كانت حسنة
 لكن الاضافة الى الله فيها من الحسن ما لا يبقى معه لحسن اعتبار فقال سكتته اكتفاء
 بحسن الاضافة (الثالثة) قوله فأمر الله بالفاء لا بالواو إشارة الى ان ذلك كالمقابلة تقول
 أكرمني فأكرمه للجحازة والمقابلة ولو قلت أكرمني وأكرمه لا يفي من ذلك وحينئذ
 يكون فيه لطيفة وهي ان عند اشتداد غضب أحد العدو ين فاعدوا لآخر اما أن يكون

ما نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا
 نعلم أنك رسول الله ما صدناك عن البيت واما قلنا انك اكتب هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله أهل مكة فقال
 صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون إن يابوا ذلك ويطلبواهم فأمر الله

السكينة عليهم فهو رواوا وحلوا (والزمهم كلمة التقوى) أي كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم أو محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والتمسك عليه وإضافتها إلى التقوى لأنها سبب التقوى وإساسها أو كلمة أهلها (وكانوا أحق بها) متصفين بزيادة استحقاق لها على أن (٥٧٥) صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل أحق بها من الكفار

ضعيفا أو قويا فان كان ضعيفا يهزم وينهزم وإن كان قويا فيورت غضبه فيه غضبا وهذا سبب قيام الفتن والقتال فقال في نفس الحركة عند حركتهم ما قدمنا وما انهمزنا وقوله تعالى فأنزل الله بالفاء يدل لتعلق الانزال بالفاء على ترتيبه على شيء تقول فيه وجهان (أحدهما) ما ذكرنا من أن اذ طرف كأنه قال أحسن الله اذ جعل الذين كفروا وقوله وأنزل تفسير لذلك الاحسان كما يقال أكرمني فأعطاني لتفسير الأكرام (وثانيهما) أن تكون الفاء للدلالة على أن تعاقب أنزال السكينة يجعلهم الحمية في قلوبهم على معنى المقابلة تقول أكرمني فأنيت عليه ويحوز أن يكونا فعلين واقعين من غير مقابلة كما تقول جاني زيد وخرج عمرو وهو هنا كذلك لأنهم لما جعلوا في قلوبهم الحمية فالمسلمون على مجرى العادة لو نظرت إليهم لزم أن يوجد منهم أحد الآخرين إما أقدام وإما انهمزام لأن أحد العدوين إذا اشتد غضبه فاعادوا الآخر أن كان مثله في القوة يغضب أيضا وهذا يثير الفتنة وإن كان أضعف منه يهزم أو يتقاد له فالله تعالى أنزل في مقابلة حمية الكافر بين على المؤمنين سكينة حتى لم يغضبوا ولم يهزموا بل يصبروا وهو بغيد في العادة فهو من فضل الله تعالى قوله تعالى على رسوله وعلى المؤمنين فإنه هو الذي أجاب الكافر بين إلى الصلح وكان في نفس المؤمنين أن لا يرجعوا إلا بأجد الثلاثة بالبحر في المنصر وأبوا أن لا يكتبوا محمد رسول الله وبسم الله فلما سكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن المؤمنون وقوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى فيه وجوه أظهرها أنه قوله لا اله الا الله فان بها يقع الانتفاء عن الشرك وقيل هو بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله فان الكافر بين أبو ذلك والمؤمنون التزموه وقيل هي الوفاء بالعهد إلى غير ذلك ونحن نوضح فيه ما يترجح بالدليل فنقول وألزمهم بحتمل أن يكون عائدا إلى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين جميعا بمعنى ألزم النبي والمؤمنين كلمة التقوى ويحتمل أن يكون عائدا إلى المؤمنين فحسب فان قلنا أنه عائدا إليهما جميعا فنقول هو الأمر بالتقوى فان الله تعالى قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين وقال المؤمنين يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته والأمر يتقوى الله حتى تذهله تقواه عن الانتفات إلى ما سوى الله كما قال في حق النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله ولا تطع الكافرين وقال تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ثم بين له حال من صدقه بقوله الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وأما في حق المؤمنين فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقال فلا تخشوه واخشوني وان قلنا بأنه راجع إلى المؤمنين فهو قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الا ترى إلى قوله واتقوا الله وهو قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وفي معنى قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى على هذا معنى لطيف وهو أنه تعالى اذا قال اتقوا يكون الأمر واردا ثم ان من الناس من يقبله بتوفيق الله ويلتزمه ومنهم من لا يلتزمه ومن التزمه فقد التزمه بإمام الله أيه فكانه قال تعالى ألزمهم كلمة التقوى وفي هذا المعنى رجحان

(وأهلها) أي المستأهل لها (وكان الله بكل شيء عليما) فيعلم حق كل شيء فيسوقه إلى مستحقه (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى المدينة كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حللوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم فلما أخر ذلك قال عبدا لله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حللنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فترأت أي صدقه صلى الله عليه وسلم في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وتحقيقه أراه الرؤيا الصادقة وقوله تعالى (بالحق) أما صفة المصدر مؤكدة محذوف أي صدق ما كتبنا بالحق أي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمام بين الراصخ في الإيمان والمترائل فيه أو حال

من الرؤيا أي ملتبسة بالحق ليست من قبيل أضغاث الأحلام وقد جوز أن يكون قسما بالحق الذي هو من أسماء الله تعالى أو بقبض الباطل وقوله تعالى (لتدخان المسجد الحرام) جوامه وهو على الأولين جواب قسم محذوف

أى والله تدخلن الح وقوله تعالى (ان شاء الله) تعليق للعنة بالنسبة لتعليم العباد أو للاشعار بان بعضهم لا بد من الموت أو غيبة أو غير ذلك أو هي حكاية لقوله ملك الرويا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لما قاله عليه الصلاة والسلام لأصحابه (آمين) حال من فاعل تدخلن والشرط معترض ﴿ ٥٧٦ ﴾ وكذا قوله تعالى (محلقين رؤسكم

ومقصرين) أى محلقا بعضكم ومقصر آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمين فتكون متداخلة (لا تخافون) حال مؤكدة من فاعل تدخلن أو آمين أو محلقين أو مقصرين أو استئناف أى لا تخافون بعد ذلك (فاعلم ما لم تعلموا) عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم القلبي المتعلق بامر حادث بعد المعلوم عليه أى فاعلم عقيب ما أراه الرويا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق علما فعليا (ففعل) لاجله (من دون ذلك) أى من دون تحقق مصداق ما أراه من دخول المسجد الحرام الح (فتهاقريا) وهو فتح خبير والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويق يستدل به على صدق الرويا حسبا قال ولتكون آية للمؤمنين واما جعل ما فى قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة فى تأخير فتح مكة الى العام

من حيث ان تقوى وان كان كاملا ولكنه أقرب الى الكلمة وعلى هذا فتواه وكانوا أحق بها وأعلمها معناه انهم كانوا عند الله أكرم الناس فأنتم وانقوا وذلك لان قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم يجعل وجهين (أحدهما) ان يكون معناه ان من يكون تقواه أكثر يكرمه الله أكثر (والثانى) أن يكون معناه ان من سيكون أكرم عند الله وأقرب إليه كان اتقى قوله والمخلصون على خطر عظيم وقوله تعالى وهم من خشية ربهم مشفقون وعلى الوجه الثانى يكون معنى قوله وكانوا أحق بها لانهم كانوا اعلم بالله وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله وأهلها يحتمل وجهين (أحدهما) انه يفهم من معنى الاحق انه ثبت رجائنا على الكافرين ان لم يثبت الاهلية كانوا خاسر الملك اثنين لشغل وكل واحد منهما غير صالح له ولكن أحدهما أبعد عن الاستحقاق فقال فى الأقرب الى الاستحقاق اذا كان ولا بد فهذا أحق كما يقال الحاس أهون من القمل مع انه لاهين هناك فقال وأهلهم اذ فعل ذلك (الثانى) وهو أقوى وهو أن يقال قوله تعالى وأهلها فيه وجوه نبيها بعد ما بين معنى الاحق فنقول هو يحتمل وجهين (أحدهما) ان يكون الاحق بمعنى الحق لا للفضيل كما فى قوله تعالى خير مقامنا وأحسن نديا اذا خير فى غيره (والثانى) أن يكون للفضيل وهو يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون بالنسبة الى غيرهم أى المؤمنون احق من الكافرين (والثانى) أن يكرم بالنسبة الى كلمة التقوى من كلمة اخرى غير تقوى تقول زيدنا حق بان كرامته بالاهانة كما اذا سأل شخص هز بديانه بالطيب نعل أو بالقيمة نقول هو بالقيمة اعلم أى من الطيب وقوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق تدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فاعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتهاقريا) بيان لفساد ما قاله المنافقون بعد انزال الله السكينة على رسوله وعلى المؤمنين ووقوفهم عند ما أمروا به من عدم الاقبال على القتال وذلك قولهم ما دخلنا المسجد الحرام ولا حلقنا ولا قصرنا حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه أن المؤمنين يدخلون مكة ويتنون الحج ولم يعين له وقتا فقص رؤياه على المؤمنين فقطعوا بان الامر كما رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى منامه وظنوا ان الدخول يكون عام الحديبية والله اعلم انه لا يكون الا عام الفتح فلما صالحوا ورجعوا قال المنافقون استهزاء ما دخلنا ولا حلقنا فقال تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وتعدية صدق الى مفعولين يحتمل أن يكون بنفسه وكونه من الافعال التى تتعدى الى مفعولين ككلمة جعل وخلق ويحتمل أن يقال عدى الى الرويا بحرف تقديره صدق الله رسوله فى الرويا وعلى الاول معناه جعلها واقعة بين صدق وعده اذ وقع الموعود به وأتى به وعلى الثانى معناه ما أراه الله لم يكذب فيه وعلى هذا فيحتمل ان يكون رأى فى منامه ان الله تعالى يقول ستدخلون المسجد الحرام فيكون قوله صدق ظاهرا لان استعمال الصدق فى الكلام ظاهر ويحتمل أن يكون عليه الصلاة

القابل كما جئنا اليه الجمهور فتأمله الفقيه فان علمه تعالى بذلك متقدم على اراءة الرويا قطعنا ﴿ ٥٧٧ ﴾ والسلام

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى) أي ملتبسا به أو بسببه ولا يحله (ودين الحق) ودين الاسلام (ليظهره على الدين كله) ليعليه على جنس الدين بجميع افراده التي ﴿ ٥٧٧ ﴾ هي اديان المختلفة بأسخج ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة

ببديل الاعصار واظهار
بسلان ما كان باطلا
أو بتسليمه للمسلمين على
أهل سائر الاديان اذا
من أهل دين الاوفد
فهرهم المسلمون وفه
فضل تأكيده وعدم
الفتح وتوطيت النفوس
المؤمنين على أنه سبحانه
سيفتح لهم من البلاد
ويخرج لهم من الغابة
على الغنائم ما يستقلون
اليه فتح مكة (وكنى بالله
شعبدا) على أن ما وعد
كأن لا يحاله أو على نبوته
عليه الصلاة والسلام
بأظهار المعجزات (شجدة)
خير ميتة اخذت من رقبته
تعالى (رسول الله) بدل
أوبان أو نمت أي ذلك
الرسول المرسل بالهدى
ودين الحق محمد رسول
الله وقبل محمد ميتة
رسول الله خير والجنة
ميتة للشهود به وقوله
تعالى (والذين معه)
ميتة أخبره (أشدها على
الكفار رجاء بينهم)
وأشدها جمع شديد
ورجاء جمع رحيم والمعنى
أنهم يظهرون لمن خالف
دينهم الشدة والصلابة

والسلام رأى أنه يدخل المسجد فيكون قوله صدق الله معناه أنه أتى بالحق المناسم
ويدل على كونه صادقا يقال صدقني سن نكره مثلا في إذا سبق الأمر الذي يريد من
نفسه ما خوذ من الأبل إذا قبل له هـ مع سكن فتحق كونه من صغار الأبل فإن هـ مع نكة
يسكن بها صغار الأبل وقوله تعالى بالحق قال ان تخشعوا لله وحده أو قسم أو قسم صدق
وعلى كونه حال تقديره صدقه الرؤيا متبسة بالحق وعلى تقدير كونه صفة تقدير صدقه
صدقا ملتبسا بالحق وعلى تقدير كونه قسما ما لم يكن قسما بالله فإن الحق من أسمائه
وأما أن يكون قسما بالحق الذي هو تقيض الباطل هذا ما قلناه ويحتمل أن يقال فيه
وجهين آخرين (أحدهما) أن يقال فيه تقديم وأخير تقديره صدق الله رسوله بالحق
الرؤيا أي الرسول الذي هو رسول بالحق وفيه إشارة الى امتناع الكذب في الرؤيا لأنه
لما كان رسولا بالحق فلا يرى في منامه الباطل (والثاني) أن يقال بأن قوله اندخلن
المسجد الحرام أن قلنا بأن الحق قسم قاصر للام ظاهر وان لم يقل به فتقديره الله صدق
الله رسوله الرؤيا بالحق والله لتدخلن وقوله والله لتدخلن إجاز أن يكون تفسير الرؤيا
يعنى الرؤيا هي والله لتدخلن وعلى هذا تبين أن قوله صدق الله كان في الكلام لأن
الرؤيا كانت كلاما ويحتمل أن يكون تحقيقا لقوله تعالى صدق الله رسوله يعنى والله
ليؤمن الدخول ويظهرن الصدق فلتدخلن ابتداء كلام وقوله تعالى ان شاء الله فيه
وجوه (أحدها) انه ذكره تعليما للعباد الادب وتأكيذا لقوله تعالى ولا تقولن لشيء انى
فأفعل ذلك غدا الا أن يشاء الله (الثاني) هو ان الدخول لما لم يقع عام الجديدة وكان
المؤمنون يريدون الدخول ويأبون الصلح قال اندخلن ولكن لا يجلدنكم
ولا يباردتنكم وانما تدخلون بمشيئة الله تعالى (الثالث) هو ان الله تعالى لما قال في الوحي
المزل على النبي صلى الله عليه وسلم لتدخلن ذكرانه بمشيئة الله تعالى لان ذلك من الله وعد
ليس علمه دين ولا حق واجب ومن وعد بشئ لا يحققه الا بمشيئة الله تعالى والا فلا يلزمه
به احد واذا كان هذا حال الموعود به في الوحي المنزل صريحا في البقعة فاطنكم بالوحي
بالمنام هو محقق الأول أكثر مما يحتمل الكلام فاذا تأخر الدخول لم يستهزؤن
(الرب) هو ان ذلك تحقيقا للدخول وذلك لان أهل مكة قالوا لا تدخلوها الا بارادتنا
ولا تريد دخولكم في هذه السنة ونختار دخولكم في السنة القابلة والمؤمنون أرادوا
الدخول في عامهم ولم يقع فكان لقائل أن يقول بلى الأمر موقوف على مشيئة أهل
مكة ان أرادوا في السنة الآتية يتركوننا ندخلها وان كرهوا لا ندخلها فقال لا تشترط
ارادتهم ومشيئتهم بل تمام الشرط بمشيئة الله وقوله محققين رؤسكم ومقصرين لا تخافون
إشارة الى انكم تتنون الحج من أوله الى آخره فقوله لتدخلن إشارة الى الاول وقوله
محققين إشارة الى الآخر وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) محققين حال السداجلين
والداخل لا يكون الا محرما والمحرم لا يكون محققا وقوله آمنين يبنى عن الدوام فيد الى

المؤمنين أهرة على الكافرين وقرى أشداء ورعاً بالانصب على المدح أو على الخلال من المستكن في معه لوقوعه صلة
فالخير حيث قد قوله تعالى (تراهم ركعاً سجداً) أي شاهدتهم * ٥٧٨ * حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على

الصلاة وهو على الاول
خير آخر أو استئناف
وقوله تعالى (يتغنون)
فضلاً من الله ورضواناً
أي ثواباً ورضاً أما خبر
آخر أو حال من ضمير تراهم
أو من المستقر في ركعاً
سجداً أو استئناف مبني
على سؤال نشأ من بيان
مواظبتهم على الركوع
والسجود كأنه قيل ماذا
يريدون بذلك فقيل
يتغنون فضلاً من الله الخ
(سبحانهم) أي سبحانهم
وقرى سبحانهم بالياء
بعد الميم والميم والميم
وفيها لغة ثالثة هي السياء
بالمد وهو مبتدأ خبره (في
وجوههم) أي في
جباهاهم وقوله تعالى
(من أثر السجود) حال
من المستكن في الجارأي
من التأثير الذي يؤثره
كثرة السجود وما روى
عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قوله عليه
السلام والسلام
لأنه أبوا صومكم أي
لأنهموها وأما وفيها
صحة يجيئته على الأرض
ليحدث فيها تلك السمة
وذلك محض ريب أو اتفاق
والكلام فيما حدث في

الحق فكانه قال تدخلونها آمنين متمكنين من أن تنموا الحج محققين (المسئلة الثانية)
قوله تعالى لا تخافون أيضاً حال من ضمير تخافون وذلك حصل بقوله تعالى آمنين في القائدة
في أعادته نقول فيه بيان كمال الأمن وذلك لأن بعد الخلق يخرج الإنسان عن الأحرام
فلا يحرم عليه القتال وكان عند أهل مكة يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم فقال
تدخلون آمنين وتعلقون ويبقى أمنكم بعد خروجكم عن الأحرام وقوله تعالى فاعلم ما لم
تعلموا أي من المصلحة وكون دخولكم في سنتكم سبباً لوطء المؤمنين والمؤمنات أو فاعلم
للتعقيب فاعلم وقم عقيب ماذا نقول إن قلنا المراد من فاعلم وقت الدخول فهو عقيب صدق
وإن قلنا المراد فاعلم المصلحة فالمراد من فاعلم وقوع الشهادة لأهل الغيب والتقدير يعني حصلت
المصلحة في العام المقابل فاعلم ما لم تعلموا من المصلحة المتجددة فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً
أما صلح الحديبية وأما فتح خيبر وقد ذكرناه وقوله تعالى وكان الله بكل شيء عليماً يدفعهم
حدوث علمه من قوله فاعلم وذلك لأن قوله وكان الله بكل شيء عليماً يفيد سبق علمه العام لكل
علم يحدث ثم قال تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وكفى بالله شهيداً محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً
سجداً يتغنون فضلاً من الله ورضواناً) تأكيداً لبيان صدق الله في الروايات وذلك لأنه
لما كان من سلا رسوله بالهدى لا يريد ما لا يكون مهدياً للناس فيظهر خلافه فيقع ذلك سبباً
للضلال ويكمل وجوها أقوى من ذلك وهو أن الروايات بحيث توافق الواقع تقع لقبول الرسل
لكن روية الاشياء قبل وقوعها في البقطة لا تقع لكل أحد فقال تعالى هو الذي أرسل
رسوله بالهدى وحكي له ما سيكون في البقطة ولا يبعد من أن يريه في المنام ما يقع فلا استبعاد
في صدق روياء وفيها أيضاً بيان وقوع الفتح ودخول مكة بقوله تعالى ليظهره على الدين
كله أي من يقويه على الأديان لا يستبعد منه فتح مكلفه والهدى يحتمل أن يكون هو
القرآن كما قال تعالى أنزل فيه القرآن هدى للناس وعلى هذا دين الحق هو ما فيه من
الاصول والفروع ويحتمل أن يكون الهدى هو الاصول ودين الحق هو الاحكام وذلك
لأن من الرسل من لم يكن له احكام بل بين الاصول فحسب والاف واللام في الهدى يحتمل
أن تكون الاستغراق أي كل ما هو هدى ويحتمل أن تكون للعهد وهو قوله تعالى ذلك
هدى الله يهدي به من يشاء وهو اما القرآن لقوله تعالى كتاباً متشابها مثاني تفصح إلى
أن قال ذلك هدى الله يهدي به من يشاء وأما ما اتفق عليه كلمة الرسل لقوله تعالى وأولئك
الذين هدى الله فبهم اهتدوا والمسلك من باب واحد لأن ما في القرآن موافق لما اتفق
عليه الانبياء وقوله تعالى ودين الحق يحتمل وجوهاً (أحدها) أن يكون الحق اسم الله
تعالى فيكون كأنه قال بالهدى ودين الله (وثانيها) أن يكون الحق نقيض الباطل فيكون
كأنه قال ودين الامر الحق (وثالثها) أن يكون المراد به الانتساب إلى الحق والتمسك به

وجعل وكان الامام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يقال لهما ذوا الشفقت لما أحدثت كثرة
سجودهما في مواقعه منهما أشباه ثغرات ٥٧٩ البعير قال قائلهم * ديار علي والحسين وجعفر * وحجرة

والسجود ذى الشفقت *
وقيل صفرة الوجه
من خشية الله تعالى
وقيل ندى الطهور
وتراب الارض وقيل
استنارة وجوههم من
طول ماصوا بالليل قال
عليه الصلاة والسلام
من كثرت صلاته بالليل
حسن وجهه بانتهار
وقرى من آثار السجود
ومن أثر السجود بكسر
الهمزة (ذلك) إشارة
الى ما ذكر من نعمتهم
الجليلة وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد
بالشار اليه لا يذات
بملوشاته وبعد منزلته
في الفضل وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى (مثلهم)
أى وصفهم العجيب
الشان الجارى في القرابة
يجرى الامثال وقوله
تعالى (في التوراة) حال
من مثلهم والعامل
معنى الإشارة وقوله
تعالى (ومثلهم في
الانجيل) عطف على
مثلهم الاول كما قيل
ذلك مثلهم في التوراة
والانجيل وتكريره شبه
الأكيد غرابته من باب

ليظهره أى أرسله بالهدى وهو المجرى على أحد الوجوه ليظهره على الدين كله أى جنس
الدين فيلحق والاديان دون دينه وأكثر المفسرين على أن الهاء في قوله ليظهره
راجعة الى الرسول والاطهر انه راجع الى دين الحق أى أرسل الرسول بالدين الحق
ليظهره أى ليظهر الدين الحق على كل الاديان وعلى هذا فيحتمل أن يكون القائل
للاظهار هو الله ويحتمل أن يكون هو النبي أى ليظهر النبي دين الحق وقوله تعالى وكفى
بالله شهيدا أى في انه رسول الله وهذا ما يسلى قلب المؤمنين فانهم تأذوا من رد الكفار
عليهم العهد المكتوب وقالوا لا تعلم انه رسول الله فلان كتبوا محمد رسول الله بل اكتبوا
محمد بن عبد الله فقال تعالى كفى بالله شهيدا في انه رسول الله وفيه معنى لطيف وهو ان
قول الله مع انه كاف في كل شئ لكنه في الرسالة أظهر كفاية لان الرسول لا يكون الا بقول
المرسل فاذا قال ملك هذا رسولى لو أنكر كل من في الدنيا انه رسول فلا يقيد انكارهم
فقال تعالى أى خلل في رسالته بانكارهم مع تصديق اياه بانه رسول وقوله محمد رسول الله
فيه وجوه (أحدها) خبر مبتدأ محذوف تقديره هو محمد الذى سبق ذكره بقوله أرسل
رسوله ورسول الله عطف بيان (وثانيها) ان محمد ما مبتدأ خبره رسول الله وهذا تأكيد
لما تقدم لا محالة قال هو الذى أرسل رسوله ولا تتوقف رسالته الا على شهادته وقد شهد له
بها محمد رسول الله من غير تكبر (وثالثها) وهو مستشبه وهو ان يقال محمد مبتدأ ورسول
الله عطف بيان سبق للمدح للتمييز والذين معه عطف على محمد وقوله أشداء خبره كانه
قال تعالى والذين معه جريحهم أشداء على الكفار رساء يذمهم لان وصف الشدة والرحمة
وجد في جميعهم أما في المؤمنين فكما في قوله تعالى المؤمنون أعزة على الكافرين
وأما في حق النبي صلى الله عليه وسلم فكما في قوله واغلاط عليهم وقال في حق بالؤمنين
روؤف رحيم وعلى هذا قوله تراهم لا يكون خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم بل يكون
عاما أخرج يخرج الخطاب تقديره تراهم أيها السامع كأننا من كان كأننا ان الواعظ
يقول انبه قبل ان يقع الانبساء ولا يريد به واحدا بعينه وقوله تعالى يتفنون فضلا
من الله ورضوانا تنبيه ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم وركوع
المرأى وسجودهم فانه لا ينبغي به ذلك وفيه إشارة الى معنى لطيف وهو ان الله تعالى قال
الراكعون والساجدون لوجهه فيوفيه أجورهم ويزيدهم من فضله وقال الراكع
بغنى الفضل ولم يذكر الاجر لان الله تعالى اذا قال لكم أجر كان ذلك منه تفضلا وإشارة
الى أن عملكم جاء على ما طاب الله منكم لان الاجرة لا تستحق الاعلى العمل الموافق
للطلب من المالك والمؤمن اذا قال اننا ينبغي فضلك يكون منه اعترافا بالتقصير فقال
يتفنون فضلا من الله ولم يقل أجرا وقوله تعالى (سيماهم في وجوههم من أثر السجود)
فيه وجهان (أحدهما) ان ذلك يوم القيامة كما قال تعالى يوم تبص وجوه وقال تعالى
نورهم يسرى وعلى هذا فنقول نورهم في وجوههم بسبب توجهم نحو الحق كما قال ابراهيم

تقررها وقوله تعالى : كزرع أخرج شطأه الخ تمثيل مستأنف أى هم كزرع أخرج

فراخه وقيل هو تفسير ذلك على أنه إشارة مبهمّة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الإنجيل على أن الكلام قد تمّ عند قوله تعالى مثلهم في التوراة وقرى شطأ بفتح شاء وقرى شطأ بفتح شاء ٥٨٠ الطاء وتخفيف الهزّة وشطأ بالمد وشطأ بمحذوف

عليه السلام إلى وجهته وجهى للذى فطر السموات والأرض ومن يحاذى الشمس
يقم شعاعها على وجهه فينبين على وجهه النور منبسطاً من أن الشمس بها نور عارضى
يقبل الزوال والله نور السموات والأرض فمن توجه إلى وجهه يظلم في وجهه نور بهر
الانوار (وثانيهما) أن ذلك في الدنيا وفيه وجهان (أحدهما) أن المراد بظلم الجباه
بسبب كثرة السجود (والثاني) ما يظلمه الله تعالى في وجوه الساجدين لأن من الحسن
نهاراً وهذا محذوف لمن يعقل فإن رجلين يسهران بالليل أحدهما قد شغل بالشرب للعب
والآخر قد استغل بالصلاة والقراءة واستفادة العلم فكل أحد في اليوم الثاني يفق بين
الساهر في الشرب واللاعب وبين الساهر في الذكر والشكر * وقوله تعالى (ذلك مثلهم
في التوراة) فيه ثلاثة أوجه مذكورة (أحدها) أن يكون ذلك مبتدأ ومثلهم في التوراة
ومثلهم في الإنجيل خبراً له وقوله تعالى كزرع أخرج شطأ خبراً له مبتدأ محذوف تقديره
ومثلهم في التوراة والإنجيل كزرع (وثانيهما) أن يكون خبر ذلك هو قوله مثلهم في التوراة
وقوله ومثلهم في الإنجيل مبتدأ وخبر كزرع (وثالثها) أن يكون ذلك إشارة خبر معينة
أوضحت بقوله تعالى كزرع كقوله ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وفيه وجه
رابع وهو أن يكون ذلك خبراً له مبتدأ محذوف تقديره هذا الظاهر في وجوههم ذلك يقال
ظهر في وجهه أثر الضرب فتقول أي والله ذلك أي هذا ذلك الظاهر أو الظاهر الذي تقوله
ذلك * وقوله تعالى (ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأ فآزره فاستغلظ فاستوى على
سوقه يعجب الزارع) أي وسفوا في الكتابين به ومثلوا بذلك وانما جعلوا كالزراع لأنه أول
ما يخرج يكون ضعيفاً وله نموال حد الكمال فكذلك المؤمنون والشطأ الفرج فآزره
ويحتمل أن يكون المراد أخرج الشطأ وآزر الشطأ وهو أقوى وأظهر والكلام يتم عند
قوله يعجب الزارع * وقوله تعالى (ليغيظهم الكفار) أي تخيبتهم ذلك ليغيظ أو يكون
الفعل المعلن هو * قوله تعالى (وعدا الله الذين آمنوا وعموا الصالحات) أي وعد الله ظبيهم
الكفار يقال رغم لا نفك انهم عليه * وقوله تعالى (منهم مغفرة وأجر عظيم) لبيان الجنس
للمتبعين ويحتمل أن يقال هو للتبيين ومعناه ليغيظ الكفار والذين آمنوا من
الكفار لهم الأجر العظيم والمغفرة فاستقدم مراراً والله تعالى أعلم وههنا لطيفة وهو
أنه تعالى قال في حق أراكمين الساجدين انهم يتغنون فضلاً من الله وقال لهم أجز
ولم يقل لهم ما يطلبونه فمن ذلك الفضل وذلك لأنهم من عند العمل لم ينفذ إلى عمله
ولم يعمل له أجراً يعتد به فقال لا ينبغي إلا فضلك فإن عملك لا يكون له أجر والله تعالى آناه
ما آناه من الفضل وسماه أجز الإشارة إلى قبول عمله ووقوفه الموقع وعدم كونه عند الله
تزراً لا يستحق المؤمن عليه أجراً وقد علم بما ذكرنا مراراً أن قوله وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لبيان ترتيب المغفرة على الإيمان فإن كل مؤمن يغفر له كما قال تعالى
إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والأجر العظيم على العمل الصالح

بالمد وشطأ بمحذوف
الهزّة ونقل حركتها
إلى ما قبلها وشطأه
بقلبها واوا (فآزره)
فقواه من الموازنة بمعنى
المعاونة أو من الإيزار
وهي الإغاثة وقرى
فآزره بالتخفيف وآزره
بالتشديد أي شأزره
وقوله تعالى (فاستغلظ)
ففسار غليظاً بعد
ما كان دقيقاً (فاستوى
على سوقه) فاستقام
على قصبه جمع ساق
وقرى سوءه بالهمزة
(يعجب الزارع) بقوته
وكشافته وغلظه
وحسن منظره وهو
مثل ضربه الله عز
وجل لأصحابه عليه
الصلاة والسلام قلوا
في بدء الإسلام ثم كثروا
واستحكما ففرق
أمرهم يوماً فيوماً
أحيث أعجب الناس
وبل مكتوب في الإنجيل
سيخرج قوم يبنون
نبات الزرع يأمرون
بالعروف وينهون عن
المنكر وقوله تعالى
(ليغيظهم الكفار)
علة لما يعرب عند الكلام

من تشييمهم بالزراع في زكائه واستحكامه أو لابعده من قوله تعالى (وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والله *
منهم مغفرة وأجر عظيم)

فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة فاطمئنت قلوبهم ذلك أشد فظيظ ومنهم للبيان
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ﴿ ٥٨١ ﴾ القح فكتانما كان عن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة

عليه وسلم فتح مكة
(سورة الحجرات مدنية
وايها ثمانى عشرة آية) *

بسم الله الرحمن الرحيم
(يا أيها الذين آمنوا)

تصديق الخطاب
بالنداء لتبني المخاطبين

على أن ما في حيزه أمر
خطير يستدعى من يد

اعتنائهم بشأنه وفرط
اهتمامهم بتسليمه

ومراعاته ووصفهم
بالإيمان لتشيطهم

والإيمان بأنه داع
إلى المحافظة عليه

وإذاع عن الإخلال به
(لاتقدموا) أى لاتقدموا

التقديم على أن ترك
المفعول المقصود إلى

نفس الفعل من غير
اعتبار تعقده بأمر

من الأمور على طريقة
قوامهم فلان يعطى ومنع

أى يفعل الاعطاء
والمنع أو لاتقدموا

أمر من الأمور على
أن حذف المفعول

للقصد إلى تعميمه
والاول أو فى بحسب

المقام لافادته النهى
عن التلبس بنفس

الفعل الموجب لانتفاءه
بالكلية المستلزم لانتفاء

والله أعلم قال المصنف رحمه الله تعالى تم تفسير هذه السورة يوم الخميس السابع عشر
من شهر ذى الحجة سنة ثلاث وستمئة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة
والسلام ولحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله
وصحبه أجمعين

(سورة الحجرات ثمانى عشرة آية مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم)
في بيان حسن الترتيب وجوه (أحدها) ان في السورة المقدمة لما جرى منهم ميل الى
الامتناع مما أجاز النبي صلى الله عليه وسلم من الصلح وترك آية التسمية والرسالة وألزمهم
كلمة التقوى كان رسول الله قال لهم على سبيل العموم لاتقدموا بين يدي الله ورسوله
ولا تتجاوزوا ما أمركم الله تعالى ورسوله (الثاني) هو أن الله تعالى لما بين محل النبي عليه
الصلاة والسلام وعلو درجته يكونه رسوله الذي يظهر دينه وذكره بأنه رحيم بالمؤمنين
بقوله رحيم قال لاتترصكوا من احترامه شيئا لا بالفعل ولا بالقول ولا تغفروا برأفته
وانظروا الى رفعة درجته (الثالث) هو أن الله تعالى وصف المؤمنين بكونهم أشداء
ورحاء فيما بينهم راكعين ساجدين نظرا الى جانب الله تعالى وذكر ان لهم من الحرمه عند
الله ما أورثهم حسن الشاء في الكتب المقدمة بقوله ذاك مثله في التوراة ومثله في
الانجيل فان الملك العظيم لا يذكر أحدا في غيبته اذا كان معه محترما ووعدهم بالاجر
العظيم فقال في هذه السورة لاتقدموا ما يوجب الخطا في درجتكم واحباط حسنة لكم
ولاتقدموا قيل في سبب نزول الآية وجوه قبل نزلت في صوم الشك وقيل نزلت
في التضحية قبل صلاة العيد وقيل نزلت في ثلاثة قتلاوا اثنين من سليم ظنوهما من بني عامر
وقيل نزلت في جماعة أكثروا من السؤال وكان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم
وتود والاصح انه ارشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل اثبات وتقدم
واستبداد بالأمر وافدام على فعل غير ضروري من غير مشاورة وفي التفسير مسائل
(المسئلة الاولى) قوله تعالى لاتقدموا يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون من التقديم
الذي هو متعدي على هذا فقه وجهان (أحدهما) ترك مفعوله برأسه كافي قوله تعالى
يحبي ويميت وقول القائل فلان يعطى ويمنع ولا يريد بهما اعطاء شيء معين ولا منع شيء
معين وانما يريد بهما انله منعا واعطاء كذلك ههنا كأنه تعالى يقول لا ينبغي أن
يصدر منكم تقديم أصلا (والثاني) أن يكون المفعول الفعل أو الأمر كأنه يقول
لاتقدموا يعنى لاتقدموا وعلى هذا فهو مجاز ليس المراد هو نفس التقديم بل المراد
لاتجعلوا لانفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم يقال فلان تقدم من بين الناس

بالكلية المستلزم لانتفاء فعله بالطر يق البرهاني وقد جوز أن يكون التقديم بمعنى

التقدم وشهقه من الجش للجماعة المتقدمة وبعضه قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف إحدى التامين من تقدموا
ووي لا تقدموا من تقدم وقوله تعالى (بين يدي الله) ﴿٥٨٢﴾ (ورسوله) مستعار مما بين الجهتين المتسامتين

ليدى الانسان سمعنا
لما هو عنه والمعنى
لا تطلعوا امرأه
أن يحكمها به وقبل المراد
بين يدي رسول الله
وذكر الله تعالى لتعظيمه
والايدان بحلاله محله
عنده وزوجل قيل نزل
فيما جرى بين أبي بكر
وعرضي الله عنهما
لدى النبي صلى الله
عليه وسلم في تأمير الاقرع
بن خابس أو القعاقع
بن معبد (واتقوا الله)
في كل ما تأتون وما تذكرون
من الاقوال والافعال
التي من جعلتها ما نحن
فيه (ان الله سمع)
لا قوالكم (عليه)
بافعالكم فمن حقه
أن يتقى ويراقب
(يا أيها الذين آمنوا)
لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبي
شروع في النهي
عن التجاوز في كيفية
القول عند النبي عليه
الصلاة والسلام بعد
النهي عن التجاوز
في نفس القول والفعل
واعادة اشد مع قرب
العهد به للبالغة

إذا ارتفع أمره وهلا شأنه والسبب فيه أن من ارتفع يكون متقدما في الدخول في
الامر والمقام وفي الذكر ههنا ذكر الكرام وعلى هذا نقول سواء جعلناه متدينا ولازما
لا يمدى الى ما يمدى اليه التقديم في قولنا قدمت زيدا فالمدنى واحد لان قوله لا تقدموا
إذا جعلته متدينا ولازما لا يمدى الى ما يمدى اليه التقديم في قولنا قدمت زيدا
فتقديره لا تقدموا أنفسكم في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم أي لا تجعلوا لانفسكم
تقدما ورأيا عنده ولا تقول بأن المراد لا تقدموا أمرا وفعلنا وحيتذ تقدم القراءتان
في المعنى وهما قراءة من قرأ بفتح التاء والدال وقراءة من قرأ بضم التاء وكسر الدال وقوله
تعالى بين يدي الله ورسوله أي يحضر نهما لان ما يحضره الانسان فهو بين يديه وهو ناظر
اليه وهو ناهب هيته وفي قوله بين يدي الله ورسوله فوائد (أحدها) ان قول القائل فلان
بين يدي فلان إشارة الى كون كل واحد منهما حاضرا عند الآخر مع أن لاحدهما
علو الشأن والآخر درجة العبيد والغلمان لان من يجلس يجنب الانسان يكلفه تغليب
الحدقة اليه وتحريك الرأس اليه عند الكلام والامر ومن يجلس بين يديه لا يكلفه ذلك
ولان اليدين تنبئ عن القدرة بقول القائل هو بين يدي فلان أي بقلبه كيف شاء في اشغاله
كما يفعل الانسان بما يكون موضوعا بين يديه وذلك مما يفسد وجوب الاحترام من
التقدم وتقديم النفس لان من يكون كمنع يقبله الانسان يديه كيف يكون له عنده
التقدم (وثانيها) ذكر الله إشارة الى وجوب احترام الرسول عليه الصلاة والسلام
والانقياد لاوامره وذلك لان احترام الرسول صلى الله عليه وسلم قد يتركه على بعد المرسل
وعدم اطلاعه على ما يفعل برسوله فقال بين يدي الله أي أنتم بحضرة من الله تعالى وهو
ناظر اليكم وفي مثل هذه الحالة يجب احترام رسوله (وثالثها) هو ان هذه العبارة كما تقرر
النهي المتقدم تقرر معنى الامر المتأخر وهو قوله واتقوا لان من يكون بين يدي الغير
كالمتأخر الموضوع بين يديه يفعل به ما يشاء يكون جديرا بأن يتقيه وقوله تعالى واتقوا الله
يحتل أن يكون ذلك عطايا يوجب مغايرة مثل المغايرة التي في قول القائل لا تتم واشغل
أي فائدة ذلك النهي هو ما في هذا الامر وليس المطلوب به ترك النوم كيف كان بل المطلوب
بذلك الاشتغال فكذلك لا تقدموا أنفسكم ولا تقدموا على وجه التقوى ويحتمل أن
يكون بينهما مغايرة أنهم من ذلك وهي التي في قول القائل احترم زيدا واخدمه أي ائث
بإثم الاحترام فكذلك ههنا معناه لا تقدموا عنده وإذا تركتم التقدم فلا تشكوا
على ذلك فلا تنتفعوا بل مع انكم قائمون بذلك محترمون له اتقوا الله واخشوه والا
لم تكونوا أتيتهم بواجب الاحترام وقوله تعالى ان الله سمع عليهم يؤكد ما تقدم لانهم قالوا
آمننا لان الخطأ يفهم بقوله يا أيها الذين آمنوا فقد يسمع قولهم ويعلم فعلهم وما في
ولو يسمع من التوى والخيانة فلا ينبغي أن يختلف قولكم وفعلكم وضمير فليكن بل ينبغي
أريتم ما في سمعه من قولكم آمنا وسمعتنا وأطعنا وما في علمه من فعلكم الطاهر وهو عدم

في الايقاظ والنبية واسعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشانه أي لا تبلغوا بأصواتكم ﴿٥٨٣﴾ تقدم
وراء أحد يبلغه عليه الصلاة والسلام بصوته وقرى لا ترفعوا بأصواتكم على أن الباء زائدة (ولا تبجروا له)

بالقول) إذا كلموه (تجهر بعضهم ببعض) أي تجهر أيا تجهر كالتجهر الجارى فيما بينكم بل اجعلوا صوتهكم أخفض من صوته بداية الصلاة والسلام وتعهّدوا ﴿٥٨٣﴾ في مخاطبته الذين اقربت من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة

التقدم وما في قلوبكم من الضمائر وهو التقوى * ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم ببعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) لا تقدموا نهى عن فعل يبنى من كونهن جاعلين لأنفسهم عند الله ورسوله بالنسبة إليهما وزنا ومقدارا ومدخلا في أمر من أوامرهما وذنوبهما وقوله لا ترفعوا نهى عن قول يبنى عن ذلك الأمر لأن من رفع صوته عند غيره يجعل لنفسه اعتبارا زائدا وعظمة وفيه مباحث (البحث الأول) ما الفائدة في إعادة النداء وما هذا النمط من الكلامين على قول القائل يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله لا ترفعوا أصواتكم تقول في إعادة النداء فوائد خمسة منها أن يكون في ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد كما في قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله يا بني أنها إن تك مثقال حبة يابني أمم الصلاة لأن النداء لتبني المنادى ليقبل على استماع الكلام ويجعل بالله منه فاعادته تفيد ذلك ومنها أن لا يتوهم متوهم أن المخاطب ثانيا غير المخاطب أولا فان من الجائر أن يقول القائل يا زيد اقل كذا وقل كذا يا عمرو فاذا أعاده مرة أخرى وقال يا زيد قل كذا يعلم من أول الكلام أنه هو المخاطب ثانيا أيضا ومنها أن يعلم أن كل واحد من الكلامين مقصود ليس الثاني تأكيذا للاول كما تقول يا زيد لا تنطق ولا تتكلم إلا بالحق فإنه لا يحسن أن يقال يا زيد لا تنطق يا زيد لا تتكلم كما يحسن عند اختلاف المطلقين وقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم يحتمل وجوها (أحدها) أن يكون المراد حقيقة وذلك لأن رفع الصوت دليل قلة الاحشاش وترك الاحترام وهذا من مسئلة حكيمة وهي أن الصوت بالخارج ومن خشى قلبه ارتجف وتضعف حركته الدافعة فلا يخرج منه الصوت بقوة ومن لم يخف ثبت قلبه وقوى فرفع الهواء دليل عدم الخشية (ثانيها) أن يكون المراد المنع من كثرة الكلام لأن من كثر الكلام يكون متكلمًا عند سكوت الغير فيكون في وقت سكوت الغير لصوته ارتفاع وإن كان خائفا إذا نظرت إلى حال غيره فلا ينبغي أن يكون لاحد عند النبي صلى الله عليه وسلم كلام كثير بالنسبة إلى كلام النبي صلى الله عليه وسلم لأن النبي عليه الصلاة والسلام مبالغ في التكميم عنده أن أراد الاخبار لا يجوز أن استخبر النبي عليه السلام عما وجب عليه البيان فهو لا يسكت عما يسأل وإن لم يسأل ور بما يكون في السؤال حفيظة رد جواب لا يسهل على المكلف الاتيان به فيبقى في ورطة العقاب (ثالثها) أن يكون المراد رفع الكلام بالتعظيم أي لا تجملوا لكلامكم ارتفاعا على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب كما يقول القائل لغيره أمرتك مرارا بكذا عندما يقول له صاحبه مرنى بامر مثله فيكون أحد الكلامين أعلى وأرفع من الآخر والاول أصح والكل يدخل في حكم المراد لأن المنع من رفع الصوت لا يترك إلا الاحترام واطهار الاحتشام ومن بالغ احترامه إلى حيث تنخفض الاصوات

المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة أهمية النبوة وجلالة مقداره وأقبل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم ببعض لا تقواوا له يا محمديا أخذوا مخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر يا رسول الله والله لا أكلك إلا السرار أو أكل السرار حتى ألقى الله تعالى وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يكلمه عليه الصلاة والسلام كما يخفى السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان أبو بكر رضى الله عنه إذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (أن تحبط أعمالكم) إمامة للنهي أي لا تجهروا خشية أن تحبط أو كراهة أن تحبط كما في قوله تعالى بين الله لكم أن تضلوا

أو المنهى أي لا تجهروا لأجل الحبوط فإن الجهر حيث كان يصعد الاداء إلى الحبوط فكأنه فعل لأجله على طريقة

نهي عنه من الرفم والجهر ما يقارنه الاستكفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يثبتهم أن يؤدى اليه مما يجرى بينهم في أثناء المحاورة من الرفم والجهر حسبما يعرب منه قوله تعالى بكهراً بعضكم لبعض خلا أن رفع الصوت فوق

عنده من هيئته وعلو مرتبته لا يكبر عنده الكلام ولا يرجع المتكلم معه في الخطاب وقوله تعالى ولا تجهروا له بالقول بكهراً بعضكم لبعض فيه فوائد (أحداها) أن بالاول حصل المنع من أن يجعل الانسان كلامه أو صوته أعلى من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وصوته واقتال أن يقول فامنع من المساواة فقال تعالى ولا تجهروا له كما تجهرون لأقرانكم ونظر انكم بل اجعلوا كنهه عليا (والثانية) أن هذا أفادانه لا ينبغي أن يتكلم المؤمن عند النبي عليه السلام كما يتكلم العبد عند سيده لأن العبد داخل تحت قوله بكهراً بعضكم لبعض لأنه للعموم فلا ينبغي أن يجهر المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم كما يجهر العبد للسيد والالكان قد جهر له كما يجهر بعضكم لبعض لا يقال المفهوم من هذا الخطأ أن لا تجعلوا له كما يتفق بينكم بل تمزوه بأن لا تجهروا عنده أبدا وفيما بينكم لا تحافظون على الاحترام لانا نقول ماذا كرنا اقرب الى الحقيقة وفيه ما ذكرتم من المعنى وزيادة ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم والسيد ليس أولى عند عبده من نفسه حتى لو كانا في محبة ووجد العبد مالاً ولم يأكله لمات لا يجب عليه بذله لسيدته ويجب البذل للنبي صلى الله عليه وسلم وأوعلم العبدان بموته فيجوا سيده لا يلزمه أن يلقى نفسه في التهلكة لانجاء سيده ويجب لانجاء النبي عليه الصلاة والسلام وقد ذكرنا حقيقة عند تفسير الآية وان الحكمة تقتضى ذلك كما ان العضو الرئيس أولى بالرعاية من غيره لأن عند خلل القلب مثلاً لا يبق للبدن والرجلين استقامة فلو حفظ الانسان نفسه وترك النبي عليه الصلاة والسلام لهلاك هو أيضاً بخلاف العبد والسيد (القائدة الثالثة) أن قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم لما صنعكم من جنس لا تجهروا لم يستأنف النداء ولما كان هو يخالف التقدم لكون أحدهما فعلاً والآخر قولاً استأنف كما في قول أيمان يابني لا تشرك وقوله يابني أقم الصلاة لكون الاول من عمل القلب والثاني من عمل الجوارح وقوله يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر من غير استئناف النداء لكون الكل من عمل الجوارح واعلم انا ان قلنا المراد من قوله لا ترفعوا أصواتكم أى لا تكثروا الكلام فقوله ولا تجهروا يكون مجازاً عن الاتيان بالكلام عند النبي صلى الله عليه وسلم بقدر ما يؤتى به عند غيره أى لا تكثروا وفلاو غابة التقليل وكذلك ان قلنا المراد بالرفم الخطاب فالمراد بقوله لا تجهروا أى لا تخاطبوه كما تخاطبون غيره وقوله تعالى ان تحبط أعمالكم فيه وجهان مشهوران (أحدهما) ان لا تحبط (والثاني) كراهة ان تحبط وقد ذكرنا ذلك في قوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا وامشوا له ويحتمل ههنا وجهاً آخر وهو أن يقال معناه واتقوا الله واجتنبوا أن تحبط أعمالكم والدليل على هذا ان الاضمار لما يمكن منه بد فادل عليه الكلام الذي هو فيه أولها ان يضمر والامر بالتقوى قد سبق في قوله تعالى واتقوا وأما المعنى فتقول قوله ان تحبط إشارة الى انكم ان رفعتم أصواتكم وتقدمتم تكم هذه الرذائل وتؤدى

صوته عليه الصلاة والسلام لما كان منكراً محضاً لم يقيد بشئ ولا ما يقع منها في حرب أو تجادله معانداً أو ارباب عدو أو نحو ذلك ومن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جمهورى الصوت ورد بما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن أنس رضى الله عنه أنه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقدته عليه الصلاة والسلام فأخبر بشأنه فدعا فساءله فقال يا رسول الله لقد أنزلت اليك هذه الآية وإنى رجل جهر بالصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال له عليه الصلاة والسلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة وأماما يروى عن الحسن من أنها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوته عليه الصلاة

والسلام فقد قيل محمله أن نهىهم مندرج تحت نهى المؤمنين بدلالة النص (وأنتم لا تشعرون) حال * الى من فاعل تحبط أى والجال أنكم لا تشعرون بحبوطها وفيه من يد تحذيرهم عنه وقوله تعالى

(ان الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله) الخ ٥٨٥ * ترغيب في الانتهاء عنهم وبعدها التهيب عن الإخلال به

الى الاستعداد وان يفضى الى الانفراد والارتداد المحبط وقوله تعالى وأنتم لا تشعرون اشار الى ان الرية تتحرك من النفس بحيث لا يشعر الانسان فان من ارتكب ذنباً لم يتركه في عمره تراه ناد ما غاية الندامة خائفاً غاية الخوف فاذا ارتكبه مراراً يقل الخوف بالندامة ويصير عادة من حيث لا يعلم انه لا يتمكن وهذا كان للتمكن في المرة الاولى أو الثانية أو الثالثة أو غيرها وهذا كان من بلغه خبره فانه لا يقطع بقول المخبر في المرة الاولى فافان تكرره عليه ذلك وبلغ حد الواتر يحصل له اليقين ويتكبد الاعتقاد ولا يدري متى كان ذلك وعند أي خبر حصل هذا اليقين فقولوه وأنتم لا تشعرون تأكيد للمنع أي لا تقولوا بأن المرة الواحدة تعفى ولا توجب ردة لان الامر غير معلوم فاحسبوا الباب وفيد بيان آخر وهو ان المكلف اذا لم يحترم النبي صلى الله عليه وسلم ويجعل نفسه مثله فيما يأتي به بناء على امره يكون كما يأتي به بناء على أمر نفسه لكون ما تأمر به النفس لا يوجب الثواب وهو محبط حابط كذلك ما يأتي به بغير أمر النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ حابط محبط والله أعلم وأعلم أن الله تعالى لما أمر المؤمنين باحترام النبي صلى الله عليه وسلم وكرامته وتقديسه على أنفسهم وعلى كل من خلفه الله تعالى أمر نبيه عليه السلام بالرفقة والرحمة وان يكون أرف بهم من الوالد كما قال واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقال ولا تكن كصاحب الخوت الى غير ذلك لئلا تكون خدمته خدمة الجبابرة الذين يستعبدون الاحرار بالقهر فيكون انقيادهم لوجه الله ثم قال تعالى (ان الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أو أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) وفيه الحث على ما أرشدهم اليه من وجهين (أحدهما) ظاهر لكل أحد وذلك في قوله تعالى امتحن الله قلوبهم للتقوى وبما هو ان يقدم نفسه ويرفع صوته يريد اكرام نفسه واحترام شخصه فقال تعالى ترك هذا الاحترام يحصل به حقيقة الاحترام وبالأعراض عن هذا الاكرام يكمل الاكرام لان به تنبيه نفواكم وان أكرمكم عند الله اتقاكم ومن القبيح ان يدخل الانسان حراماً فيختبر نفسه فيه منصباً ويقوت بسببه منصبه عند السلطان ويعظم نفسه في الخلاه والمستراح وبسببه يهون في الجمع العظيم وقوله تعالى امتحن الله قلوبهم للتقوى فيه وجوه (أحدها) امتحنها ليعلم منها التقوى فان من يعظم واحداً من ابناء جنسه لكونه رسول مرسل يكون تعظيماً للمرسل اعظم وخوفه منه أقوى وهذا كما في قوله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب أي تعظيم أوامر الله من تقوى الله فكذلك تعظيم رسول الله من تقواه (الثاني) امتحن أي علم وعرف لان الامتحان يعرف الشيء فيجوز استعماله في معناه وعلى هذا فاللام تتعلق بمحذوف تقديره عرف الله قلوبهم صالحة أي كائنة للتقوى كما يقول القائل أنت اكلمنا أي صالح أو كائن (الثالث) امتحن أي اخلص يقال للذهب مختن أي مختلص في النار وهذه الوجوه كلها مذكورة ويحتمل أن يقال معناه امتحنها للتقوى اللام للتعليل وهو محتمل وجهين

أي تخضعونهم امرأاة
الادب أو
مخالفة انتهى (أو لك)
استشارة الى الموصوف
باعتبار اتصافه بما في
خير الصلة وما في من
معنى البعد مع قرب
العهد بالشار اليه لما مر
مراراً من تفخيم شأنه
وهو مبتدأ خبره (الذين
امتحن الله قلوبهم
للتقوى) أي جربها
للتقوى ومر من امتحانها
أو عرفها كائنة للتقوى
خالصة لها فان الامتحان
صعب المعرفة واللام صلة
لمحذوف أو للتعلم باعتبار
الاصل أو ضرب قلوبهم
بضمرب المحن والتكاليف
الشاقة لاجل التقوى
فانها لا تظهر الا بالاصطبار
عليها أو اخلصها للتقوى
من امتحن الذهب اذا
أذابه وميزا برزقه من
خبثه وعن عمر رضي الله
عنه اذهب عنها الشوائب
(اهم) في الآخرة
(مغفرة) عظيمة لدنوبهم
(وأجر عظيم) لا يفادر
قدره والجملة امانه
آخر لان كالجمل المصارة
باسم الإشارة أو استئناف

ليبين جزأهم اجماد الحالههم * ٧٤ * سا وتعريضاً بسوئ حال من ليس مثلهم (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات)
أي من خارجها من خلفها أو فداها

ومن ابتدائية الذل أن النداءة نشأت من جهة الوراثة ٥٨٦ وان المنادى داخل الحجر لوجوب الاختلاف

المبدأ والنتهى بحسب
الجهة بخلاف ما قبل
ينادونك وراء الحجرات
وقرى الحجرات بفتح
الجيم وبكونها ثلاثا
جمع حجرة وهى القطعة
من الارض المحجورة
بالحائط وذلك يقال
لحظيرة الابل حجرة وهى
قطعة من الحجر بمعنى
مفصول كالغرفة والقبضة
والمراد بها حجرات أمهات
المؤمنين ومناداتهم من
ورائهم اما بانهم أتوها
حجرة حجرة فنادوه عليه
الصلاة والسلام من
ورائهم أو بانهم تفرقوا
على الحجرات متطلبين له
عليه الصلاة والسلام
فتناداه بعض من وراء
هذه وبعض من وراء
تلك فأستدفع الابعاض
الى الكل وقد جوز أن
يكونوا قد نادوه من وراء
الحجرة التى كان عليه
الصلاة والسلام فيها
ولكنها جمعت اجلالا
عليه الصلاة والسلام
وقيل ان الذى ناداه
صبيته بن حصى انفرادى
والافرع ابن حابس
وفدا على رسول الله

(أحدهما) أن يكون تعليلا يجرى مجرى بيان السبب المتقدم كما يقول القائل جئتك
لأكرامك أمس أى صار ذلك السابق سببا للجي (وثانيها) أن يكون تعليلا يجرى مجرى
بيان غاية المقصود المتوقع الذى يكون لاحقا لاسبقا كما يقول القائل جئتك لاداء
الواجب فان قلنا بالاول فتحقيقه هو ان الله علم ما فى قلوبهم من تقواه وامتنع قلوبهم
للتقوى التى كانت خبيها واولان قلوبهم كانت ملوءة من التقوى لما أمرهم بتعظيم رسوله
وتقديم نبيه على أنفسهم بل كان يقول لهم آمنوا برسولى ولا تؤذوه ولا تكذبوا فان
الكافر أول ما يؤمن يؤمن بالاعتراف بكون النبي صلى الله عليه وسلم صادقا وبين من
قيل له لا تستهزئ برسول الله ولا تكذب ولا تؤذيه وبين من قيل له لا ترفع صوتك عنده
ولا تعمل لنفسك وزنا بين يديه ولا تجهر بكلامك الصادق بين يديه بون عظيم واعلم ان بقدر
تقديمك للنبي عليه الصلاة والسلام على نفسك فى الدنيا يكون تقديمك للنبي عليه الصلاة
والسلام اياك فى العقبى فانه لا يدخل أحد الجنة ما لم يدخل الله أمته المتقين الجنة وان قلنا
بالثانى فتحقيقه هو ان الله تعالى امتحن قلوبهم بمعرفة ومعرفة رسوله بالتقوى أى ليعرفهم
الله التقوى التى هى حق الثقة وهى التى لا تخشى مع خشية الله أحدا فتراه آمنا من كل
مخيف لا يخاف فى الدنيا بخسا ولا يخاف فى الآخرة نخسا والتاظر العاقل اذا علم ان
بالخوف من السلطان بأمن جور العلمان ويتجنب الاراذل ينجو من بأس السلطان
فيجعل خوف السلطان جنة فكذلك العالم لو امتن النظر اعم ان بخشية الله التوجه فى
الدارين وبالخوف من غيره الهلاك فيهما فيجعل خشية الله جنة التى يحرس بها نفسه
فى الدنيا والآخرة ثم قال تعالى (لهم مغفرة وأجر عظيم) وقد ذكرنا ان المغفرة ازالة
السيئات التى هى فى الدنيا لازمة للنفس والاجر العظيم اشارة الى الحياة التى هى بعد
مغفرة الدنيا عن النفس فيزيل الله عنه القبايح البهيمية ويلبسه المعاسن الملكية ثم قال
تعالى (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) بيان الحسالة من كان
فى مقابلة من تقدم فان الاول غرض صوته والآخر رفعه وفيه اشارة الى انه ترك لادب
الحضور بين يديه وعرض الحاجة عليه واما قول القائل للملك يا فلان من سوء الادب كان
قلت كل أحد يقول يا الله مع ان الله أكبر تقول النداء على قسمين (أحدهما) لتنبيه
المنادى (وثانيهما) لاطهار حاجة المنادى (ومثال الاول) قول القائل لرفيقه أو غلامه
يا فلان (ومثال الثانى) قول القائل فى التذبة يا أمير المؤمنين أو يا زيدا والقائل ان يقول ان
كان زيد بالشرق لا تنبيه فانه محال فكيف يناديه وهو ميت فتقول قولنا يا الله لاطهار
حاجة النفس لا تنبيه المنادى وانما كان فى النداء الامر ان جميعا لان المنادى لا ينادى
الا الحاجة فى نفسه يعرضها ولا ينادى فى الاكثر الامم منا أو غافلا فحصل فى النداء
الامر ان ونداءهم كان للتنبيه وهو سوء ادب واما قول أحدنا للكبير يا سدى ويا مولاي
فهو جار مجرى الوصف والاخبار (الثانى) النداء من وراء الحجرات فان من ينادى غيره

صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقام لا يابح ولا ينادى ولا

التداء الى الكل لانهم رضوا بذلك ٥٨٧ او امروا به اولاه وجد فيما بينهم (اكثرهم لا يعقلون) اذ لو كان لهم

ولا حائل بينهما لا يكلفه الشئ والمجى بل يجيبه من مكانه ويكلمه ولا يطلب المنادى
الاتفات المنادى اليه ومن ينادى غيره من وراء الحائل فيكافئ بريد منه حضوره كمن
ينادى صاحب البستان من خارج البستان (اثنان) قوله الحجرات اشارة الى كون
التي صلى الله عليه وسلم في نواته التي لا يحسن في الادب اتيان المحتاج اليه في حاجته في
ذلك الوقت بل الاحسن التأخير وان كان في ورطة الحاجة وقوله تعالى أكثرهم لا يعقلون
فيه بيان المعايير بقدر ما في سوء أدبهم من القبايح وذلك لان الكلام من خواص
الانسان وهو أعلى مرتبة من غيره وليس ان دونه كلام لكن النداء في المعنى كالنبيه وقد
يحصل بصوت بضرب شئ على شئ وفي الحيوانات العجم ما يظهر لكل أحد كالنداء فان
الشاة تصيح وتطلب ولدها وكذلك غيرها من الحيوانات والسحلة كذلك فكان النداء
حاصل في المعنى لغير الآدمي فقال الله تعالى في حقهم أكثرهم لا يعقلون يعني النداء الصادر
منهم لما لم يكن مفرونا بحسن الادب كانوا فيه خارجين عن درجة من يعقل وكان نداؤهم
كصياح صدر من بعض الحيوان وقوله تعالى أكثرهم فيه وجهان (أحدهما) ان العرب
تذكر الاكثر وتريد الكل وانما تأتي بالاكثر احترازا عن الكذب واحتياط في الكلام لان
الكذب مما يحبط به عمل الانسان في بعض الاشياء فيقول الاكثر وفي اعتقاده الكل ثم
ان الله تعالى مم احاطة علمه بالامور التي بما يناسب كلامهم وفيه اشارة الى لطيفة وهي ان
الله تعالى يقول انما علمي بكل شئ تجريبت على عاداتكم استحسنات تلك العادة وهي
الاحتراز عن الكذب فلا تتركوها واجعلوا اختياري ذلك في كلامي دليلا قاطعا على
رضائي بذلك (وثانيهما) ان يكون المراد انهم في أكثر احوالهم لا يعقلون وتحقيق هذا هو
ان الانسان اذا اعتبر مع وصف ثم اعتبر مع وصف آخر يكون المجموع الاول غير المجموع
الثاني مثاله الانسان يكون جاهلا وفقيرا فيصير عالما وغنيا فيقال في العرف زيد ليس هو
الذي رأيته من قبل بل الآن على أحسن حال فيجمله كأنه ليس ذلك اشارة الى ما ذكرنا اذا علم
هنا فهم في بعض الاحوال اذا اعتبرتهم مع تلك الحالة فما يرون لانفسهم اذا اعتبرتهم
مع غيرهما فقال تعالى أكثرهم اشارة الى ما ذكرناه وفيه وجه ثالث وهو ان يقال لعل منهم
من رجم عن تلك الاحوال ومنهم من استمر على تلك العادة الرذيلة فقال أكثرهم اخراجا لمن
ندم منهم عنهم ثم قال تعالى (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) اشارة الى
حسن الادب الذي على خلاف ما أتوا به من سوء الادب فانهم لو صبروا لما احتاجوا
الى النداء واذا كنت تخرج اليهم فلا يصح اتيانهم في وقت اختلاطك بنفسك أو
بأهلك أو بربك فان للنفس حقها وللأهل حقها وقوله تعالى لكان خيرا لهم يختم وجهين
(أحدهما) أن يكون المراد ان ذلك هو الحسن والخير كقوله تعالى خير مستقرا (وثانيهما)
ان يكون المراد هو ان بالنداء وعدم الصبر يستفيدون تحييز الشغل ودفع الحاجة في الحال
وهو مطلوب ولكن المحافظة على حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه خير من ذلك لازما

عقل لما تجاسروا على
هذه المرتبة من سوء
الادب (ولو أنهم صبروا
حتى تخرج اليهم) أي
ولو تحقق صبرهم
وانتظارهم حتى تخرج
اليهم فان أن وان دلت
بأن في حينها على المصدر
ليكنها تعبد بنفسها
التحقق والشبوت للفرق
البين بين قولك بلغني
قيامك وبلغني أنك قائم
وحتى تفيد أن الصبر
ينبغي أن يكون مقبلا
بخروجه عليه الصلاة
والسلام فانها مختصة
بما هو غاية الشئ في نفسه
ولذلك تقول أكلت
الحمكة حتى رأسها
ولا تقول حتى نصفها
أو ثلثها بخلاف ألي
فانها عامة وفي اليهم
اشعار بأنه لو خرج
لا لاجلهم ينبغي أن
يصبروا حتى يفتحهم
بالكلام أو يتوجه
اليهم (لكن) أي
الصبر المذكور
(خير اليهم) من الاستعجال
لما فيه من رعاية حسن
الادب وتعظيم الرسول
الموجبين للشأن والشواب

والاسعاف بالسؤل اذ روى أنهم وفدوا شافعين في أسارى بني العنبر فاطلق النصف وقادى النصف (والله غفور رحيم)

يبيع الله من رزقه واسمهم ما قلن يصيق ساحتها عن هؤلاء من ٥٨٨ ﴿ تَابُوا وَأَصْلَحُوا ﴾ (يا أيها الذين آمنوا

تدفع الحاجة الأصلية التي في الآخرة وحاجات الدنيا فضلية والرفوع الذي يقتضيه كلفة
كان اما الصبر وتقديره لو أنهم صبروا لكان الصبر خيرا أو الخروج من غير نداء وتقديره
لو صبروا حتى تخرج اليهم لكان خروجك من غير نداء خيرا لهم وذلك مناسب للحكاية لانهم
طلبوا خروجهم عليه انفسلا والسلام يأخذوا ذرارهم فخرجوا حتى نصحهم واخذوا
نصحتهم واوصوا لكان يصيق كلهم والاول أصح ثم قال تعالى (والله غفور رحيم) تحقيرا
للمرئ (أحدهما) لسهو صبرهم في التحمل فان الانسان اذا نى ببيع ولا يعاقبه الملك
أو السيد يقال ما أحلم سيده لا يبان خلد بل ابيان عظيم جناية العبد (وثانيهما) لحسن
الصبر يعني بسبب اتيانهم بهو خير يغفر الله لهم سيئاتهم ويجعل هذه الحسنة كفارة
لكثير من السيئات كما يقال لا تبقى اذا رجعت الى باب سيده أحسنت في رجوعك وسيده
رحيم أى لا يعاقبك على ما تقدم من ذنوبك بسبب ما أتيت به من الحسنة ويمكن أن يقال
بان ذلك حدث للنبي صلى الله عليه وسلم على الصنيع وقوله تعالى أكثرهم لا يعقلون كالعذر
لهم وقد ذكرنا ان الله تعالى ذكر في بعض المواضع افسران قبل الرحمة كما في هذه السورة
وذكر الرحمة قبل المغفرة في سورة سبأ في قوله وهو الرحيم الغفور فبحث قال غفور رحيم أى
يغفر سيئاتهم ثم نظرائه فيراه عاريا محتاجا فيرجد ويأبسه اياك الكرامة وقد رآه مغفورا
في السيئات فيغفر سيئاته ثم يرجد بعد المغفرة فارة تقع الاشارة الى الرحمة التي بعد
المغفرة فيقدم المغفرة وتارة تتم الرحمة قبل المغفرة فيؤخرها ولما كانت الرحمة واسمة توحيد
قبل المغفرة وبعدها ذكرها قبلها وبعدها ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا أو ما يتجهالة فتعصبوا على ما فعلتم نادمين) هذه السورة فيها
ارشاد المؤمنين الى مكارم الاخلاق وهي امام الله تعالى أو مع رسول صلى الله عليه وسلم
أو مع خيرهما من ابنا الجنس وهم على صنفين لانهم اما أن يكونوا على طريقتي المؤمنين
وداخلين في رتبة الطاعة أو خارجا عنها وهو الفاسق والداخل في طائفتهم السالك
لطريقتهما اما أن يكون حاضرا عندهم أو غائبا عنهم فهذه خمسة أقسام (أحدها) يتعلق
بجانب الله (وثانيها) بجانب الرسول (وثالثها) بجانب الفاسق (وابعها) بالؤمن الحاضر
(وخامسها) بالؤمن الغائب فذكر الله تعالى في هذه السورة خمس مرات يا أيها الذين آمنوا
وأرشد في كل مرة الى مكرمة مع قسم من الاقسام الخمسة فقال أو لا يا أيها الذين آمنوا
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وذكر الرسول كان لبيان طاعة الله لأنها لا تعم الا بقول
رسول الله وقال ثانيا يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي لبيان
وجوب احترام النبي صلى الله عليه وسلم وقال ثانيا يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ
ليبان وجوب الاحتراز عن الاعتماد على أقوالهم فانهم يريدون ابقاء الفتنة بينكم بين
فلا عند تفسير قوله وان استأن من المؤمنين اقتتلوا وقال رابعا يا أيها الذين آمنوا
لا يسر قوم من قوم ولا تسرارهم والبيان وجوب ترك ايذاء المؤمنين في حضرهم

ان جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا) أى فتعرفوا
وتقصصوا روى أنه
عليه الصلاة والسلام
بعث الوالدين عقبة
أخا ثمان رضى الله عنه
لأنه مصدقا الى بنى
المصطلق وكان ينده
و يتهنأ احدهما فلما سمعوا
به استقبلوه فحسب أنهم
مقاتلوه فرجم وقال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد ارتدوا
ومنعوا الزكاة فهم
عليه الصلاة والسلام
بقائلهم فزلات وقيل
بعث اليهم خالد بن
الوليد فوجدتهم ناديين
بالصلاة منهجين
فسلوا اليه الصدقات
فرجع في ترتيب الامر
بالتين على فسق الخبير
اشارة الى قبول خبر
الواحد العدل في بعض
المراد وقرئ فتبينوا
أى توفقوا الى أن يتبين
لكم حال (ان تصيبوا)
حذار ان تصيبوا (قوما
يجهالة) ملتبيين
يجهالة حالهم (فتعصبوا)
بعد ظهور برائتهم
ثم استند اليهم (على

ما فعلتم) في حقهم (نادمين) معتين غلازمة بين لهم يقع فان تركب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع ثو والازدراء
الدوام (واعلموا ان فيكم رسول الله)

أن عا في خبرها ساد مسدود فعول اعلموا ٥٨٩ بحسب باعتبار ما بعده من قوله تعالى (لو يطيعكم في كثير من

الامر لعنتم) فانه حال
من أحد الضعيفين
في فيكم والمعنى أن فيكم
رسول الله كأنه على حانة
يجب عليكم تعبيرها
أو كائين على حانة الخ
وهي أنكم تريدون
أن يقيم عليه الصلاة
والسلام رأيكم في كثير
من الحوادث ولو فعل
ذلك أوقعتم في الجهد
والهلاك وفيه إيذان
بأن بعضهم زينوا
رسول الله صلى الله عليه
وسلم الايقاع بدني
المصطلق تصديقا
لقول الوليد وأنه عليه
الصلاة والسلام لم يطع
رأيهم وأما صبغة
المضارع فقد قيل انها
للدلالة على أن امتناع
عنهم لا يمنع استمرار
طاعته عليه الصلاة
والسلام لهم لأن عنهم
انما يلزم من استمرار
الطاعة فيما بين لهم
من الامور اذ قيد اختلال
أمر الابالة وانقلاب
الرئيس مرؤسا لامن
اطاعته في بعض ما يرويه
نادرا بل فيها استناتهم
بلا معرة وقيل انها

والا زورا جعلهم ومنصبهم وقال خامسا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض
الظن اثم وقال ولا تجسسوا وقال ولا يغيب بعضكم بعضا لبيان وجوب الاستئذان امانة
جانب المؤمن حال غيبته وذكره لو كان حاضرا أذى وهو في غاية الحسن من التقرير فان
قيل لم يذكروا المؤمن قبل الفاسق لكونه المراتب متدرجة فالله بآله ورسوله ثم المؤمن
الحاضر ثم يأتون من الغائب ثم الفاسق نقول قدم الله ما هو الا هم على ما دونه فذكر جانب
الله ثم ذكر جانب الرسول ثم ذكر ما يفضي الى الافتتال بين طوائف المسلمين بسبب الانصاف
الى كلام الفاسق والاعتقاد عليه فانه يذكر كل ما كان أشد نفارا باصدور وأما المؤمن
الحاضر أو الغائب فلا يؤذي المؤمن الى حدي ففضي الى القائل الا ترى ان الله تعالى ذكر
عقب نبأ الفاسق آية الافتتال فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وفي التفسير مسائل
(المسئلة الاولى) في سبب نزول هذه الآية هو ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عتبة
وهو أخو عثمان لأمه الى بني المصطلق واليا ومصدقا فالتقوه فقتلهم مقاتلين فرجع الى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال انهم امتنعوا ومنعوا فهم الرسول صلى الله عليه وسلم
بالايقاع بهم فترأت هذه الآية وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانهم لم يفعلوا من ذلك شيئا
وهذا جديان قالوا بان الآية نزلت في ذلك الوقت وأما ان قالوا بانها نزلت لذلك مقتضرا
عليه ومتعديا الى غيره فلا بل نقول هو زمن عام لبيان التثبت وترك الاعتقاد على قول
الفاسق ويدل على ضعف قول من يقول انها نزلت لكذا ان الله تعالى لم يقل اني أنزلتها
لكذا والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل عداية بيني وبين الآية وردت لبيان ذلك فبسبب غاية
ما في الباب انها نزلت في ذلك الوقت وهو مثل الدار التي نزلت الآية ونحن نصدق ذلك
ويتأكد ما ذكرنا ان احلاف لخصنا الفاسق على الوليد حتى يعبد لا توبهم وظن في خطا والخطيئة
لا يسمى فاسقا وكيف والفاسق في أكثر المواضع المراد من تخرج عن رتبة الايمان قوله
تعالى ان الله لا يهدي القوم الفاسقين وقوله تعالى ففسق عن أمر ربه وقوله تعالى وأما
الذين فسقوا فما أرواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها ليأخذوا فيها الى غير ذلك (المسئلة
الثانية) قوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ اشارة الى ان عليه ذنوب هي ان المؤمن كان موصوفا بأنه
شديد على الكافر فحفظ عليه فلا يمكن الفاسق من أن يخبره بنبأ فان تمكن منه يكون نادرا
فقال ان جاءكم يحرف الشرط الذي لا يذكر الامع الواقع اذ لا يحسن أن يقال ان اجر
البسر وان طلعت الشمس (المسئلة الثالثة) النكرة في معرض الشرط تعني اذا كانت في
جانب الشبوت كأنها تعم في الاخبار اذا كانت في جانب النفي وتخص في معرض الشرط اذا
كانت في جانب النفي كأن تخص في الاخبار اذا كانت في جانب الشبوت فنذكر بيانها بالمثل
ودليله اما بيانها بالمثل فنقول اذا قال قائل لعبد ان نكح رجلا فانت حر فكون كأنه قال
لا اكلم رجلا حتى يعق بكلم كل رجل واذا قال ان لم اكلم اليوم رجلا فانت حر يكون
كأنه قال لا اكلم اليوم رجلا حتى لا يعق العبد بترك كلام كل رجل كما لا يظهر الخالف

للدلالة على أن امتناع عنهم لا استمرار امتناع طاعته عليه الصلاة والسلام لهم في ذلك فان المضارع المتني قد بدل
على استمرار

التي بحسب المقام كافي فنظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون ﴿٥٩٠﴾ والتحقيق أن الاستمرار الذي تفيد صيغة

المضارع تعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية المتجددة وذلك باعتبار الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار أو أخرى بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به أولا ثم اعتبر استمراره فبمعنيين أن يكون ذلك بحسب الزمان فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجديد موافقها الكثيرة التي يفسح عنها قوله تعالى في كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة أن مدار امتناع العت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة في أمر ما من تلك الامور الكثيرة أصلا أو بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار بأحد الوجهين المذكورين بل وقعت

في كلامه بكلام كل رجل اذا ترك الكلام مع رجل واحد وأما الدليل فلان النظر أولا الى جانب الاثبات الاتري انه من غير حرف لما ان الوضع للاثبات والتي بحرف فتقول النازل زيد قائم وسبح أو أو اخرج الى ان يقال مع ذلك حرف يدل على ثبوت القيام لزيد وفي جانب النفي احتجنا الى ان نقول زيد ليس بقائم ولو كان الوضع والتركيب أولا للنفي لما احتجنا الى الحرف الزائد اقتضارا أو اختصارا واذ كان كذلك فتقول القائل رأيت رجلا يكنى فيه ما يصح القول وهو رؤية واحد فاذا قلت ما رأيت رجلا وهو وضع لمقابلة قوله رأيت رجلا وركب تلك المقابلة والمقابلان ينبغي ان لا يصدقا فتقول القائل ما رأيت رجلا لو كنى فيه انتفاء الرؤية عن غير واحد اصح قولنا رأيت رجلا وما رأيت رجلا فلا يكونان متقابلين فيلزمنا من الاصطلاح الاول الاصطلاح الثاني ولزم منه العموم في جانب النفي اذا قلنا هذا فتقول الشرطية وضعت أولا ثم ركبت بعد الجزمية بدليل زيادة الحرف وهو في مقابلة الجزمية وكان قول القائل اذا لم تكن أنت حراما قلت رجلا يرجع الى معنى النفي كما علم عموم القول في الفاسق علم عومه في الشأ فغناه أي فاسق جاءكم بأي نيا فالتثبت فيه واجب (المسئلة الرابعة) متمسك أصحابنا في ان خبر الواحد حجة وشهادة الفاسق لا تقبل أعني المسئلة الاولى فتقولوا عمل الامر بانوقف بكونه فاسقا ولو كان خبر الواحد العدل لا يقبل لما كان للترتيب على الفاسق قاندة وهو من باب التمسك بالمفهوم وأما في الثانية فلو جهين (أحدهما) أمر بالتبين فلو قبل قوله لما كان الحاكم مأمورا بالتبين فلو يكن قول الفاسق متبولا ثم ان الله تعالى أمر بالتبين في الخبر والشأ وباب الشهادة أصح في من باب الخبر (والثاني) هو انه تعالى قال ان تصيبوا قوما بجهالة والجهل فوق الخطا لان المتجهذا لم أخطأ لا يسمى جاهلا والذي ينبغي الحكم على قول الفاسق ان لم يصيب جهل فلا يكون البناء على قوله جائزا (المسئلة الخامسة) ان تصيبوا ذكرنا فيها وجهين (أحدهما) مذهب الكوفيين وهو ان المراد ان تصيبوا وانابها مذهب البصريين وهو ان المراد كراهة ان تصيبوا ويحتل أن يقال المراد فتنبوا واتقوا وقوله تعالى أن تصيبوا قوما بين ما ذكرنا ان يقول الفاسق تعنه الفتن بين أقوام ولا كذلك بالالفاظ المؤدية في الوجه والغيبة المصادرة من المؤمنين لان المؤمن عنده دينه من الإفحاش والباطة في الإيجاش وقوله بجهالة في تقدير حال أي ان تصيبوا وهم جاهلين وفيه لطيفة وهي ان الاصابة تستعمل في البهتة والحسنة كافي قوله تعالى ما أعصابك من حسنة فمن الله لكن الأكثر انها تستعمل فيما يسوء لكن العطن السوء يذكر معه كافي قوله تعالى وان تصيبهم سبيئة ثم حقه ذلك بقوله فتصيبوا على ما فهم نادمين بيانا لان الجاهل لا بد من أن يكون على فله نادما وقوله فتصيبوا معناه تصيبوا قال النجاشي اصبح يستعمل على ثلاثة أوجه (أحدها) يعني دخول الرجل في الصباح كما يقول القائل أصبنا نقضى عليه (وثانيها) يعني كان الامر وقت الصباح كذا وكذا كما يقال أصبح اليوم مريضنا خيرا مما كان غير انه تغير من نحوه النهار ويريد كونه في الصباح على حاله كأنه يقول كان

الطاعة فيما ذكر من كثير من الامر في وقت من الاوقات وقع العت قطعسا وان اريد به ﴿ المرضي ﴾ استمرار الطاعة الواقعة

في الكل وتجدها بحسب تجديد الزمان (٥٩١) واستمراره فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت حينئذ ليس

المر من وقت الصبح خيرا وتغير منحوه النهار (وثالثها) بمعنى صار يقول القائل اصبح زيد غنيا يريد به صار من غير ارادة وقت دون وقت والمراد ههنا هو المعنى الثالث وكذلك امسى واضمحى ولكن اهذا يحتاج وهو ان نقول لابد في اختلاف الالفاظ من اختلاف المعاني واختلاف الفوائد فنقول الصبرورة قد تكون من ابتداء امر وتديم وقد تكون في آخر الامر بمعنى آل الامر اليه وقد تكون منوسطة (مثال الاول) قول انا انا صار الطاهر فاهما أي اخذ فيه وهو في الزيادة (مثال الثاني) قول القائل صار الحق بينا واجبا أي انتهى حده وأخذ حقه (مثال الثالث) قول القائل صار زيد طالما وقويا اذا لم يرد اخذ فيه ولا بلوغه نهايته بل كونه مناسبا به متصفا به اذا علمت ههنا فاصل استعمال اصبح فيما يصير شيئا اخذ في وصف ومبتدأ في أمر وأصل امسى فيما يصير شيئا فافني الوصف نهايته وأصل اخمى التوسط لا يقال أهل الاستعمال لا يفرقون بين الامور ويستعملون الالفاظ الثلاثة بمعنى واحد فنقول اذا تقاربت المعاني جاز الاستعمال وجواز الاستعمال لا ينافي الاصل وكثير من الالفاظ أصله معنى واستعمل استعمالا لا يشاركه اذا علم هذا فنقول قوله تعالى فتصبحوا أي فتصبروا وأخذتم في الشدم متلبسين به ثم تستديعونه وكذلك في قوله تعالى فأصبحتم بنعمته اخوانا أي أخذتم في الاخوة وأنتم فيها زائدون ومستفرون وفي الجملة اخذتم في القرآن هذه اللفظة لان الامر المقرون بهذه اللفظة اما في الثواب أو في العقاب وكلاهما في الزيادة والانهابة للا امور الانهية وقوله تعالى نادى النداء هم دائم والثوب والندال والميم في قال به الاتفق هن معنى الدوام كما في قول القائل ادمر في الشرب ومد من أي أقام ومنه المدينة وقوله تعالى فتصبحوا على ما فعلتم نادى من فيه نادى (احدهما) نذر بالتحذير وتأكيد وجهه هو انه تعالى لما قال ان تصيبوا قوما بجهالة قال بعده وليس ذلك مما يلقت اليد والانيحوز للعاقل ان يقول هب اني أصبت قوما فاذاهل بل عليكم منه الهم الدائم والحزن النقيم ومثل هذا الشيء واجب الاجترار منه (والثانية) مدح المؤمنين أي استتم ممن اذا فعلوا شيئا لا يلتفتون اليها بل تصبحون نادى من هليها ثم قال تعالى (واعلموا ان فيكم رسول الله أو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) ولقد ذكر في تفسير هذه الآية ما قيل وما يجوز ان يقال اما ما قيل فلخصر احسنه وهو ما اختاره الزمخشري فانه بحث في تفسير هذه الآية بحثا طويلا فقال قوله تعالى او يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ليس كلاما مستأنفا لادائه الى تناقض النظم اذ لا يتفق مناسبة بين قوله واعلموا وبين قوله او يطيعكم ثم وجه التعليق هو ان قوله او يطيعكم في تقدير حال من الضمير المرفوع في قوله فيكم كأن التقدير كأن فيكم أو موجود فيكم على حال تريدون ان يطيعكم أو يفعل باستصوابكم ولا ينبغي أن يكون على تلك الحال لأنه لو فقه ذلك لعنتم أو وقعت في شدة أو أولتم به ثم قال تعالى ولكن الله حبيب اليكم الايمان

امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة أنه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزماني لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك الامور الكثيرة بأحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بان وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت حتما واعلم أن الاحق بالاختيار والاول بالاعتبار هو الوجه الاول لانه أوفق بالقياس المقضي لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة او المقتبذة الاول على صيغة المضارع المقيدة للثاني على أن اعتبار الاستمرار واردا على الثاني على خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تمذر الجربان فلي موجب القياس أو لم يكن فيه من زيد من في كما في مثل قوله تعالى ولا هم يعجزون حيث حل على استمرار في الحزن عنهم اذ ليس

في نفى استقرار الحزن من يد فائدة وأما اذا انتظم الكلام مع مراعاة ٥٩٢ موجب التماس حق الانتظام

قال لعدول عنه كعمل
لا ينفق وقوله تعالى
(ولكن الله حبيب اليكم
الايمان) الخ تعريفا
للخطاب وتوجيهه
الى بعضهم بطريق
الاستدراك يسا نا
لبراءتهم عن اوصاف
الاولين واجاد الافعالهم
أى ولكن الله تعالى جعل
الايمان محبوا اليكم
(وزينه في قلوبكم)
حتى رشح حبه فيها
ولذلك أتيتم بما يليق به
من الاقوال والافعال
(وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان)
ولذلك اجنبتم عما يليق
بها مما لاخير فيه من
آثارها وأحكامها
ولما كان في التحبيب
والتكريه معنى انه
الحبسة والكراهية
وايصالهما اليهم
استعملا بكلمة الى
وقيل هو استدراك
يبين حذر الاولين
كأنه قيل لم يكن
ما صدر عنكم في حق
بنى المصطفى من خلال
في هيبه تكلم بل من
فرط حبكم للايمان
وكرهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى

خطابا مع بعض من المؤمنين غير المخاطبين بقوله او يطيعكم قال الزمخشري اكتفى بالغابر
في الصفة واختصروا لم يقل حبيب الى الله حبيب الايمان وقال أيضا بان قوله تعالى او يطيعكم
دون ايمانكم يدل على انهم كانوا يريدون استقرار تلك الحائقة وودوا ان النبي صلى الله عليه وسلم
على العمل فاستصوبوهم ولكن يكون ما بعدها على خلاف ما قبلها وههنا كذا وان لم
تحصل الفائدة بصريح اللفظ لان اختلاف المخاطبين في الوصف يدلنا على ذلك لان
المخاطبين اولا يتواءموا لو اطيعكم هم الذين ارادوا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يعمل
برادهم والمخاطبين بقوله حبيب اليكم الايمان هم الذين ارادوا غلبهم براد النبي صلى الله
عليه وسلم ههنا ما قاله الزمخشري واختاره وهو حسن والذي يجوز أن يقال وكأنه هو
الافقوى أن الله تعالى لما قال ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أى فتبينوا واكتشفوا قال بعده
وعلموا ان فيكم رسول الله أى الكشف سهل عليكم بالرجوع الى النبي صلى الله عليه
وسلم فانه فيكم مبين مرادوهذا كما يقول القائل عند اختلاف تلاميذ شيخ في مسألة هذا
الشيخ قاعدا لا يريد به بيان قعوده وانما يريد أمرهم بالرجعة اليه وذلك لان المراد منه انه
لا يطيعكم في كثير من الامر وذلك لان الشيخ فيما ذكرنا من المثال لو كان يعتمد على قول
التلاميذ لانتظم من قلوبهم بالرجوع اليه اما اذا كان لا يذكر الامن النقل الصحيح ويفرره
بالدليل القوي راجعه كل أحد فكذلك ههنا قال استرشدوه فانه يعلم ولا يطيع أحدا فلا
يوجد فيه حيف ولا يروج عليه زيف والذي يدل على ان المراد من قوله او يطيعكم في كثير
من الامر اعتمت بيان انه لا يطيعكم هو ان الجملة الشرطية في كثير من المواضع ترد لبيان
امتناع الشرط لامتناع الجزاء كما في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله
تعالى واوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فانه ايمان انه ليس فيهما آلهة
وانه ليس من عند غير الله ثم قال تعالى ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم
اشارة الى جواب سؤال يراد على قوله فتبينوا وهو ان يقع الواحد أن يقول انه لا حاجة الى
المراجعة وحقولنا كافية بها أدركنا الايمان وتركنا العصيان فكذلك نجتهد في أمورنا
فقال ليس ادراك الايمان بالاجتهاد بل الله بين البرهان وزين الايمان حتى حصل اليقين
وبعد حصول اليقين لا يجوز التوقف والله انما أمركم بالتوقف عند تقليد قول الفاسق
وما أمركم بالعناد بعد ظهور البرهان فكانه تعالى قال توقفوا فيما يكون مشكوكا فيه
لكن الايمان حبيب اليكم بالبرهان فلا تتوقفوا في قبوله وعلى قولنا المخاطب بقوله حبيب
اليكم هو المخاطب بقوله او يطيعكم اذا علمت معنى الآية بجملة فاسق مفعلا ولغضله في
مسائل (المسألة الاولى) لو قال قائل اذا كان المراد بقوله واعلموا أن فيكم رسول الله
الرجوع اليه والاعتقاد على قوله فلم يدل بصريح اللفظ فتبينوا وراجعوا النبي صلى الله
عليه وسلم وما الشائكة في تناول الى هذا الجواز نقول الفائدة زيادة التأكد وذلك لان
قول القائل فيما ذكرنا من المثال هذا الشيخ قاعدة كدق وجوب المراجعة اليه من قوله

﴿ راجعوا ﴾

وكرهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى

راجعوا شيخكم وذلك لان القائل يجعل وجوب المراجعة اليه متفقا عليه ويجعل سبب عدم الرجوع عدم علمهم بعوده فكأنه يقول انكم لا تشكون في أن الكاشف هو الشيخ وأن الواجب مراجعته فان كنتم لا تعلمون بعوده فهو قاعد فيحصل حسن المراجعة أظهر من أمر القعود كانه يقول خفي عليكم بعوده فتركتم مراجعته ولا تخفى عليكم حسن مراجعته فيجعل حسن المراجعة أظهر من الأمر الحسن بخلاف ما لو قال راجعوه لانه حينئذ يكون قائلًا بانكم ما علمتم ان مراجعته هو الطريق وبين الكلامين بون بعيد فكذلك قوله تعالى واعلموا أن فيكم رسول الله يعني لا تخفى عليكم وجوب مراجعته فان كان خفي عليكم كونه فيكم فاعلموا أنه فيكم فيجعل حسن المراجعة أظهر من كونه فيهم حيث ترك بيانه وأخذ في بيان كونه فيهم وهذا من المعاني العزيرة التي توجد في المجازات ولا توجد في الصرائح (المسئلة الثانية) اذا كان المراد من قوله لو يطيعكم بيان كونه غير مطيع لاحد بل هو متبع للوحي فلم يصرح به نقول بيان في الشيء مع بيان دليل انتم من بيانه من غير دليل والجملة الشرطية بيان النبي مع بيان دليله فان قوله ليس فيهما آلهة اوقال قائل لم قلت انه ليس فيهما آلهة يجب أن يذكر الدليل فقال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فكذلك ههنا اوقال لا يطيعكم وقال قائل لم لا يطيع لوجب أن يقال لو أطاعكم لا طاعكم لاجل مصلحتكم لكن لا مصلحة لكم فيه لانه لا يمكن تعنتون وناعون وهو يشق عليه عنتكم كما قال تعالى عز يزعليه ما صنعتهم فان طاعتكم لاتفيده شيئا فلا يطيعكم فهذا نفي الطاعة بالدليل وبين في الشيء بدليل ونفيده بغير دليل فرق عظيم (المسئلة الثالثة) قال في كثير من الأمور اعلم انه قد يوافقهم ويفعل بمقتضى مصلحتهم تحقيقا لقاعدة قوله تعالى وشاورهم في الأمر (المسئلة الرابعة) اذا كان المراد بقوله تعالى حبيب اليكم الايمان فلا تتوقفوا فسلم بصرح به قلنا لما بيناه من الاشارة الى ظهور الأمر يعني انتم تعلمون ان اليقين لا يتوقف فيه اذ ليس بعده مرتبة حتى يتوقف الى بلوغ تلك المرتبة لان من بلغ الى درجة الظن فانه يتوقف الى أن يبلغ درجة اليقين فلما كان عدم التوقف في اليقين معلوما متفقا عليه لم يقل فلا تتوقفوا بل قال حبيب اليكم الايمان أي بينه وزينه بالبرهان البقيني (المسئلة الخامسة) ما المعنى في قوله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم نقول قوله تعالى حبيب اليكم أي قر به اليكم وادخله في قلوبكم ثم زينته فيها بحيث لاتتأرقونه ولا يخرج من قلوبكم وهذا لان من يحب اشياء فقد عمل شيئا منها اذا حصل عنده وطال لبثه والايمان كل يوم رداد حسنا ولكن من كانت عبادته أكثر وتحمله لمشاق التكليف أتم تكون العبادات والتكاليف عنده ألذوا وكل ولهذا قال في الاول حبيب اليكم وقال ثانيا زينته في قلوبكم كأنه قر به اليهم ثم أقامه في قلوبهم (المسئلة السادسة) ما الفرق بين الأمور الثلاثة وهي الكفر والفسوق والعصيان فنقول هذه أمور ثلاثة في مقابلة الايمان الكامل لان الايمان الكامل المزين

(أولئك هم الراشدون)
أي السالكون الى
الطريق السوي الموصل
الى الحق والالقاء الى
الغنية كالذي في قوله
تعالى وما آتيتهم من زكاة
تريدون وجسه الله
فأنكهم المضطربون
(فضلا من الله ونعمة)
أي وانعاما لتعليل لما حجب
أو كره وما يشههما
اعتراض وقيل نصيبهما
بفعل مضمر أي جرى
ذلك فضلا وقيل يتفنون
فضلا (والله اعلم)
مبالغ في العلم فيعلم أحوال
المؤمنين وما بينهم من
التفاضل (حكيم) يفعل
كل ما يفصل بموجب
الحكمة

هو ان يجمع التصديق بالجنان والافرار باللسان والعمل بالاركان (أحدها) قوله تعالى
وكره اليكم الكفر وهو التكذيب في مقابلة التصديق بالجنان والفسوق هو الكذب
(وثانيها) هو ما قبل هذه الآية وهو قوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ سمى من كذب فاسقا
فيكون الكذب فسوقا (ثالثها) ما ذكره بعد هذه الآية وهو قوله تعالى بنس الاسم
الفسوق بعد الايمان فانه يدل على ان الفسوق أمر قولي لاقرانه بالاسم وسنبين تفسيره
ان شاء الله تعالى (ورابعها) وجه معقول وهو ان الفسوق هو الخروج عن الطاعة على
ما علم في قول القائل فسقت الرطبة اذا خرجت وغير ذلك لان الفسوق هو الخروج زيد
في الاستعمال كونه الخروج من الطاعة لكن الخروج لا يكون له ظهور بالامر القلي
اذ لا اطلاع على ما في القلوب لاحد الا الله تعالى ولا يظهر بالافعال لان الامر قد يترك
اما النسيان أو سهو فلا يعلم حان التارك والمترك انه مخطن أو مغمود أو ما الكلام فانه
حصول العلم بما عليه حال التكلم فالدخول في الايمان والخروج منه يظهر بالكلام
فتخصيص الفسوق بالامر القولي أقرب واما المعصيان فتترك الامر وهو بالفعل أليق
فاذا علم هذا ففيه ترتيب في غاية الحسن وهو انه تعالى كره اليكم الكفر وهو الامر الاعظم
كما قال تعالى ان الشرك اعظم عظيم ثم قال تعالى والفسوق يعني ما يظهر لسانكم أيضا ثم
قال والمعصيان وهو دون الكل ولم يترك عليكم الامر الادنى وهو المعصيان وقال بعض
الناس الكفر ظاهر والفسوق هو الكبيرة والمعصيان هو الصغيرة وما ذكرناه أقوى
ثم قال تعالى (أو اذكركم الراشدون) خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم وفيه معنى
لطيف وهو ان الله تعالى في أول الامر قال واعلموا ان فيكم رسول الله أي هو مرشدكم
فخطاب المؤمنين للتنبية على شفقتهم بالمؤمنين فقال في الأول كفى النبي مرشدا لكم
ما تسترشدونه فاشفق عليهم وأرشدهم وعلى هذا قوله الراشدون أي الموافقون للرشد
ياخذون ما ياتهم وينهون عما ينهاهم ثم قال تعالى (فضلا من الله ونعمة والله عليم
حكيم) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) نصب فضلا لاجل أمور اما لكونه مفعولا له وفيه
وجهان (أحدهما) ان العامل فيه هو الفعل الذي في قوله الراشدون فان قيل كيف
يجوز أن يكون فضل الله الذي هو فعل الله مفعولا له بالنسبة الى الرشد الذي هو فعل العبد
نقول لما كان الرشد توفيقا من الله كان كانه فعل الله فكانه تعالى أرشدكم فضلا أي
يكون متفضلا عليهم منعا في خفهم (والوجه الثاني) هو ان العامل فيه هو قوله حبيب
اليكم الايمان وكره اليكم الكفر فضلا وقوله أو اذكركم الراشدون جملة اعترضت بين
الكلامين أو يكون العامل فعلا مقدرا فكانه قال تعالى جرى ذلك فضلا من الله واما
لكونه مصدرا وفيه وجهان (أحدهما) ان يكون مصدرا من غير اللفظ ولان الرشد فضل
فكانه قال أو اذكركم الراشدون رشدا (وثانيها) هو أن يكون مصدرا لفعل مضمر كأنه
قال حبيب اليكم الايمان وكره اليكم الكفر فافضل فضلا وأنعم نعمة والقول بكونه

(وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا) أي تغالوا
والجمع باعتبار المعنى
(فأصلحوا بينهما) بالنصح
والدعاء الى حكم الله
تعالى (فان يفت) أي
تعدت (احدهما) على
الآخرى) ولم تتأثر
بالنصيحة (فقاتلوا التي
تبقى حتى تفي) أي ترجع
(الى امر الله) الى حكمه
أو الى ما أمر به (فان
قامت) البدو وأقلمت عن
القتال حذرا من قتالكم
(فأصلحوا بينهما بالعدل)
يفصل ما بينهما على
حكم الله تعالى ولا تكفوا
بغير ذمتهم ما يصي

منصوبا على انه مفعول مطلق وهو المصدر أو مفعول به قول الزمخشري وأما أن يكون
 فضلا مفعولا به والفعل مضمر دل عليه قوله تعالى أو تلك هم الراشدون أى يتفون
 فضلا من الله ونعمة (المسئلة الثانية) ما الفرق بين الفضل والنعمة فى الآية نقول فضل
 الله اشارة الى ما عنده من الخير وهو مستغن عنه والنعمة اشارة الى ما يصل الى العبد وهو
 محتاج اليه لان الفضل فى الاصل يبنى على الزيادة وعنده خزائن من الرحمة للحاجة اليها
 ويرسل منها على عباده ما لا يقفون معه فى ورطة الحاجة بوجه من الوجوه والنعمة
 تنبى عن الرأفة والرحمة وهو من جانب العبد وفيه معنى لطيف وهو أ كيد الاعطاء وذلك
 لان المحتاج يقول للغنى اعطني ما فضل عنك وعندك وذلك غير ملتفت اليه وأنا به قباى
 وبقاى فاذا قوله فضلا من الله اشارة الى ما هو من جانب الله الغنى والنعمة اشارة الى ما هو
 من جانب العبد من اندفاع الحاجة وهذا مما يؤكده قولنا فضلا منصوب بفعل مضمر وهو
 الاستغناء والطلب (المسئلة الثالثة) ختم الآية بقوله والله عليم حكيم فيه مناسبات عدة منها
 انه تعالى لما ذكر نبي الفاسق قال أن يشبهه على المؤمن كذب الفاسق فلا تفتدوا على تروجه
 عليكم الزور فان الله عليم ولا تقولوا كما كان عادة المنافق ولا يعذبنا الله بما نقول فان الله
 حكيم لا يفعل الا على وفق حكمته (وثانيها) لما قال الله تعالى واعلموا أن فيكم رسول الله
 لو يطيعكم بمعنى لا يطيعكم بل يطيع الوحي قال فان الله من كونه عليما يعلم ومن كونه حكما
 يأمر بما تقتضيه الحكمة فاتبوه (ثالثها) المناسبة التى بين قوله تعالى عليم حكيم وبين
 قوله حبيب اليكم الايمان أى حبيب لعلم الايمان لاهل الايمان واختار له من يشاء بحكمته
 (رابعها) وهو الاقرب وهو أنه سبحانه وتعالى قال فضلا من الله ونعمة ولما كان الفضل
 هو ما عند الله من الخير المستغنى عنه قال تعالى هو عليم بما فى خزائن رحمة من الخير وكانت
 النعمة هو ما يدفع به حاجة العبد قال هو حكيم بعزل الخير بقدر ما يشاء على وفق الحكمة
 ثم قال سبحانه وتعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان
 بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تقضى الى أمر الله) لما حذر الله المؤمنين
 من النبأ الصادر من الفاسق أشار الى ما يلزم منه استدراكا لما يفوت فقال فان اتفق
 انكم تشون على قول من يقع بينكم وآل الامر الى اقتتال طائفتين من المؤمنين فازياوا
 ما أثبتته ذاك الفاسق وأصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التى
 تبغى أى الظالم يجب عليكم دفعه عنه ثم ان الظالم ان كان هو الرعية فالواجب على الامير
 دفعهم وان كان هو الامير فالواجب على المسلمين متعه بالتصميمه فافوقها وشرطه ان
 لا يشتر فتنة مثل التى فى اقتتال الطائفتين أو أشد منها وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله
 تعالى وان اشارة الى ندرة وقوع القتال بين طوائف المسلمين فان قيل فكم نرى أكثر
 الاقتتال بين طوائفهم نقول قوله تعالى وان اشارة الى انه ينبغي ان لا يقع الا نادرا غاية
 ما فى الباب ان الامر على خلاف ما ينبغي وكذلك ان جاءكم فاسق بنبأ اشارة الى أن مجي

يكون بينهما قتال فى
 وقت آخر وتقييد
 الاصلاح بالعدل لانه
 مظنة لطيف او قومه
 بعد المقاتلة وقد اكده
 ذلك حيث قيل
 (وافسطوا) أى
 واعدوا فى كل ما ترون
 وما تذكرون (ان الله يحب
 المقسطين) فيجازيهم
 أحسن الجزاء والآية
 نزلت فى قتال حدث
 بين الاوس والخزرج
 فى عهد عليه الصلاة
 والسلام بالسيف
 والنعال وفيها دلالة
 على أن الباغى لا يخرج
 بالبغي عن الايمان وأنه
 اذا أمسك عن الحرب
 ترك لانه فى أمر الله

الفاسق بالنسبة ينبغي ان يقيم قلبه لا مع أن مجيئ الفاسق بالنسبة كثير وقول الفاسق صار عند
أولى الأمر أشد فيؤلامن قول الصادق الصالح (المسألة الثانية) قال تعالى وان طائفتان
ولم يقل وان فرقان تختبئنا المعنى الذي ذكرناه وهو لتقليل لان الطائفة دون الفرقة
واهدأ قال تعالى فاولا نفر من كل فرقة منهم طائفة (المسألة الثالثة) قال تعالى من المؤمنين
ولم يقل منكم مع ان الخطاب مع المؤمنين السابق قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا انجاءكم
فاسق بذنبا تنبئها على قبح ذلك وتبينها لهم منهم كما يقول السيد اعبدوا ان رأيت أحدا من
غلمانى يفعل كذا فامنع فيصير بذلك مانعا للخطا طلب عن ذلك الفعل بالطريق الحسن
كأنه يقول أنت حاشاك ان تفعل ذلك فان فعل غيرك فامنع كذلك ههنا قال وان
طائفتان من المؤمنين ولم يقل منكم لما ذكرنا من التنبية مع ان المعنى واحد (المسألة
الرابعة) قال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقاتلوا ولم يقل وان اقاتل طائفتان من
المؤمنين مع ان كلمة ان اتصلا بها بالفعل أولى وذلك ليكون الابتداء بما يمنع من القتال
فيتأكد معنى النكرة المدلول عليها بكلمة ان وذلك لان كونها طائفتين مؤمنتين يقتضى
أن لا يقع القتال منهما فان قيل فلم يقل يا ايها الذين آمنوا ان فاسق جاءكم أو ان أحد من
الفاسق جاءكم ليكون الابتداء بما يمنعهم من الاصغاء الى كلامه وهو كونه فاسقا نقول
المجىء بالنسبة الكاذب يورث كون الانسان فاسقا أو يزداد بسببه فسقه فالمجىء به سبب
الفسق قدسده وأما الافتتان فلا يقع سببا للإيمان أو الزيادة فقال ان جاءكم فاسق أى
سواء كان فاسقا أو لا وجاءكم بالنسبة اصدار فاسقا به ولو قال وان أحد من الفاسق جاءكم كان
لا يتناول الامشهور الفسق قبل المجىء اذا جاءهم بالنسبة (المسألة الخامسة) قال تعالى
اقتلوا ولم يقل يقتلوا لان صيغة الاستقبال تنبئ عن الدوام والاستمرار فبمعهم منه ان
طائفتين من المؤمنين ان تبادى الاقتتال بينهما فاصالحوا وهذا لان صيغة المستقبل تنبئ
عن ذلك يقال فلان يتجهد ويصوم (المسألة السادسة) قال اقتلوا ولم يقل اقتتلا وقال
فاصلحوا بينهما ولم يقل بينهما وذلك لان عند الاقتتال تكون الغتة قائمة وكل أحد برأسه
يكون فاعلا فعلا فقال اقتلوا وعند العود الى الصلح تنفق كلمة كل طائفة واللام يكن
يتحقق الصلح فقال بينهما لكون الطائفتين حينئذ كنفسين ثم قال تعالى فان بغت
احدهما اشارة الى نادرة اخرى وهى البغى لانه غير متوقع فان قيل كيف يصح في هذا
الموضع كلمة ان مع انها تستعمل في الشرط الذى لا يتوقع وقوعه وبغى أحدهما عند
الاقتتال لا بد منه اذ كل واحد منهما لا يكون محسنا فقله ان تكون من قبيل قول القائل
ان طلعت الشمس نقول فيه معنى لطيف وهو ان الله تعالى يقول الاقتتال بين طائفتين
لا يكون الا نادرا الوقوع وهو كما نطق كل طائفة ان الاخرى فيها الكفر والفساد افعال
واجب كما سبق في الباب المظلمة أو يقع لكل واحد ان القتال جائز بالاجتهاد وهو خطأ
فقال تعالى الاقتتال لا يقع الا كذا فان بان لهما أو لاحدهما الخطأ واستمر عليه فهو نادرا

تعالى وان يجب معاونة
من بغى عليه بعد تقديم
الصالح والسعى في
المصالحة (انما المؤمنون
اخوة) استئناف مقرر
لما قبله من الامر
بالاصلاح أى انهم
منتسبون الى أصل
واحد هو الإيمان
الموجب للحياة الابدية
والقاء في قوله تعالى
(فاصلحوا بين
أخوتكم) لا يبدان بأن
الاخوة الدينية موجبة
للاصلاح وو ضم
المظهر مقام المضمّر
مضافا الى المأمورين
للبالدة في تأكيد وجوب
الاصلاح والتخصيص
عليه وتخصيص
الاثنين بالذكر

وعند ذلك يكون قد بغي فقال فان بغت احدهما على الاخرى يعنى بعد استبانة الامر
 وحيثذ فقوله ان بغت في غاية الحسن لانه يفيد الندرة وقلة الوقوع وفيه أيضا ما بحث
 (الاول) قال فان بغت ولم يقل فان تبغ لما ذكرنا في قوله تعالى اقتتلوا ولم يقل يقتلوا
 (الثاني) قال حتى تفي إشارة الى أن القتال ليس بجزء الباغى كعدا الشرب الذي يقام
 وان ترك الشرب بل القتال الى حد الفية فان قامت الفية الباغية حرم قتالهم (الثالث)
 هذا القتال لدفع العداة فيستدرج فيه وذلك لانه لما كانت الفية من احدهما
 فان حصلت من الاخرى لا يوجد البغى الذي لاجله حل القتال (الرابع) هذا دليل على أن
 المؤمن بالكبيرة لا يخرج عن كونه مؤمنا لان الباغى جملة من احدى الطائفتين وسماهما
 مؤمنين (الخامس) قوله تعالى الى امر الله بحمل وجوها (أحدها) الى طاعة الرسول
 وأولى الامر لقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم (ثانيها) الى
 امر الله أى الى الصلح فانه مأمور به يدل عليه قوله تعالى فأصلحو ذات بينكم (ثالثها)
 الى امر الله بالقوى فان من خاف الله حق الخوف لا يبقى له عداوة الامع الشيطان كما قال
 تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا (السادس) او قال قائل قد ذكرتم ما يدل على
 كون الشرط غير متوقع الوقوع وقلتم بأن القتال والبغى من المؤمن نادرا فاذن تكون
 الفية متوقعة فكيف قال فان قامت تقول قول القائل لعبد ان مت فانت حرم مع ان
 الموت لا يد من وقوعه لكن لما كان وقوعه بحيث يكون العبد محلا للعقوب بان يكون
 باغيا في ملكه حيا يعيش بعد وقاته غير معلوم فكذلك ههنا لما كان الواقع قويا ومن من
 تلقاه أنفسهم فلما لم يقع دل على أكيد الأخذ بينهم فقال تعالى فان قامت بينكم
 ايها بعد اشتداد الامر والتمام الحرب فأصلحو وفيه معنى لطيف وهو انه تعالى اشار الى
 أن من لم يخف الله وبغى لا يكون رجوعه بقتالكم الا جبر (السابع) قال ههنا فاصلحو
 بينهما بالعدل ولم يذكر العدل في قوله وان طائفتان من المؤمنين امتتلوا فاصلحو تقول لان
 الاصلاح ههنا بازالة الافتتال نفسه وذلك يكون بالصيغة أو التهديد والجزر والتمذيب
 والاصلاح ههنا بازالة آثار القتل بعد اندفاعه من ضمان المتلفات وهو حكم فقتال
 بالعدل فكانه قال واحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق وأصلحو بالعدل بما يكون
 بينهما حال لا يؤدى الى ثوران الفتنة بينهما مرة أخرى (الثامن) اذا قال فاصلحو بينهما
 بالعدل فأية فائدة في قوله وأفسطوا تقول قوله فاصلحو بينهما بالعدل كان فيه تخصيص
 بحال دون حال فعمم الامر بقوله وأفسطوا أى في كل أمر مفض الى أشرف درجة وأرفع
 منزلة وهى محبة الله والاقساط ازالة القسط وهو الجور والقاسط هو الجائر والتركيب
 دال على كون الامر غير مرضى من التسط والقاسط في القلب وهو أيضا غير مرضى
 ولا معتد به فكذلك القسط ثم قال تعالى (انما المؤمنون اخوة فاصلحو بينكم) (تكملة)
 تعميلا الارشاد وذلك لانه لما قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا كان لفظان أن يظن

لا ثبات وجوب الاصلاح
 فيما فوق ذلك بطريق
 الاولوية لتضايف
 الفتنة والفساد فيه
 وقيل المراد بالاخوين
 الاوس والخزرج وقري
 بين اخوتكم واخوانكم
 (واتقوا الله) في كل
 ما تاتون وما تدرؤن
 من الامور التي من
 جعلتها ما أمرتم به
 من الاصلاح (لعلمكم
 ترحون) راجين أن
 ترحوا على تقواكم
 (يا أيها الذين آمنوا
 لا يسخر قوم) أى منكم
 (من قوم) آخرين
 أيضا منكم وقوله تعالى
 (عسى أن يكونوا اخيرا
 منهم) تعليل للتمنى
 أو لموجه

أولئهم أن يتوهم أن ذلك عند اختلاف قوم فاما إذا كان الاقتتال بين اثنين فلا تهم
المفسدة فلا يؤمر بالاصلاح وكذلك الامر بالاصلاح هناك عند الاقتتال واما اذا
كان دون الاقتتال كانت شاتم والتسافه فلا يجب بالاصلاح فقال بين أخو يكتم وان لم تكن
الفتنة عامة وان لم يكن الامر عقليا كالقتال بل لو كان بين رجلين من المسلمين أدنى
اختلاف فاسدوا في الاصلاح * وقوله (واتقوا الله لعلكم ترحمون) فيه مسائل (المسئلة
الاولى) قوله تعالى انما المؤمنون اخوة قال بعض أهل اللغة الاخوة جمع الاخ من النسب
والاخوان جمع الاخ من الصداقة قاله تعالى قال انما المؤمنون اخوة تأكيد
للامر وإشارة الى أن ما بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام كالاب قال فانهم
ابن الاسلام لأب سواء * اذا افتخروا بنفس أو عيم

(المسئلة الثانية) عند اصلاح اقر يقين والطائفتين لم يقل اتقوا وقال ههنا اتقوا مع ان
ذلك أهم نقول الفائدة هوان الاقتتال بين طائفتين يفضى الى ان نعم المفسدة ويلحق كل
موث من مناشئ وكل يسعى في الاصلاح لامر نفسه فلم يؤكد بالامر بالتقوى واما عند
تخاصم رجلين لا يخاف الناس ذلك ويريد بعضهم تأكيد الخصام بين الخصوم لغرض
فاسد فقال فاصلمو بين أخو يكتم واتقوا الله أو يقول قوله فاصلمو وإشارة الى الصلح وقوله
واتقوا الله إشارة الى ما بصوتهم عن التشاجر لأن من اتقى الله شغفه تنواه عن الاشتغال
بغيره ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من لسانه لأن المسلم يكون
مقننا لامر الله مقبلا على عبادة الله فيشغله عيبه عن عيوب الناس ويعتبه ان يرهب
الاخ المؤمن والبه أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمن من يأمن جاره بوائقه يعنى
اتقى الله فلا تنفر غيره (المسئلة الثالثة) انما العصر أى لا اخوة الابن المؤمن وأما بين
المؤمن والكافر فلا لأن الاسلام هو الجامع ولهذا اذا مات المسلم وله أخ كافر يكون ماله
للمسلمين ولا يكون لأخيه الكافر وأما الكافر فكذلك لأن في النسب الاعتبار الاب
الذى هو أب شرع حتى ان ولدى الزنا من رجل واحد لا يرث أحدهما الآخر فكذلك
الكافر كالجامع الفاسد فهو كالجامع العاجز لا يفيد الاخوة ولهذا من مات من الكفار
وله أخ مسلم ولا وارث له من النسب لا يجعل ماله للكفار ولو كان الدين يجمعهم
ان كان مال الكافر للكفار كما ان مال المسلم للمسلمين عند عدم الوارث فان قيل فثبت ان
الاخوة الاسلام اقوى من الاخوة النسبية بدليل ان المسلم يرثه المسلمون ولا يرثه الاخ
الكافر من النسب فلم لم يقدموا الاخوة الاسلامية على الاخوة النسبية مطلقا
حتى يكون مال المسلم للمسلمين لا لاخوته من النسب نقول هذا سؤال فاسد وذلك لأن
الاخ المسلم اذا كان أخا من النسب فقد اجتمع في اخوان فصار أقوى والعصوبة لمن له
القوة ألا ترى ان الاخ من الابوين يرث ولا يرث الاخ من الاب معه فكذلك الاخ المسلم
من النسب له اخوان فيقدم على سائر المسلمين والله أعلم (المسئلة الرابعة) قال النجاة

أى عسى أن يكون
المستخور منهم خيرا
هنا الله تعالى من
الساخرين والقوم
مختص بالرجال لانهم
انقوام على النساء
وهو في الاصل اما جمع
قام كصوم وزور في جمع
صائم وزائر أو مصدر
نعت به فشاخ في الجمع
وأما تسمية لفر يقين في
مثل قوم عاد وقوم
فرعون فاما للتغليب
أولاهن توابع واختيار
الجمع اطلاق وقوع السخرية
في المجامع والتكبر اما
للتعظيم أو لفقدان القوى
بعضهم عن محاربة
بعض لما أنها مما يجرى
(بين بعض وبعض
ولانساء) أى

ما في هذا الموضع كافة تكف ان من العمل ولولا ذلك اقبل انما المؤمنين اخوة وفي قوله تعالى فيما رحمة من الله وقوله عما قليل ابست كافة والسؤال الاقوى هو ان رب من حروف الجر والباء وعن كذلك وما في رب كافة وفي عا وبما ابست كافة والتحقيق فيه هو ان الكلام بعد ربما وانما يكون تاما يمكن جعله مستقلا ولو حذف ربما وانما لما ضل فتقول ربما قام الامير ور بماز يد في الدار واوحذفت ربما وقلت زيد في الدار وقام الامير لصح وكذلك في انما ولكنما واما عا وبما فليست كذلك لان قوله تعالى فيما رحمة من الله لنت لهم لو اذهب بها وقلت رحمة من الله لنت لهم لما كان كلاما فالباء بعد تعلقها بما يحتاج اليها فهي باقية حقيقة ولكنما وانما ور بما لما استغنى عنها فكانها لم يبق حكمها ولا عمل للمعذوم فان قيل ان اذا لم تكف بما فاما بعده كلام تام فوجب أن لا يكون له عمل تقول ان زيدا قائم واو قلت زيد قائم انكفي وتم (تقول) ليس كذلك لان ما بعد ان جاز أن يكون نكرة تقول ان رجلا جاني واخبرني بكذا واخبرني بعكسه وتقول جاني رجل واخبرني ولا تعسن انما رجل جاني كما لو لم تكن هناك انما وكذلك اتقول في عا وانما فالتك لو حذفتهما واقصرت على ما يكون بعدهما لا يكون تاما فلم يكف والكلام في فعل قد تقدم مرارا * ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلبسوا بلباسكم ولا تلبسوا بالانثى) وقد بينا ان السورة للارشاد بعد ارشاد الارشاد الى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن مع الله تعالى ومع النبي صلى الله عليه وسلم ومع من يخالفهما ويعصيهما وهو الفاسق بين ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن مع المؤمن وقد ذكرنا ان المؤمن اما أن يكون حاضرا واما أن يكون غائبا فان كان حاضرا فلا ينبغي أن يسخر منه ولا يلتفت اليه بما ينافي التعظيم وفي الآية اشارة الى امور ثلاثة مرتبة بعضها دون بعض وهي السخرية واللز والتبذير فالسخرية هي ان لا ينظر الانسان الى أخيه بعين الاجلال ولا يلتفت اليه ويسقطه عن درجته وحينئذ لا يذكر ما فيه من المعايير وهذا كما قال بعض الناس تراهم اذا ذكر عندهم عدوهم يقولون هو ذنوب ان يذكرنا قلوبنا ان يلتفت اليه فقال لا تحقر واخوانكم ولا تستصغروهم (الثاني) هو اللز وهو ذكر ما في الرجل من العيب في غيبته وهذا دون الاول لان في الاول لم يلتفت اليه ولم يرض بأن يذكره أحد وانما جعله مثل المسخرة الذي لا يغضب له ولا عليه (والثالث) هو التبذير وهو دون الثاني لان في هذه المرتبة يضيف اليه وصفات باقية بوجوب بغضه وخط منزلته واما التبذير فهو مجرد التسمية وان لم يكن فيه وذلك لان اللقب الحسن والاسم المستحسن اذا وضع لواحد وعلق عليه لا يكون معناه موجودا فان من يسمى سعدا وسعيدا قد لا يكون كذلك وكذا من لقب امام الدين وحسام الدين لا يفهم منه انه كذلك وانما هو علامة وزينة وكذلك التبذير بالروان ومروان الحمار لم يكن كذلك وانما كان ذلك سمة ونسبة ولا يكون اللفظ مرادا اذا المراد به الوصف كما ان الاعلام

ولا تسخر نساء من
المؤمنات (من نساء)
منهن (عسى أن يكن)
أي المسخورة منهن (خيرا
منهن) أي من الساخرات
فان مناط الخيرية في
الفریقین ليس ما يظهر
للناس من الصور
والاشكال ولا الاوضاع
والاطوار التي عليها
يدور امر السخرية
غايبا بل انما هو الامور
الكامنة في القلوب

كذلك فانك اذا قلت لمن سمي بعبد الله أنت عبد الله فلا تعبد غيره وتريد به وصفه لان تكون قد أنبت باسم علمه الاشارة فقال لا تكبروا فتستحقروا اخوانكم وتسنفروهم بحيث لا تتقوا اليهم أصلا واذا نزلتم من هذا من النعم اليهم فلا تعبدوا طالين حط درجتهم والفض عن منزلاتهم واذا تركتم النظر في معانيهم ووصفهم بما يعيبهم فلا تسبواهم بما يكرهونه ولا تقولوا هذا ليس بعيب يذكر فيه انما هو اسم يتلفظ به من غير قصد الى بيان صفة وذكر في الآية مباحث (الاول) قوله لا يسخر قوم من قوم ان يقوم اسير يقع على جمع من الرجال ولا يقع على النساء ولا على الاموال لانه جمع قائم كصوم جمع صائم والقائم بالامور هم الرجال فعلى هذا الاقوام الرجال لا النساء (فائدة) وهي ان عدم الالتفات والاستحقار انما يصدر في أكثر الامر من الرجال بالنسبة الى الرجال لان المرأة في نفسها ضعيفة فاذا لم يلتفت الرجال اليها لا يكون لها أمر قال النبي صلى الله عليه وسلم النساء لجم على وضم الامار ددت عنه وأما المرأة فلا يوجد منها استحقارا لرجل وعدم التفاتها اليه لاضطرارها في دفع حوائجها وأما الرجال بالنسبة الى الرجال والنساء بالنسبة الى النساء فيوجد فيهم هذا النوع من القبح وهذا أشهر (المسئلة الثانية) قال في الدرجة العالية التي هي نهاية المنكر عسى أن يكونوا خيرا منهم كسر له وبفضلته وقال في المرتبة الثانية لا تلزوا أنفسكم جعلهم كأنفسهم لما نزلوا درجة رفعهم الله درجة وفي الاول جعل المسخور منه خيرا وفي الثاني جعل المسخور منه مثالا وفي قوله عسى أن يكونوا خيرا منهم حكمة وهي انه وجد منهم النكر الذي هو مفض الى الاهمال وجعل نفسه خيرا منهم كما فعل ابليس حيث لم يلتفت الى آدم وقال أنا خير منه فصار هو خيرا ويمكن أن يقال المراد من قوله أن يكونوا يصيروا فان من استحق انسانا لفقره أو وحدته أو ضعفه لا يأمن أن يفقر هو ويستغنى الفقير ويضعف هو ويقوى الضعيف (المسئلة الثالثة) قال تعالى قوم من قوم ولم يقل نفس من نفس وذلك لان هذا فيه اشارة الى منع التكبر والتكبر في أكثر الامر يرى جبروته على رؤس الاشهاد واذا اجتمع في الخلوات مع من لا يلتفت اليه في الجامع يجعل نفسه متواضعا فدكرهم بلفظ القوم متعاليهم عما يفعلونه (المسئلة الرابعة) قوله تعالى ولا تلزوا أنفسكم فيه وجهان (أحدهما) ان عيب الاخ تائد الى الاخ فاذا عاب عاب نفسا فكأنه عاب نفسه (وثانيهما) هو انه اذا عابه وهو لا يخلو من عيب يحار به المعيب فيكون هو بعيبه حاملا للغير على عيبه وكأنه هو العائب نفسه وعلى هذا يحمل قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم أي أنكم اذا قتلتم نفسا فتكونوا كأنكم قتلتم أنفسكم ويحمل وجهها آخر ثالثا وهو ان لا تقول لا تعيبوا أنفسكم أي كل واحد منكم فانكم ان فعلتم فقد عيبتم أنفسكم أي كل واحد عاب كل واحد فصرتم عابيين من وجه معينين من وجه وهذا الوجه ههنا ظاهر ولا كذلك في قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم (المسئلة الخامسة) ان قيل قد ذكرتم ان هذا ارشاد

فلا يجترئ أحد على استحقار أحد فاعله اجمع منه لما يطبهه الخير عند الله تعالى فيعلم نفسه بتخفير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله تعالى وقرى عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم وأما على الاول فهي التي لا خير لها (ولا تلزوا أنفسكم) أي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة أو لا تفعلوا ما تلزون به فان من فعل ما يستحق به اللوم فقد لزم نفسه واللمز الطعن باللسان وقرى بضم الميم (ولا تلزوا بالالقب) أي ولا يدع بعضكم بعضا لقب السوء فان التبر مخفى به عرفا

(بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان) أى بئس
الذكر المرتفع للمؤمنين
أن يذكروا بالفسق بعد
دخولهم الايمان أو اشتغالهم
به فان الاسم ههنا
يعنى الذكر من قواهم
طسار اسمع في الناس
بالكرم أو باللوم والمراد به
أما تحجب نسبة الكفر
والفسوق الى المؤمنين
خصوصا اذ روى أن
الآية نزلت في صفة
بنت حبي أنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان النساء يقان لي
يا يهودية بنت يهوديين
فقال عليه الصلاة
والسلام هلا قلت ان
أبي هرون وعمي موسى
وزوجي محمد عليهم
السلام أو الدلالة على
أن التنازير فسق والجمع
بينه وبين الايمان فيصح
(ومن لم يتب) عانهم
عنه (فأولئك هم
الظالمون) بوضع
العصيان موضع الطاعة
وتعريض النفس للعذاب
(يا أيها الذين آمنوا
اجتنبوا كثير من الظن)
أى كونوا على جانب منه

للمؤمنين الى ما يجب ان يفعله المؤمن عند حضوره بعد الاشارة الى ما يفعله في غيبته
لكن قوله تعالى ولا تلووا قيل فيه بأنه العيب خلف الانسان والهمز هو العيب في
وجه الانسان نقول ليس كذلك بل العكس أولى وذلك لانا اذا نظرنا الى قلب
الحروف دلان على العكس لان لم قبلنا لم وهمز قلعه هزم والاول يدعى القرب والثنائي
على البعد فان قيل الذي هو الفسوق والعيب في السجدة كما أن في مع ان كل واحد قيل
يعنى واحد (الاستفهامية) قل تعالى ولا تلووا ولا تلووا ولا تلووا لان التلووا
اذا لم تلووا قلنا قلنا في التلووا في التلووا ولا تلووا ولا تلووا ولا تلووا ولا تلووا
فيوجد اللبس بجانب وأما الذين فلا تلووا ولا تلووا ولا تلووا ولا تلووا ولا تلووا
وهو يبين بالثبوت وغيره فانه ظاهر ان الذين يلوون في الظن في التلووا ولا تلووا
* وقوله تعالى (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) قل فبدان ان اديس أن يقول المسلم
يا يهودى بعد الايمان أى بعدما آمن فبئس تسميته بالكافر ويحتمل وجه آخر من هذا
وهو أن يقال هذا تمام للزجر كأنه تعالى قال يا أيها الذين آمنوا لا تسخر قوم من قوم ولا
تلووا ولا تنازروا فانه ان فعل يفسق بعدما آمن والمؤمن يتضح منه أن يأتي بعد ايمانه
بفسوق فيكون كقوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ويصير التقدير بئس
انفسوق بعد الايمان وبئس أن تسموا بانفساق بسبب هذه الافعال بعدما سميتوهم
مؤمنين * قال تعالى (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) وهذا يحتمل وجهين (أحدهما)
ان يقال هذه الاشياء من الصغار فن يصر عليه بصيرظا لما فسقا وبالمرارة الواحدة لا يتصف
بالظلم والفسق فقال ومن لم يتب فذلك ويجعله عادة فهو ظالم (وثانيهما) أن يقال قوله تعالى
لا تسخر وا ولا تلووا ولا تنازروا منع لهم عن ذلك في المستقبل وقوله تعالى ومن لم يتب
أمرهم بالتوبة عما مضى واطهار الندم عليها بمبالغة في التحذير ونشدان في الزجر
والاصل في قوله تعالى ولا تنازروا ولا تنازروا أسقطت احدى التائين كما أسقط
في استفهام احدى الهمزتين فقال سواء عليهم أنذرتهم والحذف ههنا أولى لان تاء
الخطاب وتاء التفاعل حرفان من جنس واحد في كلمة وهمزة الاستفهام كلمة برأسها وهمزة
أنذرتهم أخرى واحتمال حرفين في كلمتين أسهل من احتمال في كلمة ولهذا وجب الادغام
في قولنا مد ولم يجب في قولنا مدد وقولنا مر دود وقوله أمر ربنا * ثم قال تعالى (يا أيها
الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم
بعضا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم)
لان الظن هو السبب فيما تقدم وعليه بنى القبايح ومنه يظهر العدو المكاشح والقائل
اذا أوقف أموره على تين فقلما يتيقن في أحدهما فيلزم به فان الفعل في الصورة قد
يكون قبيحا وفي نفس الا لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا أو يكون الرائي

وابهام الكثير لا يجاب
 الاحتياط والامل في كل
 ظن ظن حتى يعلم أنه من
 أي قبيل فان من الظن
 ما يجب اتباعه كالظن
 فيما لا قاطع فيه من
 العمليات وحسن الظن
 بالله تعالى ومنه ما يحرم
 كالظن في الالهيات
 والنبوات وحيث يخالفه
 قاطع وظن السوء بالمؤمنين
 ومنه ما يباح كالظن في
 الامور المعاشية (ان بعض
 الظن اثم) تعليل الامر
 بالاجتناب اولو جبه
 بطريق الاستئناف
 التحققي والاثم الذنب
 الذي يستحق العقوبة
 عليه وهو مرته منقلبة من
 الواو كانه يثم الاعمال
 أي يكسرهما (ولا تجسروا)
 أي ولا تجسروا من عورات
 المسلمين فعمل من الجس
 لما فيه من معنى الطلب
 كأن التمس بمعنى التطلب
 لما في اللبس من الطلب
 وقد جاء بمعنى الطلب
 في قوله تعالى وأنا لنستأ
 السماء وقرى بالحاء من
 الحس الذي هو أثر الجس
 وغايته ونفسار بهما

مخطئا وقوله كثيرا اخراج للظنون التي عليها تبني الخبرات قال النبي صلى الله عليه وسلم
 ظنوا بالمؤمن خيرا وبالجملة كل امر لا يكون بناؤه على اليقين فالظن فيه غير مجتب
 مثاله حكم الحاكم على قول الشهود وبراءة الذمة عند عدم الشهود الى غير ذلك فقوله
 اجتنبوا كثيرا وقوله تعالى ان بعض الظن اثم اشارة الى الاخذ بالاحوط كما ان الطريق
 المخوفة لا يتفق في كل مرة فيقطع طريق الكنتك لا تسلك لانفاق ذلك فيد مرة ومرتين
 الا اذا تعين فتنسلك مع رفقته كذلك الظن ينبغي بعد اجتهاد تام ووثوق بالغ ثم قال تعالى
 ولا تجسسوا تماما لما سبق لانه تعالى لما قال اجتنبوا كثيرا من الظن فهم منه ان المعتبر
 اليقين فيقول القائل انا كشف فلانا يعني أعلمه يقينا وأطلع على عيبه مشاهدة فأعيب
 فأكون قد اجتنبت الظن فقال تعالى ولا تتبعوا الظن ولا تجتهدوا في طلب اليقين في
 معايب الناس ثم قال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا اشارة الى وجوب حفظ عرض المؤمن
 في غيبته وفيه معان (أحدها) في قوله تعالى بعضكم بعضا فانه للعموم في الحقيقة كقوله
 لا تآثرن أنفسكم وأما من اغتاب فالمغتاب أو لا يعلم عيبه فلا يحمل فعله على ان يغتابه فلم يقل
 ولا تغتابوا أنفسكم لمان الغيبة ليست حاملة للغائب على غيبة من اغتابه والعيب حامل
 على العيب (ثانيها) اوقال قائل هذا المعنى كان حاصله بقوله تعالى لا تغتابوا مع الاقتصار
 عليه نقول لا وذلك لان المنوع اغتياب المؤمن فقال بعضكم بعضا وأما الكافر فلعن
 ويذكر بما فيه وكيف لا والفاسق يجوز ان يذكر بما فيه عند الحاجة (ثالثها) قوله تعالى
 أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا دليل على أن الاغتياب المنوع اغتياب المؤمن
 لا ذكر الكافر وذلك لانه شبهه يأكل لحم الاخ وقال من قبل انما المؤمنون اخوة فلا
 اخوة الا بين المؤمنين ولا منع الا من شيء يشبه أكل لحم الاخ ففي هذه الآية نهى عن
 اغتياب المؤمن ذون الكافر (رابعها) ما الحكمة في هذا التشبيه نقول هو اشارة الى ان
 عرض الانسان كدمه ولحمه وهذا من باب القياس الظاهر وذلك لان عرض المرء اشرف
 من لحمه فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحوم الناس لم يحسن منه فرض عرضهم بالطريق
 الاولى لان ذلك ألم وقوله لحم أخيه أكد في المنع لان العدو بحمله الفضب على مضغ لحم
 العدو فقال أصدق الاصدقاء من ولدته أمك فأكل لحمه أقبح ما يكون وقوله تعالى ميتا
 اشارة الى دفع وهم وهو ان يقال القول في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع
 عليه للمغتاب فلا يؤلم فقال أكل لحم الاخ وهو ميت أيضا لا يؤلم ومع هذا هو في غاية القبح
 لما أنه لو اطلع عليه لنألم كما ان الميت لو أحس بأكل لحمه لآلم وفيه معنى وهو أن
 الاغتياب كأكل لحم الآدمي ميتا ولا يحمل أكله الا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر اذا
 وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمي الميت فلا يأكل لحم الآدمي فكذلك المغتاب ان وجد
 لحاجته مدفع غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب وقوله تعالى ميتا حال عن اللحم أو عن الاخ
 فان قيل اللحم لا يكون ميتا قلنا بلى قال النبي صلى الله عليه وسلم ما بين من حي فهو

ميت فسمى الفلقة ميتا فان قيل اذا جعلناه حالا عن الاخ لا يكون هو الفاعل ولا المفعول فلا يجوز جعله حالا كما يقول الفائل مررت بأخي زيد قائما ويريدكون زيدا قائما قلنا يجوز أن يقال من أكل لحمه فقد أكل فصار الاخ مأكولا مفعولا بخلاف المرور بأخي زيد فيجوز أن تقول ضربت وجهه أكل أي وهو أكل أي صاحب الوجه كأنك اذا ضربت وجهه فقد ضربته أو لا يجوز أن تقول من قتت ثوبه أكلما فتجعل الاسم حالا من غيرك وقوله تعالى فكرهتموه فيه مسئلتان (المسئلة الاولى) العائد اليه الضمير يحمل وجوها (الاول) وهو الظاهر أن يكون هو الأكل لان قوله تعالى أحب أحدكم أن يأكل معناه أحب أحدكم الأكل لان أن مع الفعل تكون المصدر بمعنى فكهتم الأكل (الثاني) أن يكون هو اللحم أي فكرهتم اللحم (الثالث) أن يكون هو الميت في قوله ميتا وتقديره أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا متغيرا فكرهتموه فكأنه صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعني الميتة ان أكلت في النذرة لسبب كان نادرا ولكن اذا أنتن وأروح وتغير لا يؤكل أصلا فكذلك ينبغي أن تكون الغيبة (المسئلة الثانية) الفاء في قوله تعالى فكرهتموه تقضي وجود تعلق فسا ذلك تقول فيه وجوه (أحدها) أن يكون ذلك تقدير جواب كلام كانه تعالى لما قال أحب قيل في جوابه ذلك (وثانيا) أن يكون الاستفهام في قوله أحب للانكار كأنه قال لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه اذا ولا يحتاج الى اضممار (وثالثها) أن يكون ذلك التعلق هو تعلق المسبب بالسبب وترتبه عليه كما تقول جاء فلان ماشيا فتعب لان المشي يورث التعب فكذا قوله ميتا لان الموت يورث النقرة الى حد لا يشتهي الانسان أن يبيت في بيت فيه ميت فكيف يقربه بحبث يأكل منه فغيبه اذا كراهة شديدة فكذلك ينبغي أن يكون حال الغيبة ثم قال تعالى واتقوا الله ان الله ثواب رحيمة عطف على ما تقدم من الاوامر والنواهي أي اجتنبوا واتقوا وفي الآية لطائف منها ان الله تعالى ذكر في هذه الآية أموراً ثلاثة مرتبة يسانها هو ان الله تعالى قال اجتنبوا كثيرا أي لا تقولوا في حق المؤمنين ما لم تعلموه فيهم بناء على الظن ثم اذا سلمتم عن المضنونات فلا تقولوا نحن نكشف أمورهم لنستبينها قبل ذكرها ثم ان علمتم منها شيئا من غير تجسس فلا تقولوا ولا تنفشوه عنهم ولا تعيبوا ففي الاول نهى عما لم يعلم ثم نهى عن طلب ذلك العلم ثم نهى عن ذكر ما علم ومنها ان الله تعالى لم يقل اجتنبوا أن تقولوا أمرا على خلاف ما تعلمونه ولا قال اجتنبوا المشك بل أول ما نهى عنه هو القول بالظن وذلك لان القول على خلاف العلم كذب وافتراء والقول بالشك والرجح بالغيب سفه وهزل وهما في غاية القبح فلم ينه عنه اكتفاء بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لان وصفهم بالايمان يمنعهم من الافتراء والارتساب الذي هو دأب الكافر وانما منعهم عما يكثر وجوده في المسلمين ولذلك قال في الآية لا يسخر ومنها انه ختم الآيتين بذكر التوبة فقال في الاولى ومن لم ينب فأولئك هم الظالمون وقال في

للمشاعر الخواص بالخاء
والجيم وفي الحديث
لا تتبعوا عورات المسلمين
فان من تتبع عورات
المسلمين تتبع الله عورته
حتى يفضحه ولو في
جوف بيته (ولا يغيب
بعضكم بعضا) أي لا
يذكر بعضكم بعضا
بالسوء في غيبته وسئل
رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الغيبة فقال
ان تذكر أخاك بما يكره
فان كان فيه فقد اغتبتته
وان لم يكن فيه فقد بهتته
وعن ابن عباس رضي الله
عنهما الغيبة ادم
كلاب الناس (أحب
أحدكم أن يأكل لحم
أخيه ميتا) تمثيل
وتصوير لما يصدر عن
المغتتاب من حيث صدوره
عنه ومن حيث تعلقه
بصاحبه على أفحش
وجه وأشنفه طعنا
وعقلا وشرعا مع
مبالغات من فنون شتى
الاستفهام التقريرى
واسناد الفعل الى أحد
ايدنا بأن أحدا

من الاحدين لا يغسل ذلك وتعلق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغنياء بأكل لحم

الانسان وجعل المأكول
أخا للأكل وميتا
واخراج تماثيلها مخرج
أمرين غني عن الاخبار
به وقرى ميتا بالشديد
وانتصابه على الحالة
من اللحم وقيل من الاخ
والغاء في قوله تعالى
(فكريهتوه) لترتيب
ما بعدها على ما قبلها
من التمثيل كأنه قيل
وحيث كان الامر كما ذكر
فقد كرهتوه وقرى
كرهتوه أى جبلتم على
كراهته (واتقوا الله)
يترك ما أمرتم باجتنابه
والندم على ما صدر
عنكم من قبل (ان الله
تواب رحيم) مبالغ
في قبول التوبة واقتضا
الرحمة حيث يجعل
النائب كمن لم يذنب
ولا يخص ذلك بنائب
دون نائب بل يعم الجميع
وان كثرت ذنوبهم
روى أن رجلبين من
الصحابه رضى الله
عنهم بمنا سلمان الى
رسول الله صلى الله
عليه

الآخرى ان الله تواب لكن في الآية الاولى لما كان الابتداء بالنهي في قوله لا يسخر قوم
من قوم ذكر النفي الذي هو قريب من النهي وفي الآية الثانية لما كان الابتداء بالامر في
قوله اجتنبوا ذكر الارتباب الذي هو قريب من الامر * ثم قال تعالى (يا أيها الناس
انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم
ان الله عليم خبير) تبينا لما تقدم وتقريرا له وذلك لان السخرية من الغير والعيب ان
كان بسبب التفاوت في الدين والايان فهو جائز لما بينا ان قوله لا يفتب بعضهم بعضا
وقوله ولا تلبسوا أنفسكم منع من عيب المؤمن ونهيته وان لم يكن لذلك السبب فلا يجوز
لان الناس بعمومهم كفارا كانوا أو مؤمنين يشتركون فيما يفتخر به المفتخر غير الايمان
والكفر والافتخار ان كان بسبب الغنى فالكافر قد يكون غنيا والمؤمن فقيرا وبالعكس
وان كان بسبب النسب فالكافر قد يكون نسيبا والمؤمن قديكون عبدا أسود وبالعكس
فالناس فيما ليس من الدين والتقوى متساوون متقاربون وشئ من ذلك لا يؤثر مع عدم
التقوى فان كل من يتدين بدين يعرف أن من يوافقه في دينه أشرف من يخالفه فيه وان
كان أرفع نسبا أو أكثر نشبا فكيف من له الدين الحق وهو فيه راسخ وكيف يرجح
عليه من دونه فيه بسبب غيره وقوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى فيه
وجهان (أحدهما) من آدم وحواء (ثانيهما) كل واحد منكم أيها الموجودون وقت
النداء خلقناه من أب وأم فان قلنا ان المراد هو الاول فذلك اشارة الى ان لا يتفاخر
العض على البعض لكنهم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة وان قلنا ان المراد هو الثاني
فذلك اشارة الى أن الجنس واحد فان كل واحد خلق في جنس واحد من أب وأم
واتفاوت في الجنس دون التفاوت في الجنس فان من سائر التفاوت أن لا يكون تقدير
التفاوت بين الغني والغني لكن التفاوت الذي بين الغني والفقير والايان كالتفاوت
الذي بين الجنسين لان كل واحد منهما كالاخر من أصل واحد من الانسان في المعنى
الذي ينبغي أن يكون فيه والتفاوت في الانسان تفاوت في الجنس لا في الجنس اذ كلهم
من ذكر وأنثى فلا يبقى لذلك عند هذا اعتبار وفيه مباحث (البحث الاول) فان قيل هذا
مبنى على عدم اعتبار النسب وليس كذلك فان للنسب اعتبارا عرفيا وشرعا حتى
لا يجوز تزويج الشريفة بالنبطي فنقول اذا جاء الامر العظيم لا يبقى الامر الحقير معتبرا
وذلك في الجنس والشرع والعرف أما الجنس فلان الكواكب لا ترى عند طلوع الشمس
ولجناح اندياب دوى ولا يسم عندما يكون رعد قوى وأما في العرف فلان من جاء مع
الملك لا يبقى له اعتبار ولا اليه التفات اذا علمت هذا فيهما ففي الشرع كذلك اذا جاء
الشرف الديني الالهى لا يبقى لامر هناك اعتبار بالنسب ولا نشب ألا ترى ان الكافر
وان كان من أعلى الناس نسبا والمؤمن وان كان من أدونهم نسبا لا يقاس أحدهما
بالآخر وكذلك ما هو من الدين مع غيره وهذا يصلح للنسب الدنيوية كالتفضاء

وسلم ينفي لهما ادا ما وكان أسامة على * ٦٠٥ * طمسه تلبية الصلاة والسلام فقال ما عندى شئ

فأخبرهما سلمان فقالا
لو بعثنا سلمان الى بئر
سميحة لغار ماؤها
فلما راح الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قال لهما ما الى أرى
خضرة اللحم في أفواهكما
فقالا ما تناولنا لحما فقال
عليه الصلاة والسلام
انكما قد اغتبتا فذات
(يا أيها الناس انا خلقناكم
من ذكر وأنثى) من آدم
وحواء أو خلقنا كل
واحد منكم من أب وأم
فالكل سواء في ذلك
فلا وجد التفاخر بالنسب
وقد جواز أن يكون
تأكيده الله هي السابق
بشرير الاخوة المانعة
من الاغتياب (وجعلناكم
شعوبا وقبائل) الشعب
الجميع العظيم المتسبون
الى اصل واحد وهو
يجمع القبائل والقبيلة
يجمع العمار والعمارة
يجمع البطون والبطن
يجمع الافخاذ والفخذ
يجمع الفصائل فخرية
شعب وكنانة

والشهادة كل شريف ووضع اذا كان ديننا طائفا صالحا ولا يصلح لشيء منها فاسق وان كان
قرشى النسب وقارونى النسب ولكن اذا اجتمع في اثنين الدين اثنين وأحدهما نسب
ترجح بالنسب عند الناس لا عند الله لان الله تعالى يقول وأن ليس للانسان الاماسى
وشرف النسب ليس مكتسبا ولا يحصل بسعى (البحث الثاني) ما الحكمة في اختيار
النسب من جملة أسباب التفاخر ولم يذكر المال نقول الامور التي يتفخر بها في الدنيا
وان كانت كثيرة لكن النسب أعلاها لان المال قد يحصل للفقير فيبطل اقتضار
المفتخر به والحسن والسن وغير ذلك غير ثابت دائم والنسب ثابت مستمر غير مقدور
التحصيل لمن ليس له ذلك فاختره الله للذكر وأصل اعتباره بالنسبة الى التقوى يعلم منه
بطلان غيره بالطريق الاولى (البحث الثالث) اذا كان ورود الآية ليبيان عدم جواز
الاقتضار بغير التقوى فهل لقوله تعالى انا خلقناكم فائدة نقول نعم وذلك لان كل شئ
يترجح على غيره فاما أن يترجح بأمر فيه يلحقه و يترتب عليه بعد وجوده واما أن يترجح عليه
بأمر هو قبله والذي يمدد كالحسن والقوة وغيرهما من الاوصاف المطلوبة من ذلك الشئ
والذى قبله فاما راجع الى الاصل الذى منه وجد أو الى الفاعل الذى هو له أوجد كما يقال
في اناء من هذا من النحاس وهذا من الفضة ويقال هذا عمل فلان وهذا عمل فلان فقال
تعالى لا ترجع فيما خلقتم منه لانكم كلكم من ذكر وأنثى ولا بالنظر الى جاعلكم لانكم
كلكم خلقكم الله فان كان بينكم تفاوت يكون بامور تلحقكم وتحصل بعد وجوكم
وأشرفها التقوى والقرب من الله تعالى ثم قال تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل وفیه
وجهران (أحدهما) جعلناكم شعوبا متفرقة لا يدرى من يجمعكم كائهم وقبائل
يجمعكم واحد معلوم كالعرب وبنی اسرائيل (وثانيهما) جعلناكم شعوبا متفرقة
قبائل فان القبيلة تحتها شعوب وشعب الشعوب البطون وشعب المطون انما هو واحد تحت
الافخاذ والفصائل وتحت الفصائل الاقارب وذكر الاعراف لا تذهب للتفاخر لان الامر
الاعم منها يدخله فقراء وأنبياء كثيرة غير مشهورة ومنه فاعلم انكم شعوب متفرقة
ثم بين فائدة ذلك وهي التعارف وفيه وجهان (أحدهما) ان شعوبكم متفرقة لان الناس
(وثانيهما) ان فائدة التعارف انما هو الاقارب والافراد المتفرقة وانما يفضي الى التنازع
لا الى التعارف وفيه معان لطيفة (الاولى) قال تعالى انا خلقناكم وقال وجعلناكم لان
الخلق أصل تفرع عليه الجمل شعوبا فان الاول هو الخلق والايحاد ثم الاتصاف
اتصفوا به لكون الجمل شعوبا للتعارف والخلق للعبادة كما قال تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون واعتبار الاصل متقدم على اعتبار الفرع فاعلم ان النسب
يعتبر بعد اعتبار العبادة كما ان الجمل شعوبا يتحقق بعد ما يتحقق الخلق فان كان فيكم
عبادة تعتبر فيكم أنسابكم والافلا (الثانية) قوله تعالى خالقناكم وجعلناكم اشارة الى
عدم جواز الاقتضار لان ذلك ليس لسعيكم ولا قدرة لكم على شئ من ذلك فكيف

قبيلة وقريش غمارة وقصى بطن وهاشم فخذ ٦٠٦ والعباس فصيلة وقبل الشعوب بطون الهجر

والقبائل بطون العرب
(لعارفوا) يعرف
بعضكم بعضا بحسب
الانساب فلا يعترى
أحد إلى غير آباءه
لالتفاخر ولا يباه
القبائل وتدعو التفاوت
والفاضل في الانساب
وقريش لعارفوا على
الاصل ولعارفوا
بالادغام ولعارفوا (ان
أكرمكم عند الله
أنفاكم) تعاليل لانتهى
عن التفاخر بالانساب
المستفاد من الكلام
بطريق الاستئناف
التحقيق كأنه قيل
ان الاكرم عنده تعالى
هو الاتقى فان فاخرتم
ففاخروا بالتقوى وقريش
بان المغنوحة على حذف
لام التعليل كأنه قيل
لم لا تفاخر بالانساب
فقيل لان أكرمكم
عند الله أنفاكم لأنسبكم
فان مدار كمال النفوس
وتفاوت الاشخاص
هو التقوى فنراهم نيل
الدرجات العلا عليه
بالتقوى قال عليه
الصلاة والسلام

تفتخرون بما لا مدخل لكم فيه فان قيل الهداية والضلال كذلك لقوله تعالى انما هدىنا
السبيل نهدي من نشاء فتقول أثبت الله لنا فيه كسبا مبنيا على فعل كما قال الله تعالى
فن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ثم قال تعالى وما تشاؤون الا أن يشاء الله وأما في النسب فلا
(الثالثة) قوله تعالى لعارفوا إشارة إلى قياس خفي وبيانه هو انه تعالى قال انكم
جعلتم قبائل لعارفوا وانتم اذا كنتم أقرب إلى شريف تفتخرون به فتخلفكم لعارفوا
ربكم فاذا كنتم أقرب منه وهو أشرف الموجودات كان الاحق بالافتخار هناك من
اكل الافتخار بذلك (الرابعة) فيما ارشاد إلى برهان يدل على ان الافتخار ليس بالانساب
وذلك لان القبائل للعارف بشبب الانساب إلى شخص فان كان ذلك الشخص
شريفا صح الافتخار في ظنكم وان لم يكن شريفا لم يصح فشرى ذلك الرجل الذي تفتخرون
به هو بالنسبة إلى فضيلة أو بالكتساب فضيلة فان كان بالانساب لم ينسب له وان كان
بالاكتساب فالدين الفقيه الكريم المحسن صار مثل من يفتخر به المفتخر فكيف يفتخر
بالاب وأب الاب على من حصل له من الخطا والخير ما فضل به نفسه عن ذلك الاب والجد
اللهم الا أن يجوز شرف الانساب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أحد الايقرب من
الرسول في الفضيلة حتى يقول أنا مثل أهلك ولكن في هذا النسب أثبت النبي صلى الله
عليه وسلم الشرف لمن انسب إليه بالاكتساب ونفاه ان أراد الشرف بالانساب فقال
نحن معاشر الانبياء لانورث وقال العلماء ورثة الانبياء أي لانورث بالانساب وانما نورث
بالاكتساب سمعت أن بعض الشرفاء في بلاد خراسان كان في النسب أقرب الناس
إلى علي عليه السلام غير انه كان فاسقا وكان هناك مولى أسود تقدم بالعلم والعمل ومال
الناس إلى التبرك به فاتفق انه خرج يوما من بيته يقصد المسجد فاتبه خلق فلقبه الشريف
سكران وكان الناس يطردون الشريف ويبعدونه عن طريقه فعابهم وذلوا باطراف
الشيخ وقال له بأسود الخوافر والشوافر يا كافر ابن كافر أنا ابن رسول الله أذل وتجل
وأذم وتكرم وأهان وتهان فهم الناس بضربه فقال الشيخ لا هذا محتمل منه لجدده وضربه
معدود لحذه ولكن يا ايها الشريف بيضت باطن وسودت باطنك فيرى الناس بياض
قلبي فوق سواد وجهي فحسنت وأخذت سيرة أهلك وأخذت سيرة أبي قرأتى الخلق في سيرة
أهلك ورأوك في سيرة أبي فضنوني ابن أهلك وظنوك ابن أبي فعملوا معك ما يعمل مع أبي
وعملوا معي ما يعمل مع أهلك ثم قال تعالى ان أكرمكم عند الله اتقاكم وفيه وجهان
(أحدهما) ان المراد من يكون أتقى يكون عند الله أكرم أي التقوى تقيده الاكرام
(ثانيهما) ان المراد أن من يكون أكرم عند الله يكون أتقى أي الاكرام يورث التقوى
كما يقال المخلصون على خطر عظيم والاول أشهر والثاني أظهر لان المذكور ثانيا ينبغي أن
يكون محمولا على المذكور أولا في الظاهر فيقال الاكرام للتقوى لكن ذوالعموم في المشهور
هو الاول يقال أذا لاطعمة أحلاها أي اللذة بقدر الحلاوة لأن الحلاوة بقدر اللذة وهي

من حتره أن يكون أكرم الناس * ٦٠٧ * فليتيق الله وقال عليه الصلاة والسلام يا أيها الناس إنما الناس

رجلان مؤمن تقي كريم
عليه الله تعالى وفاجر
شقي هين على الله تعالى
وعن ابن عباس رضي الله
عنهما أكرم الدنيا الغني
وأكرم الآخرة التقوى
(إن الله عليم) بكم
وبأعمالكم (خير)
ببواطن أحوالكم
(قالت الاعراب آمنا)
نزات في نغم من بني
أسد قدموا المدينة في
سنة جندب فأظهروا
الشهادتين وكانوا
يقولون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
أنتناك بالانفال والعيال
ولم نقاتك كما قاتلك
بنو فسلان يريدون
الصدق ويؤمنون عليه
عليه الصلاة والسلام
ما فعلوا (قل) رد الله
(لم تؤمنوا) إذا الإيمان
هو التصديق المقارن
للثقة وطمانينة القلب
ولم يحصل لكم ذلك
والأما منتقم على ما
ذكرتم كما ينبغي عنه آخر
السورة (ولكن قولوا
أسلمنا)

اثبات لكون التقوى مقدمة على كل فضيلة فإن قيل التقوى من الأعمال والعلم أشرف
قال النبي صلى الله عليه وسلم القيمة واحد أشد على الشيطان من ألف عابد نقول التقوى ثمرة
العلم قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء فلا تقوى إلا بالعلم فالمتقى العالم أتم عمله
والعالم الذي لا يتقى كشجرة لا ثمرة لها لكن الشجرة المثمرة أشرف من الشجرة التي لا ثمر بل
هو حطب وكذلك العالم الذي لا يتقى حصص جهنم وأما العابد الذي يفضل الله عليه الغني
فهو الذي لا علم له وحينه لا يكون عنده من خشية الله نصاب كامل ولعله يعبد مخافة
اللقاء في النار فهو كالمكره أو لدخول الجنة فهو يعمل كأنه لا عمل له أجره ويرجع إلى بيته
والمتقى هو العالم بالله المواظب بإياه أي القرب إلى جنبه عنده بيت وفيه مباحث (البحث
الاول) الخطاب مع الناس والأكرم يقتضي اشتراك الكل في الكرامة ولا كرامة للكافر
فانه أصل من الانعام وأذل من الهوام نقول ذلك غير لازم مع انه حاصل بدليل قوله تعالى
ولقد كرمتنا بني آدم لأن كل من خلقت فقد اعترف بربه كانه تعالى قال من استمر
عليه وزاد زيد في كرامته ومن رجع عنه أزيل عنه أثر الكرامة (الثاني) ما حد التقوى
ومن الاتقى نقول ادنى مراتب التقوى أن يجتنب العبد المناهي ويأتي بالأوامر ولا يفر
ولا يامن الا عندهما فإن اتفق ان ارتكب منهيا لا يامن ولا يتكل له بل يبعد بحسنة
ويظهر عليه ندامة وتوبة ومتى ارتكب منهيا ومات في الحال واتكل على المهلة في
الاجل ومنعه عن التذاكر طول الامل فليس يمتق أما المتقى فهو الذي يأتي بما أمر به
ويترك ما نهى عنه وهو مع ذلك خاشع ربه لا يشتغل بغير الله فينور الله قلبه فان التفت
لحظذ إلى نفسه أو ولده جعل ذلك ذنبه والاولين الجاهة قوله تعالى ثم نجى الذين اتقوا
وللآخرين السوق إلى الجنة قوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فيبين من أعطاه
السلطان بستانا وأسكنه فيه وبين من استخصه لنفسه يستفيد كل يوم بسبب القرب منه
بساتين وضياعا بون عظيم ثم قال تعالى ان الله عليم خبير أي علم بطواهركم يعلم أنسابكم
خبير ببواطنكم لا تخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى عملكم وزيدوا في التقوى
كما زادكم * ثم قال تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما
يدخل الإيمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله
غفور رحيم) لما قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم والاتقى لا يكون الا بعد حصول
التقوى وأصل الإيمان هو الاتقاء من الشرك قالت الاعراب لنا ان نسب الشريف وانما
يكون لنا الشرف قال الله تعالى ليس الإيمان بالقول انما هو بالقلب فحسبنا أنه خير
يعلم ما في الصدور ولكن قولوا أسلمنا أي انقذنا واستسلمنا قيل ان الآية نزات في بني أسد
أظهروا الاسلام في سنة مجدية طالين الصدقة ولم يكن قلبهم مطمئنا بالإيمان وقد بينا ان
ذلك كالتاريخ النزول لا الاختصاص بهم لأن كل من أظهر فعل المتقين وأراد أن يضربه
مانا لتقية من الأكرام لا يحصل له ذلك لأن التقوى من تحمل القلب وقوله تعالى

(أما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ﴿٦٠٩﴾ ثم لم يرتابوا﴾ لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا وقعه

ولا يكون انسانا فالاعمال والخالص مختلفان في العموم متحدان في الوجود فكذلك المؤمن والمسلم وسنين ذلك في تفسير قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فاوجدنا فيها غير بيت من المسلمين ان شاء الله تعالى (المسئلة الخامسة) قوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم هل فيه معنى غير معنى قوله تعالى قل لم تؤمنوا نقول نعم وبيانه من وجوه (الاول) هو انهم لما قالوا آمنا وقبل لهم لم يؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا قالوا اذا اسلمنا فقد آمننا قبل لا فان الايمان من عمل القلب لا غير والاسلام قد يكون عمل اللسان واذا كان ذلك هل القلب ولم يدخل في قلوبكم الايمان لم تؤمنوا (الثاني) لما قالوا آمنا وقيل لهم لم تؤمنوا قالوا جدا لا قد آمننا عن صدق نية مؤكدين لما أخبروا فقال ولما يدخل الايمان في قلوبكم لان لما يفعل يقال في مقابلة قد فعل ويحتمل أن يقال بان الآية فيها اشارة الى حال المؤمنة اذا أسلموا ويكون ايمانهم بعد ضعيفا قال لهم لم يؤمنوا لان الايمان ايقاز وذلك بعد لم يدخل في قلوبكم وسيدخل باطلا عنكم نبي محاسن الاسلام وان تطيعوا الله ورسوله يكمل لكم الاجر والذي يدل على هذا هو ان لما فيها معنى التوقع والانتظار والايمان اما ان يكون بفعل المؤمن واكتسابه ونظره في الدلائل واما ان يكون الهاما يغم في قلب المؤمن قوله قل لم تؤمنوا أي ما فعلتم ذلك أنتم وقوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم أي ولما دخل الايمان في قلوبكم الهاما من غير فعلكم فلا ايمان لكم حينئذ ثم انه تعالى عند فعلهم قال لم تؤمنوا بحرف ليس فيه معنى الانتظار لقصور نظرهم وقصور فكرهم وعند فعل الايمان قال لم يدخل بحرف فيه معنى التوقع لظهور قوة الايمان كأنه يكاد يغشى القلوب بأسرها ثم انه تعالى قال وان تطيعوا الله ورسوله لا يلبسكم أي لا ينقصكم والمراد أنكم اذا أنيتم بما يليق بضعفكم من الحسنة فهو يؤتيكم ما يليق به من الجزاء وهذا لان من حل الى ملك فأكتمه طيبة يكون ثمنها في السوق درهما وأعطاه الملك درهما وأدينارا ينسب الملك الى قلة العطاء بل البخل فليس معناه أنه يعطي مثل ذلك من غير نقص بل المعنى يعطي ما يتوقعون باعمالكم من غير نقص وفيه تحرير بض على الايمان الصادق لان من أي بفعل من غير صدق نية يضرب عمله ولا يعطى عليه أجر اذ قال ان تطيعوا وتصدقوا لا ينقص عليكم فلا تضربوا أعمالكم بعدم الاخلاص وفيه أيضا تسلية لقلوب من تأخر ايمانه كأنه يقول غيري سبقتني وآمن حين كان النبي وحيدا وآواه حسين كان ضعيفا ونحن آمنا عندما عجزنا عن مقاومته وغلبنا بقوته فلا يكون لايماننا وقع ولاننا عليه أجر فقال تعالى ان أجركم لا ينقص وما تتوقعون تعطون غاية ما في الباب ان التقدم يزيد في أجرهم وماذا عليكم اذا أرضاكم الله أن يعطي غيركم من خزان رحمة واسعة وما حالكم في ذلك الاحال ملك أعطى واحدا شيئا وقال لغيره ماذا تمنى فتمنى عليه بلدة واسعة وأموالا فأعطاهم ووفاه ثم زاد ذلك الاول أشياء أخرى من خزائنه فان تأذى من ذلك يكون بخلا وحسدا وذلك في الآخرة لا يكون وفي الدنيا هو من صفة الاراذل وقوله تعالى ان الله

في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى أن فيه ما يوجب نفي الايمان عنهم
وتم للاشعار بان الله ط عدم الارتباب في اعتبار الايمان ليس في حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كافي قوله تعالى ثم استقاموا (وجاءوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله) في طاعته على تكثرتهم من العبادات البدنية المحضنة والمالية الصرفة والمشتغلة عليها معا كالجهاد (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجلية (هم الصادقون) أي الذين صدقوا دعوى الايمان لا غيرهم روى أنه لما نزلت الآية جاؤا وحلفوا أنهم مؤمنون صدقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى (قل أنعم الله بدينكم) أي أنصبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشجيعهم (والله يعلم ما في السموات وما في الارض) حال من مقبول تعلمون

موثقة لتشجيعهم ﴿٧٧﴾ سا وقوله تعالى (والله بكل شيء عليم) تذييل مقرر لما قبله

اي مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جللتها ما أخفوه ﴿ ٦١٠ ﴾ من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد

تجهيل وتوبيخ لهم
(يؤمنون عليك أن أسلموا)
أي يعدون اسلامهم
منة عليك وهي النعمة
التي لا يطلب مواليها
ثوابا من أنعم بها عليه من
المن بمعنى القطع لأن
المنسود بها قطع حاجته
وقيل النعمة الثقيلة من
المن (قل لا تتنوا على
اسلامكم) أي لا تعدوا
اسلامكم منة على أولاد
تمنوا على باسلاكم
فمنصب يترفع الخافض
(بل الله يمن عليكم أن
هداكم للإيمان) على ما
زعمتم مع أن الهداية
لا تستلزم الاهتمام
وقري أن هداكم
واهداكم (ان كنتم
صادقين) في ادعاء
الايمان وجوابه محذوف
يدل عليه ما قبله أي فله
المنة عليكم وفي سياق
النظم الكريم من
اللطيف ما لا يخفى فانه
لما سمعوا ما صدر عنهم
ايماؤا وتوا به فنفى كونه
ايماؤا وصحى اسلاما قبل
يؤمنون عليك بما هو في
الحقيقة اسلام وليس
بمجدير بالان بل اوصح
ادعاهم للإيمان فله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم

غفور رحيم أي يغفر لكم ما قد سلف و برحكم بما أنتم به ﴿ ثم قال تعالى ﴾ (انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم
الصادقون) ارشاد الاعراب الذين قالوا امنا الى حقيقة الايمان فقال ان كنتم تريدون
الايمان فامؤمنون من آمن بالله ورسوله ثم لم يرتابوا يعني أيقنوا بان الايمان ايقان وثم
للتراخي في الحكاية كأنه يقول آمنوا ثم أقول شيئا آخر لم يرتابوا ويحتمل أن يقال هو
للتراخي في الفعل تقديره آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم
من الحشر والنشر وقوله تعالى وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم يحقق ذلك أي أيقنوا ان
بعدهم الدار دارا فجاهدوا طالبين العقب وقوله أولئك هم الصادقون في ايمانهم
لا الاعراب الذين قالوا قولا ولم يخلصوا عملا ﴿ ثم قال تعالى ﴾ (قل أتعلمون الله بدينكم والله
يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم) فانه عالم به لا يخفى عليه شيء وفيه
اشارة الى ان الدين ينبغي أن يكون لله وأنتم اطهرتموه لنا لا لله فلا يقبل منكم ذلك ﴿ وقوله
تعالى ﴾ (عمنون عليك ان أسلموا قل لا تتنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للإيمان
ان كنتم صادقين) بقر ذلك و يبين ان اسلامهم لم يكن لله وفيه لطائف (الاولى) في قوله
تعالى يؤمنون عليك زيادة بيان لتصح فعلهم وذلك لان الايمان له شرفان (أحدهما) بالنسبة
الى الله تعالى وهو تزيه الله عن الشرك وتوحيد في العظمة (وثانيهما) بالنسبة الى المؤمن
فانه يزيه النفس عن الجهل ويزيتها بالحق والصدق فهم لا يطلبون باسلامهم جانب الله
ولا يطلبون شرف أنفسهم بل منوا ولو علموا أن فيه شرفهم لما منوا به بل شكروا (اللطيفة
الثانية) قال قل لا تتنوا على اسلامكم أي الذي عندكم اسلام واهذا قال تعالى ولكن قواوا
أسلمنا ولم يقل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم لئلا يكون تصديقهم في الاسلام أيضا كما يصدقوا
في الايمان فان قيل لم يميز أن يصدقوا في اسلامهم والاسلام هو الانقياد وقد وجد منهم
قولا وفعلا وان لم يوجد اعتقادا وعلمنا وذلك القدر كاف في صدقهم نقول التكذيب يقع
على وجهين (أحدهما) ان لا يوجد نفس المخبر عنه (وثانيهما) ان لا يوجد كما أخبر في نفسه
فقد يقول ما جئنا بل جاءت بك الحاجة فآله تعالى كذبهم في قولهم آمننا على الوجه الاول
أي ما آمنتم أصلا ولم يصدقهم في الاسلام على الوجه الثاني فانهم انقادوا للحاجة وأخذ
الصدقة (اللطيفة الثالثة) قال بل الله يمن عليكم يعني لامة لكم ومع ذلك لا تسلمون رأسا
برأس بحيث لا يكون لكم علينا ولا لنا عليكم منه بل المنة عليكم وقوله تعالى بل الله يمن
عليكم حسن أدب حيث لم يقل لا تتنوا على بل بل المنة عليكم حيث بينت لكم الطريق
المستقيم ثم في مقابلة هذا الادب قال الله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم (اللطيفة
الرابعة) لم يقل يمن عليكم أن أسلمتم بل قال أن هداكم للإيمان لان اسلامهم كان ضلالة
حيث كان نفاقا فامن به عليهم فان قيل كيف من عليهم بالهداية الى الايمان مع انه بين
انهم لم يؤمنوا نقول الجواب عنه من ثلاثة أوجه (أحدها) انه تعالى لم يقل بل الله يمن

عليكم أن رزقكم الايمان بل قال أن هداكم للايمان وارسال الرسل بالآيات البينات هداية (ثانيها) هو انه تعالى بمن عليهم بما زعموا فكانه قال أنتم قلتم آمنا فذلك نعمة في حقكم حيث تخلصتم من النار فقال هداكم في رزقكم (ثالثها) وهو الاصح هو أن الله تعالى بين بعد ذلك شرطا فقال ان كنتم صادقين ثم قال تعالى (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) اشارة الى انه لا يخفى عليه أسراركم وأعمال قلوبكم الخفية وقال بصير بما تعملون يبصر أعمال جوارحكم الظاهرة وآخر السورة مع الثامنة بما قبله فيد تقر برماني أول السورة وهو قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله فانه لا يخفى عليه سر فلا تتركوا خوفه في السر ولا تخفى عليه علن فلا تأمنوه في العلانية والمجدد وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ق أربعون وخمس آيات مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم * في القرآن المجيد) وقيل التفسير نقول ما يتعلق بالسورة وهي أمور * الأول أن هذه السورة تقرأ في صلاة العيد لقوله تعالى فيها ذلك يوم الخروج وقوله تعالى كذلك الخروج وقوله تعالى ذلك حشر علينا بسيف فان العيد يوم الزينة فينبغي أن لا ينسى الانسان خروجه الى عرصات الحساب ولا يكون في ذلك اليوم فرحاً فنجوا ولا ير تكب فسفا ولا فجورا ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتذكير بقوله في آخر السورة فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ذكرهم بما يناسب حالهم في يومهم بقوله في القرآن * الثاني هذه السورة وسورة ص يشتركان في افتتاح أولهما بالحرف المجهم والقسم بالقرآن وقوله بل والتعجب ويشتركان في شيء آخر وهو أن أول السورتين وآخرهما متساويان وذلك لأن في ص أولها والقرآن ذى الذكر وقال في آخرها ان هو الاذكر للعالمين وفي ق قال في أولها والقرآن المجيد وقال في آخرها فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فافتتح بما اختتم به * والثالث وهو أن في تلك السورة صرف العناية الى تقرير الاصل الاول وهو التوحيد بقوله تعالى أجعل الآلهة الها واحدا وقوله تعالى أن امشوا واصبروا على آلهتكم وفي هذه السورة الى تقرير الاصل الآخر وهو الحشر بقوله تعالى أنذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ولما كان افتتاح السورة في ص في تقرير المبدأ قال في آخرها اذ قال ربك للملائكة ائني خالق بشرا من طين وختمه بحكاية بدء آدم لانه دليل الوحدةانية ولما كان افتتاح هذه آيات الحشر قال في آخرها يوم نشقى الارض عنهم مبرأ ذلك حشر علينا بسير * وأما التفسير ففقه مسائل (المسئلة الاولى) قيل (ق) اسم جبل محيط بالعالم وقيل معناه حكمة هي قولنا قضى الامر وفي ص صدق الله وقد ذكرنا أن الحروف تنبيهات قدمت على القرآن ابيق السامع مقبلا على استماع ما يرد عليه فلا يفوته شيء من الكلام الرائق والمعنى الفائق * وذكرنا أيضا أن العبادة منها قلبية

(ان الله يعلم غيب السموات والارض) أي ما غاب فيهما (والله بصير بما تعملون) في سركم وهلا ينكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرى بالياء * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجحرات أهبط من الاجر بعدد من أطاع الله وهناه * سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية * بسم الله الرحمن الرحيم * (ق والقرآن المجيد) أي ذى المجد والشرف على سائر الكتب أولاته كلام المجيد أولان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى

ومنها السانية ومنها جارية ظاهرة ووجد في الجارية ماعقل معناه ووجد منها ما لم يعقل معناه كاعمال الحج من الرمي والسعي وغيرهما ووجد في القلبية ماعقل بدليل كعلم التوحيد وامكان الحشر وصفات الله تعالى وصدق الرسل ووجد فيها ما يجدها عن كونها معقولة المعنى أمور لا يمكن التصديق والجزم بها لولا السمع كالصراط الممدود الاحد من السيف الالة من الشعر والميزان الذي يوزن به الاعمال فكذلك كان ينبغي أن تكون الاذكار التي هي العبادة السانية منها ما يعقل معناه كجميع اقرآن الاقل بلا منه ومنها ما لا يعقل ولا يفهم كحرف التهجي ليكون التلغظه ببعض الانقياد للامر لا لما يكون في الكلام من طيب الخشاكبة والقصد الى غرض كقولنا ربنا اغفر لنا وارحمنا ليكون النطق به تعبدا محضاً وبذلك اوجه آخر وهو أن هذه الحروف مقسم بها وذلك لان الله تعالى لما أقسم بالثنتين والزيوتون كان تشريفاً لهما فاذا أقسم بالحروف التي هي أصل الكلام الشريف الذي هو دلائل المعرفة وآلة التعريف كان أولى واذا عرفت هذا فنقول على هذا فيه مباحث (الاول) القسم من الله وقع بأمر واحد كافي قوله تعالى والعصر وقوله تعالى والنجم وبحرف واحد كافي قوله تعالى ص ون ووقع بأمرين كافي قوله تعالى والضحى والليل اذا سجد وفي قوله تعالى والسماء والطارق وبحرفين كافي قوله تعالى طه وطس ويس وح و بثلاثة أمور كافي قوله تعالى والصفوات فالزاجرات فالتاليات وبثلاثة أحرف كافي الم وفي طسم والروباربعة أمور كافي والذاريات وفي والسماء ذات البروج وفي ياليتين وبأربعة أحرف كافي المص والمر وبخمس أمور كافي والطور وفي والمرسلات وفي والنازعات وفي والفجر وبخمس أحرف كافي كهيعص وح عسق ولم يقسم بأكثر من خمسة أشياء الا في سورة واحدة وهي والشمس وضمها ولم يقسم بأكثر من خمسة أصول لانه يجتمع كلمة الاستئصال ولما استئفل حين ركب المعنى كان استئفاله حين ركب من غير اساطة العلم بالمعنى أو لا معنى كان أشد (البحث الثاني) عند القسم بالاشياء المعهودة ذكر حرف القسم وهي الواو فقال والطور والنجم والشمس وعند القسم بالحروف لم يذكر حرف القسم فلم يقل وفي وح لان القسم لما كان بنفس الحروف كان اشرف مقسم به فلم يورده في موضع كونه آله القسم تسوية بين الحروف * (البحث الثالث) أقسم الله بالاشياء كالنتين والطور ولم يقسم بأصولها وهي الجواهر الفردة والماء والتراب وأقسم بالحروف من غير تركيب لان الاشياء عنده يركبها على أحسن حالها وأما الحروف ان ركبت بمعنى يقع الخلف بمعناه لا ياللفظ كقولنا والسماء والارض وان ركبت لا بمعنى كان المفرد أشرف فاقسم بمفردات الحروف (البحث الرابع) أقسم بالحروف في أول ثمانية وعشرين سورة بالاشياء التي عددها عدد الحروف وهي غير والشمس في أربع عشرة سورة لان القسم بالامور غير الحروف وقع في أوائل السور وفي آئنها كقوله تعالى كلا والقمر والليل اذا أدبر وقوله تعالى والليل نوما وسق وقوله والليل اذا حسس والقسم بالحروف لم يوجد ولم يحسن الا في أوائل السور لان ذكر ما لا يفهم معناه في اثناء

(بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) أي لأن جاءهم منذر من جنسهم من جنس الملك أو من بلدتهم اضرب عما نبي عنه جواب القسم نخذ وف كانه قيل والقرآن المجيد أنزلناه اليك لتذريه الناس حسماً ورد في صدر سورة الاحرف كانه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا

الكلام المنظوم المفهوم يخل بالفهم ولما كان القسم بالاشياء موضعان والقسم
 بالحروف له موضع واحد جعل القسم بالاشياء في أوائل السور على نصف القسم بالحروف
 في أوائلها (البحث الخامس) القسم بالحروف وقع في النصفين جميعا بل في كل سبع
 وبالشياء المعدودة لم يوجد الا في النصف الاخير بل لم يوجد الا في السبع الاخير غير
 والصافات وذلك لا يبين أن القسم بالحروف لم ينفك عن ذكر القرآن أو الكتاب أو التزويل
 بعده الا نادرا فقال تعالى يس والقرآن الحكيم حم تنزيل الكتاب الم ذلك الكتاب ولما
 كان جميع القرآن معجزة مودة بالحروف وجد ذلك عاما في جميع المواضع ولا كذلك
 القسم بالاشياء المعدودة وقد ذكرنا شيئا من ذلك في سورة العنكبوت ولذا ذكر ما يخص
 بقاء قبل انه اسم جبل محيط بالارض عليه أطراف السماء وهو ضعيف لوجوه أحدها
 أن القراءة الكثيرة الوقف ولو كان اسم جبل لما جاز الوقف في الادراج لان من قال ذلك
 قال بان الله تعالى أقسم به وثانيها انه لو كان كذلك اذكر بحرف القسم كما في قوله تعالى
 والطور وذلك لان حرف القسم يخفف حيث يكون المقسم به مستحقا لأن يقسم به
 كقولنا الله لا فعل كذا واستحقاقه لهذا غنى عن الدلالة عليه باللفظ ولا يحسن أن يقال
 زيد لا فعلن ثالثها هو انه لو كان كما ذكرنا كان يكتب قاف مع الالف والفاء كما يكتب عين
 جاري فو يكتب أليس الله بكاف عبده وفي جميع المصاحف يكتب حرف ق رابعها هو أن
 الظاهر أن الامر فيه كالأمر في من بن وحمل وهي حروف لا كلمات وكذلك في ﴿ فان
 قيل هو منقول عن ابن عباس نقول المنقول عنه أن ق اسم جبل وأما ان المراد في هذا
 الموضع به ذلك فلا وقيل ان معناه قضى الأمر وفي من صدق الله وقيل هو اسم الفاعل من
 فقايقف ووص من صاد من المصاداة وهي المعارضة ومعناه هذا قاف جميع الاشياء
 بالكشف ومعناه حينئذ هو قوله تعالى ولا تطرب ولا يابس الا في كتاب مبين اذا قلنا ان
 الكتاب هناك القرآن هذا ما قيل في ﴿ وأما القراءة فيه فكثيرة وحصرها بيان معناها
 فنقول ان قلنا هي مبنية على ما بيننا فتحقق الوقف اذا طالع فيه ما يشبه بناء الاصوات
 ويجوز الكسر حذر من التقاء الساكنين ويجوز الفتح اختيارا للاخف فان قيل كيف
 جاز اختيار الفتح ههنا ولم يجز عند التقاء الساكنين اذا كان أحدهما آخر كلمة والآخر
 أول أخرى كافي قوله تعالى لم يكن الذين كفروا ولا تطرد الذين نقول لان هناك انما وجب
 التحريك وعين الكسر في الفعل لشبهة تحريك الاعراب لان الفعل محل يرد عليه الرفع
 والنصب ولا يوجد فيه الجر فاخترت الكسرة التي لا تخفى على أحد انها ليست بجر لان
 الفعل لا يجوز فيه الجر ولو فتح لاشبهه بالنصب وأما في أواخر الاسماء فلا استثناء لان الاسماء
 محل ترد عليه الحركات الثلاث فلم يكن يمكن الاحتراز فاخترنا للاخف وأما ان قلنا انها
 حرف مقسم به فتحققها الجر ويجوز النصب يجعله مفعولا بقسم على وجه الاتصال وتقدير
 البناء كأن لم يوجد وان قلنا هي اسم السورة فان قلنا مقسم بهام ذلك فتحققها الفتح لانها

كلام المنذر والمنذره
 مرضه لا تكبر والتعجب
 مع كونها أوفق شيء
 لقضية العقول وأقرب
 الى التلقي باقبول وقبل
 التقدير والقرآن المجيد
 انك لمنذر ثم قبل بعده
 انهم شكوا فيه ثم أضرب
 عنه وقبل بل عجبا أي
 لم يكنه وأياشك والرد بل
 جزموا بالخلاف حتى
 جعلوا ذلك من الامور
 العجيبة وقبل هو اضرب
 عما يفهم

لا تنصرف حينئذ فتخرج في موضع الجرك كما تقول وإبراهيم وأحمد في القسم بهما وإن قلنا أنه ليس مقسميها وقلنا اسم السورة فتحقق الرفع أن جعلناها خبراً تقديره هذه في وإن قلنا هو من ففأيقفوا فمعه التنوين أقولنا هذا داح وراع وإن قلنا اسم جبل فالجبل والتنوين أن كان قسماً * ولنعُد إلى التفسير فنقول الوصف قد يكون للتمييز وهو الأكثر أقولنا الكلام القديم لتمييز عن الحادث والرجل الكريم لتمييز عن اللثيم وقد يكون للجرد المدح أقولنا الله الكريم إذ ليس في الوجود اله آخر حتى تميزه عنه بالكريم وفي هذا الموضع يحتمل الوجهين والظاهر أنه لجرد المدح وأما التمييز فبأن يجعل القرآن اسماً المقروء ويدل عليه قوله تعالى ولو أن قرآننا سيرت به الجبال والمجيد العظيم وقبل المجيد هو كثير الكريم وعلى الوجهين القرآن مجيد أما على قولنا المجيد هو العظيم فلأن القرآن عظيم الفائدة ولأنه ذكر الله العظيم وذكر العظيم عظيم ولأنه لم يقدر عليه أحد من الخلق وهو آية العظمة يقال ملك عظيم إذا لم يكن يغلب ويدل عليه قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم أي الذي لا يقدر على مثله أحداً يكون معجزة دالة على نبوتك وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ أي محفوظ من أن يطلع عليه أحد إلا بإطلاعه تعالى فلا يدل ولا يغير ولا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو غير مقدور عليه فهو عظيم وأما على قولنا المجيد هو كثير الكريم فالقرآن كريم كل من طلب منه مقصوده وجدته وأنه مغنى كل من لا ذبه واغنى المحتاج غاية الكرم ويدل عليه هو أن المجيد مشروط بالمجيد في قولنا أنك حميد مجيد فالمجيد هو المشكور والشكر على الانعام والمنعم كريم فالمجيد هو الكريم البالغ في الكرم وفيه مباحث (الاول) القرآن مقسم به فإلما قسم عليه ماذا نقول فيه وجوه وضبطها بأن نقول ذلك إما أن يفهم بقرينة حالية أو قرينة مقابلة والمقابلة إما أن تكون مقدمة على المقسم به أو متأخرة فنقلنا بأنه مفهوم من قرينة مقابلة مقدمة فلا تقدم هناك لفظاً الا فيكون التقدير هذان القرآن المجيد أوق أزلهما الله تعالى والقرآن كما يقول هذا حاتم والله أي هو المشهور بالسخاء أو يقول الهلال رأته والله وإن قلنا بأنه مفهوم من قرينة مقابلة متأخرة فنقول ذلك أمران أحدهما المنذر والثاني الرجوع فيكون التقدير والقرآن المجيد أنك المنذر أو والقرآن المجيد أن الرجوع لكان لأن الأمرين ورد القسم عليهما ظاهراً أما الاول فيدل عليه قوله تعالى بس والقرآن الحكيم أنك لمن المرسلين إلى أن قال لتذرعوا ما أنذر آبائهم وأما الثاني فدل عليه قوله تعالى والطور وكتاب مسطور إلى أن قال إن عذاب ربك واقع وهذا الوجه يظهر غاية الظهور على قول من قال في اسم جبل فإن القسم يكون بالجبل والقرآن وهناك القسم بالطور والكتاب المسطور وهو الجبل والقرآن * فإن قيل أي الوجهين منهما أظهر عندك قلت الاول لأن المنذر أقرب من الرجوع ولأن الحروف رأيناها مع القرآن والمقسم كونه مرسلًا ومنذراً ومارأينا الحروف ذكرت وبعدها الحشر واعتبر ذلك في سور منها

من وصف القرآن بالمجيد
كأنه قيل ليس سبب
امتناعهم من الإيمان
بالقرآن أنه لا يجده ولا يكرز
لجملهم (فقال
الكافرون هذا شيء
عجيب) تفسير لتعجبهم
وبيان لكونه مفارنا
لغاية الانكار مع زيادة
تفصيل لمحل التعجب
وهذا إشارة إلى كونه
عليه الصلوات والسلام

لا تنصرف حينئذ فتفتح في موضع الجرك كما تقول وإبراهيم وأحمد في القسم بهما وإن قلنا أنه ليس مقسميها وقلنا اسم السورة فتحقق الرفع أن جعلناها خبراً تقديره هذه في وإن قلنا هو من قفايقفو فتحقق التنوين كقولنا هذا داح وراع وإن قلنا اسم جبل فالجر والتنوين أن كان قسماً * ولنعُد إلى التفسير فنقول الوصف قد يكون للتمييز وهو الأكثر كقولنا الكلام القديم لتمييز عن الحادث والرجل الكريم لتمييز عن اللئيم وقد يكون لجرد المدح كقولنا الله الكريم إذ ليس في الوجود إلا آخر حتى تميزه عنه بالكريم وفي هذا الموضع يحتمل الوجهين والظاهر أنه لجرد المدح وأما التمييز فبأن نجعل القرآن اسماً المقروء ويدل عليه قوله تعالى وإلّا قرآننا سيرت به الجبال والمجيد العظيم وقيل المجيد هو كثير الكرم وعلى الوجهين القرآن مجيد أما على قولنا المجيد هو العظيم فلأن القرآن عظيم الفائدة ولأنه ذكر الله العظيم وذكر العظيم عظيم ولأنه لم يقدر عليه أحد من الخلق وهو آية العظمة يقال ملك عظيم إذا لم يكن يغلب ويدل عليه قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم أي الذي لا يقدر على مثله أحداً يكون معجزة دالة على نبوتك وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ أي محفوظ من أن يطلع عليه أحد إلا بإحلامه تعالى فلا يدل ولا يغير ولا يأت به الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو غير مقدور عليه فهو عظيم وأما على قولنا المجيد هو كثير الكرم فالقرآن كريم كل من طلب منه مقصوده وجدته وأنه مغنى كل من لا ذبه واحتوائه المحتاج غاية الكرم ويدل عليه هو أن المجيد مشروط بالمجيد في قولنا أنك حميد مجيد فالمجيد هو المشكور والشكر على الانعام والمنعم كريم فالمجيد هو الكريم البالغ في الكرم وفيه مباحث (الاول) القرآن مقسم به فالتقسيم عليه ماذا نقول فيه وجوه وضبطها بأن نقول ذلك إما أن يفهم بقرينة حالية أو قرينة مقابلة والمقابلة إما أن تكون مقدمة على المقسم به أو متأخرة فإن قلنا بأنه مفهوم من قرينة مقابلة مقدمة فلا تقدم هناك نقضاً الا في فيكون التقدير هذاني والقرآن المجيد أوفى أزلها الله تعالى والقرآن كما يقول هذا حاتم والله أي هو المشهور بالسجاء أو يقول الهلال رأيته والله وإن قلنا بأنه مفهوم من قرينة مقابلة متأخرة فنقول ذلك أمران أحدهما المنذر والثاني الرجوع فيكون التقدير والقرآن المجيد أنك المنذر أو والقرآن المجيد أن الرجوع لكأن لأن الأمرين ورد القسم عليهما ظاهراً أما الاول فيدل عليه قوله تعالى يس والقرآن الحكيم أنك لمن المرسلين إلى أن قال لتذرعوا ما أنذر آبائهم وأما الثاني فدل عليه قوله تعالى والطور وكتاب مسطور إلى أن قال إن عذاب ربك واقع وهذا الوجه يظهر غاية الظهور على قول من قال في اسم جبل فإن القسم يكون بالجبل والقرآن وهناك القسم بالطور والكتاب المسطور وهو الجبل والقرآن * فإن قيل أي الوجهين منهما أظهر عندك قلت الاول لأن المنذر أقرب من الرجوع ولأن الحروف رأيناها مع القرآن والقسم كونه مرسلًا ومنذراً وما رأينا الحروف ذكرت وبعدها الحشر واعتبر ذلك في سورتها

من وصف القرآن بالمجيد
كأنه قيل ليس سبب
امتناعهم من الإيمان
بالقرآن أنه لا يجده ولكن
لجهلهم (فقال
الكافرون هذا شيء
عجيب) تفسير لتعجبهم
وبيان كونه مقارناً
لغاية الإنكار مع زيادة
تفصيل لمحل التعجب
وهذا إشارة إلى كونه
عليه الصلوة والسلام

قوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتندر ولأن القرآن معجزة ذالقة على كون محمد رسول الله فالقسم به عليه يكون إشارة إلى الدليل على طريقة القسم وليس هو بنفسه دليلا على الحشر بل فيه أمارات مفيدة المجرم بالحشر بعد معرفة صدق الرسول وأما أن قلنا هو مفهوم بقرينة حاله فهم وكون محمد صلى الله عليه وسلم على الحق والكلامه صفة الصدق فإن الكفار كانوا ينكرون ذلك والمختار ما ذكرناه (والثاني) بل عجبوا يقتضي أن يكون هناك أمر مضرب عنه فاذلك نقول قال الواحدى ووافقه الزمخشري أنه تقدير قوله ما الأمر كما يقولون وزيد ووضوحا فنقول على ما اخترناه فإن التقدير والله أعلم ق والقرآن المجيد أنك لتندر فكانه قال بعده وأنهم شكوا فيه فأضرب عنه * وقال (بل عجبوا أن جاءهم منذر) يعني لم يقتنعوا بالشك في صدق الأمر وطرحه بالترك وبعد الامكان بل جزموا بخلافه حتى جعلوا ذلك من الأمور العجيبة فإن قيل فالحكمة في هذا الاختصار العظيم في موضع واحد حذف المقسم عايه والمضرب عنه وأتى بأمر لا يفهم إلا بعد الفكر العظيم ولا يفهم مع الفكر إلا بالتوفيق العزيز فنقول إنما حذف المقسم عليه لأن الترك في بعض المواضع يفهم منه ظهور لا يفهم من الذكرو ذلك لأن من ذكر الملك العظيم في مجلس وأثنى عليه يكون قد عظمه فإذا قال له غيره هو لا يذكر في هذا المجلس يكون بالارشاد إلى ترك الذكرو لا على عظيمته فوق ما يستفيد صاحبه بذكره فالله تعالى يقول لبيان رسالتك أظهر من أن يذكروا ما حذف المضرب عنه فلان المضرب عنه إذا ذكر وأضرب عنه بأمر آخر إنما يحسن إذا كان بين المذكورين تفاوت ما فإذا عظم التفاوت لا يحسن ذكرهما مع الاضرب مثاله يحسن أن يقال الوز يزيعظم فلان نابل الملك يعظمه ولا يحسن أن يقال البواب يعظم فلان نابل الملك يعظمه ليكون البون بينهما بعيدا إذا الاضرب لا تدرج فإذا ترك المتكلم المضرب عنه صريحا وأتى بحرف الاضرب استفيد منه أمر أن أحدهما أنه يشير إلى أمر آخر قبله وثانيهما أنه يجعل الثاني تفاوتاً عظيماً مثل ما يكون مما لا يذكر وههنا كذلك لأن الشك بعد قيام البرهان بعيد لكن القطع بخلافه في غاية ما يكون من البعد (المبحث الثالث) أن مع الفعل يكون بمثابة ذكر المصدر تقول أمرت بأن أقوم وأمرت بالقيام ونقول ما كان جوابه إلا أن قال وما كان جوابه الا قوله كذا وكذا وإذا كان كذلك فليزىل عن الاتيان بالمصدر حيث جاز أن يقال أمرت أن أقوم من غير حرف الا لصاق ولا يجوز أن يقال أمرت القيام بل لابد من الباء ولذلك قالوا أي عجبوا من مجيئه نقول أن جاءهم وإن كان في المعنى قائماً مقام المصدر لكنه في الصورة فعل وحرف وحروف التعدية كلها حروف جارة والجار لا يدخل على الفعل فكان الواجب أن لا يدخل فلا أقل من أن يجوز عدم الدخول فجاز أن يقال عجبوا أن جاءهم ولا يجوز عجبوا مجيئهم لعدم المانع من ادخال الحرف عليه * وقوله تعالى (منهم) يصلح أن يكون مذكورا كالمقرر

منذرا بالقرآن واضمارهم
أولا الاشعار بتعنيهم
بما أسند اليهم واطهارهم
ثانيا للتسجيل عليهم
بالكفر بموجه أو عطف
لتعجبهم من البعث على
تعجبهم من البعث على
أن هذا إشارة إلى مبهم
يفسره ما بعده من الجملة
الانكارية ووضع المظهر
موضع المضمرة اما السبق

البعد وقوله هذا إشارة الى الحاضر القريب فينبغي أن يكون المشار اليه بذلك غير المشار اليه بهذا وذلك لا يصح الاعلى قولنا * ثم قال تعالى (أئنذا متنا وكنترا با بذلك رجع بعيد) فانهم لما أظهروا المحجب من رسالته أظهروا استبعاد كلامه وهذا كما قلنا تعالى عنهم قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى * وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله انذا متنا وكنترا با انكار منهم بقول أو بمفهوم دل عليه قوله تعالى جاءهم منذر لان الانذار للملم يكن الا بالاعذاب المتيمة والعقاب الاليم كان فيه الاشارة للعشر فقالوا انذا متنا وكنترا با (المسئلة الثانية) ذاك اشارة الى ما قلناه وهو الانذار وقوله هذا شئ عجيب اشارة الى المحجب على ما قلنا فلما اختلفت الصفتان نقول المحجب والجائي كل واحد حاضر وأما الانذار وان كان حاضرا لكن ان يكون المنذر به لما كان غير حاضر قالوا فيه ذلك والرجع مصدر رجع يرجع اذا كان متعبا والرجوع مصدره اذا كان لازما وكذلك الرجعي مصدر غدر وزومه والرجع أيضا يصح مصدر لازم فيحتمل أن يكون المراد بقوله ذلك رجع بعيد أي رجوع بعيد ويحتمل أن يكون المراد الرجوع المتعدي ويدل على الاول قوله تعالى ان الى ربك الرجعي وعلى الثاني قوله تعالى اننا لمرءودون أي مرجعون فانه من الرجع المتعدي فان قلنا هو من المتعدي فقد أنكروا كونه مقدورا في نفسه * ثم ان الله تعالى قال (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) وعندنا كتاب حفيظ (اشارة الى داييل جواز البعث وقدرته تعالى عليه وذلك لان الله تعالى عالم بجميع أجزاء كل واحد من الموتي لا يشبهه عليه جزء أحد على الآخر وقادر على الجمع والتأليف فليس الرجوع منه بعيد وهذا كقوله تعالى وهو الخلاق العليم حيث جعل للعالم مدخلا في الاعادة وقوله قد علمنا ما تنقص الارض يعني لا تخفى علينا أجزاءهم بسبب نشئها في تخوم الارضين وهذا جواب لما كانوا يقولون انذا ضلنا في الارض يعني ان ذلك اشارة الى أنه تعالى كما يعلم اجزاءهم يعلم أعمالهم من ظاهريهم وتعمديهم بما كانوا يفعلون وبما كانوا يعملون ويحتمل أن يقال معنى قوله تعالى وعندنا كتاب حفيظ هو أنه عالم بتفاصيل الاشياء وذلك لان العلم اجمالي وتفصيلي فالاجالي كما يكون عند الانسان الذي يحفظ كتابا ويفهمه ويعلم أنه اذا سئل عن أية مسألة تكون في الكتاب يحضر عنده الجواب ولكن ذلك لا يكون نضب عينه حرفا بحرف ولا يخطر بباله في حادثة يا بابا أو فصلا فصلا ولكن عند العرض على الذهن لا يحتاج الى تجديد فكر وتجدد نظر والتفصيلي مثل الذي يعبر عن الاشياء والكتاب الذي كتب فيه تلك المسائل وهذا لا يوجد عند الانسان الا في مسألة ومثلتين أما بالنسبة الى كتاب فلا يقال وعندنا كتاب حفيظ يعني العلم عندي كما يكون في الكتاب أعلم جزأ جزأ وشئنا شيئا والحفيظ يحتمل أن يكون بمعنى المحفوظ أي محفوظ من التغير والتبدل ويحتمل أن يكون بمعنى الحافظ أي حافظ أجزاءهم وأعمالهم بحيث لا ينسى شيئا منها والثاني هو الاصح اوجهين أحدهما أن الحفيظ بمعنى الحافظ

(أئنذا متنا وكنترا با)

تقرير للعجب وتأكيده
للاينكار والعامل في اذا
مضمر فني عن البيان
لغاية شهرته مع دلالة
ما بعده عليه أي احين
تموت وتصير ترايا
نرجع كما ينطق به التندير
والمنذر به مع كمال
التباين بيننا وبين
الحياة حينئذ وقرئ
اذا متنا على لفظ الخبر
أو على حذف أداة
الانكار (ذلك) اشارة
الى محل النزاع (رجع
بعيد) أي عن الاوهام
أو العادة أو الامكان
وقيل الرجوع بمعنى
الرجوع الذي هو
الجواب فتناصب
الطرف حينئذ ما ينبغي
عنه المنذر من البعث

وارد في القرآن قال تعالى وما أنت عليهم بحفيظ وقال تعالى والله حفيظ عليهم ولان الكتاب على ما ذكرنا للتمثيل فهو يحفظ الاشياء وهو مستغن عن أن يحفظ * وقوله تعالى (بل كذبوا بالحق) رد عليهم فان قيل ما المضروب عنه تقول فيه وجهان (أحدهما) تقديره لم يكذب المنذر بل كذبوا هم وتقريره هو أنه تعالى لما قال عنهم انهم قالوا هذا شيء عجيب كان معنى قوتهم ان المنذر كاذب فقال تعالى لم يكذب المنذر بل هم كذبوا فان قيل ما الحق تقول يحتمل وجوها (الاول) البرهان القائم على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (الثاني) الفرقان المنزل وهو قرين من الاول لانه برهان (الثالث) الثبوت الثابتة بالمجزة القاهرة فانها حق (الرابع) الحشر الذي لا بد من وقوته فهو حق فان قيل بين لنا معنى الباء في قوله تعالى بالحق وأيضا حاجة اليها يعني أن التكذيب متعمد بنفسه فهل هي للتعمدية الى مفعول ثان أو هي زائدة كما في قوله تعالى فسنبصرو وبصرون بأيكم الفتون نقول فيه بحث وتحقيق وهي في هذا الموضع لظهوره معنى التعمدية وذلك لان التكذيب هو النسبة الى الكذب لكن النسبة تارة توجد في القائل وأخرى في القول تقول كذبت فلان وكنت صادقا وتقول كذب فلان قول فلان ويقال كذبه أي جعله كاذبا وتقول قلت فلان زيديجي غدا فتأخر غدا حتى كذبتني وكذب قولني والتكذيب في القائل يستعمل بالياء وبدونها قال تعالى كذبت ثمود المرسلين وقال تعالى كذبت ثمود بالذر وفي القول كذلك غير أن الاستعمال في القائل بدون الباء أكثر قال تعالى فكذبوه وقال وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك الى غير ذلك وفي القول الاستعمال بالياء أكثر قال الله تعالى فكذبوا بآياتنا كلها وقال كذبوا بالحق وقال تعالى وكذب بالصدق اذ جاءه والتحقيق فيه هو أن المفعول المطلق هو المصدر لانه هو الذي يصدر من الفاعل فان من ضرب لم يصدر منه غير الضرب غير أن له محلا يقع فيه فيسمى مضروبا ثم اذا كان ظاهرا لكونه محلا للفعل يستغنى بظهوره عن الحرف فيعدي من غير حرف يقال ضربت عمرا وشربت لبنا للعلم بأن الضرب لا بد له من محل يقوم به والشرب لا يستغنى عن مشروب يتحقق فيه واذا قلت مررت يحتاج الى الحرف ليظهر معنى التعمدية لعدم ظهوره في نفسه لان من قال مر السحاب يفهم منه مروره ولا يفهم منه من مر به ثم ان الفعل قد يكون في الظهور دون الضرب والشرب وفي الخفاء دون المرور فيجوز الاتيان فيه بدون الحرف لظهوره الذي فوق ظهور المرور ومع الحرف لكون الظهور دون ظهور الضرب ولهذا لا يجوز أن تقول ضربت بعمر والاذا جعلته آلة الضرب أما اذا ضربته بسوط أو غيره فلا يجوز فيه زيادة الباء ولا يجوز مرابه الامم الاشتراك وتقول مسبحته ومسبحته وشكرته وشكرته له لان المسبح امر ارا ليد بالشيء فصار كالمرور والشكر فعل جليل غير أنه يقع بحسن فالاصل في الشكر الفعل الجليل وكونه واقعا بغيره كالبيع بخلاف الضرب فانه اساس جسم يجسم بعنف فالضرب داخل في مفهوم الضرب أولا والمشكور

(قد علمنا ما تنقص الارض منهم) رد لاستبعادهم وازاحة له فان علم علمه ولطف حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من أجساد الموتي وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم أحياء كما كانوا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم (وعندنا كتاب حفيظ) حافظ لتفاصيل الاشياء كلها أو محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتأني منه كل شيء أو تأكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) اضراب وانتقال من بيان شأنهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وأفظع

وهو تكذيبهم للشبهة
 الشائنة بالمعجزات
 الباهرة (لما جاءهم)
 من غير تأمل وتفكر
 وقرى لما جاءهم بالكسرة
 على أن اللام للتوقيت
 أي وقت مجيئه إياهم
 وقيل الحق القرآن
 أو الأخبار بالبعث
 (فهم في أمر مريخ)
 أي مضطرب لاقتراره
 من مرج الخاتم في اصبعه
 حيث يقولون تارة أنه
 شاعر وتارة ساحر
 وأخرى كاهن (أقل
 ينظروا) أي أغفلوا
 أو أعوا فلم ينظروا
 (إلى السماء فوقهم)
 بحيث يشاهدونها
 كل وقت (كيف بيناها)
 أي رفعناها بغير عمد
 (وبيناها) بما فيها
 من الكواكب المرتبة
 على نظام بدیع (ومالها
 من فروج) من فوق
 للاستئناس وسلامتها
 من كل عيب وخلل
 تأخير هذا للمراعاة
 القواصل (والارض
 مددناها) أي بسطناها
 (وألقينا فيها رواسي)

داخل في مفهوم الشكر ثانيا إذا عرفت هذا فالتكذيب في القائل ظاهر لانه هو الذي
 يصدق أو يكذب وفي القول غير ظاهر فكان الاستعمال فيه بالباء أكثر والباء فيه لظهور
 معنى التعديته * وقوله (لما جاءهم) في الجائي وجهان (أحدهما) انه هو المكذب تقديره
 كذبوا بالحق لما جاءهم الحق أي لم يؤخروه إلى الفكر والتدبر (ثانيهما) الجائي ههنا هو
 الجائي في قوله تعالى بل عجبا أن جاءهم منذر منهم تقديره كذبوا بالحق لما جاءهم المنذر
 والاول لا يصح على قولنا الحق هو الرجوع لانهم لا يكذبون به وقت المجيء بل يقولون هذا
 ما وعد الرحمن * وقوله (فهم في أمر مريخ) أي مختلف مختلفا في الزجاج وغيره لانهم تارة
 يقولون ساحر وأخرى شاعر وطورا ينسبونه إلى الكهانة وأخرى إلى الجنون والاصح أن
 يقال هذا بيان الاختلاف المذكور في الآيات وذلك لأن قوله تعالى بل عجبا يدل على أمر
 سابق أضرب عنه وقد ذكرنا أنه الشك وتقديره والقرآن المجيد أنك لمنذر وانهم شكوا
 فيك بل عجبا بل كذبوا وهذه مراتب ثلاث الاولى الشك وقوفها التعجب لان الشك
 يكون الأمران عنده سبين والمتعجب يترجح عنده اعتقاد عدم وقوع العجيب لكنه
 لا يقطع به والمكذب الذي يجزم بخلاف ذلك فكأنهم كانوا أشاكين وصاروا ظانين وصاروا
 جازمين فقال فهم في أمر مريخ ويدل عليه القاء في قوله فهم لانه حينئذ يصير كونهم في أمر
 مريخ مرتبة أعلى من تقدم وفيما ذكره لا يكون مرتبة فان قبل المريج الخطأ وهذه أمور
 مرتبة متميزة على مقتضى العقل لان الشك ينتهي إلى درجة الظن والظن ينتهي إلى درجة
 القطع وعند القطع لا يبقى الظن وعند الظن لا يبقى الشك وأما ما ذكره وافقيه يحصل
 الاختلاط لانهم لم يكن لهم في ذلك ترتيب بل تارة كانوا يوقنون كاهن وأخرى يجنون ثم
 كانوا يعودون إلى نسبته إلى الكهانة بعد نسبته إلى الجنون وكذا إلى الشعر بعد الحجر
 وإلى السحر بعد الشعر فهذا هو المريج نقول كان الواجب أن ينتقلوا من الشك إلى الظن
 بصدقه لعلمهم بأمانته واجتنابه الكذب طول غره بين أظهرهم ومن الظن إلى القطع
 بصدقه لظهور المعجزات القاهرة على يديه وأسانيه فلما غيروا الترتيب حصل عليه المريج
 ووقع الدرك مع المريج وأما ما ذكره فالأثر به تفسير قوله تعالى انكم أني قول مختلف لان
 ما كان يصدر منهم في حقه كان قولا مختلفا وأما الشك والظن والجزم فأمور مختلفة وفيه
 لطيفة وهي أن إطلاق لفظ المريج على ظنهم وقطعهم بنبى عن عدم كون ذلك الجرم صحيحا
 لان الجرم الصحيح لا يتغير وكان ذلك منهم واجب التغير وكان أمرهم مضطربا بخلاف
 المؤمن الموفق فانه لا يقع في اعتقاده تردد ولا يوجد في معتقده تعدد * ثم قال تعالى
 (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بيناها وزيناها وما لها من فروج) إشارة إلى الدلائل
 الذي يدفع قولهم ذلك رجوع بعيد وهذا كما في قوله تعالى أوليس الذي خلق السموات
 والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق
 الناس وقوله تعالى أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر

على أن يحى الموتى بلى وفيه مسائل (المسألة الأولى) همزة الاستفهام تارة تدخل على الكلام ولا واو قيد وتارة تدخل عليه وبعدها واو فهل بين الحالتين فرق نقول فرق أدق على الفرق وهو أن يقول القائل أزيد في الدار بعدو قد طلعت الشمس يذكره للانكار فإذا قل أزيد في الدار بعدو قد طلعت الشمس يشير بالواو إشارة خفية الى أن فبح فعله صار بمنزلة فعلين فيحين كانه يقول بعد ما سمع من صدر عن زيد هو في الدار اغفل وهو في الدار بعد لان الواو تنبئ عن صنف أمر غابر لما بعدها وان لم يكن هناك سابق ولكنه يوحى بالواو اليه زيادة في الانكار فان قيل قال في موضع أول ينظروا وقال ههنا أفلم ينظروا بالغاء فما فرق نقول ههنا سبق منهم انكار الرجوع فقال بحرف التعقيب بخالفه فان قيل ففي يس سبق ذلك بقوله قال من يحى العظام نقول هناك الاستدلال بالسموات لما يعقب الانكار على عقيب الانكار استدل بدليل آخر وهو قوله تعالى قل يحىيها الذي أنشأها أول مرة ثم ذكر الدليل الآخر وههنا الدليل كان عقيب الانكار فذكر بالغاء وأما قوله ههنا بلغظ النظر وفي الاحتاق بلغظ الرؤية ففيدة لطيفة وهي أنهم ههنا لما استبعدوا أمر الرجوع بقولهم ذاك رجوع بعيد استبعدوا استبعادهم وقال أفلم ينظروا الى السماء لان النظر دون الرؤية فكان النظر كان في حصول العلم بانكار الرجوع ولا حاجة الى الرؤية ليقم الاستبعاد في مقابلة الاستبعاد وهناك لم يوجد منهم انكار مذكور فأرشدتهم اليه بالرؤية التي هي أتم من النظر ثم انه تعالى كمل ذلك وجهه بقوله الى السماء ولم يقل في السماء لان النظر في الشيء ينبي عن التأمل والمبالغة والنظر الى الشيء لا ينبي عنه لان الغاية فيتم النظر عنه في الدخول في معنى الظرف فإذا انتهى النظر اليه ينبغي أن يفقد فيه حتى يصح معنى النظر فيه وقوله تعالى فوقهم تأكيد آخر أي وهو ظاهر فوق رؤسهم غير غائب عنهم وقوله تعالى كيف بيناها وزيناها وبالها من فروع إشارة الى وجه الدلالة وأولوية الوقوع وهي للرجوع أما وجه الدلالة فان الانسان له أساس هي العظام التي هي كالعمامة وقوى وأنوار كالسمع والبصر فبناء السماء أرفع من أساس البدن وزينة السماء اكمل من زينة الانسان بالحج وشكم وأما الأولوية فان السماء مالها من فروع فتأليفها أشد والانسان فروع ومسام ولا شك أن التأليف الأشد كالنسيج الاضعف والتأليف الاضعف كالنسيج الاسخف والاول أصعب عند الناس وأعجب فكيف يستبعدون الادون مع علمهم بوجود الاعلى من الله تعالى قالت الفلاسفة الآية دالة على أن السماء لا تقبل الحرق وكذلك قالوا في قوله هل ترى من فطور وقوله سبحانه ادا وتسفوا فيه لان قوله تعالى مالها من فروع صريح في عدم ذلك والاخبار عن عدم الشيء لا يكون اخبارا عن عدم امكانه فان قال مانع لان لا يدل على نفي امكانه ثم انه تعالى بين خلاف قولهم بقوله واذا السماء قربت وقال اذا السماء انفطرت وقال فهي يومئذ واهبة في مقابلة قوله سبحانه ادا وقال فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان الى غير ذلك والكل

جبا لا ثوابت من رسا
الشيء اذا ثبت والتعبير
عنها بهذا الوصف
للايذان بان القاءها
بارساء الارض بها
(وأثبتنا فيها من كل
زوج) من كل صنف
(بهج) حسن (تبصرة
وذكرى) علنان للافعال
المذكورة معنى وان
انصبنا بالفعل الاخير
أو لفعل مقدر بطريق
الاستثنائي أي فعلنا
ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا
(لكل عبيد عيب) أي
راجع الى ربه متفكر
في بدائع صنائعه وقوله
تعالى (وزننا من السماء
ماء مباركا) أي كثير
المنافع شروع في بيان
كيفية انبات ما ذكره
من كل زوج بهج
وهو عطف على أثبتنا
وما بينهما على الوجه
الاخير اعتراض مقرر
لما قبله ومنبه على ما بعده
(فانبتابه) أي بذلك
الماء (جنات) كثيرة أي
أشجارا خضوات ثم

في الرد عليهم صريح وما ذكره في الدلالة ليس بظاهر بل وليس له دلالة خفية أيضا وأما دليلهم المقول فاضعف وأسخف من تمسكهم بالمشول * ثم قال تعالى (والارض مددناها والفيناء فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) إشارة الى دليل آخر ووجه دلالة الارض هو أنهم قالوا الانسان اذا مات وعرفته القوة الغذائية والنامية لا تعود اليه تلك القوى فنقول الارض أشد جودا وأكثر جودا والله تعالى ينبت فيها أنواع النبات وينمو يزيد فكذلك الانسان تعود اليه الحياة وذلك في الارض ثلاثة أمور كاذب كرفي السماء ثمة أمور في الارض المد والرواسي والانبثاق فيها وفي السماء انبثاق والتزيين وسد وج وكل واحد في مقابلة واحد فالمد في مقابلة البناء لأن المد وضع والبناء رفع والرواسي في الارض ثابتة والكواكب في السماء مركزية مزينة لها والانبثاق في الارض شقها كما قال تعالى انما صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وهو على خلاف سد الفروج واعدامها اذا علمت هذا في الانسان أشياء موضوعة وأشياء مرفوعة وأشياء ثابتة كالانف والاذن وأشياء متحركة كاللثة واللسان وأشياء مسدودة الفروج كدور الرأس والاضحية المنسوجة نسجا ضعيفا كالاصفاق وأشياء لها فروج وشقوق كالناخر والصماخ والقم وغيرها فالقادر على الاضداد في هذا المهاد في السبع الشداد غير عاجز عن خلق نظيرها في هذه الاجساد * تفسير الرواسي قد ذكرناه في سورة لقمان والبهيج الحسن * وقوله تعالى (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) يحتمل أن يكون الامر ان عائد ين الى الامر بن المذكورين وهما السماء والارض على ان خلق السماء تبصرة وخلق الارض ذكرى ويدل عليه ان السماء زينتها مستمرة غير مستجيبة في كل عام فهي كالشيء المرتق على مرور الزمان وأما الارض فهي كل سنة تأخذ زخرفها فذكر السماء تبصرة والارض تذكرة ويحتمل أن يكون كل واحد من الامر بن موجودا في كل واحد من الامر بن فالسما تبصرة والارض كذلك والفرق بين التبصرة والتذكرة هو ان في آيات مستمرة منصوبة في مقابلة البصائر وآيات متجددة مذكرة عند التناسي وقوله لكل عبد منيب أي راجع الى التفكير والتذكر والنظر في الدلائل * ثم قال تعالى (ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات) إشارة الى دليل آخر وهو ما بين السماء والارض فيكون الاستدلال بالسماء والارض وما بينهما وذلك انزال السماء من فوق واخراج النبات من تحت وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذا الاستدلال قد تقدم بقوله تعالى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فالقاعدة في اعادته بقوله فانبتنا به جنات وحب الحصيد نقول قوله فانبتنا استدلال بنفس النبات أي الاشجار تنمو وتزيد فكذلك بدن الانسان بعد الموت ينمو ويزيد بأن يرجع الله تعالى اليه قوة النشوء والماء كما يعيدها الى الاشجار بواسطة ماء السماء وحب الحصيد فيه حذف تقديره وحب الزرع

(وحب الحصيد) أي حب الزرع الذي شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات (والنخل) عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة القواصل (باسقات) أي طوالا أو حوامل من أبسقت الشاة اذا حلت فيكون من باب فعل فهو فاعل وقرئ بإسقات لاجل القاف (لها طلع نصيد) أي منضود بعضها فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر

الحصيد وهو المحصول أى أنشأنا جنات يقطف ثمارها وأصولها باقية وزرعها يحصد كل سنة
 ويزرع في كل عام أو عامين ويحتمل أن يقال التقدير وثبت الحب الحصيد والاول هو
 المختار وقوله تعالى والنخل باسقات اشارة الى المختلط من جنسين لان الجنات تقطف
 ثمارها وتثمر من غير زراعة في كل سنة لكن النخل يثمر واول الثأير لم يثمر فهو جنس مختلط
 من الزرع والشجر فكانه تعالى خلق ما يقطف كل سنة ويزرع وخلق ما لا يزرع كل سنة
 ويقطف مع بقاء اصلها وخلق المركب من جنسين في الاثمار لان بعض الثمار فاكهة
 ولا قوت فيه وأكثر الزرع قوت والثمر فاكهة وقوت والبسقات الطوال من النخل
 وقوله تعالى باسقات يؤكده كمال القدرة والاختيار وذلك من حيث ان الزرع ان قيل
 فيه انه يمكن ان يقطف منه ثمرة اضعفه وضعف حجمه وكذلك يحتاج الى اطاقته كل سنة
 والجنات لكبرها وقوتها تبقى وتثمر سنة بعد سنة فيقال أليس النخل الباسقات أكبر
 وأقوى من الكرم الضعيف والنخل محتاجة كل سنة الى عمل عامل والكرم غير محتاج
 فאלله تعالى هو الذى قدر ذلك لذلك لانه أكبر والصغير والطول والقصر * قوله تعالى (لها
 ظلم نصيب) أى منضود بعضها فوق بعض فى أحكامها كما فى سنبلة الزرع وهو عجيب فان
 الاشجار الطوال اثمارها بارزة مقبزة بعضها من بعض لكل واحد منها أصل يخرج منه
 كالجوز واللوز وغيرهما والطلع كالسنبلة الواحدة يكون على أصل واحد * ثم قال
 تعالى (رزقا للعباد) وفيه وجهان أحدهما نصب على المصدر لان الانبات رزق فكانه
 تعالى قال أنبتناها انباتا للعباد والثاني نصب على كونه مفعولا له كأنه قال أنبتناها
 لرزق العباد وههنا مسائل (المسئلة الاولى) قال فى خلق السماء والارض تبصرة وذكرى
 وفى الثمار قال رزقا والثمار أيضا فيها تبصرة وفى السماء والارض أيضا منفعة غير التبصرة
 والتذكير فالحكمة فى اختيار الامر بنقول فيه وجوه أحدها أن نقول الاستدلال
 وقع اوجود أمرين أحدهما الاعادة والثاني البقاء بعد الاعادة فان اتبى صلى الله عليه
 وسلم كان يخبرهم بحشر وجمع يكون بعده الثواب الدائم والعقاب الدائم وأنكروا
 ذلك فأما الاول فالله قادر على خلق السموات والارض قادر على خلق الخلق بعد الفناء
 وأما الثاني فلان البقاء فى الدنيا بالرزق والقادر على اخراج الارزاق من الجبم والشجر
 قادر على أن يرزق العبد فى الجنة ويبقى فكان الاول تبصرة وتذكير بالخلق والثاني
 تذكرة بالبقاء بالرزق ويدل على هذا الفصل بينهما بقوله تبصرة وذكرى حيث ذكر ذلك
 بعد الآيتين ثم بدأ بذكر الماء وانزاله وانباته النبات * ثانيها ان منفعة الثمار الظاهرة هى
 الرزق فذكرها ومنفعة السماء الظاهرة ليست أمر اعادها الى انتفاع العباد لمعدها عن
 ذهنهم حتى انهم لو توهموا عدم الزرع والثمر لظنوا ان يهلكوا ولو توهموا عدم السماء
 فوقهم لقالوا لا يضرنا ذلك مع ان الامر بالعكس أولى لان السماء سبب الارزاق بتقدير
 الله وفيها غير ذلك من المنافع والثمار ان لم تكن كان العيش كما أنزل الله على قوم المن

والجملة حال من النخل
 كما سفت بطريق
 الترادف أو من ضميرها
 فى باسقات على التداخل
 أو الحلال هو الجار
 والمجرور وطلع مرتفع
 به على الفاعلية وقوله
 تعالى (رزقا للعباد)
 أى ليرزقهم صلة لقوله
 تعالى فأنبتنا وفى تعليقه
 بذلك بعد تعليل أنبتنا
 الاول بالتبصرة والتذكير
 ينبىء على أن الواجب
 على العبد أن يكون
 انتفاعه بذلك من حيث
 التذكر والاستبصار
 أهم وأقدم من تنعمه به
 من حيث الرزق وقيل
 رزقا مصدر من معنى
 أنبتنا لان الانبات رزق
 (وأحيينا به) أى بذلك
 الماء (بلدة ميتا) أرضا
 جديدة لا بناء فيها أصلا
 بأن جعلناها بحيث
 ربت وأنبت

والسلاوي وعلى قوم المائدة من السماء فذكر الاظهر للناس في هذا الموضع * ثالثها قوله
 رزقا اشارة الى كونه منعما لتكون تكديهم في غابة القبح فانه يكون اشارة بالمنعم وهو
 افعج ما يكون (المسئلة الثانية) قال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب فقيد العبد بكونه منيبا
 وجعل خلقها نصرة لعباده المخلصين وقال رزقا لعماده لما لقا لان الرزق حصل لكل أحد
 غير ان المنيب يأكل ذاكر اشكرا الانعام وغيره يا كل كما تاكل الانعام فلم يخص الرزق
 بقيد (المسئلة الثالثة) ذكر في هذه الآية أمور ثلاثة أيضا وهي انبات الجنات والحب
 والنخل كما ذكر في السماء والارض في كل واحدة أمور ثلاثة وقد ثبت ان الامور الثلاثة
 في الآيتين المتقدمين متناسبة فهل هي كذلك في هذه الآية نقول قد بينا ان الامور
 الثلاثة اشارة الى الاجناس الثلاثة وهي التي يبقى أصلها سنين ولا تحتاج الى عمل عامل
 والتي لا يبقى أصلها وتحتاج كل سنة الى عمل عامل والتي يحتمل فيها الامر ان يلبس شيء من
 الثمار والزرع خارجا عنها أصلا كما ان أمور الارض منحصرة في ثلاثة ابتداء
 وهو الملد ووسط وهو النبات بالجبال الراسية وثالثها هو غاية الكمال وهو الانبات والترتين
 بالخراف * ثم قال تعالى (وأحيينا به بلدة مينا) عطفا على انبتنا به وفيه بحثان (الاول) ان
 قلنا ان الاستدلال بابات الزرع وانزال الماء كان لاسكان البقاء بالرزق فقوله وأحيينا به
 اشارة الى أنه دال على الاعادة كما أنه دليل على البقاء ويدل عليه قوله تعالى كذلك الخروج
 فان قيل كيف يصح قولك استدلالا وانزال الماء كان لبيان البقاء مع أنه تعالى قال بعد ذلك
 وأحيينا به بلدة مينا * وقال (كذلك الخروج) فيكون الاستدلال على البقاء قبل الاستدلال
 على الاحياء والاحياء سابق على الابقاء فينبغي ان يبين أولا أنه يحوي الموتى ثم يبين أنه يقيهم
 نقول لما كان الاستدلال بالسموات والارض على الاعادة كافيا بعد ذكر دلائل الاحياء ذكر
 دليل الابقاء ثم عاد واستدرك فقال هذا الدليل الدال على الابقاء دال على الاحياء وهو غير
 محتاج اليه لسبق دلائل قاطعين فبدأ ببيان البقاء وقال وانبتنا به جنات ثم ثنى باعادة ذكر
 الاحياء فقال وأحيينا به وان قلنا ان الاستدلال بانزال الماء وانبات الزرع لبيان امكان
 الحشر فقوله وأحيينا به ينبغي أن يكون مغايرا لقوله فأنبينا به بخلاف ما اوفقنا بالقول
 الاول لان الاحياء وان كان غير الانبات لكن الاستدلال لما كان به على أمرين متغايرين
 جاز العطف نقول خرج للتجارة وخرج الزبارة ولا يجوز أن يقال خرج للتجارة وذهب
 للتجارة الا اذا كان الذهاب غير الخروج فنقول الاحياء غير انبات الرزق لان بانزال الماء
 من السماء يخضر وجه الارض ويخرج منها أنواع من الازهار ولا يتغذى به ولا يقات
 وانما يكون به زينة وجه الارض وهو أعم من الزرع والشجر لانه يوجد في كل مكان
 والزرع والثمر لا يوجدان في كل مكان فكذلك هذا الاحياء فان قيل فكان ينبغي ان يقدم
 في الذكر لان اخضرار وجه الارض يكون قبل حصول الزرع والثمر ولانه يوجد في كل
 مكان بخلاف الزرع والثمر نقول لما كان انبات الزرع والثمر اكل نعمة قدمه في الذكر

أنواع النبات والازهار
 فصارت تهتر بها بعد
 ما كانت جامدة هامة
 وذكير ميتا لان البلدة
 بمعنى البلد والمكان
 (كذلك الخروج)
 جلة قدم فيها الخير
 للقصد الى القصر
 وذلك اشارة الى الحياة
 المستفادة من الاحياء
 وما فيه من معنى البعد
 للاشعار ببعدها
 أي مثل تلك الحياة
 اليد يعطى حيا تكمل
 بالبعث من القبور لاشي
 مخالف لها وفي التعبير
 عن اخراج النبات من
 الارض بالاحياء وعن
 حياة الموتى بالخروج
 تفخيم اشارة الانبات
 وهو يني الامر بالبعث
 وتحقيق للمعاني بين
 اخراج النبات واحياء

(الثاني) في قوله بلدة ميتا نقول جازا ثبات التاء في الميت وحذفها عند وصف المؤنث بها لان الميت تخفيف للميت والميت فعل بمعنى قاتل فيجوز فيه اثبات التاء لان التسوية في الفعل بمعنى المفعول كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين فان قيل لم سوى بين المذكر والمؤنث في الفعل بمعنى المفعول قلنا لان الحاجة الى التمييز بين الفاعل والمفعول أشد من الحاجة الى التمييز بين المفعول المذكر والمفعول المؤنث نظرا الى المعنى ونظرا الى اللفظ وأما المعنى فظاهر وأما اللفظ فلان المخالفة بين الفاعل والمفعول في الوزن والحرف أشد من المخالفة بين المفعول والمفعول له اذا علم هذا فنقول في الفعل لم يميز الفاعل بحرف فان فعلا جاء بمعنى الفاعل كالنصير والبصير وبمعنى المفعول كالكسير والاسير ولا يميز بحرف عند المخالفة الا الاقوى فلا يميز عند المخالفة الا في التحقيق فيه ان فعلا وضع لمعنى لفظي والمفعول وضع لمعنى حقيقي فكان القائل قال استعملوا لفظ المفعول للمعنى الغلاني واستعملوا لفظ الفاعل مكان لفظ المفعول فصار فعيل كالموضوع للمفعول والمفعول كالموضوع للمعنى ولما كان تغير اللفظ تابعا لتغير المعنى تغير المفعول لكونه بازاء المعنى ولم يتغير الفعل لكونه بازاء اللفظ في أول الامر فان قيل فما الفرق بين هذا الموضع وبين قوله وآية لهم الارض الميتة أحييناها حيث أثبت التاء هناك نقول الارض أراد بها الوصف فقال الارض الميتة لان معنى انفاعلية ظاهر هناك والبلدة الاصل فيها الحياة لان الارض اذا صارت حية صارت أهله وأقام بها الناس وعمرها فصارت بلدة فأسقط التاء لان معنى انفاعلية ثبت فيها والذي بمعنى الفاعل لا يثبت فيه التاء وتحقيق هذا قوله بلدة طيبة حيث أثبت التاء حيث ظهر بمعنى الفاعل ولم يثبت حيث لم يظهر وهذا بحث عزيز * وقوله تعالى (كذلك الخروج) أي كالأحياء الخروج فان قيل الأحياء يشبه به الإخراج لا الخروج فنقول تقديره أحيينا به بلدة ميتة فنشقت وخرج منها النبات كذلك تشقق ويخرج منها الاموات وهذا يؤيد قولنا الرجوع بمعنى الرجوع في قوله ذلك رجوع بمعنى لانه تعالى بين لهم ما استبعدوه فلو استبعدوا الرجوع الذي هو من المتعدي لكانت أن يقول كذلك الإخراج ولما قال كذلك الخروج فهم انهم أنكروا الرجوع فقال كذلك الخروج نقول فيه معنى لطيف على القول الآخر وذلك لانهم استبعدوا الرجوع الذي هو من المتعدي بمعنى الإخراج والله تعالى أثبت الخروج وفيهما مبالغة تنبيه على بلاغة القرآن مع انها مستغنية عن البيان ووجهها هو ان الرجوع والإخراج كالسبب للرجوع والخروج والسبب اذا اتفقت في السبب جزما واذا وجد وقد يتخلف عنه السبب لما منع نقول كسرتة فلم ينكسر وان كان مجازا والسبب اذا وجد فقد وجد سببه واذا اتفقت في السبب لما تقدم اذا علم هذا فهم أنكروا وجود السبب ونفوه وينتفي السبب عند انتفائه جزما فبالعوا وأنكروا الامرين جميعا لان نفي السبب نفي المسبب فأثبت الله الامرين جميعا بالخروج كأنفوا الامرين جميعا بنفي الإخراج * ثم قال تعالى (كذب

الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى أفهام الناس وقوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح) الخ استئناف وارد لتقرير حقيقة البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتوبيخ منكريها (وأصحاب الرس) قيل هم من بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل وقيل كما مر في سورة الفرقان على التفصيل (وعاد وفرعون) أي هو وقومه ليلأثم ما قبله وما بعده (وأخوان لوط) قيل كانوا من أصهاره عليه الصلاة والسلام (أصحاب الأيكة) هم من بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين (وفوم تبع) سبق شرح حالهم في سورة الدخان

(كل كذب الرسل) أي في القول باله من الشرائع التي من جملتها البعث الذي اجمعوا عليه قاطبة أي كل قوم من الاقوام المذكورين كذبا رسولاهم أو كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكوروا افراد الضمير باعتبار لفظ الكل أو كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى الله تعالى في جميع الاثار بالبعث والخبر كذب واحد منهم تكذيب

لكل وهذا علم
تقدير رسالة تبع ظاهر
واما على تقدير عدمها
وهو لا يظهر في تكذيب
هو كذب الرسل تكذيبهم

عن قبلهم من الرسل
الجميعين على التوحيد
والبعث والى ذلك كان

يدعواهم تبع (فحق وعيد)

أي فوجب وحل عليهم

وعيدى وهي كلمة العذاب

وفيه تسلية للرسول صلى

الله عليه وسلم وتهديد

لهم (أفعبنا بالخلق

الاول) استئناف مقرر

لحجة البعث الذي

حكيت أحوال المنكرين له

من الامم المهلكة والمعنى

بالامر المعجز عند يقال على

بالامر وعي به اذا لم يد

لوجود عمله والهجزة

للاستعجاب والفاء عطف

على مقدر ينبي عنه المعنى

من القصد والمباشرة

كانه قيل اقصدنا بالخلق

الاول فمعجزنا عنه حتى

يتوهم معجزنا عن الامادة

(بل هم في لبس من خلق

جديد) عطف على

مقدر يدل عليه ما قبله

كانه قيل هم غير

منكرين لقد رتبنا

على الخلق الاول بل

قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعا وفرعون واحسان وطوا أصحاب الأيكة وقوم
تبع (ذكر المكذبين تكثيرا لهم بحالهم ووبالهم بالذمهم اهـ) كهم استئنافا لهم وتفسير
ظاهر وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهدية بأمر حاله كمال من تقدمه من الرسل
كذبوا وسبوا فأهلك الله مكذبيهم ونصبرهم وأصحاب الرس فيهم وجوه من
الفسرين من قال هم قوم شعيب ومنهم من قال هم الذين جاءهم من أقصى المدينة رجل
يسعى وهم قوم عيسى عليه السلام ومنهم من قال هم أصحاب الاخدود والرس موضع
نسبوا اليه أو فعل وهو حشر البثر يقال رس اذا حشر بثر أو قد تقدم في سورة الفرقان ذلك
وقال ههنا اخوان لوط وقال قوم نوح لان لوطا كان من سلا الى طائفة من قوم ابراهيم
عليه السلام صار لوط ونوح كان من سلا الى خاق عظيم وقال فرعون ولم يقل قوم
فرعون وقال قوم تبع لان فرعون كان هو المقتر المستخف بقومه المستبد بأمره وتبع
كان معتمدا بقومه فيجعل الاعتبار لفرعون ولم يقل الى قوم فرعون * وقوله تعالى
(كل كذب الرسل فحق وعيد) يحتمل وجهين أحدهما ان كل واحد كذب رسوله فهم
كذبوا الرسل واللام حينئذ لتعريف العهد وثانيهما هو الاصح هو ان كل واحد كذب
جميع الرسل واللام حينئذ لتعريف الجنس وهو على وجهين أحدهما ان المكذب للرسول
مكذب لكل رسول وثانيهما هو الاصح ان المذكورين كانوا منكرين للرسالة والحشر
بالكل أو قوله فحق وعيد أي ما وعد الله من نصرة الرسل عليهم واهلاكهم ثم قال تعالى
(أفعبنا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد) وفيه وجهان أحدهما أنه استدلال
بدلائل نعم الانا ذكرنا مرارا ان الدلائل آفقية ونفسية كما قال تعالى سترهم آياتنا في
الآفاق والغيب ولما قرن الله تعالى دلائل الآفاق عطف بعضها على بعض بحرف
الواو وسال الارض مددناها وفي غير ذلك ذكر الدلائل النفسى وعلى هذا فيه لطائف
لفظية ومعنوية * أما اللفظية فهي أنه تعالى في الدلائل الآفقية عطف بعضها على بعض
بحرف الواو فقال والارض مددناها وقال وأنزلنا من السماء ماء مباركا ثم في الدلائل
النفسى ذكر حرف الاستفهام والفاء بعدها اشارة الى أن تلك الدلائل من جنس وهذا من
جنس فلم يجعل هذا تبع لذلك ومثل هذا مراعى في أواخر يس حيث قال تعالى أولم ير
الانسان أننا خلقناه ثم لم يعطف الدلائل الآفقية ههنا نقول والله أعلم ههنا وجد منهم
الاستبعاد بقوله ذلك رجع بعيد فاستدل بالأكثر وهو خلق السموات ثم نزل كأنه قال
لا حاجة الى ذلك الاستدلال بل في أنفسهم دلائل جواز ذلك وفي سورة يس لم يذكر
استبعادهم فبدأ بالادنى وارتقى الى الاعلى والوجه الثاني يحتمل أن يكون المراد بالخلق
الاول هو خلق السموات لانه هو الخلق الاول وكأنه تعالى قال أفلم ينظروا الى السموات
قال أفعبنا بهذا الخلق ويدل على هذا قوله تعالى أولم يروا أن الله الذي خلق السموات

هم في خلط وشبهة ٧٩ سا في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتكثير خلق لتفخيم شأنه

والشمار يخرج منه عن حدود العادات والايذان بانه حقيق بالبحث عنه ويهتم بعرفته (ولقد خلقنا الانسان ونفلم ماتوسوس به نفسه) أي ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوس الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والصغير لما ان جعلت من سولة والباء كما في صوت بكذا ٦٢٦ * فلو الانسان ان جعلت مصدرية والباء للعدبة

(ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) أي اعلم بحاله من كل أقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب لذات تجوز لانه موجب له وحبل الوريد مثل في فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان هرقان مكتنفان بصفتي العنق في مقدمهما متصلان بالوترين يردان من الرأس اليه وقبل سمي وريدا لان الروح ترده (اذيتاني المتلقيان) منصوب بما في أقرب من معنى الفعل والمعنى أنه لطيف يتوصل همه الى ما لا شئ أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلفس الحفيظان ما يتلفظه وفيه ايدان بأنه تعالى غني عن استحقاقهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذلك لما في كتبهما وحفظهما لالعمل العبد وعرض صحائفهم يوم يقوم الاشهاد وعلم البعد بذلك مع علمه بالخالق تعالى بتفصيل

والارض ولم يعي بخلقه من يؤيد هذا الوجه مو أن الله تعالى قال بعد هذه الآية وقد خلقنا الانسان ونفلم ماتوسوس به نفسه فلهذا كاستدلال بخلق الانسان وهو معطوف بعرف انوا وعلى ما تقدم من الخلق وهو بناء السماء ومد الارض وتنزيل الماء وانبت الجنات وفي تعريف الخلق الاول وتكثير خلق جديد وجهان أحدهما ما عليه الامر ان لان الاول عرفه كل واحد وعلم نفسه والخلق الجديد لم يعلم نفسه ولم يعرفه كل واحد لان الكلام منهم وهم لم يكونوا عالمين بالخلق الجديد والوجه الثاني ان ذلك لبيان انكارهم للخلق الثاني من كل وجه كأنهم قاوا أليكون لنا خلق ما على وجه الانكار له بالكلية وقوله تعالى بل هم في لبس تقديره ما عينا بل هم في شك من خلق جديد يعني لامانع من جهة الفاعل فيكون من جانب المفعول وهو الخلق الجديد لانهم كانوا يقولون ذلك محال وامتناع وقوع التحال بالفاعل لا يوجب عجزا فيه ويقال للمشكوك فيه ملتبس كما يقال لليقين انه ظاهر وواضح ثم ان اللبس يستدالي الامر كما قلنا انه يقال ان هذا امر ظاهر وهذا امر ملتبس وههنا أسند الامر اليهم حيث قال هم في لبس وذلك لان الشئ يكون وراء حجاب والنظر اليه بصير فيخفى الامر من جانب الراي فقال ههنا بل هم في لبس ومن في قوله من خلق جديد فيفيد فائدة وهي ابتداء الغاية كأن اللبس كان حاصلا لهم من ذلك * قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان) فيه وجهان * أحدهما أن يكون ابتداء استدلال بخلق الانسان وهذا على قولنا أفعمينا بالخلق الاول معناه خلق السموات * وثانيهما أن يكون تميم بيان خلق الانسان وعلى هذا قولنا الخلق الاول هو خلق الانسان أول مرة ويحتمل أن يقال هو تنبيه على أمر يوجب عودهم عن مقالهم ويانه أنه تعالى لما قال ولقد خلقنا الانسان ونفلم ماتوسوس به نفسه كان ذلك اشارة الى أنه لا يخفى عليه خافية ويعلم ذوات صدورهم وقوله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) بيان لكمال علمه والوريد العرق الذي هو مجرى الدم يجري فيه ويصل الى كل جزء من أجزاء البدن والله أقرب من ذلك بعلمه لان العرق يحجبه أجزاء اللحم ويخفى عنه وعلم الله تعالى لا يحجب عنده شئ ويحتمل أن يقال ونحن أقرب اليه من حبل الوريد بتفرد قدرتنا فيه مجرى فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه * ثم قال تعالى (اذيتاني المتلقيان من اليمين وعن الشمال) فميد ما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد) اذ ترف والعامل فيه ما في قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وفيه اشارة الى أن المكلف غير متروك سدى وذلك لان الملك اذا أقام كتابا على أمر اكل عليهم فان كان له غفلة عنه فيكون في ذلك الوقت يتكل عليهم واذا كان عند إقامة الكتاب لا يبعد عن ذلك الامر ولا يغفل عنه فهو عند عدم ذلك أقرب اليه وأشد اقبالا عليه فنقول لله في وقت أخذ الملكين منه فعلة وقوله أقرب اليه من عرقه الخاط له فعند ما يخفى عليهم شئ يكون حفظنا بحاله أكل وأنهم ويحتمل أن يقال الثاني من الاستقبال يقال فلان يلقى الركب وعلى هذا الوجه فيكون معناه وقت ما يتلقاه المتلقيان

أحواله خبرا من زيادة لطف له في الكف عن البآت والرغبة في الحسنات * وعنه عليه الصلاة * يكون * والسلام ان مقعد ملكك على ثنيتك

ولسانك فلهما ورثك مدادهم وأنت تجري فيمسا لا تستحي من الله ولا منهم ما قد جواز أن يكون سقى الملاكين
 بيانا أقرب على معنى أنا أقرب إليه مطلق على أعماله لأن حفظنا وكتبنا ما نكون به (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أي
 عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أي ﴿ ٦٢٧ ﴾ مقاعد كالجالس بمعنى الجالس نقطا ومعنى فيؤتى الأول لدلالة

الثاني عليه كما في قول
 من قال ﴿ رماني بأمر
 كنت منه ووالدي ﴾
 برأى ومن أجل الطوى
 رماني وقيل يطلق الفعيل
 على الواحد والمتعدد
 كما في قوله تعالى والملائكة
 بعد ذلك ظهير (ما يلفظ
 من قول) ما يرمى به من
 فيه من خير أو شر وقرئ
 ما يلفظ على البناء للمفعول
 (الالديه رقيب) ملك
 رقيب وقوله ويكتبه فان
 كان خيرا فهو صاحب
 اليمين بعينه والا فهو
 صاحب الشمال ووجه
 تغيير العنوان غنى عن
 البيان والافراد مع
 وقوعهما معا على ما صدر
 عنه لما أن كلامهما رقيب
 لما فوض اليه لا لما فوض
 الى صاحبه كما ينبغي عنه
 قوله تعالى (عبد) أي
 معبد مهيبا نكنا به
 ما أمر به من الخير والشر
 ومن لم ينسبه له توهم ان
 معناه رقيبان نكنا به
 وتخصيص القول بالذكر
 لاثبات الحكم في الفعل
 بدلا للتصايف
 فيما يكتبانه فقل يكتبان
 كل شيء حتى أتاه في
 منه وقيل انما يكتبان ما عيه أجزا ووزر وهو الاظهر كما ينبغي عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين
 جل وكاتب السيئات

يكون عن يمينه وعن شماله قعيدا لثقتان على هذا الوجه هما الملائكة اللذان يأخذان
 روحه من ملك الموت أحدهما يأخذ ارواح الصالحين وينقلها الى السرور والحبور
 الى يوم النشور والاخر يأخذ ارواح الطالحين وينقلها الى الويل والنبور الى يوم
 الحشر من القبور فقال تعالى وقت نلقينهما وسؤالهما انه من اي القبيلين يكون عند
 الرجل قعيد عن اليمين وقعيد عن الشمال يعني الملائكة ينزلان وعنده ملائكة آخران
 كاتبان لأعماله يسألانها من اي القبيلين كان فان كان من الصالحين يأخذ روحه ملك
 السرور ويرجع الى الملك الاخر مسرورا حيث لم يكن مسرورا بمن يأخذها هو وان كان
 من الطالحين يأخذها ملك العذاب ويرجع الى الاخر محزوناً حيث لم يكن بمن يأخذها
 هو ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى سائق وشهيد فالشهيد هو القعيد والسائق هو الملقى يتلقى
 اخذ روحه من ملك الموت فيسوقه الى منزلته وقت الاعادة وهذا اعرف الوجهين
 وأقر بهما الى الغهم وقول القائل جلست عن عين فلان فيه انباء عن تمنع ماعنه احترامه
 واجتنابا منه وفيه لطيفة وهي أن الله تعالى قال نحن أقرب اليه من جبل الوريد المخاط
 لأجزائه المداخل في أعضائه والملك منزع عنه فيكون عينا به أكل من علم الكتاب لكن
 من أجلس عنده أحدا يكتب أفعاله وأقواله ويكون الكاتب ناهضا خيرا او الملك الذي
 أجلس الرقيب يكون جبارا عظيما ففسد أقرب اليه من الكاتب بكثير والقعيد هو
 الجالس كما ان قعيدا يعني جالس وقوله تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه
 تحيد) أي شدته التي تذهب العقول وتذهل النفوس وقوله بالحق يحتمل وجوها أحدها أن
 يكون المراد منه الموت فانه حق كأن شدة الموت تحضر الموت والباء حيثد للمعدية يقال
 جاء فلان بكذا أي أحضره ثانياً أي أن يكون المراد من الحق ما أتى به من الدين لانه حق وهو
 بضره عند شدة الموت وما من أحد الا وهو في تلك الحالة بظهر الايمان لكنه لا يقبل الايمان
 سقى منه ذلك وآمن بالغيب ومعنى المجيء به هو انه يظهر كما يقال الدين الذي جاء به النبي
 صلى الله عليه وسلم أي أظهره ولما كانت شدة الموت مظهرة له قيل فيه جاء به والباء حيثد
 يحتمل أن يكون المراد منها المنسبة يقال جئت بأمر فسيح وقلب خاشع وقوله ذلك يحتمل
 أن يكون إشارة الى الموت ويحتمل أن يكون إشارة الى الحق وحده عن الطريق أي مال
 عنه والخطاب قيل مع اتين صلى الله عليه وسلم وهو مسكر وقيل مع الكافرين وهو
 أقرب والاقوى أن يقال هو خطاب عام مع سامع كما يقول ذلك ما كنت منه تحيد
 أيها السامع وقوله تعالى (ونفخ في الصور ذلك يوم اوعيد) عطف على قوله وجاءت
 سكرة الموت والمراد منه اما النفخة الاولى فكون بيانا لما يكون عند مجيء سكرة الموت
 أو النفخة الثانية وهو أظهر لأن قوله تعالى ذلك يوم اوعيد بالنفخة الثانية أبقى ويكون
 قوله وجاءت سكرة الموت إشارة الى الامانة قوله ونفخ في الصور إشارة الى الاعادة والاحياء
 وقوله تعالى ذلك ذكر الزمخشري أنه إشارة الى المصدر الذي من قوله ونفخ أي وقت

عليه يساره وكان ابن الجشتان امير على كاتب السبأ فاذا عمل حسنة كتبها لابي العيين عشرين او اذا عمل سيئة قال صاحب السبأ لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر (وحات سكرة الموت بالحق) بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وأرجح ذلك بتحقيق قوله تعالى وعلمه وبين أن جميع ٦٢٨ أعينهم محفوظة مكتوبة عليهم أتبع ذلك ببيان

ما يلا قوته لا تتحاشى من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضي ايذانا بتحقيقها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالموت والباء اما المتعدية تأتي فقولك جاء الرسول بالخبر لعلني أحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي نصقت به كتب الله ورسله أو حقيقة الامر وجلبه الحال من سعادة الميت وشدة آفته وقيل الحق الذي لا بد أن يكون لا تتحاشى من الموت أو الجزاء فان النفس ان خلق له واما الله ربنا كالتى في قوله تعالى تبت بالدهن أى ملتبسة فخلق أى حقيقة الامر أو بالحكمة والغاية الجميلة وفرى سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة التى كتبت على الانسان بموجب الحكمة وأنها استدتها توجب زهوق الروح أو تستغيبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على أن الاضافة لتحويل وقرى سكرات الموت (ذلك) أى الموت (ما كنت منه تحيد) أى تبيل وتفر عنه والخطاب الانسان فان لفظة عند شاملة لكل فرد ٦ قوله الثلاثة أوجه قد أخل بالثالث اه

ذلك انفع يوم الوعيد وهو ضيف لان يوم لو كان منصوبا لكان ماذ كرا ناطها او أمارفم يوم فيفيد أن ذلك نفس اليوم والمصدر لا يكون نفس الزمان وانما يكون في الزمان فالاولى أن يقال ذلك إشارة الى الزمان المفهوم من قوله ونفخ لان الفعل كابدل على المصدر يدل على الزمان فكأنه تعالى قال ذلك الزمان يوم الوعيد والوعيد هو الذى أوعده من الحشر والاياء والمجازاة * وقوله تعالى (وجأت كل نفس معها سائق وشايف) قد بينا من قبل أن السائق هو الذى يسوق الى الموقف ومنه الى مقدمه والشهيد هو كاتب والسائق لازم للبر والفاجر فيساق الى الجنة وأما الفاجر فليس له وقال تعالى وصيق الذين كفروا وصيق الذين اتقوا ربهم * وقوله تعالى (لقد كتبنا في غرهم هذا) اما على تقدير يقال له أو قيل له لقد كنت كما قال تعالى وقال لهم خزنتها رجال تعالى قبل ادخلوا ابواب جهنم والخطاب غام اما الكافر فعلوم الدخول في هذه الحكم وما يتوهم من فانه يزداد علما وبظهوره ما كان مخفيا عنه ويرى على علمه يقينا رأى المعنى يقينا يكون بالنسبة الى تلك الاحوال وشدة الاعمال وفيه الوجهان اللذان ذكرناهما في قوله تعالى ما كنت منه تحيد والفقلة شئ من اخطاء كالبس وأكثر منه لان الشاك يلبس الامر غايه والغافل يكون الامر بالكلية متجوبا قلبه عنه وهو الغافل * وقوله تعالى (فكشفنا عنك غطاءك) أى أزالنا عنك غطاءك (فبصرك اليوم حديد) وكان من قبل كلبلا وقرينك حديد أو كان في الدنيا خليلا واليه الإشارة * بقوله تعالى (وقال قرينه هذا المسمى عتيد) وفي آيتين وجهان أحدهما الشيطان الذى زين انكفاره والعصيان وهو الذى قل تعالى فبد وقهضناهم قرنا وقال تعالى نقض له شيطان افه و له قرين وقال تعالى فبئس القرين فلاشارة بهذا المسوق الى المركب الفجور والفسوق والعتيد معناه المعدلار وجملة الآية معناه أن الشيطان يقول هذا العاصى شئ هو عندى معدلجتم أعدته بالانقواء والاضلال والوجد الثانى قال قرينه أى العتيد الشهيد الذى سبق ذكره وهو الملك وهذا إشارة الى كتاب أعماله وذلك لان الشيطان فى ذلك الوقت لا يكون له من الحكمة أن يقول ذلك القول ولان قوله هذا المسمى عتيد فيكون عتيد صفة وثانيهما أن تكون موصولة فيكون عتيد محذولا للثلاثة أوجه أحدها أن يكون خبر ابد خبر والخبر الاول المسمى عتيد هذا الذى هو عتيد وثانيها أن يكون عتيد هو الخبر لا غير والمسمى يقع كالوصف المميز للعتيد عن غيره كما تقول هذا الذى عندى زيد وهذا الذى يجئنى عمر يكون الذى عندى الذى يجئنى للمسمى اليه عن غيره ثم يخبر عنه بما بعده ثم يقال للسائق أو الشهيد (ألقيا في جهنم) فيكون هو أمرا واحدا وفيد وجهان أحدهما أنى تكرار الامر كما يقال ألق ألق وثانيهما إعادة العرب ذلك * وقوله (كل فار عتيد) الكفار يحتمل أن يكون من الكفران فيكون بمعنى كثير

الموت (ذلك) أى الموت (ما كنت منه تحيد) أى تبيل وتفر عنه والخطاب الانسان فان لفظة عند شاملة لكل فرد ٦ قوله الثلاثة أوجه قد أخل بالثالث اه

من امراده طيعا (ومعنى في الصور) هي المعجزة الثانية (ذلك) أي وقت ذلك المنع على جحدف المضاف (يوم الوعيد) أي يوم انجاز الوعيد الواقع في الدنيا أو يوم وقوع الوعيد على أنه عبارة عن العذاب الموصوف وقيل ذلك إشارة إلى الزمان المفهوم من تقع فان فعله ٦٦٩ م كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص

الوعيد بأن ذكر مع أنه يوم الوعد أيضا تنويه ولذلك بدى ببيان حال الكفرة (وجاءت كل نفس) من النفوس البرة والفاجرة (معها سائق وشهيد) وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس علا أي معها ملكان أحدهما بسوقها إلى الخشرو والآخرة يشهد بعملها أو ملك جامع بين الوصفين كأنه قيل معها ملك بسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه أو قريته والشهيد جوارحه وأعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته إلى ما هو في حكم المعرفة كأنه قيل كل النفوس أو الجرح على أنه وصف لنفس أو حال أخرى وصف لكل وقوله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا) محكي بأصمارة قول هو أما صفة أخرى لنفس أو حال أخرى

الكفران ويحتمل أن يكون من الكفر فيكون بمعنى شديد الكفر والتشديد في الغفلة تعالى يدل على شدة في المعنى والعنيد فعيل بمعنى فاعل من عبت تنووا ومنه العناد فان كان الكفار من الكفران فهو أنكر نعم الله مع كثرتها * وقوله تعالى (مناع الخير) فيه وجهان أحدهما كثير المنع للمال الواجب وان كان من الكفر فهو أنكر دلائل وحدانية الله مع قوتها وظهورها فكان شديد الكفر عنيدا حيث أنكر الأمر اللائح والحق الواضح وكان كثير الكفران اوجود الكفران منه عند كل نعمة فتدبرها مع كثرتها عن المستحق المطالب والخير هو المال فيكون كقوله تعالى وويل للشركيين الذين لا يؤتون الزكاة حيث بدأ ببيان الشرك ونهى بالامتناع من إيتاء الزكاة وعلى هذا فقهه مناسبة شديدة اذا جعلنا الكفار من الكفران كأنه يقول كفر أنعم الله تعالى ولم يؤد منها شيئا لشكر أنعمه ثانياً ما شديد المنع من الإيمان فهو مناع الخير وهو الإيمان الذي هو خير محض من أن يدخل في قلوب العباد وعلى هذا فقهه مناسبة شديدة اذا جعلنا الكفار من الكفر كأنه يقول كفر بالله ولم يقتنع بكفره حتى منع الخير من الغير * وقوله تعالى (معند) فيه وجهان أحدهما أن يكون قوله معند مرتباً على مناع بمعنى مناع الزكاة فيكون معناه لم يؤد الواجب وتعدى ذلك حتى أخذ الحرام أيضا بالسرقة كما كان عادة المشركين وثانيهما أن يكون قوله معند مرتباً على مناع بمعنى منع الإيمان كأنه يقول منع الإيمان ولم يقتنع به حتى نساء وأهوان من آمن وآذاه وأطمان من كفر وآواه * وقوله تعالى (مريب) فيه وجهان أحدهما شوريب وهذا على قولنا الكفار كثير الكفران والمناع مانع الزكاة كأنه يتسول لا يطع الزكاة لأنه في ريب من الآخرة والثواب فيقول لأقرب إلا من غير عوض وثانيهما مريب يوقع الشك في الريب بالقاء الشبهة والفرابة جاءت بالمعنيين جميعاً وفي الآية ترتيب آخر غير ما ذكرناه وهو أن يقال هذا بيان أن الكفار بالنسبة إلى الله وإلى رسول الله وإلى اليوم آخر فتواه كفر عنيد إشارة إلى حاله مع الله يكفر به ويعاند آياته وقوله مناع المنع عند إشارة إلى حاله مع رسول الله فيمنع الناس من اتباعه ومن الاتفاق على من عنده ويتعدى بالزيادة وكثرة الهداء وفعله مريب إشارة إلى حاله بالنسبة إلى اليوم آخر ريب فيه ورتاب ولا يظن أن الساعة قائمة فان قيل قوله تعالى أشيا في جهنم كل كسار عنيد مناع الخير إلى غير ذلك يوجب أن يكون الانشاء خاصاً بمن اجتمع فيه هذه الصفات بأسرها والكفر كاف في إرث الاتقاء في جهنم والأمر به فتقول قوله تعالى كل كفار عنيد ليس المراد منه الوصف المميز كما يقال أعط العالم الزاعدين المراد الوصف المبين بكون الموصوف موصوفاً به أما على سبيل المدح أو على سبيل الذم كما يقال هذا حاتم السخني فتوله كل كفار عنيد يفيد أن الكفار عنيد ومناع فالكفار كافران لأن آيات الوحداية ظاهرة ونعم الله تعالى على عباده وافر وعنه ومناع الخير لأنه يمدح دينه ويذم دين الحق

منها أو استئناف مبنى على سؤال نشأ بما قبله كأنه قيل فاذا فعل بها فتقبل يقال لقد كنت في غفلة الخ وخطاب الكل بذلك لما أنه ما من أحد الاوله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وفري كنت بكسر التاء

على اعتبار تانيك النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتأويل الشخص كافي قول جيلة بن حريث * يا هيس
انك بالذات مسرور * فاذا ذكر فهل تنفعلك اليوم * ٦٣٠ * تذكير (فكشفنا عنك غصاك) العطف الحجاب

المغطى لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالتفات بها وقصر النظر عليها (فبصرك اليوم حديد) نافذ وال مانع للابصار وقرى بكسر الكاف في المواضع الثلاثة (وقال قرينه) أي الشيطان المقيض له مشير اليه (هذا ما لدى عتيد) أي هذا ما عندى وفي ملكي عتيد لجهنم قد هيأتها باغوائى واضلالى وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندى عتيد مهيا للعرض وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهي بدل منها وخبر مبتدأ محذوف (ألقيا في جهنم كل كفار) خطاب من الله تعالى للسائقين الشهيد أو المذكين من حرقة النار أو لواحد على تزيير تشية الفاعل منزلة تشية الفاعل وتكريره كقول من قال * فان تزجراني يا ابن عفا

فهو يمنع ومريب لانه شاك في الحشر فكل كافر فهو موصوف بهذه الصفات وقوله تعالى (الذي جعل مع الله اله آخر فالقياه في العذاب الشديد) فيه ثلاثة أوجه (أحدها) أنه بدل من قوله كل كفار عتيد (ثانيها) أنه عطف على كل كفار عتيد (ثالثها) أن يكون عطف على قوله ألقيا في جهنم كأنه قال ألقيا في جهنم كل كفار عتيد أي والذي جعل مع الله اله آخر فالقياه بعد ما ألقوه في جهنم في عذاب شديد من عذاب جهنم ثم قال تعالى (قال قرينه ربنا ما أطغيته) وهو جواب الكلام مقدر كان الكافر حين ما يلقي في النار يقول ربنا أطلعني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما أطغيته يدل عليه قوله تعالى بعد هذا قال لا تختصموا لندي لان الاختصاص يستدعي كلاما من الجانبين وحينئذ هذا كما قال الله تعالى في هذه السورة وفي ص قالوا بل أنتم لأمم حبابكم وقوله تعالى فانوار بنا من قدم انا هذا فزده الى أن قال ان ذلك لحق تخاصم أهل النار وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال الرنخسرى المراد بانقرن في الآية المتقدمة هو الشيطان لا الملك الذي هو شهيد وقعيد واستدل عليه بهذا وقال غيره المراد الملك لا الشيطان وهذا يصلح دليلا لمن قال ذلك وبيانه هو أنه في الاول لو كان المراد الشيطان فيكون قوله هذا ما لدى عتيد معناه هذا الشخص عندى عتيد معناه النار اعتدته باغوائى فان الرنخسرى صرح في تفسير ذلك بهذا وعلى هذا فيكون قوله ربنا ما أطغيته منا قضا لقوله اعتدته وللرنخسرى أن يقول الجواب عنه من وجهين أحدهما أن يقول ان الشيطان يقول اعتدته بمعنى زينته الامر وما ألجأته فيصح القولان من الشيطان وثانيهما أن تكون الإشارة الى حالين في الحالة الاولى انما فعلت به ذلك اظهارا للانتقام من بنى آدم وتحصيها لما قال فيجرتك لاغوينهم أجمعين ثم اذارأى العذاب وأنه معه مشترك وله على الاغواء عذاب كما قال تعالى فالحق والحق أقول لاملائ جهنم منك ومن تبعك فيقول ربنا ما أطغيته فيرجع من مقامه عند ظهور العذاب (المسئلة الثانية) قال ههنا قال قرينه من غير واو وقال في الآية الاولى يقال قرينه بالواو العاطفة وذلك لان في الاول الإشارة وقعت الى معنيين مجتمعين والكل نفس في ذلك الوقت تجبى ومعها سابق ويغول السهم ذلك القول وفي الثاني لم يوجد هالك معنيان مجتمعان حتى يذكر بالواو والغاء في قوله فالقياه في العذاب لا يناسب قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته مناسبه مقتضية للعطف بالواو (المسئلة الثالثة ٩) انقل ههنا واحد وقال ربنا ولم يقل ربونى كثير من ادواضم مع كون القائل واحد قال رب كافي قوله قال رب ارنى أسرارك وقول نوح رب اغفرلى وقوله تعالى قال رب السجن أحب الى وقوله قالت رب ابنى عندك بيتا في الجنة الى غير ذلك وقوله تعالى قال رب أنظرنى الى يوم يبعثون نقول في جميع تلك المواضع لقائل طالب ولا يحسن أن يقول الطالب يا رب عمرنى واخصصنى وأعطنى كذا واعيا يقول أعطينا لان كونه ربنا لا يناسب تخصيص الطالب وأما هذا الموضع فوضع الهيبة

أزجر * ون تدعى أحمر ساءت ٩ قوله المسئلة الثالثة اطراف الكلام فيها غير ملثمة كما لا يخفى * والعظمة

أوعلى ألف بك من نون التاكيد على اجراء الوصل بحرى الوقف ويؤيده أنه قرئ التين بالنون الخفيفة (عشيد)
معاند الحق (مناع للخير) كثير المنع ﴿ ٦٣١ ﴾ لئلا يحل حقوه مغروضة وقيل المراد الخبر الاسلام فل الآية نزلت

في الوصل من المغيرة لما
منع بني أخيه منه
(سعد) ظالم متخذه للحق
(مر يب) شك في الله
وفي دينه (الذي جعل
مع الله لها آخر) مبتدا
متضمن لمعنى الشرط
خبره (فألقاه في العذاب
الشديد) أو بدل من
كل كفار وقوله تعالى
فألقاه تكرر للتوكيد
أو مفعول لمضمر يفسره
فألقاه (قال قرينة)
أي الشيطان المقيض له
وانما استؤنف استئناف
الجلل الواقعة في حكاية
المقاولة لما أنه جواب
لخذوف دل عليه قوله
تعالى (ربنا ما أطغيته)
فانه مني عن سابقة
كلام اعترض به الكافر
كانه قال هو أطغانى
فأجاب قرينه بتكذيبه
واستناد الطغيان اليه
بخلاف الجملة الاولى
فانها واجبة العطف
على ما قبلها دلالة على
أن الجمع بين مفهوميهما
في الحصول أعنى عني
كل نفس مع الملكين
وقول قرينه (ولكن
كان) هو بالذات (في

والعجة وعرض الحال دون انطلب وقال ربنا ما أطغيته * وقوله تعالى (ولكن كما
في ضلال بعيد) بمعنى أن ذلك لم يكن باقائه وانما كان ضلالا غفلا في الضلال فسنخى ويعد
مسألة (المسئلة الاولى) ما الوجه في اتصاف الضلال بالبعيد نقول الضلال يكون أكثر
ضلا عن الطريق فاذا تمسدى في الضلال وبقي فيه مدة بعد عن المقصد كثيرا واذا علم
الضلال قصر في الطريق من قريب فلا يبعد عن المقصد كثيرا فتقوله ضلال بعيد
وصف المصدر بنا يوصف به الفاعل كما يقال كلام صادق وعيشة راضية أي ضلال
ذو بعد والضلال اذا بعد مداه وامتد الضلال فيه يصير بينا ويظهر الضلال لأن من حاد
عن الطريق وأبعد عنه تغير عليه السمات والجهات ولا يرى عين المقصد ويتبين له أنه
ضل عن الطريق ويرى بما يقع في أودية ومغاور ويظهر له امارات الضلال بخلاف من حاد
قليلما الضلال وصفه الله تعالى بالوصفين في كثير من المواضع فقال تارة في ضلال مبين
وأخرى قال في ضلال بعيد (المسئلة الثانية) قوله تعالى ولكن كان في ضلال بعيد إشارة
الى قوله لا لعباد منهم المخلصين وقوله تعالى ان عبادى لبس لك عليهم سلطان أى
لم يكونوا من العباد فجع عليهم أهل العناد واوكان لهم في سبيلك قدم لما كانى عليهم
من يد والله أعلم (المسئلة الثالثة) كيف قال ما أطغيته مع أنه قال لا غوينهم أجمعين
قلنا الجواب عنه من ثلاثة أوجه وجهان قد تقدم في الاعتذار عما قاله الزمخشري
والثالث هو أن يكون المراد من قوله لا غوينهم أى لا دعينهم على الغواية كأن الضلال اذا
قال له شخص أنت على الجادة فلا تتركها يقال انه يضله كذلك ههنا وقوله ما أطغيته أى
ما كان ابتداء الاطغاء مني * ثم قال تعالى (قال لا تختصموا لى) قد ذكرنا ان هذا دليل
على أن هناك كلاما قبل قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته وهو قول الملقى في الشار ربنا
أطغانى وقوله لا تختصموا لى يفيد مفهومه أن الاختصاص كان ينبغي أن يكون قبل
الحضور والوقوف بين يدي * وقوله تعالى (وقد قدمت اليكم بالوعيد) تقرير للتع
من الاختصاص وبيان لعدم فائدته كأنه يقول قد قلت انكم اذا اتبعتم الشيطان
تدخلون النار وقد اتبعتموه فان قيل ما حكم الباء في قوله تعالى بالوعيد قلنا فيها وجوه
أحدها أنها من يدة كافي قوله تعالى ثبت بالدهن على قول من قال انها هناك زائدة وقوله
وصكنى بالله وثانيها معدية قدمت بمعنى تقدمت كافي قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا تقدموا بين يدي الله ثالثها في الكلام اضممار تقديره وقد قدمت اليكم مقترنا بالوعيد
ما يدل القول لى فيكون المقدم هو قوله ما يدل القول لى زعمها هي للصاحبة
يقول القائل اشترت الفرس بالجماعة وسرجه أى معه فيكون كأنه تعالى قال قدمت
اليكم ما يجب مع الوعيد على تركه بالانذار * وقوله تعالى (ما يدل القول لى) يحتمل
وجهين أحدهما أن يكون قوله لى متعلقا بالقول أى ما يدل القول لى وثانيهما أن
يكون ذلك متعلقا بقوله ما يدل أى لا يقع التبدل عندى وعلى الوجه الاول في القول

ضلال بعيد) من الحق فاعتته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجلء كافي قوله تعالى وما كانى عليكم

من سلطان الان دعوتكم فاستجبتم لي (قال) استشاف مبني على سوال نشأ مما قبله كأنه قيل فاذا قال الله تعالى فليل قال
(لا تختصموا لدي) أي من موقف الحساب والجزاء ﴿٦٣٢﴾ إذا قلنا في ذلك (و قد قدمت اليكم بالوعيد) على

الذي لا يرد وجه (أحدها) هو أنها لا تلوأ حتى يبدل ما قبل في حقهم القيا بقول الله بعد
استدأهم لا تقياه فمن تعالى لا يبدل هذا أقول لدي وكذلك قوله ر قبل ادخلوا أبواب
جهنم لا تبدل (ثانيها) هو قوله ولكن حق القول مني لا ملأن جهنم أي لا تبدل لهذا
القول (الثالث) لا يخاف في إيمانه تعالى كالاخلاف في معاد الله وهذا يرد على المرجئة
حيث قالوا ما ورد في القرآن من الوعيد فهو تنويف لا يثبت الله شيئا منه وقالوا الكفر
إذا صدأ جز ووفي وإذا أوعى أخلف وعنا (رابعها) لا يبدل القول السابق إن هذا شق
وهذا سعيد حين خلقت العباد قالت هذا شق ويسمى عمل الاشقياء وهذا حق ويعمل عمل
الأتقياء وخذ التوا عني لا تبدل ليسعي ساع ولا سعادة لا يتوفيق الله تعالى وأما على
الوجه الثاني في لا يبدل وجه أيضا أحدها لا يكذب لدي ولا يفترى بين يدي فلي عالم
علمت من طغي ومن أطغى ومن كان ملاغيا ومن كان أطغى فلا يفيدكم قولكم أطفاني
شيئا ولا قول الشيطان ربنا ما أطفيت ثابها إشارة الى معنى قوله تعالى فارجموا
وراءكم فالتسوا نورا كأنه تعالى قال لو اردتم ان لا تقول فالتقيا في العذاب الشديد
كنتم بدلتهم هذا من قبل بتبديل الكفر بالايان قبل ان تقفوا بين يدي وأما الآن فما
يبدل القول لدي كما قلنا في قوله تعالى قال لا تختصموا لدي المراد ان اختصاصكم كان
يجب ان يكون قبل هذا حيث قلت ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ثالثها معناه
لا يبدل الكفر بالايان لدي فان الايمان عند اليأس غير مقبول فقولكم ربنا والهنا
لا يفيدكم فن تكلم بكلمة الكفر لا يفيد قوله ربنا ما أشركنا وقوله ربنا آذنا وقوله تعالى
ما يبدل القول إشارة الى نفي الحال ككأنه تعالى يقول ما يبدل اليوم لدي القول
لان ما نفي بها الحال اذا دخلت على الفعل المضارع يقول القائل ماذا تفعل غدا تفعل
ما أفعل شيئا أي في الحال واذا قال القائل ماذا تفعل غدا يقال لا يفعل شيئا أو لا يفعل شيئا
اذا أريد زيادة بيان انني فأن قيل هل فيه بين معنى يفيد افتراق ما ولا في المعنى تقول
نعم وذلك لان كلمة لأدل على النفي لكونها موضوعا للنفي وما في معناه كأنه لا يفيد
الاثبات الا بطريق الخذف أو الاضمار وبالجملة فبطريق المجاز كاني قوله لا أقسم وإماما
فغير متحصصة للنفي لأنها واردة غيره من المعاني حيث تكون اسما والنفي في الحال لا يفيد
النفي المطلق لجواز أن يكون مع النفي في الحال الاثبات في الاستقبال كما يقال ما يفعل
الآن شيئا وسيفعل ان شاء الله فاخص بمالم يتمحض نفيا حيث لم تكن متحصصة للنفي
لا يقال ان لا للنفي في الاستقبال والاثبات في الحال فاكنتي في الاستقبال بمالم يتمحض نفيا
لانا نقول ليس كذلك اذا لجوز أن يقال لا يفعل زيد ويفعل الآن نعم يجوز أن يقال
لا يفعل غدا ويفعل الآن لكون قولك غدا يجعل الزمان ميمرا فلم يكن قولك لا يفعل
لنفي في الاستقبال بل كان للنفي في بعض أزمنة الاستقبال وفي مثالنا قلنا ما يفعل
وسيفعل وما قلنا سيفعل غدا وبعد غدا بل ههنا نفينا في الحال واثبتنا في الاستقبال من غير

الطغيان في دارا لكسب
في كتي وعلى السنة
رسلى فلا تطعموا في
الخلاص عنه بنا أتم
فيه من اتعال بالماذير
الباطلة والجملة حال
فيها تعليل للتهني على
معنى لا تختصموا وقد صح
عندكم أني قدمت اليكم
بالوعيد حيث قلت
لا بليس لا ملأن جهنم
منك ومن تبعك منهم
أجمعين فاتبعتموه
معرضين عن الحق
فلا وجه للاختصاص
في هذا الوقت والباء
من يدة أو معدية على
أن قدم بمعنى تقدم
وقد جوز أن يكون
قدمت واقعا على قوله
تعالى (ما يبدل القول
لدي) الخ ويكون
بالوعد متعلقا بمحذوف
هو حال من المفعول
أو الفاعل أي وقد قدمت
اليكم هذا القول ملتبسا
بالوعد مقترنا به أو قدمته
اليكم موعدا لكم به
فلا تطعموا أن أبدل
وهي عدى والعفو عن
بعض المذنبين لاسباب
داعية اليه ليس

مميز زمان من أزمنة الاستقبال عن زمان ومثاله في العكس أن يقال لا يفعل زيد وهو
 يفعل من غير تعيين وتميز ومعلوم أن ذلك غير جائز * وقوله تعالى (وما أنا بظلام للعبيد)
 مناسب لما تقدم على الوجهين جميعا أما إذا قلنا بأن المراد من قوله لدى أن قوله فأتياه
 وقول القائل في قوله قبل ادخلوا أبواب جهنم لا يتبدل له فظاهرا لأن الله تعالى بين أن
 قوله أقباني جهنم لا يكون إلا لكافر العنيد فلا يكون هو ظلاما للعبيد وأما إذا قلنا بأن
 المراد لا يتبدل القول لدى بل كان الواجب التبدل قبل الوقوف بين يدي فكذلك لأنه
 أنذر من قبل وما عذب الأبعد أن أرسل وبين السبل (وفيد مباحث لفظية ومعنوية)
 أما اللفظية فهي في الباء من قوله ليس بظلام وفي اللام من قوله للعبيد أما الباء فتقول الباء
 تدخل في المفعول به حيث لا يكون تعلق الفعل به ظاهرا ولا يجوز ادخالها فيه حيث
 يكون في غاية الظهور ويجوز الادخال والترك حيث لا يكون في غاية الظهور ولا في غاية
 الخفاء فلا يقال ضربت زيد لظهور تعلق الفعل بزيد ولا يقال خرجت وذهبت زيدا
 بدل قولنا خرجت وذهبت بزيد لخفاء تعلق الفعل بزيد فيهما ويقال شكرته وشكرت له
 للتوسط فكذلك خبر ما لما كان مشبها بالمفعول وليس في كونه فعلا غير ظاهر غاية الظهور
 لأن الحاق الضمائر التي تلحق بالأفعال الماضية كالتاء والتون في قولك لست ولستم ولست
 ولستم صحيح كونها فعلا كما في قولك كنت وكنا لكن في الاستقبال يبين الفرق حيث تقول
 يكون وتكون وكن ولا تقول ذلك في ليس وما يشبهها فصارنا كالفعل الذي لا يظهر تعلقه
 بالمفعول غاية الظهور فجاز أن يقال ليس زيد جاهلا وليس زيد جاهلا كما يقال مسحت
 ومسحت به وغير ذلك مما تعدى بنفسه وبالباء ولم يجوز أن يقال كان زيد بخارج وصار عمرو
 بدارج لأن صار وكان فعل ظاهر غاية الظهور بخلاف ليس وما التافية وهذا يؤيد قول
 من قال ما هذا بشرو هذا ظاهر (البحث الثاني) أو قال قائل كان ينبغي أن لا يجوز إخلاء
 خبر ما عن الباء كما لا يجوز ادخال الباء في خبر كان وخبر ليس يجوز فيه الأمران وتقرير
 هذا السؤال هو أن **كان** لما كان فعلا ظاهرا جعلناه بمنزلة ضرب حيث منعنا
 دخول الباء في خبره كما منعناه في مفعوله وليس لما كان فعلا من وجه نظرا إلى قولنا
 لست ولست ولم يكن فعلا ظاهرا نظرا إلى صيغ الاستقبال والأمر جعلناه متوسطا
 وجوزنا ادخال الباء في خبره وتركه كما قلنا في مفعول شكرته وشكرت له وما للملم يكن فعلا
 بوجه كان ينبغي أن يكون بمنزلة الفعل الذي لا يتعدى إلى المفعول إلا بالحرف وكان ينبغي
 أن لا يجيء خبره الأمع الباء كما لا يجيء مفعول ذهب الأمع الباء ويؤيد هذا أنافر قنابين ما
 وليس وكان وجعلنا لكل واحدة مرتبة ليست للآخرى فجوزنا تأخير كان في اللفظ حيث
 جوزنا أن يقول القائل زيد خارجا كان وما جوزنا زيد خارجا ليس لأن كان فعل ظاهر وليس
 دونه في الظهور وما جوزنا تأخير ما عن أحد شطري الكلام أيضا بخلاف ليس حيث
 يجوز أن يقول القائل زيدا بظلام الآن بعيد ما يرجع إليه فيقول زيدا ما هو بظلام

وقوله تعالى (وما أنا
 بظلام للعبيد) وارد
 لتحقيق الحق على الوجه
 الكلي وتبين أن هدم
 تبديل القول وتحقيق
 موجب الوعيد ليس من
 جهته تعالى من غير
 استحقاق له منهم بل
 إنما ذلك بما صدر عنهم
 من الجنائيات الموجهة
 له حسما غير إليه تعالى
 وما أنا بعذب للعبيد
 بغير ذنب من قبلهم
 والتعير عنه بالظلم مع
 أن تعد بهم بغير ذنب
 ليس بظلم على ما تقرر
 من قاعدة أهل السنة
 فضلا

فصار بينهما ترتيب ما يوجه وليس يؤخر عن أحد الشطرين ولا يؤخر في الكلام بالكلية
 وكان يؤخر بالكلية لما ذكرنا من الظهور والخفاء فكذلك القول في الحاق الباء كان ينبغي
 ان لا يصح اخلاء خبرها عن الباء في ليس يجوز الامر ان وفي كان لا يجوز الادخال وهذا
 هو المعتمد عليه في لغة بني تميم حيث قالوا ان ما بعد ما اذا جعل خبرا يجب ادخال الباء عليه
 فان لم تدخل عليه يكون ذلك معربا على الابتداء أو على وجه آخر لا يكون خبرا والجواب
 عن السؤال هو ان نقول الاكثر ادخال الباء في خبر ما ولا سيما في القرآن قال الله
 تعالى وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم وما أنت بمسمع وما هم بخارجين وما أنا بظلام
 وأما الوجوب فلا لأن ما أشبه ليس في المعنى في الحقيقة وخالفها في العوارض وهو
 لحق التاء والتون وأما المعنى فهما اني الحال فاشبهه من نص لجواز الاخلاء والمخالفة
 مقتضية لوجوب الادخال لكن ذلك مقتضى أقوى لأنه راجع الى الامر الحقيقي وهذا
 راجع الى الامر العارض وما بانفس أقوى مما بانعارض وأما التقديم والتأخير فلا يلزم
 منه وجوب ادخال الباء وأما الكلام في اللام فنقول اللام تحقيق معنى الاضافة يقال
 غلام زيد وغلام زيد وهذا في الاضافات الحقيقية بآيات التثنية وفيه وأما في الاضافات
 اللفظية كقولنا ضارب زيد وقاتل عمرو فان الاضافة فيه غير معنوية فاذا خرج الضارب
 عن كونه مضافا بآيات التثنية فقد كان يجب ان يعاد الاصل وينصب ما كان مضافا اليه
 الفاعل بالمفعول به ولا يؤتى باللام لأنه حينئذ لم يبق الاضافة في اللفظ ولم تكن اضافة في
 المعنى غير ان اسم الفاعل منقطع الدرجة عن الفعل فصارت تعلقه بالمفعول أضعف من تعلق
 الفعل بالمفعول وصار من باب الافعال الضعيفة التعلق حيث ينبت جواز تعديتها الى
 المفعول بحرف وغير حرف ولذلك جاز أن يقال ضارب زيد او ضارب زيد كما جاز مسحة
 ومسحت به وشكرته وشكرته وذلك اذا تقدم المفعول كما في قوله تعالى أن كنتم للرويا
 تعبرون للضعف (وأما المعنوية فباحث) الاول الظلام مبالغة في الظلم ويلزم من اثباته
 اثبات أصل الظلم اذا قال القائل هو كذاب يلزم ان يكون كاذبا كثر كذبه ولا يلزم من نفيه
 نفي أصل الكذب لجواز أن يقال فلان ليس بكذاب كثير الكذب لكنه يكذب أحيانا في
 قوله تعالى وما أنا بظلام لا يفهم منه نفي أصل الظلم والله ليس بظالم فما الوجه فيه نقول
 الجواب عنه من ثلاثة أوجه أحدها ان الظلام بمعنى الظلم كالتمار بمعنى التامر وحينئذ
 يكون اللام في قوله للعبيد لتحقيق النسبة لان الافعال حينئذ بمعنى ذي ظلم وهذا وجه جيد
 مستفاد من الامام زين الدين أدام الله فوائده والثاني ما ذكره الرخسري وهو ان
 أمر تقديرى كانه تعالى يقول لو ظلمت عبدي الضعيف الذي هو محل الرحمة لكان ذلك
 غاية الظلم وما أنا بذلك فيلزم من نفي كونه ظلاما نفي كونه ظالما وبحق هذا الوجه اظهر
 لفظ العبيد حيث يقول ما أنا بظلام للعبيد أي في ذلك اليوم الذي امتلأت جهنم مع
 سعتها حتى تصيح وتقول لم يبق لي طاقة بهم ولم يبق في موضع لهم فهل من مزيد استفهام

عن كونه ظلاما فمرطالبيان
 كمال تراهته تعالى عن
 ذلك تصويره بصورة
 ما يستحيل صدوره عنه
 سبحانه من الظلم وصيغة
 المبالغة لتأكيد هذا
 المعنى بإبراز ما ذكر من
 التعذيب بغير ذنب في
 معرض المبالغة في الظلم
 وقيل هي رعاية جمية
 العبيد من قولهم فلان
 ظالم لعبده وظلام لعبيده
 على أنها

استكثر فذلك اليوم مع اني اتقى فيها عدد الاحصاء لا اكون بسبب كثرة التعذيب كثير
الظلم وهذا مناسب وذلك لانه تعالى خصص النفي بالزمان حيث قال ما انا بظلام يوم نقول
أى وما انا بظلام في جميع الازمان أيضا وخصص بالعبيد حيث قال وما انا بظلام للعبيد ولم
يطلق فكذلك خصص النفي بنوع من انواع الظلم ولم يطلق فلم يلزم منه أن يكون ظالما في غير
ذلك الوقت وفي حق غير العبيد وان خصص والقاعدة في التخصيص انه اقرب الى التصديق
من التعميم والثالث هذا يدل على ان التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه لانه نفي كونه
ظالما ولم يلزم منه نفي كونه ظالما ونفي كونه ظالما للعبيد ولم يلزم منه نفي كونه ظالما
لغيرهم كما قال في حق الآدمي ومنهم ظالم لنفسه (البحث الثاني) قال ههنا وما انا بظلام
للعبيد من غير اضافة وقال ما انت بهادي العمى وما انت بمسمع من في القبور هلى وجه
الاضافة فما الفرق بينهما نقول الكلام قد يخرج أولا مخرج العموم ثم يخصص لامر ما
لاغرض التخصيص بقول القائل فلان يعطى وينع ويكفر غرضه التعميم قال سأل سائل
يعطى من يمنهم من يقول زيدا وعمر او يأتى بالتخصيص لاغرض التخصيص وقد يخرج
أولا مخرج الخصوص فيقول فلان يعطى زيدا ما له اذا علمت هذا فقله ما انا بظلام كلام
لو اقتصر عليه ما كان للعموم فأتى باللفظ العبيد لانه عدم الظلم مختصا بهم بل لكونهم
أقرب الى كونهم محل الظلم من نفسه تعالى وأما النبي صلى الله عليه وسلم فكان في نفسه
هاديا وانما اراد نفي ذلك الخاص فقال ما انت بهادي العمى وما قال ما انت بهاد وكذا
قوله تعالى ليس الله بكاف عبده (البحث الثالث) العبيد يحتمل أن يكون المراد منه
الكفار كما في قوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول يعني أعذبهم وما انا بظلام
لهم ويحتمل أن يكون المراد منه المؤمنين ووجهه هو ان الله تعالى يقول لو بدلت القول
ورحمت الكافر لكنت في تكليف العباد ظالما لعمى المؤمنين لاني منعهم من الشهوات
لاجل هذا اليوم فان كان ينال من لم يأت بما أتى المؤمن ما يناله المؤمن لكان اثباته بما
أتى به من الايمان والعبادة غير مفيد فائدة وهذا معنى قوله تعالى لا يستوى أصحاب النار
وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ومعنى قوله تعالى قل هل يستوى الذين يعملون
والذين لا يعملون وقوله تعالى لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر ويحتمل
أن يكون المراد التعميم * ثم قال تعالى (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من
مزيد) العامل في يوم ما ذاقه وجوه الاول ما انا بظلام مطلقا والثاني الوقت حيث قال
ما انا يوم كذا ولم يقل ما انا بظلام في سائر الازمان وقد تقدم بيانه فان قيل فما فائدة
التخصيص نقول النفي الخاص اقرب الى التصديق من النفي العام لان التوهم ذلك فان
قاصر النظر يقول يوم يدخل الله عبده الضعيف جهنم يكون ظالما له ولا يقول بانه يوم
خلقه يرزقه ويربّه يكون ظالما ويتوهم انه يظلم عبده بادخاله النار ولا يتوهم انه يظلم نفسه
أو غيره عبده المذكورين ويتوهم انه من يدخل خلقا كثيرا لا يحوزه حد ولا يدركه عدد النار

مبالغة كما لا كيف (يوم
نقول لجهنم هل امتلأت
وتقول هل من مزيد)
سؤال وجواب يحى وبها
على منهاج التشبيل
والتخييل لتسهيل أمرها
والعنى انها مع اتساعها
وتباعد أقطارها تطرح
فيها من الجنة والناس
فوجا بعد فوج حتى تمتلئ
أو انها من السعة بحيث
يدخلها من يدخلها
وفيها بعد محل فارغ
أو انها لغيظها على
العصاة لتطلب زيادتهم
وقرى يقول بالياء والمزيد
اما مصدر كالمجيد والمجيد
أو مفعول كالبيع ويوم
اما منصوب باذكر

و يتركهم فبما زما بالانهاية له كثير الظلم فبني ما يتوهم دون ما لا يتوهم وقوله هل امتسأت
 بيان لتصديق قوله تعالى لا ملأن جهم وقوله هل من مزيد فيه وجهان أحدهما انه لبيان
 استكثارها الداخلين كما ان من يضرب غيره ضربا مبرحا أو يشتمه شتما فاحشا يقول
 المضروب هل بقي شيء آخر ويدل عليه قوله تعالى لا ملأن لان الامتلاء لا يد من أن يحصل
 فلا يبقى في جهنم موضع خال حتى تطلب المزيد والثاني هو انها تطلب الزيادة وحينئذ لو قال
 قائل فكيف يفهم مع هذا معنى قوله تعالى لا ملأن نقول الجواب عنه من وجوه أحدها
 ان هذا الكلام رما يقع قبل ادخال الكل وفيه لطيفة وهي ان جهنم تنقبض على الكفار
 فتطلبهم ثم يبنى فيها موضع لهم مساواة المؤمنين فتطلب جهنم امتلاءها لظنها بقاء أحد من
 الكفار خارجا فيدخل العاصي من المؤمنين فيبرد آسانه حرارتها ويسكن ابقائه فيظلها
 فتسكن وعلى هذا يحمل ما ورد في بعض الاخبار ان جهنم تطلب الزيادة حتى يضع الجبار
 قدمه والمؤمن جبار متكبر على ما سوى الله تعالى ذليل متواضع لله الثاني أن تكون
 جهنم تطلب أو لاسعة في نفسها ثم يبدى الداخلين اظنها بقاء أحد من الكفار الثالث
 ان الملأه درجات فان الكيل اذا ملئ من غير كبس صح أن يقال ما ملأنا هذا كبس
 بسم غيره ولا ينافي كونه ملأنا أو لا فكذلك في جهنم ملأها الله ثم تطلب زيادة تضيقا
 للمكان عليهم وزيادة في التعذيب والمزيد جاز أن يكون بمعنى المفعول أي هل بقي أحد
 تزيد به * ثم قال تعالى (وازلقت الجنة للمتقين غير بعيد) بمعنى قريبا أو بمعنى قربت
 والاول أظهر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما وجه التقريب مع ان الجنة مكان
 والامكنة بقرب منها وهي لا تقرب نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) ان الجنة لا تزال
 ولا تنقل ولا المؤمن يومئذ في ذلك اليوم بالانتقال اليها مع بعد ما لكن الله تعالى يطوى
 المسافة التي بين المؤمن والجنة فهو والتقريب فان قيل فعلى هذا ليس ازلافا الجنة من
 المؤمن بأولى من ازلافا المؤمن من الجنة فالاعانة في قوله ازلقت الجنة نقول اكراما
 للمؤمن كانه تعالى أراد بيان شرف المؤمن المتقي انه من عشي اليه ويدنى منه (الثاني) قربت
 من الحصول في الدخول لا بمعنى اقرب المكاني يقال يطلب من الملك أمر خطيرا والملك
 بعيد عن ذلك ثم اذا رأى منه مخايل انجاز حاجته يقال قرب الملك وما زلت أنهي اليه حاله
 حتى قربته فكذلك الجنة كانت بعيدة الحصول لانها بما فيها لا قيمة لها ولا قدرة للمكلف
 على تحصيلها او لافضل الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدخل الجنة
 الا بفضل الله تعالى فقبل ولا انت يا رسول الله فقال ولا أنا وعلى هذا قوله غير نصب على
 الحال تقديره قربت من الحصول ولم تكن بعيدة في المسافة حتى يقال كيف قربت (الثالث)
 هو ان الله تعالى قادر على نقل الجنة من السماء الى الارض فيقر بها للمؤمن وأما ان قلنا
 انها قربت فمعناه جعلت محاسنها كما قال تعالى فيها ما تشتهي الانفس (المسئلة الثانية) على
 هذا الوجه وعلى قولنا قربت تقرب حصول ودخول فهو ويحتمل وجهين أحدهما ان

أو أنذر أو نظرف انفتح
 فيكون فلك جهنم إشارة
 اليه من غير حاجة الى
 تقدير مضاف أو لتقدير
 مؤخر أي يصكون من
 الاحوال والاهوال
 ما يقصر عنه المقال
 (وازلقت الجنة للمتقين)
 شروع في بيان حال
 المؤمنين بعد النسخ
 ومحسب النفوس الى
 موقف الحساب وقدم
 سر تقديم بيان حال الكفرة
 عليه وهو عطف على
 نفع أي قربت للمتقين
 من الكفر والمعاصي
 بحيث يشاهدونها من
 الموقف ويقفون على
 ما فيها من فنون المحاسن
 فيستبجون بأنهم محذورون
 اليها فآزرون بها وقوله
 تعالى (غير بعيد) تأكيد
 للازلاف

يكون قوله تعالى وأزلفت أى في ذلك اليوم ولم يكن قبل ذلك وأما في جمع المحاسن فربما
 يزيد الله فيها زينة وقت الدخول وأما في الحصول فلان الدخول قبل ذلك كان مستبعدا
 اذ لم يقدر الله دخول المؤمنين الجنة في الدنيا ووعده في الآخرة فقرب في ذلك اليوم
 وثانيهما ان يكون معنى قوله تعالى وأزلفت الجنة أى أزلفت في الدنيا اما بمعنى جمع
 المحاسن فلانها مخلوقة وخلق فيها كل شئ وأما بمعنى تقرب الحصول فلانها تحصل بكلمة
 حسنة وأما على تفسير الازلاق بالتقريب المكاني فلا يكون ذلك محمولا الاعلى ذلك الوقت
 أى أزلفت في ذلك اليوم للمؤمنين (المسئلة الثالثة) انحل على القرب المكاني فاما القائدة
 في الاختصاص بالمؤمنين مع ان المؤمن والكافر في عرصته واحدة فنقول فديكون شخصان
 في مكان واحد وهناك مكان آخر هو الى أحدهما في غاية القرب ومن الآخر في غاية البعد
 مثاله مقطوع الرجلين والسليم الشديد العدوا اذا اجتمعا في موضع وبخضرتهما شئ
 لا تصل اليه اليد بل يد ذلك بعيد عن المقطوع وهو في غاية القرب من العادي أو نقول اذا
 اجتمع شخصان في مكان واحد هما أحيط به سدا من حديد ووضع بقر به شئ لا تناله يده ياند
 والآخر يحيط به ذلك السد يصح ان يقال هو بعيد عن المسدود وقرب من المحفوظ
 والمجدود وقوله تعالى غير بعيد يحتمل ان يكون نصبا على الظرف يقال اجلس غير بعيد منى
 أى مكانا غير بعيد وعلى هذا فقول غير بعيد يفيد التأكيد وذلك لان القرب قد يكون
 بعيدا بالنسبة الى شئ فان المكان الذي هو على مسيرة يوم قرب بالنسبة الى البلاد الشامية
 وبعيد بالنسبة الى منقرهات المدينة فاذا قال قائل ايا أقرب المسجد الأقصى أو البلد الذي
 هو بأقصى المغرب أو المشرق يقال له المسجد الأقصى قريب وان قال أيهما أقرب هو
 أو البلد يقال له هو بعيد فقولته تعالى أزلفت غير بعيد أى قربت قربا حقيقيا لا نسبيا حيث
 لا يقال فيها انها بعيدة عنه مقايسة أو مناسبة ويحتمل أن يكون نصبا على الحال تقديره
 قربت حال كون ذلك غاية القرب أو نقول على هذا الوجه يكون معنى أزلفت قربت
 وهى غير بعيد فيحصل المعنيان جميعا الاقرب والافتراق أو يكون المراد القرب
 والحصول لا المكان فيحصل معنيان القرب المكاني بقوله غير بعيد والحصول بقوله أزلفت
 وقوله غير بعيد مع قوله أزلفت على التانيث يحتمل وجوها الاول اذا قلنا ان غير نصب على
 المصدر تقديره مكانا غير بعيد الثاني التذكير فيه كافي قوله تعالى ان رحمة الله قريب
 اجراء الفعل بمعنى فاعل مجرى فعل بمعنى مفعول الثالث ان يقال غير منصوب نصب على
 المصدر على انه صفة مصدر محذوف تقديره أزلفت الجنة ازلافا غير بعيد أى عن قدرتنا
 فاننا قد ذكرنا ان الجنة مكان والمكان لا يقرب وانما يقرب منه فقال الازلاق غير بعيد عن
 قدرتنا فاننا طوى المسافة بينهما ثم قال تعالى (هذا ما توعدون) قال الرخصى هي جملة
 معتضة بين كلامين وذلك لان قوله تعالى اكل اواب يدل عن المؤمنين كانه تعالى قال أرلقت
 الجنة للمؤمنين لكل اواب كافي قوله تعالى لعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم غير ان ذلك يدل

أى مكانا غير بعيد بحيث
 يشاهدونها أو حال
 كونها غير بعيد أى شيا
 غير بعيد ويجوز أن يكون
 التذكير لكونه على زنة
 المصدر الذى يستوى
 فى الوصف به المذكر
 والمؤنث أولنا ويل
 الجنة بالبستان (هذا
 ما توعدون) إشارة
 الى الجنة والتذكير لما ان
 المشار اليه هو المسمى
 من غير ان يخطر بالبال
 لفظ يدل عليه فضلا
 من تذكيره وتأنثه
 فانها من أحكام اللفظ
 العربى كما مر فى قوله
 تعالى فلما رأى الشمس
 بازغة قال هذا ربي
 وقوله تعالى ولما رأى
 المؤمنون الاحزاب قالوا

الاشتغال وهذا بدل الكل وقال هذا اشارة الى الثواب أي هذا الثواب ما توعدون
أو الى الازلاف المداول عليه بقوله أزلقت أي هذا الازلاف ما وعدتم به ويحتمل أن يقال
هو كلام مستقل ووجهه ان ذلك محمول على المعنى لا ما يوعده به يقال للموعد وهذا وكانه
تعالى قال هذا ما قلت انه لكم * ثم قال تعالى (لكل أبواب حفيظ) بدلا عن الضمير في
توعدون وكذلك ان قرئ بالياء يكون تقديره هذا لكل أبواب بدلا عن الضمير والأبواب
الرجاع قبل هو الذي يرجع من الذنوب ويستغفر والحفيظ الحافظ الذي يحفظ توابعه من
التقص ويحتمل أن يقال الأبواب هو الرجاع الى الله بفكره والحفيظ الذي يحفظ الله في
ذكره أي يرجع اليه بالفكر فيرى كل شيء واقعا به وموجودا منه ثم اذا انتهى اليه حفظه
بحيث لا ينسأ عند الرخاء والنعماء والأبواب والحفيظ كلاهما من باب المبالغة أي يكون
كثير الأبواب شديدا الحفيظ وفيه وجوه أخر أدنى وهو ان الأبواب هو الذي يرجع عن متابعة
هواه في الاقبال على ما سواه والحفيظ هو الذي اذا أدركه بأشرف فواه لا يتركه فيكمل بها
تقواه ويكون هذا تفسيرا لما في لان المتقي هو الذي اتقى الشرك والتعطيل ولم ينكره
ولم يعترف بغيره والأبواب هو الذي لا يعترف بغيره ويرجع عن كل شيء غير الله تعالى والحفيظ
هو الذي لم يرجع عنه الى شيء مما عداه * ثم قال تعالى (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب
منيب) وفي من وجوه أحدها وهو أغربها انه منادى كأنه تعالى قال يا من خشى الرحمن
ادخلوها بسلام وحذف حرف النداء شائع وثانيها من بدل عن كل في قوله تعالى لكل أبواب
من غير إعادة حرف الجر تقديره أزلقت الجنة لمن خشى الرحمن بالغيب ثالثها في قوله تعالى
أبواب حفيظ موصوف معلوم غير مذكور كأنه يقول لكل شخص أبوابا وعيدا وغير ذلك
فقوله تعالى من خشى الرحمن بالغيب بدل عن ذلك الموصوف هذه وجوه ثلاثة ذكرها
الزمخشري وقال لا يجوز أن يكون بدلا عن أبواب أو حفيظ لان أبواب وحفيظ قد ووصف
به موصوف معلوم غير مذكور كما بيناه والبدل في حكم المبدل منه فتكون من موصوفاتها
ومن لا يوصف بها لا يقال الرجل من جاءني جالسي كما يقال الرجل الذي جاني جالسي هذا
تمام كلام الزمخشري فان قال قائل اذا كان من والذي يشتركان في كونهما من الموصولات
فلماذا لا يشتركان في جواز الوصف بهما نقول الامر معقول بلبسه في ما ومنه يبين الامر فيه
فنقول ما اسم مبهم يقع على كل شيء ففهمه هوشى لكن الشيء هو اعم الاشياء فان الجوهر
شيء والعرض شيء والواجب شيء والممكن شيء والاعم قبل الاخص في الفهم لانك اذا رأيت
من البعد شيئا تقول أولا انه شيء ثم اذا نظرتك منه ما يخص بالناس تقول انسان فاذا
بان لك انه ذكر قلت هو رجل فاذا وجدته ذاقوة تقول شجاع الى غير ذلك فالاغم أعرف
وهو قبل الاخص في الفهم ففهم ما قبل كل شيء فلا يجوز أن يكون صفة لان الصفة بعد
الموصوف هذا من حيث المفعول وأما من حيث النحو فلان الحقائق لا يوصف بها فلا
يقال جسم رجل جاني كما يقال جسم ناطق جاني لان الوصف يقوم بالموصوف والحقيقة

هذا ما وعدنا الله
ورسوله ويجوز أن يكون
ذلك لتذكير الخبر وقيل
هو اشارة الى الثواب
وقيل الى مصدر أزلقت
وقرئ يوعدون والجملة
اما اعتراض بين البدل
والمبدل منه واما تقدير
يقول هو حال من المتقين
أو من الجنة والسماء
أزلقت أي مقولا لهم
أو مقولا في حقها هذا
ما توعدون (لكل أبواب)
أي رجاع الى الله تعالى
بدل من المتقين باعادة
الجار (حفيظ) حافظ
لتوابعه من التقص وقيل
هو الذي يحفظ ذنوبه
حتى يرجع عنها ويستغفر
منها وقيل هو الحافظ
لاوامر الله تعالى وقيل
لما استودعه الله تعالى
من حقوقه (من خشى
الرحمن بالغيب وجاء
بقلب منيب)

تقوم بنفسها لا بغيرها وكل ما يقع وصفا لا بغير يكون معناه شيء له كذا فقولنا عالم معناه شيء له علم أو عالمية فيدخل في مفهوم الوصف شيء مع أمر آخر وهو له كذا لكن ما مجرد شيء فلا يوجد فيه ما يتم به الوصف وهو الأمر الآخر الذي معناه ذو كذا فلم يجز أن يكون صفة وإذا بان القول فن في العقلاء كما في غيرهم وفيهم فن معناه إنسان أو ملك أو غيرهما من الحقائق العاقلة والحقائق لا تنفع صفات وأما الذي يقع على الحقائق والأوصاف ويدخل في مفهومه تعريفاً أكثر ما يدخل في مجاز الوصف بما دون من * وفي الآية لطائف معنوية (الأولى) الخشية والخوف معناه واحد عند أهل اللغة لكن بينهما فرق وهو أن الخشية من عظمة الخشي وذلك لأن تركيب حروف خ ش ي في تعاليبها يلزمه معنى الهيبة يقال شيخ ناسيد والرجل الكبير السن وهما جميعاً مهيبان والخوف خشية من ضعف الخشي وذلك لأن تركيب حروف وف في تعاليبها يدل على الضعف تدل عليه الخيفة والخفة ولولا قرب معناه لما ورد في القرآن تضرعاً وخيفة وتضرعاً وخيفة والخفي فيه ضعف كالحائف إذا علمت هذا تبين لك العظيمة وهي أن الله تعالى في كثير من المواضع ذكر لفظ الخشية حيث كان الخوف من عظمة الخشي قال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله فإن الجبل ليس فيه ضعف يكون الخوف من ضعفه وإنما الله عظيم يخشاه كل قوى وهم من خشية ربهم مشفقون مع أن الملائكة أقوىاء وقال تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه أي تخافهم أعظم ما لهم إذ لا ضعف فيك بالنسبة إليهم وقال تعالى لا تخف ولا تحزن أي لا تخف ضعفاً فإنهم لا عظمة لهم وقال يخافون يوماً حيث كان عظمة اليوم بالنسبة إلى عظمة الله ضعيفة وقال لا تخافوا ولا تحزنوا أي بسبب مكروه يلحقكم من الآخرة فإن المكروهات كلها مدفوعة عنكم وقال تعالى خائفاً يترقب وقال أنى أخاف أن يقولون أوحدته وضعفه وقال هرون أنى خشيت لعظمة موسى في عين هرون لا ضعف فيه وقال فخشيننا أن يرهقهما طغيانا وكفرا حيث لم يكن اضعف فيه وحاصل الكلام أنك إذا تأملت استعمال الخشية وجدتها مستعملة لخوف بسبب عظمة الخشي وإذا نظرت إلى استعمال الخوف وجدته مستعملاً لخشية من ضعف الحائف وهذا في الأكثر وما يتخلف المدعى عنه لكن الكثرة كافية (الثانية) قال الله تعالى ههنا خشى الرحمن مع أن وصف الرحمة غالباً يقابل الخشية إشارة إلى مدح النبي حيث لم تمنعه الرحمة من الخوف بسبب العظمة وقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله إشارة إلى ذم الكافر حيث لم تحمله الألوهية التي تنبئ عنها لفظة الله وفيها العظمة على خوفه وقال إنما يخشى الله من عباده العلماء لأن إنما المحصر فكان فيه إشارة إلى أن الجاهل لا يخشاه فذكر الله ليبين أن عدم خشيته مع قيام المقضى وعدم المانع وهو الرحمة وقد ذكرنا ذلك في سورة يس وزيد ههنا شيئاً آخر وهو أن نقول لفظة الرحمن إشارة إلى مقضى الخشية لا إلى المانع

بدل بعد بدل أو بدل
من موصوف أو اب
ولا يجوز أن يكون في
حكمه لأن من لا يوصف
به ولا يوصف إلا
بالذي أو مبتدأ خبره

وذلك لان الرحمن معناه واهب الوجود بالخلق والرحيم واهب البقاء بالرزق وهو في الدنيا
رحمان حيث أوجدنا بالرحمة ورحيم حيث ابقي بالرزق ولا يقال لغيره رحيم لان البقاء بالرزق
قد يظن ان مثل ذلك يأتي ممن يطعم المضطرفين قال فلان هو الذي ابقي فلانا وهو في الآخرة
أبضا رحمان حيث يوجدنا ورحيم حيث يرزقنا وذكرنا ذلك في تفسير الفاتحة حيث قلنا
قال بسم الله الرحمن الرحيم إشارة الى كونه رحمانا في الدنيا حيث خلقنا رحيمنا في الدنيا
حيث رزقنا رحمة ثم قال مرة أخرى بعد قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم أي هو
رحمن مرة أخرى في الآخرة بخلقنا ثانيا واستدليننا عليه بقوله بعد ذلك مالك يوم الدين أي
يخلقنا ثانيا ورحيم يرزقنا ويكون هو المالك في ذلك اليوم اذا علمت هذا فن يكون منه
وجود الانسان لا يكون خوفه خشية من غيره فان القائل يقول لغيره أخاف منك أن تقطع
رزقي أو تبدل حياتي فاذا كان الله تعالى رحمانا منه الوجود ينبغي أن يخشى فان من يده
الوجود بيده العدم وقال صلى الله عليه وسلم خشية الله رأس كل حكمة وذلك لان الحكيم
اذا تفكر في غير الله وجده محل التغير يجوز عليه العدم في كل طرفة عين وربما يقدره الله
عدمه قبل أن يتمكن من الاضرار لان غير الله ان لم يقدر الله أن يضر لا يقدر على الضرر
وان قدر عليه بتقدير الله فسيؤول الضرر بموت المعذب أو المعذب وأما الله تعالى فلا
راد لما أراد ولا آخر لعذابه وقال تعالى يا غيب أي كانت خشيتهم قبل ظهور الامور
حيث ترى رأي العين وقوله تعالى وجاء بقلب منيب إشارة الى صفة مدح أخرى وذلك لان
الخاشي قسريه رب وبتك القرب من الخشي ولا يذقم واذا علم الخشي انه تحت حكمه تعالى
علم انه لا ينفقه الهرب فيأتي الخشي وهو خاش فقال وجاء ولم يذهب كما يذهب الآبق
وقوله تعالى بقلب منيب الباء فيه يحتمل وجوها ذكرناها في قوله تعالى وجاءت سكرة الموت
بالحق أحدها التعدية أي أحضر قلبا سليما كما يقال ذهب به اذا أذهب ثايتها المصاحبة
يقال اشترى فلان الفرس بسرجه أي مع سرجه وجاء فلان بأهله أي مع أهله بالثاء وهو
أعرفها الباء للسبب يقال ما أخذ فلان الا يقول فلان وجاء بالرجاء له فكانه تعالى قال جاء
وما جاء الا بسبب انابة في قلبه علم انه لا مرجع الا الى الله فجاء بسبب قلبه المنيب والقلب
المنيب كالقلب السليم في قوله تعالى اذ جاء به بقلب سليم أي سليم من الشرك ومن سلم من
الشرك بتك غير الله ويرجع الى الله فكان منيبا ومن أناب الى الله برى من الشرك فكان
سليما ثم قال تعالى (ادخلوها بسلام) فالضمير عائدا الى الجنة التي في وأزلقت الجنة أي
لما تكامل حسنهما وقر بها وقيل لهم انها منزل لكم بقوله هذا ما توعدون اذن لهم في دخولها
وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الخطاب مع من تقول ان قرى ما توعدون باناء فهو ظاهر
لا يخفى ان الخطاب مع الموعودين وان قرى بالياء فالخطاب مع المتقين أي يقال للمتقين
ادخلوها (المسئلة الثانية) هذا يدل على ان ذلك يتوقف على الاذن وفيه من الانتظار
ما لا يليق بالاكرام تقول ليس كذلك فان من دعاكم كما الى بستانه يفتح له الباب ويجلس

(ادخلوها) بتأويل
يقال لهم ادخلوها
والجمع باعتبار معنى من
وقوله تعالى بالغيب متعلق
بمخدوف هو حال من
فاعل خشي أو مفعوله
أو صفة لمصدره أي
خشية متلبسة بالغيب
حيث خشي صفاه وهو
غائب عنه أو هو غائب
عن الاعين لا يراه احد
والعرض لعنوان
الرحمانية الاشارة بانهم
مع خشيتهم صفاه
راجون رحته أو بان
صلهم بسعة رحته تعالى
لا يصدهم عن خشيته
تعالى وانهم حاملون
بموجب قوله تعالى نبى
صباى انا الغفور
الرحيم وان عذابى هو
العذاب الايم ووصف
القلب بالانابة لسان
العبرة برجوعه الى الله
تعالى (بسلام) متعلق
بمخدوف هو حال من
فاعل ادخلوها أي
متلبسين بسلامة من
العذاب وزوال النعم
او بسلام من جهة
الله تعالى وملائكته

في موضعه ولا يقف على الباب من ربحه ويقول اذا بلغت بستاني فادخله وان لم يكن
هناك احد يكون قد ادخل باكرامه بخلاف من يقف على بابه قوم يقولون ادخل باسم الله
يدل على الاكرام قوله تعالى بسلام كما يقول المضيف ادخل مصاحبا بالسلامة والسعادة
والصكرامة والباء للمصاحبة في معنى الحال أي سالمين مقرنين بالسلامة أو معناه
ادخلوها مسلما نديمكم بسلام الله وملائكته نديمكم ويحتفل عندي وجهها آخر وهو ان
يكون ذلك ارشادا للمؤمنين الى مكارم الاخلاق في ذلك اليوم كما ارشدوا اليها في الدنيا
حيث قال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلوا على أهلها فكانه
تعالى قال هذه داركم ومزلكم ولكن لا تتركوا حسن عادتكم ولا تغفلوا بمكارم اخلاقكم
فادخلوها بسلام وبصريح سلاما على من فيها وسلم من فيها عليهم ويقولون السلام
عليكم ويدل عليه قوله تعالى الا قليلا سلاما أي يسلمون على من فيها ويسلم من فيها
عليهم وهذا الوجه ان كان منقولا فمع وان لم يكن منقولا فهو مناسب معقول أيده
دليل منقول (ذلك يوم الخلود) حتى لا يدخل في قلبهم أن ذلك ربما ينقطع عنهم فتبقى
في قلوبهم حسرتة فان قيل المؤمن قد علم انه اذا دخل الجنة خلد فيها فالقاعدة في التذكير
والجواب عنه من وجهين أحدهما ان قوله ذلك يوم الخلود قول قاله الله في الدنيا اعلاما
واخبارا وليس ذلك قولاً يقوله عند قوله ادخلوها فكانه تعالى اخبرنا في يومنا أن ذلك
اليوم يوم الخلود ثانيهما اطمئنان القلب بالقول أكثر قال الزمخشري في قوله يوم الخلود
اضمار تقديره ذلك يوم تقدير الخلود ويحتفل ان يقال اليوم يذكر ويراد الزمان المطلق
سواء كان يوما أو ليلا تقول يوم يولد لفلان ابن يكون السرور العظيم واوولده بالليل
لكان السرور حاصلا فتريده الزمان فكانه تعالى قال ذلك زمان الاقامة الدائمة ثم
قال تعالى (لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد) وفي الآية ترتيب في غاية الحسن وذلك لانه
تعالى بدأ ببيان اكرامهم حيث قال وأزلفت الجنة للمتقين ولم يقل قرب المتقون من الجنة
بيننا الاكرام حيث جعلهم من تنقل اليهم الجنان بما فيها من الحسان ثم قال لهم هذا لكم
بقوله هذا ما تودون ثم بين انه أجر أعمالهم الصالحة بقوله لكل أبواب حفيظ وقوله من
خشى الرحمن فان تصرف المالك الذي ملك شيئا بعوض أتم فيه من تصرف من ملك بغير
عوض لا مكان الرجوع في التملك بغير عوض ثم زاد في الاكرام بقوله ادخلوها كما بينا
أن ذلك اكرام لان من فتح بابه للناس ولم يقف بابه من ربح الداخلين لا يكون قد أتى
بالاكرام التام ثم قال ذلك يوم الخلود أي لا تخافوا ما لحقكم من قبل حيث أخرج أبو بكر
منها فهدا دخول لا خروج بعده منها ثم لما بين أنهم فيها خالدون قال لا تخافوا انقطاع
أرزاقكم وبقاءكم في حاجة كما كنتم في الدنيا من كان يعمر ينكس ويحتاج بل لكم الخلود
ولا ينقطعون به فلكم ما تشاؤون في أي وقت تشاؤون وإلى الله المشتكى وهذا الوصول
اليه والمثول بين يديه فلا يوصف ما لديه ولا يطلع أحد عليه وعظيمة من عنده تلك

(ذلك) إشارة الى الزمان
المتن الذي وقف في
بعض منه ما ذكر من
الامور (يوم الخلود) اذ لا
اتناهله أبدا (لهم ما
يشاؤون) من فزون
المطالب كأننا ما كان
(فيها) متعلق بيشاؤون
وقيل بحذف هو حال
من الوصول أو من عائدة
الحذوف من صلته
(ولدينا مزيد) هو ما لا
يخطر ببالهم ولا يندرج
تحت مشيتهم من معالي
الكرامات التي لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر
وقيل ان الصحاب تمر
بأهل الجنة فتمطرهم
الحور فنقول نحن المزيد
الذي قال تعالى ولدينا
مزيد

(وكم أهلكنا قبلهم) أي قبل قومك (من قرن هم أشد منهم بطشا) أي قوة كعاد وأضرابها (فتقبوا)

على فضيلة ما عنده هذا هو الترتيب وأما التفسير ففيه مستثنان (المسألة الأولى) قال تعالى ادخلوها بسلام على سبيل المخاطبة ثم قال لهم ولم يقل لكم ما الحكمة فيه الجواب عنه من وجوه الأول هو أن قوله تعالى ادخلوها مقدر فيه يقال لهم أي يقال لهم ادخلوها فلا يكون على هذا التفاتا الثاني هو أنه من باب الالتفات والحكمة الجمع بين الطريقتين كأنه تعالى يقول أكرمهم به في حضورهم ففي حضورهم الجور وفي غيبتهم الحور والقصور والثالث هو أن يقال قوله تعالى لهم جاز أن يكون كلاما مع الملائكة يقول للملائكة توكلوا بخدمة الله واعلموا أن الله ما يشاؤون فيها فأحضروا بين أيديهم ما يشاؤون وأما أنا فعندي ما لا يخفى بيالهم ولا تمدرون أنتم عليه (المسألة الثانية) قد ذكرنا أن لفظهم يزيد يحتمل أن يكون معناه الزيادة فيكون كافي قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ويحتمل أن يكون بمعنى المفعول أي عندنا ما يزيد على ما رجون وما يكون مما يشتهون ثم قال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا) لما أئذهم بما بين أيديهم من اليوم العظيم والعذاب الأليم أئذهم بما يجعل لهم من العذاب المهلك والهلاك المدرك وبين لهم حال من تقدمهم وقد تقدم نفسه في مواضع والذي لا يخص بهذا الموضع أمور (أحدها) إذا كان ذلك للجمع بين الإنذار بالعذاب العاجل والعقاب الآجل فلم توسطهما قوله تعالى وأزفنت الجنة للمتقين إلى قوله ولدينا مزيد نقول ليكون ذلك دعاء بالخوف والطمع فذكر حال الكفور المعاند وحال الشكور العابد في الآخرة ترهيبا وترغيبا ثم قال تعالى أن كنتم في شك من العذاب الأليم فأنتم فأنتم في ريب من العذاب العاجل المهلك الذي أهلك أمثالكم فان قيل فلم يجمع بين الترهيب والترغيب في العاجلة كما جمع بينهما في الآجلة ولم يذكر حال من أسلم من قبل وانعم عليه كذا حال من أشرك به فاهلكه نقول لأن النعمة كانت قد وصلت إليهم وكانوا متقربين في الذم فلم يذكرهم به وإنما كانوا غافلين عن الهلاك فانذرهم به وأما في الآخرة فكانوا غافلين عن الأمرين جميعا فخيرهم بها (الثاني) قوله تعالى (فتقبوا في البلاد) في معناه وجوه أحدها هو ما قال تعالى في حق نوح الذين جابوا الصخر بالواد من قوتهم خرخوا الطرق ونقبوها وقطعوا الصهور ونقبوها (ثانيها) نقبوا أي ساروا في الأسفار ولم يجدوا ملجأ مهربا وعلى هذا يحتمل أن يكون المراد أهل مكة أي هم ساروا في الأسفار ورأوا ما فيها من الآثار (ثانيها) فتقبوا في البلاد أي صاروا نقباء في الأرض أراد ما أفادهم بطشهم وقوتهم ويدل على هذا الفاء لأنها تصبح حينئذ مفيدة ترتب الأمر على مقتضاه تقول كان زيد أقوى من عمرو فقلبه وكان عمرو مضى فقلبه زيد كذلك ههنا قال تعالى هم أشد منهم بطشا فصاروا نقباء في الأرض وقرى فتقبوا بالتشديد وهو أيضا يدل على ما ذكرنا في الوجه الثالث لأن التقيب البحث ودوم نقب بمعنى صار نقيبا الثالث قوله تعالى (هل من محيص) يحتمل وجوها ثلاثة (الأول) على قراءة من قرأ بالتشديد يحتمل أن يقال هو مفعول أي بحثوا عن المحيص

(البلاد) أي خرخوا فيها ودوخوا وتصرفوا في أقطارها أو جالوا في أكناف الأرض كل مجال حذار الموت وأصل التقيب والتقب التفتير عن الأمر والبحث والطلب والمفاء للدلالة على أن شدة بطشهم أقدرتهم على التقيب لا قبل هي عاطفة في المعنى كأنه قبل اشتد بطشهم فتقبوا الخ وقرى بالتخفيف (هل من محيص) أي هل لهم من محيص من أمر الله تعالى والجملة أما على أخصار قول هو حال من واوتقوا أي فتقبوا في البلاد قائلين هل من محيص أو على إجراء التقيب لما فيه من معنى التنبع والغشيجرى القول أو هو كلام مستأنف وارد أن يكون لهم محيص وقبل ضمير نقبوا لأهل مكة أي ساروا في مسائرهم وأسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا الله محيصا حتى يؤملوا مثله لأنفسهم ويعضده القراءة على صيغة الأمر وقرى فتقبوا بكسر القاف من التنبع وهو أن ينتقب خف البعير أي اكثروا السير حتى تقب أقدامهم أو أخفاف إبلهم ثم هل

فحصل له اذا اتى السم وهو حاضر بياله من القلب وأما على الاول فعنه من ليس له قاب
واع يحصل له الذكر اذا اتى السم وهو حاضر بقلبه فيكون عند الحضور بقلبه يكون له
قلب واع وقد فرض عدمه هذا اذا قلنا بان قوله وهو شهيد بمعنى الحال واذا لم نقل به فلا
يرد ما ذكر وهو يحتج خبر ذلك بيانه هو ان يقال ذلك اشارة الى القرآن وتقر به هو ان الله
تعالى لما قال في أول السورة في القرآن المجيد بل بحجبه ان جاءهم منذر منهم وذكر ما يدفم
تعجبهم و بين كونه منذرا صادقا وكون الحشر أمر او اقما ورغب وأرهب بالثوب والعذاب
أجلا وما جلا وأتم الكلام قال ان في ذلك أي القرآن الذي سبق ذكره لذكرى لم يله قلب
أول من يستمع ثم قل وهو شهيد أي المنذر الذي تعجبتم منه شهيد كما قال تعالى انما أرسلناك
شاهدا وقال تعالى ليكون الرسول عليكم شهيدا ثم قال تعالى (ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) اعاد الدليل مرة أخرى وقد ذكرنا
تفسير ذلك في الم السجدة وقلنا ان الاجسام ثلاثة اجناس أحدها السموات ثم حركها
وخصصها بامور ومواضع وكذلك الارض خلقها ثم دحاها وكذلك ما بينهما خلقا أعيانها
وأصنافها في ستة أيام اشارة الى ستة أطوار والذي يدل عليه ويقرره هو ان المراد من
الايام لا يمكن أن يكون هو المفهوم في وضع اللغة لان اليوم عبارة في اللغة عن زمان مكث
الشمس فوق الارض من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات لم يكن شمس ولا قر
لكن اليوم بطاق ويراد به الوقت يقال يوم يولد للملك ابن يكون سرور عظيم ويوم يموت
فلان يكون حزن شديد وان اتفقت الولادة أو الموت لبلدين لم ينعين ذلك ويدخل في مراد
العاقل لانه أراد باليوم مجرد الحين والوقت اذا علمت الحال من اضافة اليوم الى الافعال
فافهم ما عند اطلاق اليوم في قوله ستة أيام وقال بعض المفسرين المراد من الآية الرد على
اليهود حيث قالوا ابدأ الله تعالى خالق العالم يوم الاحد وفرغ منه في ستة أيام آخرها يوم الجمعة
واستراح يوم السبت واستلقى على عرشه فقال تعالى وما مسنا من لغوب ردا عليهم والظاهر
ان المراد الرد على المشرك والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما وقوله تعالى
وما مسنا من لغوب أي ما نعيينا بالخلق الاول حتى لا نقدر على الاعادة ثانيا والخلق الجديد
كما قال تعالى أفبيننا بالخلق الاول وأما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو اما تحريف
منهم أولم يعلموا تأويله وذلك لان الاحد والاثني ازمان متبعر بعضهما عن بعض فلو كان خلق
السموات ابتدئ يوم الاحد لكان الزمان متحققا قبل الاجسام والزمان لا ينفك عن
الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام اجسام آخر فيلزم القول بقدم العالم وهو مذهب
الفلاسفة ومن العجب ان بين الفلاسفة والمشبهة غاية الخلاف فان الفلسفي لا يثبت لله
تعالى صفة أصلا ويقول بان الله تعالى لا يقبل صفة يل هو واحد من جميع الوجوه فعلمه
وقدرته وحياته هو حقيقة وعينه وذاته والمشبهي يثبت لله صفة الاجسام من الحركة
والسكون والاستواء والجلوس والصعود والنزول فبينهما منافاة ثم ان اليهود في هذا

(ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما)
من أصناف المخلوقات
(في ستة أيام وما مسنا)
بذلك مع كونه مما لا يفي
به القوى والقدر
(من لغوب) من اعيانها
ولا تعب في الجملة
وهذا رد على جملة
اليهود في زعمهم أنه
تعالى بدأ خلق العالم
يوم الاحد وفرغ منه
يوم الجمعة واستراح
يوم السبت واستلقى
على العرش سبحانه
وتعالى غايه ولون علوا
كبيرا

(فما صبر على ما يقولون) أي ما يقوله ﴿ ٦٤٥ ﴾ المشركون في شأن البعث من الأباطيل المبينة على الإنكار والاستبعاد

فإن من فعل هذه الأفاعيل
بلا فتور قاهر على بعضهم
والانتقام منهم أو ما يقوله
اليهود من مقالات
الكفر والتشبيه (وسبح
بمحمد ربك) أي نزهه
تعالى عن العجز عما يكن
وعن وقوع الخلف في
أخباره التي من جملتها
الأخبار بوقوع البعث
وعن وصفه تعالى
بما يوجب التشبيه
حامد له تعالى على
ما أنعم به عليك من أصابة
الحق وخبرها (قبل
طلوع الشمس وقبل
الغروب) هما وقت
الفجر والعصر وفضلتهما
مشهورة (ومن الليل
فسبحه) وسبحه بمعنى
الليل (وأدبار السجود)
وأعقاب الصلوات
جمع ديرو قرى بالكسر
من أدبرت الصلاة إذا
أنقضت وثبت ومعناه
وقت انقضاء السجود
وقيل المراد بالتسبيح
الصلوات فالمراد بما قبل
الطلوع صلاة الفجر
وبما قبل الغروب الظهر
والعصر وبما من الليل
العشاء آن والتهجد
وما يصلي بادبار السجود
النوافل بعد المكتوبات

الكلام جمعوا بين المسئلتين فأخذوا بمذهب الفلاسفة في المسئلة هي إخص المسائل
بهم وهي القدم حيث أثبتوا قبل خلق الأجسام أياما معدودة وأزمنة محدودة وأخذوا
بمذهب المشبهة في المسئلة التي هي إخص المسائل بهم وهي الاستواء على العرش فأخطوا
وأضلوا في الزمان والمكان جميعا * ثم قال تعالى (فما صبر على ما يقولون) قال من تقدم
ذكرهم من المفسرين إن معناه صبر على ما يقولون من حديث الثعلب بالمتنقاء وعلى
ما قلنا معناه صبر على ما يقولون إن هذا الشيء عجيب وسبح محمد ربك وماذا كرهناه أقرب لأنه
مذكور وذكر اليهود وكلامهم لم يجز * وقوله (وسبح محمد ربك) يتمثل وجوها (أحدها)
إن يكون الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة فيكون كقوله تعالى وأقم الصلاة طرفي
النهاري وزيقا من الليل * وقوله تعالى (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) إشارة إلى ط في
النهاري * وقوله (ومن الليل فسبحه) إشارة إلى زايقا من الليل ووجه هذا هو أن النبي صلى
الله عليه وسلم لم يشغل أن أحدهما عبادة الله وثانيهما هداية الخلق فإذا هداهم فلم يهتدوا
فيل له أقبل على شئلك الآخر وهو عبادة الحق (ثانيها) سبح محمد ربك أي نزهه عما
يقولون ولا تسام من امتناعهم بل ذكرهم بعظمة الله تعالى ونزهه عن الشرك والعجز عن
الممكن الذي هو الحشر قبل الضلوع وقبل الغروب فانهما وقت اجتماعهم ومن الليل
فسبحه أي أوائل الليل فانه أيضا وقت اجتماع العرب ووجه هذا أنه لا ينبغي أن تسام من
تكذيبهم فإن الرسل من قبلك أودوا وكذبوا وصبروا على ما كذبوا وأودوا وعلى هذا فقلوه
تعالى (وأدبار السجود) فائدة جليلة وهي الإشارة إلى ما ذكرنا أن شغل الرسول أمران
العبادة والهداية فقلوه وأدبار السجود أي عقب ما سجدت وعبدت نزهه ربك بالبرهان
عند اجتماع القوم يحصل لك العبادة بالسجود والهداية أدبار السجود (ثالثها) أن يكون
المراد قل سبحان الله وذلك لأن أنقضا معدودة جاءت بمعنى التدفيع بكلامهم فقوانا كبر
يعلق ويراد به قول مقاتل الله أكبر وسلم يراد به قوله السلام عليكم وحمل يقال إن قال
الحمد لله ويقال هلل لمن قال لا اله الا الله وسبح لمن قال سبحان الله ووجه أن هذه أمور
تكرر من الإنسان في الكلام والحاجة تدعو إلى الأخبار عنها فلو قال الفائن فلان قال
لا اله الا الله أو قال الله أكبر طول الكلام فحست الحاجة إلى استعمال لفظة واحدة
مفيدة لذلك لعدم تكرار ما في الأول وأما مناسبة هذا الوجد للكلام الذي هو مفيد فهي
أن تكذيبهم الرسول وتعتبهم من قوله أو استهزاءهم كان يوجب في العادة أن يشغل
النبي صلى الله عليه وسلم بلمعتهم وسبهم والدعاء عليهم فقال فاصبر على ما يقولون واجعل
كلامك بدل الدعاء عليهم التسبيح لله والحمد له ولا تكن كصاحب الحوت أو كنوح عليه
السلام حيث قال رب لا تنذر على الأرض من الكافرين ديارا بل ادع إلى ربك فإذا
منجرت عن ذلك بسبب إصرارهم فاشغل بذكر ربك في نفسك وفيه مباحث (الأول)
استعمل الله التسبيح تارة مع اللام في قوله تعالى يسبح لله ويسبحون له وأخرى مع

الباء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم وسبح بحمدر بك وثالثه من غير حرف في قوله وسبحه وقوله وسبحوه بكرة وقوله سبح اسم ربك الاعلى فالفرق بينها نقول اما الباء فهي الاله بالقديم اولى في هذا الموضع كقوله تعالى وسبح بحمدر بك فنقول اما على قولنا المراد من سبح قل سبحان الله فالبا لا صاحب اى مقترنا بحمد الله فيكون كأنه تعالى قال قل سبحان الله والحمد لله وعلى قولنا المراد التنزيه لذلك اى نزله واقربه بحمد اى سجد واشكره حيث وفقك الله لتسبحه فان السعادة الابدية لمن سجد وعلى هذا فيكون المفعول غير مذكور لحصول العلم به من غير ذكر تقديره سبح الله بحمدر بك اى ملتبسا ومقترنا بحمدر بك وعلى قولنا صل نقول يحتمل ان يكون ذلك أمرا بقراءة الفاتحة في الصلاة يقال صلى فلان اشورة كذا وصلى بقل هو الله أحد فكانه يقول صل بحمد الله اى مقروافها الحمد لله رب العالمين وهو أبعد الوجوه واما التعدية من غير حرف فنقول هو الاصل لان التسبيح يتعدى بنفسه لان معناه تبييد من السوء واما اللام فيحتمل وجهين احدهما ان يكون كما في قول القائل نصحت ونصحت له وشكرته وشكرت له وثانيهما ان يكون لبيان الاظهر اى يسبحون الله وقلوبهم بوجه الله خالصة (البحث الثاني) قال ههنا سبح بحمدر بك ثم قال تعالى ومن الليل فسبحه من غير باء فالفرق بين الموضعين نقول الامر في الموضعين واحد على قولنا التقدير سبح الله مقترنا بحمدر بك وذلك لان سبح الله كقول القائل فسبحه غير ان المفعول لم يذكر اولادلالة قوله بحمدر بك عليه وثانيا لدلالة ما سبق عليه لم يذكر بحمدر بك الجواب الثاني على قولنا سبح بمعنى صل يكون الاول أمرا بالصلاة والثاني أمرا بالتنزيه اى وصل بحمدر بك في الوقت وبالليل نزله عما يليق وحينئذ يكون هذا اشارة الى العمل والذكر والفكر فقوله سبح اشارة الى خير الاعمال وهو الصلاة وقوله بحمدر بك اشارة الى الذكر وقوله ومن الليل فسبحه اشارة الى الفكر حين هدوا الاصوات وصفاء الباطن نزله عن كل سوء بفكره واعلم انه لا يتصف الا بصفات الكمال ونعوت الجلال وقوله تعالى وادبار السجود قد تقدم بعض ما يقال في تفسيره ووجه آخر هو انه اشارة الى الامر بادامة التسبيح فقوله بحمدر بك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه اشارة الى اوقات الصلاة وقوله وادبار السجود يعنى بعد ما فرغت من السجود وهو الصلاة فلا تترك تسبيح الله وتنزيهه بل داوم ادبار السجود ليكون جميع اوقاتك في التسبيح فيفيد فائدة قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت وقوله فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب وقرئ وادبار السجود (البحث الثالث) الفاء في قوله تعالى فسبحه ما وجهها نقول هي تفيد تأكيد الامر بالتسبيح من الليل وذلك لانه يتضمن الشرط كأنه يقول وأما من الليل فسبحه وذلك لان الشرط يفيدان عند وجوده يجب وجود الجزاء وكأنه تعالى يقول النهار محل الاشتغال وكثرة الشواغل فاما الليل فحل السكون والانقطاع فهو وقت التسبيح او نقول بالعكس

الليل محل النوم والثبات والغفلة فقال اما التايل فلا تجعله للغفلة بل اذا كر فيه ربك وزهده
 (البحث الرابع) من في قوله ومن الليل يحتمل وجهين أحدهما ان يكون لا يتدأ الغاية
 أي من أول الليل فسيحبه وعلى هذا فيلزم كره غاية لاختلاف ذلك بغلبة انوم وعدمها
 يقال انما من الليل أنتظر كذا أي يكون للتبعض أي اصرف من الليل طرفا الى
 التسبيح يقال من مالك منع ومن الليل انتبه أي بعهد (البحث الخامس) قوله وادبار
 السجود عطف على ماذا نقول يحتمل أن يكون عطفا على ما قبل الغروب كانه قال
 تعالى وسبح بحمديك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وادبار السجود وكر بينهما
 قوله ومن الليل فسيحبه وعلى هذا ففيه ما ذكرنا من الفائدة وهي الامر بالمداومة كانه قال
 سبح قبل طلوع الشمس واذا جاء وقت الفراغ من السجود قبل الطلوع فسيحبه وسبح قبل
 الغروب وبعد الفراغ من السجود قبل الغروب سحبه فيكون ذلك اشارة الى صرف
 الليل الى التسبيح ويحتمل أن يكون عطفا على ومن التايل فسيحبه وعلى هذا يكون عطفا
 على الجار والمجرور جعلا تقديره وبعض الليل فسيحبه وادبار السجود * ثم قال تعالى
 (واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب) هذا اشارة الى بيان غاية التسبيح يعني اشتغل
 بتزكياه الله وانتظر المنادي كقوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وفيه مسائل
 (المسئلة الاولى) ما الذي يستمع فلنا يحتمل وجوها ثلاثة أحدها أن يترك مفعوله
 رأسا ويكون المتصور كن مستعاولا تكن مثل هؤلاء المعرضين الغافلين يقال هو رجل
 سميع مطيع ولا يراد مسموع بعينه كما يقال فلان وكاس فلان يعطى ويمنع ثانياها استمع
 لما يوحى اليك ثانياها استمع نداء المنادي (المسئلة الثانية) يوم ينادي المناد منصوب بأي
 فعل نقول هو مبني على المسئلة الاولى ان فلنا استمع لامفعول له فعامله ما يدل عليه
 قوله تعالى يوم الخروج تقديره يخرجون يوم ينادي المنادي وان فلنا مفعوله لما يوحى
 فتقديره واستمع لما يوحى يوم ينادي ويحتمل ما ذكرنا وجهها آخر وهو ما يوحى أي ما يوحى
 يوم ينادي المنادي اسمعه فان قيل استمع عطف على فاصبر وسبح وهو في الدنيا
 والاستماع يكون في الدنيا وما يوحى يوم ينادي المنادي لا يستمع في الدنيا نقول ليس
 بلازم ذلك لجواز أن يقال صل وادخل الجنة أي صل في الدنيا وادخل الجنة في العقبى
 فكذلك ههنا ويحتمل أن يقال بان استمع بمعنى انتظر فيحتمل الجمع في الدنيا وان فلنا
 استمع الصحيحة وهونداء المنادي يا عظام انتشروا والسؤال الذي ذكره علم الجواب منه
 وجواب آخر نقوله حينئذ وهو ان الله تعالى قال ونفخ في الصور فصعق من في السموات
 ومن في الارض الا من شاء الله قلنا ان من شاء الله هم الذين علموا وقوع الصحيحة
 واستيقظوا لها فلم تزججهم كن يرى برقا أو مض وعلم ان حسيبه يكون رعد قوى فينظره
 ويستمع له وآخر التايل فاذا رعد بقوة بما يغشى على الغافل ولا يثار منه المستمع فقال
 استمع ذلك كي لا تكون من بصعق في ذلك اليوم (المسئلة الثالثة) ما الذي ينادي المنادي

(واستمع) أي لما يوحى
 اليك من أحوال القيام
 وفيه تنويل وتقطيع
 للخبير به (يوم ينادي
 المنادي) أي اسرافيل
 أو جبريل عليهما السلام
 فيقول أيتها العظام
 البالية والمحجور المتزقة
 والشعور المنفرقة ان الله
 يأمر كن أن تجتمعن
 لفصل القضاء وقيل
 اسرافيل ينفخ وجبريل
 ينادي بالحشر (من
 مكان قريب) بحيث
 يصل نداؤه الى الكل
 على سواء وقيل من
 صخرة بيت المقدس وقيل
 من تحت اقدامهم وقيل
 من منابت شعورهم
 يسمعون من كل شجرة ولعل
 ذلك في الاجادة مثل كن
 في البدء

نقول فيه وجوه محتملة منقولة معقولة وحصرها بأن نقول المنادى إما أن يكون هو الله تعالى أو الملائكة أو غيرهما وهم المكلفون من الأنس والجن في الظاهر وغيرهم لا ينادى فان قلنا هو الله تعالى فيه وجوه أحدها ينادى أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم ثانيها ينادى ألقيا في جهنم كل كفار عنيد مع قوله ادخلوها بسلام ومثله قوله تعالى خذوه فغلوه يدل على هذا قوله تعالى يوم يناد المناد من مكان قريب وقال وأخذوا من مكان قريب ثالثة غيرهما بقوله تعالى يناديهم أين شركائي وغير ذلك وأما على قولنا المنادى غير الله ففيه وجوه أيضا أحدها قول إبراهيم إني أخاف إن يسلط عليهما العزيز ذو العرش فلو كان الله تعالى يناديهم لكانت الآية بالياء اجتمعوا فلوصل واستمعوا للفصل ثانيها النداء مع النفس يقال للنفس ارجعي إلى ربك لتدخل مكنك من الجنة أو النار ثالثها ينادى مناد هو لاء الجنة وهؤلاء النار كما قال تعالى فربق في الجنة ورفيق في السعير وعلى قولنا المنادى هو المكلف فيجوز أن يقال هو ما بين الله تعالى في قوله ونادوا يا مالك أو غير ذلك إلا أن الظاهر أن المراد أحد الوجهين الأولين لأن قوله المنادى للتعريف وكون الملك في ذلك اليوم منادى معروف عرف حاله وإن لم يجز ذكره فيقال قال صلى الله عليه وسلم وإن لم يكن قد سبق ذكره وأما إن الله تعالى مناد فقد سبق في هذه السورة في قوله ألقيا وهذا نداء وقوله يوم تقول لجهنم وهؤلاء وأما المكلف فليس كذلك وقوله تعالى من مكان قريب إشارة إلى أن الصوت لا يخفى على أحد بل يستوى في استماعه كل أحد وعلى هذا فلا يبعد حمل المنادى على الله تعالى إذ ليس من المكان القريب نفس المكان بل ظهور النداء وهو من الله تعالى أقرب وهذا كما قال في هذه السورة ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وليس ذلك بالشك أن ثم قال تعالى (يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) هذا تحقيق ما بينا من الفائدة في قوله واستمع أي لا تكن من الغافلين حتى لا تصعق يوم الصيحة وبيانه هو أنه قال استمع أي كن قبل أن تستمع مستبظا لوقوعه فان السمع لا بد منه أنت وهم فيه سواء فهم يسمعون لكن من غير استماع فيصعقون وأنت تسمع بعد الاستماع فلا يؤثر فيك إلا ما لا بد منه ويوم يحتمل وجوها أحدها ما قاله الرحمن ربي أنه يدل من يوم في قوله واستمع يوم ينادى المنادى والعامل فيهما الفعل الذي يدل عليه قوله تعالى ذلك يوم الخروج أي يخرجون يوم يسمعون وثانيها أن يوم يسمعون العامل فيه ما في قوله ذلك ويوم ينادى المنادى العامل فيه ما ذكرنا ثالثها أن يقال استمع عامل في يوم ينادى كما ذكرنا وينادى عامل في يوم يسمعون وذلك لأن يوم ينادى وإن لم يجز أن يكون منصوبا بالمضاف إليه وهو ينادى لكن خبره يجوز أن يكون منصوبا به يقال إذا كره حال زيد ومذله يوم ضرب به عمرو يوم كان عمرو واليا إذا كان القائل يريد بيان مذلة زيد عندما صار زيدا يكرم بسبب من الأسباب فلا يكون يوم كان عمرو واليا منصوبا بقوله إذا كره لأن غرض القائل التذكير بحال زيد ومذله وذلك يوم الضرب لكن يوم كان عمرو ومنسوب بقوله ضرب به عمرو يوم كان واليا فكذلك

(يوم يسمعون الصيحة)
يدل من يوم ينادى الخ
وهي النفخة الثانية
(بالحق) متعلق بالصيحة
والمعامل في الظرف
ما يدل عليه قوله تعالى
(ذلك يوم الخروج)
أي يوم يسمعون الصيحة
متلبيسة بالحق الذي هو
البعث يخرجون من
القبور

هم نأقل استمع يوم ينادى المنادى ثلاثون من يفرع و يصعق ثم بين هذا النداء بقوله
 ينادى المنادى يوم يسمعون أى لا يكون نداء خفيا بحيث لا يسمعه بعض الناس بل يكون
 نداؤه بحيث تكون نسبته الى من فى اقصى المغرب كمنسبته الى من فى المشرق وكذلك
 يسمعون ولاشك ان مثل هذا الصوت يجب ان يكون الانسان منهيا لاستماعه وذلك
 يشغل النفس بعبادة الله تعالى وذكره والتفكير فيه فظهر فائدة جلية من قوله فاصبر
 وسمع واستمع يوم ينادى المنادى ويوم يسمعون واللام فى الصيغة لتعريف وقد صرف
 حالها وذكرها الله مرارا كائى قوله تعالى ان كانت الاصيبة واحدة وقوله فانما هى
 زجرة واحدة وقوله نفخة واحدة وقوله بالحق جازان يكون متعلقا بالصيغة أى الصيغة
 بالحق يسمعونها وعلى هذا ففيه وجوه (الاول) الحق الحشر أى الصيغة بالحشر وهو حق
 يسمونها يقال صاح زيدا قوم اجتمعوا على حد استعمال تكلم بهذا الكلام وتقديره
 حيثئذ يسمعون الصيغة بيا عظام اجتمعى وهو المراد بالحق (الثانى) الصيغة بالحق أى
 باليقين والحق هو اليقين يقال صاح فلان ييقن لابنن وتخمين أى وجد منه الصباح يقينا
 لا كالصدى وغيره هو يجرى بجرى الصفة للصيغة يقال استمع سماعا بطلب وصاح صيغة
 بقوة أى قوية فكانه قال الصيغة المحققة (الثالث) ان يكون معناه الصيغة المقترنة بالحق
 وهو الوجود يقال كن فيتحقق ويكون ويقال اذهب بالسلامة وارجع بالسعادة أى
 ثقرونا ومصحوبان قيل زدينا فان البقاء فى الحقيقة للالصاق فكيف يفهم معنى
 الاصاق فى هذه المواضع نقول التعدية قد يتحقق بالباء يقال ذهب زيد على معنى ألصق
 الذهب بزيد فوجد قائما به فصار مفعولا فعلى قوائنا المراد يسمعون صيغة من صاح بيا عظام
 اجتمعى هو تعدية المصدر بالباء يقال اعجمى ذهاب زيد بعمره وكذلك قوله الصيغة بالحق
 أى ارفع الصوت على الحق وهو الحشر وله موعدين بينه فى موضع اخر ان شاء الله تعالى
 (الوجه) الثانى ان يكون الحق متعلقا بقوله يسمعون أى يسمعون الصيغة بالحق وفيه
 وجهان الاول هو قول القائل سمعته ييقن الثانى الباء فى يسمعون بالحق قسم أى يسمعون
 الصيغة بالله الحق وهو ضعيف وقوله تعالى ذلك يوم الخروج فيه وجهان أحدهما ذلك
 إشارة الى يوم أى ذلك اليوم يوم الخروج ثانيه ما ذلك إشارة الى نداء المنادى * ثم قال
 تعالى (انا نحن نحيى ونميت والينا المصير) قد ذكرنا فى سورة يس ما يتعلق بقوله انا نحن
 وأما قوله نحيى ونميت فالمراد من الاحياء الاحياء أولا ونميت إشارة الى الموت الاول وقوله
 والينا بيان للحشر قد قدم انا نحن لتعريف عظمتهم يقول القائل انا انا أى مشهور ونحيى
 ونميت أمور مؤكدة معنى العظمة والينا المصير بيان للمقصود * وقوله تعالى
 (يوم تشقى الارض عنهم سراعا) العامل فيه هو ما فى قوله يوم الخروج من الفعل أى
 يخرجون يوم تشقى الارض عنهم سراعا وقوله سراعا حال للخارجين لان قوله تعالى عنهم
 يفيد كونهم مفعولين بالتشقى فكان التشقى عند الخروج من القبر كما يقال كشف عنه

(انا نحن نحيى ونميت)
 فى الدنيا من غير أن
 يشاركتنا فى ذلك أحد
 (والينا المصير) للجزاء فى
 الآخرة لا الى غيرنا
 لا استقلال ولا اشتراكا
 (يوم تشقى الارض
 عنهم) يهدف احدى
 التاءين من تشقى وفري
 بنشد يد الشين وتشقى
 على البناء للمفعول من
 التفعيل وتشقى (سراعا)
 مصرعين

فهو مكشوف عنه فيصير سرا عينية المفعول كأنه قال مصرهين والمصراع جمع سريع
 كالكرام جمع كزيم * قوله (ذلك حشر) يحتمل أن يكون إشارة إلى التشقق عنهم ويحتمل
 أن يكون إشارة إلى الإخراج المدلول عليه بقوله سرا عا ويحتمل أن يكون معناه ذلك
 الحشر حشر يسير لأن الحشر علم مما تقدم من الالفاظ * وقوله تعالى (علينا يسير)
 بتقديم الظرف يدل على الاختصاص أي هو علينا هين لا على غيرنا وهو إعادة جواب
 قولهم ذلك رجع بعيد والحشر الجمع ويوم القيامة جمع الاجزاء بعضها إلى بعض وجمع
 الارواح مع الاشباح أي يجمع بين كل روح وجسدها وجمع الامم المتفرقة والرم المتفرقة
 والكل واحد في الجمع * ثم قال تعالى (نحن أعلم بما يقولون) وما أنت عليهم بجبار فذكر
 بالقرآن من يخاف وعيد) فيه وجوه (أحدها) تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم
 والمؤمنين وتخريض اهلهم على ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الصبر والتسليم أي
 اشتغل بما قلناه ولا يشغلك الشكوى البينا فانا نعلم أقوالهم ونرى أعمالهم وعلى هذا فقوله
 وما أنت عليهم بجبار مناسبه أي لا تنقل بأنى أرسلت اليهم لاهديهم فكيف اشتغل بما
 يشغلني عن الهداية وهو الصلاة والتسليم فالتسليم ما بهتت مساطع على دواعيهم وقدرهم
 وانما أمرت بالسلب وقد بلغت فاصبر وسمع وانتظر اليوم الذي يفصل فيه بينكم (ثانيها)
 هي كلمة تهديد وتخويف لأن قوله والينا المصير ظاهر في التهديد بالعلم بعملكم لأن من يعلم
 ان امر جمعه إلى الملك ولكنه يعتقد ان الملك لا يعلم ما يفعله لا يتبع من التبايح اما اذا علم
 انه يعلم وعنده غيبه واليد عوده يمتنع فقال تعالى والينا المصير ونحن أعلم وهو ظاهر في
 التهديد وهذا حينئذ كقوله تعالى ثم الياء مرجعكم فنتبئكم بما كنتم تعملون انه عليهم
 بذات الصدور (ثالثها) تقرير الحشر وذلك لانه لما بين ان الحشر عليه يسير لكمال قدرته
 ونفوذا رادته ولكن تمام ذلك بالعلم الشامل حتى يميز بين جن بدنين جز بدنين جز بدنين
 عمر وقال ذلك حشر علينا يسير لكمال قدرتنا ولا يخفى علينا الاجزاء لما كان علمنا وعلى هذا
 فقوله نحن أعلم بما يقولون معناه نحن نعلم عين ما يقولون في قولهم انذمتنا وكناترانا انذا
 ضللنا في الارض فيقول نحن نعلم الاجزاء التي يقولون فيها انها ضالة وخفية ولا يكون
 المراد نحن نعلم قواهم وفي الاول جاز أن تكون ما مصدرية فهكون المراد من قوله
 ماية وان أي قواهم وفي الوجه الآخر كون خبرية وعلى هذا الدليل فلا يصح قوله نحن
 أعلم انذاعلم بتلك الاجزاء سواء حتى يقول نحن أعلم نقول قد علم الجواب عنه مرارا من
 وجوه (أحدها) أن أفعل لا يقتضي الاشتراك في أصل الفعل كما في قوله تعالى والله أحق
 أن نخشاه وفي قوله تعالى أحسن نديا وفي قوله وهو أهون عليه (ثانيها) معناه نحن أعلم بما
 يقولون من كل عالم بما يعلمه والاول أصح وأظهر وأوضح وأشهر وقوله تعالى وما أنت
 عليهم بجبار فيه وجوه (أحدها) انه لا تسلية أيضا وذلك لانه لما من عليه بالاقبال على
 الشغل الاخرى وهو العبادة اخبر بأنه لم يصرف عن الشغل الآخر وهو البعث كما ان

(ذلك حشر) بعث
 وجمع وسوق (علينا
 يسير) أي هين وتقديم
 الجار والمجرور تخصيص
 اليسر به تعالى (نحن
 أعلم بما يقولون) من نفي
 البعث وتكذيب الآيات
 الناطقة به وغير ذلك
 مما لا خيرة فيه (وما أنت
 عليهم بجبار) بتسلط
 تفسرهم على الايمان
 أو تفعل بهم ما تريد
 وانما أنت مذكر (فذكر
 بالقرآن من يخاف وعيد)
 وأما من عداهم فمحق
 نفعل بهم ما توجب أقوالهم
 وتستدعيه أعمالهم من
 ألوان العقاب وفنون
 العذاب * عن النبي عليه
 الصلاة والسلام من
 قرأ سورة نون هون الله
 عليه ثارات الموت
 وسكراته

الملك اذا امر بعض عبيده بشغلين فظهر عجزه في أحدهما يقول له أقبل على الشغل الآخر
منهما ونحن نبعث من يقدر على الذي عجزت عنه منهما فقال اصبر وسبح وما أنت بجبار
أى فما كان امتناعهم بسبب تجبر منك أو تكبر فاشأوا من سوء خلقت بل كنت بهم
رؤفا وعليهم عطايا وياقات وبلغت وامتعوا فأقبل على الصبر والتسبيح غير مصروف
عن الشغل الاول بسبب جبروتك وهذا في معنى قوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون الى
أن قال وانك اعلى خلق عظيم (ثانيها) هو بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بما عليه من
الهداية وذلك لانه أرسله منذرا وهدايا للملجأ ومجبرا وهذا كما في قوله تعالى وما أرسلناك
عليهم حفظة أى تحفظهم من الكفر والنار وقوله وما أنت عليهم فى معنى قول القائل اليوم
فلان علينا فى جواب من يقول من عليكم اليوم أى من الوالى عليكم (ثالثها) هو بيان
عدم وقت نزول العذاب بعد ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لما انذر واهذروا ظهر
ولم يؤمنوا كان يقول ان هذا وقت العذاب فقال نحن اعلم بما يقولون وما أنت عليهم
بسلط فقد كر بعد ابي ان لم يؤمنوا من بقي منهم من تعلم انه يؤمن ثم تسلط عليهم ويؤيد هذا
قول المفسرين ان الآية نزلت قبل نزول آية القتال وعلى هذا فقوله فذكر بالقرآن من
يخاف وعيد أى من بقي منهم من يخاف يوم الوعيد وفيه وجوه آخر (أحدها) اننا ينسا
في أحدا وجوه ان قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وسبح معناه أقبل على العبادة ثم قال
ولا تترك الهداية بالكلمة بل وذكرا المؤمنين فان الذكرى تنفع المؤمنين وأعرض عن
الجاهلين وقوله بالقرآن فيه وجوه (الاول) فذكر بما فى القرآن وانزل عليهم القرآن
يحصل لهم بسبب ما فيه المنفعة (الثاني) فذكر بالقرآن أى بين به انك رسول لكونه معجزا
واذا ثبت كونك رسولا لازمهم قبول قولك فى جميع ما تقول به (الثالث) المراد فذكر
بمقتضى ما فى القرآن من الاوامر الواردة بالتبليغ والتذكير وحيث يكون ذكر القرآن
لا تنفع النبي صلى الله عليه وسلم أى اجعل القرآن امامك وذكرهم بما أخبرت فيه
بان تذكرهم وعلى الاول معناه انزل عليهم القرآن لينذكروا بسببه وقوله تعالى من يخاف
وعيد من جملة ما بين كون الخشية دالة على عظمة المخشى ككثرة ما يدل عليه الخوف
حيث قال يخاف عند ما جعل الخوف عذابه ووعيده وقال اخشوني عند ما جعل
الخوف نفسه العظيم وفى هذه الآية اشارة الى الاصول الثلاثة قوله وذكر اشارة
الى أنه مرسل مأمور بالتذكير منزل عليه القرآن حيث قال بالقرآن وقوله وعيد
اشارة الى اليوم الآخر وضمير المتكلم فى قوله وعيد يدل على الوحدة فانه لو قال
من يخاف وعيد الله كان يذهب وهم الجاهل الى كل صوب فلذا قال وعيدى والمتكلم
أعرف المعارف وأبعد عن الاشراك به وقبول الاشتراك فيه وقد بينا فى أول السورة
أن أول السورة وآخرها متقاربان فى المعنى حيث قال فى الاول ق والقرآن المجيد
وقال فى آخرها فذكر بالقرآن * وهذا آخر تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين

* (سورة والذاريات

مكية وإيهاسون)

* (بسم الله الرحمن

الرحيم) * (والذاريات

ذروا) أى الرياح التى تذرو

التراب وغيره وقرئ

بأفام التاء فى الذال

(فالحاملات وقرا) أى

السحب الحاملة للمطر

أو الرياح الحاملة للسحب

وقرئ وقرا على تسمية

المحمول بالمصدر (فالجار

يات يسرا) أى السفن

الجارية فى البحر والرياح

الجارية فى مهاجها

أو السحب الجارية فى

الجو بسوق الرياح أو

الكواكب الجارية فى

مجاريها ومنازلها ويسرا

صفة لمصدر محذوف

وصلاته على خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد النبي وآله وصحبه وأزواجه
وذرياته أجمعين

(سورة الذاريات ستون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والذاريات ذروا فالحمالات وقرأوا الجساريات يسرا فالقسعات أمرا) أول هذه
السورة مناسب لاخر ما قبلها وذلك لانه تعالى لما بين الحشر بدلائله وقال ذلك حشر
علينا يسير وقال وما أنت عليهم بجبار أي تجبرهم وتلجئهم الى الايمان اشارة الى اصرارهم
على الكفر بعد اقامة البرهان وتلاوة القرآن عليهم لم يبق الا اليقين فقال والذاريات ذروا
انما توعدون لصادق وأول هذه السورة وآخرها متاسبان حيث قال في أولها انما
توعدون لصادق وقال في آخرها قويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون وفي تفسير
الآيات مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا الحكمة وهي في القسم من المسائل الشريفة
والمطالب العظيمة في سورة والصفات ونعبيدها ههنا وفيها وجوه (الاول) أن الكفار
كانوا في بعض الاوقات يعترفون بكون النبي صلى الله عليه وسلم غالبا في اقامة الدليل
وكانوا ينسبونه الى المجادل لقول الى أنه عارف في نفسه بفساد ما يقوله وأنه يغلب بقوة الجدل
لا يصدق المقال كما أن بعض الناس اذا أقام عليه الخصم الدليل ولم يبق له حجة يقول انه
غالبني لعلمه بطريق الجدل وتعجزني عن ذلك وهو في نفسه يعلم أن الحق بيدي فلا يبق لي المنكلم
المبرهن طريق غير اليقين فيقول والله ان الامر كما أقول ولا أجادل بالباطل وذلك لانه
لو سلك طريقا آخر من ذكر دليل آخر فاذا تم الدليل الآخر يقول الخصم فيه مثل ما قال
في الاول ان ذلك تقرير بقوة علم الجدل فلا يبق الا السكوت أو التمسك بالايمان وترك
اقامة البرهان (الثاني) هو أن العرب كانت تحترز عن الايمان الكاذبة وتعتقد أنها تدع
الديار بلاقع ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من الايمان بكل شريف ولم يزد ذلك
الارفعة وثباتا وكان يحصل لهم العلم بأنه لا يخلف بها كاذبا ولا لاصابه شوم الايمان
وناله المكروه في بعض الايمان (الثالث) وهو أن الايمان التي حلف الله تعالى بها كلها
دلائل أخرجها في صورة الايمان مثله قول القائل لمنعه وحق نعمك الكثيرة اني
لا أزال أشكرك فيذكر النعم وهي سبب مفيد لدوام الشكر ويسلك مسلك القسم كذلك
هذه الاشياء كلها دليل على قدرة الله تعالى على الاعادة فان قيل فلم أخرجها من ايمان
نقول لان المنكلم اذا شرع في أول كلامه بخلف يعلم السامع أنه يريد أن يتكلم بكلام
عظيم فيصغي اليه أكثر من أن يصغي اليه حيث يعلم أن الكلام ليس بمعتبر فبدا بالخلف
وأدرج الدليل في صورة اليقين حتى أقبل القوم على سماعه فخرج لهم البرهان المبين
والتيان المتين في صورة اليقين وقد استوفينا الكلام في سورة والصفات (المسئلة الثانية)

اي جرياد يسير (فالقسعات
أمرا) أي الملائكة التي
تقسم الامور من الامطار
والارزاق وغيرها أو
الصحب التي يقسم الله
تعالى بها أرزاق العباد
وقد جوز أن يراد بكل
الرياح تنزيلا لاختلاف
العنوان منزلة اختلاف
الذات فانهما كما تذر
وما تذروه تثير الصحاب
وتحمله وتجرى في الجوق
جريا سهلا وتقسم الامطار
بتصرف الصحاب
في الاقطار فان حلت
الامور المقسم بها على
ذوات مختلفة فالغاة لترتيب
الأقسام باعتبار ما بينها
من التفاوت في الدلالة
على كمال القدرة والافهى
لترتيب ما صدر عن الرب
من الافاعيل فانها تذرو
الأنجرة الى الجوق حتى تنعقد
سحابا فتجري به بأسطة
له الى ما أمرت به فتقسم
المطر وقوله

في جميع السور التي أقسم الله في ابتدائها بغير الحروف صكان القسم لاثبات أحد
 الاصول الثلاثة وهي الوجدانية والرسالة والحشر وهي التي يتم بها الايمان ثم ان الله تعالى
 لم يقسم لاثبات الوجدانية الا في سورة واحدة من تلك السور وهي الصافات حيث قال
 فيها ان الهكم واحد وذلك لانهم وان كانوا يقولون اجعل الآلهة الهاء واحدا على سبيل
 الانكار وكانوا يبالغون في الشرك لكنهم في تضاعيف أقوالهم وتصاريف أحوالهم
 كانوا يصرحون بالتوحيد وكانوا يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زافى وقال تعالى
 ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلم يبالغوا في الحقيقة في انكار
 المطلوب الاول فاكتفى بالبرهان ولم يكثر من الايمان وفي سووتين منها أقسم لاثبات صدق
 محمد صلى الله عليه وسلم وكونه رسولا في احدهما بأمر واحد وهو قوله تعالى والهم إذا
 هو ماضل صاحبكم وفي الثانية بأمرين وهو قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى
 ما ودعك ربك وما قلى وذلك لان القسم على اثبات رسالته قد كثر بالحروف والقرآن كافي
 قوله تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين وقد ذكرنا الحكم فيه أن من معجزات
 النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فاقسم به ليكون في القسم الإشارة واقعة الى البرهان وفي
 باقي السور كان المقسم عليه الحشر والجزاء وما يتعلق به ليكون انكارهم في ذلك خارجا
 عن الحدود عدم استيفاء ذلك في صورة القسم بالحروف (المسئلة الثالثة) أقسم الله تعالى
 بجموع السلامة المؤنثة في سور خمس ولم يقسم بجموع السلامة المذكورة في سورة أصلا
 فلم يقل والصالحين من عبادي ولا المفر بين الى غير ذلك مع أن المذكر أشرف وذلك لان
 جموع السلامة بالواو والنون في الامر الغالب لمن يعقل وقد ذكرنا أن القسم بهذه
 الاشياء ليس لبيان التوحيد الا في صورة ظهور الامر فيه وحصول الاعتراف منهم به
 ولان رسالة لحصول ذلك في صور القسم بالحروف والقرآن * باني أن يكون المقصود اثبات
 الحشر والجزاء لكن اثبات الحشر لثواب الصالح وعذاب الصالح ففائدة ذلك راجع الى
 من يعقل فكان الامر يقتضي أن يكون القسم بغيرهم والله أعلم (المسئلة الرابعة) في
 السورة التي أقسم لاثبات الوجدانية أقسم في أول الامر بالساكنت حيث قال
 والصافات وفي السور الأربع الباقية أقسم بالمتحرركات فقال وانذاريات وقال
 والمرسلات وقال والنازعات ويؤيده قوله تعالى والسابحات فالسابقات وقال والعاديات
 وذلك لان الحشر فيه جم وتفرق وذلك بالحركة أليق أو ان نقول في جميع السور الأربع
 أقسم بالرياح على ما بين وهي التي تجتمع وتفرق فاقادروا على تأليف السحاب المتفرق
 بالرياح الذارية والمرسلات قادر على تأليف الاجزاء المتفرقة بطريق من الطرق التي
 يختارها بعيشته تعالى (المسئلة الخامسة) في الذاريات أقوال (الاول) هي الرياح تذر
 التراب وغيره كما قال تعالى تذرره الرياح (الثاني) هي الكواكب من فرائد اذا
 أمرع (الثالث) هي الملائكة (الرابع) رب الذاريات والاول أصح (المسئلة السادسة)

تعالى (ان ما توعدون
 لصادق وان الدين
 اواقع) جواب للقسم
 وفي تخصيص الامور
 المذكورة بالاقسام بها
 رمز الى شهادتها
 بتحقيق مضمون الجملة
 المقسم عليها من حيث
 انها امور بدعية مخالفة
 لمقتضى الطبيعة فن قدر
 عليها فهو قادر على
 البعث الموعود وما
 موصولة أو مصدرية
 ووصف الوعد بالصدق
 كوصف العيشة بالرضا
 والدين الجزاء ووقوعه
 حصوله (والسماوات
 الحك) قال ابن عباس
 وقتادة وعكرمة

الامور الاربعه جاز ان تكون امورا متباينة وجاز ان تكون امراله اربع اعتبارات
والاول هو ما روى عن علي عليه السلام ان الذاريات هي الرياح والحاملات هي السحاب
والجاريات هي السفن والمقسمات هي الملائكة الذين يقسمون الارزاق والثاني وهو
الاقرب ان هذه صفات اربع للرياح فالذاريات هي الرياح التي تنشي السحاب أولا
والحاملات هي الرياح التي تعمل السحب التي هي بخار المياه التي اذا سبحت حرت السيول
الطافية وهي اوقار مثل من جبال والجاريات هي الرياح التي تجري بالسحب بعد حملها
والمقسمات هي الرياح التي تفرق الامطار على الافطار ويحتمل ان يقال هذه امور اربعة
مذكورة في مقابلة امور اربعة بها تتم الاعادة وذلك لان الاجزاء التي تفرقت بعضها في
تغوم الارضين وبعضها في فطور البحور وبعضها في جوال الهواء وهي الاجزاء اللطيفة
البخارية التي تنفصل عن الابدان فقوله تعالى والذاريات بمعنى الجامع للذاريات من
الارض على ان الذارية هي التي تذروا التراب عن وجه الارض وقوله تعالى فالحاملات
وقرأ هي التي تجمع الاجزاء من الجو وتحمله حلا فان التراب لا ترفعه الرياح حلا بل تنقله
من موضع وترميه في موضع بخلاف السحاب فانه يحمله وينقله في الجو حلا لا يقع منه
شيء وقوله فالجاريات يسرا اشارة الى الجامع من الماء فان من يجري السفن الثقيلة من
تيار البحار الى السواحل يقدر على نقل الاجزاء من البحر الى البر فاذاتين ان الجمع من
الارض وجوال الهواء ووسط البحار ممكن واذا اجتمع بين نفخ الروح لكن الروح من امر الله
كما قال تعالى وبساؤلك عن الروح قل الروح من امر ربي فقال فالمقسمات امر الملائكة
التي تنفخ الروح في الجسد بأمر الله وان اذكرهم بالمقسمات لان الانسان في الاجزاء
الجسمية غير مخالف تخالفا بينا فان لكل احدا راسا ورجلا والناس متقاربة في الاعداء
والافراد لكن التفاوت الكثير في النفوس فان الشريفة والحسنة بينهما غاية الخلاف
ونها القسمة المتفاوتة تنقسم بمقسم مختار ومأمور مختار فقال فالمقسمات امرا (المسئلة
السابعة) ما هذه المنصوبات من حيث الهو فنقول اما ذروا فلا شك في كونه منصوبا
على انه مصدر واما وقرأ فهو مفعول به كما يقال حل فلان عدلا ثقلا ويحتمل ان يكون
اسما اقيم مقام المصدر كما يقال ضربه سوطا يؤيده قراءة من قرأ بفتح الواو وابسرا فهو
ايضا منصوب على انه صفة مصدر تقديره جري اذ ابسرا واما المقسمات امرا فهو مفعول
به كما يقال فلان قسم الرزق او المال واما حال أتى على صورة المصدر كما يقال قتله صبيرا
أي مصورا كذلك ههنا المقسمات امرا أي مأمورة فان قيل ان كان وقرأ مفعولا
به فلم يجمع وما قيل والحاملات اوقار انقول لان الحاملات على ما ذكرنا صفة الرياح
وهي توارد على وقرأ واحد فان ريحاهب وتسوق السحابة فتسبق السحاب فتهب أخرى
وتسوقها وربما تحول عنه يمنة ويسرة بسبب اختلاف الرياح وكذلك القول في
المقسمات امرا اذا قلنا هو مفعول به لان جماعة يكونون مأمورين تنقسم امرا واحدا

ذات الخلق المستوى
وقال سعيد ابن جبير
ذات الزينة وقال مجاهد
هي المنة البيان وقال
مقاتل والكلبي والضحاك
ذات الطرائق والمراد
اما الطرائق المحسوسة
التي هي مسير الكواكب
او المنة التي يسلكها
النظار والنجوم فان لها
طرائق وعن الحسن
حبكها نجومها حيث
ترينها كما ترين الموشى
طرائق الوشى وهي اما
جمع حبالك اوجبيكة
كشال ومثل وطريقة
وطرق وقرى الحبك
بوزن القفل والحبك
بوزن السالك والحبك
كالجبل والحبك كالبرق
والحبك كأنهم والحبك
كالابل (انكم اني قول
مختلف)

أونقول هو في تفسير التكرير كأنه قال فالخاملات وقرا وقرا والمقسمات أمرا أمرا
 (المسئلة الثامنة) ما فائدة انفاء نقول ان قلنا انها صفات الرياح فليبان ترتيب الامور
 في الوجود فان الذاريات تنشى السحاب فتقسم الامطار على الاقطار وان قلنا انها امور
 اربعة فالغاة للترتيب في القسم لا للترتيب في القسم به كأنه يقول أقسم بالرياح الذاريات
 ثم بالسحب الخماملات ثم بالسفن الجاريات ثم باللائكة المقسمات وقوله فالخاملات وقوله
 فالجاريات اشارة الى بيان ما في الرياح من الفوائد اما في البرفائشاء السحب وأمان البحر
 فاجراء السفن ثم المقسمات اشارة الى ما يترتب على حمل السحب وجرى السفن من
 الارزاق والارياح التي تكون بقسمة الله تعالى فتجري مفعن بعض الناس كما يشتهي
 ولا تريح وبعضهم تريح وهو غافل عنه كما قال تعالى نحن قسمنا بينهم ما يشتهيهم ثم قال
 تعالى (ان ما توعدون اصادق) ما يحتمل أن تكون مصدرية معناه الابعاد صادق وان
 تكون موصولة أي الذي توعدون صادق والصادق معناه ذو صدق كعبثية راضية
 ووصف المصدر بما يوصف به الفاعل بالمصدر فيه افادة مباينة فكما أن من قال فلان اطف
 محض وحلم يجب أن يكون قد بالغ كذلك من قال كلام صادق وبرهان قاهر للخصم أو غير
 ذلك يكون قد بالغ وألوجد فيه هو أنه اذا قال هو اطف بدل قوله لطيف فكأنه قال اللطيف
 شيء له اطف في اللطيف اطف وشيء آخر فأراد أن يبين كثرة اللطيف فجعله كلمة لطف في
 الثاني لما كان الصدق يقوم بالكلم بسبب كلامه فكأنه قال هذا الكلام لا يحوج الى
 شيء آخر حتى يصح اطلاق الصادق عليه بل هو كاف في اطلاق الصادق لكونه سببا قويا
 وقوله تعالى توعدون يحتمل أن يكون من وعد ويحتمل أن يكون من أوعد والثاني هو الحق
 لان اليمين مع المنكر يوعيد لا بوعد وقوله تعالى (وان الدين اواقع) أي الجزاء كأن وعلى
 هذا فالابعاد بالحشر في الموعد هو الحساب والجزاء هو العقاب فكأنه تعالى بين بقوله
 انما توعدون اصادق وان الدين اواقع أن الحساب يستوفى وان العقاب يوفى ثم قال
 (والسما ذات الحبك) وفي تفسيره مباحث الاول والسما ذات الحبك قيل الطرائق
 وعلى هذا فيحتمل أن يكون المراد طرائق الكواكب وممراتها كما يقال في الحسابك
 ويحتمل أن يكون المراد ما في السماء من الاشكال بسبب النجوم فان في سم كواكبها
 طريق التين والعقرب والنسر الذي يقول به أصحاب الصور ومنطقة الجوزاء وغير ذلك
 كاطرائق وعلى هذا فالمراد به السماء المزينة بزينة الكواكب ومثله قوله تعالى
 والسماء ذات البروج وقيل حبكها صفاقها يقال في الثوب الصفيق حسن الحبك
 وعلى هذا فهو كقوله تعالى والسماء ذات الرجع اشدها وقتها هذا ما قيل فيه (البحث
 الثاني) في القسم عليه وهو قوله تعالى (انكم لفي قول مختلف) وفي تفسيره أقوال
 مختلفة كلها محكمة (الاول) انكم في قول مختلف في حق محمد صلى الله عليه وسلم تارة
 تقولون انه أمين وأخرى انه كاذب وتارة تنسبونه الى الجنون وتارة تقولون انه كاهن

أي متخالف متافض
 وهو قولهم في حقه
 عليه الصلاة والسلام
 تارة شاعر وأخرى
 ساحر وأخرى مجنون
 وفي شأن القرآن الكريم
 تارة شعروا أخرى سحر
 وأخرى أساطير وفي هذا
 الجواب تأييد لكون
 الحبك عبارة عن
 الاستواء كما يلوح به
 ما نقل عن الضحاك
 من أن قول الكفرة
 لا يكون مستويا إنما هو
 متافض مختلف وقيل
 الالكته في هذا القسم
 تشبيه اقوالهم في
 اختلافها وتنافي
 أغراضها بطرائق
 السموات في تباعدها
 واختلاف غاياتها
 وإيس بذلك (يو فلك
 عند من أفك)

وشاعر وساحر وهذا محتمل لكنه ضعيف إذا حاجة إلى اليقين على هذا لأنهم كانوا يقولون ذلك من غير أفكار حتى يؤكدهم (الثاني) أنكم في قول مختلف أي غير ثابتين على أمر ومن لا يثبت على قول لا يكون متيقنا في اعتقاده فيكون كأنه قال تعالى والسماء أنكم غير جازمين في اعتقادكم وإنما تظهرون الجزم لشدة عنادكم وعلى هذا القول فيه فائدة وهي أنهم لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أنك تعلم أنك غير صادق في قولك وإنما تجادل ونحن نعلم عن الجدل قال والذاريات ذروا أي أنك صادق ولست معاندا ثم قال تعالى بل أنتم والله جازمون بأنى صادق فعكس الأمر عليهم (الثالث) أنكم في قول مختلف أي متناقض أَمَا في الحشر فلا أنكم تقولون لا حشر ولا حياة بعد الموت ثم تقولون أنا وجدنا آباءنا على أمة فإذا كان لا حياة بعد الموت ولا شعور للميت فماذا يصيب آباءكم إذا خالفتموه وأما يصح هذا من يقولون بأن بعد الموت عذابا فاعلمنا شيئا بكرهه الميت يبدى فلا معنى لقولكم أنا لا ننسب آباءنا بعدم موتهم إلى الضلال وكيف وأنتم تربطون الركايب على قبور الأكارب وأما في التوحيد فتقولون خالق السموات والأرض هو الله تعالى لا غير ثم تقولون هو الله الآلهة وترجعون إلى الشرك وأما في قول النبي صلى الله عليه وسلم فتقولون أنه مجنون ثم تقولون له أنك تغلبنا بقوة جدالك والمجنون كيف يقدر على الكلام المنتظم المعجز إلى غير ذلك من الأمور المتناقضة * ثم قال تعالى (يؤفك عنه من أفك) وفيه وجوه (أحدها) أنه مدح له مؤمنين أي يؤفك عن القول المختلف ويصرف من صرف عن ذلك القول ويرشد إلى القول المستوي (وثانيها) أنه ذم معناه يؤفك عن الرسول (ثالثها) يؤفك عن القول بالحشر (رابعها) يؤفك عن القرآن وقرى يؤفك عنه من أفن أي يحرم وقرى يؤفك عنه من أفك أي كذب * ثم قال تعالى (قتل الخراصون) وهذا يدل على أن المراد من قوله في قول مختلف أنهم غير ثابتين على أمر وغير جازمين بل هم يظنون ويخرصون ومعناه أن الخراصون دعاء عليهم بكموه ثم وصفهم فقال (الذين هم في غمرة ساهون) وفيه مسألان أحدهما نغظية والآخرى معنوية (أما اللفظية) فقوله ساهون يحتمل أن يكون خبرا بمدحهم والمبتدأ هو قوله هم وتقديرهم كانوا في غمرة ساهون كما يقال زيد جاهل جاهل لا على قصد وصف الجاهل بالجأر بل الأخبار بالوصفين عن زيد ويحتمل أن يكون ساهون هو خبرا وفي غمرة ظرف له كما يقال زيد في بيته فاعيد يكون الخبر هو القاعد لا خبر وفي بيته لبيان ظرف القعود كذلك في غمرة لبيان ظرف السهو الذي يصحح وصف المعرفة بالجملة وأولاها لما جاز وصف المعرفة بالجملة (وأما المعنوية) فهي أن وصف الخراص بالسهو والانهماك في الباطل يحقق كون الخراص صفة ذم وذلك لأن ما لا سبيل إليه الا انظن إذا خرص الخراص واطلق عليه الخراص لا يكون ذلك مفيد نقص كما يقال في خراص الفواكه والعساكر وغير ذلك وأما الخراص في محل المعرفة واليقين فهو ذم فقال قتل الخراصون الذي هم جاهلون ساهون لا الذين تعين طريقهم في التخمين والحرز

أي يصرف عن القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام من صرف إذا صرف افطع منه واشد وقبل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويجوز أن يكون الضمير لقول المختلف على معنى يصدر أفك من أفك من ذلك القول وقرى من أفك أي من أفك الناس وهم قرى حيث كانوا يصدون الناس عن الإيمان (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الإنسان ما كلفه وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرين ما لا صحة له وهم أصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرى قتل الخراصين أي قتل الله (الذين هم في غمرة) من الجهل والضلال (ساهون) فاعلمون عما أمر وأبه

وقوله تعالى ساهون بعد قوله في غمرة يفيد أنهم وقعوا في جهل وباطل ونسوا أنفسهم فيه فلم يرجعوا عند ثم قال تعالى (يسألون أيا ن يوم الدين) فان قيل الزمان يجعل ظرف الافعال ولا يمكن أن يكون الزمان ظرفا لظرف آخر وههنا جعل أيا ن ظرف اليوم فقال أيا ن يوم الدين ويقال متى يقدم زيد فيقال يوم الجمعة ولا يقال متى يوم الجمعة فالجواب التقدير متى يكون يوم الجمعة وأيا ن يكون يوم الدين وأيا ن من المركبات ركب من أي التي يقع بها الاستفهام وأن التي هي الزمان أو من أي وأوان فكأنه قال أي أوان فلما ركب بني وهذا منهم جواب لقوله وان الدين اواقع فكأنهم قالوا أيا ن يقع استهزاء وترك المسؤل في قوله يسألون حيث لم يقل يسألون من يدل على أن غرضهم ليس الجواب وإنما يسألون استهزاء وقوله تعالى (يوم هم على النار يفتنون) يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون جوابا عن قولهم أيا ن يقع وحينئذ كما أنهم لم يسألوا سؤال مستفهم طالب لحصول العلم كذلك لم يجيبهم جواب محجب معلومين حيث قال يوم هم على النار يفتنون وجهلهم بالثاني أقوى من جهلهم بالاول ولا يجوز أن يكون الجواب بالاخفى فاذا قال قائل متى يقدم زيد فلو قال الجيب يوم يقدم رفيقه ولا يعلم يوم قدوم الرفيق لا يصح هذا الجواب الا اذا كان الكلام في صورة جواب ولا يكون جوابا كما ان السائل اذا قال كم تعد صداتي وتخلفها الى متى هذا الاخلاف فيغضب ويقول الى اشأم يوم عليك الكلامان في صورة سؤال وجواب ولا الاول يريد به السؤال والا الثاني يريد به الجواب فكذلك همنا قال يوم هم على النار يفتنون مقابلة استهزائهم بالابعاد لاهل وجهه الاثبات بالبيان (والثاني) ان يكون ذلك ابتداء كلام تمامه في قوله تعالى (ذوقوا فنتنكم) فان قيل هذا يفضي الى الاضمار نقول الاضمار لا بد منه لان قوله ذوقوا فنتنكم غير متصل بما قبله الا باضمار يقال ويفتنون قبل معناه يحرقون والاولى ان يقال معناه يعرضون على النار عرض المحرب الذهب على النار لان كلمة على تناسب ذلك ولو كان المراد يحرقون لكان بالنار أو في النار اليق لان الفتنة هي التجرب بقرامها يقال من اخبره ومن انه تجرب به المجازة فعنى بذلك المعنى مصدر الفتنة وههنا قال ذوقوا فنتنكم وانفتنة الامتحان فان قيل فاذا جعلت يوم هم على النار يفتنون مقولا لهم ذوقوا فنتنكم فاقوله (هذا الذي كنتم به تستعجلون) قلنا يحتمل أن يكون المراد كنتم تستعجلون بصريح القول كما في قوله تعالى حكاية عنهم ربنا عجل لنا فطنا وقوله فأتينا بما وعدنا الى غير ذلك يدل عليه ههنا قوله تعالى يسألون أيا ن يوم الدين فانه نوع استعجال ويحتمل أن يكون المراد الاستعجال بالفعل وهو الاصرار على العناد وظهور الفساد فانه يعمل العقوبة ثم قال تعالى (ان المتقين في جنات وعيون) بعد بيان حال المغترين المجرمين بين حال الحق المتقي وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا ان المتقي له مقامات أدناها أن يتقى الشرك واعلاها أن يتقى ما سوى الله وأدنى درجات المتقي الجنة فامن مكلف اجتناب الكفر الا ويدل الجنة فيرزق نعيمها (المسئلة الثانية) الجنة تارة

(يسألون أيا ن يوم الدين)
أي متى وقوع يوم الجزاء
لكن لا بطريق الاستعلام
حقيقة بل بطريق
الاستعجال استهزاء
وقرى أيا ن بكسر الهمزة
(يوم هم على النار
يفتنون) جواب للسؤال
أي يقع يوم هم على النار
يحرقون ويمذبون
ويجوز أن يكون يوم هم
خبر المبتدأ محذوف أي
هو يوم هم الخ والفتح
لاضافته الى غير ممكن
و يؤيده أنه قرى بالرفع
(ذوقوا فنتنكم) أي
مقولا لهم

وحدوها كما قال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وأخرى جمعها كما في هذا المقام قال ان
 المتقين في جنات ونارة ثناها فقال تعالى وان خاف مقام ربه جنتان فالحكمة فيه نقول أما
 الجنة عند التوحيد فلانها لاتصل المنازل والاشجار والانهار كجنة واحدة وأما حكمة
 الجمع فلانها بالنسبة الى الدنيا وبالإضافة الى جناتها جنات لا يحصرها عدد وأما التثنية
 فسنذكرها في سورة الرحمن غير اننا نقول ههنا الله تعالى عند الوعد وحد الجنة وكذلك
 عند الشراء حيث قال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة
 وعند الاعطاء جمعها إشارة الى أن الزيادة في الوعد موجودة والخلاف ما لو وعد بجنات
 ثم كان يقول انه في جنة لانه دون الموعود (الثالثة) قوله تعالى وعيون يقتضى أن يكون
 المتقن فيها ولان الجنة في كون الانسان في ماء أو غير ذلك من المائعات نقول معناه في خلاف
 العيون وذلك بين الانهار بدليل أن قوله تعالى في جنات ليس معناه الا بين جنات وفي
 خلالها لان الجنة هي الاشجار وانما يكون بينها كذلك القول في العيون والتكبير مع أنها
 معرفة للعظيم يقال فلان رجل أي عظيم في الرجولية * وقوله تعالى (أخذين ما آتاهن
 ربهم) فيه مسائل وامطأئب أما المسائل (فالاولى) منها ما معنى أخذين نقول فيه وجهاً
 أحدهما قابضين ما آتاهن شيئاً فشيئاً ولا يستوفونه بكماله لامتناع استيفاء ما لانهاية له
 (ثانيها) أخذين قابلين قبول راض كما قال تعالى ويأخذ الصدقات أي يقبلها وهذا
 ذكره المفسر (وفيه وجه ثالث) وهو أن قوله في جنات يدل على السكنى فحسب وقوله
 أخذين يدل على التملك ولذا يقال أخذ بلاد كذا وقلمة كذا اذا دخلها ممتلكها وكذلك
 يقال لمن اشترى داراً أو بستاناً أخذته بثل قليل أي تملكه وان لم يكن هناك قبض حسا
 ولا قبول برضا وحينئذ فائدته بيان ان دخولهم فيها ليس دخول مستعبر أو ضعف يسترد
 منه ذلك بل هو ملكه الذي اشترى بماله ونفسه من الله تعالى وقوله آتاهم يكون لبيان ان
 أخذهم تلك لم يكن عنوة وفتوحاً وانما كان باعطاء الله تعالى وبلى هذا الوجه ما راجع
 الى الجنات والعيون * وقوله (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) إشارة الى ثمنها أي أخذوها
 وملكوها بالاحسان كما قال تعالى للذين أحسنوا الحسنى بلام الملك وهي الجنة (المسئلة
 الثانية) أخذين حال وهو في معنى قول القائل يأخذون فكيف قال ما آتاهم ولم يقل
 ما يؤتاهم ليتفق اللفظان ويوافق المعنى لان قوله آتاهم ينشأ عن الانقراض وقوله يؤتاهم
 تنبيه على الدوام وإيتاء الله في الجنة كل يوم متجدد ولانهاية له ولا سيما اذا فسرنا الأخذ
 بانقبول كيف يصح أن يقال فلان يقبل اليوم ما آتاه زيد امس نقول اما على ما ذكرنا
 من التفسير لا يرد لان معناه يملك ما أعطاهم وقد يوجد الاعطاء امس ويملك اليوم
 وأما على ما ذكرناه فنقول الله تعالى أعطى المؤمن الجنة وهو في الدنيا غير أنه لم يكن جنى
 ثمارها فهو يدخلها على هيئة الآخذ ور بما يأخذ خيراً مما آتاه ولا ينساق في ذلك كونه
 داخل على تلك الهيئة يقول القائل جئتك خائفاً فاذا أنا آمن وما ذكرتم انما بآدم ان لو

هذا القول وقوله تعالى
 (هذا الذي كنتم به
 تستعجلون) جلة من
 مبدا وخبر داخل تحت
 القول المضمرة أي هذا
 ما كنتم تستعجلون به
 بطريق الاستعزاء
 ويجوز أن يكون هذا
 بدلا من فتنتكم بتأويل
 العذاب والذي صفته
 (ان المتقين في جنات
 وعيون) لا يبلغ كثرتها
 ولا يفاد قدرها
 (أخذين ما آتاهن ربهم)
 أي قابلين لما أعطاهن
 راضين به على معنى أن
 كل ما آتاهن حسن

كان أخذهم مقتصرًا على ما آتاهم من قبل وليس كذلك وإنما هم دخلوها على ذلك ولم يخطر ببالهم غيره فيؤتيهم الله ما لم يخطر ببالهم فيأخذون ما يؤتيهم الله وإن دخلوها ليأخذوا ما آتاهم وقوله تعالى إن أصحاب الجنة اليوم في شغل هؤلاء أخذهم ما آتاهم وقد ذكرناه في سورة يس (المسئلة الثالثة) ذلك إشارة إلى ما ذاقوا من تحمل وجهين (أحدهما) قبل دخولهم لأن قوله تعالى في جنات فيه معنى الدخول يعني قبل دخولهم الجنة أحسنوا (ثانيهما) قبل آتاهم الله ما آتاهم أحسنوا فآتاهم الجنة وهي الجنة فأخذوها وفيه وجوه أخرى هو أن ذلك إشارة إلى يوم الدين وقد تقدم (وأما اللطائف) فقد سبق بعضها ومنها أن قوله تعالى إن المؤمنين لما كان إشارة إلى التقوى من الشرك كان كأنه قال الذين آمنوا لكن الإيمان مع العمل الصالح يفيد سعادتين ولذلك دلالة أنهم من قول القائل أنهم أحسنوا (اللطيفة الثانية) أما التقوى فلأنه لما قال لا اله الا الله فقد أتى الشرك وأما الاحسان فلأنه لما قال الا الله فقد أتى بالاحسان ولهذا قيل في معنى كلمة التقوى انها لا اله الا الله وفي الاحسان قال تعالى ومن أحسن قولاً من دعا إلى الله وقيل في تفسير هل جراء الاحسان الا الاحسان ان الاحسان هو الاتيان بكلمة لا اله الا الله وهما حيث لا يتفصلان بل هما متلازمان * وقوله تعالى (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون) كان تفسير انكونهم محسنين تقول حاتم كان مخنياً كان يئذ موجود ولا يترك مجوده وفيه مباحث (الاول) قليلاً منصوب على الظرف تقديره يهجعون قليلاً تقول قام بعض الليل فتصعب بعض على الظرف وخبر كان هو قوله يهجعون وما زلت هذا هو المشهور وفيه وجد آخر وهو أن يقال كانوا قليلاً معناه في النوم عنهم وهذا منقول عن الضحك ومقاتل وأنكر الزمخشري كون ما نافية وقال لا يجوز ان تكون نافية لان ما بعد ما لا يعمل فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت ويجوز ان يعمل ما بعدهم فيما قبلها تقول زيدا لم أضرب وسبب ذلك هو ان الفعل المتعدي انما يفعل في النفي جلاله على الاثبات لانك اذا قلت ضرب زيد عمراً ثبت تعلق فعله بعمر فاذا قلت ما ضرب به لم يوجد منه فعل حتى يتعلق به ويتعدي اليه لكن النفي محمول على الاثبات فاذا ثبت هذا فالنفي بالنسبة إلى الاثبات كاسم الفاعل بالنسبة إلى الفعل فانه يعمل عمل الفعل لكن اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل فلا تقول زيد ضارب عمراً أمس وتقول زيد ضارب عمراً غداً والآن لان الماضي لم يبق موجوداً ولا متوقع الوجود فلا يتعلق بالفعول حقيقة لكن الفعل لقوته يعمل واسم الفاعل لضعفه لم يعمل اذا عرفت هذا فنقول ما ضرب للنفي في الماضي فاجتمع فيه النفي والماضي فضعف وأما لم أضرب وان كان يقرب المستقبل إلى الماضي لكن الصيغة صيغة المستقبل فوجد فيه ما يوجد في قول لقائل زيد ضارب عمراً غداً فاعمل هذا بيان قوله غير أن القائل بذلك القول يقول قليلاً ليس متصوفاً بقوله يهجعون وإنما ذلك خبر كانوا أي كانوا قليلاً ثم قال من الليل ما يهجعون أي ما يهجعون أصلاً بل يحيون

مرضى يتلقى بحسن
القول (انهم كانوا قبل
ذلك) في الدنيا
(محسنين) أي لأعمالهم
الصالحة آتين بها على
ما ينبغي فذلك نالوا
منا وامن الفوز العظيم
ومعنى الاحسان بالاجال
ما اشار اليه عليه
الصلاة والسلام بقوله
أن تعبد الله كأنك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك
وقد فسر بقوله تعالى
(كانوا قليلاً من الليل
ما يهجعون) أي كانوا
يهجعون في طائفة
قليلة من الليل على أن

الليل جميعه ومن يكون لبيان الجنس لا لشيء يض وهذا الوجه حيث قد فيه معنى قوله
 تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وذلك لانا ذكرنا ان قوله ان المتقين
 فيه معنى الذين آمنوا وقوله محسنين فيه معنى الذين عملوا الصالحات وقوله كانوا قليلا
 فيه معنى قوله تعالى وقليل ما هم (البحث الثاني) على القول المشهور وهو ان ما زائدة
 يحتمل أن يكون قليلا صفة مصدر تقديره يهجعون هجوعا قليلا (البحث الثالث) يمكن
 أن يقال قليلا منصوب على انه خبر كان وما مصدرية تقديره كان هجوعهم من الليل قليلا
 فيكون فاعل كانوا هو الهجوع ويكون ذلك من باب بدل الاشتمال لان هجوعهم متصل
 بهم فكأنه قال كان هجوعهم قليلا كما يقال كان زيد خلقه حسنا فلا يحتاج الى القول
 بزيادة واعلم ان النحاة لا يقولون فيه انه بدل فيغرقون بين قول القائل زيد حسن وجهه
 أو الوجه وبين قوله زيد وجهه حسن فيقولون في الاول صفة وفي الثاني بدل ونحن حيث قلنا
 انه من باب بدل الاشتمال أردنا به معنى الاصطلاح والافتقار عند التقديم ليس في نحو
 مثله عند الأخير حتى قوالك فلان قليل هجوعه ليس ببدل وفلان هجوعه قليل بدل
 وعلى هذا يمكن أن تكون ما موصولة معناه كان ما يهجعون فيه قليلا من الليل هذا ما يتعلق
 باللفظ اما ما يتعلق بالمعنى فنقول بتقديم قليلا في الذكر ليس لجرد الجمع حتى يقع بهجوعون
 ويستغفرون في أواخر الآيات بل فيه فائدتان (الاولى) هي ان الهجوع راحلة لهم وكان
 المقصود بيان اجتهداهم وتحملهم السهر لله فلو قال كانوا يهجعون كان المذكور
 أولا راحلة لهم ثم يصفه بالثقل وربما غفل الانسان السامع عما بعد الكلام فيقول احسانهم
 وكونهم محسنين بسبب انه يهجعون واذا قدم قوله قليلا يكون السابق الى الفهم اقلة
 الهجوع وهذه الفائدة من راعياها يقول فلان قليل الهجوع ولا يقول هجوعه قليل لان
 الغرض بيان قلة الهجوع لا بيان الهجوع بوصف القلة أو الكثرة فان الهجوع اولم يكن
 لكان نفي القلة أولى ولا كذلك قلة الهجوع لانها لو لم تكن لكان بدلها الكثرة في الظاهر
 (الفائدة الثانية) في قوله تعالى من الليل وذلك لان النوم القليل بالنهار قد يوجد من كل
 أحد وأما الليل فهو زمان النوم لا يسهره في الطاعة الامتعبد مقبل فان قيل الهجوع
 لا يكون الا بالليل والنوم نهارا لا يقال له الهجوع قلنا ذكر الامر العام واردة التخصيص
 حسن فنقول رأيت حيوانا ناطقا فصيحيا وذكر الخواص واردة العام لا يحسن الا في بعض
 المواضع فلا نقول رأيت فصيحيا ناطقا حيوانا اذا عرفت هذا فنقول في قوله تعالى كانوا
 قليلا من الليل ذكر أمرا هو كالعامة يحتمل أن يكون بعده كانوا من الليل يسبحون
 ويستغفرون أو يسهرون أو غير ذلك فاذا قال يهجعون فكأنه خصص ذلك بالامر العام
 المحتمل له وتغيره فلا اشكال فيه * ثم قال تعالى (وبالاسحار هم يستغفرون) اشارة الى
 انه كانوا يهجدون ويجهدون ثم يريدون أن يكون عملهم أكثر من ذلك وأخلص منه
 ويستغفرون من التقصير وهذا سيرة الكريم يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويستقله ويعتذر

قليلا ظرف أو كانوا
 يهجعون هجوعا قليلا
 على أنه صفة المصدر
 وما مزيدة في الوجهين
 ويجوز أن تكون
 مصدرية أو موصولة
 مرتفعة بقليل على
 الفاعلية أي كانوا قليلا
 من الليل هجوعهم
 أو ما يهجعون فيه وفيه
 مبالغات في تقليل
 نومهم واستراحتهم
 ذكر القليل والليل
 الذي هو وقت الراحة
 والهجوع الذي هو
 الغرام من النوم وزيادة ما
 ولا مسأغ لجعل
 مانافية على معنى

من التفسير والاثم بأني بالليل ويستكثره ويمتن به وفيه وجه آخر أظف منه وهو أنه تعالى لما بين أنهم يجمعون قليلا والجمع مع مقتضى الطبع قال يستغفرون أي من ذلك القدر من النوم القليل وفيه لطيفة أخرى تنبيه في جواب سؤال وهو أنه تعالى مدحهم بقلة الجمع ولم يمدحهم بكثرة السهر وما قال **ك** اتوا كثيرا من الليل ما يسهرون فما الحكمة فيه مع أن السهر هو الكلفة والاجتهاد لا الجمع مع نقول إشارة إلى أن نومهم عبادة حيث مدحهم الله تعالى بكونهم هاجعين قليلا وذلك الجمع أو شهرهم الاشغال بعبادة أخرى وهو الاستغفار في وجوه الاسحار ومنهم من الإعياب بأنفسهم والاستكبار وفيه مباحث (البحث الأول) في الباء فانهما استعملتا للطرف ههنا وهي ليست للطرف نقول قال بعض النحاة إن حروف الجر ينوب بعضها من باب بهض يقال في الظرف خرجت لعشر بقين وبالليل وفي شهر رمضان فيستعمل اللام والباء وفي كذلك في المكان نقول أقيت بالمدينة كذا وفيها أورأيت ببلدة كذا وفيها فان قيل ما التحقيق فيه نقول الحروف لها معان مختلفة كما أن الأسماء والأفعال كذلك غير أن الحروف غير مستقلة بإفادة المعنى والاسم والفعل مستقلان لكن بين بعض الحروف وبعضها تناف وتباعد كما في الأسماء والأفعال فان البيت والمسكن مختلفان متفاوتان وكذلك سكن ومكث ولا كذلك كل اسمين يفرض أو كل فعلين يوجد إذا عرفت هذا فنقول بين الباء واللام وفي مشاركة اما الباء فلأنها للاتصاف والممكن في مكان ما تنصق به متصل وكذلك الفعل بالنسبة إلى الزمان فاذا قال سار بالزهار معناه ذهب بها متصلا بالزهار وكذا قوله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون أي استغفارا متصلا بالاسحار مقترنا بالان الكائن فيهما مقترن بها فان قيل فهل يكون بينهما في المعنى تفاوت نقول نعم وذلك لأن من قال أقيت بالليل واستغفرت بالاسحار أخبر عن الأمرين وذلك أدل على وجود الفعل مع أول جزء من أجزاء الوقت من قوله أقيت في الليل لانه يستدعي احتواش الزمان بالفعل وكذلك قول القائل أقيت ببلدة كذا لا يفيد انه كان محاطا بالبلدة وقوله أقيت فيها يدل على احاطتها به فاذن قول القائل أقيت بالبلدة ودعوت بالاسحار أهم من قوله أقيت في بلدان القائم فيد قائم به والقائم به ليس قائما فيه من كل بدا إذ علمت هذا فتدبره تعالى وبالاسحار هم يستغفرون إشارة إلى أنهم لا يتخلون وقتا عن العبادة فانهم بالليل لا يجمعون ومع أول جزء من السحر يستغفرون فيكون فيه بيان كونهم مستغفرين من غير أن يسبق منهم ذنب لانهم وقت الانتباه في الاسحار لم يخلوا الوقت للذنب فان قيل زدنا بياننا فان من الأزمان أزمانا لا تجعل طر وفا بالباء فلا يقال خرجت يوم الجمعة ويقال بنى نقول ان كل فعل جار في زمان فهو متصل به فالخروج في يوم الجمعة متصل مقترن بذلك الزمان ولم يستعمل خرجت بيوم الجمعة نقول الفارق بينهما الاطلاق والتقييد بدليل انك ان قلت خرجت بنهارنا وبليلة الجمعة لم يحسن ولو قلت خرجت يوم سعد وخرج هو يوم نحس حسن فانهما والليل للالم يكن فيها خصوص

انهم لا يجمعون من الليل قليلا بل يجمعونه كله لما أن ما التافهة لا يعمل ما بعدها فيما قبلها (وبالاسحار هم يستغفرون) أي هم مع قلة هجوعهم وكثرة سجدتهم مداومون على الاستغفار في الاسحار كأنهم أسأفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم الإحشاء بان يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستداعتهم له واطنائهم فيه (وفي أموالهم حق)

ونقييد جاز استعمال الباقيهما فاذا قيدت بما وخصصت بما زال ذلك الجواز وبوم الجمعة
 لما كان فيه خصوص لم يجز استعمال الباقي حيث زال الخصوص بالتصكير وقات
 خرجت بيوم كذا عاد الجواز والسرفيه ان مثل بوالجمعة وهذه الساعة وتلك الليلة وجد
 فيها أمر غير الزمان وهو خصوصيات وخصوصية الشيء في الحقيقة أمور كثيرة غير
 محصورة عند العاقل على وجه التفصيل لكنها محصورة على الاجمال مثلاً اذا قلت هذا
 الرجل فالعام فيه هو الرجل ثم انك لو قلت الرجل الطويل ما كان يصير مخصصاً لكنه يقرب
 من الخصوص ويخرج من القصار فان قلت انما لم يصير مخصصاً لكنه يخرج عن الجاهل
 فاذا قلت الزاهد فكذلك فاذا قلت ابن عمر خرج عن أبناء زيد ويكر وخالد وغيرهم فاذا
 قلت هذا يتناول تلك المخصصات التي بأجمعها لا يجتمع الا في ذلك فاذا ان الزمان المتعين
 فيه أمور غير الزمان والفعل حدث مقترن بزمان لان شيء عن الزمان وأما في فصيح لان
 ما حصل في العام فهو في الخاص لان العام أمر داخل في الخاص وأما في فبدخل في الذي
 فيه الشيء فصيح أن يقال في يوم الجمعة وفي هذه الساعة وأما بحث اللام فتؤخره الى
 موضعه وقد تقدم بعضه في تفسير قوله تعالى والشمس تجري مستقرها وقوله هم غير حال
 عن فائدة قال الزحشرى فأنته انحصار المستغفرين أي لكما لهم في الاستغفار كأن غيرهم
 ليس يستغفروهم المستغفرون لا غير يقال فلان هو العالم لكما له في العلم كأنه تفرده وهو
 جيد ولكن فيه فائدة أخرى وهي ان الله تعالى لم يعطف ولا سحرهم يستغفرون على
 قوله كانوا قايلاً من الليل ما يجمعون فاولم يؤكده معنى الاثبات بكلمة هم لصلح أن يكون
 معناه ولا سحر قليل ما يستغفرون تقول فلان قليل ما يؤذى والى الناس يحسن قد يفهم
 انه قليل الايذاء قليل الاحسان فاذا قلت قليلاً ما يؤذى وهو يحسن زال ذلك انهم وظهر
 فيه معنى قوله قليل الايذاء كثير الاحسان والاستغفار يحتمل وجوهاً أحدها طلب المغفرة
 بالذكر بقولهم ربنا اغفر لنا الثاني طلب المغفرة بالفعل أي بالاسحار يأتون بفعل آخر طلبها
 لا يغفران وهو الصلاة أو غيرها من العبادات الثالث وهو أغفر بها الاستغفار من باب
 استحصد الزرع اذا جاء أو ان حصاده فكانهم بالاسحار يستحقون المغفرة ويأتونهم أو ان
 المغفرة فان قيل فالله لم يؤخر مغفرتهم الى السحر نقول وقت السحر تجتمع ملائكة الليل
 والنهار وهو الوقت المشهود فيقول الله على ملائكتهم اني غفرت لعبدي والاول أظهر
 والثاني عند المفسر بن أشهر * ثم قال تعالى (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) وقد
 ذكرنا مراراً ان الله تعالى بعد ذكر تعظيم نفسه بذكر الشفقة على خلقه ولا شك ان قليل
 الهجوع المستغفر في وجوه الاسحار وجد منه التعظيم العظيم فأشار الى الشفقة بقوله
 وفي أموالهم حق وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اضاف المال اليهم وقال في مواضع
 أنفقوا مآزقكم الله وقال ومارزقناهم يتفقون نقول سببه ان في تلك المواضع كان
 الذكر للبحث فذكر معه ما يدفع الحث ويرفع المانع فقال هو رزق الله والله يرزقكم

أي نصيب وافر
 يستوجبونه على
 أنفسهم تفر إلى الله
 تعالى واشغافاً على الناس
 (للسائل والمحروم)
 للمستجدي والمشفق
 الذي يحسبه الناس غني
 فيكرم الصدقة (وفي
 الارض آيات للوقنين)
 أي دلائل واضحة على
 شؤنه تعالى على
 التفصيل من حيث انها
 مدحوة كالسباط الممدد
 وفيها مسالك وفجاج
 المتقلبين في أقطارها
 والسالكين في مناكبها
 وفيها سهل وجبل وبر

فلا تخافوا الفقر واعطوا وأما ههنا فمدح على ما فعلوه فلم يكن الى الحرص حاجة (المسئلة الثانية) المشهور في الحق انه هو القدر الذي علم شرعا وهو الزكاة. وحينئذ لا يبقى هذا صفة مدح لان كون المسلم في ماله حق وهو الزكاة ليس صفة مدح لان كل مسلم كذلك بل الكافر اذا قلنا انه مخاطب بفروع الاسلام في ماله حق معلوم غير انه اذا أسلم سقط عنه وان مات عوقب على تركه وان ادى من غير الاسلام لا يقع الموضع فكيف يفهم كونه مدحا نقول الجواب عنه من وجوه أحدها ان انفسر السائل بمن يطلب شرعا والمحروم هو الذي لا يمكن له من الطلب ومنعه الشارع من المطالبة ثم ان المزمع قد يكون لكون الطالب غير مستحق وقد يكون لكون المطلوب منه لم يبق عليه حق فلا يطلب فقال تعالى في ماله حق للطالب وهو الزكاة واغبر الطالب وهو الصدقة المتطوع بها فان ذلك المالك لا يطلب بها ويحرم الطالب منه طلبا على سبيل الجزية والزكاة بل يسأل سؤالا اختياريا فيكون حينئذ كانه قال في ماله زكاة وصدقة والصدقة في المسال لانكون الابغرضه هو ذلك وتقديره واقراره للفقراء والمساكين الجواب الثاني هو ان قوله وفي أموالهم حق للسائل أى مالهم ظرف لحقوقهم فان كلمة في للظرفية لكن الظرف لا يطلب الا للظروف فكانه تعالى قال هم لا يطلبون المال ولا يجمعونه الا ويجمعونه ظرفا للحق ولا شك ان المطلوب من الظرف هو المظروف والظرف مالهم فجعل مالهم ظرفا للحقوق ولا يكون فوق هذا مدح فان قيل فلو قيل مالهم للسائل هل كان أبلغ قلنا لا وذلك لان من يكون له أربعون دينارا فتصدق بها لا تكون صدقته دائمة لكن اذا اجتهد واتجر وطاش سنين وأدى الزكاة والصدقة يكون مقدار المؤدى أكثر وهذا كافي الصلاة والصوم لو أضعف واحد نفسه بهما حتى عجز عنهما لا يكون مثل من اقتصد فيهما واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لارضاضا قطع ولا ظمرا أبقي وفي السائل والمحروم وجوه أحدها ان السائل هو الناطق وهو الآدمي والمحروم كل ذي روح غيره من الحيوانات المحرمة قال النبي صلى الله عليه وسلم لكل كبد حري أجر (وثانيها) وهو الاظهر والاشهر أن السائل هو الذي يسأل والمحروم المتعفف الذي يحسبه بعض الناس غنيا فلا يعطيه شيئا والاول كقوله تعالى كلوا واربعوا أنعامكم واثاني كقوله واطعموا القانع والمعتر فانما كانا كالمحروم فان قيل على الوجه الاول الترتيب في غاية الحسن فان دفع حاجة الناطق مقدم على دفع حاجة البهائم فوجه الترتيب في الوجه الثاني نقول فيه وجهان أحدهما ان السائل اندفاع حاجته قبل اندفاع حاجة المحروم في الوجود لانه يعرف حاله بمقاله ويطلب لقلة ماله فيقدم بدفع حاجته والمحروم غير معلوم فلا تندفع حاجته الا بعد الاطلاع عليه فكان الذكر على الترتيب الواقع وثانيها هو ان ذلك اشارة الى كثرة العطاء فيقول يعطى السائل فاذا لم يجدهم يسأل هو عن المحتاجين فيكون سائلا ومسؤلا (الثالث) هو ان المحاسن اللفظية غير مبهجورة في الكلام الحكمي فان قول

وبحر وقطع متجاورات
وعيون متفجرة ومعادن
مفتنة وانما تلقيح بألوان
النبات وأنواع الاشجار
وأصناف الثمار المختلفة
الالوان والطعوم
والروائح وفيها دواب
متبنة قدر تب كل لها ودير
لمنافع ساكنها
ومصالحهم في صحتهم
واعتلاهم (وفي أنفسكم)
أى وفي أنفسكم آيات
اذليس في العالم شيء الا
وفي الانفس له نظير
يدل دلالته على ما انفرد
به من الهيئات النافعة
والمناظر البهية

القاتل ان رجوعهم الينا وعلينا حسابهم ليس أقوله تعالى ان اليانا ايابهم ثم ان علينا حسابهم والكلام له جسم وهو اللفظ وله روح وهو المعنى وكان الانسان الذي نور روحه بالمعرفة ينبغي ان ينور جسمه الظاهر بالنظافة كذلك الكلام ورب كلمة حكيمه لا تؤثر في النفوس لكثرة لفظها اذا عرفت هذا فقله وبالا سحارهم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم أحسن من حيث اللفظ من قولنا وبالا سحارهم يستغفرون وفي أموالهم حق للمحروم والسائل فان قيل قدم السائل على المحروم ههنا لما ذكرت من الوجوه ولم قدم المحروم على السائل في قوله القانع والمعتز لان القانع هو الذي لا يسأل والمعتز السائل نقول قد قيل ان القانع هو السائل والمعتز الذي لا يسأل فلا فرق بين الموضوعين وقيل بان القانع والمعتز كلاهما لا يسأل لكن القانع لا يتعرض ولا يخرج من بيته والمعتز يتعرض للاخذ بالسلام والتردد ولا يسأل وقيل بان القانع لا يسأل والمعتز يسأل فعلى هذا فلم يبدن يفرق من غير مطالبة ساع أو مستحق مطالبة جزية والزكاة لها طاب وسائل هو الساعي والامام فتوله للسائل اشارة الى الزكاة وقوله والمحروم أى المنوع اشارة الى الصدقة المتطوع بها واحداهما قبل الاخرى بخلاف اعطاء اللحم * ثم قال تعالى (وفي الارض آيات للموقنين) وهو يحتمل وجهين أحدهما أن يكون متعلقا بقوله انما نؤتيهم من الارض ما نريد وان الدين لواقع وفي الارض آيات للموقنين تدلهم على ان الحشر كان كما قال تعالى ومن آياته انك ترى الارض خاشعة الى ان قال ان الذي احيها لمحبي الموتى وثانيهما أن يكون متعلقا بأفعال المتقين فانهم خافوا الله فغظموه فاعظموا الشفقة على عباده وكان لهم آيات في الارض وفي أنفسهم على اصابتهم الحق في ذلك فان من يكون له في الارض الآيات العجيبة يكون له اقدرة النامة فيحشى ويتقن ومن له في أنفس الناس حكما ياتمة ونعم سابعة يستحق أن يعبد ويترك الهجوع لعبادته واذا قابل العبد العبادة بالنعمة يجدها دون حمد الشكر فيستغفر على التقصير واذا علم أن الرزق من السماء لا يخل بآله فآيات الثلاثة المتأخرة فيها تقرير ما تقدم وعلى هذا فتوله تعالى فو رب السماء والارض يكون عود الكلام بعد اعتراض الكلام الاول أقوى وأظهر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) كيف خصص الموقنين بكون الآيات لهم مع ان الآيات حاصلة لكل قال تعالى وآية لهم الارض الميتة احييناها نقول قد ذكرنا ان اليمين آخر ما يأتي به المبرهن وذلك لانه أول ما يأتي بالبرهان فان صدق فذلك وان لم يصدق لا بد له من أن ينسبه الخصم الى اصرار على الباطل لانه اذا لم يقدر على قدح فيه ولم يصدقه يعترف له بقوة الجدل وينسبه الى المكابرة فيتعين طريقه في اليمين فاذا آيات الارض لم تقدم لان اليمين بقوله والذاريات ذروا دلت على سبق اقامة اليينات وذكر الآيات ولم يقدح فيهما وفي الارض آيات للموقنين وان لم يحصل للمصر المعاند منها فائدة وأما في سورة يس وغيرها من المواضع التي جعل فيها آيات الارض العامة لم يحصل فيها اليمين

والعقوبات العجيبة
والتمكن من الافعال
البدعية واستنباط
الصنائع المختلفة
واستجماع الكمالات
المتنوعة (أفلا تبصرون)
أى ألا تنظرون فلا
تبصرون بعين البصيرة
(وفي السماء رزقكم)
أى اسباب رزقكم أو
تقديره وقيل المراد
بالسما السحاب وبالرزق
المطر فانه سبب الاقوات
(وما توعدون) من
الثواب لان الجنة في
السماء السابعة أو لان
الاعمال وثوابها مكتوبة
مقدرة في السماء وقيل
انه مبدأ خبره قوله تعالى

وذكر الآيات قبله فجاز أن يقال ان الارض آيات لمن ينظر فيها (الجواب الثاني) وهو
الاصح أن هنا الآيات بالفعل والاعتبار للمؤمنين أي حصل ذلك لهم وحيث قال لكل
معناه أن فيها آيات لهم ان نظروا وتأملوا (المسئلة الثانية) ههنا قال وفي الارض آيات
وقال هناك وآية لهم الارض نقول لما جعل الآية للموقنين ذكر بلفظ الجمع لان الموقن
لا يفقل عن الله تعالى في حال ويرى في كل شئ آيات دالة وأما الغافل فلا ينتبه الا بأمور
كثيرة فيكون الكل له كآية الواحدة * ثم قال تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)
اشارة الى دليل الانفس وهو كقوله تعالى سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم
وانما اخبر من دلائل الآفاق ما في الارض اظهرها من علان ظهورها فان أطرافها
وأكنافها ما لا يمكن عد أصنافها فدليل الانفس في قوله وفي أنفسكم عام ويحتمل أن يكون
مع المؤمنين وانما أتى بصيغة الخطاب لانها أظهر لكون علم الانسان بما في نفسه أتم
وقوله تعالى وفي أنفسكم يحتمل أن يكون المراد وفيكم يقال الحجارة في نفسها صلبة ولا يراد
بها النفس التي هي منبع الحياة والحس والحركات ويحتمل أن يكون المراد وفي نفوسكم
التي بها حياتكم آيات وقوله أفلا تبصرون بالاستفهام اشارة الى ظهورها * وقوله تعالى
(وفي السماء رزقكم) فيه وجوه أحدها في السحاب المطر ثانيها في السماء رزقكم مكتوب
ثالثها تقدير الارزاق كلها من السماء وأولاه لما حصل في الارض حبة قوت وفي الآيات
الثلاث ترتيب حسن وذلك لان الانسان له أمور يحتاج اليها لا بد من سبقها حتى يوجد هو
في نفسه وأمر تقديره في الوجود وأمر التحته وتوجد بعده ليبقى بها فالارض هي المكان
والية يحتاج الانسان ولا بد من سبقها فقال وفي الارض آيات ثم في نفس الانسان أمور
من الاجسام والاعراض فقال وفي أنفسكم ثم بقاؤه بالرزق فقال وفي السماء رزقكم
ولولا السماء لما كان للناس البقاء وقوله تعالى (وماتوا وعدون) فيه وجوه أحدها الجنة
الموعود بها لانها في السماء ثانيها هو من الاعداد لان البناء للمفعول من أوعد يوعده أي
وماتوا وعدون اما من الجنة والثار في قوله تعالى يومهم على الثار وقوله ان المتقين في جنات
فيكون ابعادا عاما واما من العذاب وحيث قد يكون الخطاب مع الكفار فيكون كأنه تعالى
قال وفي الارض آيات للموقنين كافية وأما أنتم أيها الكافرون ففي أنفسكم آيات هي
أظهر الآيات وتكفرون بها لحطام الدنيا وحب الرياسة وفي السماء الارزاق فلو نظرتم
وتأملتم حق التأمل لما تركتم الحق لاجل الرزق فانه واصل بكل طريق ولا جنتيتم
الباطل اتقاء لما توعدون من العذاب النازل * ثم قال تعالى (فارب السماء والارض
انه لخلق مثل ما أنكم تنطقون) وفي المقسم عليه وجوه (أحدها) ماتوا وعدون أي
ماتوا وعدون لخلق يؤيده قوله تعالى انما توعدون لصادق وعلى هذا يعود كل ما قلناه في وجوه
ماتوا وعدون ان قلنا ان ذلك هو الجنة فالمقسم عليه هو (ثانيها) الضمير راجع الى القرآن
أي ان القرآن حق وفيما ذكرنا في قوله تعالى يؤفك عنه دليل هذا وعلى هذا فقوله مثل

(فارب السماء والارض
انه لخلق) على أن الضمير
لما وأما على الاول فاماله
واما لما ذكر من أمر
الآيات والرزق على أنه
مستعار لاسم الاشارة
(مثل ما أنكم تنطقون)
أي كما أنه لاشك انكم
في أنكم تنطقون ينبغي
أن لا تشكوا في حقيقته
ونصبه على الحالية من
المستكن في لخلق أو على
أنه وصف لمصدر
مخدوف أي انه لخلق
حقا مثل نطقكم وقبل
انه مبني على الفتح
لاضافته الى غير ممكن
وهو ما ان كانت عبارة
عن شئ وأن بما في
حيثها ان جعلت زائدة
ومحمله الرفع على أنه
صفة لخلق ويؤيده
القراءة بالرفع

ما أنكم تنطقون معناه تكلم به الملك النازل من عند الله به مثل ما أنكم تتكلمون
وسنذكره (ثانها) أنه راجع إلى الدين كما في قوله تعالى وإن الدين لواقع (رابعها) أنه راجع
إلى اليوم المذكور في قوله أيان يوم الدين يدل عليه وصف الله اليوم بالحق في قوله تعالى
ذلك اليوم الحق (خامسها) أنه راجع إلى القول الذي يقال هذا الذي كنتم به تستجلبون
* وفي التفسير مباحث الأول الفاء تستدعي تعقيب أمر لا أمر فالأمر المتقدم تقول فيه
وجهان أحدهما الدليل المتقدم كأنه تعالى يقول انما توعدون الحق بالبرهان المبين ثم
بالقسم واليمين ثانياً بهما أقسم بتقديم كأنه تعالى يقول والذاريات ورب السماء
والارض * وعلى هذا يكون إلقاء حرف عطف أعيد معه حرف القسم كما يعاد الفعل إذ
يصح أن يقال ومررت بعمر * نقوله والذاريات ذروا فالخاملات وقرا عطف من غير
إعادة حرف القسم وقوله فورب السماء مع إعادة حرفه * والسبب في وقوع الفصل بين
القسمين ويحتمل أن يقال الأمر المتقسم هو بيان أشواب في قوله يومهم على النار
يفتنون وقوله إن المتقين في جنات وفيه فائدة وهو أن النساء تكون تنبيهها على أن الحاجة
إلى الإيمان مع ما تقدم من الكشف المبين فكانه يقول ورب السماء والارض انه الحق كما
يقول القائل بعدما يظهد دعواه هذا والله أن الأمر كما ذكرت في قوله باليمين ويشير
إلى ثبوته من غير عيين (البحث الثاني) أقسم من قبل الأمور الارضية وهي الرياح وبالسماء
في قوله والسماء ذات الحيك ولم يقسم بربها وههنا أقسم بربها نقول كذلك القريب
يقسم المتكلم أولاً بالادنى ثم لم يصدق يرقى إلى الأعلى ولهذا قال بعض الناس إذا قال
قائل حيايتك والله لا يكفر وإذا قال والله وحيايتك لا شك يكفر وهذا استشهاد وإن كان
الأمر على خلاف ما قاله ذلك القائل لأن الكفر إما بالناب أو بالنافذ الظاهر في أمر القلب
أو بالفعل الظاهر وما ذكره ليس بظاهر في تعظيم جانب غير الله والمحب من ذلك القائل
أنه لا يجعل التأخير في الذكر مفيداً للترتيب في الوضوء وغيره (البحث الثالث) قرئ مثل
بالرفع وحينئذ يكون وصفاً لقوله لحق ومثل وإن أضيف إلى المعرفة لا يخرج منه عن جواز
وصف المنكر به تقول رأيت رجلاً مثل عمرو لأنه لا يفيد تعريفه لأنه في غاية الإبهام
وقرئ مثل بالنصب ويحتمل وجهين أحدهما أن يكون مفتوحاً لإضافته إلى ما هو
ضعيف والاجاز أن يقال زيد قائل من يعرفه أو ضارب من يشتمه ثانيهما أن يكون
منصوباً على البيان تقديره لحق حقاً مثل ويحتمل أن يقال انه منصوب على أنه صفة مصدر
معلوم غير مذكور ووجهه أن ادللنا أن المراد من الضمير في قوله انه هو القرآن فكانه قال
إن القرآن لحق نطق به الملك فطقاً مثل ما أنكم تنطقون وما يجوز ولا شك فيه * ثم قال
تعالى (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) إشارة إلى تسليية قلب النبي صلى الله
عليه وسلم ببيان أن غيره من الأنبياء عليهم السلام كان مثله واختار إبراهيم لكونه شيخ
المرسلين وكون النبي عليه الصلاة والسلام على سنته في بعض الأشياء واتذار لقومه بما

(هل أتاك حديث
ضيف إبراهيم) تفخيم
لأن الحديث وتنبيه
على أنه ليس مما علمه
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بغير طريق
الوحي والضيف في
الأصل مصدر ضافه
ولذلك يطلق على
الواحد والجماعة
كالزور والصوم وكانوا
اثني عشر ملكاً وقيل
تسعة عشرهم جبريل
وقيل ثلاثة جبريل
وميكائيل وملاك آخر
معهما عليهم السلام
وتسميتهم ضيفاً لأنهم
كانوا في صورة الضيف
حيث أضافهم إبراهيم
عليه السلام أولادهم
كانوا في حسبه كذلك
(المكرمين) أي المكرمين
عند الله تعالى أو عند
إبراهيم حيث خدمهم
بنفسه وبزوجته

(ادخلوا عليه) طرق الحديث ﴿ ٦٦٧ ﴾ أول ما في الضيف من معنى الفعل أو المكرمين أن فسرنا كرام ابراهيم

(فقالوا سلاما) أي
تسلم عليك سلاما
(قال) أي ابراهيم
(سلام) أي عليكم
سلام عدل به إلى الرفع
بالاتداء للقصد
إلى اثبات والدوام
حتى تكون تحينه عليه
الصلاة والسلام أحسن
من تحيتهم وقرئنا
مرفوعين وقرئ سلم
وقرئ منصوبا والمعنى
واحد (قوم منكرون)
أنكرهم عليه الصلاة
والسلام للسلام الذي
هو علم للاسلام أولانهم
ليسوا بمن عهد من
الناس أولان أوضاعهم
وأشكالهم خلاف
ما عليه الناس وأما
عليه الصلاة والسلام
انما قاله في نفسه من غير
أن يشعر بذلك لأنه
خاطبهم به جهرا
أوسألهم أن يعرفوه
أنفسهم كما قيل والا
لكشفوا أحوالهم
عند ذلك ولم يتصد
عليه الصلاة والسلام
للتقدمات الضبافة

جرى من الضيف ومن انزال الحجارة على المذنبين المضلين وفيه مسائل (المسئلة الأولى)
إذا كان المراد ما ذكرت من التسليية والانداز فأى فائدة في حكاية الضبافة نقول لا يكون
ذلك إشارة إلى الفرج في حق الانبياء والبلاء على الجهلة والاغبياء اذ جاءهم من حيث
لا يحتسب * قال الله تعالى فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فلم يكن عند ابراهيم عليه
السلام خبر من انزال العذاب مع ارتفاع مكانته (المسئلة الثانية) كيف سماهم ضيفا
ولم يكونوا نقول لما حسبهم ابراهيم عليه السلام ضيفا لم يكن الله تعالى في حساباته اكراما
له يقال في كلمات المحققين الصادق يكون ما يقول والصدوق يقول ما يكون (المسئلة
الثالثة) ضيف لفظ واحد والمكرمين جمع فكيف وصف الواحد بالجمع نقول الضيف يقع
على التوم يقال قوم ضيف ولأنه مصدر فيكون كلفظ الرزق مصدرا وانما وصفهم
بالمكرمين اما لكونهم عبادا مكرمين كما قال تعالى بل عباد مكرمون واما لكرام
ابراهيم عليه السلام اياهم قال قبل بماذا أكرمهم قلنا يشقة الوجد أولا وبالاجلاس
في أحسن المواضع وأطفها ثانيا وتعييل انقري ثانيا وبعدم التكليف للضيف بالاكل
والجاوس وكانوا عدة من الملائكة وفي قول ثلاثة جبريل وميكائيل وثالث وفي قول
عشرة وفي آخر الثنا عشر (المسئلة الرابعة) هم ارسلوا للعذاب بدليل قواهم اننا ارسلنا إلى
قوم مجرمين وهم لم يكونوا من قوم ابراهيم عليه السلام وانما كانوا من قوم لوط فما
الحكمة في مجيئهم إلى ابراهيم عليه السلام نقول فيه حكمة بالغة وبيانها من وجهين
أحدهما أن ابراهيم عليه السلام شيخ ارسدين وكل لوط من قومه ومن اكرام الملائكة الذي
في عهده وتحت طاعته اذا كان يرسل رسولا إلى غيره يقول يا عبدي فلان الملائكة وأخبره
برسائلك وخذ فيها رأيه ونائبها هو أله تعالى فسر أن يهلك قوما كثيرا وجا غفيرا
وكان ذلك لما نزل ابراهيم عليه السلام شفقة منه على عباد فقال لهم بشروه بفلام يخرج
من صلبه أضغاث مباهلك ويكون من صلبه خروجه الانبياء عليهم السلام * ثم قال تعالى
(ادخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) وفيه مسائل (المسئلة الأولى)
ما العامل في اذ فيه وجوه (أحدها) ما في المكرمين من الإشارة إلى الفعل ان قلنا وصفهم
بكونهم مكرمين بناء على أن ابراهيم عليه السلام أكرمهم فيكون كأنه تعالى يقول
اكرموا اذ دخلوا وهذا من شأن الكريم أن يكرم ضيفه وقت الدخول (ثانيها) ما في
الضيف من الدلالة على الفعل لاننا ان الضيف مصدر فيكون كأنه يقول أضافهم
اذ دخلوا (وثالثها) يحتمل أن يكون العامل فيه أنك تقديره ما أنك حديثهم وقت
دخولهم فاسمع الآن ذلك لان هل ليس الاستفهام في هذا الموضع حقيقة بل الاندلا
وهذا أولى لأنه فعل مصرح به ويحتمل أن يقال اذ كر اذ دخلوا (المسئلة الثانية)
لماذا اختلف اعراب المسلمين في القراءة المشهورة نقول نبين أولا وجوه النصب
والرفع ثم نبين وجوه الاختلاف في الاعراب أما النصب فيجتمل وجوها (أحدها)

أن يكون المراد من السلام هو التحية وهو المشهور ونصبه حينئذ على المصدر تقديره تسليماً
سلاماً (ثانيتها) هو أن يكون السلام نوعاً من أنواع الكلام وهو كلام سلم به التكلم من
أن يلقوا أو يأتهم فكانهم لما دخلوا عليه فقالوا أحسبنا سلموا من الأثم وحينئذ يكون
مفعولاً للقول لأن مفعول القول هو الكلام يقال قال فلان كلاماً ولا يكون هذا من باب
ضرر به سوطاً لأن المضروب هناك ليس هو السوط وههنا القول هو الكلام ففسره قوله
تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً وقوله تعالى قِيلَ سلاماً سلاماً (ثالثتها) أن
يكون مفعول فعل محذوف تقديره تبلغك سلاماً لا يقال على هذا إن المراد لو كان ذلك
لعلم كونهم رسل الله عند السلام فما كان يقول قوم منكرون ولا كان يقرب إليهم
الطعام ولما قال نكروهم وأوجس لأننا نقول جاز أن يقال إنهم قالوا تبلغك سلاماً
ولم يقلوا من الله تعالى إلى أن سألهم إبراهيم عليه السلام عن تبالغون لي السلام وذلك لأن
الحكيم لا يأتي بأمر العظيم إلا بالتدريج فلما كانت هيبتهم عظيمة فلو ضموا إليه الأمر
العظيم الذي هو السلام من الله تعالى لارتجج إبراهيم عليه السلام ثم إن إبراهيم عليه
السلام اشتغل يا كرامهم عن سؤالهم وآخر السؤال إلى حين الفراغ فنكروهم بين
السلام والسؤال عن منه السلام هذا وجد النصب وأما الرفع فنقول يحتمل أن المراد
منه السلام الذي هو التحية وهو المشهور أيضاً وحينئذ يكون مبتدأ خبره محذوف
تقديره سلام عليكم وكون المبتدأ نكرة يحتمل في قول القائل سلام عليكم وويل له أو خبر
مبتدأ محذوف تقديره جوابه سلام و يحتمل أن يكون المراد قولاً يسلم أو ينبي عن
السلامة فيكون خبره مبتدأ محذوف تقديره أمرى سلام بمعنى مسألة لا تعلق بيني
وبينكم لاني لأعرفكم أو يكون المبتدأ قولكم تقديره قولكم سلام ينبي عن السلامة
وأنتم قوم منكرون فإخطبكم فان الأمر أشكل على وهذا ما يحتمل أن يقال في
النصب والرفع وأما الفرق فنقول أما على التفسير المشهور وهو أن السلام في الموضعين
بمعنى التحية فتقول الفرق بينهما من حيث اللفظ ومن حيث المعنى (أما من حيث اللفظ
فنقول سلام عليك إما جواز واستحسن لكونه مبتدأ وهو نكرة من حيث أنه كالغزوك
على أصله لأن الأصل أن يكون منصوباً على تقدير أسلم سلاماً وعليك يكون لبيان
من أريد بالسلام ولا يكون عليك حظ من المعنى غير ذلك البيان فيكون كالحارج عن
الكلام والكلام التام أسلم سلاماً كما أنك تقول ضربت زيداً على السطح يكون على
السطح خارجاً عن الفعل والفاعل والمفعول إتيان مجرد الظرفية فإذا كان الأمر
كذلك وكان السلام والادعية كثيراً لوقوع قالوا تعدل عن الجملة الفعلية إلى الاسمية
ونجعل عليك حظاً في الكلام فنقول سلام عليك فتصير عليك لقائده لا بد منها وهي
الخبرية وتترك السلام نكرة كما كان حال النصب إذا علم هذا فالنصب أصل والرفع
ما أخذ منه والأصل مقدم على المأخوذ منه فقال قالوا سلاماً قال سلام قدّم الأصل على

المتفرع منه (وأما المعنى) فذلك لأن إبراهيم عليه السلام أراد أن يرد عليهم بالاحسن
فأتى بالجملة الاسمية فانها أدل على الدوام والاستمرار فان قولنا جلس زيد يني عنه لأن
الفعل لا يديفه من الالباء عن التجدد والحدوث ولهذا لو قلت الله موجود الآن لثبت
العقل الدوام اذ لا يني عن التجدد واوقان قائل وجد الله الآن لكاد ينكره العاقل
لما يني فلما قالوا سلام ما قال سلام عليكم مستمر دائم وأما على قولنا المراد القول ذو
السلامة فظاهر الفرق فانهم قالوا قولاً ذاك سلام وقال لهم إبراهيم عليه السلام سلام أي
قولكم ذو سلام وأنتم قوم منكرون فالتبس الامر على وان قلنا المراد أمرى مسألة
ومتاركة وهم سلموا عليه تسليماً فنقول فيه جمع بين أمرين تعظيم جانب الله ورعاية قلب
عباد الله فانه اوقال سلام عليكم وهو لم يعلم ككونهم من عباد الله الصالحين كان يجوز
ان يكونوا على غير ذلك فيكون الرسول قد آمنهم فان السلام أمان وأمان الرسول أمان
المرسل فيكون فاعلا للامر من غير اذن الله نيابة عن الله فقال أنتم سائتم على وأنا متوقف
أمرى متاركة لاتعلق بيشنا الى أن يتبين الحال ويدل على هذا هو أن الله تعالى قال واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال في مثل هذا المعنى للنبي صلى الله عليه وسلم فاصفهم عنهم
وقل سلام ولم يقل قل سلاما وذلك لان الاختيار المذكورين في القرآن اوسلوا على
الجاهلين لا يكون ذلك سببا لحرمة التعرض اليهم وأما النبي صلى الله عليه وسلم اوسلم
عليهم اصدار ذلك سببا لحرمة التعرض اليهم فقال قل سلام أي أمر معكم متاركة تركناه
الى أن يأتي أمر الله بأمر وأمان لي قولنا يعني نباح سلاما فنقولهم لما قالوا انبأك سلاما ولم
يعلم إبراهيم عليه السلام أنه ممن قال سلام أي ان كان من الله فان هداهته قد ازداد به
شرفي والافق بلغني منه سلام وبه شرفي ولا أنشرف بسلام غيره هذا ما يمكن أن يقال فيه
والله أعلم بمراده والاول والثاني عليهما الاعتماد فانهما أقوى وقد قيل بهما (المسئلة
الثالثة) قال في سورة هود فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكروهم فدل على ان انكارهم
كان حاصلًا بعد تقر به الجمل منهم وقال ههنا قال سلام قوم منكرون * ثم قال تعالى
(فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون) فجاء العجب فدل على أن
تقرب الطعام منهم بعد حصول الانكار لهم فالوجه فيه نقول جاز أن يحصل اولا
عنده منهم نكر ثم زاد عند امساكهم والذي يدل على هذا هو أنهم كانوا على شكل وهيئة
غير ما يكون عليه الناس وكانوا في أنفسهم عند كل أحد منكروين واشترك إبراهيم عليه
السلام وغيره فيه ولهذا لم يقل أنكرتكم بل قال أنتم منكرون في أنفسكم عند كل أحد
منائهم ان إبراهيم عليه السلام تفرد بمشاهدة أمر منهم هو الامساك فنكروهم فوق ما كان
منهم بالنسبة الى الكل الحسالة في سورة هود بحكمة على وجه ابسط مما ذكره ههنا فان
ههنا لم يبين المبشر به وههنا ذكر باسمه وهو اسحق ولم يقل ههنا ان القوم قوم من ههنا
قال قوم لوط وفي الجملة من تأمل السورتين يعلم أن الحكاية بحكمة هناك على وجه

(فراغ الى أهله) أي
ذهب اليهم على خفية
من ضيقه فان من أدب
المضيف ان يبادره بالقرى
ويبادره حذارا من
أن يكفه ويعذره أو يصير
مستظرا والفاء في قوله
تعالى (فجاء بعجل سمين)
الفاء فصحة مفصحة عن
جل قد حذفت ثمة
بدلالة الحال عليها
وايدانها كمال سرعة
النجى بالاطمئنان كما في
قوله تعالى فقلنا اضرب
بعصاك البحر فانقلب
أي فذبح عجلا فخذ
فجاء به (فقربه اليهم)
بأن وضعه لديهم حسبما
هو المعتاد (قل ألا
تأكلون) انكارا لعدم
نعم ضيقه الاكل

الاضافة أبسط فذكر فيها الشكنة الزائدة ولم يذكر ههنا وتعدالى بيان ما أتى به من آداب
الاضافة وما أتوا به من آداب الضيافة فلا ذكرهم أولاً من جاءه ضيف قبل أن يجتمع به ويسلم
أحدهما على الآخر أنواع من الاكرام وهى اللقاء الحسن والخروج اليه والتنبؤ له
ثم السلام من الضيف على الوجه الحسن الذى دل عليه النصب فى قوله سلاماً ما لكونه
مؤكداً بالمصدر أو لكونه مبتغى من هو أعظم منه ثم الرد الحسن الذى دل عليه الرفع
والامساك عن الكلام لا يكون فيه وفاء إن قلنا إن إبراهيم عليه السلام لم يقل سلام
عليكم بل قال أمرى مسألة أو قولكم سلام و سلامكم منكراً فأن ذلك وإن كان محلاً
بالاكرام لكن الخدر ليس من شيم الكرام ومودة أعداء الله لا تليق بالانبياء عليهم
السلام ثم تعجل القرى الذى دل عليه قوله تعالى فإيث أن جاء وقوله ههنا فراغ فان
الروغان يدل على السرعة والروع الذى يعنى النظر الخفى أو الراح الخفى أيضاً كذلك ثم
الاخفاء فالضيف إذا حضر شيئاً يذنى أن يخفيه عن الضيف كي لا ينعمة من الاحضار
بنفسه حيث راغ هو ولم يقل هاتوا غيبة المضيف لحظة من الضيف مستحسن ليستريح
ويأتى بدفع ما يحتاج اليه وينعمه الحياء منه ثم اختياراً لا جود بقوله سمين ثم تقديم
الطعام اليهم لانفسهم الى الطعام بقوله فترى اليهم لان من قسم الطعام الى قوم يكون كل
واحد مستقراً فى مقره لا يخلف عليه المكان قال نقلهم الى مكان الطعام ربما يحصل
هناك اختلاف جلوس فيقرى الاى بضيق على الاى ثم "عرض الامر حيث قال
ألا تأكلون ولم يقل كالأثم = ككون المضيف مسروراً بأكلهم غير مسرور بتركهم
الطعام كما يوجد فى بعض البخلاء المسكافين الذين يحضرون طه ما كثرأوا ويكونوا نظره
ونظر أهل بيته فى الطعام متى تمسك الضيف يده عنه يدل عليه قوله تعالى (وأوحس منهم
خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) ثم أدب الضيف أنه إذا أكل حفظ حق
الآن كلفه يدل عليه أنه خافهم حيث لم يأكلوا ثم وجوب اظهار العذر عند الامساك يدل
عليه قوله لا تخف ثم تحسين العبارة فى العذر وذلك لان من يكون مخفياً وأحضر رايه
الطعام قوله فهناك أمران أحدهما أن الطعام لا يصلح له لكونه معصراً الثانى كونه
ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام فينبغى أن لا يقول المضيف هذا طعام غليظ لا يصلح لى
بن الحسن أن يأتى بالعبارة الاخرى ويقول لى مانع من أكل الطعام وفى بيتى لا أكل
أيضاً شيئاً يدل عليه قوله وبشروه بغلام حيث فهموه أنهم ليسوا بمن يأكلون ولم يقولوا
لا يصلح لنا الطعام والشراب ثم أدب آخر فى البشارة أن لا يخبر الانسان بما يسره دفعة فانه
يورث مر ضاً يدل عليه أنهم جلسوا واستأنس بهم إبراهيم عليه السلام ثم قالوا نبشركم
ذكر وأشرف التوعين وهو الذكر ولم يقتنعوا به حتى وصفوه بأحسن الاوصاف فان
الابن قد يكون دون البنت اذا كانت البنت كاملة الخلقة حسنة الخلق والابن بالضد
ثم انهم تركوا أسرار الاوصاف من الحسن والجمال والقوة والسلامة واختاروا العلم اشارة

(فاوحس منهم) أضر
فى نفسه (خيفة) اتوهم
أنهم جاؤا للشر وقيل
وقم فى قلبه أنهم ملائكة
جاؤا لاعداب (قالوا
لا تخف) قيل مسح
جبريل عليه السلام
العجل بخنجره فقام
يدرج حتى لحق بأمه
ففر فهم وأمن منهم
(وبشروه) وفى سورة
الصافات وبشروا أى
بواسطتهم (بغلام)
هو اسحق عليه السلام
(عليم) عند بلوغه
واستوائه

(فأقبلت امرأته) سارة لما سمعت بشارتهم * ٦٧١ * اتى بيتها وكانت في زاوية تنظرهم (في صرة) في صيغة

الى أن العلم رأس الاوصاف ورئيس الثبوت وقد ذكرنا فائدة تقديم الإشارة على الاخبار عن اهلا كههم قوم اوط اعلم أن الله تعالى ايهل كههم الى خلاف وياتى بيدائهم خيرامنهم ثم قال تعالى (فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم) أى أقبلت على أهلها ولك لأنها كانت في خدمتهم فلما تكلموا مع زوجها بولادتها استعجبت وأعرضت عنهم فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الاقبال على الاهل ولم يقل بلفظ الاقبال عن الملائكة وقوله تعالى في صرة أى صيغة كما جرت عادة النساء حيث يستعن شيئا من أحوالهن بحسن صيغة معتادة لهن عند الاستحياء أو التعجب ويحمل أن يقابل تلك الصيغة كانت بقولها يا ويلتا تدل عليه الآية التى في سورة هود وصك الوجه أيضا من عاذنهم واستبعدت ذلك لوصفين من اجتماعهما أحدهما كبراسن والثانى لعمق لأنها كانت لاند في مغر سنها وعنفوان شبابهها ثم عجزت وآيست فاستبعدت فكأنها قالت يا ليتكم دعوتهم دعاء قريبان الاجابة ظنا منها أن ذلك منهم كما يصدر من الضيف على سبيل الاخبار من الادعية أهول الداعي الله يعطيك مالا ويرزقك ولدا فقا وهما مائيس بدعا وانما ذلك قول الله تعالى (قالوا كذلك قال ربك) ثم دفعوا استبعادها بقولهم (انه هو الحكيم العليم) وقد ذكرنا تفسيرهما مرارا فاقيل لم قال ههنا الحكيم العليم وقال في هود جدد مجيد نقول لما بينا أن الحكاية هناك ابسط فذكروا ما يدفع الاستبعاد بقولهم أتعجبين من أمر الله ثم لما صدقت أرشدوهم الى القيام بشكر نعم الله وذكر وهم بنعمته بقولهم حميد فان الحميد هو الذى يتحقق منه الافعال الحسنة وقولهم مجيد إشارة الى أن الفائق العالى الهمة لا يحمد له فعله الجليل وانما يحمد ويسبح له نفسه وههنا لمسلم يقولوا التعجبين أشاروا الى ما يدفع تعجبها من التنبيه على حكمه وعلمه وفيه لطيفة وهى أن هذا الترتيب مراعى في السورتين فالحميد يتعلق بالفعل والمجيد يتعلق بالقول وكذلك الحكيم هو الذى فعله كما ينبغي لعلمه فاصدا لذلك الوجه بخلاف من يتفق فعله موافقا لما قصود اتفاقا كن ينقلب على جنبه فيقتل حية وهونائم فانه لا يقال له حكيم وأما اذا فعل فعلا فاصدا لقلتها بحيث يسلم عن نهشها يقال له حكيم فيه والعليم راجع الى الذات إشارة الى أنه يستحق الحمد بمجده وان لم يفعل فعلا وهو قاصد لعلمه وان لم يفعل على وفق القاصد ثم قال تعالى (قال فاطخطبكم ايها المرسلون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لما علم حالهم بدليل قوله منكرون لم لم يقع بما بشروه لجواز أن يكون نزولهم للبشارة لا غير نقول ابراهيم عليه السلام أتى بما هو من آداب المضيف حيث يقول اضيفه اذا استعجل في الخروج ما هذه العجلة وما شغل الذى يمنعنا من انشرف بالاجتماع بك ولايسكت عند خروجهم مخالفة أن يكون سكوتهم يوم استغفاهم ثم انهم أتوا بما هو من آداب الصديق الذى لا يستتر عن الصديق الصدوق لاسيما وكان ذلك باذن الله تعالى لهم في اطلاع ابراهيم عليه السلام

من الصبر ومحملة
التصب على الحاية
أو المفعولية ان جعل
أقبلت بمعنى أخذت كما
يقال أقبل يستنى
(فصكت وجهها)
أى اطعته من الحياء لما
أذنها وجدت حرارة
دم الطمث وقيل
ضربت باطراف
أصابعها جبينها كما
يفعله المتعجب (وقالت
عجوز عقيم) أى أنا
عجوز عاقر فكيف ألد
(قالوا كذلك) مثل ذلك
القول الكريم (قال
ربك) وانما نحن معبرون
تخبرك به عنه تعالى لا
أنا نقوله من تلقاء أنفسنا
(انه هو الحكيم العليم)
فيكون قوله حقا وفعله
متفقا لا مخالفة * روى
أن جبريل عليه
السلام قال لها انظري
الى سقف بيتك فنظرت
فاذا جند وعه مورقة
ثمرة ولم تكن هذه
المساواة مع سارة
فقط بل مع ابراهيم
عليه السلام ايضا حسيما
شرح في صورة الحجر
وانما لم يذكر ههنا

اكفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هناك سارة اكفاء بما ذكر ههنا وفي سورة هود (قال) أى ابراهيم عليه السلام لما علم أنهم ملائكة أرسلوا الامر (فاخطبكم) أى شأنكم الخطبة الذى لاجله أرسلتم سوى البشارة (أيها المرسلون)

على اهلاكمهم وجبر قلبه بتقديم البشارة بخير التدل وهو ابواب الانبياء استحق عليه السلام
 على الصحيح فان قيل فما الذي اقتضى ذكره بالقاء ولو كان كما ذكرتم لقال ما هذا الاستعمال
 وما خطبكم المعجل لكم نقول لو كان أو جس منهم خيفة وخرجوا من غير بشارة وإيأس
 ما كان يقول شيئا فلما آتوه قال ما خطبكم أي بعد هذا الانس العظيم ما هذا الايجاز
 الايم (المسئلة الثانية) هل في الخطب فائدة لا توجد في غيره من الالفاظ نقول نعم وذلك
 من حيث ان الالفاظ المفردة التي يقرب منها الشغل والامر والفعل وامثالها وكل ذلك
 لا يدل على عظم الامر وأما الخطب فهو الامر العظيم وعظم الشأن يدل على عظم من على
 يده ينقضي فقال ما خطبكم أي اعظمكم لاترسلون الا في عظيم واو قال بلفظ مركب بأن
 يقول ما شغلكم الخطير وأمركم العظيم للزم التطويل فالخطب أعاد التعظيم مع الايجاز
 (المسئلة الثالثة) من اين عرف كونهم مرسلين فنقول (قالوا) له بدليل قوله تعالى انا
 أرسلنا الى قوم لوط وانا لم يذكروهمنا لما بينا ان الحكاية ببسطها مذكورة في سورة هود
 أو نقول لما قالوا لامراته كذلك قال ربك علم كونهم مغترلين من عند الله حيث كانوا
 يحكون قول الله تعالى يدل على هذا ان قولهم (انا أرسلناك الى قوم مجرمين) كان جواب
 سؤاله منهم (المسئلة الرابعة) هذه الحكاية بعينها هي الحكاية في هود وهناك قالوا انا
 أرسلنا بعد ما زال عنه الروع و بشروه وهنا قالوا انا أرسلنا بعد ما سألهم عن الخطب
 وأبضا قالوا هناك انا أرسلنا الى قوم لوط وقالوا ههنا انا أرسلنا الى قوم مجرمين والحكاية
 عن قولهم فان لم يقولوا ذلك ورد السؤال أيضا فنقول اذا قال قائل حاكبا عن زيد قال
 زيد عمر وخرج ثم يقول مرة أخرى قال زيد ان بكر اخرج فلما ان يكون صدر من زيد
 قولان واما أن لا يكون حاكبا قاله زيد والجواب عن الاول هو انه لما خاف جاز أنهم
 ما قالوا له لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط فلما قال لهم ماذا تفعلون بهم ككان لهم ان
 يقولوا انا أرسلنا الى قوم لوط لنهلكهم كما يقول القائل خرجت من البيت فيقال لماذا
 خرجت فيقول خرجت لا تخرج اكن ههنا فائدة معنوية وهي انهم انما قالوا في جواب
 ما خطبكم نهلككم بأمر الله لتعلم براءتهم عن ايلام البرئ واهمال الردي فاعادوا
 لفظ الارسال وأما عن الثاني نقول الحكاية قد تكون حكاية اللفظ كما نقول قال زيد
 بعمر ومرت فيحكى لفظه المحكى وقد يكون حكاية الكلامه بمعناه نقول زيد قال عمرو
 خرج ولك ان تبدل مرة أخرى في غير تلك الحكاية بلفظة أخرى فنقول لما قال زيد بكر
 خرج قلت كبت وكبت كذلك ههنا القرآن لفظ معبر وما صدر من تقديم نبينا عليه
 السلام سواء كان منهم كان مغزلا عليهم لم يكن لفظه معبرا فيلزم ان لا تكون هذه
 الحكايات بتلك الالفاظ فكأنهم قالوا له انا أرسلنا الى قوم مجرمين وقالوا انا أرسلنا الى
 قوم لوط وله أن يقول قالوا انا أرسلنا الى قوم من آمن بك لانه لا يحكى لفظهم حتى يكون
 ذلك واحدا بل يحكى كلامهم بمعناه وله عبارات كثيرة ألا ترى أنه تعالى لما حكى لفظهم

قالوا انا أرسلنا الى قوم
 مجرمين (يعنون قوم
 لوط)

في السلام على أحد الوجوه في التفسير قال في الموضعين سلاما وسلام ثم بين ما لاجله
 أرسلوا بقوله (لنزل عليهم حجارة من طين) وقد فسرنا ذلك في العنكبوت وقلنا ان ذلك
 دليل على وجوب الرمي بالحجارة على الثلاث وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اى حاجة الى
 قوم من الملائكة وواحد منهم كان يقرب المذائب بريشة من جناحه نقول الملاك انقاد وقد
 يأمر الحقير باهلاك الرجل الخطير و يأمر الرجل الخطير بخدمة الشخص الحقير اظهارا
 لنفاذ امره فحيث اهلك الخلق الكثير بالقل والجراد والبعض بل بالريح التي بها الحياة
 كان اظهر في القدرة وحيث امر آفا من الملائكة باهلاك اهل بدرع قنتهم كان اظهر
 في نفاذ الامر وفيه فائدة اخرى وهي ان من يكون تحت طاعة ملك عظيم ويظهر له عدو
 ويستعين بالملك فيعينه بأكابر عسكره يكون ذلك تعظيما منه ولكل كان العدو اكثر والمدد
 او فر كان التعظيم أتم لكن الله تعالى أعلن اوطاب عشرة ونبينا عليه السلام بخمسة آلاف
 وبين العديدين من التفاوت ما لا يخفى وقد ذكرنا نبذامنه في تفسير قوله تعالى وما أنزلنا على
 قومه من بعده من جند من السماء (المسئلة الثانية) ما الفائدة في تأكيد الحجارة بكونها من
 طين نقول لان بعض الناس يسمى البرد حجارة فقوله من طين يدفع ذلك التوهم واعلم ان
 بعض من يدعى النظر يقول لا ينزل من السماء الاحجارة من طين مدورات على هيئة البرد
 وهيئة البنادق التي يتخذها الرماة قالوا وسبب ذلك هو ان الاعصار يصعد الغبار من
 الفلوات العظيمة التي لا عمارة فيها والرياح تسوقها الى بعض البلاد فيتفق وصول ذلك
 الى هواء ندى فيصير طينا رطبا والرطب اذا نزل وتفرق استدار بدليل أنك اذا رميت
 الماء الى فوق ثم نظرت اليه رأيت يهزل كرات مدورات كالنلالى السكبار ثم في النزول اذا
 اتفق ان تضرب به اثيران التي في الجو جعلته حجارة كالآجر المطبوخ فينزل فيصيب من
 قدر الله هلاكا وقد ينزل كثيرا في المواضع التي لا عمارة بها فلا يرى ولا يدري به ولهذا قال
 من طين لان ما لا يكون من طين كالجر الذي في الصواعق لا يكون كثيرا بحيث يطر وهذا
 تعسف ومن يكون كامل العقل يستند الفكر الى ما قاله ذلك القائل فيقول ذلك الاعصار
 لما وقع فان وقع بحادث آخر يلزم ان تسلسل ولا بد من الانتهاء الى محدث ليس بحادث فذاك
 المحدث لا بد وأن يكون فاعلا مختارا او مختار له أن يفعل ما ذكروله أن يخلق من الحجارة من
 طين على وجه آخر من غير نار ولا غبار لكن العقل لا يطريق له الى الجزم بطريق احداثه
 وما لا يصل العقل اليه يجب أخذه بالنقل والنص ورد به فأخذنا به ولا نعلم الكيفية وانما
 المعلوم ان الحجارة التي من طين نزولها من السماء أغرب وأعجب من غيرها لانها في العادة
 لا بد لها من مكث في النار * قوله تعالى (مسسومة عند ربك المفسرفين) فيه وجوه
 أحدها مكتوب على كل واحد اسم واحد يقتل به ثانياها انها خلقت باسمهم ولتعذيبهم
 بخلاف سائر الاحجار فانها محاولة الانتفاع في الابدية وغيرها ثانياها رسالة للعجزة من لان
 الارسال يقال في السوائم يقال أرسلها الترعى فيجوز أن يقول سومها بمعنى أرسلها وهذا

(لنزل عليهم) أى
 بعد ما قبلنا قراهم
 وجعلنا عاليها سافلها
 حسبما فصل في سائر
 السور الكريمة
 (حجارة من طين) أى
 طين متحجر هو السجيل
 (مسسومة) مرسلة
 من أسمت الماشية أى
 أرسلها أو معاملة من السوم
 وهى العلامة وقد مر
 تفصيله في سورة هود
 (عند ربك للمفسرفين)
 المجاوزين الحد
 في الفجور وقوله تعالى
 (فاخرجنا) الخ حكاية
 من جهته تعالى لما
 جرى على قوم لوط
 عليه السلام

يفسر قوله تعالى والخليل المسومة اشارة الى الاستغناء عنها وانها ليست للركوب ليكون
 أدل على النفي كما قال والقناطير المقنطرة وقوله تعالى للمسرفين اشارة الى خلاف مايقوله
 الطبيبيون ان الحجارة اذا أصابت واحدا من الناس فذلك نوع من الاتفاق فانها تنزل
 بطبعها ثم يتفق شخص لها فتصيبه فتقوله مسومة أى في أول ما خلق وأرسل اذا علم هذا
 فانما كان ذلك على قصد اهلاك المسرفين فان قيل اذا كانت الحجارة مسومة للمسرفين
 فكيف قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنزل عليهم مع ان المسرف غير المجرم في اللغة نقول
 المجرم هو الاتي بالذنب العظيم لان الجرم فيدلالة على العظم ومنه جرم الشيء لعظمته
 مقدار المسرف هو الاتي بالكبيرة ومن أسرف ولو في الصغار يصير مجرما لان الصغير
 الى الصغير اذا انضم صار كبيرا ومن أجرم فقد أسرف لانه اتى بالكبيرة ولو دفعة واحدة
 فالوصفان اجتماع فيهم لكن فيه لطيفة معنوية وهي ان الله تعالى سوماها للمسرف المصغر
 الذي لا يترك الجرم والعلم بالامور المستقبلية عند الله تعالى يعلم انهم مسرفون فأمر
 الملائكة بارسالها عليهم وأما الملائكة فعلمهم تعلق بالحاضر وهم كانوا مجرمين فقالوا
 انا أرسلنا الى قوم نعلمهم مجرمين لنزل عليهم حجارة خلقت لمن لا يؤمن ويصروا يسرف
 ولزم من هذا علمنا بانهم اوعاشوا سنين انما دوا في الاجرام فان قيل اللام لتعريف الجنس
 أول تعريف العهد نقول لتعريف العهد أى مسومة لهؤلاء المسرفين اذ ليس لكل
 مسرف حجارة مسومة فان قيل ما سرفهم نقول ما دل عليه قوله سبحانه وتعالى
 ما سبقكم بها من أحد من العالمين أى ما يباع ببلغكم أحد * وقوله تعالى (فأخرجنا
 من كان فيها من المؤمنين) فيدققتان احديهما بيان القدرة والاختيار فان من يقول
 بالاتفاق يقول بصيب البر وانما فجر فلما ميز الله المجرم عن المحسن دل على الاختيار ما يتيهما
 بيان انه ببركة المحسن ينجو المسمى فان القرية مادام فيها المؤمن لم تهلك والضيمر عائدا الى
 القرية وهي معلومة وان لم تكن مذكورة * وقوله تعالى (فأوجدنا فيها غير بيت من المسلمين)
 فيد اشارة الى ان الكفر اذا غلب والفسق اذا فشلا تنفع معه عبادة المؤمنين بخلاف ما لو
 كان أكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شرذمة يسيرة يسرقون وي زنون وقبل في مثاله
 ان العالم كبدن ووجود الصالحين كالاعذبة الباردة والحارة والكفار والفساق كالسموم
 الواردة عليه الضارة ثم ان البدن ان خلا عن المنافع وفيه المضار هلك وان خلا عن المضار
 وفيه المنافع طاب عيشه ونما وان وجد فيه كلاهما فالحكم للغالب وكذلك البلاد والعباد
 والدلالة على أن المسلم بمعنى المؤمن ظاهرة والحق أن المسلم أعم من المؤمن واطلاق العام
 على الخاص لا مانع منه فاذا سمى المؤمن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما فكأنه تعالى
 قال أخرجنا المؤمنين فأوجدنا الاعم منهم الايتامن المسلمين ويلزم من هذا أن لا يكون
 هؤلاء غيرهم من المؤمنين وهذا كما لو قال قائل لغيره من في البيت من الناس فيقول له
 ما في البيت من الحيوانات أحد غير زيد فيكون مخبره بخلو البيت عن كل انسان غير زيد

بطريق الاجال بعد
 حكاية ماجرى بين
 الملائكة وبين ابراهيم
 عليه السلام من الكلام
 والفاء فصيحة مفصحة
 عن جمل قد حذف
 ثقبه بذكرها في مواضع
 خرجنا قبل فباشروا
 ما أمرنا به فأخرجنا
 بقولنا فأسرأ هلك
 الخ (من كان فيها)
 أى في قرى قوم لوط
 وأصنامها بغير ذكر
 اشهرتها (من المؤمنين)
 من آمن باوط (فأ
 وجدنا فيها غير بيت)
 أى غير أهل بيت
 (من المسلمين) قبل هم
 لوط وابنتاه و قيل كان
 لوط وأهل بيته

ثم قال تعالى (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) وفي الآية خلاف قيل هو ماء أسود منتن انشقت أرضهم وخرج منها ذلك وقيل حجارة مرمية في ديارهم وهي بين الشام والحجاز وقوله للذين يخافون العذاب الاليم أى المنتفع بها هو الخائف كما قال تعالى اقوم يعقلون في سورة العنكبوت وبينهما في اللفظ فرق قال ههنا آية وقال هناك آية بينة وقال هناك اقوم يعقلون وقال ههنا للذين يخافون فهل في المعنى فرق نقول هناك مذكور بأبلغ وجه يدل عليه قوله تعالى آية بينة حيث وصفها بالظهور وكذلك منها وفيها فان من التبعيض فكانه تعالى قال من نفسها لكم آية باقية وكذلك قال اقوم يعقلون فان العاقل أهم من الخائف فكانت الآية هناك أظهر وسببه ما ذكرنا أن القصد هناك تخويف القوم وههنا تسليبة القلب الاترى الى قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وقال هناك انا منجوك وأهلك من غير بيان واف بنجاة المسلمين والمؤمنين بأسرهم ثم قال تعالى (وفي موسى اذا أرسلناه الى فرعون بسلاطان مبين) قوله وفي موسى يحتمل أن يكون معطوفا على ما لم يذكر ويحتمل أن يكون معطوفا على مذكور أما الاول ففيه وجوه (الاول) أن يكون المراد ذلك في ابراهيم وفي موسى لان من ذكر ابراهيم يعلم ذلك (الثاني) لقومك في لوط وقومه عبدة وفي موسى وفرعون (الثالث) أن يكون هناك معنى قوله تعالى تفكروا في ابراهيم ووط وقومهما وفي موسى وفرعون والكل قريب بعضه من بعض وأما الثاني ففيه أيضا وجوه (أحدها) أنه عطف على قوله وفي الارض آيات للمؤمنين وفي موسى وهو بعيد بعده في الذكر وعدم المناسبة بينهما (ثانيها) أنه عطف على قوله وتركنا فيها آية للذين يخافون وفي موسى أى وجعلنا في موسى على طريقة قولهم علفتها نارا وما باردا وتقلدت سيفا ورماحاً وهو أقرب ولا يخلو عن تعسف اذا قلنا بما قال بعض المفسرين ان الضمير في قوله تعالى وتركنا فيها طائداً الى القرية (ثالثها) أن نقول فيها راجع الى الحكاية فيكون التقدير وتركنا في حكايتهم آية أو في قصتهم فيكون وفي قصة موسى آية وهو قريب من الاحتمال الاول وهو العطف على المعلوم (رابعها) أن يكون عطفاً على هل أتاك حديث ضيف ابراهيم وتقديره وفي موسى حديث اذا أرسلناه وهو مناسب اذ جمع الله كثيراً من ذكر ابراهيم وموسى عليهما السلام كما قال تعالى أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفي وقال تعالى صحف ابراهيم وموسى والسلطان القوة بالحجة والبرهان والمبين الفارق وقد ذكرنا أنه يحتمل أن يكون المراد منه ما كان معه من البراهين القاطعة التي خاج بها فرعون ويحتمل أن يكون المراد المعجز الفارق بين سحر الساحر وأمر الرسلين قوله تعالى (فتولى بركنه) فيه وجوه (الاول) الباء للمصاحبة والركن إشارة الى القوم كأنه تعالى يقول أعرض مع قومه يقال نزل فلان بعسكره على كذا ويدل على هذا الوجه قوله تعالى فأواه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم أدبر عصى قال أدبر وهو بمعنى تولى وقوله فتعشم فاعصى في معنى

الذين نجوا ثلاثة عشر
(وتركنا فيها أى
في القرية (آية) أى
علامة دالة على ما
أصابهم من العذاب
قبل هي تلك الاحجار
أو صخر منضود فيها
أو ماء منتن (الذين
يخافون العذاب الاليم)
أى من شأنهم أن يخافوه
لسلامة فطرتهم ورقة
قلوبهم دون من عداهم
من ذوى القلوب
الناسية فانهم لا يعتدون
بها ولا يمدونها آية
(وفي موسى) عطف
على قوله تعالى
وفي الارض أو على
قوله تعالى وتركنا فيها
آية على معنى وجعلنا
في موسى آية كذا

من قال
علقها بنفسه
(أى) قيل هو
منصوب بآية وقيل

قوله تعالى بركنه (الثاني) فتولى أى اتخذ وليا والباء للتعدية حيث أنه يعنى تقوى بجنده
 (والثالث) تولى امر موسى بقوته كأنه قال اقتل موسى لتلايدل دينكم ولا يظهري في
 الارض الفساد فتولى أمره بنفسه وحيث أن يكون المفعول غير مذكور وركنه هو نفسه
 القوية ويحتمل أن يكون المراد من ركنه هامن فانه كان وزيره وعلى هذا الوجه الثاني
 أظهر (وقال ساحر أو مجنون) أى هذا ساحر أو مجنون وقوله ساحر أى يأتى الجن
 بسحره أو يقرب منهم والجن يقربون منه ويقصدونه ان كان هو لا يقصدهم فالساحر
 والمجنون كلاهما أمره مع الجن غير أن الساحر يأمرهم باختياره والمجنون يأمره من غير
 اختياره فكأنه أراد صيانة كلامه عن الكذب فقال هو يسحر الجن أو يسحر فان كان
 ليس عنده منه خبر ولا يقصد ذلك فالجن يأمره ثم قال تعالى (فاخذنا وجنوده فتبذناهم
 فى اليم وهو ملهم) وهو إشارة الى بعض ما أتى به كأنه يقول واتخذنا اولياء فلم يفعوه واتخذنا
 الله وأخذ أركانهم وألقاهم جميعا فى اليم وهو البحر والحكاية مشهورة وقوله تعالى
 وهو ملهم نقول فيه بيان شرف موسى عليه السلام وبشارة للمؤمنين أما شرفه فلان تعالى
 قال بانه أتى بما يلام عليه بمجرد قوله اتى أريد هلاك أعدائك بالاله العالمين فلم يكن له سبب
 الا هذا وأما فرعون فقال أنار بكم الاعلى فكان سببه تلك وهذا كما قال القائل فلان
 عيبه أنه سارق أو قاتل أو يعاشر الناس فيؤذيهم وقلان سببه أنه مشغول بنفسه لا يعاشر
 فتكون نسبة العيبين لبعضهما الى بعض سببا لمدح أحدهما وذم الآخر وأما بشارة
 المؤمنين فهو بسبب أن من النعمة الحوت وهو ملهم نجاه الله تعالى بتسبيحه ومن أهلكه
 الله بتعذيبه لم ينفعه إيمانه حين قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل
 وكلاهما قد أتى بما يلام عليه فذنب المؤمن وقت ظهور اليأس مغفور وإيمان الكافر غير
 مقبول ثم قال تعالى (وفى عاد إذا أرسلنا عليهم الريح العقيم) وفيه ما ذكرنا من الوجوه
 التى ذكرناها فى عطف موسى عليه السلام وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ذكرت أن
 المقصود ههنا تسليية قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتذكيره بحال الانبياء ولم يذكر فى عاد
 وثمود أنبياءهم كما ذكر ابراهيم وموسى عليهما السلام نقول فى ذكر الآيات ست حكايات
 حكاية ابراهيم عليه السلام وبشارته وحكاية قوم لوط ونجاة من كان فيها من المؤمنين
 وحكاية موسى عليه السلام وفى هذه الحكايات الثلاث ذكر الرسل والمؤمنين لان الناجين
 فيهم كانوا كثيرين أما فى حق ابراهيم وموسى عليهما السلام فظاهر وأما فى قوم لوط
 فلان الناجين وان كانوا أهل بيت واحد ولكن المهلكين كانوا أيضا أهل بقعة واحدة
 وأما عاد وثمود وقوم نوح فكان عدد المهلكين بالنسبة الى الناجين اضعاف ما كان عدد
 المهلكين بالنسبة الى الناجين من قوم لوط عليه السلام فذكر الحكايات الثلاث الاول
 للتسليية بالنجاة وذكر الثلاث المتأخرة للتسليية باهلاك العدو والكل مذكور للتسليية
 تعالى فى آخر هذه الآيات كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا

بمخذوف أى كائنة
 وقت ارسالنا وقبل
 بتركنا الى فرعون
 بساطان عيين هو
 ماظهر على يديه من
 المعجزات الباهرة
 (فتولى بركنه) أى
 فأعرض عن الايمان به
 وأزور كقوله تعالى ونأى
 بجانبه وقبل فتولى بما
 يتقوى به من ملكه
 وعساكره فان الركن
 اسم لما يركن اليه الشئ
 وقرئ بركنه بضم
 الكاف (وقال ساحر)
 أى هو ساحر (أو مجنون)
 كأنه نسب ماظهر
 على يديه عليه الصلاة
 والسلام من الخوارق
 العجيبة الى الجن وتردد
 لوط أنه حصل باختياره
 أنه بغيرهما
 وجنوده

١
 سمي علة لكان لتوهم أن
 نال كل رجل المبارز الشجاع خبرك
 من استطاعوا من قيام) بمحمل وجهين (أحدهما)
 من الهرب والفرار على سبيل المبالغة فإن من لا يقدر على قيام كيف يشي
 من الهرب وعلى هذا فيه علة لفظة (أحدها) قوله تعالى فاستطاعوا فإن
 الاستطاعة دون القدرة لأن في الاستطاعة دلالة الطلب وهو يلي عن عدم القدرة
 والاستقلال فمن استطاع شيئا كان دون من يقدر عليه وهذا يقول المتكلمون
 الاستطاعة مع الفعل أو قبل الفعل إشارة إلى قدرة بطولية من الله تعالى مأخوذة منه
 وإليه الإشارة بقوله تعالى هل تستطيع ربك على قراءة من قرأ بالناء وقوله فاستطاعوا
 أبلغ من قول القائل ما قدروا على قيام (ثانيها) قوله تعالى من قيام بزيادة من وقد عرفت
 ما فيه من التأكيد (ثانيها) قوله قيام بدل قوله هرب لما بينا أن العاجز عن القيام أولى أن
 يعجز عن الهرب (الوجه الثاني) هو أن المراد من قيام القيام بالامرأى ما استطاعوا من
 قيام به * وقوله تعالى (وما كانوا منتصرين) أي ما استطاعوا الهزيمة والهرب من
 لا يقدر عليه يقاتل وينتصر بكل ما يمكنه لأنه يدفع عن الروح وهم مع ذلك ما كانوا
 منتصرين وقد عرفت أن قول القائل ما هو ينتصر أبلغ من قوله ما انتصر ولا ينتصر
 والجواب ترك مع كونه يجب تقديره وقوله ما انتصر أي شيء من شأنه ذلك كما تقول فلان
 لا ينتصر أو فلان ليس ينتصر * ثم قال تعالى (وهم نوح من قبل أنهم كانوا قوما فاسقين)
 قرى قوم بالجر والنصب فإوجهها نقول أما الجذر فظاهر عطفها على ما تقدم في قوله تعالى
 وفي عاد وفي موسى تقول لك في فلان عبرة وفي فلان وفلان وأما النصب فعلى تقدير وأهلكنا
 قوم نوح من قبل لأن ما تقدم دل على الهلاك فهو عطف على المحل وعلى هذا فقوله من قبل
 معناه ظاهر كأنه يقول وأهلكنا قوم نوح من قبل وأما على الوجه الأول فتقديره وفي قوم
 نوح لكم عبرة من قبل ثمود وعاد وغيرهم * ثم قال تعالى (والسماء بينناها بايد وأنالموسى
 وهو بيان للوحدانية وما تقدم كان بياناً للحشر وأما قوله ههنا والسماء بينناها بايد وأنتم
 تعرفون أن ما تعبدون من دون الله ما خلقوا منها شيئا فلا يصح الإشراك ويمكن أن يقال
 هذا نود بعد التهديد إلى إقامة الدليل وبناء السماء دليل على القدرة على خلق الأجسام
 ثانياً كما قال تعالى أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وفيه
 مسائل (المسألة الأولى) النصب على شريطة التفسير يختار في مواضع إذا كان العطف
 على جملة فعلية فإتلك الجملة نقول في بعض الوجوه التي ذكرناها قوله تعالى وفي عاد
 وثمود تقديره وهل أنالك حديث عاد وهل أنالك حديث ثمود عطفها على قوله هل أنالك حديث

العلامات التي بينها
 صالح عليه السلام
 من اصفرار وجوههم
 واحمرارها واسودادها
 غمدوا إلى قتله عليه
 السلام فجهاد الله تعالى
 إلى أرض فلسطين لما
 كان ضعوة اليوم الرابع
 تخطسوا وتكفوا
 بالانطباع فانه
 الصيحة فهلكوا
 وقرى الصفة
 وهي المرة

سرهم ين

ويعاينونها
 استطاعوا من قيام
 كقوله تعالى فاصبحوا
 في دارهم جائئين (وما

كانوا متصرفين)
 بغيرهم كالمعتصموا بأنفسهم
 (وقوم نوح) أى
 وأهلكتنا قوم نوح
 فان ما قبله بدل عليه
 أو واذا كرر ويجوز
 أن يكون معطوفا
 على محل في عداد يؤيده
 القراءة بالجزم وقبل هو
 طوفى على مفعول
 خذنا (من قبل) أى
 هؤلاء المهلكين
 كانوا قوما
 مدود فيما كانوا
 من الكفر والمعاصي
 والسما بنيناها بآيد
 بقوة (وانالموسعون)
 اقادرون من الوسع
 بمعنى الطاقة والموسع
 القادر على الانفاق
 اوسعون السماء أو ما
 يد باو بين الارض
 أو الرزق

ولان قوله تعالى فتبدلهم ورس
 كلها فعليات فصارت انصب مختارا (الم)
 والسماء وما بناها وقال تعالى أم السماء بناها وهى
 بناء الحكمة فيه نقول فيه وجوه (أحدها) ان البناء باق الى يوم
 شئ ولم يعدم منه جزء وأما الارض فهى فى التبدل والتغير فهى كالفرض
 ويطوى وينقل والسماء كالبناى المبنى الثابت واليه الاشارة بقوله تعالى سيعا شداد
 وأما الاراضى فكم منها ما صار بحرا وعاد أرضا من وقت حدوثها (ثانيها) أن السماء
 ترى كالقبة المبنية فوق الرأس والارض مبسوطة مدسوة والبناء بالرفوع أبقى كما قال
 تعالى رفع سمكتها (ثالثها) قال بعض الحكماء السماء مسكن الارواح والارض موضع
 الاعمال والسكن أبقى بكونه بناء والله أعلم (المسئلة الثالثة) الاصل تقديم العامل على
 المفعول والفعل والفاعل فتعقل قوله بنينا عامل فى السماء فما الحكمة فى تقديم المفعول على
 الفعل ولو تلو بنينا السماء بأيد كان أوجز نقول الصانع قبل الصنع عند الناظر فى المعرفة
 فلما كان بصود اثبات العلم بالصانع قدم الدليل فقال والسماء المزيينة التى لا تشكون
 بنيناها فاعرفونا بها ان كنتم لا تعرفونا (المسئلة الرابعة) اذا كان المقصود اثبات
 التوحيد فكيف قال بنيناها ولم يقل بنيتها أو بناها الله نقول قوله بنيناها أدل على عدم
 الشريك فى التصرف والاستبداد وقوله بنيتها يمكن أن يكون فيه تشريك وتام التقرير
 هو أن قوله تعالى بنينا لا يورث ايها ما بان الاكهة التى كانوا يعبدونها هى التى يرجع اليها
 الضمير فى قوله بنينا لان تلك اما أصنام منحوتة واما كواكب جعلوا الاصنام على صورها
 وطبائعها فاما الاصنام المنحوتة فلا يشكون انها ما بنيت من السماء شيئا وأما الكواكب
 فهى فى السماء محتاجة اليها فلا تكون هى بانيتها وانما يمكن أن يقال انها ما بنيتها وما جعلت
 أما كنهها فإلالم يتوهم ما قالوا قال بنينا نحن ونحن غير ما يقولون ويدعونه فلا يصلحون لنا شركاء
 لان كل ما هو غير السماء فهو محتاج الى السماء ودون السماء فى المرتبة فلا يكون خالق السماء
 وبانيتها فاذن علم أن المراد جمع التعظيم وأعاد النص عظمتها فاعظمه أننى للشريك فثبت
 ان قوله بنيناها أدل على نفي الشريك من بنيتها وبنائها الله * فان قيل لم قلت ان الجمع يدل
 على التعظيم فتنا الجواب من وجهين (الاول) أن الكلام على قدر فهم السامع والسماع
 هو الانسان والانسان يقيس الشاهد على الغائب فان الكبير عندهم من يفعل الشئ يجنده
 وخدمه ولا يباشر بنفسه فيقول الملك فعلنا شئ فعله عبادنا بأمرنا ويكون فى ذلك تعظيم
 فكذلك فى حق الغائب (والوجه الآخر) هو ان القول اذا وقع من واحد وكان الغير به
 راضيا يقول القائل فعلنا كذا واذا اجتمع جمع على فعل لا يقع الا بالبعض كما اذا خرج

ينظرون إشارة إلى أحد معينين أما يعني تسليمهم وعدم قدرتهم على الدفع كما
 للمضروب يضر بك فلان وأنت تنظر إشارة إلى أنه لا يدفع وأما
 لا على غفلة بل أنذروا به من قبل بثلاثة أيام وأنظروا ولو كان
 يتوهم أنهم أخذوا على غفلة أخذ العاقل
 بقصدي إياك فأنظرني * وقوله تعالى
 أنه لبيان عجزهم
 فمشلاه †

فيه وبينها د ر ما هنا (أحد

'هم المكرمين وعلى هذا يكون ما تقدم جملة فعالية لا خفاء فيه وعلى غير ذلك
 'مر الى ان نصب اقرب من الى الرفع فكان عطف على ما بالنصب اول
 'تم له ارسلنا وقوله تعالى فاخذتهم الصاعقة وذا استظاهوا
 'اله الثانية) كرر ذكر البناء في السموات قال تعالى
 'تعالى جعل الارض قرارا والسماء
 'محممة لم يسقط منه
 'السماء يسقط

(والارض فرشناها)
مهديناها وبسطناها
ليستقروا عليها (فتم
الماهدون) أي نحن
(ومن كل شيء) أي
من الاجناس (خلقنا
زوجين) أي نوعين
ذكرًا وأنثى وقيل
متقابلين السماء والارض
والليل والنهار والشمس
والقمر والبر والبحر
ونحو ذلك (اعلمكم
تذكرون) أي فعلنا ذلك
كله كي تتذكروا فتعرفوا
أنه خالق الكل ورازقه
وأنه المستحق للعبادة
وأنه قادر على إعادة
الجميع فعملوا بمقتضاه
وقوله تعالى (فقرروا إلى
الله) مقدر بقول خوطب به
النبي صلى الله عليه وسلم
بطريق التلوين واللقاء
أما الترتيب الامر على
ما حكى من آثار غضبه
الوجبة للفرار منها
ومن أحكام رحمة
المستدعية للفرار اليها
كأنه قيل قل لهم
إذا كان الامر كذلك
فاهربوا إلى الله الذي
هذه شؤنه

بجم غفير وجمع كثير لقتل سبع وقتلوه يقال قتله أهل بلدة كذا رضاء الكل به وقصد الكل
اليها إذ عرفت هذا فآلة تعالى كيفما أمر بفعل شيء لا يكون لاحد رده وكان كل واحد
منقاد له يقول بدل فعلت فعلنا وهذا يقول الملك العظيم أجمعنا بحيث لا ينكر أحد
ولا يرده نفس وقوله تعالى بأيدي قوة والأيدي القوة هذا هو المشهور وبه فسر قوله تعالى
فايدينا وقال بماعملت أيدينا أن يقال إن المراد جمع اليد ودليله أنه قال تعالى لما خلقت بيدي
وقال تعالى بماعملت أيدينا أنما هو وهورا جمع في الحقيقة إلى المعنى الاول وعلم هذا فحيث
قال خلقت قال بيدي وحيث قال بيدينا قال بايد لمقابلة الجمع بالجمع فان قيل فلم لم يقل بنيانا
بأيدينا وقال بماعملت أيدينا نقول لفائدة جلية وهي أن السماء لا يخطر ببال أحد
أنها مخلوقة لغير الله والانعام ليست كذلك فقال هناك بماعملت أيدينا نصريحا
بان الحيوان مخلوق لله تعالى من غير واسطة وكذلك خلقت بيدي وفي السماء بايد
من غير اضافة الاستغناء عنها وفيه لطيفة أخرى وهي ان هناك لما أثبت الاضافة
بعد حذف الضمير العائد إلى المفعول فلم يقل خلقته بيدي ولا قل غلته أيدينا وقال
ههنا بنيانا لان هناك لم يخطر ببال أحد ان الانسان غير مخلوق وان الحيوان غير معمول
فلم يقل خلقته ولا غلته وأما السماء فبعض الجهال يزعم انها غير مجعولة فقال بنيانا
بعود الضمير نصريحا بانها مخلوقة وقوله تعالى وانما لموسعون فيه وجوه (أحدها) انه
من السعة أي أوسعناها بحيث صارت الارض وما يحيط بها من الماء والهواء بالنسبة
إلى السماء وسعتها كذلك في قلاة والبند الواسع القضاء عجيب فان القبة الواسعة لا يقدر
عليها البناء لانهم يحتاجوا إلى إقامة آنية يصح بها الاستدراك ويثبت بها تماسك
أجزائها إلى ان يتصل بعضها ببعض (ثانيها) قوله وانما لموسعون أي لقادرون ومنه قوله
تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها أي قدرتها والمناسبة حينئذ ظاهرة ويحتمل ان يقال
بان ذلك حينئذ إشارة إلى المقصود الآخر وهو المشرك كأنه يقول بنيانا السماء وانا
لقادرون على أن نخلق أمثالها كما في قوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والارض
يقدر على أن يخلق مثلهم (الثالث) انما لموسعون الرزق على الخلق ثم قال تعالى
(والارض فرشناها فتم الماهدون) استدلالا بالارض وقد علم ما في قوله والارض
فرشناها وفيه دليل على أن دحو الارض بعد خلق السماء لان بناء البيت يكون في
العادة قبل الفراش وقوله تعالى فتم الماهدون أي نحن أو فتم الماهدون ماهدوها ثم
قال تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين) استدلالا بما بينتهما والزوجان اما الضدان فان
الذكر والانثى كالضدين والزوجان منهما كذلك واما المنشاكلان فان كل شيء له
شبيه ونظير وضدونه قال المنصفون المراد بالشيء الجنس وأقل ما يكون تحت الجنس
نوعان فمن كل جنس خلق نوعين من الجوهر مثلا المادى والمجرد ومن المادى النامي
والجامد ومن النامي المدرك والنبات ومن المدرك الناطق والصامت وكل ذلك يدل على

انه فرد لا كثرة فيه * وقوله تعالى (اولئك تذكرون) أى اعلمكم تذكرون أن خالق الأزواج لا يكون له زوج والالكان يمكننا فيكون مخلوقاً ولا يكون خالقاً واولئك تذكرون أن خالق الأزواج لا يخرج عن حشر الأجساد وجمع الأزواج * ثم قال تعالى (ففروا الى الله) أى انى لكم منه نذير مبين) أمر بالتوحيد وفيه لطائف (الاولى) قوله تعالى ففروا يبنى عن سرعة الاهلاك كأنه يقول الاهلاك والعذاب أسرع وأقرب من ان يتحمل الحال الإبطاء في الرجوع فافزعوا الى الله سريعاً وفروا (الثانية) قوله تعالى الى الله يبين المهروب اليه ولم يذكر الذي منه الهرب لاحد وجهين إما لكونه معلوماً وهو هول العذاب أو الشيطان الذي قال فيه ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً وإما ليكون عاماً كأنه يقول كل ماعد الله عدوكم ففروا اليه من كل ماعداء وبيانه وهو ان كل ماعداه فإنه يتلف عليك رأس مالك الذى هو العمر يقوت عليك ما هو الحق والخير ويتلف رأس المال ومفوت النكاحال عدو وأما اذا فررت الى الله واقيمت على الله فهو يأخذ عرك ولكن يرفع أمرك ويعطيك بقاء لافناء معه (والثالثة) الغاء للترتيب معناه اذا ثبت ان خالق الزوجين فرد ففروا اليه واتركوا غيره تركاً مؤبداً (الرابعة) فى تنوع الكلام فائدة وبيانها هو أن الله قال والسماء بيناها والأرض فرشناها ومن كل شئ خلقناهم جعل الكلام للنبي عليه السلام وقال ففروا الى الله أى لكم منه نذير مبين ولم يقل ففروا البنا وذلك لان لاختلاف الكلام تأثيراً وكذلك لاختلاف التكلمين تأثير ولهذا يكثر الانسان من التصاميم مع ولده الذى حاد عن الجادة ويجعل الكلام مختلفاً أنواعاً ترغيباً ونوعاً ترهيباً وتنبهها بالحكايات ثم يقول لغيره تكلم معه لعل كلامك ينفع لى أذهان الناس أن اختلاف المنكاحين واختلاف الكلام كلاهما مؤثر والله تعالى ذكر أنواعاً من الكلام وكثيراً من الاستدلالات والآيات وذكر طرقاً صالحاً من الحكايات ثم ذكر كلاماً من متكلم آخر هو النبي صلى الله عليه وسلم ومن المفسرين من يقول تقديره فقل لهم ففروا قوله أى لكم منه نذير إشارة الى الرسالة وفيه أيضاً لطائف (احدها) أن الله تعالى بين عظمته بقوله والسماء بيناها والأرض فرشناها وهيئته بقوله فنبذناهم فى اليم وقوله تعالى أرسلنا عليهم الريح العقيم وقوله فأخذتهم الصاعقة وفيه إشارة الى أنه تعالى اذا عذب قدر على أن يعذب بما به البقاء والوجود وهو التراب والماء والهواء والنار فحكاية لوط تدل على أن التراب الذى منه الوجود والبناء اذا أراد الله جعله سبب الفناء والماء كذلك فى قوم فرعون والهواء فى عاد والنار فى ثمود واهل ترتيب الحكايات الاربع للترتيب الذى فى العناصر الاربعه وقد ذكر فى سورة العنكبوت شيئاً منه ثم اذا بان عظمته وهيئته قال رسوله عرفهم الحال وقل أنارسلون بتفديم الآيات ومرد الحكايات فلا ردافه بذكر الرسول فائدة (ثانيها) فى الرسالة أمور ثلاثة المرسل والرسول والمرسل اليه وههنا ذكر الكل فقول له لكم إشارة الى المرسل اليهم وقوله منه إشارة الى

بإيمان والطاعة
تجوا من عقابه ونفوزوا
بشوابه وإما لاطف
على جملة مقدرة مترتبة
على قوله تعالى لعلمكم
تذكرون كأنه قيل
قل لهم فذكروا
ففروا الى الله الخ وقوله
تعالى (انى لكم منه نذير
مبين) تعليل للأمر
بالفرار اليه تعالى
أو لوجوب الامتثال به
فان كونه عليه الصلاة
والسلام أن يأمرهم
بالفرار اليه وعليهم
أن يتشأوا به أى انى لكم
من جهته تعالى منذر
بين كونه منذراً لله تعالى
أو مظهر لما يجب اظهاره
من العذاب المذرية
وفى أمره تعالى للرسول
صلى الله عليه وسلم
بأن يأمرهم بالهرب اليه
تعالى من عقابه وتعليله
بأنه عليه الصلاة
والسلام ينذرهم
من جهته تعالى لامن
تلقاه نفسه وعدد كريم

بجائهم من المهروب
وفوزهم بالمطلوب وقوله
تعالى (ولا تجعلوا مع الله
الها آخر) نهى موجب
للقرار من سبب العقاب
بعد الامر بالقرار من
نفسه كما يشعر به قوله
تعالى (انى لكم منه) أى
من الجعل المنهى عنه
(نذير مبين) فان تعاقب
كلمة من بالانذار مع كون
صلته اليه تتضمنه معنى
الافرار يقال فرمته أى
هرب وأفره غيره كأنه
قيل وفروا من أن يجهلوا
معه تعالى اعتقاداً أو قولاً
الها آخر وفيه تأكيد
لما قبله من الامر بالقرار
من العقاب اليه تعالى
لكن لا بطريق التكرير
كما قيل بل بالتهى عن سببه
والمحباب الفرار منه
(كذلك) أى الامر مثل
ما ذكر من تكذيبهم
الرسول وتعميتهم له
ساحراً أو مجنوناً وقوله
تعالى (ما أنى الدين من
قبلهم) الخ تفسيره أى
ما أنتم؟ (من رسول)

المرسل وقوله نذير بيان للرسول وقدم المرسل اليه في الذكر لان المرسل اليه أدخل في أمر
الرسالة لان غرضه يتم الامر والمالك لو لم يكن هناك من يخالفه أو يوافق فليس اليه نذيراً
أو بشيراً لا يرسل وان كان ملكاً عظيماً وإذا حصل المخالف أو الموافق يرسل وان كان
غير عظيم ثم المرسل لانه متعين وهو الباعث وأما الرسول فباختياره ولولا المرسل المتعين
لما تمت الرسالة وأما الرسول فلان اثنين لان الحالك اختيار من يشاء من عباده فقال منه
ثم قال نذير تأخيراً للرسول عن المرسل (ثالثها) قوله مبين إشارة الى ما به تعرف الرسالة
لان كل ما دلت عليه سبب وعلامة فالرسول هو الذى به تتم الرسالة ولا بد له من علامة يعرف
بها فتقوله مبين إشارة اليها وهى اما البرهان او المعجزة * ثم قال تعالى (ولا تجعلوا مع الله
الها آخر) تماماً لتوحيد وذلك لان التوحيد بين التعطيل والمشاركة وطريقته
التوحيد هى الطريقة فالمعطى يقول لا اله الا هو والمشارك يقول فى الوجود آلهة
والموحد يقول قول الاثنين باطل ونفى الواحد باطل فتقوله تعالى ففروا الى الله أثبت
وجود الله ولما قال ولا تجعلوا مع الله الها آخر فى الاكثر من الواحد فصحح التوحيد
بالأيتين ولهذا قال مرتين (انى لكم منه نذير مبين) أى فى المقامين والموضعين وقد ذكرنا
مراراً ان المعطل اذا قال لا واجب يحتمل الكل ممكن فان كل موجود ممكن لكن الله فى
الحقيقة موجود فقد جعله فى نفسا صيف قوله كالممكنات فقد أشرك وجعل الله كغيره
والمشرك لما قال بان غيره اله يلزم من قوله نفى كون الاله الها لما ذكرنا فى تقرير
دلالة التمازج من أنه لو كان فيها آلهة الا الله لزم عجز كل واحد فلا يكون فى الوجود
اله أصلاً فيكون نافياً للالهية فيكون معطلاً فالمعطى مشرك والمشارك معطل وكل واحد
من الفريقين معترف بأن خصمه مبطل لكنه هو على مذهب خصمه يقول انه نفسه
مبطل وهو لا يعلم والحمد لله الذى هدانا لهذا وقوله ولا تجعلوا فيه اطمينة وهى انه إشارة الى ان
الآلهة مجعولة لا يقال فالله متخذ لقوله فاتخذوه وكلا قلنا الجواب عند ظاهر وقد
سبق فى قوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة * ثم قال تعالى (كذلك ما أنى الدين من
قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) والتفسير معلوم مما سبق وقد ذكرنا أنه يدل على
ان ذكر الحكايات للتسلية غير أن فيه اطمينة واحدة لان تركها وهى أن هذه الآية دليل على
ان كل رسول كذب وحينئذ يرد عليه اسئلة (الاول) هو أن من الانبياء من قرروا دين النبي
الذى كان قبله وبنى القوم على ما كانوا عليه كانبيا بنى اسرائيل مدة وكيف وأدم لما
أرسل لم يكذب (الثانى) ما الحكمة فى تقدير الله تكذيب الرسل ولم يرسل رسولا مع كثرتهم
واختلاف معجزاتهم بحيث يصدقهم أهل زمانه (الثالث) قوله ما أنى الا قالوا دليل على
انهم كلهم قالوا ساحر وليس كذلك لانه ما من رسول الا وآمن به قوم وهم ما قالوا ذلك
(والجواب عن الاول) هو أن نقول أما المقرر فلا نسلم أنه رسول بل هو نبي على دين رسول
ومن كذب رسوله فهو مكذبه أيضاً ضرورة (وعن الثانى) هو أن الله لا يرسل الا عند حاجة

من رسل الله (الاقالوا)
 في حقه (ساحرا ومجنون)
 ولا سبيل الى انتصاب
 الكاف يابى لامتناع
 عمل ما بعد ما التافية فيما
 قبلها (أتواصوا به)
 انكارو تعجب من حالهم
 واجاب عنهم على تلك
 الكلمة الشنيعة التي
 لانكاد تخطر ببال أحد
 من العقلاء فضلا عن
 التفوه بها اي أوصى
 بهذا القول بعضهم بعضا
 حتى اتفقوا عليه وقوله
 تعالى (بل هم قوم
 طاغون) اضرب عن
 كون مدار اتفاقهم على
 الشر تواصيههم بذلك
 وثبات لكونه أمرا
 أقبح من التواصي وأشنع
 منه من الطغيان الشامل
 لكل الدال على أن
 صدور تلك الكلمة
 الشنيعة عن كل واحد
 منهم بمقتضى جبلته
 الخبيثة لا بموجب وصية
 من قبلهم بذلك من غير
 أن يكون ذلك مقتضى
 طبايعهم (فقول عنهم)
 فأعرض

الخلق وذلك عند ظهور الكفر في العالم ولا يظهر الكفر الا عند كثرة الجهل ثم ان الله
 تعالى لا يرسل رسولا مع كون الايمان به ضروريا الا لكان الايمان به ايمان بالأس فلا
 يقبل والجاهل اذا لم يكن المبين له في غاية الموضوع لا يقبله فيبقى في وورطة الضلالة فهذا
 قدر لزوم بقضاء الله على الخلق على هذا الوجه وقد ذكرنا مرة أخرى أن بعض الناس يقول
 كل ما هو قضاء الله فهو خير والشر في القدر فالله قضى بأن النار فيها مصلحة للناس
 لانها نور ويجهلونها متاعا في الاسفار وغيرها كما ذكر الله والماء فيه مصلحة للشرب لكن
 النار انما تتم بمصلحتها بالحرارة البالغة والماء بالسيلان القوي وكونهما كذلك يلزمهما
 باجراء الله عادته عليهما أن يحرق ثوب الفقير ويغرق شاة المسكين فالمنفعة في القضاء
 والمضرة في القدر وهذا الكلام له غور والسنة أن تقول بفعل الله ما يشاء ويحكم
 ما يريد (وعن الثالث) أن ذلك ليس بعام فانه لم يقل الاقل كلمهم وانما قال الاقالوا ولما
 كان كثير منهم بل أكثرهم قائلين به قال الله تعالى الاقالوا فان قيل فلم لم يذكر
 المصدقين كما ذكر المكذبين وقال الاقل بعضهم صدقت وبعضهم كذبت تقول لان
 المقصود التسلية وهي على التكذيب فكأنه تعالى قال لاناس على تكذيب قومك
 فان أقوا ما قبلك كذبوا ورسلا كذبوا ثم قال (أتواصوا به بل هم قوم طاغون) أي بذلك
 القول وهو قولهم ساحر أو مجنون ومعناه التعجب أي كيف اتفقوا على قول واحد
 كأنهم تواطأوا عليه وقال بعضهم لبعض لا تقولوا الا هذا ثم قال لم يكن ذلك عن التواطؤ
 وانما كان لمعنى جامع هو أن الكل أترفوا فاستغنوا ففسدوا الله وطفوا فكذبوا رسوله
 كما أن الملك اذا أمهل أهل بقعة ولم يكافهم بشئ ثم قعد بعد مدة وطابهم الى بابه
 يصعب عليهم لاتخاذهم اقصور والجنان وتحسين بلادهم من الوجود الحسن فيجعلهم
 ذلك على العصيان والقول بطاعة ملك آخر ثم قال تعالى (فقول عنهم فأنت تعلم) هذه
 تسلية أخرى وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان من كرم الاخلاق ينسب نفسه الى
 تقصير ويقول ان عدم ايمانهم لتقصيري في التبليغ فيجتهد في الانذار والتبليغ فقال
 تعالى قد أنيت بما عليك ولا يضرك التولي عنهم وكفرهم ليس اتقصير منك فلا تحزن فأنك
 لست بمعلوم بسبب التقصير وانما هم الملمومون بالاعراض والاعتاد ثم قال تعالى (وذكر
 فان الذكرى تنفع المؤمنين) يعني ليس التولي مطلقا بل تول وأقبل وأعرض وادع
 فلا التولي يضرك اذا كان منهم ولا التذكير ينفع الا اذا كان مع المؤمنين وفيه معنى آخر
 الطغف منه وهو ان الهادي اذا كانت هدايته نافعة يكون ثوابه أكثر فلما قال تعالى فقول
 كان يقع لآلهم أن يقول فحيث لا يكون للنبي عليه السلام ثواب عظيم فقال بلى وذلك
 لأن في المؤمنين كثرة فاذا ذكرتهم زاد هدايتهم وزيادة الهدى من قوله كزيادة القوم
 فان قوما كثيرا اذا صلى كل واحد ركعة أو ركعتين وقوما قليلا اذا صلى كل واحد ألف
 ركعة تكون العبادة في الكثرة كالعبادة عن زيادة العدد فالهادي له على عبادة كل مهتد

عن جدالهم فقد كرت
عليهم الدعوة فابوا
الاالاباء (فأنت يا اوم)
على التولى بعد ما بذلت
المجهود وجاوزت
في الابلاغ كل حدهم
(وذكر) أي افعل
التذكير والموعظة
ولا تدعهم بالمرة
أو قد كرههم وقد حذف
الضمير لظهور الامر
(فان الذكري تنفع
المؤمنين) أي الذين قدر
الله تعالى ايمانهم
أو الذين آمنوا بالفعل
فانها تزيدهم بصيرة
وقوة في اليقين (وما خلقت
الجن والانس الا لعبدون)
استثاف مؤكدا لامر
مقرر لمضنون تعليله
فان كون خلقهم مغيا
بعبادته تعالى بما يدعو
عليه الصلاة والسلام
الى تذكيرهم يوجب
عليهم التذكير والالتزام
ولعل تقديم خلق الجن
في الذكر لقدمه على
خلق الانس في الوجود
ومعنى

أجر ولا ينقص أجر المهتدي قال تعالى ان لك لاجرا أي وان توليت بسبب انتفاع المؤمنين
بل وحالة اعراضك عن المعاندين وقوله تعالى فان الذكري تنفع المؤمنين يحتمل وجوها
(أحدها) أن يراد قوة يقينهم كما قال تعالى ليزدادوا ايمانا وقال تعالى فاما الذين آمنوا
فزادتهم ايمانا وقال تعالى زادهم هدى وآتاهم تقواهم (ثانيها) تنفع المؤمنين الذين
بعدك فكانك اذا كثرت التذكير بالتكرير نقل عنك ذلك بالتواتر فينتفع به من يحى
بعدك من المؤمنين (ثالثها) هو أن الذكري ان أفاد ايمان كافر فقد دفع مؤمنا لانه صار
مؤمنا وان لم يفسد يوجد حسنة ويزاد في حسنة المؤمنين فينتفعوا وهذا هو الذي
قيل في قوله تعالى وتلك الجنة التي أوردتموها * ثم قال تعالى (وما خلقت الجن والانس
الا لعبدون) وهذه الآية فيها فوائد كثيرة ولذا كرها على وجه الاستقصاء فنقول أما
تعلقها بما قبلها فلو وجوه (أحدها) أنه تعالى لما قال وذكر عن أقصى غاية التذكير وهو ان
الخلق ليس الا لعبادة فالقصد من ايجاد الانسان العباد فذكرهم به وأعلمهم ان كل
ماعداه تضييع للزمان (الثاني) هو ان ذكرنا مرارا ان شغل الانبياء منحصر في أمرين
عبادة الله وهداية الخلق فلما قال تعالى فتول عنهم فأنت بعلوم بين أن الهداية قد تستقط
عند اليأس وعدم المهتدي وأما العباد فهي لازمة والخلق المطلق لها وليس الخلق
المطلق للهداية فأنت بعلوم اذا أثبت بالعبادة التي هي أصل اذا تركت الهداية بعد بدل
الجهد فيها (الثالث) هو أنه لما بين حال من قبله من التكذيب ذكر هذه الآية ليبين سوء
صنيعهم حيث تركوا عبادة الله فما كان خلقهم الا لعبادة وأما التفسير ففيه مسائل
(الاولى) الملائكة أيضا من اصناف المكلفين ولم يذكرهم الله مع ان المنفعة الكبرى
في ايجادهم هي العباد واهذا قال بل عباد مكرمون وقال تعالى لا يستكبرون عن
عبادته فالحكمة فيه نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) قد ذكرنا في بعض الوجوه
أن تعلق الآية بما قبلها بيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا له وهذا مختص بالجن
والانس لان الكفر في الجن أكثر والكافر منهم أكثر من المؤمن لما بينا أن المقصود بيان
قبحهم وسوء صنيعهم (الثاني) هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن فلما قال
وذكرهم ما يذكر به وهو كون الخلق للعبادة خص أمته بالذكر أي ذكر الجن والانس
(الثالث) ان عباد الاصنام كانوا يقولون بأن الله تعالى عظيم الشأن خلق الملائكة
وجعلهم مقر بين فهم يعبدون الله وخلقهم لعبادته ونحن لنزول درجتنا لنصلح لعبادة الله
فنعبد الملائكة وهم يعبدون الله فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا لعبدون ولم
يذكر الملائكة لان الامر فيهم كان مسلمات القوم فذكر المتنازع فيه (الرابع) قيل الجن
يتناول الملائكة لان الجن أصله من الاستنار وهم مستترون عن الخلق وعلى هذا فتقدم
الجن لدخول الملائكة فيهم وكونهم أكثر عبادة وأخلصها (الخامس) قال بعض الناس
كلما ذكر الله الخلق كان فيه التقدير في الجرم والزمان قال تعالى خلق السموات

والارض وما بينهما في ستة ايام وقال تعالى خلق الارض في يومين وقال خلقت يدي الى
غير ذلك واما ما ذكره باللفظ الامر قال تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون وقال قل الروح من امر ربي وقال تعالى اذله الخلق والامر والملائكة
كاذرواح من عالم الامر اوجدتهم من غير مرور زمان فقوله وما خلقت اشارة الى من هو
من عالم الخلق فلا يدخل فيه الملائكة وهو باطل لقوله تعالى خالق كل شيء فاذلك من عالم
الخلق (المسئلة الثانية) تقديم الجن على الانس لاية حكمة نقول فيه وجوه الاول بعضها
مر في المسئلة الاولى الثاني هو ان العبادة سرية وجهرية والسرية فضل على الجهرية
لكن عبادة الجن سرية لا يدخلها الرياء العظمى واما عبادة الانس فيدخلها الرياء فانه
قد يعبد الله لابتغاء جنسه وقد يعبد الله لئلا يستخبر من الجن او مخافة منهم ولا كذلك الجن
(المسئلة الثانية) فعل الله تعالى ليس لغرض والا لكان بالغرض مستكملا وهو في نفسه
كامل فكيف يفهم لامر الله الغرض والعلة نقول المعتزلة تمسكوا به وقالوا افعال الله
تعالى لا غرض وبالفواقي الانكار على منكري ذلك ونحن نقول فيه وجوه (الاول) ان
التعليل لفظي ومعنوي واللفظي ما يطلق الناظر اليه اللفظ عليه وان لم يكن له في
الحقيقة مثاله اذا خرج ملك من بلاده ودخل بلاد العدو وكان في قلبه ان يتعب عسكر
نفسه لا غير في المعنى المنصود ذلك وفي اللفظ لا يصح واو قال هو انما سافرت الا لا تغا
اجر او لا ستفيد حسنة يقال هذا ليس بشيء ولا يصح عليه ولو قال قائل في مثل هذه الصورة
خرج لياخذ بلاد العدو وليرهبه لصدق فالتعليل اللفظي هو جعل المنفعة المتبعة علة
للفعل الذي فيه المنفعة يقال اتجر للربح وان لم يكن في الحقيقة له اذا عرفت هذا فنقول
الحائث غير معلومة عند الناس والمفهوم من المنصوص معانيها اللفظية لكن الشيء اذا
كان فيه منفعة يصح التعليل بها لفظا والزاع في الحقيقة في اللفظ (الثاني) هو ان ذلك
تقدير كالتثنية والترجي في كلام الله تعالى وكأنه يقول العبادة عند الخلق شيء لو كان ذلك
من افعالكم لقائم انه اها كما قلنا في قوله تعالى انه يتذكر أي بحيث يصير تذكره عندكم
مرجوا وقوله عسى ربكم أن يهلك عدوكم أي يصير اهلا كه عندكم مرجوا وتقولون انه قرب
(الثالث) هو ان اللام قد ثبت فيما لا يصلح غرضا كافي الوقت قال تعالى أقم الصلاة لذورك
الشمس وقوله تعالى فطافوهن لعدتهن والمراد المقارنة وكذلك في جميع الصور وحينئذ
يكون معناه قرنت الخلق بالعبادة أي غرض العبادة أي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة
والذي يدل على عدم جواز التعليل الحقيقي هو ان الله تعالى مستغن عن المنافع فلا يكون
فعله لمنفعة راجعة اليه ولا الى غيره لان الله تعالى قادر على ابطال المنفعة الى الغير من غير
واسطة العمل فيكون توسط ذلك لانه لا يكون علة واذ انزل القول بأن الله تعالى يفعل فعلا هو
لم توسط لانه لم يزمهم المسئلة واما المنصوص فاكثر من أن تعدوه على أنواع منها ما يدل
على ان الاضلال بفعل الله كقوله تعالى بضل من يشاء وأمثاله ومنها ما يدل على ان الاشياء

خلقتهم لعبادته تعالى
خلقتهم مستعدين لها
وممكنين منها أتم
استعدادوا لكل تمكن
مع كونها مطلوبة منهم
بتزويل ترتيب الغاية على
ما هي ثمرة له منزلة ترتيب
الغرض على ما هو غرض
له فان استتباع أفعاله
تعالى اغايات جليلة مما
لا نزاع فيه قطعاً كيف
لا وهي رحمة منه تعالى
وتفضل على عباده وانما
الذي لا يليق بجنابه
هو وجعل تعليلها بالغرض
بمعنى الباعث على الفعل
بحيث لو لا لم يفعله
لافضائه الى استكماله
بفعله وهو الكامل بالفعل
من كل وجه واما بمعنى
نهاية كالية يفضي اليها
فعل الفاعل الحق فغير
منفي من أفعاله تعالى
بل كلها جارية على
ذلك المنهاج وعلى هذا
الاختبار يدور وصفه
تعالى بالحكمة ويكفي
في تحقق المعنى

كأما يخلق الله كقوله تعالى خالق كل شيء وعنهما الصريح التي تدل على عدم ذلك
كقوله تعالى لا يستل عما يفعل وقوله تعالى يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد والاستقصاء
مفوض فيه إلى المتكلم الأصولي لا إلى المفسر (المسئلة الرابعة) قال تعالى يا أيها الناس
إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وقال يعبدون فهل بينهما
اختلاف نقول ليس كذلك فإن الله تعالى علل جعلهم شعوبا بالعارف وههنا علل خلقهم
بالعبادة وقوله هناك إن أكرمكم عند الله أتقاكم دليل على ما ذكره ههنا وموافق له لأنه
إذا كان اتقى كان عبدا وأخلص علاقته كون المطلوب منه أتم في الوجود فيكون أكرم
وأعز كاشي الذي منفعة فائدة وبعض أفراده يكون أنفع في تلك الفائدة مثاله الماء
إذا كان مخلوقا للتطهير والشرب فالصافي منه أكثر فائدة في تلك المنفعة فيكون أشرف
من ماء آخر فكذلك العبد الذي وجد فيه ما هو المطلوب منه على وجه أبلغ (المسئلة
الخامسة) ما العبادة التي خلق الجن والإنس لها قلنا التعظيم لأمر الله والشفقة على
خلق الله فإن هذين النوعين لم يخل شرع منهما وأما خصوص العبادات فالشرائع
مختلفة فيها بالوضع والهيئة والقلة والكثرة والزمان والمكان والشرائط والأركان ولما
كان التعظيم اللائق بذى الجلال والإكرام لا يعلم عقلا لزم اتباع الشرائع فيها والاختد
يقول الرسل عليهم السلام فقد أنعم الله على عباده بأرسال الرسل وإيضاح السبل في نوعي
العبادة وقيل إن معناه ليخبروني روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عز ربه
كنت كثيرا مخفيا فأردت أن أعرف ثم قال تعالى (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن
يطعمون) وفيه جواب سؤال وهو أن الخلق لا غرض يأتى من الحاجة فقل ما خلقهم
ليطعمون والنعمة فيهم لهم لئلا وذلك لأن منفعة العبد في حق السيد أن يكتب له أما
تخصيل المال له أو يحفظ المال عليه وذلك لأن العبد إن كان يكتسب فغرض التخصيل
فيه ظاهر وإن كان الشغل فلو لا العبد لاحتاج السيد إلى استئجار من يفعل الشغل له
فيحتاج إلى إخراج مال والعبد يحفظ ماله عليه ويغنيه عن الإخراج فهو نوع كسب
فقال تعالى ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون أي لست كالسادة في طلب العبادة
بل هم الرابحون في عبادتهم وفيه وجه آخر وهو أن يقال هذا تقرير لكونهم مخاوفين
للعادة وذلك لأن العمل في العرف لا بد له من منفعة لكن العبيد على قسمين قسم منهم
يكون للعبادة والجمال كما يليك الملوك يطعمهم الملك ويستقيهم ويعطيهم الأكراف من
البلاد ويؤتيهم الأطراف بعد التلاد والمراد منهم التعظيم والمثول بين يديه ووضع اليدين
على الشمال أيده وقسم منهم الانتفاع بهم في تخصيل الأرزاق أو لأصلاحها فقال تعالى
إنى خلقتهم فلا بد فيهم من منفعة فليتكروا في أنفسهم هل هم من قبيل أن يطلب منهم
تخصيل رزق وليسوا كذلك فأريد منهم من رزق أو هل هم ممن يطلب منهم إصلاح
فوت كاطباخ والخوانى الذي يقرب الطعام وليسوا كذلك فأريد أن يطعمون

التعليل على ما يقوله
الفقهاء ويتعارفه أهل
اللغة هذا المقدار وبه
يتحقق مداول اللام وأما
إرادة الفاعل لها فليست
من مقتضيات اللام
حتى يلزم من عدم صدور
العبادة عن البعض
تخلف المراد عن الإرادة
فإن تعوق البعض عن
الوصول إلى الغاية مع
تعاضد المبادئ وتأخذ
المقدمات الموصلة إليها
لا يمنع كونها غاية كما
في قوله تعالى كتاب
أزتناه إليك لنخرج
الناس من الظلمات إلى
النور ونظائره وقبل المعنى
الأيومروا بعبادتي
كما في قوله تعالى وما
أمرؤا إلا بعبادوا الهيا
واحد أو قبل المراد سعداء
الجنسين كما أن المراد
بقوله تعالى واتقوا أنا
لجنهم كثيرا من الجن
والانس أشقياء هما
ويضده قراءة من قرأ
وما خلقت الجن

والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوي معناه الايعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة كنت كثرا مخفيا فاحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف وأعلم السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق إطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على أن المعبرهي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كدعوة الفلاسفة (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعاليا عن أن يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم يستعيزونهم في تحصيل معاشهم وتهية أرزاقهم أي ما أريد أن أصرفهم في تحصيل رزقي ولأرزقهم بل أتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عني فليست غلو بما خلقوا له من عبادتي

فأذنهم عبيد من القسم الأول فينبغي أن لا يتركوا التعظيم وفيه لطائف نذكرها في مسائل (المسئلة الأولى) ما الفائدة في تكرار الأرادين ومن لا يريد من أحد رزقا لا يريد أن يطعمه تقول هو لما ذكرناه من قبل وهو أن السيد قد يطلب من العبد الكسب له وهو طلب الرزق منه وقد يكون للسيد مال وافر يستغنى عن الكسب لكنه يطلب مند قضاء حوائجه بماله من المال واستحضار الطعام بين يديه من ماله قال السيد قال لأريد ذلك ولا هذا (المسئلة الثانية) لم يقدم طلب الرزق على طلب الطعام تقول ذلك من باب الارتقاء تقول انقائل لأطلب منك العائفة ولا من هو أقوى ولا يعكس ويقال فلان يكرمه الامراء بل السلاطين ولا يعكس فقال ههنا لأطلب منكم رزقا ولا ما هو دون ذلك وهو تقديم طعام بين يدي السيد فان ذلك امر كثير الطلب من العباد وان كان الكسب لا يطلب منهم (المسئلة الثالثة) لو قال ما أريد منهم أن يرزقون وما أريد منهم من طعام هل تحصل هذه الفائدة تقول على ما فصل لا وذلك لان بالكسب يطلب الغنى لا القل فان من اشتغل بشغل ولم يحصل له غنى لا يكون كمن حصل له غنى وان لم يشتغل كالعبد المتكسب اذا ترك الشغل لحاجته ووجد مطلبا يرضى منه السيد اذا كان شغفه بالكسب وأما من يراد منه الفعل لذات الفعل كالجائع اذا بحث عبده لاحضار الطعام فاشتغل باخذ المال من مطلب فر بما لا يرضى به السيد فالقصد من الرزق الغنى فلم يقل بلفظ الفعل والمقصود من الاطعام الفعل نفسه فذكر بلفظ الفعل ولم يقل وما أريد منهم من طعام هذا مع ما في اللفظين من الفصاحة والجزالة للتوابع (المسئلة الرابعة) اذا كان المعنى به ما ذكرت فما فائدة الاطعام وتخصيصه بالذكر مع ان المقصود عدم طلب قول منهم غير التعظيم تقول لما عم في المطلب الاول اكتفى بقوله من رزق فانه يفيد العموم واسار الى التعظيم فذكر الاطعام وذلك لان أدنى درجات الافعال ان يستعين السيد بعبده أو جارية في تهية امر الطعام ونفي الادنى يستتبعه نفي الاعلى بطريق الاولى فصار كأنه قال تعالى ما أريد منهم من عين ولا عمل (المسئلة الخامسة) على ما ذكرت لا تنحصر المطالب فيما ذكره لان السيد قد يشتري العبد لأطلب عمل منه ولا لطلب رزق ولا للتعظيم بل يشتريه للتجارة والرح فيه تقول عموم قوله ما أريد منهم من رزق يذول ذلك فان من اشترى عبدا للتجرف فيه فمطلب مندرزقا (المسئلة السادسة) ما أريد في العربية يفيد ان في الحال والتخصيص بالذكر يومهم في ما عدا المذكور لكن الله تعالى لا يريد منهم رزقا في الحال ولا في الاستقبال فلم لم يقل لا أريد منهم من رزق ولا أريد نقول ما ناني في الحال ولا ناني في الاستقبال فالتأني اذا قل فلان لا يفعل هذا الفعل وهو في الفعل لا يصدق لكنه اذا ترك مع فراغه من قوله بصدق انقائل ولو قال ما يفعل لاصدق فيما ذكرنا من الصورة مثاله اذا كان الانسان في الصلاة وقال قائل انه ما يصلي فانظر اليه فاذا كان نظرا اليه الناظر وقد قطع صلاة نفسه صح أن يقول انما قلت انك لا تصلي ولو قال القائل انه ما يصلي في تلك الحالة

لما صدق فاذ علمت هذا فكل واحد من المفلطين للنسافة فيه خصوص لكن النقي
في الحال أولى لان المراد من الحال الدنيا والاستقبال هو في امر الآخرة فالدنيا وأمورها
كلها حاوية فتعلمه ما أر يدأى في هذه الحالة الراهنة التي هي ساعة الدنيا ومن المعلوم ان
العبد بعد موته لا يصلح ان يطلب منه رزق او عمل فكان قوله ما أر يدأى فبقيد الثاني العام ولو
قال لا أر يدأى فاذ ذلك ثم قال تعالى (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) تعليلا لما تقدم
من الامر ين فقوله هو الرزاق تعليلا بعد طلب الرزق وقوله تعالى ذو القوة تعليلا لعدم
طلب العمل لان من يطلب رزقا يكون فقيرا محتاجا ومن يطلب علامة من غيره يكون عاجزا
لاقوة له فصار كأنه يقول ما أر يدأى منهم من رزق فاني أنا الرزاق ولا عمل فاني قوى وفيه
مباحث (الاول) قال ما أر يدأى ولم يقل اني رزاق بل قال على الحكاية عن الغائب ان الله
في الحكمة فيقول قدرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الى أنا الرزاق على ما ذكرت
وأما القراءة المشهورة ففيها وجوه (الاول) ان يكون المعنى قل يا محمد ان الله هو الرزاق
(الثاني) ان يكون ذلك من باب الالتفات والرجوع من التكلم عن النفس الى التكلم
عن الغائب وفيه ههنا فائدة وهي ان اسم الله يفيد كونه رزاقا وذلك لان الاله بمعنى
المعبود كما قلنا امرارا وتسمكنا بقوله تعالى ويذكر وآلهتك أى معبوديك واذا كان الله هو
المعبود ورزق العبد استعماله في غير الكسب اذ رزقه على السيد وههنا لما قال ما خلقت
الجن والانس الا لعبدين فقديين انه استخلصهم لنفسه وعبادته وكان عليه رزقهم
فتلك تعالى ان الله هو الرزاق بل حفظ الله الدال على كونه رازقا ولو قال اني أنا الرزاق
لحصلت المناسبة التي ذكرت ولكن لا يتصل ما ذكرنا (الثالث) ان يكون قل مضمرا
عند قوله تعالى ما أر يدأى منهم تقديره قل يا محمد ما أر يدأى منهم من رزق فيكون بمعنى قوله
قل ما أسئلكم عليه من أجر ويكون على هذا قوله تعالى ان الله هو الرزاق من قول النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يقل التوبى بل قال ذو القوة وذلك لان المقصود تقرير ما تقدم
من عدم ارادة الرزق وعدم الاستعانة بالغير لكن في عدم طلب الرزق لا يكتفى كون
المستغنى بحيث يرزق واحدا فان كثيرا من الناس يرزق ولده وغيره ويسترزق والمالك
يرزق الجنود ويسترزق فاذا كثر منه الرزق قل منه المطلب لان المسترزق ممن يكثر الرزق
لا يسترزق من رزقه فلم يكن ذلك المقصود يحصل له الا بالبالغة في وصف الرزق فقال
الرزاق وأما ما يغنى عن الاستعانة بالغير فدون ذلك وذلك لان القوى اذا كان في غاية
القوة يعين الغير فاذا كان دون ذلك لا يعين غيره ولا يستعين به واذا كان دون ذلك يستعين
استعانة ما وتتفاوت بعد ذلك ولما قال وما أر يدأى يطعمون كفاء بيان نفس القوة
فقال ذو القوة في افادة معنى القوى دون القوى لان لا يقال في الوصف اللازم البين
فيقال في الآدمي ذوال مال ومطول وذو جال وجليل وذو خاق حسن وخلق الى غير ذلك
ما لا يلزمه لزوما بينا ولا يقال في الثلاثة ذات فردية ولا في الاربع ذات زوجية ولهذا

(ان الله هو الرزاق)

الذي يرزق كل ما يقتدر
الى الرزق وفيه تلويح
بانه غنى عنه وقرى الى
أنى أنا الرزاق (ذو القوة
المتين) بالرفع على أنه
نعت للرزاق أو لدو
او خبر بعد خبر او خبر
لمضمر وقرى بالجر على
أنه وصف للقوة على
تأويل الاقدار أو الابد

(فان الذين ظلموا) أي ظلموا أنفسهم بغير رضاهم للعذاب الخالد ينكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أنه
مكان التصديق تكذيباً واهماً أهل مكة (ذنوباً) أي نصيبوا وأفرا ﴿٦٩٠﴾ من العذاب (مثل ذنوب أصحاب)

مثل أنصباهم نظرهم من الأمم المحكية وهو مأخوذ من مقاومة السقاء الماء بالذنوب وهو الداء العظيم الملوثة (فلا يستعجلون) أي لا يطلبوا مني أن أعجل في الجواب به يقال استعجله أي حشد على العجلة وأمره بها ويقال استعجله أي طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لتوابعهم مني هذا الوعد أن كنتم صادقين (قويل للذين كفروا) وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشغارا بعللة الحكم وانقاء الترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذاباً عظيماً كما أن الله الأول الترتيب انتهى عن الاستعجال على ذلك ومن في قوله تعالى (من يومهم الذي يوعدون) لتأجيل أي يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الأنسب بما في صدر السورة الكريمة

أورد في الأوصاف الحقيقية التي ليست مأخوذة من الأفعال وإنما ليسمع ذوالوجود ولا ذوالحياة ولا ذوالعلم ويقال في الإنسان ذوالعلم وذو حياة لأنها عرض فيه عارض لا لازم بين وفي صفات الفعل يقال الله تعالى ذوالفضل كثيراً وذو الخلق قليلاً لأن ذا كذا بمعنى صاحبه وربه والحب لا يفهم منها إلا لزوم فضلاً عن اللزوم البين والذي يؤيد هذا هو أنه تعالى قال وفوق كل ذي علم عليم فيعلم غير ذاعلم ووصف نفسه بالفعل فيبين ذى العلم والعليم فرق وكذلك بين ذى القوة والقوى ويؤيده أيضاً أنه تعالى قال فاخذهم الله انده قوى شديد العقاب وقال تعالى الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز وقال تعالى لا تغلبن أنا ورسلي أن الله قوى عزيز لأن في هذه الصور كان المراد بيان اقيام بالأفعال العظيمة والمراد ههنا عدم الاحتياج ومن لا يحتاج إلى الغير يكفيه من القوة قدرها ومن يقوم مستعيداً بالفعل لا بدله من قوة عظيمة لأن عدم الحاجة قد يكون بترك الفعل والاستغناء عنه وأو بين هذا البحث في معرض الجواب عن سؤال سائل من الفرق بين قوله ذوالقوة ههنا وبين قوله قوى في تلك المواضع لكان أحسن * فان قيل فقد قال تعالى ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب أن الله قوى عزيز وفيه ما ذكرت من المعنى وذلك قوله قوى لبيان أنه غير محتاج إلى النصره وإنما يريد أن يعلم ليثبت الناصر لكن عدم الاحتياج إلى النصره يكفي فيه قوة ما فلم يقل أن الله ذوالقوة نقول فيه أنه تعالى قال من ينصره ورسله ومعناه أنه يغني رسله عن الحاجة ولا يطلب نصرته من خلقه ليجزهم وإنما يطلبها ثواب الناصرين لا لاحتياج المستنصرين والأخلاق تعالى وعدهم بالنصرة حيث قال ولقد سبق لكلمات العبادنا المرسلين أنهم أهم المنصورون ولما ذكرنا رسول قال قوى ليكون ذلك تقوية لقلوب رسله والمؤمنين وتثبيتاً

اصدورهم وصدور المؤمنين (البحث الثاني) قال المتين وذلك لأن ذوالقوة كما بينا لا يدل الأعلى أن له قوة ما فراد في الوصف بياناً وهو الذي له ثبات لا يتزلزل وهو مع المتين من باب واحد لفظاً ومعنى فان متين الشيء هو أصله الذي عليه ثباته والمتن هو الظاهر الذي عليه أساس البدن والمثانة مع القوة كالعزة مع القوة حيث ذكر الله تعالى في مواضع ذكر القوة العزة فقال قوى عزيز وقال القوى العزيز وفيه لطيفة تؤيد ما ذكرنا من البحث في القوى وذو القوة وذلك لأن المتين هو الثابت الذي لا يتزلزل والعزير هو الغالب في المتين أنه لا يغلب ولا يقهر ولا يهزم وفي العزيز أنه يغلب ويقهر ويذل الأقدام والعزة أكل من الثابتة كان القوى أباغ من ذى القوة فقرن الأكل بالآكل ومادونه بمادونه وأونظرت حتى النظر وتأملت حتى التأمل رأيت في كتاب الله تعالى لطائف تدبرك على عناد المنكرين وفيح انكار المعاندين * ثم قال تعالى (فان الذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون) قويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون وهو ما ذكرنا من أن من يضع نفسه في موضع عبادة غير الله يكون وضع الشيء

الآية والامل هو الأوفى لما قبله من حيث انهما من العذاب النبوي * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعد كل ربح هبت وجرت في الدنيا

في غير موضعه فيكون ظالمًا فقال اذا ثبت ان الناس مخنوقون لاجل عبادة فان الذين ظلموا بعبادة
غيرهم هلاك مثل هلاك من تقدم وذلك لان الشيء اذا خرج عن الانتفاع المطلوب
منه لا يحفظ وان كان موضع يخلى المكان عنه ألا ترى ان الدابة التي لا تبقى
منفعة عابها بالموت أو تعرض يخلى عنها الاصطبل والطعام الذي يتعفن يبدد ويفرغ منه
الإناء فكذلك الكافر اذا ظلم ووضع نفسه في غير موضعه خرج عن الانتفاع فحسب اخلاء
المكان عنه وحق نزول الهلاك به * وفي التفسير مسائل (المسئلة الاولى) فيما يتعلق به
افاء وقد ذكرنا ذلك في وجه العلق (المسئلة الثانية) ما مناسبة الذنوب نقول العذاب
مصوب عليهم كأنه قال تعالى نصيب من فوق رؤسهم ذنوباً كذنوب صب فوق رؤس
أولئك ووجه آخر وهو ان العرب يستقون من الآبار على انوبة ذنوباً فذنوباً وذاك
وقت عيشهم الصيب فكانه تعالى قال فان الذين ظلموا من الدنيا وطيبا ذنوباً أي ملاء
ولا يكون لهم في الآخرة من نصيب كما كان عليهم حال استحبابهم استقوا ذنوباً وتركوها
وعلى هذا فالذنوب ليس بعذاب ولا هلاك وانما هو رخذ العيش وهو أليق بالعربية وقوله
تعالى فلا يستعجلون فان الرزق ما لم يفرغ لا يأتي الاجل ثم اعاد ما ذكر في أول السورة
فقال فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(سورة الطور أربعون وتسع آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر
المسجور) هذه السورة مناسبة للسورة المقدمة من حيث الافتتاح بانقسم وبيان
الحشر فيهما وأول هذه السورة مناسب لآخرها قبلها لان في آخرها قوله تعالى فويل
للذين كفروا وهذه السورة في أولها فويل يومئذ للكافرين وفي آخر تلك السورة قال
فان للذين ظلموا ذنوباً اشارت الى العذاب وقال هنا ان عذاب ربك لواقع وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) ما الطور وما الكتاب المسطور نقول فيه وجوه (الاول) الطور هو
جبل معروف كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه (الثاني) هو الجبل الذي قال الله
تعالى وطور سينين (الثالث) هو اسم الجنس والمراد القسم بالجبل غير ان الطور الجبل
العظيم كالطود وأما الكتاب ففيه أيضاً وجوه (أحدها) كتاب موسى عليه السلام
(ثانيها) الكتاب الذي في السماء (ثالثها) صحائف أعمال الخلق (رابعها) القرآن
وكيفما كان فهي في رقوق وسنين فائدة قوله تعالى في رق منشور وأما البيت المعمور
ففيه وجوه (الاول) هو بيت في السماء العليا عند العرش ووصفه بالعمارة لكثرة
الطائفين به من الملائكة (الثاني) هو بيت الله الحرام وهو معمور بالحاج الطائفين به

﴿ سورة الطور مكية ﴾

وأبها تسم أويمان

وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن

الرحيم ﴾ (والطور)

الطور بالمصرية الجبل

والمراد به طور سينين

وهو جبل يدين سمع فيه

موسى عليه السلام كلام

الله تعالى (وكتاب

مسطور) مكتوب على

وجه الانتظام فان السطح

ترتيب الحروف المكتوبة

والمراد القرآن أو الواح

موسى عليه السلام وهو

الانسب بالطور أو ما

يكتب في الواح أو ما

يكتب بالحفظة (في رق

منشور) الرق الجلد الذي

يكتب فيه يستعمله يكتب

فيه الكتاب من الصحيفة

وتكبرهما لتفخيم أو

للاشعار بأنهما لبسا

ما يتعارفه الناس

انما كنين (الثالث) البيت المعمور اللام فيه لتعريف الجنس كانه يقسم ببيوت المعمورة والعمائر المشهورة والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور قيل الموقد ناراً يقال سجت التور وقيل هو البحر المملوء ماء المتوج وقيل هو بحر معروف في السماء يسمى بحر الحيوان (المسئلة الثانية) ما الحكمة في اختيار هذه الاشياء نقول هي تحتمل وجوهاً (أحدها) ان الاماكن الثلاثة وهي الطور والبيت المعمور والبحر المسجور اما كن كانت الثلاثة انبياء ينفردون فيها للخوة برهم والخلص من الخلق والخطاب مع الله اما الطور فانتقل اليه موسى عليه السلام واسيت المعمور محمد صلى الله عليه وسلم والبحر المسجور يونس عليه السلام والكل خاطبوا الله هناك فقال موسى اتملكننا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتلك فضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقال ارتى انظر اليك واما محمد صلى الله عليه وسلم فقال سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لا احصى ثناء عليك أنت كما ائذيت على نفسك واما يونس فقال لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فصارت الاماكن شريفة بهذه الاسباب فحلف الله تعالى بها وأما ذكر الكتاب فان الانبياء كان لهم في هذه الاماكن مع الله تعالى كلام والكلام في الكتاب واقرانه بالطور أدل على ذلك لان موسى عليه السلام كان له مكتوب ينزل عليه وهو بالطور واما ذكر السقف المرفوع ومعه البيت المعمور ايعلم عظمة شأن محمد صلى الله عليه وسلم (ثانيها) وهو ان القسم لما كان على وقوع العذاب وعلى انه لا دافع له وذلك لانه لا مهرب من عذاب الله لان من يريد دفع العذاب عن نفسه في بعض الاوقات يتحصن بمثل الجبال الشاهقة التي ليس لها طرف وهي متضايقة بين انه لا يتفزع التحصن بها من امر الله تعالى كما قال ابن نوح عليه السلام ساء لي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الله حكاية عن نوح عليه السلام (المسئلة الثالثة) ما الحكمة في تكثير الكتاب وتعريف بالاشياء نقول ما يحتمل الخفاء من الامور المناسبة بامثالها من الاجناس يعرف باللام فيقال رأيت الامير ودخلت على الوزير فاذا بلغ الامير الشهرة بحيث يؤمن بالالتباس مع شهرته ويريد الوصف وصفه بالعظمة يقول اليوم رأيت اميراً ماله نظير جالساً وعظمه سماء الملوك وانت تريد ذلك الامير المعلوم والسبب فيه انك بالتكثير تشير الى انه خرج عن أن يعلم ويعرف بكنهه عظمته فيكون كتوبه تعالى الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة فاللام وان كانت معرفة لكن اخرجها عن المعرفة تكون شدة هولها غير معروف فكذلك ههنا الطور ليس في الشهرة بحيث يؤمن اللبس عند التكثير وكذلك البيت المعمور واما الكتاب الكريم فقد تميز عن سائر الكتب بحيث لا يسبق الى افهام السامعين من النبي صلى الله عليه وسلم لفظ ان الكتاب الا ذلك فلما آمن اللبس وحصلت فائدة التعريف سواء ذكر باللام أو لم يذكر فصداً الفائدة الاخرى وهي في الذكر بالتكثير وفي تلك الاشياء لما تحصل فائدة التعريف الابانة التعريف استعمالها وهذا يؤيد كون

(والبيت المعمور) أي الكعبة وغارها بالحجاب والعمار والمجاورين أو الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشية من الملائكة (والسقف المرفوع) أي السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور (والبحر المسجور) أي المملوء وهو البحر المحيط أو الموقد من قوله تعالى وإذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روى أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة ناراً يسجر بها نار جهنم

المراد منه ان قرآن وكذلك اللوح المحفوظ مشهور (المسئلة الرابعة) ما النائدة في قوله تعالى في رقى منشور وعظمة الكتاب بلفظه ومعناه لا يخطه ورقه نقول هو اشارة الى الموضوع وذلك لان الكتاب المطوى لا يعلم ما فيه فقال هو في رقى منشور ليس كالكتاب المطوية وعلى هذا المراد اللوح المحفوظ فعنه هو منشور لكم لا يمنعكم أحد من مطالعته وان قلنا بأن المراد كتاب اعمال كل أحد فالتكثير لعدم المعرفة بعينه وفي رقى منشور لبيان وصفه كما قال تعالى كتابا يلقاه منشورا وذلك لان غير المعروف اذا وصف كان الى المعرفة أقرب شيها (المسئلة الخامسة) في بعض السور أقسم بجموع كما في قوله تعالى والذاريات وقوله والمرسلات وقوله والنازعات وفي بعضها بأفراد كما في هذه السورة حيث قال والطور ولم يقل والاطوار والبحار ولا سيما اذا قلنا المراد من الطور الجبل العظيم كاطود كما في قوله تعالى وردعتا فوقهم الطور أي الجبل فالحكمة فيه نقول في الجموع في أكثرها اسم بالتحر كات والريح الواحدة ليست بثابتة مستمرة حتى يقع القسم بها بل هي متبدلة بأفرادها مستمرة بأنواعها والمقصود منها لا يحصل الا بالتبدل والتغير فقال والذاريات اشارة الى النوع المستر لا الى الأفراد المعين المستقر وأما الجبل فهو ثابت قليل التغير والواحد من الجبال دائم زمانا ودهرا فاقسم في ذلك بأواحد وكذلك قوله والجم والريح ما علم القسم به وفي الطور علم ثم قال تعالى (ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع) اشارة الى القسم عليه وفيه مباحث (الاول) في حرف ان وفيه مقامات (الاول) هي تنصب الاسم وترفع الخبر والسبب فيه هو انها شبهت بالفعل من حيث اللفظ والمعنى اما اللفظ فلكون الفتح لازما فيها واختصاصها بالدخول على الاسماء والمنصوب منها على وزن ان أيننا وأما المعنى فنقول اعلم ان الجملة اثباتية قبل الجملة الانتفاكية ولهذا استغنوا عن حرف يدل على الاثبات فاذا قالوا زيد منطلق فهم منه ارادة اثبات الانطلاق زيد والانتفاكية لما كانت بعد المثبتة زيد فيها حرف يغيرها عن الاصل وهو الاثبات فقل ليس زيد منطلقا فصار ليس زيد منطلقا بعد قول الشاعر زيد منطلق ثم ان قول القائل ان زيدا منطلق مستنبط من قوله ليس زيد منطلقا كأن الواضع لما وضع أو لا زيد منطلق للاثبات وعند الثاني يحتاج الى ما يغيره أي بلفظ مغير وهو فعل من وجه لانك قد تبقي مكانه ما النافية ولهذا قيل ليست وليسوا فالحق به ضمير الفاعل ولو لانه فعل لما جاز ذلك ثم أراد أن يضع في مقابلة ليس زيد منطلقا جملة اثباتية فيها لفظ الاثبات كما ان في النافية لفظ النفي فقال ان ولم يقصد أن ان فعل لان ليس يشبه بالفعل لما فيه من معنى الفعل وهو التغير فانها غيرت الجملة عن أصلها الذي هو الاثبات وأما ان فلم تغير الجملة على ما كانت عليه اثباتية فصارت مشبهة بالمشبه بالفعل وهي ليس وهذا ما يقوله الخويون في ان وان وكان وليت ولعل انها حروف مشبهة بالافعال اذا علمت هذا فنقول كما ان ليس اسم كالفاعل وخبر كالفعل نقول ليس زيد لثيما بالرفع والتصب كما نقول بات زيد كريما

(ان عذاب ربك لواقع)
أي لنازل حتما جواب
للقسم وقوله تعالى (ماله
من دافع) اما خبر ثان
لان اوصفة لواقع ومن
دافع امامت بدأ للظرف
أمر تفع به على القاعلية
ومن مزيدة للتأكيد
وتخصيص هذه الامور
بالاقسام بها لما أنها
أمور عظام تنبئ عن
عظم قدرة الله تعالى
وكال علمه وحكمته
الدالة على احاطته
تعالى بتفاصيل أعمال
العباد وضبطها
الشاهدة بصدق
اخباره التي من جملتها
الجملة المقسم عليها
وقوله تعالى

فكذلك ان لها اسم وخبر لكن اسمها يخالف اسم ليس وخبرها خبرها فان اسم ان منصوب وخبرها مرفوع لان ان ليسا كانت زيادة على خلاف الاصل لانها لا تقيد الا الاثبات الذي كان مستغادا من غير حرف وليس ليسا كانت زيادة على الاصل لانها تغير الاصل واولاها لما حصل المقصود جعل المرفوع والمنصوب في ليس على الاصل لان الاصل تقديم الفاعل وفي ان جعل ذلك على خلاف الاصل وقدم المشبه بالمفعول على المشبه بالفاعل تقديما لازما فلا يجوز أن يقال ان منطلق زيد هو في ليس منطلقا ز جاز كافي الفعل لانها فعل (المقام الثاني) هي لم تكسر تارة وتفتح أخرى نقول الاصل في الكسرة والفتح اعم من وان كان هذا في الظاهر يخاف قول النجاة لكن في الحقيقة هي كذلك (المقام الثالث) لم تدخل اللام على خبر ان المكسورة دون المفتوحة فلما قد خرج مما سبق ان قول القائل زيد منطلق أصل لان المثبتات هي المحتاجة الى الاخبار عنها فان التغير في ذلك وأما العدميات فعلى أصواتها مستمرة ولهذا يقال الاصل في الاشياء البقاء ثم ان السامع له قد يحتاج الى الرد عليه فيقول ليس زيد منطلقا فيقول هو ان زيد منطلق فيقول هو ردا عليه ان زيد منطلق وأن ليست في مقابلة ليس وانما هي متفرعة عن المكسورة (المبحث الثاني) قوله تعالى عذاب بك فيه لطيفة عزيزة وهي انه تعالى اوقال ان عذاب الله لواقع والله اسم منبئ عن العظمة والهيبة كان يخاف المؤمن بل النبي صلى الله عليه وسلم من ان يلحقه ذلك لكونه تعالى مستغنيا عن العالم بأسره فضلا عن واحد فيه قائمه بقوله بك فانه حين يسمع لفظ الرب يأمن (المبحث الثالث) قوله لواقع فيه اشارة الى الشدة فان الواقع والوقوع من باب واحد فالواقع أدل على الشدة من الكائن * ثم قال تعالى ماله من دافع والبحث فيه قد تقدم في قوله تعالى ومار بك بظلام للعبيد وقد ذكرنا ان قوله والطور والبيت المعمور والبحر المسجور فيه دلالة على عدم الدافع فان من يدفع عن نفسه عذابا قد يدفع بالتحصن بقل الجبال ولجج البحار ولا ينفع ذلك بل الوصول الى السقف المرفوع ودخول البيت المعمور لا يدفع * ثم قال تعالى (يوم تمور السماء مورا ونسير الجبال سيرا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما الناصب اليوم نقول المشهور ان ذلك هو الفعل الذي يدل عليه واقع أي يقع العذاب يوم تمور السماء مورا والذي أظنه انه هو الفعل المداول عليه بقوله ماله من دافع وانما قلت ذلك لان العذاب الواقع على هذا ينبغي أن يقع في ذلك اليوم لكن العذاب الذي به التخويف هو الذي بعد الحشر ومور السماء قبل الحشر واما اذا قلنا معناه ليس له دافع يوم تمور فيكون في معنى قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا كأنه تعالى يقول ماله من دافع في ذلك اليوم وهو ما اذا صارت السماء تمور في اعينكم والجبال تسير وتحققون ان الامر لا ينفع شيئا ولا يدفع (المسئلة الثانية) مامور السماء تقول خروجها عن مكانها تتردد وتووج والذي نقوله ان فلاسفة قد علمت ضعفه مرارا وقوله

(يوم تمور السماء مورا)
 طرف الواقع مبين الكيفية
 الوقوع منبئ عن كمال
 هوله وقطاعته والمور
 الاضطراب والتردد في
 المجي والذهاب وقيل
 هو تحرك في توج قيل
 تدور السماء كما تدور الرا
 وتكفأ بأهلها تكفو
 السفينة وقيل تختلف
 أجزاؤها (وتسير الجبال
 سيرا) أي تزول عن وجه
 الارض فتصير هباء
 وتأكيد الفعلين
 بمصدرين مما لا يذنان
 بفرايتهما وخروجهما
 عن الحدود المعهودة
 أي مورا عجيبا وسيرا
 يديعا لا يدرك كنههما
 (قويل يومئذ لكذابين)
 أي اذا وقع ذلك أو
 اذا كان الامر كما ذكر
 قويل يوم اذ يقع ذلك
 لهم (الذين هم في
 خوض) أي اندفاع
 عجيب في الاباطيل
 والا كاذيب (يا عبون)
 يلهون

تعالى وتسير الجبال سيرا يدل على خلاف قواهم وذلك لانهم واقتوا على ان خروج الجبل
العظيم عن مكانه جائز وكيف لاوهم يتقانون بأن زلزلة الارض مع ما فيها من الجبال
ببخار يجتمع تحت الارض فيحركها واذا كان كذلك فنقول السماء قابلة للحركة
باخراجها خارجة عن السموات والجبل ساكن يقتضي طبعه السكون واذا قيل جسم
الحركة مع انها على خلاف طبعه فلا يقبلها جرم آخر مع انها على موافقته أولى وقواهم
اقابل للحركة المستديرة لا يقبل الحركة المستقيمة في غاية الضعف وقواهم ورايهم فائدة
جليلة وهي ان قوله تعالى وتسير الجبال يحتمل ان يكون بيانا لكيفية مور السماء وذلك
لان الجبال اذا سارت وسيرت معها سكانها يظهرون أن السماء كالسيارة الى خلاف ذلك
الجهة كما شاهد مرآكب السفينة فانه يرى الجبل الساكن متحركا فكان قائل ان يقول
السماء تدور في رأى العين بسبب سير الجبال كما يرى القمر سائرا راكب السفينة والسماء
اذا سارت كذلك فلا يبقى مهرب ولا مفرج لافى السماء ولا فى الارض (المسئلة الثالثة)
ما السبب في مورها وسيرها قلنا قدرة الله تعالى وأما الحكمة فالايذان والاعلام بان
لا يعود الى الدنيا وذلك لان الارض والجبال والسماء والنجوم كلها العمارة الدنيا والارتفاع
ابن آدم بها فان لم يتفق اهلهم عود لم يبق فيها نفع فاعادهم الله تعالى (المسئلة الرابعة)
او قال قائل كنت وعدت ببحث في الزمان يستفيد العاقل منه فوائد في اللفظ والمعنى
وهذا موضعه فان القول لا يضاف الى شئ غير الزمان فيقال يوم يخرج فلان حين يدخل
فلان وقال الله تعالى يوم ينفع الصادقين وقال يوم تمور السماء وقال يوم خلق السموات
والارض وكذلك يضاف الى الجملة في السبب في ذلك فنقول الزمان ظرف الافعال كان
المكان ظرف الاعيان وكان جوهرها من الجواهر لا يوجد الا في مكان فكذلك عرض
من الامور لا يتجدد الا في زمان وفيهما متغير خلق عظيم فقالوا ان كان المكان جوهرها
فله مد ممتد ~~ويو~~ يتسلسل الامر وان كان عرضا فالعرض لا بد له من جوهر والجوهر لا بد له
من مكان ~~في الامر~~ او يتسلسل وان لم يكن جوهر او لا عرضا فالجوهر يكون حاصلا
فيما لا وجود ~~في الاشارة اليه~~ وليس كذلك وقالوا في الزمان ان كان الزمان غير متجدد
فيكون كالامور المستمرة فلا يثبت فيه المضي والاستقبال وان كان متجددا وكل متجدد
فهو في زمان فلا زمان زمان آخر فيتسلسل الامر ثم ان الفلاسفة التزموا التسلسل في
الازمنة ووقعوا بسبب هذا في القول يقدم العالم ولم يلتزموا التسلسل في الامكنة وفرقوا
بينهما من غير فارق وقوم التزموا التسلسل فيهما جميعا وقالوا بان تقدم وازمان لانها نهائيا
وبالامتداد وابعاد لانها نهائية لها وهم وان خالفونا في المسئلتين جميعا والفلاسفة واقتونا
في احدهما دون الاخرى لكنهم سلكوا جماعة الوهم ولم يتركوا على أنفسهم سبيل
الالتزام في الزمان فان قيل فالمتجدد الاول قبله ماذا نقول ليس قبله شئ فان قيل فعدمه
قبله او قبله عدمه نقول قولا ليس قبله شئ أعظم من قولك قبله عدمه لانا اذا قلنا ليس قبل

آدم حيوان بألف رأس سدقنا ولا يستلزم ذلك صدق قولنا آدم قبل حيوان بألف رأس
 أو حيوان بألف رأس بعد آدم لانتهاء ذلك الحيوان أولا وآخره وعدم دخوله في الوجود
 ازلا وأبدا فكذلك ما علمنا فان قيل هذا لا يصح لان الله تعالى شيء موجود وهو قبل
 العالم نقول قولنا ليس قبل المتجدد الاول شيء معناه ليس قبله شيء بالزمان واما الله تعالى
 فليس قبله بالزمان اذ كان الله ولا زمان والزمان وجد مع المتجدد الاول فان قيل فمما عني
 وجود الله قبل كل شيء غيره نقول معناه كان الله ولم يكن شيء غيره لا يقال ماذا كرم
 اثبات شيء شيء ولا يثبت ذلك شيء الاعتبار ومون اثباته فان بداية الزمان عرضكم وهو
 مبني على المتجدد الاول والنزاع في المتجدد فان عند الخصم ليس في الوجود متجدد أول يل
 قبل كل متجدد متجدد لاننا نقول نحن ماذا كرنا ذلك دليلا وانما ذكرناه بيانا لعدم الالتزام
 وانه لا يريد علينا شيء اذا قلنا بالحدوث ونهاية الابعاد والازوم والالزام فيسلم الكلام الاول
 ثم يلزم و يقول أليس تقول اننا متجدد اول فكذلك قل له عدم فتقول لا بل ليس قبله
 امر بالزمان فيكون ذلك نفيا عاما وانما يكون ذلك لانتهاء الزمان كما ذكرنا في المثال اذا
 علمت هذا فصار الزمان تارة موجودا مع عرض وأخرى موجودا بعد عرض لان يومنا
 هذا وغيره من الايام كلها صارت متميزة بالمتجدد الاول والمتجدد الاول له زمان هو معه
 اذا عرفت الزمان والمكان أمرهما مشكل بالنسبة الى بعض الالهام والامر الخفي
 يعرف بالوصف والاضافة فانك اذا قلت غلام لم يعرف فاذا وصفته أو أضفته وقلت غلام
 صغير أو كبير أو أبيض أو أسود قرب من الفهم وكذلك اذا قلت غلام زيد قرب ولم يكن يد
 من معرفة الزمان ولا يعرف الشيء الا بما يختص به فانك اذا قلت في الانسان حيوان
 موجود بعده عن الفهم واذا قلت حيوان طويل القامة قريبه منه ففي الزمان كان يجب
 أن يعرف بما يختص به لان الفعل الماضي والمستقبل والحال يختص بازمنة والمصدر له
 زمان مطلق فلو قلت زمان الخروج تميز عن زمان الدخول وغيره فاذا قلت يوم خرج أفاد
 ما أفاد قولك يوم الخروج مع زيادة هو أنه تميز عن يوم يخرج والاضافة الى ما هو أشبه تميزا
 أولى كما انك اذا قلت غلام رجل ميزته عن غلام امرأة واذا قلت غلام زيد زدت عليه
 في الافادة وكان أحسن كذلك قولنا يوم خرج لتعرف ذلك اليوم خير من قولك يوم
 الخروج فظهر من هذا البحث أن الزمان يضاف الى الفعل وغيره لا يضاف لاختصاص
 الفعل بالزمان دون غيره الا المكان في قواه اجلاس حيث يجلس فان حيث يضاف الى الجمل
 لمشابهة ظرف المكان لظرف الزمان وأما الجمل فهي انما يصح بواسطة تضمنها لفعل فلا
 يقال يوم زيدا حولتو يقال يوم زيد فيه خارج ومن جملة التوائد اللفظية ان لا تختص
 استعمالها بالزمان قال الله تعالى ولا ت حين مناص ولا يقال لا رجل سوء وذلك لان
 الزمان تجدد بعد تجدد ولا يبقى بعد الفناء حياة أخرى وبعد كل حركة حركة أخرى وبعد
 كل زمان زمان واليد الاشارة بقوله تعالى كل يوم هو في شأن أي قبل الخلق لم يخلق شيء

(يوم يدعون الى نار جهنم دعا) أى يدعون اليها دعاء عتقاً شديداً بان تغسل ايديهم الى أعناقهم وتجمع نواصيهم الى أقدامهم فيسددوا الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعاء صالحاً بمعنى مدعوين ويوم اميدل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) أى يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى (أفسح هذا) توخيح وتقرع لهم حيث كانوا يسكنونه سحرًا كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فها هذا أيضاً سحر وتقدم الخبر لانه محط الإنكار ومدار التوبيخ (أم أنتم لا تبصرون) أى أم أنتم عمى عن المخبر عند كل كنتم عمياً عن الخبر أو أم سدت أبصاركم كما سدت في الدنيا

لكنه بعدما خلق وهو أبداً دائماً مخلوق شيئاً بعد شيئاً فبعد حياتنا موت وبعد موتنا حياة وبعد حياتنا حساب وبعد الحساب ثواب دائم أو عقاب لازم ولا ينزك الله بفعل فلما بعد الزمان عن النبي زيد في المرفوع النافية زيادة فان قيل فآله تعالى أبعد عن الانتفاء فكان ينبغي أن لا تقرر الداء بكلمة لآلهناك نقول في لات حين مناص تأويل وعليه لا يرد ما ذكرتم وهو أن لاهي المشبهة بليس تقديره ليس الحين حين مناص وهو المشهور ولذلك اخص بالحين دون اليوم والتأويل لان الحين أدوم من الليل والنهار فالليل والنهار قد لا يكون والحين يكون * ثم قال تعالى (فتويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون) أى اذا علم أن عذاب الله واقع وأنه ليس له دافع فويل اذالمكذبين فالقاء لاتصال المعنى وهو الايدان بأمان أهل الايمان وذلك لانه لما قل ان عذاب ربك لواقع لم يبين بأن موقعه بمن فلما قل فويل يومئذ للمكذبين علم المخصوص به وهو المكذب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اذا قلت بان قوله ويل يومئذ للمكذبين بيان لمن يقع به العذاب وينزل عليه فمن لا يكذب لا يعذب وأهل الكبار لا يعذبون لانهم لا يكذبون نقول ذلك العذاب لا يقع على أهل الكبار وهذا كافي قوله تعالى كما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم أنذركم بذيقها وايلي قد جاءنا نذير فكذبنا فقلوا من لا يلقى فيها القاء فهو ان وانما يدخل فيها ليطعهم ادخالا مع نوع اكرام فذلك انك الويل للمكذبين والويل للنبي عن الشدة وتركيب حروف الواو والياء واللام لا ينفك عن نوع شدة من الواو اذا وقع الواو يلقى اذا كان قوباً والولى فيه القوة على المولى عليلد ويل عليه قوله تعالى يدعون فان المكذب يدع والمصدق لا يدع وقد ذكرنا جواز التكرير في قوله ويل مع كونه مبتدأ لانه في تقدير المنصوب لانه دعا ومضى وجهه في قوله تعالى قال سلام والخوض نفسه خص في استعمال القرآن بالانفعال في الابطال وايضا قال تعالى وخضتم كالندى خاطبوا وقال تعالى وكنا نخوض مع الخاضين وتذكير الخوض بمقتل وجهين (أحدهما) ان يكون للتكثير أى في خوض ككامل عظيم (ثانيهما) أن يكون التثنية تعويضا عن المضاف اليه كما في قوله تعالى الا قوله وان كلاو بعضهم ببعض والاصل في خوضهم المعروف منهم وقوله الذين هم في خوض ليس وصفا للمكذبين بما يميزهم وانما هو لئلا يمتدح كما انك تقول الشيطان الرجيم ولا تريد فضله عن الشيطان الذي ليس برجيم بخلاف قولك اكرم الرجل العالم فالوصف بالرجيم نادم به لا للتعريف وتقول في المدح الله الذي خلق والله العظيم للمدح لا للتمييز ولا للتعريف عن الله لم يخلق أو الله ليس بهظيم فان الله واحد لا غير * ثم قال تعالى (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) وفيه مباحث لفظية ومعنوية أما اللفظية ففيها مسائل (الاولى) يوم منصوب بماذا نقول الظاهر انه منصوب ببعده وهو ما يدل عليه قوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون ويحتمل غير هذا وهو أن يكون يوم بدلاً عن يوم في يومئذ تقديره فويل يومئذ

قوله الاعلى قراءة من
قرأ يدعون أى من
الدعاء وهى قراءة زيد
بن على ودعا على حاله
كافى الكشاف اهـ
على زعمكم حيث كنتم
تقول انما سكرت
ابصارنا بل نحن قوم
مسحورون (اصلوها
فاصبروا ولا تصبروا)
أى ادخلوها وقاسوا
شدائدھا فافعلوا
ما شئتم من الصبر
وعنده (سواء عليكم)
أى الأسران فى عدم
النفع لا يدفع العذاب
ولا يخففه وقوله تعالى
(انما تجزون ما كنتم
تعملون) تعليل
الاستواء فان الجزاء
حيث كان واجب
الوقوع حتما كان
الصبر وعدمه سواء
فى عدم النفع (ان المتقين
فى جنات ونعيم) أى
فى آية جنات وأى نعيم
على أن الثواب للتفخيم
أو فى جنات ونعيم
مخصوصة بالمتقين على
أنه للتويع (فاكهين)
ناغمين متلذذين (بما
آتاهم ربهم) وقرئ
فكهين وفاكهون على أنه الخبر والظرف

للمكذبين يوم يدعون أى المكذبون وذلك ان قوله يومئذ معناه يوم يقع العذاب وذلك
اليوم هو يوم يدعون فيه الى النار (المسئلة الثانية) قوله يدعون الى نار يدل على هول نار
جهنم لان خزنتھا لا يقربون منها وانما يدعون أهلھا اليھا من بعيد ويلقونهم فيها وهم
لا يقربونها (الثالثة) دعاء صدر وقد ذكرت فائدة ذكر المصادر وهى الايدان بأن الدع
دع معتبر يقال له دع ولا يقال فيه ليس يدع كما يقول القائل فى الضرب الخفيف مسحورا
هذا ليس بضرب والعدو المهين هذا ليس بعدو فى غير المصادر والرجل الحقير ليس برجل
الاعلى قراءة من قرأ يدعون الى نار جهنم دعاء فان حينئذ يكون منصوبا على الحال
تقديره يقال لهم هلموا الى النار مدعوين اليھا * أما المعنوية فتقول قوله تعالى يوم
يدعون الى نار جهنم يدل على ان خزنتھا يقذفونهم فيها وهم بعدا عنها وقال تعالى يوم
يسحبون فى النار نقول الجواب عنه من وجوه (أحدها) أن الملائكة يسحبونهم فى النار
ثم اذا قربوا من نار مخصوصة هى نار جهنم يقذفونهم فيها من بعيد فيكون السحب فى
النار والدفع فى نار أشد وأقوى ويدل عليه قوله تعالى يسحبون فى الجحيم ثم فى النار
يسحبون أى يكون لهم سحب فى حوة النار ثم بعد ذلك يكون لهم ادخال (الثانى) حازان
يكون فى كل زمان يتولى أمرهم ملائكة فالى النار يدفعهم ملك وفى النار يسحبهم آخر
(الثالث) جاز أن يكون السحب بسلاسل يسحبون فى النار والساحب خارج النار
(الرابع) يحتمل أن يكون الملائكة يدفعون أهل النار الى النار اهانة واستحقاقا بهم
ثم يدخلون معهم النار ويسحبونهم فيها * ثم قال تعالى (هذه النار التى كنتم بها تكذبون)
على تقديره يقال * ثم قال تعالى (أفسح هذا أم أنتم لاتصبرون) تحقيرا للأمر وذلك
لان من يرى شيئا ولا يكون الأمر على إبراه فذاك الخطأ يكون لأجل أحد أمرين اما
لامر عائد الى المرتضى واما الامر عائد الى الرأى فتقوله أفسح هذا أى هل فى المرتضى شك أم
هل فى بصركم خلال استنهم انكار أى لا واحد منهما ثابت فالذى ترونه حق وقد كنتم
تقولون انه ليس بحق وانما قال أفسح وذلك انهم كانوا يدعون المرتضى الى اسح
فكانوا يقولون بأن الشقاق الثمر وأمثال ذلك وفى ذلك اليوم لما تعلق بهم مع البصر
الام المذكر بحس الناس وبلغ الايلام الغاية لم يمكنهم أن يقولوا هذا سحر والاملاص
منهم طلب الخلاص من النار * ثم قال تعالى (اصلوها فاصبروا ولا تصبروا سواء عليكم
انما تجزون ما كنتم تعملون) أى اذا لم يمكنكم انكارها وتحقق أنه ليس بسحر ولا
خال فى ابصاركم فاصلوها وقوله تعالى فاصبروا ولا تصبروا فيه فائدتان (أحدهما) بيان
عدم الخلاص والتفساء المناص فان من لا يصبر يدفع الشئ عن نفسه اما بأن يدفع
المعذب فيمنعه واما بأن يفضبه فيقتله ويريد ولاشئ من ذلك يفيد فى عذاب الآخرة
فان من لا يغلب المعذب فيدفعه ولا يتخلص بالاعداء فانه لا يقضى عليه فيموت فاذن

الصبر كعده لان من يصبر يدوم فيه ومن لا يصبر يدوم فيه (الثانية) بيان ما ينفذ به عذاب الآخرة عن عذاب الدنيا فان المعذب في الدنيا صبر ربما انتفع بالصبر اما الجزاء في الآخرة واما الجزاء في الدنيا فيقال له ما أشجعك وما أقوى قلبه وان جزع يذم فيقال يجزع كالصبيان والنسوان وأما في الآخرة لأمسح ولا ثواب على الصبر وقوله تعالى سواء عليكم سواء خبر ومبتداه مدلول عليه بقوله فاصبروا أولا نصبروا مكانه يقول الصبر وعد سواء فان قيل يلزم الزيادة في التعذيب ويلزم التعذيب على النوى الذي لم يفعله نقول فيه لطيفة وهي أن المؤمن بآياته استغاد أن الخير الذي ينويه يثاب عليه والشر الذي ينويه ولا يثبته لا يعاقب عليه والكافر بكفره صار على الضد فالحير الذي ينويه ولا يعمل له لا يثاب عليه والشر الذي يقصده ولا يقع منه يعاقب عليه ولا يثاب فان الله تعالى أخبر به وهو اختار ذلك ودخل فيه باختياره كأن الله تعالى قال فان من كفر ومات كافرا أعذبه أبدا فاحذروا ومن آمن أتتبه دائما فن ارتكب الكفر وداوم عليه بعد ما سمع ذلك فاذا طاقبه المعاقب دائما تحققا لما أوعده به لا يكون ظالما * ثم قال تعالى (ان لمنين في جنات ونعيم) على ما هو عادة القرآن من بيان حال المؤمن بعد بيان حال الكافروذ كراشواب عقيب ذكر العقاب ليتم أمر التهيب والترغيب وقد ذكرنا تفسير المتقين في مواضع والجنة وان كانت موضع السرور لكن الناطور قد يكون في البستان الذي هو في غاية الضيق وهو غير مستعم بقوله ونعيم يفيد أنهم فيها يتمتعون كما يكون المنفرج لا كما يكون الناطور * وقوله (فاكهين) يزيد في ذلك لأن المتعم قد يكون آثار التمتع على ظاهره وقابله مشغول فلما قال فاكهين يدل على غاية الضيق وقوله (بما آتاهم ربهم) يفيد زيادة في ذلك لأن المفك قد يكون خفيش النفس فيسره أدنى شيء ويفرح بأقل سبب فقال فاكهين لاندنوهم معهم بل اعلو نعمهم حيث هي من عند ربهم * وقوله تعالى (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون المراد أنهم فاكهون بأمرين أحدهما بما آتاهم والثاني بأنه وقاهم (وثانيهما) أن يكون ذلك جملة أخرى منسوفة على الجملة الأولى كأنه بين أنه أدخلهم جنات ونعيم ووقاهم عذاب الجحيم * ثم قال تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين) وفيه بيان أسباب التمتع على الترتيب فأول ما يكون المسكن وهو الجنات ثم الأكل والشرب ثم الفرش والبسط ثم الأزواج فهذه أمور أربعة ذكرها الله على الترتيب وذكر في كل واحد منها ما يدل على كاله فقوله جنات إشارة إلى المسكن والمسكن للجسم ضروري وهو المكان فقال فاكهين لأن مكان التمتع قد ينقص بأمور وبين سبب الفكاهة وعلو المرتبة بكونه بما آتاهم الله وقد ذكرنا هذا وأما في الأكل والشرب والاذن المطلق فتلك ذكر الماء كقول والمشروب لتوعهما وكثرتهما وقوله تعالى هنيئا

لعمومها بالخير أو خير آخر (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على ما آتاهم على أن ما مصدرية أو على خبر أن أو حال باضمار قدما من المستكن في الخبر أو في الحال وإما من فاعل أتى أو من مفهوله أو منهما وإظهار الرب في موقع الاضمار مضافا إلى ضميرهم للتشريف والتعليل (كلوا واشربوا هنيئا) أو طعاما وشربا هنيئا وهو الذي لا تنفص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه أو بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا أي هنا كم ما كنتم تعملون أي جزاؤه (متكئين على سرر مصفوفة) مصفوفة (وزوجناهم بحور عين) وقرئ بحور عين على إضافة الموصوف إلى صفته بالتأويل

قوله وقرئ بعين عين
في الكشف وقرئ

يعيس عين اه

المشهور وقرئ بعين
عين والباء مع أن التزويج
ما يعمد الى مفعولين
لما فيه من معنى الوصل
والإصاق أو السببية
اذ المعنى صيرناهم
أزواجا بسببهم فان
الزوجية لا تتحقق بدون
انضمامهم اليهم وقوله
تعالى (والذين آمنوا)
كلام مستأنف مسوق
ليبين حال طائفة
من أهل الجنة أثر بيان
حال الكل وهم الذين
شاركتهم ذريتهم
في الايمان وهو مبتدأ
خبره ألحقنا بهم وقوله
تعالى (واتبعهم
ذريتهم) عطوف على
آمنوا وقيل اعتراض
وقوله تعالى (يا أيها
متاعى بالاتباع أى
اتبعتهم ذريتهم بايمان
في الجملة قاصر عن رتبة
ايمان الآباء واعتبار
هذا القيد للايدان
يثبوت الحكم في الايمان
الكامل أصالة لا لحاقا
وقرئ نذر ياتهم للبالغة

في الكثرة

اشارة الى خلوهما عما يكون فيهما من المفاسد في الدنيا منها ان الاكل يخاف من المرض
فلا يهتله الطعام ومنها انه يخاف التفاد فلا يستحو بالاكل وانكل منتف في الجنة فلا
مرض ولا انقطاع فان كل أحد عنده ما يفضل عنده ولائم ولا تعب في تحصيله فان
الانسان في الدنيا ر بما يترك لذة الاكل لما فيه من تهيئة المأكل بالطبخ والتحصيل من
التعب أو المنة أو طافيه من قضاء الحاجة واستعداد ما فيه فلا يهتله وكل ذلك في الجنة
منتف وقوله تعالى بما كنتم تعملون اشارة الى أنه تعالى يقول أى مع اتى ربكم وخلقكم
وأدخلكم بفضل على الجنة وانما منى عليكم في الدنيا اذ هديتكم ووقفتكم للاعمال
النصالة كما قال تعالى بل الله يبين عليكم ان هديكم للايمان وأما اليوم فلا من عليكم لان
هذا انجاز الوعد فان قيل قال في حق الكفار انما يجزون ما كنتم تعملون وقال في حق
المؤمنين بما كنتم تعملون فهل بينهما فرق قلت بينهما ما بين سقيم من وجود (الاول) كلمة
انما للحصر أى لا يجزون الا ذلك ولم يذكر هذا في حق المؤمن فانه يجز به أضعاق ما عمل
ويزيده من فضله وحينئذ ان كان بين الله على عبده فيمن يذنبك لا بالاكل والشرب (الثاني)
قال هنا بما كنتم وقال هناك ما كنتم أى يميزون عين أعمالكم اشارة الى المبالغة في
المبالغة كما تقول هذا عين ما عملت وقد تقدم بيان هذا وقال في حق المؤمن بما كنتم كان
ذلك أمرا ثابت مستمر بعملكم هذا (الثالث) ذكر الجزاء هناك وقال ههنا بما كنتم
تعملون لان الجزاء ينشأ عن الانقطاع فان من أحسن الى أحد فأتى بجزائه لا يتسوق
الحسن منه شيئا آخر * فان قيل فأنه تعالى قال في موضع جزاء بما كنتم تعملون في
الثواب نقول في تلك المواضع لما لم يخاطب المجزى لم يقل تجزى وانما أتى بما يفيد العلم
بالدوام وعدم الانقطاع * وأما في السر فذكر أمورا أيضا (أحدها) الانكاه
فانه هيئة تخص بالنعم والفارغ الذي لا كرامة عليه ولا تكلف لديه فان من يكون عنده
من يتكلف له يجلس له ولا يتكى عنده ومن يكون في مهم لا يفرغ الانكاه فانه هيئة دليل
خير ثم الجمع يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون لكل واحد سر وهو انظار لان قوله
مصنوفة يدل على انها اواحد لان سر الكل لا تكون في موضع واحد مصنوفة واغظ
السر بر فيه حروف السرور بخلاف الخت وغيره وقوله مصنوفة دليل على انه لمجرد
العظم فانها لو كانت متفرقة لقبل في كل موضع واحد ليتكى عليه صاحبه اذا
حضر في هذا الموضع وقوله تعالى وزوجناهم اشارة الى النعمة الرابعة وفيها أيضا ما يدل
على كمال الحال من وجوه (أحدها) انه تعالى هو الزوج وهو يتولى الطرفين زوج عباده
بإمائه ومن يكون كذلك لا يفعل الا ما فيه راحة العباد والاماء (ثانيها) قال وزوجناهم
بحور ولم يقل وزوجناهم حورا مع ان لفظ التزويج يتعدى فعله الى مفعولين بغير حرف
يقال زوجتكها قال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها وذلك اشارة الى ان
المنفعة في التزويج لهم وانما زوجوا لانهم بالخور لا للذة الخور بهم وذلك لان المفعول

بغير حرف يعلق الفعل به كذلك التزويج تعلق بهم ثم بالخور لان ذلك بمعنى جعلنا
ازدواجهم بهذا الطريق وهو الخور (ثانيها) عدم اقتصار على الزيجات بل وصفهم
بالحسن واختار الاحسن من الاحسن فان احسن ما في صورة الآدمي وجهه واحسن
ما في اوجه العين ولان الخور والعين يدلان على حسن المزاج في الاعضاء ووفرة المادة
في الارواح اما حسن المزاج فعلامته الخور واما وفرة الروح فآسفة العين بسبب كثرة
الروح المصوبة اليها فان قيل قوله وزوجناهم ذكره بفعل ماضٍ ومتكسبين حال ولم يسبق
ذكر فعل ماضٍ يعطف عليه ذلك وعطف الماضي على الماضي والمستقبل على المستقبل
احسن نقول الجواب من وجوه اثنان لفظيان ومعنوي (أحدهما) ان ذلك حسن
في كثير من المواضع نقول جاء زيد ويحيى عمرو وخرج زيد (ثانيها) ان قوله تعالى ان
المتقين في جنات ونعيم تقديره ادخلناهم في جنات وذلك لان الكلام على تقدير ان في
اليوم الذي يدع اسكاف في النار في ذلك الوقت يكون المؤمن قد ادخل مكانه فكله تعالى
يقول في يوم يدعون الى نعيمهم ان المتقين كانوا في جنات (والثالث) المعنوي وهو
انه تعالى ذكر بحضرة الحكم فهو في هذا اليوم زوج عباد حورا عينا وهن منتظرات
الرفق يوم الآخرة * ثم قال تعالى (والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحق بهم
ذرياتهم) وفيه لطائف (الاولى) ان شفقة الابوة كما هي في الرىاء وفرة كذلك في الآخرة
ولهذا طيب الله تعالى قلوب عباد بانه لا يولهم باولادهم بل يجمع بينهم فان قيل قد
ذكرت في تفسير بعض الآيات ان الله تعالى يسلي الآباء عن الابناء وبالعكس ولا يشد كره
الاب الذي هو من اهل الجنة الابن الذي هو من اهل النار نقول الولد انصغر وجد في
والده الابوة الحسنة ولم يوجد لها معارض ولهذا الحق الله الولد بالوالد في الاسلام في دار
الدنيا عند انصغر واذا كبر استقل فان كفر ينسب الى غير ابيه وذلك لان الاسلام
للمسلمين كالأب ولهذا قال تعالى انما المؤمنون اخوة جمع اخ بمعنى اخوة الولادة
والاخوان جمعه بمعنى اخوة الصداقة والمحبة فاذا الكفر من حيث الحس والعرف أب
فان خالف دينه دين ابيه صار له من حيث الشرع أب آخر وفيه ارشاد الآباء الى أن
لا يشغلهم شيء عن الشفقة على الولد فيكون من القبيح القاحش أن يشغل الانسان
بالتفرج في البستان مع الاحبة والاخوان عن تحصيل قوت الولدان وكيف لا يشتغل
أهل الجنة بما في الجنة من الخور امين عن اولادهم حتى ذكروهم فاراح الله قلوبهم بقوله
الحقناهم ذرياتهم واذ كان كذلك فاطنك يا فاسق الذي يذرماله في الحرام ويترك
اولاده يتكففون وجوه اللثام والمكرام نعوذ بالله منه وهذا يدل على ان من يورث اولاده
مالا حلالا يكتب له به صدقة ولهذا لم يجوز للمريض التصرف في أكثر من الثلث (الاطيفة
الثانية) قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم فمما ينبغي أن يكون دليلا على أن في الآخرة
نلحق بهم لان في دار الدنيا مرعاة الاسباب أكثر ولهذا لم يجر الله عادته على أن يقدم بين

وذرياتهم بكسر الدال
وقرى واتبعناهم
ذرياتهم أي جعلناهم
تابعين لهم في الاعان
وقرى اتبعناهم (الحقنا
بهم ذرياتهم) أي في
الدرجة كما روى أنه
عليه الصلاة والسلام
قال انه تعالى يرفع
ذرية المؤمن في درجته
وان كانوا دونه لقرى بهم
عنه ثم تلا هذه الآية
(وما آتاهم) وما نقصنا
الآيات بهذا الالحاق
(من علمهم) من ثواب
علمهم (من شيء)
بان أعطيتنا بعض
مشوباتهم أبناءهم
فتنقص مشوباتهم
وتنقص درجاتهم وانما
رفعناهم الى منزلتهم
بمحض الفضل
والاحسان وقرى
آلتناهم بكسر اللام
من آلت يأت كعلم يعلم
والاول كضرب
يضرب وآلتناهم من لات
يأت وآلتناهم من آلت
يأت واولتناهم
من وات يأت والكل
بمعنى واحد هذا
وقد قيل

يدى الانسان طعاما من السماء فلم يسبب له بازراعة والطحن والعجن لا يأكله رقى
 الآخرة بوثيق ذلك من غير سعي جزاءه على ما سعى له من قبل فينبغي أن يجعل ذلك دليلا
 ظاهرا على أن الله تعالى يلحق به ولده وإن لم يعمل عملا صالحا كما اتبعه وإن لم يشهد ولم يعتقد
 شيئا (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى بإيمان فإن الله تعالى اتبع الولد والدين في الايمان
 ولم يتبعه أباه في الكفر بدليل أن من أسلم من الكفار حكمه بإسلام أولاده ومن ارتد من
 المسلمين والعياذ بالله لا يحكم بكفر ولده (اللطيفة الرابعة) قال في الدنيا أتبعناهم وقال في
 الآخرة ألحقنا بهم وذلك لأن في الدنيا لا يدرك الصغير المتبع مساواة المتبوع ولا يكون
 هو تبعا والاب أصله فضل الساعي على غير الساعي وأما في الآخرة فإذا لحق الله بفضله
 ولده به جعل له من الدرجة مثل مالهيه (اللطيفة الخامسة) في قوله تعالى وما ألتناهم
 قضيبا فقامهم وازالهم التوهم أن ثواب عمل الاب يوزع على الوالد والوالد بل للوالد أجر
 عمله بفضله السعي ولأولاده مثل ذلك فضلا من الله ودرجة (اللطيفة السادسة) في قوله
 تعالى من عملهم ولم يقل من أجرهم وذلك لأن قوله تعالى وما ألتناهم من عملهم دليل على
 بقاء عملهم كما كان والاجر على العمل مع الزيادة فيكون فيه الاشارة الى بقاء العمل الذي له
 الاجر الكبير الى الله عليه العظم العائد اليه وأوقال ما ألتناهم من أجرهم لكان ذلك حاصله
 بأدنى شيء لأن كل ما يعطى الله عبده على عمله فهو أجر كامل ولأنه أوقال تعالى ما ألتناهم
 من أجرهم كان مع ذلك يحتمل أن يقال إن الله تعالى تفضل عليه بالاجر الكامل على
 العمل الناقص وأعطاه الاجر الجزيل مع أن عمله كان له ولولده جميعا وفيه مسائل
 (المسئلة الاولى) قوله تعالى والذين آمنوا عطف على ما ذاقوا على قوله ان المتقين
 (المسئلة الثانية) اذا كان كذلك فلم اعاد لفظ الذين آمنوا وكان المقصود يحصل بقوله
 تعالى وألحقنا بهم ذرياتهم بعد قوله وزوجناهم وكان يصير التقدير وزوجناهم وألحقنا
 بهم نقول فيه فائدة وهوان المتقين هم الذين اتقوا الشرك والمعصية وهم الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات وقال ههنا الذين آمنوا أى بوجود الايمان يصيروا لدهن اهل الجنة ثم
 ان ارتكب الاب كبيرة أو صغيرة على صغيرة لا يعاقب به ولده بل الوالد ور بما يدخل
 الجنة الابن قبل الاب وفيه لطيفة معنوية وهو أنه ورد في الاخبار أن الوالد الصغير
 يشفع لاهيه وذلك اشارة الى الجزاء (المسئلة الثالثة) هل يجوز غير ذلك نقول نعم يجوز أن
 يكون قوله تعالى والذين آمنوا عطف على حور عين تقديره زوجناهم بحور عين أى
 قرناهم بهن وبالذين آمنوا اشارة الى قوله تعالى اخوانا على سرر متقابلين أى جعلنا شملهم
 بالازواج والاخوان والاولاد بقوله تعالى وأتبعناهم وهذا الوجه ذكره الرنخشري
 والاول أحسن وأصح فان قيل كيف يصح على هذا الوجه الاخبار بلفظ الماضى مع أنه
 سبحانه تعالى بعد ما قرن بينهم قلنا يصح في زوجناهم على ما ذكر الله تعالى من تزويجهم منا
 من يوم خلقهم وإن تأخر زمان الافتزان (المسئلة الرابعة) قرى ذرياتهم في الموضعين

الموصول معطوف
 على حور والمعنى
 قرناهم بالحور وبالذين
 آمنوا أى بالرفقاء
 والجلساء منهم فيمتعون
 تارة بملاعبة الحور
 وأخرى بمواصلة
 الاخوان المؤمنين
 وقوله تعالى واتبعناهم
 عطف على زوجناهم
 وقوله تعالى بإيمان متعلق
 بما بعده أى بسبب ايمان
 عظيم رفيع المحل وهو
 ايمان الآباء ألحقنا
 بذرياتهم ذرياتهم
 وإن كانوا لا يستأهلونها
 تفضلا عليهم وعلى
 آباءهم لستم سرورهم
 ويكمل نعيمهم أو بسبب
 ايمان ذات الميزة وهو
 ايمان الذرية كأنه قيل
 بشئ من الايمان
 لا يؤهلهم لدرجة
 الآباء ألحقناهم بهم
 (كل امرئ بما كسب
 رهين) قيل هو فاعل
 بمعنى مفعول والمعنى كل
 امرئ مرهون عند الله
 تعالى بالعمل

بالجمع وذريتهم فلهما بالفرد وقرى في الاول ذرياتهم وفي الثاني ذريتهم فهل الثالث وجه
نقول نعم معنوى لانه تعالى وذلك لان المؤمن يتبعه ذرياته في الايمان وانما توجد على معنى
انه لو وجد له الف ولد لكانوا اتباعه في الايمان حكما وأما الاخلاق فلا يكون حكما انما هو
حقيقة وذلك في الوجود فلنابع أكثر من المحقق فيجمع في الاول وأفرد في الثاني (المسئلة
الخامسة) ما الفائدة في تنكير الايمان في قوله وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان نقول هو اما
لالتخصيص أو التنكير كأنه يقول اتبعناهم ذرياتهم بإيمان مختص كامل أو يقول اتبعناهم
بإيمان ما أي شيء منه فان الايمان كاملا لا يوجد في الولد بدليل أن من آمن وله ولد صغير
حكم بإيمانه فإذا باع وصرح بالكفر وأنكر التبعية قيل بانه لا يكون مرتدا وتبين
بقوله انه لم يتبع وقيل بانه يكون مرتدا لانه كفر بعد ما حكم بإيمانه كالمسلم الاصل
فاذن بهذا الخلاف تبين أن إيمانه ليس بقوى وهذا الوجهان ذكرهما الزمخشري
ويحتمل أن يكون المراد غير هذا وهو أن يكون التثوين للعوض عن المضاف اليه كما
في قوله تعالى بعضهم ببعض وقوله تعالى ولا وعد الله الحسنى وبيانه هو أن التقدير
اتبعناهم ذرياتهم بإيمان أي بسبب إيمانهم لان الاتباع ليس بإيمان كيف كان ومن كان
بإيمانه وإيمان الآباء لكن الاضافة تأتي عن تقييد وعدم ~~سكون~~ الايمان إيمانا
على الاطلاق فان قول القائل ماء الشجر وماء الرمان يصح واطلاق اسم الماء من غير
اضافة لا يصح فتولد بإيمان يوههم أنه إيمان مضاف اليهم كقول تعالى فلم يك ينفعهم
إيمانهم لما رأوا بأسنا حيث أثبت الايمان المضاف وان لم يكن إيمانا فتدفع الاضافة مع
ارادتها ليعلم أنه إيمان صحيح وعوض التثوين ليعلم أنه لا يوجب الامانة في الدنيا الايمان
الآباء وهذا وجد حسن ثم قال تعالى (كل امرئ بما كسب رهين) قال الواحدي هذا
عود الى ذكر أهل النار فانهم مرتدون في النار وأما المؤمن فلا يكون مرتدا فان تعالى
كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين وهو قول مجاهد وقال الزمخشري كل امرئ
بما كسب رهين عام في كل أحد مرهون عند الله بالكسب فان كسب خيرا فلك رقبته
والأريق بالرهن والذي يظهر منه أنه عام في حق كل أحد وفي الآية وجه آخر وهو
أن يكون الرهن فعلا بمعنى الفاعل فيكون المعنى والله أعلم كل امرئ بما كسب رهين
أي دائم أن أحسن في الجنة مؤبدا وان أساء في النار محمدا وقد ذكرنا أن في الدنيا دوام
الاعمال بدوام الاعيان فان العرض لا يبقى الا في جوهر ولا يوجد الا فيه وفي الآخرة
دوام الاعيان بدوام الاعمال فان الله يبقى أعمالهم لكونها عند الله تعالى من الباقيات
الصالحات وما عند الله باق والباقي يبقى مع عامله ثم قال تعالى (وأمددناهم بغاكة ولم
نمأيشتمون) أي زدناهم ما كولا ومشروا بما أمالنا كولا فافا كاهة والحم وأما المشروب
فالكس الذي يتنازعون فيما وفي تفسيرها لطائف (المطيفة الاولى) لما قل ألقناهم
ذرياتهم بين الزيادة ليكون ذلك جباريا على عادة الملوك في الدنيا اذا زادوا في حق عبيد من

الصالح فان عمله فكه
والأهلكه وقبل بمعنى
الفاعل والمعنى كل امرئ
بما كسب رهين أي
دائم ثابت وهذا أنسب
بالمقام فان الدوام
يقضي عدم المفارقة
بين المرء وعمله ومن
ضرورته أن لا يتقص
من ثواب الآباء شيء
فالمجلة تغلب لما قبلها
(وأمددناهم بغاكة
ولم نمأيشتمون)
وزدناهم على ما كان
لهم من مبادئ التتم
وفنا فوقنا ما يشتمون
من فنون النعماء وألوان
الآلاء (يتنازعون فيها)
أي يتعاطون فيها هم
وجلسا وهم بكمان
رغبة واشتيا في كايدي
عنه التعبير عن ذلك
بالتنازع (كأسا)
أي خرا تسمية لها
باسم محلها (لأفوا
فيها) أي في شربها
حيث لا يتكلمون في أثناء
الشرب بلقوا الحديث
وسقط الكلام (ولا

عبيدهم يزيدون في أقدار أخبارهم وأقطاعهم واختار من المأكول أرفع الأنواع وهو
الفاكهة واللحم فانهما طعام المشتمين وجمع أوصافا حسنة في قوله مما يشتهون لانه لو
ذكر نوعا فرمما يكون ذلك النوع غير مشتهى عند بعض الناس فقال كل واحد يعطى
ما يشتهى فان قيل الاشتهاى كالجموع وفيه نوع المفعول ليس كذلك بل الاشتهاى به
اللذة والله تعالى لا يتركه في الاشتهاى بدون المشتهى حتى يتألم بل المشتهى حاصل مع
الشهوة والانسان في الدنيا لا يتألم الا باخذ أمرين اما باشتهاى صادق وعجزه عن الوصول الى
المشتهى واما بحصول أنواع الاطعمة والاشربة عنده وسقوط شهوته وكلاهما منتف
في الآخرة (الطبعة الثانية) لما قال وما ألتهاهم ونفي النقصان يصدق بحصول المساوى
فقال ليس عدم النقصان بالاقتصار على المساوى بل بطريق آخر وهو الزيادة والامداد
فان قيل أكثر الله من ذكر الاكل والشرب وبعض العارفين يقولون لخاصة الله بالله
شغل شاغل عن الاكل والشرب وكل ماسوى الله نقول هذا على العمل ولهذا قال تعالى
جزاء ما كانوا يعملون وقال بما كنتم تعملون وأما على العلم بذلك فذلك ولهذا قال لهم فيها
فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم أى للنفوس ما تنفك به والارواح
ما تنفك من القربة والزاني * وقوله تعالى (ينازعون فيها كأسا) فيكون ذلك على عادة
الملوك اذا جلسوا في مجالسهم الشرب يدخل عليهم بقواكه ولحومهم على الشرب وقواه
تعالى ينازعون أى يتعاطون ويحتمل أن يقال التنازع التجاذب وحينئذ يكون تجاذبهم
تجاذب ملاعبة لا تجاذب تنازعة وفيه نوع لذة وهو بيان ما هو عليه حال الشرب في الدنيا
فانهم يتفاخرون بكثرة الشرب ولا يتفاخرون بكثرة الاكل ولهذا اذا شرب أحدهم يرى
الآخر واجبا أن يشرب مثل ما شربه حريفة ولا يرى واجبا أن يأكل مثل ما أكل نديمه
وجليسه * وقوله تعالى (لانغوفيهما ولا تأثيم) وسواء قلنا فيها طائفة الى الجنة أو الى الكأس
فذكرهما الجريان ذكر الشرب وحكاية على ما في الدنيا فقال تعالى ليس في الشرب في
الآخرة كل ما فيه في الدنيا من اللغو بسبب زوال العقل ومن التأثيم الذى بسبب نهوض
الشهوة والغضب عند وفور العقل والفهم وفيه وجه ثالث وهو أن يقال لا يعتريه كاعتري
الشارب بالشرب في الدنيا فلا يؤثم أى لا ينسب الى اثم وفيه وجه رابع وهو أن يكون
المراد من التأثيم السكر وحينئذ يكون فيه ترتيب حسن وذلك لان من الناس من يسكر
ويكون رزين العقل عديم اعتياد العربة فيسكر وينام ولا يؤذى ولا يتأذى ولا يهذى
ولا يسمع الى من هذى ومنهم من يمر بد فقال لانغوفيهما * ثم قال تعالى (ويطوف عليهم
غلمان لهم كأنهم أولو مكثون) أى بالكؤس وقال تعالى بطوف عليهم ولدان مخلدون
بأكواب وأباريق وكأس من معين وقوله لهم أى ملكهم اعلاما لهم بتدريجهم على
التصرف فيهم بالامر والنهي والاستخدام وهذا هو المشهور ويحتمل وجوها أخرى وهو

تأثيم (ولا يفعلون)
ما يؤثم به فاعله أى
ينسب الى الاثم او فعله
في دار التكليف كما هو
ديدن المنسادمين
في الدنيا وانما يتكلمون
بالحكم وأحسن الكلام
ويفعلون ما يفعله الكرام
وقرى لا لغوفيهما
ولا تأثيم بالفتح
(ويطوف عليهم)
أى بالكأس (غلمان
لهم) أى مما أليك
مخصوصون بهم وقيل هم
أولادهم الذين سبقوهم
(كأنهم أولو مكثون)
مقصون في الصدف
من بياضهم وصفاتهم
أو مخزون لانه لا يخرجون
الاثنين العالي القيمة
قيل لقنادة هذا الخادم
فكيف المخدم فقال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذى نفسى
بيده ان فضل المخدم
على الخادم كفضل
القمر ليلة البدر على
سائر الكواكب وعنه
عليه الصلاة والسلام
ان أدنى أهل الجنة
منزلة من يتأدى الخادم
من خدامه فيجيبه الف
بسا به أليك أليك

(وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) ﴿٧٠٥﴾ أي يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن أحواله وأعماله فيكون

كل بعض سائلا
ومستسئلا لأنه يسأل
بعض معين منهم بعضا
آخر معينا (قالوا) أي
المسؤولون وهم كل
واحد منهم في الحقيقة
(أنا كنا قبل) أي
في الدنيا (في أهلنا
مشفقين) أرقاء القلوب
خائفين من عصيان
الله تعالى معنيين بطاعة
أولئحين من العقاب
(فإن الله علينا بالرحمة
أو التوفيق للعق) ووفانا
عذاب السموم (عذاب
النار النافذة في المسام
نفوذ السموم وقرى
ووفانا بالثبديد (أنا
كنا من قبل ندعوه)
أي نعبد أو نساله
الوقاية (أنه هو البر)
الحسن (الرحيم) الكثير
الرحمة الذي إذا عبد
أثاب وإذا سئل أجاب
وقرى أنه بالفتح بمعنى
لأنه (فذكر) فأنبت
على ما أنبت عليه من
التذكير بما أنزل إليك
من الآيات والذكر
الحكيم ولا تنكث بما
يقولون عما لا خبر فيه
فيه من الباطل (فأنا

أنه تعالى لما بين امتياز آخر الآخرة عن آخر الدنيا بين امتياز غلمان الآخرة عن غلمان الدنيا قال الغلمان في الدنيا إذا طافوا على السادة والملوك يطوفون عليهم لحضائفهم أما لتوقع النفع أو لتوفر الصفع وأما في الآخرة فطوفهم عليهم متعصين لهم ولشفعهم ولا حاجة لهم إليهم والعلام الذي هذا شأنه من يتعالى غيره ورعا في درجة الأولاد وقوله تعالى كأنهم أوائل أي في الصفاء ومكتنون ليفيد زيادة في صفاء الوائهم أوليان أنهم كالخدرات لا يروهم ولا خروج من عندهم فهم في أكنافهم ثم قال تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) أنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووفانا عذاب السموم أنا كنا من قبل ندعوه أنه هو البر (الرحيم) إشارة إلى أنهم يعلمون ما جرى عليهم في الدنيا ويذكرونه وكذلك الكافر لا ينسى ما كان له من التعميم في الدنيا فترداد لذة المؤمن من حيث يرى نفسه انتقلت من السجن الجنة ومن الضيق إلى السعة ويزداد الكافر المأحيط يرى نفسه منتقلة من السرف إلى التذلل ومن التعميم إلى الخيم ثم يذكرون ما كانوا عليه في الدنيا من الخشية والخوف فيقولون أنا كنا قبل في أهلنا شفقين وهو أنهم يكون تساؤلهم عن سبب ما وصلوا إليه فيقولون خشية الله كنا نخاف من الله علينا ووفانا عذاب السموم وفيه لطيفة وهو أن يكون اشتغالهم على فوات الدين والخروج منها ومقارفة الإخوان ثم لما نزلوا الجنة علموا خطاهم ثم قال تعالى (فذكر فأنبت بنعمة ربك بكاهن ولا يجنون) أم يقولون شاعر نتر بص به ريب المنون فل تريضوا فأنى معكم من المتر بصين) وتعلق الآية بما قبلها فظاهر لأنه تعالى بين أن في الوجود قوما يخافون الله ويشفقون في أهلهم والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مأمور بتذكير من يخاف الله تعالى بقوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فحق من يذكره فوجب التذكير وأما الرسول عليه السلام فليس له إلا الاتيان بما أمر به وفيه مسائل (المسئلة الأولى) في الفاء في قوله فذكر قد علم تعلقه بما قبله فحسن ذكره بالفاء (المسئلة الثانية) معنى الفاء في قوله فأنبت أيضا قد علم أي أنك لست بكاهن فلا تغبر ولا تتبع أهواءهم فإن ذلك سيرة المزور فذكر فأنك لست بمزور وذلك سبب التذكير (المسئلة الثالثة) ما وجه تعلق قوله نتر بص به ب المنون بقوله شاعر نقول فيه وجهان (الأول) أن العرب كانت تحتز عن إيذاء شعراء وتبقى ألسنتهم فإن الشعر كان عندهم يحفظ ويدون وقالوا لا نعارضه في الحال مخافة أن يغلبنا بقوة شعره وأما سبيلنا الصبر وتر بص موته (الثاني) أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول إن الحق دين الله وإن الشرع الذي أتيت به يبق أبدا الدهر وكتابي ينلى إلى قيام الساعة فقالوا ليس كذلك إنما هو شاعر والذي يذكر في حق آلهتنا شعر ولا ناصر له وسيصيبه من بعض آلهتنا الهلاك فنتر بص به ذلك (المسئلة الرابعة) ما معنى ريب المنون نقول ريب هو اسم الموت فعول من المن وهو القطع والموت قطع واهذا سمي بمنون وقيل المن الدهر وريره حوادثه وعلى هذا قولهم نتر بص يحتل وجهها آخر وهو أن

أنت بنعمة ربك (بحمده) ﴿٨٩﴾ سا وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا يجنون) كما يقولون
فأنهم الله أنى يؤفكون (أم يقولون شاعر نتر بص به ريب المنون)

وهو ما يعلق النفوس
ويشخص بهما من
حوادث الدهر وقيل
المنون الموت وهو
في الاصل فعول من منه
اذا قطعته لان الموت
قطوع أى بل يقولون
ننظر به نوائب الدهر
(قل تر بصوا فاني
معكم من المتر بصين)
أتر بص هلاككم كما
تتر بصون هلاكى
وفيه عدة كريمة
(أم تأمرهم أحلامهم)
أى عقولهم (بهذا)
أى بهذا التناقض
في المقال فان الكاهن
يكون ذا فطنة ودقة
نظر في الامور والمجنون
مفطى عقله مخمل فكره
والشاعر ذو كلام
موزون منسق مخيل
فكيف يحتم أوصاف
هؤلاء في واحد وأمر
الاحلام بذلك مجاز
هن أدائها اليه (أم هم
قوم طاغون) مجاوزون
الحسد وذو المكابرة
والعنناد لا يحومون
حول الرشد والسداد
ولذلك يغواون
ما يقواون من الاكاذيب

يكون المراد انه اذا كان شاعرا قصر في الزمان بما تضعف ذهنه وتورث وهنه فيتبين
لكل فساد أمره وكساد شعره (المسئلة الخامسة) كيف قال تر بصوا بلفظ الامر وأمر
النبي صلى الله عليه وسلم يوجب التأمر أو يفيد جوازه وتر بصهم ذلك كان حراما نقول
ذلك ليس بأمر وانما هو تهديد معناه تر بصوا ذلك فانا نتر بص الهلاك بكم على حد ما يقول
السيد الغنبيان لعبد افعل ما شئت فاني لست عنك بغافل وهو أمر لتهوين الامر على
النفس كما يقول القائل لمن يهدده برجل ويقول أشكوك الى زيد فيقول أشكني أى
لا يسمنى ذلك وفيه زيادة فائدة وذلك لانه لو قل لا تشكني لكان ذلك دليل الخوف وينافيه
معناه فاني بجواب تام من حيث اللفظ والمعنى فان قيل او كان كذلك لقال فاني
أولاً تر بصوا كما قل اصبروا أو لا تصبروا نقول ليس كذلك لانه اذا قال القائل فيما ذكرناه
من المثال اشكني أو لا تشكني يكون ذلك مفيدا عدم خوفه منه فاذا قال اشكني يكون
أدل على عدم الخوف فكانه يقول أنا فارغ عنه وانما أنت تتوهم أنه يفيد فافعل حتى
يبطل اعتقادك (المسئلة السادسة) في قوله تعالى فاني معكم من المتر بصين وهو يحتمل
وجوها (أحدها) اني معكم من المتر بصين أتر بص هلاككم وقد أهلكوا يوم بدر وفي
غيره من الايام هذا ما عليه الأكثرون وانذى نقوله في هذا المقام هو أن الكلام يحتمل
وجوها وبيانها هو أن قوله تعالى نتر بص به ريب المنون ان كان المراد من المنون الموت
فقوله اني معكم من المتر بصين معناه اني أحاف الموت ولا اتناء لالنفسي ولا لاحد لعدم
علمي بما قدمت يداي وانما أنا نذير وأنا أول ما قال رب أن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم
فتر بصوا موتى وأنا متر بصهم ولا يسركم ذلك لعدم حصول ما توقعون بعدى ويحتمل أن
يكون كما قيل تر بصوا موتى فاني متر بص موتكم بالعذاب وان قلنا المراد من ريب المنون
صروف الدهر ففتاه انكار كون صروف الدهر مؤثرة فكانه يقول انما من المتر بصين حتى
ابصر ماذا يأتي به دهر كم الذي يجعلونه مهديكا ماذا يصيبني منه وعلى التقديرين فنقول
النبي صلى الله عليه وسلم يتر بص ما يتر بصون غير أن في الاول تر بصهم مع اعتقاد الوقوع
وفي الثاني تر بصهم مع اعتقاد عدم التأثير على طريقة من يقول أنا أيضا انتظر ما ينتظره
حتى أرى ماذا يكون منكرا عليه وقوع ما يتوهم وقوعه وانما قلنا هذا لان ترك المفعول
في قوله اني معكم من المتر بصين لكونه مذكورا ومور يرب المنون أولى من تركه وارادة غير
المذكور وهو العذاب (الثاني) أتر بص صروف الدهر ايظهر عدم تأثيرها فم يتر بص
يهم شيئا على الوجهين وعلى هذا الوجه يتر بص بقاء بعدهم وارتفاع كله فم يتر بص بهم
شيئا على الوجه التي اخترناها فقال اني معكم من المتر بصين ثم قال تعالى (أم تأمرهم
أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون) وأم هذه أيضا على ما ذكرنا من صلة تقديرها أنزل عليهم
ذكر أم تأمرهم أحلامهم بهذا وذلك لان الاشياء اما ان تثبت بسمع واما ان تثبت بعقل
فقال هل ورد أمر سمعي أم عقولهم تأمرهم بما كانوا يقولون أم هم قوم طاغون يغترون

ويقولون ما لادبيل عليه سمعا ولا امتضى له عقلا والعاغبان مجاوزة الحد في العصيان وكذلك كل شيء ظاهره مكروه قال الله تعالى لمسا في الماء وفيه مسائل (الاولى) اذا كان المراد ما ذكرتم فلم أسقط ما يصدر به تقول لان كون ما يقولون به مستندا الى نقل معلوم عندهم لا ينبغي باما كونه معتولا فيهم كانوا يدعون انه معتول واما كونهم طاغين فهو حق فخص الله تعالى بالذكور ما قالوا به وقال الله به فهم قالوا نحن نسمع العقل والله تعالى قال هم طاغون فذكر الامرين اللذين وقع فيهما الخلاق (المسئلة الثانية) قوله تأمرهم احلامهم اشارة الى ان كل ما لا يكون على وفق العقل لا ينبغي ان يقال وانما ينبغي ان يقال ما يجب قوله عقلا فهل صار واجب عقلا أمورا (المسئلة الثالثة) ما الاحلام تقول جمع حلم وهو العقل وهما من باب واحد من حيث المعنى لان العقل يضبط المرء فيكون كالعقل المعقول لا يتحرك عن مكانه والحلم من الحلم وهو ايضا سبب وقار المرء وثباته وكذلك يقال للعقول النهي من النهي وهو المنع وفيد معنى اطرف وهو ان الحلم في أصل اللغة هو ما يراه النائم فينزل ويلزمه الغسل وهو سبب البلوغ وعنده يصير الانسان مكافا وكان الله تعالى من لطيف حكمته قرن الشهوة بالعقل وعند ظهور الشهوة كحل العقل فاشار الى العقل بالاشارة الى ما يقارنه وهو الحلم ليعلم انه ليس كل العقل لا العقل الذي به يحتمز الانسان تخطي الشوك ويدخل النار وعلى هذا ففيه تأكيد لما ذكرنا ان الانسان لا ينبغي ان يقول كل معقول بل لا يقول الاما تأمر به العقل الرزين الذي عنده يصح التكليف (المسئلة الرابعة) هذا اشارة الى ما ذكرنا في وجوه (الاولى) ان يكون هذا اشارة مبهجة أى بهذا الذي يظهر منهم قولا وفلا حيث يبدون الاصنام والاوثان ويقولون الهديان من الكلام (الثاني) هذا اشارة الى قوالهم هو كاهن هو شاعر هو مجنون (الثالث) هذا اشارة الى انتر بص فانهم لما قالوا انتر بص قال الله تعالى انتر بص تأمرهم بتر بص هلاكهم فان احدا لم يتوقع هلاك نبيه الاوهالك (المسئلة الخامسة) هل يصح ان تكون أم في هذا الموضع بمعنى بل تقول نعم تقديره يقولون انه شاعر قولا بل يعتقدونه عقلا ويدخل في عقولهم ذلك أى ليس ذلك قولا منهم من غير عقل بل يعتقدون كونه كاهنا ومجنونا ويدل عليه قراءة من قرأ بل هم قوم طاغون لكن بل ههنا واضح وفي قوله بل تأمرهم احلامهم خفي ثم قال تعالى (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون) وهو منصل بقوله تعالى أم يقولون شاعر نتر بص به وتقديره على ما ذكرنا اتقوا ان كاهن أم تقولون شاعر أم تقوله * ثم قال بطلان جميع الاقسام (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) أى ان كان هو شاعرا ففكم الشعراء البلغاء والكهنة الاذكياء ومن يرتحل الخطب والقصائد وبقص القصص ولا يختلف الناقص والزائد فليأتوا بمثل ما نبي به وانقول براديه الكذب وفيه اشارة الى معنى لطيف وهو ان العقل للتكلف واردة الشيء وهو ليس على ما يرى يقال تعرض فلان أى لم يكن مريضا وأرى من نفسه المرض وحينئذ كأنهم كانوا يقولون كذب وليس

(أم يقولون تقوله) أى اختلافه من تقوله نفسه (بل لا يؤمنون) فليكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاناطيل التي لا ينبغي على أحد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف أتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم (فليأتوا بحديث مثله) مثل القرآن في النعوت التي استعمل بها من حيث التظلم ومن لم

المعنى (انكار صاقين) فيما زعموا فان صدقهم في ذلك يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه بالصلاة والسلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول المسارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والايام ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر بذلك

يقول انما هو تقول صورته صورة القول وليس في الحقيقة به ليعلم أن المكذب هو الصادق وقوله تعالى بل لا يؤمنون بيان هذا انهم كانوا في زمان نزول الوحي وحصول المعجزة كانوا يشاهدونها وكان ذلك يقتضي أن يشهدوا له عند غيرهم ويكونوا كالتحجيم بالموثمين كما كانت الصحابة رضي الله عنهم وهم لم يكونوا كذلك بل أقل من ذلك لم يكونوا أيضا وهو أن يكونوا من آحاد الموثمين الذين لم يشهدوا تلك الامور وام يظهر الامر عندهم ذلك الظهور وقوله تعالى فليأتوا الغاء للتعقيب أي اذا كان كذلك فيجب عليهم أن يأتوا بمثل ما أتى به ليصح كلامهم ويبطل كلامه وفيه مباحث (الاول) قال بعض العلماء فليأتوا أمر تعجيز يقول القائل لمن يدعي أمرا أو فعلا ويكون غرضه اظهار عجزه والظاهر ان الامر ههنا مبنى على حقيقته لانه لم يقل اتوا مطلقا بل انما قال اتوا ان كنتم صادقين وعلى هذا التقدير وجود ذلك الشرط يجب الاتيان به وأمر التعجيز في كلام الله تعالى قوله تعالى ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر وليس هذا بحديث يورث خلافا في كلامهم (الثاني) قالت المعتزلة الحديث محدث والقرآن سماه حديثا فيكون محدثا نقول الحديث اسم مشترك يقال للحديث والقديم والهذا يصح أن يقال هذا حديث قديم بمعنى متقدم العهد لا بمعنى سلب الاولية وذلك لانزاع فيه (الثالث) النجاة يقولون الصفة تتبع الموصوف في التعريف والتكثير لكن الموصوف حديث وهو منكر ومثل مضاف الى القرآن والمضاف الى العرف معرفة فكيف هذا نقول مثل وغير لا يتعرفان بالاضافة وكذلك كل ما هو مثلهما والسبب ان غيرا ومثلا وأمثالهما في غاية التكثير فانك اذا قلت ما رأيت شيئا مثل زيد تناول كل شيء فان كل شيء مثل زيد في كونه شيئا فالجماد مثله في الجسم والحجم والامكان والثبات مثله في الشهور والسماء والذبول والغناء والحيوان مثله في الحركة والادراك وغيرهما من الاوصاف واما غير فهو عند الاضافة ينكر وعند قطع الاضافة بما يتعرف فانك اذا قلت غير زيد صار في غاية الابهام فانه يتناول أمور لا يحصرها واما اذا قطعت عن الاضافة بما تقول الغير والمغايرة من باب واحد وكذلك التغير فيجعل الغير كأسماء الاجناس أو يجعله مبتدأ وتريد به معنى معينا (البحث الرابع) ان كانوا صادقين أي في قواهم تقوله وقد ذكرنا أن ذلك راجع الى ما سبق من أنه كاهن وأنه مجنون وأنه شاعر وأنه متقول ولو كانوا صادقين في شيء من ذلك لهان عليهم الاتيان بمثل القرآن ولما امتنع كذبوا في الكل (البحث الخامس) قد ذكرنا أن القرآن معجز ولا شك فيه فان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثل ما يقرب منه مع التحدي فاما أن يكون كونه معجز الفصاحته وهو مذهب أكثر أهل السنة واما أن يكون معجزا بصرف الله حقول العقلاء عن الاتيان بمثله وعقله وألسنتهم عن النطق بما يقرب منه ومنع القادر من الاتيان بالمقدور كاتيان الواحد بفعل لا يقدر عليه غيره فان من قال لغيره أنا أحرك هذا الجبل يستبعد منه وكذا اذا قال اني أفعل فعلا لا يقدر الخلق على حمل تفاسد من

موضعها يستبعد منه على ان كل واحد فعل محجز اذا اتصل بالدعوى وهذا مذهب بعض المتكلمين ولا فساد فيه وعلى أن يقال هو محجز بهما جيبا * ثم قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) ومن ههنا لا خلاف أن أم ليست بمعنى بل لكن أكثر المفسرين على أن المراد ما يقع في صدر الكلام من الاستفهام أما بالهمزة فكانه يقول أخلقوا من غير شيء أو هل ويحتمل أن يقال هو على أصل الوضع للاستفهام الذي يقع في أثناء الكلام وتقديره أما خلقوا أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون وفيه مسائل (المسألة الأولى) ما وجه تعلق الآية بما قبلها نقول لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ونسبوه إلى الكهانة والجنون والشعوذة برأه الله من ذلك ذكر الدليل على صدقه بطلان تكذيبهم وبدأ بأنفسهم كانه يقول كيف يكذبونه وفي أنفسهم دليل صدقه لأن قوله في ثلاثة أشياء في التوحيد والحشر والرسالة في أنفسهم ما يعلم به صدقه ويانه هو أنهم خلقوا وذلك دليل التوحيد لما بينا أن * في كل شيء له آية تدل على أنه واحد * وقد بينا وجهه مرارا فلا نعيد وأما الحشر فلأن الخلق الأول دليل على جواز الخلق الثاني وإمكانه ويدل على ما ذكرنا أن الله تعالى ختم الاستفهامات بقوله أم لهم اله غير الله سبحانه الله عما يشركون (٢) (المسألة الثانية) إذا كان الأمر على ما ذكرت فلم حذف قوله أما خلقوا نقول لظهور انتفاء ذلك ظهورا لا يبقى معه للخلاف وجه فان قيل فلم لم يصدر بقوله أما خلقوا ويقول أم خلقوا من غير شيء نقول ليعلم أن قبل هذا أمرا متقيا ظاهرا وهذا المذكور قريب منه في ظهور البطلان فان قيل قوله أم خلقوا من غير شيء أيضا ظاهر البطلان لأنهم علموا أنهم مخلوقون من تراب وماء ونطفة نقول الأول أظهر في البطلان لأن كونهم غير متخالفين أمر يكون مدعيه منكرا للضرورة فنكره فنكر لا مضرورة (المسألة الثالثة) ما المراد من قوله تعالى من غير شيء نقول فيه وجوه المقول منها أنهم خلقوا من غير خالق وقيل أنهم خلقوا لا شيء عبثا وقيل أنهم خلقوا من غير آب وأم ويحتمل أن يقال أم خلقوا من غير شيء أي أم يخلقوا من تراب أو من ماء دليله قوله تعالى ألم تخلقكم من ماء مهين ويحتمل أن يقال الاستفهام الثاني ليس بمعنى النفي بل هو بمعنى الإثبات قال الله تعالى أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون كل ذلك في الأول مثني وفي الثاني مثبت كذلك ههنا قال الله تعالى أم خلقوا من غير شيء أي الصادق هو هذا الثاني حيثئذ وهذا كما في قوله تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فان قيل كيف يكون ذلك الإثبات والآدمي خلق من تراب نقول والتراب خلق من غير شيء فالإنسان إذا نظرت إلى خلقه واستندت النظر إلى ابتداء أمره وجدته خلق من غير شيء أو نقول المراد أم خلقوا من غير شيء مذكور أو معتبر وهو الماء المهين (المسألة الرابعة) ما الوجه في ذكر الأمور الثلاثة التي في الآية نقول هي أمور مرتبة كل واحد منها يمنع القول بالوحدانية والحشر فاستفهم بها وقال أما خلقوا

(أم خلقوا من غير شيء)
أي أم أحدثوا وقدروا
هذا التقدير البديع
من غير محدث ومقدر
وقيل أم خلقوا من
أجل لا شيء من عبادة
وجزاء (أم هم
الخالقون) لأنفسهم
فلذلك لا يعبدون
الله سبحانه

(٢) لعله ترك الثالث
لظهوره وهو أنه
إذا ثبت حقيقة المبدأ
والمعاد ثبت حقيقة
أمر الرسالة الخ
ما ذكره زاده فراجع

قوله فان قيل فلم
لم يصعد الخ لا يخفى
أن هذا عين ما قبله
فأمل

أصلا ولذلك يتكرون القول بالتوحيد لانتفاء الإيجاد وهو الخبر يتكرون الحشر لانتفاء
الخلق الأول أم خلقوا من غير شيء أي أم يقولون بأنهم خلقوا من غير شيء فلا إعادة كما قال
أفحسبتم إنما خلقناكم عبداً وعلى قولنا أن المراد خلقوا من تراب ولا من مثله وجه
ظاهر وهو أن الخلق إذا لم يكن شيء بل يكون ابداً عيسى يخفى كونه مخدوقاً على أنهم
الاعبياء، ولهذا قال بعضهم السماء رفع اتفاقاً ومجد من غير خالق وأما الالوهية التي
يكون أولاً ونظفة ثم علة ثم مضغة ثم لحماً وعظماً لا يمكن أحداً من إنكاره بعد مشاهدة
أحواله فقال تعالى أم خلقوا بحدب يخفى عليهم وجه خلقهم بأن خلقوا ابتداء من غير
سبب حالة عليهم يكونون فيها تراباً ولألفاظهم كذا ذلك بل هم كانوا شيئاً تلك
الاشياء خلقوا من خلقاً فما خلقوا من غير شيء حتى يتكروا الوحدانية ولهذا قال تعالى
يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق وإلهذا أكثر الله من قوله خلقنا الإنسان
من نطفة وقوله ألم نخلقكم من ماء مهين يتناول الأمرين المذكورين في هذا الموضع لأن
قوله ألم نخلقكم من ماء يتحمل أن يكون نبي المجموع بنبي الخلق فيكون كانه قال أخلقتم
لا من ماء وعلى قول من قال المراد منه أم خلقوا من غير شيء أي غير خالق ففيه ترتيب
حسن أيضاً وذلك لأن نبي الصانع إما أن يكون بنبي كون العالم مخلوقاً فلا يكون ممكنات وأما
أن يكون ممكنات لكن الممكن لا يكون محتاجاً فيقع الممكن من غير مؤثر وكلاهما محال وأما
قوله تعالى أم هم الخالقون فمعناه أنهم الخالقون للخلق فيعجز الخالق بكثرة العمل فان دأب
الإنسان أنه يعيا بالخلق فما قولهم أما خلقوا فلا يثبت لهم الالهية أم خلقوا وخفي عليهم
وجه الخلق أم جعلوا الخالق مثلهم فنسبوا إليه العجز ومثله قوله تعالى أفعبث بالخلق
الأول هذا بالنسبة إلى الحشر وأما بالنسبة إلى التوحيد فهو رد عليهم حيث قالوا الأمور
مختلفة واختلاف الآثار يدل على اختلاف الأوثان وقالوا أجعل الآلهة الها واحداً
فقال تعالى أم هم الخالقون حيث لا يقدر الخباز على الخياطة والحياطة على البناء وكل
واحد يشغله شأن من شأن * ثم قال تعالى (أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون)
وفيه وجوه (أحدها) ما اختاره النحوي وهو أنهم لا يوقنون بأنهم خلقوا وهو جليد
في معنى قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله أي هم معترفون
بأنه خلق الله وليس خلق أنفسهم (وثانيها) المراد بل لا يوقنون بأن الله واحد وقدره ليس
الأمر كذلك أي ما خلقوا وإنما لا يوقنون بوحدة الله (وثالثها) لا يوقنون أصلاً من غير
ذكر مفعول يقال فلان ليس بمؤمن وفلان ليس بكافر لبيان مذهبه وإن لم ينو مفعولاً
وكذلك قول القائل فلان يؤذى ويؤذى لبيان ما فيه لأمع القصد إلى ذكر مفعول
وحينئذ يكون تقديره أنهم ما خلقوا السموات والأرض ولا يوقنون بهذه الدلائل بل
لا يوقنون أصلاً وإن جشتم بكل آية يدل عليه قوله تعالى بعد ذلك وإن بر واكسفاً من
السماء ساقطاً يقولوا سبحان من كرم وهذه الآية إشارة إلى دليل الاتفاق وقوله من قبل

(أم خلقوا السموات
والارض بل لا يوقنون)
أي إذا سئلوا من
خلقكم وخلق السموات
والارض قالوا الله
وهم غير موقنين بها
قالوا والاله أعرضوا
عن عبادته

(أم عندهم خزائن ربك) أي خزائن ﴿٧١١﴾ رزقه ورزقته حتى يرزقوا النبوة من شأوا ويمسكوها عز

شأوا وعندهم خزائن
علمه وحكمته حتى يختار
لها من اقتضت
الحكمة اختياره
(أم هم المسيطرون)
أي البون على الأمور
يدبرونها كيفما شأوا
حتى يدبروا أمر
الربوبية وينو
الأمور على إرادتهم
ومشيئتهم وقرئ
المصيطرون بالصاد
لمكان الطاء (أم لهم
سلم) منصوب إلى السماء
(يستمعون فيه)
صاعدين إلى كلام
الملائكة وما يوحى إليهم
من علم الغيب حتى يعلموا
ما هو كائن من الأمور
التي يتناولونها رجا
بالغيب ويعقلون بها
أطباعهم الفارغة
(فليات مستمعهم
بسلطان مبین) بحجة
واضحة تصدق
استماعه (أم له البنات
ولكن البنون) تسفيه
لهم وتركبك لعقولهم
وايدان بأن من هذا
رأيه لا يكاد يعد من
العقلاء فضلا عن الترقى
إلى عالم الملاكوت

أم خافوا دليل الانفس * ثم قال تعالى (أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون) وفيه
وجوه (أحدها) المراد من الخزائن خزائن الرحمة (ثانيها) خزائن الغيب (ثالثها) أنه إشارة
إلى الأسرار الإلهية المخفية عن الأعيان (رابعها) خزائن المخلوقات التي لم يرها الإنسان
ولم يسمع بها وهذه الوجوه الأولى والثاني منقول والثالث والرابع مستنبط وقوله تعالى
أم هم المسيطرون تنمة للرد عليهم وذلك لأنه لما قال أم عندهم خزائن ربك أشار إلى أنهم
ليسوا بخزنة الله فعلموا خزائن الله وليس بمجرد انتفاء كونهم خزنة يتنقى العلم لجواز أن
يكون مشرفا على الخزانة فان العلم بالخزائن عند الخازن والكتاب في الخزانة فقال لستم
بخزنة ولا بكتبة الخزانة المساطين عليها ولا بعد تفسير المصيطرين بكتبة الخزانة لأن
التركيب يدل على السطر وهو يستعمل في الكتاب وقيل المصيطر المسلط وقرئ بالصاد
وكذلك في كثير من السينات التي مع الطاء كافي قوله تعالى بمصيطر ومصيطر * ثم قال
تعالى (أم لهم سلم يستمعون فيه فليات مستمعهم بسلطان مبین) وهو أيضا تنمة للدليل فان
من لا يكون خازنا ولا كاتباً فديطلع على الأمر بالسمع من الخزان أو الكتاب فقال أنتم
لستم بخزنة ولا كتبة ولا اجتماعهم بهم لأنهم ملائكة ولا صعود إليهم وفيه مسائل
(المسئلة الأولى) المقصود نفي الصعود ولا يلزم من نفي السلم نفي الصعود فالجواب
عنه نقول النفي أبلغ من نفي الصعود وهو نفي الاستماع وآخر الآية شامل لكل قال تعالى
فليات مستمعهم بسلطان مبین (المسئلة الثانية) السلم لا يستمع فيدعون ما يستمع عليه فما
الجواب نقول من وجهين (أحدهما) ما ذكره الزمخشري أن المراد يستمعون صاعدين فيه
(وثانيهما) ما ذكره الواحدي أن في معنى على كافي قوله تعالى ولا صابنكم في جذوع النخل
أي على جذوع النخل وكلاهما ضعيف لما فيه من الاضمار والتغيير (المسئلة الثالثة)
لم ترك ذكر مفعول يستمعون وماذا هو نقول فيه وجوه (أحدها) المستمع هو الوحي أي هل
أهم - لم يستمعون فيه الوحي (ثانيها) يستمعون ما يقولون من أنه شاعروا أن الله شريكا وأن
الحشر لا يكون (ثالثها) ترك المفعول رأسا كأنه يقول هل لهم قوة الاستماع من السماء
حتى يعلموا أنه ليس برسول وكلامه ليس برسول (المسئلة الرابعة) قال فليات مستمعهم
ولها فلياتوا كما قال تعالى فلياتوا بحديث مثله نقول طلب منهم ما يكون أهون على
تفريق صدقهم ليكون اجتماعهم عليه أدل على بطلان قوالهم فقال هناك فلياتوا أي
لا تتعوا عليه وتعاونوا وأتوا بمثله فاز ذلك عند الاجتماع أهون وأما الارتفاع في السلم
لا اجتماع متعذر لأنه لا يرتقي إلا واحد بعد واحد ولا يحصل في الدرجة العليا إلا واحد
فقال فليات ذلك إلا واحد الذي كان أشد رقيما سمعه (المسئلة الخامسة) قوله بسلطان
مبین ما المراد به نقول هو إشارة إلى الطبيعة وهي أنه لو طلب منهم ما سمعوه وقبل لهم فليات
مستمعهم بما سمع لكان لواحد أن يقول أنا سمعت كذا وكذا فيفتري كذبا فقال لا بل
الواجب أن يأتي بدليل يدل عليه * ثم قال تعالى (أم له البنات ولكن البنون) إشارة إلى نفي

والتطلع على الأسرار الغيبية والاتفات إلى الخطاب لتشديد ما في أم المنقطعة من الإنكار والتوبيخ

الشرك وفساد ما يقولون بطر بق آخر وهو ان المتصرف انما يحتاج الى الشريك لجزءه والله قادر فلا شريك له فانهم قالوا نحن لانجعل هذه الاصنام وغيرها شركا وانما نعظمها لانها بنات الله فقال تعالى كيف تجعلون لله البنات وخلق البنات والبنين انما كان لجواز الغناء على الشخص ولو لا التوالد لانقطع النسل وارتفع الاصل من غير ان يقوم مقامه انفصل فقد ر الله التوالد ولهذا لا يكون في الجنة ولادة لان الدار دار البقاء لا موت فيها للآباء حتى تقام العمارة بحدوث الابناء اذا ثبت هذا فالولد انما يكون في صورة امكان فناء الاب ولهذا قال تعالى في أوائل سورة آل عمران الحى القيوم أى حى لا يموت فيحتاج الى ولد يرثه وهم قيوم لا يتغير ولا يضعف فيفتقر الى ولد ليقيم مقامه لانه ورد في نصارى نجران ثم ان الله تعالى بين هذا با ناع الوجوه وقال انهم يجعلون له بنات ويجعلون لانفسهم بنين مع ان جعل البنات ا لهم أولى وذلك لان كثرة البنات نعين على كثرة الاولاد لان الاناث الكثيرة يمكن منهن الولادة بأولاد كثيرة من واحد وأما الذكور الكثيرة لا يمكن منهم احبال أنثى واحدة بأولاد الا ترى ان الغنى لا تذبح منها الاناث الا نادرا وذلك لما ثبت ان ابقاء النوع بالانثى انفع نظرا الى التكاثر فقال تعالى انما القيوم الذى لا يفناء ولا حاجة الى بقاء النوع في حدوث الشخص وانتم معرضون للموت العاجل وبقاء العالم بالاناث أكثر وتبرأون منهن والله تعالى مستغن عن ذلك وتجعلون له البنات وعلى هذا فاقدم كان اشارة الى نفي الشريك نظرا الى انه لا ابتداء لله وهذا اشارة الى نفي الشريك نظرا الى انه لا فناء له فان قيل كيف وقع لهم نسبة البنات الى الله تعالى مع ان هذا أمر فى غاية التعجب لا يخفى على عاقل واقول كان لهم العقول التى هى مناط التكليف وذلك القدر كاف فى العلم بفساد هذا القول نقول ذلك القول دعايم اليه اتباع العقل وعدم اعتبار النقل ومذهبهم فى ذلك مذهب الفلاسفة حيث يقولون يجب اتباع العقل الصريح ويقولون النقل بعزل لا يتبع الا اذا وافق العقل واذا وافق فلا اعتبار للنقل لان العقل هناك كاف ثم قالوا الوالد يسمى والد الا انه سبب وجود الولد ولهذا يقال اذا ظهر شئ من شئ فهذا تولد من ذلك فيقولون الحى تولد من عفونة الخلط فقالوا الله تعالى سبب وجود الملائكة سببا واجبا لا اختيار له فسموه بالوالد ولم يلتفتوا الى وجوب تزييه الله فى تسميته بذلك عن التسمية بما يوجبهم النقص ووجوب الاقتصار فى أسمائه على الاسماء الجسنى التى ورد بها الشرع لعدم اعتبارهم النقل فقالوا يجوز اطلاق الاسماء المجازية والحقيقية على الله تعالى وصفاته فسموه عاشقا وممشوقا وسموه أبيا ووالدا ولم يسموه ابنا ولا مولودا باتفاقهم وذلك سلافة ثم قال تعالى (أم تسألهم أجر افهم من مغرم مقلون) وجه التعليق هو ان المشركين لما طرحوا الشرع واتبعوا ما ظنوه عقلا وسموا الموجود بعد العدم مولودا ومتولدا والموجد والد الزمهم الكفر بسببه والاشراك فقال لهم ما الذى يحملكم على اطراح الشرع وترك اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هل ذلك اطلبه منكم

(أم تسألهم اجرا)
رجوع الى خطابه
عليه الصلاة والسلام
واعراض عنهم أى بل
أنسألهم أجرا على
تبليغ الرسالة (فهم)
الذلك (من مغرم)
من التزام غرامة
قاحضة (مقلون)
محملون النقل فلذلك
لا يتبعونك

شيئا فاما كان يسعهم ان يقولوا نعم فلم يبق لهم الا ان يقولوا لا فتقول لهم كيف اتبعتم قول
 الفيلسفي الذي يسوغ لكم قول الزور وما يوجب الاستخفاف بجانب الله تعالى لفظا ان
 لم يكن معنى كما تقولون ولا تتبعون الذي يأمركم بالعدل في المعنى والاحسان في اللفظ
 ويقول لكم اتبعوا المعنى الحق الواضح واستعملوا اللفظ الحسن المؤدب وهذا في غاية
 الحسن من التقدير . وأما التفسير فقدمنا ازل (المسئلة الاولى) ما الفائدة في سؤال النبي
 صلى الله عليه وسلم لم حيث قال أم تسألهم ولم يقل أم يسألون أجرا كما قال تعالى أم يقولون
 وقال تعالى أم يريدون كيدا الى غير ذلك نقول فيه فائدتان (احداهما) تسلية قلب
 النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لانهم سألوا من الاستماع واستنكفوا من الاتباع
 صعب على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ربه أنت أتيت بما عليك فلا يضيق صدرك
 حيث لم يؤمنوا فأنت غيره اوم وإنما كنت بالام لو كنت طلبت منهم أجرا فهل طلبت
 ذلك فأنظروهم لا فلاح رجعتك اذا (ثانية) انه لو قال ليسألون لزم في طلب أجره مطلقا
 وليس كذلك وذلك لانهم كانوا يشركون بطالبوا بالاجر من رؤسائهم وأما النبي صلى
 الله عليه وسلم فقال له أنت لا تسألهم أحدا ففهم لا يتسببك وغفرك يسألهم وهم يسألون
 ويتبعون السائلين وهذا غاية الضلال (المسئلة الثانية) ان قال قائل ألزمت أن تبين ان أم
 لا تقع الا بتوسط حقيقة أو تقدير فكيف ذلك ههنا نقول كأنه تعالى يقول
 أتهدى لهم اوجه الله أم تسألهم أجرا وترك الاول اعدم وقوع الانكار عليه كما قلنا في قوله
 أم له البنات ان المقدر هو واحد أم له البنات وترك ذكر الاول اعدم وقوع الانكار عليه
 من الله تعالى وكونهم قائلين بأنه لا يريد وجه الله تعالى وانما يريد الرياسة والاجر في الدنيا
 (المسئلة الثالثة) هل في خصوص قوله تعالى أجرا فائدة لا توجد في غيره او قال أم تسألهم
 شيئا او مالا أو غير ذلك نقول نعم وقد تقدم القول معنى ان كل لفظ في القرآن فيه فائدة وان
 كنا لانعاهم والذي يظهر ههنا ان ذلك اشارة الى أن ما يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فيه
 مصطلحتهم وذلك لان الاجر لا يطلب الا عند فعل شيء يفيد المطالب منه الاجر فقال أنت
 أتيتهم بما اوطبت عليه أجرا وعلموا كمال ما في دعوتك من المنفعة لهم وبهم لا توك
 بجمع أموالهم وفقدوك بأنفسهم ومع هذا لا تطلب منهم أجرا ولو قال شيئا او مالا لما
 حصلت هذه الفائدة والله اعلم (المسئلة الرابعة) هذا يدل على انه لم يطلب منهم أجرا ما
 وقوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى يدل على انه طلب اجرا ما فكيف
 الجمع بينهما نقول لا تفرقة بينهما بل الكل حق وكلاهما كلام واحد وبيانه هو ان
 المراد من قوله الا المودة في القربى هو اني لا اسئلكم عليه أجرا يعود الى الدنيا وانما
 أجرى المحبة في الزاقي الى الله تعالى وان عباد الله الكاملين أقرب الى الله تعالى من عباد
 الناقصين وعباد الله الذين كلهم الله وكلوه وأرسلهم لتكميل عبادتكم فكمالوا أقرب الى الله
 من الذين لم يرسلهم الله ولم يكملوا وعلى هذا فهو في معنى قوله ان أجرى الاعلى الله واليه

أننى وقوله صلى الله عليه وسلم فاني أبا هي بكم الامم يوم القيامة وقوله فهم من مغرم مثقلون بين ما ذكرنا ان قوله أم تسألهم أجرا المراد أجر الدنيا وقوله قل لا أسئلكم عليه أجرا المراد العموم ثم استثنى ولا حاجة الى ما قاله الواحدى ان ذلك متقطع معناه لكن المودة في القربى وقد ذكرناه هناك فليطلب منه (المسئلة الخامسة) قوله تعالى فهم من مغرم مثقلون إشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم ما طلب منهم شيئا وأوطأ بهم بأجر ما كان لهم أن يتركوا اتباعه بادن شئ اللهم الا ان أنقلهم التكليف وبأخذ كل ما لهم ويعتصمهم التخفيف فيبذلهم الدين بعد ما لا يبق لهم العين ثم قال تعالى (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) وهو على التزيب الذي ذكرناه كانه تعالى قال لهم يم اطرحتم الشرع ومحاسنه وقدتم ما فاتكم بناء على اتباعكم الارهاق الفاسدة التي تعمونها المعقولات والتي صلى الله عليه وسلم لا يطلب منكم أجرا وأنتم لا تعاون فلا عذر لكم لان العذر اما في الغرامة واما في عدم الحاجة الى ما جاء به ولا غرامة عليكم فيه وانفى لكم عنه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) كيف التقدير قلنا لا حاجة الى التقدير بل هو استفهام متوسط على ما ذكرنا كأنه قال أتهدىهم أوجه الله تعالى أم تسألهم أجرا فيمتنعون أم لا حاجة لهم الى ما نقول لكونهم عندهم الغيب فلا يكتبون (المسئلة الثانية) الالف واللام في الغيب لغريف ماذا الجنس أو العهد نقول الظاهر ان المراد نوع الغيب كما يقول القائل اشتر اللحم يريد بيان الحقيقة لا كل لحم بل لحمنا والمراد في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة الجنس واستغراقه اكل غيب (المسئلة الثالثة) على هذا كيف يصح عندهم الغيب وما عند الشخص لا يكون غيبا نقول معناه حصر عندهم ما غلب عن غيرهم وقبل هذا متعلق بقوله يتربص به ريب المتنون أى عندكم الغيب تعلمون انه يموت قبلكم وهو ضعيف بعد ذلك ذكرنا لان قوله تعالى قل تربصوا متصل به وذلك يمنع اتصال هذا بهذا (المسئلة الرابعة) ما الفائدة في قوله فهم يكتبون فنقول وضوح الامر وإشارة الى ان ما عند النبي صلى الله عليه وسلم من علم الغيب علم بالوحي وأمورا واسرارها واحكاما واخبارا كثيرة كلها هو جازم بها وليس كما يقول المتفلس الامر كذا وكذا فان قيل اكتب به خطك انه يكون يمتنع ويقول أنا لا أدعى فيه الجزم والقطع ولكن اذكره كذا وكذا على سبيل الظن والاستنباط وان كان قاطعا يقول اكتبوا هذا عني وأثبتوا في الدواوين ان في اليوم الفلاني يقع كذا وكذا فقوله أم عندهم الغيب فهم يكتبون يعنى هل صاروا في درجة محمد صلى الله عليه وسلم حتى استغنوا عنه وأعرضوا ونقل عن ابن قتية ان المراد من الكتابة الحكم معناه يحكمون متمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم اقض بيننا بكتاب الله أى حكم الله وليس المراد ذلك بل هو من باب الاضمار معناه بما في كتاب الله تعالى يقال فلان يقضى بمذهب الشافعى أى بما فيه ويقول الرسول الذي معه كتاب الملك للرعية اعلوا بكتاب الملك ثم قال تعالى (أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون)

(أم عندهم الغيب)
أى الأرواح المحفوظ
المثبت فيه الغيوب
(فهم يكتبون) ما فيه
حتى يتكلموا في ذلك
بنفي أو اثبات (أم
يريدون كيدا) هو
كيدهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم
في دار الندوة (فالذين
كفروا) هم المذكورون
ووضع الوصول
موضع ضميرهم
للتسجيل عليهم بما
في حبر الصلوة من الكفر

وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ماوجه التعلق والمناسبة بين الكلامين قلنا بين ذلك يديان
 المراد من قوله أم يريدون كيدا فبعض المفسرين قال أم يريدون أن يكيدوك فهم
 المكيدون أي لا يقدرّون على الكيد فان الله يصونك بعينه ويتصرك بصونه وعلى هذا
 اذا قلنا بقول من يقول أم عندهم الغيب متصل بقوله تعالى نتر بص به ريب المذنون فيه
 ترتيب في غاية الحسن وهوانهم لما قالوا نتر بص به ريب المذنون قيل لهم اتعلمون الغيب
 فتعلمون انه يموت قبلكم أم تريدون كيدا فتقولون نعم فموت قبلنا فان كنتم تدعون
 الغيب فانتم كاذبون وان كنتم تطعنون انكم تقدرون عليه فانتم غافلون فان الله يصونه
 عنكم وينصره عليكم واماعلى ما قلنا ان المراد منه انه صلى الله عليه وسلم لا يسألكم على
 الهداية مالا وانتم لا تعلمون ما جاء به اولاهديته لكونه من الغيوب فتقول فيد وجوه
 (الاول) ان المراد من قوله تعالى أم يريدون كيدا أي من الشيطان وازاغته فيحصل
 مرادهم كانه تعالى قال أنت لا تسألهم أجرا وهم لا يعلمون الغيب فهم محتاجون اليك
 وأعرضوا فقد اختاروا كيد الشيطان ورضوا بازاغته والارادة بمعنى الاختيار والحجة
 كما قال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه وكما قال أنفكا آلهة دون الله
 تريدون وأظهر من ذلك قوله تعالى اني أريد أن تبوء بأبنى وانك (الوجه الثاني) أن يقال
 ان المراد والله أعلم أم يريدون كيد الله فهو وواصل اليه وهم عن قريب مكيدون وترتيب
 الكلام هو انهم يالم يقيم حججة في الاعراض فيهم يريدون نزل العذاب بهم والله أرسل
 اليهم رسولا لا يسألهم أجرا ويهديهم الى ما لا يعلمهم ولا لتب عندهم وهم يعرضون فهم
 يريدون اذا أن يهديهم ويكيدهم لان الاستدراج كيد والاملاء لازيد الاتيم كذلك
 لا يقال هو فاسد لان الكيد والاسساء لا يطلق على فعل الله تعالى الا بطريق المقابلة
 وكذلك المكر فلا يقال أساء الله الى الكفار ولا اعتدى الله الا اذا ذكر أولا فيهم شيء من
 ذلك ثم قال بعد ذلك بسببه لفظا في حق الله تعالى كافي قوله تعالى وجزاء سبعة سيئة مثلها
 وقال فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وقال ومكروا ومكر الله وقال يكيدون كيدا وأكيد
 كيدا فذا نقول ان كيد ما يسوء من نزل به وان حسن ممن وجد منه ألا ترى ان ابراهيم
 عليه السلام قال لا تكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين من غير مقابلة (المسئلة
 الثانية) ما الفائدة في قوله تعالى فالذين كفروا هم المكيدون وما الفرق بين معنى هذا
 الكلام ومعنى قول القائل أم يريدون كيدا فهم المكيدون نقول الفائدة تكون
 الكافر مكيدا في مقابلة كفره لاني مقابلة ارادته الكيد ولو قال أم يريدون كيدا
 فهم المكيدون كان يفهم منه انهم ان لم يريدوه لا يكونوا مكيدين وهذا يؤيد ما ذكرنا
 ان المراد من الكيد كيد الشيطان أو كيد الله بمعنى عذابه اياهم لان قوله فالذين
 كفروا هم المكيدون عام في كل كافر كاده الشيطان ويكده الله أي يعذبه وصار المعنى
 على ما ذكرناه أنه يهديهم اوجه الله أم تسألهم أجرا فتعلمهم فيمتنعون عن الانبعاث

وتدليل الحكم به أوجع
 الكفرة وهم داخلون
 فيهم دخولا أوليا (هم
 المكيدون) أي هم الذين
 يحيق بهم كيدهم
 أو يعود عليهم وباله
 لان أرادوا أن يكيدوه
 وهو ما أصابهم يوم
 بدر أو هم المغلوبون
 في الكيد من كايته
 فكنته

ام عند هم انقيب فلا يحتاجون اليك فيعرضون عنك أم ليس شيء هذين الامرين
الاخيرين فيريدون العذاب والعذاب غير مدفوع عنهم بوجه من الوجوه لكفرهم
فالدين ككفروا معذبون (المسئلة الثالثة) ما القادة في تكبير الكيد حيث لم يقل
أم يريدون كيدك أو الكيد أو غير ذلك ليزول الابهام نقول فيه فائدة وهي الاشارة
الى وقوع العذاب من حيث لا يشعرون فكأنه قال يأتيهم بغتة ولا يكون لهم به
علم أو يكون ايراد العظمة كذا كرنا مرارا * ثم قال تعالى (أم لهم الله سبحانه
الله عما يشركون) أعاد التوجيه وهو يفيد فائدة قوله تعالى أم له البتات وانكم
البتون وفي سبحانه الله بحث سر يف ويهين أهل اللغة قالوا سبحانه اسم علم للتسبيح
وقد ذكرنا ذلك في تفسير قوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون واكثرنا من
القول والدفان قيل يجوز أن نقول سبحانه اسم مصدر ونقول سبحانه على وزن فعلان
فقد ارسخ في غير مواضع الابقاع كما يقال في التسبيح نقول ذلك مثل قول القائل
من حرف جار وفي كلمة ظرف حيث يخرجه مع ان الحرف لا يخبر عنه فيجاب ان من وفي
حينئذ جعل لا كاسم ولم يترك على أصلهما المستعملين مثل قولك أخذت من زيد الدرهم
في الكس فكذاك سبحانه فيما ذكر من المواضع لم يترك على مواضع استعماله فانه
حينئذ لم يترك علما كما يقال زيد على وزن فعول بخلاف التسبيح فيما ذكرنا (المسئلة الرابعة)
ما في قوله تعالى عما يشركون يحتمل وجهين (أحدهما) أن تكون مصدرة بمعنى سبحانه
عن اشراكهم (ثانيهما) خبرية معناه عن الذين يشركون وعلى هذا فيحتمل أن يكون
عن الوالد لانهم كانوا يقولون البتات الله تعالى سبحانه الله عن البتات والبتين ويحتمل أن
يكون عن مثل الآلهة لانهم كانوا يقولون هو مثل ما يعبدونه فقال سبحانه الله ان مثل
ما يعبدونه * ثم قال تعالى (وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مرقوم)
وجه الترتيب فيه هو انه تعالى لا يبين فساد أقوالهم وسقوط ما عن درجة الاعتبار اشارة الى
أنه لم يبق لهم شيء من وجه الاعتذار فان الآيات ظهرت والحجج تبهرت ولم يؤمنوا وبعد ذلك
ان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب أي يشكرون الآية لكن الآية اذا
اظهرت في أظهر الاشياء كانت أظهر وبيانه هو ان من يأتي بجسم من الاجسام من بيته
و ادعى فيه انه فعل به كذا فربما يخطر ببال السامع انه في بيته ولا يدعه فاذا قال للناس
هاتوا جسماتي يدون حتى أجعل لكم منه كذا يزول ذلك الوهم لكن أظهر الاشياء عند
الانسان الارض التي هي مهد وفرشه والسماء التي هي سقفه وعرشه وكانت العرب
على مذهب الفلاسفة في أصل المذهب ولا يلتفت الى قول الفلاسفة نحن نرتز غاية
التزبه حتى لا نجهز رؤيته وانصافه بوصف زائد على ذاته ليكون واحدا في الحقيقة
فكيف يكون مذهبنا مذهب من يشرك بالله صفا متحونا نقول انتم لما نسبتم الحوادث
الى الكواكب وشرعتم في دعوة الكواكب أخذ الجاهل عنكم ذلك واتخذوه مذهبا

(أم لهم الله غير الله)
يعينهم ويحررهم من
عذابه (سبحان الله عما
يشركون) أي عن
اشراكهم أو عن شركة
ما يشركونه (وان
يروا كسفا) قطعة (من
السماء ساقطا) لتعذيبهم
(يقولوا) من فرط
ظفرانهم وعنادهم (سحاب
مرقوم) أي هم في
السموات بحيث واسقط
صبرهم حسبا قالوا
أو تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا لئلا نله هذا
سحاب تراكم بعضه على
بعض يطرنا ولم يصد
قوا انه كسف ساقط
للعذاب

واذا ثبت ان العرب في الجاهلية كانت في الاصل على مذهب الفلاسفة وهم يقولون
 بالطبائع فيقولون الارض طبعتها التكوين والسماء طبعتها يمنع الانفصال والانفكاك
 فقال الله تعالى رداعليهم في مواضع ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من
 السماء ابطالا للطبائع واشارالاختيار في الوقائع فقال همنا ارأيتنا بشئ غريب في غاية
 الغرابة في أظهر الاشياء وهو السماء التي يرونها أبدا ويعلمون أن احدا لا يصل اليها ليعمل
 بالادوية وغيرها ما يوجب سقوطها لانكروا ذلك فكيف فيما دون ذلك من الامور
 والذي يؤيد ما ذكرناه وانهم كانوا على مذهب الفلاسفة في أمر السماء انهم قالوا
 أن تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أي ذلك في زعمك ممكن فاما عندنا فلا والكسفة
 السقطه يقال كسفة من ثوب أي قطعة وفيه مباحث (البحث الاول) استعمال في السماء
 افئدة ككف والغريون ذكرنا استعمالها في الثوب لانه تعالى شيد السماء بالثوب
 المشوي بالهنا ذكرنا في معنى فقال والسموات مطويات وقال تعالى يوم نطوى السماء
 (البحث الثاني) استعمال الكسف في السماء والخسف في الارض فقال تعالى نخسف
 بهم الارض وهو يدل على قول من قال يقال في القمر خسوف وفي الشمس كسوف
 ووجه ان يخرج الخاء دون نخرج الكاف ومخرج الكاف فوقف متصل به فاستعمل
 وصف الاسفل لاسفل والاعلى الاعلى فقالوا في الشمس والسماء الكسوف والكسف
 وفي القمر والارض الخسوف والخسف وهذا من قبيل قولهم في المانع والمباح ان
 مانقطه فوق لم فوق البئر ومانقطه من أسفل عندهم يجوز نقضه من أسفل لمن تحت
 في أسفل البئر (البحث الثالث) قال في السحاب ونجمه ككسفا مع انه تحت القمر
 وقال في القمر وخسف القمر وذلك لان القمر عند الخسوف له نظير فوقه وهو الشمس
 عند الكسوف والسحاب اعتبر فيه نسبته الى أهل الارض حيث ينظرون اليه فلم يقل
 في القمر خسف بالنسبة الى السحاب وانما قيل ذلك بالنسبة الى الشمس وفي السحاب
 قيل بالنسبة الى الارض (المسئلة الثانية) ساقطا يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون
 مفعولا ثانيا يقال رأيت زيدا طالما (وثانيهما) أن يكون حالا كما يقال ضربته قائما
 والثاني أولى لان الرواية عند التعدي الى مفعولين في أكثر الامر تكون بمعنى العلم
 نقول أرى هذا المذهب صحيحا وهذا الوجه ظاهرا وعند التعدي الى واحد تكون بمعنى
 رأى العين في الأكثر نقول رأيت زيدا وقال تعالى لما رأوا بأسنا وقال قاترين من
 البشر أحد او المراد في الآية رؤية العين (المسئلة الثالثة) في قوله ساقطا فائدة لا تحصل
 في غير السقوط وذلك لان عندهم لا يجوز الانفصال على السموات ولا يمكن نزولها
 وهبوطها فقال ساقطا ليكون مخالفا لما يعتقدونه من وجهين (أحدهما) الانفصال
 (والآخر) السقوط واو قال وان يروا كسفا متفصلا أو معلقا لما حصلت هذه الفائدة
 (المسئلة الرابعة) في قوله يقولوا فائدة أخرى وذلك لانه يفيد بيان العناد الذي هو مقصود

سرد الآية وذلك لانهم في ذلك الوقت يستخرجون وجوها حتى لا يلزمهم التسليم فيقولون
 سبحانه قولاً من غير تقييد وعلى هذا يعتدل أن يقال ان يروا المراد العلم ليكون أدخل
 في العناد أي ادعوا ويتقوا ان السداد سافرة غيروا وعاندوا وقاروا هذا سبحانه
 من كرم (المسألة الخامسة) ان الله تعالى يقول سبحانه من كرم اشار الى انهم حين يعجزون
 عن الكذب ويطلبونهم أن يقولوا لم يقع شيء على ارض يرجعون الى التناويل
 الخبيثين وقوله من كرم أي من استعصم عن الكذب حتى لا يفتنهم كآتهم يدفعون عن أنفسهم
 ما يورث عارهم بأن لا يفتنوا به ولا ينجسوا به فلهذا لم يسم فيهم في هذا أذى مانع فيقولون انه
 ركاب بصير (المسألة السادسة) ان الساطع كذا الاشارة حيث لم يقل يقولوا هذا
 اشار الى خروجهم من الظهور الى الباطن فلا يستحيون ان يأتوا بما لا يليق معه من
 ما لا يليق به من كرم مع حذف الباء في قوله تعالى فأتوا من عند الكذب
 الخ في الآية من كرم من استعصم عن الكذب وان يفتنوا من كرم مع عوامهم استمرروا وهذا
 محال من حذف من الكلام ولا يلزم انه يقبل منه أو لا يقبل فيجعله ذا وجهين فادري الشكر
 على أحدهما قدسره بالآخر وان رأى القبول خرج براده ثم قال تعالى (فذرهم حتى
 يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) أي اذا تبين انهم لا يرجعون فدعهم حتى يلاقوا فيه
 مسائل (المسألة الاولى) فذرهم أمر كان يجب أن يقال لم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم
 جواز دعائهم الى الاسلام وليس كذلك والجواب عنه من وجوه (أحدها) ان هذه
 الآيات مثل قوله تعالى فأتوا من عند الكذب كالماتسوخة بآية القنال وهو
 ضعیف (ثانيها) ليس المراد الأمر وانما المراد التمهيد كما يقول سيد العبد الجاني لمن
 ينصحه دعه فانه سينال وبالجنائته (ثالثها) ان المراد من يعاند وهو غير معين والنبي
 صلى الله عليه وسلم كان يدع والحق على سبيل العموم ويجوز أن يكون المراد بالخطاب
 من لم يظهر عناده لامن ظهر عناده فلم يقل الله في حقه فذرهم ويدل على هذا انه تعالى قال
 من قبل فذكر فأنزلت بنعمة ربك يكلمن ولا يخفون وقال ههنا فذرهم فمن يذكرهم هم
 المشفقون الذين قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين ومن يذرهم الذين قالوا شاعر نثر بص به
 رب المنون الى غير ذلك (المسألة الثانية) حتى للغاية فيكون كأنه تعالى قال ذرهم الى
 ذلك اليوم ولا تكلمهم ذلك اليوم تجدد الكلام ونقول ألم أقل لكم ان الساعة آتية
 وان الحساب يقوم والعذاب يدوم فلا تكلمهم الى ذلك اليوم ثم كلهم لتعلمهم (ثانيها) ان
 المراد من حتى للغاية يستعمل فيها اللام كما يقول القائل لا تطعمه حتى يموت أي يموت
 لان اللام التي للغرض عندها ينتهي الفعل ان الذي للغرض فيوجد فيها معنى للغاية ومعنى
 التعليل ويجوز استعمال الكلمتين فيها وأما المراد من قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك
 اليقين ههنا أي الى أن يأتيك اليقين فان قيل في لا يذره أيضا يلاقي ذلك اليوم نقول
 المراد من قوله يصعقون يهلكون فالذكر المشفق لا يهلك ويكون مستغنى عنهم كما قال

(فذرهم حتى يلاقوا)
 وهرى حتى يلقوا
 (يومهم الذي فيه
 يصعقون) على البناء
 المنقول من صفة
 الصاعقة أو من صفة
 بفتح الياء والعين وهو
 يوم يصيبهم الصعقة
 بالمثل يوم يدر لا شفة
 الاولى كما قيل اذا
 لا يصعق به الامن كان
 حيا حينئذ ولان قوله
 تعالى

تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وقد ذكرنا حكاك أن من
 اعترف بالحق واعلم ان يوم الحساب كائن فاذا وقعت الصبيحة يكون كمن يعلم ان الرعد يرد
 ويستعد لسماعه ومن لا يعلم يكون كالغافل فاذا وقعت الصبيحة ارتجف الغافل وام
 يرتجف العالم حينئذ لا يكون الشروع بلاقاة يومهم لان كل أحد يلاقى يومه وانما يكون
 بلاقاة يومهم الذي فيه يصعقون أي اليوم الموصوف بهذه الصفة وهذا كما قال تعالى
 اولا أن تداركه نعمة من ربه لنبتذ بالعراء وهو مذموم فان الماتى ليس النبتذ بالعراء لانه
 تحقق بدليل قوله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانما الماتى النبتذ الذي يكون هو مدموم
 مذموما وهذا لم يوجد في المسئلة الثالثة حتى ينصب ما لمعهدها من الفعل المستقبل تارة
 ويرفع أخرى والغاصلي بينهما ان الفعل اذا كان مستقبلا متظرا لرفع في الحال ينصب
 تقول تعالت ان فقد حتى ترفع درجتى فانك تظنر وان كان حالاً يرفع تقول اكرر حتى
 تسقط صوتي ثم انما والسبب فيه هو أن حتى في المستقبل غاية ولازم التمايل للعرض
 والعرض غاية الفعل تقول لم تبني الدار يقول للسكنى ففسار قوله حتى ترفع كقوله لا ترفع
 وفيهما اضممار أن فلان قبل ما ذلت شيئا وما ذكرت السبب في النصب عند ارادة الاستقبال
 والرفع عند ارادة الحال نقول الفعل المستقبل اذا كان متظرا وكان نصب العيين
 ومذموم يابى الذم من يرقبه بفعل بالظن ما كان في معناه ولهذا غلب في الاضافة ان
 المضاعف المنجر امر الى امر في الحرف والظن الذي يؤيد ما كان في الحرف انما
 ينصب بأن ولا وكى واذن ويخلص الفعل الاستقبال في هذه الالفاظ والظن
 الذي يجعل الفعل في الحال يمنع النصب حيث لا يجوز أن تقول انما فلان انما فلان فلان
 السنين وسوف مع انهما يخلصان الفعل الاستقبال لا ينصبان وينان النصب بالنصب كما
 في قوله تعالى علم أن سيكون منكم مرضى نقول سوف والسين ليسا بمعنى غير اختصاص
 الفعل بالاستقبال وان وان بمعنى لا يصح الا في المستقبل فلم يثبت بالسين الا الاستقبال
 ولم يثبت به معنى في الاستقبال والمتظن هو ما في المستقبل لانفس الاستقبال مثله اذا
 قلت أعبد الله كي يغفر لي أو لا يغفر لي أثبتت في غرضنا وهو الغفرة وهي في المستقبل من
 الزمان واذا قلت استغفرك ربي أثبتت السين استقبال الغفرة وترق بين ما يكون المقصود
 من الكلام بيان الاستقبال لكن الاستقبال لا يوجد الآن معنى فأتى بالمعنى ليبين به
 الاستقبال وبين ما يكون المقصود منه معنى في المستقبل فتذكر الاستقبال الثمين محل
 مقصودك ثم قال تعالى (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) لانهم لا يقوا
 يومهم وكل يروا فجر يلاقى يومه أعاد صفة يومهم وذكر ما يميز به يومهم عن يوم المؤمنين
 فقال يوم لا يغني وهو يخالف يوم المؤمنين فانه تعالى قال فيه هذا يوم ينفع الصادقين
 وفيه مسائل (الاولى) في يوم لا يغني وجهان الاول بدل عن قوله يومهم فانها كما نظرت
 يلاقوا أي يلاقوا يومهم يوم فان قيل هذا يلزم منه أن يكون اليوم في يوم فيكون اليوم

(يوم لا يغني عنهم
 كيدهم شيئا) أي شيئا
 من الاغناء بدل من
 يومهم ولا يغني أن
 العرض ابيان عدم
 نفع كيدهم يستدعي
 استعمالهم له طوعا
 في الانتفاع به وليس
 ذلك الاماد يروه في
 امره صلى الله عليه
 وسلم من الكيد الذي
 من جعله منا صيته
 يوم يدر وأما النفقة
 انقول فليست مما يعبر
 في مرافقة الكيد
 والحل وقيل هم يوم
 موتهم وفيه ما فيه هم
 ما تأباه الاضافة المثبتة
 عن اختصاصه بهم
 (ولاهم نصرون) من
 جهة الغير في دفع
 العذاب عنهم

ظرف اليوم تقول هو على حد قول من يقول يأتي يوم قتل فلان يوم تبين جرائمه ولا مانع
 منه وقد ذكرنا بحث الزمان وجواز كونه ظرفا في قوله تعالى يومئذ وجواز اضافة اليوم
 الى الزمان مع انه زمان (المسئلة الثانية) قال تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم ولم يقل يوم
 لا يغنيهم كيدهم مع ان الاغناء يتعدى بتفسد لفائدة جلية وهي ان قول القائل اغثنائي
 كذا يفهم منه انه نفعتني وقوله اغني عني يفهم منه انه دفع عني الضرر وذلك لان قوله
 اغثنائي معناه في الحقيقة افادني غير مستفيد وقوله اغني عني أي لم يمتوجي الى الحضور
 فأغني غيري عن حضوري يقول من يطلب الامر خذوا عني وادى فانه يغني سني أي
 يغنيكم عني في دفع عني أيضا مشقة الحضور فتقوله لا يغني عنهم أي لا يدفع عنهم الضرر
 ولا شك ان قوله لا يدفع عنهم ضررا أبلغ من قوله لا ينفعهم نفعا وانما في الموت لو قال يوم
 يغني عنهم صدهم لما فهم منه نفعهم فقال يوم ينفع كأنه قال يوم يغنيهم صدهم بكانه
 استعمل في الموت يغنيهم وفي الكافر لا يغني عنهم وهو مما لا يطلع عليه الامر يكون
 عنده من علم البيان طرف ويتفكر بقرينة وقادة آيات الله ووفقه الله (المسئلة الثالثة)
 الاصل تقديم الفاعل على المفعول والاصل تقديم المفعول على المظهر أما في الاور فلان
 الفاعل متصل بالفعل ولهذا قالوا فعات فاسكنوا اللام فلا يلزم أربع حركات في
 كلمة واحدة وقاوا ضربك ولم يسكنوا لان الكاف ضمير المفعول وهو متصل وأما تقديم
 المضمر فلانه يكون أشد اختصارا فالك اذا قلت ضربني زيد يكون أقرب الى الاختصار
 من قولك ضرب زيد أي فان لم يكن هناك اختصار كقولك ضربني زيد ومرز يدي
 فالاولى تقديم الفاعل وههنا لوقل يوم لا يغنيهم كيدهم كان الاحسن تقديم المفعول
 فاذا قال يوم لا يغني عنهم صار كما قلنا في مرز يدي فلم لم يقدم الفاعل نقول فيه فائدة
 مستفادة من علم البيان وهو أن تقديم الهم أو لي فاو قال يوم لا يغني كيدهم كان السامع
 لهذا الكلام ربما يقول لا يغني كيدهم غيرهم فيرجو الخير في حقهم واذا سمع
 لا يغني عنهم انقطع رجاءه وانتظرا الامر الذي ليس بمن (المسئلة الرابعة) قد ذكرنا أن
 معنى الكيد هو فعل يسوء من نزل به وان حسن ممن صدر منه فما الفائدة في تخصيص
 العمل الذي يسوء بالذكر ولم يقل يوم لا يغني عنهم أفعالهم على الاطلاق نقول هو قياس
 بالطريق الاولى لانهم كانوا يأتون بفعل يسمى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وكانوا
 يعتقدون انه أحسن أعمالهم فقال ما أغني أحسن أعمالهم الذي كانوا يعتقدون فيه
 ليقطع رجاءهم عما دونه وفيه وجه آخر وهو انه تعالى لما قال من قبل أمر يديون كيدا
 وقد قلنا ان أكثر المفسرين على أن المراد به تدبيرهم في قتل النبي صلى الله عليه وسلم
 قالهم المكيدون أي لا ينفعهم كيدهم في الدنيا فاذا يفاون يوم لا ينفعهم ذلك
 الكيد بل يضرهم وقوله ولا هم ينصرون فيه وجوه (أحدها) أنه متمم بيان وجهه هوان
 الداهي أو لا يرتب أمور الدفع المكروه بحيث لا يحتاج الى الانتصار بالغير والمنة ثم اذا

لم ينفع ذلك بضر يا ذنوب فقال لا ينفعهم أعمالهم أنفسهم ولا ينصرهم غيرهم عند
 ابأس وخصوا ابأس عن اقبالهم (ثانيها) أن المراد منه ما هو المراد من قوله تعالى
 لا تغنى عن شفاعتهم شيئا ولا ينفعون بقوله يوم لا يغنى عنكم شيئا أى عبادتهم
 الاصنام وهو أنهم يومئذ شفعوا لأنهم كانوا يعبدونهم لا يغنى عنهم ولا لهم ينصرون
 أى لا ينصرونهم كما يشفع دافع العذاب العباد ما عدا الله أو ينصر ناصر (ثالثها) أن
 تقول المضافات كيدهم المضافة للمصدر أى المفعول لاضافته إلى الفاعل فكأنه قال
 لا يغنى عنهم كيد الشيطان لهم ويأثم هو بك قول العجبي ضرب زيد عمرا وأعجبي
 ضرب عمرا فإذا قصرت على المصدر والمضاف اليه كيدهم بالقرينة والنية فإذا سمعت
 قول الله تعالى أعجبي ضرب زيد نية أن يكون زيد ضاربا أو محتملا أن يكون مضروبا فإذا
 سمعت قوله تعالى أعجبي قطع أى على ممره دلت القرينة على أنه مضاف إلى المفعول
 فأقول هذا فاسم من حيث أنه اضمحاض لا يكيد كيد الله لا ينفع قطعها ولا يخفى
 ذلك على أحد فلا حاجة إلى بيان ذلك بل كالدخول على أن ينفع فقال تعالى ذلك لا ينفع
 نقول كذاب يعطون نياهم على عبادة الاصنام وهم كانوا يعطون نياهم تنفع وأما كيدهم
 الذى صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون أنه لا ينفع فى الآخرة وإنما طلبوا أن ينفعهم
 فى الدنيا والآخرة فكأن كذاب يعطون ما يحسنه الوعد الاول ولا شك على الوجهين
 جميعا إذ تفكرت فيما قلناه ثم علم أن الله تعالى (بارئ من ظلموا عذابا دون ذلك ولكن
 لم يعلموا) فى انفسهم كلام جهنم (أحدهما) متصل بقوله تعالى فذوقوا ذلك
 لأنه يدل على عدم جواز ائتمان وفدول أنه نازبا قبل شرح الشال وحينئذ كأنه قال
 فذوقوا ولا تنصروهم هذا مما من غير قتال بل من قبل يوم القيامة عذاب يوم بدر حيث أؤمروا
 بقتالهم فأكبر بيانهم هذا بفتح فذوقوا عذاب يوم بدر (ثانيهما) هو متصل بقوله
 تعالى لا يغنى وذلك لأنه ثابت أن كيدهم لا يغنى عنهم قال ولا يقتصر على عدم الإغناء بل
 اسم مع أن كيدهم لا يغنى بل آخر وهو العذاب المتعديهم وأقول لا يغنى عنهم كيدهم
 كان توهم أنه لا ينفع ولكن لا ينصر بل المقام مع ذلك وأن الذين ظلموا عذابا زال ذلك وفيه
 مسائل (المسئلة الأولى) الذين ظلموا هم أهل مكة أن عذاب العذاب هو عذاب يوم بدر وأن
 قلنا العذاب هو عذاب القبر فالذين ظلموا عام فى كل ظالم (المسئلة الثانية) ما المراد من
 انظلم ههنا نقول فيه وجوه (الاول) هو كيدهم بينهم والثاني عبادتهم الاوثان والثالث
 كفرهم وهذا مناسب للوجه الثاني (المسئلة الثالثة) دون ذلك على قول أكثر المفسرين
 معناه قبل ذلك ويؤيده قوله تعالى ولتدينهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر
 ويعمل وجهين آخرين (أحدهما) دون ذلك أى أقل من ذلك فى الدوام والشدة يقال
 الضرب دون القتل فى الايلام ولا شك أن عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة على هذا
 المعنى وعلى هذا فائدة التنبية على أن عذاب الآخرة العظيم وذلك لأنه إذا قل عذابا

(وأن الذين ظلموا) أى
 لهم ووضع الموصوف
 موضع الضمير لما ذكر
 من قبل أى وأنهم هؤلاء
 الظلمة (عذابا) آخر
 (دون ذلك) دون
 ما لا يقوه من القتل أى
 قبله وهو القسط الذى
 أصابهم سبع سنين
 أو ورأه كما فى قوله
 ترك القذى من دونها
 وهو دونها وهو عذاب
 القبر وما بعده من دنون
 عذاب الآخرة وقرئ
 دون ذلك قريبا (ولكن
 أكثرهم لا يعلمون) أن
 الأمر كما ذكر وفيه
 إشارة إلى أن فهم من
 يعلم ذلك وإنما ينصر
 على الكفر عنسادا أو
 لا يعلمون شيئا أصلا

دون ذلك أى قتلا وعذابا فى غير فيته كمر المتفكر ويقول ما يكون الشل دونه لا يكون
 الاعظيما فان قيل فهذا المعنى لا يمكن أن يقال فى قوله تعالى ولنديقتهم من العذاب الأدنى
 دون العذاب الاكبر قلنا نسلم ذلك ولكن لا مانع من أن يكون المراد ههنا هذا الثانى على
 طريقة قول القائل تحت لجأجت مفاسد ودون عرصك متاعب وبيانه هو انه لم يعبدوا
 غير الله ظلموا أنفسهم حيث وضعوها فى غير موضعها الذى خلقت له فقل لهم ان لكم
 دون ذلك الظلم عذابا (المسئلة الرابعة) ذلك اشارة الى ماذا تقول انظروا انه اشارة
 الى اليوم وفيه وجهان آخران (أحدهما) فى قوله بصعقون وقوله لا يغنى عنهم
 اشارة الى عذاب واقع وقوله ذلك اشارة اليه ويمكن أن يقال قد تقدم قوله ان عذاب
 ربك لو اقم وقوله دون ذلك أى دون ذلك العذاب (ثانيهما) دون ذلك أى كيدهم فذلك
 اشارة الى الكيد وقد بينا وجهه فى المثال الذى مثلنا وهو قول القائل تحت لجأجت
 حرمانك والله أعلم (المسئلة الخامسة) ولكن اكثرهم لا يعلمون ذكرنا فيه وجوها
 (أحدها) انه جرى على عادة العرب حيث تعبر عن الكل بالاكثر كما قال تعالى اكثرهم
 بهم مؤمنون ثم ان الله تعالى تكلم على تلك العادة ليعلم ان الله استحسنها من المتكلم حيث
 يكون ذلك بعيدا عن الخلف (ثانيها) منهم من آمن فلم يكن ممن لا يعلم (ثالثها) هم فى أكثر
 الاحوال لم يعلموا وفى بعض الاحوال علموا وأقله انهم علموا حال الكشف وان لم ينفعهم
 (المسئلة السادسة) مفعول لا يعلمون جاز أن يكون هو ما تقدم من الامر وهو أن لهم عذابا
 دون ذلك وجاز أن لا يكون له مفعول أصلا فيكون المراد أكثرهم غافلون جاهلون * ثم قال
 تعالى (فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا) وسبح بحمدي ربك حين تقوم) وقد ذكرناه فى تفسير
 قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمدي ربك قبل طلوع الشمس ونشير الى بعضه ههنا
 فان طول العهد ينسب فقول لما قال تعالى فذرهم ك كان فيه اشارة الى انه لم يبق فى
 نصحتهم نفع ولا سيما وقد تقدم قوله تعالى وان يروا كسفا من السماء وكان ذلك مما يحمل
 النبي صلى الله عليه وسلم على الدعاء كما قال نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من
 الكافرين ديارا وكادعا يونس عليه السلام فقال الله تعالى اصبر ووامر بدل اللعن بالتسبيح
 وسبح بحمدي ربك بدل قولك انهم اهلكهم الا ترى الى قوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا
 تكن كصاحب الحوت وقوله تعالى فانك باعيننا فيه وجوه (الاول) انه تعالى لما بين أنهم
 يكيدونه كان ذلك مما يقتضى فى العرف المبادرة الى اهلاكهم لئلا يتم كيدهم فقال اصبر
 ولا تخف فانك محفوظ باعيننا (ثانيها) انه تعالى قال فاصبر ولا تدع عليهم فانك بما رأى منا
 نراك وهذه الحالة تقتضى أن تكون على أفضل ما يكون من الاحوال لكن كونك مسيحا لنا
 أفضل من كونك داعيا على عباد خلقناهم فاخترنا الأفضل فانك بما رأى منا (ثالثها) أن
 من يشكو حاله عند غيره يكون فيه انباء عن عدم علم المشكوا اليه بحال الشاكي فقال
 تعالى اصبر ولا تشك حالك فانك باعيننا نراك فلا فائدة فى شكواك وفيه مسائل مختصة

(فاصبر لحكم ربك)
 بامهالهم الى يومهم
 الموصود وابقائك فيما
 بينهم مع مقاساة
 الاحزان ومعاناة
 اليوم (فانك باعيننا)
 أى فى حفظنا وحمايتنا
 بحيث نراقبك ونكلاك
 وجمع العين لجمع الضمير
 والابذان بغاية الاعتناء
 بالحفظ (وسبح) أى
 زهد تعالى عما لا يليق به
 ملتبها (بحمدي ربك)
 على نعمائه انفاضة
 للصبر (حين تقوم)
 من أى مكان وقت قال
 سعيد بن جبير وعطاء
 أى قل حين تقوم من
 مجلسك سبحانه اللهم
 وبحمدي وقال ابن
 عباس رضى الله عنهما
 معناه صل لله حين
 تقوم من منامك
 وقال الضحاك والربيع
 اذا قمت الى الصلاة
 قل سبحانك اللهم
 وبحمدي وتبارك
 اسمك وتعالى جدك
 ولا اله غيرك وقوله
 تعالى

بهذا الموضع لا توجد في قوله فاصبر على ما يقولون (المسئلة الاولى) اللام في قوله فاصبر
 لحكم تحمل وجوها (الاول) هي بمعنى الى أي اصبر الى أن يحكم الله (الثاني) الصبر فيه
 معنى الثبات فكانه يقول فثبت لحكم ربك يقال ثبت فلان لحمل قرنه (الثالث) هي
 اللام التي تستعمل بمعنى السبب يقال لم خرجت فيقال لحكم فلان على بالخروج فقال
 فاصبر واجعل سبب الصبر امتثال الامر حيث قال فاصبر أي فاصبر لهذا الحكم
 عليك لاشي آخر (المسئلة الثانية) قال ههنا بأعيننا وقال في موضع آخر وتصنع على
 ههنا نقول لما وجدنا ضمير هناك وهو ياء المتكلم وحده وحده العين ولما ذكر ههنا ضمير
 الجمع في قوله بأعيننا وهو النون جمع العين وقال بأعيننا هذا من حيث اللفظ وأما من
 حيث المعنى فلان الحفظ ههنا أتم لان الصبر مطية الرحمة بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث
 اجتمع له الناس وجمعوا له مكاييد وتشاوروا في أمره وكذلك أمره بالفلك وأمره بالاتخاذ
 عند عدم الماء وحفظه من الفرق مع كون كل البقاع مغمورة تحت الماء تحتاج الى حفظ
 عظيم في نظر الخلق فقال بأعيننا (المسئلة الثالثة) ما وجدنا تعلق الباء ههنا قلنا قد ظهر
 من جميع الوجوه أمان قلنا بأنه للحفظ فتقديره محفوظ بأعيننا وإن قلنا للعلم فغناه بما رأى
 من أي يمكن نراك وتقديره فانك بأعيننا مرئي وحينئذ هو كقول القائل رأيته بمعنى كما
 يقال كتب بالفلم الآلة وإن كان رؤية الله ليست بآلة فان قيل فما الفرق في الموضعين
 حيث قال في طه على عيني وقال ههنا بأعيننا وما الفرق بين علي وبين الباء نقول معنى على
 هناك هو انه يرى على ما يرضاه الله تعالى كما يقول افعله على عيني أي على رضاي تقديره
 على وجه يدخل في عيني والنفث اليه فان من يفعل شيئا غيره ولا يرضيه لا ينظر فيه ولا
 يغلب عينه اليد والباء في قوله وسبح بحمديك قد ذكرناها وقوله حين تقوم فيه وجود
 (الاول) تقوم من موضعك والمراد قبل القيام حين ما تعزم على القيام وحين مجي القيام
 وقد ورد في الخبر أن من قال سبحان الله من قبل أن يقوم من مجلسه يكتب ذاك كفارة
 لما يكون قد صدر عنه من اللفظ والنعو في ذلك المجلس (الثاني) حين تقوم من النوم وقد
 ورد أيضا فيه خبر يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يسبح بعد الانبأه (الثالث) حين
 تقوم الى الصلاة وقد ورد في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في افتتاح الصلاة
 سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك (الرابع) حين تقوم
 لأمر ما ولا سيما إذا قامت متصليا لمجاهدة قومك ومعاداتهم والدعاء عليهم فسبح بحمديك
 وبذل قيامك للمعاداة وانتصابتك للانتقام بقيامك إذ كراهته وتسبيحه (الخامس) حين
 تقوم أي بالنهار فان الليل محل السكون والنهار محل الاتقاء وهو بالقيام أولى وعلى هذا
 يكون كقوله ومن الليل فسبحه إشارة الى ما بقي من الزمان وكذلك ادبار النجوم وهو اول
 الصبح * وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) قد تقدم تفسيره وهو كقوله تعالى
 فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقد ذكرنا فائدة الاختصاص بهذه الاوقات

(ومن الليل فسبحه)

افراد بعض الليل

بالتسبيح لما أن العبادة

فيه أشق على النفس

وأبعد عن الرياء

كما يوضح به تقديمه على

الفعل (وادبار النجوم)

أي وقت ادبارها

من آخر الليل أي غيبتها

بضوء الصباح وقيل

التسبيح من الليل

صلاة العشاء في

وادبار النجوم صلاة

الفجر وقرئ أدبار

النجوم بالفصح أي

في أعقابها إذا غربت

أو خفيت * عن النبي

عليه الصلاة والسلام

من قرأ سورة الطور

كان محققا على الله تعالى

أن يؤمنه من عذابه

وأزينه في جنة

* (سورة النجم مكية
وأيها احدي أو اثنان
وستون*)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم اذا هوى)

المراد بالنجم اما النزيا
فانه اسم غالب له أو جنس

النجوم ويهوى به

غروبه وقيل طلوعه

يقال هوى هو يابوزن

قبول اذا غرب وهو يابوزن

بوزن دخول اذا علا

وصعد وأما النجم

من نجوم القرآن

فهو به نزوله والعامل

في اذا فعل القسم فانه

بمعنى مطلق الوقت

منسلخ من معنى الاستقبال

كما في فوالك آتيك اذا

احمر اليسرى في الاقسام

بذلك على نزاهته عليه

الصلاة والسلام

عن شأبة الضلال

والغواية من البراعة

البديعة وحسن الموقع

مالا غاية وراءه أما عن

الاولين فلأن النجم

شأنه أن يهتدى به

السارى الى مسالك

النبي كما أنه قيل

والنجم الذي يهتدى

به السابلة الى سواء

ومعناه ونختتم هذه السورة بفائدة وهي أنه تعالى قال ههنا وإدبار النجوم وقال في ق وإدبار
السجود ويحتمل أن يقال المعنى واحد والمراد من السجود جمع ساجد والنجوم سجود
قال تعالى والنجم والشجر يسجدان وقيل المراد من النجم نجوم السماء وقيل النجم مالا
ساقله من النبات قال الله تعالى وفيه يسجد من في السماوات ومن في الأرض أو المراد
من النجوم الوظائف وكل وظيفة نجم في لغة أي اذا فرغت من وظائف الصلاة فقل
سبحان الله وقد ورد في الحديث من قال عقيب الصلاة سبحان الله عشر مرات والحمد لله
عشر مرات وآية أكبر عشر مرات كتب له ألف حسنة فيكون المعنى في النواصين
واحدا لأن السجود من الوظائف والشهور الظاهر المراد من إدبار النجوم وقت
الصبح حيث يدبر النجم ويخفي فيذهب ضياءه وضوء الشمس وحدهما يتبين ما ذكرنا من
الوجه الخامس في قوله -ين تقوم أن المراد منه النهار لأنه محل القيام ومن الليل النذر
الذي يكون الإنسان يقفان فيه وإدبار النجوم وقت الصبح فلا يخرج عن التفسير إلا
وقت النوم وهذا آخر تفسير هذه السورة والله أعلم والحمد لله رب العالمين صلى الله
على سيدنا محمد وآله وسلم

(سورة النجم ستون آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم اذا هوى) وقبل الشروع في التفسير تقدم مسائل ثم تفرغ للتفسير وان لم تكن
منه (الاولى) أول هذه السورة مناسب لا آخر ما قبلها نفسها ومعنى أما الملقط فلأن ختم
والطور بالنجم وافتتاح هذه بالنجم مع ما هو التسمي وأما الذي فتعول لله تعالى لما قال
لنبيه صلى الله عليه وسلم ومن الذين فسجدوا وإدبار النجوم بين أنه برأه في أجزاء مكية
النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم وبعده فقال ما ضل صاحبكم وما غوى (المسئلة الثانية)
السور التي تقدمت وافتتاحها بالاسم بالاسم دون الحروف هي والصفار والذاريات
والطور وهذه السورة بعدها فلا يلى فيها القسم لاثبات الوجدانية كما قال تعالى ان
الهمكم لواحد وفي الثانية لوقوع الحشر والجزاء كما قال تعالى انما توعدون الصادق وان
الدين لواقع وفي الشامة لدوام العذاب بعد وقوعه كما قال تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله
من دافع وفي هذه السورة النبوة النبي صلى الله عليه وسلم تكمل الاصول الثلاثة
الوجدانية والحشر والنبوة (المسئلة الثالثة) أم يقسم الله على الوجدانية ولا على النبوة
كثير أما على الوجدانية فلأنه أقسم بأمر واحد في سورة الصافات وأما على النبوة
فلأنه أقسم بأمر واحد في هذه السورة وأمرين في سورة الضحى وأكثر من القسم
على الحشر وما يتعلق به فان قوله تعالى والليل اذا
وقوله تعالى والسماء ذات البروج الى غير ذلك كلها
دلائل الوجدانية كثيرة كلها عناية كما قيل

وفكل شيء له آية * تدل على أنه واحد

ودلائل الشبهة أيضا كثيرة وهي المعجزات المشهورة والمواترة وأما المشرفا مكانه ثبت
باعتدال أمر وقوعه فلا يمكن اثباته إلا بالسمع فأكثر القسم ليقطع به المكلف ويضيقه
اعتقاد جازما وأما تفسير عقيد مسائل (القول) الواو القسم بالنجم أو برب النجم ففيه
خلاف منه أنه والأظهر أنه قسم النجم يقال ليس قسم في الأصل حرف أسلاكن الباء
والواو استعمالا في معنى عارض وذلك لأن الباء في أصل القسم من الباء التي لا تصادق
والأصل منه فكما يقول القائل استعنت بالله يقول أقسمت بالله وكل قول أقوم به من الله
على العبد يقول أقسم بحق الله فالباء فيها بمعنى كما قول كذا بالله فالباء فالباء في الحقيقة
ليست للقسم غير أن القسم كثر في الكلام فاستغنى عن ذكر غيره ثم كثر فلم يستغن عنه
فأذا قال القائل بحق زيد فهم منه القسم لأن الماد وكما هو شأنه من حيث يدخل بحق زيد أو
أذهب بحق زيد أو لم يقسم بحق زيد المذكور كذا كثر في هذه الأقسام إلى الاستغناء فلما
لم يذكر شيء من المذنب الشهرة والاستغناء وذلك ليس بغير قسم فعم أن المذنب فعل
القسم فكانه ما كان القسم بحق فالباء في الأصل ليس قسم لكن بعرض ما ذكرنا من
الكثرة والاشتغال قبل الباء بالقسم ثم إن الكلام في حرف عطف هو ما ينشأ عن التباس فاني
إذا قلت بالله توخف السامع فإن سمع بعد فملا غير القسم كذا الباء استعملت وبالله قدرت
وبالله استعملت لا يجعله على القسم وإنما يسمع منه على القسم التماس توهم وجود
ذلك اللفظ ولم يسمع أمالان توهم أني ذكرت مع قول بالله شيء آخر وما سمعته وأيضاً
يتوقف فيه على التماس توهم فإذا أراد المتكلم الحكيم الذهاب ذلك مع الاحتجاج بترك
ما استعمل منه وهو فعل القسم أبداً الباء بالباء وذلك والله فتكلامه بربني كلمة الله لا شيء كلمة
الله وإنما من من التباس فالإشياء في أوائل الكلمات قد تكون أصلية وقد تكون
للخطاب وتأيد فلما قسم بحرف التاء من اسمه داعي أراعي أو هادي أراعي يقول
تداعي أو تارعي أو تهادي أو تعادي في التباس وكذا في اسم روم أو توران إذا قلت
تورم أو توران على أنك تقسم بالباء تباس بباء الخطاب وإنما ثبت في الاستقبال
فأبدلها وأما يقال عليه الشك (القول) مع الواو أي من الالتباس نقول ولي فتنبس
الواو أصلية باتي القسم لا ما نقول ذلك لم يلزم في ذهبنا إليه وإنما كل ذلك في الواو حيث
يدل وينبئ عن ضعف وإن لم يستعمل الواو في القسم كيف وذلك في الباء التي هي كالأصل
محقق تقول برام في جمع برمة وبهمام في جمع بهممة وبغال للبه الباء الأصلية التي في
البغال والبرام بالباء التي تلاصقها بقولك ما رأيت فتقول ببال وأما الباء لما استعملت
للقسم لزم من ذلك الاستعمال الالتباس حيث لم يكن من قبل حرفاً من الأدوات كالباء
والواو (والاشكال الثاني) لم تركت الباء مما دلت التباس فيه كقولك تارحيم وتالحميم
نقول نسا كل كلمة الله في غاية الشهرة والظهور استعملت أثناء فيها على خلاف

(ماضل صاحبكم) أي
ما عدل عن طريق
الحق الذي هو مسلك
الآخرة (وماغوى)
أي وما اعتد بالافط
أي سوف غاية الهدى
والرشد وليس مما توهموه
من الضلال والغبوة
في شيء أصلاً وأما على
البناء فلأنه تنويه
بشأن القرآن كما أشير
إليه في مطلع سورة
يس وسورة الزخرف
وتنبيه على مناط الهدى
تليد أصلاً والسلام
ومدار رشاده كأنه
قول القرآن الذي هو
أقرب البداية إلى مناهج

الاصل بمعنى لم يحز أن يقاس عليها الا ما يكون في شهرتها وأما غيرها فربما يخفى عند البعض فان من لم يسمع الرحيم وسمع في الندوة ترحيم بمعنى قطع ر بما يقول ترحيم فعل وفاعل أو فعل ومفعول وان كان ذلك في غاية البعد لكن الاستواء في الشهرة في المنقول منه والمنقول اليه لازم ولا مشهور مثل كلمة الله على أنا نقول لم قلت ان عند الأمن لا تستعمل الا ترى انه نقل عن العرب رب الكعبة والذي يؤيد ما ذكرنا أنك تقول أقسم بالله ولا تقول أقسم بالله لان اثناء فيه مخافة الالتباس عند حذف الفعل من القسم وعند الايمان به لم يخف ذلك فلم يحز (المسئلة الثانية) الا لام في قوله تعالى والنجيم لتعريف العهد في قول وتعرف الجنس في قول والاول قول من قال والنجيم المراد منه الثريا قال قائلهم ان بد النجم عشيا * اتبعني الراعي كسبا

والثاني فيه وجوه (أحدها) النجم هو نجم السماء التي هي ثابتة فيها للاهتداء وقيل لابل النجوم المنقضة فيها التي هي رجوم للشياطين (ثانيها) نجوم الارض وهي من النبات ما لا ساق له (ثالثها) نجوم القرآن، مذكور مناسبة كل وجه ونبين فيه المختار منها أما على قولنا المراد الثريا فهو أظهر النجوم عند الراي لانه علامة لا يلتبس بغيره في السماء ويظهر لكل واحد والنبي صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بآيات بينات فأقسم به ولان الثريا اذا ظهرت من المشرق بالكرحان ادراك الثمار واذا ظهرت بالعشاء واخر الخريف تقل الامراض والنبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر قل الشك والامراض القلبية وأدركت الثمار الحكمية والحلية وعلى قولنا المراد هي النجوم التي في السماء للاهتداء نقول النجوم بها الاهتداء في البراري فأقسم الله بها لما بينهما من المشابهة والمناسبة على قولنا المراد الرجوم من النجوم فالنجوم تبع الشياطين عن أهل السماء والانباء يبعدون الشياطين عن أهل الارض وعلى قولنا المراد القرآن فهو استدلال بمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم على صدقه وبرائه فهو كقوله تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم ماضيات ولا غيوب وعلى قولنا النجم هو النبات فنقول النبات به ثبات القوى الجسمانية وصلاتها والقوة العقلية أولى بالاصلاح وذلك بالرسول وايضاح السبيل ومن هذا يظهر أن المختار هو النجوم التي هي في السماء لانها أظهر عند السامع وقوله اذا هوى ادل عليه ثم بعد ذلك القرآن أيضا فيه ظهور ثم الثريا (المسئلة الثالثة) انقول في والنجم ~~نقول~~ في النور حيث لم يقل والنجوم ولا الاطوار وقال والذاريات والمرسلات وقد تقدم ذكره (المسئلة الرابعة) ما الفائدة في تقييد القسم به وقت هو به نقول النجم اذا كان في وسط السماء يكون بعدا عن الارض لا يهتدى به السارى لانه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال فاذا زال تبين بزواله جانب المغرب من المشرق والجنوب من الشمال كذلك النبي صلى الله عليه وسلم خفف جناحه للمؤمنين وكان على خلق عظيم كما قال تعالى والما على خلق عظيم وكما قال تعالى فبما رحمة من الله

الدين ومسالك الحق
ماضل عنها محمد عليه
الصلاة والسلام
وما غوى والخطاب
لقر يش وايراده عليه
الصلاة والسلام
بعنوان صاحبه اهتم
للإيدان بوفوفهم
على تفاصيل أحواله
الشريفة واحاطتهم
خبراء به عليه
الصلاة والسلام
بغاية الهدى والرشاد
فان طول صحتهم له
عليه الصلاة والسلام
ومشاهدتهم لمحاسن
شؤنه العظيمة مفتضية
لذلك حتما

لست اهتم واول كنت فظا غليظ اقلب لانفضوا من حولك فان جئنا الاهتداء بالنجيم اذا كان
على أفق المشرق كما نهداه به اذا كان على أفق المغرب فلم يبق ما ذكرت جوابا عن السؤال
نقول الاهتداء بالنجيم وهو ما نل الى المغرب أكثر لانه يهدي في الطريقين النديوى والندينى
أما النديوى فلما ذكرنا وأما الندينى فكما قال الخليل لأحب الآفلين وفيه لطيفة وهي
أن الله لما أقسم بالنجم شرفه وعظمه وكان من المشركين من يعبده فيقرن بتعظيمه وصفا
يدل على أنه لم يبلغ درجة العبادة فانه هو أفل * ثم قال تعالى (ما ضل صاحبكم وما غوى)
أكثر المفسرين لم يفرقوا بين الضلال والغى والغى الذى قاله بعضهم عند محاولة الفرق ان
الضلال في مقابلة الهدى والغى في مقابلة الرشدا قال تعالى وان يروا سبيلا الرشدا لا يتخذوه
سبيلا وان يروا سبيلا الغى يتخذوه سبيلا وقال تعالى قد تبين الرشدا من الغى وتحقيق القول
فيه أن الضلال أعم استعمالا في الوضع تقول ضل بعمرى ورحلى ولا تقول غوى فالمراد من
الضلال ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا أصلا والغواية أن لا يكون له طريق الى
المقصد مستقيما بذلك على هذا انك تقول المؤمن الذى ليس على طريق السداد انه سفيه
غير رشيد ولا تقول انه ضال والضال كالكافر والغاوى كالفاسق فكأنه تعالى قال ما ضل
أى ما كفر ولا أقل من ذلك ففاسق وبؤيد ما ذكرنا قوله تعالى فان أنستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم أموالهم او تقول الضلال كالأعمى والغواية كالوجود الفاسد في الدرجة
والمرتبة وقوله صاحبكم فيه وجهان (الاول) سيدكم والآخري صاحبكم يقال صاحب
البيت ورب البيت ويحتمل أن يكون المراد من قوله ما ضل أى ما جن فان المجنون ضال
وعلى هذا فهو كقوله تعالى والقلم وما يسطرون ما أنت بمعذر بك مجنون وان لك لأجرا
غير ممنون فيكون إشارة الى انه ما غوى ل هو رشيد مرشدا ل على الله ما رشدا آخر كما قال
تعالى قل ما أسئلكم عليه من أجر وقال ان أجرى الأعلى الله وقوله تعالى وانك لعلى خلق
عظيم إشارة الى قوله ههنا (وما ينطق عن الهوى) فان هذا خلق عظيم انبئين الترتيب
فتقول قال أولا ما ضل أى هو على الطريق وما غوى أى طر يقه الذى هو عليه مستقيم وما
ينطق عن الهوى أى هو راكب متنه أخذ سمت المقصود وذلك لان من يسلك طريقا يصل
الى مقصده فربما يبتلى بلا طريق وربما يجد اليه طريقا بعيدا فيه مناعب ومهالك وربما
يجد طريقا واسعا مائلا لكنه يميل بمنته وبسرة فيبعد عنه المقصد ويتأخر عليه الوصول
فاذا سلك الجادة وركب متنها كان أسرع وصولا ويمكن أن يقال وما ينطق عن الهوى
دليل على انه ما ضل وما غوى تقديره كيف يضل أو يغوى وهو لا ينطق عن الهوى وانما
يضل من يتبع الهوى ويدل عليه قوله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فان قيل
ما ذكرت من الترتيب الاول على صيغة الماضي في قوله ما ضل وصيغة المستقبل في قوله
وما ينطق في غاية الحسن أى ما ضل حين اعتزل لكم وما تعبدون في صغره وما غوى بخين
اختلى بنفسه ورأى في منامه ما رأى وما ينطق عن الهوى الآن حيث أرسل اليكم

وتقيد القسم بوقت
الهوى على الوجبة
الاخير ظاهر وأما على
الاولين فلان النجم
لا يهتدى به السارى
عند كونه في وسط
السما ولا يعلم المشرق
من المغرب ولا الشمال
من الجنوب وانما
يهتدى به عند هبوطه
او صعوده مع ما فيه
من كمال الظاهية لما
يحدثكى من تدلى جبريل
من الافق الاصل ودنوه
منه عليهم السلام
هذا هو اللائق بشأن
التنزيل الجليل وأما
حل هويه على الظاهر

وجعل رسولا شاهدا عليكم فلم يكن أول اضلال ولا غاويا وصار الآن منذ ان اضلاله
ومر شواهدا على ما ذكرنا ان تقديره كيف بطل وهو لا ينطق عن الهوى فلا توافقه
الصيغة في الدليل وبيانه ان الله تعالى يسمون من يريد ارساله في صفه عن الكفر والعيب
التي هي كالمسرفة والزنا واعتبار الكذب فقال تعالى ما ضل في صفه لانه لا ينطق عن الهوى
واحسن ما قيل في تفسير الهوى انها المحبة لكن في النفس يقال هو يتبعه بعو احييته
لكن المعروف ان في الهوى تدل على التهو والتزول والسطوط وعند الهوى بالهوى اذا
كانت دنيئة وتركت الهوى والحققت بالفساد فقد هوت فاختص الهوى بالنفس
الامارة بالسوء والبركة لله الهوى بل ان ما فيه من السفالة لكن الاستعمال بعد استعمال
استعمال القرآن حيث لم يستعمل الهوى الا في الموضع الذي يختلف المحبة فالهوى استعمال
في موضع المسح وذي يدل على ما ذكرنا قولا تعالى فأما من طغى وآراية الدنيا في قوله
وهي النفس عن الهوى اشارة الى ما هو مرتبة النفس * ثم قال تعالى (ا هو الاوحى يوحى)
بكلمة البيان وذلك انه تعالى لما قل ما ينطق عن الهوى كان قائدا على ما ينطق
عن الدليل أو الاجتهاد فقال لا وانما ينطق عن الله بالوحى وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
ان الاستعمالات مكان ما تنى كما استعملت ما لشرط مكان ان قال تعالى ما تنسخ من آية
نأت بغير منها والمشاكلة بينهما من حيث اللفظ والمعنى أما اللفظ فلان الله من الهمة
والثبوت وما من اليهم والافتقار والحق كاهمة والنون كالهم اما الاول فبديل جواز انقلاب
وأما الثاني فبديل جواز الادغام ووجوبه وأما المعنى فلان ان تدل على ان في من وجه
وعلى الاثبات من وجه ولكن دلالتها على ان في أقوى وأبلغ لان الشرط والجزاء في صورة
استعمال لفظة ان يجب ان يكون في الحال معدوما اذا كان المقصود الحث او المنع فتقول
ان تحسن ذلك الثواب وان تسي تلك العذاب وان كان المراد بيان حال القسمين كشكوك
فيهما كقوتك ان كما بهذا الغرض لاجل ما فيه ضعف وان كان جوهر افعين الف فهنا
وجود شيء منهما غير معلوم وعدم العلم حاصل وعدم العلم فهنا كعدم الحصول في الحث
والمنع فلا بد في صور استعمال ان من عدم اما في الامر واما في العلم وأما في الوجود فذلك
عند وجود الشرط في بيان العلم وهذا قال التحيه لا يحسن ان يقال ان احراز السرآتك
لان ذلك امر سبوجد لا محالة وجوزوا استعمال ان في ما لا يوجد أصلا يقال في قطع الرجاء
ان ايض القار تغلبني قال الله تعالى فان استقر مكانه فسوف تراني ولم يوجد الاستقرار
والا روية فعلم ان دلالة على ان في اتم دار مدلول مدلول ما أقرب فاستعمل أحدهما
مكان الآخر هذا هو الظاهر وما يقال ان وما حرفان فافيان في الاصل فلا حاجة الى
الترادف (المسئلة الثانية) هو ضمير معلوم أو ضمير مذكور نقول فيه وجهان (أشهرهما)
أنه ضمير معلوم وهو القرآن كأنه يقول ما ان القرآن الاوحى وهذا على قول من قال النجم
ليس المراد منه القرآن وأما على قول من يقول هو القرآن فهو عائد الى مذكور (الوجه

يوم القيامة أو على
القضاض النجم الذي
يرجم به أو جعل النجم
على اثبات وحمل
هو به على سقوطه
على الارض أو على
ظهوره من غما لا يناسب
المقام (وما ينطق عن
الوحى) أى وما يسمو
نطقه بالقرآن عن هواء
ورأيه أصلا فان المراد
استقرار في النطق عن
الهوى لا في استقرار
النطق عنه كما مر مرارا
(ان هو) أى ما الذي
ينطق به من القرآن
(الواوحى) من الله
تعالى وقوله تعالى
(يوحى) صفة مؤكدة
لوحى رافعة لاحتمال
الجواز مقيدة للاستقرار
الجبدي

الثاني) أنه عائد الى المذكور ضمنا وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم وكلامه وذلك لان قوله تعالى وما ينطق عن الهوى في ضمنه النطق وهو كلام وقول فكانه تعالى يقول وما كلامه وهو نطقه الاوحى وفيه وجه آخر بعد وأدق وهو أن يقال قوله تعالى ماضل صاحبكم قد ذكر أن المراد منه في وجه أنه ما جن وما مسه الجن فليس بكاهن وقوله وما هوى أى ليس بينه وبين الغواية تعلق فليس بشاعر فان الشعراء يتبعهم الغاؤون وحينئذ يكون قوله وما ينطق عن الهوى ردا عليهم حيث قالوا قوله قول كاهن وقالوا قوله قول شاعر فقال ما قوله الاوحى وليس بقول كاهن ولا شاعر كما قال تعالى وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون (المسئلة الثالثة) الوحي اسم أو مصدر نقول يحتمل الوجهين فان الوحي اسم معناه الكتاب ومصدر وله معان منها الارسال والالهام والكتابة والكلام والاشارة والافهام فان قلنا هو ضمير القرآن فالوحي اسم معناه الكتاب كانه يقول ما القرآن الا كتاب ويوحى بمعنى يرسل ويحتمل على هذا أيضا أن يقال هو مصدر رأى ما القرآن الارسال والهام بمعنى المفعول أى مرسل وان قلنا المراد من قوله ان هو قوله وكلامه فالوحي حينئذ هو الالهام بمعنى ملهم أى كلامه ملهم من الله أو مرسل وفيه مباحث (البحث الاول) الطاهر خلاف ما هو المشهور عند بعض المفسرين وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان ينطق الا بوحى ولا حجة لمن توهم هذا في الآية لان قوله تعالى ان هو الاوحى يوحى ان كان ضمير القرآن فظاهر وان كان ضميرا عائدا الى قوله فالمراد من قوله هو القول الذى كانوا يقولون فيه انه قول شاعر ورد الله عليهم فقال ولا يقول شاعر وذلك القول هو القرآن وان قلنا بما قالوا به فينبغى أن يفسر الوحي بالالهام (البحث الثانى) هذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يجتهد وهو خلاف الظاهر فانه في الحروب اجتهد وحرم ما قال الله لم تحرم واذن لمن قال تعالى عفا الله عنك لم أذن لهم نقول على ما ثبت لا تدل الآية عليه (البحث الثالث) يوحى يحتمل أن يكون من وصى يوحى ويحتمل أن يكون من أوحى يوحى تقول عدم وعدم وأعدم بعدم وكذلك علم يعلم وأعلم بعلم فتقول يوحى من أوحى لا من وصى وان كان وصى وأوحى كلاهما جاء بمعنى ولكن الله في القرآن عند ذكر المصدر لم يذكر الالحاء الذى هو مصدر أوحى وعند ذكر الفعل لم يذكر وصى الذى مصدره وصى بل قال عند ذكر المصدر الوحي وقال عند ذكر الفعل أوحى وكذلك القول في حب واحب فان حب واحب بمعنى واحد والله تعالى عند ذكر المصدر لم يذكر في القرآن الاحباب وذكر الحب قال أو أشد حبا وعند الفعل لم يقل حبه الله بل قال يحبهم ويحبونه وقال ألحب أحدكم وقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الى غير ذلك وفيه سر من علم الصرف وهو أن المصدر والفعل الماضى الثلاثى فيهما خلاف قال بعض علماء الصرف المصدر مشتق من الفعل الماضى والماضى هو الاصل والدليل عليه وجهان لفظى ومعنوى أما اللفظى فانهم يقولون مصدر فعل يفعل اذا كان متعديا فعل بسكون العين واذا كان لازما

(علمه شديد القوى)
أى ملك شديد قواه
وهو جبريل عليه
السلام فانه الواسطة
في ابداء الخوارق
وناهيك دليلا على
شدة قوته أنه قلع قري
قوم لوط من الماء الاسود
الذى هو تحت الثرى
وحملها على جناحه
ورفعها الى السماء
ثم قلبها وساح ثود
صبيحة فاصبحوا جاثمين
وكان هبوطه على الانبياء
وصوده في أسرع من
رجعة الطرف (ذو
مرة) أى حصة في
عقله ورأيه ومناة
في دينه (فاسنوى)
عطف على علمه
بطريق التفسير فانه الى

قوله تعالى ما أوحى بيان
لكيفية التعليم أى
فاستقام على صورته
التي خلقه الله تعالى
عليه ادون الصورة التي
كان يمثل بها كلما هبط
بأنوحى بذلك أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أحب أن يراعى صورته
التي جبل عليها وكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحراء فطام له
جبريل عليه السلام
من المشرق فسد
الأرض من المغرب
وملا الأفق فخر رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فنزل جبريل عليه
السلام في صورة
الآدميين

فمفول في الأكثر ولا يتناولون الفعل الماضي من مفول فعل وهذا دليل ما ذكرنا وأما
المعنى فلأن ما يوجد من الأمور لا يوجد الزو هو خاص وفي ضمنه العام مثله الإنسان
الذي يوجد ويتحقق يكون زيدا أو عمرا أو غيرهما ويكون في ضمنه أنه هندی أو تركي
وفي ضمن ذلك أنه حيوان وناطق ولا يوجد ولا إنسان ثم يصير تركيا ثم يصير زيدا أو عمرا
إذا علمت هذا فالفعل الذي يتحقق لا ينفك من أن يكون ماضيا أو مستقبلا وفي ضمنه
أنه فعل مع قطع النظر عن مضيد واستقباله مثله الضرب إذا وجد فاما أن يكون قد
معنى أو بعد لم يعض والاول ماض والثاني حاضر أو مستقبل ولا يوجد الضرب من
حيث أنه ضرب خاليا عن الضي والحضور والاستقبال غير أن العاقل يدرك من فعل
وهو يفعل الآن وسيفعل غدا أمرا مشتركا فيسميه فعلا وكذلك يدرك في ضرب وهو
يضرب الآن وسيفضرب غدا أمرا مشتركا فيسميه ضربا فاضرب يوجد أولا ويستخرج
منه الضرب والالفاظ وضعت لامور تتحقق فيها فيعبر بها عنها والامور المشتركة لا تتحقق
الافى ضمن أشياء أخر فالوضع أولا لما يوجد منه لا يدرك منه قبل المضرب وهذا ما يمكن
أن يقال لمن يقول الماضي أصل والمصدر مأخوذ منه * وأما الذي يقول المصدر أصل
والماضى مأخوذ منه فله دلائل منها أن الاسم أصل والفعل متفرع والمصدر اسم ولأن
المصدر معرب والماضى مبنى والاعراب قبل البناء ولأن قال وقال وراع وراع إذا أردنا
الفرق بينهما ما اردنا بنيتهما الى المصدر اة ول قال الالف متقلبة من واو بدليل القول
وقال أله تنقابة من ياء بدليل القيل وكذلك الروع والربع وأما المعقول فلان
الالفاظ وضعت للامور التي في الازدهان والعام قبل الخاص في الذهن فان الموجود
إذا أدرك منه يقول المدرك هذا الموجود جوهر أو عرض فاذا أدرك أنه جوهر يقول
انه جسم أو غير جسم عند من يجعل الجسم جوهرًا وهو لا يصح الاظهر ثم إذا أدرك كونه
جسمًا يقول هو نام وكذلك الامر الى أن ينتهي الى أخص الأشياء أن أمكن الانتهاء اليه
بالقسيم فالوضع الاول الفعل وهو المصدر من غير زيادة ثم إذا انضم اليه زمان تقول
ضرب أو سيضرب فالمصدر قبل الماضي وهذا هو الاصح إذا علمت هذا فنقول على
مذهب من يقول المصدر في الثلاثي من الماضي فالحب وأحب كلاهما في درجة واحدة
لان كلاهما من حب بحب والمصدر من الثلاثي قبل مصدر المنشعبة بمرتبة وعلى مذهب من
يقول الماضي في الثلاثي مأخوذ من المصدر فالمصدر الثلاثي قبل المصدر في المنشعبة
بمرتبتين فاستعمل مصدر الثلاثي لانه قبل مصدر المنشعبة وأما الفعل في أحب وأوحى
فلان الالف فيهما تفيد فائدة لا يفيدها الثلاثي المجرد لان أحب أدخل في التعدية وأبعد
عن توهم الازوم فاستعمله (المسئلة الرابعة) ان هو الاوحى أبلغ من قول القائل هو وحى
وفيد فائدة غير المبالغة وهي أنهم كانوا يقولون هو قول كاهن هو قول شاعر فارادنى قولهم
وذلك يحصل بصفة التي فقال ما هو كناية ولون وزاد فقال بل هو وحى وفيه زيادة فائدة

أخرى وهو قوله يوحى وذلك كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه وفيه تحقيق الحقيقة
 فان القوس الشديد العدور بما يقال هو طائر فاذا قال يطير بجناحيه يزول جواز المجاز
 كذلك يقول بعض من لا يحتز في الكلام ويبائع في المبالغة كلام فلان وحي كما يقول
 شعره سحر وكما يقول قوله معبر فاذا قال يوحى يزول فثبت المجاز او يبعد * ثم قال تعالى
 (علمه شديد القوى) وفيه وجهان أشهر هما عند المفسرين ان الضمير عائدا الى
 الوحي أى الوحي علمه شديد القوى والوحي ان كان هو الكتاب فظاهر وان كان
 الالهام فهو كقوله تعالى نزل به الروح الامين والاولى ان يقال الضمير عائدا الى محمد صلى
 الله عليه وسلم تقديره علم محمد شديد القوى جبريل وحيتن يكون عائدا الى صاحبكم
 تقديره علم صاحبكم وشديد القوى هو جبريل أى قواه العلمية والعملية كلها شديدة فيعلم
 ويعمل وقوله شديد القوى فيه فوائد (الاولى) ان مدح المعلم مدح المتعلم فلو قال علمه
 جبريل ولم يصغره ما كان يحصل نبي صلى الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة (الثانية) هي ان
 فيه ردا عليهم حيث قالوا أساطير الاولين سمعها وقت سفره الى الشام فقال لم يله احد من
 الناس بل معلمه شديد القوى والانسان خلق ضعيفا وما اتى من العلم الا قليلا (الثالثة)
 فيه وثوق بقول جبريل عليه السلام فقوله تعالى شديد القوى جمع ما يوجب الوثوق لان
 قوة الادراك شرط الوثوق يقول القائل لانا ان ظننا بواحد فساد ذهن ثم نقل اليناعن
 بعض الاكابر مسئلة مشككة لانتق بقوله ونقول هو ما فهم ما قال وكذلك قوة الحفظ حتى
 لا نقول أدركها لكن نسبها وكذلك قوة الامانة حتى لا نقول حرفها وغيرها فقال شديد
 القوى ليجمع هذه الشرائط فيصير كقوله تعالى ذى قوة عند ذى العرش مكين الى أن
 قال أمين (الرابعة) فيه تسليية النبي صلى الله عليه وسلم وهي من حيث ان الله تعالى لم يكن
 مختصا بكان فنسبته الى جبريل كنسبته الى محمد صلى الله عليه وسلم فاذا علم بواسطته
 يكون نقصا عن درجته فقال ليس كذلك لانه شديد القوى يثبت لمكالمنا وأنت بعد
 ما استويت فتكون كوسى حيث خرف كانه تعالى قد علمه بواسطه ثم علمه من غير واسطة
 كما قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وقال صلى الله عليه وسلم أدبني ربي فاحسن تأديبي
 * ثم قال تعالى (ذو مرة فاستوى) وفي قوله تعالى ذو مرة وجوه (أحدها) ذو قوة
 (ثانيها) ذو كمال في العقل والدين جميعا (ثالثها) ذو منظر وهيبه عظيمة (رابعها) ذو خلق
 حسن فان قيل على قولنا المراد ذو قوة قد تقدم بيان كونه أقوى في قوله شديد القوى
 فكيف نقول قواه شديدة وله قوة نقول ذلك لا يحسن ان جاء وصفا بعد وصف وأمان
 جاء بدلا يجوز كانه قال علمه ذو قوة وترك شديد القوى فليس وصفا له وتقديره ذو قوة
 عظيمة أو كماله وهو حيتن كقوله تعالى انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش
 مكين فكانه قال علمه ذو قوة فاستوى والوجه الآخر في الجواب هو أن افراد قوة
 بالذكر ربما يكون لبيان ان قوام المشهورة شديدة وله قوة أخرى خصه الله بها يقال فلان

فضحه الى نفسه وجعل
 يمسح الغبار عن وجهه
 قيل ما رآه أحد من
 الانبياء في صورته غير
 النبي عليه الصلاة
 والسلام فانه رآه فيها
 مرتين مرة في الارض
 ومرة في السماء وقبل
 استوى بقوته على
 ما جعل له من الامر
 وقوله تعالى (وهو
 بالا فقى الاعلى) أى
 أفق الشمس حال من
 فاعل استوى (ثم دنا)
 أى أراد الدنو من النبي
 عليه الصلاة والسلام
 (فتدل) أى استرسل
 من الافق الاعلى مع
 تعلق به فدنا من النبي
 يقال تدان

كثير المال وله مال لا يعرفه أحد أي أمواله الظاهرة كثيرة وله مال باطن على أنا نقول
 المراد ذو شدة وتقديره علمه من قواه شديدة وفي ذاته أيضا شدة فان الانسان ربما تكون
 قواه شديدة وفي جسمه صغير وحفارة ورخاوة وفيه لطيفة وهي أنه تعالى أراد بقوله شديد
 القوى قوته في العلم * ثم قال تعالى ذو مرة أي شدة في جسمه فقدم العملية على الجسمية
 كما قال تعالى وزاد بسطة في العلم والجسم وفي قوله فاستوى وجهان المشهور ان المراد
 جبريل أي فاستوى جبريل في خلقه * ثم قال تعالى (وهو بالاقي الاعلى) والمشهور أن
 هو ضمير جبريل وتقديره استوى كما خلقه الله تعالى بالاقي الشرق فسد المشرق
 لعظمته والظاهر ان المراد محمد صلى الله عليه وسلم معناه استوى بمكان وهو بالمكان العالي
 رتبة ومنزلة في رفعة القدر لاحقية في الحصول في المكان فان قيل كيف يجوز هذا والله
 تعالى يقول ولقد رآه بالاقي المبين اشارة الى أنه رأى جبريل بالاقي المبين نقول وفي ذلك
 الموضع أيضا نقول كما قلنا ههنا انه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل وهو بالاقي المبين
 بقول القائل رأيت الهلال فيقال له أين رأيته فيقول فوق السطح أي أن الرائي فوق
 السطح لا المرئي والمبين هو الفارق من أبان أي فرق أي هو بالاقي الفارق بين درجة
 الانسان ومنزلة الملك فانه صلى الله عليه وسلم انتهى وباع الغاية وصار نبيا كما صار بعض
 الانبياء نبيا يأتيه الوحي في نومه وعلى هيئته وهو واصل الى الاقي الاعلى والاقي الفارق
 بين المراتلين فان قيل ما بعده يدل على خلاف ما ذهب اليه فان قوله ثم دنا فتدلى الى غير
 ذلك وقوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى كل ذلك يدل على خلاف ما ذكرته
 نقول سنين موافقة لما ذكرنا ان شاء الله تعالى في مواضعه عند ذكر تفسيره فان قيل
 الاحاديث تدل على خلاف ما ذكرته حيث ورد في الاخبار أن جبريل صلى الله عليه وسلم
 أرى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على صورته فسد المشرق فنقول نحن ما قلنا انه لم يكن
 وليس في الحديث أن الله تعالى أراد بهذه الآية تلك الحكاية حتى يلزم مخالفة الحديث
 وانما نقول ان جبريل أرى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه مرتين وبسط جناحيه وقدرته
 الجانب الشرقي وسده لكن الآية لم ترد لبيان ذلك * ثم قال تعالى (ثم دنا فتدلى) وفيه
 وحوه مشهورة (أحدها) ان جبريل دنا من النبي صلى الله عليه وسلم أي بعد ما مد
 جناحه وهو بالاقي عاد الى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبي صلى الله
 عليه وسلم وعلى هذا ففي تدلى ثلاثة وجوه (أحدها) فيه تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى من
 الاقي الاعلى فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم (الثاني) الدنو والتدلى بمعنى واحد كانه
 قال دنا فاقرب (الثالث) دنا أي قصد القرب من محمد صلى الله عليه وسلم وتحركه عن المكان
 البسي كان فيه فتدلى الى النبي صلى الله عليه وسلم (الثاني) على ما ذكرنا من
 الوجه الاخير في قوله وهو بالاقي الاعلى ان محمدا صلى الله عليه وسلم دنا من الخلق والامة
 ولان لهم وصار كواحد منهم فتدلى أي تدلى اليهم بالقول اللين والدعاء الرفيق فقال أنا

الثرثرة وذلي رجليه
 من السرير وأدلى
 دلو والدوالي الثمر
 المعلق (فكان) أي
 مقدار امتداد ما بينهما
 (قاب قوسين) أي
 مقدارهما فان القاب
 والقيوب واقادوالقيوب
 والقيوب المقدار وقيل
 فكان جبريل عليه
 السلام كما في قولك هو
 فني معند الا زار
 (أو ادنى) أي على
 تقدير كم كافي قوله تعالى
 او يزيدون والمراد
 تمثيل ملكة الاتصال
 وتحقيق استماعه لما
 أوحى اليه بنى البعد
 الميس (فأوحى)
 أي جبريل عليه السلام

بشر بشركي يوحى الى وعلى هذا في الكلام كانه تعالى قال الاوحى يوحى جبريل
على محمد استوى محمد وكل فدا من الخلق بعد علوه وتلى اليهم وبلغ الرسالة (لثالث)
وهو ضعيف مخيف وهو ان المراد منه هو ربه تعالى وهو مذهب القائلين بالجبهة والتمكار
الله الان ير بد القرب بالتمزية وعلى هذا يكون فيه ما في قوله صلى الله عليه وسلم سكاية
عن ربه تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه
بأعاض ومن مشى الى آيته هرولة اشارة الى المعنى المجازي وههنا لما بين ان النبي صلى الله
عليه وسلم استوى وعلا في المنزلة العقلية لافي المكان الحسي قال وقرب الله منه تحقيرا
لما قوله من تقرب الى ذراعا تقربت اليه بأعاض * ثم قال تعالى (فكان قاب قوسين
أو أدنى) أى بين جبرائيل ومحمد عليهما السلام مقدار قوسين أو أقل ورد هذا على
استعمال العرب وعادتهم فان الاميرين منهم أو الكبريين اذا اصطلحا وتعاهدا خرجا
بقوسيهما ووتر كل واحد منهما طرف قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما من الرعية
يكون كفء بكفء فينهيان بأعبيهما ولذلك تسمى مباينة وعلى هذا فغية لطيفة وهي ان قوله
قاب قوسين على جعل كونهما كبيرين وقوله أو أدنى لفضل أحدهما على الآخر فان
الامير اذا بايعه الرعية لا يكون مع المبايع قوس فيصافحه الامير فكانه تعالى أخبر انهما
كأمرين كبيرين فكان بينهما مقدار قوسين أو كان جبرائيل عليه السلام سفيرا بين
الله تعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم فكان كالشبع لمحمد صلى الله عليه وسلم فصار كالمبايع
الذي يمد الباع لا القوس هذا على قول من يفضل النبي صلى الله عليه وسلم على جبرائيل
عليه السلام وهو مذهب أهل السنة الاقليلا منهم اذ كان جبرائيل رسولا من الله واجب
التعظيم والاتباع فصار النبي صلى الله عليه وسلم عنده كالشبع له صلى الله عليه وسلم يفضل جبريل
صلى الله عليه وسلم وفيه وجه آخر على ما ذكرنا وهو أن يكون القوس عبارة
عن بعد من قاس يقوس وعلى هذا فنقول ذلك البعد هو البعد النوعي الذي كان لابي
صلى الله عليه وسلم فانه على كل حال كان بشرا وجبريل على كل حال كان ملكا فالنبي
صلى الله عليه وسلم وان زال عن الصفات التي تخالف صفات الملك من الشهوة والغضب
والجهل والهوى لكن بشرية كانت باقية وكذلك جبريل وان ترك الكمال واللاطف
الذي يمنع الروفة والاحتجاب لكن لم يخرج عن كونه ملكا فلم يبق بينهما الا اختلاف
حقيقتيهما وأما سائر الصفات الممكنة الزوال فرأيت عندهما فارتفع النبي صلى الله عليه
وسلم حتى بلغ الافق الاعلى من البشرية وتدى جبريل عليه السلام حتى بلغ الافق الادنى
من الملكية فتقاربا ولم يبق بينهما الحقيقة فلهما وعلى هذا في فاعل أوحى الاول وجهان
(أحدهما) ان الله تعالى أوحى صلى الله عليه وسلم هذا في عبده وجهان (أحدهما) انه جبريل عليه
السلام ومعناه أوحى الله الى جبريل وعلى هذا في فاعل أوحى الاخير وجهان
(أحدهما) الله تعالى أيضا والمعنى حينئذ أوحى الله تعالى الى جبريل عليه السلام الذي

(الى عبده) عبيد الله
تعالى واضماره قبل
الذكر لغاية ظهوره كما
في قوله تعالى ما ترك
على ظهرها (ما أوحى)
أى من الامور العظيمة
التي لا تفي بها العبارة
أو فوحى الله تعالى
حينئذ بواسطة جبريل
ما أوحى قبل أوحى اليه
ان الجنة محرمة على
الانبياء حتى تدخلها
وعلى الامم حتى تدخلها
أمك (ما كذب الفؤاد)
أى فؤاد محمد عليه
الصلاة والسلام
(ماروى) أى ماراه
ببصرة من صورة جبريل
عليهما السلام أى ما
قال فؤاده لماراه لم
أعرفك ولو قال ذلك
لكان كاذبا لانه عرفه
بقلبه كما رآه ببصرة

أوحاه إليه تفخيما وتعظيما للموحى (ثانيهما) عمل أوحى ثانيا جبريل والمعنى أوحى الله إلى جبريل ما أوحى جبريل إلى كل رسول وفيه بيان أن جبرائيل أمين لم يخن في شيء مما أوحى إليه وهذا كقولته تعالى نزل به الروح الأمين وقوله مطاع ثم أمين (الوجه الثاني) في عبده على قولنا الموحى هو الله لي محمد صلى الله عليه وسلم معناه أوحى الله إلى محمد ما أوحى إليه للتفخيم والتعظيم وهذا على ما ذكرنا من التفسير ورد على ترتيب غاية الحسن وذلك لأن محمدا صلى الله عليه وسلم في الأول حصل في الأفق الأدنى من مراتب الإنسان وهو النبوة ثم دنا من جبريل وهو في مرتبة النبوة فصار رسولا فاستوى وتكامل ودنا من الأمة باللطيف وتدل اليهم بالقول الرفيق وجعل يتردد مرارا بين أمته وربه فأوحى الله إليه من غير واسطة جبريل ما أوحى (والوجه الثاني) في فاعل أوحى أولاهو أنه جبريل أوحى إلى عبده أي إلى عبدالله والله معلوم وإن لم يكن مذكورا وفي قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ما بوجوب القطع بعدم جواز إطلاق هذا اللفظ على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا ففاعل أوحى ثانيا يحتمل وجهين (أحدهما) أنه جبريل أي أوحى جبريل إلى عبدالله ما أوحاه جبريل للتفخيم (وثانيهما) أن يكون هو الله تعالى أي أوحى جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله إليه وفي الذي أوحى بجوه (أولاهما) الذي أوحى الصلاة (ثانيهما) أن أخدام من الأنبياء لا يدخل الجنة قبل أن يأمروا من الأمم لا تدخل الجنة قبل أمته (ثالثها) أن الله تعالى والمراد كل ما جاء به جبريل وهذا على قولنا بأن المراد جبريل صحيح والوجهان المتقدمان على قولنا المراد محمد عليه الصلاة والسلام أظهر وفيه وجه غريب من حيث العربية مشهور معناه عند الأصوليين والبيان ذلك في معرض الجواب عن سؤال وهو أن يقال بم عرف محمد صلى الله عليه وسلم أن جبريل ملك من عند الله وليس أخدام من الجن والذي يقال أن خديجة كشفت رأسها امتحاما في غاية الضعف أن ادعى ذلك القائل أن المعرفة حصلت بأمثال ذلك وهذا أن أراد انقصة الحكاية وأن خديجة فعلت هذا لأن فعل خديجة غير منكر وإنما المنكر دعوى حصول المعرفة بفعلها وأمثالها وذلك لأن الشيطان ربما تستر عند كشف رأسها أصلا فكان يشتبه بالملائكة فيحصل اللبس والابهام والجواب الصحيح من وجهين (أحدهما) أن الله أنظر على يد جبريل معجزة عرفه النبي صلى الله عليه وسلم بها كما أنظر على يد محمد معجزات عرفناه بها (وثانيهما) أن الله تعالى خلق في محمد صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بأن جبريل من عند الله ملك لا جن ولا شيطان كما أن الله تعالى خلق في جبريل علما ضروريا أن المتكلم معه هو الله تعالى وأن المرسل له ربه لأخبره إذا علم الجوابان فنقول * قوله تعالى (فأوحى إلى عبده ما أوحى) فيه وجهان (أحدهما) أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحاه إلى جبريل أي كلمة الله أنه أوحى

وقرى ما كذب أي صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته (أفتأرونه على ما يرى) أي أنكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاصرة أو أبعد ما ذكر من أحواله المنافية للممارسة تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشقاقه من مري الناقة كان كلا من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرى أفتأرونه أي أفتأرونه في المراء من ما ربه قرينه ولما فيه من معنى الغلبة عدى على كما يقال غلبته على كذا وقيل أفتأرونه أفتجسونه من مراءحته إذا جده (ولقد رآه نزلة أخرى) أي

أو خلق فيه علما ضروريا (ثانيهما) أوحى إلى جبريل ما أوحى إلى محمد دليله الذي به يعرف انه وحي فعلى هذا يمكن أن يقال ما مصدرية تقديره فأوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم الانحاء أى العلم بالإحاطة ليعرف بين ذلك والجن * ثم قال تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الفؤاد فؤاد من نقول المشهور انه فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم معناه انه ما كذب فؤاده واللام تعرف ما علم حاله اسبق ذكر محمد عليه الصلاة والسلام في قوله الى عبده وفي قوله وهو بالافق الاعلى وقوله تعالى ماض صاحبكم ويحتمل أن يقال ما كذب الفؤاد أى جنس الفؤاد لان الكذب هو الوهم والخيال بقول كيف يرى الله أو كيف يرى جبريل مع انه الطيف من الهواء والهواء لا يرى وكذلك يقول الوهم والخيال ان رأى ربه رأى في جهة ومكان وعلى هيئة والكل يتافى كون المرئى الهاوا ورأى جبريل عليه السلام مع انه صار على صورة دحية أو غيره فمنا قلبت حقيقته وأوحاز ذلك لارتفع الامان عن المربيات فنقول رؤية الله تعالى ورؤية جبريل عليه السلام على ما رآه محمد عليه الصلاة والسلام جائزة عند من له قلب فالفؤاد لا يتكر ذلك وان كانت النفس المتوهمة والتمخلة تنكره (المسئلة الثانية) ما معنى ما كذب نقول فيه وجبه (الوجه الاول) ما قاله الزمخشري وهو ان قلبه لم يكذب وما قال ان ما رآه بصرك ليس بصحيح ولو قال فؤاده ذلك لكان كاذبا فيما قاله وهو قريب مما قاله المبرد حيث قال معناه صدق الفؤاد فيما رأى شيئا فصدق فؤاد (الثاني) قرئ ما كذب الفؤاد بالتشديد ومعناه ما قال ان المرئى خيال لاحقيقة له (الثالث) هو ان هذا مقرر لما ذكرنا من أن محمد صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل عليه السلام خلق الله له علما ضروريا علم انه ليس بخيال وليس هو على ما ذكرنا فصدق الحق وتقديره ما يجوز أن يكون كاذبا ونفى الوقوع وإرادة نفي الجواز كثير قال الله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء وقال لا تدركه الابصار وقال وما ربك بغافل والكل انى الجواز بخلاف قوله تعالى لا نضع أجرا للمحسنين ولا نضع أجر من أحسن عملا ولا يغفر أن يشرك به فانه انى الوقوع (المسئلة الثالثة) الرأى في قوله ما رأى هو الفؤاد أو البصر أو غيرهما نقول فيه وجوه (الاول) الفؤاد كانه تعالى قال ما كذب الفؤاد ما رآه الفؤاد أى ما يقول انه جنى أو شيطان بل يتقن ان ما رآه بفؤاد صدق صحيح (الثاني) البصر أى ما كذب الفؤاد ما رآه البصر ولم يقل ان ما رآه البصر خيال (الثالث) ما كذب الفؤاد ما رأى محمد عليه الصلاة والسلام وهذا على قولنا اقوال للجنس ظاهر أى المطلوب تشهد بحكمة ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم وان كانت الاوهام لا تعرف بها (المسئلة الرابعة) ما المرئى في قوله ما رأى نقول على الاختلاف السابق والذي يحتمل الكلام وجوه ثلاثة (الاول) الرب تعالى (والثاني) جبريل عليه السلام (والثالث) الآيات العجيبة الالهية فان قيل كيف تمكن رؤية الله تعالى بحيث لا يقدح فيه ولا يلزم منه كونه جسما في جهة نقول أعلم أن العاقل اذا تأمل

وبالله لقد رأى جبريل
في صورته مرة أخرى
من النزول نصبت
النزلة فنصب الظرف
الذى هو مرة لان الفعلة
اسم للمرة من الفعل
فكانت في حكمها وقيل
تقديره ولقد رآه نازلا
نزلت أخرى فنصبها على
المصدر (عنه سدره
المنتهى) هي شجرة
نبق في السماء السابعة
عن عمن العرش ثم رآها
كقلال هجر وورقها
كاذان الغبول تنبع من
أصلها الانهار التي
ذكرها الله تعالى في
كتابه يسير الراكب في
ظلمها سبعين عاما
لا يقطعها والمنتهى
موضع الانتهاء أو
الانتهاء كأنها

وتفكر في رجل موجود في مكان وقال هذا مرئي الله تعالى يراه الله وتفكر في أمر
لا يوجد أصلا وقال هذا مرئي الله تعالى يراه الله تعالى يحد بينهما فرقا وعنده يصحح
الكلام الاول ويكذب الكلام الثاني فذلك ليس بمعنى كونه معلوما لانه لو كان موجودا
معلوم الله والمعلوم معلوم الله لما وجد في كلامه خلا واستبعادا فالحق راء بمعنى كونه
علما ثم ان الله يكون رايها ولا يصير مقابلا للمرئي ولا يحصل في جهة ولا يكون مقابلا له
وانما يصعب على الوهم ذلك من حيث انه لم ير شيئا الا في جهة فيقول ان ذلك واجب وبما
يصحح هذا انك ترى في الماء قرا وفي الحقيقة ما رايت القمر حارة نظرك الى السماء الا في
مكانه فوق السماء فرايت القمر في السماء لان الشعاع الخارج من البصر اتصل به فرد
المناء ذلك الشعاع الى السماء لكن وهمك لما راى أكثر ما رآه في المقابلة لم يهتد
روية شيء يكون خلفه الا بالوجه اليه قال اني ارى القمر ولا روية الا اذا كان المرئي
في مقابلة الحدة ولا مقابل للحدة الا المناء فتحكم اذن بناء على هذا انه يرى القمر في
الماء فالوهم يغلب العقل في العالم لكون الامور العاجلة أكثرها وهمية حسية وفي
الآخرة تزول الاوهام وتجلي الافهام فتري الاشياء اوجودها لا تحيرها واعلم ان من
ينكر جواز رؤية الله تعالى يلزمه أن ينكر جواز رؤية جبريل عليه السلام وفيه
انكار لرسالة وهو كفر وفيه ما يكاد أن يكون كفرا وذلك لان من شك في رؤية الله تعالى
يقول لو كان الله تعالى جائزا لرؤية لكان واجبا لرؤية لان حواسنا سليمة والله تعالى
ليس من وراء حجاب ولا هو في غاية البعد عنا عدم كونه في جهة ولا مكان فلو جاز أن يرى
ولانراه لازم القبح في المحسوسات المشاهدات اذ يجوز خيئذ أن يكون ههنا جبل
ولانراه يقال لئلا القائل قد صح ان جبريل عليه السلام كان ينزل على محمد صلى
الله عليه وسلم وعنده غيره وهو يراه ولو وجب ما يجوز لآه كل أحد فان قال ان هناك حجابا
نقول وجب أن يرى هناك حجابا فان الحجاب لا يحجب اذا كان مرئيا على مذهبهم ثم ان
النصوص وردت أن محمد صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده فجعل بصره في فؤاده وأوراه
ببصره فجعل فؤاده في بصره وكيف لا وعلى مذهب أهل السنة الرؤية بالارادة لا بقدرة
العبد فاذا حصل الله تعالى اعلم بأشئ من طريق البصر كان رؤية وار حمله من طريق
القلب كل معرفة والله قادر على أن يحصل العلم بخاتي مدرك للمعلوم في البصر كما قدر على
أن يحصله بخاتي مدرك في القلب والمسئلة مختلف فيها بين الصحابة في الوقوع واختلاف
الوقوع مما ينبغي عن الاتفاق على الجواز والمسئلة مذكورة في الامسول ولانسه ولها
* ثم قال تعالى (أفتمارونه على ما يرى) أي كيف يجادلونه وتوردون شكوككم عليه مع
انه رأى ما رأى عين اليقين وذلك بعد الرؤية فهو جازم متيقن وأنتم تقولون اصابه الجن
ويمكن أن يقال هو مؤكده للمعنى الذي تقدم وذلك لان من يقن شيئا فديكون بحيث
لا يزول عن نفسه تشكيك * وأكده بقوله تعالى (وقدر آه أخرى عند سدره المنتهى)

في منتهى الجنة وقيل
اليها ينتهى علم الخلائق
وأعمالهم ولا يعلم أحد
ما وراءها وقيل ينتهى
اليها أرواح الشهداء
وقيل ينتهى اليها ما يبط
من فوقها ويصعد من
تحتها قيل اضافة
السدره الى المنتهى اما
اضافة الشيء الى مكانه
كقولك أشجار البستان
أو اضافة المحل الى
الحال كقولك كتاب
الفقه ولتقدير سدره
عندها منتهى علوم
الخلائق أو اضافة
المالك الى المالك على
حذف الجار والمجرور
أي سدره المنتهى اليه
وهو الله عز وجل قال
تعالى الى ربك المنتهى

مندها جنة المأوى) أى الجنة التى ﴿ ٧٣٧ ﴾ ياوى اليها المنقون وأرواح الشهداء والجملة حالية وقبل الاحسن

أن يكون الحال هو
الطرف وجنة المأوى
مرتفعه على القاعلية
وقوله تعالى (اذغشي
السدره ما يغشى) طرف
زمار لآه لا لما بعده من
الجملة المنغية كما قيل
فان ما النافية لا يعمل
ما بعدها فيل قبلها
والغشيان بمعنى التغطية
والستر ومنه الغواشى
أو بمعنى الاتيان يقال
فلان يغشاني كل حين
أى يأتينى والاول هو
الايق بالمقام وفى ايهام
ما يغشى من التخبى
ما لا يخفى وتأخير عن
المفعول للتشويق
اليه أى ولقد رآه
عند السدره وقت
ماغشها ماغشها
بما لا يكتفه الوصف
ولا يفي به البيان
كيفا ولا كما وصفت
المصارع الحكاية
الحال للمناسبة
استحضارا لصورتهما
البدعيه وللايدان
باستمرار الغشيان
بطريقه

بذلك لانه صلى الله عليه وسلم لما رآه وهو على بسيط الارض كان يحتمل أن يقال انه من
الجن احتمالا فى غاية البعد لما بينا انه صلى الله عليه وسلم حصل له العلم الضرورى بانه ملك
رسول والاحتمال البعيد لا يقدح فى الجزم واليقين ألا ترى اننا اذا قلنا بالاميل وانتهينا بالنهار
منزم بان البحار وقت نومنا ما نشفت ولا غارت والجبال ما عدمت ولا سارت مع احتمال
ذلك فالله قادر على ذلك وقت نومنا ويعيدها الى ما كانت عليه فى نومنا فلما رآه عند
سدره المنتهى وهو فوق السماء السابعة لم يحتمل أن يكون هناك جن ولا انس فتفى ذلك
لاحتمال أيضا فقال تعالى أفتأرونه على ما يرى رأى العين وكفى وهو قد رآه فى السماء
فإذا تقدر أن تقولوا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الولو يحتمل أن تكون عاطفة
ويحتمل أن تكون للحال على ما بينا أى كيف تبادلونه فيما رآه على وجه لا يشك فيه ومع
ذلك لا يحتمل إيراد الشكوك عليه فان كثيرا ما يشك المتقيد بشئ فيه ولكن ترد عليه
الشكوك ولا يمكنه الجواب عنها ولا تريب مع ذلك فى أن الامر كما ذكرنا من المثال لانا
لا نشك فى أن البحار ما سارت ذهبها والجبال ما سارت ههنا وإذا أورد علينا مورد شكا
وقال وقت نومك يحتمل ان الله تعالى قلبها ثم أعادها لا يمكننا الجواب عنه مع اننا لا نشك
فى استمرارها على ما هى عليه لا يقال اللام تنافى كون الواو للحال فان استعمال يقال
أفتأرونه وقدر أى من غير لام لانا نقول الواو التى للحال تدخل على جملة والجملة تتركب
من مبتدأ وخبر أو من فعل وفاعل وكلاهما يجوز فيه اللام (المسئلة الثانية) قوله نزلة فعلة
من النزول فهى كجلسة من الجلوس فلا بد من نزول فذلك النزول لمن كان نقول فيه وجوه
وهى مرتبة على أن الضمير فى رآه عائد الى من وفيه قولان (الاول) عائد الى الله تعالى أى
رأى الله نزلة أخرى وهذا على قول من قال ما رأى فى قوله ما كذب الفؤاد ما رأى هو الله
تعالى وقد قيل بان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه مرتين وعلى هذا فالنزلة تحتمل
وجهين (أحدهما) انه الله وعلى هذا وجهان (أحدهما) قول من يجوز على الله تعالى
الحركة والانتقال وهو باطل (وثانيهما) النزول بالقرب المعنوى لا الجسدى فان الله تعالى
قد يقرب بالرحمة والفضل من عبده ولا يراه العبد ولهذا قال موسى عليه السلام رب ارنى
أى ازل بعض حجب العظمة والجلال وادن من العبد بالرحمة والافضال لاراك (والوجه
الثانى) ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى الله نزلة أخرى وحيث لا يحتمل ذلك وجهين
(أحدهما) ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل على متن الهوى ومركب النفس ولهذا
يقال لمن ركب متن هواه انه علا فى الارض واستكبر قال تعالى علا فى الارض
(ثانيهما) ان المراد من النزلة صدها وهى العرجة كانه قال رآه عرجة أخرى وانما
اختار النزلة لان العرجة التى فى الآخرة لا نزلة لها فقال نزلة ليعلم انها من الذى كان
فى الدنيا (والقول الثانى) انه عائد الى جبريل عليه السلام أى رأى جبريل نزلة أخرى
والنزلة حيث لا يحتمل أن تكون لمحمد صلى الله عليه وسلم كما ذكرناه لان النبي صلى الله

الجدد وقيل يغشاها الجمل الفقير من الملائكة يعبدون الله تعالى * ٧٣٨ * عندها وقيل يزورونها متعب

عليه وسلم على ما ورد في بعض اخبار ليلة المعراج جاوز جبريل عليه السلام وقال جبريل عليه السلام اودنوت اتملة لاحترقت ثم عاد اليه فذلك نزلة فان قيل فكيف قال أخرى نقول لان النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة تردد مرارا فربما كان يجاوز كل مرة وينزل الى جبريل ويحتمل أن تكون جبريل عليه السلام وكلاهما منقول وعلى هذا الوجه فتزلة أخرى ظاهرة لان جبريل كان له نزلات - كان له نزلات عليه وهو على صورته وقوله تعالى عند سدره المنتهى المسهور ان اسدره شجرة في السماء السابعة وعليها مثل النبق وقيل في السماء السادسة ورد في الخبر انه - لمي الله عليه وسلم قال ينفعها كقلال هجر وورقها كاذان الفلة - قيل سدره المنتهى هي الحيرة القصوى من السدر والسدر كالركبة من الركاب يعني عند ما يحار اتمل حيرة لاحيرة فوقها اما حار النبي صلى الله عليه وسلم وما غاب ورأى ما رأى وقوله عند طرف مكان أو طرف زمان في هذا الموضع نقول المشهور انه طرف مكان تقديره رأى جبريل أو غيره بقرب سدره المنتهى وقيل طرف زمان كما يقال صليت عند طلوع الفجر وتقديره رآه عند الحيرة القصوى أى في الزمان الذي تحار فيه عقول العقلاء والرواية من أتم العلوم وذلك الوقت من أشد أوقات الجهل والحيرة فهو عليه الصلاة والسلام ما حار وقتا من شأنه ان يحار العاقل فيه والله أعلم (المسئلة الثانية) ان قلنا معناه رأى الله كيف يفهم عند سدره المنتهى قلنا فيه اقوال (الاول) قول من يجعل الله في مكان وهو باطل وقد بالتنافي بيان بطلانه في سورة السجدة (الثاني) رآه محمد صلى الله عليه وسلم وهو عند سدره المنتهى لان الظرف قد يكون ظرفا للرأى كما ذكرنا من المثال يقال رأيت الهلال فيقال لقائله أين رأيته فيقول على السطح وربما يقول عند الشجرة القلانية وأما ان قلنا ان المراد جبريل عليه السلام فالوجهان ظاهران وكون النبي صلى الله عليه وسلم مع جبريل عند سدره المنتهى أظهر (المسئلة الثالثة) اضافة السدره الى المنتهى من أى الاضافة نقول يحتمل وجوها (أحدها) اضافة الشيء الى مكانه يقال أشجار بلدة كذا لا تطول من البرد ويقال أشجار الجنة لا تبس ولا تخلو من الثمار فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك وقيل لا يتعداه روح من الارواح (وثانيهما) اضافة المحل الى الحال فيه يقال كتاب الفقه ومحل السواد وعلى هذا فالمنتهى عند السدره تقديره سدره عندها منتهى العلوم (ثالثها) اضافة الملك الى مالكه يقال دار زيد واشجار زيد وحينئذ فالمنتهى اليه مخدوف تقديره سدره المنتهى اليه قال الله تعالى الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو الله واطافة السدره اليه حينئذ كاطافة البيت اليه للتشريف والتعظيم ويقال في التسبيح يا غاية مناه ويا منتهى أملة * ثم قال تعالى (عندها جنة المأوى) وفي الجنة خلاف قال بعضهم جنة المأوى هي الجنة التي وعد بها المتقون وحينئذ الاضافة كافي قوله تعالى دار المقامة وقيل هي جنة أخرى عندها يكون ارواح الشهداء وقيل هي جنة للملائكة وقرئ جنة بالهاء من جن بمعنى اجن يقال جن

بها كما يزور الناس الدعية وقيل يغشاها سبعيات أنوار الله عز وجل حين يتجلى لهم كما تجلى للجبل لكنها كانت أقوى من الجبل وأثبت حيث لم يصيبها ما أمس به من الدك وقيل يغشاها فراش أو جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والخصالك وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت السدره يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه الصلاة والسلام يغشاها رفرق من طير خضر (ما زاغ البصر) أى ما ما من بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه (وما طغى) وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الامور العجيبة المذهلة ما لا يحصى بل اثبتة آياتا صحيحة متقنسا أو ما عدل عن رؤية العجايب التي أمر

بنتها ويمكن منها وما جاوزها ﴿ ٧٣٩ ﴾ (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أى والله لقد رأى الآيات التى

هى كبرائها وعظماها
حين صرح به الى السماء
فأرى من عجائب الملك
والملكوت ما لا يحيط به
نطاق العبارة و يجوز
أن تكون الكبرى صفة
للآيات والمفعول
تخذوف أى شئنا عظيما
من آيات ربه وإن تكون
من مزيده (أفرايم
اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى) هى
أصنام كانت لهم
فاللات كانت لتقيف
بالطائف وقيل لقريش
بنخلة وهى فملة من
لوى لانهم كانوا
يلوون عليها ويطوفون
بها وقرى بشديد
التاء على انه اسم فاعل
أشتهر به رجل كان
يلت السمن فالت
ويطعمه الحاج وقيل
كان يلت العويق
بالطائف ويطعمه
الحاج فلما مات عكفوا
على قبره يعبدونه وقيل
كان يجلس على حجر
فلما مات سمي الحجر
باسمه وعبد من دون الله
وقيل كان الحجر
على صورته والعزى
تأنيث

يقول وأجن وعلى هذه القراءة يحتمل أن يكون الضمير فى قوله عندها عائدا الى النزلة أى
بلد النزلة جن محمدا الماوى والظاهر انه عائدا الى السدرة وهى الاصح وقيل ان عائشة
ركرت هذه القراءة وقيل انها اجازتها * وقوله تعالى (اذ يغشى السدرة ما يغشى) فيه
سائل (المسئلة الاولى) العامل فى اذا ما قبلها أو ما بعدها فيه وجهان فان قلنا ما قبلها
ففيه احتمالان أظهرهما رأى أى رآه وقت ما يغشى السدرة الذى يغشى والاحتمال
بآخر العامل فيه الفعل الذى فى النزلة تقديره رآه نزلة أخرى تلك النزلة وقت ما يغشى
سدرة ما يغشى أى نزوله لم يكن الا بعد ما ظهرت العجائب عند السدرة وغشيتها ما غشى
فيتم نزول محمد نزلة اشارة الى انه لم يرجع من غير فائدة وان قلنا ما بعده فالعامل فيه ما زاغ
ببصر أى ما زاغ ببصره وقت غشيان السدرة ما غشيتها وسند كره عند تفسير الآية
المسئلة الثانية قد ذكرت ان فى بعض الوجوه سدرة المنتهى هى الحبرة القصوى وقوله
غشى السدرة على ذلك الوجه ينادى بالبطلان فهل يمكن تصحيحه نقول يمكن أن يقال
لمراد من الغشيان غشيان حالة أى ورد على حالة الحبرة حالة الروية واليقين ورأى
محمد صلى الله عليه وسلم عندما حار العقل ما رآه وقت ما طرأ على تلك الحالة ما طرأ من فضل
الله تعالى ورجته والاول هو الصحيح فان النقل الذى ذكرنا من ان السدرة نبتها كقلال
هجر يدل على انها شجرة (المسئلة الثالثة) ما الذى غشى السدرة نقول فيه وجوه (الاول)
فراش أو جراد من ذهب وهو ضعيف لان ذلك لا يثبت الا بدليل سمعى فان صح فيه خبر فلا
بعد من جواز التأويل وإليه يصح فلا وجه له (الثانى) الذى يغشى السدرة ملائكة
مغشون بها كالنهم طيور وهو قريب لان المكان مكان لا تعداد الملك فهم يرتقون اليه
متشرفين به متبركين زائرين كما يزور الناس الكعبة فيجتمعون عليها (الثالث) أنوار الله
تعالى وهو ظاهر لان النبى صلى الله عليه وسلم لما وصل إليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل
وظهرت الانوار لكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك
الشجرة وخزم موسى صعدا ولم يترن محمد (الرابع) هو سبحانه للعظيم يقول القائل رأيت
ما رأيت عند الملك يشير الى الاظهار من وجهه والى الاحفاء من وجهه (المسئلة الرابعة)
يغشى يسرة ومنه الغواشى أو من معنى الاثيان يقال فلان يغشى كل وقت أى ياتى
والوجهان محتملان وعلى قول من يقول الله بأتى ويذهب فالاثيان أقرب * ثم قال تعالى
(ما زاغ البصر وما طغى) اوفيه مسائل (المسئلة الاولى) اللام فى البصر محتمل وجهين
(أحدهما) المعروف وهو بصر محمد صلى الله عليه وسلم أى ما زاغ بصر محمد وعلى هذا
فعدم الزاغ على وجوه ان قلنا الغاشى للسدرة هو الجراد والفراش فغناه لم يلتفت اليه
ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن المقصود وعلى هذا فغشيان الجراد والفراش يكون ابتلاء
وامتحانا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأن قلنا أنوار الله فغياه وجهان (أحدهما) لم يلتفت
بمنه وبسرة واشتغل بمطالعته (وثانيهما) ما زاغ البصر بصعقة بخلاف موسى عليه

الاعز كانت لعظمان
وهي سمرة كانوا يعبدونها
فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد فقطعها
فخرجت منها شيطانة
ناشرة شعرها واضعة
يدها على رأسها وهي
تولون فحصل خالد
بضربها بالسيف
حتى قتلها فاخبر
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال تلك
العزى وإن تعبد أبدا
ومئة صخرة لهذيل
وخراصة وقيل الثقب
وكانت سميت مئة
لأن دماء الناسك تمني
عندها أى تراقى وفرى
مئة وهي مفعلة
من النوء كأنهم كانوا
يستطرون عندها
الانواء تبركاتها
والاخرى صفة ذم لها
وهي المناخرة الوضيعة
المقدنرو وقد جوز
ان تكون الاولوية والتقدم
عندهم للآث والعزى
ثم انهم كانوا مع
ما ذكر من عبادتهم
لها يقولون ان الملائكة
وتلك الاصنام بنات الله

السلام فانه قطع النظر وغشى عليه وفي الاول بيان أدب محمد صلى الله عليه وسلم
الثاني بيان قوته (الوجه الثاني) في اللام انه تعريف الجنس أى مازاغ بصرا أصلا في
الموضع لعظمة الهيبة فان قيل لو كان كذلك لقال مازاغ بصرا لانه أدل على العموم
النكرة في معرض النفي نعم نقول هو كقوله لا تدركه الابصار ولم يقل لا يدركه به
(المسئلة الثانية) ان كان المراد محمد افلو قال مازاغ قلبه كان يحصل به فائدة قوله مار
البصر نقول وذلك لان من يحضر عند ملك عظيم يرى من نفسه انه يهابه ويرتجف
اظهارا لعظمته مع ان قلبه قوى فاذا قال مازاغ البصر يحصل منه فائدة ان الامر كان
عظيما ولم يزغ بصره من غير اختيار من صاحب البصر (المسئلة الثالثة) وما طغى عطف
جمله مستقلة على جملة أخرى أو عطف جملة مقدرة على جملة مثال المستقلة خرج زيد
ودخل عمرو ومثال المقدرة خرج زيد ودخل فنقول الوجهان جائزان (أما الاول) فكانه
تعالى قال عند ظهور النور مازاغ بصير محمد صلى الله عليه وسلم وما طغى بمجد بسبب
الانفاس ولوالفت لكان طاغيا (وأما الثاني) فظاهر على الوجه أما على قولنا غشى
السدره جراد فلم يلفظ اليد وما طغى أى ما التفت الى غير الله فلم يلتفت الى الجراد ولا الى
غير الجراد سوى الله وأما على قولنا غشيتها نور ففوله مازاغ أى مامل عن الانوار وما طغى
أى ما طلب شيئا وراءها (وفيه لطيفة) وهي أن الله تعالى قال مازاغ وما طغى ولم يقل مامل
وما جاوز لان الميل في ذلك الموضع والمجاورة مذمومة فاستعمل الزيف والطغيان في
وفيه وجه آخر وهو ان يكون ذلك بيانا لوصول محمد صلى الله عليه وسلم الى سدره اليقين
الذى لا يقين فوقه ووجه ذلك ان يصير محمد صلى الله عليه وسلم مازاغ أى مامل عن
الطريق فلم ير الشئ على خلاف ما هو عليه بخلاف من ينظر الى عين الشمس مثلا ثم ينظر الى
شئ أبيض فانه يراه أصفر وأخضر بزغ اصره عن جادة الابصار وما طغى ما تخيل المعلوم
موجودا فرأى المعلوم مجاوز الحد * ثم قال تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) فيه دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ليلة المعراج آيات
الله ولم ير الله وفيه خلاف وجهه هو أن الله تعالى ختم قصة المعراج ههنا بروية الآيات
وقال سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا الى ان قال لنزله من آياتنا ولو كان رأى ربه لكان
ذلك أعظم ما يمكن فكانت الآية الروية وكان أكبر شئ هو الروية الا ترى أن من له مال
يقاله سافر لترح ولا يقال سافر لترج لما أن الرج أعظم من التفرج (المسئلة
الثانية) قال بعض المفسرين لقد رأى من آيات ربه الكبرى هي أنه رأى جبريل عليه
السلام في صورته فهل هو على ما قاله نقول الظاهر أن هذه الآيات غير تلك وذلك لان
جبريل عليه السلام وان كان عظيما لكن ورد في الاخبار ان الله ملائكة أعظم منه
والكبرى تأنيث الأكبر فكانه تعالى يقول رأى من آيات ربه آيات هن أكبر الآيات فان
قبل قال الله تعالى انها لاحدى الكبرى مع ان أكبر من سقر عجائب الله فكذلك الآيات

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقل لهم نوابيخا وتبكيأ أفرايتم الخ والهمزة للانكار والقاء الكبرى

لتوجيهه الى ترتيب الرواية ٧٤١ على ما ذكر من شؤون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية

ومفعولها الثاني
محذوف لدلالة الحال
عليه فالعنى أعقيب
ما سمعتم من آثار كمال
عظمة الله عز وجل
في ملكه وملكوته
وجلاله وجبروته
واحكام قدرته ونفاذ
أمره في الملأ الاعلى
وماتحت الثرى وما بينهما
رأيتم هذه الاصنام
مع غاية حقارتها وقاها
بنات له تعالى وقيل
المعنى أفرأيتم هذه
الاصنام مع حقارتها
وذلتها شركاء الله
تعالى مع ما تقدم من
عظمته وقيل أخبروني
عن آلهتكم هل لها
شي من القدرة والعظمة
التي وصف بها رب
العزة في الآتى السابقة
وقيل المعنى أظنتم
أن هذه الاصنام التي
تعبدونها تنفعكم وقيل
أظنتم أنها تشفع لكم
في الآخرة وقيل
أفرأيتم الى هذه
الاصنام ان عبدتموها
لا تنفعكم وان تركتموها
لا تضركم والاول

الكبرى تكون جبريل ومافيه وان كان الله آيات أكبر منه نقول سفر احدى الكبرى أى
احدى الدواهي الكبرى ولا شك ان في الدواهي سفر عظيمة كبيرة وأما آيات الله فليس
جبريل أكبرها ولان سفر في نفسها أعظم وأعجب من جبريل عليه السلام فلا يلزم من
صفتها بالكبر صفتها بالكبرى (المسئلة الثالثة) الكبرى صفة ماذا نقول فيه وجهان
أحدها صفة محذوف تقديره لقد رأى من آيات ربه الآيات الكبرى ثانياً صفة آيات ربه
وعلى هذا يكون مفعول رأى محذوفاً تقديره رأى من الآيات الكبرى آية أو شيئاً ثم قال
تعالى (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغي أن
يبتدى به الرسوا وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشرار فقوله تعالى أفرأيتم إشارة الى
ابطال قولهم بنفس القول كما ان ضعيفا اذا ادعى الملك ثم رآه العقلاء في غاية البعد عما
يدعيه يقولون انظروا الى هذا الذى يدعى الملك منكربين عليه غير مستدلين بدليل
لظهور أمره فلذلك قال أفرأيتم اللات والعزى أى كما هما فكيف تشركونهما بالله والناس
في اللات ثانياً ثبوت كافي المناة لكنها مكتوب مطولة ثلاثاً يوقف عليها فتصبرها فيثبت به باسم
الله تعالى فان الهاء في الله أصلية ليس ثانياً ثبوت وقف عليها فانقلب هاء وهى صم كانت
لثقيف بالطائف قال الزمخشري هى فصلة من لوى يلقى وذلك لانهم كانوا يلوون
عليها وعلى ما قال فاصله لوى فاسكنت الياء وحذفت لانتفاء الساكنين فثبت لوه قلبت
الواو الفالفتح ما قبلها فصارت لات وقرى اللات بالشد من لات قبل انه مأخوذ من رجل
كان يلت بالسمن الطعام ويطعم الناس فعبدوا اتخذ على صورته وثن وسماه باللات وعلى
هنا قال لات ذكر وأما العزى فأنثى الاعز وهى شجرة كانت تعبد فبعث النبي صلى الله
عليه وسلم خالدين الوليد رضى الله عنه فقطعه وأخرجت منه شيطانة مكشوفة الرأس
منشورة الشعر تضرب رأسها وتدعو بالويل والثبور فقتلها خاندوهو يقول
(يا عزى كفرانك لا سبهانك) انى رأيت الله قد أهانك) ورجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
وأخبره بأمره وفعل فقال تلك العزى ولن تعبد أبداً وأما مناة فهى فعلة صم الصفا وهى
صخرة كانت الهذيل وخرافة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الآخر لا يخفى ان يقال الا اذا
كان الاول مشاركاللثانى فلا يقال رأيت امرأة ورجلاً آخر ويقال رأيت رجلاً ورجلاً
آخر لا شراك الاول والثانى في كونهما من الرجال وهما قوله الثالثة الأخرى يعنى على
ما ذكرنا ان نكون العزى ثالثة أولى ومناة ثالثة أخرى وليس كذلك والجواب عنه من
وجوه (الاول) الأخرى كما هى تستعمل للذم قال الله تعالى وقالت أولاهم لا خراهم أى
لما أخر بهم وهم الاتباع ويقال لهم الاذنب لتأخرهم في المراتب فهى صفة ذم كأنه تعالى
يقول ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة ونقول على هذا الاصنام الثلاثة ترتيب وذلك لان
الاول كان وثناً على صورة آدمى والعزى صورتها صورة نيات ومناة صورتها صورة صخرة
هى جاد فالآدمى أشرف من النبات والنبات أشرف من الجاد فالجاد متأخر والمناة جاد

هو الحق كما يشهد به قوله تعالى (ألكم الذكر وله الأنثى) شهادة ﴿ ٧٤٢ ﴾ بيته فانه تو ينج مبنى على التوبيخ

الاول وحيث كان مداره تفضيل جانب أنفسهم على جنابه تعالى بنسبتهم اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لانفسهم الذكور وجب أن يكون مناط الاول نفس تلك النسبة حتى ينتج بناء التوبيخ الثاني عليه وظاهر ان ليس في شيء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا أثر وأما ما قيل من أن هذه الجملة مفعول ثان للروية وخلوها عن العائد الى المفعول الاول لما أن الاصل أخبروني أن اللات والعزى ومناة ألكم الذكر وله من أولئك الاصنام موضع موضعها الا اني اراها الفواصل وتخير مناط التوبيخ دفع مافيه من التعميمات التي ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن أمثالها يقتضي اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه (تلك) اشارة الى القسمة المنفصلة من الجملة والذلة

فهي في الاخباريات من المراتب (الجواب) الثاني فيه محذوف تقديره أفرأيتم اللات والعزى المعبودين بالباطل ومناة الثالثة المعبودة الاخرى (والجواب الثالث) هو أن الاصنام كان فيها كثرة واللات والعزى اذا أخذنا متقدمين فكل ضمة توجد فهي ثالثة فهناك تواتر فكانه يقول لهما تواتر كثيرة وهذه ثالثة أخرى وهذا كقول انفاذ يوما ويوما (الجواب الرابع) فيه تقديم وتأخير تقديره ومناة الاخرى الثالثة ويحتمل أن يقال الاخرى تستعمل لموهوم أو مفهوم وان لم يكن مشهورا ولا مذكورا يقول من يكثر تأذيه من الناس اذا آذاه الانسان الآخر جاء يؤذينا ور بما يسكت على قوله أنت الآخر فيهم غرضه كذلك ههنا (المسئلة الثانية) وهي في الترتيب أولى ما فائدة الغاء في قوله أفرأيتم اللات والعزى وقد استعمل في مواضع بغير الغاء قال تعالى أرايتم مائدعون من دون الله أرايتم شركاءكم تقول لما قدم من عظمة آيات الله في ملكونه ان رسول الله الى الرسل الذي بسد الآفاق بهض أجنته ويملك المدائن بشدته وقوته لا يمكنه أن يتعدى السدرة في مقام جلال الله وعزته قال أفرأيتم هذه الاصنام مع ذلتها وحقارتها شركاء الله مع ما تقدم فقال بالغاء أي عقيب ما سمعتم من عظمة آيات الله تعالى الكبرى ونفاذ أمره في الملا الأعلى وما تحت الثرى فانظروا الى اللات والعزى تعلموا فساد ما ذهبتم اليه وعوامهم عليه (المسئلة الثالثة) أين تنم الكلام الذي يفيد فائدة ما نقول قد تقدم بيانه وهو أنه يقول هل رأيتم هذه حق الروية فان رأيتوها علمتم انها لا تصلح شركاء نصيرها مادكر فحين ينكر كون ضعيف يدعى ملكا يقول لصاحبه اما تعرف ولانا مقتصرنا عليه مشير الى بطلان ما يذهب اليه ثم قال تعالى (ألكم الذكر وله الأنثى) وقد ذكرنا ما يجب ذكره في سورة والطور في قوله أم له البنات ولكم البنون ونعيد ههنا بعض ذلك أو ما يقر منه فنقول لما ذكر اللات والعزى ومناة ولم يذكر شيئا آخر قال ان هذه الاشياء التي ريتوها وعرفتموها تجعلونها شركاء الله وقد سمعتم جلال الله وعظمته وان المذموم سمع منهم علوهم يتهون الى السدرة ويقفون هناك لا يبق شك في كونهم بعدين عن طريقه المعقول أكثر مما بعنوا عن طريقه المنقول فكانهم قالوا نحن لانك ان شيئا منها ليس مثله تعالى ولا قريباً من أن يماثله وانما صورنا هذه الاشياء على صور الملائكة المعطمين الذين اعترف بهم الانبياء وقالوا انهم يرتقون ويقفون عند سدرة المنتهى ويؤيدونهم الامر والتهى وينتهون الى الله ما يصدر من عباده في أرضه وهم بنات الله فأتخذنا صوراً على صور الاناث وسميها اسماء الاناث فاللات تأنيث اللوه وكان أصله ان يقال الالهة لكن في التأنيث يوقف عليها فتصير الالهة فاسقط احدى الهاتين وبقيت الكلمة على حرفين أصليين وتاء التأنيث فجعلناها كالاصلية كما فعلنا بذات مال وذامال والعزى تأنيث الاعز فقال لهم كيف جعلتم الله بنات وقد اعترفتم في أنفسكم ان البنات ناقصات والبنين كاملون والله كامل العظمة فالمنسوب اليه كيف جعلتموه ناقصا وأنتم في غاية الحقارة

تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه (تلك) اشارة الى القسمة المنفصلة من الجملة والذلة

الاستفسامية (اذا قسمه ضيرى) أى ﴿ ٧٤٣ ﴾ جارة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكرون منه وهى فعلى من الضيرى

والذات حيث جعلتم أنفسكم أذل من حار وعبدتم صخرة وشجرة ثم نسبتم ان أنفسكم الكامل فهذه القسمة جارة على طريقكم أبضا حيث اذلتهم أنفسكم ونسبتم اليها الاعظم من الاثنين وابغضتم النبات ونسبتموهن الى الاعظم وهو الله تعالى وكان على عادةكم ان تجعلوا الاعظم العظيم والانقص للخصير فاذا انتم خالفتم الفكر والعقل والعادة التى لكم وقوله تعالى (تلك اذا قسمه ضيرى) فيه مسائل (المسئلة الاولى) تلك اشارة الى ماذا نول الى محذوف تقديره تلك القسمة قسمة ضيرى أى غير عادلة ويحتمل أن يقال معنى تلك النسبة قسمة وذلك لانهم ما قسموا وما قالوا لنا البنون وله النبات وانما نسبوا الى الله النبات وكانوا يكرهونهم كما قال تعالى ويجعلون الله ما يكرهون فلما نسبوا الى الله النبات حصل من تلك القسمة قسمة جارة وهذا الخلاف لا يرهق (المسئلة الثانية) اذا جواب ماذا نقول يحتمل وجوها (الاول) نسبتم النبات الى الله تعالى اذا كان لكم البنون قسمه ضيرى (الثانى) نسبتم النبات الى الله تعالى مع اعتقادكم انهن ناقصات واختياركم البنين مع اعتقادكم انهم كاملون اذا كنتم فى غاية الخفارة والله تعالى فى نهاية العظمة قسمة ضيرى فان قبل ما أصل اذا قلنا هو اذا التى للطرف قطعت الاضافة عنها فحصل فيهما توين وبيانه هو انك تقول آتيك اذا طلعت الشمس فكانك أضفت اذا طلوع الشمس وقلت آتيك وقت طلوع الشمس فاذا قال قائل آتيك فتقول له اذا أكرمك اى اذا آتيتنى أكرمك فلما حذفنا الاثبات اسبق ذكره فى قول القائل آتيت بدله بنونين وقلت اذا كما يقول وكلا آتياء (المسئلة الثالثة) ضيرى قرى بالهمز وبغير همز وعلى الاولى هى فعلى بكسر الفاء كذ كرى على انه مصدر وصف به كرجل عدل أى قسمة ضائرة وعلى القراءة الثانية هى فعلى وكان أصلها ضوزى لكن حين الكلمة كانت بائية فكسرت الفاء لتسلم العين عن القلب كذلك فعل يبيض فان جمع افعل فعل تقول أسود وسود وأجر وجر وتقول أبيض ويبيض وكان الوزن يبيض وكان يلزم منه قلب العين فكسرت الياء وتركنا الياء على حالها وعلى هذا ضيرى للمبالغة من ضائرة تقول فاضل وأفضل وفاضلة وفضلى وكبر وأكبر وكبيرة وكبرى كذلك ضائر واضور وضائرة وضوزى وعلى هذا نقول اضور من ضائر وضيرى من ضائرة فان قيل قد قلت من قبل ان قوله أم له النبات ولكم البنون ليس بمعنى انكار الامر بل بمعنى انكار الاول واظهار النكر بالامر الثانى كما تقول اتجعلون لله أندادا وتعلمون انه خلق كل ما سواه فانه لا ينكر الثانى وههنا قوله تلك اذا قسمه ضيرى دل على انه أنكر الامرين جميعا نقول قد ذكرنا هناك ان الامرين محتملان اما انكار الامرين فظاهر فى المشهور أما انكار الاول فثابت بوجوه وأما الثانى فلما ذكرنا انه تعالى قال كيف يجعلون لله النبات وقد صار لكم البنون بقدرته كما قال تعالى يهب لمن يشاء آنا ويهب لمن يشاء الذكور وخالق البنين لكم لا يكون له نبات وأما قوله تعالى تلك اذا قسمه ضيرى فنقول قد بينا ان تلك طائد الى النسبة أى

وهو الجور لكنه كسر
فاؤه لتسلم الياء كما فعل
فى بيض فان فعلى
بانكسر لم يأت فى
الوصف وقرى ضيرى
بالهمزة من ضائر اذا
ظلمه على انه مصدر
نعت به وقرى ضيرى
اما على انه صفة
كسرى وعطشى
(ان هى) الضمير
للاصنام أى ما
الاصنام يا عشار
الالهية التى يدعونها
(الاسماء) محضة
ليس تحتها مما تنبى هى
عنه من معنى الالهية
شىء ما أصلا وقوله
تعالى (سبحوها)
صفة لاسماء وضيرها
لها لالاصنام والمعنى
جعلتموها أسماء
لاجعلتم لها أسماء
فان التسمية نسبة بين
الاسم والمسمى فاذا
قيست الى الاسم فمعناها
جعلها اسما للجسمى وان
قيست الى المسمى
فمعناها يجعله مسمى
للاسم وانما اختيار
ههنا المعنى الاول
من غير تعرض للجسمى

لتحقيق ان تلك الاصنام التي يسمونها آلهة أسماء مجردة * ٧١٤ * ليس لها سميات قطعا كما في قوله تعالى

ما تعبدون من دونه
الا أسماء سميتوها
الآية لا ان هناك
سميات لكنها
لا تستحق التسمية وقبل
هي للاسماء الثلاثة
الذكورة حيث كانوا
يطلقونها على تلك
الاصنام لاعتقادهم
انها تستحق العكوف
على عبادتها والاعزاز
والقرب اليها بالقرايين
وأنت خير بانه لو سلم
دلالة الاسماء المذكورة
على ثبوت تلك المعاني
الخاصة للاصنام
فليس في سلبها عنها
مزيد فائدة بل انها هي
في سلبها لاهوية عنها
كما هو زعمهم المشهور في
حق جميع الاصنام على
وجه برهاني فان انتفاء
الموصوف يقتضي انتفاء
الوصف بطريق
الاولوية أي ماهي
الا أسماء خالية عن
السميات وضعوها
(أنتم وآباؤكم) بقتضى
أهو انكم إليسا طلة
(ما أنزل الله بها من
سلطان) برهان
تعلقون به

نسبتكم البنات الى الله تعالى مع ان لكم البنين قسمة ضائرة فالمنكر تلك النسبة وان كان
المنكر القسمة نقول يجوز أن يكون تقديره أيجوز جعل البنات لله تعالى كما ان واحدا
اذا كان بينه وبين شريكه شئ مشترك على السوية ف يأخذ نصفه لنفسه ويعطى من
النصف الباقي نصفه لظالمه ونصفه لصاحب فقال هذه قسمة ضائرة لالكونه أخذ النصف
فذلك حقه بل لكونه لم يوصل اليه النصف * ثم قال تعالى (ان هي الا أسماء
سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) وفيه مباحث تدق عن ادراك الغوى
ان لم يكن عنده من المعلوم حظ عظيم ولذا كر ما قيل فيه أولا فنقول قيل معناه ان هي
الا أسماء أي كونها انانا وكونها معبودات أسماء لا مسمى لها فانها ليست باناث حقيقة
ولا معبودات وقيل أسماء أي قد تم بعضها عزي ولا عزة لها وقيل قلتم انها آلهة وليست
بآلهة والذي نقوله هو ان هذا جواب عن كلامهم وذلك على ما بينا انهم قالوا نحن لان شك
في ان الله تعالى لم يلد كما تلد النساء ولم يولد كما تولد الرجال بالجماعة والاحبال غير اننا لفظ
الولد مستعملا عند العرب في المسبب نقول بنت الحبل وبنت الشفة لما يظهر منهما
ويوجد لكن الملائكة أولاد الله بمعنى انهم وجدوا بسببه من غير واسطة فقلنا انهم أولاده
ثم ان الملائكة فيها ثناء التأييد فقلناهم أولاده مؤنثة والولد المؤنث بنت فقلنا لهم بنات الله
أي لا واسطة بينهم وبين الله تعالى في اليجاد كما نقول الفلاسفة فقال تعالى هذه الاسماء
استنبطتموها أنتم بهوى أنفسكم واطلقتم على الله ما يوههم النقص وذلك غير جائز وقوله
تعالى يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وقوله يده الخير أسماء موهمة غير انه تعالى أنزلها
وله ان يسمى نفسه بما اختار وليس لاحد أن يسميه باسم يوههم النقص من غير ورود الشرع
به ولنبين التفسير في مسائل (الاولى) هي ضمير عائد الى ماذا نقول الظاهر انها عائدة الى
امر معلوم وهو الاسماء كما نه قال ما هذه الاسماء التي وضعتموها أنتم وهو المشهور ويحتمل
ان يقال هي عائدة الى الاصنام بانفسها أي ما هذه الاصنام الاسماء وعلى هذا فهو على
سبيل المبالغة والجوز يقال لتحقير انسان ما زيد الاسم وما الملك الا اسم اذا لم يكن
مشتلا على صفة تعتبر في الكلام بين الناس ويؤيد هذا القول قوله تعالى ما تعبدون من
دونه الا أسماء أي ما هذه الاصنام الاسماء (المسئلة الثانية) ما الفائدة في قوله سميتوها
مع ان جميع الاسماء هم وضعوها أو بعضها هم وضعوها ولم ينكر عليهم نقول المسئلة
مختلف فيها ولا يتم الذم الا بقوله تعالى ما أنزل الله بها من سلطان وبيانه هو ان الاسماء ان
أنزلها الله تعالى فلا كلام فيها وان وضعها الناس للتفاهيم فينبغي ان لا يكون في ضمن تلك
الفائدة مفسدة أعظم منها لكن ايهام النقص في صفات الله تعالى أعظم منها فآله تعالى
ما يجوز وضع الاسماء للحقائق الاحيائية تسلم عن المحرم فلم يوجد في هذه الاسماء دليل نقلي
ولا وجه عقلي لان ارتكاب المفسدة العظيمة لاجل المنفعة القليلة لا يجوز العاقل فاذا
ما أنزل الله بها من سلطان ووضع الاسم لا يجوز الابدال نقلي أو عقلي وهو أنه يقع خاليا

عن وجوه المضار الراجعة (المسئلة الثالثة) كيف قال سميتوها أنتم مع أن هذه الاسامي
 لاصنامهم كانت قبلهم نقول فيه لطيفة وهي أنهم لو قالوا ما سميتها وانما هي موضوعة
 قبلنا قيل لهم كل من يطلق هذه الالفاظ فهو كما مبتدئ الواضح وذلك لان الواضع الاول
 لهذه الاسماء للملم يكن واضعا بدليل نقل ولا واضعا بدليل هتلى لم يجب اتباعه لمن يطلق
 اللفظ لان فلانا أطلقه لا يصح منه كما لا يصح أن يقول أضلني الاصحى ووقاله اقبل
 له بل أنت أضلت نفسك حيث اتبعت من عرفت أنه لا يصلح للاقتداء به (المسئلة
 الرابعة) الاسماء لا تسمى وانما يسمى بها فكيف قال سميتوها نقول عنه جوابا ن
 (أحدهما) انوى وهو أن التسمية وضع الاسم فكانه قال أسماء وضعتوها فاستعمل
 سميتوها استعمال وضعتوها ويقال سميتهم زيدا وسميتهم يزيد فسميتوها بمعنى سميتهم بها
 (وثانيهما) معنوى وهو أنه لو قال أسماء سميتهم بها لكان هناك غير الاسم شيء يتعلق به الباء
 في قوله بها لان قول القائل سميت به يستدعى مفعولا آخر تقول سميت يزيد أبني أو عبدي
 أو غير ذلك فيكون قد جعل للاصنام اعتبارا وراء أسمائها وإذا قال ان هي الأسماء
 سميتوها أى وضعتوها في أنفسها الامسيات لمالم يكن ذلك فان قيل هذا باطل بقوله تعالى
 وانى سميتها مريم حيث لم يقل وانى سميتها مريم ولم يكن ما ذكرت مقصودا والا لكانت
 مريم غير ملتفت اليها كما قلت في الاصنام نقول بينهما بون عظيم وذلك لان هناك قال
 سميتها مريم فذكر المفعولين فاعتبر حقيقة مريم بقوله سميتها واسمها بقوله مريم وأما
 ههنا فقال ان هي الأسماء سميتوها أى ما هناك الأسماء موضوعة فلم تعتبر الحقيقة ههنا
 واعتبرت في مريم (المسئلة الخامسة) ما أنزل الله بها من سلطان على أى وجه استعملت
 الباء في قوله بها من سلطان نقول كما يستعمل القائل ارتحل فلان بأهله ومناعه أى ارتحل
 ومعه الأهل والمتاع كذلك ههنا ثم قال تعالى (ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس
 ولقد جاءهم من ربهم الهدى) وفيه مسائل (الاولى) قرئ ان يتبعون بالياء هلى الخطاب
 وهو ظاهر مناسب لقوله تعالى أنتم وآباؤكم وعلى المغايبة وفيه وجهان (أحدهما) أن
 يكون الخطاب معهم ولكنه يكون التثنية كما أنه قطع الكلام معهم وقال لئيبه انهم
 لا يتبعون الا الظن فلا تلتفت الى قولهم (ثانيهما) أن يكون المراد غيرهم وفيه احتمالان
 (أحدهما) أن يكون المراد آباءهم وتقديره هو أنه لما قال سميتوها أنتم كانهم قالوا هذه
 ليست أسماء وضعتا نحن وانما هي كسائر الاسماء تلقيناها من قبلنا من آباءنا فقال
 وسماها آباؤكم وما يتبعون الا الظن فان قيل كان ينبغي أن يكون بصيغة الماضى نقول
 وبصيغة المستقبل أيضا كانه يفرض الزمان بعد زمان الكلام كافي قوله تعالى وكابهم باسط
 ذراعيه (ثانيهما) أن يكون المراد عامة الكفار كانه قال ان يتبع الكافرون الا الظن
 (المسئلة الثانية) ما معنى الظن وكيف ذمهم به وقد وجب علينا اتباعه في الفقه وقال
 صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي نقول اما الظن فهو خلاف العلم

(ان يتبعون) التثنية
 الى الفيبة للايدان
 بأن تعددا قبا تحمهم
 اقتضى الاعراض
 عنهم وحكاية جناباتهم
 لغيرهم أى ما يتبعون
 فيما ذكر من التسمية
 والعمل بموجبها
 (الا الظن) الاتوهم
 أن ما هم عليه حق
 توهم باطلا (وما
 تهوى النفس) أى
 تشتهي أنفسهم الامارة
 بالسوء (وقد جاءهم
 من ربهم الهدى)
 قبل هي حال من فاعل
 يتبعون أو اعتراض
 وأياما كان فقيده تأكيد
 لبطلان اتباع الظن
 وهوى النفس وزيادة
 تقبيح لحسا لهم فان
 اتباعهم من أى شخص
 كان قبيح ومن هدا
 الله تعالى بارسال
 الرسول صلى الله عليه
 وسلم وانزال الكتاب أجمع

وقد استعمل مجازا مكان العلم والعلم مكانه وأصل العلم الظهور ومنه العلم والعالم وقد بينا
 في تفسير العالمين أن حروف علم في تعاليمها فيها معنى الظهور ومنها لمع الآل اذا ظهر
 وميض السراب ولمع الغزال اذا عدا وكذا النعام وفيه الظهور وكذلك علمت والظن اذا
 كان في مقابلة العلم ففيه الخفاء ومنه يترطون لا يدري أفيها ماء أم لا ومنه الظنين
 المتهم لا يدري ما يظن نقول يجوز بناء الامر على الظن الغالب عند العجز عن درك اليقين
 والاعتقاد ليس كذلك لان اليقين لم يتعذر علينا والى هذا أشار بقوله ولقد جاءهم من
 ربهم الهدى أي اتبعوا الظن وقد أمكنهم الأخذ باليقين وفي العمل يمتنع ذلك أيضا
 (المسئلة الثالثة) ما في قوله تعالى وما تهوى الانفس خيرية أو مصدرية نقول فيه
 وجهان (أحدهما) مصدرية وكأنه قال ان يتبعون الا الظن وهوى الانفس فان
 قيل ما الفائدة في العدول عن صريح المصدر الى الفعل مع زيادة ما فيه تطويل نقول
 فيه فائدة وانها في أصل الوضع ثم نذكرها هنا فنقول اذا قال العاقل أعجبتني صنعك يعلم
 من الصيغة أن الاعجاب من مصدر قد تحقق وكذلك اذا قال أعجبتني ما تصنع يعلم أن الاعجاب
 من مصدر هو فيه فلو قال أعجبتني صنعك وله صنع أمس وصنع اليوم لا يعلم أن المحجب
 أي صنع هو اذا علمت هذا فنقول ههنا قوله وما تهوى الانفس يعلم منه أن المراد انهم
 يتبعون ما تهوى أنفسهم في الحال والاستقبال اشارة الى انهم ليسوا بثابتين على ضلال
 واحد وما هوت أنفسهم في الماضي شيئا من أنواع العبادة فالترموابه وداموا عليه بل
 كل يوم هم يستخرجون عبادة واذا انكسرت أصنامهم اليوم أتوا بغيرها غدا ويغيرون
 وضع عبادتهم بمقتضى شهوتهم اليوم (ثانيهما) انها خيرية تقديره والذي تشبهه
 أنفسهم والفرق بين المصدرية والخيرية ان المتبع على الاول الهوى وعلى الثاني مقتضى
 الهوى كما اذا قلت أعجبتني مصنوعك (المسئلة الرابعة) كيف قال وما تهوى الانفس بافظ
 الجمع مع انهم لا يتبعون ما تهواه كل نفس فان من النفوس ما لا تهوى ما تهواه غيرها
 نقول هو من باب مقابلة الجمع بالجمع معناه اتبع كل واحد منهم ما تهواه نفسه يقال خرج
 الناس بأهلهم أي كل واحد بأهله لا كل واحد بأهل الجمع (المسئلة الخامسة) بين لنا
 معنى الكلام جملة نقول قوله تعالى ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس أمران
 مذكور يحتمل أن يكون ذكرهما لامرين تقدير بين يتبعون الظن في الاعتقاد
 ويتبعون ما تهوى الانفس في العمل والعبادة واللاهيا فاسد لان الاعتقاد ينبغي أن
 يكون مبناه على اليقين وكيف يجوز اتباع الظن في الامر العظيم وكلما كان الامر أشرف
 وأخطر كان الاحتياط فيه أوجب وأحذر وأما العمل فالعبادة مخالفة للهوى فكيف
 تبنى على متابعتها ويحتمل أن يكون في أمر واحد على طريقة النزول درجة درجة فقال ان
 يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس أي وما دون الظن لان القرونة تهوى ما لا يظن به
 خير وقوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى اشارة الى أنهم على حال لا يعتد به لان

اليدين مقدور عليه وحقى بجي الرسل * وانهدى فيه وجوه ثلاثة (الاول) القرآن
 (الثاني) الرسل (الثالث) المعجزات * ثم قال تعالى (أم للانسان مائتي) المشهور ان أم
 منقطعة معناه الانسان ما اختاره واشتهاه وفي مائتي وجوه (الاول) الشفاعة
 تمنوها وليس اهم شفاعة (الثاني) قواهم شئ جئت الى ربى انى عنده للحسنى (الثالث)
 قول الوليد بن المغيرة لا وثين مالا وواسا (الرابع) مئتي جماعة أن يكونوا أقباء ولم تحصل
 لهم تلك الدرجة الرفيعة فان قلت هل يمكن أن تكون أم ههنا متصلة نقول نعم وبالجملة
 الاولى حينئذ تحتل وجهين (أحدهما) انها مذكورة في قوله تعالى ألكم الذكرو له
 الانثى كانه قال ألكم الذكرو له الانثى على الحقيقة أو يتبعون لانفسكم ما تشتهون
 وتتنون وعلى هذا فقوله تلك اذا قسمه ضيرى وغيره اجل اعترضت بين كلامين متصلين
 (ثانيهما) انها مخدوفة وتقرير ذلك هو اننا بينا ان قوله أقرأيتم لبيان فساد قولهم
 والاشارة الى ظهور ذلك من غير دليل كما اذا قال قائل فلا يصلح للملك فيقول آخر لثالث
 أمارأيت هذا الذى يقوله فلان ولا يذكر انه لا يصلح للملك ويكون مراده ذلك فيذكره
 وحده منبها على عدم صلاحه فبهنا قال تعالى أقرأيتم اللات والعزى أى يستحقان
 العبادة أم للانسان أن يعبد ما يشتهيه طبعه وان لم يكن يستحق العبادة وعلى هذا فقوله
 أم للانسان أى هل له أن يعبد بالتمنى والاشتهاء ويؤيد هذا قوله تعالى وما تهوى الانفس
 أى عبدتم بهوى أنفسكم ما لا يستحق العبادة فهل لكم ذلك * ثم قال تعالى (فقل للآخره
 والاولى) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في تعلق الغاء بالكلام وفيه وجوه (الاول) ان
 تقديره الانسان اذا اختار معبودا في دينه على مائته واشتهاه فقل للآخره والاولى
 يعاقبه على فعله في الدنيا وان لم يعاقبه في الدنيا فيعاقبه في الآخره وقوله تعالى وكم من ملك
 الى قوله تعالى لا تغنى شفاعتهم يكون مؤكدا لهذا المعنى أى عقابهم يقع ولا يشفع
 فيهم أحد ولا يغنيهم شفاعة شافع (الثاني) انه تعالى لما بين ان اتخاذ اللات والعزى بتابع
 الظن وهوى النفس كانه قرره وقال ان لم تعلموا هذا فقل للآخره والاولى وهذه الاصنام
 ليس لها من الامر شئ فكيف يجوز الاشرار وقوله تعالى وكم من ملك على هذا الواحد
 جواب كلام كانهم قالوا لا نشرك بالله شيئا وانما هذه الاصنام شفعاءنا فانها صور ملائكة
 مقر بين فقال وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا (الثالث) هذا تسليه كانه
 تعالى قال ذلك لتبديع حيث بين رسالته ووحداية الله وامبو منوا فقال لانس فقل للآخره
 والاولى أى لا يعجزون الله (الرابع) هو ترتيب حق على دليله يانه هو انه تعالى لما بين
 رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان هو الاوحى يوحى الى آخره وبين بعض ما جاء
 به محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوحيد قال اذا علمت صدق محمد ببيان رسالة الله تعالى
 فقل للآخره والاولى لانه صلى الله عليه وسلم أخبركم عن الحشر فهو صادق (الخامس)
 هو ان الكفار كانوا يقولون للمؤمنين أهولاء أهدي منا وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا

(أم للانسان مائتي) أم
 منقطعة وما فيها من دل
 للانتقال من بيان ان ما هم
 عليه غير مستند الا الى
 توهمهم وهوى أنفسهم
 الى بيان أن ذلك مما
 لا يجدى نفعاً أصلاً
 والهمزة للانكار
 والثنى أى ليس للانسان
 كل ما يشتهى وتشتهيه
 نفسه من الامور التى
 من جعلها أطباعهم
 الفارغة في شفاعة
 الآلهة ونظائرهما
 التى لا تكاد تدخل تحت
 الوجود (فقل للآخره
 والاولى) تعليل لانتفاء
 أن يكون للانسان
 ما يشتهى حتماً فان
 اختصاص امور
 الآخره والاولى جميعاً
 به تعالى مقتضى لانتفائه
 أن يكوله أمر من الامور

أيده قال تعالى ان الله اختار لكم الدنيا واعطاكم الاموال ولم يعط المؤمنين بعض ذلك الامر بل قاتم لو شاء الله لاغناهم وتحققتم هذه القضية فله الآخرة والاولى فواو في الآخرة ما قلتم في الدنيا يهدي الله من يشاء كما يهدي الله من يشاء (المسئلة الثانية) لا تارة صفة ما تقول صفة الحياة أو صفة الدار وهي اسم فاعل من فعل غير مستعمل تقول آخرته فتأخر وكان من حقه أن تقول فأخر كما تقول غيرته فغير ففهمت منه سماعا ولهذا البحث فائدة ستأتي ان شاء الله تعالى (المسئلة الثالثة) الاولى فعلى للتأنيث فالاول اذن أفعل صفة وفيه مباحث (الاول) لا بد من فاعل أخذ منه الافعل والفعل والفعل فان كل فعلى وافعل للتأنيث والتذكير أصل فليؤخذ منه كالفعل والافضل من الفاضلة والفاضل فاذلك نقول ههنا أخذ من أصل غير مستعمل كما قلنا ان الآخر فاعل من فعل غير مستعمل وسبب ذلك هو أن كل فعل مستعمل فله آخر وذلك لان له ماضياً فاذا استعملت ماضياً لزم فراغ الفعل والالكان الفاعل بعد في الفعل فلا يكون ماضياً فانك لا تقول لمن هو بعد في الاكل أكل المتجاوزا عند ما ياتي له قليل فيقول أكل اشارة الى أن ما بقي غير معتد به وتقول لمن قرب من الفراغ فرغت فيقول فرغت بمعنى ان ما بقي قليل لا يعتد به فكأن فرغت وأما الماضي في الحقيقة لا يصح الا عند تمام الشيء والفراغ عنه فاذا للفعل المستعمل آخر فلو كان لقولنا آخر على وزن فاعل ففعل هو آخر يا آخر كما أمر يا أمر لكان معناه صدر مصدره كجاس معناه صدر الجلوس منه بالتمام والكمال فكان ينبغي أن النازل اذا قال فلان آخر كان معناه وجد منه تمام الآخرة وفرغ منها فلا يكون بعده ما يكون آخر الكن تقدم ان كل فعل فله آخر بعده لا يقال بشكل بقولنا تأخر فان معناه صار آخر لا نأقول وزن الفعل ينادي على صحة ما ذكرنا فانه من باب التكليف والتكبر اذا استعمل في غير التكبر أي يرى انه آخر وليس في الحقيقة كذلك اذا علمت هذا فنقول الآخر فاعل ليس له فعل ومبالغة بأفعل وهو كقولنا آخر فتقلت الهمزة الى مكان الف والالف الى مكان الهمزة فصارت الالف همزة والهمزة ألفا ويدل عليه التأويل في المعنى فان آخر الشيء جزء منه متصل به والآخر مباين عنه منفصل والمنفصل بعد المتصل والآخر أشد آخر عن الشيء من آخره والاول افعل ليس له فاعل وليس له فعل والاول أبعد عن الفعل من الآخر وذلك لان الفعل الماضي علمه آخر من وصفة بالماضي والاول ذلك الوصف لما علمه آخر وأما الفعل لتفسير كونه فعلا علمه أول لان الفعل لا بد له من فاعل يقوم به أو يوجد منه فاذا الفاعل أو لا ثم الفعل فاذا كان الفاعل أول الفعل كيف يكون الاول له فعل يوجد منه فلا فعل له ولا فاعل فلا يقال آل الشيء بمعنى سبق كما يقال قال من القول أو نال من النيل لا يقال أن قولنا سبق أخذ منه السابق ومن السابق السابق مع ان الفاعل يسبق الفعل وكذلك يقال تقدم الشيء مع ان الفاعل متقدم على الفعل الى غير ذلك نقول اما تقدم قدمضي الجواب عنه في تأخر وأما سبق

وقوله تعالى (وكم من ملك في السموات ﴿ ٧٤٩ ﴾ لا تغنى شفاعتهم شيئا) اقتطاع لهم غما علقوا به اطماعهم

من شفاععة الملائكة
لهم موجب لاقتطاعهم
من شفاععة الاصنام
بطريق الاول وهو كم
خبرية مفيدة للتكثير
محلهما الرفع على الابتداء
والخبر هي الجملة المنفية
وجع الضمير في شفاعتهم
مع افراد الملك باعتبار
المعنى أى وكثير
من الملائكة لا تغنى
شفاعتهم عند الله
تعالى شيئا من الاغناء
في وقت من الاوقات
(الامن بعد أن يأذن الله)
لهم في الشفاععة (لن
يشاء) أن يشفعوا له
(ويرضى) ويراه أهلا
للشفاعة من أهل
التوحيد والايمان
وأما من عداهم من
أهل الكفر والطغيان
فهم من أذن الله تعالى
بمعزل ومن الشفاععة
بالف منزل فاذا كان
حال الملائكة في باب
الشفاعة كما ذكر
فاظنهم محال الاصنام

يقول القائل سابقته وسابقته فيجيب عنه بان ذلك مقتدر الى أمر يصدر من فاعل
فالسابق ان استعمل في الاول فهو بطريق المشابهة لا بطريق الحقيقة والفاعل أول
الفعل بمعنى قبل الفعل وليس سابق الفعل لان الفاعل والفعل لا يتسابقان فالفاعل
لا يسبقه والذي يوضح ما ذكرنا ان الآخر أبعد من الاول عن الفعل بخلاف الآخر
وما يقان ان أول بمعنى جعل الآخر أولا لاستخراج معنى من الكلام فبعد والام يكن
آخر دونه في افادة ذلك يل التأويل من آل الشيء اذا رجع أى رجعته الى المعنى المراد
وأبعد من اللفظين قبل وبعد فان الآخر فاعل من غير فعل والاول أفعال من غير فاعل
ولا فعل وقبل وبعد لا فاعل ولا أفعال فلا يفهم من فعل أصلا لان الاول أول لما فيه من
معنى قبل وليس قبل قبل لما فيه من معنى الاول والآخر آخر لما فيه من معنى بعد وليس
بعد بعد لما فيه من معنى الآخر يدل على ذلك تعالى أحدهما بالآخر ولا تتركه فتقول
هذا آخر من جاء لانه جاء بعد الكل ولا تقول هو جاء بعد الكل لانه آخر من جاء يؤيده أن
الآخر لا يتحقق الابدعية مخصوصة وهي التي لا بعدية بعدها وبعد ليس لا يتحقق الا
بالآخر فان المتوسط بعد الاول ليس بآخر وهذا البحث من ابحاث الزمان ومنه يعلم معنى
قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر أى الدهر هو الذى يفهم منه القليلة والبعدية والله
تعالى هو الذى يفهم منه ذلك والبعدية والتبانية حقيقة لا ثبات الله ولا مفهوم الزمان
الامابه القليلة والبعدية فلا تسبوا الدهر فان ما تفهمونه منه لا يتحقق الا فى الله وبالله
ولولا ما كان قبل ولا بعد (البحث الثانى) ورد في كلام العرب الاولة تأنيث الاول هو
ينافيه صحة استعمال الاولى لان الاولى تدل على ان الاول أفضل للتفضيل وأفضل
للتفضيل لا يلحقه تاء التأنيث فلا يقال زيد اعلم وزيد اعلم اسبب بطول ذكره وسنذكره
في موضع آخر ان شاء الله تعالى نقول الجواب عنه هو ان أول لما كان أفعال وليس له
فاعل شابه الاربع والارب فجاز الحاق التامه ولما كان صفة شابه الاكبر والاصغر فقبل
أولى (المسئلة الرابعة) أولى تدل على ان أول لا ينصرف فكيف يقال أفعله أولا ويقال
جاء زيد أولا وعمر وثانيا فان قيل جاز فيه الامر ان يناء على أوله وأولى فن قال بأن تأنيث
أول أوله فهو كالاربع والاربعة فجاز التثوين ومن قال أولى لا يجوز نقول اذا كان
كذلك كان الاشهر ترك التثوين لان الاشهر أن تأنيثه أولى وعليه استعمال القرآن
فاذن الجواب ان عند التأنيث الاولى ان يقال أولى نظرا الى المعنى وعند العرب أوله لانه
هو الاصل ودل عليه دليل وان كان أضعف من الغير وربما يقال بان منع الصرف من
أفضل لا يكون الا اذا لم يكن تأنيثه الا فعلى وأما اذا كان تأنيثه بالتاء أوجاز ذلك فيه
لا يكون غير منصرف ثم قال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من
بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقد علم وجه تعلقها بما قبلها في الوجوه المتقدمة في
قوله تعالى فله الآخرة ان قلنا ان معناه ان اللات والعزى وغيرهما ليس لهم من الامر

شيء فله الآخرة والاول فلا يجوز اشراكهم فيقواون نحن لانشررك بالله شيئا وانما
نقول هؤلاء شفعاؤنا فقال كيف تشفع هذه ومن في السموات لا يملك الشفاعة فيه مسائل
(المسئلة الاولى) كم كلمة تستعمل في المقادير اما لاستنباتنها فتكون استفهامية كقولك
كم ذراع اطوله وكم رجلا جالك أي كم هدد الجائين تسنين المقدار وهي حينئذ مثل كيف
لاستنبات الاحوال وأي لاستنبات الافراد واما لاستنبات الحقائق وأمالبيانها على الاحوال
فتكون خبرية كقولك كم رجل اكرم مني أي كثير منهم أكرموني غير ان عليه أسئلة
(الاول) لم لم يجز ادخال من على الاستفهامية وجاز على الخبرية (الثاني) لم نصب ميز
الاستفهامية وجر الذي للخبرية (الثالث) هي تستعمل في الخبرية في مقابلة رب فلم جعل
اسما مع ان رب حرف أما الجواب عن الاول فهو ان من يستعمل في الموضع المتعين
بالاضافة نقول خاتم من فضة كما نقول خاتم فضة ولما لم تضاف في الاستفهامية لم يجز
استعمال ما يضاهاه وسنين هذا الجواب والجواب عن السؤال الثاني هو ان نقول ان
الاصل في الميز الاضافة وعن الثالث هو ان كيدخل عليه حرف الجر فنقول الى كم تصبر
وفي كم يوم جئت ويكم رجل مررت ومن حيث المعنى ان كم اذا قرن بها من وجهن بميزه
جعا كما في قول القائل كم من رجال خدمتهم يكون معناه كثير من الرجال خدمتهم
ورب وان كانت للتقليل لكن لا تقوم مقام التقليل فلا يمكن ان يقال في رب انها عبارة عن
قليل كما قلنا في كم انه عبارة عن كثير (المسئلة الثانية) قال شفاعتهم على عود الغمير
الى المعنى واو قال شفاعته لكان العود الى اللفظ فيجوز أن يقال كم من رجل رأيته
وكم من رجل رأيته فان قلت هل بينهما فرق معنوي قلت نعم وهو انه تعالى للمقال لا تغني
شفاعتهم يعني شفاعة الكل ولو قال شفاعته لكان معناه كثير من الملائكة كل واحد لا تغني
شفاعته فر بما كان يخطر ببال أحدان شفاعتهم تغني اذا اجتمعت وعلى هذا في الكلام
أمور كلها تشير الى عظم الامر (أحدها) كم فانه للتكثير (ثانيها) لفظ الملاك فانه أشرف
أجناس المخلوقات (ثالثها) في السموات فانه الإشارة الى علو منزلاتهم ودنوا من ربهم من مقر
السعادة (رابعها) اجتماعهم على الامر في قوله شفاعتهم وكل ذلك لبيان فساد قولهم ان
الاصنام يشفعون أي كيف تشفع مع حقارتها وضعفها ودناءة منزلاتها فان الجماد أخس
الاجناس والملائكة أشرفها وهم في أعلى السموات ولا تقبل شفاعة الملائكة فكيف
تقبل شفاعة الجمادات (المسئلة الثالثة) ما الفائدة في قوله تعالى كم من ملك بمعنى كثير من
الملائكة مع ان كل من في السموات منهم لا يملك الشفاعة نقول المقصود الرد عليهم في
قوالهم هذه الاصنام تشفع وذلك لا يحصل يبين ان ملكا من الملائكة لا تقبل شفاعته
فا كتنى بذكر الكثير ولم يقل ما منهم أحد يملك الشفاعة لانه أقرب الى المنازعة فيه
من قوله كثير مع ان المقصود حاصل به ثم ههنا بحث وهو أن في بعض الصور تستعمل
صيغة العموم والمراد الكثير وفي البعض يستعمل الكثير والمراد الكل وكلاهما على

طريقة واحدة وهو استقلال الباقي وعدم الاعتداد ففي قوله تعالى تدمر كل شيء كأنه
يجعل الخارج عن الحكم غير ملتفت اليه وفي قوله تعالى وكم من ملك وقوله بل أكثرهم
لا يعلمون وقوله أكثرهم بهم مؤمنون يجعل المخرج غير ملتفت اليه فيجعل كأنه ما أخرجه
كالأمر الخارج عن الحكم كأنه ماخرج وذلك يختلف باختلاف المقصود من الكلام
فإن كان الكلام مذكورا لأمر فيه يبالغ يستعمل الكل مثاله يقال للملك كل الناس
يدعون لك إذا كان الغرض بيان كثرة الدعاء له لا غير وإن كان الكلام مذكورا
لأمر خارج عنه لا يبالغ فيه لأن المقصود غيره فلا يستعمل الكل مثاله إذا قال الملك لمن
قال له اغتيم دعائي كثير من الناس يدعون لي إشارة إلى عدم احتياجه إلى دعائه لا بيان
كثرة الدعاء له فكذلك ههنا (المسئلة الرابعة) قال لا تغني شفاعتهم ولم يقل لا يشفعون
مع أن دعواهم أن هؤلاء شفعائنا لا أن شفاعتهم تنفع أو تغني وقال تعالى في مواضع
آخر من ذا الذي يشفع عنده إلا بآذنه ففي الشفاعة بدون الإذن وقال ما لهم من ولي ولا
شفيع أني الشفيع وههنا في الاغناء نقول هم كانوا يقولون هؤلاء شفعائنا وكانوا
يعتقدون نفع شفاعتهم كما قال تعالى ليقر بونا إلى الله زاني نقول في دعواهم يستعمل على
قاعدة عظيمة أما في دعواهم لأنهم قالوا الأصنام تشفع لنا شفاعة مقربة مغنية فقال لا تغني
شفاعتهم بدليل أن شفاعة الملائكة لا تغني وأما القاعدة فلأنه لما استثنى بقوله إلا من بعد
أن يأذن الله أي فيشفع ولكن لا يكون فيه بيان أنها تقبل وتغني أولا تقبل فإذا قال
لا تغني شفاعتهم ثم قال إلا من بعد أن يأذن الله فيكون معناه تغني فيحصل البشارة لأنه
تعالى قال الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به
ويستغفرون للذين آمنوا وقال تعالى ويستغفرون لمن في الأرض والاستغفار شفاعة
وأما قوله من ذا الذي يشفع عنده إلا بآذنه فليس المراد في الشفاعة وقبولها كما في هذه
الآية حيث رد دعائهم قولهم وانما المراد عظمة الله تعالى وأنه لا ينطق في حضرته أحد
لا يتكلم كما في قوله تعالى لا يتكلمون إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء (المسئلة
الخامسة) اللام في قوله لمن يشاء ويرضى تحتل وجهين (أحدهما) أن تتعلق بالآذن
وهو على طريقين (أحدهما) أن يقال إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة في
الشفاعة لمن يشاء الشفاعة ويرضى (الثاني) أن يكون الآذن في المشفوع له لأن الآذن
حاصل لكل في الشفاعة للمؤمنين لأنهم جميعهم يستغفرون لهم فلامعنى التخصيص
ويمكن أن ينازع فيه (وثانيهما) أن تتعلق بالاغناء يعني إلا من بعد أن يأذن الله لهم في
الشفاعة فتغني شفاعتهم لمن يشاء ويمكن أن يقال بأن هذا بعيد لأن ذلك يقتضي أن تشفع
الملائكة والاغناء لا يحصل إلا من يشاء ففجاب عنه بأن فيه التنبية على معنى عظمة الله تعالى
فإن الملك إذا شفّع فالتعالى على مشيئته بعد شفاعتهم يغفر لمن يشاء (المسئلة السادسة)
ما القاعدة في قوله تعالى ويرضى نقول فيه قاعدة الارشاد وذلك لأنه لما قال لمن يشاء كان

المكلف مترددا لا يعلم مشيئته فقال يرضى ايعلم انه العابد الشاكر لا المعاند الكافر فانه تعالى قال ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم فكذا نه قال لمن يشاء ثم قال ويرضى بيانا لمن يشاء وجواب آخر على قولنا لا تغنى شفاعتهم شيئا من يشاء هو ان فاعل يرضى المداول عليه لمن يشاء كانه قال ويرضى هو اى تغنيه الشفاعة شيئا صالحا فيحصل به رضاه كما قال ويرضى هو اى تغنيه الشفاعة وحينئذ يكون يرضى للبيان لانه لما قال لا تغنى شفاعتهم اشارة الى نفي كل قليل وكثير كان اللازم عنده بالاستثناء ان شفاعتهم تغنى شيئا ولو كان قليلا ويرضى المشفوع له ليعلم انها تغنى أكثر من اللازم بالاستثناء ويمكن أن يقال ويرضى لتبيين ان قوله يشاء ليس المراد المشيئة التى هى الرضا فان الله تعالى اذا شاء الضلالة بعبد لم يرض به واذا شاء الهداية رضى فقال لمن يشاء ويرضى ايعلم ان تلك المشيئة ليست هى المشيئة العامة انما هى الخاصة * ثم قال تعالى (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى) وقد بينا ذلك فى سورة الطور واستدلنا بهذه الآية ونذكر ما يقرب منه ههنا فقول الذين لا يؤمنون بالآخرة هم الذين لا يؤمنون بالرسول ولا يتبعون الشرع وانما يتبعون ما يدعون انه عقل فيقوون أسماء الله تعالى ليست توقفية ويقوون الولد هو الموجود من الغير ويستدلون عليه بقول اهل اللغة كذا يتولد منه كذا يقال الزاج يتولد من الآخر بمعنى يوجد منه وكذا انقول فى بنت الكرم وبنت الحبل ثم قالوا الملائكة وجدوا من الله تعالى فهم اولاده بمعنى اليجاد ثم انهم رأوا فى الملائكة ثناء التأنيث وصح عندهم ان يقال سجدت الملائكة فقالوا بنات الله فقال ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى اى كاسمى الاناث بنات وفيه مسائل (المسئلة الاولى) كيف يصح ان يقال انهم لا يؤمنون بالآخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم أن يربطوا مراكبهم على قبر من يموت ويعتقدون انه يحشر عليه فقول الجواب عند من وجهين (احدهما) انهم لما كانوا لا يجزمون به كانوا يقولون لا حشر فاركان قلنا شفعاؤنا يدل عليه قوله تعالى وما ظن الساعة فائمة ولئن رجعت الى ربي انى عنده للحسنى (ثانيهما) انهم ما كانوا يعترفون بالآخرة على الوجه وهو ما ورد به الرسل (المسئلة الثانية) قال بعض الناس انثى فعل من افعل يقال فى فعلها آنت ويقال فى فاعلها آنت يقال حديد آنت والحق أن الانثى يستعمل فى الاكثر على خلاف ذلك بدليل جمعها على اناث (المسئلة الثالثة) كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث نقول عنه جوابان (احدهما) ظاهر والآخر دقيق اما الظاهر فهو ان المراد بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لما جاء على وفقه آخر الآيات والدقيق هو انه لو قاله يسمونهم تسمية الاناث يحتمل وجهين احدهما التسمية بالبنات وثانيهما الاعلام المعتادة للاناث كعائشة وحفصة فان تسمية الاناث كذلك تكون فاذا قال تسمية الانثى

(ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) واما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصى (ليسمون الملائكة) المنزهين عن سمات نقصان على الاطلاق اى يسمون كل واحد منهم (تسمية الانثى) فان قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بان كلامهم بنده سبحانه وهى التسمية بالانثى وفى تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بانها فى الشناعة والفظاعة واستنباع العقوبة فى الآخرة بحيث لا يجترأ عليها الا من لا يؤمن بها رأسا

تعين ان تكون للجنس وهى البنت والبنات ومناسبة هذه الآية لما قبلها هى انهم لما قيل لهم ان الصنم جاد لا يشفع وبين لهم ان أعظم أجناس الخلق لا شفاعه لهم الا بالاذن قالوا نحن لانعبد الاصنام لانها جادات واننا نعبد الملائكة بعبادتها فانها على صورتها نصيها بين أيدينا لئلا نكرنا الشاهد الغائب فنعظم الملك الذى ثبت انه مقرب عظيم الشأن رفيع المكان فقال تعالى ردا عليهم كيف تعظمونهم وأنتم تسمونهم تسمية الاناث ثم ذكر فيه مستندهم في ذلك وهو حفظ الملائكة ولم يقل ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائك تسمية الانثى بل قال ليسمون الملائكة فانهم اغتروا بالنساء واغترارهم باط لان النساء نجى لمعار غير لتأنيث الحقيقى والبهت لا تطلق الاعلى الموثى الحقيقى بالاطلاق واتاه فيها لتأكيد معنى الجمع كإي صياغة وهى تشبه تلك التاء وذلك لان الملائكة فى المشهور جمع ملك وان تلك اختصار من الملائك بحذف الهمزة والملائك قلب الملائك من الالوكة وهى الرسالة فالملائكة على هذا اقول مفاعلة ولاصل مفاعل ورد الى ملائكة فى الجمع فهى تشبه فعائل وفمالة والظاهر ان الملائكة فعالة جمع ملىكى منسوب الى المليك بدليل قوله تعالى عند ملىك مقتدر فى وعد المؤمن وقال فى وصف الملائكة فالذين عند ربك وقال أيضا فى الوعد وان له عندنا لى وقال فى وصف الملائكة ولا الملائكة لقربون فهم اذن عباد مكرمون اختصهم الله بمن يدق به ويفعلون ما يؤمرون كأمراء الملوك والمستخدمين عند السلاطين الواقفين بأبوابهم منتظرين لورود أمر عليهم فهم منتسبون الى المليك المقتدر فى الحل فهم ملىكون وملائكة فالهاء للنسبة فى الجمع كإي الصيارفة والبيطرة فان قبل هذا باطل من وجوه (الاول) ان احدا لم يستعمل لواحد منهم ملىكى كما استعمل صير فى (الثانى) ان الانسان عندما يصير عند الله تعالى يجب أن يكون من الملائكة وليس كذلك لان المفهوم من الملائكة جنس غير الآدمى (الثالث) هو ان فعالة فى جمع فعلى لم يسم وانما يقال فعيلة كما يقال جاء بالنميمة والحقيقة (الرابع) لو كان كذلك لما جمع ملك * نقول اما عدم استعمال واحد فسلم وهو سبب وهو ان الملك كلما كان أعظم كان حكمه وخدمته وحشمه أكثر فاذا وصف بالعظمة وصف بالجمع فيقال صاحب العسكر الكثير ولا يوصف بواحد وصف تعظيم وأما ذلك الواحد فان نسب الى المليك عين الخبر بأن يقال هذا ما يلى وذلك عندما تعرف عينه فتجعله مبتدأ وتخبر بالملىكى عنه والملائكة لم يعرفوا بأعيانهم الا قليلا منهم كجبريل وميكائيل وحيث لا فائدة فى قولنا جبريل ملىكى لان من عرف المبتدأ عرف الخبر ولا يصاغ الجملة الا لبيان ثبوت الخبر للمبتدأ فلا يقال الانسان حيوان أو جسم لانه اوضح واضمح الا ان يستعمل ذلك فى ضرب مثال وفى صورة نادرة لفرض واما أن ينسب الى المليك وهو مبتدأ فلا لان العظمة فى أن يقول واحد من الملائكة فتنبه على كثرة المقرين اليه كما تقول واحد من أصحاب الملك ولا تقول صاحب

وقوله تعالى (ومالهية به من علم) حال من فاعل يسمون أى يسمونهم والحال أنه لا علم لهم بما يقولون أصلا وقرئ بها أى بالملائكة أو بالنسبة (ان يتبعون) فى ذلك (الا الظن) اغاصد (وان الظن) أى جنس الظن كما يلوح به الاظهار فى موقع الاضمار (لا يفتنى من الحق شيئا) من الاغناء فان الحق الذى هو عبارة عن حقيقة الشئ لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداده فى شأن المعارف الحقيقية وانما يعتد به فى العمليات عواما يؤدى اليها

الملك فاذا اردت التعظيم البالغ فعند الواحد استعمل اسم الملك غير منسوب بل هو موضوع لشدته وقوته كما قال تعالى ذو مرة وذوقوه فقال شديد القوى وم ل ك تدل على الشدة في تقاليلها على ما عرف وعند الجمع استعمل الملائكة للتعظيم كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وأما الجواب عن الثاني فنقول قد يكون الاسم في الاول لوصف يختص ببعض من يتصف به وغيره لوصار متصفا بذلك الوصف يسمى بذلك الاسم كالعادة فاعلة من دب ولا يقال للمرأة ذات الدب دابة اسماءور بما يقال لها مصفة عند حالة مات دب بدب مخصوص غير الدب العام الذي في الكل كما وردت بليل لاخذ شيء أو غيره أو يقال انما سميت الملائكة ملائكة لطول انسابهم من قبل خلق آدمي بسنين لا يعلم عددها الا الله فمن لم يصل الى الله ويقوم ببابه لا يحصل له العهد والانتساب فلا يسمى بذلك الاسم وأما عن الثالث فنقول الجموع اسمية لامانع لها كفعال في جمع فعل كجعلال وثمار وافعال ككثاقل وأشجار وفعلان وغيرها وأما السماع وان لم يرد الاقبلا فما كتفي بما فيه من التعظيم من نسبة الجمع الكثير الى باب الله ويكون من باب المرأة والنساء اما الجواب عن الرابع فالمنع واصل هدامنه أو نقول حل فعيلي على فعمل في الجمع كما حل فعيل في الجمع على فعيل في جمع جيد جباد ولا يقال في فعيل أفاعل ويؤيد ما ذكرنا ان ابليس عندما كان واقفا بالباب كان داخلا في جملة الملائكة فنقول قوله تعالى واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس عندما صرف وأبعد خرج عنهم وصار من الجن وأما ما قاله بعض أهل اللغة من أن الملائكة جمع ملائك وأصل ملائك مائل من الاثوكة وهي الرسالة ففيه تعسفات أكثر مما ذكرنا بكثير منها ان الملك لا يكون فعل بل هو مفعول وهو خلاف الظاهر ولم يستعمل مائل على أصله كما رب وما تم وما كل وغيرها مما لا بعد الاعتسف ومنها ان ملكا لم يجعل ملائك ولم يفعل فلك باخواته التي ذكرناها ومنها ان الله لم الحق بجمعه ولم يقل ملائك كما في جمع كل مفعول والذي يرد قولهم قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا فهي غير الرسل فلا يصح أن يقال جعلت الملائكة رسلا كما لا يصح جعلت الرسل مرسلين وجعل المقرب قريبا لان جعل لا بد فيه من تغيير وما يدل على خلاف ما ذكرنا ان الكل منسوبون اليه موقوفون بين يديه منتظرون امره لورود الاوامر عليهم ثم قال تعالى (ومالهم به من علم ان يتبعون الا الظن) وفيما يعود اليه الضمير في به وجوه (أحدها) ما نقله الزمخشري وهو انه قائم الى ما كانوا يقولون من غير علم (ثانيها) انه قائم الى ما تقدم في الآية المقدمة من علم أي مالهم بالله من علم فيشركون وقرى مالهم بها وفيه وجوه أيضا (أحدها) مالهم بالآخرة (ثانيها) مالهم بالتسمية (ثالثها) مالهم بالملائكة فان قلنا مالهم بالآخرة فهو جواب لما قلنا انهم وان كانوا يقولون بأن الاصنام شفعاءونا عند الله وكانوا يرطلون الابل على قبور الموتى ليركبوها لكن ما كانوا يقولون به عن علم وان قلنا بالتسمية ففيه اشكال وهو أن العلم

(فأعرض عن تولى
عن ذكرنا) أي عنهم
ووضع ضميرهم للتوسل به
الى وصفهم بما في خبر
صاته من الاوصاف
الفيحة وتعليل الحكم
بها أي فأعرض عن
أعرض عن ذكرنا
المفيد لاعم القبيح وهو
القرآن المنطوي على
علوم الاولين والآخرين
الذكر لأمور الآخرة
أو عن ذكرنا كما ينبغي
فان ذلك مستبعد لذكر
الآخرة وما فيها
من الامور المرغوب
فيها والمرغوب عنها
(لم يرد الا الحياة الدنيا)
راضيا بما قاصر انظره
عليها والمراد

بالسمية حاصل لهم فأنهم يعلمون أنهم ليسوا في شك اذا التسمية قد تكون وضعاً أو ليسا
وهو لا يكون بالظن بل بالعلم بأنه وضع وقد يكون استعمالاً معنوياً ويتطرق اليه الكذب
والصدق والعلم مثال الاول من وضع أو لا اسم السماء لموضوعها وقال هذا اسماء مثال
الثاني اذا قلنا بعد ذلك للهاء والجحر هذا اسماء فانه كذب ومن يعتقد أنه جاهل وكذلك
قولهم في الملائكة انها بنات الله لم تكن تسمية وضعية وانما أرادوا به أنهم موصوفون
بامر يجب استعمال لفظ البنات فيهم وذلك كذب ومعتقد جاهل فهذا هو المراد بما
ذكرنا ان الظن يتبع في الامور المصلحية والافعال العرفية أو الشرعية عند عدم الوصول
الى اليقين واما في الاعتقادات فلا ينبغي الظن شيئاً من الحق فلو قيل أليس الظن قد يصيب
فكيف يحكم عليه بأنه لا ينبغي أصلاً نقول المكلف يحتاج الى يقين تميز الحق من الباطل
ليعتقد الحق ويميز الخير من الشر ليفعل الخير لكن في الحق ينبغي أن يكون جازماً لاعتقاد
مطابقه والغنان لا يكون جازماً وفي الخير ربما يعتبر الظن في مواضع ويحتمل أن يقال
المراد من الحق هو الله تعالى ومعناه ان الظن لا يفيد شيئاً من الله تعالى أي الاوصاف
الالهية لا تستخرج بالظنون يدل عليه قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق وفيه اطمينة وهي
ان الله تعالى في ثلاثة مواضع منع من الظن وجميع تلك المواضع كان المنع عقيب
التسمية والسما باسم موضعان منها في هذه السورة (أحدهما) قوله تعالى ان هي
الاسماء سميتوها أنهم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن (والثاني)
قوله تعالى ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني عن الحق شيئاً (والثالث) في الحجرات
قال الله تعالى لا تتأخروا بالانقياد ثم الاسم القسوق بهد الايمان ومن لم يثبت فاولئك
هم الظالمون يا ايها الذين آمنوا اجنبوا كثيرا من الظن عقيب الدماء بالقلب وكل ذلك
دليل على ان حفظ اللسان إلى ما حفظ غيره من الاركان وان الكذب أقبح من
البيئات الظاهرة من الايدي والارجاء هذه المواضع الثلاثة (أحدها) مدح من
لا يستحق المدح كاللات والعزى من العز (وثانيها) ذم من لا يستحق الذم وهم الملائكة
الذين هم عباد الرحمن يسمونهم تسمية الانثى (وثالثها) ذم من لم يعلم حاله وأما مدح من حاله
لا يعلم فلم يقل فيه لا يتبعون الا الظن بل الظن فيه معتبر والاخذ بظاهر حال العاقل واجب
ثم قال تعالى (فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا) أي اترك مجادلتهم
فقد بلغت وأنت بما كان عليك وأكثر المفسرين يقولون بان كل ما في القرآن من قوله
تعالى فأعرض منسوخ بآية القتال وهو باطل فان الامر بالاعراض موافق لآية
القتال فكيف ينسخ به وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان مأموراً بالدعاء بالحكمة
والموعظة الحسنة فلما عارضوه بما ياتيلهم قبله وجادلهم بالتي هي أحسن ثم لم ينفع
قاله ربه فأعرض عنهم ولا تغابلهم بالدليل والبرهان فأنهم لا يتبعون الا الظن ولا يتبعون
الحق وقابلهم بالاعراض عن المناظرة بشرط جواز المناظرة فكيف يكون منسوخاً

التي عن دعوته
والاعتناء بشانه فان
من أعرض فما ذكر
وانهمك في الدنيا
بحيث كانت هي مشهية
همته وقصارى سعيه
لا يزيد الدعوة الى
خلافها الاعتقاد
واصراراً على الباطل
(ذلك) أي ما أداهم
الى ما هم فيه من التولى
وقصر الارادة على
الحياة الدنيا (بلغهم
من العلم) لا يكادون
يجاوزونه الى غيره حتى
تجسد بهم الدعوة
والارشاد وجمع الخبير
في بلغهم باعتبار معنى
من كما أن افراداً فيما
سبق باعتبار لفظها
والمراد بالعلم مطلق
الادراك

والاعراض من باب أشكاه والهمزة فيه للسلب كأنه قال ازل العرض ولا تعرض عليهم
بعد هذا أمرا وقوله تعالى عن تولى عن ذكرنا لبيان تقديم فائدة العرض والمناظرة
لأن من لا يصغي إلى القول كيف يفهم معناه وفي ذكرنا وجوه (الاول) القرآن (الثاني)
الدليل والبرهان (الثالث) ذكر الله تعالى فإن من لا ينظر في الشيء كيف يعرف صفاته
وهم كانوا يقولون نحن لا نتفكر في آلاء الله لعدم تعلقتنا بالله وإنما أمرنا مع من خلقنا وهم
الملائكة أو الدهر على اختلاف أقوالهم وتباين أبيابيلهم وقوله تعالى ولم يرد إلا الحياة
الدنيا إشارة إلى إنكارهم الحشر كما قالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وقال تعالى أرضيتم
بالحياة الدنيا يعني لم يثبتوا وراها شيئا آخر يعملون له فقوله عن تولى عن ذكرنا إشارة
إلى إنكارهم الحشر لأنه إذا ترك النظر في آلاء الله تعالى لا يعرفه فلا يتبع رسوله فلا ينفعه
كلامه وإذا لم يقل بالحشر والحساب لا يخاف فلا يرجع عما هو عليه فلا يبقى إذن فائدة في
الدعاء واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان طبيب القلوب فأتى على ترتيب الأطباء
وترتيبهم أن الحال إذا أمكن إصلاحه بالغذاء لا يستعملون لدواء وما أمكن إصلاحه
بالدواء الضعيف لا يستعملون الدواء القوي ثم إذا عجزوا عن المداواة بالمشروبات وغيرها
عدوا إلى الحديد والنكي وقبل آخر الدواء النكي فأتى صلى الله عليه وسلم أولا أمر
القلوب بذكر الله فحسب فإن بذكر الله تعاضت القلوب كما أن بالغذاء تطحن النفوس فالذكر
غذاء القلب وهذا قال أولافوا لا اله إلا الله أمر بالذكر لمن انتفع مثل أبي بكر وغيره
من انتفع ومن لم ينتفع ذكرهم بادلل وقال أولم يتفكروا قل انظروا أفلا ينظرون إلى خير
ذلك ثم أتى بأوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال أعرض عن المعالجة وأقطع انفسا لئلا
يفسد الصالح * ثم قال تعالى (ذلك مباهجهم من العلم) ذلك في وجوه (الاول) أن لها
أنه عائد إلى الظن أي غاية ما يبلغون به أنهم يأخذون بالظن (وثانيها) إشار الحياة الدنيا
مباهجهم من العلم أي ذلك الإشارة غاية ما يبلغوه من العلم (ثالثها) فأعرض عن تولى وذلك
الاعراض غاية ما يبلغوه من العلم والعلم على هذا يكون المراد منه العلم بالعلوم وتكون
الآلاف واللام للتعريف والعلم بالعلوم هو ما في القرآن ونقرير هذا أن القرآن لما ورد
بعضهم تلقاه بالقبول وانشرح صدره فبلغ الغاية القصوى وبعضهم قبله من حيث أنه
معجزة واتبع الرسول فبلغ الدرجة الوسطى وبعضهم توقف فيه كابي طالب وفات أدنى
المراتب وبعضهم رده وعابه فالأولون لم يجز الاعراض عنهم والآخرون وجب الاعراض
عنهم وكان موضع بلوغه من العلم أنه قطع الكلام معه وأعرض عنه وعليه سؤال وهو أن
الله تعالى بين أن غايةهم ذلك ولا يكلف الله نفسا الا وسعها والمجنون الذي لا علم له والصبي
لا يؤمر بما فوق احتماله فكيف يعاقبهم الله بقوله ذكر قبل ذلك أنهم ثلوا عن ذكر الله
فكان عدم علمهم لعدم قبولهم العلم وإنما قدر الله توليهم ليضاف الجهل إلى ذلك فيحقق
العقاب قال الزمخشري ذلك مباهجهم من العلم كلام معترض بين كلامين والمتصل قوله

المنتظم للظن الفاسد
والجمله اعتراض مقرر
لمضمون ما قبلها من
قصر الإرادة على
الحياة الدنيا وقوله
تعالى (إن ربك هو أعلم
بمن ضل عن هبله وهو
أعلم بمن اهتدى) تعليل
للامر بالاعراض
وتكرير قوله تعالى هو
أعلم لزيادة التقرير
والإيدان بكم لتبين
العلومين والمراد بمن
ضل من أصر عليه
ولم يرجع إلى الهدى
أصلا ومن اهتدى من
من شانه الاهتداء في
الجمله أي هو المباح في
العلم بمن لا يردوى عن
الضلال أبدا ومن
قبل الاهتداء في الجمله

تعالى فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وعلى ما ذكرنا المقصود لا يتم الا به ويكون كانه تعالى قال أعرض عنهم فان ذلك غايته ولا يوجد وراء ما ظهر منهم شيء وكان قوله عن تولى اشارة الى قطع عذرهم بسبب الجهل فان الجهل كان بالتولى واشار العاجل * ثم ابتدا وقال (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) وفي المناسبة وجوه (الاول) انه تعالى لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم أعرض وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الميل الى ايمان قومه كان ربما هجس في خاطره ان في الذكرى بعد منفعة وربما يؤمن من الكافرين قوم آخرون من غير قتال فقال له ربك أعلم بمن ضل عن سبيله علم انه لا يؤمن بمجرد الدعا أحد من المكلفين وانما ينفع فيهم ان يقع السيف والقتال فأعرض عن الجدال وأقبل على القتال وعلى هذا قوله بمن اهتدى أي علم في الازل من ضل في تقديره ومن اهتدى فلا يشبهه عليه الامر ان ولا بأس في الاعراض ويعد في العرف مصلحة (ثانيها) هو على معنى قوله تعالى وانا اوتيناكم على هدى أو في ضلال مبين وقوله تعالى الله يحكم بيننا ووجهه انهم كانوا يتقاون نحن على الهدى وأتم بطلون وأقام النبي صلى الله عليه وسلم الحجمة عليهم فلم ينفعهم فقال تعالى أعرض عنهم وأجرك وقع على الله فانه يعلم انكم مهتدون ويعلم انهم ضالون والمتناظران اذا تناظرا عند ملك قادر مقصودهم ظهور الامر عند الملك فان اعترف الخصم بالحق فذلك والا فعرض المصيب يظهر عند الملك فقال تعالى جادلنا أحسن الله أعلم للحق من المبطل (ثالثها) انه تعالى اسأمر نبيه بالاعراض كان قد صدر منهم ابذاء عظيم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحمله رجاء ان يؤمنوا فتخرج جميع ذلك فلم يؤمنوا فكانت له سعي تحملي لا يذاتهم وقع هباء فقال الله تعالى ان الله يعلم حاز المضلين والمهتدين لله ما في السموات والارض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا من المهتدين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هو يسمى عمادا وفضلا واول قال ان ربك أعلم اتم الكلام غير ان عند خلوا الكلام عن هذا العماد ربما توقف السامع على سماع ما بعده ايعلم ان اعام خبر ربك أو هو مع شيء آخر خبر مثاله اوقال ان زيدا أعلم منه عمر ويكون خبر زيد الجملة التي بعده فان قال هو أعلم اثني ذلك اشوهم (المسئلة الثانية) أعلم يقتضي فضلا عليه يقال زيد أعلم من عمرو والله أعلم بمن تقول أفعل بجي كثير بمعنى عالم لا عالم مثله وحينئذ ان كان هناك عالم فذلك مفضل عليه وان لم يكن في الحقيقة هو العالم لا غير وفي كثير من المواضع أفعل في صفات الله بذلك المعنى يقال الله أكبر وفي الحقيقة لا كبير مثله ولا أكبر الا هو والذي يناسب هذا انه ورد في الدعوات يا اكرم الاكرمين كانه قال لا اكرم مثلك وفي الحقيقة لا اكرم الا هو وهذا معنى قول من يقول اعلم بمعنى عالم بالهتدى والفضل ويمكن ان يقال اعلم من كل عالم بفرض عالم غيره (المسئلة الثالث) علمته وعلمت به مستعملان قال الله تعالى في الانعام هو اعلم من بضل عن سبيله ثم

لا غيره فلا تنعيب نفسك
في دعوتهم فانهم من
القبيل الاول وفي تعليل
الامر باعراضه عليه
السلام عن الاعتناء
بامرهم باقتصار العلم
باحوال القرى يقين عليه
تعالى رمز الى أنه تعالى
يعلمهم بموجب علمه
بهم فيجزي كلا منهم
بما يليق به من الجزاء
ففيه وعيد ووعد ضمنا
كما سيأتي صريحا (والله
ما في السموات وما في
الارض) أي خلقا
وملكا لا غيره أصلا
الاستقلال ولا اشتراكا
وقوله تعالى (انجزي)
اخ متعلق بمادل هـ ليد
أعلم الخ

ينبغي ان يكون المراد من المعلوم ان العلم اذا كان ثقله بالمعلوم اقوى اما قوة العلم واما
 لظهور المعلوم واما لنا كيد وجوب العلية واما لكون الفعل له قوة اما قوة العلم فكما في
 قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثاثنى الليل ونصفه وقال الم يعلم بان الله يرى لما
 كان علم الله تعالى تاما شاملا علقه بالفعل الذي هو حال من أحوال عبده الذي هو
 برأى منه من غير حرق ولما كان علم العبد ضعيفا حادثا علقه بالفعل الذي هو صفة من
 صفات الله تعالى الذي لا يحيط به علم البشر بالحرف أو لما كان كون الله رابيا لم يكن
 محسوسا به مشاهدا علق الفعل به بنفسه وبالأخر بالحرف واما ظهور المعلوم فكما قال
 تعالى أولم يعلموا ان الله يسطر الرزق لمن يشاء وهو معلوم ظاهر وأما ناكيد وجوب العلم
 به كافي قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله ويمكن ان يقال هو من قبيل الظاهر وكذلك قوله
 تعالى واعلموا انكم غير معجزي الله وأما قوة الفعل فقال تعالى علم ان ان تحصىه وقال
 تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى لما كان المستعمل صفة الفعل علقه بالفعل بغير
 حرق وقال تعالى ان ربك أعلم بمن هو لما كان المستعمل اسما ذا اعلى فعل ضعيف عنه لعلقه
 بالمفعول (المسئلة الرابعة) قدم العلم عن ضل على العلم بالمهتدى في كثير من المواضع منها
 في سورة الانعام ومنها في سورة ن ومنها في هذه السورة لان في المواضع كلها المدح وتبني
 على الله عليه وسلم والماعندون فذكرهم أولا تهديدا لهم وتسلية لقلب نبيه عابه صلاة
 والسلام (المسئلة الخامسة) قال في موضع واحد من المواضع هو العلم بضل سبيله
 وفي غيره قال عن ضل فهل عندك فيه شيء قلت نعم وتبين ذلك ببحث على وآخر نقلي (أما
 النقول) فهو ان العلم القديم يتعلق بالمعلوم على ما هو عليه ان وجد أمس لم نهج أمس
 في نهار أمس وامس مثل علمنا حيث يجوز ان يتحقق الشيء أمس ونحو ذلك في يومنا
 هذا بل لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض ولا يتأخر الواقع عن علمه طرفه عين
 (واما النقل) فهو ان اسم الفاعل يعمل عمل الفعل اذا كان بمعنى المستقبل ولا يعمل
 عمله اذا كان ماضيا فلا نقول انا ضارب زيدا أمس والواجب ان كنت تنصب ان
 نقول ضربت زيدا وان كنت تستعمل اسم الفاعل فالواجب الاضافة فنقول ضارب
 زيدا أمس انا ويجوز ان يقال انا غدا ضارب زيدا والسبب فيه ان الفعل اذا وحده فلا
 تجدد له في الاستقبال ولا يتحقق له في الحال فهو هدم وضعف عن ان يعمل وأما الحال وما
 يتوقع فله وجود فممكن اعماله اذا ثبت هذا فنقول لما قال ضل كان الامر ماضيا وعلمه
 يتعلق به وقت وجوده فعلم وقوله أعلم بمعنى عالم فهو صير كانه قال عالم عن ضل فلورثك الباء
 لكان امعلا للفاعل بمعنى الماضي ولما قال بضل كان يعلم الضلال عند الوقوع وان كان
 قد علم في الأزل انه سيضل لكن العلم بعد ذلك يتعلق آخره وجوده وهو ثقله بكون الضلال
 قد وقع وحصل ولم يكن ذلك في الأزل فانه لا يقال انه تعالى علم ان فلانا ضل في الأزل واما
 الصحيح ان يقال علم في الأزل انه سيضل فيكون كانه يعلم انه بضل فيكون اسم الفاعل بمعنى

وما بينهما اعتراض
 مقرر لما قبله فان كون
 الكل مخلوقا لله تعالى
 بما يقرر علمه تعالى
 بأحوالهم ألا يعلم من
 خلق كانه قيل فيعلم
 ضلال من ضل واهتداء
 من اهتدى ويحفظ لهما
 الجزى (الذين اسأوا
 بما عملوا) أي يعاقب
 ما عملوا من الضلال
 الذي عبر عنه بالاساءة
 بياننا لعله أو بسبب
 ما عملوا (ويعجزى
 الذين أحسنوا) أي
 اهتدوا (بالحسن) أي
 بالمشيئة الحسنى التي
 هي الجنة أو بسبب
 اعمالهم الحسنى وقيل
 متعلق بما دل عليه
 قوله تعالى والله

المستقبل وهو يعمل عمل الفعل فلا يقال زيد اعلم مسئلتنا من عمرو وانما الواجب ان يقال
زيد اعلم بمسئلتنا من عمرو وهذا قالت النحاة في سورة الانعام ان ربك هو اعلم من بضل به
من يضل وقالوا اعلم للفضيل لا يبنى الا من فعل لازم غير متعد فان كان متعديا يرد الى لازم
وقولنا اعلم كانه من باب علم بالضم وكذا في النجب اذا قلنا ما اعلمه بكذا كانه من فعل لازم
واما انما فقد اجبت عن هذا بان قوله اعلم من يضل معناه عالم وقد قدمنا ما يجب ان يعتقد
في او ساق الله في اكثر الامر ان معناه انه عالم ولا عالم مثله فيكون اعلم على حقيقته وهو
احسن من ان يغاب هو بمعنى عالم لا غير فان قيل فلم قال ههنا بمن ضل وقال هناك يضل قلنا
لان ههنا حصل الضلال في الماضي وتاكد حيث حصل يا س الرسول صلى الله عليه وسلم
وامر بالاعراض واما هناك فقال تعالى من قبل وان تطع أكثر من في الارض بضلوك
عن سبيل الله ثم قال تعالى ان ربك هو اعلم من يضل بمعنى ان ضللت بعلمك الله فكان
الضلال غير حاصل فيدلم يستعمل صيغة الماضي (المسئلة السادسة) قال في الضلال عن
سبيله ولم يقل في الاهتداء الى سبيله لان الضلال عن السبيل هو الضلال وهو كاف
في الضلال لان الضلال لا يكون الا في السبيل واما بعد اوصاف فلا ضلال اولان من ضل
عن سبيله لا يصل الى المقصود سواء سلك سبيلا أو لم يسلك واما من اهتدى الى سبيل فلا
يوصوله تمام بسلكه ويصحح هذا ان من ضل في غير سبيله فهو ضال ومن اهتدى اليها
لا يكون مهتديا الا اذا اهتدى الى كل مسألة يضل الجاهل بها بالايان فكان الاهتداء
اليقيني هو الاهتداء المطلق فقال بمن اهتدى وقال بالمهتدين ثم قال تعالى (ولله مافى
السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى)
اشارة الى كمال غناه وقدرته ليدكر بعد ذلك ويقول ان ربك هو اعلم من الغنى القادر
لان من علم ولم يقدر لا يتحقق منه الجزاء فقال ولله مافى السموات وما فى الارض وفى الآية
مسائل (المسئلة الاولى) قال الزنجشمرى ما يدل على انه يعتقد ان اللام فى قوله ليجزى كاللام
فى قوله تعالى وانجيل والبغال والحمر لتركبوها وهو جري فى ذلك على مذهبه فقال ولله
ما فى السموات وما فى الارض معناه خلق ما فيها لغرض الجزاء وهو لا يتحاشى بما ذكره لما
عرف من مذهب الاعتزال وقال الواحدى اللام للعاقبة كفى قوله تعالى ليكون لهم عدوا
أى احذوه وعاقبته انه يكون لهم عدوا والتحقيق فيه هو ان حتى ولام الغرض متقاربان
فى المعنى لان الغرض نهاية الفعل وحتى للغاية المطلقة فيزعم مقاربة فيستعمل أحدهما
مكان الآخر يقال سرت حتى أدخلها ولكي أدخلها فلام العاقبة هى التى تستعمل فى
موضع حتى للغاية ويمكن ان يقال هنا وجه أقرب من الوجهين وان كان أخفى منهما
وهو ان يقال ان قوله ليجزى متعلق بقوله ضل واهتدى لا بعلم ولا بخلق ما فى السموات
تقديره كانه قال هو اعلم بمن ضل واهتدى ليجزى أى من ضل واهتدى ليجزى الجزاء
والله اعلم به فيصير قوله ولله مافى السموات وما فى الارض كلاما معترضا ويحتمل ان

ما فى السموات وما
فى الارض كانه قيل
خلق ما فيها ليجزى
الحق وقيل متعلق بضل
واهتدى على ارام اللام
للعاقبة أى هو اعلم
بمن ضل لبول أمره
الى أن يجزيه الله تعالى
يعمله و بمن اهتدى
لبول أمره الى ان يجزيه
بالحسنى وفيه من البعد
ما لا يخفى وتكرر الفعل
لا يراز كمال الاعتناء
بأمر الجزاء والتبيين
على تبيين الجزاءين
(الانتم) بدل من الموصول
الثانى وصيغة الاستقبال
فى صلته للدلالة على
تجدد الاجتناب
واستمراره أو بيان

يقال هو متعلق بقوله تعالى فاعرض أي اعرض عنهم ليقع الجراء كما يقول المر يدفع لئلا ينفع منه ذرني لأفعله وذلك لأن مادام النبي صلى الله عليه وسلم لم يأس ما كان العذاب ينزل والاعراض وقت اليأس وقوله تعالى ويجري الذين أحسنوا بالحسنى حيث يكون مذكورا ليعلم أن العذاب الذي عند اعراضه يتحقق ليس مثل الذي قال تعالى فيه واتقوا سنة لأقاصيهم الذين ظلموا عنكم خاصة بل هو مختص بالذين ظلموا وغيرهم لهم الحسنى وقوله تعالى في حق المسيء بما عاوا وفي حق المحسن بالحسنى فيه لطيفة لأن جزاء المسيء عذاب فنيه على ما دفع الظلم وقال لا يعذب إلا عن ذنب وأما الحسنى فلم يقل بما عاوا لأن الثواب إن كان لأعلى حسنة يكون في غاية الفضل فلا يتخلل بالمعنى هذا إذا قلنا الحسنى هي المثوبة بالحسنى وأما إذا قلنا الأعمال الحسنى ففيه لطيفة غير ذلك وهي أن أعمالهم لم يذكر فيها التساوي وقال في أعمال المحسنين الحسنى إشارة إلى الكرم والصفح حيث ذكر أحسن الاسمين والحسنى صفة أقيمت مقام الموصوف كأنه تعالى قال بالأعمال الحسنى كقوله تعالى الاسماء الحسنى وحيث هو كقوله تعالى لتكفرن عنهم سيئاتهم ولتجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون أي بأحسن أعمالهم ويجعل ثواب كل ما وجد منهم لجزاء ذلك الأحسن أو هي صفة المثوبة كأنه قال ويجزي الذين أحسنوا بالمثوبة الحسنى أو بالعاقبة الحسنى أي جزاؤهم حسن العاقبة وهذا جزاء فحسب وأما الزيادة التي هي الفضل بعد الفضل فقير داخله فيه * ثم قال تعالى (الذين يحبون كبار الآثم والقوا أحسن الآثم) الذين يحبون أن يكون بدلا عن الذين أحسنوا وهو الطاهر وكأنه تعالى قال يجزي الذين أساءوا ويجزي الذين أحسنوا ويتبين به أن المحسن ليس ينفع الله بإحسان شيئا وهو الذي لا يسيء ولا يرتكب القبيح الذي هو سينتفع بنفسه عند ربّه فالذين أحسنوا هم الذين اجتنبوا أولهم الحسنى وبهذا يتبين المسيء والمحسن لأن من لا يحب كبار الآثم يكون مسيئا والذي يحبها يكون محسنا وعلى هذا فلهذا لطيفة وهو أن المحسن لما كان هو من يحب الآثم فالذي يأتي بالثواب يكون فوق المحسن لكن الله تعالى وعد المحسن بزيادة فالذي فوقه يكون له زيادات فوقها وهم الذين لهم جزاء الضعف ويحتمل أن يكون ابتداء كلام تقديره الذين يحبون كبار الآثم يغفر الله لهم والذي يدل عليه قوله تعالى إن ربك واسع المغفرة وعلى هذا تكون هذه الآية مع ما قبلها مبنية لحال المسيء والمحسن وحال من لم يحسن ولم يسيء وهم الذين لم يرتكبوا سيئة وإن لم تصدر منهم الحسنات وهم كالصبيان الذين لم يوجد فيهم شرائط التكليف ولهم الغفران وهو دون الحسنى ويظهر هذا بقوله تعالى بعده هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذا تم أجنته أي يعلم الحالة التي لا إحسان فيها ولا إساءة كما علم من أساء وضل ومن أحسن وأهدى وفيه مسائل (المسئلة الأولى) إذا كان بدلا عن الذين أحسنوا فلم يخالف ما بعده بالمضي والاستقبال حيث قال تعالى الذين أحسنوا وقال الذين يحبون ولم يقل اجتنبوا نقول هو كما يقول القائل الذين

أوتيت أو منصوب على المدح وكبار الآثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بمخصوصه وقرئ كبير الآثم على إرادة الجنس أو الشريك من الكبار خصوصا (الآثم) أي الأماقل وصغر فاته مغفور ممن يحب كبار الكبار قيل هي النظرة والغمرة والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع

سألوني أعطيتهم الذين يترددون الى سائلين اى الذين عادتهم التردد والسؤال سألوني
واعطيتهم فكذلك ههنا قال الذين يحبون اى الذين عادتهم ودأبهم الاجتناب لا الذين
اجتنبوا مرة وقدموا عليها أخرى فان قيل في كثير من المواضع قال في الكبار والذين
يحبون كبار الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون وقال في عبادة الطاغوت
والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنا ابوا الى الله فالفرق نقول عبادة الطاغوت
راجعة الى الاعتقاد والاعتقاد اذا وجد دأما ظاهرا فن اجتنابها اعتقد بطلا فهاهنا فيستر
وأما مثل الشرب والزنا أمر يختلف أحوال الناس فيه فيترك زمانا ويعود اليه ولهذا
يستبرأ الفاسق اذا تاب ولا يستبرأ الكافر اذا أسلم فقال في الاثم الذين يحبون دائما
ويشارون على الترتك أبدا وقال في عبادة الاصنام اجتنبوا بصيغة الماضي ليكون أدل
على الحصول ولان كبار الاثم لها عدد وأنواع فينبغي ان يجتنب عن نوع ويجتنب عن آخر
ويجتنب عن ثالث فقيده تكرر وتجدد فاستعمل فيه صيغة الاستقبال وعبادة الصنم أمر
واحد متحد فترك فيه ذلك الاستعمال وأتى بصيغة الماضي الدالة على وقوع الاجتناب لها
دفعه (المسئلة الثانية) الكبار جمع كبيرة وهي صفة لموصوف تقول هي صفة الفعلة
كانه يقول الفعلات الكبار من الاثم فان قيل لما بال اختصاص الكبيرة بالذنوب في
الاستعمال او قول قائل الفعلة الكبيرة الحسنة لا يمنع مانع نقول الحسنة لا تكون كبيرة
لانها اذا قوبلت بما يجب ان يوجد من العبد في مقابلة نعم الله تعالى تكون في غاية الصغر
اولا لان الله يقبلها كانت عباد لكن السبئية من العبد الذي أنعم الله عليه بأنواع النعم
كبيرة ولولا فضل الله لكن الاشتغال بالاكل والشرب والاعراض عن عبادته سبئية
لكن الله غفر بعض السيئات وخفف بعضها (المسئلة الثالثة) اذا ذكر الكبار
فالفواحش بمدحها نقول الكبار اشارة الى ما فيها من مقدار السبئية والفواحش اشارة
الى ما فيها من وصف القبح كانه قال عظيمة المقادير فبحجة الصور والفاحش في اللفظ تختص
بالفيح الخارج قبحه عن حد الخفاء وتركيب الحروف في التقلاب يدل عليه فانك اذا
قلبتهم وقلت حشف كان فيه معنى الرداءة الخارجة عن الحد ويقال فشحت الناقة اذا
وقفت على هيئة مخصوصة للبول فافحش يلازمه الفصح ولهذا لم يقل بالفواحش من الاثم
وقال في الكبار كبار الاثم لان الكبار ان لم يميزها بالاضافة الى الاثم لما حصل
المقصود بخلاف الفواحش (المسئلة الرابعة) كثرت الاقوال في الكبار والفواحش
فقيل الكبار ما وعد الله عليه بالنار صريحها وظاهرا والفواحش ما أوجب عليه حد في
الدنيا وقيل الكبار ما يكفر مستحله وقيل الكبار ما لا يغفر الله لفاعله الا بعد التوبة وهو
على مذهب المعتزلة وكل هذه التعريفات تعريف الشيء بما هو مثله في الخفاء أو فوقه وقد
ذكرنا ان الكبار هي التي مقدارها عظيم والفواحش هي قبحها واضمحالك كبيرة
صفة عائدة الى المقدار والفاحشة صفة عائدة الى الكيفية كما يقال مثلا في الارض علته

(ان ربك واسع المغفرة)
حيث يغفر الصغار
باجتناب الكبار فالجمله
تعليل لاستثناء الاثم
وتنبه على أن اخراجه
عن حكم المواخذة به
ليس لخلوه عن الذنب
في نفسه بل لسهو المغفرة
الرابية وقيل المعنى له
أن يغفر ان يشاء من
المؤمنين ما يشاء من
الذنوب صغيرها وكبيره
واعمل تعقيب وعيد
المسيئين ووعده المحسنين
بذلك حيث دللنا على
صاحب الكبيرة من
رحمة تعالى ولا تنوهم
وجوب العقاب عليه
تعالى (هو أعلم بكم) أي
بأحوالكم بعلمها (اد
أنشأكم) في ضمن انشاء
أيكم آدم عليه السلام
(من الارض) انشاء
اجماليا جسميا أمر تفرقة

بياض لطيفه كبيرة ظاهرة اللون فالكبيرة لبيان الكمية والظهور لبيان الكيفية وعلى هذا فنقول على ما قلنا ان الاصل في كل معصية ان تكون كبيرة لان نعم الله كثيرة ومخالفة النعم سيئة عظيمة غير ان الله تعالى حط عن عباده الخطأ والنسيان لانهما لا يدان على ترك التعظيم اما لعمومه في العباد اولئكثرة وجوده منهم كالكذب والغيبة مرة او مرتين والنظرة والقبائح التي فيها شبهة فان المجتب عنها قابل في جميع الاعصار ولهذا قال أصحابنا ان استماع الغناء الذي مع الاوتار يفسق به وان استمع من أهل بلده لا يعتقدون أمر ذلك لا يفسق فعادت الصغيرة الى ما ذكرنا من أن العقلاء ان لم يعدوه تاركاً للتعظيم لا يكون مرتكباً للكبيرة وعلى هذا تختلف الامور باختلاف الاوقات والاشخاص فالعالم المتقي اذا كان يتعمق النساء أو يكثر من اللعب يكون مرتكباً للكبيرة والدلال والباعة والمتفرغ الذي لا يشغل له لا يكون كذلك وكذلك اللاعب وقت الصلاة واللعب في غير وقت الوقت وعلى هذا كل ذنب كبيرة الا ما علم المكلف أو ظن خروجه بفضل الله وعفوه عن الكبار (المسئلة الخامسة) في اللهم وفيه أقوال (أحدها) ما يقصده المؤمن ولا يحققه وهو على هذا القول من لم يجمع فكأنه جمع عزمه وأجمع عليه (وثانيها) ما يأتي به المؤمن ويندم في الحال وهو من اللهم الذي هو من الجنون كأنه مسد وفارقه ويؤيد هذا قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاسغفروا لذنوبهم (ثالثها) اللهم الصغبر من الذنب من ألم اذا نزل نزولاً من غير إيث ماويل ويقال ألم بالطعام اذا قل من أكله وعلى هذا قوله الا اللهم يحتمل وجوها (أحدها) ان يكون ذلك استثناء من الفواحش وحينئذ فيه وجهان (أحدهما) استثناء منقطع لان اللهم ليس من الفواحش (وثانيها) غير منقطع لما بينا ان كل معصية اذا نظرت الى جانب الله تعالى وما يجب ان يكون عليه فهي كبيرة وفاحشة ولهذا قال الله تعالى واذا فعلوا فاحشة غير أن الله تعالى استثنى منها أموراً يقال الفواحش كل معصية الا ما استثناء الله تعالى منها ووعدنا بالعفو عنه (ثانيها) الا بمعنى غير وتقديره والفواحش غير اللهم وهذا الوصف ان كان للتمييز كما يقال الرجال غير أولي الاربية فاللهم عين الفاحشة وان كان لغيره كما يقال الرجال غير النساء جأوتى لنا كيد وبيان فلا (وثالثها) هو استثناء من الفعل الذي يدل عليه قوله تعالى الذين يحتجبون لان ذلك يدل على انهم لا يقر بونه فكأنه قال لا يقر بونه الامقاربة من غير موافقة وهو اللهم ثم قال تعالى (ان ربك واسع المغفرة) وذلك على قولنا الذين يحتجبون ابتداء الكلام في ضاية الظهور لان المحسن مجرى ذنبه مغفور ومجتنب الكبائر كذلك ذنبه الصغير مغفور والمقدم على الكبائر اذا تاب مغفور الذنب فلم يبق من لم تصل اليهم المغفرة الا الذين أساءوا أو أسروا عليها فالمغفرة واسعة وفيه معنى آخر لطيف وهو انه تعالى لما أخرج المسي عن المغفرة بين ان ذلك ليس لضيق فيها بل ذلك بمشبهة الله تعالى ولو أراد الله معفرة كل من أحسن وأساء لفعل وما كان يضيق عنهم مغفرته

مراراً (واذا أنتم أجنته) أي ووقت كونكم أجنته (في بطون أمهاتكم) على أطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم التي من جعلتها اللهم الذي لو لا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله فبالجمله استثناف مقرر لما قبلها والفاء في قوله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم) ترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من أن عدم المؤاخذه باللهم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع عنة بصدوره عنكم أي اذا كان الامر كذلك فلا تشنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية أو عابستزوها

والمفخرة من الستر وهو لا يكون الا على قبيح وكل من خلقه الله اذا انظرت في فعله ونسبته الى نعم الله تجده مقصرا مسيا فان من جازى النعم بنعم لا تحصى مع استغنائها الظاهر وعظمته الواضحة بديرهم أو أدل منه يحتاج الى ستر ما فعله * ثم قال تعالى (هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) وفي المناسبة وجوه (أحدها) هو تقرر لما مر من قوله هو أعلم بمن ضل كان العامل من الكفار يقول نحن نعمل أمورا في جوف الليل المظلم وفي البيت الخالي فكيف يعلم الله تعالى فقال ليس عليكم أخفى من أحوالكم وأنتم أجنة في بطون أمهاتكم والله عالم بتلك الأحوال (ثانيها) هو إشارة الى ان الضال والمهتدي حصلوا على ما هم عليه بتقدير الله فإن الحق علم أحوالهم وهم في بطون الامهات فكاتب على البعض انه ضال والبعض انه مهتد (ثالثها) تأكيدي وبيان للجزاء وذلك لانه لما قال لا يجزي الذين أساءوا بما عملوا قال الكافرون هذا الجزاء لا يتحقق الا بالخسر وجع الاجزاء بعد تفرقها واعادة ما كان زيدا من الاجزاء في بدنه من غير اختلاط غير ممكن فقال تعالى هو أعلم بكم اذ أنشأكم فيجدهم بها بقدرته على وفق علمه كما أنشأكم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) العامل في اذ يحتمل ان يكون ما يدل عليه أعلم أي علمكم وقت الانشاء ويحتمل ان يكون اذ كروا فهكون تقرريرا لكونه علماو يكون تقديره هو أعلم بكم وقد تم الكلام ثم يقول ان كنتم في شك من علمه بكم فاذكروا حال انشاءكم من التراب (المسئلة الثانية) ذكرنا مرارا ان قوله من الارض من الناس من قال آدم فانه تراب وقررنا ان كل أحد أصله من التراب فانه يصير غذاء ثم يصير دما ثم يصير نطفة (المسئلة الثالثة) وقال قائل لا بد من صرف اذ أنشأكم من الارض الى آدم لان واذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم طائد الى غيره فانه لم يكن جنينا ولو قلت بأن قوله تعالى اذ أنشأكم طائد الى جميع الناس فينبغي ان يكون جميع الناس أجنة في بطون الامهات وهو قول الفلاسفة نقول ليس كذلك لاننا نقول الخطاب مع الموجودين حالة الخطاب وقوله تعالى هو أعلم بكم خطاب مع كل من بعد الانزال على قول ومع من حضر وقت الانزال على قول ولا شك ان كل هؤلاء من الارض وهم كانوا أجنة (المسئلة الرابعة) الاجنة هم الذين في بطون الامهات وبعد الخروج لا يسمى الاولاد أوسمة طائفا فائدة قوله تعالى في بطون أمهاتكم نقول التنبيه على كمال العلم والقدرة فان بعن الام في غاية الظلمة ومن علم بحال الجنين فيها لا يخفى عليه ما ظهر من حال العباد (المسئلة الخامسة) لقائل أن يقول اذ قلنا ان قوله هو أعلم بكم تقرر لكونه عالما بمن ضل فقوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم تعلقه به ظاهر وأما ان قلنا انه تأكيدي وبيان للجزاء فانه يعلم الاجزاء فيعيدها الى أبدان أشخاصها فكيف يتعلق به فلا تزكوا أنفسكم نقول معناه حينئذ فلا تبرئوا أنفسكم من العذاب ولا تقولوا تفرقت الاجزاء فلا يقع العذاب لاننا عالم بكم عند الانشاء عالم بكم عند الاعادة وعلى هذا قوله أعلم بمن اتقى أي يعلم اجزاءه فيعيدها اليه وينبئهم بما أقدم عليه

من زكاه العمل ونمسا
 الخبير بل اشكروا الله
 تعالى على فضله ومفخرته
 (هو أعلم بمن اتقى)
 المعاصي جميعا وهو
 استئناف مقرر للنهي
 ومشعر بأنهم من
 يتقوا بأسرها وقيل كان
 ناس يعملون أعمالا حسنة
 ثم يقولون صلاتنا
 وصيامنا ونحوها فزالت
 وهذا اذا كان بطريق
 الإعجاب أو الزيادة فاما من
 اعتقد ان ما عمله من
 الاعمال الصالحة من
 الله تعالى ويتوفقه
 وتأيده ولم يقصد به
 المدح لم يكن من المزيكين
 أنفسهم فان المصرة
 بالطاعة وذكرها شكر
 (أفرايت الذي تولى)
 أي عن اتساع الخلق
 والثناء عليه (وأعطى)
 قليلا أي شيئا قليلا
 أو أعطاه قليلا
 (وأكدى) أي

(المسئلة السادسة) الخطاب مع من فيه ثلاث احتمالات (الاول) مع الكفار وهذا على قولنا انهم قالوا كيف يعلم الله فرد عليهم قولهم (الثاني) كل من كان زمان الخطاب وبعده من المؤمنين والكفار (الثالث) هو مع المؤمنين وتقريره هو ان الله تعالى لما قال فاعرض عن تولى عن ذكرنا قال النبي صلى الله عليه وسلم قد علم كونك ومن معك على الحق وكون المشركين على الباطل فاعرض عنهم ولا تقولوا نحن على الحق وانتم على الضلال لانهم يقاتلونكم بثل ذلك وفوض الامر الى الله تعالى فهو اعلم بمن اتقى ومن طغى وعلى هذا فقول من قال فاعرض منسوخ اظهر وهو قوله تعالى وانا اياكم لعلى هدى اوفى ضلال مبين والله اعلم بحملة الامور ويحتمل أن يقال على هذا الوجه الثالث انه ارشاد للمؤمنين فخطبهم الله وقال هو اعلم بكم ايها المؤمنون علم ما نكم من اول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا انفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لا خير لنا خير منك وانا انا زكى منك واتقى فان الامر عند الله ووجه آخر وهو اشارة الى وجوب الخوف من العاقبة اى لا تقطعوا بخلاصكم ايها المؤمنون فان الله يعلم عاقبة من يكون على اتقى وهذا يؤيد قول من يقول انامو من ارشاه الله فصرف الى العاقبة ثم قال تعالى (أفرايت الذي تولى وأعطي قليلا وأكدي أعنده علم الغيب فهو يرى) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال بعض المفسرين زلت الآية في الوليد بن المغيرة جلس عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع وعظه وأثرت الحكمة فيه فابرا فويا فقال له رجل لم تترك دين آباءك ثم قال له لا تخف واعطاني كذا وانا أتحمل عنك أوزارك فاعطاه بعض ما التزمه وتولى عن الوعظ وسماع الكلام من النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم زلت في عثمان رضى الله عنه كان يعطى ماله هطاء كثيرا فقال له أخوه من أمه عبد الله بن مسعود بن أبي سرح يوشك ان يفنى مالك فامسك فقال له عثمان ان لى ذنوبا أرجو أن يغفر الله لى بسبب الهطاء فقال له أخوه أنا أتحمل عنك ذنوبك ان تعطينى ناقك مع كذا فاعطاه ما طلب وامسك يده عن الهطاء فزالت الآية وهذا قول باطل لا يجوز ذكره لانه لم يتواتر ذلك ولا اشتهر وظاهر حال عثمان رضى الله عنه بأبى ذلك بل الحق ان يقال ان الله تعالى لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم من قبل فاعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وكان التولى من جملة أنواعه تولى المستغنى فان العالم بالشئ لا يحضر بحال ذكر ذلك الشئ ويسعى في تحصيل غيره فقال أفرايت الذي تولى عن استغناء اعلم بالغيب (المسئلة الثانية) الغاء تقتضى كلاما يترتب هذا عليه فاذا هو قول هو ما تقدم من بيان علم الله وقدرته ووعدده المسى والحسن بالجراءة وتقريره هو انه تعالى لما بين أن الجراء لا بد من وقوعه على الاساءة والاحسان وان الحسن هو الذى يجنب كبار الاثم فلم يكن الانسان مستغنيا عن سماع كلام النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه فبعد هذا من تولى لا يكون توليه الا بعد غاية الحاجة ونهاية الافتقار (المسئلة الثالثة) الذى على ما قال بعض المفسرين عائد الى معلوم وهو ذلك الرجل وهو الوليد والظاهر انه عائد الى مذكور

قطم العطاء من قولهم
أكدى الحافر اذا باع
الكدية أى الصلابة
كالصخرة فلا يمكنه
أن يحفر قالوا زلت في
الوليد بن المغيرة كان يتبع
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فغيره بعض المشركين
وقال له تركت دين الاشباخ
وضللت هم فقال اخشى
عذاب الله فضمن أن
يحمل عنه العذاب ان
أعطاه بعض ماله فارتد
وأعطاه بعض المشركين
وبخل بالباقي وقبل زلت
في العاص بن وائل
السهمى لما أنه كان يوافق
النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض الامور وقبل
في أبى جهل كان ربما
يوافق الرسول صلى الله
عليه وسلم في بعض الامور
وكان يقول والله ما
أمرنا محمد

فان الله تعالى قال من قبل فأعرض عن تولى عن ذكرنا وهو المعلوم لان الامر بالاعراض
غير مختص بواحد من المعاندين فقال أفرأيت الذي تولى أى الذى سبق ذكره فان قيل كان
ينبغي أن يقول الذين تولوا لان من في قوله عن تولى للعموم نقول العود الى اللفظ كثير
ضائم قال تعالى من جاء بالحسنة فله وللمسلم ثوابه ولم يقل فله (المسئلة الرابعة) قوله تعالى وأعطى قليلا
ما المراد منه نقول على ما تقدم هو المقدار الذى أعطاه الوليد وقوله وأكدى هو
ما أمسك عنه ولم يعط الكل وعلى هذا وقال قائل ان الاسكندرية لا يكون مذموما لان
الاعطاء كان بغير حق فالامتناع لا يندم عليه وأيضا فلا يبقى لقوله قليلا فائدة لان الاعطاء
حيث نفسه يكون مذموما نقول فيه بيان خروجهم عن العقل والعرف أما العقل فلانه
منع من الاعطاء لاجل حل الوزر فانه لا يحصل به وأما العرف فلان عادة الكرام من
العرب الوفاء بالعهد وهو لم يف به حيث أقرم الاعطاء وامتنع والذي يابى بما ذكرناه وأن
نقول تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا يعنى اعطاء ما وجب اعطاؤه في مقابلة ما يجب
لاصلاح أمور الآخرة ويقر قوله تعالى أعنده علم الغيب في مقابلة قوله تعالى ذلك مبلغهم
من العلم أى لم يعلم الغيب وما في الآخرة وقوله تعالى أم لم ينبا بما في صحت موسى وإبراهيم
الذى وفي أن لا تزواجرة وزراخرى في مقابلة قوله هو أعلم بن ضل الى قوله ليجزى الذين
أساوا لأن الكلامين جميعا لبيان الجزاء ويمكن ان يقال ان الله تعالى لما بين حال
المشركين المعاندين العابدين للآل والعزى والقائلين بان الملائكة بنات الله شرع في بيان
أهل الكتاب وقال بعد ما رأيت حال المشرك الذى تولى عن ذكرنا أفرأيت حال من تولى وله
كتاب وأعطى قليلا من الزمان حقوق الله تعالى ولما بلغ زمان محمد أ كدى فهل علم الغيب
فقال شيأ لم يرد في كتبهم ولم ينزل عليهم في الصحف المتقدمة ووجد فيها بأن كل واحد يؤخذ
بفعله ويجازى بعمله وقوله تعالى أم لم ينبا بما في صحت موسى وإبراهيم الذى وفي يخبر أن
المتولى المذكور من أهل الكتاب (المسئلة الخامسة) أكدى قيل هو من بلغ الكدبة
وهى الارض الصلبة لا تخفر وحافر البئر اذا وصل اليها فامتنع عليه الحفر أو تسر يقال
أكدى الحافر والاطهر أنه الرد والمنع يقال أكديته أى رددته وقوله تعالى أعنده علم
الغيب فهو يرى قد علم تفسيره جملة ان المراد جهل المتولى وحاجته وبيان قبح التولى مع
الحاجة الى الاقبال وعلم الغيب أى العلم بالغيب أى علم ما هو غائب عن الخلق وقوله فهو
يرى ثقة بيان وقت جواز التولى وهو حصول الروية وهو الوقت الذى لا ينفع الايمان فيه
وهناك لا يبقى وجوب متابعة أحد فيما رآه لان الهادى يهتدى الى الطريق فاذا رأى
المهتدى مقصده بعينه لا ينفعه السماع فقال تعالى هل علم الغيب بحيث رآه فلا يكون علمه
علما نظريا بل علما بصريا فتنوى وقوله تعالى فهو يرى يحتمل أن يكون مفعول يرى هو
احتمال الواحد وزر الآخر كانه قال فهو يرى ان وزره محمول لم يسمع ان وزره غير محمول
فهو عالم بالجل وغافل عن عدم الحمل ليكون معذورا بمحتمل ان لا يكون له مفعول تقديره

الابكارم الاختلاق
وذلك قوله تعالى وأعطى
قليلا وأكدى والاول
هو الاشهر المناسب لما
يعد من قوله تعالى
(أعنده علم الغيب
فهو يرى) الخ أى
علم بالامور الغيبية التى
من جملتها تحمل
صاحبه عنه يوم القيامة
(أم لم ينبا بما في صحت
موسى وإبراهيم الذى
وفي) أى وفروا ثم
ما ينال به من الكلمات
أو امر به أو بالغ في الوفاء
بما عاهد الله وتخصيصه
بذلك لاحتماله عالم
بمحتمله غير كالصبر
على نار عمود حتى انه
أناه جبريل عليه السلام
حين يلقي في النار فقال
ألك حاجة فقال أما
الك فلا وهلى ذبح الولد
ويروى انه كان
يشى كل يوم

فهو يرى رأى نظراً غير محتاج الى هادونذير * قوله تعالى (أمم ينابيعنا في صحف موسى
وابراهيم الذي وفي) حال أخرى مضادة الاولى يعذر فيها المتولى وهو الجهل المطلق فان من
علم الشيء علم انما لا يؤمر به الله والذي جهله جهلاً لا مطلقاً وهو الغافل على الإطلاق كما أنهم
أيضاً لا يؤمر فقال هذا المتولى هل علم السكك فجازله التولى أولم يسمع شيئاً وما بلغه دعوة
أصلاً فيعذرو ولا واحد من الامرين بكان فهو في التولى غير معذور وفيه مسائل (المسئلة
الاولى) قوله تعالى بما في يحتمل وجهين (أحدهما) ان يكون المراد ما فيها لا بصفة كونه فيها
فكانه تعالى يقول أمم ينابيعنا بالتوحيد والحشر وغير ذلك وهذه أمور مذكورة في صحف
موسى مثاله يقول القائل لمن توضع بغير الماء توضعاً بما توضع به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لا ير يديه نفس الماء الذي توضع به النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالكلام مع الكل لان
المشرك وأهل الكتاب نبأهم النبي صلى الله عليه وسلم بما في صحف موسى (ثانيهما) ان يكون
المراد بما في الصحف مع كونه فيها كما يقول القائل فيما ذكرنا من المثال توضعاً بما في القرية
لا بما في الجرة فيريد عين ذلك لا جنسه وعلى هذا فالكلام مع أهل الكتاب لانهم الذين تبوأ به
(المسئلة الثانية) صحف موسى و ابراهيم هل جمعها بكونها صحفاً كثيرة او بكونها مضافة
الى الاثنين كما قال تعالى فقد صفت قلوبكم انما الظاهر انها كثيرة قال الله تعالى وأخذ الألواح
وقال تعالى وألقى الألواح وكل اوح صحيفة (المسئلة الثالثة) ما المراد بالذي فيها نقول قوله
تعالى أن لاترزوا زرة وزراً أخرى وأن ليس الانسان الا ما سعى وما بعده من الامور المذكورة
على قراءة من قرأ أن بالفتح وعلى قراءة من يكسر ويقول وان الى ربك المنتهى ففيه
وجوه (أحدها) هو ما ذكره بقوله أن لاترزوا زرة وزراً أخرى وهو الظاهر وانما احتمل غيره
لان صحف موسى و ابراهيم ليس فيها هذا فقط وليس هذا معظم المقصود بخلاف قراءة الفتح
فان فيها تكون جميع الاصول على ما بين (ثانيها) هو أن الآخرة خير من الاولى يدل عليه
قوله تعالى ان هذا الى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى (ثالثها) أصول الدين كلها
مذكورة في الكتب بأسرها وام يخل الله كتاباً عنهما ولهنا قال لبيد صلى الله عليه وسلم
فبهدهم افتده وليس المراد في القروع لان قروع دينه مغايرة لقروع دينهم من غير شك
(المسئلة الرابعة) قدم موسى ههنا ولم يقل كما قال في جميع اسم ربك الاعلى فهل فيه فائدة
نقول مثل هذا في كلام القصاص لا يطلب له فائدة بل التقديم والتأخير سواء في كلامهم
فيصح أن يقتصر على هذا الجواب ويمكن ان يقال ان الذكر هنا مجرد الاخبار والانتذار
وههنا المقصود بيان انتفاء الاعتذار فذكر هنا على ترتيب الوجود صحف ابراهيم قبل
صحف موسى في الاتزال واما ههنا فقد قلنا ان الكلام مع أهل الكتاب وهم اليهود فقدم
كتابهم وان قلنا الخطاب مام فصحف موسى عليه السلام كانت كثيرة الوجود فكانه قيل
لهم انظروا فيها تعلمون ان الرسالة حق وارسل من قبل موسى رسل والتوحيد صدق
والحشر واقع فلما كانت صحف موسى عند اليهود كثيرة الوجود قدمها وأما صحف ابراهيم

فرسخا يرتاد ضيقاً فان
واقفه أكرموا الانوى
الصوم وتقديم موسى
لما ان صحف التي هي
التوراة أشهر عندهم
وأكثر (ان لاترزوا زرة
وزراً أخرى) اي انه
لا تحمل نفس من شأنها
الجل جل نفس أخرى
على ان ان هي الخفة
من الثقلة وضيم الشأن
الذي هو اسمها تحذوف
والجمله المنفية خبرها
ويحل الجمله الجر على
انها بدل بما في صحف
موسى او الرفع على انها
خبر مبتدأ محذوف كأنه
قيل ما في صحفهما قليل
هو ان لاتزال والمعنى
انه لا يؤخذ احد بذنب
غيره ليتخلص الثاني
عن عقابه ولا يقدح
في ذلك قوله عليه الصلاة
والسلام من سن سنة ستة

فكانت بعيدة وكانت المواظ التي فيه غير مشهورة فيما بينهم كصحف موسى فأخذ كرها
 (المسئلة الخامسة) كثير اماذا كره الله موسى فأخذه عليه السلام لانه كان مبتلى في أكثر
 الامر من حوالبه وهم كانوا مشركين ومتهودين والمشركون كانوا يعظمون ابراهيم عليه
 السلام لكونه أباهم وأما قوله تعالى وفي فقيه وجهان (أحدهما) أنه من الوفاء الذي
 يذكر في اليهود وعلى هذا التشديد للبالغة يقال وفي وفي كقطع وقطع وقيل وقيل
 وهو ظاهر لانه وفي بالنذر واضح ابنه للذبح ورد في حقه قد صدقت الروايات وقال تعالى
 ان هذا هو البلاء المبين (وثانيهما) انه من اتوفية التي من الوفاء وهو التمام والتوفية
 الاتمام يقال وفاء أي اعطاء تاما وعلى هذا فهو من قوله واذا تبلى ابراهيم ربه بكلمات
 فأنعمه وقيل وفي أي أعطى حقوق الله في بدنه وعلى هذا فهو على ضد من قال تعالى فيه
 وأعطى قليلا وأكدي مدح ابراهيم ولم يصف موسى عليه السلام نقول أما بيان توفيته
 فتيه لطيفة وهي انه لم يسهل الاوفيه وقال لا يسهل ما استغفر لك ربي فاستغفر وفي
 بالعهد ولم يغفر الله له فعلم أن ليس الانسان الاماسي وأن وزره لا تزره نفس أخرى
 وأما مدح ابراهيم عليه السلام فلانه كان متفقا عليه بين اليهود والمشركون والمسلمين
 ولم يشكر أحد كونه وفيما موفيا ورعا كان المشركون يتوقعون في وصف موسى عليه
 السلام ثم قال تعالى (ان لا تزر وزره ولا تزره نفس أخرى) وقد تقدم تفسيره في سورة الملائكة
 والذي يحسن بهذا الموضع مسائل (الاولى) أنها ينبغي أن الظاهر أن المراد من قوله بمافي
 صحف موسى هو ما بينه بقوله أن لا تزره فيكون هذا بدلا عن ما وتقديره أم لم يذبا بأن لا تزر
 وقد كرنا هناك وجهين أحدهما المراد أن الآخرة خير وثانيهما الاصول (المسئلة
 الثانية) أن لا تزر أن خفيفة من الثقلة كأنه قال انه لا تزر وتخفيف الثقلة لازم وغير لازم
 جاز وغير جاز فاللزم عند ما يكون بعد ما فعل او حرف داخل على فعل ولزم فيها التخفيف
 لانها مشبهة بالفعل في اللفظ والمعنى والفعل لا يمكن ادخاله على فعل فاخرج عن شبه الفعل
 الى صورة تكون حرفا مخصصا بالفعل فتاسب الفعل فتدخل عليه (المسئلة الثالثة) ان
 قال قائل الآية مذكرة لبيان أن وزر المسمى لا يحمل عنه وبهذا الكلام لا نحصل هذه
 الفائدة لان الوزرة تكون مثقلة بوزرها فبما كل أحد أنها لا تحمل شيئا ولو قال لا تحمل
 فارغة وزر أخرى كان أبلغ نقول ليس كما ظننت وذلك لان المراد من الوزرة هي التي يتوقع
 منها الوزر والجل لا التي وزرت وحملت كما يقال شقائي الجملى وان لم يكن عليه في الحال حمل
 واذا لم تزل تلك النفس التي يتوقع منها ذلك فكيف تتحمل وزر غيرها فتكون الفائدة كاملة
 * وقوله تعالى (وان ليس للانسان الاماسي) نمة بيان أحوال المكلف فانه لمسا بين له ان
 سبته لا يتحملها عنه أحد بين له ان حسنة الغير لا تجدى نفعا ومن لم يعمل صالحا لا ينال
 خيرا فيكمل بها ويظهر أن المسمى لا يجدى بسبب حسنة الغير ثوابا ولا يتحمل عنه لمحد ظفابا
 وفيه أيضا مسائل (الاولى) ليس للانسان فيه وجهان (أحدهما) انه عام وهو الحق وقيل

فعلية وزرها ووزر من
 عمل بها الى يوم القيامة
 فان ذلك وزر الاضلال
 الذي هو وزره وقوله تعالى
 (وان ليس للانسان الا
 ماسي) بيان لعدم انتفاع
 الانسان بعمل غيره من
 حيث جلب النفع اليه اثر
 بيان عدم انتفاعه به من
 حيث دفع الضرر عنه
 واما شفاعه الانبياء عليهم
 السلام واستغفار الملائكة
 عليهم السلام ودعاء
 الاحياء للاموات
 وصدقهم عنهم وغير
 ذلك مما لا يكاد يحصى
 من الامور النافعة
 للانسان مع انها ليست
 من عمله قطعا فحيث كان
 مناعة منفعة كل منها
 عمله الذي هو الايمان
 والصلاح ولم يكن لشي
 منها نفع ما بدونه جعل
 النافع

عليه بان في الاخبار ان ما يأتي به القريب من الصدقة والصوم يصل الى الميت والدعاء
أيضا نافع فللإنسان شيء لم يسع فيه وأيضا قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها
وهي فوق ماسعي والجواب عنه أن الإنسان ان لم يسع في أن يكون له صدقة القريب
بالإيمان لا يكون له صدقة فليس له الاماسعي وأما الزيادة فنقول الله تعالى لما وعد الحسن
بالأمثال والعشرة وبالأضعاف المضاعفة فإذا أتى بحسنة راجيا أن يوتيها الله مائة ففضل
به قدسعي في الأمثال فان قيل أتم اذن حملتم السعي على المبادرة الى الشيء يقال سعي
في كذا اذا أسرع اليه والسعي في قوله تعالى الاماسعي معناه العمل يقال سعي فلان أي
عمل ولو كان كذا كرتم لقال الاماسعي فيه نقول على الوجهين جميعا لا بد من زيادة فان قوله
تعالى ليس للإنسان الاماسعي ليس المراد منه ان له دين ماسعي بل المراد على ما ذكرت ليس له
الاثواب ماسعي أو الأجر ماسعي أو يقال بان المراد ان ماسعي محفوظ له مصون عن الاحباط
فان له فعله يوم القيامة (الوجه الثاني) أن المراد من الإنسان الكافر دون المؤمن وهو
ضعيف وقيل بان قوله ليس للإنسان الاماسعي كان في شرع من تقدم ثم ان الله تعالى لم يمنحه
في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وجعل للإنسان ماسعي وما لم يسع وهو باطل اذا الحاجة الى
هذا التكلف بعد ما بان الحق وعلى ما ذكره قوله ماسعي مبق على حقيقته معناه له دين
ماسعي محفوظ عند الله تعالى ولا نقصان يدخله ثم يجزي به كما قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره (المسئلة الثانية) ان ما خبره أو مصدرية نقول كونها مصدرية أظهر بدليل
قوله تعالى وأن سعيه سوف يرى أي سوف يرى السعي والمصدر للمفعول يجي كثيرا يقال
هذا خلق الله أي مخوفه (المسئلة الثالثة) المراد من الآية بيان ثواب الاعمال الصالحة
أو بيان كل عمل نقول المشهور أنها لكل عمل فالخير مثاب عليه والشر معاقب به والظاهر
انه لبيان الخيرات يدل عليه اللام في قوله تعالى للإنسان فان اللام لعود المنافع وعلى لعود
المضار نقول هذا وهذا عليه ويشهد له ويشهد عليه في المنافع والمضار والقاتل الاول
أن يقول بان الامرين اذا اجتمعا غلب الافضل كجموع السلامة تذكر اذا اجتمعت
الاناث مع الذكور وايضا يدل عليه قوله تعالى ثم يجزاه الجزاء الاوفي والاوفي لا يكون الا
في مقابلة الحسنة وأما في السبئية فامثل أو دونه أو العفو بالكلية (المسئلة الرابعة) الا
ماسعي بصيغة الماضي دون المستقبل لزيادة الحث على السعي في العمل الصالح ونقريره
هو انه تعالى لو قال ليس للإنسان الا ماسعي تقول النفس اني أصلي غدا كذا ركعة
واتصدق بكذا درهمين يجعل مثبنا في صحيفتي الآن لانه أمر يسعي فيه وله ما يسعي فيه
فقال ليس له الا ما قد سعي وحصل وفرغ منه وأما تسويلات الشيطان وعداته فلا اعتقاد
عليها ثم قال تعالى (وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفي) أي يعرض عليه
ويكشف له من أربته الغي وفيه بشارة للمؤمنين على ما ذكرنا وذلك ان الله يريه أعماله
الصالحة ليفرح بها أو يكون يرى ملائكته وسائر خلقه ليتفخروا به على ما هو

نفس عمله وان كان
بالتضام على خبره البه
وان مخففة كاختها
مطوفة عليها وكذا
قوله تعالى (وأن سعيه
سوف يرى) أي يعرض
عليه ويكشف له يوم
القيامة في صحيفته ومبراته
من أربته الشيء (ثم يجزاه)
أي يجزي الإنسان سعيه
يخال جزاء الله بعمله
وجزاه على عمله وجزاه
عليه بحدف الجار واصل
الفعل ويجوز ان يجعل
الضمير للجزاء ثم يفسر قوله
تعالى (الجزاء الاوفي)
أو يدل هو عنه كما في
قوله تعالى وأسروا
النجوى الذين ظلموا

المشهور وهو مذكور لفرح المسلم ولحرث الكافر فان سعيه يرى المخلوق ويرى لنفسه
ويحتمل ان يقال هو من رأى يرى فيكون كقوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم
ورسوله وفيها وفي الآية التي بعدها مسائل (الاولى) العمل كيف يرى بعد وجوده
ومضيه نقول فيه وجهان (أحدهما) يراه على صورة جيلة ان كان العمل صالحا
(ثانيهما) هو على مذهبا غير بعيد فان كل موجود يرى والله قادر على اعادة كل معدوم
فبعد العمل يرى وفيه وجه ثالث وهو ان ذلك مجاز عن الثواب يقال سترى احسانك
عند الملك أى جزاءه عليه وهو بعيد لما قال بعده ثم يجزاه الجزاء الاوفى (المسئلة الثانية)
الهاء ضمير السعى أى ثم يجزى الانسان سعيد بالجزاء والجزاء يتعدى الى مفعولين قال
تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ويقال جزاك الله خيرا ويتعدى الى ثلاث
مفاعيل بحرف يقال جزاه الله على عمله الخير الجنة ويخذف الجار ويوصل الفعل
فيقال جزاه الله عمله الخير الجنة هذا وجه وفيه وجه آخر وهو ان الضمير الجزاء وتقديره
ثم يجزى جزاء ويكون قوله الجزاء الاوفى تفسيراً أو بدلا مثل قوله تعالى وأسروا النجوى
الذين ظلموا فان التقدير والذين ظلموا أسروا النجوى الذين ظلموا والجزاء الاوفى على
ما ذكرنا يليق بالمؤمنين الصالحين لانه جزاء الصالح وان قال تعالى فان جهنم جزاؤكم
جزاء موفورا وعلى ما قيل يجاب أن الاوفى بالنظر اليه فان جهنم ضررها أكثر بكثير
من نفع الآثام فهي في نفسها أوفى (المسئلة الثالثة) ثم لتراخى الجزاء أول تراخى الكلام
أى ثم نقول يجزاه فان كان لتراخى الجزاء فكيف يؤخر الجزاء عن الصالح وقد ثبت أن
الظاهر أن المراد منه الصالح نقول الوجهان محتملان وجواب السؤال هو أن الوصف
بالاوفى يدفع ما ذكرنا لان الله تعالى من أول زمان يموت الصالح يعجز به جزاء هلى خبره
ويؤخر له الجزاء الاوفى وهى الجنة أو نقول الاوفى اشارة الى الزيادة فصار كقوله تعالى
للذين أحسنوا الحسنى وهى الجنة وزيادة وهى الرؤية فبكانه تعالى قال وأن سعيه سوف
يرى ثم يرزق الرؤية وهذا الوجه يليق بتفسير اللفظ فان الاوفى مطلق غير مبين فلم يقل أوفى
من كذا فينبغى أن يكون أوفى من كل واف ولا يتصف به غير رؤية الله تعالى (المسئلة
الرابعة) في بيان لطائف في الآيات (الاولى) قال في حق المسى لاتر وزر وازرة وزر أخرى
وهو لا يدل الاعلى عدم الحمل عن الوزرة وهذا يلزم منه بقاء الوزر عليهما من ضرورة
اللفظ لجواز أن يسقط عنها ويحتمل الله ذلك الوزر فلا يبقى عليها ولا يتحمل عنها غيرها
ولو قال لاتر وزر وازرة الاوزر نفسها كان من ضرورة الاستثناء انها تر وقال في حق المحسن
ليس الانسان الاماسى ولم يقل ليس له مالم يسم لان العبارة الثانية ليس فيها ان له ماسى
وفي العبارة الاولى أن له ماسى نظرا الى الاستثناء وقال في حق المسى بعبارة لاتقطع
رجاء وفي حق المحسن بعبارة تقطع خوفه كل ذلك اشارة الى سبق الرحمة الغضب ثم
قال تعالى (وان الى ربك المنتهى) القراءة المشهورة فتح الهمة على العطف على ما يعنى ان

(وان الى ربك المنتهى)
أى انتهائهم الى الخلق
ورجوعهم اليه تعالى
لا الى غيره استقلالاً ولا
اشتراكاً وقرئ يكسر
ان على الاستداء

هذا أيضا في الصحف وهو الحق وقرئ بالكسر على الاستئناف وفيه مسائل (الأولى)
 ما المراد من الآية قلنا فيه وجهان (أحدهما) وهو المشهور ببيان المعاد أي للناس بين
 يدَي الله وقوف وعلى هذا فهو يتصل بما تقدم لأنه تعالى لما قال ثم يجزاه كان قائلا قال
 لأنرى الجزاء ومتى يكون فقال ان المرجم الى الله وعند ذلك يجازى الشكور ويجزى
 الكفور (وثانيهما) المراد التوحيد وقد فسر الحكماء أكثر الآيات التي فيها الانتهاء
 والرجوع بما سنده غير ان في بعضها تفسيرهم غير ظاهر وفي هذا الموضع ظاهر فنقول
 هو بيان وجود الله تعالى ووحدانيته وذلك لأنك اذا نظرت الى الموجودات الممكنة
 لا تجد لها بدا من موجود ثم ان موجودها ربما يظن انه ممكن آخر كالحرارة التي تكون
 على وجه يظن انها من اشراق الشمس أو من النار فيقال الشمس والنار ممكنتان فم
 وجودهما فان استندنا الى ممكن آخر لم نجد العقل بدا من الانتهاء الى غير ممكن فهو واجب
 الوجود فاليه ينتهي الامر فالرب هو المنتهى وهذا في هذا الموضع ظاهر معقول موافق
 للنقول فان المروي عن أبي بن كعب انه قال عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وان
 الى ربك المنتهى لا فكرة في الرب أي انتهى الامر الى واجب الوجود وهو الذي
 لا يكون وجوده بموجود ومنه كل وجود وقال أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 اذا ذكر الرب فانتبهوا وهو محتمل لما ذكرنا وأما بعض الناس فيبائع ويفسر كل آية
 فيها الرجعي والنتهي وغيرهما بهذا التفسير حتى قيل اليه يصعد الكلام الطيب بهذا
 المعنى • هذا دليل الوجود وأما دليل الوحدانية فنحن حيث ان العقل انتهى الى واجب
 الوجود من حيث انه واجب الوجود لأنه لو لم يكن واجب الوجود لما كان منتهى بل
 يكون له موجد قبله فالمنتهى هو الواجب من حيث انه واجب وهذا المعنى واحد
 في الحقيقة والعقل لأنه لا بد من الانتهاء الى هذا الواجب أو الى ذلك الواجب فلا يثبت
 للواجب معنى غير انه واجب فيبعد اذا وجوبه «لو كان واجبان في الوجود لكان كل
 واحد قبل المنتهى لان المجموع قبله الواجب فهو المنتهى وهذان دليلان ذكرتهما
 على وجه الاختصار (المسئلة الثانية) قوله تعالى الى ربك المنتهى في الخطاب وجهان
 (أحدهما) انه عام تقديره الى ربك أيها السامع أو العاقل (ثانيهما) الخطاب مع النبي
 صلى الله عليه وسلم وفيه بيان صحة دينه فان كل أحد كان يدعى ربا والها لكنه صلى الله
 عليه وسلم لما قال ربى الذي هو أحد وصعد يحتاج اليه كل ممكن فاذا ربك هو المنتهى وهو
 رب الارباب ومسبب الاسباب وعلى هذا القول الكاف أحسن موقفا أما على قولنا ان
 الخطاب عام فهو تهديد ببلغ للشيء وحث شديد للمحسن لان قوله أيها السامع كأننا
 من كان الى ربك المنتهى يفيد الامر من افادة بالغة حد الكمال وأما على قولنا
 الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم فهو تسلية لقلبه كأنه يقول لا تحزن فان المنتهى الى الله
 فيكون كقوله تعالى فلا تحزنك قولهم اننا نعلم ما يسرون وما يعلنون الى أن قال تعالى

في آخر السورة واليه ترجعون وأمثاله كثيرة في القرآن (المسئلة الثالثة) اللام على الوجه الاول لله لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول أبدا ان مرجعكم الى الله فقال وان الى ربك المنتهى الموعود المذكور في القرآن وكلام النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الوجه الثاني للعموم أى الى الرب كل منتهى وهو مبدأ وعلى هذا الوجه نقول منتهى الادراكات المدركات فالانسان أنه لا يدرك الاشياء الظاهرة ثم من النظر فينتهى الى الله فينف عنه ثم قال تعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) فيه مسائل (الاولى) على قولنا اليه المنتهى المراد منه ثبات الوجدانية هذه الآيات مثبتات لمسائل يتوقف عليها الاسلام من جلالة قدرته تعالى فان من الغلاسة من يعترف بان الله المنتهى وأنه واحد لكن يقول هو موجب لا عاقل يقال تعالى هو أوجد ضد بين الضحك والبكاء في محل واحد والموت والحياة والمذكورة والاثوثة في مادة واحدة وان ذلك لا يكون الا من قادر واعترف به كل عاقل وعلى قولنا ان قواه تعالى وان الى ربك المنتهى بيان المعاد فهو إشارة الى بيان أمر هو كما كون في بعضه ماضيا كافرعا وفي بعضه بايا كما محزوننا كذلك يفعل به في الآخرة (المسئلة الثانية) أضحك وأبكى لا يفعل لهما في هذا الموضع لأنهما مسوقتان لخدمة الله لا لبيان المقدور فلا حاجة الى المنقول يقول القائل فلان بيده الأخذ والعطاء يعطي وينزع ولا يريد دعاء محطى (المسئلة الثالثة) اختار هذين الوصفين للذكر والانتى لانهما أمران لا يعلمان فلا يقدر أحسن الطبيعة ان يمدى في اختصاص الانسان بالضحك والبكاء وجهها وسببها واذا لم يعمل بأمر ولا بدله من موجد فهو لله تعالى بخلاف الصخرة والسقمه فيهم يقولون سببهما اختلال المزاج وخروجه عن الاعتدال وبذلك على هذا انهم اذا ذكروا في الضحك أمرا له الضحك قالوا قوة التعجب وهو في غاية البطلان لان الانسان ربما يبهت عند رؤية الامور العجيبة ولا يضحك وقيل قوة الفرح والبس كذلك لان الانسان يفرح كثيرا ولا يضحك والحزين الذي عنده غاية الحزن يضحك المضحك وكذلك الامر في البكاء وان قيل لاكثرهم علما بالامور التي يدعها الطبيعة ان خروج الدمع من العين عند امور مخصوصة لماذا لا يقدر على تعليل صحيح وعند الخواص كالتى في المغناطيس وغيرها من قطع الطبيعة كما ان عند أوضاع الكواكب ينقطع هو والمهندس الذي لا يفوض أمره الى قدرته تعالى وارادته ثم قال تعالى (وأنه هو أمات وأحيى) والبحث فيه كما في الضحك والبكاء غير أن الله تعالى في الاول بين خاصة النوع الذى هو اخص من الجنس فانه أظهر وعن التعليل أبعد ثم عطف عليه ما هو اعم منه ودونه في البعد عن التعليل وهى الامانة والاجباء وهما صفتان متضادتان أى الموت والحياة كالضحك والبكاء والموت على هذا البس بمجرد العدم والالكان المشع منا وكيفما كان فالامانة والاجباء أمر وجودى وهما من خواص الحيوان ويقول الطبيعى في الحياة الاعتدال المزاج والمزاج من أركان متضادة هى النار والهواء والماء

(وأنه هو أضحك وأبكى) أى هو خلق فوق الضحك والبكاء (وأنه هو أمات وأحيى) لا يقدر على الامانة والاجباء فانه اثر اقاتل نفص البيئة وتفرق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة

(وأنه خلق الزوجين
الذكر والانثى)

والتراب وهي متداخلة الى الانفس كك ومالاتركيب فيه من المتضادات لاموت له لان المتضادات كل أحد يطلب مفارقة مجاوره فقال تعالى الذي خلق ومنزج العناصر وحفظها مدة قادر على أن يحفظها أكثر من ذلك فاذا مات فليس عن ضرورة فهو يفعل فاعل مختار وهو الله تعالى فهو الذي أمات وأحيانا قبل متى أمات وأحيانا حتى يعلم ذلك بل مشاهدة الاحياء والامانة بناء على الحياة والموت نقول فيه وجوه (احدها) أنه على التقديم والتأخير كأنه قال أحيا وأمات (ثانيها) هو بمعنى المستقبل فان الامر قريب يقال فلان وصل واللبل دخل اذا قرب مكانه وزمانه فكذلك الاحياء والامانة (ثالثها) أمات أى خلق الموت والجود في العناصر ثم ركبها وأحيى أى خلق الحس والحركة فيها * ثم قال تعالى (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى) وهو أيضا من جملة المتضادات التي تتوارد على النطفة فبعضها يخلق ذكرًا وبعضها أنثى - لا يصل اليه فهم الطبيعي الذي يقول انه من البرد والرطوبة في الانثى قرب امرأة أليس من اجاب من الرجل وكيف واذا نظرت في المميزات بين الصغير والكبير تجدها امورا عجيبة منها نبات اللحية وأقوى ما قالوا في نبات اللحية انهم قالوا الشهور مكنونة من بخار دخلي يهبط الى المسام فاذا كانت المسام في غاية الرطوبة والخلل كما في مزاج الصبي والمرأة لا ينبت الشعر لخروج تلك الادخنة من المسام الرطبة بسهولة قبل أن يتكون شعرا واذا كانت في غاية اليبوسة والتكاثف ينبت الشعر لعدم خروجه من المخرج الضيق ثم ان تلك المواد تجذب الى مواضع مخصوصة فتندفع أما الى الرأس فتندفع اليه لانه يتخلف كقبة فوق الابخرة والادخنة فتتصاعد اليه تلك المواد فلهذا يكون شعر الرأس أكثر وأطول ولهذا في الرجل مواضع تجذب اليها الابخرة والادخنة منها الصدر لحرارة القلب والحرارة تجذب الرطوبة كالسراج لازيت ومنها بقرب آلة التناسل لان حرارة الشهوة تجذب أيضا ومنها اللحيان فانها كثيرة الحركة بسبب الاكل والكلام والحركة أيضا جاذبة فاذا قبل اهم والسبب الموجب لتلازم نبات شعر اللحية وآلة التناسل فانها اذا قطعت لم تنبت اللحية وما الفرق بين سن الصباوسن اشباب وبين المرأة والرجل ففي بعضها يهت وفي بعضها يتكلم بامور واهية واوفوضها الى حكمة الهية لكان أولى وفيه مسئلتان (الاولى) قال تعالى وأنه خلق ولم يزل وأنه هو خلق كما قال وأنه هو أضحك وأبكى وذلك لان الضحك والبكاء ربما يتوهم متوهم انه بفعل الانسان وفي الامانة والاحياء وان كان ذلك اتوهم بعيدا لكن ربما يقول به جاهل كما قال من حاج ابراهيم الخليل عليه السلام حيث قال أنا أحبي وأميت فاكد ذلك بذكر الفصل وأما خلق الذكر والانثى من النطفة فلا يتوهم أحدانه بفعل أحد من الناس فلم يؤكده بالفصل ألا ترى الى قوله تعالى وأنه هو أغنى وأقنى حيث كان الاغناء عندهم غير مستند الى الله تعالى وكان في معتقدهم ان ذلك بفعلهم كما قال فارون انما أوتيته على علم عندي ولذلك

قال وانه هورب الشعرى لانهم كانوا يستبعدون أن يكون رب محمد هو رب الشعرى
فاكد في مواضع استبعادهم النسبة الى الله تعالى الاسناد وامرؤ كده في غيره (المسئلة
الثانية) الذكر والانثى اسمان هما صفة أو اسمان ليسا بصفة المشهور عند أهل اللغة
الثاني والظاهر وانهما من الاسماء التي هي صفات فاذكر كالحسن والعرب والانثى كالحبلى
والكبرى وانما قلنا انها صفة الحبلى في رأى لانها حيا لها النسب لا كالكبرى وان
قلنا انها كالكبرى في رأى وانما قلنا ان الظاهر انها صفتان لان الصفة ما يطلق على
شيء ثبت له أمر كالعالم يطلق على شيء له عمل والمحرك يقال لشيء له حركة بخلاف الشجر والحجر
فان الشجر لا يقال لشيء بشرط أن يثبت له أمر بل هو اسم موضوع لشيء معين والذكر اسم
يقال لشيء له أمر ولهذا يوصف به ولا يوصف بالشجر يقال جاءني شخص ذكر أو انسان
ذكر ولا يقال جسم شجر والذي ذهب الى انه اسم غير صفة انما ذهب اليه لانه لم يره
فعلا والصفة في الغالب فعل كالعالم والجاهل والحسن والعرب والكبرى والحبلى
وذلك لا يدل على ما ذهب اليه لان الذكورة والانوثة من الصفات التي لا يتبدل بعضها
بعض فلا يصاغ لها افعال لان الفعل لما يتوهم له تجديد في صورة الغالب ولهذا لم
يوجد للاضافات افعال كالابوة والبنوة والاخوة اذ لم تكن من الذي يتبدل ويوجد
للاضافات المتبدلة افعال يقال وانما وتناهى لم يكن مثنا يتكلف فقبل التبدل
* وقوله تعالى (من نطفة) أى قطعة من الماء * وقوله تعالى (اذاتنى) من أمى الى اذا
نزل أو من منى معنى اذا قدر وقوله تعالى من نطفة تنبيه على كمال القدرة لان النطفة
جسم متناسب الاجزاء ويخلق الله تعالى منه أعضاء مختلفة وطبعا متباينة وخلق
الذكر والانثى منها أعجب ما يكون على ما بيننا ولهذا لم يقدر أحد على أن يدعيه
كالم يقدر أحد على أن يدعى خلق السموات ولهذا قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله كما قال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله * ثم قال تعالى
(وأن عليه النشأة الاخرى) وهى في قول أكثر المفسرين إشارة الى الحشر والذي ظهر لى
بعد طول التفكير والسؤال من فضل الله تعالى الهداية فيه الى الحق انه يحتمل أن يكون
المراد نفع الروح الانسانية فيه وذلك لان النفس الشريفة لا الامارة تخالط الاجسام
الكثيفة المظلمة وبها كرم الله بنى آدم واليه الإشارة في قوله تعالى فكسونا العظام لحما
ثم أنشأنا خلقا آخر غير خلق النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما وهذا الخلق
الاخر تميز الانسان عن أنواع الحيوانات وشارك الملك في الادراكات فكما قال
هناك أنشأنا خلقا آخر بعد خلق المظلمة قال ههنا وأن عليه النشأة الاخرى فجعل
نفع الروح نشأة أخرى كما جعله هناك انشاء آخر والذي أوجب القول بهذا هو أن قوله
تعالى وأن الى ربك المنتهى عند الاكثرين لبيان الاعادة وقوله تعالى ثم يجزاه الجزاء
الاولى كذلك فيكون ذكر النشأة الاخرى اعادة ولانه تعالى قال بعد هذا وانه هو اعنى

من نطفة اذا تمنى) تدفق
في الرحم او تخلق او يقدر
منها الولد من منى بمعنى
قدر (وان عليه النشأة
الاخرى) اى الاحياء
بعد الموت وفاء بوعده
وقرى النشأة بالمدوهى
ايضا مصدر نشأ

وأقنى وهذا من أحوال الدنيا وعلى ما ذكرنا يكون الترتيب في غاية الحسن فانه يقول تعالى خلق الذكر والانثى ونفخ فيهما الروح الانسانية الشريفة ثم أغناه بلبن الام وينفقه الاب في صغره ثم أغناه بالكسب بعد كبره فان قيل فقد وردت النشأة الاخرى للتحسرف في قوله تعالى فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرى نقول الاخرى من الآخر لاسم الآخر لان الآخر أقبل وقد تقدم على ان هنالك لما ذكر البدء حل على الاعادة ومهما ذكر خلقه من نطفة كافي قوله ثم خلقنا النطفة علقه ثم قال أنشأناه خلقا آخر وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) على الوجوب ولا يجب على الله الاعادة فسامعني قوله تعالى وان عليه قال الزمخشري على ما هو مذهبه عليه ههنا فان من الحكمة تجزئ ذلك فليس الا بالتحسرف فيجب عليه عتلا الاعادة نحن لانقول بهذا القول ونقول فيه وجهان (الاول) عليه يحكم " وعدفاته تعالى قال ان نحن نحيي الوقي فعليه يحكم الوعد لا يعمل ولا يشرع (الثاني) عليه لا عين فار من حضر بين جمع وحاولوا أسر او عجزا الله يقال وجب عليك ان توفيه أى ميثقه (المسئلة الثانية) قرئ " انشأه على ان مصدر كائن في معنى وان فمسئلة وهي انما تقول ضربت ضربتين اى مرة بعد مرة بمعنى النشأة مرة أخرى عليه وقرئ " انشأه بالمصدر على وزن فعانة كالكفالة وكيفما قرئ فهي من نشأ وهو تزم وكان الواجب أن يقال عليه الانشاء لان النشأة نقول فيه فائدة وهي ان الجزم يحصل من هذا بوجود الخلق مرة أخرى ولو قال عليه الانشاء ربنا يقول قائل الانشاء من باب الاجلاس حيث سئل في السعة أجلسه فاجلس وأقعد فقام فيقال انشاء وما نشأ أى قصده لينشأ ولم يوجد فاذا قال عليه النشاء أى يوجد النشأ ويحققه بحيث يوجد جزما (المسئلة الثالثة) هل بين قول القائل عليه النشاء مرة أخرى وبين قوله عليه انشاء الاخرى فرق نقول نعم اذ قال عليه النشاء مرة أخرى لا يكون النشأ قد علم أولا واذا قال عليه النشاء الاخرى يكون قد علم حقيقة النشأة الاخرى فنقول ذلك المعلوم عليه * ثم قال تعالى (وأغنى وأقنى) وقد ذكرنا تفسيره فنقول أغنى بمعنى دفع حاجته ولم يتركه محتاجا لان الفقير في مقابلة أغنى فمن لم يبق فقيرا بوجه من الوجوه فهو أغنى مضاعفا ومن لم يبق فقيرا من وجه فهو أغنى من ذلك الوجه قال صلى الله عليه وسلم أغنوه عن المسئلة في هذا اليوم وحل ذلك على زكاة الفطر ومعناه اذا اتاه ما احتاج اليه وقوله تعالى اقنى معناه وزاد عليه الافناء فوق الاغناء والذي عندي ان الحروف متناسئة في المعنى فنقول لما كان يخرج القاف فوق مخرج الغين جعل الافناء لحالة فوق الاغناء وعلى هذا فالاغناء هو ما آتاه الله من العين والاسان وهداه الى الارتضاع في صباه أو هو ما أعطاه الله تعالى من القوت واللباس المحتاج اليهما وفي الجملة كل ما دفع الله به الحاجة فهو اغناء وكل ما زاد عليه فهو اقناء * ثم قال تعالى (وأنه هو رب السمى) اشارة الى فساد قول قوم آخرين وذلك لان بعض

(وأنه هو أغنى واقنى)
واعطى التقية وهي ما يتأهل من الاموال وافرادها بالذكر لانها اشرف الاموال وارضى وتحمقه جعل الرضاه فنية (وأنه هو رب السمى) أى رب معبودهم وهي العبور وهي أشد ضياء من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدونها سن لهم ذلك ابو كشة رجل من أشرفهم وكانت قريش تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كشة تشبهه الله عليه الصلاة والسلام به لمخالفته اياهم في دينهم

الناس يذهب الى أن الفقر والغنى يكسب الانسان واجتهاده فمن كسب استغنى ومن
كسل افتقر وبعضهم يذهب الى أن ذلك باليخت وذلك بالنجوم فقال هو أغنى وأقنى وإن
قائل الغنى بالنجوم غلط فنقول هورب النجوم وهو محررها كما قال تعالى هورب الشعرى
وقوله هورب الشعرى لا نكارهم ذلك أكد بالفصل والشعرى نجم مضي وفي النجوم
شعران أحدهما شامية والأخرى يمانية والظاهر أن المراد باليانية لانهم كانوا
يعبدونها * ثم قال تعالى (وأنه هلاك عاد الأولى) لما ذكر أنه أغنى وأقنى وكل ذلك
بفضل الله لا بعبادة الشعرى وجب أشكر لمن قد أهلك وكفى لهم دليلا حال عاد وثمود
وغيره وعاد الأولى قبل بالأولى تميزت عن قوم كانوا بتكفة هم عاد الآخرة وقبل الأولى
ليبين تقدمهم لا تميزهم تقول زيد العالم جاءني فتصفه لا تميزه ولكن لتبين علمه وفيه
قرآت عاد الأولى يكسرون التثنية لالتقاء الساكنين وعاد الأولى باسقاط يون التثنية
أيضا لالتقاء الساكنين كقراءة نازير بن الله وقل هو الله أحدا لله الصمد وعاد الأولى بدغام
النون في اللام ونقل ضمة الهزة الى اللام وعاد الأولى بمنز الواو وقرأ هذا القارى على
سوقه وداليه ضعيف وهو يحتمل هذا في موضع المؤددة والمؤددة للضمة والواو فمضى
هذا الموضع تجرى على الهزة وكذا في سوق اوجود الهزة الاصل وفي موسى وقوله
لا يحسن * ثم قال تعالى (وثمود فأبقي) يعني وأهلك ثمود وقوله فأبقي عائد الى عاد وثمود
أي فأبقي عليهم ومن المعسرين من قال فأبقاهم أي فأبقي منهم أحدا ويؤيد هذا
قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وتمسك الجاهلجلى من قال ان ثقيفا من ثمود بقوله تعالى
فأبقي * (وقوم نوح) أي أهلكهم (من قبل) والمسئلة مشهورة في قبل وبعد تقطع
عن الاضافة فتصير كالغاية فتبنى على الضمة أما البناء فلتضمنه الاضافة وأما على
الضمة فلانها ان بنيت الى الفتحمة لكان قد أثبت فيه ما يستحقه بالاعراب من حيث انها
ظروف زمان فتستحق النصب والقح مثله واو بنيت على الكسر لكان الامر على
ما يقتضيه الاعراب وهو الجر بالجار فبنى على ما يخالف حالتي اعرابها * وقوله تعالى
(انهم كانوا هم أظلم وأطغى) اما اظلم فلانهم هم البادئون به المتقدمون فيد ومن سن سنة
سبته فعليه وزرها ووزر من عمل بها والبادي اظلم وأما اطغى فلانهم سمو الموعظ وطال
عليهم الامد ولم يرتدعوا حتى دعا عليهم نبيهم ولا يدعونني على قومه الابد الامرار العظيم
والظالم واضع الشيء في غير موضعه والظاغى الجاوز الحد فالظاغى أدخل في الظلم فهو
كالظاير والمخالف فان المخالف مغاير مع وصف آخر زائد وكذا المغاير والمضاد وكل ضد
غير وليس كل غير ضد او عليه سؤال وهو ان قوله وقوم نوح المقصود منه تخويف الظالم
بالهلاك فاذا قال هم كانوا في غاية الظلم والظلميان فاهلكوا يقول الظالم هم كانوا اظلم
فاهلكوا لمبالغتهم في الظلم ونحن ما لغنا فلانها هلك وأما وقال اهلكوا لانهم ظلمة تخاف

(وأنه هلاك عاد الأولى)
هي قوم هود عليه السلام
وعاد الاخرى ارم وقبل
الأولى القدماء لانهم أولى
الامم هلاكا بعد قوم نوح
وقرى عاد الأولى بخذف
الهزة ونقل ضمتها الى
اللام وعاد لولى بادغام
التثنية في اللام وطرح
هزة أولى ونقل حركتها
الى لام التعريف
(وثمود) عطف على
عاد لان ما بعده لا يعمل
فسه وقرى وثمود
بالتثنية (فأبقي) أي
أحدا من الفريقين
(وقوم نوح) عطف
عليه أيضا (من قبل)
أي من قبل هلاك عاد
وثمود (انهم كانوا هم
أظلم وأطغى) من الفريقين
حيث كانوا يؤذونه
ويشغرون الناس عنه
وكانوا يحذرون صبيانهم
أن يسموا منه وكانوا
يضر بونه عليه الصلاة
والسلام حتى لا يكون
به حراك وماثر فيهم
دعاؤه قريبا من الف
سنة

(والموتفةكة) هي قرى قوم لوط أتفكت بأهلها إلى ٧٧٦ انقلبتم بهم (أهوى) أي أسقطها إلى الأرض

بعد أن رفعها على جناح
جبريل عليه السلام إلى
السماء (فغشاها ما غشى)
من فنون العذاب وفيه
من أهويل والتفطيم
ملافاية وراءه (فبأى
آلأر بك تنأرى) تشكك
والخطاب للرسول عليه
الصلاة والسلام على
طريقة قوله تعالى أن
أشركت ليعبطن عملك
أولكل أحدوا سناد فعل
التمأرى إلى الواحد
باعتبار تعدده بحسب
تعدد متعلقه فان صيغة
التفاسل وان كانت
موضوعة لأفادة صدور
الفعل عن التعدد
ووقوعه عليه بحيث
يكون كل من ذلك فاعلا
ومفعولا معا لكنها
قد تجرد عن المعنى الثانى
فيراد بها المعنى الأول
فكما كافى بتداعونهم أي
يدعونهم وقد تجرد عنهم
أيضا فيكون في تعدد الفعل
بتعدد متعلقه كما فيما نحن
فيه فان المراد متعدد بتعدد
الآلاء فتدبر وتسمية
الأمور المقودة الآدمع
ان بعضها نغم لما أنها
أيضا نغم من حيث أنها

كل ظالم في الفأيدة في قوله أظلم نقول المقصود بيان شدتهم وقوة أجسامهم فانهم لم
يقدموا على الظلم والطغيان الشديد إلا بتأديهم وطول أعمارهم ومع ذلك مانجا أحد
متهم فأحال من هودونهم في العمر والقوة فهو كقوله تعالى أشد منهم بطشا وقوله تعالى
(والموتفةكة أهوى) الموتفةكة المنقلبة وفيه مسائل (المسئلة الأولى) قرى الموتفةكات
والشهور فيه أنها قرى قوم لوط لكن كانت لهم مواضع أتفكت فهي موتفةكات
ويحتمل أن يقال المراد كل من انقلب مساكنه ودثرت اماكنه ولهذا ختم المهلكين
بالموتفةكات كمن يقول مات فلان وفلان وكل من كان من أمثالهم وأشكالهم (المسئلة
الثانية) أهوى أى أهواها يعنى أسقطها فقبل أهواها من الهوى إلى الأرض من
حيث حملها جبريل عليه السلام على جناحه ثم قلبها وقبل كانت عمارتهم مرتفعة
فأهواها بالزلزلة وجعل عابها ساقطها (المسئلة الثالثة) قوله تعالى والموتفةكة أهوى على
ما قلت كقول القائل والمنقلبة قلبها وقلب المنقلب تحصيل الحاصل نقول ليس معناه
المنقلبة ما انقلب بنفسها بل الله قلبها فانقلب (المسئلة الرابعة) ما الحكمة في
اختصاص الموتفةكة باسم الموضع في الذكر وقال في عاد وثمود وقوم نوح اسم القوم
نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) ان ثمود اسم الموضع فذكر عادا باسم القوم
وثمود باسم الموضع وقوم نوح باسم القوم والموتفةكة باسم الموضع ليعلم أن القوم لا يمكنهم
صون أماكنهم عن عذاب الله تعالى ولا الموضع يحصن القوم عنه فان في العادة تارة
يقوى الساكن فيذب عن مسكنه وأخرى يقوى المسكن فيذب عن ساكنه وعذاب الله
لا يمنع مانع وهذا المعنى حصل للمؤمنين في آيتين (أحدهما) قوله تعالى وكف أيدي
الناس عنكم وقوله تعالى وظنوا أنهم مآنة لهم حصونهم من الله في الأول لم يقدر
الساكن على حفظ مسكنه وفي الثانى لم يقو الحصن على حفظ الساكن (والوجه
الثانى) هو ان عادا وثمود وقوم نوح كان أمرهم متقدما وأماكنهم كانت قد دثرت
ولكن أمرهم كان مشهورا متواترا وقوم لوط كانت مساكنهم وآثار الانقلاب فيها
ظاهرة فذكر الأظهر من الأمر في كل قوم ثم قال تعالى (فغشاها ما غشى) يحتمل أن
يكون مفعولا وهو الظاهر ويحتمل أن يكون فاعلا يقال ضربه من ضربه وعلى هذا
نقول يحتمل أن يكون الذى غشى هو الله تعالى فيكون كقوله تعالى والسماء وما بناها
ويحتمل أن يكون فلك إشارة إلى سبب غضب الله عليهم أى غشاها عليهم السبب بمعنى
ان الله غضب عليهم بسببه يقال لمن أغضب ملكا بكلام فضرب به الملك كلامك الذى
ضربك ثم قال تعالى (فبأى آلأر بك تنأرى) قبل هذا أيضا مما في الصحف وقيل هو
ابتداء كلام والخطاب عام كانه يقول بأى التبع أيها السامع تشك أو تجادل وقيل هو
خطاب مع الكافر ويحتمل أن يقال مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقال كيف يجوز
أن يقول للنبي صلى الله عليه وسلم تنأرى لاننا نقول هو من باب لئن أشركت ليعبطن

من هذا المصدر إلى القرآن والتذير مصدر أو إلى الرسول عليه الصلاة والسلام والتذير
معنى المنذر وأما ما كان مالتون للتخيم ومن ٧٧٧ متعلقة بمحذوف هونعت للتذير مقرره ومضمن للوعيد أي

هذا القرآن الذي
تشاهدونه نذير من
قبيل الانقارات المتقدمة
التي سمعتم عاقبتها
أو هذا الرسول منذر من
جنس المنذرين الأولين
والأولى على تأويل
الجماعة لمراعاة الفواصل
وقد علمتم أحوال قومهم
المنذرين وفي تعقيبه
بقوله تعالى (أزفت
الآزفة) إشعار بأن
تعذيبهم مؤخر إلى يوم
القيامة أي ذنت الساعة
الموصوفة بالدنو في نحو
قوله تعالى اقتربت
الساعة (ليس لها من
دون الله كاشفة) أي
ليس لها نفس قادرة على
كشفها عند وقوعها
إلا الله تعالى لكنه
لا يكشفها أوليس لها
آن نفس كاشفة
بأخيرها إلا الله تعالى فانه
المؤخر لها وليس لها
كاشفة لو فتنها إلا الله تعالى
كقوله تعالى لا يجلبها
لو فتنها إلا هو أوليس
لها من غير الله تعالى
كشف على أن كاشفة
مصدر كالعافية (أفنى
هذا الحديث) أي القرآن

علاك يعني لم يبق فيه إمكان الشك حتى أن فرضنا لو فرض النبي صلى الله عليه وسلم
يشك أو يجادل في بعض الأمور الخفية لما كان يمكنه المراء في نعم الله والعموم هو الصحيح
كانه يقول بأي الأمر بك تتأري أيها الإنسان كما قال يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم
وقال تعالى وكان الإنسان أكثر شئ جدلا فان قيل المذكور من قبل نعم والآلاء نعم
فكيف قال آلاء بك نقول لما عهد من قبل النعم وهو الخلق من الطرفة ونفخ الروح
الشريفة فيد والاعتناء والافتاء وذكر إن الكافر ينعمه أهلاك قل فبأي آلاء بك تتأري
فيصيبك مثل ما أصاب الذين تماروا من قبل أو نقول لما ذكر الأهل قال للشاك أنت
ما أصابك الذي أصابهم وذلك بحفظ الله لك فبأي آلاء بك تتأري وسنبيده بيان في قوله
تعالى فبأي آلاء ربكم اتكذبون في مواضع العذاب * ثم قال تعالى (هذا نذير من النذر
الأولى) وفيه مسائل (المسئلة الأولى) المشار إليه بهذا ما ذا نقول فيه وجوه (أحدها)
نحمد صلى الله عليه وسلم من جنس النذر الأولى (ثانيها) القرآن (ثالثها) ما ذكره من أخبار
المهلكين ومعناه حينئذ هذا بعض الأمور التي هي منذرة وعلى قولنا المراد محمد صلى الله
عليه وسلم فالنذير هو المنذر ومن إتيان الجنس وعلى قولنا المراد هو القرآن يحتمل أن يكون
التذير بمعنى المصدر ويحتمل أن يكون بمعنى الفاعل وكون الإشارة إلى القرآن بعيدا لفظا
ومعنى أمامه أي فلان القرآن ليس من جنس الصفح الأولى لانه معجز وتلك لم تكن معجزة
وذلك لانه تعالى لما بين الوجدانية وقال فبأي آلاء ربك تتأري قال هذا نذير إشارة إلى
محمد صلى الله عليه وسلم وإتيان الرسالة وقال بعد ذلك أزفت الآزفة إشارة إلى القيامة
ليكون في الآيات الثلاث المرتبة اثبات أصول ثلاث مرتبة فان الأصل الأول هو الله
ووحدايته ثم الرسول ورسالته ثم الحشر والقيامة وأما فظا فلان النذيران كان كاملا
فأذكر من حكمة المهلكين أولى لانه أقرب ويكون دلي هذا من بقي على حقيقة التبعض
أي هذا الذي ذكرنا بعض ما جرى ونبدع ما وقع أو يكون لابتداء الغاية بمعنى هذا انذار
من المنذرين المتقدمين يقال هذا الكتاب وهذا الكلام من فلان وعلى الأقوال كلها
ليس ذكر الأولى لبيان الموصوف بالوصف وتغييره عن النذر الآخرة كما يقال الفرقة الأولى
احترزا عن الفرقة الآخرة وإنما هو لبيان الوصف للموصوف كما يقال زيد العالم جاءني
فذكر العالم أما لبيان أن زيدا عالم غير أنك لا تذكره بلفظ الخبر فتأتي به على طريقة الوصف
وأما المدح زيد به وأما الأمر آخر والأولى على العود إلى لفظ الجمع وهو النذرون ولو كان لمعنى
الجمع لقال من النذر الأولين يقال من الأقوام المتقدمة والمتقدمين على اللفظ والمعنى
* ثم قال تعالى (أزفت الآزفة) وهو كقوله تعالى وقعت الواقعة ويقال كانت الكاشفة
وهذا الاستعمال يقع على وجوه منها ما إذا كان الفاعل صار فاعلا لثبوت ذلك الفعل من
قبل ثم صدر منه مرة أخرى مثل الفعل فيقال فعل الفاعل أي الذي كان فاعلا صار فاعلا
مرة أخرى يقال كما حدثك أي من شئله ذلك من قبل فعله ومنها ما يصير الفاعل فاعلا

أبعد شي من ذلك (ولا تبكون) حرثا على ما قرئ في ٧٧٨ * شأنه وخوفنا من أن يحرق بالهم ما حاق بالأمم

الذكورة (وأنتم
سامدون) أي لاهون
أو متكبرون من سعد
البعير إذا رفع رأسه
أو مغنون للشغلوا الناس
عن استماعه من السمود
بمعنى الغناء على لغة حبر
أو خاشعون جامدون من
السمود بمعنى الجمود
والخشوع كافي قول من قال
* رمى الحدثان نسوة آل سعد
* بمقدار سعد له سمودا *
فرد شعورهن السود
بيضا * ورد وجوههن
البيضا سودا * والجملة
حال من فاعل لا تبكون
خلا أن مضمونها على
الوجه الأخير قيد المعنى
والإنكار وورد على نفي
البكاء والسمود معا وعلى
الوجوه الأول قيد النفي
والإنكار متوجه إلى
نفي البكاء ووجود السمود
والأول أو في يحق المقام
تقدير والفساد في قوله
تعالى (فاحمدوا الله
واعبدوا) لترتيب الأمر
أو موجبه على ما تقر
من بطلان مقابلة
القرآن بالإنكار والاستمرار
ووجوب تلقيه بالإيمان مع
كإل الخضوع والخشوع
أي وإذا كان الأمر كذلك فاحمدوا الله الذي أنزلنا وعبده * عن النبي عليه الصلاة

بذلك الفعل ومنه يقال أقامت الميت انقطع عمله وإذا غصب العين غاصب ضمنه فقوله
أزفت الآزفة محتمل أن يكون من القبيل الأول أي قربت الساعة التي كل يوم يزداد
قربها فهي كائنة قريبة وازدادت في القرب ويحتمل أن يكون كقوله تعالى وقعت الواقعة
أي قرب وقوعها وأزفت فاعلها في الحقيقة القيامة أو الساعة فكانه قال أزفت القيامة
الآزفة أو الساعة أو مثلها * وقوله تعالى (ليس لها من دون الله كاشفة) فيه وجوه
(أحدها) لا مظهر لها إلا الله فمن علمها لا يعلم إلا بعلم الله تعالى إياه وأظهاره إياه له فهو
كقوله تعالى إن الله عنده علم الساعة وقوله تعالى لا يجليها لوقتها إلهو (ثانيها) لا يأتي بها
إلا الله كقوله تعالى وإن عيسى لك أشقة فلا كاشف له إلهو وفيه مسائل (الأولى) من
زائدة تقديره ليس لها غير الله كاشفة وهي تدخل على النفي فتؤكد معناه تقول ما جاني
أحد وما جاني من أحد وعلى هذا يحتمل أن يكون فيه تقديم وتأخير تقديره ليس لها من
كاشفة دون الله فيكون نفيا عاما بالنسبة إلى الكواشف ويحتمل أن يقال ليست بزائدة
بل معنى الكلام أنه ليس في الوجود نفس تكشفها أي تخبر عنها كما هي ومضى وقتها من غير
الله تعالى يعني من يكشفها فاعلمنا يكشفها من الله لا من غير الله يقال كشف الأمر من زيد
ودون يكون بمعنى غير كافي قوله تعالى أنفكا آلهة دون الله تريدون أي غير الله (المسئلة
الثانية) كاشفة صفة لمؤنث أي نفس كاشفة وقبل هي للمبالغة كما في العلامة وعلى
هذا لا يقال بأنه نفي أن يكون لها كاشفة بصيغة المبالغة ولا يلزم من نفي الكاشف الفائق
نفي نفس الكاشف لا نافي قول لو كشفها أحد لكان كاشفا بأوجه الكامل فلا كاشف لها
ولا يكشفها أحد وهو كقوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد من حيث نفي كونه ظالما مبالغا
ولا يارم منه نفي كونه ظالما ولنا هناك أنه لو ظلم عبده الضعفاء بغير حق لكان في غاية الظلم
وليس في غاية الظلم فلا يظلمهم أصلا (المسئلة الثالثة) إذا قلت إن معناه ليس لها نفس
كاشفة فقوله من دون الله استثناء على الأشهر من الأقوال فيكون الله تعالى نفسا لها
كاشفة تقول الجواب عنه من وجوه (الأول) لافساد في ذلك قال الله تعالى ولا أعلم ما في
نفسك حكاية عن عيسى عليه السلام والمعنى الحقيقة (الثاني) ليس هو صريح الاستثناء
فيجوز فيه أن لا يكون نفسا (الثالث) الاستثناء الكاشف المبالغ * ثم قال تعالى (أفمن
هذا الحديث تعجبون) قيل من القرآن ويحتمل أن يقال هذا إشارة إلى حديث أزفت
الآزفة فاعلم كانوا يعجبون من حشر الأجساد وجمع العظام بعد الفساد * وقوله تعالى
(وتضحكون) يحتمل أن يكون المعنى وتضحكون من هذا الحديث كما قال تعالى فلما جاهدكم
بآياتنا إذا هم منها يضحكون في حق موسى عليه السلام وكأنهم أيضا يضحكون من
حديث النبي والقرآن ويحتمل أن يكون إنكارا على مطلق الضحك مع سماع حديث
القيامة رأى أن يضحكون وقد سمعتم أن القيامة قريب فكان حقا أن لا تضحكوا حينئذ
* وقوله تعالى (ولا تبكون) أي كان حقا لكم أن تبكوا منه فتكون ذلك وتأتون بضده

وقوله *

والسلام من قرأ سورة النجم أعطاه الله تعالى ﴿ ٧٧٩ ﴾ عشر حسنات بمقد من صدق بحمد وجهه بمكة

﴿ وقوله تعالى (وأنتم سامدون) أي غافلون وذكر باسم الفاعل لأن الغفلة دأمة وأما الضحك والعجب فهما أمران يتجددان ويعدمان ﴿ وقوله تعالى (فاسجدوا لله واعبدوا) يحتمل أن يكون الأمر عاماً ويحتمل أن يكون التقينا فيكون كأنه قال أيها المؤمنون اسجدوا وشكروا على الهداية واشتغلوا بالعبادة ولم يقل اعبدوا الله أما لكونه معلوماً وأما لأن العبادة في الحقيقة لا تكون إلا لله فقال واعبدوا أي اتوا بأنامور ولا تعبدوا غير الله لأنها ليست بعبادة وهذا يناسب السجدة عند قراءته مناسبة أشد واتهم بما إذا جلتاه على العموم والمحمد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿ (سورة القمر خمسون وخمس آيات مكية) ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة وانشق القمر) أول السورة مناسب لآخر ما قبلها وهو قوله أرقت الآزفة فكانه أعاد ذلك مع الدليل وقال قلت أرقت الآزفة وهو حق إذا انشقق القمر والمفسرون بأسرها على أن المراد أن القمر انشقق وحصل فيه الانشقاق ودلت الأخبار على حديث الانشقاق وفي الصحيح خبره شهرور رواه جمع من الصحابة وقالوا مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الانشقاق بعينها معجزة فسأل ربه فشققه ومضى وقال بعض المفسرين المراد سينشق وهو بعيد ولا معنى له لأن من منع ذلك وهو القاسي ينعمه في الماضي والمستقبل ومن يجوز له حاجة إلى التأويل وإنما ذهب إليه ذلك المذهب لأن الانشقاق أمر هائل فلو وقع لم وجه الأرض فكان ينبغي أن يبلغ حد التواتر نقول النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يتحدث بالقرآن وكانوا يقولون إننا نرى ما يصح ما يكون من الكلام وعجزوا عند فكان القرآن معجزة باقية إلى قيام القيامة لا ينكس بمعجزة أخرى فلم ينقله العلماء بحيث يبلغ حد التواتر وأما المؤرخون تركوه لأن التواريخ في أكثر الأمر يستعملها المنجم وهو لما وقع الأمر قالوا بأنه مثل خسوف القمر وظهور شيء في الجوع على شكل نصف القمر في موضع آخر فتركوا حكايته في توار يخفهم وأقرآن أدل دليل وأقوى مثبت له وأمكانه لا ينكس فيه وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه وحديث امتناع الخرق والاثام حديث الثام وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السموات وذكرناه من أرفلنا عبده ﴿ وقوله تعالى (وأن ير وا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) تقديره وبعد هذا أن ير وا آية يقولوا سحر فأنهم رأوا آيات أرضية وآيات سماوية ولم يؤمنوا ولم يتركوا عنادهم فإن ير وا ما يرون بعده هذا يؤمنون وفيه وجه آخر وهو أن يقال المعنى إن عادتهم أنهم أن ير وا آية يعرضوا فلما رأوا انشقاق القمر أعرضوا تلك العادة وفيه مسائل (الأولى) قوله آية ما إذا تقول آية اقتراب الساعة فإن انشقاق القمر من آياته وقد ردوا

شرفها الله تعالى
* (سورة القمر مكية)
وآياتها خمس وخمسون
آية) *
* (بسم الله الرحمن الرحيم) * (اقتربت الساعة وانشق القمر)
روى أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي فانشق القمر قال ابن عباس رضي الله عنهما انشقق فلقين فلقه ذهبت وفلقه بقيت وقال ابن مسعود رأيت حرا بين فلقتي القمر وعن عثمان بن عطاء عن أبيه أن معناه سينشق يوم القيامة ويرده فوله تعالى (وأن ير وا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) فإنه ناظم بانه قد وقع وأنهم قد شاهدوه بعدم مشاهدة نظائره وقرى وقد انشقق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشقق ومعنى الاستمرار الاطراد أو الاستحكام أي وأن ير وا آية من آيات الله يعرضوا عن التأمل فيها ليعفوا على حقها وعلو طبعها ويقولوا سحر

مطرد دائم يأتي به محمد على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السحر وأقوى مستحكم لا يمكن إزالته وقيل سحر ذاهب يزول ولا يبقى

تمنية لانفسهم وتعليلا وهو الانسب يظلوهم في العناد والمكابرة ﴿ ٧٨٠ ﴾ ويؤيد ما سياتي لردّه وقرئ وان يروا

وكذبوا فان يروا غيرها أيضا يرضوا أو آية الانشقاق فانها معجزة أما كونها معجزة ففي غاية الظهور وأما كونه آية الساعة فلان منكر خراب العالم ينكر انشقاق السماء وانفطارها وكذلك قوله في كل جسم سماوي من الكواكب فاذا انشق بعضها ثبت خلاف ما يقول به وبان جواز خراب العالم وقال أكثر المفسرين معناه ان من علامات قيام الساعة انشقاق القمر عن قريب وهذا ضعيف حلهم على هذا القول ضيق المكان وخفاء الامر على الاذهان وبيان ضعفه هو ان الله تعالى لو أخبرني كتابه ان القمر ينشق وهو علامة قيام الساعة لكان ذلك أمرا لا بد من وقوعه مثل خروج دابة الارض وطلوع الشمس من المغرب فلا يكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم كما أن هذه الاشياء عجائب وليست بمعجزة للنبي لا يقال الاخبار عنها قبل وقوعها معجزة لانا نقول فينبغي ان يكون هذا من قبيل الاخبار عن الغيوب فلا يكون هو معجزة برأسه وذلك فاسد ولا يقال بان ذلك كان معجزة وعلامة فاخبر الله في الصحف والكتب السالفة أن يكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وتكون الساعة قربة حينئذ وذلك لان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم علامة كائنه حيث قال بعثت انا والساعة كهاتين وهذا يحكي عن سطيج أنه لما أخبر بوجود النبي صلى الله عليه وسلم قال عن أمور تكون فكان وجوده دليل أمور وأيضاً القمر لما انشق كان انشقاقه هذا استدلال النبي صلى الله عليه وسلم على المشركين وهم كانوا غافلين عما في الكتب وأما أصحاب الكتب فلم يفقهوا الى بيان علامة الساعة لانهم كانوا يقولون بها فهي اذا آية دالة على جواز تخريب السموات وهو العدة الكبرى لان السموات اذا طويت وجوز ذلك فالارض ومن عليها لا يستبعد فناؤها اذا ثبت هذا فنقول معنى اقتربت الساعة يحتمل أن يكون في القول والاذهان يقول من يسمع أمرا لا يقع هذا بعيد مستبعد وهذا وجه حسن وان كان بعض ضعفاء الاذهان ينكروه وذلك لان حمله على قرب الوقوع زمانا لا مكانا يمكن الكافر من محادة فاسدة فيقول قال الله تعالى في زمان النبي صلى الله عليه وسلم اقتربت ويقولون بأن من قبل أيضا في الكتب كان يقول اقتربت الوعد ثم مضى مائة سنة ولم يقع ولا يبعد أن يمضي ألف آخر ولا يقع واوضح اطلاق لفظ القرب زمانا على مثل هذا لا يبق وثوق بالاخبارات وأيضاً قوله اقتربت لانهما الفرصة والايان قبل أن لا يصح الايمان فلا كفر أن يقول اذا كان القرب بهذا المعنى فلا خوف منها لانها لا تدركني ولا تدرك أولادي ولا اولاد أولادي واذا كان امكانها قريبا في القول يكون ذلك ردبا لفاعلى المشركين والفلاسفة والله سبحانه وتعالى أول ما كلف الاعتراف بالوحدانية واليوم الآخر وقال اعلموا أن الحشر كائن فخالق المشرك والفلسفي ولم يقع بمجرد انكار ما ورد الشرع ببيانه ولم يقل لا يقع أو ليس بكائن بل قال ذلك بعيد ولم يقع بهذا أيضا بل قال ذلك غير ممكن ولم يقع به ايضا بل قال فان امتناعه ضروري فان مذهبهم ان اعادة المعدم واحياء الموتي محال

على البناء المحفول من الارادة (وكذبوا) أى بالنبي صلى الله عليه وسلم وما طأنته عما ظهره الله تعالى على يده من المعجزات (واتبعوا أهواءهم) التي زينها الشيطان لهم أو كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم وقالوا سحر انقمر أو سحر أعيننا والقمر بحسبه وصيغة الماضي للدلالة على الخلق وقوله تعالى (وكل أمر مستقر) استئناف مسوق لاقتناطهم عما علقوا به أمانتهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام حسبما قالوا وسحر مستقر ببيان ثباته ورسوخه أى وكل أمر من الامور مستقر أى مثله الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جعلها أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيصير الى غاية يبين عندها حقيقته وعلو شأنه واتباعهم المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به

وقيل العنى كل أمر من أمرهم وأمره عليه ﴿ ٧٨١ ﴾ الصلاة والسلام مستقر أى سئبت ويستقر على

حالة خذلان أو نصرة
في الدنيا وشقاوة
أو سعادة في الآخرة
وقرى بالفتح على أنه
مصدر أو اسم مكان
أو اسم زمان أى ذو استقرار
أو ذو وضع استقرار
أو ذو زمان استقرار
وبالكسر والجر على
أنه صفة أمر وكل
عطف على الساعة
أى اقتربت الساعة
وكل أمر مستقر (ولقد
جاءهم) أى فى القرآن
وقوله تعالى (من الأنبياء)
أى أنبياء القرون الخالية
أو أنبياء الآخرة متعلق
بمخدوف هو حال مما بعده
أى وبالله لقد جاءهم
كأنهم الأنبياء (ما فيه
من دجر) أى ازدياد
من تعذيب أو عسجد
أو موضع ازدياد على
ازدياد يديته والمعنى
أنه فى نفسه موضع
ازدياد وناء الافعال
تقلب دالا مع الدال
والدال والزاي للتناسب
وقرى من جر بقلها
زادوا غامها (حكمة
بالغة) فائتها لاخل
فيها وهى بدل من ما
أو خبر لمخدوف وقرى بالنصب حالها

بالضرورة ولهذا قالوا أئذنا متنا أئذا كنا عظاما أئذا ضلنا فى الارض بالفظ الاستفهام
يعنى الانكار مع ظهور الامر فلما استبعدوا لم يكتفوا به ورسوله ببيان وقوعه بل قال ان
الساعة آتية لا ريب فيها ولم يقتصر عليه بل قال وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا
ولم يتركها حتى قال اقتربت الساعة واقتربت الوعد الحق اقتربت للناس حماهم اقترابا
عقليا لا يجوز ان ينكر ما يقع فى زمان طرفة عين لانه على الله بسبب كان تقرب الحدة
صلينا يسير بل هو اقرب منه بكثير والذى يقويه قول العامة ان زمان وجود العالم زمان
مديد والباقي بالنسبة الى الماضى شئ يسير فلهذا قال اقتربت الساعة وأما قوله صلى الله
عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين فعناه لاني بعدى فان زمانى يمتد الى قيام الساعة
فزمانى والساعة متلاصقان كهاتين ولا شك ان الزمان زمان النبي صلى الله عليه وسلم
وبادامت أوامره نافذة فالزمان زمانه وان كان ليس هو فيه كان المكابر الذى تنفذ فيه
أو امر الملك مكان الملك يقال له بلاد فلان فان قيل كيف يصح حمله على القرب بالمعقول مع
أنه مقطوع به قلت كما صح قوله تعالى لعل الساعة تكون قريبا فان اعل للترجي والامر عند
الله معلوم وفأيدته ان قيام الساعة ممكن لامكانا بعيدا عن العادات كحمل الآدمي فى
زماننا حلا فى غاية الثقل أو قطعه مسافة بعيدة فى زمان يسير فانه ذلك ممكن امكانا بعيدا
وأما تقليب الحدة فممكن امكانا فى غاية القرب (المسئلة الثانية) اجمع انذى تكون
الواو ضميرهم فى قوله يروا ويعرضوا غير مذكور فنهم نقول هم معلومون وهم الكفار
تقديره وهؤلاء الكفار ان يروا آية يعرضوا (المسئلة الثالثة) التكبير فى الآية للتعظيم
أى ان يروا آية قوية أو عظيمة يعرضوا (المسئلة الرابعة) قوله تعالى ويقولوا سحر مستمر
ما الفائدة فيه نقول فائدته بيان كون الآية خالية من شوائب الشبه وان الاعتراف لزمهم
لانهم لم يقدروا أن يقولوا نحن نأتى بشئها وبيان كونهم معرضين لاعراض معذور فان
من يعرض اعراض مشغول بامرهم فلم ينظر فى الآية لا يستخرج منه الاعراض مثل
ما يستخرج لمن ينظر فيها الى آخرها ويجز عن نسبتها الى أحد ودعوى الاتيان بشئها
ثم قول هذا ليس بشئ هذا سحر لان ما من آية الاوى يمكن المعاند أن يقول فيها هذا
القول (المسئلة الخامسة) ما المستمر نقول فيه وجوه (أحدها) دائم فان محمدا صلى الله
عليه وسلم كان يأتى كل زمان بمعجزة قولية أو فعلية أرضية أو سماوية فقالوا هذا سحر مستمر
دائم لا يختلف بالنسبة الى النبي عليه السلام بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر على
أمرين أو امرين وثلاثة ويجز عن غيرها وهو قادر على الكل (ثانيها) مستمر أى قوى من حبل
مر والقتل من المرة وهى الشدة (وثالثها) من المارة أى سحر مستمر مستبشع (ورابعها)
مستمر أى ما رذاهب فان السحر لا يبقاه ثم قال تعالى (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) وهو
يحتمل أمرين (أحدهما) وكذبوا محمد المخبر عن اقتراب الساعة (وثانيهما) كذبوا بالآية
وهى انشقاق القمر فان قلنا كذبوا محمد صلى الله عليه وسلم فقولوا واتبعوا أهواءهم أى

تركوا الحجية وأولوا الآيات وقالوا هو مجنون تعينه الجن وكاهن يقسول عن الجحوم
 ويختار الاوقات للافعال وساحر فهذه أهواؤهم وان فلنا كذبوا بانشقاق القمر فقوله
 واتبعوا أهواؤهم في انه سحر القمر وانه خسوف والقمر لم يصبه شيء فهذه أهواؤهم
 وكذلك قوالهم في كل آية * وقوله تعالى (وكل امرئ مستقر) فيه وجوه (أحدها) كل أمر
 مستقر على سنن الحق يثبت والباطل يزهرق وحينئذ يكون تهديدا لهم وتسليما للنبي صلى الله
 عليه وسلم وهو كقوله تعالى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم أي بآنها حق (ثانيها) وكل
 أمر مستقر في علم الله تعالى لا يخفى عليه شيء فهم كذبوا واتبعوا أهواؤهم والانبياء صدقوا
 وبلغوا ما جاءهم كقوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء وكما قال تعالى في هذه السورة وكل
 شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر (ثالثها) هو جواب قولهم سحر مسترأي
 ليس أمره بذهاب بل كل أمر من أموره مستقر * ثم قال تعالى (ولقد جاءهم من الانبياء
 ما فيه من دجر) إشارة إلى ان كل ما هو اوظف بالعباد قد وجد فاخبرهم الرسول باقتراب
 الساعة وأقام الدليل على صدقه وإمكان قيام الساعة عقيب دعواه بانشقاق القمر الذي هو
 آية لأن من يكذب بها لا يصدق بشيء من الآيات فكذبوا بها واتبعوا الباطل الذاهبة
 وذكروا الاقاويل الكاذبة فذكرهم أثبات المهلكين بالآيتين تخويفا لهم وهذا هو
 الترتيب الحكيم ولهذا قال بعد الآيات حكمة بالغة أي هذه حكمة بالغة والانبياء هي
 الاخبار العظام ويدل على صدقه ان في القرآن لم يرد النبأ والانبياء الا لما له وقع قال
 وجئتكم من سبأ ينبا يقين لانه كان خبرا عظيما وقال ان جاءكم فاسق بنبأ أي بحاربة
 أو مساندة وما يشبهه من الامور العرفية وانما يجب ان تثبت فيما يتعلق به حكمه ويقرب
 عليه أمر ذوبال وكذلك قال تعالى تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك فكذلك الانبياء ههنا
 وقال تعالى عن موسى لعلى آتاكم منها خيرا وخذوه حيث شئتم يكن يعلم انه يظهر له شيء عظيم
 يصلح ان يقال له نبأ وام يقصده والظاهر ان المراد انبياء المهلكين بسبب التكذيب وقال
 بعضهم المراد القرآن وتقديره جاءكم فيه الانبياء وقيل قوله جاءكم من الانبياء يذناول جميع
 ما ورد في القرآن من الزواجر والمواظع وما ذكرنا اظهر لقوله فيه من دجر وفي ما وجهان
 (أحدهما) انها موصولة أي جاءكم الذي فيه من دجر (ثانيها) موصوفة تقديره جاءكم
 من الانبياء شيء موصوف بان فيه من دجر وهذا أظهر والمزدجر فيه وجهان أحدهما
 ازدجار وثانيهما موضع ازدجار كالرني ولفظ المفعول بمعنى المصدر كثير لان المصدر هو
 المفعول الحقيقي * ثم قال تعالى (حكمة بالغة) وفيه وجوه (الاول) على قول من قال ولقد
 جاءهم من الانبياء المراد منه القرآن قال حكمة بالغة يدل كانه قال ولقد جاءهم حكمة بالغة
 (ثانيها) أن يكون بدلا عن ما في قوله ما فيه من دجر (الثاني) حكمة بالغة خبر مبتدأ محذوف
 تقديره هذه حكمة بالغة والاشارة حينئذ تحتمل وجوها (أحدها) هذا الترتيب الذي
 في ارسال الرسول وابضاح الدليل والانذار بمن مضى من القرون وانقضى حكمة بالغة

فانها موصولة أو موصوفة
 تخصصت بصفقتها
 فساغ نصب الحال عنها
 (فذتني النذر) في الاغناء
 أو انكار له والفاء لترتيب
 عدم الاغناء على محي
 الحكمة البالغة مع كونه
 مظنة للاغناء وصيغة
 المضارع للدلالة على
 تجدد عدم الاغناء
 واستمراره حسب تجدد
 محي الزواجر واستمراره
 وما على الوجه الثاني
 منصوبة أي فأي اغناء
 تعني النذر وهو جمع نذر
 بمعنى المنذر أو مصدر
 بمعنى الانذار (فتول عنهم)
 لعلمك بان الانذار لا يؤثر
 فيهم البتة (يوم يدع
 الداع) منصوب يخرجون
 أو با ذكر والداعي
 اسرافيل عليه السلام
 ويجوز أن يكون الداع
 فيه كالامر في قوله تعالى
 كن فيكون واسقاط الياء
 للاكتفاء بالكسر تخفيف
 (إلى شيء نكر) أي منكر
 قطع تنكره النفوس لعدم
 العهد بمثله وهو هول
 القسامة وقري نكر
 بالتخفيف ونكر بمعنى
 انكر (خشعا أبصارهم)

(من الاجداث) اذلة ابصارهم من شدة **٧٨٣** الهول وقرى خاشعا والافراد والتذكير لان قاعه ظاهرا

غير حقيقى الثابت
وقرى خاشعة على
الاصل وقرى خشع
ابصارهم على الابتداء
والخبر على ان الجملة
حال (كانهم جراد
منشر) في الكثرة والتوج
والفرق في الاقطار
(مهمطين الى الداع)
مسرعين مادي اعتاقهم
اليه او ناظرين اليه
(يقول الكافرون)
استشف وقم جوابا
عائشان وصف اليوم
بالاهوال واهله بسوء
الحال كانه قبل فاذا
يكون خبثا فقبل يقول
الكافرون (هذا يوم
عسر) اي صعب شديد
وفي اسناد القول المذكور
الى الكفار تاويح بان
المؤمنين ليسوا في تلك
المرتبة من الشدة
(كذب قبلهم قوم
نوح) شروع في تعداد
بعض ما ذكر من الانبياء
الموجبة للازدجار
ونوع تفصيل لها
ويبان لعدم تأثرهم
بها تقررا

(ثانيها) انزال ما فيه الانبياء حكمة بالغة (ثالثها) هذه الساعة المقترنة والآية الدالة عليها
حكمة (الثالث) قرى بالنصب فيكون حالا وذو الحال ما في قوله ما فيه من دجراى جاءكم
ذلك حكمة فان قيل ان كان ما موصولة تكون معرفة فيحسن كونه ذا الحال فلما ان كانت
بمعنى جاءهم من الانبياء شئ فيه ازديجار يكون منكرا وتذكير ذى الحال فيصح نقول كونه
موصوفا بحسن ذلك وقوله (فانتهى النذر) فيه وجهان (أحدهما) ان ما نافية ومعناه
ان النذر لم يبعثوا ليعتوا ويلجؤوا قومهم الى الحق وانما رسلوا باقين وهو كقوله تعالى
فان امرضوا فاعل رسلناك عليهم حفيظا ويؤيد هذا قوله تعالى فتول عنهم أى ليس عليك
ولا على الانبياء الاغناء والالقاء فاذا بلغت فقدأوتيت بما عليك من الحكمة البالغة التي
أمرت بها بقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وتول اذا لم تقدر
(ثانيهما) ما استفهامية ومعنى الآيات حينئذ انك أتيت بما عليك من الدعوى واظهار
الآية عليهم او كذبوا فانذرتهم بما جرى على المكذبين فليذهبهم فهذه حكمة بالغة وما الذي
تغنى النذر غير هذا فليبق عليك شئ آخر قوله تعالى (فتول عنهم) قد ذكرنا ان المفسرين
يقولون ان قوله تول منسوخ ليس كذلك بل المراد منه لا تنظرهم بالكلية ثم قال تعالى
(يوم يدع الداع الى شئ نكر) قد ذكرنا أيضا ان من يصح شخصه ولا يؤثر فيه النصح
بعرض عنه ويقول مع غيره ما فيه نصح المعرض عنه ويكون فيه قصدا شادا ايضا فقال
اما قال فتول عنهم يوم يدع الداع يخرجون من الاجداث للخوف والعامل في يوم
هو ما بعده وهو قوله يخرجون من الاجداث والداعى معرف كالنادى في قوله يوم
ينادى لا دلالة معلوم أخبر عنه فقبل ان نادى ينادى وداعيا يدعو وفي الداعى وجوه
أدبر انه اسرافيل وثانيها انه جبريل وثالثها انه ملك موكل بذلك والتعريف حينئذ
لا طمع حد العلية وانما يكون ذلك كقولنا جاء رجل فقال الرجل وقوله تعالى الى شئ
اي منكر وهو يحتمل وجوها (أحدها) الى شئ نكر في يومنا هذا لانهم أنكروه أى
يوم يدعوا الداعى الى الشئ الذى أنكروه يخرجون (ثانيها) نكر أى منكر يقول ذلك
القاتل كان ينبغي ان لا يكون أى من شأنه ان لا يوجد يقال فلان ينهى عن المنكر وعلى
هذا فهم وعندهم كان ينبغي ان لا يقع لانه يردبهم في الهاوية فان قيل ما ذلك الشئ النكر
نقول الحساب أو الجسم له أو النشر للجمع وهذا أقرب فان قيل النشر لا يكون منكرا فانه
احياء ولان الكافر من أين يعرف وقت النشر وما يجري عليه لينكره نقول يعرف ويعلم
بدليل قوله تعالى يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ثم قال تعالى (خاشعا ابصارهم
يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منشرون) وفيه قرأت خاشعا وخاشعة وخشعا فمن
قرأ خاشعا على قول القائل يخشع ابصارهم على ترك التائب لتقديم الفعل ومن قرأ خاشعة
على قوله تخشع ابصارهم ومن قرأ خاشعا فله وجوه (أحدها) على قول من يقول يخشع من
ابصارهم على طريقته من يقول أكلوني البراغيث (ثانيها) في خشعا ضمير ابصارهم بدل عنه

لنحو قوله تعالى فاتننى النذر اى فعل التكذيب * ٧٨٤ * قبل تكذيب قوم نوح وعوله تعالى

(فكذبوا عبدنا) تفسير
لذلك التكذيب المهم
كفى قوله تعالى ونادى
نوح به فقال رب الخ
وفيه مزيد تقرير
وتحقيق للتكذيب وقيل
معناه كذبوه تكذيبا اثر
تكذيب كلما خلا منهم
قرن مكذب جاء عقيب
قرن آخر مكذب مثله
وقيل كذبت قوم نوح
الرسول فكذبوا عبدنا
لانه من جملتهم وفي
ذكره عليه الصلاة
والسلام بعنوان
العبودية مع الاضافة
الى نون العظمة تفخيم
له عليه الصلاة والسلام
ورفع لمحله وزيادة تشنيع
للكذب (وقالوا مجنونون)
اى لم يقتصروا على
مجرد التكذيب بل نسبوه
الى الجنون (وازدجر)
هطف على قالوا اى
وزجر عن التبليغ
بأنواع الادبة وقيل
هو من جملة ما قالوه
اى هو مجنون وقد
ازدجرته الجن وتخبطنه

تقديره يخشعون أبصارهم على بدل الاشتغال كقول القائل أعجبونى حسنهم (ثانيها)
فيه فعل مضمر يفسره يخرجون تقديره يخرجون خشعا أبصارهم على بدل الاشتغال
والصحيح خاشعا روى أن مجاهدا رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له يابى الله
خشعا أبصارهم أو خاشعا أبصارهم فقال عليه السلام خاشعا وهذه القراءة وجمعا آخر
أظهر مما قالوا وهو أن يكون خشعا منصوبا على أنه مفعول بقوله يوم يدع الداع خشعا
أى يدعو هؤلاء فان قيل هذا فاسد من وجوه (أحدها) ان التخصيص لا فائدة فيه لان
الداعى يدعو كل أحد (ثانيها) قوله يخرجون من الاجداث بعد الدعاء فيكونون خشعا
قبل الخروج وانه باطل (ثالثها) قراءة خاشعا تبطل هذا نقول اما الجواب عن الاول فهو
أن يقال قوله الى شئ نكر يدفع ذلك لان كل أحد لا يدعى الى شئ ذكر وعن الثاني المراد
من شئ نكر الحساب العسير يعنى يوم يدعو الداعى الى الحساب العسير خشعا ولا يكون
العامل في يوم يدعو يخرجون بل اذكروا أو فاستغنى النذر كما قال تعالى فاتنهم
شفاعة الشافعين ويكون يخرجون ابتداء كلام وعن الثالث أنه لا منافاة بين القراءتين
وخاشعا نصب على الحال أى على أنه مفعول يدعو كأنه يقول الداعى قوما خاشعا
أبصارهم والخشوع السكون قال تعالى وخشعت الاصوات وخشوع الابصار سكونها
على حال لا تنقلب بينة ولا يسرة كما فى قوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وقوله تعالى يخرجون
من الاجداث كأنهم جراد منتشر مثلهم بالجراد المنتشر فى الكثرة والتفجؤ ويحتمل أن يقال
المنتشر مطاوع نشره اذا أحياء فكأنهم جراد يتحرك من الارض ويدب اشارة الى
كيفية خروجهم من الاجداث وضعتهم * ثم قال تعالى (مهطعين الى الداع) أى
مسرعين اليه انقيادا (يقول الكافرون هذا يوم عسير) يحتمل أن يكون العامل الناصب
ليوم فى قوله تعالى يوم يدع الداع أى يوم يدعو الداعى يقول الكافرون هذا يوم عسير وفيه
خائفتان (أحدهما) تنبيه المؤمن ان ذلك اليوم على الكافر عسير فعسب كما قال تعالى
فذلك يومئذ يوم عسير على الكافر بن غير يسير يعنى له عسير لا يسر معه (ثانيتهما) هى ان
الأمرين متفقان مشتركان بين المؤمن والكافر فان الخروج من الاجداث كأنهم جراد
والاهطاع الى الداعى يكون للمؤمن فانه يخاف ولا يأمن العذاب الايمان الله تعالى
ايه فيؤتيه الله الثواب فيسبق الكافر فيقول هذا يوم عسير * ثم انه تعالى أعاد بعض الانباء
فقال (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنونون وازدجر) فيها تمهيد
وتسليقة لقلب محمد صلى الله عليه وسلم فان حاله كحال من تقدمه وفيه مسائل (المسئلة
الاولى) الحاق ضمير المؤمن بالفاعل قبل ذكر الفاعل جائزا بالاتفاق وحسن والحق ضمير
الجمع به فيجوز عند الاكثرين فلا يجوزون كذبوا قوم نوح ويجوزون كذبت خالف الفرق
نقول التأنيث قبل الجمع لان الانوثة والذكورة للفاعل أمر لا يتبدل ولم تحصل الانوثة
للفاعل بسبب فعلها الذى هو فاعله فليس اذا قلنا ضربت هذه كانت هذه أنثى لاجل

الضرب بخلاف الجمع لان الجمع للفاعلين بسبب فعلهم الذي هم فاعلوه فانما اذا قلنا جمع
ضربوا وهم ضاربون ليس مجرد اجتماعهم في الوجود بل صحيح قولنا ضربوا وهم ضاربون
لانهم ان اجتمعوا في مكان فهم جمع ولكن ان لم يضرب الكل لا يصح قولنا ضربوا فضعف
الجمع من الفعل فاعلوه جمعهم بسبب الاجتماع في الفعل والفاعلية وليس بسبب الفعل
فلم يجز أن يقال ضربوا جمع لان الجمع لم يفهم الا بسبب أنهم ضربوا جمعهم فينبغي أن يهمل
أولا اجتماعهم في الفعل فيقول الضاربون ضربوا أو ما ضربت هند فصحيح لانه لا يصح
أن يقال التأييد لم يفهم الا بسبب أنها ضربت بل هي كانت أنش فوجد منها ضرب
فصارت ضاربة وليس الجمع كانوا جمعاً فضعفوا فصاروا ضاربين بل صاروا ضاربين
لاجتماعهم في الفعل ولهذا ورد الجمع على اللفظ بعد ورود التأييد عليه فتدل ضاربة
وضاربات ولم يجمع اللفظ أولاً لانه لا يلائم كروا لهذا لم يحسن أن يقال ضرب هند وحسن
بالاجماع ضرب قوم والمسلمون (المسئلة الثانية) لما قال تعالى كذبت ما الغائدة في قوله
تعالى فكذبوا عبيدنا نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) ان قوله كذبت قبلهم قوم
نوح اي بآياتنا وآية الانشقاق فكذبوا (الثاني) كذبت قوم نوح الرسل وقالوا لم يبعث
الله رسولا وكذبوهم في التوحيد فكذبوا عبيدنا كما كذبوا غيره وذلك لان قوم نوح كانوا
مشركين يعبدون الاصنام ومن يعبد الاصنام يكذب كل رسول وينكر الرسالة لانه
يقول لا تعلق لله بالعالم السفلي وانما أمره الى الكواكب فيمكن مذهبهم التكذيب
فكذبوا (الثالث) قوله تعالى فكذبوا عبيدنا لا تصديق والرد عليهم تقديره كذبت قوم نوح
وكان تكذبهم عبيدنا أي لم يكن تكذيباً بحق كما يقول القائل كذبتني فكذب صادقاً
(المسئلة الثالثة) كثيراً ما يخص الله الصالحين بالاضافة الى نفسه كما في قوله تعالى ان
عبادي يا عباي واذا ذكر عبيدنا انه من عبادنا وكل واحد عبده فما السرفيه نقول الجواب
عنه من وجوه (الاول) ما قيل في المشهور ان الاضافة اليه تشريف منه فمن خصصه بكونه
عبده شرف وهذا كقوله تعالى ان طهرا بيتي وقوله تعالى نافذة الله (الثاني) المراد من
عبيدنا أي الذي عبيدنا فالكل عباد لانهم مخلوقون للعبادة لقوله وما خنفت الجن والانس
الا ليعبدون ولكن منهم من عبده فحقق المقصود فصار عبده ويؤيد هذا قوله تعالى
كونوا عبادا لي أي حققوا المقصود (الثالث) الاضافة تفيد الحصر فعني عبيدنا هو
الذي لم يقل بعبود سوانا ومن اتبع هواه فقد اتخذها فاعبده المضاف هو الذي بكلية
في كل وقت لله فأكلمه وشربه وجميع أموره لوجه الله تعالى وقيل ما هم (المسئلة الرابعة)
ما الغائدة في اختيار لفظ العبد مع انه لو قال رسولنا لكان أدل على قبح فعلهم نقول قوله
عبيدنا أدل على صدقه وفتح تكذيبهم من قوله رسولنا لوقاله لان العبد أقل تحريفاً
لكلام السيد من الرسول فيكون كقوله تعالى واوتقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا
منه باليمين ثم لقطنا منه الوتين (المسئلة الخامسة) قوله تعالى وقالوا يحنون اشارة الى انه

أني بالآيات الدالة على صدقه حيث رأوا ما عجزوا عنه وقالوا هو مصاب الجن أو هو زيادة
 بيان قبح صنعه حيث ما يقتعوا بقولهم أنه كاذب بل قالوا مجنون أي يقول ما لا يقبله
 عاقل والكاذب العاقل يقول ما يظن به أنه صادق فتناو المجنون أي يقول ما لم يقل به
 عاقل فبين مبالغتهم في التكذيب (المسئلة السادسة) وازدجر اخبار من الله تعالى
 أو حكاية قواهم تقول فيه خلاف منهم من قال اخبار من الله تعالى وهو عطف على كذبوا
 وقالوا أي هم كذبوا وهو ازدجر أي أودى وزجر وهو كقوله تعالى كذبوا وأوذوا وعلى
 هذا ان قيل لو قال كذبوا بعدنا وزجره كان الكلام أكثر مناسبة بقول لا بل هذا
 أبلغ لان المقصود تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر من تقدمه فقال وازدجر
 أي فعلوا ما يوجب الانزجار من دعائهم حتى ترك دعوتهم وعبدل عن الدماء الى الايمان
 الى الدماء عليهم ولو قال زجره ما كان يفيد أنه تأذى منهم لان في السعة يقال آذوني
 ولكن ما تأذيت وأما أذيت فهو كاللازم لا يقال الا عند حصول الفعل لا قبله ومنهم من
 قال وازدجر حكاية قولهم أي هم قالوا ازدجر تقديره ما لا يجنون من دجر ومعناه ازدجره
 الجن أو كانتهم قالوا جن وازدجره الاول أصح وينزب عليه قوله تعالى (فدعاه به اني
 مغلوب فانتصر) ترتب اني غاية الحسن لانهم لما زجره وازجره عن دعائهم دعاه به اني
 مغلوب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرئ اني بكسر الهمزة على انه دعاء فكانه قال
 اني مغلوب وبالفتح على معنى باني (المسئلة الثانية) ما معنى مغلوب نقول فيه وجوه
 (الاول) غلبني الكفار فانتصر لي منهم (الثاني) غلبني نفسي وحلتني على الدماء عليهم
 فانتصر لي من نفسي وهذا الوجه نقله ابن عطية وهو ضعيف (الثالث) وجه مركب من
 الوجهين وهو أحسن منهما وهو أن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدهو على قومه
 مادام في نفسه احتمال وحلم واحتمال نفسه يتمد مادام الايمان منهم بمحتمل ان يأسه
 يحصل والاحتمال يفر بعد اليأس بمدة بدليل قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم لعلك
 يا خع نفسك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال الله تعالى ولا تخاطبني في الدين ظلموا
 انهم مفرقون فقال نوح بالهي ان نفسي غلبتني وقد أمرتني بالدعاء عليهم فأهلكهم
 فيكون معناه مغلوب بحكم البشرية أي غلبت وعيل صبري فانتصر لي منهم لان نفسي
 (المسئلة الثالثة) فانتصر معناه انتصر لي أولئك فأنهم كفروا بك وفيه وجوه (احدها)
 فانتصر لي مناسب لقوله مغلوب (ثانيها) فانتصر لك ولدينك فاني غلبت وعجرت هن
 الانتصار لدينك (ثالثها) فانتصر للحق ولا يكون فيه ذكر ولا ذكر ربه وهذا بقوله قوي
 النفس يكون الحق معه بقول القائل اللهم أهلك الكاذب منا وانتصر الحق منا ثم قال
 تعالى (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) عقيب دعائه وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
 المراد من الفتح والابواب والسماء حقائقها أو هو مجاز نقول فيه قولان (احدهما)
 حقائقها والسماء ابواب تفتح وتغلق ولا استبعاد فيه (وثانيهما) وهو على طريق

(فدعاه به اني) أي
 باني وقرئ بالكسر على
 ارادة القول (مغلوب)
 أي من جهة قومي
 مالي قدرة على الانتقام
 منهم (فانتصر) أي
 فانتقم لي منهم وذلك بعد
 تقرير يأسه منهم بعد التبا
 والتي فقد روي أن الواحد
 منهم كان يلقاه فيضيقه
 حتى يخرج مغشيا عليه
 ويقول اللهم اغفر لقومي
 فانهم لا يعلمون (ففتحنا
 أبواب السماء بماء منهمر)
 منسوب وهو تمثيل
 لكثرة الامطار وشدة
 انصبابها وقرئ ففتحنا
 بالشد يدل لكثرة الابواب

الاستعارة فان الطاهر ان الماء كان من السحاب وعلى هذا فهو كما يقول القائل في المطر
 الوابل جرت ميازيب السماء وفتح أفواه القرب أى كأنه ذلك فالمطر في الطوفان كان
 بحيث يقول القائل قحت أبواب السماء ولا شك ان المطر من فوق كان في غاية الهطلان
 (المسئلة الثانية) قوله تعالى ففتحنا سائر أن الله انتصر منهم وانتقم بمساء لا يجند أنزله كما
 قال تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت
 الاصيحة واحدة بيننا الكمال اقدرة ومن العجيب أنهم كانوا يطلبون المطر سنين فهل لهم
 بمطلوبهم (المسئلة الثالثة) الباء في قوله بمساء ممر ما وجهه وكيف موقعه نقول فيه
 وجهان (أحدهما) كما هي في قول القائل قحت الباب بالفتح من تقديره هو أن يجعل
 كأن الماء جاء بفتح الباب وعلى هذا تفسير قول من يقول يفتح الله لك بخير أى بقدر خيرا
 يأتي ويفتح الباب وعلى هذا فقه الصيغة وهي من بدائع المعاني وهي أن يجعل المقصود
 مقدما في الوجود ويقول كان متصوفا جاء الى باب مغلق ففتح وجاءك وكذلك قول
 القائل لعل الله يفتح برزق أى بقدر رزقا ياتي الى الباب الذي كالمغلق فيدفعه ويفتحه
 فيكون الله قد فتحه بالرزق (ثانيهما) فتحنا أبواب السماء مقرونة بمساء منهمر والانهمار
 الانسكاب والانصباب صبا شديدا والتحقيق فيه ان المطر يخرج من السماء التي هي
 السحاب خروج مترشح من طرفه وفي ذلك اليوم كان يخرج خروج مرسل خارج من باب
 ثم قال تعالى (وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر) وفيه من البلاغة
 ما ليس في قول القائل فجرنا عيون الارض وهذا يسان التميز في كثير من المواضع افا
 قلت ضاقت زبد ذرعا ثبت ما لا يشبه قولك ضاقت ذرع زيد وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
 قال وفجرنا الارض عيونا ولم يقل ففتحنا السماء أبوابا لان السماء أعظم من الارض وهي
 للمبالغة ولهذا قال أبواب السماء ولم يقل أنا ييب ولا منافذ ولا مجارى أو فجرها واما قوله
 تعالى وفجرنا الارض عيونا فهو أبلغ من قوله وفجرنا عيون الارض لانه يكون حقيقة
 لا مبالغة فيه ويكنى في صحة ذلك القول أن يجعل في الارض عيونا ثلاثة ولا يصلح مع هذا
 في السماء الا قول القائل فانزلنا من السماء ماء أو مياها ومثل هذا الذي ذكرناه في المعنى
 لافي المعجز والحكمة قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض
 حيث لا مبالغة فيه وكلامه لا يماثل كلام الله ولا يقرب منه غير أنى ذكرته مثلا والله المثل
 الأعلى (المسئلة الثانية) العيون في عيون الماء حقيقة أو مجاز نقول المشهور أن لفظ
 العين مشترك والظاهر أنها حقيقة في العين التي هي آلة الابصار ومجاز في غيرها أما في
 عيون الماء فلانها تشبه العين الباصرة التي يخرج منها الدمع أولان الماء الذي في العين
 كالزهر الذي في العين غير أنها مجاز مشهور صار غالبا حتى لا يقتصر الى القرينة عند
 الاستعمال الا للتمييز بين العينين فكما لا يحمل اللفظ على العين الباصرة الا بقرينة كذلك
 لا يحمل على الفؤارة الا بقرينة مثل شربت من العين واغتسلت منها وغير ذلك من الامور

(وفجرنا الارض عيونا)

أى جعلنا الارض كأنها

كأنها عيون متغيرة

وأصله وفجرنا عيون

الارض فغير قضاة لخلق

المقام (فالتقى الماء) أى

ماء السماء وماء الارض

والافراد التحقيق أن

لقاء الماء لم يكن بطريق

المجاورة والتقارب بل

بطريق الاختلاط

والاتحاد وقرى الماوان

بقلب الهزة واوا (على

أمر قد قدر) أى كأننا

على حال قد قدرها الله

تعالى من غير تغات أو على

حال قدرت وسويت

وهو أن قد رما أنزل على

قد رما أخرج أو على

أمر قدره الله تعالى وهو

هلاك قوم نوح بالطوفان

التي توجد في الينابيع ويقال عانه بعينه اذا اصابه بالعين وعينه تعيينا حقيقته جعله
 بحيث تقع عليه العين وعينه معاينة وعيانا وعين أي صار بحيث تقع عليه العين (المسئلة
 الثالثة) قوله تعالى فاتقوا الماء فأتقوا المسألة أي النوعان منه ماء السماء وماء
 الأرض فتقوا أسماء الاجناس على تأويل صنف وتجمع أيضا يقال هندي عمران وتغور
 وتمر على تأويل نوعين وأنواع منه والصحيح المشهور فاتقوا الماء وله معنى لطيف وذلك
 انه تعالى لما قال ففحصنا أبواب السماء بماء منهمر ذكر الماء وذكر الانهيار وهو النزول بقوة
 فلما قال وفجرنا الأرض عيوننا كان من الحسن البدع أن يقول ما يفيد أن الماء نبع منها
 بقوة فقال فاتقوا الماء أي من العين فار الماء بقوة حتى ارتفع والتي بماء السماء ولو جرى
 جريا ضعيفا لما كان هو ياتق مع ماء السماء بل كان ماء السماء يرد عليه ويتصل به وإسل
 المراد من قوله وفجرنا الأرض مثل هذا وقوله تعالى على أمر قد قدر فيه وجوه (الاول) على
 حال قد قدرها الله تعالى كإشياء (الثاني) على حال قد راحد الماء بقدر الآخر (الثالث)
 على مشار المقادير وذلك لأن الناس اختلفوا فيهم من قال ماء السماء كان أكثر ومنهم من
 قال ماء الأرض ومنهم من قال كانا متساويين فقال على أي مقدار كان والاول إشارة الى
 عظمة أمر الطوفان فان تكبير الأمر يفيد ذلك يقول القائل جرى على فلان شيء لا يمكن
 أن يقال إشارة الى عظمتها وفيه احتمال آخر وهو أن يقال التي الماء أي اجتمع على أمر
 هلاكهم وهو كان مقدورا مقدرا وفيه رد على المنجمين الذين يقولون ان الطوفان كان
 بسبب اجتماع الكواكب السبعة حول برج مائي والغرق لم يكن مقصودا بالذات وإنما
 ذلك أمر لازم من الطوفان الواجب وقوعه فقال لم يكن ذلك إلا أمر قد قدر ويدل عليه أن
 الله تعالى أوحى الى نوح بأنهم من المفرقين * وقوله تعالى (وحملناه على ذات ألواح ودسر
 تجري بأعيننا) أي سفينة حذق الموصوف وأقام الصفة مقامه إشارة الى أنها كانت من
 ألواح مكية وثقة بدسر وكان انقعا كها في غاية السهولة ولم يقع فهو بفضل الله
 والدسر المسامير وقوله تعالى تجري أي سفينة ذات ألواح جارية وقوله تعالى بأعيننا أي
 برأي منا أو بحفظنا لأن العين ألد ذلك فتستعمل فيه * وقوله تعالى (جزاء لمن كان كفرا)
 يحتمل وجوها (أحدها) أن يكون نصبه بقوله حملناه جزاء أي ليكون ذلك الجزاء
 جزاء الصبر على كفرانهم (وثانيها) أن يكون بقوله تجري بأعيننا لأن فيه معنى حفظنا أي
 ما تركناه عن أعياننا وعوننا جزاء له (ثالثها) أن يكون بفعل حاصل من مجموع ما ذكره كأنه
 قال ففحصنا أبواب السماء وفجرنا الأرض عيوننا وحملناه وكل ذلك فعلناه جزاء له وإنما ذكرنا
 هذا لأن الجزاء ما كان يحصل الاحتفاظه وإنجائه لهم فوجب أن يكون جزاء منصوبا بكونه
 منعولاه بهذه الأفعال والتذكر ما فيه من الطائفت في مسائل (المسئلة الاولى) قال في
 السماء ففحصنا أبواب السماء لأن السماء ذات الرجم وماله فطور ولم يقل وشققنا السماء
 وقال في الأرض وفجرنا الأرض لأنها ذات الصدع (الثانية) لما جعل المطر كالسقاء الخارج

(وحملناه) أي نوحا عليه
 السلام (على ذات
 ألواح) أي أخشاب
 مريضة (ودسر) ومسامير
 جمع دسر من الدسر
 وهو الدفع وهي صفة
 للسفينة أقيمت مقامها
 من حيث أنها كالشرح
 لها تؤدى مؤداهما
 (تجري بأعيننا) برأي
 منا أي بحفظنا بحفظنا
 (جزاء لمن كان كفرا) أي
 فعلنا ذلك جزاء لنوح
 عليه السلام لأنه كان
 نعمة نقرها فان كل نبي
 نعمة من الله تعالى على
 أمته ورحمة وأي نعمة
 وأي رحمة وقد جوز
 أن يكون على حذف الجار
 وإيصال الفعل الى الضمير
 واستناره في الفعل بعد
 انقلابه من فوعا وقرئ
 لمن كفر أي للكافرين

من ابواب مفتوحة واسعة ولم يقل في الارض واجرى ناعن الارض بحارا وانهارا بل قال
 عبونا والخارج من العين دون الخارج من الباب ذكر في الارض انه تعالى فجرها كلها
 فقال وفجرنا الارض لتقابل كثرة عبون الارض سعة ابواب السماء فيحصل بالكثرة ههنا
 ما حصل بالسعة (الثالثة) ذكر عند انقضاء سبب الاهلاك وهو فتح ابواب السماء وفجر
 الارض بالعبون وأشار الى الاهلاك بقوله تعالى هللى امر قد قدر اى امر الاهلاك ولم
 يصرح وعند الرحمة ذكر الانجاء صريحاً بقوله تعالى وجعلنا واثارنا الى طريق النجاة بقوله
 ذات الواح وكذلك قال في موضع آخر فاخذهم الطوفان ولم يقل فاهلكوا وقال فانجينا
 واصحاب السفينة فصريح بالانجاء ولم يصرح بالاهلاك اشارة الى سعة الرحمة وغاية الكرم
 اى خلقنا سبب الهلاك ولورجعوا لما ضرهم ذلك السبب كما قال صلى الله عليه وسلم يا بنى
 اربك معنا وعند الانجاء وجعل للنجاة طريقا وهو اتخاذ السفينة واوانكسرت
 لما ضرهم بل كان يتجبه فالة صود عند الانجاء هو النجاة فذكر المحل والمقصود عند الاهلاك
 اظهار البأس فذكر السبب صريحا (الرابعة) قوله تعالى تجرى بأعيننا ابلغ من
 حفظنا بقول القائل اجعل هذا نصب عينك ولا يقول أحفظه طلبا للباتحة (الخامسة)
 بأعيننا يحتمل ان يكون المراد بحفظنا ولهذا يقال الرؤية لسان العين (السادسة) قال
 كان ذلك جزاء على ما كفر وابه لاهلى ايمانه وشكره فاجوزى به كان جزاء صبره على
 كفرهم وأما جزاء شكرنا فباق وقرى جزاء بكسر الجيم أى مجازاة كقتال ومقاتلة
 وقرى لمن كان كفر بفتح الكاف وأما كفر ففقيه وجهان (أحدهما) أن يكون يكفر
 مثل شكر بعدى بالحرف وبغير حرف يقال شكرته وشكرت له قال تعالى وأشكر والى
 ولا تكفرون وقال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله (ثانيهما) أن يكون من الكفر
 لامن الكفر ان أى جزاء لمن ستر أمره وأنكر شانه ويحتمل أن يقال كفر به وترك الظهور
 المراد ثم قال تعالى (واقدر تركناها آية) وفي العائد اليه الضمير وجهان (أحدهما)
 ما تدلى مذكور وهو السفينة التى فيها ألواح وعلى هذا فقيه وجهان (أحدهما) ترك
 الله عينها مدة حتى روئيت وهلت وكانت على الجودى بالجزيرة وقيل بارض الهند
 (وثانيهما) ترك مثلها فى الناس يذكر (وثانى الوجهين الاولين) أنه عائد الى معلوم أى
 تركنا السفينة آية والاول أظهر وعلى هذا الوجه يحتمل ان يقال تركناها أى جعلناها
 آية لانها بعد الفراغ منها اصارت متروكة ومجمولة يقول القائل تركت فلانا مثله أى جماعته
 لما بينا انه من فرغ من أمر تركه وجعله فذكر أحد الفعلين بدلا عن الآخر وقوله
 تعالى (فهل من مذكر) إشارة الى ان الامر من جانب الرسل قد تم ولم يبق الاجاب
 المرسل اليهم بأن كانوا منذرين متفكرين بهندون بفضل الله فهل من مذكر مهتد
 وهذا الكلام يصلح حثا و يصلح تخويفا وجزا وفيه مسائل (الاولى) قال معهننا واقدر
 تركناها وقال فى العنكبوت وجعلناها آية قلنا هما وان كانا فى المعنى واحدا على ما تقدم

(واقدر تركناها) أى
 السفينة أو الفعلة (آية)
 يعتبر بها من يقف على
 خبرها وقال قتادة أيقاها
 الله تعالى بأرض الجزيرة
 وقبل على الجودى دهرها
 طويلا حتى نظر اليها
 أوائل هذه الامة (فهل
 من مذكر) أى معتبر
 بتلك الآية الخفيفة
 بالاعتبار وقرى مذكر
 على الاصل ومذكر
 بقلب التاء ذالا والادغام
 فيها

بيانه لكن لفظ الترك يدل على الجمل والفراغ بالايام فكانها هنا مذكورة بالتفصيل
 حيث بين الامطار من السماء وتغيير الارض وذكر السفينة بقوله ذات ألواح ودسر
 وذكر جريها فقال تركناها اشارة الى تمام الفعل المقدور وقال هناك وجعلناها اشارة الى
 بعض ذلك فان قيل ان كان الامر كذلك فكيف قال ههنا وحدها ولم يقل وأصحابه وقال
 هناك وأنجينا وأصحاب السفينة نقول النجاة ههنا مذكورة على وجه أبلغ مما ذكره
 هناك لانه قال تجري بأعيننا أي حفظنا وحفظ السفينة حفظ لأصحابه وحفظ لأموالهم
 ودوابهم والحيوانات التي معهم فقوله وأنجينا وأصحاب السفينة لا يلزم منه انجاء
 الاموال الا ببيان آخر والحكاية في سورة هود أشد تفصيلا وأتم فلهذا قال قلنا احل فيها
 من كل زوجين اثنين يعني المحمول ثم قال تعالى واستوت على الجودي تعصيرها بخلاص
 السفينة واشارة الى خلاص كل من فيها وقوله آية منصوبة على انها مفعول ثان للترك لانه
 يعني الجمل على ما تقدم بيانه وهو اسطاهر ويحتمل أن يقال حال فانك تقول تركتها وهي
 آية وهي ان لم تكن على وزن الفاعل والمفعول فهي في معناه كأنه قال تركناها اذا لم يحتمل
 ان يقال نصبها على التمييز لانها بعض وجود الترك كقوله ضربه سوطا (المسئلة الثانية)
 مذكر مفعول من ذكر يذكر وأصله مذكر وكان يخرج الدال قريبا من يخرج التاء
 والحروف المتعارفة المخرج يصعب النطق بها على التوالي ولهذا اذا نظرت الى الدال مع
 التاء عند النطق تقرب الدال من ان تصير تاء والتاء تقرب من ان تصير دالا فيجعل التاء دالا
 ثم أدغمت الدال فيها ومنهم من قرأ على الاصل مذكر ومذكر ومنهم من قلب التاء دالا وقرأ
 مذكر ومن اللغويين من يقول في مذكر مذكر فيقلب التاء ولا يدغم ولا كل وجهة
 والمذكر المعبر المتفكر وفي قوله مذكر اما اشارة الى ما في قوله ألسنت بر بكم قالوا بلى
 أي هل من يتذكر تلك الخالقة واما الى وضوح الامر كأنه حصل لكل آيات الله ونسوها
 فهل من مذكر يتذكر شيئا منها * ثم قال تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) وفيه وجهان
 (أحدهما) أن يكون ذلك استفهاما من النبي صلى الله عليه وسلم تنبيهه الله ووعدا بالعاقبة
 (وثانيهما) أن يكون عاما تنبيهه الخلق ونذر أسقط منه ياء الاضافة كما حذف ياء يسرى في
 قوله تعالى والليل اذا يسر وذلك عند الوقف ومثله كثير كما في قوله تعالى فإلبي فأعبدون
 ولا تشدقن وقوله تعالى يا عباد فاتقون وقوله تعالى ولا تكفرون وقرى بآيات الياء عذابي
 ونذري * وفيه مسائل (الاولى) ما الذي اقتضى الفاء في قوله تعالى فكيف كان نقول أما
 ان قلنا ان الاستفهام من النبي صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى قال له قد علمت اخبار من
 كان قبلك فكيف كان أي بعد ما أحاط بهم علمك بتقلها اليك وأما ان قلنا الاستفهام عام
 فنقول لما قال هل من مذكر فرض وجودهم وقال يا من يتذكر وعلم الحال بالثبوت كبير
 فكيف كان عذابي ويحتمل أن يقال هو متصل بقوله فهل من مذكر تقديره مذكر كيف
 كان عذابي (المسئلة الثانية) ما أروا العذاب ولا النذر فكيف استفهم منهم نقول

٦ قوله والحروف المتعارفة

الخ ليس هنا توالي
 وصبرة المحلى أصله
 مذكرا بذكر التاء دالا
 مهمة وكذا المعجمة
 وأدغمت فيها اه

(فكيف كان عذابي
 ونذر) استفهام تعظيم
 وتعجب أي كأنه على
 كبرية هائلة لا يحيط بها
 الوصف والنذر جمع
 نذير بمعنى الانذار

أما على قولنا الاستفهام من النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم لما علم وأما على قولنا عام فهو على تقدير الادكار وعلى تقدير الادكار يعلم الحال ويحتمل ان يقال انه ليس باستفهام وإنما هو اخبار عن عظمة الامر كافي قوله تعالى الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة وهذا لان الاستفهام يذكر للاخبار كان صيغة الاخبار تذكر للاستفهام فيقال زيد في الدار بمعنى هل زيد في الدار ويقول المجز وعده هل صدقت فكأنه تعالى قال هذا في وقع وكيف كان أي كان عظيما وحيث لا يحتاج الى علم من يستفهم منه (المسئلة الثالثة) قال تعالى من قبل ففتحنا وفجرنا وبأعيننا ولم يقل كيف كان عذابنا نقول لوجهين (احدهما) لفظي وهو ان بيا المتكلم يمكن حذفها لانها في اللفظ تسقط كثيرا فيما اذا اتى ما كتمان تقول غلامي الذي وداري التي وهنا حذفت لتواخي آخر الآيات وأما التثنية والالف في ضمير الجمع فلا تحذف (وأما الثاني) وهو المنوي فتقول ان كان الاستفهام من النبي صلى الله عليه وسلم فتوحيد الضمير للانباء وفي فتحنا وفجرنا بالترهيب المعصاة ونقول قد ذكرنا ان قوله مذكور فيد اشارة الى قوله أليس بركم فلما وعد الضمير بقوله أليس بركم قال فكيف كان (المسئلة الرابعة) التذريع نذير فهل هو مصدر كالنسيب والتعيب أو فاعل كالكبير والصغير نقول أكثر المفسرين على انه مصدر ههنا أي كيف كان عاقبة عذابي وعاقبة انذارى والظاهر أن المراد الانباء أي كيف كان عاقبة أعداء الله ورسله هل أصاب العذاب من كذب الرسل أم لا فإذا علمت الحال يا محمد فأصبر فان عاقبة أمر ككافة أو تلك النذر ولم يجمع العذاب لانه مصدر ولوجع الكثرة في جنته تقدير وفرض ولا حاجة اليه فان قيل قوله تعالى كذبت ثمود بالنذر أي بالانذارات لان الانذارات جاءت منهم وأما الرسل فقد جاءهم واحد نقول كل من تقدم من الأمم الذين أشركوا بالله كذبوا بالرسل وقالوا ما أنزل الله من شيء وكان الشركون مكذبين بالكل ما خلا إبراهيم عليه السلام فكانوا يعتقدون فيه الخير لكونه شيخ المرسلين فلا يقال كذبت ثمود بالنذر أي بالانباء بأسرهم كما انكم أيها المشركون تكذبون بهم * ثم قال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر) وفيه وجوه (الاول) المحفوظ فيمكن حفظه وبسهل ولم يكن شيء من كتب الله تعالى يحفظ على ظهر القلب غير القرآن * وقوله تعالى (فهل من مدكر) أي هل من يحفظه ويثبته (الثاني) سهلناه للانعاط حيث أتينا فيه بكل حكمة (الثالث) جعلناه بحيث يعلق بالقلوب ويستلذ سماعه ومن لا يفهم يتفهمه ولا يسأم من سمعه وفهمه ولا يقول قد علمت فلا سمعه بل كل ساعة يزداد منه لذة وعلم (الرابع) وهو الاظهار أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر بحال نوح عليه السلام وكان له معجزة قبل له ان معجرتك القرآن ولقد يسرنا القرآن للذكر تذكركه لكل أحد وتحدثى به في العالم ويقي على مرور الدهور ولا يحتاج كل من حضره الى دعاء ومسئلة في اظهار معجزة وبعدك لا ينكر احد وقوع ما وقع كما ينكر البعض انشقاق القمر وقوله تعالى فهل من مدكر

(ولقد يسرنا القرآن) ما لجملة فسمية وردت في او اخر القصص الاربع تقرير المضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه من دجر حكمة بالغة فانغى النذرو تنبيهها على ان كل قصة منها مسئلة بإيجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار اي والله لقد سهلنا القرآن لقومك بان تزلنا على لغتهم ووضعتنا بأنواع الموضع والعبر ومصرفنا فيه من الوعيد والوعد (للكر) أي للتذكر والانعاط (فهل من مدكر) انكار ونفي للتعط على أبلغ وجه واكد حيث يدل على أنه لا يقدر أحد أن يحجب المستفهم بنعم وحل تبسره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة ألفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام

اي منذ كر لان الافتعال والتفعل كثيرا ما يجي بمعنى وعلى هذا فلو قال قائل بهذا يقتضي وجود امر سابق فتسنى نقول ما في الفطرة من الانقياد للحق هو كالمسنى فهل من مدكر يرجع الى ما فطر عليه وقيل فهل من مدكر أي حافظ أو متعظ على ما فسرنا به قوله تعالى يسرنا القرآن للذكر وقوله فهل من مدكر وعلى قولنا المراد منذ كر اشارة الى ظهور الامر فكانه لا يحتاج الى فكر بل هو امر حاصل عنده لا يحتاج الى معاودة ما عند غيره * ثم قال تعالى (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر) وفيه مسائل (الاولى) قال في قوم نوح كذبت قوم نوح ولم يقل في عاد كذبت قوم هود وذلك لان التعريف كلما أمكن أن يوثق به على وجه أبلغ فالاولى أن يوثق به والتعريف بالاسم العلم اولى من التعريف بالاضافة اليه فانك اذا قلت بيت الله لا يفيد ما يفيد قولك السمكة فكذلك اذا قلت رسول الله لا يفيد ما يفيد قولك محمد فعاد اسم علم للقوم لا يقال قوم هود اعرف اوجهين (أحدهما) ان الله تعالى وصف عاد بقوم هود حيث قال لا بعد العاد قوم هود ولا يوصف الاظهر بالاخفى والاخص بالاعم (ثانيهما) ان قوم هود واحد وعاد قيل انه لفظ يقع على اقوام ولهذا قال تعالى عادا الاولى لانا نقول اما قوله تعالى اعاد قوم هود فليس ذلك صفة وانما هو يدل ويجوز في البديل أن يكون دون المبدل في المعرفة ويجوز أن يبدل عن المعرفة بالثبوت واما عادا الاولى فقد قدمنا ان ذلك لبيان تقدمهم أي عادا الذين تقدموا وليس ذلك للتمييز والتعريف كما تقول محمد النبي شفيعي والله الكر بمر بي ورب السمكة المشرفة لبيان الشرف لا لبيانها وتعريفها كما تقول دخلت الدار المعمورة من الدارين وخدمت الرجل الزاهد من الرجلين فتبين المقصود بالوصف (المسئلة الثانية) لم يقل كذبوا هودا كما قال فكذبوا عبدا وذلك اوجهين (أحدهما) ان تكذيب نوح كان أبلغ وأشد حيث دعاهم قريبا من ألف سنة وأصروا على التكذيب ولهذا ذكر الله تعالى تكذيب نوح في مواضع ولم يذكر تكذيب غيره نوح صريحا وانبه عليه واحد منها في الاعراف قال فتجيبناه والذين معه في الفلك وقال حكاية عن نوح قال رب ان قومي كاذبون وقال انهم عصوني وفي هذه المواضع لم يصرح بتكذيب قوم غيره منهم الا قليلا ولذلك قال تعالى في مواضع ذكر شعيب فكذبوه وقال الذين كذبوا شعيبا وقال تعالى عن قومه وانا لنظنك من الكاذبين لانه دعا قومه زمانا مديدا (وثانيهما) ان حكاية عاد مذكورة ههنا على سبيل الاختصار فلم يذكر الاتكذيبهم وتعذيبهم فقال كذبت عاد كما قال كذبت قوم نوح ولم يذكر دعاه عليهم واجابته كما قال في نوح (المسئلة الثالثة) قال تعالى فكيف كان عذابي قبل ان بين العذاب وفي حكاية نوح بين العذاب ثم قال فكيف كان فالحكمة فيه نقول الاستفهام الذي ذكره في حكاية نوح مذكور ههنا وهو قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر كما قال من قبل ومن بعد في حكاية نوح غير انه تعالى حكى في حكاية عاد فكيف كان مرتين المرة الاولى استفهام لبيان كما يقول المعلم

(كذبت عاد) اي هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له رومالاختصارومسارعة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصفاء الى ما يلي اليهم قبل ذكره لانه هو يله وتعلمه وتعجبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كأنه قبل كذبت عاد فهل سمعتم أو طسموا كيف كان عذابي وانذاراتي لهم

لا يعرف كيف المسئلة الغلانية ليصير المسؤول سائلا فيقول كيف هي فيقول انها كذا وكذا فكذلك ههنا قال كذبت عاد فكيف كان عذابي فقال السامع بين أنت فاني لأعلم فقال انا أرسلنا وأما المرة الثانية فاستفهمم للتعظيم كما يقول القائل للعارف المشاهد كيف فعلت وصنعت فقول نعم ما فعلت ويقول أثبت بمجيبه فيحقق عظيمة الفعل بالاستفهام وانما ذكر ههنا المرة الاولى ولم يذكر في موضع آخر لان الحكاية ذكرها مختصرة فكان يفوت الاعتبار بسبب الاختصار فقال كيف كان عذابي حثا على التدبر والتفكر وأما الاختصار في حكايتهم فلان أكثر أمرهم الاستكبار والاعتماد على القوة وعدم الالتفات الى قول النبي صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى يا ما هاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة وذكر استكبارهم كثيرا وما كان قوم محمد صلى الله عليه وسلم مباغين في الاستكبار وانما كانت مباغتهم في التكذيب ونسبته الى الجنون وذكر حالة نوح على التفصيل فان قومه جمعوا بين التكذيب والاستكبار وكذلك حال صالح عليه السلام ذكرها على التفصيل لشدة مناسبتها بحال محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال تعالى فكيف كان عذابي بتوحيد الضمير هناك ولم يقل عذابنا وقال ههنا انا ولم يقل انا والجواب ما ذكرناه في قوله تعالى ففتحنا أبواب السماء (المسئلة الثانية) الصرصر فيها وجوه (أحدها) الريح الشديدة الصوت من الصرير والصرة شدة الصباح (ثانيا) دأمة الهبوب من أصر على الشيء اذ دام وثبت وفيه بحث وهو ان الاسماء المشتقة هي التي تصلح لان يوصف بها وأما أسماء الاجناس فلا يوصف بها سواء كانت أجراما أو معاني فلا يقال انسان رجل جاء ولا يقال اوز أبيض وانما يقال انسان طام وجسم أبيض وفولنا أبيض معناه شيء له بياض ولا يكون الجسم ما خوذ فيه وبظهر ذلك في قولنا رجل طام فان العالم شيء له علم حتى الحداد والخباز ولو أمكن قيام العلم بهما لكان عالما ولا يدخل الحي في المعنى من حيث المفهوم فانا اذا قلنا عالم يفهم أن ذلك حي لان اللفظ ما وضع لحي يعلم اللفظ وضع لشيء يعلم ويريد ظهورا قولنا معلوم فانه شيء يعلم أو أمر يعلم وان لم يكن شيئا ولو دخل الجسم في الأبيض لكان قولنا جسم أبيض كقولنا جسم له بياض فيقع الوصف بالجنس اذا علمت هذا فن الاستفاد بالجنس شيء دون شيء فان قولنا الهندي يقع على منسوب الى الهند وأما المهند فهو سيف منسوب الى الهند فيصح أن يقال صدهندي وتمر هندي ولا يصح ان يقال مهند وكذا الابلق واوان آخر في فرس ولا يقال للشوب أبلق كذلك الأفطس أنف فيه تفعير اذا قال القائل أنف أفطس فيكون كانه قال أنف به فطس فيكون وصفه بالجنس وكان ينبغي أن لا يقال فرس ابلق ولا أنف أفطس ولا سيف مهند وهم يقولون فالجواب وهذا السؤال يرد على الصرصر لانها الريح الباردة فاذا قال ريح صرصر فليس ذلك كقولنا ريح باردة فان الصرصر هي

وقوله تعالى (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) استئناف ببيان ما أجل أو لا ي أرسلنا عليهم ريحا باردة أو شديدة الصوت (في يوم نحس) شؤم (مستمر) أي شؤمه أو مستمر عليهم الى أن أهلكهم أو شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم أو مشند مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر

الريح الباردة فحسب فكأنه قال ريح ريح باردة فبقول الالفاظ التي في معانيها
امر ان فصاعدا كقولنا عالم فانه يدل على شئ له علم ففيه شئ وعلم هي على ثلاثة اقسام
(احدها) ان يكون الحال هو المقصود والمحل تبع كافي العالم والضارب والايض فان
المقاصد في هذه الالفاظ العلم والضرب والبياض بخصوصها واما المحل المقصود من
حيث انه على غونه حتى ان البياض لو كان يبدل بلون غيره اخلت مقصوده كالا سود
والجسم الذي هو محل البياض ان امكن ان يبدل وامكن قياس البياض بجوهر غير
جسم لما اخلت الغرض (ثانيها) ان يكون المحل هو المقصود كقولنا الحيوان لانه اسم
لجنس ماله الحياة لا كالحى الذي هو اسم لشي له الحياة فالقاصود هنا المحل وهو الجسم حتى
لو وجد حى ليس بجسم لا يحصل مقصود من قال الحيوان ولو حل اللفظ على الله الحى
الذى لا يموت لحصل غرض التكليم ولو حل لفظ الحيوان على فرس قائم او انسان قائم لم
تفارق الحياة للم يبق السامع نفع ولم يحصل المتكلم غرض فان القائل اذا قال لانسان قائم
وهو ميت هذا حيوان ثم بان موته لا يرجع عما قال بل يقول اما قلت انه حى بل قلت انه
حيوان فهو حيوان فارقت الحياة (ثالثها) ما يكون الامر ان مقصودين كقولنا رجل
وامرأة وناقاة وجل فان الرجل اسم موضوع لانسان ذكر والمرأة لانسان أنثى والناقاة
لبعير أنثى والجل لبعير ذكر فالناقاة ان أطلقت على حيوان فظهر فرسا أو ثورا اخلت
الغرض وان بان جلا كذلك اذا علمت هذا ففي كل صورة كان المحل مقصودا اما وحده
واما مع الحال فلا يوصف به فلا يقال جسم حيوان ولا يقال بغير ناقاة وانما يجعل ذلك جملة
فيوصف بالجملة فيقال جسم هو حيوان وبعير هو ناقاة ثم ان الابلق والافطس شأنه
الحيوان من وجه وشأنه العالم من وجه وكذلك المهند لكن دليل ترجيح الحال فيه ظاهر
لان المهند لا يذكر الالمدح السيف والافطس لا يقال الا لوصف الانف لا الحقيقة وكذلك
الابلق بخلاف الحيوان فانه لا يقال لوصفه وكذلك الناقاة اذا علمت هذا فالصريح يقال
لشدة الريح أو لبردها فوجب أن يعمل به ما يعمل بالبارد والشد يد فجاز الوصف وهذا
بحث عزيز (المسئلة الثالثة) قال تعالى ههنا انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا وقال في
الطور وفي عاد اذا أرسلنا عليهم الريح العقيم فعرف الريح ههنا وتكرها ههنا لان العقيم
الريح أظهر من البرد الذى يضر النبات أو الشدة التي تعصف الاشجار لان الريح العقيم
هي التي لا تنشى ممحبا ولا تفتح شجرا وهي كثيرة وقوع واما الريح المهلكة الباردة فقلما
توجد فقال الريح العقيم أى هذا الجنس المعروف ثم زاده بيانا بقوله ما تذر من شئ أثب
عليه الا جعلت كالريم فتميزت عن الرياح العقيم واما الصرصر فقليلة الوقوع فلا تكون
مشهورة فتكرها (المسئلة الرابعة) قال ههنا في يوم نحس مستمر وقال في المسجدة في أيام
نحسات وقال في الخافقة سبع ليال وثمانية أيام حسوما والمراد من اليوم ههنا الوقت
والزمان كافي قوله تعالى يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا وقوله مستمر يفيد ما يفيد

الايام لان الاستقرار ينبي عن امرار الزمان كما ينبي عند الايام وانما اختلف اللفظ مع اتحاد المعنى لان الحكاية هنا مذكورة على سبيل الاختصار وقد كرر الزمان ولم يذكر مقداره ولذلك لم يصفها ثم ان فيه قراءتين احدهما يوم نحس باضافة يوم وتسكين نحس على وزن نفس وانتهى بها يوم نحس بنون الميم وكسر الحاء على وسف اسوم ما نحس كما في قوله تعالى في ايام نحسات فان قيل ايتهما أقرب قلنا الاضافه اصح وذلك لان من يقرأ يوم نحس مستمر يجعل المستمر صفة ليوم ومن يقرأ يوم نحس مستمر يكون المستمر وصفا للنحس فيحصل منه استمرار النحوسة فالاول اطهر وأبقى فان قيل من يقرأ يوم نحس بسكون الحاء فاذا يقول في النحس يقول يحتمل أن يقول هو تخفيف نحس كتحذو وفلحن في غير الصفات ونصم ونصر ورعد ورعد وعلى هذا يلزم أن يقول تقديره يوم كان نحس كما تقول في قوله تعالى بجانب الغربي ويحتمل أن يقول نحس ليس ينعت بل هو اسم معنى او مصدر فيكون كقولهم يوم برد وحر وهو أقرب وأصح (المسئلة الخامسة) ما معنى مستمر نقول فيه وجوه (الاول) بمدة ثابتة مدته مديدة من استمرار الامر اذا دام وهذا كقوله تعالى في ايام نحسات لان الجمع يفيد معنى الاستمرار والامتداد وكذلك قوله حسوما (الثاني) شديد من المرة كما قلنا من قبل في قوله سحر مستمر وهذا كقولهم ايام الشدائد واليه الاشارة بقوله تعالى في ايام نحسات لنذيقهم بعض الذي فانه يذيقهم المراض من العذاب ثم قال تعالى (تزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) فيه مسائل (المسئلة الاولى) تزع الناس وصف أحوال نقول يحتمل الامرين جريما اذ يعبر أن يقال أرسل ربحا صريصا نارضا للناس ويصح أن يقال أرسل الربح نازعة فان قيل كيف يمكن جعلها حالا وذو الحال نكرة نقول الامر هنا أهون منه في قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه من دجر فانه نكرة وأجابوا عنه بان ما موصوفة فتخصصت فحسن جعلها ذات الحال فكذلك نقول ههنا الربح موصوفة بالصريص والشكبر فيه للتعظيم والافهني ثلاثة فلا يبعد جعلها ذات حال وفيه وجه آخر وهو انه كلام مستأنف على فعل وفاعل كما تقول جاء زيد جذبي وتقديره جاء فجذبني كذلك ههنا قال انا ارسلنا عليهم ربحا فاصبحت تزع الناس ويبدل عليه قوله تعالى فترى القوم فيها صرعى فانه في قوله تزع الناس اشارة الى ما اشار اليه بقوله صرعى وقوله تعالى كأنهم أعجاز نخل منقعر فيه وجوه (احدها) تزعهم فصرعهم كأنهم أعجاز نخل كما قال صرعى كأنهم أعجاز نخل (ثانيها) تزعهم فهم بعد التزع كأنهم أعجاز نخل وهذا أقرب لان الانتعار قبل الوقوع فكان الربح تزع وتقع فيه فقع فيكون صريصا فيخلو الموضع عنه فيخوى وقوله في الحاقة فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية اشارة الى حاله بعد الانتعار الذي هو بعد التزع وهذا يفيد ان الحكاية ههنا مختصرة حيث لم يشر الى صرعهم وخلو منازلهم عنهم بالكلية فان حال الانتعار لا يحصل الخلو التام اذ هو مثل الشروع في الخروج والاخذ فيه (ثالثها) تزعهم زعا

(تزع الناس) تفلحهم
 روى أنهم دخلوا
 الشام والحفر ونسك
 بعضهم بعض فزعهم
 الربح وصرعهم موى
 (كأنهم أعجاز نخل
 منقعر) أي منقاع عن
 مفارسته قيل شبهوا
 بأعجاز النخل وهي
 أصولها بلا فروع لان
 الربح كانت تفلح رؤسهم
 فتبقى أجسادا وجثثا
 بلا رؤس وتذكير صفة
 نخل للنظر الى اللفظ كما
 أن ثانياها في قوله تعالى
 أعجاز نخل خاوية للنظر
 الى المعنى

بعنف كأنهم اعجاز نخل تنقرهم فينقروا إشارة إلى قوتهم وثباتهم على الأرض وفي
 المعنى وجوه (أحدها) أنه ذكر ذلك إشارة إلى عظمة أجسادهم وطول أقدادهم
 (ثانيها) ذكره إشارة إلى ثباتهم في الأرض فكانهم كانوا يعملون أرجلهم في الأرض
 ويقصدون النع به على الريح (وثالثها) ذكره إشارة إلى يسهم وجفافهم بالريح
 فكانت تقتلهم وتحرقهم ببردها المفراط فيقعون كأنهم أخشاب باسقة (المسئلة
 الثانية) قال ههنا متعريف ذكر النخل وقال في الحاقه كأنهم أعجاز نخل خاوية فانها
 قال المفسرون في تلك السورة كانت أو آخر الآيات تنغضي ذلك لقوله مستمر ومنهم
 ومنشرو وهو جواب تحسن قن الكلام كما يزين بحسن المعنى يزين بحسن اللفظ ويمكن
 أن يقال النخل لفظه لفظ الواحد كالقفل والنعل ومعناه معنى الجمع فهو كأن يقال فيه
 نخل منقر ومنقعة ومنقعات ونخل خاو وخاوية وخاويات ونخل باسق وباسقة
 وباسقات فاذا قال قائل متعريف أو خاو أو باسق مجرد النظر إلى اللفظ ولم يراع جانب المعنى
 واذا قال متعريف أو خاويات أو باسقات مجرد النظر إلى المعنى ولم يراع جانب اللفظ وإذا
 قال منقعة أو خاوية أو باسقة جمع بين الاعتبارين من حيث وحدة اللفظ وور بما قال
 منقعة على الأفراد من حيث اللفظ والحق به تارة التأنيت التي في الجماعة إذا عرفت هذا
 فنقول ذكر الله تعالى لفظ النخل في مواضع ثلاثة ووصفها على الوجوه الثلاثة فقال
 والنخل باسقات فانها حال منها وهي كالوصف وقال نخل خاوية وقال نخل منقر
 فحيث قال منقر كان المختار ذلك لأن المنقر في حقيقة الأمر كالفعول لأنه الذي ورد
 عليه القعر فهو مقعر والخاوي والباسق فاعل ومعناه إخلاء ما هو مفعول عن علامة
 التأنيت أولا كما تقول امرأة كفيل وامرأة كفيلة وامرأة كبير وامرأة كبيرة وأما
 الباسقات فهي فاعلات حقيقة لأن البسوق أمر قام بها وأما الخاوية فهي من باب حسن
 الوجه لأن الخاوي موضعها فكانه قال نخل خاوية المواضع وهذا غاية الإعجاز حيث
 أتى بلفظ مناسب للإفاظ السابقة واللاحقة من حيث اللفظ فكان الدليل يقتضي
 ذلك بخلاف الشاعر الذي يختار اللفظ على المذهب الضعيف لأجل الوزن والقافية
 ثم قال تعالى (فكيف كان عذابي ونذر ولقد بسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)
 وتفسيره قد تقدم والتكرير للتقرير وفي قوله عذابي ونذر لطيفة ما ذكرناها وهي ثبت
 بسؤال وجواب لو قال القائل أكثر المفسرين على أن النذر في هذا الموضع جمع نذر الذي
 هو مصدر معناه انذار فالجملحة في توحيد العذاب حيث لم يقل فكيف كان أنواع
 عذابي وويل انذارى تقول فيه إشارة إلى غلبة الرحمة الغضب وذلك لأن الانذار اشفاق
 ورحمة فقال الانذارات التي هي نعم ورحمة تواترت فلما لم تنفع وقع العذاب دفعة واحدة
 فكانت النعم كثيرة والثمة واحدة وسنين هذا زيادة بيان حين تفسر قوله تعالى فبأي
 آلاء ربكما تكذبان حيث جمع الآلاء وكثر ذكرها وكررها ثلاثين مرة ثم بين الله تعالى حال

وقوله تعالى (فكيف
 كان عذابي ونذر)
 فهو يلهمها وتجييب من
 أمرهما بعد بيانها
 فليس فيه شائبة تكرار
 وما قبل من أن الأول
 لما ساق بهم في الدنيا
 والثاني لما يحق بهم
 في الآخرة برده ترتيب
 الثاني على العذاب
 الدنيوي (ولقد بسرنا
 القرآن للذكر فهل من
 مدكر) الكلام فيه
 كالذي مر فيما سبق

قوم آخرين * فقال (كذبت ثمود بالنذر) وقد تقدم تفسير غير انه في قصة عاد قال كذبت ولم يقل بالنذر وفي قصة نوح قال كذبت قوم نوح بالنذر فتقول هذا يوئيد ما ذكرنا من أن المراد بقوله كذبت قبلهم قوم نوح ان عادتهم ومذهبهم انكار الرسل وتكذيبهم فكذبوا نوحا بناء على مذهبهم وانما صرح ههنا لان كل قوم يأتون بعد قوم وانما رسولا فالكذب المتأخر بكذب المرسلين جميعا حقيقة والاولون يكذبون رسولا واحدا حقيقة ويلزمهم تكذيب من بعده بناء على ذلك لانهم لما كذبوا من تقدم في قوله الله تعالى واحد والحشر كأن ومن أرسل بعده كذلك قوله ومذهبهم لزم منه أن يكذبوه ويدل على هذا ان الله تعالى قال في قوم نوح فكذبوه فأنجيناه وقال في عاد وثمود عاد جمع واثبات ربههم وعصوا رسوله وأما قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين فاشارة الى انهم كذبوا وقالوا ما يفضي الى تكذيب جميع المرسلين ولهذا ذكره بلفظ الجمع المعرف للاستغراق ثم انه تعالى قال هناك عن نوح رب ان قومي كذبون ولم يقل كذبوا رسلا! اشارة الى ما صدر منهم حقيقة لان ما زعمهم لزمه اذا عرفت هذا فلما سبق قصة ثمود ذكر رسولين ورسولهم قال كذبت ثمود بالنذر هذا كله اذا قلنا ان النذر جمع نذير بمعنى منذار اما اذا قلنا انها الانذارات فتقول قوم نوح وعاد لم تستر المعجزات التي ظهرت في زمانهم وأما ثمود فانذروا واخرج لهم ناقة من صخرة وكانت تدور بينهم وكذبوا فكان تكذيبهم بالنذارات وايات ظاهرة فصرح بها وقوله فقالوا أبشرا منا واحد نبعه يؤيد الوجه الاول لان من يقول لا تتبع بشرا على وجميع المرسلين من البشر يكون مكذبا بالرسول والباء في قوله بالنذر يؤيد الوجه الثاني لاننا ان الله تعالى في تكذيب الرسل عدى التكذيب بغير حرف فقال كذبوه وكذبوا رسلا وكذبوا عبدا وكذبوني وقال كذبوا بايات ربههم وبآياتنا فعدى بحرف لان التكذيب هو النسبة الى الكذب والمقابل هو الذي يكون كاذبا حقيقة والكلام والقول يقال فيه كاذب مجازا وتعلق التكذيب بالمقابل أظهر فيستغنى عن الحرف بخلاف القول وقد ذكرنا ذلك وبيناه بيانا شافيا * وفي قوله تعالى (فقالوا أبشرا منا واحد نبعه) مسائل (المسئلة الاولى) زيد اضربه زيد ضربته كلاهما جاز والنصب مختار في مواضع منها هذا الموضع وهو الذي يكون ما يرد عليه النصب والرفع بعد حرف الاستفهام والسبب في اختيار النصب أمر معقول وهو ان المستفهم يطلب من المسؤول أن يجعل ما ذكره بعد حرف الاستفهام مبدءا للكلام ويخير عنه فاذا قال زيد عندك معناه أخبرني عن زيد واذكر لي حاله فاذا انضم الى هذه الحالة فعل مذكور ترجح جانب النصب فيجوز أن يقال أزيد اضربه وان لم يجب فالاحسن ذلك فان قيل من قرأ أبشرا منا واحد نبعه كيف ترك الاجود نقول نظر الى قوله تعالى فقالوا اذا بعد القول لا يكون الاجلة والاسمية أولى والاولى أقوى وأظهر (المسئلة الثانية) اذا كان بشرا منصوبا بفعل فالحكمة في تأخر الفعل في الظاهر نقول قد تقدم مرارا

(كذبت ثمود بالنذر) أي
الانذارات والمواعظ التي
سمعوها من صالح
أو بالرسول عليهم السلام
فان تكذيب أحدهم
تكذيب لكل لانها فهم
على أصول الشرائع
(فقالوا أبشرا منا) أي
كأننا من جنسنا وانتصابه
بفعل يفسره ما بعده
(واحد) أي منفردا
لا تتبع له أو واحدا من
آحادهم لان أشرافهم
وهو صفة أخرى للبشر
وتأخيره عن الصفة المؤولة
للتنبية على أن كلام
الجنسية والوحدة مما ينتم
الاتباع والوقدم عليها
الغائت هذه التكنة وقرئ
أبشرا منا واحد على
الابتداء وقوله تعالى
(نبع) خبره والاول
أوجه للاستفهام

أنا بلغ بقسم في الكلام ما يكون تعاقب غرضه به أكثر وهم كانوا يريدون تبين كونهم
مؤمنين في ترك الاتباع فلو كانوا أتبع بشرنا يمكن أن يقال نعم اتبعوه وماذا يمنعكم من اتباعه
فإذا قلوا ما حاله بقاوا هم نوبنا بشروا من صنفنا رجل ليس غريبا فعندنا أنه يعلم
مادنا لم أو بقدر على ما لا يقدرون وهو واحد وحيد وليس له جند وحشم وخيل وخدم
فكيف يتبعه بكوثون قد عدوا الموجب لجواز الامتناع من الاتباع واعلم أن في الآية
إشارات إلى ذلك (أحدها) نكروه حيث قالوا أبشروا ولم يقولوا أتبعوا صالحا أو الرجل
الذي النبوة أو غير ذلك من المعرفات والتكثير لشعبه (ثانيها) قالوا أبشروا ولم يقولوا
أرجلنا (ثالثها) قالوا ما هو ويحتمل أمرين أحدهما من صنفنا ليس غريبا وثانيها حامنا
أي تبعنا يقول القائل غيره أنت منافق أتذني السامع ويقول لا بل أنت منا ولست أنا
منكم وتحققه أن من التبويض والبعض يتبع الكل لا الكل يتبع البعض (رابعها)
واحد يحتمل أمرين أيضا * أحدهما وحيد الإشارة إلى ضعفه * وثانيها واحد أي هو
من الآحاد لا من الأكابر المشهورين وتحقيق القول في استعمال الآحاد في الأصاغر
حيث يقال هو من آحاد الناس هو أن لا يكون مشهورا بحسب ولا نسب إذا حدث
عنه من لا يعرفه فلا يمكن أن يقول عند قال فلان أو ابن فلان فيقول قال واحد وفعل
واحد فيكون ذلك غاية الحمول لأن الازدال لا ينضم إليه أحد فيبقى في أكثر أوقانه واحدا
فيقال للازدال آحاد * وقوله تعالى عنهم (أنا إذا أتى ضلال وسعر) يحتمل وجهين
(أحدهما) أن يكونوا قد قالوا في جواب من يقول لهم إن لم تتبعوه تكونوا في ضلال
فبقولنا له لا بل إن تبعنا نكون في ضلال (ثانيها) أن يكون ذلك ترتيبا على ما مضى أي
حاله ما ذكرنا من الضعف والوحدة فإن اتبعناه نكون في ضلال وسعر أي جنون على هذا
الوجه فإن قلنا أن ذلك قاله على سبيل الجواب فيكون القائل قال لهم إن لم تتبعوه فأننا إذا
في الحال في ضلال وفي سعر في العقبى فقالوا لا بل لو اتبعناه فأننا إذا في الحال في ضلال وفي
سعر من الذل والعبودية بجزا فأنهم ما كانوا يمتدحون بالسعر (المسئلة الثالثة) السعير في
الآخرة واحد فكيف جزم نقول الجواب عنده من وجوه (أحدها) في جهنم دركات يحتمل
أن تكون كل واحدة سعيرا أو فيها سعير (ثانيها) لدوام العذاب عليهم فانه كلما نضجت
جلودهم تبدلهم جلودا كأنهم في كل زمان في سعير آخر وعذاب آخر (ثالثها) لسعة
السعير أن واحد كأنها سعر يقال للرجل الواحد فلان ليس برجل واحد بل هو رجال
* ثم قال تعالى عنهم (أنا أتى الذكر عليه من بينا بل هو كذاب أشير) وقد تقدم أن
الذي بطريق الاستفهام أبلغ لأن من قال ما أنزل عليه الذكر ربما يعلم أو يظن أو يتوهم
أن السامع يكذبه فيه فإذا ذكر بطريق الاستفهام يكون معناه أن السامع يحسبني بقوله
ما أنزل فيجمل الأمر خبيثا منفيبا ظاهرا لا يخفى على أحد بل كل أحد يقول ما أنزل
والذكر رسالة أو الكتاب أن كان ويحتمل أن يراد به ما ذكره من الله تعالى كما قال الحق

أنا إذا أي على تقدير
براعته له وهو منفرد
بنحن أمهجة (أي
ضلال) عن الصواب
وسعر أي جنون
فإن ذلك بمنزل من
مقتضى العقل وقيل كان
يقول لهم إن لم تتبعوني
كأنتم في ضلال عن الحق
وسعر أي نيران جمع سعير
مكسوا عليه عليه السلام
لغاية عتوهم فقالوا إن
أتبعناك كنا أذن كما تقول
(أنا أتى الذكر) أي
الكتاب والوحي عليه
من بينا) وفيما من هو
أحق منه بذلك (بل هو
كذاب أشير) أي ليس
الأمر كذلك بل هو
كذاب وكذا حله بطر
على الترفع علينا بما ادعاه

وراد به ما جعل من الله وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قولهم أأتى بدل أنزل وفيه إشارة
الى ما كانوا ينكرونه من طريق المبالغة وذلك لان الالتقاء انزال بسرعة والتي كان يقول
جاءني الوحي مع الملك في لحظة يسيرة فكانهم قالوا الملك جسم والسماء بعيدة فكيف ينزل
في لحظة فقالوا أأتى ولم قالوا أنزل وقولهم عليه انكار آخر كانهم قالوا ما أتى ذكر أصلا
ثم قالوا ان أأتى فلا يكون عليه من ينشأ وفيما من هو فوفقه في الشرف والذكاء وقولهم
أأتى بدلا عن قولهم أأتى الله للإشارة الى أن الالتقاء من السماء غير ممكن فضلا عن أن
يكون من الله تعالى (المسئلة الثانية) عرفوا الذكور ولم يقولوا أأتى عليه ذكر وذلك
لان الله تعالى حكى انكارهم لما لا ينبغي أن ينكر فقال انكروا الذكر الظاهر المبين الذي
لا ينبغي أن ينكر فهو كقول القائل نكروا المعلوم (المسئلة الثالثة) بل يستدعي أمرا
مضمر وبالله سابقا فاذاك نقول قولهم أأتى للانكار فهم قالوا ما أتى ثم ان قولهم أأتى
عليه الذكر لا يقتضي الا انه ليس بنبى ثم قالوا بل هو ليس بصادق (المسئلة الرابعة)
الكذاب فعال من فاعل المبالغة أو يقال بل من فاعل للنسب كخطاب وتمازى قول الاول هو
الصحيح الاظهر على ان الثانى من باب الاول لان المنسوب الى الشئ لا بد له من أن يكثر من
مزاولة الشئ فان من خاطب يوما ثوبه مرة لا يقال له خطاب اذا عرفت هذا فنقول المبالغة
اما في الكثرة واما في الشدة فالكذاب اما شديد الكذب يقول ما لا يقبله العقل أو كثير
الكذب ويحتمل أن يكونوا وصفوه به لاعتقادهم الامرين فيه وقولهم أشر إشارة الى انه
كذب بالضرورة وحاجة الى خلاص كما يكذب الضعيف وانما هو استغنى ويطر وطلب
الرياسة عليكم وأراد اتباعكم له فكان كل وصف مانعا من الاتباع لان الكاذب لا يلتفت
اليه ولا سيما اذا كان كذبه بالضرورة وفري أشر فقال المفسرون هذا على الاصل
المرفوض في الاشر والاخير على وزن أفعل التفضيل وانما رفض الاصل فيه لان أفعل
اذا فسر قد يفسر بأفعل أيضا واثاني بأفعل ثالث مثاله اذا قل ما معنى الاعلم يقال هو
الاكثر علما فاذا قيل الاكثر ماذا فيقال الازيد عددا أو شئ مثله فلا بد من أمر يفسر به
الأفعل لامن بابه فقالوا أفعل التفضيل والتفضيلة اصلها الخير والخير أصل في باب أفعل
فلا يقال فيه أخير ثم ان الشر في مقابلة الاخير ثم ان خيرا يستعمل في موضعين (أحدهما) مبالغة
وخير من كذا والآخر في مقابلة الاخير ثم ان خيرا يستعمل في موضعين (أحدهما) مبالغة
الخير بفعل أو أفعل على اخلاق يقال هذا خير وهذا أخير ويستعمل في مبالغة خير على
المشابهة لاعلى الاصل فن يقول أشر يكون قد ترك الاصل المستعمل لانه أخذ في الاصل
المرفوض بمعنى هو شر من غيره وكذا معنى الاعلم ان علمه خير من علم غيره أو هو خير من غيره
الجهل كذلك القول في الاضعف وغيره * ثم قال تعالى (سيعلمون عدا من الكذاب
الاشر) فان قال قائل سيعلم لا استقبال ووقت انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم
كانوا قد عملوا لان بعد الموت تبين الامور وقد عابوا ما عابوا فكيف القول فيه نقول

وقوله تعالى (سيعلمون
عدا من الكذاب
الاشر) حكاية لما قاله
تعالى لصالح عليه
السلام وصداله ووعد
لقومه والسين لتقرىب
مضمون الجملة وتأكيده
والمراد بالغد وقت نزول
العذاب أى سيعلمون
البته عن قريب من
ان الكذاب الاشر الذى
حمله أشره ويطره على
الترفع أصالح هو أم من
كذبه وقرى سيعلمون
على الالتفات لتشديد
التوبيخ أو على حكاية
ما أجابهم به صالح
وقرى الاشر كقولهم
حذر فى حذر وقرى
الاشر أى الابغ
فى الشرارة وهو أصل
مرفوض كالاخير
وفيل المراد بالغد يوم
القيامة وبأباه

فيه وجهان (احدهما) أن يكون هذا القول مفروض الوقوع في وقت قواهم بل هو
 كذاب أشد فكانه تعالى قال يوم قالوا بل هو كذاب أشد سيعلمون غدا (وثانيهما) أن
 هذا التهديد باللعذاب لا يحصل العلم باللعذاب إلا به وهو عذاب جهنم لا عذاب القبر
 فهم سيعذبون يوم القيامة وهو مستقبل وقوله تعالى غدا قرب الزمان في الامكان
 والاذهان ثم إن قلنا أن ذلك لانهديد باللعذاب لا للتكذيب فلا حاجة الى تفسيره بل يكون
 ذلك اعادة لقولهم من غير قصد الى معناه وإن قلنا هو الرد والوعيد ببيان انكشاف الامر
 وقوله تعالى سيعلمون غدا معناه سيعلمون غدا انهم المكذبون الذين كذبوا الحاجة وضرورة
 بل بطروا وأشروا لما استغفوا وقوله تعالى غدا يحتمل أن يكون المراد يوم القيامة
 ويحتمل أن يكون المراد يوم العذاب وهذا على الوجه الاول ثم قال تعالى (انامر سلوا
 الناقة فتعلمهم فارتقبهم واصطبر) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله انامر سلوا الناقة
 بمعنى الماضي أو بمعنى المستقبل ان كان بمعنى الماضي فكيف يقول فارتقبهم واصطبر
 وان كان بمعنى المستقبل فالفرق بين حكاية عاد وحكاية ثمود حيث قال هناك انا أرسلنا
 وقال ههنا انامر سلوا الناقة بمعنى اننا نرسل نقول هو بمعنى المستقبل وما قبله وهو قوله
 سيعلمون غدا يدل عليه فان قوله انامر سلوا الناقة كالبیان له كانه قال سيعلمون حيث
 نرسل الناقة وما بعده من قوله فارتقبهم ونبتهم أيضا يقتضي ذلك فان قيل قوله تعالى فنادوا
 دليل على ان المراد الماضي قلنا سنجيب عنه في موضعه وأما الفارق فنقول حكاية ثمود
 مستقصاة في هذا الموضع حيث ذكر تكذيب القوم بالنذر وقواهم لرسولهم وتصديق
 الرسل بقوله سيعلمون وذكر المجزة وهي الناقة وما فعلوه بها والعذاب والهلاك بذكر حكاية
 على وجه الماضي والمستقبل ليكون وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم كانه حاضرهما فيغندى
 بصالح في الصبر والدعاء الى الحق ويشق بر به في النصرة على الاعداء بالحق فقال انى مويدك
 بالمجزة القاطعة واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه السورة خمس قصص وجعل القصة
 المتوسطة مذكورة على أتم وجه لان حال صالح كان اكثر مشابهة بحال محمد صلى الله
 عليه وسلم لانه أتى بأمر عجيب أرضى كان أعجب مما جاء به الانبياء لان عيسى عليه
 السلام أحيا الميت لكن الميت كان محلا للحياة فثبت بأذن الله الحياة في محل كان قابلا
 لها وموسى عليه السلام انقلب عصاه ثعبانا فثبت الله له في الخشبة الحياة لكن الخشبة
 نبات كان له قوة في النماء يشبه الحيوان في النمو فهو أعجب وصالح عليه السلام كان الظاهر
 في يده خروج الناقة من الحجر والحجر جاد لا محل للحياة ولا محل للنمو والنبي صلى الله عليه
 وسلم أتى بأعجب من الكل وهو التصرف في جرم السماء الذى يقول المشرك لا وصول
 لاحد الى السماء ولا مكان لشقه وخرقه وأما الارضيات فقالوا انها أجسام مشتركة
 المواد يقبل كل واحد منها صورة الاخرى والسموات لا تقبل ذلك فلما أتى بما عرفوا فيه
 انه لا يقدر على مثله آدمى كان أتم وأبلغ من مجزة صالح عليه السلام التي هي أتم معجزة من

معجزات من كان من الانبياء غير محمد صلى الله عليه وسلم (وفيه لطيفة) وهو ان اسم المفاعل اذا كان بمعنى الماضي وذكر معه مفعوله فالواجب الاضافة تقول وحشي قاتل عم النبي صلى الله عليه وسلم فان قلنا قاتل عم النبي بالاعمال فلا بد من تقدير الحكاية في الحال كقافي قوله تعالى وكابهم باسط ذراعيه علي انه يحكي القصة في حال وقوعها تقول خرجت أمس فاذا زيدا ضارب عمرا كما تقول يضرب عمرا وان كان الضرب قد مضى واذا كان بمعنى المستقبل فالاحسن الاعمال تقول اني ضارب عمرا غدا فان قلت اني ضارب عمرو غدا حيث كان الامر وقع وكان جاز لكنه غير الاحسن والتحقيق فيه ان قولنا ضارب وسارق وقاتل أسماء في الحقيقة غيران لها دلالة على الفعل فاذا كان الفعل تحقق في الماضي فهو قد عدم حقيقة فلا وجود للفعل في الحقيقة ولا في التوقع فيجب الحمل على ما للاسم من الاضافة وترك ما للفعل من الاعمال لغلبة الاسمية وفقدان الفعل بالماضي واذا كان الفعل حاضرا أو متوقفا في الاستقبال فله وجود حقيقة أو في التوقع فتجوز الاضافة لصورة الاسم والاعمال لتوقع الفعل أو لوجوده ولكن الاعمال أولى لان في الاستقبال ان يضرب يفيد لا يكون ضارباً فلا ينبغي أن يضاف أما الاعمال فهو ينبي عن توقع الفعل أو وجوده لانه اذا قل زيدا ضارب عمرا فالسمع اذا سمع يضرب ثم وعلم أنه يفعل فاذا لم يره في الحال يتوقعه في الاستقبال غير ان الاضافة تفيد تخفيفاً حيث سقط بها التشوين والذون فتخار لفظاً لا معنى اذا عرفت هذا فنقول مرسلو الناقة مع ما فيه من التخفيف فيه تحقيق الامر وتقديره كانه وقع وكان بخلاف ما لو قيل اننا نرسل الناقة (المسئلة الثانية) فتنة مفعوله فتكون الفتنة هي المقصودة من الارسال لكن المقصود منه تصديق النبي صلى الله عليه وسلم وهو صالح عليه السلام لانه معجزة لما التحق في تفسيره نقول فيه وجهان (أحدهما) ان المعجزة فتنة لان بها يتميز حال من يشاب من يعذب لان الله تعالى بالمعجزة لا يعذب الكفار الا اذا كان يابئهم بمصدقهم من حيث نبوته فالمعجزة ابتلاء لانها تصديق وبعد التصديق يتميز المصدق عن المكذب (وثانيهما) وهو ادق أن اخراج الناقة من الصخرة كان معجزة وارسالها اليهم ودورانها في ايديهم وقسمه الماء كان فتنة ولهذا قال ان امرسلو الناقة فتنة ولم يقل انما خرجوا الناقة فتنة والحق في الفتنة والابتلاء والامتحان قد تقدم مرارا واليه اشارة حقة وهي ان الله تعالى يهدي من يشاء والهداية طرق منها ما يكون على وجه يكون الانسان مدخل فيه بالكسب مثاله يخلق شيئا دالا ويقع تفكر الانسان فيه ونظره اليه على وجه يرجع عنده الحق فيتبعه وتارة يلجئه اليه ابتداء ويصونه عن الخطأ من صفه فاطهار المعجر على يد الرسول أمر يهدي به من يشاء اهتداه مع الكسب وهداية الانبياء من غير كسب منهم بل يخلق فيهم علوماً غير كسبية فتقوله ان امرسلو الناقة فتنة اشارة اليهم ولهذا قال لهم ومعناه على وجه يصلح لان يكون فتنة وعلى هذا كل من كانت معجزته أظهر يكون ثواب قومه أقل

وقوله تعالى فارتقبهم أي فارتقبهم بالعذاب ولم يقل فارتقب العذاب إشارة إلى حسن
الآداب والاحتساب عن طلب الشر وقوله تعالى واصطبر يؤيد ذلك بمعنى أن كانوا يؤذونك
فلا تستجلب لهم العذاب ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى قرب الوقت إلى أمرهما والأمر
بحيث يعجز عن الصبر ثم قال تعالى (ونبشهم أن الماء قبضة بينهم كل شرب محتضر) أي
مقسوم وصف بالمصدر مراد به المشتق منه كقوله ماء ملح وقول زور وفيه ضرب من
المباغة يقال للكرم كانه هو عين الكرم ويقال فلان اطف محض ويحتمل أن يكون
القسم وقعت بينهما لأن الناقة كانت عظيمة وكانت حيوانات القوم تنفر منها ولا ترد
الماء وهي على الماء فصب عليهم ذلك فجعل الماء بينهما يوما للناقة ويوما للقوم ويحتمل
أن تكون لفة الماء فشر به يوما للناقة ويوما للحيوانات ويحتمل أن يكون الماء كان
بينهم قسمة يوم قوم ويوم قوم ولما خلق الله الناقة كانت ترد الماء يوما فكان الذي لهم
الماء في غير يوم وردوها يقولون الماء كلدنا في هذا اليوم ويومكم كان أسس والناقة
ما أخرت شيئا فلا تفسدكم من الورود أيضا في هذا اليوم فيكون التقصان وإرداء على الكل
وكانت الناقة تشرب الماء بأسرها وهذا أيضا ظاهر ومقول والمشهور هنا الوجه الأوسط
وتقول إن قوما كانوا يكتفون بلبسها يوم وردوها الماء والكل يمكن ولم يرد في شيء خبر
دواثر والثالث قطع وهو من القسمة لأنها مثبتة بكسب الله تعالى أما كيفية القسمة
والسبب فلا وقوله تعالى كل شرب محتضر ما يؤيد الوجه الثالث أي كل شرب محتضر
للقوم بأسرها لأنه لو كان ذلك لبيان كون الشرب محتضرا لقوم أو الناقة فهو معلوم
لأن الماء ما كان يترك من غير حضور وان كان لبيان أنه تحضره الناقة يوما والقوم يوما
فلا دلالة في اللفظ عليه وأما إذا كانت العادة قبل الناقة على أن يرد الماء قوم في يوم
وآخرون في يوم آخر ثم لما خلفت الناقة كانت تنقص شرب البعض وتترك شرب الباقين
من هيرنقصان فقال كل شرب محتضر كم أيها القوم فردوا كل يوم الماء وكل شرب ناص
تقاسموه وكل شرب كامل تقاسموه ثم قال تعالى (فنادوا صاحبهم) نداء المستغيث كأنهم
قالوا يا القسدار للقوم كما يقول القائل يا الله للمسلمين وصاحبهم قدار وكان إشجع وأهجم
على الأمور ويحتمل أن يكون رئيسهم وقوله تعالى (فعاطى فمقر) يحتمل وجوها
(الاول) فعاطى آلة العقر فمقر (الثاني) فعاطى الناقة فمقرها وهو أضعف (الثالث)
الفاطى يطلق ويراد به الإقدام على الفعل العظيم والتحقيق هو أن الفعل العظيم يقدم
كل أحد فيه صاحبه ويرى نفسه منه فن يقبله ويقدم عليه يقال فعاطاه كأنه كان فيد
تدافع فأخذه هو بعد التدافع (الرابع) أن القوم جعلوا له على عمله جعل فعاطاه وعقر
الناقة ثم قال تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) وقد تقدم بيانه وتفسيره غير أن
هذه الآية ذكرها في ثلاثة مواضع ذكرها في حكاية نوح بعد بيان العذاب وذكرها ههنا
قبل بيان العذاب وذكرها في حكاية عاد قبل بيانه وبعد بيانه فحيث ذكر قبل بيان العذاب

قوله تعالى (انا امرسلو
الناقة) الخ فانه استئناف
مسنوق لبيان مبادى
المسعود حتما أى
مخرجوها من الهضبة
خسبها أو (فنتلهم)
أى امتحنا (فارتقبهم)
أى فانتظرهم وتبعهم
ما يصنعون (واصطبر)
على أذيتهم (ونبشهم أن
الماء قسمة بينهم) مقسوم
لها يوم ولهم يوم وبينهم
لتغليب العقلاء (كل
شرب محتضر) يحضره
صاحبه في نوبته
(فنادوا صاحبهم) هو
قدار بن سالف أحيمر
ثمود (فعاطى فمقر)
فاجترأ على فعاطى
الامر العظيم غير مكثرت
له فاحداث العقر بالناقة
وقيل فعاطى الناقة
فمقرها أو فعاطى السيف
فقتلها والتعاطى تناول
الشيء بكلف (فكيف
كان عذابي ونذر)
الهكلام فيه كالذى
مر في صدر قصة عاد

ذكرها للبيان كما نقول ضربت فلانا أي ضرب وأما ضرب وتقول ضربته وكيف
ضربته أي فويأوفي حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان والاستفهام وقد ذكرنا السبب فيه
في حكاية نوح ذكرنا الذي للمعظم وفي حكاية نود ذكرنا الذي للبيان لأن عذاب قوم نوح كان
بأمر عظيم عام وهو البطوفان الذي عم العالم ولا كذلك عذاب قوم هود فإنه كان مختصا
بهم ثم قال تعالى (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحطّر) سمعوا صيحة
فاتوا وفيه مسائل (المسألة الأولى) كان في قوله فكانوا من أي الأقسام نقول قال النحاة
تجى تارة بمعنى صاروا تسكوا بقول القائل

بشيء فقر والمطى كأنها * فطال الحزن قد كانت فواخا يوضها

بمعنى صارت فقال بعض المفسرين في هذا الموضع أنها بمعنى صاروا التحقيق أن كان
لا يتخالف غيرها من الأفعال الماضية اللازمة التي لا تنحدي والذي يقال إن كان تامة
وناقصة وزائدة بمعنى صار فليس ذلك بوجوب اختلاف أحوالها اختلافًا يفارق غيرها
من الأفعال ذلك لأن كان بمعنى وجد أو حصل أو تحقق غير أن الذي وجد تارة يكون
حقيقة الشيء وأخرى صفة من صفاته فإذا قلت كانت الكائنة وكن فيكون جعلت
الوجود والمحصل الشيء في نفسه فكانت قلت وجدت الحقيقة الكائنة وكن أي
احصل فيوجد في نفس وإذا قلت كان زيد عالمًا أي وجد علم زيد غير أن نقول في وجد زيد
عالمًا إن عالمًا حال وفي كان زيد عالمًا نقول أنه خبر كقولنا حصل زيد عالمًا غير أن قولنا
وجد زيد عالمًا رينا يفهم منه أن الوجود والحصول زيد في تلك الحال كما نقول قام زيد
منهجا حيث يكون القيام زيد في تلك الحال وقولنا كان زيد عالمًا ليس معناه كان زيد وفي
تلك الحال هو عالم لكن هذا لا يوجب أن كان على خلاف غيره من الأفعال اللازمة التي
لها بالحال تعلق شديد لأن من يفهم من قولنا حصل زيد اليوم على أحسن حال ما يفهمه
من قولنا خرج زيد اليوم في أحسن زى لا يتبعه مانع من أن يفهم من قولنا كان زيد على
أحسن حال مثل ما فهم هناك * إذا عرفت هذا فنقول الفعل الماضي يطلق تارة على
ما يوجد في الزمان المتصل بالحاضر كقولنا قام زيد في صباه ويطلق تارة على ما يوجد في
الزمان الحاضر كقولنا قام زيد فقم وقم فان زيد أقام وكذلك القول في كان ر بما يقال كان
زيد قائمًا عام كذا وير بما يقال كان زيد قائمًا الآن كما في قام زيد فقوله تعالى فكانوا فيه
استعمال الماضي فيما اتصل بالحال فهو كقولك أرسل عليهم صيحة فاتوا أي متصلًا
بتلك الحال نعم لو استعمل في هذا الموضع صار يجوز لكن كان وصار كل واحد بمعنى في
نفسه وإنما يلزم حل كان على صار إذا لم يمكن أن يقال هو كذا كما في البيت حيث لا يمكن
أن يقال البيوض فراخ وأما هنا يمكن أن يقال هم كهشيم وأولا الكاف لا يمكن أن يقال
يجب حل كان على صار إذا كان المراد أنهم انقلبوا هشيمًا كما يقاب المعسوخ وليس
المراد ذلك (المسألة الثانية) ما الهشيم نقول هو المهشوم أي المكسور وسمى هاشم

(إنا أرسلنا عليهم صيحة
واحدة) هي صيحة
جبريل عليه السلام
(فكانوا) أي فصاروا
(كهشيم المحطّر)
أي كالشجر اليابس الذي
يتخذ من عمل الحظيرة
لأجلها وكالحشيش
اليابس الذي يجمعه
صاحب الحظيرة لما شيد
في الشتاء وقرى بفتح
الظاء أي كهشيم
الحظيرة أو الشجر
المتخذ لها

هاشم الهشم ما نريد في الجوان فبان ان شيم استعمال كثير في الخطب المتكسر الياس
فقال المتكسرون كانوا كالخشيش الذي يخرج من الخطأ بعد البلاغت واستدلوا
عليه بقوله تعالى هشيأ تدوء الرياح وهو من باب اقامة الصفة مقام الموصوف كما
يقال رأيت جرحا وشيأ تدوء (السئلة الثانية) يسأله بعضهم فتنه جعل أن يكون
التشبيه بكونهم يامسين كالخشيش بين الموتى الذين ماتوا من زمان وكأنه يقول سمعوا
الصيغة فكانوا كأنهم ماتوا من أيام ويحتمل أن يكون لانهم انغمسوا بعضهم الى بعض كما
ينغمس الرقباء عند الخوف داخلين بعضهم في بعض فاجتمعوا بعضهم فوق بعض كخطب
الخطاب الذي يصف شيأ فوق شيأ منتظرا حضور من يشتري منه شيأ من الخطاب الذي
عنده الخطب الكثير يجعل منه كالخطيرة ويحتمل أن يكون ذلك لبيان كونهم في الحميم
أي كانوا كالخطب الياس الذي لا وقيد فهو محقق لقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم وقوله تعالى فكانوا الجهنم خطبا وقوله آخر قوا فادخلوا نارا كذلك ماتوا
فصاروا كالخطب الذي لا يكون الا الحراق لان الهشم لا يصلح للبناء * ثم قال تعالى
(واقديسرنا القرآن لذكر فهل من مدكر) والتكرار للتذكير ثم بين حال قوم آخرين
وهم قوم لوط * فقال (كذبت قوم لوط بالنذر) ثم بين عذابهم واهلاكهم * فقال
(انا أرسلنا عليهم حاصبا الا آن لوط نجينا هم بسحر) وفيه مسائل (الاولى) الحاصب
ما حل من حصب اذا رمى الحصباء وهي اسم الحجارة والمرسل عليهم هو نفس الحجارة قال الله
تعالى وأمرنا عليهم حجارة من سجيل وقال تعالى عن الملائكة انزل عليهم حجارة من طين
فالمرسل عليهم ليس بحاصب فكيف الجواب عنه نقول الجواب من وجوه (الاول)
أرسلنا عليهم ريحا حاصبا بالحجارة التي هي الحصباء وكذا استعمال الحاصب في الريح الشديدة
فأقام الصفة مقام الموصوف (فان قيل) هذا ضعيف من حيث اللفظ والمعنى أما اللفظ
فلان الريح مؤنثة قال تعالى ريح صرصرة عاتية بريح طيبة وقال تعالى انا سنخزناله الريح
تجرى بأمره وقال تعالى غدوها شهر وقال تعالى في الرياح لواقح وما قال لقاحا ولا فحة
وأما المعنى فلان الله تعالى بين أنه أرسل عليهم حجارة من سجيل مسومة عليها علامة كل
واحد وهي لا تسمى حصباء وكان ذلك بأيدي الملائكة لا بالريح (نقول) نأبى الريح ليس
حقيقة وأما أصناف الغالب فيها التذكير كالأعصار قال تعالى اعصار فيه نار فاما كان
حاصب حجارة كان كالذي فيه نار وأما قوله كان الرمي بالسجيل لا بالحصباء وبأيدي
الملائكة لا بالريح فنقول كل ريح يرمى بحجارة يسمى حاصبا وكيف لا والسحاب الذي
يأتي بالبرد يسمى حاصبا تشبيها للبرد بالحصباء فكيف لا يقال في السجيل وأما الملائكة
فإنهم حركوا الريح وهي حصبى الحجارة عليهم (الجواب الثاني) المراد عذاب حاصب
وهذا أقرب لتأوله الملك والسحاب والريح وكل ما يفرض (الجواب الثالث) قوله حاصبا
هو أقرب من الكل لان قوله انا أرسلنا بديل على مرسل هو مرسل الحجارة وحاصبها فان

(واقديسرنا القرآن
لذكر فهل من مدكر
كذبت قوم لوط بالنذر
انا أرسلنا عليهم حاصبا
أي ريحا تحصبهم أي
ترميهم بالحصباء (الآل
لوط نجينا هم بسحر)
في سحر وهو آخر الليل
وقبل هو السادس الاخير
منه أي ملتبس بسحر

قبل كان ينبغي أن يقول حاصبيون نقول لما نريد ذكر الوصف في رجم يانوب الا فذلك كانه قال
 شيئا حاصبيا اذ لم يفسد بيان جنس العذاب لا يثبت من علمي رجم العذاب به عداوا دعلي من
 قال الرمح مؤنث لان ترك التانيث هناك كترك خلافة الجمع هذه (المسئلة الثانية) ما رتب
 الارسال على التكذيب بلغناه فلم يقل كذبت قوم لوط بل انذر قارسلما كما قال فقضنا أبواب
 السماء لان الحكاية مسوقة على مناسق ما تقدم من الحكايات فكانه قال فكيف كان
 عذابي ونذركما قال من قبل ثم فيكون لا علم لنا به وانما أنت تعلم فاجئنا فقال انا ارسلنا
 (المسئلة الثالثة) ما الحكمة في ترك العذاب حيث لم يقل فكيف كان عذابي كما قال
 في الحكايات الثلاث نقول لان التكرار ثلاث مرات بالغ وان هذا قال صلى الله عليه وسلم
 الاهل بلغت ثلاثا وقال صلى الله عليه وسلم فتكاهها باطل باطل باطل والادكار
 تكرر ثلاث مرات فبثلاث مرات حصل التاكيد وقد بينا أنه تعالى ذكر فكيف كان
 عذابي في حكاية نوح للتعظيم وفي حكاية ثمود والبيان وفي حكاية عاد هاهنا مرتين للتعظيم
 والبيان جميعا واعلم أنه تعالى ذكر فكيف كان عذابي في ثلاث حكايات أربع مرات فالمرّة
 الواحدة للانذار والمرات الثلاثة للتادكار لان المقصود حصل بالمرّة الواحدة وقوله تعالى
 فبأي آلاء ربكم تكذبان ذكره مرة للبيان وأعادها ثلاثين مرة غير المرة الاولى كما أعاد
 فكيف كان عذابي ونذر ثلاث مرات غير المرة الاولى فكان ذكر الآلاء عشرة امثال
 العذاب اشارة الى الرحمة التي قال في بيانها من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن
 جاء بالسئّة فلا يجزي الامثالها وستبين ذلك في سورة الرحمن (المسئلة الرابعة) الآل لوط
 استثناء مما اذا ان كان من الذين قال فيهم انا ارسلنا عليهم حاصبيا فالضمير في عليهم
 عائدا الى قوم لوط وهم الذين قال فيهم كذبت قوم لوط ثم قال انا ارسلنا عليهم لكن لم يستثن
 عند قوله كذبت قوم لوط وآله من قومه فيكون آله قد كذبوا ولم يكن كذلك الجواب عنه
 من وجهين (أحدهما) أن الاستثناء من عاد اليهم الضمير في عليهم وهم القوم بأسرهم
 غير ان قوله كذبت قوم لوط لا يوجب كون آله مكذبين لان قول القائل عصي أهل بلدة كذا
 يصح وان كان فيها شر ذمّة قليلة يطعمون فكيف اذا كان فيهم واحد او اثنان من المطيعين
 لا غير فان قيل ماله حاجّة الى الاستثناء لان قوله انا ارسلنا عليهم يصح وان نجما منهم طائفة
 يسيرة نقول الفائدة لما كانت لا تحصل الا ببيان اهلاك من كذب وانجاء من آمن فكان
 ذكر الانجاء مقصودا وحيث يكون القليل من الجم الكثير مقصودا لا يجوز التعميم
 والاطلاق من غير بيان حال ذلك المقصود بالاستثناء أو بكلام منفصل مثاله فسجدوا
 للملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استثنى الواحد لانه كان مقصودا وقال تعالى وأوتيت
 من كل شيء ولم يستثن اذ المقصود بيان انها أوتيت لا بيان انها ما أوتيت وفي حكاية ابليس
 كلاهما مراد ليعلم أن من تكبر على آدم هو قبح ومن تواضع أنيب كذلك القول ههنا
 وأما عند التكذيب فكان المقصود ذكر المكذبين فلم يستثن (الجواب الثاني) ان

الاستثناء من كلام مدلول عليه كانه قال انا ارسلنا عليهم حاصبا فأتينا من الحاسب
 الآل لوط وجاز أن يكون الارسلان عليهم والاهلاك يكون عاما كافي قوله تعالى واتقوا
 فتنة لا تصيبين الذين ظلموا منكم خاصة فكان الحاسب أهلك من كان الارسلان عليه
 مقصودا ومن لم يكن كذلك كاطفالهم ودوابهم ومساكنهم فأتينا منهم احدا الآل لوط
 فان قيل اذا لم يكن الاستثناء من قوم لوط بل كان من امر عام فيجب أن يكون لوط أيضا
 مستثنى نقول هو مستثنى عقلا لان من العاوم انه لا يجوز تركه وانجاء اتبعه والذي يدل
 عليه أنه مستثنى قوله تعالى عن الملائكة نحن أعلم بمن فيها لننجيه وأهله الا امرأته
 في جوابهم لآبراهيم عليه السلام حيث قال ان فيها لوطا فان قيل قوله في سورة الحجر الآل
 لوط انا لننجوهم الاستثناء من المجرمين وآل لوط لم يكونوا مجرمين فكيف استثنى منهم
 والجواب مثل ما ذكرنا (فاحدا الجوابين) انا ارسلنا الى قوم يصدق عليهم انهم مجرمون
 وان كان فيهم من لم يجرم (ثانيهما) الى قوم مجرمين باهلاكهم بعم الكل الآل لوط وقوله
 تعالى نجيتهم يسخر كلام مستأنف لبيان وقت الانجاء أو لبيان كيفية الاستثناء لان آل
 لوط كان يمكن أن يكونوا فرس ولا يصيبهم الحاسب كافي عاد كانت الريح تلع الكافر
 ولا يصيب المؤمن منها مكروء أو يجعل لهم مدفعا كافي قوم نوح فقال نجيتناهم يسخر أي
 أمرناهم بالخروج من القرية في آخر الليل والمحر فبيل الصبح وقيل هو السفس الأخير
 من الليل * ثم قال تعالى (نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر) أي ذلك الانجاء كان
 فضلا منا كان ذلك الاهلاك كان عدلا وأرأهلكوا لكان ذلك عدلا قال تعالى واتقوا
 فتنة لا تصيبين الذين ظلموا منكم خاصة قال الحكماء انفسوا الفاسد يقطع ولا بد أن يقطع
 معه جزء من الصحيح ليحصل استئصال الفساد غير ان الله تعالى قادر على التمييز التام فهو
 مختار ان شاء أهلك من آمن وكذب ثم بيث الذين أهلكهم من المصدقين في دار الجزاء وان
 شاء أهلك من كذب فقال نعمة من عندنا اشارة الى ذلك وفي نصيبها وجهان (أحدهما)
 انه مقفولة كانه قال نجيتناهم نعمة منا (ثانيهما) على انه مصدر لان الانجاء منه انقسام
 فكانه تعالى قال أنعمنا عليهم بالانجاء انعمنا وقوله تعالى كذلك نجزي من شكر فيه
 وجهان (أحدهما) ظاهر وعليه أكثر المفسرين وهو انه من آمن كذلك نجيه من
 عذاب الدنيا ولأنه لك وعد الامه محمد صلى الله عليه وسلم المؤمنين بانه يصونهم عن
 الاهلاكات العامة والسيئات المطبقة الشاملة (وثانيهما) وهو الاصح ان ذلك وعد لهم
 وجزاؤهم بالشواب في دار الآخرة كانه قال كما نجيتناهم في الدنيا أي كما أنعمنا عليهم نعم
 عليهم يوم الحساب والذي يؤيد هذا أن النجاة من الاهلاكات في الدنيا ليس يلزم ومن
 عذاب الله في الآخرة لازم بحكم الوعيد وكذلك ينجي الله الشاكرين من عذاب النار
 ويذر الظالمين فيه ويدل عليه قوله تعالى من يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب
 الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكر وقوله تعالى فأتانا بهم الله بما قالوا جنات تجري

(نعمة من عندنا) أي
 انعمنا منا وهو صلة نجيتنا
 (كذلك) أي مثل ذلك
 الجزاء العجيب (نجزي
 من شكر) نعمتنا بالايمن
 والطاعة

لواقصرت على الذين آمنوا فصحت صلاتهم لم يكن كلاما فلو ما ولو قلت الذين صلوا
فصحت صلاتهم صحح الكلام فعلم أن الضمير عائدا إلى ما حصل بعد قوله راودوه والضمير في
راودوه عائدا إلى المنذرين المتتارين بالندب (المسئلة الثانية) قال ههنا فطمسنا أعينهم
وقال في بس واوشاء لطمسنا على أعينهم فالقرق نقول ههنا بما يؤيد قول ابن عباس
فانه نقل عنه أنه قال المراد من الطمس الحجب عن الادراك فاجعل على بصرهم شئ غير
انهم دخلوا ولم يروا هناك شيئا فكانوا كالعموسين وفي بس أراد انه لو شاء لجعل على
بصرهم شئ أو أي الزق احد الجفنين بالآخر فيكون على العين جلدة فيكون قد طمس
عليها وقال غيره انهم عموا وصارت عينهم مع وجههم كالصفحة الواحدة وبؤيد قوله
تعالى فذوقوا عذابي لانهم ان يقوا بصيرين ولم يروا شيئا هناك لا يكون ذلك عذابا
والطمس بالمعنى الذي قاله غير ابن عباس عذاب فنقول الاولى أن يقال انه تعالى حكى
ههنا ما وقع وهو طمس العين واذهب ضوؤها وصورتها بالكلية حتى صارت وجوههم
كالصفحة المساء ولم يكن لهم الانكار لانه أمر وقع وأما هناك فقد خوفهم بالمكن المقدور
عليه فاختر ما يصدق على كل أحد ويعرف به وهو الطمس على العين لان اطباق الجفن على
العين أمر كبير الوقوع وهو بقدره الله تعالى وارا دته فقال واوشاء لطمسنا على أعينهم
وما شقنا جفنتهم عن عينهم وهو أمر ظاهر الامكان كبير الوقوع والطمس على ما وقع
لقوم لوط نادر فقال هناك على أعينهم ليكون أقرب الى القبول (المسئلة الثالثة) قوله
تعالى فذوقوا عذابي ونذر خطاب بمن وقع ومع من وقع فلنا فيه وجوه (أحدها) فيه
اضمار تقديره قلت على لسان الملائكة ذوقوا عذابي (ثانيها) هذا خطاب مع كل
مكذب تقديره كنتم تكذبون فذوقوا عذابي فانهم لما كذبوا ذاقوه (ثالثها) ان هذا
الكلام خرج مخرج كلام الناس فان الواحد من الملوك اذا أمر بضرب مجرم وهو شديد
الغضب فاذا ضرب ضربه يصرخ ويصرخ والملك يسمع صراخه يقول عند سماع
صراخه ذق المك مجرم مستأهل ويعلم ان المك لا يسمع كلامه ولها طاب بكلامه
المستغيب انصاره وهذا كثير فكذلك لما كان كل أحد يرى من الله تعالى يسمع اذا
عذب معاندا كل فدسحنا الله عليه يقول ذق المك أنت اعز من الكريم ذوقوا لقاء يومكم
هذا فذوقوا عذابي ولا يكون به مخاطبة لمن يسمع ويجب وذلك اظهار العدل أي لست
بغافل عن تعذيبك فتخلص بالصراخ والضراعة وانما أنا بك عام وأنت له أهل لما قد صدر
منك فان قيل هذا وقع بغير الفاء واما بالقول وابقه فانه ربا يقول كنتم
تكذبون فذوقوا (المسئلة الرابعة) النذر بلفظ يذاق يقول معناه ذق فعلك أي مجازاة
فعلك وموجبه ومقال ذق الألم على فعلك وقوله فذوقوا عذابي كقولهم ذق الألم وقوله
ونذر كقولهم ذق فعلك أي ذق ما لزم من انذارى فان قيل فعلى هذا لا يصح العطف لان
قوله فذوقوا عذابي وما لزم من انذارى وهو العذاب يكون كقول القائل ذوقوا عذابي

وعذابي تقول قوله تعالى ذوقوا عذابي أي العاجل منه وما لزمن من اتذاري وهو العذاب
 الآجل لان الانذار كان به على ما تقدم بيانه فكانه قال ذوقوا عذابي العاجل وعذابي
 الآجل فان قيل هما لم يكونا في زمان واحد فكيف يقال ذوقوا تقول العذاب الآجل
 أوله متصل بآخر العذاب العاجل فهما كما واقع في زمان واحد وهو كقوله تعالى أغرقوا
 فادخلوا ناراً ثم قال تعالى (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) أي العذاب الذي
 عما تقوم بعد الخاص الذي طمس بصين البعض وفيه مسائل (المسئلة الاولى) صبحهم
 فيه دلالة على الصبح فاصبح بكرة نقول فأنه تبين انظر افة فيه فقوله بكرة يحتمل وجهين
 (احدهما) انها منصوبة على انها ظرف ومثله نقول في قوله تعالى لسرى بعبد ليل
 وفيه بحث وهو ان المصحفي قال ما للقائدة في قوله ليل لا وقال جوابا في التذكير دلالة
 على أنه صكان في بعض الليل وتمسك بقراءة من قرأ من الليل وهو غير ظاهر والاظهر
 فيه ان يقال بأن الوقت المبهم يذكر لبيان ان تعيين الوقت ليس بقصود المتكلم وانه
 لا يريد بيانه كما يقول خرجنا في بعض الاوقات مع ان الخروج لا بد من ان يكون في
 بعض الاوقات فانه لا يريد بيان الوقت المعين واو قال خرجنا فجر بما يقول السامع متى
 خرجتم فاذا قال في بعض الاوقات أشار الى أن غرضه بيان الخروج لاتعين وقته فكذلك
 قوله تعالى صبحهم بكرة أي بكرة من البكر وأسرى بعبد ليل أي ليل من الليالي فلا يبينه
 فان المقصود نفس الاسراء ولو قال أسرى بعبد من المسجد الحرام لكان لا يسمع أن
 يقول بما لبلة فاذا قال ليلة من الليالي قطع سؤاله وصار كانه قال لا يبينه وان كان القليل
 من يجوز عليه الجهل فانه يقول لا اعلم الوقت فهذا أقرب فاذا علمت هذا في أسرى ليل فاعلم
 مثله في صبحهم بكرة ويحتمل ان يقال على هذا الوجه صبحهم بمعنى قال لهم عواصبا
 استمراء بهم كما قال فبشرهم بعذاب أليم فكانه قال جاءهم العذاب بكرة كالصبح والاول
 أصح ويحتمل قوله تعالى صبحهم بكرة على قولنا انها منصوبة على الظرف ما لا يحتمله
 قوله تعالى أسرى بعبد ليل وهو أن صبحهم معناه أتاهاهم وقت الصبح لكن التصحيح بطلق
 على الاتيان في أزمنة كثيرة من أول الصبح الى ما بعد الاسفار فاذا قال بكرة افادته
 كان اول جزء منه وما أخر الى الاسفار وهذا الوجه واليق لان الله تعالى اوعدهم به وقت
 الصبح بقوله ان موعدهم الصبح وكان من الواجب بحكم الاخبار تحققه بمجيء العذاب
 في أول الصبح ومجرد قوله صبحهم ما كان يفيد ذلك وهذا أقوى لانك تقول صبيحة
 امس بكرة واليوم بكرة فيأتي فيه ما ذكرنا من ان المراد بكرة من البكر (الوجه الثاني)
 انها منصوبة على المصدر من باب ضربته سوطا ضربا فان المنصوب في ضربته ضربا
 على المصدر وقد يكون غير المصدر كما في ضربته سوطا لا يقال ضربته سوطا بلين احد
 انواع الضرب لان الضرب قد يكون بسوط وقد يكون بغيره وأما بكرة فلا يبين ذلك لاننا
 نقول قد بينا ان بكرة بين ذلك لان الصبح قد يكون بالاتيان وقت الاسفار وقد يكون بالاتيان

(ولقد صبحهم بكرة)
 وفري بكرة غير مصروفة
 على أن المراد بها أول
 نهار مخصوص (عذابه)
 مستقر لا يفارقهم حتى
 يسلمهم الى النار وفي وصفه
 بالاستقرار ايماء الى أن
 ما قبله من عذاب الطمس
 ينتهي اليه

بالإكراه فان قيل مثله يمكن ان يقال في اسرى بعبدته لئلا قلنا نعم فان قيل ليس هنالك بيان
نوع من أنواع الأسراء نقول هو كقول القائل ضربته شيئا فاشيئا لا بد منه في كل ضرب
ويصح ذلك على انه نصب على المصدر وفائدته ما ذكرنا من بيان عدم تعلق الغرض
بانواعه وكان القائل يقول اني لا بين ما ضربته به ولا احتاج الى بيانه لعدم تعلق المقصود
به لقطع سؤال السائل اذا ضرب به بسوط او بعصا فكذلك القول في اسرى بعبدته ايلا
يقطع سؤال السائل عن الأسراء لان الأسراء هو السراول الليل والسرى هو السير آخر
الليل او غير ذلك (المسئلة الثانية) مستقر يحتمل وجوها (احدها) عذاب لا مدفع له اي
يستقر عليهم ويثبت ولا يقدر احد على ازالته ورفع او حالته ودفعه (ثانيها) دائم قائم
لما اهلكوا ونقلوا الى الجحيم فكان ما اتاهم عذاب لا يندفع بموتهم فان الموت يخلص من
الآلم الذي يجده المضروب من الضرب والمحسوس من الحبس وموتهم ما خلسهم (ثالثها)
عذاب مستقر عليهم لا يتعدى غيرهم أي هو امر قد قدره الله عليهم وقرره فاستقر وليس كما
يقال انه امر اصابهم اتفاقا كالبرد الذي يضرب زرع قوم دون قوم ويظن به انه امر
اتفاق وليس اوخرجوا من اماكنهم ليخربوا كاتجا آل لوط بل كان ذلك يتبعهم لانه كان
أمرا قد استقر (المسئلة الثالثة) الضمير في صيغتهم طائد الى الذين عاد اليهم الضمير في أحسنهم
فيعود لفظا اليهم القرب ومعنى الى الذين تماروا بالندرا والذين عاد اليهم الضمير في قوله
ولقد أنذرهم بطشتنا ثم قال تعالى (فذوقوا عذابي ونذر) مرة أخرى لان العذاب كان
مرتين (أحدهما) خاص بالمرادين والآخر عام (ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر) قد فسرنا امر اراوينا ما لاجله كرر تكرارا ثم قال تعالى (ولقد جاء آل
فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) وفيه مسائل (المسئلة
الاولى) ما الفائدة في لفظ آل فرعون بدل قوم فرعون نقول القوم أعم من آل فاقوم
كل من يقوم الرئيس بأمرهم أو يقومون أمره والآل كل من يؤل الى الرئيس خسرهم
وشرهم أو يؤل اليهم خيره وشره فالعبد الذي لا يعرفه الرئيس ولا يعرف هو عين الرئيس
وانما يسم اسمه فليس هو بالآله اذا عرفت الفرق نقول قوم الانبياء الذين هم غير موسى
عليهم السلام لم يكن فيهم قاهر يشهر كل ويجمعهم على كلمة واحدة وانما كانوا هم
رؤساء واتباعا وله ساد اذا كثرت ذنوبهم حكم نافذ على احد ما على من هو مثله
فظاهره امان على الارذل فلا تنهم للجئون الى واحد منهم ويدفون به الآخر فيصير كل
واحد برأسه فكان الارسال اليهم جميعا وأما فرعون فكان قاهرا يشهر الكل وجعلهم
بحيث لا يخالفونه في قليل ولا كثير فارسل الله اليه الرسول وحده غير انه كان عنده جماعة
من التابعين المقربين مثل قارون وقسم عنده لما له العظيم وهامان لدهاته فاعتبرهم الله في
الارسال حيث قال في مواضع ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وهامان وقال تعالى
بآياتنا الى فرعون وهامان وقارون وقال في العنكبوت وقارون وفرعون وهامان ولقد

(فذوقوا عذابي ونذر)
حكاية لما قيل لهم حينئذ
من جهة تعالى أشد
للعذاب (ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من
مدكر) مرافيه من الكلام
(ولقد جاء آل فرعون
النذر) صدرت قصتهم
بالتركيب القسبي لا يراز
كالي الاعتناء بشأنها الغاية
عظم ما فيها من الآيات
وكثرة ما هول ما لا قوة
من العذاب وقوة إيجابها
للاعتاظ والاكتفاء بذكر
آل فرعون للعلم بان نفسه
أولى بذلك أي وبالله لقد
جاءهم الانذرات وقوله
تعالى (كذبوا بآياتنا كلها)
استشاف مبنى على سؤال
نشأ من حكاية يحيى النذر
كانه قيل فماذا فعلوا
حينئذ قبل كذبوا بجميع
آياتنا وهي الآيات التسع
(فأخذناهم أخذ عزيز
لا يضال) مقتدر لا يعجز
شي

جاءهم موسى لانهم ان آمنوا آمن الكل بخلاف الاقوام الذين كانوا قبلهم وبسببهم
 قتالهم لآل فرعون النذر وقال كثيرا مال هذا كما في قوله ادخلوا آل فرعون أشد
 العذاب وقال تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال بلغظ الملا ايضا
 كثيرا (المسئلة الثانية) قال ولقد جاءوا لم يقل في غيرهم جاء لان موسى عليه السلام ما جاءهم
 كما جاء المرسلون اقوامهم بل جاءهم حقيقة حيث كان غالبيا عن القوم فتقدم عليهم
 وبهذا قال تعالى فلما جاء آل لوط المرسلون وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم
 حقيقة ايضا لانه جاءهم من الله من السموات بعد المراج كما جاء موسى قومه من الطور
 حقيقة (المسئلة الثالثة) النذران كان المراد منها الانذرات وهو الظاهر فالكلام الذي
 جاءهم على لسان موسى ويده تلك وان كان المراد الرسل فهو لان موسى وهرون عليهما
 السلام جاءهم وكل مرسل تقدمهما جاء لانهم كلهم قالوا ما قالا من التوحيد وعبادة الله
 وقوله بعد ذلك كذبوا بآياتنا من خير فاد تفتضى ترتب التكذيب على المحي فيه وجهان
 (أحدهما) ان الكلام ثم عند قوله ولقد جاء آل فرعون النذر وقوله كذبوا كلام
 مستأنف والضمير عائد الى كل من تقدم ذكرهم من قوم نوح الى آل فرعون (ثانيهما)
 ان الحكاية مسوقة على سياق ما تقدم فكأنه قال فكيف كان عذابي ونذر وقد كذبوا
 بآياتنا كلها فاخذناهم وعلى الوجه الاول آياتنا كلها ظاهرة وعلى الوجه الثاني المراد
 آياته التي كانت مع موسى عليه السلام وهي التسع في قول أكثر المفسرين ويحتمل
 أن يقال المراد انهم كذبوا بآيات الله كلها السمعية والعقلية فان في كل شيء آية تدل
 على انه واحد وقوله تعالى فاخذناهم اشارة الى انهم كانوا كاذبين أولي انهم حاصون
 يقال أخذنا الامير فلانا اذا حبسه وفي قوله عزيز مقتدر لطيفة وهي ان العزيز المراد منه
 الغالب لكن العزيز قد يكون يغلب على العدو ويظفر به وفي الاول يكون خير ممكن
 من أخذه لبعده ان كان هاربا ولعننه ان كان محاربا فقال أخذناهم لم يكن عاجزا وانما
 كان مهلا ثم قال تعالى (أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر) تنبيههم
 لتلاي آمنوا العذاب فانهم ليسوا بخير من أولئك الذين أهلكوا وفيه مسائل (المسئلة
 الاولى) الخطاب مع أهل مكة فينبغي أن يكون كفارهم بعضهم والافعال أنهم خير من
 أولئكم واذا كان كفارهم بعضهم فكيف قال أم لكم براءة ولم يقل أم لهم كما يقول
 القائل جاءنا الكرماء فآكرمناهم ولا يقول فآكرمناكم نقول الجواب عنه من
 وجهين (أحدهما) ان المراد منه أكفاركم المستمرون على الكفر الذين لا يرجعون وذلك
 لان جميعا عظيما من كان كافرا من أهل مكة يوم الخطاب ايقنوا بوقوع ذلك والعذاب
 لا يقع الا بعد العلم بأنه لم يبق من القوم من يؤمن فقال الذين بصرون منكم على الكفر
 يا أهل مكة خير ام الذين اصروا من قبل فيصح كون التهديد مع بعضهم واما قوله تعالى
 أم لكم براءة ففيه وجهان (أحدهما) أم لكم لعمومكم براءة فلا يخاف المصير منكم

(أكفاركم) براءة
 العرب (خير) قوة وشدة
 وعدة وعدة أو مكانة
 (من أولئكم) الكفار
 المعدودين والمعنى أنه
 أصابهم ما أصابهم مع
 ظهور خير يتهم أنكم
 فيما ذكر من الأمور فهو
 قطع مؤن أن لا يصيبكم
 مثل ذلك وأنتم شمر منه
 مكانا وأساوأ حالا وقوله
 تعالى (أم لكم براءة
 في الزبر) اضرب
 وانتقال من التبييت
 بما ذكر الى التبييت
 بوجه آخر أي بل ألكم
 براءة وأمن من تبعات
 ما تعملون من الكفر
 والمعاصي وغوائلها
 في الكتب السماوية
 فلذلك تصرون على
 ما أنتم عليه وقوله تعالى

لكونه في قوم لهم براءة (وثانيهما) أم لكم براءة ان أصبر رستم فيكون الخطاب عاما والتهديد
 كذلك فالشرط غير مذكور وهو الاصرار (المسئلة الثانية) ما المراد بقوله خير وقول
 القائل خير يقتضي اشتراك امرين في صفة محمودة مع رجحان احدهما على الآخر ولم
 يكن فيهم خير ولا صفة محمودة نفصول الجواب عنه من وجوه (احدها) منع اقتضاء
 الاشتراك يدل عليه قول حسان * فشر كالخير كالانقضاء * مع اختصاص الخير بالنبي عليه
 السلام والامر عن هجاء وعادم اشتراكهما في شيء منهما (ثانيها) ان ذلك طائد الى ما في
 زعمهم اى يزعم كفاركم انهم خير من الكفار المتقدمين الذين اهلكوا وهم كانوا
 يزعمون في انفسهم الخير وكذا فيمن تقدمهم من عبدة الاوثان ومكذبي الرسل وكانوا
 يقولون ان الهلاك كان بأسباب سماوية من اجتماع الكواكب على هيئة مذمومة
 (ثالثها) المراد اكفاركم اشد قوة فكانه قال اكفاركم خير في القوة والقوة محمودة في
 العرف (رابعها) ان كل موجود يمكن فقيه صفات محمودة واخرى غير محمودة فاذا نظرت
 الى المحمودات في الموضوعين وقابلت احدهما بالآخرى تستعمل فيها لفظ الخير وكذلك في
 الصفات المذمومة تستعمل فيها لفظ الشر فاذا نظرت الى كافرين وقلت احدهما خير
 من الآخر فلك حينئذ ان تريد احدهما خيرا من الآخر في الحسن والجمال واذا نظرت
 الى مؤمنين بوذيالك قلت احدهما شر من الآخر اى في الاذية لا الايمان فكذلك ههنا
 اكفاركم خير لان النظر وقع على ما يصلح بخلاصهم من العذاب فهو كما يقال اكفاركم
 قبيحون لشيء مما يخلصهم لم يكن في غيرهم ففهم خبرا لشيء فيهم يخلصهم لكن الله بفضلهم
 لا بخلاصهم (المسئلة الثالثة) أم لكم براءة اشارة الى سبب آخر من أسباب الخلاص
 وذلك لان الخلاص اما ان يكون بسبب أمر فيهم أو لا يكون كذلك فان كان بسبب
 أمر فيهم وذلك السبب لم يكن في غيرهم من الذين تقدموهم فيكونون خيرا منهم وان كان
 لا بسبب أمر فيهم فيكون بفضل الله وسماحة اياه وإيمانه اياه من العذاب فقال
 لهم أنتم خير منهم فلا تهلكوا ام لستم بخير منهم لكن الله آمنكم وأهلكم وكل واحد
 منهما منتف فلا تأمنوا وقوله تعالى أم لكم براءة في الزبر اشارة الى الطبيعة وهى ان العاقل
 لا يأمن الا اذا حصل له الجزم بالامن أو صار له آيات تقرب الامر من القطع قال لكم براءة
 يوثق بها وتكون متكررة في الكتب فان الحاصل في بعض الكتب ربما يحتمل التأويل
 أو يكون قد تطرق اليه التحريف والتبديل كما في التوراة والانجيل فقال هل حصل لكم
 براءة متكررة في كتب تأمنون بسببها العذاب فان لم يكن كذلك لا يجوز الامن لكن
 البراءة لم تحصل في كتب ولا في كتاب واحد ولا في شبه كتاب فيكون أمنهم من غاية الغفلة
 وعند هاتين فضل المؤمن فانه مافى كتاب الله الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا
 من خلفه من الوعد لا يأمن وان بلغ درجة الاولياء والانبيا لما في آيات الوعد من احتمال
 التخصيص وكون كل واحد من يستثنى من الامة ويخرج عنها فالؤمن خائف والكافر

آمن في الدنيا وفي الآخرة الامر على العكس * ثم قال تعالى (أم يقولون نحن جميع
 منتصر) تيمنا لبيان أقسام الخلاص وحصره فيها وذلك لان الخلاص اما أن يكون
 لاستحقاق من يخلص من العذاب كما ان الملك اذا عذب جماعة ورأى فيهم من أحسن
 اليه فلا يعذبه ، واما ان يكون لاحد في الخاص كما اذا رأى فيهم من له ولد صغيرا وام ضعيفة
 فيرحه وانما يستحق ويكتب له الخلاص واما ان لا يكون فيه ما يستحق الخلاص بسببه
 ولا في نفس العذب مما يوجب الرحمة لئلا يفتقر عليه بسبب كثرة اعوانه وتغصب
 اخوانه كما اذا هرب واحد من الملك والتجأ الى عسكر ينعون الملك عند فكما اني القسمين
 الاولين كذلك في القسم الثالث وهو التمتع بالاعوان وتحرز الاخوان وفيه مسائل
 (المسئلة الاولى) في حسن الترتيب وذلك لان المستحق لذاته اقرب الى الخلاص من
 المرحوم فان المستحق لم يوجد فيه سبب العذاب والمرحوم وجد فيه ذلك ووجد المسامحة
 من العذاب وما لا سبب له لا يتحقق أصلا وماله مانع ر بما لا يقوى المانع على دفع السبب
 وما في نفس العذب من المانع اقوى من الذي بسبب الغير لان الذي من عنده يمنع الداعية
 ولا يتحقق الفعل عند عدم الداعية والذي من الغير بسبب التمتع لا يقطع قصده بل يجتهد
 فيه وربما غلب فيكون تعذيبه اضما في ما كان من قبل بخلاف من يرق له قلبه وتمنه
 الرحمة فانها وان لم تمنه لكن لا يزيد في حله وحبه وزادته في التعذيب عند القدرة فهذا
 ترتيب في غاية الحسن (المسئلة الثانية) جميع فيه فائدتان احدهما الكثرة والآخرى
 الاتفاق كانه قال نحن كثير متفقون قلنا الانتصار ولا يقوم غير هذه اللفظة مقامها من
 الالفاظ المفردة انما قلنا ان فيه فائدتين لان الجميع يدل على الجماعة بحروفه الاصلية من
 جمع و بوزنه وهو فاعل بمعنى مفعول على انهم جمع واجمعيتهم العصبية ويحتمل ان يقال
 معناه نحن الكل لا خارج عنا اشارة الى أن من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم لا اعتداد به
 قال تعالى في نوح أنو من لك واتبعك الارذاون الا الذين هم أرادوا لبادي الرأي وعلى هذا
 جميع يكون التنوين فيه لقطع الاضافة كأنهم قالوا نحن جميع الناس (المسئلة الثالثة)
 ما وجه افراد المنتصر مع ان نحن ضمير الجمع نقول على الوجه الاول ظاهرا لانه وصف الجراء
 الاخر الواقف خبرافه وكقول القائل أتم جنس متصروهم تنكير غائب والجمع كالجنس
 لفظه لفظ واحد ومعناه جمع فيه الكثرة وأما على الوجه الثاني فالجواب عنه من وجهين
 (أحدهما) أن المعنى وان كان جميع الناس لا خارج عنهم الا من لا يعتد به لكن لما قطع
 ونون مسارا كالنكر في الاصل فجاز وصفه بالنسبة نظرا الى اللفظ فعاد الى الوجه الاول
 (وثانيهما) أنه خبر بعد خبر ويجوز أن يكون أحد الخبرين معرفة والاخر تنكرة قال
 تعالى وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لا يريد وعلى هذا ف قوله نحن جميع منتصر
 افراد لمجاورة جميع ويحتمل ان يقال معنى نحن جميع منتصر أن جميعا بمعنى كل واحد كانه
 قال نحن كل واحد منا منتصر كما نقول هم جميعهم اقويا بمعنى أن كل واحد منهم قوى وهم

(أم يقولون نحن جميع
 منتصر) اضرب من
 التبيك المذكور الى
 وجه آخر من التبيك
 والاتفات لا بد ان
 باقتضاها لهم للاعراض
 عنهم واسقاطهم من
 رتبة الخطاب وحكاية
 قبائحهم لغيرهم أي بل
 يقولون واتقن بشوكتهم
 نحن أولو حزم ورأي
 امرنا يجتمع لانراهم ولا نضار
 او منتصر من الاعداء
 لا تغلب او متصرون
 بعضنا بعضا والافراد
 باعتبار لفظ الجمع

وقوله تعالى (سهرم الجمع) ربه ابعث لثالث ٨١٤ والذين اتواكيد أي سهرم جمعهم البتة (ويولون

كلهم على كل واحد على فترك الجمع واختار الافراد لعود الخبير الى كل واحد فانهم كانوا يقولون كل واحد منا على محمد صلى الله عليه وسلم كما قال أبي بن خلف الحمصي وهذا فيه معنى الطيف وهو أنهم ادعوا الى كل واحد غلب والله روعاهم باجمعهم بقوله (سهرم الجمع) يولون لدر) وهو انه أراد سوا القوة العامة بحيث يغلب كل واحد منهم محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى بين ضعفهم انظروا الذي يجمعهم باجمعهم بقوله ويولون الدبر وحينئذ يظهر سؤال وهو انه قال يولون الدبر ولم يقل يولون الادبار وقال في موضع آخر يولونكم الادبار ثم لا ينصرون وقال وانما كانوا اهادوا الله من قبل لا يولون الادبار وقال في موضع آخر فلا تلوهم الادبار فكيف تصحيح الافراد وما الفرق بين المواضع تقول أما التصحيح فظاهر لان قول القائل فعلوا كقوله فعل هذا وفعل ذلك وفعل الآخرون واو في الجمع تنوب مناب الواوات التي في العطف وقوله يولون بمثابة يول هذا الدبر ويول ذلك ويول الآخر أي كل واحد يول دبره وأما الفرق فتقول اقتضاء أو آخر الآيات حسن الافراد فقوله يولون الدبر افراده اشارة الى انهم في التولية كنفس واحدة فلا يتخلف أحد عن الجسم ولا يثبت أحد للرحم فهم كانوا في التولية كدبر واحد وأما في قوله فلا تلوهم الادبار أي كل واحد يوجد به ينبغي أن يثبت ولا يول دبره فليس المنهى هناك تلويتهم باجمعهم بل المنهى أن يول واحد منهم دبره فكل أحد منهم عن تولية دبره فجعل كل واحد برأسه في الخطاب ثم جمع الفعل بقوله فلا تلوهم ولا يتم الا بقوله الادبار وكذلك في قوله ولقد كانوا اهادوا الله أي كل واحد قال أنا ثبت ولا أول دبري وأما في قوله يولون الادبار فان المراد المناقون الذين وعدوا اليهود وهم مفرقون بدليل قوله تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وأما في هذا الموضع فهم كانوا ايدا واحدة على من سواهم ثم قال تعالى (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) اشارة الى ان الامر غير متصرا على انه زمانهم وادبارهم بل الامر أعظم منه فان الساعة موعدهم فانه ذكر ما يصيبهم في الدنيا من الدبر ثم بين ما هو منه على طريقة الاصرار هذا قول أكثر المفسرين والظاهر ان الانذار بالساعة عام لكل من تقدم كانه قال أهلكنا الذين كفروا من قبلك وأصر وأوقوم محمد عليه السلام ليسوا بخير منهم فيصيبهم ما أصابهم ان أصر واثم ان عذاب الدنيا ليس لاتمام المجازاة فاتمام المجازاة بالانيم الدائم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما الحكمة في اختصاص كون الساعة موعدهم مع انهم موعده كل أحد فنقول الموعده الزمان الذي فيه الوعد والوعده والمؤمن موعده بالخير ومأمور بالصبر فلا يقول هو متى يكون بل يفوض الامر الى الله وأما الكافر فغير مصدق فيقول متى يكون العذاب فيقال له اصبر فانه آت يوم القامة ولهذا كانوا يولون عجل لنا فطنا وقال ويستعجلونك بالعذاب (المسئلة الثانية) ادهى من أي شيء نقول يشتر وجهين (احدهما) بما مضى من انواع عذاب الدنيا (ثانيهما) ادهى الدواهي فلا داهية مثلها (المسئلة الثالثة) ما المراد من قوله وامر قنانيه وجهان (احدهما) هو

وقوله تعالى (سهرم الجمع) ربه ابعث لثالث ٨١٤ والذين اتواكيد أي سهرم جمعهم البتة (ويولون الدبر) أي الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس او ارادة ان كل واحد منهم يول دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سهرم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع يقول سهرم الجسم ويولون الدبر فعرفت تأويلها وقرئ سهرم الجسم أي الله عز وجل (بل الساعة موعدهم) أي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعدهم اصل عذابهم وهذا من ثلاثه (والساعة أدهى وأمر) أي في اقصى غاية من الغضاسة او المسارة والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدى الى الخلاص عنه واطهار الساعة في موقع اضماره لتربة تهو يلها

مبالغة من المر وهو مناسب لقوله تعالى فذوقوا عذابى وقوله ذوقوا مس سقر وعلى هذا فأدهى أى أشد وأمر أى ألم والفرق بين الشديد والألم ان الشديد يكون إشارة الى انه لا يطيقه احد لقوته ولا يدفعه احد بقوته مثاله ضعيف اتى فى ماء يغليه او نار لا يقدر على التخلص منها وقوى اتى فى بحر او نار عظيمة يستويان فى الألم والعذاب ويتساويان فى الأيلام لكن يفتقران فى الشدة فان نجاته الضعيف من الماء الضعيف بإعانة معين ممكن ونجاة القوى من البحر العظيم غير ممكن (ثانيهما) أمر مبالغة فى المار ادهى أكثر مرورا بهم إشارة الى الدوام فكانه يقول أشد وأدوم وهذا يختص بعذاب الآخرة فان عذاب الدنيا ان اشتد قتل المعبذب وزال فلا يدوم وان دام بحيث لا يقتل فلا يكون شديدا (ثالثها) انه المرير وهو من المرة التى هى الشدة وعلى هذا فاما أن يكون الكلام كما يقول القائل فلان نجف فنجيل وقوى شديد فأتى بلفظين مترادفين إشارة الى التأكيد وهو ضعيف واما أن يكون أدهى مبالغة من الداهية التى هى اسم الفاعل من دهاه أمر كذا اذا أصابه وهو أمر صعب لان الداهية صارت كالاسم الموضوع للشديد على وزن الباطنة والسأبة التى لا تكون من أسماء الفاعلين وان كانت الداهية أصلها ذلك غير انها استعملت استعمال الأسماء وكتبت فى أبوابها وعلى هذا يكون معناه ألزم واضيق أى هى بحيث لا تدفع ثم قال تعالى (ان المجرمين فى ضلال وسعر) وفى الآية مسائل (الاولى) فممن نزلت الآية فى حقه أكثر المفسرين اتفقوا على انها نازلة فى القدرية روى الواحدى فى تفسيره قال سمعت الشيخ رضى الدين المؤيد الطوسى بنى سابور قال سمعت عبد الجبار قال اخبرنا الواحدى قال اخبرنا ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج قال اخبرنا ابو محمد عبد الله الكعبى قال حدثنا حمدان بن صالح الاشجى حدثنا عبد الله بن عبد العزيز بن ابي داود حدثنا سفيان الثورى عن زباد بن اسمعيل الخزومى عن محمد بن عباد بن جعفر عن ابي هريرة قال جاء مشرك كوفرىش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القدر فأنزل الله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله اناكل شئ خلقناه بقدر وكذلك نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الآية نزلت فى القدرية يقرئ عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مجوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى فى قوله ان المجرمين فى ضلال وسعر وكثرت الاسماء فى القدرية وفيها ما بحث (الاولى) فى معنى القدرية الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم نزلت الآية فيهم فتقول كل فريق فى خالق الاعمال يذهب الى ان القدرى خصم فالجبرى يقول القدرى من يقول بالطاعة والمعصية ليستا بخلق الله وقضائه وقدره فهم قدرية انهم ينكرون القدر والمعتزلى يقول القدرى هو الجبرى الذى يقول حين يزنو ويسرق الله قدرى فهو قدرى لا يثبت القدر وهما جميعا يقولان لاهل السنة الذى يعترف بخلق الله وليس من العبد انه قدسدى والحق ان القدرى الذى نزل فيه الآية هو الذى ينكر القدر ويقول بأن

(ان المجرمين) من
الاولين والاخرين
(فى ضلال وسعر) أى
فى هلاك ونيران مسخرة
وقبل فى ضلال عن
الحق فى الدنيا ونيران
فى الآخرة وقوله تعالى
(يوم يسحبون) الخ
منسوب اما بما يفهم
من قوله تعالى فى ضلال
أى كأنون فى ضلال
وسعر يوم يجزون
(فى النار على وجوههم)
واما بقول مقدر بعده
أى يوم يسحبون يقال
لهم (ذوقوا مس سقر)
أى قاسوا حرها وألها
وسقر علم جهنم ولذلك
لم يصرف من سقرته
النار وصفرته اذا لوحته
والقول المقدر على
الوجه الاول حال من
ضخيم يسحبون

الحوادث كلها حادثة بالكواكب وانصافاتها ويدل عليه قوله جاد مشرك كفر يش
 يحاجون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فان مذهبهم ذلك وما كانوا يقولون مثل
 ما يقول المعتزلة ان الله خالق سلامة الاعضاء وقوة الادراك ومكنى من الطاعة
 والمعصية والله قادر على ان يخلق في الطاعة الجلاء والمعصية الجلاء وقادر على ان يطعم
 الفقير الذي اطعمه انا بفضل الله والمشركون كانوا يقولون انطعم من او يشاء الله اطعمه
 منكرين لقدرة الله تعالى على الاطعام واما قوله صلى الله عليه وسلم بحجوس هذه الامة هم
 القدرية فتقول المراد من هذه الامة اما الامة التي كان محمد صلى الله عليه وسلم مرسلا
 اليهم سواء آمنوا به او لم يؤمنوا كلفظ القوم واما ائمة الذين آمنوا به فان كان المراد الاول
 فالتدريعية في زمانه هم المشركون الذين أنكروا قدرة الله على الحوادث فلا يدخل فيهم
 المعتزلة وان كان المراد هو الثاني فتقول بحجوس هذه الامة يكون معناه الذين نسبتهم الى
 هذه الامة كنسبة الحجوس الى الامة المتقدمة لكن الامة المتقدمة اكثرهم ~~كفرة~~
 والحجوس نوع منهم اضعف شبهة واشد مخافة للعقل فكذلك القدرية في هذه الامة
 تكون نوعا منهم اضعف دليلا ولا يقتضي ذلك الجزم بكونهم في النار فالحق ان التدري
 هو الذي ينكر قدرة الله تعالى ان قلنا ان النسبة لاني او الذي يثبت قدرة غيره الله تعالى
 على الحوادث ان قلنا ان النسبة للاثبات وحينئذ قطع بكونه في ضلال وسعر وانه ذاتي
 من سقر (البحث الثاني) في بيان من يدخل في القدرية التي في النص من هو منتسب
 الى انه من امة محمد صلى الله عليه وسلم ان قلنا القدرية سموها بهذا الاسم لتفهم قدرة الله
 تعالى فالذي يقول لا قدرة لله على تحريك العبد بحركة هي الصلاة وحركة هي الزناهم ان
 ذلك امر ممكن لا يبعد دخوله فيهم واما الذي يقول بان الله قادر غيرانه لم يجبره وتركه مع
 داعية العبد كالوالد الذي يجرب الصبي في حمل شيء تركه معه لاجل العجز والوالد يلد للابتلاء
 والامتحان لا كالمفلوج الذي لا قوله اذا قل ان غيره اجل هذا فلا يدخل فيهم ظاهرا وان
 كان مخطئا وان قلنا ان القدرية سموها بهذا الاسم لاثباتهم القدرة على الحوادث
 لغير الله من الكواكب والجبري الذي قال هو الحائط الساقط الذي لا يجوز تكليفه
 بشيء لصدور الفعل من غيره وهم اهل الاياحة فلا شك في دخوله في القدرية فانه يكفر
 بنفيه التكليف واما الذي يقول خلق الله تعالى فينا الافعال وقدرها وكلفنا ولا يستل
 عما يفعل فاهو منهم (البحث الثالث) اختلف القائلون في التعصب ان الاسم بالمعتزلة
 احق ام بالاشاعرة فقالت المعتزلة الاسم بكم احق لان النسبة تكون للاثبات لا للنفي يقال
 للدهري دهرى لقوله بالدهر واثباته وللجاسي اياحي لاثباته الاياحة وللثوبية ثوبية
 لاثباتهم الاثنين وهما النور والظلمة وكذلك أمثاله وانتم تثبتون القدر وقالت الاشاعرة
 انصوص تدل على ان القدرية من ينش قدرة الله تعالى ومشرك كفر يش ما كانوا قدريين
 الا لاثباتهم قدرة لغير الله قالت المعتزلة انما سمي المشركون قدرية لانهم قالوا ان كان

قادرا على الحوادث كما تقول يا محمد فلو شاء الله لهدانا ولو شاء لا طعم الفقير فاعتقدوا
أنهم لو ازم قدرة الله تعالى على الحوادث خلقه الهداية فيهم ان شاء وهذا مذهبكم أيها
الاشاعرة والحق الصراح ان كل واحد من المسلمين الذين ذهبوا الى المذهبين خارج
عن القدرة ولا يصبر واحد منهم قدرا بالاداء انما هو الثاني نافيا للقدرة والمثبت مشكرا
للتكليف (المسئلة الثانية) المجرمون هم المشركون ههنا كما في قوله تعالى ولو ترى اذ
المجرمون ناكسوا رؤسهم وقوله يوم المجرم لو يفتدى وفي قوله يعرف المجرمون بسيماهم
قالاية طامة وان نزلت في قوم خاص وجرمهم تكذيب الرسل والندب بالاشراك والكار
الحشر وانكار قدرة الله تعالى على الاحياء بعد الامانة وعلى غير من الحوادث (المسئلة
الثالثة) في ضلال وسر يحفل وجوها ثلاثة (أحدها) الجمع بين الامرين في الدنيا أي هم
في الدنيا في ضلال وجنون لا يعقلون ولا يمتدون وعلى هذا فقولهم يستحبون بيان حالهم في
تلك الصورة وهو اقرب (ثانيها) الجمع في الآخرة أي هم في ضلال الآخرة وسر أيضا
اما السر فكونهم فيها ظاهرا واما الضلال فلا يجدون الى مقصدهم أو الى ما يصلح مقصدا
وهم مخبرون سبيلا فان قيل الصحيح هو الوجه الاخير لا غير لان قوله تعالى يوم يستحبون
طرف القول أي يوم يستحبون يقال لهم ذوقوا وسنين ذلك فنقول يوم يستحبون يحتمل أن
يكون منصوبا عاملا مذكورا ومفهوما غير مذكورا والاحتمال الاول له وجهان
(أحدهما) العامل سابق وهو معنى كائن ومستقر غير ان ذلك صار نسيانسيا (ثانيهما)
العامل متأخر وهو قوله ذوقوا تقديره ذوقوا من سقر يوم يستحب المجرمون والخطاب
حينئذ من خطوب بقوله اكفاركم خير من أئسكم ام لكم براءة (والاحتمال الثاني) ان
المفهوم هو أن يقال لهم يوم يستحبون ذوقوا وهذا هو المشهور وقوله تعالى ذوقوا
استعارة وفيه حكمة وهو أن الذوق من جملة الادراكات فان المذوق اذا لاقى اللسان
يدرك أيضا حرارته وبرودته وخشونته وملاسته كما يدرك سائر أعضائه الحسية ويدرك
أيضا طعمه ولا يدرك غير اللسان فادراك اللسان أعم فاذناذى من نارناذى بحرارته
ومراته ان كان الحار أو غيره لا ينادى بالبحرارة فاذن الذوق ادراك لمسى أعم من غيره
في الملوسات فقال ذوقوا اشارة الى أن ادراكهم بالذوق أعم الادراكات فيجتم في
العذاب شدته وإيلامه بطيئته ودوامه ويكون المدرك له لا عذر له يشغله وانما هو
على أنهم ما يكون من الاثم يحصل الام العظيم وقد ذكرنا ان على قول الاكثرين يقال
لهم او نقول مضمر وفهمنا لا حاجة الى الاضمار اذا كان الخطاب مع غير من قبل في
حتمهم ان المجرمين في ضلال فانه يصير كأنه قال ذوقوا ايها المكذبون بمحمد صلى الله عليه
وسلم فس سقر يوم يستحب المجرمون المتقدمون في النار ثم قال تعالى (انا كل شيء خلقناه
بقدر) وفيه مسائل (الاولى) المشهور ان قوله انا كل شيء متعلق بما قبله كأنه قال ذوقوا
فانا كل شيء خلقناه بقدر أي هو جزء لمن أنكر ذلك وهو كقولهم تعالى ذق انك انت العزيز

انا كل شيء من الاشياء
(خلقناه بقدر) أي
متناسبا بقدر معين اقتضته
الحكمة التي عليها يدور
أمر النكون أو مقدرها
مذكور في اللوح قبل وقوعه
وكل شيء منصوب بفعل
يفسر ما بعده وقرئ
بالرفع على أنه مبتدأ
وخلقناه خبره

قوله وجوها ثلاثة سقط
الثالث وهو التفریق
فقوله في ضلال أي
في الدنيا وسر أي نيران
في الآخرة وقوله هو
الوجه الاخير فيه انه
يناسب الثاني أيضا
وبالجملة فالعبارة تحتاج
لتحرير

الكريم والظاهر انه ابتداء كلام وتم الكلام عند قوله ذوقوا مس سقر ثم ذكر بستان
 اعداب لان عطف وما امرنا الا واحدة يدل على ان قوله انا كل شيء خلقناه بقدر ليس آخر
 الكلام ويدل عليه قوله تعالى انا له الخلق والامر وقد ذكر في الآية الاولى الخلق بقوله انا
 كل شيء خلقناه فيكون من اللائق ان يذكر الامر فقال وما امرنا الا واحدة واما ما ذكر
 من الجدل فنقول النبي صلى الله عليه وسلم تمسك عليهم بقوله ان المجرمين في ضلال الى قوله
 ذوقوا مس سقر واثباته اخرى على فصد التلاوة وام يقرأ الآية الاخيرة اكنفاء بعلم من علم
 الآية كما تقول في الاستدلالات لا تاكلوا اموالكم الآية ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله
 عليه الآية واذا تدابرت الآية الى خبر ذلك (المسئلة الثانية) كل قرى بالنصب وهو الاصح
 المشهور وبالرفع فنقرأ بالنصب فنصبه بفعل مضمر يفسره الظاهر كقوله والامر
 قدرنا وقوله والظالمين اعد لهم وذلك الفعل هو خلقناه وقد فسر قوله خلقناه كما قالنا
 خلقنا كل شيء بقدر وخلقناه على هذا لا يكون صفة لشيء كما في قوله تعالى ومن كل شيء
 خلقنا زوجين فغير ان هناك يمنع من ان يكون صفة كونه خالبا عن ضمير عائد الى الموصوف
 وههنا لم يوجد ذلك لما منع وعلى هذا فالآية حجة على المعتزلة لان ادعاءنا شيء فتكون
 داخلة في كل شيء فتكون مخلوقة لله تعالى ومن قرأ بالرفع لم يمكنه ان يقول كما يقول في
 قوله واما ما يود فهمه بناتهم حيث قرى بالرفع لان كل شيء نكرة فلا يصح مبتدأ فيلزمه ان
 يقول كل شيء خلقناه فهو بقدر كقوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار في المعنى وهذا
 الوجهان ذكرهما ابن عطية في تفسيره وذكر ابن المعتزلي تمسك بقراءة الرفع ويحتمل ان
 يقال القراءة الاولى وهو ان نصب له وجه آخر وهو ان يقال نصبه بفعل معلوم لا بمضمر
 مفسر وهو قدرنا او خلقنا كما قال انا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر او قدرنا كل شيء
 خلقناه بقدر وانما قلنا انه معلوم لان قوله ذلكم الله ربكم خالق كل شيء دل عليه وقوله
 وكل شيء عنده بمقدار دل على انه قدر وحيث لا يكون في الآية دلالة على بطلان قول
 المبتدئ وانما يدل على بطلان قوله الله خالق كل شيء واما على القراءة الثانية وهي الرفع
 فنقول جاز ان يكون كل شيء مبتدأ او خلقناه بقدر خبره وحيث تكون الجملة قائمة عليهم
 بابلغ وجهه وقوله كل شيء نكرة فلا يصلح مبتدأ ضعيف لان قوله كل شيء عم الاشياء كلها
 باسمها وليس فيه المحذور الذي في قولنا رجل قائم لانه لا يفيد فائدة ظاهرة وقوله كل شيء
 يفيد ما يفيد زيد خلقناه وعمر وخلقناه مع زيادة فائدة ولهذا يجوزوا ما اخبرناك
 لانه افاد العموم ولم يحسن قول القائل أحد خير منك حيث لم يفد العموم (المسئلة
 الثالثة) ما معنى القدر قلنا فيه وجوه (أحدها) التقدير كما قال تعالى وكل شيء عنده بمقدار
 وعلى هذا فكل شيء مقدر في ذاته وفي صفاته أما المقدر في الذات فالجسم وذلك ظاهر فيه
 وكذلك القائم بالجسم من المحسوسات كالبياض والسواد واما الجوهر القدر ما لا مقدار
 له والقائم بالجوهر ما لا مقدار له بمعنى الاستداد كالعلم والجهل وغيرهما فنقول ههنا

مقادير لا يعنى الامتداد اما الجوهر انفراد فان الاثنين منه أصغر من الثلاثة ولولا أن له
 حجما يزداد به الامتداد واللاحصل دون الاحتداد فيه وأما القائم بالجوهر فله نهاية
 وبداية فمقدار العلوم الحادثة والقدر المخلوقة متناهية وأما الصفة فلان لكل شئ ابتدئ
 زمانا فله مقدار في البقاء لكون كل شئ حادثا فان قيل الله تعالى وصف به ولا مقدار له
 ولا ابتداء لوجوده نقول المتكلم اذا كان موصوفا بصفة أو مسمى باسم ثم ذكر الاشياء
 المسماة بذلك الاسم أو الاشياء الموصوفة بتلك الصفة وأسند فعلا من افعاله اليه يخرج
 هو عنه كما يقول القائل رأيت شئ في هذا البيت فرأيتهم كلهم أكرمى ويقول ما في
 هذا البيت أحدا الا وضربى أو شربته يخرج هو عنه لا لعدم كونه مقتضى الاسم بل بما
 في التركيب من الدليل على خروجه عن الارادة فكذلك قوله خلقناه وخالق كل شئ يخرج
 عنه لا بطريق التخصيص بل بطريق الحقيقة اذا قلنا ان التركيب وضعى فان هذا
 التركيب لم يوضع حينئذ الا لغير المتكلم (ثانيهما) القدر التقدير قال الله تعالى فقد رنا نفخ
 القادرون وقال الشاعر وقد قدر الرحمن ما هو قادر أي قدر ما هو مقدر وعلى هذا
 فالعنى ان الله تعالى لم يخلق شيئا من غير تقدير كما يرى في الرأى السهم فيقع في موضع لم يكن
 قد قدره بل خلق الله كقدر بخلاف قول الفلاسفة انه فاعل لذاته والاختلاف للقوابل
 فالذى جاء قصيرا أو صغيرا فلا استعداد مادته والذي جاء طويلا أو كبيرا فلا استعداد آخر فقال
 يا بالى كل شئ خلقناه بقدرنا فالصغير جاز أن يكون كبير أو الكبير جاز خلقه صغيرا
 (الثالث) بقدر هو ما يقال مع القضاء يقال يفضأ الله وقدره وقالت الفلاسفة في القدر
 الذى مع القضاء ان ما يقصد اليه فمقتضاء وما يلزمه فقدر فيقولون خالق النار حارة بقضاء
 وهو مقتضى به لانها ينبغي أن تكون كذلك لكن من لوازمها انها اذا انعلقت بقطن عجوز
 أو وقعت في قصب صلبوك تحرقه فهو بقدر لا بقضاء وهو كلام فاسد بل القضاء ما في العلم
 والقدر ما في الارادة فتوله كل شئ خلقناه بقدر أي بقدره مع ارادته لا على ما يقولون انه
 موجب ردا على المشركين ثم قال تعالى (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) أى الكلمة
 واحدة وهو قوله له كن هذا هو المشهور الظاهر وعلى هذا قاله اذا اراد شيئا قل له كن
 فهناك شيان الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة يحتمل أمرين
 (أحدهما) بيان انه لا حاجة الى تكرير القول اشارة الى نفاذ الامر (ثانيهما) بيان عدم
 اختلاف الحال فامر عند خلق العرش العظيم كامر عند خلق النمل الصغير فامر عند
 الكل واحد وقوله كلمح بالبصر تشبيه الكون لانتشيد الامر فكانه قال أمرنا واحدة
 فأن المأمور كان كلمح بالبصر لانه لو كان راجعا الى الامر لا يكون ذلك صفة مدح
 يلحق به فان كلمة كن شئ ايضا يوجد كلمح بالبصر هذا هو التفسير الظاهر المشهور وفيه
 وجه ظاهر ذهب اليه الحكماء وهى ان مقدرات الله تعالى هى الممكنات بوجودها بقدرته
 وفي عدمها بخلاف لا يلىق بيانه بهذا الموضع لطوله لا سبب غيره ثم ان الممكنات التى

(وما أمرنا الا واحدة) أى
 كلمة واحدة سريعة
 التكوين وهو قوله
 تعالى كن أو افعلة
 واحدة هو الابتداء بلا
 معالجة (كلمح بالبصر)
 فى البصر والسرعة وقبل
 معناه قوله تعالى وما أمر
 الساعة الا كلمح بالبصر

يوجد بها الله تعالى قسمان (أحدهما) أمور لها أجزاء ملثمة عند الشاهدين بوجودها كالإنسان والحيوان والاجسام النباتية والمعدنية وكذلك الأركان الأربعة والسموات وسائر الاجسام وسائر ما يقوم بالاجسام من الاعراض فهي كلها مقسومة وحوادث فانما أجزاءها توجد أو لا توجد بوجودها التركيب والالتصام بعينها فغير متديرات نظر إلى الأجزاء والتركيب والاعراض (وثانيهما) أمور ليس لها أجزاء ومقاسل ومقادير امتدادية وهي الأرواح الشريفة المنورة بالاجسام وقد أثبتتها جميع الفلاسفة الاقليلا منهم ووافقهم جمع من المتكلمين وقطع بها كثير من لهؤلاء أصحاب الرياضات وأرباب المجاهدات فذلك الأمور وجودها واحد ليس يوجد ولا أجزاء وثانياً يتحقق تلك الأجزاء بخلاف الاجسام والاعراض القائمة بها اذا عرفت هذا قالوا الاجسام خلقية قدرية والأرواح ابداعية أمرية وقالوا إلى الإشارة بقوله تعالى أله الخلق والامر فخلق في الاجسام والامر في الأرواح ثم قالوا لا ينبغي أن يظن بهذا الكلام انه على خلاف الاخبار فانه صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله العقل وروى عنه عليه السلام انه قال خلق الله الأرواح قبل الاجسام بالثاني عام وقال تعالى الله خالق كل شيء فخلق الله خلقاً على إيجاد الأرواح والعقل لان اطلاق الخلق على ما يطلق عليه الامر جائز وان العالم بالكلية حادث واطلاق الخلق بمعنى الاحداث جائز وان كان في حقيقة الخلق تقدير في أصل اللغة ولا كذلك في الاحداث واولا الفرق بين العبارتين والاستقبح الخلفي من أن يقول المخالف قديم كما يستقبح من أن يقول المحدث قديم فاذا قال صلى الله عليه وسلم خلق الأرواح بمعنى أحسنها بامر وفي هذا الاملاق فائدة عظيمة وهي أنه صلى الله عليه وسلم أوضح العبارة وقال في الأرواح انها موجودة بالامر والاجسام بالخلق اظن الذي لم يرزقه الله العلم الكثير أن الروح ليست بمخلوقة بمعنى ليست بمحدثة فكان يضل والنبي صلى الله عليه وسلم بمن رحمة وقالوا اذا نظرت الى قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي والى قوله تعالى خلق السموات والارض في ستة أيام والى قوله تعالى خلقنا النطفة خلقاً فخلقنا العنقة مضغة فخلقنا المضغة عظماً ما تجد الفجوات بين الامر والخلق والأرواح والاشباح حيث جعل خلق بعض الاجسام زماناً ممتداً هو ستة أيام وجعل لبعضها تراخياً وترتيباً بقوله ثم خلقنا وبقوله فخلقنا ولم يجعل للروح ذلك ثم قالوا ينبغي أن لا يظن بقولنا هذا ان الاجسام لا بد لها من زمان ممتدو أيام حتى يوجد بها الله تعالى فيه بل الله مختار ان أراد خلق السموات والارض والإنسان والدواب والشجر والنبات في أسرع من لمح البصر خلقها كذلك ولكن مع هذا لا يخرج عن كونها موجودات حصلت لها أجزاء ووجود أجزاءها قبل وجود التركيب فيها ووجودها بعد وجود الأجزاء والتركيب فيها فهي ستة ثلاثة في ثلاثة كما يخلق الله الكسر والانكسار في زمان واحد ولها ترتيب عقلي فالجسم اذن كيفما فرضت خلقه ففيه تقدير ووجودات

كلها بإيجاد الله على الترتيب والرحم لها وجود واحد بإيجاد الله تعالى هذا قولهم
 ولقد كرمنا في الخلق والامر من الوجوه المتقولة والمعقولة (أحدها) ما ذكرنا أن الامر هو
 كلمة كن والخلق هو ما بالقدرة والارادة (ثانيها) ما ذكرنا في الاجسام ان منها الارواح
 (ثالثها) هو ان الله له قدرة على الابدان واردة بها التخصيص وذلك لان المحدث له وجود
 مختص بزمان وله مقدار معين فوجوده بالقدرة واختصاصه بالزمان بالارادة فالتدبير بقدرته
 خلق والذي بالارادة امر حيث يخصصه بامر بزمان ويدل عليه المنقول والمعقول
 اما المنقول فقوله تعالى اذ قال الله ان يقول له كن فيكون جعل كن تعلق الارادة واعلم ان
 المراد من كن ليس هو الحرف والكلمة التي من الكاف والتون لان الحصول أسرع من كلمة
 كن اذ احلتها على حقيقة اللفظ فان الكاف والتون لا يوجد من متكلم واحد الا على
 الترتيب ففي كن لفظ زمان والكون بعده بدليل قوله تعالى فيكون بالغاء فاذا لو كان المراد
 بكن حقيقة الحرف والصوت لكان الحصول بعده بزمان وليس كذلك فان قال قائل
 يمكن ان يوجد الحرفان معا وليس كلام الله تعالى كذلك يحتاج الى الزمان قلنا قد جعل
 له معنى غير ما نفهمه من اللفظ واما المنقول فلان الاختصاص بالزمان ليس بمعنى وحدة
 وان كان بعض الناس ذهب الى أن الخلق والابدان الحكمة وقال بان الله خلق الارض
 لتكون مقر للناس او مثل هذا من الحكم ولم يمكنه أن يقول خلق الارض في الزمان
 المخصوص لتكون مقر لهم لانه لو خلقها في غير ذلك لكانت أيضا مقر لهم فاذا
 التخصيص ليس بمعنى فهو لمحض الحكمة فهو يشبه أمر الملك الجبار الذي يأمر ولا يقال
 له لم أمرت ولم فعات ولا يعلم مقصود الأمر الامنة (رابعها) هو ان الاشياء المخلوقة
 لا تنفك عن اوصاف ثلاثة أو عن وصفين متقابلين مثاله الجسم لا بد له بعد خلقه أن يكون
 متغيرا ولا بد له من أن يكون ساكنا أو متحركا فإيجاد اول خلقه وما هو عليه بامر بدل
 عليه قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام الى أن قال
 مسخرات بأمره فجعل ما لها بعد خلقها من الحركة والسكون وغيرهما بامر بدل
 عليه قوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فاقبل ثم قال
 ادبر فادبر جعل الخلق في الحقيقة والامر في الوصف وكذلك قوله تعالى خلق السموات
 والارض وما بينهما في ستة أيام ثم قال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه
 في يوم كان مقداره وقد ذكرنا تفسيره (خامسها) مخاوفات الله تعالى على قسمين (أحدهما)
 خلقه الله تعالى في أسرع ما يكون كالعقل وغيره (وثانيها) خلقه بمهلة كالسموات
 والانسان والحيوان والنبات فالخلق عمر بها أطلق عليه الامر والمخلوق بمهلة أطلق
 عليه الخلق وهذا مثل الوجه الثاني (سادسها) ما قاله فخر الدين الرازي في تفسيره قوله
 تعالى فقال لها وللارض انقيا طوعا أو كرها وهو ان الخلق هو التقدير والابدان بعده
 بعدية ترتيبية لازمة في علم الله تعالى ان السموات تكون سبع سموات في يومين

تقديرية فهو قدر خلقه كإله وهو إيجاد فالاول خلق والثاني وهو الإيجاد أمر وأخذ
هذا من المفهوم القوي قال الشاعر * وبعض الناس يخلق ثم لا يفري * أي يقدر
ولا يقطع ولا يفصل كالحياض الذي يقدر أولاً ويقطع ثانياً وهو قريب إلى اللغة لكنه
بعيد الاستعمال في القرآن لأن الله تعالى حيث ذكر الخلق أراد الإيجاد مثله قوله تعالى
وأن من سألهم من خاف ومنه قوله تعالى أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة وليس المراد
أننا قدرنا أنه سوجد منها إلى غير ذلك (سابعها) الخلق هو الإيجاد ابتداءً والأمر هو إمارة
الاعادة فإن الله خلق الخلق أولاً بمهلة ثم يوم القيامة يبعثهم في أسرع من لحظة فيكون
قوله وما أمرنا إلا واحدة كقوله تعالى فأنما هي زجر واحد وقوله صيحة واحدة
ونفخة واحدة وعلى هذا فقوله أنا كل شيء خلقناه بقدر إشارة إلى الوحدة وقوله تعالى
وما أمرنا إلا واحدة إشارة إلى الحشر فكأنه بين الأصل الأول والأصل الآخر بالآيات
(ثامنها) الإيجاد خلق والاعداد أمر يعني يقول للملائكة الغلاظ الشداد أهل كوا
واقلوا فلا يصون الله ما أمرهم ولا يوفون الامتثال على اعادة الامر مرة أخرى
فامر مرة واحدة بعقوبة العدم والهلاك (وفيه لطيفة) وهي إن الله تعالى جعل الإيجاد
الذي هو من الرحمة يبدؤ به والهلاك يسلم عليه رسله وملائكته وجعل الموت يد ملك
الموت ولم يجعل الحياة يد ملك وهذا مناسبا لهذا الموضع لأنه بين النعمة بقوله أنا كل شيء
خلقناه بقدر وبين قدرته على النعمة فقال وما أمرنا إلا واحدة وأنا على زهابه قادرين
وهو كقوله إذا جاء أمرنا وفار التنور عذبه العذاب وقوله تعالى فلما جاء أمرنا نجينا إصباحا
وقوله تعالى فلما جاء أمرنا نجعلنا عاينها سافرها وكأذكر في هذه الحكايات العذاب يلفظ
الأمر وبين الإهلاك به كذلك ههنا ولا سيما إذا نظرت إلى ما تقدم من الحكايات
ووجدتها عين تلك الحكايات يقوى هذا القول وكذلك قوله تعالى وقد أهكنا أشياصكم
فهل من مدكر يدل على صحة هذا القول (ثانيها) في معنى اللوح بالبصر وجهان
(أحدهما) النظر بالعين يقال لمحجبه ببصري كما يقال نظرت إليه بعيني والباء حينئذ كما يذكر
في الآلات فيقال كسبت بالعلم واختار هذا المثال لأن النظر بالعين أسرع حركة توجد
في الإنسان لأن العين وجد فيها أمور تعين على سرعة الحركة (أحدها) قرب المحرك منها
فإن المحرك العصبي ومثبتها الدماغ والعين في غاية القرب منه (ثانيها) صغر حجمها فإنها
لا تعصى على المحرك ولا تنقل عليه بخلاف العظام (ثالثها) استدارة شكلها فإن درجة
الكرة أسهل من درجة المربع والمثلث (رابعها) كونها في رطوبة مخلوقة في العضو
الذي هو موضعها وهذه الحكمة في أن المربيات في غاية الكثرة بخلاف الماكولات
والمجموعات والمقاصد التي تقصد بالارجل والمفوقات فلولا سرعة حركة الأكلة التي
بها إدراك البصرات لما وصل إلى الكمل إلا بعد طول زمان (وثانيها) اللوح بالبصر
معناه البرق يخطف بالبصر ويمر به سرهما وأبداً حينئذ للأصابع لا الاستعانة كقوله

سررت به وذلك في غاية السرعة وقوله بالبصر فيه فائدة وهي غاية السرعة فانه لو قال كلحج
البرق حين برق وينتدى حركته من مكان وينتهي الى مكان آخر في أقل زمان يفرض
الصحيح لكن مع هذا فالقدر الذي مروره يكون بالبصر أقل من الذي يكون من مبتداه الى
منتهاه فقال كلحج لا يتأويل عن المبدأ الى المنتهى بل القدر الذي يمر بالبصر وهو في غاية
القلة ونهاية السرعة * ثم قال تعالى (ولقد اهلكنا أشياء عظيمات فهل من مدكر) والاشياء
الاشكال وقد ذكرنا ان هذا يدل على ان قوله وما أمرنا الا واحدة تهديد بالهلاك والاشياء
ظاهر * وقوله تعالى (وكل شيء فعلوه في الزبر) اشارة الى ان الامر غير مقتصر على
اهلاكهم بل الاهلاك هو العاجل والعذاب الآجل الذي هو مقدر لهم على ما فعلوه
مكتوب عليهم والزبر هي كتب الكتب الذين قال تعالى فيهم كلابل تكذبون بالدين وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين وفعلوه صفحني * والتكرار توصف بالجل * وقوله تعالى
(وكل صغير وكبير مستطر) نعميم للحكم أي ليست الكتابة مقتصرة على ما فعلوه بل
ما فعله غيرهم أيضا مسطور فلا يخرج عن الكتب صغيرة ولا كبيرة وقد ذكرنا في قوله تعالى
لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب
ان قوله أكبر فائدة عظيمة وهي ان من يكتب حساب انسان فاما يكتبه في غالب الامر
لثلاثي فاذا جاء الجلة العظيمة التي يأمن نسيانها ر بما يترك كتابتها وبشتغل بكتابة
ما يخاف نسيانه فلما قال ولا أكبر من ذلك أشار الى الامور العظام التي يؤمن من نسيانها
انها مكتوبة أي ليست كتابتنا مثل كتابتكم التي يكون المقصود منها الامن من النسيان
فكذلك نقول ههنا وفي قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها
وفي جميع هذه المواضع قدم الصغيرة لانها ابقى بالثبوت عند الكتابة فيبشدي بها حفظا
عن النسيان في عادة الخلق فاجرى الله الذكر على عادةهم وهذا يؤيد ما ذكرنا من قبل
ان كلا وان كان تذكرا يحسن الابتداء به للعموم وعدم الإيهام * ثم قال تعالى (ان المتقين
في جنات ونهر) قد ذكرنا تفسير المتقين والجنات في سور منها الطور وأما النهر
ففيه قرأت فتح النون والهاء كعجرو وهو اسم جنس ويقوم مقام الانهار وهذا هو الظاهر
الصحيح * وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لاشك ان كمال الالذة بالبستان ان يكون الانسان
فيه وليس من الالذة بالنهر ان يكون الانسان فيه بل لذته بان يكون في الجنة عند النهر فما
معنى قوله تعالى ونهر نقول قد أجبتنا عن هذا في تفسير قوله تعالى ان المتقين في جنات
وعيون في سورة الذاريات وقلنا المراد في خلال العيون وفيما بينها من المكان وكذلك
في جنات لان الجنة هي الاشجار التي تستر شعاع الشمس ولهذا قال تعالى في ظلال وعيون
واذا كانت الجنة هي الاشجار الساترة فالانسان لا يكون في الاشجار وانما يكون بينهما
أوفي خلالها فكذلك النهر (ونز يدههنا وجهها آخر) وهو ان المراد في جنات وعند نهر
يكون المجاورة تحسن اطلاق اللفظ الذي لا يحسن اطلاقه عند عدم المجاورة كما قال

١) ولقد اهلكنا أشياء
٢) أي أشباهكم في الكفر
٣) في الآم وقيل أبقاكم
٤) فهل من مدكر (تتفظ
بذلك) (وكل شيء فعلوه)
٥) من الكفر والمعاصي
٦) مكتوب على التفصيل
٧) (في الزبر) أي في ديوان
الحفظ (وكل صغير
وكبير) من الاعمال
٨) (مستطر) مسطور
٩) في اللوح المحفوظ
١٠) بتفاصيله ولما كان بيان
سوء حال الكفرة بقوله
تعالى ان المجرمين الخ
١١) مما يستدعي بيان حسن
حال المؤمنين ليتكافأ
الترهيب والترغيب بين
مالهم من حسن الحال
١٢) بطريق الاجمال قبل
(ان المتقين) أي من
الكفر والمعاصي
(في جنات) عظيمة
الشان (ونهر) أي
أنهار كذلك والافراد
الاكفاء باسم الجنس
١٣) مراعاة الفواصل وقري
نهر جمر نهر كاسد وأمد

دلفقها تبنا وما باردوا وقالوا اتقوا سيفا ورما واما الف والرح لا يتقلد ولكن المجاورة
 النهر والسيف حسن الاطلاق فكذلك هنا ما رأيت في الثاني بما أتى به في الاول من كلمة في
 (المسئلة الثانية) وحد النهر مع جم الجنات وجم الانهار في كثير من المواضع كما في قوله
 تعالى تجري من تحتها الانهار الى غيره من المواضع فالحكمه فيه نقول اما على الجواب
 الاول فنقول لما بين ان معنى في نهر في خلال فلم يكن السامع حاجه الى سماع الانهار لعله
 بان النهر الواحد لا يكون له خلال واما في قوله تعالى تجري من تحتها الانهار فلو لم يجمع
 الانهار لجاز ان يفهم ان في الجنات كلها انهارا واحدا كما في الدنيا فقد يكون نهر واحد عند
 جار في جنات كثيرة واسما على الثاني فنقول الانسان يكون في جنات لا يابن ان الجمع في
 في جنات اشارة الى سميتها وكثرة اشجارها وتنوعها والتوحيد عند ما قال مثل الحق وقال
 ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة لا اتصال اشجارها وعدم
 وقوع القيعان الحريرة بينها واذا علمت هذا فالانسان في الدنيا اذا كان في بيت في دار وتلك
 الدار في محله وتلك المحلة في مدينة يقال انه في بلدة كذا واما القرب فاذا كان الانسان
 في الدنيا بين نهرين بحيث يكون قرب به منهما على الدوام يقال انه جالس عند نهرين فاذا
 قرب من أحدهما يقال هو عند احد النهرين دون الآخر لكن في دار الدنيا لا يمكن أن
 يكون عند ثلاثة انهار وانما يمكن أن يكون عند نهرين والثالث منه أبعد من النهرين
 فهو في الحقيقة ليس يكون في زمان واحد عند انهار والله تعالى يذكر امر الآخرة على
 ما نفهمه في الدنيا قال عند نهر لما بينان قوله ونهر وان كان يقتضي في نهر لكن ذلك
 للمجاورة كما تقدمت سيفا ورما واما قوله تجري من تحتها الانهار فحقيقته مفهومة
 عندنا لان الجنة الواحدة قد تجري فيها انهار كثيرة أكثر من ثلاثة وأربعة فهذا ما فيه
 مع ان أواخر الآيات يحسن فيها التوحيد دون الجمع ويحتمل أن يقال ونهر التكثير
 للتعظيم وفي الجنة نهر وهو أعظم الانهر وأحسنها وهو الذي من الكور ومن عين
 الرضوان وكان الحصول عنده شرقا وغربا وكل أحد يكون له معه عند وسائر الانهار
 تجري في الجنة ويراها أهلها ولا يرون القاعد عندها فقال في جنات ونهر أي ذلك النهر
 الذي عنده مقاعد المؤمنين وفي قوله تعالى ان الله مبتليكم بنهر لكونه غير معلوم لهم وفي
 هذا وجه حسن أيضا ولا يحتاج على الوجهين ان نقول نهر في معنى الجمع لكونه اسم جنس
 (المسئلة الثالثة) قال ههنا في نهر وفان في الداريات وعيون فالفرق بينهما نقول انما ان
 قلنا في نهر معناه في خلال فالانسان يمكن أن يكون في الدنيا في خلال عيون كثيرة تحيط به
 اذا كان على موضع مرتفع من الارض والعيون تنفجر منه وتجرى فتصير كأنها را عند
 الامتداد ولا يمكن أن يكون في خلال انهار وانما هي نهران فحسب واما ان قلنا ان المراد
 عند نهر فكذلك وان قلنا نهر أي عظيم عليه مقاعد فنقول يكون ذلك النهر امتدادا واصلا
 الى كل واحد وله عند مقعده عيون كثيرة تابعة فانه نهر للنهر يف والعيون للفرج والشمس

مع النهر العظيم يجتمع مع العيون الكثيرة فكان النهر مع وحدته يقوم مقام العيون مع كثرتها وهذا كله مع النظر الى أواخر الآيات ههنا وهناك يحسن ذكر لفظ الواحد ههنا والجمع هناك (المسئلة الرابعة) قرئ في جنات ونهر على انها جمع نهار اذا لايل هناك وعلى هذا فالكلمة في حقيقة فيه فقول في جنات ظرف مكان وقوله ونهر أى وفي نهر إشارة الى ظرف زمان وقرئ ونهر يسكون الهاء وضم النون على انه جمع نهر كأنه في جمع أسد نقله الزمخشري ويحتمل أن يقال نهر بضم الهاء جمع نهر كقوله في جمع نهر ثم قال تعالى (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في مقعد صدق كيف يخرج من قول يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون على صورة بدل كما يقول القائل فلان في بلدة كذا في دار كذا وعلى هذا يكون مقعد من جملة الجنات موضعا مختارا للمزينة على ما في الجنات من المواضع وعلى هذا قوله عند مليك لا نأيد في احد الوجوه ان المراد من قوله في جنات ونهر في جنات عند نهر فقال في مقعد صدق عند مليك مقتدر ويحتمل أن يقال عند مليك صفة مقعد صدق تقول درهم في ذمة ملي خيبر من دينار في ذمة معسر وقيل هندأ من أفضل من كثير عندنا فيكون صفة والاملاحسن جعله مبتدأ (ثانيها) أن يكون في مقعد صدق كالصفة لجنات ونهر أى في جنات ونهر موصوفين بأنهم في مقعد صدق تقول بوقف في سبيل الله أفضل من كذا وعند مليك صفة (المسئلة الثانية) قوله في مقعد صدق يدل على ان لا يدل عليه المجلس وذلك لان قعد وجلس ليسا على ما يظن انهما بمعنى واحد لافرق بينهما بل بينهما فرق ولكن لا يظهر الا للبارع والفرق هو أن القعود جلوس فيه مكث حقيقة واقتضاء ويدل عليه وجوه (الاول) هو أن الزمن يسمى قعدا ولا يسمى بمجلسا طول المكث حقيقة ومنه سمى قواعد البيت والقواعد من النساء قواعد ولا يقال لهن جواسل لعدم دلالة الجلوس على المكث الطويل فذكر القواعد في الموضوعين لكونه مستقرا بين الدوام والثبات على حالة واحدة ويقال للمركوب من الايل قعود لدوام اقتضائه وان لم يكن حقيقة فهو لصونه عن الحمل واتخاذ المركوب كانه وجد نفسه نوع قعودا ثم اقتضى ذلك ولم يرد الاجلاس (الثاني) النظر الى تعاليل الحروف فانك اذا نظرت الى قعد وقولتها تجد معنى المكث في الكل فاذا قدمت القاف رأيت قعد وقعد بمعنى ومنه تقادح الفراش بمعنى نهافت واذا قدمت العين رأيت قعد وصدق بمعنى المكث في غاية الظهور وفي صدق خفاء يقال أصدق يدك الدلو في البئر اذا أمره بطلبه بعد وقوعه فيها والعود قد خشبة عليها كلاب يخرج معه الدلو الواقع في البئر واذا قدمت الدال رأيت دقع ودحق والمكث في الدقع ظاهر والدقعة هي الزراب المنصق بالارض والفقر المدقع هو الذي يلصق صاحبه بالزراب وفي دحق أيضا اذا دحق مكان قطو الدواب بجوارها فيكون صلبا اجزاؤه متداخلة بعضها ببعض لا يتحرك شيء منها عن موضعه (الوجه الثالث) الاستعمالات في القعود اذا اعتبرت ظهر ما ذكرنا قال

(في مقعد صدق)
مكان مرضى و
في مقاعد صدق (هـ)
مليك مقتدر (أى مقرب)
عند مليك لا يقادر قدر
ملكه وسلاطانه فلا شيء
الا وهو تحت ملكوته
سبحانه ما أديظم شأنه
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة
القمر في كل غيب بعثه الله
تعالى يوم القيامة ووجهه
مثل القمر ليلة البدر

* (فهرسة الجزء السابع من تفسير الفخر الرازي) *

صفحة

٢	* (سورة صبا وفيها المسائل الآتية) *
٣	المسئلة الثالثة في بيان معنى الحكمة
٩	المسئلة الرابعة في بيان كيفية تمخير الجبال وتسييحها مع داود
١١	المسئلة الخامسة في بيان المراد من قوله تعالى وقبيل من عبادى الشكور
١٥	الكلام في بيان المذاهب المغضبة الى الشرك
٢٩	* (سورة فاطر) *
٥٧	* (سورة يس وفيها المسائل الآتية) *
٥٧	الكلام على حكمة افتتاح بعض السور ببعض حروف التهجى
٧٣	الكلام في بيان لطائف قوله تعالى وما لى لأعبد الذى فطرنى الآية
٨٦	الكلام على نبذة من علم الهيئة
٨٨	المسئلة الثالثة في بيان الخلاف في أن السماء هل هى مبسوطة أم مستديرة
٩٠	المسئلة الرابعة في بيان نبذة من علم الهيئة
٩٧	المسئلة الثالثة في بيان مباحث لغوية ومعنوية في لفظة ماوان
١٠٧	المسئلة الرابعة في بيان المراد من تخافة الشيطان وعدمها
١٠٩	المسئلة الاولى في بيان سبب حصول العداوة بين الشيطان والانسان
١١٢	الكلام في بيان لطائف لفظية ومعنوية في قوله تعالى اليوم نختم على أفواههم
١١٧	الكلام في بيان لطيفة غريبة في قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين
١١٩	الكلام في بيان استدلال المعتزلة على أن المعدوم شئ والجواب عنه
١٢٢	* (سورة الصافات وفيها المسائل الآتية) *
١٢٣	المسئلة الثانية في بيان المراد من الاشياء الثلاثة المقسم بها في هذه السورة
١٢٧	المسئلة الثانية في بيان نبذة من علم الهيئة
١٤٤	المسئلة الرابعة في بيان احتجاج أهل السنة على أن الهدى والضلال من الله تعالى
١٥٥	المسئلة الثانية في بيان حكاية أقوال الناس في الذبيح
١٥٨	المسئلة السابعة في بيان حكمة مشاورة ابراهيم مع والده في الذبح وفي كيفية الذبح
١٦٤	المسئلة الثالثة في بيان قصة يونس عليه السلام
١٦٩	المسئلة الثانية في بيان احتجاج أهل السنة على أنه لا تأثير لاقواء الشيطان
١٧٢	* (سورة ص وفيها المسائل الآتية) *
١٩٦	المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على صحة الحشر والنشر
٢٠١	الكلام في بيان المراد من فتنة سليمان عليه السلام

صحيحه

- ٢١٩ المسئلة الرابعة في بيان الرد على من يثبت لله تعالى الجوارح
- ٢٢٢ الكلام في بيان ان النار اشرف ام الطين
- ٢٢٦ * (سورة الزمر وفيها المسائل الآتية) *
- ٢٥٢ المسئلة الاولى في بيان احتجاج القائلين بحدوث القرآن والجواب عنه
- ٢٨٩ * (سورة المؤمن وفيها المسائل الآتية) *
- ٣٠١ المسئلة الاولى في بيان استدلال اكثر العلماء على اثبات عذاب القبر
- ٣٠٩ المسئلة الثانية في بيان اصل عظيم من اصول الفقه
- ٣٢٤ المسئلة الرابعة في بيان حكاية تاريخية
- ٣٢٦ الكلام في بيان حقارة الدنيا وكل حال الملاحة
- ٣٢٩ المسئلة الاولى في بيان احتجاج اهل السنة على اثبات عذاب القبر
- ٣٣٧ الكلام في ان دلائل وجود الله تعالى وقدرته
- ٣٤٥ * (سورة حم السجدة وفيها المسائل الآتية) *
- ٣٤٦ المسئلة الاولى في بيان احتجاج القائلين بخلق القرآن والجواب عنه
- ٣٤٧ المسئلة الخامسة في بيان اقسام فضائل اللغات
- ٣٦٢ المسئلة الثانية في استدلال النجسين على ان بعض الايام يكون نحساو بعضها سعدا
- ٣٦٧ المسئلة الثانية في بيان استدلال اهل السنة على انه تعالى يريد الكفر من الكافر
- ٣٧٢ المسئلة الثانية في بيان مراتب الدعوة الى الله تعالى
- ٣٨٤ * (سورة شوري وفيها المسائل الآتية) *
- ٣٨٨ الكلام في بيان اقسام الموجودات
- ٣٩١ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج نفاة القياس على قولهم والجواب عنه
- ٣٩٢ المسئلة الاولى في بيان احتجاج علماء التوحيد على ان الله ليس جسمنا من كيان
- من الاعضاء
- ٤١٦ المسئلة الثانية في بيان اصل كبير من اصول الفقه
- ٤٢٣ المسئلة الرابعة في بيان اختلافهم في حقيقة كلام الله تعالى
- ٤٢٧ * (سورة الزخرف) *
- ٤٣٩ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على ابطال القول بالتقليد
- ٤٦٢ * (سورة الدخان) *
- ٤٦٣ المسئلة الخامسة في بيان اختلافهم في اليلة المباركة
- ٤٧٨ * (سورة الجاثية) *
- ٤٩٣ * (سورة الاحقاف) *

صحة	
٥٢١	* (سورة القتال) *
٥٥٤	* (سورة الفتح) *
٥٨١	* (سورة الحجرات) *
٦١١	* (سورة في) *
٦٥٢	* (سورة الداريات) *
٦٥٢	المسئلة الاولى في بيان حكمه القسم بالاشياء القسم بها في أوائل السور
٦٨٥	الكلام في بيان ذواته بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
٦٩١	* (سورة الطور) *
٦٩٥	المسئلة الرابعة في بيان بحث في معنى الزمان والمكان
٧٢٤	* (سورة النجم) *
٧٦١	المسئلة الرابعة في بيان الفرق بين الفواحش والكبائر
٧٧٩	* (سورة القمر) *
٧٩٣	المسئلة الثانية في بيان الفرق بين الاسماء المشتقة وبين اسماء الاجناس
٨٠١	الكلام في بيان لطيفة نحوية تتعلق باسم الفاعل
٨١٥	المسئلة الاولى في بيان ان القدرية من

* (تمت) *

To: www.al-mostafa.com